







مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي

٣٦

المجلد الرابع والثلاثون

السنة ١٣٨٢ هـ

مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

الانفَر الشَّرِيفِي



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة إجماع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٢١٤

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
ولمدرسين والطالبين تخفيض خاص

بصدور عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

الجزء الأول — السنة الرابعة والثلاثون — المحرم سنة ١٣٨٢ هـ — يونية ١٩٦٢ م

سنة ١٣٨٢ هـ

عام جديد على أزهر جديد
بقلم : أحمد حسن الزيات

على يد غارسها الأعظم بالمدينة ، فغذاها
الوحي ، وسقاها الإيمان ، وتعهدها النبوة ،
حتى قام في ظلها البادئ مجتمع الأنصار
والمهاجرين على الوحدة والأخوة والتعاون .
ثم انبسط هذا الظل في بوادي الجزيرة كلها ،
لجعلها واحة للمعدل والإحسان على قدر
ما تتقبله الحياة البدوية والطبيعة الجافة ، ثم
امتدت الرسالة مع خلافة الراشدين إلى مشارف
الشام وأرياف العراق وجنات مصر ،
فتفتحت في الحضارتين الرومية والفارسية
من ريح الله فنفت عنهما الخبيث ، وأبقت

التجدد والتقدم والانساع والشمول من
طبيعة الرسالة المحمدية لأنها رسالة الدهر
كله والناس كلهم . تضمن أصلها السامى الخالد
سر المجتمع البشرى المثالى كما تتضمن النواة
مر النخلة السمحوق ، والنطفة معنى الإنسان
الكامل ، فهى تسير مع الزمن ، وتتطور مع
الناس ، وتنسج مع العمران ، وتعمق مع
العلم ، ليكون فيها لكل غاية منهج ، ولكل
أمة دستور ، ولكل علة علاج ، ولكل
قضية حكم .

تفطرت هذه النواة عن سرها الإلهى

رسالة محمد أن تنكر للاشتراكية العادلة المعتدلة وهي التي جعلت للفقر حقاً معلوماً في مال الغني لا يكفل دينه إلا بأدائه ، وطالبت الفقير علاج من يعلم علم الاضطرار أنه أصل كل داء ومصدر كل شر . وقد أوشك هذا العلاج أن يكون بعد توحيد الله أرفع أركان الإسلام شأننا وأكثر أوامره ذكراً وأوفر مقاصده عناية .

ولو ذهب تستقصي ما نزل من الآيات وورد من الأحاديث في الصدقات والبر ، لحسبت أن رسالة الإسلام لم يبعث بها الله آخر الدهر إلا لتنفذ الإنسانية من غوائل الفقر وجرائر الجوع . وحسبك أن تعلم أن آي الصيام في الكتاب أربع ، وآي الحج بضع عشرة ، وآي الصلاة لا تبلغ الثلاثين . أما آي الزكاة والصدقات فانها تربي على الحسين .

فأنت ترى أن هذه الرسالة التي نزلت على جبل النور في واد غير ذي زرع لم تلبث بفضل ما استكن فيها من نور الله وعلمه أن سارت مسير الشمس من مشرقها تتدرج مع طاقة العقل وحاجة الناس في الارتفاع والاتساع حتى أضاءت كل مكان وأحييت كل هامد . تدرجت من خلافة عمر في المدينة إلى ملكية معاوية في دمشق ، ومن امبراطورية الرشيد في بغداد إلى جمهورية عبد الناصر

منهما الطيب ، وساستهما على نظام فريد من نظم الحضارة الروحية المسلمة . ثم أدركت الخلافة الأموية في دمشق وهي تمد عينها إلى أبهة البلاط الكسروي وترفه فكسرت من نظراتها الرغبة ، وشغلتها بالفتح الزاحف ، وأسعفتها بالتشريع المقيد ، وأقوتها على اقتباس النظم السياسية والإدارية والاجتماعية بما لا يخالف أصلاً من أصول الإسلام ، ولا يحاكي خلقاً من أخلاق العروبة .

ثم انتقل سلطانها مع بني العباس إلى العراق وكان العرب قد فتحوا أكثر المعروف يومئذ من الدنيا القديمة ، فامتد ملكهم من الهند والصين شرقاً إلى جبال البرانس غرباً ، فأتوا إلى ظلمها الوارف وكنفها الرحب أجناس الناس وحضارات الأمم وثقافات الشعوب ، فلم تضق بعلم ولا فن ، ولم تعرم بحضارة ولا عمارة ، ولم تنجم لزخرف ولا زينة ، ولم تنح عن جواب ولا حل ، ولم تصد عن تطور ولا تقدم ، وإنما أخرجت مما خلفته القرون من العادات والاعتقادات والمذاهب والنظم مزاجاً من العقلية العربية والمدنية الإسلامية كرم الإنسان وعدل الميزان ومدن العالم .

وما هي ذي تتقبل اليوم النظام الاشتراكي العربي في مصر كما يتقبل الأصل فرعه الذي اشتق منه لا تنكره ولا تزور عنه ، وما كان

زار القاهرة في عهد محمد علي مستشرق أوروبي
فطلب أن يجتمع بعالم أزهري له دراية بعلم
الفلك فلم يجدوا له بعد طول البحث إلا
شيخا واحدا درى هذا العلم على نفسه هو
الشيخ عبد الرحمن الجبرتي .

كان ذلك ولا ريب ميلا عن طريق الرسالة
المحمدية التي جاءت لتصل الأرض بالسما ،
وتنظم الدنيا بالدين ، وتحيي المادة بالروح ،
وتكشف الجاهل بالعلم ، وتمحو الضلالة
بالهدى ، ولكنه كان ولا ريب أيضا عرضا
زائلا ومرضا موقوتا لا تلبث علته أن تزول
مضى انجابت تلك السحب وتجلي من ورائها
دين الله نور السموات والأرض فجمع
المتفرقين على الوحدة ، وحفز المتخلفين على
التقدم ، لذلك لم تكده عواصف الثورة تبدد
السحب عن وجه الشمس حتى عاد الأزهري إلى
مداره من فلك الرسالة وقد بلغت عصر الفرة ،
يقتبس منها أشعة الهدى والعلم ليسهم في بناء
الاشتراكية العربية التي وضع قواعدها
(ميشاق عبد الناصر) على أسس ثابتة من
الدين والخلق والعلم والعمل والعدل والكفاية
والحرية والسلام والوثام والوحدة ، وهي
أسس كانت في كل عهد مضى وفي كل جيل خلا
أحلاما لا تحقق ومبادئ لا تطبق حتى جمعها
الله في رسالته وأوحاها إلى رسوله فصلاح عليها
الناس ما داموا على طريقة المستقيم الواضح

في القاهرة ، لم يخفت لها نور ، ولم يفتر
لها حرور ، ولم تسكن لها حركة . وإذا حدث
في بعض العصور المتخلفة أن احتجبت
أشعتها الهادية المحيية عن النفوس فأصابها
البرود والهمود والغفلة ، فذلك لأن فساد
الزمان وذهاب السلطان واستمجام اللسان
تنشئ سحابة تقالا من الجهل والشك تحول
بين الأبصار والهدى ، وتفصل بين البصائر
والحكمة .

في عصر من هذه العصور التي غامت فيها
الآفاق الإسلامية بهذا الركام انقطع الأزهري
وهو وريث النبوة عن دنيا الناس فلم يتصل
بها منه إلا أعلام قلائل كانوا كالصوى في
هذه المفازة يصطفهم الله من حين إلى حين
ليجدوا دعوته ويعلموا كلمته .

كان الأزهري يعيش حينئذ على بعض التراث
الإسلامي من فقه وحديث وتفسير وما يعين
عليها من نحو وصرف وبلاغة . ولم يكن
يعنى من الفقه إلا بالعبادات وهي مناصب الصلة
بين العبد ورب . أما المعاملات وهي مناصب
الصلوات بين المرء وغيره فلم يكن يعنى بها
ويتفقه فيها إلا رجال القضاء والحكم في
الدولة . ولا تمل بعد ذلك عن علوم الدنيا
من طب وفلك ورياضة وزراعة وكيمياء
وفيزياء وصيدلة ، فقد كانت من الفضول
التي لا يعاب به أحد ولا يفرغ له بال .

يؤثر رضا ربه على رضا نفسه في كل نزعة أو نزوة ، وهذا هو الإصلاح الجوهرى الشامل الذى تمنى به المصلحون فلم يجدوا من أرباب السلطان والحكم معيناً عليه ولا سبيلاً إليه .

إن (ميثاقك) الذى عاهدت الله على الوفاء به، وعاهدك الشعب على اللقاء عليه، حروف من كلمات الله لم يؤلفها أحد من قبلك فى أى عهد ، لا فى القديم والحديث ، ولا فى الشرق والغرب . لم يبق شيء فى نفوس المعذنين فى الأرض والمستضعفين من الناس إلا وجدوه فيه . ولو كان واضعه من جرب عليه للكذب وعرفت عنه الخديعة لقلنا سراب ولا ماء ، وقمقة ولا طحن ، ودوحة فينانة من شجر الصفصاف : خضرة فى العين ، ولا ثمر فى الدين ! ولكنه عبد الناصر الذى عود العالم فى عشرينين ألا يقول إلا بعد أن يعمل ، ويجتهد وألا يعمل إلا بعد أن يعلم ويعتقد ! فسهرى أيتها الثورة على بركة الله وأنا أسمى بين يديك بكتاب مبين يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ؟

أحمد حسن الزيات

قلنا توقع المنكر واستهتر البغى واستحكم الجبل انطامأت أضواؤها السهاوية فى نفوسهم فآمنوا بها إيماناً أثريا ظاهرياً لا يتعدى تحريك الأسنة والجوارح بالآيات والصلوات لتترك أو العادة !

ولكن الثورة التى أطاحت بالطغيات وبعثت بالإقطاع وبشرت بالديمقراطية ودانت بالاشتراكية واتخذت سندها وهداها من كتاب الله وسنة الرسول وإرادة الشعب لن تدع بعد ذلك سبيلاً إلى علة تصيب الحكم ولا آفة تفسد المجتمع .

* * *

قال الأزهر للثورة يوم دخلت عليه المحراب تستنهضه ليتبوأ الصدر من قيادة الإصلاح وإمامة النهضة : نعم ونعم عين ! إن الثورة من طبيعى ، وإن الاشتراكية من روحى ، وإن الهداية من واجبى ، وستجدنى فى طورى الجديد إن شاء الله مظهراً لرسالة الشائر الأعظم فأكون كما كنت طباقاً من العلم والعمل ، ونظاماً من الدين والدنيا ، أخرج العالم المجتهد الذى يعمل من فقه رسالة ومن بيانه دعوة ، والطبيب الروحى الذى يعمل من عبادته عبادة ومن مرضاه إخوة ، والمهندس للتقى الذى يعمل من عمله جهادا ومن خلقه قدوة ، والموظف المتدين الذى

مَعْنَى الْهَجْرَةِ وَدَوَائِعِهَا

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ محمد عثمان

وسلب الأموال ، واستهانة بالقيم ... وكثير غير ذلك مما تستمره الوثنية ، ويدفع إليه الإشرak بالله .

ومن أجل القضاء على تلك المفسد وإعلاء شأن الإنسان كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن أجل الارتفاع بمستوى البشرية وتمكين المثل الرفيعة من نفوس الناس وقلوبهم كانت هجرة محمد صلى الله عليه وسلم ، طلباً للاطمئنان ، وتمكيناً للدعوة ، وتعاوناً مع الأيدي المتكافئة على إنقاذ البشرية من الهوة التي تردت فيها ، وذلك بانتقاء المؤمنين من أهل مكة رجال المدينة :

رجال البيعة على الصدق والوفاء ، والمعاهدة على النصرة والتأييد والتفاني في سبيل تطهير الأرض من عبادة غير الله ، والقضاء على معالم المجتمع الجاهل لعلو كلفة الله ، كلفة الحق والعدل والمساواة ...

وإذن فالهجرة نوع من محاولات الإصلاح والتهذيب والتقدم في الحياة . وهي كذلك

إذا كان تاريخ الدعوة الإسلامية عامراً بالمعاني العظيمة ، والأحداث الجليلة ، فإن هجرة محمد صلى الله عليه وسلم من أجل الأحداث قدراً وأعظمها أثراً في حياة الرسالة المحمدية ، والدعوة إلى توحيد الله والعمل من أجل حياة أفضل للبشر جميعاً . فالهجرة كانت فيصلاً قاطعاً بين التخلف بالدعوة والجهل بها ، بين التستر عليها والإفصاح عنها ... كانت انتقالاً لها من النطاق المحدود والحصار المضروب ، والاضطهاد القاسي ، إلى الآفاق الرحبة والانطلاق الفسيح ، والنصير الفدائي .

والهجرة من الهجر وهو الترك ، وعند العقلاء أن المتروك يكون دائماً أقل حظاً من المطلوب المهاجر إليه .

ولقد هاجر محمد وصحبه من مكة إلى المدينة يوم كانت مكة تموج بالشرك وعبادة غير الله يحكم سلوكها آثار العقيدة الفاسدة ، من ظلم وطغيان ، وعبودية واستغلال ، وأكل للحقوق ... وإراقة الدماء وهتك الأعراض

لرسوله وللدؤمنين معه فقال : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثمانين اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا . »

والمهاجر على هذا النحو لا يلتزم جهة معينة يتجه إليها إنما يتجه حيث يرى مرعاة في إزالة المنكرات خصيبا ، وظروفه مهيئة ، وقد نعى الله في كتابه على من قعد عن الهجرة مع قدرته عليها فقال : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . »

وإن مضمون هذه الآية هو حظ البلاد الإفريقية والآسيوية الآن من هجرة المخلصين وأصحاب الدعوة السليمة إليها ، يهاجرون إلى ربوعها بقلوبهم إذا لم تسعفهم أبدانهم ، بأرائهم إذ لم تمكنهم أجسامهم ، بكل ما يستطيعون به تبديل شرهم خيرا ، وذلم عزا وضعفهم قوة ، وشتاتهم جمعا . وتختلفهم تقدما وزحفا ...

والهجرة بهذا المعنى رسالة كل قادر بنفسه ، أو فكره : بلسانه أو قلبه ، برأيه ، بتجربته ، بيعته بها إلى المواطن التي تحتاجها والأقاليم التي تندش الخير والإصلاح فيها .

وقد ضمن الله للمهاجرين العز والنصر كما

عمل إيجابي لرفع مستوى الإنسانية والنهوض بها من كبوتها التي حرمتها كل كمال وكل شرف ، وأفقدتها الإحساس بجلال الحق ، وجمال العدل وفعمة السلام ...

هذا ما هاجر إليه محمد وصحبه ، وهناك اتلفت القلوب وتشابكت الأيدي ، وتعانقت الأرواح وتأكدت المواثيق ، واتسع نطاق النصرة ...

وهذا هو معنى الهجرة في صدر الإسلام ، وقد كانت في ذلك الحين واجبا دينيا ، لمن يؤديه عظيم المثوبة ووافر الأجر ، ولمن يهمله سوء العاقبة وشر المنقلب .

وقد أعلی القرآن من شأن المهاجرين ، ونكل بالمعرضين عن الهجرة والمتخلفين .

فقال جل شأنه : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنتات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ، إن الله عنده أجر عظيم . »

وما أروع قول الله في عاقبة المهاجرين المخلصين الصابرين على الأذى : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤهم في الدنيا حسنة وللآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون . » واعتبرا بعد هذا وذاك نصرا وتأيدا

* نقل الأمة من ظلمات الجهل إلى نور العلم هجرة .

* وقاية الأمة من الأمراض ، وعلاجها من العطل هجرة .

* رفع مستوى الشعب وتحقيق الرفاهية له هجرة .

* تحقيق الكفاية وضمان العدل ... هجرة .

* الإنفاق في سبيل الله وتفريج الكرب وقضاء حاجة الفقراء والمساكين ... هجرة .

وهكذا ... تبديل كل شر خيراً هجرة ، للقائمين به ثواب المهاجرين .

وإذن فشعب الجمهورية العربية المتحدة يكون له ثواب المهاجرين فيمن ساعده بالقوة البدنية وفيمن ساعده بالقوة الفكرية ، وفيمن ساعده بالرأى والمشورة ...

والحمد لله ، فقد أصبح للجمهورية العربية المتحدة في كل عام هجرة أو هجرتان في محيطها الداخلي وهجرات في محيطها الخارجي العالمي ، تسهم بها في مستقبل البشرية ، وتشارك في دعم السلام ...

سدد الله خطانا ، وحقق آمالنا ، ورحا خطا القائد الموفق جمال عبد الناصر ، وأخلص له النيات والضرائر .

محمود شلتوت

شيخ الأزهر

خمن لهم التوفيق والتأييد ، واعتبر الهجرة التي تقع موقعها وهي المصحوبة بنية إنقاذ الضعفاء ونشر الخير ، وإشاعة البر ، مجلبة للثواب ورضا الله ، وقد جاء ذلك في الحديث المشهور : إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

والهجرة بنوعها : قلبية وبدنية ، شأن طبعي لمن عضه الظلم وأذله الطغيان... أدرك ذلك في نفسه ورآه فهاجر ... ثم رآه في غيره فعمل على الهجرة إليه بقلبه أو بدنه ، بفكره أو ماله .

والهجرة هذين المعنيين سنة من سنن الأنبياء والمرسلين ، وشأن من شئون الدعاة المخلصين فما من نبي أو رسول أو داع إلا وهاجر إلى الأرض التي تنبت بذرتها ، وأعرض عن الأرض الجدبة تطبيقاً لقول الله عز وجل : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا » .

هذه هي الهجرة ، وتلك فلسفتها .

* الانتقال من حال إلى حال أصلح وأعظم هجرة .

* تغيير حياة الأمة تغييراً أساسياً وعميقاً في اتجاه آمالها الإنسانية الواسعة هجرة .

عوامل الإعراب في اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

لأن امتناع سبب من الأسباب لا يكون سببا موجبا لشيء كما قالوا وشايعهم على قولهم العالم الفقيد ، وقد بنى على هذا الاعتراض مذهبه كله في إحياء النحو ، لأنه أقام لحركة الضم في آخر الكلمة سببا موجبا سماه « الإسناد » ورأى أن الفتحة هي الحركة التي تأتي بغير عامل ولا تعتبر علما من أهلام الإعراب .

والأستاذ إبراهيم - رحمه الله - لا ينكر أن أواخر الكلمات المعربة تختلف في اللغة العربية باختلاف المعنى أو باختلاف العلاقة بين معاني الجملة ودلالة كلماتها ، ولكنه ينكر أن يتحول العامل من « معنى مفهوم » إلى لفظ محدود يقيد ذلك المعنى بلوازمه اللفظية ، لأن اللفظ قد يرمز إلى المعنى المقصود من إحدى نواحيه على سبيل المجاز ولا يتابعه في جميع لوازمه ومصاحباته وتفرعاته على جميع الأحوال ، ولا مناص من الخلط في التقدير والتأويل إذا جعلنا الرفع - مثلا - مساويا للمفهوم من الارتفاع في اللغة على جميع الوجوه ، أو جعلنا الجزم مساويا للمفهوم من القطع ، أو جعلنا الجر مساويا للمفهوم من السحب ، أو جعلنا الكسر مساويا

عاد بعض المشتغلين باللغة إلى البحث في مسألة العامل ، في لغتنا العربية ، وهي مسألة من أهم مسائل النحو في هذه اللغة ، بل هي مسألته الكبرى أو مسألته الأولى والأخيرة لأنها ترتبط بأسباب الحركة على أواخر الكلمات ، وتلك هي أسباب الإعراب والبناء .

وقد كان من أسباب العودة إلى مسألة العامل تعليق المؤننين على آراء العالم النحوى الكبير الأستاذ إبراهيم مصطفى رحمه الله وطيب ذكراه .

ورأيه المشهور - كما يعرف قراء كتابه في إحياء النحو - إنه ينكر على النحاة الأقدمين إفراطهم في تقدير العامل الذي ينسبون إليه تغيير الحركة في آخر الكلمة ، ويعملون لكل حركة من حركات الإعراب عاملا ظاهرا أو مستترا يوجب الفتح أو الكسر في آخر الكلمة ، ولا يذكرون لضم عاملا غير امتناع الحركتين الآخرين ، فيقولون : إن الكلمة مرفوعة لامتناع الناصب والخافض ، وهو فيما رأى بعض الأقدمين تعليل غير معقول ،

والظاهر من سياق القصة أن الإمام أباعل
الفارسي تجنب اللجاجة عمداً مع الأمير في
ذلك المجلس لسبب رآه وهو يرجي الجواب
الصحيح إلى موضعه من البيان . وإلا فإن
الجواب يسير لو أراد أبو علي لتزجيج
تقديره في هذا المقام ، فإن الأفعال التي
تستخدم للاستثناء تدل على معنى الحرف
الذي ينوب عنها ، فيأتي معنى «إلا» موافقاً
لمعنى حاشا وما خلا وما عدا وكل فعل يستثنى
ما بعده على هذا القياس ، ولا موجب
لإعطاء الحرف هنا معنى غير معنى الفعل
الذي يدل مثل دلالة ، إلا أن يكون حرفاً
من حروف الجر في حكمه المعروف .

ومن الخطأ في تطبيق القياس أن يحسب
الاستاذ إبراهيم كثرة الفتحة على أواخر
الكلمات بحساب العدد وهو في مقام النظر
إلى حكم الكلمة بين أحكام سائر الكلمات .
فإذا كان حكم الفعل الماضي مثلاً أن يبنى
على الفتح فإن سريان هذا الحكم على فعل
واحد كاف لاستغراق جميع المواد في اللغة
العربية على وجه التقريب ، لأن كل مادة
لفظية قابلة للاشتقاق لا تخلو من فعلها الماضي
المجرد والمزيد ، ثم يأتي الفعل المضارع
المعرب بالنصب فيضاف إلى هذا العدد الوافر
من أواخر الماضي المفتوحة ، ويأتي بعد
ذلك عدد المنصوبات من الأسماء بعوامل

للفهوم من البتر ، إلى أشباه ذلك من المفاهيم
التي تنفق من ناحية واحدة مجازية ولا تنفق
من نواحيها الحقيقية كل الاتفاق .

فلا شك في وجاهة الاعتراض على إفراط
النحاة في التقديرات التي يوجبها نقل السبب
من معنى ملحوظ إلى لفظ محدود ، ثم تقييد
المعنى بهذا الحد اللفظي في جميع تفرعاته
وتصريفاته على غير موجب لذلك التقييد .

لكن هذا الخطأ يلزم المعترضين على
النحاة في تقديراتهم وتأويلاتهم كما يلزم
النحاة في تلك التقديرات والتأويلات ، بل
نرى من الإنصاف أن نقرر هنا أن أخطاء
المعترضين أكبر وأكثر من أخطاء المقدرين ،
وأمثلة ذلك كثيرة جداً في الشواهد التي
استند إليها الاستاذ إبراهيم مصطفى أو ابتداء
بها ابتداء من عنده في كتاب «إحياء النحو»
وفي غيره من دراساته اللغوية ، وفيما يلى
قليل من ذلك الكثير :

روى الاستاذ قصة الإمام أبي علي الفارسي
مع عضد الدولة فقال : إن عضد الدولة سأله :
«لماذا ينصب المستثنى في نحو قام يقوم
إلا زيدا؟ فقال الإمام : بتقدير أستثنى زيدا .
قال عضد الدولة : لم قدرت أستثنى؟ هلا
قوت : امتنع زيد ، فرفعت؟ فلم يحرف الفارسي
جواباً وقال : هذا الذي ذكرته لك جواب
ميداني ، فإذا رجعت ذكرت الجواب الصحيح .

القطان والغصن والعمر والكتب والأسد ،
إلى كثير من أمثالها لأن الاستمرار في
حركة واحدة أيسر من الانتقال منها إلى
تسكين ثم للعودة بعد التسكين إلى التحريك .

* * *

قال الأستاذ : « إذا رجعت إلى علم مخارج
الحروف واستشهدت طبيعة الفتحة في نطقها ،
وقسمتها إلى غيرها من الحركات ، وجدت
البرهان الجلي على خفة الفتحة والشهادة لذوق
العرب في استحبابها ، وذلك أن الفتحة القصيرة
أو الفتحة الطويلة — وهى الألف —
لا تكلف اللسان إلا إرسال النفس حراً ،
وترك مسرى الهواء أثناء النطق بلا عناء
في تنكيهه . »

ونرجع إلى النحلة في اعتبارهم أن الضمة
غنية عن التعليل فنرى أنهم أقرب إلى الصواب
لأن الضمة لا تكلف اللسان شيئاً على
الإطلاق إذا كانت الفتحة — كما قال
الأستاذ — تكلفه إرسال النفس حراً وترك
مسرى الهواء أثناء النطق بلا عناء . فإن
الضمة هى حالة انطباق الشفتين عند انتهاء كل
كلام ، وهى كذلك حالة الشفتين قبل
كل كلام .

فإذا احتجنا إلى تعليل الحركة فإنما نحتاج
إليه فى حالة غير حالة لإطباق الشفتين وهى
إما حالة الفتح أو حالة الكسر ، ولا نذكر

الغصب فلا يكون فى هذه الزيادة دليل على
أصالة حركة الفتح بين سائر الحركات ، وإنما
هى حكم واحد على آخر فعل ماض واحد
ينتهى بنا إلى هذا العدد الكثير .

يقول الأستاذ إبراهيم : « إن الفتحة أخف
من السكون أيضاً وأيسر نطقاً ، خصوصاً
إذا كان ذلك فى وسط اللفظ ودرج الكلام . »
ثم يذكر من شواهد على ذلك : « أن
العرب قد فروا فى بعض المواضع من
الإسكان إلى الفتح ، ومن ذلك صنيعهم فى
جمع المؤنث السالم لمثل : فترة ، وحسرة ،
ودعد ، فإن العين فى المفرد ساكنة ومن
حقها فى جمع المؤنث السالم أن تبقى ساكنة
أيضاً ، لأن الجمع السالم لا يبدل فيه بناء
مفردة ، ولكن للعرب أوجبت فى مثل هذا
فتح العين فيقولون : فترات ، وحسرات ،
وواعدات ، ولا يجوزون الإسكان إلا فى
ضرورة من الشعر . »

وهذا أيضاً من خطأ القياس عند المعترضين
على طرائق النحلة فى التقدير ، لأن السكون
هنا لا يستقل وإنما يستقل الانتقال من
التحريك إلى التسكين ثم من التسكين إلى
التحريك ، ولا فرق فى ذلك بين الفتحة
والضمة لأنهم يقولون : الحركات والعرفات
والقبليات والظلمات بدلا من تسكين الجيم
أو الراء أو الباء أو اللام ، وكذلك يقولون

(ها) Ha وهي ضمير إشارة مستعمل في اللغات السامية ، ولم يزل في الحبشة يالحق بالأعلام في حالة النصب إذا وقع عليها فعل ذو اتجاه . مثل : أقبل وقصد ، وأصل معناها في هذا الاستعمال الاتجاه إلى شيء أو شخص معين

فإن لم يكن هذا سبب الفتح في كلمات اللغة العربية ففيه إشارة إلى بعض أصولها في لغة من اللغات السامية ، وهي قرينة من قرائن التطور في أقدم هذه اللغات وأجمعها لقواعد الإعراب ، وهي اللغة العربية .

على أن الأستاذ إبراهيم قد بنى مذهبه كله في إحياء النحو على الحاجة إلى تعليل الضم وعدم الحاجة إلى تعليل الفتح فأصبح المذهب كله مرتبنا بثبوت هذا الرأي وذهاب الشك فيه ، وأول ما يتطرق إليه من دواهي الشك القوى أن الإسناد ، لا يصلح لتعليل الضمة لسبب يسير ، وهو أن الضمة أو الضمائم الفم في نهاية الكلام لا حاجة بها إلى سبب ، سواء كان هو الإسناد كما سماه صاحب إحياء النحو رحمه الله أو كان له سبب سواء .

وحسبنا مثل واحد نختم به هذا المقال لبيان الفارق في دقة التقدير بين طريقة النحاة الأقدمين وطريقة المعترضين عليهم في مسألة من ألصق المسائل بالإسناد والمُسند إليه وهما (البقية على الصفحة التالية)

السكون لأنه هو حالة قطع الحركة ولا يحسب من أجل ذلك في عداد الحركات ، ولهذا كان موقعه الغالب موقع البناء حيث لا تتغير أواخر الكلمة بالإعراب .

وليس من الميسور الآن لتعليل معنى الفتح أو معنى الجر في مواقع الإضافة ، ولكن المحقق أن الفتح والجر لا يطردان في مواضعهما جزافا لغير سبب دعا إليه عند وضع اللغة بين أوائل المتكلمين بها . ونعني بهم أولئك الذين كانوا يتكلمون ويقرنون الكلمات بحركات بدوية أو شفهية مصطلح عليها لدفع اللبس بينها وبين ما عداها .

ونقول على سبيل الظن الذي تعززته إشاراتنا في هذا الزمن إن الفتح كان علامة على الابتعاد بحركة من الفم تؤكد ما حركة من اليد إلى الفضاء ، وراقب المتكلم وهو يقول عن أحد أو عن شيء إنه ذهب وانقضى ... فإنه سواء تكلم بالفصحى أو العامية يقول : راح ، وفات ، وانتهى ، ويدفع يده مرتفعة إلى الفضاء ، كأنما يشير إلى شيء غاب عن العيان .

وقد نجد من قرائن المقابلة بين اللغات السامية ما يؤيد هذا الظن أو هذا التخمين ، فقد نقل الأستاذ إبراهيم أقوال بعض العارفين بالحبشية من أمثال بروكلان ورايت فقال : « إنه يمكن أن يرى أن الفتحه أصلها

القوانين التي وضعها الإسلام ضماناً وتنفيذاً للحقوق الطبيعية للأستاذ محمد محمد المدني

قلنا في مقالنا السابق : إن الإسلام يكفل الحقوق الطبيعية للواطنين ، وهي : حق المواطن في المساواة ، وفي الحرية ، وفي اعتبار كرامته الإنسانية ، وفي أن يأمن على حياته ، وفي أن يعيش عيشة كريمة .

وقلنا : إن الإسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقوق تقريراً نظرياً ، ولكنه شرع مع ذلك من النظم والقوانين ما يضمنها عملياً ، ويكفل تنفيذها على أحسن وضع .

ونريد الآن أن نبين القوانين التي وضعها الإسلام في هذا الشأن :

١ — فأول ذلك أنه ضماناً لحق المساواة ، وتنفيذاً له ؛ قرر قانون العدل أو القسط .

والعدل من أهم الأركان التي يقوم عليها المجتمع الصالح ، وكل مجتمع لا يقوم على أساس من العدل هو مجتمع فاسد صائر إلى الانحلال ثم الزوال .

وقد جاءت جميع تعاليم الإسلام متمشية

(بقية مقال عوامل الإهراب)

دعامة النحو الجديد كما يسميه المعترضون على النحاة المتقدمين .

يسأل الأستاذ إبراهيم : د ما الفرق بين كسر الإباء وانكسر الإباء إلا ما ترى بين صيغتي كسر وانكسر ، وما اكل صيغة من خاصة في تصوير المعنى ؟... أما لفظ الإباء فإنه في المثالين مسند إليه ، وإن اختلف المسند .

فهذا تقدير يلاحظ عليه ما لاحظته الأستاذ الفاضل رحمه الله على النحاة وهو يأخذ عليهم نقل العامل من معناه المفهوم إلى لفظ محدود يقاس عليه في جميع الأحوال .

فإذا كان معنى الإسناد هو موضوع الكلام

ولم يكن معناه هو اللفظ في موضع الفاعل أو نائب الفاعل ، فالفرق كبير بين د انكسر الإباء ، وكسر الإباء ؛ لأن الموضوع في قولنا انكسر الإباء هو موضوع الكسر بغير نظر إلى فاعل معلوم أو مجهول ، ولكن صيغة الفاعل د كسر ، مبني على المجهول تشغل الذهن بمعنى غير معنى الكسر ، وهو النظر إلى الفاعل والعلم بعد ذلك بأنه غير معلوم ، وهو معنى من معاني الإسناد أو التكلم عن الموضوع لا يتساوى عند التعبير بالكلمتين .

عباس محمود العقاد

وهناك آيتان متميزتان بينهما كثير من أوجه التشابه يتحدثان عن للعدل وترسمان قانونه :

لأحدهما في سورة النساء، وهي قوله تعالى: «يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا..»
والثانية قوله تعالى في سورة المائدة :

«يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون» .

وقد توافقت هاتان الآيتان في كثير من جزئيات هذا القانون الإلهي، وإن اختلف التعبير بعض الاختلاف :

ففى كلا منهما تطلب من المؤمنين أن يكونوا «قوامين لله»، أو «قوامين بالقسط»، الذى هو العدل والتوازن .

و«القوام» هو المبالغ فى القيام بالشئ، المضطلع به اضطلاعا قويا، فهو شديد الحرص عليه، شديد الوفاء له، شديد الغيرة على تمامه وصلاحه .

هذا هو «القوام» بالشئ، وهذا هو الذى يطلب الله إلى المؤمنين أن يكونوه، له وللعدل، فهو يريد أن يكونوا «قوامين لله»

مع العدل، فكل ما شرعه الله تعالى من أحكام المعاملات، وقواعد السلوك الاجتماعى، وتفصيل العلاقة بين المؤمنين بعضهم وبعض، وبينهم وبين غيرهم، كل ذلك يقوم على العدل ويرمى إلى تحقيق العدل، حتى العقائد الإلهية والمبادئ الاجتماعية :

فاعتقاد الوحدةانية مثلا عدل فى الاعتقاد، وفيه إنصاف للعقل؛ لأن العقل يحكم بأن للكون صانعا واحدا تبدو آثار قدرته وربوبيته فى كل ما خلق على طراز واحد من الاستقامة والإنفاق وإطراد السنن والخواص ولذلك جاء فى وصية لقمان لابنه : «يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم، وإذا كان للشرك ظلما لأنه لإخلال بما يقتضيه العقل والنظر؛ فإن الوحدةانية عدل لأنها هى التعبير للصحيح عن واقع الأمر فى هذا الكون المتناسق فى وضعه وفى قوانينه، الدال بتناسقه على وحدة خالقه .

والتضامن الاجتماعى كذلك عدل، لأنه لا يمكن أن يتحقق التوازن بين الناس على وجه يكفل الاستقرار إلا به، ولا يمكن أن يقبل فى العقول أن يكون أحد أعضاء المجتمع متخما بالمال والنعيم، وبجانبه من هو مستحق بعض ذلك ليعيش ثم يعنى هذا المترف المنعم من أن يعاون أخاه وزميله فى المجتمع بشئ من ماله .

وهكذا ...

ثم إن سورة النساء تقول : ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، فتنبه عن ملاحظة عوامل التعصب للنفس ، أو التحيز للقرابة ، مما يبعث على تلوين العدل بغير لونه ، وإعطاء المشهود له ما لا يستحقه ، وذلك هو الإخلال بالعدل عن طريق محاباة النفس أو من تميل إليه النفس .

ويتقابل هذا في سورة المائدة ولا يجر منكم شئاً قوم على ألا تعدلوا ، وهو نهى عن ملاحظة عوامل الكراهية ، التي من شأنها أن تلون العدل بغير لونه أيضاً ، وأن تحمل على التحيف وإضاعة الحق ، وذلك هو الإخلال بالعدل عن طريق الإجحاف بصاحب الحق ، والحيولة بينه وبين الوصول إلى حقه .

هذا وفي الآيتين أصرار أخرى كثيرة حسبنا منها ما تقدم .

وقد طبق الخلفاء الراشدون هذا العدل على أدق وجه ، وحسبنا ما يروى في ذلك عن عمر بن الخطاب ، فهو يقول بعد توليه الخلافة : **إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا فِيكُمْ أَحَدٌ أَقْوَى عِنْدِي مِنَ الضَّعِيفِ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ لَهُ ، وَلَا أضعِفُ عِنْدِي مِنَ الْقَوَى حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُ .** ويقول في رسالته لأبي موسى الأشعري : **وَأَسْ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَهَذَاكَ وَجْهِي ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَبْأَسُ ضَعِيفٌ مِنْ هَذَاكَ ،** ويقول في وصيته للخليفة من بعده : **دَاجِلُ النَّاسِ هَذَاكَ سِوَاهُ ،**

دَ قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ ، مُضْطَلَعِينَ بِهَذَا وَذَلِكَ عَلَى نَحْوِ قُوَّةِ ظَاهِرِ الْقُوَّةِ ، لَا أَنْ يَكُونُوا صَوْرًا ضَعِيفَةً هَزِيلَةً ، يَرْضَوْنَ بِأَيْسَرِ الْأُمُورِ ، وَأَدْنَى الْأَمَالِ ، وَلَا يَبْذُلُونَ أَكْرَمَ الْجُهُودِ ، وَيَلْتَمِسُونَ الْمَعَاذِيرَ عَنْ ضَعْفِهِمْ وَتَخَاذُلِهِمْ ، فَكُلُّ النَّاسِ مَطَالِبُونَ بِأَنْ يَكُونُوا ذَوِي شَخْصِيَّاتٍ قَوِيَّةٍ مُضْطَلَعَةً بِمَا تَضْطَلِعُ بِهِ مِنَ الْقَوَامِيَّةِ عَلَى الْعَدْلِ فِي ثَبَاتٍ وَهَزْمٍ وَشِجَاعَةٍ ، وَاضْطِلَاعٍ بِذَلِكَ اللَّهِ ، فَهُوَ قَصْدُهَا ، وَهُوَ بَاعِثُهَا ، وَشَوْ مُلْهِمُهَا ، وَهُوَ غَايَتُهَا — هُنْدُتْذَ يَكُونُ الْحَاكِمُ دَ قَوَامًا لِلَّهِ ، دَ قَوَامًا بِالْقِسْطِ ، وَيَكُونُ الْمَحْكُومُ دَ قَوَامًا لِلَّهِ ، دَ قَوَامًا بِالْقِسْطِ ، وَيَكُونُ النَّاصِحُ كَذَلِكَ ، وَالْمُنْتَصَحُ كَذَلِكَ ، وَالْعَامِلُ كَذَلِكَ ، وَالْمَوْظُفَّ كَذَلِكَ ، كُلُّ فِيمَا خَوْلَهُ اللَّهُ ، قَوَامٌ لِلَّهِ ، قَوَامٌ بِالْقِسْطِ وَعِنْدُتْذَ تَكُونُ الْأُمَّةُ بِنَاءً قَوِيًّا ، مِنْ لِبَنَاتٍ قَوِيَّةٍ ، وَتَكُونُ فِي حَصَانَةٍ مِنْ أَنْ تَهْزُمَ أَوْ تَهْشَمَ أَوْ تَهْزَمَ ، أَوْ تَظْلَمَ أَوْ تَهْمَلَ .

وقد اختلف التعبير بين آية النساء وآية المائدة في أول مادة من هذا القانون ، إذ تقول سورة النساء **دَ كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ، وَتَقُولُ سُورَةُ الْمَائِدَةِ دَ كُونُوا قَوَامِينَ قَدْ شَهِدُوا بِالْقِسْطِ .**

وفي هذا الاختلاف إيحاء بأن كلامهما يصح أن يوضع موضع الآخر ، وأن ، القوامية لله ، هي عين د القوامية بالقسط ، ولا شك أن ذلك تنويه عظيم بشأن القسط والشهادة لله .

مطمئناً بالإيمان .

والإسلام يفتح باب الاجتهاد احتراماً
للحرية العقلية والتفكير العقلي ، وقد وضع
لذلك قانوناً مشجعاً ، هو أن المصيب له أجران ،
والخطيء له أجر واحد ، وهذا هو أعظم
ما ينصور من تشجيع الحرية الفكرية ،
وكأنه يقول لأصحاب العقول : فكروا
ولا تخافوا من عواقب التفكير ، فقد أبحت
لكم أن تخطئوا غير متعدين ، بل جعلت
لكم مكافأة من ثوابي إن أخطأتم أضعافاً
لكم إن أصبتم !

* * *

٣ - وفي سبيل الاحتفاظ بحق الحياة
للواطنين ، وبحق الأمن والطمانينة
على النفس في المجتمع ، شرع القصاص ،
واعتبر أن قتل النفس الواحدة بغير الحق
بمثابة قتل الناس جميعاً ، وإحياء النفس
الواحدة بالمحافظة عليها ، وإمرار حقها في الحياة
بمثابة إحياء الناس جميعاً : ه أنه من قتل نفساً
بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل
الناس جميعاً ، ومن أحيأها فكأنما أحيأ
الناس جميعاً .

وكذلك شرع كل ما يحفظ الحياة للحى :
فنهى عن الانتحار بقتل النفس أو ما هو
بمثابة قطعة من النفس : « ولا تقتلوا أنفسكم
إن الله كان بكم رحيماً » ، « ولا تقتلوا أولادكم
خشية إملاق » ، « ولا تقتلوا أولادكم

لا تبال على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك
في اللهومة لأنهم ، وإياك والآثرة والمحابة .
هذا هو عدل الإسلام الذي شرعه
في سبيل تحقيق المساواة وهي أول حق طبيعي
مشترك بين الناس

وفي سبيل تحقيق هذه المساواة أيضاً يعمل
الإسلام على تحقيق ما نصميه (تكافؤ الفرص)
ويشرح لذلك أحكاماً من شأنها أن تؤيده وتثبتها :
منها الحيلولة دون تضخم المال ، وأن يكون
دولة بين الأغنياء خاصة ، بتحريم الاحتكار
وإغلاء الاسعار وتلقي الركبان ، ونحو ذلك .
ومنها تحريم الرشوة أخذاً وإعطاءً لئلا
يكون الغنى أقدر على تحقيق منافع من الفقير .

ومنها تشريع الموارث الذي لوحظ فيه
توزيع الثروة على الأولاد والأقارب بنسب
مقابلة وملائمة لما كرمهم وواجباتهم مما
يجمل الفرص متكافئة في الحقيقة ، وإن
اختلفت الأنصبة في الظاهر .

٢ - وفي الحرية والكرامة الإنسانية
شرع الإسلام نظاماً من شأنه تصفية الرق
البشرى ، وذلك بأن ضيق الموارد المؤدية إلى
العبودية وحذر من التوسع فيها تحذيراً شديداً
ووسع المحارج المؤدية إلى الحرية ، ورغب
فيها ترغيباً عظيماً .

والإسلام لا يرضى عن الإكراه الدينى ،
ولا يوى إيمان المكروه صحيحاً ، كما لا يرتب
أثراً على الإكراه على الكفر ، مادام القلب

الحاضر للبأدى ، فيقول : لا يبيع حاضر لباد ،
دهوا الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم
من بعض ، وذلك لأن الحاضر أى المقيم
في الحضر أخبر وأقدر على أن يبيع بسعر
أعلى ترويحاً للسلعة التى جاء بها للبأدى
أى المقيم بالبادية ، فيترتب على ذلك ألا تنهياً
فرص الرزق التى يجب أن تترك حرة بين الناس ،
فربما غفل أهل البادية فانتفع بذلك أهل
الحاضرة ، وليست الغفلة حينئذ معيبة منهم
بل هى مسأيرة للسهولة واليسر وعدم المغالاة
نتيجة لأنهم عادة يكسبون مكاسب طبيعية
نما تنبت الأرض ، وتخرج الماشية ونحو ذلك ،
فلا يفسدهم أن يتساحوا ويغلبوا بعض
الغلب إذا قيس أمرهم فى البيع والكسب
بسكان المدن والحواضر .

وهكذا يتبين أن الإسلام يكفل الحقوق
الطبيعية للدواطين ، ولا يكتفى بهذه الكفالة
نظرياً ، بل يشرع من اللوائح والنظم ما يجعلها
مضمونة نافذة قوية .

وصدق الله العظيم إذ يقول : إن هذا القرآن
يهدى للذى هو أقوم ، .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة
بجامعة الأزهر

من إملاق ، ، ، ولا تلتقوا بأيديكم
إلى التهلكة . .

وشرع كل ما يحفظ الصحة من النظافة
والوضوء والغسل وعدم الإسراف فى الطعام
والشراب ، وعدم تناول المسكرات والمخدرات
والمحافظة على صحة الأجنة والأطفال بإباحة
الفطر للحامل والمرضع ، والنهى فى أوقات
الوباء عن الخروج من الأرض الموبوءة
بالنسبة لمن فيها ، والدخول إليها بالنسبة لمن
هم خارجها .

٤ - وفى سبيل الارتفاع بالمستوى
الإنسانى ، حث على العمل والتشجير والاتجار
والضرب فى الأرض وإثارتها بالحرث التماساً
للنبات ، وأباح التمتع بالزينة والطيبات
من الرزق ، وطلب من المرء أن يعمل
على أن يكون غنياً ليعطى ، لا أن يكون
فقيراً يأخذ ، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى .

وفصل قواعد التعامل والبيع والشراء ،
والأخذ والعطاء ، على وجه يجعل الناس
متعاونين ينتفع بعضهم من بعض ، وينفع
بعضهم بعضاً ، كل ذلك بالمعروف دون ضرر
ولا ضرار ، ولا تربص ولا احتكار .

فبينما نرى الرسول صلى الله عليه وسلم
ينهى عن تلقى الركبان ليتيسر للناس فرصاً
متكافئة حين ترد البضائع إلى السوق فيتساوى
الناس فى التقدم لشراؤها ؛ نراه ينهى عن أن يبيع

نِهَايَةُ الْقُرْآنِ

سُلْطَانُ الْأُمَّةِ مَنْوُظٌ بِاسْتِقَامَتِهَا
وَدَوَامُ النِّعْمَةِ رَهِينُ بَصِيَّانَتِهَا
لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ اللطيفِ السَّيِّدِي

ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما
بأنفسهم : . وأن الله سميع عليم .

يغيروا ما بأنفسهم ، د فم نكك فإنما
ينكك على نفسه ، .

ونحن في عالم فسيح الأرجاء ، نتناوبه
صروف القدر ، وتناوج فيه أحداث الزمن ،
وهو في طريقه يستقبل جديدا ، ويودع قديما ،
إلى أن يستقر الركب على أى نحو يشاء الله .
والله تعالى - يحجب إلينا دائما أن نعيش
على الهدى ، وأن نلتمس الخير من صبه
عامة ، لنذكر حظنا من ديانا ، وليكون
الخير بعدها موصولا بما هو خير منه ، وأبقى
في حياة الخلود .

٢ - وكان من فضل الله على الناس أن
يمنحهم العقل ليفكروا ، والوعى ليتدبروا ،
وأضفى عليهم نعمة العلم ، والرزق ، والصحة
ليسلكوا سبلهم عن بينة إلى خير ما دعاهم
إليه وبين لهم أن الإحسان منهم لإحسان إلى
أنفسهم . . وأن الإساءة منهم لإساءة إليها ،

[٢]

١ - الله سبحانه - يضفى على الأمة جانبا
من تأييده ، ويمنحها حظا من سلطانه . فتسكن
لها شخصية ومهابة ، ويمز شأنها ، وتستقر
سيادتها في رعاية الله ما دامت على الجادة ،
وغير ملتوية في مسالكها عما رسم الله من
شئون دينه ودنياه في محيط الأمة ، وفي
علاقاتها مع الغير ، والله سبحانه يمنح الأفراد
كذلك من فضله ، ويحفظ عليهم نعماءه
ما دامت النعمة فيهم مرعية الجانب ،
ومحفوظة بالتقدير ، والحمد وحسن التصرف .
وقد عاهد الله خلقه على أنه لا يسلبهم
نعمته ، ولا يبدل من عطائه إلا إذا كانت
الإساءة منهم إلى أنفسهم .

فحينذاك يكونون رافضين لما منحهم ،
ومعرضين عما نصحهم ، فلا يكونون أهلا
لما تفضل به عليهم . . وهذا هو قوله سبحانه :
و لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى

وأوعده بالشر فاستهان بوعيده ؟؟ ذهب
ريحهم ، وخلت منهم ديارهم ، وبأوا بشر
ما يبوء به من دخل دنياء رابحا ، ثم خرج
منها خاسراً ، وانحدر على هوان ، وليته
لم يكن في الدنيا شيئاً مذكوراً .

تلك أمم : انضجرت لهم حياتهم واتسعت
لحاج دنياهم ، وكان لهم سلطان ومتاع ،
فما بق لهم غير ذكريات سيئات ، وما وراثنا
عنهم سوى العبرة بهم ، والتخويف من
عقباهم إذا غيرنا ما بأنفسنا كما غيروا ، فإن
سنة الله قائمة ، وقدرته متمكنة .

ونحن عباد مثلم ، ولسنا أعز على الله منهم
إلا بتقواه ، وباتخاذ سبلنا في الحياة على هداه .
ورحمة الله لمن يتدى بهديه ونعمته تدوم
مع من يراعاه بالأمانة عليها ، وحسن تصرفه
فيها ، ومن يتقى الله يحمل له من أمره يسرا .
٤ - والدنيا عند الله هينة ، وهو
يعطيها لمن يحبه ولمن لا يحبه . ولا يعصيه
- سبحانه - أن تظل نعمته عند من يعصيه
ويبقى السلطان عند من لا يتقيه .

ولكن حكمة الله تترك الدنيا لمن لا يستحقها
ناعماً فيها ، حتى يتم اختباره بها ، ثم يكون
زوالها وبالا عليه ، وحسرة له .

ومن أجل ذلك التدبير تراها دولة بين
الناس - وبغير الله من حال إلى حال ...
فقوم كانوا على صلاح ثم أفسدوا ، وعلى

وأن ما يصيبهم من سوء فهم الكاسيون له ،
وما ينالهم من جزاء فما ظلمهم الله فيه .
وهذه شرعة الله مع عباده قديماً وحديثاً .
فإذا كان ؟ .

٣ - كانت للناس مسالك متباينة ، وتقلبات
مضطربة ، وعلاقات غير وحيدة فيما بينهم
وخصومات لديهم ، ومقاومة كريهة
للدعوة رسولهم .

وهكذا ضلت فيهم عقول ، وعميت منهم
بصائر ، فتجاهلوا ما عرفوا من شرائعهم ،
وانحرف بهم النعمة ، ومرمروا على شقاق
وضلالة .

وماذا يستحق الماكر غير هوان به ،
وسلب نعمته بعد توافرها ، وكسر شوكرته
بعد قوتها ؟؟ وإذلال نفسه بعد جبروتها ؟
هكذا كانوا ، وهكذا صنع الله بهم .

نجى الله من بينهم أنبياءه وأتقياءه ،
ثم سلط على الآخرين بلادهم ، فأهلكهم
بالصيحات ، والصواعق الماحقات ،
وبالحسف ، والمسح ، وبالريح العاتية ،
والإغراق المبيد ، وأذاقهم من بأسه ما لم
يكن لهم في حساب .

وتلك عدالة الله مع خلقه ، وحكمته في
تدبير ملكه .

ثم ماذا يستحق من الله من أحسن الله
إليه فأساء ، ووعده بالخير فكذب وعده ؟

هـ — فلما جاءهم رسول منهم ، ووجهت
إليهم دعوة ، وقامت عليهم حجته غدروا
بالقرابة ، واحتقروا الرحم التي بينهم وبينه
وتخلفوا عن عصيتهم للحق ، في سبيل
اعتصامهم بالباطل ، وأنكروا محمداً وهو
من صميمهم ، وأكرمهم نسباً فيهم ، بل هو
كما هتف فيهم أرحم بهم من أنفسهم ، وهو
أصدق من عرف بالصدق فيهم ، وأوفى من
عرف بالأمانة بينهم .

نكلت قريش عن دعوته ، ولم يشكروا
نعمة الله بهدايته .

فكان هذا مناقضاً لما عرف عنهم من
مؤازرة العصية ، ومنافياً لما عهد فيهم من
عرفان الجليل . طاشت حقولهم ، وضلوا سبيلهم
فبدل الله أمنهم خوفاً ، وراحتهم شقاءً ،
وأصبحت كثرتهم في تقلص ، وسيادتهم
في أفول ، وصارت تلاحقهم الهزائم ، وتهز
من كيانهم الناقبات ، وتطفيء من وجاهتهم
فضائح سيرتهم مع خير رسول بعث منهم
وإليهم ، وإلى الناس جميعاً .

أولئك قوم أتيح لهم أن يهتدوا بهدى
رسول الله ، وأن يسودوا في ظل دين الله ،
وأن يعظموا بالعلم ، ومدنية الإسلام ، وأن
تدوم لهم المسكنة المرموقة لهم وزيادة ، وأن
يتصل مجد عروبتهم في الجماهلية بمجد عروبتهم
في الإسلام ، وفي ظلال القرآن .

عدل ثم جاروا ، وعلى تناصح ثم جحدوا
وعلى حياء ثم تبجحوا وعلى قناعة ثم جشموا ،
وعلى اجتهاد في حياتهم ودنياهم ثم قوا كلوا
هؤلاء جميعاً غيروا ما بأنفسهم ، فغير الله
ما بهم من صنوف نعماته ،

ورب قوم على فساد وضلال ثم ازدادوا
وتماذوا ، فهم كذلك غيروا ما بأنفسهم
من قبيح إلى أقبح وإن كانوا من قبل في مهلة
من وعيد الله ، فإن الله لا يظلم إماماً بل
يلاحقهم بما يزهزع أمنهم وينتقص من
راحتهم ، ويهز من كيانهم ، ويسلط عليهم
من غصص الحياة وأكدارها ما يبدلهم سوءاً
بعد حسن ، وشرّاً بعد خير . وشؤماً بعد

وكذلك كانت قريش ... طاشوا في رخاء
وتماجدوا بعصية وأنساب ، وتمتعوا في
شموخ وألفة ، وكان فيهم كفر ووثنية ،
غير أنهم كانوا في مهلة ، وفي شبه معذرة ،
لأن رسولا لم يأتهم ، ولأن دعوة لم توجه
إليهم ، وكانت لهم مع الكفر والضلالات
مبرات خلقية كريهة ، كصلة الأرحام ، والوفاء
بالعهد وحماية الجار ، وإغاثة الملهوف ،
وبحجة البكرم ، والإيثار .

وإزاء هذه المبرات مع وثنييتهم كانوا في
مهلة من تغير الحال بهم ، وفي هدوء من
التهديد والتشجيع واقتضاح أمرهم .

فلم يكن منهم إلا نكوص ، وإعراض ، ولجاج وعناد ، وطغيان وجلاد في سبيل الباطل والسير في جند الشيطان .

وما كان رسولهم يسألهم على دعوته لهم أجرا غير المودة منهم في القربى التي تجمعهم .

قوم نبذوا ما كان يليق بهم ، وآثروا ما كان قبيحا منهم ، لا يستحقون إلا أن تتجهم لهم الحياة ، ويكون الدين الجديد حربا على جموعهم ، وشوفا على مطامعهم ، وناجحا لسلطانهم ، ونذيرا لهم بالعذاب في آخرهم .

٦ - وهذا جانب من تغيير الله لما كانت تحظى به قريش قبل تمرداها على ربها وهكذا رسم الله للأمم في تعاقبها أن تعتبر بمن سبقها ودعاها أن تدرك نفسها من مفاتن دنياها ، وأن تتفادى العاقبة التي ترى فيها غيرها .

ولم يكن باقيا بعد أولئك سوى أمة دعاها محمد بن عبد الله ، وليس بعده من داع جديد . ونزل عليه القرآن من عند الله ، وليس بعد القرآن من مزيد .

فأمنت به طائفة ، وبقيت طوائف أخرى كذبت به ، وعاشت في غير استجابة له ، فهل يفلت المخالفون له من هو ان الله وإن أغراهم الإهمال ؟ لا !!

إن لله موعداً لن يخلفه ، وما يغيب عن وعينا اليوم سيصبح أمراً مقضيا . ثم انظر : تجد أن الأمة المستجيبة لمحمد

أصابت خيراً كثيراً يوم كانت على عهدا مع الله ورسوله .

ولكنها تراخت من بعد ، وتلست عن مناهج دينها ، وانغمست في جهالة ، وركنت إلى كسل في شئونها ، وأرخصت مجدها فنزلت لغيرها عما كان بيدها من سلطان بالدين ، وتسابق في العلم ، واعتزاز بالخلق . وأخيراً تهاقت أمم مسلمة على السير في ركاب المخادعين ، طواعية للأهواء .

وبقدر ما تساهلت في مقوماتها كان تخلفها عن مكائنها حتى أصبح الإسلام غريبا فيهم ، ومحاربا منهم .

ولا يزال القرآن ينادى فيهم ، ويستقنض همهم ، ولعل الله يعرفهم من هذا الامتحان ، ويوفقهم لخير ما يكون .

ولعلمهم يدركون أن أجدد الناس بالحرص على مجدهم ، وإحياء تراثهم هم الذين تنطوى قلوبهم وتلمج ألسنتهم - بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، فذلك أصدق كلمة تجري على لسان .

وهي أقوى عهد بين الله والإنسان . وهي شعار الحياة البالغة منتهى السكال . وفي طيها وموز واضحة لكل ما يبتغيه الدين والدنيا من الآمال - وفق الله الجميع .

عبد اللطيف المبكي

عضو جماعة كبار العلماء

سَيِّخُ تَهَابِهِ الْمُلُوكُ

لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ الشَّرْقَاوِي

وأحاطت بالوطن الإسلامي الزعازع والخطوب ترك صومعة الزاهد إلى سيف المجاهد ، وخلي بينه وبين التحرير والبيان ، ليحمل الروح والسنان ، فإذا شارك في الجهاد وفرح بالنصر عاد إلى كتابه وبيانه وشهر قلبه ولسانه في وجه الظلم والظالمين ، من حكام المسلمين ، فلم يكن في شجاعته هذه معهم ، أقل قوة ولا إخلاصاً ولا عنفاً منه في حربه وتحريضه على حرب أعداء الإسلام .

كان داعية للتضحية والفدائية ، في العلم وفي الحرب ، يضرب المثل من نفسه فيعمل ، ويضرب المثل من منطقته فيقول : « إن الجهاد ضربان : ضرب بالجدل والبيان ، وضرب بالسيف والسنان ، وسلاح العالم عليه ولسانه كما أن سلاح الملك عليه ولسانه ، وكما لا يجوز للبلوك إغمد أسلحتهم لا يجوز للعلماء إغمد أسلحتهم ... والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إغزاز الدين ، ولذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمر في صفوف المشركين ، وكذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن قال بأن التنفير بالنفوس لا يجوز فقد بعد عن الحق ، ونأى عن الصواب » .

ولد في عصر كان جديراً به ، وعاش في عهد من الفتن والمحن كان الناس فيه يحتاجون إلى إخلاصه وإيمانه وشجاعته ، ليضرب لهم المثل ويضع أمام أبصارهم وبصائرهم القدوة .

خلع عليه معاصروه لقب : « سلطان العلماء » ، وكان جديراً بأن يسمى « سلطان السلاطين » ، فقد كانوا يهابونه ويخشون بأسه ، ولم يكن له من بأس ولا سطوة إلا عرفانه حق الدين وأمانة العلم ولسان الضمير ، وما كان له - بسبب هذا كله - من غلبة على الناس يقودهم بها : وحب من الناس يملأ قلبه بالثقة والإيمان والصبر ، وقلوبهم بالتضحية والشجاعة والطاعة سماء أهله : « عبد العزيز » ، فعاش عمره كله لا يعرف لغير الله عزة ، ولا يحس بأن غير « العزيز القهار » ، في نفسه وقلبه هبودية ولا قبيعية ولا مهابة ولا خشية ، وكان أمم أبيه : « عبد السلام » ، ولكنه عاش في عصر لا يعرف السلام ، بل لم يعرف أهله غير الحرب والخصام والرح والحسام وفلق الهام .

كان ، في ضميره وروحه ، زاهداً عابداً يتصوف وينقطع للعلم ، فإذا جد الجد

لا نعرف عن طفولته شيئا كثيرا ولكننا نعرف من حياته بعد ذلك أنه ولي التدريس والقضاء والإفتاء في دمشق، وأن دفتنه، عن «مسألة كلامية»، كما يقول صاحب طبقات الشافعية - ثارت في دمشق جهر فيها الشيخ برأى لم يرض عنه الملك الأشرف، ولكن الشيخ لم يجزع لغضب السلطان، مادام قد أرضى دينه وضميره، واستطاب غضب السلطان، في سبيل رضا الله. ثم رجع الأشرف بعد ذلك فطلب الشيخ وقربه، وترضاه، وطلب رأيه ونصحه. ونعرف من سيرته أنه خدم، بعد الأشرف، أخاه الملك الصالح، والملك الكامل، الذي اختاره مدرسا في زاوية الغزالي وقاضيا على دمشق. وأن الملك الصالح لقي من خصومة الشيخ وحربه ما أزعجه وأثار عليه سخطه فلما ساط عليه الصالح سوط غضبه. ترك الشيخ دمشق - بعد أن هيج الناس وأثارهم على السلطان - ونزح إلى بيت المقدس فأخذه صاحبها إلى السجن. وأرسل له الصالح يستصلحه، ولكنه نفر وأبى، فأسره الصالح. ورحل الشيخ إلى القاهرة فولاه سلطانها الصالح نجم الدين خطاباتها وقضاءها وعمارة المساجد فيها وفي بلاد مصر كلها. ثم عزل الشيخ نفسه، ورجا من السلطان أن يعفيه، فقبل رجاءه وأعفاه. ومات نجم الدين ثم جاء ابنه. «دوران شاه،

ويحرص أصحاب القلوب السليمة والضئائر المستقيمة على أن يبذلوا - حتى حياتهم ونفوسهم - في سبيل الله والحق فيقول : «إننا نزعم أننا من جملة حزب الله، وأنصار دينه، وجنده وكل جندي لا يخاطر بنفسه فليس بجندي». وكذلك كانت حياته - كما قلنا - مصداق منطقته ودهوته.

مرباة ووفاء :

كانت بلاد الإسلام : مصر والشام، يحكمها بحكم القرون الوسطى ملوك وسلاطين وأمراء، يعرفون الشجاعة ويقتحمون على الموت، ولكنهم لا يعرفون الحرية ولا الحق ولا العدل في الرعية، وكانت حروبهم يصلها أهولهم وإخوانهم. وشجاعتهم يبيلوها أعمامهم وإخوانهم وأبناءؤهم، بينما يغزو بلاد الإسلام الغزاة القساة للفجرة من التتار والصلبيين، فيستعين بعضهم هؤلاء الغزاة البغاة الفجرة على إخوته وأهل دينه، كما فعل الملك الصالح إسماعيل.

في هذا الظلم والإثم، وبين هذا الظلام والعدوان، عاش «عبد العزيز» الذي ولد في سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١) م في عهد الملك البطل صلاح الدين الأيوبي، في مدينة دمشق، وعاصر بقية سلاطين الدولة الأيوبية، ونفرا من سلاطين المماليك البحرية وله مع كل واحد منهم مشاهد ومواقف.

بعد حياة اهتز فيها بالدين فلم يخش فيه سلطانا ولا ملكا ، بل هابته الملوك والسلاطين وخشيت بأسه ، وهز فيها الدين وعزت رجاله وأهله وكلته . فقد جعل الشيخ من حياته ، منذ كان إلى الآن ، وعلى طول الزمان ، مثلا مضروباً وقدوة متبوعة لمن يتبع .

يا ليتنا ندرك ، فنقتدى ونحتذى ونفيد .

منزلة وكرامة :

يقول السبكي ، صاحب طبقات الشافعية ، عنه : « شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ... لم يرَ مثله علما وورعا ، وقياما في الحق ، وشجاعة ، وقوة جنان ، وسلطان لسان . »

ويقول عنه شيخ الحنفية في عصره - والمعاصرة حجاب كما يقولون بحق - : « هذا رجل لو كان في الهند أو في أقصى الدنيا ، كان ينبغي للسلطان أن يسعى في حمله في بلاده لتم بركته عليه وعلى بلاده ، ويفتخر به على سائر الملوك . »

وبلغ من منزلة الشيخ وكرامته أن الملك الظاهر بيبرس عندما أثبت قاضي قضاة مصر نسب الخليفة المستنصر ، لم يتقدم لبيعته إلا بعد أن بايعه الشيخ ، ثم تقدم السلطان فبايع ، ثم القضاة والأمراء .

فأكرم الشيخ ورعا منزله وأحسن معاملته . ثم صارت الدولة إلى الأتراك بعد بني أيوب فأكرم سلاطينهم الشيخ أعظم إكرام . وبخاصة الظاهر بيبرس ، الذي كان - كما يقول : مؤرخوه - منقما ، تحت كفة الشيخ لا يستطيع أن يخرج عن أمره .

ومات الشيخ : « سلطان العلماء ، في عهد الظاهر بيبرس ، فأمر جنده وخاصة مملكته أن يحملوا نعشه وبسروا في جنازته ، ووقف هو يشهدا تحت القلعة ويرى أفواج الناس وأماجمهم تودع الشيخ وقبره وترحم عليه وتسبكيه . ثم نزل السلطان نفسه بعد ذلك فحضر دفنه . ثم قال بعد ذلك كلمتين تدل أولاهما على ما كان للشيخ من منزلة كريمة في قلوب الناس وإدراك السلطان نفسه واعترافه بهذه المنزلة ، وهي : « اليوم استقر أمرى في الملك ، لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لا تنزع الملك مني . »

والكلمة الثانية تدل على ما كان يشعر به السلطان نحو للشيخ من كرامة وتقدير ، رغم هذه الخشية منه على عرشه ، وهي حزنه الذي هب هذه في هذه الكلمات القوية : « لا إله إلا الله . ما اتفقت وفاة للشيخ إلا في دولتي . ٤٠٠ . ومات الشيخ في سنة ٦٦٠ هـ : (١٢٦١ - ١٢٦٢ م) . »

ومات الشيخ « عز الدين بن عبد السلام ،

مشاهد ومواقف :

كانت حياة الشيخ كلها ، كما قلنا ، هزة بالدين ولدين . فلم يخش سلطانا ولا ملكا ، بل هابته الملوك والسلاطين وخشيت بأسه . وهذه مشاهد ومواقف من عزته بالدين وعزة الدين به ، وكيف خذل بعزته الملوك والسلاطين ، واستطال عليهم بكلمة الحق وسلطان الكرامة والخلق والدين .

١ - كان الملك الأشرف يحكم دمشق ، وأخوه الملك الكامل يملك مصر . وعاد للملك الأشرف عقله فسمى إلى الشيخ في أن يرضى عنه ويذوره . بعد الجفوة التي أشرنا إليها من قبل - ورضى الشيخ أن يزور الملك ، ولكنه أصر في نفسه شيئا أكبر من الزيارة وملاقة السلطان : هي أن يسعى لخير الإسلام ويجمع شمل الأخوين المتخاصمين على حرب عدو الإسلام والمسلمين وعدوهما . فقد كان الشيخ يعرف أن خصومة قائمة بين الأشرف وأخيه الكامل ، وأن الحرب توشك أن تقع بينهما . ذهب الشيخ ليزور السلطان ، فوجده قد نصب دهليزه صوب مصر ، . وتلك ، في اصطلاح ذلك العصر ، أمانة على رغبة السلطان في غزوها ، وإشارة بإعلان الحرب عليها . وأنه لا بد أن يفتحها ويدخلها ، سلما أو حربا ، مادام وجه دهليزه صوبها ، كما يدخل صاحب الدار داره .

وبدأ الشيخ حديثه مع السلطان فقال : إن الملك الكامل أخوك الكبير ، ورحمك . وأنت ملك عظيم عرف الناس كلهم شجاعتك وفتوحاتك . وتعرف أن التتار - أعداء الله والإسلام - يغزون بلاد المسلمين ويفتحونها . ومع ذلك تتركهم يحاربونهم ، ويفتحون بلادهم ويقتلون نساءهم وصبيانهم ، ويهدمون مساجدهم ، لو أمكنهم الله منهم ، وحاشا لله .

ترك - يا سلطان المسلمين - أعداء الإسلام يصنعون ذلك بالمسلمين ، لتحارب أخاك الملك المسلم

ثم قال الشيخ : دع ذلك أيها السلطان ، فما فيه إلا قطع الرحم ، وخذلان الدين ونصر أعداء الإسلام ، وقم لنصرة الله وحرب أعدائه وأعدائك وإعزاز كلمة الحق . وكان السلطان مريضا ، فقال الشيخ : إن شاء الله لسلطاننا وسلطان المسلمين الشفاء والعافية ، رجونا من الله أن ينهرك على عدوه وعدوك ، وكانت لك بذلك الحسنة في الدنيا والآخرة . وإن شاء الله لك أمراً آخر جازاك الله بحسن قصدك وإخلاصك وسعيك وإنما الأعمال بالنيات .

وتأثر الملك الأشرف من حديث الشيخ وإخلاصه فأمر ، والشيخ حاضر ، بنقل دهليزه من ناحية مصر ، صوب التتار ، وأعلن الحرب عليهم . ثم طلب إلى الشيخ

وأوشك الشيخ أن ينشق صدره من الغيظ والغضب . فأمر الناس ألا يتعاملوا مع أعداء الإسلام وأعدائهم ، ولو أباح لهم السلطان ذلك ، ولم يذكر اسم الملك الصالح في خطبة الجمعة ، إيماناً بخلعه والخروج على طاعته ، وكان الصالح ولاء خطابة دمشق بل ذكر الصالح في خطبته بشيء من اللسوء . والناس من ورائه تهمل وتكبر . وأخذ رجال الملك الصالح الشيخ إلى السجن^(١) فلما قدم الصالح أخرجه منه ومن دمشق كلها ، خوفاً منه ، فسار الشيخ يقصد بيت المقدس ، ولكنه وقع في أسر حاكم نابلس ، وكان من رجال الملك الصالح .

وتكاثر الصليبيون وقوادهم وملوكهم على الشام ، يريدون النزول منها إلى مصر ، ووقع الصالح في حرج بالغ ، والشيخ لا يكف عن مهاجمته والتحريض عليه . وجلس الصالح في خيمته يفكر في الحرب وفيما جره على نفسه ، بخيائته من الحزبي وعلى وطنه ودينه من الشر . وفي هذا الشيخ الذي يشهر عليه من الحرب وتهيب على الناس مالا يستطيع أن يصنع إزاءه شيئاً . ورأى أن يطلب الشيخ ليصلحه ، أو ليرشوه ويشتريه .

وطلب السلطان رجلاً من خاصته فبعث به

[١] أنكر ذلك أيضاً من الملك الصالح الفقيه المالكي الكبير أبو عمر بن الحاجب ، فبس مع الشيخ عز الدين .

أن يزيد في نصحه ، فطلب إليه أن يبطل المحرمات ، وأن يرفع عن الناس المظالم . فأمر الملك بذلك ، وطلب إلى الشيخ أن يتولى بنفسه الإشراف على رعاية الحق والعدل في الرهبة . ثم أمر للشيخ بألف دينار مصرية جزاء إخلاصه ونصحه . فاعتذر للشيخ من قبولها وهو يقول للسلطان : لقد حضرت إليك لنصحك ولتحير المسلمين ، وكان اجتماعنا في الله والله ، فلا تكدر على صفاء نفسي بعد ذلك بشيء من متاع الدنيا .

ولم يمض يسير زمن حتى قدم الملك الكامل بجيوشه من مصر لحرب أخيه - ثم تصالحا - ولو وجد الكامل في مصر شيخاً مثل عز الدين ينصحه ويذره ويقومه ، ما فعل . وقد أكرم الكامل الشيخ واستدعاه فأجلسه على بساطه ، وأخوه الكامل ، الصالح إسماعيل ، واقف يشهد ويهيب .

٢ - في هذه الفتن السود خاف الملك الصالح إسماعيل على نفسه وعرشه في دمشق ، من هجوم الملك نجم الدين أيوب ، سلطان مصر الذي حالفه الملك الصالح ثم خاه ، فلم يجد الصالح سبيلاً لآمنه وسلامته إلا في أن يخون دينه ووطنه ١٠٠٠ فتصالح مع الصليبيين على أن يسلمهم د صيدا ، وقلعة الشقيف ، وبعض الحصون الأخرى . وأن يبيع لهم دخول دمشق ليشتروا منها ويبيعوا فيها . ودخل الصليبيون دمشق يشترون السلاح ١٠٠٠

وبهت الرسول المنافق المذاق . وقال الشيخ
أمرنى السلطان — إن لم توافق — أن
أعتقلك . فقال الشيخ : حبا وكرامة .

وحبس الشيخ في خيمة تجاور خيمة الملك
الصالح . فكان يكثّر من الصلاة والتلاوة يرفع
صوته بها حتى يسمع السلطان .

وجاء إلى الملك يوما جماعة من حلفائه
الصلبيين يتحدثون إليه في أمر الحرب .
وأراد الخائن أن يظهرهم على مقدار ما قدم
لهم من العون ، وما لقي في سييلهم من الإنكار
فقال لهم : هل تسمعون هذا الشيخ الذي
يقرأ القرآن ... ؟ قالوا : نعم . قال : هذا
أكبر علماء المسلمين .

وقد حبسته لإنكاره على تسليم حصون
المسلمين لكم ، فعزلته عن جميع مناصبه
وأخرجته من دمشق ، فجاء إلى بيت المقدس
يحاربني ويتحداني ويفسد علىّ وعليكم
الناس ، فجددت حبسه واعتقاله لأجلكم .

عند ذلك جبهه جلساؤه الصليبيون وأخزوه
بهذا الجواب : لو كان هذا الشيخ قسيسا عندنا
لقمنا بين يديه فغسلنا رجله ، وشربنا ماء
غسلهما . . . !

وفي مقال آخر نجد مشاهد أخرى ومواقف
للشيخ الذي أعز الدين واعتز به فأعزه الله
وذلل له الناس وهابته الملوك والسلاطين .

محمود الشرفاوى

رسولا إلى الشيخ . ووصاه : تطف بالشيخ
وأكثر من ملاينته ، وعده على بأنى سارجمه
إلى مناصبه وأزيد في إكرامه ، فإن قبل
فهاه إلى وأسرع . وإن أبى فأحضره بجينا
في خيمة تجاور خيمتى .

وكان رسول الملك منافقا بماذا من عباد
الدنيا وخدام السلاطين ، فظن أنه ، عن
طريق الجاه والمال ، يستطيع أن يعود
بالشيخ إلى سلطانه وسيده ، وأن يرضيه
ولو هان وذلل ، كما هان غيره .

قال الرسول المنافق للمذاق للشيخ المؤمن
المجسور : إنك شيخ جليل وعالم كبير من
حقك أن تنال أعظم المال وتحوز أرفع
المناصب ، وأن تعيش حيانك كلها معززا
مكرما ينال الناس من بركاتك وينتفعون بهملك .
وليس أمامك لتحوز ذلك وتناله وتعود
إلى ما كنت عليه وزيادة ، إلا أن تخضع
للسلطان وتدخل عليه فتقبل يده ... لا شيء
أكثر من ذلك ... !

وهنا نسمع عجبا ونرى عجبا : نرى الشيخ
يهيج ويصرخ في رسول الملك ويقول :
إنك لمسكين . . . ! إني لا أرضى أن يقبل
السلطان يدي وأنت تريد مني أن أقبل يده .
إنك وسلطانك وقومك في واد وأنا في واد .
إنكم عبيد المال والجاه والشهوة . وأنا لا
أعبد إلا الله ولا أعرف ولا أخشى . سواء .
والحمد لله الذى عافاني مما ابتلاك به .

من رهاب الحرم :

شحنة للمشاعر الإنسانية

للأستاذ فتحي عثمان

منكم ، هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام
مساكين ، أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال
أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم
الله منه ، والله عزيز ذو انتقام . أحل لكم
صيد البحر وطعامه ، متاعا لكم وللسيارة ،
وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ، واتقوا
الله الذي إليه تحشرون .

وعلى هذه التربية النبيلة للمشاعر الرقيقة ،
تقوم شعائر الحج ...

وهي تثمر ثمارها في تعامل الإنسان
والإنسان :

« ولا يجزئكم شأن قوم أن صدوكم عن
المسجد الحرام أن تعتدوا وتعارنوا على
البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم
والعدوان واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب .»

وهكذا يسمح الحج على القلوب ، فيبرئها
من الحقد والضغن والدخل ...

ويعالج الحج النفوس ، فيشفيها من العقد
والعلل ...

ويربي الحج المشاعر ... بثياب الإحرام
في بساطتها ، وشعائر الحج في روعتها ،

« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله
في أيام معلومات . »

أما المنافع المادية المباشرة ، فهي بارزة
للعيان ... رواج للتجارة ، وتعارف على
الخير ، وتعاون على الحق بين الأفراد
والشعوب والحكومات .

وإنما أتنازل هنا الشحنة الشعورية الضخمة
التي يسكبها الحج في نفوس الحجاج ... شحنة
من أجل المشاعر الإنسانية والقيم النبيلة .

* * *

في الحج تربية للإحساس المرهف النبيل ...
فالحاج في بساطة ثياب الإحرام ، محظور
عليه العدوان ... حتى على الطير والحيوان !
« غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم
ما يريد . »

« يأبى الذين آمنوا ليلبسونكم الله بشيء
من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ، ليعلم الله
من يخافه بالغيب ، فمن اعتدى بعد ذلك فله
عذاب أليم . يأبى الذين آمنوا لا تقتلوا
الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا
فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل

ورسول الإسلام حذب بالغ على القوارير،
ومشاهرين وعواطفهن ... وهو الذى قرن
« النساء » ، « بالطيب » ، فيما حبيب إليه من
متاع الدنيا ... وهو الذى من أجل مرضاة
أزواجه حرم ما أحل الله له حتى نزل وحى
الله يصرفه عما فعل ... وهو الذى فى مرض
الموت كان يصصر على العدل فى رعاية مشاعر
أزواجه ، لينقل محمولا بين بيوتهن وفق
ما قسم يبين فى معاملته لهن ، فكان عليه
الصلاة والسلام يتساءل وهو صريع المرض:
أين أنا غدا ؟؟

إنها المشاعر الحساسة المرفقة : فى الموقف
الدقيق الرهيب ...

إنها العدالة الإنسانية المقررة فى الخطاب
الجامع الخطير ...

« أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا
يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس
منه ، فلا تظلموا أنفسكم ، ألا هل بلغت ؟
اللهم فاشهد !! »

فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم
رقاب بعض ...

أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم
واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن
أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل
على عجمي إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم
فاشهد !! ، إنه الإخاء الذى أثمره الإيمان ..
والذى لا يميزه إلا الكفران !!

والسلام المرسل من القلوب والألسنة
والجوارح ... فى دار السلام ! .

« والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من
يشاء إلى صراط مستقيم » .

إنها شحنة شعورية هائلة ... تعالج الإنسانية
من « داخلها » ، وتأتى النفوس من أبوابها ،
وتضع قواعد السلام والإخاء والمساواة
على أساس ضارب فى الأعماق ! .

وفى هذا الجو النبيل ... انطلق صوت
رسول الإسلام ، يقرر حقوق الإنسان فى
خطبته الخالدة فى حجة الوداع .

« أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام
عليكم إلى أن تلقوا ربكم ... كحرمة يومكم
هذا فى بلدكم هذا ... حتى تلقوا ربكم فيسألكم
هن أعمالكم » .

إن تربية المشاعر النبيلة لا بد أن تشر
تمارها العملية فى السلوك ... وإن حرمة الشهر
الحرام فى البلد الحرام ، ينبغى أن يسكب فى
مشاعر المؤمنين رعاية حقوق الله فى كل زمان
ومكان !!

« أيها الناس : إن لنساءكم عليكم حقا ،
ولكم عليهن حق ... فأتقوا الله فى النساء ،
واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم
فاشهد !! » .

إن الإسلام لا يتجاهل شطر المجتمع ...

فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر
 مستجدي إن شاء الله من الصابرين . فلما أصابا
 وتلّاه للجبين ، وناديه أن يا إبراهيم ، قد
 صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين .
 إن هذا هو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم
 وتركنا عليه في الآخرين . سلام على إبراهيم .
 كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا
 المؤمنين ، ١١

إن الله لأرحم بعباده من أن يقتلوا أنفسهم
 تقرباً إليه ...

« وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم
 أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا إلى بارئكم
 فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ،
 فتاب عليكم ، إنه هو التواب الرحيم . »

« إن الطاعة يكفي فيها الرمز ... والقربان
 يجدر أن يأتي منه النفع ... ومن هنا كانت
 الأضحية حيواناً يؤكل لحمه ، ويطعم منه الفقير
 والمساكين . »

« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله
 لكم فيها خير »

فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا
 وجبت جنوبها فكلوا منها ، وأطعموا الفقاع
 والمعترة كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون .
 لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن
 يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم
 لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر المحسنين .

إنها المساواة ... التي أنتجها الإيمان بإله
 واحد له وحده صفات الاستعلاء والكبرياء
 وكل البشر بعد ذلك سواء ، لأنهم جميعاً
 مربوبون ولأنهم جميعاً عباد ١١

لقد سجل التاريخ أن ملكاً حديث عهد بالإسلام
 لطم عربياً مسلماً لأنه وطىء طرف ثوبه وهو
 يطوف حول الحرم ... فإذا بالخليفة المسلم
 يصر على القصاص ، مما أدى بالملك المتكبر
 أن يرتد عن دين لا يؤله إلا الكبير المتعال !
 ومن هذه الأعماق العقيدية البعيدة ...
 ومن هذه التربية النفسية العميقة ... تأتي
 « المساواة ، الحقيقية ، ويأتي « الإخاء ،
 للنابع من التجارب والتفاهم في المشاعر
 والأفكار .

« وألف بين قلوبهم .
 لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت
 بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم . »
 « إن الإيمان بالله ، ... خير رعاية
 للإنسان ، ١١١ »

ويعقب أيام الحج عيد الأضحية ، وفيه
 ذكرى نقلة إنسانية كبرى في التاريخ البشري ...
 ذكرى إعلان نهاية القرابين البشرية ، منذ
 عهد إبراهيم عليه السلام .

« فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي
 قال : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ،

فإذا قتلتم ... فأحسنوا القتلة .
وليحده أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته ، !
حفاظ على الإنسان ، ... حتى وهو

يستعمل السكين !!

إن الحيوان هالك على أية ميتة ... ولكن
ما أفدح الخسارة حين تكون في مشاعر
الإنسان ، !!

ومن أجل هذا ... أخبر رسول الإسلام
أن امرأة عذبت في (هرة) حبستها حتى
ماتت جوعا فدخلت فيها للنار ...

وأخبر رسول الإسلام أن رجلا سقى كلبا
بلغ به للعطش ، فغفر له ...

إن المؤمن موصول بحبال الله ... الرحيم
الرحمن .

لأنه يراقبه ويلتصق برضاه ، في تعامله مع
الناس ...

في رعاية خلجات نفوسهم ومكنونات
مشاعرهم ...

إن المؤمن يسير في ركاب رسوله ... الرحمة
الممهداة !

« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك ،

فأعف عنهم ،

واستغفر لهم ،

وشاورهم في الأمر ... ، .

« رسول من أنفسكم

وبذلك انتهى عهد القرابين ذات الدلالة
العقيدية المجردة ، وغير ذات المنفعة البشرية
المباشرة :

« الذين قالوا : إن الله عهد إلينا ألا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار

قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالنبي
قلت ، فلم تلتزمواهم إن كنتم صادقين ؟؟ .

فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك ،
جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ، !!

* أية مراحل قطعها المجتمع الإنساني ...
وهو يتدرج في السمو والرقى والارتفاع .

* وأية مراحل قطعها التشريع الديني ...
ليساير التطور الاجتماعي البشري .

* وأية دروس يستفيدها علم الاجتماع ...
استوعبت دراساته تاريخ النبوات ، وتطور

الآديان ... بغیر تجن أو تجاهل أو اعتساف !
* * *

وفي الدين تربية البشائر الإنسانية ... حتى
في ذبح الحيوان !

إن ذكر الله عند مسيل الدماء ، وإزهاق
الأرواح ، عوان على ترقيق القلوب ، وترقية

المشاعر ، حتى لا يقسمها المنظر المألوف
للدماء الجارية ...

وإن في إراحة الذبيحة رعاية للشاعر
الإنسانية في هذا الموقف العصيب : « إن الله

كشبه عليكم الإحسان في كل شيء

ولكم تشقى الإنسانية ... من هذه البصائر
المطموسة ١١

ولكم يسعد « الإنسان » ... حين يجد
إلى جواره - فى دوامة الحياة - « الإنسان » ...

وإن « الإنسان » ليجد نفسه ، ويجد
أخاه ... على نور « الإيمان » ...

فأين من هذا النور غلاظ القلوب من
المتزمتين المنتطعين ، المنتطشين للنأثم ،
الملتصين للعيوب ...

وأين من هذا النور من ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون . وتبلدت مشاعرهم فى رطوبة
سجن الأنانية ، وضيق أفق النفعية ...

ما أحوج الإنسانية ... إلى المشاعر الدافئة ،
والحنان الغامر ...

ما أحوج الإنسانية ... إلى الجد والعمق
والصدق فى عالم الوجدان ، ليحس « الإنسان »
بمستوى أرفع فى علاقة الإنسان بالإنسان ...
مستوى أرفع من العلاقات الحيوية
البيولوجية ، والضرورات الاجتماعية ...

مستوى يرضى « الإنسان » ، فى أعماق
نفس « الإنسان » ؟

فتنمى عظماء

عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم

بالمؤمنين وهوف رحيم ، .

وبعد :

فإنما يتميز « الإنسان » عن غيره من
الأحياء ... بالمشاعر الواعية ، والتمييز المدرك
والحس المرهف ، والانفعال الخلاق ...

وإنما يتميز « الإنسان » ، بأنه يصقل
الأجهزة الروحية والنفسية فى « الإنسان » ..
فيجعل له أرق ما يكون حساسية ، وأعمق
ما يكون وعيا ...

إن تجربة التعامل مع « الله » ... تعكس
آثاراً عجيبة فى التعامل مع « الإنسان » ...
ومع معجزة الله فى « الإنسان » ١١ .

وبهذه الأجهزة البلورية الحساسة يتعامل
المؤمنون ... فيسكون لهم نور يمشون به ١١
أما الذين عاشوا فى حدود ذواتهم ،
ضائق أو انسعقت ، فهم عن هذه المشاعر
المتلاثلة محجوبون ...

وأما الذين عاشوا فى حدود أشباح
« الرسوم » ، من شعائر خامدة ، ومشاعر
ميتة ، فهم عن حقيقة الإيمان بعيدون ...

من معاني القرآن

وقد جعل الله منها البنين والأحفاد ،
وبذلك يرى فيها الزوج نماء فرعه وبقاء
نوعه وامتداد وجوده ، فإذا كبر أولاده
وأحفاده وجدده فيهم قرة العين . وقوة العون ،
فإذا أضيف إلى ذلك ما خلق الله له ولزوجته
ولذريته من زوجة من طيبات الرزق .
فإذا وراء ذلك من مطالب الحياة ..

الزوجة نعمة يجب أن تقابل بما ينبغي من
شكر المنعم .

والبنون والحفدة الذين يسرعون في طاعة
آبائهم وخدمتهم نعمة يجب أن تقابل بما
ينبغي من شكر المنعم .

والله وحده هو الذي جعل لنا من أنفسنا
أزواجا .

وهو وحده الذي جعل لنا من أزواجنا
بنين وحفدة .

وهو وحده الذي يرزقنا من الطيبات .
لأنه دون - غيره - الخاق الرازق ، فالإيمان
بغيره باطل لأنه إيمان بباطل لا فائدة منه ولا
خير فيه ، فإذا أضيف إلى ذلك نعمة التي لا تحصى
ولا تنكر ، بل يجب أن تذكر وتشكر ،
فأي إثم أكبر من هذا الإثم وأي ظلم أظلم
من هذا الظلم ؟
عبد الرميم فورده

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا
وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة
ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون
وبنعمة الله هم يكفرون . »

الحفدة الأعوان ، وأصل معنى الحفدة
(يسكون الفاء) إسراع البعير في سيره
مع تدارك خطوه .

ثم استعمل في الإسراع إلى الطاعة ، ومن
ذلك ما جاء في الدعاء المأثور (وإليك نسعى
ونحفد) أى نسرع إلى الطاعة ، كما استعمل
في أولاد الأولاد لأنهم كالخدام في الصغر .
والباطل ما لا بقاء له ولا فائدة منه .

هذه الحياة :

في هذه الآية على إيجازها تتمثل الحياة
بأجل ما فيها من ألوان المتاع المشروع ..

فالزوجة نعمة ورحمة ، إذ جعلها الله للزوج
من جنسه ، ليشعر بأنها من نفسه فيسكن
إليها ، ويكمل بها نفسه . ويجمل بها حياته ،
ويجد فيها فطرت عليه من رقة الشعور ،
والبن الجانب ، وجمال الظل والتسكين
ما يروى شوقه ، ويرضى ذوقه كما يجد فيها
تجيد من أعمال لا يجيدها الرجال ، ما يكفيه
الحاجة ويهيئ له أسباب الراحة .

الموضوع في الأدب العربي للأستاذ محمد فرید أبو حديد

الفنى والاتصال بالمجتمع معا ، وعلى هذا فإن الشعار الذى تدور المناقشات حوله وهو « هل الفن للفن أم هو للمجتمع » ، يبدو شعارا خاليا من الدلالة إذا كان المقصود منه المقابلة بين قيمتى الأسلوب والموضوع فى العمل الفنى ، لأن القيمتين لا بد أن يتوافرا معا لكل عمل فنى .

وإذن يكون المعنى الحقيقي الذى تدور المناقشات حوله هو أنه بعض النقاد يذهبون إلى أن الأدب مطلق الحرية فى اختيار موضوع لإنتاجه سواء كان مما يقبله المجتمع ويرضى مثله العليا وقيمه المعنوية أو كان مما يرفضه المجتمع وينكر مثله وقيمه ، على حين أن البعض الآخر منهم يذهبون إلى أن الأدب الحق هو الذى يختار موضوع لإنتاجه مما يقبله المجتمع ويعزز قيمه ومثله العليا .

ولا يخفى ما يحيط بالرأى فى كل من الجانبين من غموض يستحسن إلقاء بعض الضوء عليه حتى يمكن أن يسلم من التعثر . وقد رأيت أنه بما قد ينير سبيل الرأى أن أستعرض الموضوع الشعرى فى هصور ثلاثة وهى العصر الجاهلى والإسلامى الأموى والعباسى

يتحدث النقاد والأدباء عن الفن الأدبى وهل ينبغي أن يكون المعول فى تقدير قيمة العمل الأدبى على ما يمتاز به فى أسلوبه أو أن يكون المعول فى ذلك التقدير على قيمة موضوعه كذلك بالنسبة إلى المجتمع وإلى الإنسانية ، ولست أقصد بمحدثى هذا أن أعرض لما يسوقه طرفا المناقشة من الحجج ، فهى معروفة كثرت المجادلات فيها ، غير أن الذى يبدو من هذه الأحاديث أن موطن الخلاف بين الجانبين المتناقشين معنى آخر خفى لم يظهر واضحا فى ثنايا المناقشات فأردت فى كلمتى هذه أن أحاول إظهار هذا المعنى الخفى بتوجيه بعض نظرات إلى أدبنا العربى لعلمنا تستبين حقيقة الصلة بين الموضوع فى الأدب وبين الحال التى كان عليها المجتمع فى العصور المختلفة ، فإن الكشف عن تلك الحقيقة جدير بأن يزيل كثيرا من الغموض الذى يحيط ببعض ما يبدى من الآراء .

ونقطة البداية التى أبدأ منها أن الإنتاج لا يمكن أن يسمى إنتاجا أدبيا إلا إذا توافر له الأسلوب الأدبى الفنى . ومعنى هذا أن كل إنتاج أدبى لا بد أن يتوافر فيه الأسلوب

تعبيراً صادقاً عن معاني الصداقة والعداوة وعن المحبة والبغضاء وعن الإجلال والازدراء وعن الشجاعة والمروءة وأضدادهما ، وفيها ينطوى سجل حافل بما كان للعرب من قيم فردية واجتماعية تتصل بمسالك الأفراد والجماعات في الحياة الخاصة والعامة .

فالشعر الجاهلي مثال للإنتاج الأدبي الفني يعكس لنا تجارباً كاملاً بين الأديب وبيئته البشرية ... وإلى جانب هذه الخاصة كانت طبيعة الصحراء لا تكاد تسمح للعربي بما يرفه عنه في حياته القلقة المتحفزة للصراع إلا من ناحيتين يتنسم منهما البهجة والأنس أولهما جمال المرأة والإيناس الذي يحده الفرد في مجالس السمر بين الأصدقاء وما كان يشيع فيهم من النشوة على أثر معاطاتهم الخمر . وأما الناحية الأخرى فكانت مشاهد الطبيعة الطليقة التي تبعث السلوى إلى قلب المحزون والمهموم . وكانت الحياة أمام العربي حياة حرة يتعامل فيها أحرار لا يعترفون بالقيود ولا بطيقتونها ، فلم يكن فيها حدود هير ما تعارف عليه المجتمع من قواعد الولاء بالنسبة إلى القبيلة وقواعد الشرف والمروءة بالنسبة إلى الفرد . وكان للبرأة العربية في الجاهلية مكانة الفرد الحر كالرجل ولهذا كان الحب بين الرجل والمرأة يتم بالتقدير

الأول ، وأن أختار لذلك الاستعراض ما يمثل الاتجاه الأكبر في كل من هذه العصور وهي تمثل ثلاثة أدوار من مراحل التطور الحضاري للمجتمع العربي .

وأما النتائج التي يمكن الوصول إليها من هذا الاستعراض فقد رأيت من المستحسن تأجيلها إلى نهاية الحديث .

كانت حياة أجدادنا العرب في العصر الجاهلي مطبوعة بطابع يشتمهم الصحراوية إذا استثنينا بعض البقاع الحصبة في اليمن والمدن المتصلة بالعمران كالخيرة .

وكان النظام القبلي دعامة حياتهم بصفة عامة وأول مميز لهذا النظام هو الولاء الكامل المتبادل بين الفرد وقبيلته ، وهذا الولاء هو الاتصال النفسي بين الفرد ومجتمعه . فكان الشاعر العربي فرداً من قبيلته ويصدر في مشاعره وفي إنشاده عن شعوره القوي بالصلة التي تربطه بقبيلته . فهو يتغنى بمآثر قومه وبانتصارهم في الصراع مع القبائل الأخرى ويشيد بفضل أبطالهم ويفخر ببطولته فيهم وقد يهجو خصومهم أو يعاتب حلفاءهم ، وهو في كل الأحوال يعبر عن مشاعره كفرد متصل أتم الاتصال بمجتمعه .

وقد خلف لنا العصر الجاهلي بعض صور الدفقات العاطفية القوية التي أثارها مواقف قومه ومواقفه في قومه ، وهي تعبر لنا

الشعراء في عصر من العصور وهو في تعبيره الساذج الصادق عن مشاعره في هذه الوقفات يصور لنا لوحات فيها أبدع تمثيل للعاطفة الإنسانية الأولى .

وكان انطلاق العربي في الصحراء يتيح له أن يرى بعينه الدقيقة الملاحظة ما كان يضطرب في الصحراء من حياة الحيوان عامة وحياة الوحش بخاصة ، وما كان يجاهد الطبيعة القاسية من نبات أو زهر ، فكان يصور في شعره ما يحسه من بهجة حين يرى الزهرة اليانعة بين الرمال وحين يرى الظبية تحنو على وليدها أو تنفر ناجية إذا أحست الخوف . وكان يصور ما تجيش به نفسه من الرحمة أو الإعجاب حين يرى للصراع بين الأحياء كالبقرة الوحشية حين تستبسل في الدفاع عن نفسها ضد كلاب الصيد أو الذئاب التي تحتوشها أو كالعير الوحشي حين يدفع أناناه دفعا شديدا نحو الماء إذا اشتد عطشهما فتصوير مشاهد الطبيعة الطالقة من أروع ما سجله الشعر في لغة من اللغات وهو يمتاز دائما بالصدق وقوة ما فيه من تعبير عن العاطفة .

أما التغني بمجالس الخمر فكان في أكثر الحالات إذا لم نقل فيها جميعا لا يزيد على التمهيد لوصف ما يمتاز به الشاعر من الفتوة والكرم والبطولة في مواقع القتال .

المتبادل بينهما ، وإذا استثنينا بعض ما جاء في قصائد بعض الشعراء كالأعشى وامرئ القيس أمكن أن نقول : إن شعر الغزل الجاهلي يمتاز بإحلال المرأة الحرة محلا رفيعا في قلب صاحبها ، ففيه من صور الحب الرفيع ما يسمو إلى أهلى مراتب الشعر الغنائي في الآداب العالمية .

ومن اليسير أن ندرك العلة في انحراف أمثال الأعشى وامرئ القيس أحيانا عن مذهب شعراء العرب الجاهليين في الحب . فقد كان الأعشى شاعرا مرتزقا جـوالا في الآفاق يتردد بين عمان وحمص وأورشليم وذمب إلى النجاشي في أرضه وإلى أرض النبط وأرض العجم ، ونزل بنجران وأعلى السروفي اليمن ، وكان في هذه البلاد يتصل بالحياة المسترفة وما فيها من معاهد اللهو والمجون الحضرية . وأما امرؤ القيس فكان منذ مطلع شبابه ضحية لالتواءات نفسية كثيرة أدت به إلى الخروج على قومه والانطلاق في الأرض شريداً مع طائفة من الخملاء الذين تبرأت منهم قبائلهم لخروجهم على ما تعارفوا عليه .

فكان لمساكنة المرأة عند العربي أثر واضح في الموضوع الشعري فكان الشاعر يصف وقوفه بديار الحببية إذا هي نزحت عنها ويتغنى بأناشيد من أصدق ما صدر عن

في شعراء الحضر مثل عدى بن زيد أو من في حكمهم مثل الأعشى ، وذلك التفكير لا يتعدى حدود العبر الدالة على زوال الحياة وغرورها وتداول المجد بين الدول .

غير أن شعر الجاهليين لا يخلو من تأمل الحياة من جانبها الواقعي المتصل بالحياة في المجتمع ، ولا يوضح ما تقصد نورد مثالا واحدا وهو قول دريد بن الصمة في رثاء أخيه فهو لا يقتصر على وصف بطولة أخيه ووصف إقدامه هو حين اندفع بين الفرسان للدفاع عنه ، بل يعرج على معاني الولاء للقبيلة والتضامن معها في رشدائها وغيبها ويشير إلى المثل العليا التي كان أخوه يتمسك بها فهو قليل التشكي للصيديات ، حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد ، وهو قنوع يكتفي بأقل الزاد ، والزاد حاضر ولا يعبأ بما يلبس مع أنه كريم يجود بما في يده ويزيده سماحا وإتلافا لماله تنكر الدهر له ، واشتداد الظروف عليه .

فالشعر الجاهلي يمثل أدب عصر من عصور الحياة العربية كان يسوده التضامن والولاء بين الفرد والمجتمع وكان لذلك يتصف بالصدق في تصوير العواطف كما يتصف بالانطلاق النفسي الذي لا يشوبه التواء أو انطواء .

ومما له صلة بهذا المعنى أن شعر صعاليك العرب أنفسهم لا يشذ عن أنماط الشعر

فالظاهرة العامة للشعر الجاهلي أنه كان ينبع مما تبعته الحياة في الشعراء من الأحاسيس وهي جميعا متصلة أو ثاق الاتصال ببيئته وبولائه لقومه وتعلقه بقيم السلوك الفردي والاجتماعي التي تعارف عليها قومه واملتها عليهم طبيعة قاهرة ونظام اجتماعي مستقر .

وقلنا نجد في الشعر الجاهلي ما ينم عن انطواء الشعراء في نفسه أو انفصاله عن قومه أو الحقد عليهم ، حتى إن الهجاء الجاهلي نفسه لم يكن سوى تصوير نقدي يوجه إلى قوم أو إلى فرد لخروجه على القيم السلوكية الفاضلة في نظر أهل العصر . فلم يكن فيه إلا هفوات قليلة من المثالب المقتدعة المسفة التي كثرت في شعر العصور الأخرى .

وكان الأعشى من أكثر الشعراء هجاء . ولسكننا لا نكاد نرى في هجائه - وهو المرتزق بالشعر - ما يخرج عن حدود النقد التي أشرت إليها . وكان من أشد أبياته في الهجاء وقما قوله في علقمة ابن علاثة إذ قال :

تبيتون في المشتى ملأ بطونكم
وجاراتكم غرثي يبتن خائنوا
حتى لقد قيل إن علقمة بسكى حين سمع
ذلك البيت وجعل يقول في الأعشى :

« قاتله الله ! أنحن كذلك ؟ » .

وقد نجد في الشعر الجاهلي أمثلة للتأمل الفكري المجرد . وأكثر ما نجد ذلك

الجاهلي عامة فهؤلاء كانوا مع خروجهم عن مجتمعهم لم يخرجوا عليه بل كانوا يتمسكون بمثل العليا في الكرم والشجاعة والمروءة ومن أمثلتهم عروة بن الورد والشنفرى وتأبط شراً .

وقد جاء الإسلام فأضاف إلى الحياة العربية إضافات كثيرة من القيم الإنسانية والمثل العليا وأنكر من قيم الجاهلية ما كان يشوه حياتها كالمبالغة في القسوة والصرامة والاندفاع مع شعور العصبية القبلية الضيقة كما أنكر الخمر وأحاط علاقة الرجل بالمرأة بطائفة من الحدود التي تكفل سلامتها من العبث . ثم وجه العرب إلى حياة جديدة قوامها الوحدة بين القبائل والمساواة بين الأفراد من كل الطبقات والأجناس وجعل مقياس التفاضل بينهم ما يتمتع به كل منهم من صفات الإنسانية ، وحملهم مسئولية نشر دعوة الحرية والمساواة في أمم العالم .

فشغل العرب حيناً بمواجهة الدين الجديد حتى دخلوا فيه ثم شغلوا حيناً آخر بمواجهة الحوادث الكبرى التي أعقبت موت النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم خرجوا من جزيرتهم في بعوث الفتح لنشر رسالة الإسلام فكانت هذه المشاغل سبباً في قلة ما روى من الشعر العربي مدة تقرب من ثلاثين أو أربعين عاماً . ومن أظهر آثار الإسلام في شعر هذه

المدة أنه خلا من ذكر الخمر ومن التشبيب بالمرأة ، حتى لقد قيل إن أحد الشعراء وهو حميد بن ثور الهلالي أراد أن يتغنى بحبه فكفى عن الحبيبة بالسرحة فقال :
سقى السرحة المحلل والأبطح الذي

به أئرى غيث همدجن و يروق
وقد أنف أهل المرأة من ذكره لها
مع إخفاؤها وراء (السرحة) فعابوه بذلك فرد عليهم قائلاً :

تجرم أهلوها لأن كنت مشعرا
جنونا بها يا طول هذا التجرم
ومالى من ذنب إليهم علمته
سوى أننى قد قلت يا سرحة اسلى
بلى فاسلى ثم اسلى ثم اسلى

ثلاث تحيات وإن لم نسكلمى
وكان الشعراء من العرب بغير شك لا ينفطعون عن الإنشاد حين تتحرك نفوسهم في موقف من المواقف وهم ينساحون في الأرض على بعوث الفتح ولكن ما وصل إلينا من هذه المقطوعات قليل وهو يشبه الشعر الجاهلي في صدقه ودلالته على الولاء الكامل بين الفرد ومجتمعه .

وجاءت دولة بنى أمية بعد نحو أربعين عاماً من الهجرة النبوية وكان لها أثر كبير في توجيه الأمة العربية إلى وجهة جديدة ، وكان للأحداث التاريخية الكبرى التي وقعت في

الشعراء للأحزاب لم يكن ثابتا في كثير من الأحوال لأنهم كانوا مرتزقة بالشعر ولأن الأحزاب كانت عرضة للتغير . ففيل مثلا إن جريرا لم يكن مواليا لبني أمية في مطلع حياته ثم توسل بأحد الولاة كي يوصله إلى الحجاج . ثم توسل بالحجاج ليوصله إلى عبد الملك بن مروان ، فوجد عند خلفاء بني أمية ما يغنيه عن التذبذب بين الأحزاب .

ولكن النابغة الجعدي وعبيد الله بن قيس الرقيات لم يثبتا على الانتصار لحزب واحد وإسماعيل بن يسار النسائي انقطع أولا إلى ابن الزبير ثم تحول إلى بني أمية ولزم فيما بعد الوليد بن يزيد . وطريح بن عبيد السقفي انقطع أولا إلى الوليد بن يزيد وبالح في مدحه حتى قال له :

لو فلت للسليل دع طريقك

والموج عليه كالحصب يعتلج

لساخ وارتد أو لكان له

في سائر الأرض هنك منعرج

وقد هاش حتى أدرك عهد أبي جعفر

المنصور وأراد التقرب منه فسأله أبو جعفر

عن هذين البيتين فقال إنه كان يرفع يديه

إلى الله تعالى عندما أنشدما موجهما خطابه

إليه ولكن أبا جعفر لم يقربه إليه . وكان

من الطبيعي أن ينقطع أكثر الشعراء في ذلك

العصر إلى بني أمية طلبا لما عندهم من الجزاء

مدة هذه الدولة أثر كبير في توجيه الشعر كذلك من ناحية موضوعه .

ومن الظواهر الجديدة التي طرأت على الشعر

العربي عند ذلك أن ولأكثر من الشعراء

انصرف إلى حزب من الأحزاب التي ينتمون

إليها ، بعد أن كان ولأكثر من قبل

متجها إلى قبيلته وما كان أكثر الأحزاب

المتطاحنة طوال ذلك العصر .

ولم يكن ولأكثر من الشعراء الأموي لحزبه مثل

ولأكثر من الشاعر الجاهلي لقبيلته فقد كان الشاعر

الجاهلي ينشد منطلقا في التعبير عن مشاعره

غير متكلف فيه ، كما كان في العادة غير مرتزق

بشعره . ولكن الشاعر الأموي كان في كثير

من الأحوال مرتزقا في ولأكثر من لحزبه . وكان

لذلك يمرض عن نقص حرارة الولاء بزيادة

التأنيق وبزيادة للعنف في تعبيره سواء في ذلك

المغلاة عند المدح والإفداع عند الهجاء ،

فخرج كلا المدح والهجاء عن حدود الصدق ،

وبعد أن كانت المفارقة بشواهد الحوادث

الجارية أصبحت تعتمد على ذكر المآثر

السابقة لأبطال الجاهلية الذين ينتمى المفاخر

إلى قبائلهم . ومن هناك أحيى الشعر بعصبية

القبائل بعد أن نهى الإسلام عنها ووجه

العرب إلى الوحدة الشاملة ، وقصائد الشعراء

لثلاثة الكبار - جرير والاختل والفردزق

ملأى بغبار المعارك القبلية . على أن ولأكثر

كانوا من أبناء السراري لا من أبناء الحرائر من عقائل الأمر العربية الخالصة ، فيمكن أن يقال إنهم لم ينشئوا على ما اتجه إليه المجتمع الإسلامي الجديد من تحفظ نحو المرأة على أنه من الممكن كذلك أن يعزى انقطاع هؤلاء للشعر الغزلي إلى أسباب سياسية فيحكي مثلاً أن سليمان بن عبد الملك سأل ابن أبي ربيعة يوماً عن سبب امتناعه عن مدحه فأجابه : « إنني لا أمدح الرجال وإنما أمدح النساء » . فكان هؤلاء الشعراء أرادوا أن يقطعوا الذريعة إلى مدح الخلفاء الأمويين والدعاة لهم بشعرهم فانقطعوا إلى شعرهم الغزلي . وتروى عن ابن أبي ربيعة أخبار تدل على أنه كان يشنع أحياناً على خلفاء بني أمية .

غير أنه إلى جانب هؤلاء الشعراء أبناء الأعيان كان شعراء آخرون قد انقطعوا لشعر الغزل أو صرفوا إليه كثيراً من اهتمامهم وتخلف لنا من ذلك تراث ضخم ينسب إلى مجنون لبى وإلى جميل بن معمر صاحب بثينة ومنه ما ورد في أقوال كثير ونصيب والصمة القشيري الذي قيل إنه هاجر إلى طبرستان حزناً على حرطانه من حبيبته وهو بصور حنينه إلى معاهد حبه في عينيه المعروفة التي يقول فيها مخاطباً نفسه :

حننت إلى ريا ونفesk باهدت
مزارك من ريا وشعباك معا

فقد انقطع عبد الرحمن بن أوطاة إلى الوايد ابن عثمان بن عفان وانقطع نابغة بني شيان إلى عبد الملك بن مروان وهجا خصمه ابن الزبير وانقطع الأختل ونصيب إلى مدح بني أمية حتى كان سليمان بن عبد الملك يفضلهم على الفردق ولزم الحكم بن عبد الأسد بشر ابن مروان وكانت قلة من الشعراء تخلص للوليين ومنهم السيد الحصري وقد غالى في ذم السلف تعصبا لهم حتى تخرج الرواة من رواية شعره .

فإذا تركنا الشعر السياسي أمكن أن ندرك مقدار ما طرأ على المجتمع العربي من التبدل الاجتماعي في العصر الأموي فقد نشأت طبقة من أبناء الأعيان وخاصة في مدن الحجاز ، توفرت لهم وسائل الحياة الناعمة وبسرت لهم مكاتهم الاجتماعية الانقطاع عن العمل فانصرف الشعراء منهم إلى وصف مغامراتهم اللاهية . وكان رائد هؤلاء عمر بن أبي ربيعة ومنهم ابن أبي هتيق وهو من سلالة أبي بكر الصديق والعرجي وهو من سلالة عثمان بن عفان ، والأحوص وهو من سلالة عاصم بن ثابت بن الألقع . فكانوا يتعرضون لزوجات الأمراء والأعيان وبناتهم ويذكرونهن في شعرهم وأذاعوا ذلك الشعر عن طريق الغناء وما كان أكثر المغنين هند ذلك من رجال ونساء . وما يلاحظ أن هؤلاء الشعراء

قلة شعورهم بالولاء له ، فابن ميادة مثلاً كان ابن جارية بربرية أو صقلبية وكان الحطيطه مطعوناً في نسبه .

وقد ظهر شعور الانفصال عن الحياة العربية في صورة أخرى وهي بدء الانتساب إلى العجم والمفاخرة بذلك الانتساب . قال ابن ميادة في بعض شعره :

أليس غلام بين كسرى وظالم
بأكرم من نيطت عليه العمام
وقال إسماعيل بن يسار - وهو مولى فارسي :

لنما سمي الفوارس بالفرس
مضاهاة رفعة الأنساب
اتركي الفخر يا أمام علينا

واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألي إن جهلت هنا وعنكم
كيف كنا في سائف الاحقاب

إذ نربي بناتنا وتندسون
سفاها بناتكم في التراب
وبما يذكر هنا أن ابن يسار هذا سبق

إلى نوع جديد من الغزل المكشوف بإبراز قصص دنيئة إلى الفساء . ومن أمثلة ذلك قصيدته التي يصف فيها هجومه على بيت امرأة متزوجة وقضاء ليلة معها ويقول في آخرها :

حتى إذا الليل بدا ضوءه
وغابت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفي كما
ينساب من مكنه الأرقم

فما حسن أن تأتي الأمر طائماً
وتجزع أن داعي الصباية أسمعاً
وقد سما بعض هذا الشعر بالحب إلى مرتبة فوق مرتبة الجسد وجعله أقرب إلى روحانية المتصوفة مثل قول الشاعر :

وإني لأستحييك حتى كأنما
عليّ بظهر الغيب منك رقيب

هلى أننا حين نستعرض شعر الغزل الأموي عامة سواء منه ما قاله أبناء الأعيان في مغامراتهم اللاهية أو ما قاله سواهم نستطيع أن نلمح أثر الإسلام في تطهير ذلك الشعر والحيلولة بينه وبين الإسفاف ، وإن كان بعض أهل ذلك العصر قد أنكر بعضه .

وعما يقال في هذا المعنى إن يزيد بن معاوية غضب على الشاعر أبي دهل حين قال في أخته عائكة بنت معاوية أبياتاً منها قوله :

وهي زهراء مثل أولوة الغواص
وميزت من أولو مكنون

غير أن أباه الحكيم لم يوافق على غضبه ولم يجد في ذلك الشعر ما ينبغي لأحد أن يغضب منه وهناك ظاهرة أخرى جديدة ظهرت لأول مرة في الشعر العربي وهي اتجاه قلة من الشعراء إلى الارتزاق بالهجاء لا بالمدح ، مثل ابن ميادة والحطيطه ، ويمكن تعليل هذا بأن الظروف الجديدة أدت إلى انفصال بعض طوائف المجتمع عنه وسلبت

استطاعوا أن يقوضوا دولة بني أمية و يقيموا بدلها دولة بني العباس وكان من المنتظر أن يتم الانصهار بينهم وبين العرب ويتكون من الجميع أمة عربية واحدة أساسها مثل الإسلام في الحرية والمساواة ، ولكن ظروفها كثيرة لا محل لذكرها هنا حالت دون هذا الانصهار . فاستمرت العناصر المختلفة في الأمة تعيش جنباً إلى جنب وهي شاعرة بتمييزها . وكانت خيبة أمل الموالي عقب انتصارهم وإقامتهم للدولة العباسية سيئاً في شعورهم بالانفصال عن المجتمع الذي يعيشون فيه . وكان لذلك للشعور أثر كبير في اتجاه الشعراء نحاول أن نقيمه في إنتاج ثلاثة من كبار شعراء هذا العصر وهم بشار بن برد وأبو العتاهية وأبو نواس ، وهم جميعاً من الموالي . كان بشار مولى إذ كان أبوه مولى لإحدى سيدات بني عقيل وكانت أمه بغير شك غير عربية وكان أبوه عاملاً فقيراً ودو قد ولد أعمى ، وكل هذه عوامل تؤدي إلى الانواء النفسي والشعور بالنقص وبالانعزال عن المجتمع ، واسكن بشاراً نشأ كما قال في حجور ثمانين من شيوخ فصحاء بني عقيل فكانت لغته عربية فصيحة خالصة ، ودروس العلم في حلقات كبار العلماء والمفكرين ولكنه لم يستقر على مذهب غير الشك ، وكان من الطبعي أن يبدأ حياته الشعرية بالهجا . وصرح بأن ذلك وسيلته إلى شق طريقه في مجتمع

فكان هذا الشعر من أشد ما قيل في هذا العصر جرأة على المحارم ، وما يجب أن نذكره هنا أن الخمر لم ترد إلا قليلاً في شعر هذا العصر إذا استثنينا الأخطل وأبا زبيد وعبد الرحمن بن أرتاة .

فالشعر العربي كما يبدو من هذا الاستعراض المجمل يبين ما طرأ على المجتمع العربي من طوارئ أحدثت ثلثة في وحدته الكاملة وأدت إلى شيء من الانفصام بين بعض الأفراد ومجتمعهم . ولكنه مع ذلك يدل على أنه بقي متصلاً بالحياة إلى حد بعيد متأثراً بها مؤثراً فيها محتفظاً بالولاء له وإن كان بعضه ولاء متكلفاً متذبذباً . وقلنا نجد في هذا العصر من الشعراء من تبدو على شعرهم دلائل الثورة أو الحقد على المجتمع أو الانعزال عنه والانطواء في أنفسهم شعوراً منهم بأنهم غير شاعرين بالانتماء إليه .

ولا نملك إلا أن نقول إن مكانة الشاعر في العصر الأموي قد هبطت هبوطاً ملحوظاً عن مكانته الاجتماعية في العصر الجاهلي ، فقد أصبح الكثير منهم تابعاً مرتزقاً من سادته لا صديقاً موالياً لقومه .

أما العصر العباسي الأول فقد شهد في الشعر تطوراً أبعد بكثير مما شهدته العصر الأموي ، وذلك لأن المجتمع العربي شهد انقلاباً من أشد الانقلابات التي تطرأ على حياة الأمم . فقد أصبح الموالي فيه قوة خطيرة إلى حد أنهم

وأجانب عنه ، واستمر في حياته يضم ثورة
عنيفة على ذلك المجتمع فلما أعلن إبراهيم
ابن عبد الله بن حسن العلوي ثورته على
أبي جعفر المنصور سارع بالانضمام إليه
وبعث إليه بقصيدة يهاجم فيها أبا جعفر
ويخاطبه قائلا :
أبا جعفر ما طول عيش بدائم
وما سالم عما قليل بسالم
غير أن هذه الثورة أخفقت وقبض على
إبراهيم وقتل ، فخشع بشار وبادر إلى تغيير
قصيدته وجعل مطلعها هجوما على أبي مسلم
الحراساني الذي قضى عليه أبو جعفر فقال :

أبا مسلم ما طول عيش بدائم .
وفي هذه القصيدة ينطلق بشار مع ثورته
مع إبراهيم العلوي فيقول متحمسا :
دخل الهويني للضعيف ولا تكن
نشوما فإن الحزم ليس بنائم
وما خير كف أمسك الغل أختها
وما خير سيف لم يؤيد بقاءه
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامه
شبا الحرب خير من قبول المظالم
إلى آخر ما قال فيها ، وهي تظهر قوة
شعوره الثائر على الدولة وعلى النظام القائم
معه .

وظهرت ثورته في نواح أخرى غير السياسة
فقد سلك مسلك ابن أبي ربيعة في الغزل
وغلا فيه غلوا شديدا ، أو هو سلك مسلك
عبد الرحمن بن أرتاة وزاد فيه مغالاة إلى
درجة الإفحاش ، واتخذ لنفسه مجلسا سماه
للبردان وكان النساء يحضرون إليه ولا شك
في أن أكثرهن كن من الجوارى ، حتى لقيه
هال ذلك كثيرا من المتحفظين من رجال
العلم والأدب ، ولكنهم كانوا يخشون هجاء
المقدع فاستعانوا عليه بالخليفة المهدي الذي
نهاه عن مسلكه ، وكان مذهبه في الحياة قائما
على الشك ويبدو ذلك واضحا في شعره فمن
ذلك قوله :

طبعت على ما في غير نخير
هواي ولو خيرت كنت المهدبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد
وقصر على أن أقال المغيبا
فأصرف عن قصدي وعلى مقصر
وأسمى وما أعقبت إلا التعجبا
وكان في حياته الخاصة على ما يبدو لا يرعى
حدًا من حدود الأخلاق الإسلامية وما يدل
على مذهبه الإباحي قوله :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهب
فهو يسخر من القضاء ويسخر من القيم
الاجتماعية ويذكرنا بمن يزعمون أنهم يتبعون
مذهب الوجودية .

وكان يصف عصره بأنه دهر اللثام : ويظهر

وكان يتوخى السهولة في ذلك الشعر ليكون
أسير بين العامة وماتزال بعض أشعاره تجري
إلى اليوم على الألسنة وقليل من الناس من
يعرف أنها لأبي العتاهية ، مثل قوله :

إن الفراغ والشباب والجدّة
مفسدة للمرء أى مفسدة
وقوله :

في سبيل الله أنفسنا
كلنا بالموت مرتين
كل حى عند ميتته
حظه من ماله الكفن
وقوله :

وكانت في حياتك لى عظات
وأنت اليوم أوعظ منك حيا
ومن أقواله في الهجاء :

وما تصنع بالسيف
إذا لم تكن قتالا
فصنع ما كنت حليـ
ت به سيفك خلخالا
ومنه في الشكوى .

حتى إذا انقلب الزمان
على حرت مع الزمان
وفي الغزل :

يا من رأى قبلى قتيلا بكى
من شدة الوجد على القاتل
ومنه في التصويف والزهد :

ضيقه به وتبرمه منه ، وظهرت ثورته كذلك
في ثورته على العرب وعلى قيمهم ، كما تدل
عليه أخباره وبعض أشعاره .

ولا شك أن هذا الروح الثائر الجريء
هو الذى حرك عليه خصومه حتى أوقموا به
عند الخليفة المهدي الذى أخذه كما قيل بتهمة
الزندقة وأمر بقتله أو بإهدار دمه ، وقيل إن
الخليفة نفسه لم ينج من لسانه ففسب إليه
شعر فيه تحريض شديد عليه وهو قوله :

بنى أمية هبوا طال نومكم
كما نسب إليه شعرا آخر فيه سب شنيع له
وطعن مقذع عليه . فشعر بشار مثال على
ما يكون عليه موضوع الشعر حين يحدث
الانقسام بين الشاعر وبين المجتمع الذى
يعيش فيه .

والشاعر الثانى هو أبو العتاهية . وهو مثل
بشار من أبناء الموالى ، وقد نهل الفصاحة
من مواليه في بادية الكوفة ، غير أنه لم
يكن في مثل جرأة بشار ، فلم يستطع أن
يسحق طريقه في المجتمع بالهجاء ، بل اتجه
إلى أن يظهر التواضع حتى لقد قيل إنه
اشتغل بالحجامة لإظهاراً لتواضعه ، وقد نهل
من العلم قدرا ولكنه لم يتخذ لنفسه مذهباً
إذا لم يجد من نفسه القدرة على الدفاع عن
مذهب يعتقدّه ، فاتجه إلى شعر الزهد وجعله
وسيلته للاعتياز والظهور في المجتمع .

فيا عجباً كيف يعصى الإله
 أم كيف يحجده الجاحد
 وفي كل شيء له آية
 تدل على أنه الواحد .
 ولكنه كان في قرارة نفسه ثائراً على
 الحياة والمجتمع . قيل إن أحد الناس سأله
 ماذا ينقش على خاتمه فأجاب : أكتب لعنة
 الله على الناس .
 وقال :
 برمت بالناس وأخلاقهم
 فصرت أستاذس بالوحدة
 ما أكثر الناس لعمري وما
 أقلمهم في حاصل العسدة .
 ومن قوله :
 قدشت في الدنيا فليس بها
 أحد أراه لآخر حامد
 حتى كان الناس كلهم
 قد أفرغوا في قالب واحد
 وقوله :
 فاضرب بطرفك حيث شئت
 فلن ترى إلا بخيلاً
 وقوله :
 يا أتنن من حش
 على حش إذا تاها
 أرى قوما يتيهون
 حشوشا وزقوا جاها

والحش هو بيت الخلاء ضيقاً .
 وبما يدل على يأسره من المجتمع :
 ليس لمن ليست له حيلة
 موجودة خير من الصبر
 فاخط مع الدهر إذا ما خطا
 واجر مع الدهر كما يجري
 من سابق الدهر كبا كبوة
 لم يستقلها آخر الدهر .
 ويبدو أن نظرنه المتشائمة بالحياة وما فيها
 وقسوته في الحكم على عصره هما السر في
 انصرافه إلى شعر الزهد . فهو من هذه الناحية
 منفصل عن مجتمعه ثائر عليه وإن كانت ثورته
 من نوع آخر غير ثورة معاصره بشار ،
 فهي ثورة حققد ولكنها مقرونة بالهروب .
 والثالث من شعراء هذا العصر أبو نواس .
 وهو مولى كصاحبيه . وكان منذ طفولته
 وحيداً إذ خلفه أبوه طفلاً ، وكانت أمه على
 ما قيل ترتزق من حياة غير شريفة صرفتها
 عن رعايته ، فوزع وقته منذ صغره بين
 التماس الرزق الضئيل لنفسه وبين الاختلاف
 إلى مجالس العلم والأدب في المسجد والجامع
 بالبصرة وهي من أكبر مراكز العلم والأدب
 في عصره ، وتقاضت به ظروف حياته
 القاسية وهو وحيد من العائل والحامى
 والعاطف ، فطرحت به هذه الظروف إلى
 الكوفة ، وكانت مركزاً للحياة زاخرة مثل

البصرة ، وكان ما زال في سن الشباب ، فألقى نفسه في محيط مائج من دفعات الغرائز ومن تيارات الأفكار المتضادة والعقائد الاجتماعية المتصارعة ، وكان لا يستطيع بالطبع أن يجد منفذا إلى طبقة من الناس غير أمثاله من الموالى الذين لا يجدون من تقاليد طبقتهم ما يحول بينهم وبين اقتحام الحدود التي يتجنب أصحاب المروءة اقتحامها ، وقد نزح حيننا إلى البادية فعاش بين فصحاء بني أسد كما عاش بشار بين فصحاء بني عقيل .

فألقى نفسه في محيط مائج من دفعات الغرائز ومن تيارات الأفكار المتضادة والعقائد الاجتماعية المتصارعة ، وكان لا يستطيع بالطبع أن يجد منفذا إلى طبقة من الناس غير أمثاله من الموالى الذين لا يجدون من تقاليد طبقتهم ما يحول بينهم وبين اقتحام الحدود التي يتجنب أصحاب المروءة اقتحامها ، وقد نزح حيننا إلى البادية فعاش بين فصحاء بني أسد كما عاش بشار بين فصحاء بني عقيل .

فقلت ما ضرب به صاحبنا
والقلب متى جامع قاس
لا خير في اللذات ما لم يكن
صاحبها منكشف الرأس

ولست أريد أن أجادل في قيمة شعره من ناحيته الفنية فهذا خارج عن حدود هذا الحديث الذي أتناول فيه الموضوع في الشعر ، غير أنني أجد من الضروري أن أشير إلى ظاهرة واحدة تميز أسلوبه فهو لا يكاد يتكرر معنى وتكاد صوره تكون محصورة في عدد قليل من المعاني يكررها ويلبسها أثوابا شتى .

فهو مثلا يكثر من تشبيه الخمر بالنار أو للنور ويكثر من تشبيه الحب بالجوهر من لؤلؤ ودر وغيره .

ومثل أمثلة هذا أقواله الآتية :

وكما عاش أبو العتاهية بين فصحاء بادية الكوفة ثم نزح إلى بغداد فواجه الحياة المضطربة فيها كما يواجه الحيوان الصغير الوحيد مخاطر الغابة ، متجديا دائما متحفزا للدفاع عن وجوده في كل لحظة ولم يجد لنفسه الطموح فرصة تحقق له ما يرضى طموحه فامتثلت بالخبية ، ولم يجد متنفسا لطموحه إلا في مجتمع صخير من أمثاله ، رفهوا عن نفوسهم التي امتلأت بشعور الخيبة بالتماس النسيان الذي تبعثه الخمر أو في الإثارة التي تبعثها نشوتها فيهم فكانت ثورتهم على مقدسات المجتمع تشعرهم بشيء من رضى التشقى .

وانطلق في حياته هذه أثرا حائقا على كل ما يتصل بالمجتمع من دين وعرف ، بل لقد شملت ثورته كل ما خاب في تحقيقه من

وأمثال هذه كثيرة تكاد لا تخلو منها
قطعة من خرياته .

ومن استعارته النار أو النور لوصف
الخمر قوله :

كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى لها إلى الشرف الأعلى شعاعا مطنيا

تلتهب الكف من تلمها
وتحسر العين أن تقصاها

كأن نارا بها محرشة
نهاها تارة ونغشاها

فلو مزجت بها نورا لمازجها
حتى تولد أنوارا وأضواء

وهو يصف الخمر بالقدم ، ويكرر هذا
المعنى كذلك تكرارا لا ينبغي أن أطيل
بعد هذا في إيراد الأمثلة عليه . ومن هذا
يظهر أن صورته لم تكن أصيلة ولا غزيرة
النبع فالصفة الأصيلة في أبي نواس هي أنه
كان ناثرا على مجتمعه وكانت ثورته عليه تتمثل
في تحدى مقدساته ومثله ونظمه .

وكان أحيانا يجهر بما يدل صراحة على
الثورة المنطوية في أعماقه فمن ذلك قوله :

سأبغى الغنى إما نديم خليفة
يقوم سواء أو يخيف سييل

بكل فتى لا يستطار جناحه
إذا نوه الزحفان باسم قتيل

فالخمر ياقوتة والطاس لؤلؤة :

كأن صغرى وكبرى من فواقها
حصباء در على أرض من الذهب

فإذا علاها الماء ألبسها
حبيا كمثل جلاجل الجمل

ثم شجت فأدارت
فوقها طوقا فدارا

كأقتران الدر بالدر
صفارا وكبارا

شجت فعالت فوقها حبيا
متراصفا كتراصف النظم

ثم شجت فـأدارت
فوقها مثل العيون

حدقا تنو إلى النـا
لم تحجر بجفـون

ذهبا يثمر درأ
كل إبان وحين

إذا شجها الساقى بماء وأيتها
مكللة الأعلى بطوق جمان

حتى إذا مزجت بالماء واختلطت
حاك المزاج لها من لؤلؤ فلكا

إذا ما علاها الماء خلعت حبابها
تفارق در في جوانبها شتى

فإذا الماء شجها خلعت فيها
لؤلؤاً فوق لؤلؤ مسلوكا

فلأنتقل بعد هذا إلى عرض نتيجتين لهما علاقة وثيقة بشقاقتنا العربية في عصرنا الحاضر: النتيجة الأولى هي أن تراثنا الثقافي يشتمل على هذا الإنتاج الأدبي الذي انحدر إلينا من عصر بعد عصر ، متزايداً على مر الزمن حتى صار اليوم خزاناً ضخماً تجمعت فيه روافد شتى الألوان والأنواع مما بعثت به العصور المتعاقبة التي مرت بها الأمة العربية في أدوار حياتها الماضية ، منها عصر الجاهلية الذي ساد الانسجام بين الفرد ومجتمعه ومنها العصر الإسلامي الأموي الذي بدأت عوامل الحياة الجديدة تطرأ عليه وأهمها بدء امتزاج العرب بغيرهم من الشعوب ، ثم العصر العباسي الأول الذي اجتمعت فيه أخطا شتى من شعوب لم يتح لها بعد أن تنصهر في أمة واحدة جديدة متجانسة ، ثم أخذت هذه العناصر المختلفة تنصهر معا على توالى القرون وواجهت معا أحداثاً عنيفة ومغامرات قاسية ، خرجت منها أمة عربية حديثة صارت تزداد انصهاراً وامتزاجاً على مر عدة مئات من السنين حتى انتهت إلى هذا العصر الحاضر وقد تم انصهارها معا أو كاد ، وأصبحت أمة عربية موحدة الوعي والشعور موحدة المثل العليا والقيم إلى حد كبير .

فإذا أردنا أن نعرض تراثنا الأدبي على ناشئة هذه الأمة الجديدة كان جديراً بنا أن

ليخمس مال الله من كل فاجر
وذى بطنة للطيبات أكل
لم تر أن المسال هون على التقى
وليس جواد معدم كبخيل

من هذا الاستعراض للوضع الشعري في العصور الثلاثة التي مر بها يمكن أن أقول إنه انتقل من تعبير صادق يميزه الولاء للمجتمع في العصر الجاهلي إلى تعبير مختلف الوجهة في العصر الأموي وانتهى في العصر العباسي الأول إلى تعبير فردي يميزه الثورة على المجتمع ، ومن الممكن أن نميز بين طرفي هذا التطور في موضوع الشعر العربي بما يميز به علماء النفس بين للظواهر النفسية للأفراد إذ يصفون بعضهم بالانطلاق Extrovert ويصفون بعضاً آخر بالانطواء Introvert فالشاعر الجاهلي كان منطلقاً يعيش في المجتمع ومعه وينظر إلى شخصه من خلال نظرتة إلى الحياة ويعبر عن انفعاله بما حوله تعبيراً يسوده الولاء لمجتمعه سواء كان راضياً عنه أو ساخطاً عليه على حين كان الشاعر في العصر العباسي الأول أقرب ما يكون إلى وصف الانطواء ، إذا كان ينظر إلى الحياة من خلال شخصه فلا ينفع إلا طوعاً لمشاعره الخاصة واتجاهاته النفسية التي يميزها الانقصاص عن المجتمع ، فهو لا يضمحل للمجتمع ولا بل يضمحل له الحقد والثورة والسخرية المرة القاسية.

والنتيجة الثانية التي أود أن أعرضها تتصل بنقد الأدب ونقاده وهذا ما صقت هذا الحديث من أجله قصداً . فنحن اليوم كما قدمت أمة عربية حديثة موحدة الوعى والمشاعرومن الطبيعي أن يشعر الفرد منا اليوم بالولاء الكامل لمجتمعه سواء في حال رضاه عنه أو سخطه عن بعض مافيه ، غير أننا في الوقت عينه نعيش وسط عالم إنسانى أصبح قريبا منا سهل الاتصال بنا ولا نستطيع أن نباعد بيننا وبينه سواء أردنا ذلك أو لم نرده .

وأهم العالم تتفاوت في ظروفها وقد يكون منها أمة استقرت فيها الحياة على الولاء الكامل بين الفرد ومجتمعه ومنها أمة أخرى قد تكون في مرحلة زعزعة وبلبلة تتعرض لظاهرة الانفصام بين الأفراد ومجتمعهم . وهناك ما يدل دلالة واضحة على أن بعض اتجاهات الأدب في بعض الأمم تشبه اتجاه الأدب في العصر العباسي الأول من ناحية ثورته وخروجه على مثل المجتمع وقيمه ومن حيث احتقار أدبائها لتلك المثل والقيم .

والأسباب التي تجعلنا نطلب التحرى في اختيار ما يناسب حياتنا الحاضرة من تراثنا الأدبي تجعلنا نطلب من النقد والنقاد أن يتحروا كذلك في اختيار مذاهبهم النقدية فلا يقبلون مذاهب النقد الأدبي التي ترد إلينا من الأمم التي أصاب الانفصام مجتمعها ، فإن

نذكر أنه تراث مختلف الأنماط منبعث من شتى الانفعالات في العصور المتوالية وأن حياتنا الحاضرة لا يلائمها إلا أن يكون أدبها متميزا بالولاء الكامل للمجتمع فالتراث الأدبي في مجموعه وإن كان جديرا بأن يتوفر عليه الدارسون المتخصصون ، فإن الثقافة العامة للأجيال الناشئة تتطلب أشد التحرى في اختيار ما يعرض منه على الناشئة مما يلائم حياتهم الاجتماعية الحاضرة والمنشودة في نهضتنا الحديثة .

وقد أدركت أجيال سابقة من الأمة العربية ضرورة التحرى في اختيارها لما يعرض على طلاب الثقافة من ناشتتها ، فعمد كبار أدبائها إلى إعداد المختارات الملائمة التي تعزز المثل العليا والقيم التي ينبغي للناشئة أن يتعلموا بها ومن هذه المختارات حماسة أبي تمام وحماسة البحتري وغيرهما .

فمن الواجب أن يهتم المشرفون على تثقيف الأجيال الناشئة في وقتنا هذا بإعداد المختارات الأدبية الجامعة لروائع الشعر العربي بخاصة وأن يهتموا بنشر روائع الأدب العربي والأجنبي بصفة عامة مع التحرى أن يكون هذا كله مما يلائم روح هذا العصر الذي عادت فيه الوحدة إلى الأمة العربية بعد انفصال عناصرها معا وصار من الطبيعي أن يكون التضامن أو التجاوب كاملا بين الفرد والمجتمع

سخط الولي العاطف المتضامن لا سخرية للناشر المنعزل الكاره المتحدى .

أما الأديب الذي لا يأبه إلى خير مجتمعه ولا يعتمد بقيمه ولا بمشله العليا ويزعم أنه يعيش لنفسه وأنه ينصرف إلى قته من أجل الفن وحده ولا يعنيه ما يشول إليه أمر المجتمع فلا يهمه أن يبقى متاسكا ويزيد صلاحا أو أن يضطرب أمره ويضمحل شأنه ، فإن المعنى الحقيقي لموقفه من مجتمعه هو أنه ثائر عليه ويقصد إلى هدمه وهذا ما أقصده حين أقول إن مثل هذا الأديب ينطبق عليه وصف الانطوائى الساخر الخائى الذى لا ينطوى على ولاه لمجتمعه .

وهناك أمثلة لهذا الصنف من الأدباء فى أمم العالم الأخرى ممن بدأبون على إثارة الغرائز والهوجاء البدائية التى لا تلائم المجتمعات فى وقت نهضتها بل تنطابق فيها حين تدركها الشيخوخة الحضارية وتقرب بها إلى الفناء ، وهناك من هذا الصنف من الأدباء من يدعوون إلى التحلل من الحدود والقيود التى تعارف عليها المجتمع صيانة لسيكياته من الانهيار فيزيفون لأنفسهم بعض المذاهب الفلسفية كالوجودية وهم لا يدرون ما هو ذلك المذهب الذى يزيفونه لأنفسهم كما فعل غيرهم من قبل حين زيفوا مذهب أبيقور الفلسفى وصرفوا معناه إلى التماس اللذات

(البقية على صفحة ٧٠)

تلك المذاهب تتعارض ومرحلة الحياة التى نعيشها فى هذا العصر .

وقد بينا فى أول هذا المقال أن مذهب النقد القائم على شعار « الفن للفن » ليس له معنى فى الحقيقة إلا أن يتحلل الأديب من كل اعتبار اجتماعى ، فلا يلتزم بأن يكون الإنتاج متصفا بالولاء للمجتمع سواء كان راضيا عنه أو متعرضا لنقده ، ولا يلتزم بأن يكون الإنتاج مساهرا للشل العليا التى يؤمن المجتمع بها أو يكفر بها ولا يهمه فى شيء أن يكون الإنتاج حاقدا على المجتمع هادما له أو داعرا ماجنا يسخر من مقدساته وينتهك حرمانه مادام يحقق غاية واحدة وهى خضوعه لشعار « الفن للفن » .

إن الأسلوب الفنى مفترض فى كل إنتاج أدبى ، فأمم ما ينبغى أن ينظر إليه فى النقد بعد تحقق الأسلوب الفنى هو « الموضوع » ومقدار ما ينطوى عليه من ولاه للمجتمع واتصال نفسى عاطف به .

وليس معنى ذلك أن يكون الإنتاج راضيا عن كل ما فى المجتمع بل قد يكون متصفا بالولاء الكامل له مع نقده وإبداء السخط على بعض مظاهره ، وفى هذه الحالة يكون نقد الأديب لمجتمعه نابعا من رغبته فى تسديده وتوجيهه إلى وجهة أفضل ، فيكون سخطه

السَّبْعَةُ الْأَحْرُفُ

التي أنزل عليها القرآن

للأستاذ محمد محمد الشرفاوى

— ٢ —

فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى أتتهى إلى سبعة أحرف ، أقول : هذا الحديث لم يصرح بسأعه من الرسول ، وقال ابن حجر فيه : « لعله سمعه من أبى ابن كعب ، والحديث مشهور عن أبى ونصه كما فى مسلم : « كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل رجل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ ، فحسن النبى شأنهما ، فسقط فى نفسى من التشكيز ولا إذ كنت فى الجاهلية ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيتى .. ضرب فى صدرى ، ففصنت هرقا . وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا .. فقال : يا أبى .. أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هوّن على أمى ، فرد إلى الثانية : اقرأ على حرفين ، فرددت إليه :

مهما يكن الاختلاف فى صور كلمات القرآن الكريم فهى لم تخرج فى مجموعها عن لغات القبائل السبع من مضر ، وعلى هذا يتخرج قول عمر : إن القرآن نزل بلغة مضر .. ونرى أن هذا أولى من القول المنسوب لابن عباس من أنه نزل بلغة خمس من قبائل هوازن وتسمى هليسا هوازن وبلغتين لسائر العرب .. ذلك لأن ابن عباس الذى نسب إليه هذا قد نسب إليه رأى آخر وهو أن القرآن نزل بلغة الكعبيين : كعب قريش ، كعب خزاعة ، قيل وكيف كان ذلك قال : لأن الدار واحدة ، يعنى أن خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغاتهم .. وبهذا ظهر التردد واضحاً فى هذا الرأى .. وذلك بالإضافة إلى أن ابن عباس رضى الله عنه يعتبر فى حديث الأحرف السبعة ناقلاً عن سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا سامعاً منه عليه الصلاة والسلام وحديثه الذى أخرجه الشيخان عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأنى جبريل على حرف ..

سوى خمسة لأن أكثرها غير مختار ، وقد أوصاها البعض إلى أربعين ، ولاداعي للإفاضة في تعدادها ، وتفصيل ما بها ، لأنها متشابهة ، ومحتملة ، وغيرها محتمل ، ولذا قال المرسى : « لا أدري مستندها ، ولا عنى فقلت ، ومنها أشياء لا أفهمها على الحقيقة ، وأكثرها معارضة الحديث عمرو وهشام الذى فى الصحيح ، ، ولقد وقع الاختلاف فى قراءات القرآن بين أكثر من اثنين من الصحابة : فمن ذلك ما بين عمر وهشام ، وما بين أبى وابن مسعود ، والأول فى الفرقان ، والثانى فى سورة النحل ، ومن ذلك ما وقع بين عمرو بن العاص وصحابة آخر .. وترجع أسباب هذا الاضطراب .. بين الأصحاب فى جملتها .. إلى عامل تمخضت عنه طبيعة الظروف التى عاشتها الدعوة الإسلامية وحثمية الأطوار التى مرت بها .. وذلك هو انعدام عنصر التجميع لهذه القراءات فى مقام واحد ، أو مقال جامع ، إذا كان التشريع يسير احتياجات الناس فى كل بادرة تسنح ، أو فرصة تواتى ، .. الأمر الذى جعل من المتعذر على عمر وهو من أصدق الناس بالرسول - أن يتعرف ما يكون قد طرأ على ما قد كان من أوجه القراءة . بحيث استنكر قراءة هشام حين سمعها منه ولم يكن قد سمعها من الرسول بعد .. فى الوقت الذى

أن هوتن على أمى ، فرد إلى الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف .. فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمى ، اللهم اغفر لأمى ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم ، .

فابن عباس رضى الله عنه — نظراً لحدائث سنه وقت لترخيص بالقراءة — قد رجح العلماء أنه ناقل لاسامع ، ومن هذه الرواية نجد أن عمر من حيث إنه سامع لا ناقل أبرز فى معرض الاستدلال حين يحدد قراءات القرآن بقبائل مضر - ولذا قلنا إن الأحرف السبعة هى على تعددها لا تخرج عن تلك القبائل التى هى أفصح من لطق بالاضاد .

وكما روى هذا الحديث عن أبى بن كعب روى مثله عن عمر بن الخطاب ، وهشام ابن حكيم ، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى ، وحذيفة بن اليمان ، وأبى بكره ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وعمر بن أبى سلمة ، وأبى الجهم ، وأبى طلحة الأنصارى ، وأم أيوب الأنصارية حتى عده البعض من المتواتر وقد بلغ الخلاف فى هذه الأحرف السبعة مبلغا كبيرا حتى أوصاها القرطبي فيما نقل عن ابن حبان إلى خمسة وثلاثين قولاً وإن كان لم يذكر منها القرطبي.

سبقه بعلمها من دعت الحاجة إلى التمجيل بعلمه .. قال ابن حجر : « كان سبب اختلاف عمر وهشام في القراءة أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قديما .. ثم لم يسمع ما نزل فيها بعد ذلك .. لأن هشام كان من مسلمة الفتوح .. فكان النبي أقرأه على ما نزل أخيرا فنشأ اختلافهما من ذلك .. » .

وحقيقة اختلاف الأحرف السبعة كما نقل
عن ابن الجوزي : أنه اختلاف تنوع وتغاير .
لا اختلاف تضاد وتناقض . . فهذا محال
في كلام الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن
ولو كان من عند غير الله لكو جدوا فيه
اختلافا كثيرا » . وكل ما صح عن النبي من
ذلك وجب قبوله .. إذ كل قراءة مع الأخرى
بمنزلة الآية مع الآية ، ومن كفر بحرف
قرأني تواتر ثبوته فقد كفر بالقرآن كله ،
كما أشار إلى ذلك ابن مسعود ، وكما أشار
الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله لأحد
المختلفين في القراءة : « أحسنت ، وللآخر :
« أصبت » ، ولثالث « هكذا أنزلت » .

وهذا يفترق خلاف القراء مع خلاف
الفقهاء ، فالاول كله قطعي وحق لانه من
عند الله بيقين ، والثاني كله ظني لانه نتيجة
إعمال الرأي ، وإمعان الروية ، فكل مذهب
فقهي بالنسبة لصنوه صواب يحتمل الخطأ . .
في حين أن كل قراءة بالنسبة إلى صاحبها
صواب تقطع به .

أولاً: اختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى
والصورة نحو: بحسب بفتح السين وكسرها .
ثانياً : اختلاف في الحركات مع تغيير في
المعنى دون الصورة : نحو : إذا كر بعد أمة
بالتشديد ، وأمه بالتخفيف وهو النسيان .

أرجل وخفضها ، والأولى توجب غسل الرجلين ، والثانية توجب المسح ، وقله بهن الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسح للابس الخف ، والغسل لغيره ، وإما لتفسير كلمة على خلاف ما يظهر منها : « فامضوا إلى ذكر الله ، فقد بينت أن المراد من قراءة « فاسعوا ، ليس السير السريع ، وإما لتوضيح المراد بما قد لا يعرف مثل : « كالصوف المنفوش ، بالنسبة إلى « العن المنفوش ، ومنها ما يتخذ أهل الحق برهانا يحجون به من عداهم مثل « وملكاً كبيراً ، بكسر اللام ، وهو من أعظم الأدلة على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ونحو ذلك .

وتمت مسألة جديرة بالنظر في هذا المقام وهي : هل مصحف عثمان الإمام الذي تداوله اليوم يشتمل على الأحرف السبعة كلا أو بعضا ... ونحن إذا ضربنا صفحا من الخلاف الذي وقع حول تلك المسألة وما أكثره . نرى أن الذي ارتضاه المحققون مما يمشى مع روح الدليل هو ما قرره السيوطي في الإتيان بقوله : « ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصحف الذي بالأصناف مشتملة من الأحرف السبعة على ما يتفق مع رسم المصحف العثماني وما يحتمله رسمه ، وأن هذا المصحف جمع العرضة الأخيرة التي عرضها

ثالثا : اختلاف في الحروف مع تغير المعنى دون الصورة نحو : تبلو ، تتلو .
 رابعا : اختلاف في الحروف مع تغير الصورة دون المعنى نحو : الصراط والسرائط .
 خامسا : اختلاف في الحروف مع تغير في المعنى والصورة نحو : يأ تل : يتأل بتشديد اللام .
 سادسا : اختلاف بالتقديم والتأخير نحو وجاءت سكرة الموت بالحق ، وجاءت سكرة الحق بالموت

سابعا : اختلاف بالزيادة والنقصان : نحو أوصى ، ووصى . وقد حاول الرازي مثل تلك المحاولة في الفهم والاستنباط كما حاول ابن قتيبة .

ولم تخل تلك الخلافات التي انطوت عليها الأحرف السبعة من حكم بالغة : فهي إما لبيان حكم يجمع عليه مثل « وله أخ أو أخت من أم ، في قراءة سعد بن أبي وقاص فإنها توضح المراد من الإخوة وأنهم لأم وهو محل اتفاق وإما لترجيح حكم يختلف فيه كقراءة أو تحرير رقبة مؤمنة ، في كفارة اليمين وفيها ترجيح دليل من اشترط الإيمان في الرقبة ، وإما لتجميع حكمين متخالفين في العمل نحو « حتى يطهرني ، بتخفيف الطاء وتشديد ما حيث أفادت وجوب الجمع بين انقطاع الدم والغسل أو مدة الغسل عند حل الاستمتاع بالمرأة ، وإما لبيان حكمين متخالفين نحو « وامسحوا برءوسكم وأرجلكم ، بنصب

النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض فيه ولم يترك منها حرفاً واحداً ، قال ابن الجزرى : « وهذا هو الذي يظهر صوابه وهو المتفق على إنزاله المقطوع به المكتوب بأمر النبي صلى الله عليه وسلم كما وقع في المصحف المسكى : « تجرى من تحتها الأنهار ، في آخر برائة ، وفي غير هذا المصحف بدون من ، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من عدة واوات ثابتة في بعضها دون البعض ، وكذا عدة هاءات ، وعدة لامات ونحو ذلك ، وهو محمول على أنه نزل بالأميرين معا ، وأمر النبي شخصين بكتابتهما ، أو أعلم شخصا واحدا مرتين وأمره بإثباتهما ، وهذا يقوى ما سبق أن حققه ابن الجزرى من أن أساس جمع المصحف شيثان : العرضة الأخيرة ، وما صح بما لم ينسخ ولولم يرد بالعرضة الأخيرة . ومن هنا نشأ خلاف المصاحف ، وأما ما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كان قد جوز توسعة على الناس في أول الأمر ... فلما آل الحال إلى أن قال بعضهم لبعض : قراتي خير من قراءتك ، وأشار بعض ذوى الفطنة على عثمان بضرورة تلافى الشر قبل استفحال اختار الصحابة بزعامه عثمان الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته ، وتركوا الباقي . قال الطبرى : وصار هذا

الاقتصار كمن اقتصر على خصلة واحدة من خصال الواجب التحير ، لأن أمرهم بالقراءة على الأوجه المذكورة لم يكن على سبيل الإيجاب ... بل على سبيل الرخصة بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فاقروا ما تيسر منه ، ووافق الطبرى جماعة منهم ابن عمار في شرح الهداية حيث قال : « أصبح ما عليه الخذاق أن الذي يقرأ به الآن بعض الحروف السبعة المأذون في قراتها لا كلها ، وضابطه ما وافق رسم المصحف ، فأما ما خالفه مثل : « أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج ومثل : « إذا جاء فتح الله والنصر ، فهي من تلك القراءات التي تركت ، وعلى هذا تكون القراءات السبع المشهورة جزءا من الأحرف السبعة - لا أنها الأحرف السبعة ، وكذا غيرها من سائر القراءات .

وقال البغوى : « المصحف الذى استقر عليه الأمر هو آخر العروضات على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف وجمع الناس عليه ، وأحرق ما سوى ذلك قطعا لمادة الخلاف ... فصار ما يخالف رسم المصحف في حكم المنسوخ كسائر ما نسخ ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم .»

فالحق : أن القرآن الذى بأيدينا اليوم هو من جمع عثمان ، وأنه تتوزع فيه الأحرف

السبعة الموجودة الآن هي التي أريدت في الأحاديث الشريفة . . وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة . .

وأول من جمع القراءات السبع المعروفة هو أبو بكر بن مجاهد في المائة الرابعة من الهجرة ، وقد كان السبب في نشوء هذا الاشتباه أن الناس سمعوا حديث د أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ، وسمعوا أيضاً معه القراءات السبع . . فأشكل عليهم الأمر ، وخلطوا بين قراءات سبع ، وأحرف سبعة ، وظنوا أنهما سواء . . ولذا كره كثير من المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء ، وخطئوه في ذلك ، ورأوا أن الصواب إما النقص عن هذا العدد . . أو الزيادة عليه ليزول الالتباس ، من أفهام الناس . . قال الإمام أبو العباس المهدوي : د فأما اقتصار أهل الأمصار في الأغلب على نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وطائفة وحزة والكسائي فقد ذهب إليه بعض المتأخرين اختصاراً واختياراً ، فجعله عامة الناس كالغرض المحتوم . . حتى إذا سمع ما يخالفها . . حكم بالخطأ والكفر . . وربما كان ما يخالفها أظهر وأشهر ، ولقد فعل مسجع السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله ، وأشكل على العامة حتى جهلوا ، وليته إذا اقتصر . . نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة . .

السبعة . . بمعنى أن بعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة أسد ، وهكذا . . ولا تساعدنا النقول التي بأيدينا على تحديد كل بعض من هذه الأبعاض ، وأن الأحرف السبعة لا يوجد منها في ذلك المصحف إلا ما يحتمله الرسم فقط وهو ما يتفق مع آخر عرضة القرآن على جبريل عليه السلام ، وما سوى ذلك فقد أجمع الصحابة على تركه ، ولا يترتب على تركه محذور . . لأنها قراءات اختيارية بحسب أصلها . . قال ابن جرير : د إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن أمراً واجباً . . بل كانت جائزاً . . فلما رأى الصحابة أن الأمة تفرق وتختلف إذا لم يجمعوا على حرف واحد . . اجتمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً . . وهم معصومون من الاجتماع على ضلالة ، ولا شك أن القرآن نسخ منه في العرضة الأخيرة ، فانفق رأى الصحابة على أن يكتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقر في العرضة الأخيرة ، وتركوا ما سوى ذلك .

وبما تجدر الإشارة إليه : أن مفهوم الأحرف السبعة شيء ، ومفهوم القراءات السبع التي يترجم بها القراء اليوم شيء آخر . . ذلك لأن القراء الذين تنسب إليهم هذه القراءات لم يكونوا قد خلقوا زمن الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن . . قال أبو شامة : د ظن قوم أن القراءات

اقتصروا على ما يوافق خط المصحف مما يسهل حفظه ، وتنضبط قراءته ، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر ، في ملازمة القراءة ، ثم اتفقوا على الأخذ عنه ، وأفردوا لكل مصر إماما واحدا .

وقد اقتصر ابن جبير على خمس قراءات لأن مصاحف عثمان إلى الأمصار كانت خمسة ، ويقال إن عثمان وجه إلى البحرين مصحفا سادسا ، وإلى اليمن سابعا ، ولكن لم يسمع لهذين المصحفين الآخرين خبر ، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف فاستبدل من غير البحرين واليمن قارئين ليكمل بهما العدد ، فتصادف توافق عدد القراءات مع عدد الأحرف ، فظن من لم يعرف أصل المسألة أنهما سواء ، وليس الأمر كما ظنه . وتعتمد القراءات السبع في ثبوتها على دعائم ثلاث : ما صح سنده في الصواع .. ، وما استقام على العربية وجهه .. ، وما وافق خط المصحف .. ومتى فقد شرط من ذلك فهو الشاذ - كما نقل عن السكاوي .

وأول من جمع القراءات كلها في كتاب : أبو عبيدة بن سلام وجعلهم خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة .

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة ابن مجاهد ثم تسابع المؤلفون حتى بلغ عدد القراء في كتبهم أكثر من سبعين من هو أعلى رتبة ،

وقد سئل ابن عيينة عن الاختلاف بين العراقيين والمدنيين في القراءة : هل هو الأحرف السبعة ؟ قال : لا ، إنما الأحرف السبعة مثل : هلم وتعال وأقبل . . أي ذلك قلت أجزأك ، وقال ابن وهب مثله .

وقال ابن العربي : ليست هذه السبعة متعينة للجواز بحيث لا يجوز غيرها . . بل هناك غيرها ما هو مثلها أو فوقها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم . . والسبب في اختلاف القراءات السبع المشهورة - على ما ذكره ابن أبي هاشم : أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها عدد من الصحابة ، وكانت المصاحف بلا نقط ولا شكل ، فأخذ أهل كل جهة يتلقون القرآن من الصحابة الذين بساحتهم بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً لأمر عثمان ومن معه ، واحتياطاً للقرآن ، فمن ثم .. نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم على بعض من الأحرف السبعة .

وقد تعددت القراءات إلى ما وراء السبع والعشر وأوصلها أبو حاتم إلى ما فوق عشرين رجلاً لكل منهم قراءة ، واقتصر أبو عبيدة على خمسة عشر ، وزادها الطبري إلى اثنين وعشرين . . بيد أن الاختصار على السبعة له ما يبرره . . فمن ذلك ما قاله مكي : إن الرواة كانوا كثيرين جداً ، فلذا تقاصرت المهم ..

أنزل عليها القرآن ليست موجودة الآن بالوضع الذي كانت عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن عثمان اكتفى بما جمع منها في المصحف الإمام ، وأحرق ما سوى ذلك ، وصار ما عداه في حكم المنسوخ ، وأن الموجود بالمصحف الذي بأيدينا هو خليط من هذه الأحرف السبعة من غير تحديد لكل بعض على حدة ، وأن الأحرف السبعة هي كلمات متنوعة مترادفة تعبر عن معنى الكلمة الواحدة وأن هذه الكلمات المتنوعة قد تكون في لغة واحدة ، وقد تكون في لغات مختلفة ، وأن السبب في شرعيتها هو إرادة التيسير والتسهيل على الأمة وأن عثمان استهدف من الاختصار على بعض الأحرف السبعة لإخاد وميض الفتنة الذي هدده الأمة الواحدة بالتصدع والانحيار . ومن أمثلة هذه المترادفات : انظرونا أمهلونا أخرونا أرقبونا ، تعال . . هلم أقبل فامضوا إلى ذكر الله ، فاسعوا إلى ذكر الله . والكلمات التي تصل مترادفاتهما في القرآن إلى سبعة قليلة جدا .

وأن الشارع الحكيم اقتصر على سبع قراءات للكلمة الواحدة لعلمه أن الكلمة من القرآن لا يزيد عدد مترادفاتهما عن ذلك بحسب أفصح اللغات . . أو غالبا .

محمد محمد الشرقاوي

المدرس بمعهد الإسكندرية الديني

وأجل قدرا من هؤلاء السبعة ، وقد ترك البعض ذكر بعض هؤلاء السبعة ، فأهمل أبو حاتم ذكر حمزة والكسائي وابن عامر ، وزاد نحو العشرين ممن هم فوق ذلك ، وكذلك فعل الطبري ، وزاد نحو خمسة عشر ، فكيف يظن ظان بعد ذلك أن هؤلاء السبعة المتأخرين هم أصحاب الأحرف السبعة المنصوص عليها . . هذا تخلف عظيم . . أكان ذلك بنص نبوي ؟ . . أم كيف كان ذلك ؟ على حد تعبير أبو محمد مكي . . وكيف يكون ذلك . . والكسائي إنما ألحق بالسبعة في أيام المأمون ، وكان السابغ في ترتيب السبعة : يعقوب الحضرمي . . ثم جاء ابن مجاهد سنة ثمانمائة فأثبت الكسائي في موضع يعقوب ، وقال ابن تيمية : لا نزاع في أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة ، وأول من جمعها ابن مجاهد ليوافق عدد الأحرف . . لا لاعتقاده أنها هي . . أو أنه لا يجوز أن يقرأ بغيرها ، وكذلك ليست هذه القراءات السبع هي مجموع حرف واحد من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم . .

هذا . . وأصح القراءات السبع المشهورة من جهة السند : قراءتا نافع وطاسم ، وأفصحها قراءتا أبي عمرو والكسائي .

وبعد :

فما تقدم يتبين أن : الأحرف السبعة التي

نقد وصال :

الموازنة في التاريخ الإسلامي

للاستاذ محمد رجب البيومي

التاريخ ميدان فسيح يجذب إليه أقلام
الكاتبين، فترى الحادثة القديمة تقرر بالحادثة
الطارئة ، في نسق دقيق تتضح معه العلل
والنتائج ، فترجع كفة عن كفة أو تتساوى
الكفتان في موضع واحد من الملامة
أو الإطراء، وقد تفتقل الموازنة إلى الأبطال
فترى للتليد والطارف من هؤلاء على بساط
النقد في مستوى عادل دقيق ، والقارىء
بلا شك ظافر بالفائدة الجزيلة تمتع بما يقرأ
من التعليل والترجيح ، فيسير مع الكاتب
في أفقه المتسع ، يرصدان ما يفد من أسباب
الإرتقاء والهبوط أو ينجم من علل
الانحراف والاعتدال ، وذلك لذة فكرية
هنية يحرص عليها من يقدر معدنها الأصيل .

غير أن هذه الموازنة الممتعة ، تتعرض
في بعض الأحيان إلى تيارات خفية تجعل من
الصعب الشاق على الكاتب أن يصيب مقطع
الحق فيما يقول . ومرد ذلك إلى الإعجاب الخفى
أو الواضح ببطل معين تنضال بإزائه محاسن
سواه ، فمؤرخه يفسر الأشياء بما يرضى هذا
الإعجاب الواضح لديه ، وقد يكون غافلا عن
حقيقة إعجابه اللاشعورى ، حين يميل على

ارتقت فنون الكتابة التاريخية في عصرنا
الحديث ارتقاء حميدا فأصبحنا نرى التاريخ
الإسلامي يقدم في أنماط مختلفة ، ويفسر
تفسيرا منهجيا على ضوء ما استحدث من
المذاهب الأدبية والنفسية والاجتماعية ،
حتى إنك لتقرأ الموضوع الواحد لنفس من
الكتاب ، فتجد من اختلاف النظر ، وتنوع
المذهب ، وتميز الأسلوب ما يكون موضع
عجبك وإعجابك ، فنجد أهلن ابن خلدون
طريقته التحليلية في معرفة العلل والأسباب ،
وإتصال النتائج بالمقدمات ، وملء الفجوات
المتسعة بما يوحى به منطق الأشياء ، وتعليه
ظروف المسكان والزمان ، وكتابة التاريخ
تحيد قليلا قليلا عن النسق التقليدي في الرواية
والإسناد ، وسرد الحوادث في نطاق السنين
والأيام دون نقد حصيف لرواية مدخولة ،
أو وقوف دقيق عند تناقص مضطرب إلا فيما
ندر عند القليل من المتعمقين ، حتى جاء العصر
الحديث بأسلوبه المنهجي ، ومنطقه القوي ،
وتعليه العلمي ، فأوجد في الحقل التاريخي
زرعا ناضر اللون شهى الثمر متعدد الألفانين .
والموازنة بين الوقائع والأشخاص في كتابة

عن البطل العظيم نور الدين محمود زكى قاهر الصليبيين .

وقبل كل شيء أعلن الدكتور الفاضل أنى أشاركه الإعجاب المطلق بهذه الشخصية المسالية ، وأعد كل ما ذكره عن فضائلها الباهرة حقاً لا مرية فيه ، وأذكر بادئ ذى بدء أنى كتبت مقالين كبيرين عن نور الدين منذ سنوات قلت فى أحدهما :

« إن نور الدين يلتقى بعلى بن أبى طالب فى أبرز صفاته وأخلص معانده ، فإذا كان تقديس الحق وحده دون نظر إلى مغم سياسى أو ظفر حزنى هو مبدأ أمير المؤمنين الورع الزاهد فإن هذا التقديس العظيم للحق وحده دون اعتبار أسواء كان مبدأ نور الدين فطالما اصطدم الرجلان بأهواء المراضين ونزوات الوصوليين وكان فى بعض التهاون على حساب الحق ما يجمع المتفرق ويلم للشعث ويطنى الثورات ، ولكن المثل الآتى يصيح فى أذى البطلين الكريمين أن قدسا الحق وحده ولا تحفلا بغنيمه يعقبها وخز الضمير وتعب البال ، وياله من نداء مؤمن صادق يرتفع عن الرغبات والأهواء ، وإن عاد على سامعه بكثير من العنت والإرهاق . »

بل أزيد على ذلك فأزعم أنى أنصفته نور الدين من الدكتور نفسه فقد ذكر فى معرض حديثه عنه أنه لم يكن : « بالجندى الماهر ولا بالسياسى الضليع وإنما كان المؤمن الذى يغنيه الإيمان الصادق عن

الطرف الشانى بالملازمة والمواخذة ، وتلك مرحلة شائكة تدهو إلى التزيت الوئيد حتى يتبين الكاتب حقيقة نفسه بالمعاودة والتحليل ! وفيما بلى شاهد قوى الدليل :

لقد ظفرت المكتبة التاريخية أندلسية وشرقية بكثير من مؤلفات المورخ الموهوب الأستاذ الدكتور حسين مؤنس ، وأشهد لقد انتفعت كثير أبحاثه المقتنة وآرائه الصائبة ، وما زلت أرجع إلى آثاره التاريخية فى نشوة سعيدة ، وحين أخالفه الرأى هنا فى بعض ما اعترضنى من أبحاثه النفيسة لا أزعم لنفسى حق التوجيه والنصويب فأنا دون الكاتب اطلاعا ونفاذا وقوة حدس ، ولكنى أعرض وجهة نظر متواضعة قد تكون مقبولة فتصحح وضعا مخطئاً وقد تكون مرفوضة فتحتاج إلى تصحيح .

لقد قرأت كتابه القوى د من قصص البماولة ، فرأيت مالا مزيد عليه من الروعة والنصاعة والاتزان ولكن بعض الفصول تجنح إلى الموازنة بين شخص وشخص ، فأراها من وجهة نظرى المختصة تشتط كثيراً فى التهم على من لا يستحق غير التأييد فى أكثر الأحيان والتبرير فى أقلها فأقع فى حيرة مربكة حين أرى الإعجاب اللاشعورى لدى الكاتب يغلو ويمتد حتى يمحور على أناس معتقلين ، وسأضرب المثل بما كتبه الدكتور

غدرأ بعدهم أو تحرشا بغير خصم ! فليكونا في جلالها السامق سياسيين مثاليين في دنيا الأطلاع ، .

وإذن فمكانة نور الدين لدى أقوى من مكانته لدى الدكتور !! ولكن موضوع هذا المقال لا يقف عند ذلك بل يتجه إلى تصحيح ما ذكره المؤلف — في معرض الموازنة — عن عماد الدين زنكي والد نور الدين من ناحية وعن صلاح الدين الأيوبي خليفة نور الدين من ناحية ثانية ، فقد أجحف بالرجلين بعض الإجحاف ، وفيما يلي تصحيح وإنصاف .

قال الدكتور — في معرض بحثه عن نور الدين — « لم يكن نور الدين كأبيه عماد الدين زنكي ينشد ملكا بأى ثمن ، ولا يتردد في مصالحة الصليبيين والمضى معهم إلى حيث يريدون ، ولا يحفل بوضع يده في يد مسلم أو نصراني ما دام الأمر ينتهى باتساع ملكه أو زيادة موارده » .

وقال الدكتور مؤنس عن صلاح الدين في هذا البحث عينه « قد كان صلاح الدين لا يكاد يتشم ريح خطر من ناحية إلا تغيرت نفسه ، وغاضت فيها عيون الحلم والصبر وكانت مشاريعه ومطالبه متعددة لا تنتهى فكانت حاجته للبال لا تنتهى أيضا وكان عماله وجباة من أقصى خلق الله على الناس ما مريبلد تاجر إلا قسم الجباة ظهره ،

مهارة القيادة وحكمة السياسة ، . وهذا كلام يحتاج إلى تصحيح ولعل قاربت الحق حين قلت مخلصا في تنفيذه .

« إن تقديس مبادئ الإسلام سياسة رفيعة عالية ، يصعب على كثير من الناس أن يتمسكوا بها فيما يأخذون ويدعون من الأمور ويعز عليهم في الوقت نفسه أن يعترفوا بتقصير تنأكد ملامته ، ويتحقق عيبه ، فيحاولون أن يمحوا من تهاونهم الناقص كياسة حاذقة توجهها الظروف ، وتفرضها الملابس ، ثم يتجهون بأبصارهم إلى أناس لا يعرفون التهاون في الحق ، فيرون بعد ما بين الفريقين من خلاف في الهدف والغاية والطريقة . وإذ ذاك ينحون باللائمة على من يستمعون الحق فيتبعون أحسنه ولو رجعوا إلى ضمائرهم في لحظة مؤمنة بصيرة لا تكشف الغطاء عن خداعهم الزائف وعرفوا أن أصحاب المثل أناس لا تنقصهم السياسة والكياسة والمران ، ولكنها سياسة للقرآن وحده يؤكد بها الإيمان ! أفكان في تربيته وحصافته وفقهه وبصره غير سياسى أفكان نور الدين في تسامحه وإيفائه بعهده وصدق وعده غير سياسى !! لا ياهؤلاء !!

لأنهما سياسيان عظيمان ! لها مبادئ غالبة لا تطرق إليها رغبة جامحة ولا تشين نقاءها نزوة هوجاء ! هما سياسيان محنكان يلتزمان سياسة القرآن ، وكياسة الإسلام فلا يعرفان

لا تبنية في الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس بعد أن جرت خيولهم في أنهار الدماء إلى صدورهم وضاع في معركة بيت المقدس أكثر من سبعين ألف شهيد من المسلمين ١١ وقد هيات الأقدار عماد الدين زنكي أمير الموصل للنهوض بهذا العبء الجسمي ، وكان وافر الكياسة دقيق الإدارة واسع الحيلة فصمم على توحيد الإمارات العربية تحت قيادته فضم إلى الموصل معظم بلاد الجزيرة ثم عبر الفرات واستولى على حلب وكثير من بلاد الشام واستطاع أن يقف وجهاً لوجه أمام الفرنجة ، وثقل عليهم بخيله ورجله وتبعهم في الدروب والأزقة فاستجدوا مدعورين بملك القسطنطينية ، ثم هجم على الرها فاستردها ، وبدأ المسلمون يشعرون بقوتهم على يديه وأشرقت بوارق الأمل في نفوسهم خلف قيادته ، على حين ذهرو الصليبيون وأيقنوا أن ما خدعهم به الكنيسة من اطراد النصر ، وتعاقب الفوز سراب مغرور في صحراء حامية يشتعل بها الهجير ... فعماد الدين لم يكن ينشد ملكاً بأى ثمن ، ولكنه كان يجمع الصفوف خلف قيادته كيلا يطعن طاعن من خلفه ، وفي ذلك من بُعد النظر ، وعمق الفراسة ما يسجل بالإعجاب ، وحين هادن الصليبيين في بعض المآزق كن يماطلهم بدهائه ليقسع أمامه

وما بدت على إنسان علامة من علامات اليسار إلا أُنذر بهذاب من رجال السلطان ، وكان الفلاحون والضعفاء معه في جهد ما أينعت في حقولهم ثمرة إلا تلقفها الجبابرة ، ولا بدت منبلة قح إلا استقرت في خزائن السلطان حتى أملق الناس في أيامه وخلقهم على أبواب محن ومجاعات حصدت الناس حصداً .

هذا كلام الدكتور عن البطالين الكبارين ، ولولا الإعجاب المتدفق بنور الدين ما جار هكذا على أبيه عماد وتليذه صلاح في مجال الموازنة والترجيح ، وسنعرض لهما بإيجاز محدد ، لنعرف موضع الجور الأليم فيما سبق من الكلام ١١

لقد زحفت جيوش الصليبيين على الشرق الإسلامي في وقت عصيب فإمارات الشام تخضع للنظام الإقطاعي الذي ينفرد فيه كل حاكم بولاية صغيرة لا تملك جيشاً أو تدخر قوة ، وأمراء الدول الصغيرة في تنازع حول دون التفاهم والاتحاد ، والخلافة العباسية ببغداد عاجزة ضعيفة لا تملك أن تدفع عن نفسها الشر ، وقد استصرخت ولاذ بها اللانذون فقطعوا شعورهم وبكوادون طائل ، والدولة الفاطمية بمصر متجهة إلى مكاييد القصر ، ودسائس الوزراء ، والانشقاق الداخلي بين الخليفة ورؤساء الجيش ١١ وبهذا التخاذل المنحل في ممالك الإسلام استطاع الصليبيون أن يؤسسوا أربع إمارات

حين راحوا يلفقون أساطير موهومة عن حيل السلطان في اصطياد الجواهر والحلى من اليهود والنصارى بنوع خاص ! أما ما ذكره مؤرخو العرب ، ومنصفو الأوربيين عن شجاعة وسخاء صلاح الدين وكرمه فبعيد كل البعد عن هذه الأراجيف ! ! ولولا ما أسميه عبادة البطل الواحد، في مجال الموازنة التاريخية لافضت في ذكر ما نسيه الدكتور المؤرخ من البدائث الذائعة، والأمثال السائرة بما تنتسوق من عن شهامة صلاح الدين وأريحيته ، وما أظن أحداً ممن يتصدر لتسجيل أعمال السلطان ينسى أنه أخذ من مال الفداء يوم المقدس مائتي ألف دينار ، وعشرين ألفاً فوقها ، ففرقها على العلماء والمجاهدين والفقراء ، وأطلق كثيراً من ضعفاء الصليبيين دون فداء كما أغضى عن جواهرهم وحليهم فلم يعرض لها بمصادرة بما لا نظنه يصدر عن أرقى رجل مهذب في القرن العشرين ، وقد خرجت ابنة الملك مرى تحمل صلبانها الذهبية ، وحليها المتوهجة المغربية . وهم أصحابها بها خال بشماته النادرة دون ما يبتغون ، بل إن بطريق القدس جمع أموال البيع والكنائس في صناديق مختلفة وأخبر بها صلاح الدين فتركها له ، وقال في أريحية مثالية لا يجوز أن نفجعه في ثروته بعد فجيعته في أحلامه الدينية ! ! فليت شعري

الوقت للتجمع فالوثوب ، وكانت ظروفه في ذلك غير ظروف ولده نور الدين إذ أنه صاحب المصلحة الأولى في التجمع والاستعداد ولولا جهوده الشاقة في ضم الشمل ، ومطاردة المغرضين ، ما ترك لولده هذا التراث المسكين قد يكون الدكتور صادقاً إذ يقول إن نور الدين أزهد في الجاه والرياسة من أبيه فهذا ما لا يحجده جاحد ! ولكنه يحجور على الحقيقة حين يذكر أنه كان يمشى مع الصليبيين إلى حيث يريدون ! وإذن ففسيم السلاح والعتاد والحرب والصيال ! وكيف قطف أولى ثمرات النجاح وهياً طريقه الواضحة لنور الدين ثم لصلاح ! ! إن مثل عماد مع خلفه كمثل أسرة أرادت أن تنشئ حقيقة فيحاء في أرض ذات صخور وأشواك وآكام فقام عميدها الكبير بإزاحة الأشواك وتسوية الطريق وشق الجداول وتنمية البذور ثم وافاه أجله فاستأقت قومه الغرس والبسدر وتعمدوا الزرع بالرى والسميد حتى ترعرعت الأفنان وتهللت الثمار ! ! فهو مشكور مأجور دون نزاع فكيف نعتبه بالوصولية المغرضة دون برهان ! !

هذا عماد ! فماذا كان من أمر صلاح ؟ ! يخيل إلى أن الدكتور مؤنس قد اعتمد فيما ادعاه على ما كتبه غلاة المغرضين من مؤرخي الفرنجة وما وسعه خيال قصاصهم

المسيحية لغير هذا الكاتب المنصف ، لضاق بنا القول ، دع ما تفيض به الروايات الإسلامية من باهر المزايا ورائع الخيال ولا نريد أن ننقل هنا ما سجله أصدقاء الرجل من غالطوه وصادقوه كآبن شداد وغيره كيلا فظن بهم بعض المبالغات في رأى من يتشددون في الرفض والقبول ! بل إننا سننقل عن رحلة ابن جبير ما شهد به نفسه من كرم السلطان وسخائه ، وهو بعد من لم يتعمدوا كتابة تاريخ السلطان على وجه يشم منه التحيز ، وإنما هو عابر سبيل طاف وقتا ما بمصر فرأى وشاهد ثم سجل انطباعاته بعد أن فارق البلاد دون أدنى تأثير من حاكم ، أو زلفى إلى كبير . ولم يكن الرجل مؤرخا رسمياً يدفعه الإعجاب بالبطولة إلى التزيد ، وإنما كان وصافا يفيض بمخوالاته دون أن يحب لنفسه مكان المسجل العلى ، فانخذت كتابته طابع الصدق الساذج والوصف الأمين ، وكان مما قال :

ومن مناقب هذا البلد ومنافخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه : المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطب والتعبد يفدون من الأقطار الثائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى إليه ، ومدرسا يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، وإجراء يقوم به في جميع أحواله

أ يكون السلطان بعد ذلك لا يترك إنسانا من المسلمين تبدو عليه علامات اليسار إلا أنذره بالويل والعذاب !! لتأمل ما سطره الدكتور المسلم ولتقرنه بما ذكره مسيحي أوربى وهو صاحب كتاب « تاريخ المؤرخين » : إذ يقول ما ترجمته نقلا عن كتاب الدكتور أحمد البيل في صلاح الدين « ولقد كان من شدة كرمه أن عماله كانوا ينكرون عليه المال ، حتى إذا جاءت ساعة الحاجة أخرجوا إليه ما يريد ، وهذا من كثرة بذله وعطائه ، وكان من عادته أنه إذا استولى على مقاطعة من المقاطعات نشر أعلام كرمه وسخائه على أتباعه ، وسكان الجهة فلك بذلك رقابهم ، ولما استولى على دمشق لم يأخذ لنفسه شيئا من خزائنها ، بل وزع ما وجد على الأهالى وكان يحترم كل من في خدمته ويعاملهم معاملة لينة فإذا وقع من أحدهم ما يسيئه كتبه ولم يظهره ، أما مجلسه فكان ظاهرا لا يجسر فرد أن يقول سوءا في جواره ، ولم ير يقيما إلا تحركت فيه عاطفة الشفقة والحنان عليه ، وكان فوق هذا محبا لأولاده وأهله ، وكثيرا ما شارك أطفاله لعبهم ، وكان يحب العدل ويعاقب كل من خالف أحكامه ، فكان يجلس للظالم بنفسه مرتين في الأسبوع للغنى والفقير في حله وترحاله وفي سفره ومقامه . ولو شئنا أن ننقل كثيرا من النصوص

وانحراف ، وقد تكون الموازنة الأدبية بين نص ونص أو نص وأصل من الموازنة التاريخية بين إنسان وإنسان ، لأن الموازنة الأدبية في النصوص الفنية تعرض الأثرين الأدبيين أمام القارئ المنصف أولاً ، وسيكون له رأي فيما يقرأ من أسلوب وما يسجل من حكم ، أما الموازنة التاريخية بين إنسان وإنسان فتتجه إلى ما كونه الموازن في نفسه من أحكام عن الشخصيتين دون أن يسرد الوقائع الكثيرة لصاحبها !! لذلك كانت الدقة البالغة من ألزم اللوازم في هذا المجال ، وإلا نشر وجه الحق فيما يقال . هذه خواطر مخرصة أقدمها لسادتنا المؤرخين راجياً أن تجد من الصدر الواسع ما يدفع إلى الاهتمام بها تأييداً أو تفنيدياً فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وقد يكون من المفيد أن أعلن لقرائي السكرام أني انتفعت في هذه العجالة بالطائفة بما سبق أن نشرته من بحوث مختلفة بمجلات الأزهر ومنبر الإسلام والحج السعودية عن الأبطال الثلاثة عماد ونور وصلاح فإذا وجدوا بعض التكرار فيما سوت فعذري الواضح أن طبيعة المقال قد اقتضت أن أرجع إلى آثارى العلمية قبل أن أرجع إلى آثار الناس .

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

واتسع اعتناء السلطان بؤلاء الغرباء الطائرين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم ووكّل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء ، وينهون الأطباء أحوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم ومن أشرف هذه المقاصد أن السلطان عين لأبناء السبيل من المغاربة خبزين لسكل إنسان في كل يوم بالغاً ما بلغوا ونصب لتفريق ذلك كل يوم لإنساناً أميناً من قبله فقد يفتنى في اليوم إلى أن يخبز أو أزيد بحسب القلة والكثرة وهكذا دائماً... أما أهل بلده ففي نهاية من الترفيق واتساع الأحوال لا يلزمهم وظيف البتة ! .

فماذا عصانا نقول في هذا التسجيل العرضي الذي لم يتعمد سوى النقل للفوتوغرافي لما كان دون احتفال بإطراء ، أو اعتناء بتمجيد ! إن ما سطره الدكتور عن البطالين الكبيرين في معرض حديثه عن نور الدين يدفعنا إلى الحذر المفرط عند الموازنة الشخصية بين إنسان وإنسان ، وإذا كان في هذه الموازنة ما يفسح وجهات النظر ، ويجعل غوامض الحقائق . ويفصح بحال التحليل والتأمل فإن في الانحياز الخفي ما يجعل منها أداة إحجاف

الإسلام في تشاد

للأستاذ عطي صفر

ومن أشهر المدن أبشه Abéché العاصمة الدينية للبلاد الواقعة على طريق قوافل الحجاج، والتي تعد سوقا كبيرة لمنتجات دارفور في السودان وواداي، ومن المدن الهامة أيضا: فورت أرشمبول Fort Archambault، ماو Mao، قايا Faya.

وجو الإقليم شديد الحرارة في الصيف دافئ في الشتاء، وتسقط الأمطار بغزارة في الجنوب، ويشغل معظم الأهالي بالزراعة والرعي وتربية الماشية وتجارة الجلود والحاصلات الأخرى.

ويبلغ عدد السكان ٢٠٠٠٠٠ ١٧٤ر٢ نسمة ينتمون إلى عدة قبائل منها:

البودوما Boudouma ويكثرون في الجهات الشمالية والوسطى من البحيرة، وهم مسلمون يتكلمون لغة أهل «كأم»، المجاورين لهم. والكوري Kouri ويكثرون شرقي الأرخيبيل، التيبو Tibu ويكثرون أيضا في الشمال، وهم رعاة إبل مسلمون يتحملون العطش كثيرا وإبلهم سريعة كما يكثرون أيضا في وسط الإقليم. ويوجد في إقليم كأم

بين خطي عرض ٨، ٢٢ شمالى خط الاستواء، وخطي طول ١٣، ٢٤ شرق جرينتش، وفي قلب القارة الإفريقية، يقع إقليم هو أهم الأقاليم الأربعة، التي تتكون منها إفريقيا الاستوائية، الواقعة تحت الحكم الفرنسي منذ أكثر من خمسين عاما، ذلك هو إقليم تشاد Tchad الذي يحده من الشرق جمهورية السودان ومن الغرب نيجيريا والكامرون، ومن الشمال ليبيا وحدود المغرب العربي، ومن الجنوب إقليم أوبانجي شارى أحد أقاليم إفريقيا الاستوائية.

وتبلغ مساحة هذا الإقليم ١٢٨٤ر٠٠٠ كم. وينقسم إلى تسع مقاطعات، يمثل ثلاث منها الإقليم الجنوبي، الذي يمتاز بكثافة السكان وكثرة المزارع والمراعى، وللسنة الباقية تمثل الإقليم الشمالى الذى تكثرت صحاريه ويقل سكانه، ويفصل بينهما فى أغلب الأماكن نهر شارى أكبر الأنهار الجارية فى هذا الإقليم.

وعاصمة تشاد هي فورت لامى Fort Lamy الواقعة على نهر شارى قريبا من الدلتا،

وهم يخشون أن يزحف الإسلام من الشمال على الجنوب ويرقبون حركة الانتقال بين الإقليمين بحذر . ولا يرتاحون للأكثوية الإسلامية الموجودة في العاصمة ، فمن بين سكانها البالغين ٥٣ ألفاً يوجد ٥٠ ألفاً من المسلمين ، يكون العرب منهم أكبر نسبة .

وقد دخل الإسلام إلى هذا الإقليم منذ القرن الحادى عشر وذلك من طريقتين : السودان والحجاز ومصر من الشرق ، وبلاد المغرب من الجهة المقابلة ، وكان زحف الإسلام إلى هذه البلاد زحفاً سليماً هادئاً فقد جاء إليها المسلمون مهاجرين أو تجاراً لا ييغون وراء ذلك شيئاً ، حتى إذا ثبتت أقدامهم في البلاد ، وكثر الداخلون في الإسلام ، أقاموا بمالك منظمة كان لها أثرها في نشر الدعوة الدينية في المناطق المجاورة من إفريقية الوسطى والغربية ، وأهم هذه الممالك : مملكة « كانم » في الشمال الشرقى من البحيرة التي قامت فيها أسرة سيف

Seif نحو ألف عام (٨٠٠ - ١٨٠٠ م) وظلت على وثوقيتها حتى دخلها الإسلام في أواخر القرن الحادى عشر في عهد « درجو برى » .

وازدهرت المملكة في أوائل القرن الثالث عشر الذى بلغت فيه قوة الجيش ٣٠ ألف فارس ، وامتدت أطرافها حتى شملت بلاداً كثيرة ، ومنذ أواسط القرن

ووادى عرب رحل وعرب « بقارة » وبعض التيبو ، وكثير من السكان القدامى مثل : التاما والمون والأرنجا ، كما توجد قبائل الماسا والموسجو وسارا والبولالا .

والمسلمون يمثلون أكثر من ٧٠ ٪ من عدد السكان ، وأوصلتهم بعض المصادر الإسلامية إلى ٩٠ ٪ . بينما تقول نشرات التبشير إنهم لا يجاوزون ٥٠ ٪ ، والغرض معروف من تقليل نسبة المسلمين ، فهم يحاولون جهدهم أن يمحوا الفسكرة الشائعة من قديم إن البلاد إسلامية ، ويفتحون بذلك باب الأمل لإيجاد أغلبية غير مسلمة ليفيدوا من ذلك من الناحية الدينية والسياسية معاً . وهناك نحو المليون من الوثنيين الذين يعتقدون في الأرواح ويقفسون الأشباح ، كما يوجد بعض الآلاف من المسيحيين الذين تنصروا منذ أن لوث التبشير أرض البلاد سنة ١٩٣٨ .

ومنذ أن دخل الإسلام إلى المنطقة في القرن الحادى عشر والمسلمون يتكاثرون ، حتى صارت لهم الأغلبية في البلاد ، وهم يكثرون جداً في المناطق الشمالية ويقبلون في الجنوب حيث يسيطر عليه المبشرون الذين أقاموا خطاً تبشيراً يبدأ من « كيان » وينتهى في « بنجور » ماراً « بفورت شبول » ، « كورما » ، « موندو » ، « كيلو » ، « بالا » ،

صرعان ما هاجمهم ملك واداي سنة ١٨٧٠ ، حتى جاء راجح سنة ١٨٩٢ فضم باجرى إلى مملكته .

ومنطقة واداي شرقي الإقليم تأخر دخول الإسلام فيها نسبيا ، بسبب تعدد القبائل وبسبب وجود أسرة التنجر ، التي حكمت المنطقة بعد هربها من دارفور في السودان ، التي كانت ما تزال وثنية إلى القرن الرابع عشر وأول الملوك المسلمين فيها هو السلطان عبد الكريم ، وهو عربي أبوه من بلدة شندى شمال الخرطوم ، وكان قد وصل إلى البلاد وأقام ضيفا عند إحدى القبائل يدعو إلى الإسلام ، ثم تزوج منها وصارت له الكلمة فيهم ، وكان يسمى هناك د جدد الإسلام . وبعد موته تولى ابنه دعوت ، وقد مهمة نشر الدين في المناطق المجاورة ، وقد حدث أن أحد الحكام رفض قبول دعوته وعمل على عرقلة جهوده ، فثار عليه الأهالي وعزلوه وولوا هروت ، سلطانا عليهم ، فأسس مدينة دارا ، وجعلها عاصمة للمملكة الإسلامية في إقليم واداي ، حتى انتقلت إلى د أبشة ، وقد كانت المملكة تدفع الجزية لسلطان دارفور ثم تخلصت منها في أواخر القرن السابع عشر ، وازدهرت المملكة في عهد صابون (١٨٠٥ - ١٨١٥) وفي سنة ١٨٤٣ تولى أخوه السلطان محمد شريف

الرابع عشر اشتبكت في معارك مع قبيلة البولالا حتى بداية القرن الخامس عشر قتل فيها أربعة من ملوك كانم ، فاضطروا إلى الهجرة إلى بورنو . ولما جاء الملك د على دوناما ، (١٤٧٢ - ١٥٠٤) هاجم البولالا وأعاد نظام المملكة ، وجاء عهد الازدهار الثاني (١٥٧١ - ١٩٠٣) الذي وسع فيه الملك إدريس ألوما حدود المملكة . وبعد فترة هدوء ثم تدهور استدعى الملك الشيخ محمد الأمين الكانمي الذي صد هجوم الفولاني سنة ١٨٩٠ . وتولى الحكم بنفسه وأنهى حكم أسرة سيف ، ثم حدثت منازعات بين ممالك واداي وكانم وباجرامى ، حتى وصل إلى الإقليم السلطان راجح د أحد قواد سليمان ابن الزبير باشا ، سنة ١٨٩٣ م فأنشأ أمبراطورية قوية غير أنه قتل في حربه مع الفرنسيين سنة ١٩٠٠ م .

ونشأت أيضا مملكة إسلامية في باجرى ، جنوبي البحيرة على يد السلطان د برى (لعلة محرف عن إبراهيم) في أوائل القرن السادس عشر وازدهرت في عهد السلطان الحاج محمود الأمين (١٧٥١ - ١٧٨٥) . وفي سنة ١٨٠٩ خضعت لسلطان واداي ، حتى ضمها الشيخ الأمين الكانمي (المنتخرج في الأزهر) إلى مملكته ، ولما جاءت سنة ١٨٤٦ قوى ملوكها نسبيا ، ولكن

ففسكر في القضاء عليهم والتخلص من سلطانهم فغرر بهم حتى جمعهم في مكان واحد ، وأوسعهم تقنيلا يبرهن على أن فرنسا تستحق أن تسمى بمجدارة حاملة شعلة الحرية والإخاء والمساواة ، وكان عدد القتلى من العلماء فقط في هذه المجزرة البشرية في د أبشة ، سنة ١٩١٧ نحو ٤٠٠ عالم ، وتبعوا الطلاب وأئمة المساجد ومعلمي القرآن حتى طردوهم من البلاد ، وكانت تسمى هذه المجزرة بمذبحة «الكبكب» أي الساطور . وبعد أن هدأت الحالة عاد الهاربون إلى د أبشة ، وزاولوا نشاطهم الديني والعلمي في هدوء وتسليم .

كانت البلاد قبل دخول الإسلام على حالها من الوثنية والبداوة ، حتى قدم العلماء والدعاة من الشرق ومن المغرب ، فنشروا لواء الدعوة وثقفوا الأهالي في المساجد والكتاتيب ، وتخرج كثير من العلماء الذين أتموا دراستهم في الأزهر وجامع الزيتونة بتونس . ولما جاء الاحتلال الفرنسي أهمل التعليم الديني بل اضطهد ، ولم يعد للسلبيين بعد من المدارس الإسلامية المنظمة إلا عدد ضئيل . كمعهد «أبشة» الديني الثانوي ، والمعهد الإسلامي الابتدائي في د فورت لامي ، والمدرسة الابتدائية د في فورت شمول ، التي تدرس فيها علوم الشريعة . والتعليم في هذين المعهدين على النظام الأزهرى القديم مع قليل من العلوم

صالح الحكم ثم ابنه السلطان علي (١٨٥٨ - ١٨٨٣) فقويت الدولة ، ثم حدث نزاع بين الأسرة الحاكمة على العرش ، وبينها وبين البلاد حتى دخل الفرنسيون سنة ١٩٠٢ لنصرة أحد الأطراف واحتلوا وادأى .

وقد احتلت فرنسا إقليم تشاد لتصل مستعمراتها في وسط القاهرة بمستعمراتها في شمالي إفريقيا ، فجاءت حملات من الجنوب ومن الغرب ، واشتركت مع البلاد في حرب كان يقودها السلطان راج ، انتهت بقتله هو والقائد الفرنسي «لامى» في بلدة «كسورى» التي تحول اسمها إلى د فورت لامي ، وجعلت عاصمة الإقليم .

لم يعرف الغربيون إقليم تشاد قبل القرن الخامس عشر الذى تحركت فيه بعثات الملاحاة والاستكشاف حول قارة إفريقيا ، حيث وصلت إلى مصب نهر الكونغو ، ووصلت أخبار البلاد إلى أوروبا وسال لعابها على القارة البكر ، فتكونت في فرنسا فكرة بناء أسطول لاحتلال إفريقيا الاستوائية في القرن الثامن عشر ، ونجح د فلستر ، في احتلال إقليم «جايون» في مارس ١٨٤٢ ، وظل الاستعمار يزحف حتى بسط سلطانه على المنطقة كلها ، وقد أحس المستعمر بخطر العلماء والقضاة الذين كانوا يحملون لواء المقاومة ضد الفرنسيين مدة سبع سنين ،

سنة ١١٧٦ هـ وكان الأهالي هم الذين ينفقون على هذه المساجد حتى سلمها المستعمر للجمعيات. ومن الجمعيات الدينية في البلاد: الهيئة التشادية الإسلامية. وجمعية الشباب المؤمن في فورت لامي. وجمعية الفقهاء في أبشة، وقد أنشئت كلها بعد سنة ١٩٤٥، كما يوجد من الجمعيات الخيرية: الجمعية التجارية الوطنية، وجمعية الأخوة التشادية. والرابطة الساراوية، ويوجد ناد للثقافة الإسلامية في فورت لامي. والطرق الصوفية موجودة في البلاد، وقد وفدت إليها مع الدعاة الأولين، وأهمها للتيجانية، والقادرية، والميرغنية.

ومن الشخصيات الهامة ذات الأثر البارز في الكفاح الوطني والديني، الشيخ محمد هليلش عويضة مؤسس معهد أبشة، والشيخ إبراهيم جباي خليل المتخرج في كلية الشريعة بالأزهر، والذي أنشأ مدرستين عربيتين في أبشة، والشيخ محمد المهدي قاضي القضاة، والاستاذ أحمد غلام الله، وغيرهم.

هذا والبلاد ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي الذي لا يعرف معنى للحرية والرحمة والإنسانية، والمنطقة لها ماض إسلامي مجيد يمتد نحو عشرة قرون، ولها أهميتها في وسط القارة الإفريقية من جهة نشر الوعي الديني والوطني والقومي، وهي في حاجة ماسة إلى مساعدة فعالة لتستطيع

المدنية، والأهالي هم الذين يتولون الاتفاق على التعليم وإدارة شئون الممهدين، ما عدا معهد أبشة فقد تولته الإدارة الرسمية ليكون تحت رقابتها، وقد أنشئ هذا المعهد سنة ١٩٤٦ بفضل أحد خريجي كلية الشريعة بالأزهر وهو الشيخ محمد عليلش عويضة، وقد أغلقه الفرنسيون سنة ١٩٥٣ وطردوا مؤسسه، ثم عاد تحت ضغط الأهالي واضطرت الحكومة إلى فتح المعهد سنة ١٩٥٧، غير أنها هي التي تولت الإشراف عليه لدرام مراقبته.

واللغة السائدة في الإقليم هي العربية التي يتحدث بها ٩٠٪ من السكان: المسلمون منهم وغير المسلمين سواء، وهي لغة التعليم في الدراسة الدينية، أما اللغة الرسمية فهي لغة المستعمر الفرنسية، ولا تدرس العربية في المدارس إلا كلغة ثانوية.

والمسلمون يدينون بعبادة أهل السنة والجماعة، ويتفقهون على مذهب الإمام مالك الذي وفد مع الدعاة والمعلمين، والذي شجع الأخذ به السلطان راجح.

والمساجد كثيرة منتشرة في البلاد حيث يوجد المسلمون، وفي أبشة، جامع السلطان الذي أنشئ سنة ١٠٧٦ هـ، وجامع السوق الذي أنشئ سنة ١٢٠٠ هـ. كما يوجد في فورت لامي، للماصمة مسجد كبير أنشئ

إن المبشرين كتبوا في تقريرهم المنشور في نشرة ٧ من يوليو ١٩٥٦ أن الأحداث الخطيرة في شمال إفريقيا والمغرب ودول الساحل الإفريقي على المحيط الأطلسي ، والدول القائمة في قلب الصحراء هي أثر للعمل الخطير الذي تقوم به في مهارة وجد ، الجامعة العربية وراديو القاهرة والبعوث الدينية الأزهرية ، ويقولون : إن الإنسان يشعر في هذه الأيام بأن مصير تشاد متعلق تماما بمجرى هذه الحوادث ، ويطلبون زيادة نشاط الكنيسة لإيجاد مسيحية سوداء في السكرون وجابون والكونغو على حدود العالم الإسلامي ، وينبغي ألا نكون أقل يقظة منهم ، وأن نعمل مخلصين لمداية هؤلاء المتطلعين إلى الإيمان الصحيح والحرية الحقيقية ، والله هو الموفق والمعين ؟

عطية صقر

المضى في القيام بدورها الإيجابي في العالم الأفريقي المتطلع إلى الحرية والاستقلال ، والذي يعلق آمالا كباراً على الجماهير العربية وعلى الأزهر الشريف . وأعتقد أننا سنكسب الجولة لو أننا عطينا بقوة الروح الدينية في نفوس هؤلاء المسلمين ، وإفهامهم النواحي الحية في الدين التي تبعث على الكفاح والعمل المتواصل للتحرر ، والتيار الاستعماري هناك شديد باعتماده على المبشرين الذين كادوا بسكنائهم ومدارسهم ومستشفياتهم ومبعوثيهم أن تكون لهم السيطرة الدينية والفسكرية في البلاد ، وإذا أردنا أن نحاربه فليكن بسلاحه الذي يستطيع الأزهر أن يقوم بتسقط كبير منه ، إذا أراد أن يبرهن على أن خطوته الإصلاحية الجديدة هي من وحي الواقع الذي يعيش فيه المسلمون في هذه الأيام .

(بقية المنشور على صفحة ٤٩)

الإنتاج أدبيا إلا حين يتوافر له ، والجانب الآخر الذي هو الفصيل في المفاضلة بين إنتاج أدبي وآخر هو الموضوع ، الذي لا بد للنقد أن يتحرى الدقة في الكشف عن حقيقته ، وهل هو موضوع وبيل ينفث السم في المجتمع أو هو مما يبعث الحياة ويظهرها ويسمو بها إلى مراتب أعلى ويدفع بها إلى مستوى حضارى أجدر بالبقاء .

محمد فريد أبو حميد

الجسدية وجعلوا ذلك غاية الحياة التي يحيونها ، وما أحرانا أن ننفذ أيدينا من أدب هؤلاء ومن يريدون من نقادنا أن يحولوا إليه مذهبهم في النقد . فصيحة الفن للفن تبعد بالنقد عن ميدانه الصحيح وهو نقد الموضوع الذي يختاره الأديب ليبرزه بأسلوبه الفني ، فإن قيمة الإنتاج الأدبي لا تعرف إلا بمقياس مزدوج على الأقل : بجانب من هذه القيمة يرجع إلى توافر العناصر الفنية في أسلوبه وهذا شرط أولى لا يمكن أن يسمى

مفردات قرآنية : التجارة في القرآن للأستاذ أحمد الشراصي

- ٢ -

التجارة في نظر القرآن الكريم ليست عملاً هادياً دنيوياً صرفاً ، بل له صلته بالجوانب الدنيوية في حياة الإنسان ، ولذلك يشير القرآن إلى ارتباط تجارة الدنيا بتجارة الدين ، فيقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وإذا رأوا تجارة أو لهواً افضوا إليها وتركوا قائماً ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين .^(١) » .

ذكرنا كثيراً حتى ينالوا الفلاح والنجاح في الحياة . وقد روى في سبب نزول الآية أن دحية ابن خليفة السكلي أقبل بتجارة من الشام في يوم الجمعة قبل أن يسلم ، وكان معه أنواع من التجارة ، وكان الناس يتلونه بالهبل والتصفيق والنبي صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج الناس إلى التجارة واللهو ، وتركوا النبي ، ولم يبق معه إلا القليل ؛ قيل ثمانية ، وقيل اثنا عشر ، وقيل أربعون^(٢) ؛ فقال النبي : « لولا هؤلاء لسومت لهم التجارة » ، ويروى أن النبي قال : « لو اتبع آخرهم أو لم لا لتهب الوادي عليهم ناراً^(٣) » .

ولما حدث هذا نزلت الآيات تعريضاً وإنذاراً وتحذيراً من فعل ذلك ، وقد خصت الآية البيع بالذكر لأهميته والحرص عليه ، ويقاس عليه غيره ، وفي ذلك يقول جل الله الرحمن الرحيم : « أراد الأمر بترك ما يذهل عن [١] في تفسير الطبري روايات تفيد أنهم كانوا اثني عشر رجلاً وامرأة ، ج ٢٨ ص ١٠٤ .

[٢] عن تفسير الرازي ، ج ٨ ص ١٥٤ بتصرف واختصار .

ويفهم من هذه الآيات الكريمة أنه إذا أذن المؤذن للصلاة الجمعة لم يحل البيع والشراء ووجبت المبادرة إلى الصلاة ، فذلك خير وأتق وأحسن ، وأنه إذا انتهت الصلاة فينبغي للمسلمين أن يعودوا إلى رحاب الحياة عامليين متاجرين مكتسبين متطلبين الوصول إلى الرزق بفضل الله وعونه ، ذاكرين ربهم

[١] سورة الجمعة ، الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ .

وبنظرنا في الآية المتقدمة نجد أن الله تعالى يعلم عباده أن يتذكروا واجب العبادة الدينية وهم يباشرون الأعمال الدنيوية ، فإذا تردد النداء لصلاة الجمعة تركوا التجارة وغيرها من أعمال الدنيا ، وهرعوا إلى الصلاة ، فقتل أعمال الآخرة بأعمال الحياة ، وإذا كانوا في الصلاة سمعوا حديث هذه الحياة ، بما فيها من تجارة وتعاقد ، فقد يتلو عليهم إمامهم قول ربهم : « وأحل الله البيع وحرم الربا » أو قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » . فيكون هذا جمعا بين حديث الدنيا وحديث الآخرة .

وإذا انتهت الصلاة فقد انفتحت أمامهم من جديد أبواب السعي في الحياة ، وقد جاءت « الغاء » هنا . وهي التي تفيد التعقيب بلا تراخ : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » . أي إنه يحل لكم الانتشار للكسب والاتجار بمجرد انتهاء الصلاة ، وبلا فاصل زمني ما .

ولكن إذا انتشرتم وسعيتم فلا تنسوا أنكم تسرون في أرض الله ، وتأخذون من رزق ، وتبتغون من فضل الله : « وابتغوا من فضل الله » .

وهذا التذكير يربط أيضا بين التجارة والدين فلا تكون عملا ماديا مجردا من معاني الإيمان

ذكر الله من شواغل الدنيا ، وإنما خسر البيع من بينها ، لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم ، وينصبون إلى المصر من كل أوب ، ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظميرة وحينئذ تحر التجارة ، ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضى إلى المسجد قيل لهم : بادروا إلى تجارة الآخرة ، واتركوا تجارة الدنيا ، واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح ، وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب (١) .

وقد فات الزخشي أن يذكر مع هذا أيضا ما نكاد نلمحه وهو أن صلاة الجمعة صلاة جامعة ، فلا تتحقق ثمرتها إلا بالاجتماع والتلاقى بين المسلمين ، فإذا تكامل هذا وذاك أو نشاغلوا بالتجارة عن الاستجابة للنداء لم يكن الهدف المطلوب ، وهناك الخطبة التي يجب على المسلمين أن يستمعوا إليها ويستفيدوا منها ، ولو أهملوا أو أجلوا لفاتهم ذلك ، كما أن صلاة الجمعة تؤدي في وقت معين محدد ، وليست كالفروض الفردية التي يتسع أمام الفرد وقت أدائها ، فيؤديها في أول الوقت أو في وسطه فيما تيسر له من مكان صالح للصلاة .

[١] تفسير الكشاف ، ج ٤ ، ص ٩٩ .

كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين .

ويتعرض كتاب د في ظلال القرآن ، للحديث عن الآية السابقة ، فيقول فيها يقول : الآية تأمر المسلمين أن يتركوا البيع وسائر نشاط المعاش بمجرد سماعهم للأذان ، وترغبهم في هذا الانخلاع عن شئون المعاش والدخول في الذكر في هذا الوقت ... فلا بد من فترات ينخلع فيها القلب من شواغل المعاش وجواذب الأرض ، لينخلوا إلى ربه ويتجرد لذكره ويتذوق هذا الطعم الخاص للتجرد والاتصال بالملا الأعلى ، ويملا قلبه وصدره من ذلك الهواء النقي الخالص العطر ويستروح شذاه ، ثم يعود إلى مشاغل العيش مع ذكر الله ، وهذا هو للتوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي : التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض من عمل وكد ونشاط وكسب ، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو ، وانقطاع القلب وتجرده للذكر وهي ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الامانة الكبرى ، (١) .

ولأن القرآن قد ربط بين العبادة والتجارة بذلك الرباط الدقيق الوثيق ، رأينا أن فقه القرآن والسنة يضع للتجارة آداباً تجعل التاجر

والروح ، بل تكون موصولة بالأواصر بالقيم والأخلاق ...

ولا تكتفوا بتذكر أنكم تبتغون من فضل الله ، بل أضيفوا إليه أمراً آخر : واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وذكر الله في أثناء العمل الدنيوي يباركه ويعصمه من الزلل والخلل ، ويباعد بينه وبين الانحراف والاعتساف .

واحدروا أن تكونوا كأولئك الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم فجذبهم جواذب الحياة المادية في وقت واجبههم الديني ، فانصرفوا إلى عرض الدنيا وتركوا ما هي أذكى وأبقى ، لأن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين .

فنحن نرى الآيات تشير في صدرها إلى أن الناس من شأنهم أن يكونوا في سعيهم وتجارتهم ، وأن هذا أمر مشروع مرضى عنه من الشارع ، فإذا جاء وقت الصلاة وصلوه بوقت العمل والسعي ، وإذا ما انتهى واجب لله عاد الناس إلى ميادين الحياة ، ولكنها ميادين من فضل الله ، ولذلك يجب عليهم أن يتذكروا ، وأن يذكروا ربهم ذكراً كثيراً ... وليس وراء ذلك مزج رائع بين عمل الدنيا وعمل الآخرة .

ولقد كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة وقب بباب المسجد وقال : اللهم أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت

[١] في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

بجاراً لما في البيع والشراء من الإيمان الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذي لا يتحاشاه أكثرهم ولا يفتنون له ، ولهذا قال في تمامه :
إلا من اتقى الله وبر وصدق ، (١) .

وفي الحديث أيضاً : د إياكم وكثرة الحلف في البيع ، فإنه ينفق ثم يمحى ، أى يروج أولاً ، ثم تكون عاقبته ذهاب البركة .

وكان عمر بن الخطاب إذا دخل السوق قال : د اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ، ومن شر ما أحاطت به السوق ، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة .

ومن آداب التجارة في الإسلام أن لا يثنى البائع على السلعة بما ليس فيها ، وألا يكتم شيئاً من عيوبها أو خفايا صفاتها ، فإن هذا من الخداع الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد مر النبي برجل يبيع قمحاً فأعجبه فأدخل يده فيه فوجد بللاً ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فأجاب : أصابته السماء فقال النبي : د هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا . ومن قواعد الإسلام أن النصح واجب لكل مسلم ، وعن بعض التابعين أنه قال : لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لي : من خير هؤلاء ؟

يقوم بها وهو يحافظ على خلق المسلم وأمانة المسلم وإخلاص المسلم ، ومن هذه الآداب الحذر من اتخاذ الحلف الكاذب وسيلة لترويج السلعة أو زيادة الكسب في التجارة والحديث المتفق عليه يقول : د واليمين الكاذبة منقعة للسلعة محقة للبركة ، وفي حديث مسلم د ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم : المنان والمسبل وإزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب .

وفي تفسير القرطبي : د ويكره (١) للتاجر أن يحلف لأجل ترويج السلعة وتزيينها ، أو يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم في عرض سلعته ، وهو أن يقول : صلى الله على محمد ، ما أجود هذا . ويستحب للتاجر أن لا تشغله تجارته عن أداء الفرائض ، (٢) . ويلحق بما ذكره القرطبي حلف التاجر بحق لحيته ، أو حق شيعته ، أو حق د شبك النبي ، الذي وضع عليه يده وهو يحج ، أو حق الكعبة التي طاف حولها ولمسها ، أو حق د الحجر الأسعد ، الذي قبله ... إلخ .

ولقد قال الرسول : إن التجار يبعثون يوم القيامة جزاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق . وقال ابن الأثير تعليقا على ذلك : د سمام

[١] النهاية في غريب الحديث ، ج ١

ص ١١٠ ، ١١١ .

[١] الكراهية هنا فيها معنى الحرمة .

[٢] تفسير القرطبي ، ج ٥ ص ١٥٦ .

بعضها بخمسة وبعضها بعشرة ، فباع في غيبته غلامه شقة من ذوات الخمسة بعشرة ، فلما عرف ابن المنكدر أطال البحث عن المشتري حتى وجده وقال له : إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة . فقال الرجل : يا هذا قد رضيت . فقال : وإن رضيت فإننا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا ، فاختر إحدى ثلاث خصال : إما أن تأخذ شقة من العشریات بدراهمك ، وإما أن نرد عليك خمسة ، وإما أن نرد شقتنا وتأخذ دراهمك . فقال المشتري : أعطني خمسة ؛ فرد عليه خمسة ، وانصرف الأعرابي يسأل : من هذا الشيخ ؟ فقيل له : هذا محمد بن المنكدر . فقال : لا إله إلا الله ، هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قحطنا ! .

ودرى أن وائلة بن الأسقع كان في السوق فرأى بائعا يبيع لرجل ناقة بثلاثمائة درهم ، ومضى المشتري ، ولكن وائلة رأى شيئا ، فنادى على الرجل ، وقال له يا هذا اشتريتها للحم أول للظهر ؟ (الركوب) فقال بل للظهر فقال وائلة : إن بخفها نقيا قد رأيته ، وإنما لا تتابع السير . ونصحه بردها للبائع ، فتقصها للبائع مائة درهم من ثمنها الأول ، وقال لوائلة : رحمك الله ، أفسدت على يدي ، فقال وائلة : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل لأحد

أقلت : من أنصحهم لهم ؟ فإذا قالوا : هذا . قلت : هو خيرهم ، ولو قيل من شرهم ؟ قلت من أغشهم ؟ فإذا قيل هذا ، قلت هو شرهم ! . ولقد كان السلف يضربون الأمثلة الرائعة في الأمانة والنصح والصدق ، فهذا يونس ابن عبيد - كما يروى عنه الغزالي (١) - كان عنده حبل مختلف الأثمان ، ومنها صنف ثمن كل حلة منه أربعائة درهم ، ومنها صنف آخر ، ثمن كل حلة منه مائتان ، فذهب يونس إلى الصلاة وترك ابن أخيه عند الثياب ، فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعائة فعرض عليه الفتى من حبل المائتين فاستحسنها الأعرابي ورضيها واشتراها ومشى بها وهي على يديه ، فلقبه يونس فعرف حبلته فقال للأعرابي : بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعائة . فقال : لا تساوي أكثر من مائتين ، فارجع حتى تردها فقال : هذه في بلدنا تساوي خمسمائة وأنا أرتضيها ، فقال له يونس : انصرف فإن النصح في الدنيا خير من الدنيا بما فيها . ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن أخيه في ذلك ، وقال له : أما استحييت ؟ أما اتقيت الله ؟ تبيع مثل الثمن ، وتترك النصح للمسلمين ؟ فقال : والله ما أخذها إلا وهو راض بها . قال فهل رضيت له بما نرضاه لنفسك ؟ . وهذا محمد بن المنكدر أيضا كان له شقق ،

وقد يؤدي به ذلك إلى الاحتكار^(١) الذي حاربه الإسلام وحذر منه الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : « لا يحتكر إلا خاطي » ، وقال : « من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطي » ، وقال : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » ، وقال : « من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله منه » .

وقال علي بن أبي طالب : « من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه » . وحث النبي على جلب الأقوات والسلع وبيعها بالسعر المناسب الميسر ، فقال : « من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به » . وجاء في الحديث المرسل : « إن الجالب إلى سوقنا كالجاهد في سبيل الله » . وفي الحديث : « الجالب مرزوق والمحتكر خاطي » .

ولنتذكر هنا أن البيوع — كما يقول القرطبي في تفسيره : « نوعان : قلب في الحضر من غير نقلة ولا سفر ، وهذا تربص واحتكار قد رغب عنه أولو الأقدار ، وزهد فيه ذوو الأخطار (المراتب) والثاني قلب المال بالسفار ونقله إلى الأمصار ، فهذا أليق بأهل المروءة ، وأهم جدوى ومنفعة ،

أن يبيع بيعا إلا أن يبين آفته ، ولا يحل لمن لم ذلك إلا فنيته ، ١ .

ولما بايع الرسول جرير بن عبد الله على الإسلام ، ذهب جرير لينصرف ، لجذب النبي ثوبه ، واشترط عليه النصح لكل مسلم . وحسبنا قول الرسول : « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما » ، وإذا كتبا وكذبا زعت بركة بيعهما » .

ومن أدب أهل القرآن في التجارة ألا يخذعوا في سعر الوقت ، وألا يحتالوا للتغير بالناس في الأسعار ، ولذلك نهى النبي عن « تلقى الركبان » الذين يقدمون البوادي إلى الأمصار ومعهم سلع يريدون بيعها ، ولا علم لهم بسعر الوقت ، فيلقاهم من يخذعهم فيه ويستولى على سلعهم بشمن مخس ، كما نهى النبي عن « النجش » وهو تظاهر من لا يريد الشراء بالرغبة فعلا في الشراء ، ويرفع في الثمن لينخدع الراغب في الشراء ، فينخدع ويشترى بشمن مرتفع ، وهذا مثل ما يحدث الآن في المزايدات الصورية .

ونهى كذلك عن خداع من لا يحيطون بأسرار التجارة علما ، فقال : « لا يبيع حاضر لباد » ، لأن البادي يريد أن يبيع بسعر معقول ، إذ يحتاج إلى البيع ، ولكن الحاضر — المقيم في المدينة أو البلد — يريد أن يستولى على السلعة ويخزنها ويتحكم في السعر ،

[١] قال ابن الأثير : (احتكر الشيء أي اشتراه ليقل فيغلو) النهاية ج ١ ص ٢٤٥ .

[٢] انظر نيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٢٢١ والإحياء للزالي ج ٢ ص ٦٦ .

وقال النبي : « إن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه » .
كما حرم الإسلام (كسب البغى) وهو الكسب الناشئ عن المتاجرة بالعرض ، كما حرم (حلوان الكاهن) وهو ما يعطى لمدهى التنبؤ أو ضارب الرمل أو الودع أو ما أشبهه ، وحرّم كسب الربا .

وقال الرسول : « لا يبيعين أحدكم على بيع أخيه ، أى لا يشتري على شراء »^(١) ، يقول ابن الأثير عن هذا الحديث : « فيه قولان : أحدهما : إذا كان المتعاقدان في مجلس العقد ، وطلب طالب السلعة بأكثر من الثمن ليرغب البائع في فسخ العقد ، فهو محرم ، لأنه إضرار بالغير ، ولكنه منعقد ، لأن نفس البيع غير مقصود بالنهي ، لأنه لا خلل فيه ؛ الثاني أن يرغب المشتري في الفسخ بعرض سلعة أجود منها بمثل ثمنها ، أو مثلاً بدون ذلك الثمن ، فإنه مثل الأول في النهي ، وسواء كانا قد تعاقدتا على المبيع أو أساوها وقاربا الانعقاد ، ولم يبق إلا العقد »^(٢) .
وهذه كلها شواهد تؤكد ما أشار إليه القرآن من وجوب ارتباط التجارة بالمعنى الدينى ، حتى يكون قائدا لها ورائدا أمامها .

أصحح الشريعة

غير أنه أكثر خطرا وأعظم غررا^(٣) .
ويتصل بهذا نهى الإسلام عن التغالى في الربح ، وعن الفحش في الكسب ، لأن قلة الربح مع كثرة البيع تؤديان إلى وفرة المكسب مع التيسير على المسلمين ، وكان على بن أبى طالب يدور في سوق الكوفة ويقول : « معاشر التجار ، خذوا الحق تسلموا ، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره » .

ومن صفة أهل القرآن في تجارتهم أنهم يضبطون الكيل والوزن والقياس ، لأن وبهم تبارك وتعالى يحذر أشد التحذر من التطفيف في هذه الأمور ، فيقول : « ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » ، ويقول : « والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تظنوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » ، ويقول النبي لأصحاب المكيال والميزان : « إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الأمم السابقة قبلكم ، أى فاحذروا البنس في ذلك ، وإلا هلكتكم كما هلك السابقون » .

ولأن التجارة متصلة بالعبادة حرم الإسلام الاتجار في الأشياء الخبيثة ، كالخمر والميتة والدم ولحم الخنزير والأصنام والأزلام والأنصاب وما أشبهها^(٤) .

[١] تفسير القرطبي ، ج ٥ ص ١٥١ .

[٢] انظر زاد نفعاد ، ج ٤ ص ٢٣٩ .

[٣] مفردات القرآن ، ص ٦٦ .

[٤] النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ص ١٠٥ .

البيان العزني

للأستاذ علي محمد حسن العاري

ضرورة لهذا العلم كالشأن في كل علم ،
فكيف نضعها ؟

* * *

وسنتحدث في هذا المقال عن كتاب من
هذه الكتب التي عنت بتتبع خطوات البيان
العربي ، وأبانت عن تصور العرب لمعناه
في العصور المختلفة ، وكشفت عن مصادره
الكبرى وعن الأذواق والعقول التي تضافرت
على بناء هيكله حتى استقر علما واضحا المعالم
يمثل منزلته الظاهرة بين علوم الأدب ،
ويحتل منزلته أيضا في تراث الأمة العربية
في العلم والتفكير ، ^(١) وهذا الكتاب هو
البيان العربي للدكتور بدوي طيبانه .

وقد يكون من الوفاء للتاريخ ، وهذه
الدراسة بخاصة أن أثبت هنا بعض ما عرفته ،
من هذه المحاولات .

فمن هذه الدراسات ، مقالات وبحوث
نشرت في المجلات الأدبية ، كالثقافة والرسالة ،
ومجلة كلية الآداب ، وصحيفة دار العلوم .
ومنها دراسات مستفيضة نشرت في مجلة الأزهر

اتجاه جديد نحمده للدارسين ، ذلك
هو العناية بالبلاغة العربية ، وقد نشطت -
في السنوات الأخيرة - الدراسات حول البيان
العربي ، وإن كانت لا تزال في أول الطريق ،
وتشعبت الغايات من هذه الدراسة ، فبعضها
يضع منهجا لتجديد البيان العربي ، وبعضها
يكثف بالظن على الطريقة التعليمية في هذا
البيان ، وبعضها يورخ لنشأة البلاغة
وتطورها ، وكلها جهود مشكورة تدل على
ما يبذله الدارسون من جهد في سبيل التقدم
بدراسة هي من أولى الدراسات بالعناية .

ومن للعجيب أن كل هذه الدراسات تحوم
حول المشكلة ، ولا تجرؤ على اقتحامها ،
قالذي وضع المنهج لتجديد دراسة البلاغة
لم يضع بابا واحدا يمكن أن نعتبره أنموذجا ،
والذين نظروا في الكتب القديمة فخللوا ،
وأبرزوا ما فيها من نظريات لم يحاولوا
كذلك أن يقولوا لنا : ماذا نعلم للنشأة ،
هل نكتفي بعرض ما كتب المتقدمون أمام
أعينهم ، أم لابد أن نرشدكم إلى ضوابط
تعينهم وترشدكم ، وإذا كانت الضوابط

[١] من مقدمة كتاب البيان العربي .

يدرس في كلية دار العلوم ، فغاياته تعليمية ، فن الطبعي أن يكون النظر البلاغي غالبا عليه ، وقد قال مؤلفه : « وإذا كانت طبيعة هذا البحث تقتضى أن يكون منهجه منهجا تاريخيا ، لأنه يقوم على دراسة تطور الفكرة البلاغية ، إلا أن الدراسة الفنية لم تفارقه ، فقد أبرزت قيمة البلاغة وقنونها ، وآثارها في قوة المعنى ، أو في صورة ذلك المعنى ، كما أن هذه الدراسة تعتمد فيما تعتمد على أسلوب الموازنة بين الفكر والآثار ، ومدى التوافق أو التخالف بينها ، وحظ كل منها من الابتكار أو التقليد ، وبيان تأثيره بما قبله وتأثيره فيما بعده ، وفي كل ذلك كان رأى يطل في تقسيم تلك الجهود ، والإشادة بما يستحق منها الإشادة ، ونقد ما رأيت فيه بعدا عن طبيعة البحث البياني بعد تقرير الفكرة وتوضيحها ، وعرضها عرضا مجردا يعتمد على النص الصحيح من غير تعصب ولا هوى ، أو محاولة لتحميل النص فوق طاقته من الاحتمال (١) .

وهذا البيان الواضح . أبرز لنا المؤلف منهجه في وضع كتابه ، وقد وفى بكل ما رسمه هنا ، غير أنى كنت أحب أن يطل بنظره أكثر ، لا سيما على بعض المشكلات التي وقف الدارسون عندها ، ولا يزالون يقفون ، مثل مشكلة التوفيق بين نظريتي عبد القاهر

في المجلدات الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر عن كتب عبد القاهر ، وقدامة ، والآمدى ، والجاحظ ، وابن سنان ، وابن الأثير ، والباقلاني ، وعلى بن عبد العزيز الجرجاني .

ثم أخرجت المطبعة كتابا قيمة - في هذه الدراسات - منها كتاب (من الوجهة النفسية) للدكتور محمد خلف الله ، وكتاب (بلاغة أرسطو) للدكتور إبراهيم سلامة ، وكتاب (أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجرى) للأستاذ محمد زغلول سلام .

ومن أمتع هذه الكتب وأدقها كتاب (النقد المهجى عند العرب) للدكتور محمد مندور وإن كان سبقه كتاب في تاريخ النقد أكثر تركيزا ، وهو كتاب (تاريخ النقد الأدبى عند العرب) وقد تنبّع فيه مؤلفه المرحوم طه أحمد إبراهيم ، قطور للنقد العربى منذ جاعليته إلى القرن الرابع الهجرى ، وطبع الكتاب في سنة ١٩٣٧ م . ولكل كتاب من هذه الكتب - كما أشرت آنفا - زاوية ينظر منها فيما كتبه النقاد والبلاغيون السابقون وإن كان موضوع الدراسة واحدا وهى كتب النقد والبلاغة أو بعبارة أدق هى كتب معينة دارت حولها هذه الدراسات .

وكتاب (البيان العربى) نظر في هذه الكتب من ناحيته الخاصة ، وهو كتاب

هـن تأثر الجاحظ بكتاب (الخطابة) لأرسطو ، وذلك حيث يقول مرددا القول : وقد رجحنا أنه إن لم يكن أدرك كتاب الخطابة لأرسطو مترجما ، فقد عرف ما فيه من أفواه النقلة الذين اعتمدوا ترجمته ، والجاحظ يلقف الثقافة من الفم والعقل ، كما يلقفها من الكتب ومن أسواقها (١) . وهذا دليل لا ينتهى العجب منه .

وقد وقع صاحب البيان العربى فى شىء من هذا ، حين قال تبعا لأستاذة إبراهيم سلامة بعد أن ذكر مناظرة أبى سعيد السيرافى ، ومتى بن يونس حول النحو العربى والمنطق اليونانى وانتصار أبى سعيد للنحو العربى : « وتلك هى حقيقة الأفكار التى تفناها عبد القاهر ، وصاغ منها كتابه دلائل الإعجاز » (٢) ومن قبل قال الدكتور إبراهيم سلامة : « عرضنا لهذه المناقشة بشىء من التفصيل لأهميتها فى اتجاه عبد القاهر الجرجانى ، الذى جعل مدار كتابيه دلائل الإعجاز ، ود أسرار البلاغة ، حول محور هذه المناقشة (النحو والمعنى) وما المعنى الذى أشاعه فى الكتاب الثانى وجعله قرين اللفظ بل المتحكم فيه إلا المعنى العقلى الخاضع للنطق البرىء من التناقض والإحالة . »

الجرجانى فى اللفظ والمعنى ، وسيجىء لهذه النقطة مزيد بيان .

وقد أعجبنى من المؤلف اعتداله ، وإنصافه لعلمائنا ، وإصراره على أصالة البيان العربى ، إلا حين يقوم الدليل الحاسم على أن المؤلف احتذى أو نقل من البلاغة اليونانية ، وقد عاب على بعض الباحثين من المعاصرين أنهم حكموا بالاحتذاء والتقليد لبلاغة اليونان لمجرد أنهم رأوا صفات مشتركة ، وملاح متشابهة بين البيان العربى وغيره . أو بين طرق النظر فيه ، وطرق النظر فى غيره من الآداب الأجنبية ، واعتبر هذا بعيدا عن الإنصاف لأنه ينبغى أن ينظر إلى الأمور النظرة الطبيعية البعيدة عن آثار التحامل ، والبعيدة أيضا عن آثار الهوى والتعصب .

ولقد عرض الدكتور محمد مندور فى بعض بحوثه لهذه الفكرة ، وحذر منها ، وقال : « وليس فى ميدان البحث شىء أشق من التقييم عن المؤثرات العقلية ، ولا أخطر ، وكفى ظلم الباحثون رجال الفكر بدعواهم الأخذ عن هذا أو ذاك فى غير دليل قاطع ، اللهم إلا أن يمتثل الباحث نفسه فىقيم أدلة مصطنعة » (٣) .

قلت : ومن هذه الأدلة المصطنعة ، ما ذكره المرحوم الدكتور إبراهيم سلامة

[١] بلاغة أرسطو ص ٣٩٦ .

[٢] البيان العربى ص ١٦٧ .

[٣] مجلة الثقافة ص ١٢ العدد ٢١٩ . فى بحث تحت عنوان (النظم عند الجرجانى) .

كما أراد ، لأنهم قتلوا وأهلكوا ، وقوتلوا
ولعنوا ، وما كان الله ليسدعو على أحد
فتوحيد الدعوة منه .

قال المؤلف : ولا شيء على ابن قتيبة في
هذا لأنه نظر إلى القرآن نظرة مجردة ، وقاسه
على سنن العرب في كلامها واستعمالها ، أما
ابن فارس فإنه ينظر نظرية دينية ، ويرى
أن مثل هذا الإغلاق لا يصح أن يقال في
كلام الله أو يوصف به دعاؤه ، والحقيقة
أن الله تعالى ليس في حاجة إلى هذا ، وإنما
هو أسلوب ألفه الفصحاء ، فجاء على منواله
التعبير .

وكتعليقه على تحليل عبد القاهر لقوله
تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي مأك ... »
الآية (ص ١٧٠) .

وكذلك هشت لمحاولته التقريب بين
قواعد البلاغة النظرية وبين النقد
الأدبي ، وصناعة الأدب ، حتى لا تكون
البلاغة بمعزل عما خلقت له ، وهو درس
الأدب وفهمه ، وتذوقه ونقده ، وهذا
الاتجاه — كما يقول — يمد على البيان
شيئا من عظمتة ، ويحفظ عليه حياته وجدته .
وكم كنت أتمنى أن يحقق المؤلف هذه
الغاية ، وليس تحقيقها — فيما أرى —
بأن نؤرخ لتطور البيان ، وعمل العلماء
السابقين فيه ، ولكن تحقيقها يكون بأن

فالمؤلفان يريان أن عبد القاهر اطلع على
هذه المناظرة ، وصاغ منها كتابيه ، ولو
أردنا التعبير الدقيق في هذا الموضع لقلنا
إن هذا مجرد فرض .

أولا لأنه ثابت في تاريخ عبد القاهر
أنه لم يخرج من بلده جرجان ، وليس تبادل
المعلومات في ذاك الزمان من السهولة بحيث
يصل إلى عبد القاهر في القرن الرابع ما جرى
من مناظرة في النحو في القرن الثالث .

وثانيا لأن عبد القاهر كان إماما
في النحو ، حتى إنه كان يلقب بالنحوى ،
وله فيه مؤلفات عظيمة ، وله آراء
انفرد بها ، ونسب إليه في كتب النحو
المتأخرة ، فلو فرضنا أن هذه المناظرة وصلت
إلى عبد القاهر ، فمن الظلم للرجل أن نقول
إنه (صاغ منها كتابه) إلا ما أشار إليه
الدكتور مندور من اصطناع الأدلة .

كما أعجبنى في المؤلف ، بعض تعليقات
دلت على دقة في الفهم ، وحسن في الإدراك
ومن هذه التعليقات ، رده على ابن فارس ،
في نقده لابن قتيبة فقد قال ابن قتيبة في قوله
تعالى : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » ، إن هذا
دعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع ، فقال
ابن فارس : وهذا وإن أشبه ما تقدم ذكره
من الأمثلة فإنه لا يجوز لأحد أن يطلق فيما
ذكره الله أنه دعاء لا يراد به الوقوع ، بل
هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم ، فكان

العصور المستقيرة للنتائج الصحيحة ، ثم صاغوها قواعد ، وقالوا بأنها أمثل الطرق لإحسان العمل دون أن يخضعوا قريحتك لها ، ولا أن يسمحوا لهواك بالخروج عنها ، فإن بين الاستبداد والفوضى نظاما هو أحق أن يؤثر ويتبع^(١).

وهذه القواعد الجديدة - على الرغم من الصيحات المتتابعة - لم نضعها ، وما أظننا حين نضعها نستغنى عن قواعد (السكاكي) ومن هذا حدوه .

ولما أن نصوغ هذه القواعد التي بين أيدينا صياغة جديدة ، ونلتمس لها من كتب النقد والأدب شواهد جديدة . وحينئذ نكون قد قاربنا حقا بين قواعد البلاغة النظرية وبين النقد الأدبي وصناعة الأدب . وهذا ما لم يفعله المؤلف .

على أن المؤلف ، ومن سبقوه ، وإن جهدوا جهدهم في خدمة البيان العربي ، وقفوا عند مباحث علم البيان ، وقليل من مسائل علم المعاني وعلم البديع ، ويكفي أن هذا الكتاب الضخم الذي يدرس في كلية مهمتها أن تخرج مدرسين للغة العربية خلا خلوا يكاد يكون تاما من الإشارة إلى فصول في علم المعاني ، لأن السكتب التي عني بدراستها لم تدون هذه

نصوغ قواعد البيان من جديد في ظل القواعد والضوابط التي يمكن أن نستخلصها من هذه الكتب ، والذي أصل الجزء الأكبر منها السكاكي ومدرسته ، فكل ما أخذناه على هذه الضوابط ، وأخذ غيرنا أنها (جافة) أي أنها لم تصغ في ظل النصوص الأدبية الكافية .

وعندنا أمران لا ثالث لهما ، إما أن نضع ضوابط جديدة لهذه العلوم (علوم البلاغة) وهذه الضوابط أمر لا بد منه - كما يقول الأستاذ الزيات : (على أن الطبع والقريحة لا يغنيان في البلاغة عن الفن ، وإذا كانت القواعد هي النتائج التي استنبطتها الأذهان القوية من وسائل الطبيعة وطرقها على طول القرون ، فإن الشأن في البلاغة يجب أن يكون هو الشأن في سائر الفنون التي اخترعتها الغريزة وأصلحتها التجربة ورقاها المران ، فعلم البيان - إذن - هو الجزء النظري من فن الإقناع ، والبلاغة هي الجزء العملي منه ، هو منهج الطريق ، وهي تسلسلها ، وهو يملل الوسائل ، وهي تملكها ، وهو يرشد إلى ينبوع ، وهي تعترف منه ، والقواعد البيانية لم يضعها الواضعون إلا بعد أن رجعوا إلى أصول الأشياء ، ودرسوا علائقها بالنفس والحس ، وعرفوا نتائج هذه العلائق من الألم واللذة ، ثم استخلصوا من تجارب

[١] دفاع عن البلاغة ص ١٦ .

لا يضيق بها ، فإننا ما نبغى إلا خدمة تراثنا المجيد ، والكشف عن مقوماته .

١ - أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى صنيع بعض الكاتبيين ، وإفادتهم من كتابه دون أن يشيروا إليه قال : « وقد أفاد بعض الكاتبيين ، من خطه هذا الكتاب ومنهجه ، كما أفادوا بما أثار من فكر وآراء حول هذا البيان ، ومن المادة التي بذلنا في تحصيلها جهوداً يعلم الله مداها من غير أن يكلفوا أنفسهم أقل ما تقتضيه أمانة العلم وأيسر ما يقتضيه واجب رعاية الحق من إشارة إلى هذا البحث الذي أنار لهم الطريق » .

ولأنه لشيء يؤسف له حقاً أن يستفيد باحث من منهج كتاب ومن آراء مؤلفه دون أن يكلف نفسه الإشارة إليه .

ولكن ألا يوافقني الدكتور أنه وقع في الغلطة نفسها ، إن بحوثنا وكتبا نشرت قبل أن يخرج المؤلف كتابه ، وفي هذه البحوث والكتب نفس المنهج ، ونفس الآراء ، ومع ذلك فقد راجعت ثبت المراجع التي ذكرها المؤلف فلم أجدها ذكراً لهذه الكتب .

وقد أشرت في أول هذا البحث إلى بعض هذه الكتب ، ونسيت أن أذكر أقدمها ، وهو كتاب (النثر الفني في القرن الرابع) الذي وضعه الدكتور زكي مبارك ، وقد تحدث فيه

الفصول ، ولأنه ليس من اليسير هضم هذه المسائل ، كما تيسر لكثيرين هضم مسائل علم الحياة .

ولقد رأينا المؤلف حين وصل إلى البلاغة السكاكية أجملاً في فصل ، ولم يشر إلى جهود أتباع هذه المدرسة لأنه يراهم مقلدين في البلاغة ، مع أن دراستهم تعيننا على فهم البلاغة النظرية ، وهذا ما هنت في كتابي (تاريخ البلاغة العربية) الذي ترجم لأشهر المؤلفين في البلاغة ، وبين طرائقهم في التأليف ، وعنى بصفة خاصة برجال المدرسة السكاكية الذين أهمل شأنهم الباحثون ، حتى أصبح متعلوونا لا يعرفون عن الخطيب والسعد والسيد والابجي إلا أسماءهم ، وحين يصدر هذا الكتاب سيتم هذه السلسلة التي وقف أكثرها عند القرن الرابع ، وبعضها ككتاب المؤلف قفز إلى العصر الحديث ، فتحدث عن أهم ما كتب فيه عن البلاغة ، ولكنه ترك فترة طويلة من الزمن دون أن يكشف الدور الهام الذي قام به رجالها في خدمة البلاغة النظرية .

وأنا - في الحقيقة - معجب بما يكتبه الدكتور طبانة في البلاغة والنقد ، غير أنني أحببت أن أقف مع رفقة قصيرة في كتابه هذا (البيان العربي) لعل صدر المؤلف الفاضل

المؤلف اطلع على كل ما كتبه المعاصرون حول موضوعه ، أو على بعضه ، وأفاد بما قرأ ، ولكنه لم يكلف نفسه الإشارة إلى هذه المراجع .

إن المؤلف ينبئنا في مقدمة الطبعة الأولى أنه كتبها في سنة ١٩٥٥ م ومعنى ذلك أنه سبق بكتيب وبحوث كثيرة .

فالدكتور زكي مبارك أخرج كتابه سنة ١٩٣٤ م وأنا لا أعتقد أن كاتباً يكتب في البلاغة العربية - سيما إذا كان أستاذاً في جامعة - أو في الأدب العربي لم يقرأ هذا الكتاب ولم يستفد منه .

والدكتور محمد مندور أخرج كتابه في سنة ١٩٤٨ م ، وقد تحدث فيه حديثاً مستفيضاً عن ابن المعتز وقدامة ، والآمدي ، والجرجاني والعسكري ، وعبد القاهر ، كما تحدث عن موضوعات تتصل بالبيان العربي .

والأستاذ زغلول أخرج كتابه سنة ١٩٥٢ م وفيه تحدث عن أكثر الكتب التي عرض لها مؤلف البيان العربي ، وحللها .

والذين كتبوا في مجلة الأزهر نشرُوا دراساتهم ما بين سنتي ١٩٤٢ ، ١٩٤٥ م . فهل من حقنا أن نقول للمؤلف إنك استفدت من كل هذه الدراسات ولكنك لم نشر إليها .

عن بعض هؤلاء العلماء ، وعن مؤلفاتهم التي تحدث عنها مؤلف البيان العربي .

ولكن هل أشار المؤلف إلى هذا الكتاب وهل أشار إلى الكتب الحديثة التي سبقته في هذه الدراسات ، وإلى هذه البحوث التي نشرت في مجلة الأزهر ، والتي لا نجد فكرة في كتابه ولا تحليلاً - إلا ما قل - يخرج عما كتبه هؤلاء الكتاب ، في مؤلفات معينة تعرض لها المؤلف ، على أن هذه البحوث أوسع وأشمل مما كتبه صاحب البيان العربي . إنني لم أجد - في المراجع - ذكراً لكتاب بلاغة أرسطو ، وهو كتاب أستاذ من أساتيد المؤلف والموافقة بينهما واضحة فيما حلاه من كتب مشتركة ، بل لم أجد المؤلف أشار في المراجع إلى أحد من المعاصرين إلا لأستاذين اثنين ، الأستاذ أحمد الشايب ، والأستاذ أمين الخولي ، أفيكون معنى ذلك أن المؤلف لم يطلع على جهود أحد من المعاصرين غير هذين أو أنه اطلع ، ولم يستفد شيئاً ؟

لئن كان الأول فإنني أعده قصوراً من مؤلف في علم لم يراجع جهود الباحثين المعاصرين فيه ، ولئن كان الثاني ، فإنني أعجب كيف يسبقك كاتب برأى ، ثم تعيد أنه رأيه ، وتدعى بعد ذلك أنك لم تستفد منه .

فلم يبق إلا الفرض الثالث ، وهو أن

التقنين (ص ٣٢٢) وأنه استمرار لقدامة بل بعث له ، وإن له دراية بالأدب العربي شعره ونثره (ص ٣١٥) . وأخيراً يقرر في غير موارد أن كتاب العسكري كان نقطة تحول النقد إلى بلاغة ، بل يجعل هذه العبارة عنواناً من عناوين كتابه .

فنحن لا نرى المؤلف زاد شيئاً عما ذكره الدكتور مندور ، وكل ما بينهما من خلاف أن المؤلف يقول عن أبي هلال : إن ذوقه أدبي رفيع (ص ١٢) وأن دراساته تعتمد على الفهم الدقيق والذوق الخبير بصناعة الأدب (ص ١٢٣) في حين يرى الدكتور مندور أن العسكري سقيم الذوق (ص ٣٢٣) وأنه يورد الأمثلة من نثر الصحاح بن عباد المسجوع السقيم ومن نثره هو نفسه الذي لا يقل سقماً عن نثر الصحاح (ص ٣٢٥) ، ويرى أن سبب فساد ذوق أبي هلال يرجع إلى فرط إعجابه بالبديع وأوجهه ، ويضرب لذلك أمثلة في (ص ٢٢٤) .

أما زكي مبارك فيعد نثر أبي هلال من الطبقة العالية ، وتعابيره من التعابير المشرفة ، ويراها من الشعراء المجيدين ، ويرى أن كتابه الصناعتين ، كتاب جيد نادر المثال وهو كتاب أدب قبل أن يكون كتاب نقد ، وأن شخصية أبي هلال قوية جذابة .

والملاحظة التي لاحظها المؤلف ، من أن

الواقع أني — وإن لم أعرف المؤلف شخصياً — حسن الظن به إلى حد كبير ، فلمل له عن هذا الاعتراض جواباً لا يحضرنى .

وقد رأيت — قبل أن أوجه هذا الاعتراض للمؤلف — أن اختار فصلاً من كتابه ، ثم أراجعه فيما كتب قبله ، فاخترت حديثه عن أبي هلال العسكري .

رأيت يذكّر أن أبا هلال من مدرسة الجاحظ التي تفضل الصياغة (ص ١١٩) وأنه عني بدراسة السرقات الأدبية (ص ١٢) وأن الكتاب زاخر بالدراسات النقدية (ص ١٢٣) وأن أبا هلال كان عزيز العلم ، ولم يتحدث عن إعجاز القرآن في الكتاب مع أنه ذكره في المقدمة ، وأنه تناول البلاغة بروح أدبية ، وأخيراً قال : (ويمكن القول بأن كتاب الصناعتين يمكن أن يعد نقطة تحول في الدراسات البيانية والنقدية ، وأنه جنح بتلك المعالم الذوقية اتجاهاً قاعدياً بما وضع من أسس فن البلاغة التي يعد كتابه من أهم مصادرها) .

أما الدكتور مندور فإنه يمتدح منهج العسكري في السرقات ويقول إنه وضع لهذه المشكلة أصدق حل (ص ٣٢٤) وأن كتاب الصناعتين يمثل الأوج الذي وصل إليه مذهب البديع (ص ٣٢٥) وأن العسكري لجأ إلى

فمن نرى أنه اقتنى أثر أستاذه بل تابعه متابعة حرفية ، حتى إنه قال بعد العبارات التي نقلناها : (واكتفى بالاستشهاد بآية في فنون الكلام ومحاسنه كما استشهد بغيره من مأثور المنشور والمنظوم) . فهل نجد فرقا بين عباراته هذه وما سبقها في هذه الملاحظة وبين عبارات أستاذه ؟ .

ينبغي أن نعترف بأن أى مؤلف ينتفع بالدراسات التي سبقته في موضوعه ولا عيب على المؤلف في ذلك ، ما دامت بمجهوداته معروفة ومشكورة في فنه ، ولكن العيب هو إغفال الإشارة بالآخرين .

(للحديث بقية)

على محمد حسن العمري

أبا هلال (قد ذكر في أول كتاب بالصناعتين أثر معرفة علم البلاغة في إثبات إعجاز كتاب الله تعالى) ولكنه (لم يبحث في كتابه شيئا ذا بال في القرآن أو في إعجازه) هذه الملاحظة هي التي لاحظها أستاذه إبراهيم سلامه حيث يقول : (يبين أبو هلال في أول كتابه عن غرض ديني هو معرفة الإعجاز في القرآن الكريم ... ولكنه بعد هذه المقدمة يهمل هذه الناحية تماما ، فيأتى على كتابه كله من غير أن يتعرض للإعجاز إلا فيما يورده من الأمثلة القرآنية على سبيل الاستشهاد بالآيات إلى جانب الآيات من الشعر والعبارات من النثر إلا في الأقل النادر) (١) .

[١] بلاغة أرسطو ص ٥٧ .

من الشعر الجيد

قول محمود سامي البارودي :

وإن كان ذا عقل إذا لم يكن جد
طلاب العلا مجد ، وإن كان لي مجد
يعض عليها كفه الحاسد الوغد
أصاب ، ولا يلوى بأخلاقه الكد
وأقنع بالميسور يعقبه الحسد
لعزته الدنيا ، وذات له الأسد
وما خير قلب لا يدوم له عهد

أود وما ود امرئ ناعما له
وما بي من فقر لهنيا ، وإنما
وكم من يد لله عندي ونعمة
أنا المرء لا يطغيه عز ثروة
أصد عن الوفور يدركه الخنا
ومن كان ذا نفس كخفى تصدعت
ومن شيمى حب الوفاء بحجة

دراسات في علم المعنى

« التيمانيك »

للدكتور كمال بشر

- ٤ -

لقد كشفنا في البحث السابق^(١) عن آراء بعض اللغويين فيما يتعلق بمكانة علم المعنى في الدراسات اللغوية وعلاقته بغيره من فروع علم اللغة ، وسوف نحاول الآن أن نكمل ما بدأناه فنأتى على وجهات نظر أخرى في الموضوع نفسه ، حتى تدبّر لنا حقيقة الأمر في هذه القضية التي تلزم معرفتها قبل الدخول في أية تفصيلات ، وذلك لأن هذه القضية - في نظرنا - هي الأساس الذي تبنى عليه مناهج البحث المختلفة التي يتبعها العلماء في دراسة هذه التفصيلات نفسها ، أو بمباراة أخرى ، إن التعرف على آراء الدارسين لإزاء هذه القضية هو السبيل الأول إلى فهم كل ما يعرضون له من مشكلات فرعية تتعلق بالمعنى اللغوي .

هذا الأساس هو ما ذهب إليه من وجوب التفريق بين جانبيين من جوانب الكلام الإنساني .

الجانب الأول هو ما سماه دي سوسير de Saussure - رائد هذه الفكرة الشائعة - «الكلام» parole ، والجانب الثاني «اللغة»

وقد رأينا أن نقصر كلامنا هنا على ما ذهب إليه في هذا الشأن عالمان مشهوران ، هما أولمان Ullmann وفيرث Firth ، وبذلك يتم لنا الوقوف على تلك الآراء التي تشمل

[١] انظر العدد السابق من هذه المجلة .

الكلام إنما يفعلون ذلك لارغبة في التعرف عليه وعلى خصائصه ، وإنما يهدفون إلى اللغة وحققاتهم من خلال دراسته .

ووححدات اللغة عند أولمان - طبقا للمفهوم الذى أشرنا إليه سابقا - تتكون من ثلاث مجموعات ، هى :

(أ) الوحدات الصوتية أو ما يسمى بالفونيمات phonemes .

(ب) الكلمات أو بعبارة أدق ، الصور الذهنية للكلمات word-engrams .

(ح) التراكييب أو بعبارة أدق ، الصور الذهنية لهذه التراكييب syntagmas .

وهذه الوحدات من الممكن دراستها والظفر فيها من نواح أو زوايا ثلاث ، لا يعنيها منها فى هذا المقام إلا اثنتان فقط ، هما :

(أ) وظيفة هذه الوحدات .
(ب) التركيب الداخلى لهذه الوحدات .
فوظيفة للفونيمات (ومفردها فونيم) التفريق بين الكلمات أو بين معانى هذه الكلمات ، وذلك كالتفريق الذى نلاحظه بين دكال ، ودجال ، مثلا ، بسبب وجود الفونيم المسماة دكافا ، فى الكلمة الأولى ودجيا ، فى الكلمة الثانية . ووظيفة الكلمات هى الدلالة أو استدعاء الفكر ، أو صور الأشياء المشار إليها بهذه الكلمات . أما وظيفة للتراكييب

langue . والرأى عند هذين العالمين - كما هو الرأى عند جميع أقباع هذه المدرسة - أن الكلام شئ فردى ، ومادته الأحداث اللغوية الحقيقية ، أى الأصوات والكلمات والعبارات والجل المنطوقة المسموعة بالفعل ، وهذه المادة المنطوقة المسموعة على اختلاف أنواعها تترك فى إثرها مجموعات من الآثار أو الصور العقلية التى تنطبع وتستقر فى ذهن الجماعة اللغوية المعينة ، وهذه الآثار أو الصور التى تمثل الأحداث اللغوية ومدلولاتها معاً - هى مادة اللغة التى يتم بها التفاهم فى المجتمع المعين (١) .

ومعنى هذا أن هناك فرقا بين مادة الكلام ومادة اللغة . أو بعبارة أخرى ، إن رموز الكلام ووححداته تختلف عن رموز اللغة ووححداتها ، فالوحدات الأولى تنسم بالطابع المادى ، أما الثانية فهى وحدات عقلية أو ذهنية . والوحدات التى يعنها أولمان فى هذا المجال والى يبنى عليها رأيه هنا هى وحدات اللغة لاوحدات الكلام ، وذلك لأن اللغة عنده - وعند جميع من نهجوا نهجه - هى موضوع البحث فى علم اللغة ، وهى هدف الدارسين جميعا . أما الكلام فهو شئ ثانوى ولا يعنى به اللغويون إلا بوصفه وسيلة لا غاية فى ذاته ، أى أنهم إذا أقدموا على دراسة هذا

(1) See Ullmann, The principles of Semantics, pp. 27-8.

جانبا، أحدهما الجانب الخارجى أو الدال signifiant على حد تعبير دى سوسير ، وثانيهما جانب المعنى أو المدلول signifié ، وهذان الجانبان قد يطلق عليهما أحيانا الصيغة والمعنى أو القالب والمضمون . وهذه الثنائية في عناصر هذه الوحدات تقتضى حتما ثنائية تقابلها في العلم الذى يختص بدراستها . ومن ثم كان من الضروري تفريع كل من علم الكلمات وعلم النحو فرعين اثنين . فعلم الكلمات يتفرع إلى علم الصرف المعجمى ، والمعنى المعجمى ، أما علم النحو فيندرج تحته علم الصرف النحوى وعلم المعنى النحوى . ولكن هذا التقسيم الثنائى لعناصر وحدات اللغة لا يطبق - عند أولمان - على الوحدات الصوتية أو الفونيات ، وذلك لأنها - في نظره - خالية من عنصر المعنى ، وليس لها من وظيفة إلا مجرد التفريق بين الكلمات . فهى إذن وحدات ذات عنصر واحد ، ولا تحتل التشقيق والتنويع ، ومن ثم لا تقتضى تفريعا في العلم الذى يقوم بدراستها ، وهو علم الأصوات التنظيمى .

والنتيجة التى وصل إليها أولمان من هذا كله هى أن النظر في وحدات اللغة من الناحيتين السابقتين معاً - وهما ناحية الوظيفة وناحية التركيب - يودى حتما إلى تفريع علم اللغة على الوجه التالى :

(أ) علم الأصوات التنظيمى .

(ب) علم الكلمات :

فهى الإفصاح عن العلاقات بين الأشياء التى تمثلها الكلمات التى تتكون منها هذه التراكيب . ثم يقرر أولمان بعد ذلك أننا إذا نظرنا إلى هذه الوحدات من الناحية الأولى - أى من ناحية الوظيفة - وجب علينا أن نقسم علم اللغة ثلاثة فروع رئيسية ، كل فرع منها يقابل مجموعة معينة من هذه الوحدات ، ويعنى بدراستها والنظر فيها . هذه الفروع الثلاثة هى :

(أ) علم الأصوات التنظيمى phonology

(ب) علم الكلمات lexicology .

(ح) علم النحو أو علم العلاقات اللغوية syntax .

فعلم الأصوات التنظيمى هو الذى يقابل الوحدات الصوتية أو الفونيات ، وهو الذى يختص ببحثها وتحديد وظائفها في اللغة . وعلم الكلمات وظيفته البحث في الكلمات ومشكلاتها ، أما النحو فبحثه التراكيب وهدفه بيان العلاقات بين مفردات هذه التراكيب .

ولكن هذا التقسيم الثلاثى لفروع علم اللغة سوف يتعرض لشيء من التغيير أو التعديل ، إذا ما نظرنا إلى وحدات اللغة من زاويتها الثانية ، وهى زاوية تركيبها الداخلى . يرى أولمان أن وحدات اللغة ، أو بعبارة أدق ، أن وحدات المجموعتين الأخيرتين منها - وهى الكلمات والتراكيب - لها

ما يكون البحث في المعنى على مستوى الكلمة المفردة ، وهذه المرحلة من اختصاص د علم المعنى المعجمي ، وهو ذلك العلم الذى عينه أولمان لدراسة معانى الكلمات دراسة عامة ، على نحو ما هو معروف ومألوف فى صناعة المعجمات . ومن الواضح أن علم المعنى المعجمي إنما يعنى بناحية المعنى أو المضمون أو المدلول فقط ، أما الناحية اللفظية المحضنة فيتولى شأنها قسمه الآخر فى التفريع السابق وهو د علم الصرف المعجمي ، . فهذا العلم الأخير إنما يركز كل اهتمامه على البحث فى أصول الكلمات وفى طرق تركيبها واشتقاقها وما إلى ذلك من قضايا خاصة باللفظ أو الدال signifiant ، كما يحلوا لبعض اللباحثين أن يسموه .

أما المرحلة الثانية التى نتعرض فيها لعلم المعنى فتتمثل فى دراسة المعنى على مستوى العبارة والجملة . وهذه المرحلة هى مجال البحث فيما سماه أولمان د علم المعنى النحوي ، ويعنى به ذلك العلم الذى يتولى الكشف د عن وظائف الوسائل النحوية المختلفة التى تستعملها اللغة للإفصاح عن العلاقات ، بين الأجزاء أو الوحدات المكونة للجملة أو العبارة . ومن هذه الوسائل التنعيم أو موسيقى الكلام ، وطرائق نظم هذا الكلام ، والسوابق واللاحق التى تغير المعنى الأساسى للكلمة ، وكذلك الأدوات على اختلاف أنواعها ، كحروف الجر

١ - علم الصرف المعجمي

lexical morphology

٢ - علم المعنى المعجمي

lexical semantics

(ج) علم النحو :

١ - علم الصرف النحوي

syntactic morphology

٢ - علم المعنى النحوي

syntactic semantics

ويرى أولمان أن هذا التفريع من أقرب التفريعات إلى المثالية والكمال ، وأن منطق الأشياء يشير إلى ضرورة الأخذ به ؛ لأن فيه — على حسب ما يفهم من كلام هذا الباحث — ما يقابل حاجة اللغة وما يشجع رغبة الدارس المدقق فى الحصول على مناهج علمية واضحة الحدود والمعالم : مناهج تيسر له سبل البحث فى الظواهر اللغوية المختلفة بحسب لا خلط فيه ولا اضطراب .

ومهما يكن رأى فى مثالية هذا التقسيم أو عدم مثاليته ، ومهما تكن نظرنا إلى الأسس والمبادئ التى بنى عليها ، فإننا نستشف منه أن صاحبه قد عنى بعلم المعنى عناية فائقة ، وأنه لم يأل جهداً فى إبراز هذه الأهمية وتأكيدها . فهو — وإن لم يجعل هذا العلم قسماً للفروع الرئيسية ومقابلاً لها — قد أوجب على الدارسين تناله والتعرض له على مرحلتين اثنتين : المرحلة الأولى عند

بالمصطلح المشهور : علم المعنى أو السيمانتيك Semantics ، فهذه المدارس حين تستعمل هذا المصطلح لا تعنى به إلا ذلك العلم الذى يعنى بدراسة معانى الكلمات على مستوى المعجم ، سواء أكانت هذه المعانى معانى أساسية أو أولية أم معانى فرعية أو ثانوية. أما ذلك الفرع الآخر الذى سماه أولمان د علم المعنى النحوى ، والذى قرر أن وظيفته هى بيان العلاقات بين عناصر الجملة وبيان المعانى النحوية لهذه العناصر — أما ذلك الفرع فلا يدخل فى مفهوم المصطلح (سيمانتيك ، عند أصحاب هذه المدارس : إن هذا الفرع يقابل ما يعرف عندهم د بعلم النحو ، بمعناه الفنى المعروف لدى أغلبية اللغويين . على أن الناظر المدقق فى وظيفة علم النحو عند هؤلاء ووظيفة علم المعنى النحوى عند أولمان سوف لا يجد فروقا جوهرية بين هذين العلمين ، وإنما تتمثل الفروق فى بعض القضايا الجزئية التى ترجع فى أساسها إلى ثلاثة عوامل رئيسية هى :

(١) اختلاف الدارسين فى المبادئ التى يبنى عليها تقسيم علم اللغة إلى فروعه المختلفة كبداى التفريق أو الفصل بين جانب اللفظ وجانب المعنى للكلام الإنسانى ، أو عدم الفصل بينهما ووجوب النظر إلى الحدث اللغوى على أنه وحدة متكاملة .

وحروف العطف إلخ . ومن وظائف علم النحو أيضا د بيان المعانى النحوية لأنواع الكلمة ، كالأسماء والأفعال والأدوات ، وبيان الدلالات التى تنبئ عنها أجزاء الجملة ،^(١) كالفاعل والمبتدأ والخبر وكذلك يدخل فى نطاق هذا العلم البحث فى الوحدات العليا للغة ، كالنظر فى أنواع الجمل ، من استفهامية وإثباتية مثلا ، وكالنظر فى هذه الجمل من حيث استقلالها أو اعتمادها على غيرها وارتباطها به . ومن البديهي أن وظيفة هذا العلم مقصورة على بيان جانب المعنى النحوى أو الوظيفة النحوية للوسائل أو الوحدات التى تتألف منها العبارات والجمل . أما جانبها اللفظى فهو من اختصاص د علم الصرف النحوى ، وهو ذلك العلم الذى تنحصر وظيفته فى بيان نوع هذه الوسائل والوحدات ، والكشف عن خصائصها المميزة لها من الناحية اللفظية أو الصرفية المختصة .

من هذا يتبين لنا أن أولمان قد وزع مباحث المعنى اللغوى على فرعين اثنين من فروع علم اللغة ، ولم يتصرها على فرع واحد ، كما فعل غيره من الدارسين . والفرع الأول منهما — وهو علم المعنى المعجمى — هو فى الواقع ما تعنيه بعض المدارس الأخرى [١] انظر أولمان : المرجع السابق ص ٣٤ .

المبادئ اللغوية التي يرى كل منهما أنها تنضوى تحت لواء علم المعنى . يرى بلومفيلد - كما سبق بيانه في موضعه (١) - أن هذا العلم يتفرع ثلاثة فروع هي ما سماها : المعجم ، الصرف ، النحو ، ويذهب أولمان إلى تقسيمه قسمين اثنين هما : علم المعنى المعجمي وعلم المعنى النحوي . فالمعجم عند بلومفيلد يقابل علم المعنى المعجمي عند أولمان ، والنحو عند الأول يقابل علم المعنى النحوي عند الثاني . وجدير بالذكر أن كلا من الفرعين المتقابلين يتفق مع الآخر في وظيفته ومجال اختصاصه ، وليس بينهما من فرق إلا في التسمية ، وإلا في بعض القضايا الجزئية التي يرجع الخلاف فيها إلى بعض المبادئ الخاصة بمناهج البحث اللغوي عند كل منهما . وهذه المبادئ نفسها هي التي دفعت بلومفيلد إلى أن يجعل « الصرف » - بالمفهوم الذي ارتضاه هو - فرعاً من فروع علم المعنى . ومهما يكن الأمر فمن الواضح أن كلا من هذين اللغويين قد اهتم بعلم المعنى اهتماماً فائقاً . وحاول جاهدًا توسيع دائرته ومجالاته بحيث يشمل جوانب لغوية ، هي في الواقع من اختصاص علوم أخرى مستقلة عن علم المعنى . فعلم النحو مثلاً ، أو ما سماه أولمان علم المعنى النحوي لا يدخل في نطاق السيانتليك بالمعنى الذي يرتضيه من يعتنه بأرائهم من اللغويين

(٢) اختلاف وجهات نظرهم في مكانة علم المعنى في الدراسات اللغوية ، وفي وظيفة هذا العلم .
(٣) اختلاف الرأي في تحديد معنى « المعنى » نفسه .

والحق أن أولمان نفسه قد صرح أكثر من مرة بأن المصطلح « سيانتليك » حين يستعمل استعمالاً عاماً أي بدون ذكر صفة تحدد المقصود منه وتعيينه ، يجب أن يؤخذ على أن المراد به إنما هو الفرع الأول فقط وهو علم المعنى المعجمي . أما إذا كانت الدراسة تعنى ببيان العلاقات بين أجزاء الجملة ، وبيان المعاني النحوية لهذه الأجزاء . فعلى الدارس حينئذ أن ينص صراحة على أن المقصود هو علم المعنى النحوي أو السيانتليك النحوي . وكل ما يعنيه أولمان بهذا التفسير هو مجرد وجوب تحديد المراد بالمصطلح « سيانتليك » ، حين استعماله ، لا وجوب قصره على فرع واحد من الدراسات اللغوية كما فعل أتباع المدارس الأخرى .

وهذا الإيضاح الأخير يقودنا إلى القول بأن نظرة أولمان إلى علم المعنى وإلى مكانته في الدراسات اللغوية تلتقي - أو تكاد تلتقي - مع نظرة بلومفيلد إلى الموضوع نفسه . ويظهر هذا الالتقاء أو التشابه بين النظرتين فيما لو قارنا بين مسلكي هذين العالمين تجاه

[١] انظر العدد السابق من هذه المجلة : ص ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ .

وأصرح . لقد قرر هذا العالم منذ البداية أنه سيبنى تفريعه لعلم اللغة على مجموعة من الأسس ، منها الاعتماد على طبيعة التركيب الداخلى ، للوحدات أو الأحداث اللغوية ، وعلى النظر إلى هذه الوحدات أو الأحداث على أنها مكونة من جانبين متميزين : هما جانب اللفظ وجانب المعنى ، ومن ثم جاء تفريعه النهائي لهذا العلم مطابقا تمام المطابقة لهذا الأساس الذى ذكره . وهذا الأساس نفسه يتمشى بدوره مع مبدأ آخر يؤمن به أولمان : ذلك هو مبدأ تقسيم الكلام الإنسانى قسمين ، الأول ما سماه « اللغة » ، language والآخر ما سماه « الكلام » ، speech ، قاصدا باللغة تلك القضايا والعنوانين اللغوية المخزونة فى ذهن الجماعة ، وبالكلام تلك الأحداث الفعلية الصادرة من المتكلم للفرد أثناء الكلام الحقيقى ^(١) .

وليس يخاف أن هذه النظرة إلى الحدث اللغوى وإلى الكلام الإنسانى تتضمن فكرة « الثنائية » ، فهما ، تلك الثنائية التى سبق أن رفضناها بكل أنواعها ، والتى أنكرنا على الدارسين الأخذ بها فى الدراسات اللغوية ^(٢) ، ومن ثم كان لابد لنا من رفض ما بنى عليها من قضايا ومشكلات ، ومن هذه القضايا

المعاصرين ، وكذلك الصرف ليس من السيماتيك فى شىء عندهؤلاء اللغويين وغيرهم . وكذلك يظهر الاتفاق بين أولمان وبولوفيلد فى قضية أخرى لا تتصل بعلم المعنى وحده ، وإنما تتعلق بجميع فروع الدراسات اللغوية كما تتعلق بالمبادئ التى يبنى عليها تفريع هذه الدراسات إلى تلك الفروع . هذه القضية تتمثل فى نظرتهما إلى الحدث اللغوى (كلمة كان أو جملة أو عبارة) كما لو كان مكوناً من جانبين أو عنصرين متميزين ومنفصلين : أحدهما عنصر اللفظ أو الدال أو القالب والثانى عنصر المعنى أو المدلول أو المضمون . ويشهد على إيمانهما بهذه النظرة ذلك المسلك الذى سلكاه فى تقسيم علوم اللغة ، فقد حرص كل منهما على تقسيم هذه العلوم بطريقة تضمن - بل تؤكد - تخصيص بعضها لدراسة الجانب الأول وهو جانب اللفظ ومرادقاته ، وبعضها الآخر للبحث فى الجانب الثانى وهو جانب المعنى أو المدلول أو المضمون . ولسنا نظن أن هناك سبباً آخر دفع ببولوفيلد إلى تقسيم علم اللغة قسمين رئيسيين هما : علم الأصوات وعلم المعنى ^(٣) ، حتى يكون هناك تقابل تام بين هذين العليين وبين الجانبين المذكورين . أما بالنسبة لأولمان فالأمر أوضح من هذا

[١] انظر ص ٨٧ - ٩٠ .

[٢] انظر العدد السابق من هذه المجلة ص ١٣٨٠

- ١٣٨١ ، ١٣٨٥ .

[٣] انظر العدد السابق من هذه المجلة ص ١٣٨١ .

يجعل نظريته هذه نظرية لغوية صرفية ، تستمد مبادئها وأسسها من الواقع اللغوي نفسه ، وترى إلى بيان الحقائق اللغوية كما هي ، بدون إقحام عامل الذاتية أو الافتراض والتخمين فيها . وكان ينكر على غيره من اللغويين التجاهل إلى بعض العلوم الأخرى يستمدون منها العون في معالجة قضاياهم اللغوية وتفسيرها ، ويشدد هذا الإنكار ويقوى حين يحاول هؤلاء اللغويون أن يجمعوا أو يخلطوا بين مبادئ هذه العلوم - كلها أو بعضها - وبين مبادئ الدراسات اللغوية . فهذا المسلك - عنده - إنما يؤدي في النهاية إلى تكوين منهج واه ضعيف ، تنقصه وحدة العناصر وتكاملها ، والنتيجة الحتمية لتطبيق هذا المنهج هي الخلط في الدراسة والاضطراب والزيغ فيما يصل إليه المدارس من نتائج .

دكتور كمال بشر

مدرس علم اللغة العام

بكلية دار العلوم

(البقية في العدد القادم)

ذلك التقسيم الذي أتى به أولمان هنا خاصا بعلوم اللغة ، وتلك الوظيفة التي عينها لعلم المعنى .

أما رأينا في هذه المشكلات وفي مشكلة علم المعنى ومكانته في الدراسات اللغوية فيعتمد في أساسه على منهج أستاذنا فيرث ، ذلك المنهج الذي شكله صاحبه بعد خبرة طويلة في البحث اللغوي ، دامت ما يقرب من الثلاثين عاما . وقد استطاع فيرث في هذه الفترة أن يكون نظرية لغوية جديدة أن تنسب إليه وحده فهو صانعها ومبتكر أصولها وواضع الخطوط العامة والخاصة التي ينبغي على الباحث اللغوي أن يتبعها في كل مراحل الدراسة . وكان أول ما وجه إليه الاهتمام في عمله هذا هو التخلص من كل أوجه القصور والنقص التي اتسمت بها النظريات والمناهج الأخرى ، والتي تتمثل في اعتماد أصحاب هذه النظريات والمناهج على المبادئ أو الأفكار الفلسفية والنفسية والمنطقية في بحوثهم . لقد قرروا هذا اللغوي الكبير منذ البداية أن

من ذخيرة لغتنا عراعر بمعنى سادة .

قال شرحبيل بن مالك يمدح معد يكرب بن عكب :

خلع الملوك وسار تحت لوائه شجر اللعري وعراعر الأقوام

(عن كتاب الأملاني لابن علي الغالي)

الإمام الأعظم أبو حنيفة

رسائل رابضة في منصف

للأستاذ عباس طه

لأبي حنيفة قم فاسأله : فقام إليه وقال له ما تقول يا أبا الخطاب في رجل غاب عن أهله فظنت امرأته فقدته فتزوجت ثم قدم زوجها الأول فدخل عليها وقال لها : يا زانية تزوجت وأنا حي ، ثم دخل زوجها الثاني فقال لها تزوجت يا زانية ولك زوج . كيف يكون اللعان فقال فتادة وهل وقعت هذه المسألة فقال أبو حنيفة وإن لم تقع فإننا نستعد لها حتى إذا وقعت كان جوابها حاضراً ، وعلى هذا المنوال أحدث أبو حنيفة الفقه التقديرى فكان بهذا وأمثاله مجدداً في الإسلام غير مدافع .

ولقد ارتضى جمهور العلماء هذه الطريقة فافتدى بأبي حنيفة في هذا فقهاء الأمصار إلا أقلهم فقدروا المسائل وفرضوا وقوعها ثم استنبطوا أحكامها من أصول الشرع نسجاً على منوال أبي حنيفة وبذلك نما الفقه الإسلامى واتسع حتى صار ببحراً زاخراً لا ساحل له وثروة غنية للجمع في التشريع والنظم الصالحة مع أنه كان قبل أبي حنيفة مقصوراً على الحوادث التي وقعت في ذلك العهد الأول .

من تلمذ يربأى حنيفة استنبط الفقه التقديرى :

لما لم يكن بدون معرفة حكم الله تعالى في الوقائع ، ولما كانت الحوادث في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر ، وكان من المقطوع به أنه لم يرد في كل حادثة نص ، كان هذا من الدواعى إلى وجوب اعتبار الاجتهاد ليسكون بصدد كل حادثة لم ينص على حكمها ، وكان من الدواعى التي دعت الإمام الأعظم إلى إحداثه الفقه المستنبط أو التقديرى ، فوضع المسائل التي لم تقصع وفرض نزول الحوادث التي لم تحدث ، وقدر قوع الوقائع ، واستنبط لها الأحكام من أصول الشرع ، حتى إذا وقعت كان الإفتاء عنها قائماً ؛ إذ ليس من المتيسر دائماً وجود المفتي الذي يفتى الناس في حوادثهم التي تقع وتحدث لم في كل يوم وفي كل مكان ، وكان بعض السلف لا يجيب عن مسألة إلا إذا وقعت بالفعل ولا يفتى في أمر لم يحدث ، روى الحافظ ابن عبد البر أن فتادة قدم إلى السكوفة لجلس في مجلس له وقال : سلوني عن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجيبكم ، فقال جماعة

شئ، من تبرير أبي حنيفة في علم

القضاء والاستنباط :

من بديع استنباط أبي حنيفة ومقدوته
الفقهية وتوقد ذكائه وسرعة خاطره وتبريزه
في علم القضاء ، وعلم القضاء غير معرفة الأحكام
والبصر بالحلال والحرام ، فقد يكون الرجل
بصيراً بأحكام الأفعال عارفاً بالحلال والحرام
ولكنه لا يستطيع أن يقوم بفصل القضاء .
أقول : من ذلك ما ذكره الإمام الحافظ
ابن العربي في كتابه أحكام القرآن قال :
ما يروى في معرفة أبي حنيفة بالقضاء
أن رجلاً جاء وقال له : إن ابن أبي ليلى
قاضى الكوفة جلد امرأة مجنونة قالت لرجل
يابن الزانيين خذها حدين في المسجد .

فقال أبو حنيفة على الفور : لقد أخطأ
ابن أبي ليلى من ستة أوجه : الأول :
أن المجنونة لا حد عليها لأن الجنون يستقط
التكليف ، هذا إذا كان القذف في حال الجنون
فأما إذا كان يمجن مرة ويفيق أخرى فإنه يحد
بالقذف في حال إفاقته إذا قذف في حال
إفاقته أيضاً .

الثاني : قولها يابن الزانيين جلدتها من أجله
حدين لكل أب حد وهو خطأ لأن حد القذف
يتداخل ولا يتعدد بتعدد المذنب لأن حد
الله تعالى كحد الحر والزنا ، ولو أن رجلاً قذف
قوماً ما كان عليه إلا حد واحد .

فهل يجوز في شرع الله فرض المسائل
واستنباط أحكامها قبل وقوعها كما فعل
أبو حنيفة ؟ هذه مسألة مختلف فيها ولكن
جماهير علماء الإسلام أجازوا ذلك مستدلين
بأدلة كثيرة صحيحة . منها ما روى في صحيح
مسلم (ج ٢ ص ٩٨) عن المقداد بن الأسود
أنه قال : يا رسول الله : أرأيت إن لقيت
رجلاً من الكفار فقاتلني فضرب إحدى يدي
بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقتل :
أسلمت لله . أفأقتله ، يا رسول الله بعد أن
قالها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تقتله . قال . فقلت : يا رسول الله إنه قطع
يدى ثم قال ذلك بعد أن قطعها أفأقتله ؟ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتله فإن
قتلته فإنه بمنزلة من قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلة من
قبل أن يقول كلمته التي قال . ففي هذا الحديث
الشريف لم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم
المقداد عن فرض مسألة لم تقع بل أجابه عنها
وبين حكمها فدل ذلك على جواز فرض المسائل
واستنباط أحكامها قبل وقوعها ، وكان إحداث
أبي حنيفة لهذا الفقه المستنبط أو التقديرى
موافقاً للسنة النبوية بل هو تطبيق عليها
ونسج على منوالها واقتداء بعمل الرسول
الكريم صلى الله عليه وسلم ، فمن عاب أبا حنيفة
على ذلك فإنه لم يحط بالسنة خبراً ولم يعرفها
معرفة أئمة حنيفة بها ، بل لم يعرف مذهب أبي
حنيفة ولا مداركه الدقيقة .

وهذه من مناقب أبي حنيفة في حسن تمسك بالطاعة لأولى الأمر .

ومن ذلك ما رواه الحسن بن أبي مالك أحد أصحاب أبي يوسف أن أبا حنيفة دخل إلى قاضي الكوفة ابن أبي ليلى ومعه أبو يوسف ليقضى حقه فلما جلس أبو حنيفة عنده قال ابن أبي ليلى لحاجبه . ائذني لمن حضر من الخصوم بالدخول كأنه أراد أن يرى أبا حنيفة كيفية الإجراءات التي يتخذها مع الخصوم وكيفية أعماله في القضاء وإيضائه الحكم فدخل عليه الخصوم وتقدم إليه جماعة فحكم بينهم ثم تقدم إليه وجلان فقال أحدهما : أعزك الله إن هذا الرجل قذف أمي بالزنا وقال لي يابن الزانية وأنا أسأل القاضي أن يأخذني بحقي منه ، فقال ابن أبي ليلى للدعي عليه : ما تقول في هذا ؟ .

فقال له أبو حنيفة أتسأله عن دعواه وليس هو له بخصم ؟ إنه رمى بالزنا أمه فهل ثبتت وكالته عن أمه عندك ؟ قال لا فقال : أقبل على المدعي واسأله أحية أمه أم ميتة ؟ فإن كانت حية فلا وجه لدعواه إلا بوكالة منها في المطالبة بحقها وإن كانت ميتة كان قولاً آخر فسأل ابن أبي ليلى المدعي فقال له أملك حية أم ميتة ؟ قال : بل ميتة ، قال له أقم عندى البينة بوفاتها حتى أعلم ذلك فأقام عنده البينة بوفاتها ، فسأل ابن أبي ليلى المدعي

الثالث : أنه حد بدون مطالبة المقذوف ولا يجوز إقامة حد بإجماع الأمة إلا بعد المطالبة بإقامته .

الرابع : أنه والى بين الحدين ومن وجب عليه حدان لم يوال بينهما بل يحّد لأحدهما ثم يترك حتى يندمل الضرب ويستقبل المضروب ثم يقام عليه الحد الآخر .

الخامس : أنه حدها قائمة ولا تحد المرأة إلا في حالة مستورة .

السادس : أنه أقام الحد في المسجد والحدود لا تقام في المساجد إجماعاً .

ثم قال ابن العربي : إن هذا الذي قاله أبو حنيفة على البديهة لا يدركه أحد بالرواية إلا العلماء الماهرون الراصون في العلم وهو يدل على معرفته بعلم القضاء .

لم يبلغ ابن أبي ليلى هذا النقد شكاً بأبا حنيفة للوالى وقال له : إن بالكوفة شاباً يعارضنى في الأحكام ويشنع على بالخطأ فنعه الوالى من الفتوى ولزم بيته . ثم وردت مسائل لعيسى بن موسى فاستفتى أبا حنيفة فيها فأفتى بما استحسنته عيسى وأذن له بالفتوى فجلس في مجلسه كما كان . وفي رواية أخرى أن امرأة استفتته يوماً بأنه خرج من أسنانها دم وهي صائمة فبصقته حتى عاد الريق أبيض فهل تفطر إذا بلعت الريق فأمر أبو حنيفة ولده حماداً أن يفتيها وقال لها : إن الوالى منعى من الإفتاء ،

الآن فسل المدعى عليه عن دعوى المدعى
فسأله فأنكر فقال للمدعى ألك بينة قال : نعم
جماعة من وجوه أهل السكوفة ، قال فأحضروهم
مع خصمك حتى أسمع شهادتهم عليه ثم نهض
أبو حنيفة وانصرف . فمن هذه الوقائع يتبين
تبريز أبي حنيفة في علم القضاء واستنباطه
وسرعة خاطره وتوقد ذكائه ومقدرته الفقهية
التي بلغت في التجديد في الدين أعلى الدرجات .
نقول لو صح هذا كله لكان ابن أبي ليلى
غير جدير بتولى القضاء . فإن ما لاحظته
أبو حنيفة عليه من الإجراءات الأولية فنحن
نشك في صحته وإنما أوردناه لما فيه من
الطرافة ودلالة على اعتراف الجماهير بصدق
نظر أبي حنيفة في إدارة شؤون التقاضى
مع أنه لما دعى لتولى القضاء أبى أن يقبله
تورعا ، وشدد عليه في القبول فأصر على
الإباء وهكذا يتحفظ العالم في إجابته أمانة
في أداء الفتوى وخروجا من العهد أمام الله
والناس حتى يظل العالم خليقا بحمل أمانة
ما يفق فيه ؟

هباس ط

عليه عن دعوى المدعى فقال له أبو حنيفة
سل المدعى هل لأمه وارث غيره ؟ فإن كان له
إخوة كانت المطالبة له ولهم وإن كان هو
وحده كان قولاً آخر . فقال ابن أبي ليلى
للمدعى هل لأمك وارث غيرك ؟ قال لا قال
فأقم عندى البينة بذلك فأقام البينة بأنه وارث
أمه ولا وارث لها سواء فذهب ابن أبي ليلى
ليسأل المدعى عليه عن دعوى المدعى فقال
أبو حنيفة : سله عن أمه أحره أم أمه ؟
فقال ابن أبي ليلى للرجل أمك حرة أم أمه ؟
قال بل حرة : قال فأقم عندى البينة فأقام بينة
بذلك ، فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه
فقال أبو حنيفة : أسأله أمسلة أم معاودة ؟
قال : هي حرة مسلة من بنات آل فلان
مرارة بالسكوفة قال فأقم عندى البينة بأنها
مسلة فأقام البينة عنده بأنها مسلة ، ثم أقام
البينة على أن أمه هفيفة عن وطء نحبده ، وأن
ذلك الرجل لم يقذفها في حياتها وأنها ساعته
من حد القذف لأنه إذا قذفها وهي حية
وساعته من الحد لم يحكم بقذفها . ثم قال
أبو حنيفة لابن أبي ليلى بعد ذلك شأنك

قال الشاعر :

فإياك أن تغتر يا صاح بالهوى فإن الردى حلف الهوى وعقيدته

ثَائِقَاتُ الْعَزْلِ وَالْإِسْلَامِ

المُسْلِمُونَ السُّودُ فِي امْرِيكا

للاستاذ عباس محمود العقاد

The Black Muslims In America

التحقيق عنده أو يكلف القارىء تصديق
مالا يقبل التصديق من دخائل تلك الحركة .
ولا غرابة في حرص الدكتور أريك
لنكولن على تحقيق أخباره عن حركة كبيرة
من حركات أبناء قومه في بلاده . لأنه لا
يستطيع أن يتنكر لشعوره بالقرابة الحيمة
بينه وبين من يكتب عنهم وإن نشأ على
عقيدة غير عقيدتهم ، وربما كان انتسابه
إلى طائفة مسيحية كاطائفة « الميثودية » سببا
آخر من أسباب الصدق في وصف عيوب
المجتمع الغربى وتسويغ الشكاية التى يشكوها
الناقضون على تلك العيوب ومنهم السود
الأمريكيون ، فإن الطائفة الميثودية إنما
نشأت وانتشرت بعض الانتشار في القرن
الماضى لأنها دعوة صارمة إلى إصلاح تلك
العيوب وتبديل العادات والتقاليد التى من
أجلها تبرمت طائفة السود بالحياة الاجتماعية
بين البيض في القارة الأمريكية ، وقد يكون

في هذا الكتاب بيان واف عن حركة
جديدة في مقدمة الحركات الإسلامية المعاصرة
بالقارة الشمالية من بلاد العالم الجديد ، منذ
سنة (١٩٣٠ م) إلى اليوم .

ومؤلف الكتاب قس من الأمريكيين
السود يسمى أريك لنكولن ينتمى إلى الطائفة
المسيحية التى تعرف باسم المنهجيين أو
الميثوديين Methodists ويدرس الفلسفة
الاجتماعية بإحدى كليات « أتلانتا » ويكاد
يتخصص للدراسات التى تتعلق بمذاهب السود
في القارتين الأمريكيتين .

وقد دلت طريقته في وصف حركة الدعوة
الإسلامية بين السود الأمريكيين على عناية
بالصدق في تحرى الوقائع والبحث عن مصادر
الأخبار ، فهو - فيما عدا بعض العقائد التى
ينسبها إلى السود المسلمين ونستبعد أن يدين
بها أحد ينسب إلى الإسلام - لم يذكر خبرا
من الأخبار التاريخية يشير الريبة في نية

باقترار أولئك الدعاة على تعويد أتباعهم ، بعد فترة وجيزة ، أن يستقيموا على حياة العفة والورع وإن كانوا قبل ذلك من مدمى السكر ومقارفى الشهوات وملتمسى الكسب من أنواع المحرمات والموبقات .

ويشهد المؤلف لمؤسس الدعوة (فراج محمد) أو فراج محمد على بحسن تديره لأمر الدعوة وتنظيم برنامجها واتباع الخطة التى تجدى فى التوجيه وصيانة الحركة على سوائها ما ليست تجديه خطة أخرى فى مكانها ، ومن آثار هذه الخطة المنتظمة أن أتباعه بلغوا بعد سنوات نحو مائة ألف (وقد يزيدون) وأنهم أقاموا لهم بين الولايات الشمالية نحو سبعين مسجدا وزاوية للعبادة عد المدارس والمسكاتب وأندية الاجتماع والمحاضرة ، ومن دلائل تديره أنه كان يحفى عدد أتباعه ويتجنب الخوض بهم فى غمار الانتخابات ويوصى أتباعه بمثل ذلك إلى أن يحين الوقت لاستخدام أصواتهم على الوجه المقدور فى ترجيح فريق على فريق من الخصوم السياسيين .

ويحيط المؤلف لإمام الدعوة بحج من الغرابة يلائم جو « الغيب » الذى يأتى من قبله رسل الدعوات ، فقد حضر إلى « ديترويت » حوالى سنة (١٩٣٠ م) ولم يحفل بحضوره أحد قبل بضعة شهور ، لأنه كان يحترف ببيع

فى بيان تلك العيوب على حقيقتها شىء من الاعتذار عن إخفاق الدكتور أريك لنكون وزملائه السود فى تبشير أبناء قومه بمذمهم المسيحى ، لأنه يقول ويستشهد على قوله بكلام المؤرخ الكبير « توينبى » إن السود شعروا بخيبة الرجاء حين دانوا بمذهب من المذاهب المسيحية ثم وجدوا أن وحدة الدين لم تغن عنهم شيئا لدفع المهانة عنهم ولا لحمايتهم من ظلم التفرقة بينهم وبين البيض فى معاملاتهم وعلاقاتهم الشخصية أو الاجتماعية ويتراءى من بين السطور اعتذار آخر

عن إخفاق المبشرين السود فى ضم أبناء قومهم إلى زمريتهم . فإن مؤلف الكتاب يلاحظ أن رؤساء الكنائس يرفعون عن قبول الشذاذ والوضعاء وذوى الشبهات بين أتباع كنائسهم ، فى حين إن الدعوة الإسلامية قد أسفرت عن نجاحها التام فى إصلاح هؤلاء المنبوذين بعد امتزاجهم بأبناء البيئة الإسلامية ، وقد يكون تأكيد هذا النجاح عذرا للدكتور أريك لنكون وزملائه من ذلك الإخفاق الذى يمتنون به كلها حاولوا أن يضيعوا صنيع الدعاة المسلمين الذين يرحبون بمن يستجيبون لدعوتهم وينشئونهم نشأة أخرى كما يقول المؤلف بغير مواربة فى شهادته لمؤسسى الدعوة الإسلامية الأولين ولمن خلفهم على هداية أتباعهم المؤمنين ، فلا يخفى المؤلف إعجابه

الأتاويل ، فإنه أناب عنه أكبر مرديه السيد محمد إيليا ، ثم انزوى عن الأنظار ولم يرجع من غيبته تلك إلى هذه الساعة ، وقيل عن أسباب احتجاجه إنه ينتظر ساعته الموعودة ، وقال كثيرون إنه ذهب ضحية لمكائد أعدائه الدينيين أو السياسيين ، ولم يستبعد فريق من أبناء الإقليم أنه اغتيل وأن اغتياله كان على يد ناس من أتباعه المنشقين عليه ، لأنه كان مجرد حملته السياسية لعداوة الرجل الأبيض ولا يوصى أتباعه بالولاء للدولة القائمة في البلاد ، وانفقت عليه فئة من أتباعه أشفقوا من تعريض الحركة كلها لبطش الدولة باسم القانون وغالغوه وجرهوا بولايتهم للسلطة الدنيوية مع احتفاظهم برسالتهم الدينية والثقافية ، وإلى بعض هؤلاء المنشقين يعزى اغتياله على قول أناس من شيعته وأناس من مخالفيه .

وكل ما ينسبه مؤلف الكتاب إلى هذه الدعوة يدخل في باب الاحتمال المقبول إلا ما يرويه عن شيعة قليلة اعتقدت فيه أنه إله تجسد لينقذ خلايقه المظلومين ، وأنه ظهر بالجسد على صورة إنسان من السود لأنه أراد أن يطهر الأرض من فساد الرجل الأبيض ويسلمها لأيدي السود من ضحايا ذلك الفساد .

فنحن نستبعد أن يشيع هذا الاعتقاد

الملابس والمنسوجات ولم يلفت إليه الأنظار إلا بعد افتتاح البيت الأول للوعظ والصلاة فلما انتفت إليه ولاية الأمر ومستظامو الأخبار بحثوا عن أصله والمكان الذي أقبل منه فلم يجدوا من أمره قط إلى يقين ، وبلغ من اضطراب الظنون حول حقيقته أن بعضهم ينميه إلى مكة وبعضهم ينميه إلى فلسطين ، ويقول أناس إنه من الإفريقيين التابعين للدولة التركية ويقول غيرهم إنه من رسل النازيين إلى أمريكا لإثارة رعاياها المتمردين عليها ، بل زعم بعضهم أنه من دعاة السياسة اليابانية كما زعم آخرون أنه من دعاة السياسة الروسية ، ولولا أن تنظيم الحركة كان أقوى وأثبت منه أن تستمال إلى خدمة الدعايات لحقت فيه شبهات القائلين إنه داعية من أولئك الدعاة الدوليين مستتر عن الأنظار بستار القومية والدين ، ولكن الرأي المحقق الذي انتهى إليه الباحثون عنه أنه « مبشر مسلم ، شديد العصية لدينه ، مع مغالاة فنسب إليه في مزج الدعوة الدينية بالدعوة العنصرية إلى تغليب الرجل الأسود على سلطان الرجل الأبيض ، خلافا للعنصرية النازية التي حاول بعضهم أن يحسبه من أذناها .

ولما احتجب عن مقر الدعوة بمدينة ديترويت وما حولها كان احتجاجه أغرب من ظهوره وأدعى إلى إثارة الظنون واضطراب

الاستغلال غير الثورة على دعوى الرجل الأبيض في حق السيادة على الأمم الصغراء والسمراء أو الأمم غير البيضاء على الإجمال، ولم ينس إمام الدعوة أن الإسلام لا يقوم على كراهية جنس من الأجناس ولا على التفرقة بين الشعوب والألوان، ولكنه كان يقول: إنها كراهية تولدت من الكراهية، وإن عداوة السود للبيض فرع من أصل عريق فيأحواله، وهو عداوة البيض للسود. فإذا تقدم الزمن بدعوة «ديترويت» إلى ما وراء هذه البواعث المحلية، أو الموقونة لم يكن عسيراً على المؤمنين بها أن يصونوا لها تلك الغيرة التي استمدتها من النخوة القومية ليستقيموا بها على النهج القومي من الغيرة الإسلامية، أو الغيرة الإلهية. ولهذا الموضوع عودة نعرض فيها لجوانب البحث التي شملتها فصول الكتاب ولم يتسع لها هذا المقال؟

عباس محمود العقاد

بين أناس يقرءون القرآن ويعرفون طرقاً من مسيرة النبي عليه السلام، ولكننا لا نستبعد الغلو في الحملة على الرجل الأبيض وما يتبعه من الغلو في تقدير رسالة الرجل الأسود الذي يضطلع بإصلاح فساد وإزالة سلطانه. فإن مؤسس الدعوة بمدينة «ديترويت»، قد عول على النخوة القومية ولم يكن له مناص من التعويل عليها للارتفاع بنفوس أتباعه إلى مقام الكرامة التي تأتي الخنوع لأصحاب السلطان وتطمح إلى الوقوف منهم موقف المصلحين المعلنين، فليس قصاره من الإقناع أن يمتنع سامعيه بمشابهة السادة في بلادهم وبين مظاهر سلطانتهم واعتزازهم، بل هو يناديهم ليصلحوا حيث فسد أو لشك السادة ويملكوا زمام الولاية حيث كانوا من قبل مملوكين مسخرين.

ووافقت هذه الدعوة المحلية، دعوة أخرى عالمية من قبل الآسيويين والإفريقيين، لم يكن لها شعار منذ قيامها مع حركات

من قصيدة لسليمة بن يزيد يرثي أخاه قيس بن سلية :

إذا ثوب الداعي وتشقى به الجوز
إذا ما هو استغنى وبيعه الفقر
له جفوة إن نال مالا ولا كبره
شمال وأمسست لا يعرجها ستره
إلى باب سغبي وقد قحط القطر

فتى كان يعطى السيف في الروح حقه
فتى كان يدنيه الغنى من صديقه
فتى لا يعد المال ربا ولا تُرى
فتمم مناخ الضيف كان إذا سرت
وماوى اليتامى المحلين إذا انتهوا

مَحْنًا بِفَرْشِ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

عابِد الشمس

للأستاذ العوضي الوكيل

« على شاطئ نهر الكنج في الهند قوم يعبدون الشمس ، ولم زعم
ظل ينظر إلى إلهه حتى كف بصره ، ولكنه مع ذلك استمر يتجه إلى
الشمس منذ مشرقها إلى أن تغرب كل يوم متعبدا خاشعا . »

أيها العابد قد جاء الصباح وتبدى من سناه في وشاح
وصحا الكون على ترنيمه لك سارت في الروابي والبطاح
ترمق الشمس لدى غدوتها وتحييها إذا حان الرواح
قبلة أنت إليها ناظر دأباً ، لم ينصرف منك التماح !

لم تزل ترنو إليها خاشعاً خافض القلب لديها والجناح
رحت تدعوها دعاء خافتنا خافي اللفظ وإن معناه صاح
ونجاء أنت في لجته غارق ، نشوان منه غير صاح
قد تخذت الكون طراً معبدا ورحيب الأفق للعبد ساح

أيها العابد نخ الغمض وادن لاح منها حاجب ، أو ذر قرن
ناجها بالصمت حيناً واللغى وكلا ذين به سحر وفن
وتوسل في خشوع شاعر وانهل الأضواء فالآفاق دن
ولئن خانك طرف ناظر فلك القلب له أذن وعين

أيها العابد للشمس التي لم تزل تسخو علينا بالاسنا
نحن عشاق لها ، لكنتنا ما اتخذناها إلها يفضنا
إنما نعبد من أبدعها ولديه وحده نبغى المني
ولنا شعر وترنيم له وتهليل تسامت في الدني

(البقية على صفحة)

من رحاب الله
مزیداً من النور
للأستاذ إبراهيم محمد نجما

(يا إلهي .. يا نور النور ، سأظل طول أياي
أدعوك : مزيداً من النور .. مزيداً من النور ، تتحول به
ظلت إلى نور ، يعيدني إلى رحابك في عالم النور) .

مزيداً من النور يا خالق	فقد جن ليلى بفجر الضياء :
مزيداً من النور يهدي خطاي	إن حيث نبع الهدى والصفاء
مزيداً من النور في ظلي	ليجو فجرى ظلام المساء
مزيداً من النور يسعد قلبي	بما يسعد النبع ركب الظاء
ظمت إليه بروحي التي	تري النور نبعا سخي العطاء
مزيداً من النور ، فالنور حب	وبالحب يشرق ليل الحفاء
وبالحب ألقى البعيد القريب	وما أروع الوصل يوم اللقاء !
وبالحب أشعر أني فني	فقلت الخلود بهـذا الفناء
أنا عاشق النور مثل الفراش	وفي النور ألقى خلود البقاء

* * *

مزيداً من النور على أعود	إلى عالمي في رحاب السماء
فأحيا كما كنت أحيا هناك	حياة الصفاء ، حياة النقاء
أغني ، وأسمع غيري يغني	فيمتد عمري بسحر الغناء
وأرني إلى الله في باطن	فتأخذني مرة وانتشاء

قضيت زمانا بهذا المكان ومر كحلم فريد الرواء
 رأيت الحياة على ضفتيه ربيعا ييوح بسر النماء
 ولما صحت تولى الربيع وجاء الخريف ، وجاء للشتاء
 وألفيتني هاهنا في التراب أسير كمن تاه بين العراء
 أجاهد وحدي ظلام الحياة بروح قضى كمنجم أضاء
 وأمشى أجـر قيود الوهاد لأبلغ يوما قباب العلاء
 وقد يغلق اليأس باب النجاة فأفتح في القلب باب الرجاء
 إذا كان جسمي يخوض العثرى فروحي تحلق بين الفضاء
 وإن حجب النور عني غطاء فما قريب أزيح الغطاء
 وعما قريب ستلبس روحي رداء من النور جم البهاء
 وتزع عنها الرداء الذي أعد لها من تراب وماء

* * *

فيارب يا نور هذا الوجود ويا خير من يستجيب الدعاء
 مزيدا من النور يهدي خطاى إلى حيث نبع الهدى والصفاء
 مزيدا من النور على أعود إلى عالمي في رحاب السماء
 إذا كان دائي ظلام الحياة فنورك يارب خير الدواء

ابراهيم محمد نجما

(بقية المنشور صفحة ١٠٣)

أيها العابد في شط النهر انظر الشمس ، جميعا ، والقمر
 وانظر الروضات فيها فتنة من ظلال وغصون وزهر
 وانظر الأنجم تبدو زينة وهدايات بداءة وحضر
 وانظر الإنسان أمسى خلقه عجب الكون ، ومرتاد الفكر
 ربنا الرحمن ، والكون له أثر ، يا حبذا هذا الأثر

الموضى الوكيل

الكتاب

نقد وتعريف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ - محمد - مول الحبر :-

للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى

هذا الكتاب الجديد للكاتب المعروف الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى، والذي نشرته مكتبة عالم الكتب بالقاهرة، جدير بالعرض والمناقشة لسببين رئيسيين :

أولهما : أن المؤلف - وهو كاتب له شهرته ، لا فى داخل محيطنا العربى وحسب ، بل خارجه أيضا - يكتب لأول مرة عن الرسول - صلوات الله عليه - دراسته استغرقت بضع سنوات ، وهذه الدراسة لم تتأثر كثيرا بالسطحيات التى عنى بها كثير من كتب السيرة ، وتأثر بها عدد غير قليل من عامة المسلمين .

وثانيهما : أن المؤلف - كما ذكر فى المقدمة - لا يقدم كتابا جديدا فى السيرة يضيف حقيقة جديدة فيها ، وإنما يصور قصة لإنسان اتسع لآلام البشر ومشكلاتهم وأحلامهم ، وكونت تعاليمه حضارة زاهرة خصبة أغنت وجدان العالم كله لقرون طوال ، إنه يقدم صورة الرجل . . لا النبي ، وقصة الإنسان الرائع

البطولة الذى ناضل - على الرغم من كل الظروف ضد القوى الغاشمة المفترسة من أجل الإخاء البشرى .

إذن ، فالمؤلف يضع حدودا لدراسته ، فهو يريد أن يعرض تعاليم ومبادئ محمد الإنسان . لا النبي . ويقيم منهجه على التصوير والسر القصى ، ويعد به عن إطار الدراسة والبحث ، وهذه محاولة ليست جديدة فى الجانب المنهجى ، وإن كانت جديدة فى تحديد الهدف من عرض شخصية الرسول من الجانب الإنسانى والبشرى ، دون ما ارتباطه بالجانب الدينى .

يبدأ الأستاذ الشرقاوى فى أسلوب قصصى بقصة والد الرسول عبد الله ، الذى كادت دماؤه تسيل تحت أقدام تماثيل الآلهة الرهيبة ، لولا المصادفة التى تدخلت لتنفيذ حياته ، ثم يصور الحياة فى مكة قبيل الرسالة المحمدية حيث : المال والآلهة والسكبة والمتاع للسادة ، والرمضاء والمرارة والآلم والحرامان للستضعفين ، الذين سقطوا تحت ضربات الحاجة ليتحولوا إلى عبيد عند دائنهم ، كما يصور فترة القلق الذى ساور عقليات بعض

طويلا معه ، فهو محاولة فصل محمد الإنسان عن محمد النبي والرسول ، إذ الجانب الإنساني أو الجانب العبقري لا يمكن استغناؤه عن الجانب الديني متمثلا في النبوة والرسالة معا ، واللذين ليس لهما مصدر سوى الوحي السماوي والمؤلف حاول عبثا هذا الفصل ولسكنه لم يقو عليه ، والصور الرفيعة التي قدمها للشخصية محمد كانت وثيقة الصلة بتوجيه القرآن له ، ولو قوى على تحقيق هدفه وهو أن يقدم محمدا الرجل والإنسان لا النبي والرسول ، للجأ لحسب - إلى أحاديث الرسول وأعماله التي لا تمت إلى الوحي بسبب ، ولا يصلح عذرا للمؤلف قوله دفاعا عن نفسه : إنه يكتب لغير المسلمين من يناقشون الرجل والتعاليم ، فلا يجب أن يواجههم بالنبي ، فهذا شيء حقيقه من قبله غير المسلمين من كتاب الغرب والشرق المنصفين ، وإذا كان هؤلاء كتبوا عن محمد العبقري لشغفهم بالكتابة عن العباقرة ، فإن مهمة أمثال الاستاذ الشرفاوي في كفاءته ومقدرته على البحث والدراسة والتحليل ، أن يقدم إلى غير المسلمين محمد الرسول العبقري دون ما فصل بين الرسالة والعبقرية ، وهو الذي دعا إلى المبادئ الرفيعة والمثل العليا باسم الإسلام لا باسمه الشخصي كرجل وإنسان وعبقري .. ونحن مضطرون إلى أن نقف مع المؤلف وقفة أخرى أكثر طولا : فهو في أسلوبه الحوارى يثير إبهاما وغموضا

المستنيرين من أمثال ورقة بن نوفل وزيد ابن عمرو ، إزاء هذه الآلهة المسيطرة وإزاء تلك الأوضاع الفاسدة التي تباركها الآلهة نفسها ثم يعرض المؤلف محمدا في طفولته وفي صباه ، وحينما أصبح رجلا يدير بيتا ، وعاقلا ناضج العقل يتأفف من آلهة مكة وأوضاعها المليئة بالخدع والكاذب ، وبعد ذلك حين أصبح رسولا مستولا عن التطويح بآلهة مكة وأوضاعها الزائفة ، وحينما اضطر إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ليقيم فيها دينا ودولة ، وينشر في الآفاق إحاء ومساواة ، وينشر حرية وعدلا ، وحينما اضطرت أعصاب الظروف إلى أن يرفع سيفا في وجوه الطغاة المعتدين بين أرجاء مكة وما حولها ، وفي وجوه الخونة البارقين من اليهود المقيمين معه بالمدينة ، وحينما اضطرت الظروف أيضا أن يفتح عينيه لهوائس المنافقين ومؤامرات الحاقدين ، والرسول صلوات الله عليه إزاء هذه الظروف جميعها يناضل دون يأس ، ويسير دون توقف ، يحمل قلب رجل وإنسان معا . هذا مجرد عرض موجز سريع ، ولنا بعد ذلك أن نقول :

إن المؤلف حيث التزم في منهج الكتاب الإطار القصصى كان موفقا ، وموفقا للغاية حين التقط نماذج حية ناطقة عن عظمة محمد ذى القلب الكبير والعقولة الواعية والآفاق الواسع البعيد النظر - أما الذى نقف فيه

شهادته في الإسلام وامرأة جعفر بن أبي طالب عم الرسول، وقاطمة بنت الخطاب أخت عمر، وأسماء بنت عميس أخت ميمونة أم المؤمنين . ويذكر المؤلف : أن من أهدر الرسول دماءهم في فتح مكة ، عبد الله بن سعد ، عهد إليه محمد بكتابة الوحي - أي القرآن - فكان يغير على هواه ثم يذهب إلى المنافقين ويتندر بما صنع ، فلما كشف محمد أمره رجع إلى مكة مرتدا - والمعروف أن تدوين الوحي قام به الكثير، وسجله أصحاب محمد في صدورهم وعبد الله هذا ارتد كما ارتد غيره ، ثم عفا عنه الرسول كما عفا عن غيره ، وأسلم مرة أخرى وحسن إسلامه ، وولاه كل من الخليفين عمر وعثمان بعض أعمالهما .

ويسمح المؤلف لنفسه أن يذكر عن حمزة سيد الشهداء أنه بعد عودته من رحلة على شاطئ البحر ، رجع إلى عهد الله ، وظل ليلة كاملة يعب الخمر مع فانتين إسرائيليتين ، ثم غدا على المسجد ، ورائحة الخمر تفوح من فمه ، ورائحة العطر تفوح من بين أصابعه ، والرحلة التي ذكرها المؤلف ، هي سرية « سيف البحر » ، ولو سلمنا بأن حمزة قد شرب الخمر - وهي لم تحرم بعد - فكيف نسلم بقصة الفانتين من بنات إسرائيل ، وهي أكثر من قرية . لاسيما حينما تنسب إلى سيد الشهداء ومن أعز الله الإسلام باثنين هو أولهما ؟

يوهان القاريء أنه إنما يحاول إبراز القرآن في إطار بشري ، دون أن يعتمد التصريح - أي أنه مجرد الطباع في نفس محمد ، نشأ عن تأثره ببيئة التي نشأ فيها ، وتعبير عن الحياة نفسها التي عاش فيها ، وهو في هذا لم يزد شيئا عن بعض المستشرقين وفي مقدمتهم المستشرق الانجليزى « جب » ، في كتابه « المذهب المحمدي ، فالأستاذ الشرفاوى كثيرا ما يردد : فهذا هو الحد الذي جاء به محمد - لقد جاء بكثير من العقوبات - خرج يستقبل القرآن - ثم أخذ يتلو ، وهو في كل هذا يسوق عبارات القرآن كأنها من تفكير محمد السريع - لا من وحى السماء ، وحتى الوحي لم يقطع به المؤلف ، فقد حصره في الرؤيا ، أو بين اليقظة والنوم ، مع أنه من المسلم به والمقطوع بتواتره ، أن جبريل لقي الرسول جهارا وواجهه بالقرآن مشافهة .

هناك ملاحظات لا مجال لاستيعابها ، فقد كنا نود ألا يتأثر السكاتب ببعض السطحيات التي حشيت حشا في بعض كتب السيرة ، بل يجعل من قلبه - وهو الناقد اللامع - قاصدا يميز الحق من الباطل ، ويفصل الغناء عن الزبد .

إنه يذكر أن عدد المسلمين الأوائل بلغ أربعين منهم الأجراء والصعاليك والجواري والبغايا والأرقاء - وكلمة البغايا لا مكان لها ، فالمسلمات الأوليات منهن : خديجة وسمية أول

والى المدينة الذى استغل أداة للبطل ، بل تصدر الأوامر إلى أن يقف الوالى المحرول أمام دار مروان ليمتص منه كل من آذنه . شتمه بشتمه ، ولعنه بلعنه ، ولطمه بلطمه ، وتنفذ الرعية أمر الخليفة للثنى ، ويأتى دور زين العابدين بن الحسين الذى ذاق ما ذاق من بطش الوالى ، فتمسكه أخلاق النبوة ويقف أمام الوالى الأعزل ويلقى السلام عليه ويقول له : « إن كانت لك حاجة فإنما نقضها لك ، وإن كان عليك دين من ولايتك فإنما نسد دينك . . . » ، وانهمرت دموع الأمير . وزين العابدين ينصرف وهو يتمتم : إنه معزول ، فليس له قوة ، ونحن نملو ونستكبر عن إيذاء الضعفاء ، وهكذا توقف الناس عن إيذائه .

اثنتا عشرة قصة من تاريخنا نجلى فيها دروس وعبر ، منها قصة القلب الكبير ، قلب للتابعي الجليل عبد الله بن المبارك ، والإمام الأعظم أبو حنيفة فى اعتزازه بعلمه وإيمانه وتمسكه بالحق أينما كان ، وأبو معزى أحد المساكين الجزائريين فى زناته المظلة ، حيث استطاع إيمانه أن يصمد أمام التذيب والحرمان وطغيان فرنسا ، ثم صانع الرجال القائد المظفر سعد بن أبي وقاص ، البطل الذى قهر إيمانه إصرار أمه على الإضراب عن الأكل والشراب حتى يرتد سعد عن الإسلام ، ثم العرش المحطم عرش عبد الحميد السلطان

وبعد - فالأفق الواسع يرحب بالافكار الجريئة مهما كان خطرهما ، والذين تضيق عقولهم بكل رأى حر عليهم أن يشهروا أقلامهم ليردوا وينقدوا ، أما حين نحاول أن نتعقب الآراء الجريئة ونستعدى عليها لمصادرتها ، فإننا نقنع بمنطق النعام حين يرى من الأسلم له أن يدفن رءوسه فى الرمال . .

٢ - دموع الأمير :

للدكتور نجيب الكيلانى .

هذه مجموعة قصص نشرتها مكتبة وهبة بعابدين فى كتاب للؤلؤ ، وهذه القصص من واقع تاريخ الإسلام والمسلمين ، والأدب المؤلف ، وهو من المتأثرين بالدراسات الإسلامية استطاع أن يقدم فى هذه القصص صوراً حية للبادئ الإسلامية نستشف منها عظات وعبراً تصل إلى أعماق نفوسنا من واقع تاريخنا البعيد . .

القصة الأولى وأطول القصص هى دموع الأمير ، نعرض طائفاً من تاريخ حكم بنى أمية فى مرحلته الأولى ، حيث كان هشام بن اسماعيل المخزومى والياً على المدينة من قبل الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، وسيغامصنا على رقاب المعارضة من آل البيت وغيرهم ، ويشاء القدر أن يموت الخليفة ويتولى ابنه الوليد . فتتغير سياسة الحكم إلى نوع من تخفيف حدة العنف والبطش والانتقام ، ولا يكتفى الخليفة الجديد بعزل

المبادئ الهدامة ، ومكافحة الاستعمار ، وتمتع - التبشير والمبشرين . وفي فرائض الإسلام . وأخلاق المؤمنين ، وفي كثير من المعاني الإسلامية ، وفي التكافل الاجتماعي ، وأدوار المجتمع وغير ذلك ..

فضيلة أستاذنا الشيخ على رفاعي يتناول موضوعاته بأسلوب عصري جيد ، فيه كثير من نضوج الفكر وسعة الأفق ، والتجاوب مع الأحداث الاجتماعية والسياسية في بلادنا الإسلامية ، إلا أن عنوان كتابه في هذه المرة (التربية الأساسية في الخطب المنبرية) يوحي بأن الكتاب دراسة من الخطب المنبرية وأثرها في التوجيه والتربية ، ولكن الكتاب جاء بمجموعة قيمة من الخطب فيها تطور وتجديد ، وكنا نود على الأقل أن يقدم الكتاب بتمهيد مسهب يكون وثيق الصلة بعنوان الكتاب الجليل في موضوعاته.

٤ - المؤثر في التربية الإسلامية :

لفضيلة الشيخ على المنصوري نشرت هذا الكتاب دار القومية العربية للطباعة والنشر بالقاهرة ، وفضيلة المؤلف من قطعوا أمدا بعيدا مجاهدا في سبيل الإسلام . فهو رئيس جماعة التربية الإسلامية بشبرا ، والكتاب مجموعة من البحوث عن القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، في ثلاثة أبواب : الباب الأول يتناول العقائد

الطاغية ، ثم قصة أبي خيثمة الذي تخلف في بادئ الأمر عن الرحيل مع الرسول إلى تبوك ، ثم جذبه إيمانه إلى اللحق بجيش الإيمان ، ثم قصة سلطان العلماء العز بن عبد السلام الذي كان يهز بإيمانه عروش السلاطين ، ثم خاتمة القصص « رجل في المنفى » أما الرجل فهو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري الذي نفي لله ولرسوله ولصدقه بالحق ضد ترف بني أمية ..

الدكتور نجيب الكيلاني يقدم لنا جديدا من القصة ، غفل عنه معظم كتاب القصة هندا ، فهم يهرعون إلى موضوعات عاطفية مكررة ، مع أن في تاريخنا الإسلامي مادة دسمة لكل مفكر ، ولكن يظهر أن كتابنا يؤثر السطحيات التي لا تكلف جهداً ولا تستغرق وقتاً وكفى ..

٣ - التربية الأساسية في الخطب المنبرية :

لفضيلة الأستاذ الشيخ على رفاعي كتاب جديد نشرته مكتبة صبيح بالأزهر للأستاذ الشيخ على رفاعي المفتش العام للوعظ بالأزهر الشريف ، قدم له فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

فضيلة المؤلف له عدة كتب في هذا المجال - مجال الخطب المنبرية وهي ذات أثر فعال في قلوب المسلمين ، كما يقول الأستاذ الأكبر ، والكتاب استوعب بين دفتيه أربعة وستين خطبة منبرية ، في الوحدة الإسلامية ومقاومة

خمس وتسعين اسما، كان آخرها المدينة المنورة، كما سماها الرسول، وقبله يثرب نسبة إلى اسم أول ساكنها، وتبحث الدراسة عن معالمها وما أثرها، وتعرض قبسا من السيرة الشريفة،

وبيوت الله فيها، وتلقى أضواء من التاريخ القديم والحديث على أحداثها، ثم تقدم الدراسة عددا من أعلام المدينة الأقدمين والمعاصرين، كما تقدم هذه المدينة الخالدة في العصر الحديث، والمؤلفات التي كتبت عنها قديما منذ القرن الثاني الهجري مثل كتاب الأوس والحزرج لأبي عبيدة المثني البصري وفضائل المدينة لابن الجوزي، والإشارة في الزيارة لابن حجر، وفضائل المدينة مرة أخرى لابن عساكر، وغير هذه كثير ..

لموضوع الكتاب أهميته كما قلت إلا أن المؤلف عمد إلى خاطر لا مبرر له، حيث لا ارتباط له بالكتاب، كموضوع من بناء النهضة في الحجاز، قدم منهم فقط فضيلة الشيخ محمد سرور الصبان، وأياديه على الفكر والأدب والدراسات الإسلامية، وهذا حق لا فكران عليه. لولا أن فقدان الصلة قائم بين هذا الباب وموضوع الكتاب، والمؤلف يترجم لنفسه مع التراجم للأعلام وهذا اتجاه غير منطقي إذ غيره يترجم له، ولو أنه وضع الترجمة مستقلة في أول الكتاب أو آخره كتعريف بالمؤلف لسكان هذا أسلم ..

والكتاب بعد ذلك جدير بتقديرنا ..

محمد عبد الله السمانه

والإيمان، التوحيد، الملائكة، القرآن، الرسل، اليوم الآخر، والباب الثاني يتناول الإسلام وأركانه الخمسة، والباب الثالث يتناول المأثورات كالاستخارة والدعاء ..

عنوان الكتاب الموجز في التربية الإسلامية، لا يفهم منه إلا أن يكون تربويا خالصا، ولكن فضيلة الشيخ جعل منه دائرة معارف صغيرة، للفقه والتوحيد والتفسير والحديث وعظات السلف وما إلى ذلك، وإن كان ما استوعبه الكتاب كله إسلاميات معتمدة على الكتاب والسنة، إلا أن الواجب أن يكون الموضوع مرتبطا كل الارتباط بعنوانه، وكنا نود أن يربط فضيلة المؤلف على الأقل بين الموضوعات التي طرقها وبين التربية. إلا أن جانب الفقه غلب على الطابع التربوي، ونحن لا ننكر بعد ذلك أن فضيلته هرف بالإخلاص فيما يكتب والغيرة على الإسلام وقيمه في كل نشاطه.

٥ - المبرزة المنورة في التاريخ:

للأديب الأستاذ عبد السلام هاشم هذا الكتاب نشرته دار الجهاد بعبدين، والمؤلف أديب وشاعر حجازي هاجر من المدينة إلى القاهرة واعتبرها وطنه الثاني. موضوع الكتاب له أهميته من حيث موضوعه، فهو دراسة تاريخية مركزة، تبحث عن بداية تكوين المدينة منذ هدمها بعد الطوفان، ثم عن أسمائها التي بلغت

بريد المجلة

أخذها على عباده ، أخذها على الأنبياء والمرسلين ، أخذها على العلماء ، أخذها على الحكام ، أخذها على الأفراد والجماعات كذلك .
ولم يأبى باسم الإسلام وباسم الأزهر ، وباسم الملايين المتطلعة إلى انبثاق الفجر الصادق في جوانب حياتها ، أهنتكم بتوفيق الله لكم ، وأهنت الأمة المصرية والوطن العربي بما تضمنه مشروع الميثاق الوطني من مصاييح هادية على طريق الحق والعمل والخير من أجل رفاهية الكادحين والعاملين في سبيل الله .

نفع الله بكم أمته ودينه ، وسدد على الهدى خطاكم ، ونصركم بالحق ، ونصر الحق بكم .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد سلوت

شيخ الأزهر

عود إلى التسمية في بدء القراءة

كان الأستاذ محمد عبد الشارقى من علماء الإسكندرية مصراً على إنكار التسمية في أول القراءة - سواء : أكانت القراءة من أوائل السور ، أو من أثنائها .

رقية الإسلام إلى الرئيس :

من محمود سلوت شيخ الأزهر :
إلى ابن العروبة والإسلام الرئيس
جمال عبد الناصر .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد :
فقد شرحتم صدورنا بما أعلقتكم من تخطيط يعلى كلمة الحق ويحفظ ميزان العدل ، ويرسي قواعد الحرية والكرامة ...

ولقد أرضيت أرواح الشهداء بما حققتم من آمال ، وما وصلت إليه من نصر ..

فإن أجل الحق الذي ضعف عنه أنصاره كانت ثورة الشعب بقيادتكم ...

ومن أجل العدل الذي اختلت موازينه كانت تضحياتكم وفداً بكم ...

ومن أجل الحرية السليمة والكرامة المهددة كان كفاح السنين العشر في حرب أعداء الحرية وخصوم الكرامة ...

ومن أجل هذه المعاني الإنسانية الكريمة كانت الرسائل الإلهية التي تضمنت النظم الصحيحة لحياة الجماعة الإنسانية ...

ومن هذه المعاني الإنسانية الكريمة كذلك اتخذ الله لرسالاته المواثيق أساساً ومتكناً ،

والفقهاء . مع أنه ليس كذلك ، بدليل ما نقل عنهم .

إذ هؤلاء يقولون بالتسمية ، وظاهر الأدلة معهم .

وإذا كان الأستاذ يقول : إن أقوال هؤلاء معارضة بأقوال القراء ، فكذلك نقول له :

وإن أقوال القراء - وهم قلة - معارضة بأقوال هذه الكثرة من الأئمة ومن الخير أن يقتصد الأستاذ في هذا الجدل في شأن موسع ، ولا حرج مطلقاً في القول به - بل هو أوفق لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في أعماله .

فقد كان يذكر التسمية في كل شيء ، حتى في دخوله الخلاء ونحو ذلك .

وهناك أشياء جديدة بالبحث والعناية ، وهي أولى بالفهم فيها فضلاً عن أن القراء يميزون للقارى أن يختار التسمية في الأثناء - وكفى .

عبد اللطيف السبكي

وضع الزهور على القبور :

دارت مناقشات في بعض الأندية حول هذه العادة وكيف نشأت. فمن قائل إنها غريبة ، ومن قائل إنها شرقية إسلامية . والرأي الثاني هو الصحيح ، فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس قال : مر النبي عليه السلام بقبرين فقال : لهما ليعذابا وما يعذابان في

وكان اعتماده على قوله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ويرى الأستاذ في مقاله الأول أن التسمية في أي موضع تعتبر زيادة على النص بالاستعاذة ، وهذه الزيادة تكون ناصحة للنص دون مسوغ للنسخ .

وقد نشرنا تعليقا على هذا بأن الزيادة غير موجودة ، إذ أن الاستعاذة والتسمية مأخوذان من نصوص القرآن نفسه ، والجمع بين النصين في موضع كل منهما لا يسمى نسخاً .

وكذلك نشر الأستاذ الحسيني هاشم من علماء الزقازيق بحثاً واسعاً قوياً يفند فيه بحث الأستاذ الشرقاوى ويثبت مشروعية التسمية على الوجه الذي رآه العلماء ، وينبغي الأخذ به .

ولكن الأستاذ الشرقاوى عاد إلى الكلام في هذا بشيء من التعديل في كلامه .

إذ قصر إنكاره على التسمية في أواسط السور ، وسكت عن التسمية في أوائلها ، فكأنه سلم به وهذا جانب من الإنصاف نحمده له .

غير أن الأستاذ يتشبث بالإنكار في أواسط السور ، وكل اعتماده في هذا على ما ذكره من إجماع القراء على أنه لا تسمية في أواسط السور .

وظن الأستاذ أن إجماع القراء وحدهم يقوم حجة مطلقة على جميع المفسرين والمحدثين

يترجم مجرد خبرها من أن كقوله تعالى :
« يكاد زيتها يضيء » ، « وما كادوا يفعلون » ،
فيكون الكثير في خبرها أن يتجرد ، كما أنه
يجوز اقتران خبرها بأن مع القلة ، وهذا
بخلاف ما نص عليه الأندلسيون من
أن اقتران خبرها بأن مخصوص بالشعر .

وقد جاء مقترنا بأن في غير الشعر كقول
الرسول عليه الصلاة والسلام : (وما كدت
أن أصلي العصر حتى كادت الشمس أن تغيب)
والحديث الشريف متفق مع القرآن في أن
القرآن لا يأتي باللغات الشاذة وإلا لما كان
معجزا وكذلك الحديث لا يأتي باللغات
الشاذة ، والله تعالى يقول : « وما ينطق عن
الهوى » ، وقول الشاعر :

كادت الشمس أن تفيض عليه

مذ ثوى حشو ربطة وبرود
والشعر العربي إذا تعددت فيه الأمثلة
لا يكون ذلك ضرورة ولا شاذاً وإنما هو
قاعدة مسلم بها .

فاروق أحمد سلام

التقليد بمعنى المحاكاة :

أنكر أحد المدرسين على تلاميذه استعمال
التقليد بمعنى الاقتداء والمحاكاة لأنه لم يرد في
كتب اللغة ، وهذا ليس بصحيح ، فقد جاء
في لسان العرب وشرح القاموس ومعيار
اللغة وأساس البلاغة وغيرها ما نصه :

كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرى من بوله ،
وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم أخذ
جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر
واحدة ، قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا ؟
قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا ، والحكمة
في ذلك أنه كل حي ونام يسبح الله دون الميت
واليابس ، وفي الحديث الشريف إشارة إلى
أنهما يسبحان ما دامتا رطبتين دون ما إذا
يبستا ، وهذا الإشراق الروحي للرسول
عليه السلام حيث يشاهد تسبيح النبات والجماد
من خصوصياته ، وقد يكشف الحجاب
لبعض الأطهار من أمته حتى يسمع تسبيح
السكانات كما حصل ذلك لبعض الحراس من
أهل الطريق ، ولا زالت هذه العادة عند
العامة في جميع البلاد متأسية بالرسول الطاهر ،
ثم أبدلت بالزهور عند الخاصة ، والتسبيح
من كلامها واقع ، والتخفيف - على الترجي -
بيد الله سبحانه وتعالى وهو الرحمن الرحيم .
عبد السلام الحضيرى

ط ر أ ه :

قرأت في إحدى المجلات كلاما لبعض
رجال اللغة يخطئ فيه كاتبها كبيرا في إدخاله
أن على الفعل المضارع الواقع في خبر كاد
ويقول : إن ذلك هو القياس المطرد إلى آخره ،
وهذا القول غير صحيح من عدة أوجه : إذ
أن الرأي المتفق عليه عند النحاة أن (كاد)

الأرض برحمة : أثر فيها ، وسميت المسألة
الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها. اه
وفي السكيات : النكتة هي المسألة الحاصلة
بالنفسكير المؤثرة في القلب التي يقارنها نكت
الأرض بنحو الإصبع غالبا .

والبيضاوى أطلق النكتة على نفس
الكلام إذ قال ، هي طائفة من الكلام منقحة
مشملة على لطيفة مؤثرة في القلوب .

وقال بعضهم : هي طائفة من الكلام يؤثر
في النفس نوعا من التأثير قبضا أو بسطا ،
وفي بعض الحواشي : هي ما يستخرج من
الكلام ، وفي حاشية الكشاف ، نكت
الكلام أسرارها ولطائفه لحصولها بالنفسكير،
ولا يخلو صاحبها غالبا من نكت للأرض
بنحو الإصبع .

وجمعها نكت ونكات وفي أساس البلاغة
ومن المجاز جاء بنكتة ، ونكت في كلامه
تنسكيتا، ورجل منك ونكات، وقد ألف
كتب باسم (التنسكيت والتبكيك) .

ومن هنا يظهر لك تطور الكلمة وصحة
استعمالها في الفكاهة ونحوها .

محمد أحمد عمر

وم الكبش وء السكب :

قرأت في مجلة سعودية لأديب فائق اسمه
كلمة يقول فيها : د وكان المرضى في الجاهلية

قلدتها قلادة جعلتها في عنقه . ومنه التقليد
في الدين : وتقليد الولاة الأعمال ، وهو
مجاز كأنه جعل قلادة في عنقه ...

وجاء في كتاب التعريفات للجرجاني :
التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما
يقول أو يفعل معتقدا للحقيقة من غير نظر
وتأمل في الدليل ، كأن هذا المتبع (وهو
المقلد) جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه،
والتقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا
حجة ولا دليل . اه

ومن هذه للنصوص يظهر لك أن المعنى
الأصلي للتقليد واحد وهو وضع القلادة في
العنق ، ثم استعمل في غيره على سبيل التجوز
والتشبيه والاستعارة ، وقد ألف كتب
ووضعت بحوث في التقليد ولم يطمئن فيه أحد
لأنه يرجع إلى معنى عربي صحيح .

عبد الله معروف

معنى النكتة حقيقة ومجازا :

جاء في شرح القاموس : النكتة النقطة ،
ونقل شيخنا عن الفنارى في حاشية التلويح
هي اللطيفة المؤثرة في القلب من النكت
كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل
الحاصلة بالنقل المؤثرة في القلب التي يقارنها
نكت الأرض غالبا بنحو الإصبع .

وفي التعريفات : النكتة هي مسألة لطيفة
أخرجت بدقة نظر وإمعان فكره من نكت

ويقول غيره :
ولا نكسر الكيزان في إثر ضيفنا
ولكننا نكفيه زادا ليرجعا
وبعد فمعتقدات القوم في الجاهلية كانت
جلها أباطيل ، والله الهادي إلى سواء السبيل .
محمد نعمان

ملاحظات على بعض الأوهام

في الكتاب العربي المخطوط :
للدكتور صلاح الدين المنجد

نشر الدكتور صلاح الدين المنجد وهو
مشهور معروف بكثرة النشر والتأليف —
(الكتاب العربي المخطوط) محتوياً على نماذج
المخطوطات إلى القرن العاشر . ومع حرص
الدكتور على أن يكون الكتاب كاملاً فقد
وقع في بعض الأوهام التي كنت أود لو تنبه
لها . وهذا بعضها : —

١ — في اللوح رقم ٧٤ نشر صورة خاتم
على كتاب عيون الأنبياء يفيد أن الكتاب
نسخ للسلطان سليمان بن غازي بن محمد
الأيوبي . ثم ذكر تحت الصورة أن هذه
النسخة نسخت سنة ٨٢١ برسم خزانة السلطان
سليمان العثماني . فأخطأ ثلاثة أخطاء : —

(١) لا يوجد في الخاتم أى لفظ يشير
إلى السلطان العثماني سواء في اسم أبيه أو جده
أو نسبه .

الأولى يتداولون بدم (السكبش) في شفائهم
من داء السكبش ... إلخ .
وقد اختلط على الأديب الطريق وفهم
ما قرأ على لفظه الوارد دون المقصود منه .
فالسكبش في لغة العرب معناه السيد أو الرئيس .
وفلان كبش التوم أى سيدهم ورئيسهم .
قال عمرو بن معد يكرب :

نازلت كبشهم ولم
أر من نزال السكبش بدا
وبعض الأعراب في الجاهلية الأولى كانوا
يعتقدون أن دم الرئيس يشفي من داء السكبش
وفي ذلك يقول شاعرهم :
بناء مكارم وأساة جرح
دماؤهم من السكبش الشفاء
ويقول غيره :

أحلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم تشفي من السكبش
ولست أدري ما فضل دم الرئيس على دم
المردوس في شفاء السكبش إن كان ثم شفاء ؟
وإذا كان الشيء بالشئ يذكر فإنى أذكر
أن العرب كان من عاداتهم الفاشية إلى يومنا
هذا أنهم إذا رحل عنهم للضيف الثقيل
وكرهوا عودته كسروا في أثره شيئاً من
الأواني . وفي ذلك يقول شاعرهم :

كسرنا القدر بعد أبي سراح
فعاد وقد رنا ذهب ضياعاً

(٢) نشر في اللوح رقم ١٠ صفحتين من مصحف يدل شكل الصورة على أنهما متواليتان ولكن النسخة بها الآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل واليسرى بها الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من نفس السورة مما يؤكد أن هذه الصورة لورقتين من أوراق غير مرتبة من مصحف (دشت) وكان يجب عليه الإشارة إلى ذلك لأن قراءة الصفحتين تحدث تشويشا لغير الحافظ .

(٣) غفل الدكتور المنجد عن تصوير مؤلفات بخطوط مؤلفيها — وهم من أعلام الإسلام أو عليها خطوطهم وما أهمل ما هو أولي بالنشر مما صور مثل : —

١ — رسالة الإمام الشافعي رضي الله عنه وعليها خط د الربيع ، المتوفى سنة ٢٧٠ وتاريخ الخط في ذى القعدة سنة ٢٦٥ .

٢ — أخبار سيويه (وهو غير النحوي المشهور) تأليف ابن زولاق المصري بخط المؤلف سنة ٣٨٦ .

٣ — مقامات الحريري منقولة من خط مصنفها وعليها خط الحريري المتوفى سنة ٥١٦ .

٤ — التحرير في شرح الجامع الكبير بخط مؤلفه سنة ٦١٦ — وهو الإمام جمال الدين محمود الحصري المتوفى سنة ٦٣٦ .

٥ — التفسير في التفسير لعبد العزيز بن أحمد الديري بخط المؤلف سنة ٦٧٣ .

(ب) السلطان سليمان العثماني ولد سنة ٩٠٠ فلا يعقل أن تكون له خزانة تنسخ برسمها الكتب سنة ٨٢١ أى قبل مولد السلطان بقسع وسبعين سنة .

(ج) اسم الأيوبي واضح في الخاتم المصور . وقليل من التروى يدل على أن المراد هو السلطان سليمان بن غازي الأيوبي صاحب حصن كيفا ، المتوفى سنة ٨٢٧ بعد ملك دام نحو خمسين سنة .

(٢) نشر اللوح رقم ٦١ ضمن مخطوطات القرن العاشر مع أنه مخطوط سنة ٩٠٠ فكان يجب وضعه ضمن نماذج القرن التاسع الذي انتهى بهذه السنة .

(٣) ذكر أسفل اللوح رقم ٣٨ أن القاضي عياض توفى سنة ٥٩٤ والصواب قبل ذلك بخمسين سنة أى سنة ٥٤٤

(٤) ذكر في اللوح رقم ٢٣ أن وفاة الطبري سنة ٣١١ والصواب سنة ٣١٠ .

وهناك بعض المأخذ التي كنت أود للدكتور ألا يجعل لها ل إليه سبيلا مثل : —

(١) نشر الكتاب خلوا من تاريخ العرب بل تاريخ الإسلام . ولست أفهم كيف تنشر جامعة الدول العربية كتاباً عن المخطوطات العربية ثم يهدر فيه التاريخ العربي — إن هذا البلاء الذي وراثناه عن الغرب والذي أخذ يستشري يجب أن يكون له حد .

٤٥ الصفحة الأخيرة من نفس الكتاب .
وكانت تكفى في التصوير لأن المراد النماذج
وكان يجب تصوير كتاب آخر من المخطوطات
المهمة في اللوح ٥٣ .

٥ — بدأ الدكتور بنماذج القرن الثالث
فهل نفهم من هذا أنه لا يوجد اليوم مخطوطات
من القرنين الأول والثاني وإلا فما هي الحكمة
في أن الدكتور أغفل تصوير نماذج القرنين
المذكورين ؟ .

هذه هي المأخذ والملاحظات التي لاحظتها
على الكتاب المذكور ولا يسعني في الختام
سوى إهداء الشكر للدكتور على الجهد القيم
الذي بذله في الكتاب المذكور والله سبحانه
وتعالى الموفق والمهادي للصواب وإليه
المرجع والمآب .

عبد المصوم محمد النجار

روضة خيرى باشا — دسونس بحيرة

٦ — جزء من الطبقات الكبرى لابن
السبكي المتوفى سنة ٧٧١ بخطه .

٧ — المصباح المنير بخط مؤلفه الفيومى
سنة ٧٣٤ .

٨ — مختصر البداية والنهاية والمنتقى من
مغازى الواقدي وتعليق من تاريخ ابن عساكر
كل ذلك بخط ابن حجر العسقلاني المتوفى
سنة ٨٥٢ .

٩ — شرح القصيدة للتائية لعز الدين
الكناني والشرح للفيروزبادى صاحب
القاموس المتوفى سنة ٨١٦ وبخطه .

وهذه الكتب جميعها موجودة في معرض
دار للكتب المصرية أى أنها سهلة المنال
وأهمية مؤلفيها كانت تستوجب تصوير
خطوطهم .

٤ — اللوح ٥٣ عبارة عن الصفحة الأولى
من مشيخة المراغى المتوفى سنة ٨١٦ واللوح

مِنْ ضَائِرِ لَجْنَةِ الْفَتَوَى

باب بِشْرَفِ عَلَيْهِ : إِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدَ الْأَصِيلِ

تحت هذا الباب ستُنشر المجلة ابتداءً من هذا العدد مختاراً مما أصدرته لجنة الفتوى بالأزهر في شئون مختلفة تعميماً للفائدة المرجوة وإجابة للرغبات المتجددة التي تدعو أصحابها إلى الاستفسار عن موضوعات سبق للجنة للوقرة الإفتاء فيها .

الجواب :

إن التمثيل في ذاته وسيلة ثقافية سواء كان على المسارح أو الشاشة أو التليفزيون فإن كثيراً من وقائع التاريخ ، وأحداث السياسة ومواقف الأبطال في ساحات الجهاد ، والدفاع عن الأوطان ينبغي أن يتجدد ذكرها وينادي بها لتكون فيها القدوة الحسنة للأجيال الحديثة . وخير وسيلة لإحياء تلك الذكريات أن يكون القمص عنها بتمثيلها تمثيلاً واقعياً ، غير أن التمثيل قد يتجاوز الأهداف الجدية ، ويتخذ وسيلة للترفيه الممنوع ، وبث الدعاية نحو أغراض غير كريمة ، وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ حول شخصيات من السابقين ، والتاريخ يكون مشوباً بما يحتاج إلى تمحيص من العصبية .

وبما أن السابقين من الصحابة رضى الله عنهم لهم مقام كريم ، وشأن خاص بين جماعة

حكم تمثيل الشخصيات الإسلامية ، ومن لم يثبت إسلامهم ولم يحرمون أكيد للنبي الكريم في دعوته .

السؤال :

١ - ما حكم الشريعة الإسلامية فيمن يمثل الشخصيات الآتية على شاشة التليفزيون :
١ - الصحابة ، وهل منهم من يجوز ظهور من يمثله علناً بأن بلا لا قد ظهر من يمثله في فيلم ظهور الإسلام وخالد بن الوليد في فيلم خالد بن الوليد ؟

٢ - بنات النبي صلى الله عليه وسلم ؟
٣ - أبا طالب ممن لم يثبت إسلامهم وكان لهم عون أكيد للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته وكذلك التابعين وتابع التابعين ؟

٤ - مسلمين ومسلمات لم تثبت صحبتهم للرسول وعلى الأخص طالب بن أبي طالب ؟

وكذلك التابعون وأتباعهم لآمانع من ظهور من يمثل شخصياتهم متى روعى في التمثيل ما من شأنه ألا يخل بكرامة المسلم .

وأما النساء المسلمات فيجب الاحتياط في تمثيلهن أكثر مما يحتاط في تمثيل الرجال المسلمين الذين لم تثبت صحبتهن ، وعلى المرأة التي تقوم بالتمثيل ألا يوجد مع تمثيلها اختلاط بأجنبي عنها من الرجال ، ولا يصحبه كشف ما يحرم كشفه من جسمها ، ولا يكون معه تكسر في صوتها ، ولا حركات مثيرة للغرائز ولو مع ستر الجسم ، إذا كان الأمر كذلك فلا حرمة في التمثيل خصوصا إذا كان التمثيل لغرض علمي يعود على الأفراد والأمة بالفائدة .

وأما إن صحبه اختلاط بالرجال الأجانب أو كشف ما لا يحل كشفه من جسمها أو وجد معه تكسر في صوتها أو حركات مثيرة للغرائز بجسمها ولو مع ستره أو كان لباسها يحدد مفاتيح جسمها فإن التمثيل حينئذ يكون محرما على من تقوم بهذا التمثيل .

رابعا : من لم يثبت إسلامه كأبي طالب وغيره ممن له عون أكيد في دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونصرته لآمانع من ظهور من يمثله إذا روعيت صلة مودته للنبي عليه الصلاة والسلام بحيث لا يكون في تمثيله

المسلمين ، وبما أن تمثيلهم على المسارح أو الشاشة قد ينحرف بهم إلى ما يمس بشخصياتهم أو عن تاريخهم الحق — لما يتعرضون له أحيانا من أكاذيب القصاصين أو أهواء المتعصبين لبعض ضد البعض الآخر من جراء الفتن والخلافات التي قامت حولهم في أزمانهم وانقسام الناس في تبعيتهم إلى طوائف وأشياء بسبب الدسائس بينهم — فإن اللجنة إزاء هذه الاعتبارات تفتي بما يأتي :

أولا - عدم جواز ظهور من يمثل كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين ومعاوية وأبنائهم رضي الله عنهم جميعا لقداساتهم ولما لهم من المواقف التي نشأت حولها الخلافات ، وانقسام الناس إلى طوائف مؤيدين ومعارضين .

أما من لم ينقسم الناس في شأنهم كبلال وأنس وأمثالهما فيجوز ظهور من يمثل شخصياتهم بشرط أن يكون الممثل غير متلبس بما يمس شخصية من يمثله .

ثانيا : عدم جواز ظهور من يمثل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته ، لأن حرمتهم من حرمة عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الله في شأن نسائه : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ، وبناته بذلك أولى .

ثالثا : من لم تثبت صحبته من الرجال المسلمين

ما يخذش مقامه تقدير الما كان منه نحو الرسول
عليه السلام من مناصرة و عون أكيد .
وردت الاسئلة من :

السيد / عبد الرحيم محمد سرور
الإدارة العامة للتليفزيون

ورد السؤال من :

السيد / منير عامر رئيس الجمعية الشرعية
لإحياء السنة المحمدية بالإسكندرية

حكم زواج مختلفي الأديان .

السؤال :

ما حكم الشريعة الإسلامية في المسائل
التي تنصل بزواج مختلفي الأديان ؟

الجواب :

الرجل المسلم يحل له أن يتزوج بغير المسلمة
إذا كانت من أهل الكتاب بأن كانت يهودية
أو نصرانية ولو بقيت على دينها . قال تعالى :
« اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين
أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ،
والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، .
« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، . »

وأما المرأة المسلمة فلا يحل لها أن تتزوج
بغير المسلم مطلقا سواء أكان كتابيا
أو مجوسيا أو مشركا لأن الرجال قوامون
على النساء وقال تعالى : « ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا ، . »

ورد السؤال من : ١٠١ . واداهادى
(جنوب إفريقيا - جوهانسبرج)

حكم النفقة من زكاة الأموال على جهات
النفق العام .

السؤال :

هل يجوز شرعا الصرف من زكاة الأموال
في النفقة على إنشاء وتجهيز المستوصفات
الخيرية المخصصة لعلاج مرضى الفقراء
بالمجان أو بأجر يسير وكذلك على منشآت
دور الحضنة والكفالة التي تخصص لتربية
الأطفال الفقراء واليتام ؟

الجواب :

صرف الزكاة إلى الملاهي والمستشفيات
وغيرها من المصالح العامة جائز شرعا لقوله
تعالى في مصارف الصدقات : « وفي سبيل الله ،
وقد فسر بعض العلماء سبيل الله بأنه كل جهة
خيرية فيدخل فيها تعمیر المساجد وإنشاء
الملاهي والمستشفيات وإصلاحها ، وغيرها
من المصالح العامة . »

حكم عقد القران في شهر المحرم .

السؤال :

هل يوجد في الشرع ما يحرم عقد القران في شهر المحرم أم أن ذلك عرف جرى عليه الناس ؟

الجواب :

لا يوجد في الشرع ما يحرم عقد القران في شهر المحرم وما تعرف عليه عند بعض الناس فعرف فاسد لا أصل له .

ورد السؤال من : السيد / سيد حسين

حكم الذبائح في النحر الواجب .

السؤال :

في موسم الحج وفي النحر الواجب فكثير الذبائح كثرة عظيمة حتى إنه ليفسد كثير من اللحوم لعدم وجود محتاجين إليها فهل تجزئ القيمة ؟ وفي أي زمان ومكان ؟

الجواب :

إن إراقة الدم مقصود للشارع فلا يجزئ عنه إخراج القيمة . وأما فساد اللحم فيمكن تداركه بواسطة تجفيفه والانتفاع به ولو بأن يقوم بذلك المسئولون في البلاد الإسلامية .

ورد السؤال من : السيد / فهمي الطلباوي

حكم استعمال دواء يزيل آلام الوضع .

السؤال :

ما هو موقف الدين الإسلامي من قضية استعمال علاج يزيل آلام الولادة أثناء عملية الوضع ، نوصلت إلى استنباطه بتجاربي واختباراتي الخاصة ، وشرعت باستعماله بنجاح تام ؟

الجواب :

إن استطاع الطبيب بعلمه وتجاربه أن يخترع دواء لإزالة آلام الولادة فذلك عمل إنساني يبيحه الدين ، فقيهه معونة للمريض ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه . كما أن في هذا إزالة للحرَج والمشقة وذلك مما يدعو إليه الدين ويقرره ، والله تعالى يقول : « ما جعل عليكم في الدين من حرج » ويقول « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الدين يسر) .

ولا مانع من استعمال هذا العلاج إذا لم يكن من مادة محرمة بمنوعة شرعا ولم يصحب ذلك محظور شرعا كمنظر أجنبي أو مباشرة عملية الوضع من غير ضرورة ، فإن صحب استعماله شيء من هذا كان محظورا شرعا ، وإن كان الاختراع في حد ذاته عملا إنسانيا ،

حكم التوسل بالأولياء وما يصحبه .

السؤال :

ما حكم التوسل بأولياء الله الصالحين والتقرب إليهم بالقرايين كذبح الذبائح والسجود لهم حينما يدخل الناس مقابرهم ؟

الجواب :

إن التوسل إلى الله بأوليائه الصالحين باعتبار أنهم أعظم عند الله شأنًا وأقرب إليه من غيرهم بعملهم الصالح أمر لا شيء فيه ما دام ذلك لم يؤد إلى ارتكاب محرم ، وأما ذبح الذبائح لهم فإن قصد الفاعل النذر لنفس الأولياء فالنذر باطل والوفاء به حرام . وإن قصد بذلك انتفاع الفقراء فهو جائز لا شيء فيه لأنه نوع من الصدقة ، ولا يلزم بنقل الذبائح إلى محال الأولياء . بل له أن يذبحها بمكانه هو ويوزعها على فقراء بلده إلا إذا قصد الفقراء الذين يوجدون بحى الأولياء فيجب عليه الوفاء بما نذره . وأما السجود فلا يجوز لغير الله تعالى فيحرم السجود للبشر تعظيماً لهم لا فرق بين الأولياء وغيرهم .

ورد السؤال من :

عمران محمود عمران

مع ملاحظة أنه عند العلاج يقدم للطيبات فإن لم يكن فالطبيب الحاذق المعروف بحسن الخلق والعدالة .

ورد السؤال من : السيد الطيب

سامى فؤاد طراد - بيروت

حكم إقلاق راحة الجار بالزار .

السؤال :

بجوارى جار دأب على عمل الزار في أوقات كثيرة مما أدى إلى إقلاق راحة السكان المجاورين لبيته كما يصاحب الزار كثير من الأشياء المخلة بالشرف والآداب العامة فما الحكم ؟

الجواب :

إن إيذاء الجار بمثل ما تذكر من حفلات الزار وغيرها ممنوع شرعاً يجب العمل على إزالته تنظيمياً للجمعية من مثل هذه العادات المرزولة وعلى المتسبب في هذه المنكرات أن يكف وإلا فللحاكم تأديبه حتى يمتنع .

ورد السؤال من :

أحمد محمود على - باب الشعربة

بين الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق عبد الرحيم فودة

مع هلال المحرم :

جرت عادة المسلمين أن يذكروا مع هلال شهر المحرم من كل عام هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وما كان لها من أثر بالغ في انتصار دعوته ، وانتشار رسالته . وإظهار دينه .

والحديث عن الهجرة طالما تردد وتجدد . وانطلقت به الألسنة ، وجرت به الأفلام . واهتزت له الأفئدة ، ومع ذلك ظل هذا وطبا قويا أخاذا نفاذا ، وسيظل كذلك ما بقي هذا الدين القويم يعمر قلوب مئات الملايين من المسلمين .

وإذا كان الحديث يمل بالتكرار وكثرة التذكار ، فإن حديث الهجرة تتلقاه القلوب دائما بإحساس ولید ، وشعور جديد ، لأنه ينطوى على معان ومثل ومبادئ خالدة لا تبلى جنتها ، ومن ثم كان لهذه الذكرى ما لها من جلال وجمال .

وأى جلال أروع من تمثل منظر محمد صلى الله عليه وسلم مع صديقه أبى بكر رضى الله عنه وهما فى غار أحدق به الكفار وأطبقوا عليه بخيلهم ورجلهم ، يقول له أبو بكر وهو خائف واجف : لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا . فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم فى ثقة بالله وإيمان به وأطمئنان إليه : ولا تخزن إن الله معنا .

وأى جمال أجمل من تخيل منظر هؤلاء وقد احتشدوا للفتك بمحمد وصاحبه ثم وقفوا حول الغار يتلفتون يمنة ويسرة ، ويسائلون الأرض والسماء والفضاء والصحراء عن محمد ومكان محمد ، فلا تجيبهم السماء ، ولا ترد عليهم الصحراء ولا يتحرك لهم الفضاء إلا بأصداء النداء... ثم يرتدون بخيبة المسعى ، لأن يد الله أقوى منهم ، وتقديره فوق تقديرهم ، وتديره فوق تدبيرهم .

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأعلم

وأى مثل للتضحية في سبيل العقيدة .
والفناء في سبيل المبدأ ، والشجاعة في الجهر
بالحق أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم وقد
ترك أهله ، ووطنه ، واستهان بكل ما في الدنيا
من مغريات ، وسخر من كل ما سمع من وعد
ووعيد ، وتحدى كل قوى الإرهاب والتهديد ،
ثم مضى بدعوته يلتمس لها أفقا أرحب تشرق
منه ، وأرضا أخصب تنمو فيها ، وجوا
أطهر تنفس فيه ، وعونا أكبر تعتمد عليه ،
حق إذا أظهر الله دينه ، وأتم نعمته ، وأظفر
المؤمنين على الكافرين ، ومكن لنبيه صلى الله
عليه وسلم من رقاب أعدائه ، لم يشف منهم
حقده عليهم ، لأن نفسه كانت أعلى من أن
تحمق ولم تمتد يده إلى أحد منهم بسوء لأن
يده كانت أطهر من أن تقتحم ، وإعنا مديد
لصفح عنهم ، وأظهر لهم ما عرف به دائما
من سماحة نفية ، وعفو جميل . اذهبوا
فأنتم الطلقاء .

بشارة من التوراة والإنجيل :
جاء في التوراة في السفر الخامس ثثنية
٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

« أقبل الله من سيناء ، وتجلى من ساهير ،
وظهر من جبال فاران ومعه ربوات الأطهار
عن يمينه ، قال ابن القيم في كتابه « هداية
الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى » : وهذه
بشارة متضمنة للنبوات الثلاث ، نبوة موسى
ونبوة عيسى ، ونبوة محمد ، فجيئته من سيناء
وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ونبأه
عليه أخبار نبوته ، وتجليه من ساهير هو
مظهر المسيح من بيت المقدس ، وساهير قرية
معروفة هناك إلى اليوم ، وهذه بشارة بنبوة
المسيح ، وفاران هى مكة التى ظهر فيها للنبي
محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد جاء في قرآنا العظيم نص مشابه حيث
يقول الله عز وجل : « والتين والزيتون
وطور سينين وهذا البلد الأمين » .

ودليلنا على أن فاران هى مكة أن التوراة
ذكرت عن اسماعيل أنه قارق أباه وسكن

إن جوانب الجبال والجلال في ذكرى
الهجرة أرفع من أن ترقى إليها الأفلام
بالتصوير ، وأوسع من أن تستوعبها الأفهام
بالتأمل ، ومن ثم كانت حقيقة بأن يحتفل
لها المسلمون مع هلال شهر المحرم من كل عام ،
جديرة بأن تحظى من الناس أجمعين بآيات

وأنا لا أريد أن أشغل بالحديث عن
خلافات المتقدمين والمتأخرين في أصل اشتقاق
هذا اللفظ ، وهل هو من الصفاء أو الصوافة
أو الصفة ، أو أن مرده إلى غير ذلك من
علل التسمية ، فذلك أمر لا طائل تحته ، وما
يرجى من البحث وراءه لا يستحق أى عنا .
ولما الذى يجب أن يفهم منه أنه اسم دال
على صدق التوجه إلى الله تعالى ، والمتصوف
من كان له نصيب من ذلك يدخله فى مقام
الإحسان الذى فسرهُ الرسول صلى الله عليه
وسلم بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ،
فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، وهذا هو تمام
المراقبة ، وهو الأصل الذى يرجع إليه صدق
التوجه ويمتد منه حبل الاتصال .

ولا بد للتصوف من الإيمان ولزوم العمل
بالإسلام ، فلا تصوف إلا بفقه تعرف منه
أحكام الله الظاهرة ، كما أن العمل بالفقه يقوم
على تصوف ؛ لأن العمل على مقتضى ظاهر
الشرع يلزم له صدق التوجه على ضوء ما جاء
فى القرآن الكريم . يدعون ربهم بالغداة
والعشى يريدون وجهه ، كما يلزم له سبق النية
على ضوء ما جاء فى الحديث الشريف (إنما
الأعمال بالنيات) .

ولا وزن للفقه والتصوف إلا بالإيمان ،
وتلازم الفقه والتصوف كتلازم الروح
والجسد ، ولا حياة إلا بهما معا ، فهما

فى برية فاران ... وأن نبوة من ذريته تظهر
وتملأ السهل والجبل .

وكانت هذه الكلمات تحدد معالم النبوة
المحمدية وتبشر بها وتمهد لها كما ذكر القرآن
الكریم « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى
الذى يجسدونه مكتوبا عندهم فى التوراة
والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت
عليهم » .

من كتاب المستقبل للإسلام :
الأستاذ أحمد عبد الجواد الدوى

صباحه المتألى :

شاق الوجود صباحه المتألى
يوم بمولده نور طه يشرق
سر حوته من السماء سريرة
نشوى بأنوار النبوة تحقق
للشاعر (حسن جاد)

هَذَا هُوَ التَّصَوُّف :

قال أبو الفتح البستي رضى الله عنه :

تتازع الناس فى الصوفى واختلفوا
وظنه البعض مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الوصف غير فى
صفا فصوفى حتى سمي الصوفى

في كل مطالع :

سأل أحد الصحفيين الرائد الكوني الأمريكي « جون جلين » هل يعتقد أن الله موجود في الفضاء ؟ فأجاب « جلين » أن الله موجود في كل مكان ، وليس من العبادة أن يحاول المرء أن يحصر وجود الله في مكان ما من الكون دون سواه ، ذلك لأن الله أعظم من الكون . وحيثما توجهنا فهو هناك .

وكان جون « جلين » قد صرح في الخطاب الذي ألقاه أمام « الكونجرس » بعدما عاد سالما من رحلته الكونية التي دار أثناءها حول الأرض في فبراير الماضي بما يلي :

كلما تقدمت خبرة يزداد إعجابي بمدى ما نعلم من أسرار الكون ، بل بالمجالات الهائلة التي لم نتمكن بعد من استكشافها ، أما الآن وقد أخذت معلوماتنا عن الكون تتسع شيئا فشيئا ، فإني أرجو أن ينعم الله علينا بأن نستفيد من هذه المعلومات بحكمة ودراسة وتبصر .

[من مجلة الحسنى بالرباط]

تعليل :

« سفيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد . »

قرآن كريم

متكافئان وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه فأصاب كبد الحقيقة : « من تصوف ولم يتفقه فهو زنديق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق . »

فالتصوف على هذا مسلم مؤمن عرف ربه بخشيته عن علم ، وانبع أمره على فقه ، كما تقرر ذلك في القرآن بصريح قول الله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء . »

الأستاذ أحمد حنفي نصار القوصي ،

[من مقال بجريدة المقطم عام ١٩٤٨]

يا رسول الله :

المصلحون أصابع جمعت يدا
هي أنت ... بل أنت اليد البيضاء
أدعوك عن قومي الضعاف لازمة
في مثلها يلقى عليك رجاء
أدري رسول الله أن نفوسهم

ركبت هواها ، والقلوب هوا
متفككون فما تضم نفوسهم

ثقة ، ولا جمع القلوب صفاء
وقدوا وغرهمو نعيم باطل

ونعيم قوم في القيود بلاء
من ديوان الشوقيات « شوقي ،

الطبيعة الفنية :

وامتنع الإعجاب بهن جميعا على الحصر
والتمريف غير أن المزية التي لا غنى عنها
والتي لا يكون الشاعر شاعراً إلا بنصيب منها
هى مزية واحدة ، أو هى مزية نستطيع أن
نسميها باسم واحد ، وتلك هى الطبيعة الفنية .
تعمد أن نقول : إنها تسمى باسم واحد ،
لأنها فى الحقيقة أشياء شتى تدخل فى عموم
هذه القسمية .

فإن الطبيعة الفنية هى الطبيعة التى بها يقظة بينة
للإحساس بجوانب الحياة المختلفة ، وهنا
ينتهى بنا الإجمال إلى كلمة كأنها كلمات أو
كأنها معجم كامل من المصطلحات ...
للأستاذ عباس محمود العقاد
من كتاب « ابن الرومى »

الشعر :

والشعر إن لم يكن ذكرى وعاطفة
أو حكمة فهو تقطيع وأوزان
(شوقي)

شعر :

نثر تركت به الأشعار حاسدة
فكأن تقطيعها من شدة الحسد
(أحمد الزين)

إن مزاي الشعر كثيرة تفرق بين الشعراء
وتفرق الإعجاب بها بين القراء ، وقد يحرم
الشاعر إحداها أو أكثرها وهو يعد شاعراً
لا غبار عليه ، لأنه يحسن نمطا من الشعر
تصح به الشاعرية ، كالجمال فى الحسان . يروقنا
فى كل وجه بلون وسمة وهو فى جميع الوجوه
رائق جميل ، وكاللمحة الواحدة من ملاح
الجمال . تحلو فى هذا الوجه وتحلو فى ذاك
ولا تشابه بينهما فى غير الخلاوة ، فى العيون
ألف عين جميلة . لا تشبه الواحدة أختها
ولا تتفق اثنتان منها فى معانى للنظرات
ومحاسن الصفات . وليس هناك إلا جمال
واحد عند الكلام على جوهر الجمال .

وكذلك الشعر . يعجبنا فى كل شاعر
بطراز مختلف ، وهو شعر سائغ مستملح فى
كل طراز ، فالذى يعجبنا من المتنبي غير الذى
يعجبنا من البحتري ، والذى يعجبنا من هذين
غير الذى يعجبنا من الشريف الرضى أو من
أبي العلاء أو من أبي نواس أو من ابن
زبدون ، والذى يستحق به كل واحد منهم
صفة الشاعرية غير الذى يستحقها به البقية ،
فقد تفرقت مزاي الشعر كما قلنا أيما تفرق ،

the moral but also for the physical welfare of society.

Prostitution, the great evil of civilization, which is a real cancer, with its concomitant increase of bastardy, is practically unknown to countries where plurality of wives is allowed as a remedial measure.

IT IS WRONG to suppose that any of the Islamic institutions can ever do wrong to mankind, for Islam aims at the welfare of humanity. If we carefully and with an unprejudiced mind study the law of divorce, we shall find that: it is sanctioned for no other reason but good of Society. Occasions do arise when the separation of a married couple becomes indispensable. The Qur'an sanctions divorce only in cases when all attempts to bring about conciliation between husband and wife fails. It may be added here that, though divorce is allowed by Islam if sufficient cause exists, yet the right is to be exercised under exceptional circumstances. The Prophet Mohammed said: "Of all the things which have been permitted to men, divorce is the most hated by God".

Thus, it is clear that Islam has not allowed divorce as a general rule, it is only to be exercised in cases when nothing but divorce can help the society.

The Holy Qur'an says: "Your wives have rights against you as you have rights against them".

Islam is the only religion that imposes itself as a universal religion of all humanity in all times and as such it appears as a natural religion which man embraces, guided by his moral and intellectual faculties without being in need of preliminary apprenticeship.

It offers itself as the first religion revealed to all those who are sent by God, whom people in a state of ignorance wronged by untrue and false commentations with a view to satiate their ambitions and subdue the peoples.

It recommends to its adepts to put faith in all those who are sent by God whether known by their names or remain unheeded.

It uplifts the mind so as to make in the only master in all the disputes that arise concerning faith and the private and social behaviour, thus conferring the mind all the power which belong to it.

It condemns imitation and claims from the believer to establish the truth of his faith.

It claims absolute equality between all, and condemns any sense of nationality.

That is Islam, the Religion of God; open your heart to its light, and try to study and practise the teachings in the Holy Qur'an, leave every fanaticism out of your mind, be just and true.

There is none like God, from Him all has come and to Him all return. He is the light of the heavens and earth, the Glorious, the Magnificent, the Beautiful, the Eternal, the Infinite, the First and the Last.

ISLAM TEACHS US to respect all the prophets of God, and to believe in them, Mohammad was the last and not the only prophet of Islam. From the beginning of the world "Islam" has existed inspired by God, but the people wrongly named it after the prophets of every period. This incorrect step was the root of misunderstanding and fanaticism between various elements of humanity.

God has sent prophets to all mankind, to tell them to fulfil His will and to lead a sound life, and to believe in the resurrection after death, and in the day of judgement.

Erroneously one speaks of fatalism and predestination in Islam: the Muslim believes in direct separation of good and evil, all that is created by God is good, and being used after its true direction will lead to happiness, but if it be abused will lead to evil and sorrow.

Every Muslim believes in the responsibility of his own deeds, and carries his own burdens, and none can take the responsibility of other's sins.

Difference of nations and colours as well as varieties of beliefs are unknown in Islam. In Islam the

whole of humanity forms one family, combining the black and white into one unity of brethren.

Many bad ideas are spread by fanatics about polygamy and divorce in Islam.

Islam does not enjoin polygamy nor even permit it unconditionally. It permits polygamy under certain circumstances, and its chief aim is to give protection to the gentle sex. The Holy Qur'an has sanctioned polygamy as an exception to the general rule, and has laid down justic and equality between wives as a necessary condition for it. Polygamy helps the society.

It will be admitted on all hands that men are breadwinners; they take part in strife, struggle and hard out-door duties. They also have to go to the battlefields and face the bullets of the enemy, therefore, their death-rate must be higher than that of the female population; and consequently there must be a huge disparity between the number of men and women as actually happened after the great wars. Polygamy in such cases will be a blessing for those women who cannot easily find husbands to protect them. It is not only the preponderance of females over males that necessitates polygamy in certain cases, but there are a variety of other circumstances which require polygamy to be adopted under exceptional circumstances, not only for

WHAT IS RELIGION ?

by

MOHAMMED TAWFIK AHMAD

Editor : " Al Bareed Al-Islami "

Religion is the great school, in which God (Allah) has put His law and commandments, to teach all mankind how to live happily during this life, and after death.

But this programme differs according to the long spaces of time, and progress of thought. It is just like the programme of our schools now, beginning with elementary school, then the primary and after the secondary, to reach the high college. God sent His Prophets, every one of them taught the programme of his time. Now we are in the high college, our teacher is the prophet Mohammad, who taught the high programme of the Universal Religion (Islam); its text Book is : The Holy Quran.

Those who don't study and practice this high programme, live in bygone ancient centuries, even when they are living with us now; they are fanatics, their fanaticism that religion never changes in its foundations.

ISLAM MEANS PEACE among humanity and submission to God, every follower of the religion of God

(Islam) is called a (Muslim-) Man of peace. A Muslim learns to believe in one God, possessing all the conceivable good attributes and absolutely free from all defects. The Most Perfect Being, The Originator, The Sustainer, and Ultimate Cause of all things. God is one, there is absolute unity in the Divine nature; it admits of no participation or manifoldness. He has no partner or co-charer, He begets not' He is free from passions, and is indivisible and impersonal

The religion of Islam denies all plurality of persons in God-head, and any participation of any being in the affairs of the world. God created us to obey His laws, and serve Him and to do good because it is goodness that God loves.

God has begotten neither sons nor daughters. He is the All-Mighty, the All-Knowing, the All-Just, the Cherisher of the worlds, the Master of the East and West, the Author of the Heavens and the Earth, the Creator of all that exists. He is Loving and Forgiving but also just and swift in reckoning, The friend, the Guide and the Helper.

of the verses without looking to a dictionary put after the revelation of the Qur'an to serve the principles of a certain sect, and without inclination to a certain type of explanation subjected to weak factors or the orientation of those who tries to humiliate the islamic nation as one of history and message imposed upon it to struggle for them.

This calls to a new revision of the books, thosis and treatise which speak about Islam and be produced to Muslims in their schools, institutes or their common life. As well as it calls to a new revision of the culture which is produced to the people in the mosques, in order to become an expression of the actual reality of the islamic message as a

perfect system of the respectful human life. A man being strong in the whole aspects of that life, is really one element of that human life, while in the same time he is polite and self-righteous, especially in manner and treating others.

From all what we before mentioned, we come to conclude that the begining point is to restore the islamic significances to their first meanings, and to take the glorious Qur'an and the correct prophetical sayings as guides in order to define cleary that denotations and not to be influenced by the other openions which were related to Muslims and affected by the different human states which factly are away from the aims of the Islamic message.

“The recompense for an injury is an injury equal thereto (in degree), but if a person forgives and makes reconciliation, his reward is due from God.” [S. The consultation, V. 40].

This verse clears that man can treat the other the same as he treats him, evil to evil, but it asks believers to be of a higher human standard and not to meet evil by evil, but by forgiveness and mercy.

Forgiveness, when it turned to the meaning of tolerance — in case of the inability to meet evil by evil —, it would surely be another intruder meaning for the forgiveness virtue which Islam had made it one of the distinguished human manner. Indeed, weakness of the Islamic society was the cause of giving that new meaning which is the weakling feature of the Islamic society. That feature, by turn, emanated from the untiding of the individual relations and giving no attention to the supreme examples, but they were only struggling to keep their individual life.

If we trace all the significances which represent the Islamic virtues, and upon which stands the correct way of the practical behaviour of the believer one, we shall find that they turned and changed to the opposition of their first sense. And beside that, we shall find that the reason of that change is the society

itself. Then if we look for the feature of the society which inspired that change of the significances from their first sense to their oppositions, we shall find also that the individual in the Islamic society had changed from his former state. And that change is in no way out of that the belief which filled the first Muslim's heart became lighter in weight or turned from being high examples to worldly needs and trifle objectives in the human life.

Therefore, it is impossible that these significances can be restored to their first sense, except when the Muslim individual be brought up according to the Islamic teachings, and when he feeds the Islamic values and represents them in his spirit, belief and manner. Furthermore Muslim can not be brought up on Islamic education, unless these significances be turned to their first sense and be put before him in order to understand and carry them out.

The reformation way, however, is a dual one, but it can be passed in the same time at which the first significances of the Islamic understandings be restored and produced to the individuals of the society bearing that meanings.

The way to utilize that, is to carry out the instructions of the holy Qur'an according to the full meaning

the reach of hand, as in the meantime, it did not consider the meaning of humiliation or at least accept the humbleness in any of its different phases. The glorious Qur'an clears that evidence completely in its verses, it says :

" Soon will God produce a people when He will love as they will love Him, lowly with the believers, mighty against the rejecters" [S. The Table, V. 57.]

"And out of kindness lower to them the wing of humility" [S. The children of Isreal, V. 24.] "But lower your wing (in gentleness) to the believers." [S. The Rocky tract, V. 83.] " And lower thy wing to the believers who follow thee." [S. The poets V. 215.] "Wert thou severe or harsh hearted, they would have broken away from about thee" [S. The family of Imran, V. 259.]

Actually these verses ask man to avoid urging the believers - by any means - to treat their fellows or parents arrogantly. But he should be of a good behaviour with. The Qur'anic expressions "lowly" "And lower your wing" "And lower wing to them" refer to that.

The inclination and deviation from the right significance of modesty to another meaning such as the acceptance of humiliation, keeping in

humbleness or being unable to remove the means of that humiliation or humbleness. That surely will be an intruder meaning to the former sense' which the new condition of the islamic society resulted it because of its new state which is the state of weakness and humiliation that springs not from Islam, but it completely emanates from the relations of Muslims to each other or from the relations of the Muslim society with the other nations.

5—The Forgiveness :

The same way is forgiveness in its significance and its evolution from its first meaning to another one attached to it. Reading, for instance, the saying of the Almighty God "Those who restrain anger, and pardon (all) men; for God loves those who do good" [S. The family of Imran, V. 134.], we will be sure that the significance of forgiveness which was considered one of the virtues is the abandonment of penalty in spite of the ability to perform it. This may be more evident in the following saying of God "For God loves those who do good." So, clemency here is nothing but a methodical picture of the respected humanity which can be represented in the self-control and forgiving with the ability to take revenge. This meaning is very evident in God's saying

" (they are) those who persevere in patience, and put their trust on their God" [S. The Bees, V. 42.] And " Then when thou hast taken a decision, put thy trust in God. For God loves those who put their trust (in Him.)" [S. The family of Imran, V. 105], we will find that duality in which the dependence-in the islamic point of view - will be no virtue or desired by Islam, except with the joining between its two edges.

But if-in any time-the meaning of dependence become nothing but waiting for God's help without producing any effort or using human activity, surely that meaning and significance will be an intruder one on the islamic society. As it means that it changed as a result of the change of society itself.

Looking for the factors which intruded and came to the islamic society and caused that change in the society and the significance of the dependence which turned to be equal to the indolence, we will find the same thing which we already found. That is the weakness of the islamic society, the separation of the relations, being away from the examples and values, and turning to the daily needs which help man to realize his material duration as a living entity inclines by the duration instinct to covet it eagerly.

Going more and more in the analysis of the specific elements of weakness, separation and avoiding the supreme values, we may find that these elements emanate from the spread of the individuality and egoism which direct the individuals of the society, especially when it goes into successive difficulties and its members lose their self-reliance and mutual relations.

The islamic society - like any other human society - passed with many difficulties. Its members lost their self - reliance as they left doubt towards each other. Therefore, they strived only to realize personal stability or rather to keep the individual and personal duration.

The significance of the dependence in its evolution and changing speaks about the turning of the society itself from power to weakness, and that by turn clears that it is the result of the turning of the society.

4.—The Modesty :

The significance of modesty is not an exception or away from the former ones. But it changed as a result of the change of the society itself. Indeed, the first sense of modesty-thetfore it was a virtue-was the self bearing in order to avoid the means of power deception and pride which may sometime be in

So, the significance of patience can represent two kinds of the Islamic society, as in the mean time, the change of the Islamic society is responsible for turning the former meaning of patience to the latter one. Hence, we can say that the powerful society can add to the meaning its aim and power. Also the weak society will lose the power of the meaning or replaces it with a weak significance.

3 — The dependence :

The same as we found the clemency and the patience significances, the same we find in the other meanings and significances which firstly were of certain sense, then they turned according to the alteration factors that changed the society, its aims and feature. A clear evidence for that statute is the dependence. Reviewing the Qur'anic verses that ask man to depend upon God, we will find that they never went away from the meaning of joining the human endeavour and using all the abilities, with asking help of the almighty God "exalted be He". In the Qur'an also there is no distinguish between the human endeavour and asking God's help. In this respect the glorious Qur'an says : "No reason have we why we should not put our trust on God. Indeed, He has guided us to the ways we (follow). We

shall certainly bear with patience all the hurt you may cause us. For those who put their trust should put their trust on God." (S. Abraham, V. 12.) And says also addressing the prophet : "peace be upon him" "And obey not (the behests) of the unbelievers and the hypocrites, and heed not their annoyances, but put thy trust in God, for enough is God as a disposer of affairs." (S. The confederates, V. 48.)

Reading these verses, we will clearly observe that the glorious Qur'an has joined two facts to each other. It linked the human effort to the asking of God's help. In the first verse, it tied between the human effort in being patient towards the harm caused to them by enemies, and between the asking of God's help in order to enable them to be patient till they realize the prospective result which is to raise the values of the human life according to the teachings of Islam. The second verse also tied between the human effort in being disobedient to the unbelievers and hypocrites and bearing their harm without giving them any attention, and between asking the divine support till the realization of the believer's victory.

Like that, if we turned to other verses such as the saying of God

So, if we passed over the quranic verses in which patience was mentioned, we would find that sense which we already denote to, and which we considered as the first meaning of the patience. This may be clear in God's saying "But verily thy God, to those who leave their homes after trials and persecutions, and who thereafter strive and fight for the faith and patiently persevere, thy God after all this is oft-forgiving' most merciful," [S. The Bees, V. 110.] and the saying of God "But if you are constant and do right, not the least harm will their cunning do to you; for God compasseth round about all that they do" [S. the family of Imran, V. 120]. "And obey God and His prophet and fall into no disputes. lest ye lose heart and your power depart, and be patient and persevering for God is with those who patiently persevere." [S. The Spoils of war, V. 46.]

"And join together in the mutual teaching of truth and of patience and constancy." [S. Time through the age, V. 3.]

Saying these verses and more than them, Qur'an calls people to patience and asks them to take it as a behaviour. It does not mean more than the spiritual bearing for the sake of the belief, values and the prominent examples. This is because the good

aim is the most important thing in the life of man who has a human character and supremacy in his humanity. This in fact is the distinguished aim in life. The aim of life will not be a human and a distinguished one, unless it is for belief in a certain system of life, and for the sake of realizing this system and carrying it out.

But the patience of one who can not afford his living needs, or who has no way to earn his living because of illness, and the patience of one who is hungry waiting something to satisfy him, that is another meaning and significance of patience, but it is not the patience which mentioned in the prophetic saying "patience forms half of the belief."

Therefore, when the meaning of patience turned to the latter meaning, this surely mean that it turned under the new impression of the society at which the Muslim society had turned at the beginning. But the new sphere of that society will be a materialistic one which urges people to seek their material needs, especially after the relations and unionization among the individuals became weak and after the muslims became far from seeking the human values and examples and struggling in order to realize and to keep that values.

changing the meaning and significance of the word "clemency : Ihsan", we can say also that this change illustrates the alteration of the society itself. Therefore, the history of Islam illustrates two kinds of the human societies. The first looks for superiority, highness and it is ready to perish in that cause, while the other one looks only for the sufficient means of poverty and hunger. Surely, clemency in its turning from a significance to another refers to the turning from a society to another.

The Patience :

As to the significance of patience, it had a certain meaning since the advent of the first islamic society. Then when that society turned to another one, the patience took another meaning in order to go with that society.

Patience at the begining of the islamic message was the practical representative of the powerful belief, meaning that the powerful belief was attached to man, he could not leave it, as it also could not leave him, Consequently, man bears, for the sake of belief, all the means of spiritual and the material harm. This is because as long as he is a practical expression for the powerful belief, there is no room for being impatient or fretful. God the Almighty, when He addresses the prophet "peace may be upon him" saying "Therefore patiently persever"

as did all messengers of inflexible purpose and be in no haste about the unbelievers". He actually means to advise him to be patient especially for the belief and preaching to the islamic call. This patience was not at all a cause of poverty or a psychological crisis resulting from despair in realizing a material personal wish, but firstly and lastly it was psychological bearing and patience for the sake of the call and to face the hindrances and obstacles which his opponents put before him. He also considered that patience will be the bridge on which he will arrive to the main purpose, that was to succeed in his call. In other words, he aimed to turn the belief in the call to a practical result which was to build the new society wanted by the heavenly message.

This sense may be assured by the saying of God "But they never lost heart if they met with disaster in God's way; nor did they weaken (in will) nor give in. And God loves those who are firm and steadfast." [S. the Family of Imran, V. 146.]

This verse clearly denotes that patience in its first meaning and significance was spiritual bearing-for the sake of belief and call to the divine message-before being a material one, especially because poverty and hunger.

first islamic significances alone-which is the distinguished human one. Therefore, when the Qur'an says "But do good, for God loveth those who do good" "We have enjoined on man kindness to his parents", it does not mean more than to utilize a human treatment, manner and behaviour. Furthermore, when it says "whoever submits his whole self to God and is a doer of good, has grasped indeed the most trustworthy hand-hold." [S. Luqman, V. 22.] "Behold: he that is righteous and patient, never will God suffer the reward to be lost, of those who do right" "And those who strive in our (cause), We will certainly guide them to our paths: For verily God is with those who do right", it surely means alone the character of pioussness, patience and struggling in the cause of the high principles and the human values. It is the human character which raised to the high standard of humanity defined by the significance of clemency.

All what the holy Qur'an mentioned, whether related to goodness or adapted from it such as clemency and good doer, does not bear any more meaning than what we refered to. That is the standard which causes spiritual stability and strong relations between man and other.

When the meaning of clemency

after that changed or deviated to the meaning of material giving or charity, that really came as a result of turning of the society and its objectives from struggling the cause of the high standard of humanity, its principles and examples, to the means of earning living and struggling for it alone. In other words, this change came as a result of the alteration of the society's objectives from being methodical to materialistic ones.

As a matter of fact, the islamic society turned to that material objective only when it became weak and when there was a long distance between the conception of the actuality of the human values and the mobilization through belief in order to realize its actuality. Clemency in its turning from the meaning of the high standard of humanity to the meaning of how to earn the material living, surely illustrates the evolution of the islamic society itself, when it turned from the methodical society of the power, belief, stability, co-operation, unionization and of strong advancement in realizing its examples and aims, into a society away from all that, whether in the relations among its members or in its aims and objectives or in the way of realizing its own purposes of life.

IF we say that the alteration of that society was the cause of

reach to that standard, except the one who strives hard to become a man and to reach the standard of humanity. He is always careful to avoid egoism, all the means of lusts, sexual desires and both internal and external instigative factors which have the power to deviate him from being of prominent human standard. This sense is clearly illustrated by the Qur'an in God's saying "But do thou good, as God has been good to thee, and seek not (occasions for) mischief in the land" (S. The Narration, V. 77.).

The good things which God the Almighty has bestowed on man are as follows: Firstly, the creation of man, the holy Qur'an says "And has given you shape, and made your shapes beautiful" (S. The believer, V. 64.)

Secondly, His guidance to man which is completed by belief in God and worshipping Him, as it is illustrated in the prophetic saying "You worship God the same as if you see Him" answering a questioner about clemency.

As a matter of fact, clemency in its first significance and meaning, since the advent of Islam, is the human distinguished and instructive sense which is expressed by saying and action. In this respect the Qur'an says: "O ye who believe! the law

of equality is prescribed to you in cases of murder: The free for the free, the slave for the slave, the woman for the woman, but if any remission is made by the brother of the slain; then grant any reasonable demand and compensate him with handsome gratitude." (S. The cow, V. 178.) "Come not nigh to the orphan's property except to improve it" "The parties should either hold together on equitable terms, or separate with kindness." "When a (courteous) greeting is offered you, meet it with a greeting still more courteous or (at last) of equal courtesy" "Speak fair to the people" "Say to My servants that they should (only) say those things that are best."

"Invite (all) to the way of thy God with wisdom and beautiful preaching; and argue with them in ways that are best and most gracious".

The above mentioned verses have demonstrated the different aspects of the honourable human picture which gives the quality of clemency to its owner, and which makes any thing springs from him good, whether it is deed, words, action, behaviour, call or neighbourhood.

The other verses in which the holy Qur'an asked man to be clement, give the meaning of clemency-in its

Remaining not too long to this theoretical aspect in order to interpret the changes of these significances from their former position, we have to indicate to some of them, as we also have to indicate to the changes of aims and purposes of life. To reach easily to the link which we mentioned before, it may be better to explain the relation between the objectives of the islamic message, when it was revealed to the Prophet Mohammad "peace may be upon him", and the meanings and significances which the message had embodied at that time. This link was that the change of the aim led to the change of the former definition of the significances and meanings. Verily, the islamic Message — as we aggregately before said — put the lines of the high standard of the human beings which Muslim — by means of his religion — should reach and keep it during all his life time as long as he believes in Islam and its values. These lines also forms significances and meanings which are, in the same time, commendments and which muslims can turn them into actions.

Shortly, these significances and meanings are called "Virtues" by the ethic scholars. Every body should be practised in them till they become some of his habits and a second

nature for him. It may also be said that the formation of these significances and meanings in the human being is a picture for the supposed rectifying of the good person, a picture for the good manner in the good mannered person, and a picture of education in the educated one.

1 — The Clemency :

The islamic message when it calls people and induce them to clemency, it surely aims at creating such a man of clemency, or in other words the attributes which lead him to be of humanity, as humanity in its actual meaning is the goodness in all sides and aspects. The glorious verses in this respect obviously denote to that meaning. The holy Qur'an says in the chapter of Cave : "As to those who believe and work righteousness, Verily We shall not suffer to perish the reward of any who do a (single) righteous deed." (V. 30). The clemency and goodness which mentioned in that verse, and which God promised a good recompense for it, is the same one which is represented in belief and good deeds. Undoubtedly, belief is an elevated picture for humanity, and the good deeds — which have their effect in leading to co-operation and unionization — are also an elevated picture for humanity. No one can

THE ISLAMIC CALL REVIVAL SHOULD BEGIN FROM THE ESSENCE

BY

Dr. Mohammed El-Bahay
chancellor of Al-Azhar University

The islamic message has embodied - since it was revealed - the meanings and significances which denote the way of life and the behaviour of the human being, whether towards his God, his family, or towards the other individuals of his society. These meanings and significances were the source of urging and motive of life. The Muslim people, during the message era and not long after it, represented all these meanings and significances, as they clearly took them in. This was before they had any touch of obliquity in their understanding.

The individuals of the islamic society were so strong as they had correct orientations and motives in life. The islamic society itself, according to that, was a powerful, united and more supportable one, whenever these meanings and significances were sincerely practised as a rule of behaviour and a monde of life. Surely, the aims of the society were emanating from these significances and meanings, that are not more

than a defination for the human standard to which the human beings should raise, if they became lower in behaviour or away in direction, and to which they should stand at and keep when they reach it.

But after that, it was remarked that these meanings and significances started to be away from its former position, and accordingly had another view of life and other way of behaviour that differs from that which they denoted to during their former time of the message and not long after it till that change happened.

This change may be happened because of the other objectives which differ from that of the message that embodied and defined as to be pratctically utilized in the life. In other words, the cause of turning these significances from its former position-which was to raise people to the human standard and to keep standing at it-may be the abandonment of the true objectives of the message itself.

The charge of the orphaned Mohamed was undertaken by Abd Al Mutalib his grandfather A. D. 576.

Ibn Hisham in his book "Assira" narrated how his grandfather has preserved traditions of fondness, and how the old man of fourscore years has treated the child spreading a rug for him under the shadow of the kaaba protecting him from the rudeness of his own sons etc.

God adds in the same Surah "And found thee erring and guided thee" This verse refers also to the puzzle which Mohamed was enduring, and the loss in which Mohamed was staggering without comfort.

Up to his 40th year, Mohamed followed the religion of Ebrahim the prophet. Tabari says that when he first entered on his office of prophet, even his wife khadiga had read the scriptures, and was acquainted with the history of the prophets, but his comfirmity can only have been partial.

God rescued Mohamed from erring and wandering. His puzzle reached its zenith when he became forty years old. He isolated himself in the cave of "Heraa" to worship his almighty Lord. All of a sudden he found his way to confort and bliss.

Some interpreters say that Mohamed was once lost in the desert of Mecca, and somebody led him to his uncle Abu Taleb. Others say that he lost his way across the way leading to Syria.

On the other hand some interpreters say that Mohamed sustained loss after his nurse "Halima" has taken him when he was a baby.

According to me his puzzle was due to the impatience, and idolatry with which he was living. He was anxious to leave the foul air to a pure one.

God addresses his messenger not to wrong the orphan, and not to chide away one who asks him, and to tell abroad the favours of his Lord.

God gave him these orders because he was an orphan, and underwent heavily the burdens of orphanage. Every person is exposed to have an orphan, or to be himself the orphan.

The prophet was in searsh of guidance, and asking for confort. It is not meant by "one who asks" a beggar, but it is meant generally one who seeks your aid, guide, or consult.

One should confess with the favours of God. The rich who does not spend his money in the respects of good deos not tell about the favours of his great Lord.

The savant who does not spread knowledge, and teach one who seeks cognisance does not tell abroad the invaluable favours of the bounteous God.

It is stated that if God bestows upon a slave a favour, He loves to see its traces on him.

hate thee, and verily the latter portion will be better for thee than the former. And verily thy Lord will give unto thee so that thou wilt be content. Did He not find thee an orphan and protect thee. Did He not find thee wandering and direct thee? Did He not find thee destitute and enrich thee? Therefore the orphan oppress not. Therefore One who asks, drive not away, therefore Of the bounty of thy Lord be thy discourse."

This Surah is called "Ad'Duha" or the morning hours. It took its name from the first verse. Ad'Duha is the light of the sun during the youth of the day. God swears by the lightness of the day explaining the first meaning "By the sun and his noonday lightness" (S. the sun, V. 1.) On the other hand He swears explaining the second meaning "On the feast day be your meeting, and in broad daylight let the people be assembled" (S. Taha. V. 59.)

Consequently the word "Ad Duha" has two meaning, but in both cases it is worthy of swearing.

God swears after that by the night when it is still. In this way God swears by two contrasts: movement, and stillness. The hours of the morning refer to the revelation, and the night symbolizes its suspense. Movement is always followed by stillness.

God adds that surely the future should be better for him than the past. It is not necessary to focus the meaning of the future on the day of judge-

ment, but one may understand that the consequences of affairs would be better than the previous attitudes.

God reassures his pledge, and swears that his Lord will be bounteous to him in the end, and the Prophet will be satisfied.

God fulfilled his promise, and Mohamed emerged triumphant from all these calamities. God revealed him at the pilgrimage of farewell "This day have I perfected your religion for you, and completed my favour unto you, and have chosen for you as religion "Al Islam", [Surah the table spread V. 3.]

God adds in the Surah of Ad'Duha "Did he not find thee an orphan, and gave thee home" This verse refers to the early life of Mohamed.

Mohamed grew up orphaned because as soon as his father got married with his mother "Amina" He made for Syria with the view to carrying on commerce. On his arrival at Madina he sent his last breath, and was buried there. His son Mohamed was not yet born.

Abu Taleb took care of him and he was the person who called him "Mohamed". His love exceeded when his mother died and the child was still six years old.

His mother was accustomed to visit his father's tomb at Madina every year. In the course of the last visit she fell ill. Then she faced smiling her doomed fate.

Elbokhari related that Aisha had said : " the divine inspiation appeared at first to the messenger of God as a righteous dream while he was asleep. Every dream which he had dreamt appeared as the breaking of the morning. He became sticked to the empty places to forget the world. He isolated himself in the cave of " Heraa " where he worshipped God several nights before returning to his family.

He was accustomed to return at times to Khadiga to supply himself with food. Afterwards he hastened to the cave to continue his task to worship his Lord. All of a sudden God revealed the loss which had befallen him. Gabriel, the angel, descended, and addressed him " Recite " Mohamed replied " I am not a reciter ! " Then he embrassed, and covered him, and directed the speech to him again " Recite ". The prophet answered " I am not a reciter ". The angel took him once more, then he said " Recite " The prophet reanswered " I am not a reciter " .

Gabriel did not despair, and took the prophet and covered him. When he releazed him he told him abruptly " Recite thou in the name of thy Lord who created man from clots of blood. Recp thou ! for thy Lord is the most beneficent, who hath taught the use of pen, hath

taught man that which he knoweth not " .

The prophet returned back trembling out of fear. As soon as he caught a glimpse of his wife Khadiga bent Khowayled he cried out " wrad me ! wrap me ! " .

They wrapped him till the images of fears, and the portraits of terror forsook him.

Notwithstanding Mohamed was afraid, and filled with fright yet he was convinced that the right which had espied was the light which he had been eager to fill his eyes with it. It was the guidance which he was anxious to appear to enlighten the dark hearts, the bliss, and the blessing for the confused souls.

When the divine inspiration forwent him, and the prophet received no revelation he became downcasted, and seemed in low spirits. Many appeals were raised to God to reveal his sorrow, sadness, fear, and inpatience. The idolators mocked him saying Allah of whom we used to hear so much, had forsaken poor Mohamed and now hates him. God animated his dead hopes, and vitalised his lost prospects " In the name of Allah, the beneficent, the merciful. By the morning hours and by the night when it is stillest, the Lord hath not forsaken thee, nor doth God

A PERIOD OF PUZZLE

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

Mohamed, the prophet, was born in the 10th of Rabee Alawal 571 A. D. which was called the elephant year. When he grew up, and reached the age of consideration, discernment, and choice, he felt that he was foreign to the environment in which he lived. He felt loathoom-ness, and disgust towards the customs, and habits of the Arab society.

He refused to drink wine, and gamble. He rejected to eat what was slaughtered on the posts. He declined to attend the feasts of their idols, and image worshipping.

He hold strong aversion, deep detestation, and profound repugnance towards the pre-Islamic custom of burying daughters alive, injuring the rights of the weak, and appropriating the wealth of the others without the atom of right.

As well as he grew up he became more disgustive with idolatry and oppression. He felt great pain, and wching spiritual torture. All of a

sudden he made up his mind to wipe out these evils, abolish these ills, and get rid of these mischiefs. He asked God to sustain him in his bitter trial.

Some people noticed his noble manners, and mildness, and was attracted with his good conduct. They called him "the honest".

No wonder he holds this name because he was a typical ideal of fidelity and candidness. No one found a way to injure his behaviour.

When he reached the age of forty he got to the climax of distress, and annoyance. He became puzzled and confused, on occasion of finding no way to guide his people or to be satisfied with the environments.

He seeked a method to secure him from this bitter impasse, and critical predicament.

He made for the empty place, relinquished all people and waited for the mercy of our Lord.

by Moslem jurists as all other aspects of Moslem legislation until they became of so wide a scope as to regulate all relations in a way that would realise social benefit, and general peace.

These bases were laid by Islam, and expounded by Moslem jurists and legislators at a time when former civilised countries were the victims of obsolete traditions that gave little or no consideration to justice and peace. These countries' example and outdated tradition were followed by the countries of modern civilisation until the modern international law in the 17th century laid down by a Dutch jurist, and based on the principles of natural law now rejected by all jurists as a reliable law worthy of the consideration accorded to all other laws.

The world has in our modern times tried to ensure peace through the establishment of international organisations, but the human holocausts taking place all over the globe, are conclusive evidence of the utter failure of these trials to achieve their desired ends.

Compare these with Islam's just and frank rules, and its guarantee of the realisation of its laws and dictates, since it is incumbent on all moslems in accordance with their religion to observe and obey these dictates whether as concerns themselves or others.

Quotation may be made in this connection of certain God's sayings as a commentary on some of these international rules, "This is God's judgments, God would judge among you for He is wise and knowing."

"Should you do it, there will be on earth great discord and corruption."

"Judge amongst them in accordance with God's revelation, and do not follow their whims, and beware lest they should draw you away from some of God's revelation. Should they refuse to you, know, therefore, that it is God's desire that should be the victims of their own sins, for many people are impious. Do they want the rule of ignorance? But surely God's rule is best for those who are judicious and wise."

Interpreted by Pilot Ali Effat

Director Photographic & Ciné. Dept. Military Factories

(Ex. Secretary Youngmen Moslems Association)

party is more numerous than another party. "Therefore take not your oaths between you deceitfully, lest your foot slips, after it hath been steadfastly fixed, and ye taste evil in this life, for that you have turned aside from the way of God; and ye suffer a grievous punishment in the life to come."

Islam laid such strong emphasis on the principle of strict compliance with covenants. That it considered a covenant as constituting a bar to the necessity of religious protection, in that if a community in a foreign country between which and Moslems a covenant is concluded, are persecuted because of their embracing Islam, Moslems may not go to their support or protection out of respect of their Moslems covenant with that country. In this sense the Koran says, "But they whom have believed, but have not fled their country, shall have no right of kindred at all with you, until they also fly. Yet if they ask assistance of you on account of religion, it belongeth to you to give the assistance, except against a people between whom and yourselves there shall be a league subsisting."

The above are briefly the most important rules by which Islam regulated the relations between Moslems and other countries, and the treatment accorded by Moslems to non-moslem residents of their own countries.

Islam has further regulated general international relations on the basis explained before; and laid a sound foundation for the organisation of the treatment of the non-Muslem population of moslem countries; based on the following:—

1) Participation with Moslems in general rights and obligations.

2) Allowability of non-moslem ruler; and that a moslem ruler may deal with such affairs in accordance with their own religions.

3) Fair treatment to non-moslems. Various commandments were given by the Prophet to treat non-moslems fairly and equitably.

4) Religious tolerance provided non-moslems, religious practices are not of a nature to impair Moslems, faith in their religion. Islam has, thus, and since 14 centuries ago, ensured freedom of faith which was responsible for much aggression and persecution in Europe, until it was at long last ensured in modern times.

These are the basis on which international general and private relations were regulated by Islam. They were laid down by the Koran, expounded by Moslem legislation, explained by the Prophet's and his followers' actions, and then subjected to exhaustive discussion and study

tribute that has been collected from them, and inform them that you return their money on account of the news received of the considerable forces levied against Moslems who being incapable to check them in accordance with a previous condition, should return the collected tribute until such time as they emerged victorious by God's will, when the said condition and the agreements between them and non-moslems would again be given effect."

In this Islam does not ignore the necessity of exercising mercy and clemency, through the unpermissibility of any tribute being imposed on women, minors, those of weak constitution, or unable to earn their living, or on monks who follow a secluded life.

Convents in the view of Islam :

Islam makes it incumbent on Moslems that their policy regarding covenants in general should be based on relaxation with a view to the establishment of peace and justice. It abhors all covenants that are founded on force, aggression, or repression, and detests hypocrisy; and treason. It describes violators of treaties as worse in God's view than beasts, and recommends severe treatment for traitors who respect no obligations and do not fear God.

Islam permits, however, revocation of covenants only in case this is justified by any emergency or expediency between Moslems and their enemies, but necessitates that the enemy should be enabled to communicate the notice of revocation to all parts of their country. A relevant statement by El-Kamal Ibn El-Hammam, the Hanafi Jurist, in expounding God's saying, "Should you fear treason from a people, revokes your covenant with them, for God dislikes traitors," is to the following effect, "Mere notice of revocation is insufficient, for the enemy should be allowed enough time for their king to communicate the new all over his kingdom. During such delay it is forbidden for Moslems to take any aggressive action."

In this connection it might be appropriate to quote the following koranic verses which rightly provide a clear illustration of Islam's general rule regarding the respect of promises, "Perform your covenant with God, when you enter into covenant with him, and violate not your oaths, after the ratification thereof, since ye have made God a witness over you. Verily God knoweth that which ye do. And be not like her who undoeth that which she hath spun, untwisting it after she hath twisted it strongly; taking your oaths between you deceitfully, because one

example of this is provided by the treatment meted out by Moawieh to Armenians to whom full liberty was given to appoint their own rulers, judges, and chiefs, and to retain their own religious and military traditions.

Islam leaves to Moslems the appreciation at their discretion of the value to them of each kind of these treaties, with one single restriction, namely that the treaty should be consistent with basic islamic rules, and the general legislation of Islam.

This is derived from the Prophet's saying, "All conditions that are not found in God's book are null and void," and is similar with the practice of modern countries to consider all treaties that are not consistent with the Constitution as invalid.

The above principle is not, however, exclusively used in the interests of Moslems, as it is also applied to non-moslems. In this sense certain jurists say: "If a ruler saks freedom of faith against a tribute provided he is given freedom to rule his people in an arbitrary manner, killing men, and managing their affairs corruptly and injustice while being able to stamp it out is ungodly."

Islam permits Moslems to forego in necessity certain of their rights; or to conclude peace treaties

with others, or to advance them with money in expectation of some future good, or as protection of foreseen evil. A good example of this is afforded by the Hodaybieh Pease Treaty which is indicative of Islam's tolerance, and flexibility for the attainment of a state of peace and tranquility.

Closely related to the peace treaties is Islam's establishment of the principle of tribute payment. Tribute is not as imagined by certain people an exemption from embracing Islam, or a security from aggression, for it only serves as a symbol of the loyalty of tribute payers, and their abstention from causing disturbances, or hindering the Islamic movemen. It also represents a financial contribution which enables them to take part in the active administration of their country's affairs, and be afforded with full security as regards their families and wealth.

It was related in the "Book of Tribute" by Imam Abou Youssef that Abou-Abda, having concluded a peace with the people of Syria and collected taxes from them, learnt that the Greeks had levied strong armies against the Moslems, and subsequently wrote to the rulers of moslem cities in the following terms.

"Return to non-moslems the

is an expect of true faith. God says in appreciating the qualities of true believers.

"They give food to the poor, and the orphan, and the bondman, for his sake, saying. We feed you for God's sake only, we desier no recompense from you, nor any thanks."

Moslem rulers were given full liberty to release their prisoners at their discretion either with or without ransom, in the light of public interest. The Prophet himself has given money ransom to release prisoners and to that same end arranged for the instruction of Moslem children in writing. As to the Prophet's giving authority for slavery in was necessitated by the social conditions prrevailin at the time, thoug inconsistent with the general legislation words," and either give them a free dismissal afterwards or exact a ransom."

The legislation embodied in the above verse together with the Prophet's own actions are clearly indicative of the fact that Moslem rulers are entitled in certain circumstances to such rights as would enable them to deal with problems without their rights constituting general legislation for all times.

Just as Islam has advocated

generous and merciful treatment to war prisoners, it has also made legislation for the distribution of the spoils of war justly and equitably, giving the right of their acquisition to those who obtained them without distinction being drawn in this respect between Moslems and others.

Islam is most observant of the realisation of peace and security for the world, and therefore calls on all Moslems to be peaceful, and not to follow the footsteps of Satan. In this sense God revealed to his Prophet, "If they incline to peace, do you also incline thereto, and put thy confidence in God."

Islam seeks to achieve this end through negotiations in accordance with usual practice, accepting messengers and envoys' mediation, without formalities that might lead to competition or confusion. On these bases Islam concludes treaties either for the temporary cessation of hostilities or in other words armistice, the Hodaybieh Treaty, or final termination of war as occurred in the Negrans wars when the enemy was required to place themselves under Moslem protection on certain agreed conditions.

There is another sort of treaties whereby the country forming party to a treaty is assured of self-government under moslem sovereignty. An

other benefits in the fields of industry, culture, and other aspects of social activity. A striking example of Moslem tolerance is provided by the great attention given by Moslem doctors to their wounded enemies as in the wars of Salah-el-Dino against the crusaders.

No restriction is placed on Moslems in this connection except to take such precautionary measures as to protect themselves, their country, and their religion. They are thus prohibited to sell their arms, munitions, equipment or horses to their enemies.

The system of "security" further serves to provide an opportunity for those to whom it is granted to be acquainted with the realities of Islam, and to closely study its aims and objects, and this served in turn to propagate Islamic principles, and to communicate God's words and commandments to distant countries without war.

Certain Moslem jurists are of the opinion that "Moslem rulers should on the expiry of the period of security offered to a person, allow him a further period of time which may be sufficiently long as to obviate any possible embarrassment to him especially if he has such dealings as might require a lengthy time."

6) Of the traditions of Islam in wartime is the protection of messengers charged with the communication of information between Moslems and their enemies, the extreme care exercised for their safety until they return of their bases, and the refusal to retain them even if they disown their people. Evidence of this tradition is provided by many actions of the Prophet, a distinguished example of which was reported by Abu-Rafei. He said, "Quoraish sent me to the Prophet on whom be God's peace and blessings. When I came to him; I experienced an ardent desire to embrace Islam, and therefore considered not to return back to Quoraish. So I said to the Prophet, "O Messenger of God; I shall not return to them", whereupon he replied, "I never break a promise or a pledge. So return to them, and if you still feel the same desire, come back to us."

7) Treatment of war prisoners constitutes an important section of Moslem Legislation recommending that they should be treated with kindness and generosity.

Regarding such treatment, the Prophet once said, "Thou must treat thy prisoners fairly, and "Gather" thy food and send it to them". On the other hand the Koran urges that war prisoners be treated with clemency and considers this as charity which

conformity with the principle of the unpermissibility of fighting the non-combattant women, children, the old; the incapacitated and civilians that fighting nations should on no account be starved, and the necessary provisions prevented from reaching them, although this may be permitted as regards fighting forces.

5) One of Islam's principles during wartime which is indicative of tolerance is the permissibility for fighting individuals and nations to get in touch with Moslems, enter their country where they may stay for a certain period during which they are entitled to transact commercial and other business under the protection of certain tradition known in Moslem Legislation as "Security" whereby they are assured of every protection both as regards their lives and wealth so long as they remain in Moslem territories. They are granted further facilities, privileges, and immunities which are not even enjoyed by Moslems and are called to account only for crimes which endangered the safety and security of the State, or involve aggression against Moslems.

Islam has gone a further step forward in this respect by entitling all moslems of all social classes, to give refuge and security, provided that the safety of moslems be assured

by ascertaining that the persons to whom security is granted have no such power at their disposal, and are not disposed in such a way as to threaten Moslems to act as spies on them, or to cause disturbances.

This does not; however, mean that the rights of Moslem rulers to exercise their authority in the management of their people's affairs is either overlooked or ignored, for on the contrary, they are entitled in virtue of their general jurisdiction, and discretionary management of affairs in the best interests of their people to invalidate any "security" offered by a Moslem which has not fulfilled the necessary requirements. They are further authorised to restrict or to prevent altogether the practice of individuals to grant security.

This principle of security which as already referred to is clearly illustrative one of Islamic tolerance in a degree that has never been attained even by modern civilised nations, has its origin in God's saying, "Should an unbeliever seek thy protection, grant him protection until he hears the words of God, and then assure him of his security."

By the grace of this "security" Islam allows commercial exchanges between Moslems and their fighting enemies; as well as the exchange of

thy enemy, invite him to accept one of three alternatives."

In this connection a noted religious jurist said, "Through this invitation we make our intention clear to our enemy that we do not aim at extorting their wealth or taking their families captives, for this might lead to their submission without due invitation is a great sin deserving of God's displeasure."

B. In the course of War.

Islam's aim from war is not oppressive or destruction; neither does it favour that people should in wars forget the dictates of humanity to treat people with kindness and mercy, in a spirit of observing justice, and fearing God.

It places on Moslems certain obligations in wartime which if observed by modern people would have greatly alleviated humanity's distress and healed its wounds.

It is only too appropriate to refer in this connection, at a time when the world is sunk deeply in the horrors of war created by man or his own destruction, in which he wasted his effort, blood and wealth, to certain aspects of Islamic principles regarding wars, so that people may learn that Islam is the religion of mercy, kindness, justice and reform.

1) Islam prohibits the killing of women, the young, the old, the crippled, the blind, and the mad. It also forbids the killing of monastery inmates, farmers, and non-combattant workmen.

2) Islam disapproves of arson, trees cutting, and demolition unless the enemy has taken the first step in that direction in which case these measures are permitted on the strength of the principle of retaliation; "The evil should be met by a similar evil."

3) It also forbids finishing the wounded off and prohibits burning.

One of the Prophet's counsels to a leader which serve to illustrate these principles was, "Do not kill a woman, or a boy, or an old person, neither cut a yielding tree, or demolish a populated place, or kill a cattle unless for eating, or sink or burn palm trees." Another counsel being: "Only God should punish by fire."

A further famous saying of the Prophet was to the effect that, "Don't kill children in wars, and the people enquired, "O Prophet, but are not they the children of infidels?" whereupon the Prophet answered, "but are not the best of you the children of infidels?"

4) Islam further establishes in

for invasion and colonisation, nor has it consented to wars of oppression, and persecution urged by covetousness, or a desire to impose authority on the weak to extort their resources and reduce their standards of life. It considered all such wars as wars of aggressiveness and oppression that should not be prosecuted by any nation that held any respect for humane principles, and therefore restricted the scope of war being a necessity within a narrow circle; limiting it to its reasonable causes and justifications such as :—

A. The redress of wrongs and injustices.

B. The establishment of the freedom of faith.

C. The defence of the mother country.

Guidance to these aims is given in various parts of the Koran, e.g. "Fight for the sake of God's religion those who fight you, but do not transgressors." "Fight against unbelievers collectively, as they fight against you, and know that God supports the pious." "He permitted those who were wronged to fight, and God capable of bringing them victory, and commanded those who were unjustly compelled to leave their dwellings to say God is our Lord."

The general basis of the justification of war is amply provided in God's saying, "As to those who have borne arms against you on account of religion, and have dispossessed you of your habitations and have assisted in dispossessing you, God forbiddeth you to enter into friendship with them, and whosoever of you entereth into friendship with them, those are unjust doers."

Islam later laid down for war itself a detailed legislative ruling based on justice, mercy, respect of rights and defence of humanity. This ruling applies to all stages of war, either before, or in its course.

A. Before the War (refer in this connection to the chapters of struggle and biography in the books of the "Hadith" (Prophets, sayings) and Moslem Legislation.

Islam establishes that on no account should war be started until the enemy's feelings of antagonism towards Moslems has been ascertained, and when this has been ascertained it is incumbent upon Moslems to notify their enemies of their intentions. This is similar to the final warnings in the modern international practice and is clearly illustrated in the Prophet's saying to one of his leaders, "should those meet

who have not aggressed against them because of their religion or dwellings, and goes further in this direction to the extent of dealing kindly and generously with them. This constitutes the first state — the conditions of peace and friendly relations.

The State of War :

As to the second state — of war and antagonism, it was viewed by Islam from various standpoints.

Islam's recognition of war:

Islam viewed war in itself as an unavoidable exigency necessitated by the nature of the human society. Islam has not, therefore, attempted to deny it, or to repute its consistency with the true requirements of human nature, but recognised it as a necessary means of meeting aggression, resisting oppression, and controlling revolutionary Moslems.

War was recognized by Islam on the strength of the fact that human nature and social relations frequently engender disputes, antagonisms, and aggressions against liberties, and violation of religious principles.

Had Islam which is essentially a practical and reformatory legislation that appreciates the strength of

actual facts and not recognised war as a mean of resistance in face of aggression, and for removing such obstacles as were placed in the way of its appeal for the general good; the elements of corruption and evil supported by the power of aggression and obstinacy would have destroyed all possibilities for the success of the Islamic Movement in its early stages, thereby depriving humanity from gleaning the healthy fruits of this movement?

This sense is clearly illustrated by the Koran in God's saying, "Had it not been for God's urging people against each other, the world would have been a place of corruption, but God is indulgent towards people." "Had it not been for God's urging people against each other, monasteries and mosques wherein God's name is repeatedly celebrated would have been destroyed."

The above is an illustration of Islam recognition of the legitimacy of war.

Islam has, furthermore, considered the justifications and the reasons of war in a way that conformed with its aim at general righteousness; equality among people, and upholding the dictates of justice and mercy. It has not, therefore, permitted wars which were motivated by a desire

and exchange benefits with each other, and to co-operate together without restriction except in so far as was necessitated by the prohibition under Moslem legislation of certain dealings and relations as usury, marriages between Jews and Christians and Moslem women, or between Moslems and the unbelievers in any heavenly religion.

No restriction is placed on Moslems by their religion to institute such relations or to conclude such treaties as are in their discretion beneficial to them in the fields of commerce, industry, politics, education or culture. They were at liberty to organise such relations on the basis which they found suitable, and which while being consistent with the normal rules of society, was not contradictory with their own mode of life.

Islam further lays down certain kinds of benefits whose appreciation is left to the discretion of the community of Moslems.

It is on this basis that Islam calls for the conclusion of treaties for the maintenance and preservation of the natural state of peace. An example of this being the treaty made by the Prophet, peace be upon him, with the non-Moslems in the early period of his stay at Medina.

This treaty constituted the foundation stone in the structure of Islamic Rule, as well as the first political relation established by Islam, whereby the freedom of creed and thought was recognised, and the security, sanctity and civilisation of Moslems assured.

Islam also called for the conclusion of treaties of military alliance with non-Moslems as indicated by the Prophet's words, "Thou wilt make a peace with the Greek with whom thou wilt then fight a common enemy behind thee."

Various treaties of this nature were concluded by the Moslems of the distant past, while the Prophet himself had fought the tribe of Quraish in fulfilment of the "Khozaa" promise as provided under the "Hodaybeyah" peace treaty.

The Koran has laid the foundation of this peaceful relation in God's saying, "As to those who have not borne arms against you on account of religion, nor turned you out of your dwellings, God forbiddeth you not to deal kindly with them, and to behave justly towards them; for God loveth those who act justly."

This divine verse obviously authorises Moslems to establish such relations as they desired, with those

moslems, or between them and other nations.

Our intention from this essay is to discuss the rules laid down by Islam for the organisation of international relations, by regulating :

(1) Treatment accorded by one Islamic country to another.

(2) Treatment meted out by an Islamic country to non-moslems residid within its territory.

An Islamic Country's Relations with other Countries :

Relations between moslems and other nations may only be governed by two situations : a situation of peace and cordiality, or a situation of war and dispute.

The Peace Situation :

It is obvious, in the light of the above, that Islam views the first situation — that of peace — as the natural state of affairs in which non-moslems are only required not to hinder its appeal for the embracement of its principles, without placing any obstacles, in its way. This is because the Islamic Mouement being one of truth, justice, and reform, minds will, if left free, be inclined to adopt its priciples through persuasion, and not by force and

repression. "Appeal for God's religion with wisdom, and good counsel, and argue with people kindly." "There is no repression in religion, thus impiety has been distinguished from righteousness." "For thou shall not compe people to be true believers."

The Koran thus declares that the appeal for righteousness should be through plausible arguments and sound proofs and not by force and repression has therefor, no hinderance been placed between the Koran's persuasive arguments and proofs and the minds of people, no drop of human blood would have been shed for the sake of God's religion for its appeal would have naturally penetrated into the minds and souls of people.

In its peaceful and persuasive appeal, Islam adopts all such methods as have been followed by people in the propagation, defence and appraisal of their principles. These methods include public speeches, messages to kings and rulers, and the hospitable receiving of delegations to whom Islamic principles are explained and expounded.

In this state of complete peace and tranquility, peopel were allowed full freedom in the managements of their affairs in their own preferable ways. They were at liberty to deal

. Elements of the Islamic Movement :

The Islamic Movement, however numerous its aspects may be, can be summed up in one principle, namely "The Appeal for Good" which may for the sake of detail, be divided into three fundamental aims : (1) God's Unity. (2) Equality, and. (3) Justice.

(1) Islam has, through the principle of God's Unity, dissipated the corruption of faith. It called upon people to respect their reasons, and to abandon idolatry, declaring that the Universe has an omnipotent and wise God who is alone worthy of their prayer.

"He whom human eyes cannot behold but He beholds them for He is indulgent and omniscient."

This appeal to human reason did not, however, constitute any departure from the nature of humanity, nor did it contradict any previous religion. It is the nature of God in which man was created. "He has of religion made legislation for your similar to our counsels to Noah, our revelations to you, and our commandments to Moses and Jesus to establish religion and not to differ concerning it."

(2) Through the principle of

equality, Islam established the unity of all humanity which does not admit of any form of racial discrimination. "O Men, verily we have created you of a male and a female, and we have distributed you into nations and tribes, that you might know one another; verily the most honourable of you, in the sight of God, is the most pious of you."

"O Men fear your Lord, who hath created you out of one man and out of him created his wife, and from the two hath multiplied many men and women; and fear God by whom ye beseech one another, and respect women."

(3) By justice Islam stamped out despotism and arbitrariness, establishing peace, tranquility and satisfaction without differentiation between friends and enemies, faithful and idol worshippers. "We have formerly sent our messengers with evident miracles and arguments; and balance, that men might observe justice."

O you who have believed, support God's commandments, and be truthful witnesses and not be discouraged into injustice by other people's infidelity, for justice is nearer to piety."

On these bases, Islam formulated its policy of reform among



ISLAM AND THE REGULATION OF INTERNATIONAL RELATIONS

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar

The World before Islam.

The world, before the Islamic Movement came into being, was deeply sunk in polytheism and idolatry, ignorance and fanaticism; despotism and injustice.

The general phenomena of human society at that time was corruption in all aspects of life : corruption of faith, social relations, systems of governments, and politics, while immorality was the rule. People were victims of fancies, misconceptions, suspicions, and erroneous beliefs, and their characters and behaviour dominated by carnal instincts, and savage disposition. Humane qualities were almost absent from the society of that time.

Relation between individuals, or nations were based upon power. The strong man aggressed against the weak one, and extorted his legitimate rights, while the victor subdued and humiliated the vanquished.

In politics, the ambitions and worldly desires of rulers, and those in authority were the rule governing the relations between them and their peoples. They manage the peoples affairs in a despotic manner, wasting human life, tinting honours, and extorting wealth at their free will.

It was, therefore, God's wisdom that ordained to save the world from the prevalent corruption, and to heal it from these social evils that spread everywhere like epidemics, threatening its whole being.

Islam dawned, dispelling the darkness of evil and corruption, "Light and a perspicuous book of revelations come to you from God. Thereby will God direct him who shall follow his good pleasure, into the paths of peace; and shall lead them out of darkness into light, by his will, and shall direct them in the right way. [Verses 15 and 16 of the Chapter of the Table.]

مجلة الأنهر

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المستشار
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة

ت ٤٦٤١٤

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد الوعاظ
بذل الأشراف
٤٠ في المحمديين العرب الممتدة
٥٠ خارج المحمديين العرب
والمدرسين والمطالعين بغير غلو

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

الجزء الثاني - السنة الرابعة والثلاثون - صفر سنة ١٣٨٢ هـ - يولي سنة ١٩٦٢ م

لله المنة والحمد

١٤
٢٤٤٤٦
رور



الأدب رسالة، يوجّه ولا يوجّه

بقلم: أحمد حسن الزيات

فهو من أصحاب الرسائل الفكرية الذين
يشعرون قبل غيرهم بالنقص لقوة الحس
فيهم ، ويفكرون أكثر من غيرهم في الكمال
لصفاء النفس منهم ، ويتخلون دون غيرهم
ما وراء الواقع لخصوبة الخيال لديهم ،
وحكمهم في تبليغ رسائل الله عن طريق
الإلهام ، حكم الأنبياء الذين بلغوا رسالاته
عن طريق الوحي ، إلا أن طبيعة الرسالة
الادبية تختلف عن طبيعة الرسالة الدينية :
رسالة الأدب تغذية الشعور بالجميل والجليل ،
ورسالة الدين تهوية الضمير بالخير والحق .

إلى الذين يبررونه أنه مخلوق الأدب
بالأمر :

ليس الكاتب أو الشاعر الخلق بهذا
الوصف إنسانا كسائر الناس تبين له الوجهة
وتعين له الغاية ، وإنما هو إنسان أعلى ،
ميزه الله بقوة الفكر وحدة العاطفة وسمو
الخيال ، لشارك في عملية التقدم العام لركب
الخليقة ، يدفعه بموافقه العظمى إلى أمام ،
ويرفقه بمثله العليا إلى فوق .

الروسية ؟ ومن الذى وجه الأفغانى ومحمد عبده والبارودى ونديم إلى التهيد للثورة العراقية ؟ فقول السادة القائلين : بأن الأدب يجب أن يوجه إلى الحياة أو إلى الشعب ، وأن يقصد به بعد الاستقلال إلى اليمين أو إلى اليسار ، قول من يعتقدون أن الأدب آلة لا نفس ، وصنعة لا طبع ، وعملية لا إلهام ، وفى هذا الاعتقاد نزول بالأدب إلى منزلة الوسائل المادية للعيش ، يوجه إلى القصد الذى تريده الجماعة ، كما توجه العمارة أو التجارة إلى الطراز الذى تقتضيه الحضارة ! وليس هذا من عمل الأدب أو الفن ، وإنما هو من عمل العلم أو التعليم . العلم وحده هو الذى يوجه إلى تحقيق تلك الوسائل وتطبيقها على الوجه الملائم لحاجة الشعب ورفاهيته .

أما الأدب فهو السياسة العليا للامة كما سموه بحق ، زعامته مستقلة ، ورسالته متبعة ، يوجه ولا يوجهه ، ويقود ولا يقاد ، وإذا جاز للجيش أن يوجه القائد ، جاز للشعب أن يوجه الأديب .

ومن المحال أن يجوز ذلك ، لأن الشعب ينفعل بالأدب ولا يفعله ، ويتأثر به ولا يؤثر فيه ، ولا تعترض على بالماثورات الشعبية د الفولكلور ، باعتبارك إياها إنتاجا للشعب ، فإن أولئك الأدباء المجهولين الذين أرسلوا الأمثال والحكم ، ونظموا المواويل

والأدباء كالأنبياء يصطفهم الله من خلقه ، ويصنعهم على عينه ، ويؤتيهم العلم من لدنه . فقول علماء الدين : وما اتخذ الله من نبي جاهل ، ولو اتخذ له له ، يصدق على الأديب . فلقمان ويديبا وعمر وعلى وابن المقفع والمتنبى كانوا فى العلم اللدنى الصادر عن صفاء النفس وخلوص الفطرة أشبه بالأنبياء الله ورسله ، لم يتلقوا الأدب عن أستاذ ، ولم يتخرجوا فى العلوم من جامعة ، وإنما أفاض الله عليهم من علمه ، وكشفهم بالمحجوب من غيبه . فانبثقت فى أفئدتهم أشعة الهداية ، وتفجرت على ألسنتهم ينابيع الحكمة ، فأثروا بمالم بات به فيلسوف ولا عالم !

فالأديب الموهوب زعيم بالفطرة ، توجهه نفسه الكبيرة بطبيعتها إلى أن يحرك فى شعبه الشعور بالنقص ، ويوقظ فى وعيه الطموح إلى الكمال ، بتلك الصرخات التى يرسلها فيه ، مؤلفة فى كتب ، أو منظومة فى قصائد ، أو مصورة فى مقالات ، أو محملة فى قصص ، أو ممثلة على مسرح .

يفعل ذلك من تلقاء نفسه لا عن تلقين ملقن ولا توجيه موجه ، وإلا فن الذى وجه ديدرو ومونتسكيو وروسو إلى التهيد للثورة الفرنسية ؟ ومن الذى وجه تواستوى وجوركى وتورجنيف إلى التهيد للثورة

ولا يشتبهن عليكم أمره فإن له علامات
تميزه وتدل عليه :

لأنه إنسان متجدد منطلق . لا يرجع
القهرى ، ولا يطيق الركود ، ولا يقبل
الإسفاف . لا يهتم بقواعد البلاغة لأن
قوانينها مقتبسة من فنه ، ولا يعاب بمذاهب
النقد لأن مقاييسها مقدرة على كلامه . يبصر
في الظلام أبعد مما يبصر في النور ، ويشعر
في الشدة أقوى مما يشعر في الرخاء ، وينزع في
القيود أبلغ مما ينزع في السراح ! والأدباء أو
العلماء الذين يصطفون للإصلاح هم في ندره
الأنبياء الذين يعيشون بالدعوة ، لأن المصلح
أو الرسول إنما يرسله الله حين يطغى الظلم
ويبعد الضلال ويغنى المنكر ، حتى إذا بلغت
الرسالة واستكان الجور واستبان الطريق ،
قتر الوحي وهدأ الجهاد وقرت النفس وعادت
الأنوار إلى مشرقها الأول .

أما إن كان غفلا من هذه الدلائل ، خلوا
من تلك الصفات ، فهو من طبقة المتشاهرين
والمسكتبين الذين يسكنون الأقلام الحديد ،
كما كان يسكن خطباء المساجد السيوف الخشب .
أنتم وشأنكم معه ! قيدوه بما شتمتم من
القيود ، ووجهوه بما استطعتم خارج الحدود .

أحمد حسن الزيات

والأغاني ، وألقوا الأساطير والنوادر ،
وصاغوا الضوابط الزراعية والمناخية ،
قوم تميزوا على نظرائهم من العامة بما آتاهم
الله من صحة التفكير وقوة التعبير وصدق
النظر ، فارتفعوا في طبقتهم وبيئتهم إلى مقام
القادة . يأخذ الناس بتجاربهم في الأمور ،
وينزلون على أحكامهم في القضايا ، ولا فرق
بينهم وبين الأدباء المعلومين إلا أنهم جملوا
لغة الخاصة فاستعملوا لغة العامة ، فغض ذلك
منهم ، وصرف عين التاريخ عنهم ، ولكن
البلاغة ليست مقصورة على قوم دون قوم ،
ولا خاصة بلغة دون لغة .

وقصارى ما أقوله للسادة الذين يريدون أن
يخلقوا الأدب بالأمر ، وينشئوه على
القواعد ، ويسددوه بالنقد ، إن الأدب
من صنع الله ومن إعداد الطبيعة ، فانتظروا
حتى يرسله ، فإذا أرسله فاتبعوه ودعوه يعمل
على سجيته ، لا ترسموا لرسائله الحدود ،
ولا تقيموا أفرجته الحواجز ، ولا تحبسوه
في القفص الذي حبستم فيه البابل ، ولا تعوقوه
بالسد الذي عوقم به النهر دعوه يرسل التفريد
في كل أفق ، ويسلسل التحرير في كل اتجاه .

الميثاق الوطنى فى رأى الأزهر

دعا الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، أساتذة الكليات وشيوخ المعاهد ومدرسيها وطلابها إلى مؤتمر عام ، يناقشون فيه مشروع الميثاق الوطنى من الوجهة الأزهرية ، فلبى دعوته عشرات الألوف من جنود الرسالة المحمدية وورثها فى القاهرة والمحافظات ، واجتمعوا تحت رياسته فى قاعة الإمام محمد عبده بالأزهر ، يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر المحرم سنة ١٣٨٢ هـ وكانت فاتحة هذا الحفل الحافل آيات من الذكر الحكيم ألقيت بعدها كلمة الإمام الأكبر ، ثم بدأت المناقشة وتولى إدارتها الأستاذ الدكتور محمد البهى مدير جامعة الأزهر ، فكان يشرح كل استفسار ويوضح كل غامض ، ويسلط الضوء على كل جانب من جوانب الميثاق ؛ حتى أسفرت المناقشة عن قرارات أجمع عليها الحضور ، وستقرؤها مفصلة بعد كلمة شيخ الشيوخ .

كلمة الإمام الأكبر :

لحياتها الدينية ومناراً على طريق الدعوة إلى الله . تلك الجهود التى تحمل صاحبها على أن يعمل ليله ونهاره ، صباحه ومساءه ، فى نشر الدعوة الإسلامية على وجهها الصحيح ، وإبراز حقيقتها مبرأة من كل ما للتصق بها فى العصور الماضية من بدع شوهت جمالها ، ونقول أخفت حقيقتها وقدمتها للناس فى ثوب مهمل من انحراف العقل الإنسانى أو ضعف الإيمان .

هذه هى مهمة الأزهر — المنشأة العلمية الإسلامية — كما يحددها الأزهر فى تاريخه وكما تؤثر فى أروقة بحوثه ، مما يتصل بإبراز

أما بعد : فإن مهمة الأزهر من يوم أن برز للعالم على وجه الأرض ، ومن يوم أن تلقى علوم الشرع والدين من الأمصار الإسلامية التى وقفت عن الاستمرار فى السير بها ، منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا ، وإلى ما شاء الله فى مستقبل الحياة ، هذه المهمة تنحصر فى مجال واحد هو مجال العمل الجاد المخلص فى تكوين المواطن المؤمن ، الذى لا تقف جهوده عند حدود الأزهر ، ولا عند حدود الجمهورية العربية المتحدة ، بل تتعدى ذلك إلى الدول الإسلامية التى تعرف الأزهر منبعاً

بالقوة على نهضة مجتمعا من جانب ، وصيانة القيم الإسلامية من جانب آخر ، كما تلقاها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وتابعوهم ... تلقوها علما من ناحية العرض والنشر والتشريف . وتلقوها عملا من ناحية التهذيب والتقويم وتربية المسكات وتكوين العادات الفاضلة ...

فليست مبادئ الإسلام مجرد صور لمعلومات تختزن في العقول ، وإنما هي قوة دافعة لها آثارها في تكوين المسكات والعادات حتى تنطبق على الجوارح ، وتصدر عنها أعمال لها طابع البناء والتشيد ، ولها قوة الانطلاق والدفع ، فلا تعرف الوقوف فضلا عن أن تعرف الضعف ، ولها قوة الوضوح فلا تشوبها صورة من صور البلبلة والعمه . إخواني وأبنائي علماء الأزهر وطلابه :

باسم الأزهر تحمل الجمهورية العربية المتحدة أمانة تعاليم الإسلام في العقيدة وفي الشريعة ، وتدعو المسلمين في كافة أرجاء الأرض إلى الاعتصام بحبل الله الذي بين بأسلوبه الواضح عقيدة المسلمين ، وشريعة المسلمين ، وأخلاق المسلمين ، والأزهر بهذا الاعتبار هو المحور الذي تدور حوله الدول الإسلامية كلها في التمسك بالدين ونشر آدابه وأخلاقه باعتبارها أسسا للإنسانية الفاضلة التي لا تعرف العنصرية بوجه من الوجوه ...

أسرار الشريعة في نواحي الحياة المختلفة ، والقيام بالدعوة إليها في المجالات المتعددة : في حلقات الدرس ، وفي مجالس البحث ، وفي مواطن الوعظ ، في المسجد وفي الفصل ، في المنتدى والسوق ، في القرية والشارع ... في كل أوضاع المجتمع بدواعيها المتباينة وصورها المتعددة .

ونحن بصفتنا الأزهرين العاملين في ضروب الحياة ، وفي مجالات المجتمع المختلفة إذا استقبلنا مشروعات تنظيمية لامتنا ومجتمعنا نظرنا إليها وقدرناها بقدر ما بينها وبين مبادئ الدعوة الإسلامية من ارتباط أكيد وصلات وثيقة ، قريبة كانت أم بعيدة .

ورجائنا من إخواننا وأبنائنا علماء الأزهر وطلابه في هذا المؤتمر الأزهرى العام أن يستقبلوا مشروع الميثاق الوطنى ويناقشوه في ضوء هذه المسكات القصيرة التي نهد بها للتوجيه وأن يخرجوا من هذه المناقشة بتوصيات محددة لها قوتها ووضوحها : لها قوتها في إرساء بناء المجتمع على مبادئ ديننا للتقويم ... ولها وضوحها في الوصول إلى الأهداف التي يعملون لها طوال حياتكم في أزهرنا العامر المبارك .

وليس علينا إلا أن نتقدم بكل صراحة وأمانة بما يعدل الفكرة ويرسم الطريق لإبراز التعاليم الدينية ، مما من شأنه أن يعود

إخوانى وأبنائى :
سدد الله خطاكم وكتب لنا ولكم التوفيق
والهداية إلى أقوم طريق .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

قرارات المؤتمر :

١ - إن الأزهر قام وبقي وسيبقى إلى
ما شاء الله معهداً إسلامياً عالمياً لدراسة التراث
الإسلامى والعربى وصيانة القيم الإسلامية
والدعوة إليها والعناية بتوجيه المسلمين في
المجتمع الداخلى والمجتمعات الأخرى الخارجية
في البلاد الإسلامية .

٢ - إن إرتباط الأزهر بالتراث
الإسلامى وبالدهوة الإسلامية وصيانة القيم
الإسلامية والربط بين الشعوب على أساس
من هذه القيم جعل للأزهر مكانة مقدرة في
العالم الإسلامى كله : عربى وغير عربى ، وجعل
لآراء علمائه وأئمة حجية بالنسبة لأطمئنان
المسلمين في حياتهم .

٣ - إن الأزهر لم يكن معهداً علمياً
فحسب ، وإنما كان معقلاً وطنياً وكان كذلك
مصدراً للحركات الوطنية سواء تلك التى ظهرت
في مجتمعاتنا بالجمهورية العربية المتحدة ، أم في
المجتمعات الأخرى عن طريق أولئك الذين
يفقدون إليه وما زالوا يفقدون في رغبة وتقدير
ثم يعودون إلى بلادهم قادة وروادا للحركات
التحررية .

وأنا بوصفى شيخاً للأزهر أدعو الجمهورية
العربية المتحدة إلى أن يكون دستورهما الجديد
- المنبثق من ميثاقها - على أسس الإسلام
وعبادته ، معلناً في صراحة بأن دينها الرسمى
هو الإسلام ... وبصفتى شيخاً للأزهر أدعو
مرة أخرى سائر الدول العربية والإسلامية
إلى مადعوت إليه بالجمهورية العربية المتحدة
وأن ينزل الجميع في حياتهم على مضمون قوله
تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا
بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة
الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم
فأصبحتكم بنعمته إخواناً ، .

وبذلك يتحقق تكامل المسلمين ووحدهم
فيعود إليهم مجد الوحدة وعز التكتل الذى
عرفناه من تاريخ الإسلام والمسلمين .

إخوانى وأبنائى :

إن الموقف الرئاسى للأزهر يفرض عليكم
تبعات جسيمة ، وإنى لأرجو إن شاء الله أن
فصل إلى نتائج من مناقشة مؤتمركم هذا لمشروع
الميثاق الوطنى الذى قدمه السيد الرئيس
جمال عبد الناصر إلى الشعب ... من شأنها
أن تضىء سبيل العمل الذى يحقق مهمتنا ،
وتتناسب مع رسالة معهدنا وتاريخه ومجده ،
وأن تحقق هذه النتائج المشاركة الإيجابية في
تأكيد أهداف أمتنا العززة .

قامت الدعوة الإسلامية في مكة على أساسه وجاءت مرحلة المدينة لتنظيم حياة هذا المجتمع. فهذا الميثاق فضلا عن أنه يجعل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، قوة دافعة في الحياة نحو السعى والإنتاج ونحو السلوك المستقيم ، فهو يجعل من مبادئه الأخرى نظاما اجتماعيا يقضى على الاستغلال والطغيان بأية وسيلة من الوسائل وقيم العلاقات بين الأفراد على أساس من عدم الحقد والغسل وعلى أساس من الأخوة والمحبة والرضا ، كما يجعل من مبادئه سياجا يحول دون عودة الطغيان والاستغلال ويؤمن جانب الطمأنينة وعامل الأخوة والمحبة المشترك بين الأفراد .

* * *

وتطبيقا لهذه الدراسة قرر المجتمعون ما يأتي :

أولا : يتوجه الأزهر برجاله أساتذة وعلماء ووعاظا بالشكر العظيم إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الميثاق الذي سيكون فاتحة عهد جديد في مجتمعنا العربي الإسلامي في جمهوريتنا العربية المتحدة والذي سيكون مثالا ونموذجا يجب أن يحتذى به جميع الشعوب والأمم العربية والإسلامية ما داموا منتسبين إلى الإسلام. وهم إذ يقدمون هذا الشكر للسيد الرئيس على هذا الميثاق يعتبرونه مستجيبا لرسالتهم التي حملهم إياها

من هذا الواقع كان للأزهر دوره العلى ، وكان له أيضا دوره التحريري ، فلم يدع التراث الإسلامي يدرس في عزلة عن حياة المجتمع ، وإنما ربط حياة هذا المجتمع والمجتمعات الأخرى بالدعوة الإسلامية وبمنهجها وأسلوبها في الحياة وأهدافها . ومن ذلك أيضا لم يكن دوره عاديا وإنما كان دور المكافح بجانب دور الباحث والكاشف .

والأزهر كان كذلك قيامضى وسيظل حاملا هذا الدور المزدوج وحاملا هذه الرسالة التي هي في أساسها دعامة لمبادئ وتطبيق لهذه المبادئ .

ومن واقع الأزهر على هذا النحر من تاريخه وعلى مدى من رسالة فضيلة الإمام الأكبر إلينا قرر المجتمعون أن يدخلوا في دراسة الميثاق الوطني الذي أعلنه السيد / الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية بتاريخ ١٧ ذر الحجة سنة ١٣٨١ هـ الموافق ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ م في دور رسالته المزدوجة حاملين للتراث الإسلامي ولقيم الرسالة الإسلامية بكفؤود ومسكافين في سبيل صيانة هذه القيم وفي سبيل تحرير الشعوب الإسلامية من الاعتداء عليها .

وبعد دراسته ومناقشته قرر المجتمعون أن هذا الميثاق الوطني في مبادئه يتفق ومبادئ الدعوة الإسلامية وأنه يفتد مجتمعنا إنسانيا

الحين والحين . وهذا الميثاق يعتبر أول محاولة شاملة تسير على هذا النهج القوي وأن التطبيق لهذا الميثاق في حياة الأمم وللشعوب العربية والإسلامية سيذيب الفوارق المصطنعة والظلمة بين الطبقات وسيضع حدا للاستعمار والدخلاء . كما يحول دون الطغيان والاستغلال في أية صورة من الصور . كما سيتيح الفرصة لهذه الشعوب أن تزيل العوائق من طريقها في سبيل العمل في الحياة . كما سيكون شعارها الأوحـد لا إله إلا الله محمد رسول الله لا تخضع لسواه ولا ترتبط بولاية إلا مستمدة من دينه ورسالته التي جاء بها رسوله الكريم .

* * *

خامساً : يدعوا علماء الأزهر جميع الشعوب الإسلامية بعد أن يتخذوا من الإسلام أساساً لنظام المجتمعات أن يواجهوا في قوة الحركات الداخلية والخارجية التي تعمل على إبقاء العزلة بين هذه الشعوب وعلى إضعاف مقوماتها حتى تعود كلمتهم كلمة واحدة كما أن لهم إله واحد ورسولهم رسول واحد وشعارهم شعار واحد وكتابهم كتاب واحد وأمتهم أمة واحدة . والمصلون إذا اتحدت قوتهم وزالت الفوارق المصطنعة بينهم فسوف تعود لهم العزة والقوة بفضل ما في دينهم من قيم هي للإنسانية الخالصة أصل ودعامة .

التاريخ . كما يعتبرون أنفسهم دعاة للتوعية لهذا الميثاق .

ثانياً : يقررون أن دستور الدولة الذي سينبثق عن هذا الميثاق ويقوم على أسسه يجب أن يعلن صراحة أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي يشع في قوانين الدولة وفي مناهج التعليم فيها وفي سلوك المجتمع في حياته وفي توجيه وسائل الإعلام وفي ربط الأسرة وفي كل رهاية تقدمها الدولة إلى المجتمع والأفراد .

ثالثاً : أن يضاف إلى الفقرة التي جاءت في الميثاق خاصة بمساواة المرأة بالرجل عبارة (أن يكون ذلك في حدود الشريعة الإسلامية) .

رابعاً : يناشد الأزهر الشعوب الإسلامية أن يكون نظام مجتمعاتها قائماً على أساس من هذا الميثاق ؛ فهذا الميثاق كفيل للإنسان والمجتمع للكرامة الإنسانية والمحبة والأخوة في العلاقة القوية بين العبد وربّه ، وتلك هي أهداف الرسالة الإسلامية إذ أن هذا الميثاق يعتبر فتحاً جديداً في مجال التطبيق الجاد للبادئ الإسلامية ؛ وقد كان يؤخذ على المسلمين أن انفصلوا أزماناً طويلة عن التطبيق الناجح الجاد لما يدعو إليه الإسلام ولم يعد للمسلم أن يعود بالذاكرة في مجال التطبيق إلى جهود خلت في عصر النبوة أو الخلفاء الراشدين أو الومضات التي كانت تظهر بين

قدم الكتاب العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

اختلفت الحضارات في برما الأصيل كما اختلفت في داخل الجزيرة باختلاف عوامل التطور العالمية واختلاف عوامل التطور المحلية ، فكل ما يهتدى إليه علماء الحضارات من بقايا الجزيرة للقدمية فهو مادة صالحة لاستقراء الأصول والفروع من هذه الحضارات ، ولاستقراء عوامل التطور مع

جزيرة اقريطش (كريت) مركز من أهم مراكز الحضريات التي ينتفع بها طلاب التحقيق في تاريخ علم الإنسان ، أو « الأنثروبولوجية » .

لأنها جزيرة تتوسط بين القارات الثلاث : إفريقية وآسيا وأوربة ، وردت عليها حضارة بعد حضارة من هذه القارات ، ثم

إن الأزهر ، باعتباره الجامعة الإسلامية الكبرى ، وباعتبار علمائه هم الدعاة والموجهين لشعوب العالم الإسلامي كله ، يرون من واجهم أن يبلغوا هذه الدعوة لجميع الشعوب ويرون من حق الله عليهم أن يعملوا جامعين في تبليغ هذا النداء إلى إخوانهم في العالم الإسلامي كي يتضامنوا جميعا في رد الحقوق المسلوبة من أجزاء الوطن العربي والإسلامي إلى أهله وكي يحرروا مجموعات من أبناء هذه الشعوب من رق الاستعمار — استعمار المبادئ — أو استعمار الجيوش — أو استعمار العقول — أو استعمار القلوب .

« أأهل بلغنا؟ اللهم فاشهد ، .

وإن علماء الأزهر إذ يدهون شعوب العالم الإسلامي كله لينتخذوا الإسلام نظاما عمليا لمجتمعاتهم ومصدرا لمحاكاة الاستعمار والطغيان وإزالة الفواصل يدهون المسلمين جميعا أن يتدبروا كتاب الله وسنة رسوله ويرون أن هذا الميثاق يتفق ومبادئ الإسلام وأن العائق الذي قد يعوق الناس عن إدراك الصلة بين هذا الميثاق ومبادئ الإسلام أمران : إما طائفية وعصبية ومذهبية قد أغلقت القلوب والعقول عما ، وإما جمود وركود في فهم الإسلام ومدى ملائمته لحياة الإنسان حياة إسلامية كريمة .

برانديس أنه امتدى إلى مفتاح الكتابة التي نقشت على ألواح الجزيرة فوضع له أن اللغة سامية ، لا شك فيها ، وأن بعض كلماتها تقارب الكلمات العربية التي تتكلمها في العصر الحاضر ، ومنها كلمة « قرية » وكلمة « ميت » وكلمة « داود » ، منعوقة بما يقرب من نطق حروفها التي تكتب بها الآن .

والعلماء الآخرون ممن اطلعوا على تأويلات الأستاذ جورودون ولم يشتركوا في أعمال الحفريات يراجعونه في مقارناته بين الحروف ، ويقولون إنها قد توافقت للنطق الفينيقي ، ولكنها قد تكون مرادفة لمعاني الكلمات في لغات أخرى ، إذا أراد الناطق أن يتصرف بالمد والقصر ، أو التفخيم والتحقير ، في أداء الأصوات بما شاء من مخارج الحروف .

على أن المنكرين لمفتاح الأستاذ جورودون يتكفون عننا شديدا إذا كان إنكارهم مبنيًا على الشك في وصول الفينيقيين إلى الجزيرة وإقامتهم فيها قبل الميلاد بقرون عدة ، ويتكفون عننا أشد من ذلك إذا قدرنا أن الملاحين الفينيقيين لم يكن لهم شأن في حضارتها ولم تكن لهم صلة لغوية ، بأهلها ، كانتا ما كان أولئك الأهلون قبل وصولهم إليها .

فهما يكن رأى المؤرخ في الأساطير القديمة فهي خيال لا يخلو من الواقع وخبر لا يخلو من الدلالة ، وليس من المعقول أن تزعم

حوادث التاريخ الإنساني الشامل وعوامل التطور المنحصرة في جزيرة محدودة تنعزل حينًا وتتصل حينًا آخر بما يحيط بها من أقطار القارات الثلاث .

ويأتى في المرتبة الأولى بين مباحث هذه الحفريات مبحث اللغة التي تسلم بها أبناء الجزيرة قبل الميلاد ببضعة عشر قرنا ، قد ترتقى إلى ألفي سنة .

فإذا ترجمنا الأساطير اليونانية القديمة بلغة التاريخ فالفهم من أشهر هذه الأساطير التي وردت في شهر « هوميروس » ، أن الكريتيين كانوا من سلالة فينيقية ، لأن ملك الجزيرة « مينوس » كان ابن الحسان « أروبة » أميرة مدينة صور التي كان يحكمها الملك فونيق .

ولكن علماء الحفريات يحاولون أن يحققوا التواريخ الأسطورية بتفسير النقوش التي ترجع إلى تلك الفترة من حضارة الجزيرة قبل الميلاد ، ومنها نقوش عثروا عليها منذ نصف قرن ولا يزالون مختلفين في المقابلة بين حروفها والحروف الأبجدية التي استخدمها سكان الجزيرة على أثر اتصالهم بالحضارة الأغريقية .

وبعد خمسين سنة في الفروض والتأويلات أعلن الأستاذ سيروسي جورودون رئيس مباحث البحر الأبيض المتوسط بجامعة

أما الذى نؤثره ونستند فى إشاره على الأصول المأقولة فهو تغليب كلمة « العربية » على كلمة الفينيقية أو كلمة السامية على اختلاف مدلولاتها حيث يرجع الأمر إلى أربعة آلاف سنة من تاريخ هذه اللغات للقديم ، أو على الأصح من تاريخ تلك اللهجات كما ينبغي أن تسمى فى ذلك الحين لأنها كانت قبل أربعين أو خمسين قرنا لهجات تنفرح على أصل واحد قديم .

فقد كان الفينيقيون يقيمون بين النهرين على مقربة من خليج العرب قبل انتقالهم إلى صور وغيرها من المدن على شواطئ فلسطين وقد كانت الحروف المنسوبة إليهم عربية على التحقيق ولم تكن مقصورة على القبائل الفينيقية فى العراق أو فلسطين ، ولولم تكن عربية عامة لما وجدت بصورها الباقية إلى اليوم فى الخط المسند الذى لاشك فى قدمه وقدم الحضارة اليونانية بل العروبة اليونانية - من قبله - فإن الأبجدية المشهورة باسم الفينيقية ، والأبجدية التى كانت تكتب فى بلاد اليمن متشابهتان فى أكثر الحروف ، وما اختلف منها قليلا فهو اختلاف فى الأداء دون الأصول ، ومثله هذا الاختلاف الذى نفاهده بين كتابة المشارة وكتابة المغاربة لبعض الحروف العربية إلى اليوم .

وإذا جاز الشك فى العلاقة القديمة بين

الأساطير أن أميرة صور كانت ملكة على جزيرة كريت إن لم تكن هناك علاقة من علاقات الملاحة والتجارة بين البلدين ، ولم تكن تلك العلاقة فى ذاكرة الرواة والشعراء ، يتناقلونها خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل ، ولا يخفونها ساعة روايتها ، بلغة للقصة أو لغة للتاريخ .

فالقول بأن اللغة الفينيقية عرفت فى جزيرة كريت قبل أربعة آلاف سنة أو نحوها هو أقرب الأقوال إلى التاريخ الصحيح ، سواء نظرنا إلى تاريخ الملاحة فى الجوانب الشرق من البحر الأبيض المتوسط ، أو نظرنا إلى الأساطير المروية عن علاقة الجزيرة بمدينة صور ، أو نظرنا إلى تفسيرات الحفريين ولم يظهر ما هو أولى منها بالقبول إلى الآن ، أو نظرنا إلى الحروف الفينيقية التى اقتبسها اليونان وأبناء الجزر اليونانية جميعا بعده العصر المقدر لوجود الأميرة « أوربة » والملك « مينوس » ببضعة قرون .

ونحن - إلى هنا - نذكر اللغة الفينيقية والحروف الفينيقية عند الكلام على التاريخ قبل أربعة آلاف سنة ، لأننا نعقب هذا الكلام على تعبيرات العلماء الأوربيين الذين يسمون الشعوب السامية بتلك الأسماء ، كلما ذكروا شيئا عن تواريخها فى تلك الأزمنة الحالية .

حروفنا على النحو الذى أشرنا إليه .

ومن المؤرخين الأوربيين من يتصعبون فى نسبة كل ثقافة أوروبية إلى أصل من أصوله العربية أو الشرقية ، فهم يدركون هذا الشبه بين الأبجدية عندنا والأبجدية عند اليونان فيعترفون به ولكنهم يسألون : ولماذا لا يكون الساميون هم الذين اقتبسوا هذه الحروف من مصدر أوربي قديم ؟

وقد ظل هذا السؤال زمنا معلق الجواب أو محتملا للإجابة بنسبة الأصول الأبجدية إلى المصادر الأوربية ، لولا أن أسماء الحروف العربية عرفت بمعانيها وأشكالها ولم يعرف لها معنى ولا شكل يعود بها إلى لغة من لغات الأوربيين ، ومن معاني هذه الحروف ما نفهمه فى أحاديثنا اليومية إلى هذه الأيام ، كالباء من البيت والجيم من الجمل والعين من العين ، والكاف من الكف ، والنون من النون أو الحوت .

وكما كشف الحفريون حرقا مكتوبا وعرفوا معناه وعمله فى الجملة عاد بهم هذا الكشف الجديد إلى أصل قديم يقدر تاريخه بألف السنين ، فقد كشف الحفريون من آثار بلاد النبط بعض حروف الجر التى كانت تستعمل فى مثل موقعها من الجملة عندنا قبل ثلاثة آلاف سنة ، فإذا قدرنا أن حرف الجر عادة هو اسم أو فعل مختزل لا تهود

الحضارة العربية وجزيرة كريت فليس هناك محل للشك فى علاقة هذه الحضارة باليونان منذ عصر الملك د قدموس ، وهو مقارب فى حساب التاريخ وحساب الأساطير لعصر الأميرة د أوربة ، والملك مينوس على رواية الشاعر هوميروس .

نعم لا شك فى هذا ، لأن الأبجدية اليونانية باقية إلى اليوم تدل على تاريخ تلك العلاقة القديم .

فهذه الأبجدية التى يكتبها اليونانيون فى عصرنا هذا موافقة بترتيبها حرقا حرقا لترتيب الأبجدية للعربية ، ولا يختلف هذا الترتيب مرة إلا إذا تقابل حرف من حروف الحلق بحرف من الحروف التى تقاربه فى نطق الأوربيين ، لأن الأوربيين لا ينطقون حروف الحلق كما هو معلوم .

فالأبجدية اليونانية تبتدى بحروف (ألفا وبيتا وجما ودلتا) وهى حروف الألف والباء ، والجيم والدال فى د أبجد ، على هذا الترتيب . ثم تتقابل حروف د هوز ، بما يقاربها مع اختلاف نطق الهاء ، ونطق الواو حين تكون حركة مد عندهم وحرقا منطوقا عندنا فى بعض الأحيان ، ثم تأتى د كلين ، متتابعة كما هى عندنا بغير اختلاف لخلوها من حروف الحلق والمد ، وهم ينطقونها د كافا ولا متاوى ونى ، ويتبعونها ببقية

في غيرها من العائلات اللغوية كما يسميها المحدثون ، ولكن لغة من اللغات - سامية كانت أو آرية أو طورانية - لم تتحرر فيها المخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت في لغة الضاد ، فليس في لغة الضاد حرف ملتبس بين مخرجين ولا يخرج ملتبس بين حرفين .

وفي اللغات السامية نحو وصرف ولكنهما واقعان ، فوق المنبت ، جذورا كالخشب الذي لا يقبل النمو بعد ما وصل إليه ، وما من جذر من جذور نحونا أو صرفنا لم يتفرع ولم يحتفظ بقوة الحياة فيه كما تحتفظ البنية الحية بقوة حياتها ، في كل عضو من أعضائها .

ومن الواجب أن تتمثل هذه الظواهر العربية الخاصة في أذهان أولئك المصلحين ، الذين يحسبون أنهم يتناولون هذه اللغة بالإصلاح كلما احتاج الأمر إلى توفيق بينها وبين مطالب العصر الحديث ... فلا محل في البنية الحية النامية لإصلاح التركيب أو تقويم البنية من جديد ، وإنما هو الغذاء ، الذي يوافق تلك البنية وتأخذ منه بقدرتها الحية ما يأخذه الأحياء الأصحاء من كل غذاء طيب وكل طعام مفيد ؟

عباس محمود العقاد

الأسفة اختزاله قبل انقضاء مئات السنين فلا بد من تقدير زمان سابق لتاريخ تلك الكتابة النبطية بعدة قرون ، كانت فيها اللغة العربية لغة تركيب وإعراب بقواعدها التي تطورت مع الزمن حتى وصلت إلى ما هي عليه ، وبلغت فيها قواعدها غاية مداها من الضبط والاستقرار .

وها هنا ننهي إلى بيت القصيد من تحقيق القول بقديم اللغة العربية .

فإن قدم اللغة ، على أية حال ، هراقة تحسب لها كما تحسب لكل كائن حي هريق ، ولكن الذي يعيننا منه في هذا المقام هو جانب التمام والنضج بعد طول التطور والتقويم .

فما من قاعدة من قواعد اللغات السامية تابعت نموها ونضجت في تطورها كما نضجت في لغتنا العربية ، بعد ذلك التقدم المتطاوّل من أقدم العصور :

في اللغات السامية إعراب ولكنه قاصر غير مطرد ولا متناسق في مواضعه ، ولم يبلغ قط مبلغ القانون ، الذي تعرف فيه حدود الاطراد وحدود الاستثناء .

وفي اللغات السامية اشتقاق ولكن قوالب المشتقات فيها لم تتميز بأوزانها ومعانيها كما تميزت مع تطور اللغة العربية .

وفي اللغات السامية حروف لم تعرف

فكرة وتطبيق

”أن التقدم الوطنى لتحقيق كائنات محفوظة عالية الرتبة“

للاستاذ الدكتور محمد البنى

من دراسة مشروع الميثاق يستخلص الفارئ أن هذا المشروع قوامه فكرة أصيلة . وامتداده تطبيق لهذه الفكرة . أما الفكرة الأصيلة فهى الاشتراكية العربية . وأما امتدادها وهو التطبيق لها فهو المجالات المختلفة فى المجتمع : المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

الاشتراكية العربية :

أما الفكرة فلم يحاول المشروع أن يحدد مفهومها من أصل لغوى يشتق منه ، كما لم يحاول أن ينقل هذا المفهوم من فلسفة أخرى أو توجيه أجنبي عن النطاق العربى . وإنما استخلص هذا المفهوم من أحداث التاريخ التى مرت بالامة المصرية فى دائرة الامة العربية . وأحداث التاريخ نفسها هى التى حددت مفهوم الاشتراكية العربية . وهذه الأحداث التى تتابعت على الامة المصرية فى دائرة النطاق العربى كانت تهدف كلها إلى الاستغلال المادى والمعنوى حتى أصبحت مجموعة للشعب مسلوبة الاعتبار البشرى . ونشأ عن ذلك أن المجتمع انقسم إلى طائفتين : طائفة القلة المستغلة ، وطائفة الكثرة المستغلة والمسلوقة الاعتبار الإنسانى . تجلت هذه الأحداث من بداية التنازل للصليبيين ، إلى حملة نابليون ، إلى الاحتلال البريطانى ، ثم الاستغلال الداخلى فى ظل الاستقلال الذى جعله المستعمر امتدادا غير مباشر لاستغلاله وسلبه الاعتبار البشرى . وإذا كانت هذه الأحداث التاريخية التى مرت على الامة المصرية فى دائرة النطاق العربى هى التى أوصلت إلى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وبالتالى أملت على الاشتراكية العربية مفهومها - فالاشتراكية للعربية تساوى رد الاعتبار للبشرى إلى أفراد المجتمع المصرى ثم بالتالى إلى أفراد الوطن العربى . ورد الاعتبار للبشرى هو بداية وغاية فى الوقت نفسه ، بداية للثورة المصرية فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وغاية للاشتراكية العربية التى تمخضت عن الأحداث المتتالية على الشعب المصرى فى النطاق العربى . وقوانين يوليو سنة ١٩٦١ ليست إلا تعبيراً عن رد الاعتبار للبشرى لمن سلب منهم هذا الاعتبار فيما مضى ، وليست إلا إحدى نتائج

والاشتراكية العربية إذن هو الذى يكون إنتاجه فى ظل الاشتراكية العربية أفضل حتما من إنتاجه فيما قبل الثورة .

والاشتراكية العربية إذن مساوية للإنتاج الأفضل ، وقريبة له ودافعة إليه . وعلى هذا الأساس عندما طالب الميثاق بالإنتاج وبالمزيد فيه ، وبالجودة فيه لم يعبر إلا عن النتيجة الحتمية لتطبيق الاشتراكية العربية . فإذا جئنا إلى مجال العمال أو مجال الفلاحين وأردنا أن نتعرف الاشتراكية العربية من غيره فمقياس ذلك واضح ، وهو الأفضلية فى الإنتاج . والأفضلية فى الإنتاج فى النوع مقدمة على أفضليته فى الكم ، فإذا اجتمع الأمران معا كانت أفضلية الإنتاج واضحة . وكذلك إذا ذهبنا إلى المجالات الأخرى ، إلى مجالات المثقفين والمعلمين أو مجالات الموظفين فالأمارة التى تميز الاشتراكية العربية متى غيره هى أفضلية الإنتاج فى نوعه قبل كنه أو أفضليته فى الأمرين معا .

وإذا سألنا أنفسنا عن توضيح هذه الأفضلية فمحافظة العامل فى مصنعه على الجودة والإتقان ، وعلى صيانة الآلة بحيث تبقى مستمرة فى إعطاء الإنتاج الجيد نموذج من نماذج هذه الأفضلية ، ومحافظة الفلاح على جودة الإنتاج والإبقاء على خصوبة الأرض صورة أخرى من صور هذه الأفضلية ومحافظة المدرس والناظر والموظف كل منهم

الاشتراكية العربية وواضح إذن أن هذه القوانين ليست هى الاشتراكية ، وإنما ظاهرة تحكى صورة من هذه الاشتراكية .

مجال العمل والإنتاج :

والغاية الحقيقية من الاشتراكية العربية أو بمعنى آخر من رد الاعتبار البشرى لمن سلب منه هذا الاعتبار فى ظل الاستعمار والاستغلال سواء كان عن طريق الإقطاع أم الرأسمالية — هو إفساح الطريق للعمل والإنتاج ، هو إزالة العقبات من طريق العمل والإنتاج . فإذا رد الإنسان اعتباره البشرى وأحسن بأنه فرد ككل الأفراد الآخرين معه فى مجتمعه ، يساويهم فى الطبيعة الإنسانية وفى القيمة والاعتبار — وإن كان يختلف معهم فى الطاقة والإدراك — فانه لا شك لا يجد معوقا فى انطلاقه نحو العمل والإنتاج فالاشتراكية العربية إذن معبدة الطريق إلى العمل ، والاشتراكية العربية هو العامل المنتج دون حائق تقضى بعوقه عن الدفع والانطلاق .

نحو إنتاج أفضل :

ولكن إذا كان عمل الأفراد فى ظل الاشتراكية العربية سيظل مساويا لعملهم فيما قبل ثورة ٢٣ يوليو فعنى ذلك أن الاشتراكية العربية بقيت فى دائرة التصور الذهنى ، وعلى شفى الغم دون أن تعمق فحصل إلى القلب وتصبح إيمانا وعقيدة .

القوى الروحية :

ولأن الاشتراكية العربية تساعد على الدفع الحر نحو العمل والإنتاج ، وبالتالي تساعد على الإنتاج الأفضل فإنها ترحب بالقوى الروحية التي من شأنها أن تدفع والتي من شأنها كذلك أن تساعد على رفع العقبات من طريق العامل والمنتج .

وتقدير الاشتراكية العربية للقوى الروحية آتئذ ليس فقط لأن القوى الروحية حملها تاريخنا في كل فتراته وتسليح بها الشعب المصري في إطارنا العربي ضد الاستعمار المقتنع وغير المقتنع ، وإنما أيضا لأن القوى الروحية كما ذكرنا تساعد على الانطلاق وعلى الدفع . فكل ما من شأنه أن يساعد على هذا الانطلاق إذن تشجع عليه الاشتراكية العربية ولذلك تشجع على العلم ؛ لأن طريق العلم أقرب إلى الغاية وآمن في الوصول إليها . ولذا كانت القوة الروحية دافعة ، فالعلم قوة كاشفة . ولاغنى للإنسان الذي يريد أن يكون صاحب إنتاج أفضل - وهو الإنسان الاشتراكي العربي - عن هاتين القوتين معا : للقوة الروحية ، وقوة العلم ، أحدهما الاندفاع ، والآخرى الكشف والتبصير .

والمزاوجة بين هاتين القوتين إذن أمر حتمي وضروري في مجتمعا الاشتراكي العربي وعلى الذين يحملون رسالة الروحية أن تفهموا العلم ، وعلى الذين يقومون برسالة العلم أن

على إتقان عمله سواء في التوجيه أو في إنجاز المصالح صورة ثالثة من صور هذه الأفضلية .

الفصل :

وإذا خرجنا من مجال الإنتاج المادى إلى مجال الإنتاج البشرى في الأسرة فجودة الإنتاج التي تتمثل في الأولاد ، التي تتمثل في القوة المادية والمعنوية والإيمانية صورة رابعة من صور هذه الأفضلية .

وإذا تجاوزنا مجال الإنتاج المادى والأسرى إلى مجال الإنفاق فالاعتدال فيه وعدم الإسراف سواء أكان في الجانب الخاص أم في الجانب العام صورة خامسة من صور الاشتراكية العربية لأن الاعتدال في الإنفاق سترتب عليه ترتيبا غير مباشر فضلة ندخر . والادخار صورة من صور الإنتاج . لأن الإنتاج هو الحصيلة التي ينتفع بها في تغطية التكاليف للعامة والخاصة .

وإذا كانت الاشتراكية العربية هي رد الاعتبار البشرى للإنسان الذي سلب منه هذا الاعتبار ، وإزالة العقبات من طريقه ليكون ذا انطلاق في عمله وإنتاجه ، وإذا كان الاشتراكي العربي هو صاحب الإنتاج الأفضل فإن الاشتراكية العربية مبدأ يوصل إلى الإجابة ، والإنسان المجيد هو الإنسان المحسن ، وهو الإنسان الذي انطلق طاقاته في تحقيق أهداف الإنسان كإنسان .

والعالم المسلم وصاحب الرسالة الروحية لا يكون كذلك اشتراكيا عربيا إلا إذا كان متجاوبا مع مجتمعه وذا إنتاج أفضل وإنتاجه الأفضل هنا هو أن ينظر إلى المجتمع ككل وينظر إلى الدين كنظام للحياة . ومن هاتين للنظرتين الشاملتين يصدر رأيه فيما يشكل على الناس في أمر دينهم ويحمل الريادة في توجيه الناس في حياتهم نحو أهدافهم .

والصحفي لا يكون اشتراكيا عربيا بكثرة مقالاته أو بطول مقاله ، وإنما يكون بإجادة ما يكتب . والجودة فيما يكتب : أن يعنى الاشتراكية العربية في مفهومها وفي تطبيقها فلا يغض النظر في مفهومها عن أحداث التاريخ التي استتبعته ، ومن بين هذه الأحداث القوة الدافعة التي دفعت إلى التحرير وإلى قيام الثورة والتي تدفع دائما إلى صيانة هذه الاشتراكية وهكذا . . .

فما ذكره الميثاق هو تحديد للاشتراكية في مفهومها ، وتحديد لما تكون عليه الاشتراكية في تطبيقها في المجالات المختلفة .

ومشروع الميثاق أخيرا هو عهد على أنفسنا أن نكون مؤمنين بالله وأنفسنا وبانسانيتنا في وطننا العربي الكبير الذي نعيش فيه .

الدكتور محمد البرسى

مدير جامعة الأزهر

يتفهموا القوة الروحية . وأصحاب الرسالة الروحية إن هم داروا في إطار نظرى مفترض دون نظر إلى الواقع فإنهم سيدفعون أنفسهم إلى البقاء دوما في عزلة ، وبالتالي سيجعلون من المجتمع فريقا لا يكشف الواقع . وأصحاب الرسالة العلمية إن هم تجاهلوا القوة الروحية فإنهم يتغاضون عن قوة كبيرة في الدفع نحو إنتاج أفضل ونحو الإنفاق والإحسان معا .

جامعة الأزهر :

وإذا كان هذا الازدواج بين القوة الروحية وقوة العلم لم يدخل بعد في إطار واحد في مجتمعنا الذى نعيش فيه الآن فإن الأمل معقود على جامعة الأزهر الجديدة فى أن العلم والقيم الروحية لا يسير بعضها جنباً إلى جنب فحسب وإنما تتكون منهما وحدة تدفع وتعين على الانطلاق نحو العمل وإنتاج أفضل .

إننا إذن عمالا وفلاحين وموظفين وأصحاب وأسمالية وطنية وجنوداً لا نتحدث عن أنفسنا بأننا اشتراكيون عرب إلا إذا كنا ذوى إنتاج أفضل كل في مجاله وكل في دائرته . وإذن ليس العامل في المصنع الذى زاد أجره واشترك في أرباح مصنعه ، وليس الفلاح في أرض وزعت عليه ، أو في أرض يستأجرها ، هو الاشتراكي العربي طالما لم يكن ذا إنتاج أفضل في مصنعه وفي مزرعته ، وكذلك الشأن في طوائف المهنة المختلفة لا يكونون اشتراكيين عربا إلا إذا كانوا ذوى جودة وإحسان في عملهم .

من طرائف بحوث القرآنية :

استخراج القياس الأصولي من القرآن

للأستاذ محمد محمد المدني

مثال ذلك : أنك تقيس قطعة من النسيج بوحدة قياسية كالتر مثلاً ، فتنسبها إلى هذه الوحدة أى تضيقها إليها وتعتبرها بها ، فقد تجددها مساوية للتر مرة واحدة أو أكثر من مرة ، أو تجددها مساوية لجزء من المتر . ولهذا يسمى كل ما يقاس به الشيء ، ويعتبر تقديره على أساسه مقياساً ، ولو كان من المسكايل أو الموازين أو غيرها : فالتر مقياس ، والإردب مقياس ، والقفطار مقياس ، ونسبة الخريطة التى تقدر بها المساحات والمواقع مقياس ، والمسبار الذى يقيس به الطبيب الجرح ليعرف غوره مقياس ... وهكذا .

وكما يستعمل هذا اللفظ فى تقدير الأجسام؛ يستعمل أيضاً فى تقدير المعنويات ، فيقال مثلاً : فلان يقاس بفلان فى علمه وفضله ، أو لا يقاس به فى علمه وفضله ، أى يساويه أو لا يساويه .

ومنه قياس الرأى بالرأى ، أو قيس الرأى بالرأى على معنى الموازنة والمفاضلة بينهما ،

القياس أصل عظيم من الأصول التى دار حولها نظر الفقهاء فى الشريعة الإسلامية ، ولقى تأثيرها الفقه الإسلامى تأثيراً شديداً فى جانب الاستنباط لإثباتا ونفياً ، وإليه يرجع الكثير من أسباب الاختلاف بين الأئمة ، ومن درس هذا الأصل العظيم دراسة قوية ، وأحاط بأقسامه وتفصيله ومواطن الخلاف بين العلماء فيه ، فإنه يكون قد جمع علماً غزيراً ، واكتسب مراناً ومرونة فى معرفة مدارك الأحكام ، وطرائق الاجتهاد وتميهاً إلى مدى بعيد لاستقبال ما جده من الحوادث وصور المعاملات بمثل ما كان يستقبلها به أهل الفتوى والتخريج والاستنباط من العلماء الأولين .

وأصل القياس فى اللغة : التقدير ، ومنه : قسعه الثوب بالذراع أى قدرته ، ويلاحظ فيه معنى التسوية بين المقدر والمقدر به ، فإذا قدرت شيئاً بشيء فقد سويته به فى وحدته أو ضعفه أو جزئه .

أرأيت لو وضعها في حرام أليس يكون عليه في ذلك وزر ؟

ومن أمثلة اختلاف الاصطلاح في استعمال هذا اللفظ ما يرد أحيانا من قول بعضهم : إن إباحة كذا على خلاف القياس ، يريدون على خلاف الأصل المطرد ، مثال ذلك قول الفقهاء : إن إباحة السلم على خلاف القياس ، أى أنه يخالف لأصل مقرر يقول (لا تبع ما ليس عندك) فهذا الأصل يقتضى الإباحة السلم لأنه يبيع ما ليس عندك ، غير أنه استثنى ورخص فيه للحاجة فكانت إباحته مخالفة للقياس والأصل .

وقد يطلق القياس ويراد به المعنى المدرك بالعقل ، كما لو قيل (التيمم خلاف القياس) أى خلاف المعنى المعقول لتشريع التطهر ، فإن التراب ملوث لا منظف ، بخلاف الغسل بالماء فإنه على مقتضى القياس أى ما يحكم به العقل ، فهو مزيل للدرن ، منظف للبدن .

ومثل هذه الاستعمالات لها صلة بالمعنى اللغوى للقياس أكثر من صلتها بالمعنى الاصطلاحى له ، فإن معناها يرجع إلى تقدير شئ بشئ ، وإضافة شئ إلى شئ ، حتى يتبين أن المقدر على وفق المقدر به أو على خلافه .

والكلام في استقصاء هذه التعريفات ،

وقد زعم بعضهم أن هذا المعنى ملاحظ في تسميته « امرئ القيس » الشاعر بهذا الاسم لأن شعره اعتبر به ، وجعل كأنه مقياس للشعر ، وهو زعم فيه طرافة ، وإنما نسوقه توضيحا لمعنى القياس والقيس في أصل اللغة .

أما في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفه لتعدد أقسامه ، ولتفاوت في ملاحظة بعض القيود أو إلغائها ، ثم لتعدد الاصطلاح في استعماله بحسب المواضع المختلفة : فقيل : « هو حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما » .

وقيل : « هو حكك على الفرع بمثل ما حكمت به على الأصل ، لا شترا كهما في العلة التي اقتضت ذلك في الأصل » .

وقيل « هو حمل الفرع على الأصل ببعض أوصاف الأصل » .

وكل هذه تعريفات متقاربة ، ولكنها تناسب نوعا من القياس هو المعروف « بقياس الطرد » مع أن هناك نوعا آخر من القياس لا تنطبق عليه هذه التعريفات هو النوع المعروف عندهم « بقياس العكس » ، وهو إثبات عكس الحكم في الفرع الذى وجد فيه عكس أصل ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله : أيقضى أحدنا شهوته من زوجته فيكون له بذلك أجر ؟ فقال

صده الناس عن ذكر الله وعن الصلاة وإنما يرجع في الخمر إلى غيبوبة شاربها بالسكر أيضا . والحكم الذي انتقل من الأصل إلى الفرع ؛ هو التحريم المستفاد من قوله تعالى في الخمر وما عطف عليها « فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . وقد سبق التمثيل لقياس العكس ، وإليك بيان أركانه :

فالصورة المقيس عليها - وهي الأصل - هي قضاء المرء شهوته في غير زوجة ولا مملوكة .

وحكمها : ثبوت الوزر .

والصورة المقيسة - وهي الفرع - هي عكس الصورة الأصلية ، أى قضاء المرء شهوته مع زوجته .

وحكمها : ثبوت الاجر ، وهو عكس حكم الأصل .

والمعنى المناسب ، هو التعاكس بين العلتين . وهكذا لا بد في القياس من أصل وفرع وحكم يتحقق فيها التماثل على سبيل التعاكس .

* * *

وقد اختلف الناس في القياس فمنهم من يثبت كإصل تشريعى ، ومنهم من ينفيه ولا يعتد به .

فالذين يثبتون القياس :

١ - قالوا إن القياس أحد أصول

وما ورد عليها من الأسس والاعتراضات ، والأجوبة والتعليلات ؛ كلام طويل وليس فيه كبير فائدة ، ويكفينا أن نعلم أن لكل قياس أركانا أربعة لا يتم إلا بها : الأصل ، والفرع ، والعلة ، والحكم ، وقد يقال إن الأركان هي الثلاثة الأولى فقط ، أما الحكم فهو الثمرة التي تأتي بعد تحقق هذه الثلاثة ، والأمر هين على كل حال .

مثال قياس الطرد : أن تحسب على النبيذ بحكم الخمر وهو الحرمة ، لا اشتراكهما في الإسكار .

فالخمر هي الأصل ، لأنها هي التي وردت في شأنها النص : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متهمون ، (١) .

والفرع هو النبيذ لأنه غير منصوص على حكمه .

والعلة التي من أجلها حرمت الخمر هي الإسكار ، باتفاق العلماء استنادا إلى الآية الثانية ، فإن إيقاع الشيطان العداوة والبغضاء بين الناس ، إنما يرجع في الخمر إلى كونها مسكرة تخرج شاربها عن الصواب ، وكذلك

[١] الآيات ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة .

في الزبر، ^(١) وفي ذلك قياس للآخرين على الأولين، فالكفار الأولون أصل والعقاب الذي وقع عليهم حكم، وعلة هذا الحكم هي التشكيب وهذه العلة قد وجدت في الكفار الآخرين، فلا بد من تعدى الحكم إليهم بعموم العلة، وهذا محض القياس.

ومثل ذلك قوله تعالى: «أفلم يسعروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم: دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها» ^(٢) فقد أخبر الله تعالى أن حكم الشيء حكم مثله.

^(٣) وقالوا: إن الله تعالى نبي عن حكمه وحكمته التسوية بين المختلفين في الحكم، فقال «أفنجعل المسلمين كالمجرمين». ما لكم كيف تحكمون، ^(٤) وقال «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم وبماتهم، سواء ما يحكمون» ^(٥) وقال «أم تجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار» ^(٦) وفي ذلك كله استنكار للتسوية بين المختلفين، وهو يستلزم استحسان التسوية بين المتماثلين.

^(٧) وقالوا: إن الله تعالى قد امتن على

الشريعة، وقد أرشد الله تعالى إليه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، انظر إلى قوله تعالى: «فسيةولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة» ^(٨) وقوله تعالى: «وضرب لنا مثلا ونسي خلقه»، قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة» ^(٩) وأمثال ذلك فإن الله تعالى يقيس النشأة الآخرة على النشأة الأولى، وانظروا إلى قوله تعالى: «ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لنحيي الموتى إنه على كل شيء قدير» ^(١٠)، يقيس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بالإنبات بعد موتها وانظروا إلى قوله تعالى: «ولخلق السموات والأرض أكثر من خلق الناس» ^(١١).

فإنه يقيس الخلق الجديد الذي أنكره على خلق السموات والأرض، ويجعله من قياس الأولى، إلى غير ذلك من المواضع التي يقيس الله تعالى فيها شيئا على شيء.

٢ — وقالوا إن الله تعالى بعد أن أخبر عن عقوبات الأمم المكذبة للرسل، قال «أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة

(١) الآية ٤٣ من سورة القمر.

(٢) الآية ١٠ من سورة محمد.

(٣) الآيتان ٣٥، ٣٦ من سورة القلم.

(٤) الآية ٢١ من سورة الجاثية.

(٥) الآية ٢٨ من سورة ص.

(٦) الآية ٥١ من سورة الإسراء.

(٧) الآيتان ٧٨، ٧٩ من سورة يس.

(٨) الآية ٣٩ من سورة فصلت.

(٩) الآية ٥٧ من سورة زمر.

في الحكم لاستوائهما في العلة الجامعة بينهما .
وقل مثل ذلك في قوله تعالى : « ألم يروا
كم أهلكنا من قبلم من قرن مكناهم
في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء
عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم
فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا
آخريين » (١) فقد بين الله تعالى أن إهلاكهم
كان بسبب ذنوبهم ، وفهم من هذا أن العلة
نعم ، فمن أذنب مثلهم كان مستحقا لمثل
حكمهم وهو الإهلاك ، وكل هذا من قبيل
قياس العلة .

وقل مثل ذلك أيضا في قوله تعالى :
« وربك الغنى ذو الرحمة ، إن يشأ يذهبكم
ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم
من ذرية قوم آخرين » (٢) وقوله تعالى :
« إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم ،
كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فعصى فرعون
الرسول فأخذناه أخذًا وبيلًا » (٣) .
وهذا في القرآن كثير .

وأما قياس الدلالة ، وهو الجع بين الأصل
والفرع بدليل العلة ومازومها ، فقد جاء
في مثل قوله تعالى « يا أيها الناس إن كنتم
في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ،

عباده بأنه « علم القرآن . . . والسماء رفعها
ووضع الميزان ، ألا تطغوا في الميزان » (١)
والميزان هو آلة العدل والتسوية ، والقياس
ما هو إلا ميزان ، ومنه ما هو قياس صحيح
كالميزان الصحيح ، وما هو قياس باطل
كالميزان المضطرب ، فالذين قاسوا البيس على
الربا بجامع ما يشتركان فيه من التراضى ،
قياسهم باطل ، والذين قاسوا الميتة على المذكى
بجامع أنهما مشتركان في خروج الروح
قياسهم باطل . . . الخ ، فليكن في القياس
ما يذم لبطلانه وفساده كالميزان الفاسد الباطل
ولكن هذا لا ينطبق على كل قياس فإن
هناك آلاف الآفيسة الصادقة ، كما أن هناك
آلاف الموازين الصالحة .

• — وقالوا : إن أنواع القياس المستعملة
موجودة كلها في القرآن :

فقياس العلة موجود في مثل قوله تعالى :
« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من
تراب ثم قال له كن فيكون » (٢) ، فأدم
أصل ، وعيسى فرع ، وكلاهما يشارك الآخر
في أنه مخلوق على غير السنة المألوفة طوعا
لمشيئة الله وتكوينه ، فمن أقر بوجود آدم
من غير أب وأم ، فكيف يستنكر وجود
عيسى من غير أب ، واذن فهما مستويان

(١) الآية ٦ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٣٣ من سورة الأنعام .

(٣) الآيات ١٥ ، ١٦ من سورة الأمل .

(١) الآية ٨ وما قبلها من سورة الرحمن .

(٢) الآية ٥٩ من سورة آل عمران .

باطل لأن التساوى في قرابة الأخوة ليس بعلّة للتساوى في السرقة - على فرض أنها حصلت من أخى يوسف - ولا دليل على التساوى فيها .

ومن ذلك أن الكفار يقولون في الاعتراض على الرسل : « إن أنتم إلا بشر مثلنا » (١) فيعتبرون مجرد التساوى في البشرية ، ويقيسون حال الرسل على حالهم هم ، ويحكمون عليهم بأنهم ليسوا برسل كما أنهم هم أنفسهم ليسوا برسل .

وقد أجابت الرسل عن هذا القياس ببيان الفارق ، حيث قالوا : « إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده » (٢) أى نحن نسلم أننا مثلكم في البشرية ولكننا نختلف عنكم في منزلة ، هي أن الله منّ علينا ولم يمن عليكم ، والله يمن على من يشاء ، فهذا ، هو الفارق ، ولا قياس مع الفارق .

إلى غير ذلك من الآيات ؟

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

ثم من لفظة ، ثم من عطفة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ، (١) فذكر الله تعالى أطوار الخلق من المبدأ إلى حين الموت ، وكلها ممكنة الوقوع بدليل المشاهدة التي لا ارتياب فيها ، فالبعث الذي ترتابون فيه ما هو إلا نشأة ثانية وخلق جديد كالنشأة الأولى التي تعرفونها وترون تطورها .

وفي القرآن الكريم من هذا كثير .
وأما قياس الشبه ، وهو الخالي من العلة المؤثرة والوصف المقتضى للحكم ، فإنه قياس باطل ، ولم يرد في القرآن الكريم إلا على ألسنة المبطلين .

فنه قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف وقالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل (٢) ، فهم لم يجمعوا بين الأصل والفرع بعلّة أو دليلها ، وإنما ألحقوا أحدهما بالآخر من غير دليل جامع سوى مجرد الشبه الجامع بين الأخوين وهو التساوى في القرابة ، وهذا

(١) الآية ١٠ من سورة إبراهيم .

(٢) الآية ١١ من سورة يس .

(١) الآية ٥ من سورة الحج .

(٢) الآية ٧٧ من سورة يوسف .

نفاية القرآن

المجتمع الإسلامي يحتمى بالقوة
ليعيش في ظل السلام من أعدائه
للأستاذ عبداً اللطيف السبكي

- ١ - د وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، .
٢ - د وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، .

- ١ — كان ظهور الإسلام مفاجأة لقوم عاشوا طويلاً في طلاقة من الفوضى ، وفي مجبوحة من التقاليد التي تتكيف بها حياتهم كأمة لها مجتمع .
وكان كذلك مفاجأة لأمة أخرى ؛ لها سابقة في الدين على أي نحو من التشريع اليهودي ، أو المسيحي .
فكان طبيعياً أن تثور حول هذا الدين خصومات ومهادنة من يرون فيه تحويلاً لهم عما ألفوا .
وكان مفروضاً أن يحتاج هذا الدين إلى وسائل وقائية يحتمى بها من يناصرونه الخصومة ، ويذودونه عن تبليغ رسالته إلى الناس ما استطاع .
- ٢ — ونحن في موقفنا الآن - أمام آيتين متعاقبتين في سياق القرآن .
الأولى : د وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لآعليونهم الله يعلمهم... .
والثانية : د وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم... .
فآية في جانب القوة والدعوة إليها في شموخ وتأكيد...
وآية في جانب المسالمة والدعوة إليها في تشجيع وترغيب...
فهل بين التوجيهين تناقض؟؟ أو في السياق ما يثير غضاضة نحو مسلك الإسلام في دعوته الرحيمة بالإنسانية؟؟

(ب) وبنو النضير — وهم الطائفة الثانية من اليهود — يتهاونون جلوس للنبي عندهم للتفاهم معهم على أمر ، مطمئناً إلى عهدهم ، فيدبرون الحيلة العاجلة لقتله غيلة باللقاء حجر عليه من فوق منازلهم .

ولكن الله — تعالى — يعصم رسوله من خيانتهم ، ويخبره الوحي بتدبيرهم ، فينصرف عنهم ، وينجو من شرهم ، ثم يحاصرون بالاستعداد الحربه ، فيحاصروهم كذلك أياماً كانت فحسات عليهم ، حتى ارتضوا أن يخرجوا من المدينة بقليل من أموالهم — دون سلاح — إلى أرض خيبر مع زعيمهم — حسين بن أخطب .

(ج) وكذلك فعلت قريظة — وهي أشد لليهود عداوة للإسلام وأهله .

حضر إليهم من خيبر — زعيم النضير : حسين بن أخطب . . ثم دلفوا إلى قريش في مكة وسواها ، وحالفوهم على تكوين جيش منهم ومن أحزابهم لحرب المسلمين في المدينة .

فكان من أثر صنيعهم هذا غزوة الأحزاب وهي غزوة الخندق .

لما تبين للمسلمين تكاتف الأحزاب من قريش ومن يواليها حفروا حول المدينة خندقاً يوق عن دخولها ، واكتفوا بالدفاع من داخل الخندق .

ولما اجتمع القوم ووجدوا ذلك الحاجز

نظرة في سبب النزول لهاتين الآيتين تكشف عن حكمة القرآن في بناء مجتمعه على القوة ، والمسالمة .. فقد كان في المدينة وحولها يهود يعيشون إلى جانب المسلمين في رغد ، وفي أمن ، ولهم قدم راسخة في هذا الوطن .

ولما استقر الإسلام في المدينة تظاهروا بالمسالمة أكثر وعقدوا مع النبي عهداً على الأمان ، ألا يظاهروا على المسلمين عدواً من أعداء الإسلام وما كادت غزوة بدر تنتهى بنجاحها على قريش مع قلة جيش المسلمين وكثرة الكافرين حتى ثار الحقد في نفس لليهود ، واستكثروا على محمد أن يظهر شأنه ، وهو هربى وليس من بنى إسرائيل .

وتوجسوا أن هذا الانتصار الباهر ، له ما بعده من نجاح الإسلام . فهونت عليهم الأحقاد ، وخبت الطباع أن ينتفضوا عهدهم طائفة بعد أخرى .

(١) فبنو قينقاع يبدون بالسفه على النبي وأصحابه ، ويتميئون لحرب المسلمين معتمدين بالحصون المنيعة ، فحاصروهم النبي في حصونهم هذه . وضيق عليهم ، حتى رضوا أن ينزلوا من الحصون على حكم للنبي فيهم بما يرى .

فحكم بتجريدهم من أموالهم غنيمة للمسلمين ، وإخراجهم سالمين من القتل إلى جهة أذرعات من بلاد الشام بعيدين عن الحجاز كله ، وظلوا هناك حتى بادروا جميعاً .

الأقل ولكن سعد بن معاذ كان أوفى لدينه من هؤلاء الخونة الذين أسرفوا أكثر من سواهم في السكيد للمسلمين فقال لبنى قريظة : أترضون بحكمي ؟ قالوا : نعم .

لحكم بقتل الرجال جميعا - وكانوا ألفا - وأن تقسم الأموال بين المسلمين ، وأن تسبي النساء والأطفال ، وحينئذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات ثم نفذ الحكم ، وطهرت المدينة من خبيثها ، وحقا - هي كما قيل فيها : تنفي خبيثها كما ينفي الكبير خبيث الحديد .

بل طهرت أرض الجزيرة كلها من أهل الكتاب جميعا ، وتم هذا في عهد عمر رضي الله عنه تنفيذا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم ألا يجتمع في جزيرة العرب دينان ، فلم يعد يهودى ولا نصرانى بالجزيرة منذ عهد عمر رضي الله عنه والجزيرة يومذاك مكة، والمدينة وخيبر واليامة .

وكانت قريظة شر الجميع ولعنة الله على الجميع .

٣ - إزاء هذا الانقراض على اليهود ، والتحالف على المسلمين كان الأمر بحاجة إلى رسم سياسة منيعة تحفظ على المسلمين حياتهم وتسكفل سير دهورهم الإصلاحية ، فلا تتعثر في حواجز التضليل ، ومقاومة المبطلين .

قآلية الأولى - تطلب الاستعداد للعدو

في طريقهم رابطوا على جانبه ، ومنعوا المسلمين من الخروج عن المدينة إلى أسفارهم ، أو مراعيهم ، ومتاجرهم .

وصاروا يناوئونهم بالسهم والنبال حتى أحس المسلمون بشيء من الجهد .

ثم ساط الله على الأحزاب أسباب الهزيمة المفاجئة ، فعصفت بهم الريح ، واجتاحتهم زوابعها ، وأطاح بغيامهم ، وأمتعهم ، وبددت شملهم على شر ما وقع بهم من خزي وهوان ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا ، وفي نفس اليوم ، وعقب فراغ النبي من الخندق نزل عليه الوحي ألا يضع سلاحه ، فإن الملائكة لم تضع أسلحتها .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن في الناس : من كان سميعا فلا يصاين العصر إلا في بنى قريظة .

ثم حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى رضوا أخيرا أن ينزلوا على حكمه فيهم فتوسطت الأوس لدى الرسول بجمالة لقريظة وكانوا حلفاء لهم من قبل .

فرضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يحكم فيهم زعيم الأوس سعد بن معاذ ، ففرحت قريظة بذلك وظنوا أنهم سيظفرون بالخروج مع شيء من المال ، أو سالمين بأنفسهم على

وأنت ترى في هذا التوجيه حرصا على تربية الممابة للإسلام في نفوس أعدائه جميعا ، فيكشف عنه المناوئون له ، ويخشاه المتسترون في أحضان النفاق ، ويتربصون به الدوائر والأحداث .

وبهذا ينبه الله أهل دينه إلى أن لهم خصوما يختفون في هداوتهم ، ولكن الله يعلمهم وحده ، فلا يحسن بنا الاستسلام للغلة ، والمخادعة ، وتحسين الظن .

وعندما يكون الإسلام في أهبة يخشاها عدوه تتاح للمسلمين حياة مستقرة الأوضاع ، واضحة المعالم ، ولا يهابون سفراء الشيطان الذين يحركون العداوات ويبغون الإفساد في الأرض ، وهي حياة أجدى على الدنيا من حياة تضطرب فيها الوثنية ، أو العصبيات المختلفة ، ولا توجد بينها وشائج روحية تقضى على الفوارق الجنسية ، والإقليمية بل تكون حياة تقتلع الأنانية ، وتركز فيهم نزعة الإخاء الإنساني كما يفعل كل ذلك الإسلام . فالتجاء الإسلام إلى ناحية القوة علانية بأنه لا يتعفف عن ولوج الحرب .

ولا يقتصد في اقتحامها عندما يقتضيه أمر من جانب أعدائه .

ومن هذه الناحية - زعم خصومه أنه دين يفرض نفسه على الناس بالعنف ، وأنه ليس دين تفاهم بالعقل والحجة كما يدعى أهله .

بتوفير أدوات الحرب دون وقوف عند غاية ، أو اكتفاء بنوع من معدات النضال ، بل بكل ما تشمله القوة لفظا ، ومدلولاً من جنود ، وقتون وأدوات ، وتخطيط ، وكل ما يعتبر مجدياً في النضال ، وتهدى إليه سياسة الحروب .

ولما كانت الخيل أهم ما يستعان به قديما في المصاولة ، وخفة الحركة صرح بذكرها للقرآن : لا على سبيل الحصر فيها .

بل للاهتمام بها أكثر من سواها ، كالإبل ، والأفيال مما كان يستخدم في الخيل والهجوم على العدو قديما .

والقرآن يحض على إعداد القوة دون تحديده ، فيمتد مفهومها إلى كل ما يستحدث على طول الزمن بواسطة العلم ، والاختراع . وإذا لحظنا أن عداوة أولئك الخصوم قد تآرثت في نفوسهم ، وفي أعقابهم ، وأن الإسلام غلب حيلهم ، ومحاولاتهم ، حتى صار غير مقدور لهم أن يدروا نشاطه ، ولم يعد في مطمعهم أن ينالوا منه مأربا . . إذا لحظنا ذلك أدركنا حاجته إلى الحيلة منهم ، والاستعداد لهم . . والوقاية من الشر سلامة من الوقوع فيه .

وهذا ما صرح به القرآن في قوله تعالى « ترهبون به هدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » .

فإذا لم يكن اقتناع بالدين الذى يحاربونه
فليسكن سلام ترف ظلاله على الحياة وأهلها
وتستقر فى آمنه الأرواح . . ثم حسابهم فيما
بعد ذلك إلى الله الذى يتولى الجزاء .

وبهذا التوجيه الرحيم يعلمنا الله أن الأمر
ليس أمر حرب تقام ، أو صلح يعقد ، فهذه
وسائل عرفية جرت عليها شئون الدنيا .

أما الانتصار وغيره فتدبير من الله وحده ،
وقد ينصر الله القلة ، ويهزم الكثرة دون
قياس بالعدد ، أو الوسائل .

وبهذا يطمئن الله رسوله والمؤمنين فيقول
له : «... وتوكل على الله ، إنه هو السميع
العليم ، ثم يطمئنه ثانيا إلى أن الراغبين
فى السلم حققوا فى رعاية الله ، وأن المخادعين
فى صلحهم هم فى خصومة مع الله .

« وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك
الله ، يتكفل الله بك فينصرك على مخادعك ،
ولك سابقة النصر على الكفار بما جمع الله
حولك من الأنصار والمهاجرين فى المدينة
حتى ألف بين قلوبكم جميعا فأصبحوا قوة
متآخية لا يستهان بها ، وبهذه القوة زلزل الله
الشرك وأهله ، وقوض حصونهم ، ومعالهم
كفرهم ...

وهذه سنة الله مع أوليائه المؤمنين :
يؤلف بينهم ، ويشد من أزرهم ، ويهيئ لهم
حياة طيبة بقدر ما يكون لإخلاصهم لله .

٤ — وفى الحق أن هذا زعم البلغاء الذين
لم يتصلوا بتعاليمه ، ولم يعطوه من وعيهم
قليلا ، بل هم يتخبطون فى رجم الغيب ،
فيستبيحون متابعة المرجفين فيه .

وكثيرا ما تنبه أناس من خصومه إلى النظر
فى آياته ، واستطلاع مقاصده ، فهداهم البحث
والموازنة بين ما فهموه وما سمعوا عنه إلى
اهتفائه عن بيئة ، واطمئنان ، بل شرعوا
أقلامهم فى وجوه الآخرين منصفين لهذا
الدين العام ، الخير للإنسانية ، ويبنوا أن
الإسلام دين دعوة سلمية ، ولا يبغي من
القوة إلا أن يحمى نفسه بين موجات صاخبة
من مطامع الشعوب ، تتقاذف الغواة من
شياطين الإنس يمينا وشمالا .

وهذا تحقيق مستمد من نسق الكتاب نفسه .
٥ — فبينما يحض على القوة فى آيتنا هذه
يردفها بآية الترغيب فى السلم والحض على
الآخذ به « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ،
وتوكل على الله . . . » .

فأنت ترى القرآن يطنى وقود الحرب
بقبول الصلح مع خصومه إذا طلبوا المسالمة
وأقلعوا عن التثبث بالحرب ، والعداوة .

وهذا أسلوب الرحمة يكفكف به نيران
الحروب وهذه دعوة الإنسانية يرطب بها
وهج الخصومة ، ويجذب الأنفس إلى التقارب
فى ظلال السلام . . وفى ذلك خير للجميع

وفعلوا ذلك يوم الأحزاب، ويوم الحديبية وكل هذه الأحداث استمرار لحرب عدائية مع المسلمين . . . وقديما يقول الناس : الشر بالشر والبادى أظلم .

وها هو الإسلام إزاء خصومه اليوم يلاقى منهم الغدر والفتك ، والتألب ، والإيذاء . . . وليست حكام المسلمين المعاصرين يفظنون إلى ما ينبغي الأخذ به : من تضامن في الخير وبقظة من مخادعة خصومهم . . . ولا نقول بحرب ولا عصبية ، وإنما نقول بحيلة وعبرة . وإذا لم يكن فيما تنلوه من كلام الله زاجر لنا ، ولفتة إلى تنظيم صفوفنا فلن يستقيم للعود الأوج ظل ، ولن يبق على الفساد ومجانبة الدين ملك ، والله لا يصلح عمل المفسدين ؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

أبعد هذا الفرغيب في السلام ، وطرح الخصومه يظن من يظن أن الإسلام غير رحيم بالناس ، وأنه يتهافص على إراقة الدماء وإشعال الحروب ، أم ينسون ما يفعله يهود اليوم ، ؟

٦ — كثرت في القرآن آيات للقتال ، وكثر فيه الأمر بقتال المشركين كافة وبقتلهم حتى لا تكون فتنة منهم يتغلبون بها على دعوة الله عند من يتمكنون من قتلهم .

ومع هذا فإنك تجد القرآن في موقف الدفاع ، فإن الحرب قائمة عليه من جهة أعدائه دائما وما كانوا يهادنونه إلا ريثما يستعدون لمهاجمته .

فعلوا ذلك حينما أخرجوا الرسول وصحبه من مكة ، وفعلوه يوم أفلتت غيرهم في عودتها من طريق المدينة ، ثم ألقوا جموعهم لحرب المسلمين فكانت الدائرة عليهم في بدر .

قال حسان بن ثابت :

وإن امرأ أسمى وأصبح سالما

من الناس إلا ماجنى لسميه

بنداء الفتران

إلى كل مسلم، وإلى كل عبري، وإلى كل محب للسلام

لهوستان طه محمد الساكت

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليكم ورحمته، وأيدكم الله بروح
منه، ووقفكم لأن تستجيبوا لله وللرسول إذا
دعاكم لما يحبيكم ...

أما بعد ؛ فإن مشروع الميثاق الوطني ،
الذي قدمه السيد الرئيس ... هبة من هبات
الله لكم ، على شرط واحد ، تباعون الرئيس
على الوفاء به ، يد كل واحد منكم في يده ،
ويد الله فوق أيديكم ، فمن نكث فإنما ينكث
على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه
أجراً عظيماً ..

ذلكم الشرط : أن تتخذوني دستوراً لكم
وإماماً يعزكم الله بي كما أعز فيكم وأنصاره ،
فلم يكن أحد أعز على وجه الأرض منهم ...
« وفيه العزة والرسولة وللمؤمنين ولكن
المنافقين لا يعلمون » .

لأنه إن يكن يومكم هذا يوم القول والتعليق ؛
فإن يومى غداً ، يوم الفعل والتحقيق :

لقد دعوتم لي بين يدي قائمكم ، وفي أزهركم
ومعاهدكم ، وفي مؤتمراتكم ومساجدكم :

تحقيق أمل فيكم ، بأن أكون دستوركم
الرسمي والحكمي ، ومنهجكم العلوي والعمل ،
فأنا الكفيل بسعادتكم العظمى ، في الآخرة
والأولى ...

ولا عجب ! فقد نزل بي الروح الأمين ،
على قلب خاتم النبيين ، بلسان عربي مبين :
« تليانا لكل شيء » وهدى ورحمة وبشرى
للسالين .

وليس بيني وبينكم إلا أن تبصروني ،
فتعصموا بي ، وتهتدوا بهدي ، فإنني أهدى
للكي هي أقوم ... ومن اهتدى بغيري فقد اتبع
غير سبيل المؤمنين ، وضل ضلالاً بعيداً !
« أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أم من يمشى
سويّاً على صراط مستقيم » .

إلا كلفة في فال حسن ، وأخرى في بشارة حسنة ، وثالثة في إشارة إلى رؤى رآها لقائكم وأزهركم ، تبشر - إن كانت صادقة - بأن الله ناصرهما بنصره ، وحافظهما بحفظه . والرؤيا للصادقة هي البقية الباقية من آثار النبوة ...

لأنه إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم .

وإن يرد الله بكم وبقادتكم خيراً ورشداً يحقق في آمال الإسلام والسلام والعروبة فيكم ، ويجمع في شملكم ، ويؤلف بين قلوبكم .. وإذا لا يضركم من خالفكم وإن جمعوا لكم وزادوا عليكم أضعافاً مضاعفة : عدة وعدداً ، وتاريخكم المجيد : قديماً وحديثاً أصدق شاهد :

« فاعتبروا .. وانظروا .. واحذروا ... »
« اعلوا أن التاريخ بعيد نفسه ، فاتقوا ... »
« اصبروا ... » لأنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

« واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأراكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون . »

فإن يكن دعاؤكم هذا وفق ما في قلوبكم ، وترجمة ما في ضمائركم ، فإنكم مصدقون ومؤمنون بي حقاً ، والله يستجيب لكم ويؤيدكم ، وأنتم الأعلون والله معكم ... »

وآية إيمانكم بي وصدق بيعتكم ، أن تفقدوني بالآرواح والمهج ، وأن تهاجروا وتجاهدوا في سبيل بأموالكم وأنفسكم ، والذين هاجروا في الله من بعد ما طلبوا لنبوتهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ، ... والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ، ... والذين جامدوا فينا لنهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .

وإن كنتم تقولون بالسنتكم ما ليس في قلوبكم وتحبون أني أتعهدوا بما لم تفعلوا ، وتحسبون أنكم بقولكم هذا ، تؤدون حق عليكم فما أضيعكم ! وأكبر مقتكم ! وما أبعد الشقة بيني وبينكم ! واقروا إن شئتم : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . »

لأنه ليس لكانب هذا النداء فيما قلتم ودعوتكم ،

وإن يرد بكم غير ذلك - وأعيدكم بالله من
فضبه وحربه - يكلّكم إلى أنفسكم ، ويجعل
قلوبكم شتى ! وإذا لا تولفون بينها أبدا
ولو أنفقتم ما في الأرض جميعا !!!

واعلموا أن من ظلم معاهداً أو كلفه فوق
طاقته ، فنيكم خصمه يوم القيامة ، نبيكم
وحبيبتكم !!! نبيكم الحريص عليكم ، الرؤوف
الرحيم بكم ، الذى استوصى بإخوانكم الأقباط
خييراً ، وأنباكم أنهم أصهاره ، وأن لهم
بهذه المصاهرة ذمة ورحما ...

ألا ، فاكتبوا ندائى هذا وانشروه ،
وتداولوه بينكم وتدارسوه : فرادى وجماعات ،
وأئماً . واجعلوه أساس هذا الميثاق ، وأساس
كل ميثاق وهد بينكم ، حتى يحكم الله لى ،
أو يقضى الله أمراً كان مفعولاً .

« والسلام على من اتبع الهدى » .

« طه »

ألا ، فاحفظونى يحفظكم الله ، وانصرونى
ينصركم الله ، واقروا : « إن ينصركم الله
فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم
من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

لا تخافوا منى على من لا يؤمن بى ، من
أهل العهد والذمة ، فإنى أرحم بهم منكم ،
بل لى لأرحم بهم منهم ... ومن لا تصبه
رحمى ، فلن تحفظه عدالتى ، واقروا :
« يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط ولا يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا
اهدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله
خبير بما تعملون » ، « لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم

من مذكرات أبى أمامة :

- البيان بالإحسان . قبل الحديد فى القرآن .
- أوفى الناس : الخليل ؛ وأكرمهم : الصديق ؛ وأقوام : الأمين ؛ وروحهم : الكلمة ؛
وسيدهم : من لا يفتخر .
- الهجرة فى إيمانها : من شجاعة الشجعان ؛ والهجرة فى غير إيمانها : فرار من الميدان .

ابن خلكان المؤرخ

للأستاذ محمد رضا الشيبى

ومن ذلك أنه ظفر بكثير مما ألفه المغاربة والأندلسيون في تاريخ المغرب والأندلس . كما ظفر بكثير مما ألفه المشارقة من عراقيين وشاميين ومصريين هذا بالإضافة إلى بعض ما ألف بالمارسية من كتب التاريخ .

ابن خلكان وأساليب المؤرخين :

والقاضي ابن خلكان خبير بأساليب المؤرخين وما جرت عادتهم في وضع مصنفاتهم وترتيب معجزاتهم ، ففي كتابه إشارة إلى مختلف تلك العادات من ذلك مثلاً عادتهم في ذكر من عرف بكنيته دون اسمه من الأعلام . فمن المؤرخين من يفرد باباً لمن عرف بكنيته دون اسمه ، ومنهم من يراعى في الترتيب أول حرف من المضاف إليه . وهكذا نجد ابن خلكان يقول في ترجمة (أبي بكر ابن عبد الرحمن) أحد للقراء السبعة : « والمعروف أن كنيته اسمه ، وعادة المؤرخين أن يذكروا من كنيته اسمه في الحرف الأول الموافق لأول المضاف إليه ، والمضاف إليه هنا بكر ، فلماذا ذكرته بالباء (١) .

كان ابن خلكان ولا شك من حذاق المؤرخين اطلع على أمهات الكتب التاريخية وسبرها سبراً جيداً وعنى بمناقشة قضايا أو أحداث تاريخية مناقشة دقيقة . ونبه على أغلاط وأوهام غير قليلة في اللغة والتاريخ والأنساب وقمت في تصانيف المؤرخين والمحدثين متقدمين ومتأخرين كما ستراه . ولا بد لنا في هذا المكان من الإشارة إلى الفارق البعيد بين طريقته في مناقشة الأحداث وطريقة ابن خلدون ، فإن خلدون يناقش في بحوثه قضايا عمرانية أو شئون اجتماعية عامة بأسلوبه المعروف في فلسفة التاريخ . وابن خلكان يناقش مضافاً إلى بحوثه في الشعر واللغة والأدب قضايا تاريخية خاصة لا علاقة لها بتاريخ العمران والاجتماع . على أن ذلك لا يقلل من شأن بحوث مصنف الوفيات ولا يحط من قيمتها سواء أكانت فقهية أم تاريخية أم لغوية وأدبية بما يتخللها من تحقيق واستقراء في حدود منهجه المرسوم . قلنا شذ عن ابن خلكان كتاب أو مأخذ جليل من مأخذ التاريخ مما ألف قبل زمانه في العالم الإسلامي بأسره شرقاً وغرباً ،

(١) الوفيات (١/٢٨٦) .

المصرية كانت من مأخذه وهو في سبيل إخراج كتاب الوفيات .

وهذا المنذرى كما لا يخفى من أجل مشايخه الذين لقيهم في القاهرة بعد استقراره فيها وأخذ عنه إلى أن مات . وعاش القاضي ابن خلكان من بعده مدة . وكان كما يستفاد من

كتاب الوفيات يفاوض شيخه المذكور ويستطلع طلع رأيه في مسائل عويصة ومطالب غامضة من التاريخ والحديث وعلومه . ولم يكن الشيخ - والحق يقال - ضئيلاً بالإفادة والإجابة وما أكثر حديثه عن المنذرى في الكتاب . وقد أورد نبذة عنه في ترجمة الحافظ أبي الحسن المقدسى (١) هذا وفي كتاب الوفيات نوادر وتعاليق تاريخية وأخرى في علوم الرواية منقولة عن شيخه المنذرى المذكور (٢) ، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ترجمة الحافظ المؤرخ المعروف بابن عساكر محدث الشام من كتاب الوفيات وهذا نصه :
« قال لي شيخنا الحافظ أبو محمد عبد العظيم المنذرى حافظ مصر أدام الله به النفع وقد جرى ذكر هذا التاريخ - (يعني تاريخ ابن عساكر) - وأخرج لي منه مجلداً وطال الحديث في أمره واستغظمه : « ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من

وقال مثل ذلك في ترجمة (أبي عمرو بن العلاء) ثم قال : « ومن المؤرخين من يفرد الكنى باباً ، ومعنى هذا أنه عني بملاحظة مختلف عادات المصنفين في التاريخ من هذا القبيل .

فهرست كتب ابن خلكان :

يستفاد من تضايف كتاب الوفيات أن مصنفه اقنى خزانة كتب جليلة من كتب التاريخ خاصة هــنـى بالثقل عنها في كتابه . والمرجح أنه ظفر بمجموعة نفيسة من تراث حفاظ مصر ومحدثيها أو مشايخها . منها نسخ مختارة مقروءة أو مضبوطة أو ذات خطوط منسوبة أو عليها خطوط مؤلفيها أو خطوط علماء آخرين . ومن جملة ذلك التراث على الغالب بعض مصنفات شيخه الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى مصنف كتاب (التكملة في وفيات الثملة) وكتب أخرى عليها خط شيخه الحافظ المذكور . وفيما يلي بعض أقواله التي تدل على ظفوره في القاهرة بالكتب التي استعان بها على تأليف الكتاب :

« فلما وصلت إلى القاهرة صادفت فيها كتباً أوثر الوقوف عليها وأخذت منها حاجتي لإتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة ، وهذا يعني أن تلك الكتب

(١) الوفيات [٣٢٦ / ١] .

(٢) [٩٦ / ١] .

عنهم . وله في وصف الكتب والدواوين المذكورة أسلوب جميل . وقد يقتنى من كتاب أو من ديوان شعر أكثر من نسخة لكل نسخة خصائصها ومزاياها وهو لا يغفل الإشارة إلى تلك الخصائص والمزايا في كتاب الوفيات . توافرت أداة التأليف الدقيق والبحث العميق لابن خلكان في كل بلد نزل ، من ذلك خزائن كتبه النادرة المار ذكرها التي عني بجمعها ومضاعفتها وزيادة عددها مدة حياته ، ويتضح أيضا من مطالعة كتابه الوفيات أنه يستند في نقله إلى أصول جلية وأمهات نادرة من المؤلفات في أكثر الفنون والعلوم المعروفة في تلك العصور ، اقتناها وعنى مدرستها . وقلما نقل عن كتاب ضئيل . ويتضح أيضا من مطالعة كتابه (الوفيات) أن مؤلفه اقتنى مجموعة نادرة من أجل كتب التاريخ ودواوين الشعر وأسفار الفلاسفة وكتب الأدب واللغة . وإلى إقامته في (أربل) و (الموصل) و (حلب) ودرسته في مدارسها - وكانت حلب غنية بمدارسها ودور كتبها في عصره - ثم إلى عمله في القضاء وما إليه مرد حصوله على تلك الانخراط النفيسة التي سماها سفرا سفرا وكتابا كتابا ، وهى بتعرفها ، ويستفاد مما علقه عن أحواله وسيرته في تضعيف كتابه أن شواغل منصبه في قضاء الشام مدة طويلة - وكان ذلك في عصر

يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع منذ ذلك الوقت وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والشبهة ، قال ابن خلكان ولقد قال - يعنى شيخه المنذرى - الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثله . وهذا الذى ظهر هو الذى اختصره وما صح له ومن ذلك ما قاله في ترجمته ابن طباطبا العلوى وقد ناقش اجتماعه بالمعز الفاطمى وهذا نصه د وأما في تاريخ وقاته - يعنى ابن طباطبا - فإن شيخنا الحافظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذرى وكنيت راجعته في هذا التناقض فقال : أما الوفاة في هذا التاريخ فمحققة ه ولعل صاحب الواقعة مع المعز كان ولده والله أعلم أى ذلك كان . وما يقال عن كتب الحديث والتاريخ ، يقال عن كتب الأدب والشعر وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف والفنون البلاغية كالبيان والمعاني والبديع . ولا نبالغ إذا قلنا إن ابن خلكان كون لنفسه خزانة خاصة لكل فن من هذه الفنون ، وفي مقدمة ذلك خزائنه من دواوين الشعراء : جاهليين وإسلاميين مخضرمين ومولدين إلى دواوين من عاصره أو قارب عصره من الشعراء . وهذه الدواوين كلها من مآخذ ابن خلكان فيما يكتبه عن الشعراء وهو من المجودين في الكتابة

الممالك - شغله عن تأليف كتابه أو تنسيقه وتبييضه في دمشق . ثم لما عزل وحل محله زميل له من قضاة عصره يعرف بابن الصامخ عاد إلى القاهرة عاطلاً لا يشغله منصب من مناصب الدولة وتوفر على التأليف وانكب على البحث قائلاً في هذا الباب : « ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع إلى الديار المصرية ، وكانت مدة المقام بدمشق عشرين كوامل لا تزيد ولا تنقص يوماً ، فلما وصلت إلى القاهرة صادفت فيها كتباً أوثر الوقوف عليها ، وما كنت أنفـرغ لها ، فلما صرت أفرغ من حجام سابط ، بعد أن كنت أشغل من ذات النعميين - كما يقال في هذين المثليين - طالعت تلك الكتب وأخذت منها حاجتي لإتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة . »

هذا ما قاله المؤلف عن نفسه في هذا الباب . ولسنا نشاطر ابن خلكان رأيه في شكواه من العطلة بعد العزل وهو معني بالتأليف وأي شغل أعظم من شغله بتفسيق مادة كتابه في هذه الفترة ، وباليته لم يتقلد تلك المناصب التي شغلته عن التأليف أكثر من عشر سنين وإن تقلدنا - والحق يقال - بجدارة وكفاءة منقطعة النظير . ذلك أن بحوثه الممتعة في العلم والأدب والتاريخ أجسدى وأكثر فائدة للناس من كل أعماله في منصب القضاء وغيره

من مناصب الدولة ، ولم يكن الرجل بعد العزل - وهو معني بالتأليف - أفرغ من حجام سابط - كما قال - بل كان أشغل من ذات النعميين ، ولكنها العادة في الحنين إلى المناصب والعادة حكماً . هذا وإلى تخليه عن المناصب السلطانية وإلى إقامته في القاهرة واستقراره فيها وظيفه بما ظفر به من الكتب النادرة في خزائنها - وهي كتب خلت منها خزائن حلب والشام والموصل وأربل - مرد لإكمال كتابه وإخراجه بهذه الصورة الشائقة ، فإن مأخذه من خزائن كتب الشرق لم تكن وافية بالمرام وإن كانت كثيرة جلييلة القدر كما صرح بذلك وكما يلاحظ مما حرره عن الأدوار التي مرت عليه في تأليف الكتاب . وقد يكون ابن خلكان محقاً في شكواه من العطلة بعد العزل وانكبابه على التأليف في القاهرة وذلك لقلة من يتردد عليه أو يساعده في الكتابة في فترة العزل ، وعزل القضاة والحكام في تلك العصور نكبة يعقها ما يعقها من التشفي والشبهة . وفي معرض قلة الأعوان يقول ابن خلكان في ترجمة مجد الدين ابن الأثير مصنف كتاب النهاية بعد أن سمي تصانيفه ووصفها بالجودة على كثرتها : « بلغني أنه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة فإنه تفرغ لها وكان عنده جماعة يعينونه في الاختيار

الممالك - شغله عن تأليف كتابه أو تنسيقه وتبييضه في دمشق . ثم لما عزل وحل محله زميل له من قضاة عصره يعرف بابن الصامخ عاد إلى القاهرة عاطلاً لا يشغله منصب من مناصب الدولة وتوفر على التأليف وانكب على البحث قائلاً في هذا الباب : « ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع إلى الديار المصرية ، وكانت مدة المقام بدمشق عشرين كوامل لا تزيد ولا تنقص يوماً ، فلما وصلت إلى القاهرة صادفت فيها كتباً أوثر الوقوف عليها ، وما كنت أنفـرغ لها ، فلما صرت أفرغ من حجام سابط ، بعد أن كنت أشغل من ذات النعميين - كما يقال في هذين المثليين - طالعت تلك الكتب وأخذت منها حاجتي لإتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة . »

هذا ما قاله المؤلف عن نفسه في هذا الباب . ولسنا نشاطر ابن خلكان رأيه في شكواه من العطلة بعد العزل وهو معني بالتأليف وأي شغل أعظم من شغله بتفسيق مادة كتابه في هذه الفترة ، وباليته لم يتقلد تلك المناصب التي شغلته عن التأليف أكثر من عشر سنين وإن تقلدنا - والحق يقال - بجدارة وكفاءة منقطعة النظير . ذلك أن بحوثه الممتعة في العلم والأدب والتاريخ أجسدى وأكثر فائدة للناس من كل أعماله في منصب القضاء وغيره

ومجالس حسب ما يشهد بذلك تاريخه الكبير المذكور على ما يقول ابن خلكان . وقد هرف كتاب المسيحي هذا نقلا عن مقدمته بقوله : « التاريخ الجليل قدره الذي يستغنى بمضمونه عن غيره من الكتب ، وهو في أخبار مصر ومن حلها من الولاة والخلفاء والأمراء وما بها من عجائب الابنية وأصناف الألعمة وذكر نيلها وأحواله إلى الوقت الذي كتبنا في هذه الترجمة وأشعار الشعراء وأخبار المغنيين ومجالس القضاة والحكام والمحدثين والأدباء وغيرهم وهو ثلاثة عشر ألف ورقة . » هذا والكتاب من أجل ما أخذ ابن خلكان في الوفيات ويستفاد من فهرس خزانة دير طور سيناء الذي نشر مؤخرا وجود نسخة من بعض أجزاء تاريخ المسيحي المذكور^(١) .

٢ — تاريخ العتيق وإن لم يكن من النقل عنه وقد فقتشت كثيرا عن معنى هذه النسبة إلى أن وجدت في ترجمة عبد الرحمن بن القاسم العتيق بالولاء الفقيه المشهور قال ابن خلكان^(٢)

(١) (٥١٥/١) ترجم ابن خلكان ترجمة حسنة للمؤرخ المذكور وهذه النسبة فما يقول السمعاني إلى الجد قال وعرف بها للسيحي صاحب تاريخ المغاربة ومصر - يعني الأمير للمذكور - وانظر أيضا (٣٣٨/١) من كتاب الوفيات ومما نقله عن تاريخ للسيحي خير استتار حافظ مصر عبد الغني بن سعيد وسبب ذلك وهو خبر طريف (١ : ١١٧) .

(٢) الوفيات (١/٢٣٦) .

والكتابة ، . فإن خلكان لم يتهيا له ما تهيا لابن الأثير في عطلته من الكتاب والأعوان لأن كثيرا من أصحابه قاطعوه وانقضوا من حوله فأعلن شكواه . وما أبعد الفرق بين ابن الأثير وابن خلكان من هذه الناحية كما يستفاد من سيرة ابن الأثير هذا ، ولم تكن الدولة في عصر ابن خلكان وما إليه غالبا تعنى بشئون أعلامها الذين يعلمون ذكرها ويرفعون اسمها ، وتوفر أسباب العمل وإزاحة العلل وكفاية المؤن لهم - ولو وجد ابن خلكان مثل هذه العناية في فترة العطلة لما جاهر بشكواه .

تاريخ مصر بأقلام المصريين :

ويستفاد من تسميته لما أخذه في التاريخ أنه اقتنى وهو في القاهرة مجموعة كبيرة من الكتب المجردة في تاريخ مصر لمؤرخين مصريين خالص في الغالب وبعضهم من نزلاء الديار المصرية ، أو من الكتب المجردة في خطط مصر لبلدانيين مصريين . هذا ومن المفيد تسمية بعض هذه التواريخ استناداً إلى ما جاء في كتاب الوفيات على الصورة التالية :

١ — تاريخ مصر لمصنفه الأمير المختار المعروف بالمسيحي من مؤرخي عصر الحاكم ابن عبد العزيز الفاطمي وله معه محاضرات

اليوميات التاريخية في ترجمة (صريع الدلاء) على بن عبد الواحد الفقيه البغدادي للشاعر المشهور نقل طرفاً منها عن كتاب الحنان للرشيذ ابن الزبير الأسواني ثم قال : « ورأيت في نسخة ديوان شعره - يعني صريع الدلاء - أنه أبو الحسن محمد بن عبد الواحد القصار البصري والله أعلم بالصواب ، وكانت وفاته في سابع رجب سنة اثنتي عشرة وأربعمائة من شرقة لحقته عند الشريف البطحاني . وغالب ظني أنه توفي بمصر لأنني نقلت تاريخ وفاته من التاريخ الذي ذكرته في ترجمة التهامي ومبناه على الحوادث الكاتبة بمصر يوماً فيوماً . ويؤيد ذلك أن ابن الزبير ذكر أنه توفي سنة اثنتي عشرة وأربعمائة والله أعلم بالصواب . وفيه قال أبو العلاء المعري (١) :

دعيت بصارع فتداوكته

مبالغة ترد إلى فميل

هذا ما ورد عن تاريخ وفاة صريع الدلاء نقلاً عن التاريخ المبني على الحوادث الكاتبة بمصر يوماً فيوماً ويستفاد منه أنه من أنفس ما كتب في تاريخ الديار المصرية .

٤ - — مذكرات القاضي الفاضل : نسب ابن خلكان إلى القاضي الفاضل صاحب ديوان الإنشاء على عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي كتاباً في التاريخ مرتباً على الأيام رآه بخطه

في الترجمة المذكورة : « العتيق بضم العين وفتح التاء هذه النسبة إلى (العتقاء) وإيسوا من قبيلة واحدة بل هم من قبائل شتى منهم حجر حمير ومن سعد العشيرة ومن كنانة مضر وغيرهم . وعامتهم بمصر ويقال لهم (أهل الراية) ، ، هذا ما جاء في هذه الترجمة من كتاب الوفيات عن العتقاء وفيها مضافاً إلى ذلك فوائد غير قليلة عن أولية أولئك العتقاء ولماذا دعوا بذلك وعن خططهم التي نزلوا بها من مصر وتسمى (الظاهر) ويستفاد من هذا البحث أن العتقاء الذين ينسب إليهم الفقيه العتيق . كانوا في الأصل قطاع طرق فأسرم الحكام عنوة ثم منوا عليهم بالعتق وما كانوا من العبيد . وقد نقل ابن خلكان هذه الفائدة عن كتاب (خطط مصر) تأليف محمد بن يوسف بن يعقوب التنجيني .

٣ - — مذكرات مغفلة في تاريخ مصر - جاء في ترجمة التهامي الشاهر الأندلسي هكذا نقلته من بعض تواريخ المصريين وهو مرتب على الأيام . كتب مؤلفه كل يوم وما جرى فيه من الحوادث رأيت منه مجلداً واحداً ولا أعلم عدد مجلداته (١) . هذا ما قاله ابن خلكان عن هذا التاريخ الطريف وإن لم يرد ذكر لاسم مؤلفه فيما كتب عنه . وحاد صاحب الوفيات إلى النقل عن هذه

(١) المصدر المذكور (١/٣٥٨) .

(١) المصدر عنه (١/٣٣٥) .

٧ - كتاب المعارف المتاخرة لمحمد ابن عبد الملك الهمداني (١) .

٨ - التكملة في وفيات النقلة للحافظ زكي الدين المنذرى من أجل مأخذ ابن خلكان في كتاب الوفيات .

٩ - تاريخ الفرغاني - وهو أحمد ابن عبد الله بن أحمد الفرغاني نزيل مصر (٢) .

١٠ - المذهب في تاريخ أئمة المذهب تأليف أبي حفص عمر بن علي المطوعى .

١١ - كتاب المنظم في أخبار من سكن المقطم تأليف أبي سعيه ابن يونس .

١٢ - تاريخ أبي موسى العنزي هكذا نسب في الوفيات (٣) .

١٣ - للنسك العصرية في أخبار الوزارة المصرية للمقيه عمارة اليني .

١٤ - تاريخ الحضري وهو أبو للقاسم محمد ابن علي المعروف بابن الطحان ذيل به علي كتاب ابن يونس في التاريخ .

(البقية على صفحة ١٨٢)

ونقل عنه في الوفيات ، وليس من المستبعد أن يعنى القاضى المذكور بتدوين هذه المذكرات فإن أخبار العالم الإسلامى وحوادث الدول وخصوصا دولة بنى أيوب كانت على طرف الثمाम من صاحب ديوان الإنشاء في الدولة الأيوبية . هذا وتجد مثالا من هذه اليوميات الفاضلية في ترجمة الملك الأفضل من كتاب الوفيات (١) .

٥ - تواريخ مصر للصدفى : هو عبد الرحمن ابن أحمد الصدفى المحدث المؤرخ المصرى جمع لمصر تاريخين أحدهما وهو الأكبر يختص بالمصريين والآخر وهو صغير يشتمل على ذكر الغرباء الواردن على مصر . قال ابن خلكانه : وما قصر فيهما وقد ذيلهما أبو للقاسم يحيى ابن علي الحضري وبني عليهما . وهذا المؤرخ أعنى الصدفى هو الذى يقول في رثائه عبد الرحمن بن إسماعيل الخولانى المصرى الخشاب من أبيات :

ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه

حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا

وتواريخ الصدفى وذيلها من مأخذ صاحب الوفيات في التاريخ (٢) .

٦ - كتاب التنف والطرف للوزير أبي سعد (٣) .

(١) ٨٦ / ١ .

(٢) ٢٧٩ / ١ / ٢٩٠ وانظر ترجمة الصدفى .

(٣) الوفيات ٩١ / ١ .

(٢) ٢٦٩ / ١ .

(٣) ٢٥٠ / ١ .

(١) الوفيات ٩٨ / ١ وللهمداني ذيل على كتاب طبقات الفقهاء لأبى إسحاق الشيرازى راجع عنه الوفيات (٢٧٧ / ١) وله كتاب آخر سماه ميون سير الوفيات (٤٢ / ١) وقد أورد ابن خلكان في ترجمة محمد بن طنج أسماء ثلاثة تواريخ هى تاريخ الهمداني وتاريخ العتقى وتاريخ الفرغاني .

كلمة عرب

نحذرها ونطوِّرها وننفارها في معناها القوي

للدكتور عَمْرُو

في شعره . ويبدو أن الغالين هم الذين سموا
الجرمان باسمهم هذا اشتقاقا من كلمة (غير) ،
بمعنى الجار . والفرنسيون سموا بذلك لأن
سلاحهم القبلي الخاص بهم كان يسمى
(فرانكا) ، أى عنزة ، والعنزة هى
الروح القصير . وللفينيون سماهم التجار
القادمون إلى بلادهم من الشمال والجنوب
أسماء كثيرة : صين ، ثين ، شين ، سيريس ،
كائى ولا ندرى اليوم ما معناها . والهنود
يزعمون أنهم ينتسبون إلى بهارتا فارسا ،
وقد أطلقوا على بلادهم بعد استقلالها اسم
(بهارتا) ، مع أن اسمهم المشهور في الشرق
والغرب قديما وحديثا (الهند) ، اختصارا
من التسمية الفارسية : ما وراء النهر ، نهر
الهند المحرف اسمه عن الكلمة السنسكريتية
(سند) ومعناها النهر عامة وتطلق على نهر
السند خاصة . ولقد أطلق الفرس اسم (الهند)
في العالم الشرقى ، كما جعل اليونان كلمة الهند
(إندس) ، على مقتضى لفظهم وإعراب
الكلمات في لغتهم ، ثم أطلقوا الاسم في العالم
الغربي : إنديا .

وما كان اسم العرب بدعا في أسماء الأمم .

من المؤلف أن تنتسب الأمم والشعوب
إلى أسلاف لها حقيقة بين أو خرافيين
فيتألف من ذلك الانتساب جماعات قبلية
صغيرة أو كبيرة ، كما عرفنا في تاريخ
العرب من انتسابهم إلى عدنان أو قحطان
ثم تقسمهم بكرأ وتبما وأسداً وعيسا
وشيبان أو طيئا وخزاعة وأزداً وعنسا
وممدان . ومثل هذا كان شأن الهنود
واليونان والجرمان

وإذا اتفق أن اتخذت الأمم أسماء جامعة
فإما أن تشير إلى نفسها بأنها (الشعب) أو
(الأمة) ، وإما أن تتخذ أسماء كريمة .
فإن سكان شمالى غربى إفريقيا يسمون أنفسهم
(الإيمازيغن) أى الأشراف ، والجرمان
يذهبون أن اسمهم محرف من (هرمان) ،
أى السيد . وكذلك الفرنسيون يزعمون
أن اسمهم معناه (الأحرار) .

غير أن جميع الأسماء المشتهرة على الأمم
في التاريخ إنما هى من صنع جيرانها ، أعداء
كانوا أم أصدقاء . إن سكان شمالى غربى
إفريقية سماهم الرومان البربر ، وهذا هو
الاسم الذى أشار به إليهم امرؤ القيس

ما بين النهرين بمشتقاته غربا فيسلك طريقين أساسيين أحدهما ينحرف شمالا والآخر يتجه جنوبا .

في أثناء هذه الهجرة ينخفض صبعث الهمة في الحنجرة فتصبح هاء مرة نحو أيكلو التي تصبح هيكل ، وعينا مرة ثانية نحو أنزو التي أصبحت « عنزة » ، وتصبح غينا معجمة مرة ثالثة نحو أربي فاذا هي غروب ، وأحيانا تبقى الهمة همزة نحو إربا (بفتح الهمة وإمالتها) بمعنى أربعين وقد تبحر الهمة أحيانا فتجد في القاموس العربي كلمات مثل : أرب وهرب وذرب بمعنى واحد هو فساد المعدة ، وأحيانا يذكر القاموس مثل هذه الجملة : « الأربان بضم الهمة لغة في العربان بالعين (تاج ١ : ١٤٧) .

ليس فيما مر تعرض للغة التي أخذت من أختها ، إذ الغاية مما مر أن ندل على أن كلمة « عرب » تشرك كلمات كثيرة تبدأ بغير العين في لغة مضر التي تتكلمها ونكتب بها ، من أجل ذلك وجب أن يكون الجذر الذي جاءت منه هذه الكلمة جذرا هجينا غير خالص .

ونمر بالشعر الجاهلي الذي وصل إلينا فلا نجد فيه صيغة من جذرع - ر - ب للدلالة على معنى قوى يتعلق بالجنس ولا على معنى يتعلق باللغة التي تتكلمها ، وهذا أمر له تعليله من تاريخنا السابق على الإسلام . لقد كان

ويبدو أن سكان ما بين النهرين القدماء ، البابليين والآشوريين ، كانوا على حق لما أطلقوا على أقاربهم الساميين وجيرانهم إلى الغرب والجنوب الغربي اسم أ - رى - بى . ولا معدى لنا عن الرجوع بهذه الصيغة (أربى) (إلى الجذر) (- رب) (غير أن هذا الجذر هجين جدا في لفظه وفي معناه . إن الهمة في هذا الجذر تأتي في الصيغ التي يقال : إنها مشتقة منه مفتوحة ومائلة ، وربما جاءت مكسورة (والباء) فيه في الأصل باء تنفجر عنها الشفتان بيسر ، ولكن قد ترد في عدد من مشتقات هذا الجذر باء مهموسة أو منفوثة .

وكذلك معاني المشتقات التي يقال : إنها من هذا الجذر كثيرة جدا ، ثم هي مزيج غير مؤلف في بعض الأحيان ، ويبدو أن المعنى الأصلي لهذا الجذر « الغرب » الذي يقابل الشرق ، ثم تناول هذا الجذر معاني تتصل بجهة الغرب من قرب ومن بعد . ومن هذه المعاني غروب الشمس والمساء والعتمة ، ثم هنالك الغراب لأن لونه يشبه لون العتمة ، ومن المعاني المتعلقة بهذا الجذر من بعد : الجراد لوجوده في تلك المنطقة الغربية بالإضافة إلى سكان ما بين النهرين ، ومن معانيه أيضا القفر (الصحراء) لطبيعة تلك المنطقة عموما ، ويهاجر هذا الجذر من بلاد

إحدى عشرة مرة ، في سور مدنية وفي سور
مكية أيضا ، غير أن هذه الكلمة قد وردت
عشر مرات نعتا للغة التي نزل بها القرآن بأنها
لغة واضحة بينة ، من مثل قوله تعالى :
« إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ،
(١٢ يوسف ٢) ، أى تفهمون ، ويبدو
أن هنالك مكانا واحدا استعملت فيه الكلمة
(عربى) لتنعت شخص الرسول صلى الله عليه
وسلم . في قوله تعالى : « ولو جعلناه قرآنا
عجميا لقالوا لولا فصلت آياته ، أأعجمي
وعربى ؟ » (٤١ السجدة ٤٤) أى أكتاب
أعجمي اللغة ونبي عربى ؟ .

إن استعمال كلمة عربى في القرآن الكريم
دلت الشعراء على التعبير الذى لم يقع عليه
عنترة ، ومنذ السنة الثالثة للهجرة قال كعب
ابن مالك يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم :
بدا لنا قاتبعناه نصدقه

وكذبوه ، فكسنا أسعد العرب
وبعد ذلك بمدة يسيرة فيما يبدو قال حسان
ابن ثابت يقرع بنى هذيل لما اشترطوا على
الرسول أن يحل لهم الزنا حتى يدخلوا في الإسلام :
سألت هذيل رسول الله فاحشة

ضلت هذيل بما قالت ولم تصب
سألوا رسولهم ما ليس معطيهم

حتى المات ، وكانوا سبة العرب
وهكذا بدأ في الشعر العربى مدرك لم يكن
معروفا من قبل ، هو أن العرب جماعة واحدة

الجاهليون غارقين في منازعاتهم القبلية فلم يكن
لديهم ، فيما لدينا من التراث اللغوى ، ما يدل
على المدرك القومى الجامع ، ولكن لما وقف
الجاهليون في أعقاب العصر الجاهلى وجهها
لوجه أمام الفرس على حدودهم الشرقية ، ثم
كروهوا الحسك الفارسى الذى كان قد استطل
في شبه الجزيرة ، بدءوا يستشعرون شيئا من
البغضة للفرس ، وشعر عنترة بهذه البغضة
فقال في معلقته عن ناقته :

شربت بماء الدحرتين فأصبحت

زورا تنفر عن حياض الهديل

إن عنترة قد أحس بالدافع القومى الجامع
ولكن لم يجد الكلمة التي تعبر عنه فاضطر إلى
أن يدور حول المعنى بيت كامل من الشعر .

وجاء الإسلام ونزل القرآن الكريم منجما
في ثلاث وعشرين سنة فلم يرد فيه من الجذر
«ع - رب ، إلا ثلاث صيغ : عربا جمع

عروب (بفتح اللعين) نعتا للمرأة المتحجبة
لزوجها في قوله تعالى : « عربا أترابا » (٥٦
الواقعة ٣٧) . ثم جاءت الصيغة « أعراب ،

عشر مرات في سور مدنية فقط ، منها ست
مرات في سورة التوبة وحدها ، ولا حاجة
للاستشهاد على أن كلمة أعراب تدل في القرآن
وفي غير القرآن على البدو .

أما الكلمة الفاصلة في هذا الشأن فهي كلمة
« عربى ، التي وردت في القرآن الكريم

الأهـم :) بل هم ، والله يا رسول الله ، من
الروم وليسوا ضنا (ثم قال عمرو بن الأهـم
مخاطبا قيس بن عاصم) :
أف تبغضونا فإن الروم أصلكم

والروم لا تملك للبغضاء للعرب
ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم
قيسا وعمرا عن هذا التلاحى وأفهمها تلميحا
أن الإسلام قد أغرق العصبية كلها .

وفى أثناء الفتوح العربية ، أو الفتح
الإسلامى على الأصح فى أيام عمر بن الخطاب ،
بلغ الشعور العربى من الناحية القومية مبلغا
يتمثل فى البيت التالى ليربوع بن مالك ،
والذى أورده الطبرى (١ : ٢٥٣٦ ليدن) ، وهو :
إذا العرب العرباء جاشت بحورها

نحرقنا على كل البحور الزواجر
ثم تقلبت كلمة عرب بعد ذلك بين المدوك
والقوى الخاص وبين المدرك المتصل بالإسلام
اتصالا وثيقا . وجرى المدركان جنبا إلى
جنب عصورا ، والشواهد على ذلك كـه كثيرة
تحتاج إلى دراسة مستقلة .

هذا كله من الناحية اللغوية فى تاريخ كلمة
عرب ، ولكن يبدو لنا أيضا أن الإسلام
هو الذى جعل لكلمة عرب هذا المقام فى
شعور الجماعة ، ولكن نهى عن أن يكون
هذا الشعور عاملا مفرقا بين صفوف الأمة
التي وحدها الإسلام .

الدكتور عمر فروخ
عضو مجمع اللغة العربية

ذات نطاق من الوحدة الجامعة . على أن
مدرك العروبة يومذاك أو المدرك القومى
العام على الأصح ، كان يعد هو والإسلام
شيئا واحدا . بعد غزوة الخندق ، فى السنة
الخامسة للهجرة ، وإجلاء اليهود من بنى النضير
وبنى قريظة ، وفى شاهر من بنى الأشهل اسمه
الضحاك لحال أولئك اليهود ، من أجل ذلك
مما حسان بن ثابت هذا الشاهر وذكره بأن
نقرا من قبيلته بنى الأشهل قد كانوا مسلمين
حقا ، منهم إياس بن أوس بن عتيك الذى
استشهد فى غزوة أحد ، وأنس بن أوس
ابن عتيك الذى استشهد فى غزوة الخندق ،
وهكذا قال حسان بن ثابت للضحاك هذا :
أحب يهدان (١) الحجاز ودينهم

كبد الحمار ، ولا تحب محمدا ؟
لو كنت منا لم تفارق ديننا
وتبعت دين عتيك حين شهدنا
وسرعان ما برزت كلمة عرب فى مقابل كلمة
روم وكلمة نبط (آراميين) واكتسبت بذلك
معنى قوميا واضحا . جاء فى الأغاني
(دار الكتب ، ١٤ : ٨٧ — ٨٨) :

بعد فتح مكة ، فى السنة الثامنة للهجرة ،
قدم قيس بن عاصم وعمرو بن الأهـم ابن عمه
على الرسول ، فلما صارا عنده تسابا وتهاورا .
ثم قال قيس بن عاصم للرسول عن عمرو
وقومه : (والله ، يا رسول الله ، ما هم منا ،
ولهم لمن أهل الحيرة) (فقال عمرو بن

(١) يهدان : جمع يهود .

الاستقلال في التشريع

للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

غير تقاليدنا وعرفنا ، ويثبتها غير يثبتنا كان شوكة في ظهورنا ، ووصمة عار في جبيننا أمام غيرنا ، وثغرة نفذ منها إلى النيل منا أعداؤنا - أعداء العروبة والإسلام - ورمونا بالعقم وعدم الإنتاج وأتانا نعيش عالة على قواينهم وثمرات أفكارهم ومعارفهم .

ويظهر أنه قد آن لظلمات القوانين الأجنبية المستوردة أن تنجلي ، وأن الأوان لأن نحكم بتشريعات تابعة من عقائدنا وتقاليدنا وهرفنا ويثبتنا وأخلاقتنا وتتفق هي وما وصلنا إليه من استقلال سياسي واقتصادي ونقدم اجتماعي فقد جاء بمشروع الميثاق الوطني هذا النص (كذلك فإن القوانين لا بد أن تعاد صياغتها لتخدم العلاقات الاجتماعية الجديدة التي تقيمها الديمقراطية السياسية تعبيرا عن الديمقراطية الاجتماعية) وهو شيء تفتحت له القلوب المؤمنة برهها ورسالاته وأنياباته . والمؤمنة بنفسها وبحق الوطن عليها واستبشرت به النفوس التي طالما راودها هذا الأمل الحلو ، والأمان العذاب ، وتلقته الأمة بالقبول ، وبما يشبه الإجماع عليه أليس مما يملأ جوارب النفس أسمى وتحسرا

من منذ بضع سنوات وعلى صفحات هذه المجلة الزهراء كتبت مقالا تحت عنوان (الحكم بما أنزل الله) بينت فيه ضرورة الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية في كل ما يعرض لنا من أفضية ، وحكم الله في العمل بغير شريعته ، ورغبت فيه إلى أولى الأمر أن تعدل القوانين المدنية والجنائية بما يتواءم هو والشريعة الإسلامية الغراء .

وفي هذه الفترة أمكن للشعب بفضل الله ، ثم بتوجيهات قادته الرشيدة أن يحصل على مكاسب جمّة في النواحي السياسية والاقتصادية كانت أماناً وأحلاماً فأصبحت حقائق واقعة . وقد استقللنا - ولله الحمد والمنة - سياسيا واقتصاديا ، ولم تعد لنا تبعية لغيرنا وذهب إلى غير رجعة ذلك العهد الذي كانت فيه مصائرنا وأمورنا بين المستعمرين وصنائعهم وأذنانهم ، ووصلنا إلى منزلة يخبطنا عليها الكثيرون ، ولم يبق علينا إلا أن نستقل استقلالاً تشريعياً .

وفي الحق أن تبعيتنا التشريعية في قوانيننا المدنية والجنائية لدول دينها غير ديننا ، وطبائعها غير طبائعنا ، وتقاليدنا وعرفنا

في الحضارة ولها ثروة فقهية عظيمة ،
وتشريعات هي من خصائصها ، ولها ارتباط
وثيق بأخلاقها وتقاليدها وجوها وأرضها
فلسنا في حاجة قط إلى أن نكون عالة على
قوانين غيرنا ولا سيما أن الشرف والكرامة
يفرضان علينا أن نكون لنا شخصيتنا التشريعية
المستقلة .

ولم تكن كنوز الشريعة الإسلامية وما فيها
من ثروة فنية فقهية معروفة في أوروبا في
العصر الحديث حتى وفقى الله بعض علماء
القانون العرب الذين جمعوا بين فقه الشريعة
وفقه القوانين الوضعية الأجنبية فوضعوا
مؤلفات قيمة أبانوا فيها عن سمو التشريعات
الإسلامية وسبقها للقوانين في كثير من
موضوعاتها من بضعة قرون وقد بدأ هذا
العمل الجليل المرحوم الدكتور محمد فتحي
فقد نشر في أوروبا بعضا مما حوته الشريعة
الإسلامية من ثروة فقهية حيث وضع مؤلفه
بالفرنسية (التعسف في الحقوق في الفقه
الإسلامي) سنة ١٩١٣ أبان فيه بوضوح
ودقة أنه بينما تبدأ في العصر الحديث أعرق
الأمم مدنية في أوروبا في الأخذ بتلك النظرية
إذ كان قد فرغ منها علماء الشريعة الإسلامية
من قرون عدة وتوسعوا في تطبيقها حتى
هيمنت على جميع فروع القانون العام
والخاص وقد وجه هذا المؤلف أنظار علماء

أننا لازلنا نحكم بقوانين مهلهلة مرقعة بعضها
فرنسي ، وبعضها بلجيكي ، وبعضها انجليزي
وبعضها ألماني ، بل نصل أحيانا إلى نحو
عشرين قانونا أجنبية متباينة المقاصد ، مختلفة
النزعات ١١٩ وهكذا جاءت القوانين ثوبا
خلقا غير متجانس ولا يلائم بعضه بعضا ،
ونحن أعرق من هذه الأمم كلها حضارة ،
وعلماء ، وتشريعا ، وفقها .

لم تبلغ الأمة العربية الإسلامية أوج
عظمتها التشريعية يوم أن كانت هذه الدول
لا تزال تحبوا ، ولا تزال تحكم بقوانين الغاب
وتسودها البربرية والهمجية ٩٩ .

لقد وسعت الشريعة الإسلامية الدولة
الإسلامية المترامية الأطراف ، والتي كانت
تمتد من المحيط إلى المحيط ، وكان في هذه
الدولة العربي ، والفارسي ، والرومي ،
والآسيوي والإفريقي ، بل والأوربي في
الفردوس المفقود - الأندلس للشهيدة - وكان
فيها المسلم ، واليهودي ، والنصراني ، وسعت
هؤلاء وأولئك تشريعا وعدلا ورحمة ،
وإخاء وبراً ، وأمانا وسلاما ، ونعم العالم
المعروف آتئذ بشريعة الله - شريعة الحق
والعدل والسلام - وكان غير المسلم يتمتع
بحريته الدينية ، والاجتماعية والأدبية كالمسلم
سواء بسواء ، وارجع إلى التاريخ الصادق
ينبئك عن ذلك النبأ اليقين إننا أمة عريقة

بهذا المؤلف اهتماما خاصا ونشرت البحث
للشرعى في مجلتها سنة ١٩٣٠ .

ولم يسع بعض علماء القانون في أوروبا
وقد اطلعوا على التشريعات الإسلامية
ودرسوها إلا أن يعلنوا إعجابهم بها وتفوقها
على القوانين الأوروبية وصلاحياتها للعالم طرا
كما سمعت آنفا .

ومن ذلك ما قاله الدكتور د أنريكو
انساباتوا في كتابه د الإسلام وسياسة
الخلفاء : : د إن الإسلام إذا كان
محدوداً غير متغير في شكله ، فإنه مع ذلك
يساير ما تقتضيه الظروف فهو يستطيع أن
يتطور دون أن يتضام مع مرور الزمن ،
يحفظ بكامل حيويته ومرونته ، ولا يجوز
أن تهدم يد الخلافة هذا للصرح العظيم من
العلوم الإسلامية أو أن تغفله أو أن تمسه
بسوء . فقد أوجد للعالم أرسخ الشرائع نباتا
شريعة تفوق في كنهه من التفاصيل الشرائع
الأوربية .

ولإليك النصيحة الذهبية التي أسداها لمصر
الاستاذ الكبير د باولا كازيلي ، الإيطالي
الجنسية ، والذي كان مستشاراً لوزارة العدل
بمصر زمنا طويلا وهي : د لأنه يجب على مصر
أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية
فهى أكثر انفاقا من غيرها مع روح البلد
القانونية .

القانون في أوروبا إلى الشريعة الإسلامية ،
والاهتمام بها .

وفي سنة ١٩٢٣ وضع الدكتور للفاضل
محمد صادق فهمى مؤلفه د الإثبات في القانون
المدنى المقارن ، أبان فيه عن مقدار تفوق
الفقه الإسلامى بدقته الفنية على كل ما هو
معروف فى الأمم المتمدينة فى أوروبا وأمريكا .

وقد وضع الأستاذ د ليني أولمان ، أستاذ
علم مقارنة الشرائع بجامعة باريس ووكيل
المؤتمر الدولى للقانون المقارن الذى عقد
سنة ١٩٢٨ مقدمة عن هذا الكتاب قال
فيها : د إنه يندج بلا جسدل بين مؤلفات
أساطين علم القانون المدنى فى فرنسا أمثال
د شالى ، و د بولى جيد ، و د تالير جلاسون ،
وأنه أبان مافى الشريعة الإسلامية من كنوز
وثررة علمية يحوز أن تكون هدى ونورا
للعالم طرا .

وفي سنة ١٩٣٠ وضع الدكتور محمد صادق
فهمى بالاشتراك مع الأستاذ الفرنسى د ألبرت
شيرون ، مؤلفا فى د حوالة الديون فى الشريعة
الإسلامية ومقارنتها بالقوانين الأوروبية ،
وقد أظهرافيه بالاليدع مجالاللك تفوق
الفقه الإسلامى على شرائع أكبر الأمم
التمدينة فى أوروبا .

وقداهتمت جمعية مقارنة القوانين بباريس

علماء الأزهري المتصلين في الفقه الإسلامي على تعدد مذاهبه ومهم آخرون من علماء القانون الذين جمعوا فقه الشريعة وحقق القانون وأعدوا دراسة علمية فنية لكتاب العقد لأنه أعقد الكتب ، وليكون نموذجا صالحا لغيره ، وأبانوا في هذه الدراسة عن تفوق للفقه الإسلامي على غيره من القوانين بطريقة لا تحتل أي جدال وقد طبع تحت عنوان « نموذج لكتاب العقد مستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية لجامعة من علماء القانون والشريعة الإسلامية » .

وقد عرض هذا النموذج على مستشارين من هيئة النقض مشهود لهم بسمعة الاطلاع وعمق البحث فأعجبوا به ، وكتبوا في شأنه تقريراً اضافيا جاء من بين سطور (يجب اعتبار الشريعة الإسلامية المصدر للحكم حتى تكون هي المرجع في تفسيره وتطبيقه ، تلك التي عمل بها في هذه البلاد وفي سائر الأقطار العربية الشقيقة ثلاثة عشر قرناً ونيفاً ، والتي فيها من الاتساع في المذاهب والأقوال ما يجعلها كفيلاً بأن يستمد منها قانون مدني على أحدث المبادئ العصرية) .

كما أنه عرض على نقابة المحاماة الوطنية فاستقصاء المحامون على اختلاف درجاتهم دراسة وبجسأ ولم يسعهم بعد أن اقتنعوا به

وهي شهادات من غير مسلمين لا ترتقي إليها تهمة التعصب أو التحيز ومن قانونيين كبار لا يظن بهم المجازفة في الحكم أو الجهل وقصر النظر .

وهناك بحوث أخرى لها قيمتها ووزنها في الإبانة عما في الشريعة الإسلامية من كنوز وجواهر .

فقد قرر المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي عقد بمدينة دلاهاي ، سنة ١٩٣٢ : أن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن وبذلك صارت مصادر القانون أربعة هي : للشريعة الإسلامية ، والقوانين الفرنسية ، والألمانية ، والانجليزية . وفي مؤتمر سنة ١٩٣٨ للقانون المقارن قرر المؤتمر بصفة قاطعة بناء على تقرير تقدم به مندوبو الجامعة الأزهرية : أن الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها لا تمت إلى القانون الروماني ولا إلى أي شريعة أخرى بصلة وأنها صالحة لجسارة التطور الحديث ، وكان أحد الأعضاء الممثلين للأزهري الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهري الحالي .

ثم حدثت خطوة عملية في سبيل الإبانة عن تفوق التشريعات الإسلامية على غيرها من القوانين الوضعية بطريقة فنية دقيقة لا تدع مجالاً لأي ارتياب فقد قام جماعة من

التي عمادها علوم الدين واللغة العربية - لغة القرآن - قد اكتسبت زعامة العالم الإسلامي من قديم ، وهي بالمكانة المرموقة ، والمنزلة التي لا تدفع عنها ، فإن هي عملت جادة على التخلص من هذه التركة البغيضة تركه القوانين الملفقة من كل قانون ، فستبقى لها زعامتها لاحالة وستزداد قوة إلى قوة ونفوذا إلى نفوذ. (وبعد) فإن في كتب الفقه الإسلامي كنوزا مطمورة وثروة دفينية لو أنها استخرجت وهذبت وانظمت على غرار القوانين ووضع لها الشروح الكاشفة عن أسرارها لكانت مرآة صادقة يرى فيها الغربيون والشرقيون سمو تشريعاتنا وأصالة فقهنا ولا غنتنا عن استيراد القوانين من غير بلادنا ، هذا وفي المقال الآتي سأعرض للمقارنة بين التشريعات الإسلامية والقوانين الوضعية إن شاء الله .

وأيقنوا ميزته إلا أن قاموا بطبعه مرة ثانية (١) .

ولأمر ما توقفت هذه الجماعة عن عملها ولو أنها سارت على هذا المنهج لقدمت لنا الفقه كله على هذا النموذج المصالح ، ولأسدت إلى الإسلام والمسلمين أكبر خدمة تشريعية في هذا العصر الحديث .

على أن الكثرة من علماء الجامعة الأزهرية وبعض علماء القانون على أوفى استعداد لأن يحملوا الأمانة ويكملوا هذا العمل الجليل وبصوغوا الفقه الإسلامي صياغة قانونية عصرية إذا صدقنا النية وأجمعنا الأمر على أن نتخلص من كابوس القانون الوضعي الذي جثم على صدر الأمة ما يقرب من قرن من الزمان بإرادة الاستعمار وأعوانه . إن الجمهورية العربية المتحدة بأزهرها العتيق العتيق وحفاظها على الثقافة الإسلامية الأصيلة

محمد محمد أبو شربة

[١] رسالة الفقه في المجتمع الإسلامي ص ١٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار في حديث له معهم :

إنكم لتكثرون عند الفزع . وتقلون عند الطمع .

من علماء الإسلام : عالم جرى يستشهد للأستاذ محمد رجب البيومي

ونتخدم قما شائعة في دنيا الصراحة المؤمنة
فلماذا لا يقرن بهم يعقوب بن السكيت !
وقد بذل دمه في سبيل رايه ، أما هؤلاء فقه
حفظت لهم أقدارهم في الحياة ، ولم تكن
لأحدهم هذه الخاتمة المؤسسية الآلية وما أريد
بذلك أن أبخس جهودهم العالية ، معاذ الله ،
ولكنني ألحق بهم زميلا طالى المهمة ، وافر
العلم أدى أمانة دينه حين جاهر حاكما ظالما
بقولة الحق ، فخر الدنيا ليفوز برضوان
من الله أكبر ...

كانت الفترة العصيبة التي شهدت حياة
ابن السكيت من أحلك فترات التعصب
والاضطهاد . لأن المأمون مع سعة أفقه ،
وغزارة معارفه ، وولوعه بالبحث والمناظرة
لم يشأ أن يترك للناس أحرارا في آرائهم
الخاصة بل ضاق بخصومه ، وشن عليهم حربا
ظالمة لا طائل وراءها غير التشكيل والتعذيب
والقتل في بعض الأحيان !! مع أن صاحب
الرأي الحر في مضمار البحث العلمي يجب أن
يفصح صدره لمعارضيه ، إذ أن من الجور

كنت أشرت في عبارة موجزة بأحد
أعداد مجلة الأزهر (صفر ١٣٨٠ هـ) إلى
ابن السكيت ، وموقفه الجريء في نصرة
الحق ، ثم قابلني من صفوة القراء من يطلبون
تفصيل الحديث عن هذا الشجاع الباسل
ليكون بجرته الصريحة قدوة محبة لمن يتلمسون
المثل الصالحة لدى علماء يقدسون الحقيقة
ويجاهون الطغيان :

وقد وجدت في نفسي نشاطا سريعا إلى
الحديث عن الرجل ، لأن الذين كتبوا حياته
لم يهتموا كثيرا بيطولته النادرة ، واستشهاده
المثالي ، وإنما أقاضوا في تحليل مكانته اللغوية
والأدبية وتعرضوا لأساذته وتلاميذه من
أئمة اللغة والعلوم السانبة وسردوا فهرس
مؤلفاته وتصانيفه ثم أشاروا إلى موقفه
البطولي في سطور قليلة متضائلة ، مع أنه
ذهب شهيد هذا الموقف النادر ، فلا بد أن
تفصل أدواره الرائعة باهتمام ، وإذا كنا
نردد في كل مناسبة مواقف العزيم عبد السلام
والمندبر بن سعيد ، وسعيد بن المسيب ،

السكيت يتقبوا مكانه الأدبي في مضمار التدريس العلمي والتأليف اللغوي والصرفي ، فأصدر كتباً كثيرة ، لا يزال بأيدينا منها كتاب (إصلاح المنطق) شاهداً بمنهجه وعمقه واستقرائه على مكانة الرجل ودقته ، وقد ذكر ياقوت فهرس مؤلفاته ص ٥٢ ج ٢٠ من معجم الأدباء فأوقفنا على كثر متعدد المعادن متنوع للفنائس ، فالشيخ الثبت يؤلف كتاب القلب والإبدال وكتاب النوادر وكتاب الألفاظ ، وكتاب فعل وأفعل وكتباً مختلفة في الفرق والأمثال والوحوش والفجر والحشرات والأيام والليالي وسرقات الشعراء ومعاني الشعر مما يدل على ذهن متقد وفكر جامع مستوهب ، واتجاه متنوع مختلف ، ونحن نظلم الرجل إذا وقفنا به ضد المضمار اللغوي والصرفي كما يصنع مترجموه ولو كانت بأيدينا مؤلفاته السالفة لوضعناه في مكانه الموسوعي على التحديد لا على التقريب ١١ .

هذا العالم المفضل كان على ثرائه العلمي ذا نفس ثرية حافلة بالخلق العالي والتواضع الخفيد وكان يزن الأشياء بميزان الإسلام لا بميزان التقاليد المترفعة في عصر مختلف الأجناس والنزعات ، وهو بعد كوالده العالم اللغوي إسحاق السكيت كثير الصمت في المحافل وهو صمت المفكر المتأمل الذي يغنيه خاطره

الشائن أن نلزم كل فرد من أبناء العقيدة الإسلامية بأراء المعتزلة في خلق القرآن فإذا كانت لبعض المخالفين وجهة نظرهم الخاصة صحيحة أو باطلة فليس لنا أن نزجهم في أعماق السجون ، وأن نعدبهم بالسياط ونكبلهم بالأغلال . وعاشق الحرية الفكرية هو الذي يمنحها أنصاره وخصومه على السواء أما أن يستغل نفوذه السياسي لمحاربة مذهب فكري لا صلة له بدعائم عرشه ، وهيبة سلطانه فهذا ما يؤخذ به في معرض الموازنة والحساب ! ...

وقد تلا المسامون من الخلفاء ومن نهجوا نهجه في التعذيب والاضطهاد ، لجاء المعتصم والوائق والمتوكل ليضايقوا العامة والخاصة بأهنف ضروب الإعنات ١١ وإذا كان المتوكل على الله قد منع القول بخلق القرآن ونصر أهل السنة في مذهبهم الخاص فإنه انقلب طاغية جباراً يضطهد أفضاء الاعتزال ويملاهم المحابس والسجون ١١ وهذا ما لا يرتضيه منصف حكيم ، لأننا لا ندعو إلى فصرة فريق على فريق ، ولكننا نأمل من الحاكم أن يترك العلماء ومعتقداتهم ما دامت في معتركها الفكري لا تهدم أصلاً من أصول التشريع ، أو تعارض ما يراه من سياسة الدولة في الحكم والتنفيذ نقول . في هذا العصر المضطرب للثائر كان ابن

المأزني فنهروه ، وقال لا تجلس إلى فسأله
المأزني عن سبب ذلك فقال أبو عبيدة رأيتك
مع إنسان خوزي سرق مني قطيفة ١ ، مهما
يكن من شيء فقد كان ابن السكيت أكبر من
أن يعترف بأوضاع زائفة أو يقيم اعتبارا
لقيم تافهة تأخذ البريء بجرم المذنب لو صح
أن ساكني هذا الإقليم مرقاة سارقون ١١
ونحن بعد نرى كل مكان في الدنيا لا يخلو
من الطيب والخبيث ١ ولم يخل ما كتب في
سيرة هذا الإمام الكبير من افتراء مغرض ،
إذ أننا نطالع عنه وعن غيره ، من كبار
المؤلفين أخبارا كاذبة لا تثبت لنظرة واحدة
من نظرات المفسد الزيه ، والسبب الأول في
اختلاق هذه الأكاذيب هو إلصاق المعرفة
العلبية بالخلفاء والحكام تزلفا ومطاعا ثم
يجيء من الرواة من ينقلها دون تححيص مع
أنه لو فهم أن مهمة المؤرخ لا تقف عند الجمع
الحاشد ، بل تتعداه إلى التسييد والتصويب ،
لاتضح له بجلاء باطل ما يسجله عن الأئمة
المتضامين. فقد أجمع مؤرخو ابن السكيت على
رواية هذه الحادثة الملفقة ، والرواية هنا عن
ياقوت معجم الأدباء ٧ ص ١١٧ في ترجمة
أبي عثمان المأزني ، ونقلها ابن خلكان في
الجزء الخامس من الوفيات في ترجمة ابن
السكيت نفسه .

قال الواثق لابن عثمان د صله — أي ابن

المزدهم عن الاشتراك في محادثة لا تسمى
وراء هدف ، أو تعتمد إلى غير الإعلان
والدهاء ، ولعله بسكوته المتأمل قد وفق
كثيراً في رصد معلوماته وتبجع سوانحه ،
وتحليل خواطره فإذا انكشفاً إلى تسجيل
بحوثه أو إلقاء دروسه ساعده التأمل الصامت
على الجودة والإبداع .

د قال الفراء سألت ابن السكيت عن نسبه
فقال في تواضع : خوزي - أصلحك الله من
دورق ، فكشكت أربعين يوماً في المنزل أستحي
من لقاء ابن السكيت لأنني سألته عن نسبه
فصدقتني ، وقول الفراء على اقتضائه يرشدنا
إلى شيء كبير جدا عن ابن السكيت ، فالرجل
وهو في مكان الصدارة العلمية لا يخضع إلى
مصطلحات عصره الزائفة فينكر مولده
ومنشأه ، بل يعترف أنه خوزي من دورق ١١
وقد وقفت كثيرا عند هذه العبارة لأن
مدلولها اللغوي وحده لا يفيد إلا أنه من
خوزستان والنسبة إليها خوزي ، ولكن
مدلولها السياقي يلقى إجماعاً مريباً على منزلة
هذا المكان الثمس ١١ وإلا فكيف يستحي
الفراء من صدق الإجابة حتى يمكث أربعين
يوماً لا يقابل ابن السكيت ، ولعل بما يؤكد
هذا المدلول السياقي بإيجائه المتواضع ما قرأته
بالجزء السابع من معجم الأدباء ص ١٠٩
د من أن أبا عبيدة الغوى دعا تليذه أبا عثمان

أن يرفعوا الخلفاء فوق مستوى المحققين من العلماء ، يفضحون أنفسهم حين يخالفون منطق الأشياء فيأتون بما تقوم آلاف الهواهد على دحضه ، وكأن الأقدار أرادت أن تكشف مبالغاتهم المقيمة حين جعلت هذه الروايات المفتراة تتعارض وتتناقض ليهدم بعضها بعضا ثم لتجلى أنقاضها الشائنة عن ميدان الحقد حين يكشفها باحث دقيق .

هذه أضواء متواضعة نرسلها من بعيد ، لنكشف ملاح ابن السكيت ، فتمهد بذلك إلى حديثنا عن بطولته الباسية ! وقد كتب عليه أن يقوم بدوره المثالي في عهد المتوكل على الله ، ليلقى مصرعه الفاجع على يديه فيذهب شهيد الرجولة في حومة الكرامة والإباء .

كان المتوكل على الله مبدراً متلاقاً ، وطاغية سفاكاً ، أجمع على ذلك مؤرخوه في الحديث والقديم حتى أطلق عليه لقب فيرون العرب ، وفي هذه ابتدا اضمحلال الدولة العباسية . إذ ترك أمور الدولة لقواده ، وانغمس في الملهيات والشراب وانتشرت الرشوة بين الولاة والموظفين ، ولم يبن أحد من الخلفاء من الأبنية مثل ما بنى فمن ذلك القصر المعروف بالعروس أنفق عليه ثلاثين ألف ألف درهم ، والقصر الغريب أنفق عليه عشرة آلاف ألف درهم ، والقصر المختار

السكيت — فقال المازني لصاحبه : ما وزن فكنتل من الفعل فأجابه ابن السكيت : نفعل ، فقال الوراق : غلطت ثم قال للمازني فسرره فقال المازني : نكنتل تقدير ، نفعل وأصله نكنتيل ، فانقلبت الياء ألفا لفتحة ما قبلها ، فصار لفظهم نكنتال . فأسكنت اللام للجرم لأنه جواب الأمر فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، فقال الوراق هذا هو الجواب لا جوابك يا يعقوب !! .

فهذه النادرة الصرفية من الطرائف المختلفة لأن حذف العين في هذا الوضع ليس من الدقائق التي تفوت مبتدئاً في قواعد الصرف فضلاً عن إمام كابن السكيت ألف كتاباً حافلاً عن (القلب والإبدال) وكتاباً آخر عن (فعل وأفعل) ثم لا أدري هل كان الوراق أعلم بقواعد التصريف من ابن السكيت حتى يقول له أخطأت ثم يقول للمازني هذا هو الجواب ! وأين تلقى كل ذلك ! مع أن رواية أخرى ذكرها أبو الفرج وياقوت وعشرات غيرهما تقول إنه - الوراق نفسه - قد استعصى أبا هيثم المازني ليسأله عن خبر ابن في قول الشاعر :

أظلم إن مصابكم رجلاً
ألقى السلام تحية ظم
فليت شعري أينظن إلى العين المحذوفة
من لايفظن إلى خبر إن ، إن الذين يحاولون

ثم يضطرون إلى الملئق المنافق فيبتسمون ضاحكين ١١ لئنه لم يغش مجلس الخليفة قبل اليوم حق لا تقضى عينه بما يؤلم من المشاهد ، وتصك مسامعه بما يصم من الشتائم ١١ .

إنه ليتحدث في همس إلى معارفه ليكون رأيا عاما يستطيع أن يجابه به هذا البغى السافر ، ولكن فقرا من خسروا ضمايرهم المتيقظة يستمعون إلى ابن السكيت لا ليعاونوه على ما ألزم من إصلاح ولا ليلوذوا بالصمت حين تعذر عليهم أن يرتفعوا إلى مصاف الرجال ، بل لينقلوا الحديث إلى المتوكل وأشين متعلقين ! وتأقى الأنباء الطاغية ، فيصمم على أن يخزي الشيخ في مجلسه ليظهر باكيا يستنكر ويتزلف ويقسم الايمان المخلطة أنه لم يقل ولن يقول . هكذا تصور المتوكل على الله ، فأرسل بمن يدعو الرجل لساعته ، فأقدم في وقار المؤمن ، وهدوء الواثق ، ثم فتح عينيه ليرى جلوس الطاغية يتغامزون متضاحكين ، والخليفة ينظر إليه في استمواز مترفع . وقد جلس بين ولديه الأمهين ثم يسأل في تعظيم .

يا يعقوب أترى الأميرين هذين ؟

فيقول في هدوء وقور : أراهما يا أمير المؤمنين ؟

فيبر الخليفة رأسه في محزنة ويرز أسنانه مستهزئاً ثم يسأل : أيها أحسن ؟ ولهاى هذان ،

أنفق عليه خمسة آلاف ألف درهم والقصر المعروف بالوحيد أنفق عليه ألني ألف درهم إلى قصور مائة مثل قصر الماحوزة وقصر الجعفرى وقصر البهو ، وقصر اللؤلؤة ، وقصر الكامل بما يوقف القارىء على تبذير أخرق لا يرعى مال المسامة ، وموارد الدولة ... وكانت هذه القصور جميعها تحتل مكانا فسيحا بسر من رأى يسمى (الموقلية) والبحترى في أوصافها من الآيات ما يعرفه المدارس ... وهو إلى ذلك السغه الأرعن ، والظلم الباطش ، يتسدر بسب آل البيت ، ويرسل أعوانه إلى كربلاء فيهدمون قبور الحسين ويحطمون ما حوله من الدور نفسا وإحراقا ثم يعقد المجالس من هلية وزرائه وخاصة ليشهدوا المضحكين) بمن يمثلون أبا تراب ، ويستهنون برهط على وبنه ١١ ويلتفت الخليفة إلى جلسائه ليسمع صيحات الإعجاب ، ويرى بسات التأييد ، فيعتقد أنه بطل قانع رجع من الميدان مكلا بغار النصر ومسجلا أعظم معارك التاريخ .

وقد عز على ابن السكيت أن يكون خليفة المسلمين بهذه اللعنة التافهة من الرعونة والإسفاف ، وآلمه أن يسمع جلساؤه — وفيهم بعض العقلاء والمتضامنين — أقذار السباب وأوضار الشتائم تنهال على على وفاطمة والحسن والحسين وصفوة آل بيت الرسول

ويشاء القدر الساهر أن يرى المتوكل إجابة
سؤاله صريحة دون كتمان ، حين يتأمر أحد
هذين الأميرين المفضلين على حياته ، فيلقى
مصرعه ذليلاً ضارعا بتدبير ولده تحت سيف
الخدم من الأتراك !! هؤلاء الذين فرغوا من
إعدام ابن السمكيت لينهثوا بعد قليل لسحق
الطاغية العنيد ، فتأكله سيوف الأوشاب
في أيلة رهيبه دامية وتقذف جثته في العراء ،
وبراها الناس فيشمتون بالصريع ويترحون
على يعقوب ثم يصيحون دهشين ! ما أجمل
النار ! لقد انتصفت السماء !

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلميات بالفيوم

أم الحسن والحسين أيها الشيخ المجنون ١٩
فرقع يعقوب رأسه في صلابه ، واتجه بنظره
الفاحص إلى غريمه ثم قال بصوت مرتفع زاده
جلال الإيمان ووقار الشيب روعة وتأثيرا :
إن قنبرا خادم الحسن والحسين أحسن منهما
ومنك يا أمير المؤمنين !!

صدم المتوكل بما لم يكن يتوقع وكسا الخزي
الأحمر وجوه جلسائه ، فقام كالثور الهائج
يرغى ويزبد ، ثم أسر غلبانه الأتراك فطرحوا
الشيخ أرضا ليدوسوه بالنعال ، ثم أتركوه
في سكرات الزرع ، فيحمل إلى داره فاقد
الإدراك ، ويقلب المحتضر الشهيد عينيه في
أهليه مودعا حتى إذا قضى وطرا بما يريد ،
جاءه اليقين فلقى رضوان الله .

(بقيه المنشور على صفحته ١٧٦)

خلكان والغالب أنه لم يتيسر له إنجاز ذلك
الكتاب وكل ما في الأمر أنه هيا الأصول
والمآخذ لتأليف ذلك التاريخ الكبير .

١٦ — كتاب الجنان ورياض الأذهان :
للرشيد ابن الزبير الأسواني وهو في تراجم
الشعراء المصريين . وهذا الكتاب من أمتع
المؤلفات فيه ، وهو من مآخذ العلماء الكتاب
في الخريدة والقاضي ابن خلكان في الوفيات .
١٧ — كتاب الإشارة إلى من نال
الوزارة لابن الصغري .

محمد رضا الحبيبي

عضو مجمع اللغة العربية

١٥ — تاريخ ابن خلكان الكبير :
يستفاد من تضاعيف كتاب الوفيات ومن
مقدمته خاصة أن هذا الكتاب مختصر من
تاريخ كبير لأن خلكان ذكر ذلك غير مرة
ووعده أن يستوفى مباحث الوفيات الموجزة
في تاريخه الكبير . ومن ذلك ما جاء في ترجمة
الحلاج وقد أنجز الكلام فيها إلى ذكر
الضرامطة (١) فقال ... وحدثهم وحروبهم
وخروجهم على الخلفاء مشهور فلا حاجة إلى
الإطالة في شرحه في هذا المكان بل إذا يسر
الله تحرير (التاريخ الكبير) فسأذكر فيه
حدثهم مستوفى إن شاء الله . هذا ما قاله ابن

من معاني القرآن

والضار والنافع ، والحرام والحلال ، فكل ما يضر ويسوء ويستكره خبيث حرمه الله ، وكل ما ينفع ويسر ويستحسن طيب أحله الله وبين الخبيث والطيب بون شاسع ، وفرق واسع - فهما لا يستويان عند الله ولا عنه ذوى العقول السليمة والفطر القويمة ولو كان الخبيث من الوفرة والكثرة بحيث يشير الإعجاب .

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث فالنية الطيبة والسكمة الطيبة والعمل الطيب . والرزق الطيب ، وكل ما أحله الله أو أمر به لا يساويه أو يرقى إليه النية الخبيثة والسكمة الخبيثة والعمل الخبيث والرزق الخبيث وكل ما حرمه الله ونهى عنه ، نخافوا غضب الله واحفظوا أنفسكم من عقابه بامثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وعمل ما يرضيه . يا أصحاب العقول التي أنعم الله بها عليكم لتعرفوا بها ما ينفع وما يضر ، وما يسوء وما يسر ، فإن تقوى الله سبب الفلاح والنجاح ، وعسى أن يصلح الله حالكم إن اتقيتموه وتوخيتم مرضاته فتغوزوا في الدنيا وفي الآخرة بالنجاح والفلاح والحياة الطيبة السعيدة ؟

عبد الرقيب فوده

د قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون .

الخبيث ضد الطيب ، فإذا كان الطيب تستمره النفس وتطيب به وترتاح له وتراه حسنا جميلا فإن الخبيث تسترده وتكرهه وتراه سيئا قبيحا ، ومن ثم كان من رحمة الله بالناس أن د يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، فكل ما أحله الله طيب ، وكل ما حرمه خبيث . وإن خفي على بعض الناس سبب خبثه فإن الله لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو أعلم بخلقهم وبما تستقيم عليه حياة خلقه .

والتقوى ، مأخوذة من الوقاية بمعنى الحفظ والصيانة ، فهي تطلق وتصدق على كل عمل يكون الباعث عليه اتقاء الشر وابتغاء الخير والأساس الذي تقوم عليه هو الخوف من المكروه أو الشر :

والألباب . جمع لب وهو العقل .
الفلاح . للفوز . والظفر .

المعنى :

قل أيها النبي لسلك من يتأني خطابه لا يستوى الردى والجيد ، والسئ والحسن ،

سَيِّحُ تَهَابُهُ الْمُلُوكُ

للأستاذ محمود الشُّرْقَاوِي

« تنمة لما نشر ،

فإن الشيخ الشجاع عز الدين بن عبد السلام
كان ينطق عن رأيه وإيمانه المخلص بأنه
لا يجوز أن تلي ولاية أمر المسلمين امرأة .
وموقفه هذا من دلائل شجاعته وعظمة
نفسه وقوة إيمانه .

٤ - جاء يوم العيد ، وجاء الأمراء
والشيوخ ووجوه القوم يصعدون إلى القلعة
يهنئون السلطان بالعيد ، ووقفت الجند
صفاً صفاً بين يديه والأمراء والشيوخ
ورجوه القوم يقفون حتى يخرج عليهم
السلطان في أبهى زينة وأبهج مظهر وأعظم
نخامة : نخامة سلاطين مصر التقليدية ،
حتى إذا خرج عليهم أسرع الأمراء يضعون
جباههم على الأرض ثم يقبلونها بين يدي
السلطان ... وفي هذا الصمت وهذه الرهبة
سمع الناس وسمع السلطان صوت للشيخ عالياً
يناديه باسمه مجرداً من التثخيم والتعظيم واللقب
والجلالة : يا أيوب ، ما جئتك عند الله إذا
سألك عن ملك مصر هذا الذي أنعم به عليك
ثم ترى الناس فيها يعصون الله بأمرك أنت ؟
فقال السلطان للشيخ - مهوئاً - كيف يقع

٣ - شاء الله أن يخذله الصليبيين وحليفهم
الملك الصالح ، وأن ينصر جيش المخلصين
من المسلمين على يد سلطان مصر : الصالح
نجم الدين أيوب ، فسار الشيخ إلى مصر
الظافرة المنتصرة ، وولاه الصالح نجم الدين
قضاء مصر وخطبتها وعمارة المساجد فيها ،
فأقام ذلك زمناً ثم عزل نفسه ورجا من
السلطان أن يعزله ، فقبل ، ولكنه تكريماً
للشيخ ، أبقى جميع نوابه ووكلائه الذين
اختارهم .

ثم انتقل ملك مصر بعد قليل إلى الملكة :
« شجرة الدر » وأرسل الخليفة المنتصر
« يعاتب أهل مصر ، على توليتهم امرأة ،
ولم يحش الشيخ بطش الملكة القوية وأم خليل ،
فتحدث في بعض كتبه عن ذلك بما لا ترضاه .
ولئن كان لشجرة الدر أكبر الفضل
في إنقاذ مصر والإسلام من أخطر حملة
صليبية (١) ، بحيلتها وثباتها وشجاعتها ،

(١) حملة لويس التاسع ملك فرنسا الذي هزمت
جيوشه وأسر في المنصورة .

ويذكر الله فيخشع ، ويقول له الشيخ الكبير : أما خفت غضبه ؟ فيجيب سلطان العلماء : والله يا بني ، لقد استحضرت في نفسى هيبة الله فصار السلطان في عيني كأنه قط ... !

هـ - تجمع التتار في جيوش كأنها سحب من الجراد ، يهددون بأعظم الخطر بلاد الشام ، ثم جميع البلاد الإسلامية إذا كتب لهم النصر . وأوشك هذا الطوفان المخرب منهم أن يلتهم بجيوش المسلمين في « عين جالوت » ، (١) وكان سلطان المسلمين يحس بغرزه ويدرك بفكره أنه عسير عليه أن ينتصر على هذا الطوفان من التتار . وبعث السلطان إلى سلطان العلماء يستدعيه ويستشيريه ، فقال له الشيخ : (أخرجوا الحربهم مؤمنين بالله وسينصركم) ، ويقول له السلطان : إن المال في خزائني قليل ، وأريد أن أفرض على التجار فرضاً لنشترى منه سلاحاً ، فيقف الشيخ في وجه طمعه ويقول فلا تخلو حديثه من لوم للسلطان وتأنيب : (إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك ، وأحضرت الأمراء ما عندهم من الذهب الحرام ، وضربت هذا وذاك نقوداً وأنفقته على الجيش فلم يكف حاجته ، عند ذلك

ذلك ؟ فأخذ سلطان العلماء ، يعدد السلطان مظاهر هذا العصيان وأماكنه ، ثم قال : يجرى ذلك في ملكك ، وبأمرك . وأنت تغلب في نعم هذه المملكة التي أنعم الله بها عليك ١٠ وكان صوت الشيخ يزجر ويدوى في قاعة العرش ، وجند السلطان وكبار قومه صامتين مهوتين متعجبين يخافون على الشيخ غضب السلطان وبطشه ، ولكن السلطان صاحب السطوة والجبروت ، الذي كان يشهد قبل قليل بسجود الأمراء له ينادى الشيخ « بياسيدي » ، ثم يقول : إني ما فعلت ذلك ، بل وجدته من زمن السلاطين قبل ، فيجيب الشيخ كأنه يزجر ويعلم ويقوم ويلوم : وهل أنت من الذين قال الله فيهم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتنون » ، ... ؟

ولم يجد السلطان الشاخ بدأ من التصاغر والتسليم ، فأمر بأن تبطل تلك المنكرات التي ذكرها الشيخ ، وانتهى مجلس السلطان العيد ، وخرج للشيخ شاخاً راضى النفس ، والناس جميعاً يلهمجون بحديثه ويعجبون ، ولحق به شيخ من كبار الشيوخ يسأله كيف فعل ذلك بالسلطان في يوم زينته وأهنته وأمام قومه ؟ فقال الشيخ العظيم : رأيت السلطان في تلك العظيمة وهذا الشموخ فأردت أن أعيد إليه نفسه وأذكره قدره ليتواضع

(١) قرية صغيرة بين نابلس ويسان ، جرت فيها الموقعة الفاصلة بين جيوش مصر بقيادة « قطز المظفر » وبين التتار سنة ٦٥٨ هـ [١٢٦٠ م] .

اشترأهم سلطانهم أيوب من مال بيت المال ، ثم أعتقهم ولم يصح عند الشيخ هذا وأقضى بأنهم لا يزالون ملكا لبيت المال ، وأنهم لا بد أن يباعوا ، كما يباع الرقيق . ومعنى هذه الفتوى من سلطان العلماء ، أنه يبطل عقود هؤلاء الأمراء ، فلا يصح لهم بيع ولا شراء ولا زواج ، ولا تصرف مما يتصرف به الأحرار . وكان من الأمراء الذين يقع عليهم هذا الحجر والرق : نائب السلطان نفسه . . . واجتمع الأمراء يتداولون هذا القرار الخطير ، الذي أصدره عليهم الشيخ ، ونستطيع أن ندرك من ذلك ما ملأ قلوبهم من الغيظ والسخط واللعجب . وما ملأ نفوس الناس من الإكبار والإعجاب والإشفاق على الشيخ من بطش هؤلاء الأمراء . وما كان يملأ نفسه هو من العزة والسطوة والإيمان والثقة .

أرسل الأمراء بعد اجتماعهم يطلبون الشيخ ليحدثوه في هذا الأمر العجيب . فقال : لا رأي عندي ولا حكم إلا أن نعقد لكم مجلساً يناقش عليكم فيه للبيع ، مثل سوق الرقيق ، ويدخل ثمنكم إلى بيت المال ، ثم يكون عتقكم بطريق شرعي بعد ذلك . ولم يجد الأمراء ونائب السلطان مفرأ من رفع الأمر للسلطان . وبعث هذا للشيخ من يتحدث إليه في أن يرجع عن فتواه ، فلم يرجع .

نستطيع أن نطلب من التجار وغيرهم قرضا . أما قبل ذلك فلا يجوز لك . واستجاب السلطان والأمراء للشيخ فأحضروا ما عندهم من ذهب وجوهر ووضعوه بين يدي الشيخ فأنفقه على جيش المسلمين . ونصر الله السلطان وجيوشه ، وحفظ الإسلام وبلاكه من الحراب والدمار .

٦ - ثم يسجل المؤرخون للشيخ قصة كأنها خرافة . وقف فيها ، منفردا ، بل مستنصرا بسلطان الدين ، وعزة الحق ، أمام نائب السلطان وأمرائه - وكانوا يقتلون النفس ، ويزهقون الروح ، وهم يلهون ويلعبون - وقف سلطان العلماء أمام هؤلاء يستدلهم ويضمهم في موضع العبيد ، بل يبيعهم كما يباحون وينفق ثمنهم في مصالح المسلمين .

قال المؤرخون إن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، سلطان مصر أسرف في شراء المماليك الأتراك وأسكنهم في قلعة الروضة ، وأخذ بعد ذلك يعتقهم ويجعل منهم أمراء يقسطنون على رقاب الناس ، ويكثرون بينهم الأذى والشر . حتى قال في ذلك شاعرهم :

الصالح المرتضى أيوب أكثر من
مترك بدولته ، ياشر بجلوب
قد أخذ الله أيوباً بفعلته

قالناس كلهم في ضر أيوب
وكان بعض هؤلاء الأمراء المماليك قد

إليه مرة أخرى يسترضيه ويستلينه . ولكن الشيخ لم يرض ، ولم يلب ولم يسأير . هند ذلك اشتط بنائب السلطان غضبه وثار سخطه واعتلا قلبه بالغيط . فخرج ثائرا وهو يقول : كيف ينادى هائنا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض وسلاطين مصر ... ؟ والله لأقتله بسيفي هذا . وركب مع جماعته من المايك والقواد إلى بيت الشيخ وسيفه مسلول في يده . وفتح الباب للنائب المانج الغضبان ابن الشيخ ، فلما رآه وفي يده السيف وفي وجهه الشر أسرع إلى أبيه خائفا محذرا . ولكن الشيخ كان مطمئن القلب ثابت الجنان يحدث ولده فيقول : يا ولدي أبوك أصغر شأننا من أن يقتل في سبيل الله . وأسرع فخرج لنائب السلطان كأنه إعصار أو بركان . ولم يقع بصير نائب السلطان على وجه الشيخ وما فيه من عزم وحزم وقوة وغضب ، حتى تحاذلت يده عن سيفه ، وسقط قلبه بين ضلوعه . وبأخ غضبه وبرد غيظه ، واستحال إنسانا آخر ضعيفا متخاذلا يشعر بالصغار والخطيئة ، على ما أجرم في حق الشيخ من التهم على بيته وهيبته وشخصه . وبكى نائب السلطان ، ندما ، أمام الشيخ ، الذي لم يحدثه كلمة . وطلب إلى الشيخ أن يدعو الله له . ثم قال : ما يريد الشيخ أن يصنع بنا ... ؟ (البقية على صحيفة ١٩٢)

وقال السلطان كلمة ينكر فيها على الشيخ أن يدخل في هذا الأمر الذي ليس من شأنه . عند ذلك غضب الشيخ أعنف الغضب ، وأخرج متاعه اليسير وأوكف حماره فوضع عليه هذا المتاع وحميرا أخرى أركب عليها مائلته وأمله ، ثم سارت القافلة ، وهو يمشي خلفها على قدميه ... ! يريد أن يعود إلى وطنه : الشام . وتسامع الناس وتناقلوا أن سلطان العلماء قد غضب على البلد وعلى سلطانها وأمرائه فلن يتخذها له مقراً ولا وطناً . وأن هذا الغضب وهذه الهجرة نذير من النذر على غضب الله وسخطه . ولم يسر الشيخ وقافلته إلا يسيراً حتى لحق به غالب المسلمين ، لم يتخلف من ذلك رجل ولا صبي ولا امرأة ، ولا صبا العلماء والصالحون والتجار وأمثالهم من أهل الرأي والمنزلة . وهرب السلطان الخبر وما حل بالناس من الجزع . وقال له الناصحون : لو هاجر الشيخ وترك مصر يجعل بملكك شريكاً لا تستطيع له احتمالاً ولا دفماً .

وأسرع السلطان فركب بنفسه وسار حتى لحق بالشيخ ، وأخذ يلاطفه ويترضاه ويطلب نفسه بالتودد والملاينة حتى قبل أن يرجع إلى بيته ، ولكنه لا يرجع عن رأيه . وعاد الشيخ وأمله إلى القاهرة . وعلم نائب السلطان أن الشيخ لم ينزل عن فتواه فأرسل

مجتمع الطبقة الواحدة في الإسلام

للأستاذ فتحي عثمان

مقررة إزاء حكاهم ، وهذا هو المعدل الإسلامي

ويقتضيه ظروف انهيار الدولة العباسية ثم يقول في نهاية البحث :

« إن انهيار الخلافة العباسية لا يعني أنه لم يعد هناك مكان للإسلام ومؤثراته في الحياة السياسية لغربي آسيا ... » .

* * *

والأستاذ جب من الدارسين المتعمقين للإسلام وتاريخه ... ومن المتتبعين لحركاته قديما وحديثا ، ومن هنا كان لقوله أهمية . وقد تضمن هذا القول ثلاث مسائل هامة :

* النزعة الثورية في الإسلام .

* النظام العباسي في الإسلام .

* مجتمع الطبقة الواحدة في الإسلام .

وكل من هذه المسائل بعيد الآن عن الفكر الإسلامي المعاصر ... بل قد تكون الأفكار السائدة مضادة لذلك ، ووجهها الجرد والضعف بين المسلمين ، ووجهها الاستشراق والفكر الغربي !!

فن الأفكار الدائمة أن الإسلام هو استسلام ، ويأتي هنا الفهم الخاطئ . (للقضاء

في حلقة دراسية نظمها مركز الدراسات العليا المتخصصة في تاريخ الأديان بمدينة استراسبورج من ١٢ إلى ١٤ يونيو ١٩٥٩ ، ألقى الأستاذ جب H.A.R. Gibb بحثا عن « الدولة والدين في عهد العباسيين الأوائل Government and Islam under the Early Abbasids » ، كان مما جاء فيه (١) :

« إن الإسلام كنظام سياسي ، كان يحمل في أصوله فكرة ثورية تتحدى التقاليد القديمة للحكومة السياسية في غربي آسيا وهذه هي فكرة مجتمع الطبقة الواحدة one class society التي يكون فيها بعض الناس حاكمين والآخرين محكومين ، لا على أساس مييزات المركز والوضع status ولكن على أساس من مييزات الصلاحية لوظائفهم المعينة وكل من الحاكمين والمحكومين سواء أمام مزاج من الحقوق والواجبات المتبادلة التي فرضها الوحي الإلهي . ويفرض على الحاكمين بوجه أخص واجبات تجاه إخوانهم المسلمين — إخوانهم لا رعاياهم ، كما أن للمحكومين حقوقا

(١) نص البحث في مجموعة دراسات الحلقة التي نشرت بالفرنسية بعنوان .

L'Elaboration de l'Islam - Paris 1961

وتاريخ الإسلام... رصيده لتجارب الكفاح
الثورى المتصل ...

كفاح ضد طواغيت قريش ، وضد
طواغيت الروم والفرس ...

كفاح ضد طغيان الحكم ولو كان الحاكم
أمويًا أو عباسيًا ، وكفاح ضد عدوان الغزو
الأجنبي ... ضد الصليبيين والمغول ... ثم ضد
المستعمرين الغربيين في العصر الحديث !!
ومع ذلك يقال إن الدين مخدر ، وإن الإسلام
احتسلا ...

وغفل القائلون عن أن الانقياد لله عصمة
من الانقياد للأهواء والجبابرة ... وعصمة
من اليأس من مجاهدة الأهواء ومقاومة
الجبابرة !!!

« ولا تنهوا في ابتغاء القوم إنهم تكونوا
تألمون ، فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من
الله ما لا يرجون وكان الله عليا حكيما . »

« الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ،
لم يمسسهم سوء ... » .

« وما لكم لا تتقاتلون في سبيل الله ،
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية

والقدر) ، واطاعة (أولى الأمر) مما كان
يروجه بعض مشايخ الطرق في المغرب
وبمستفيد منه الاستعمار الفرنسى !!

والهزعة الثورية في الإسلام ، حقيقة تنطق
بها تعاليم الدين وأحداث التاريخ ...
فالإيمان بالله واحد ، لإفراد له بالخصوع
والانقياد ، وكفر بمن عداه من الطواغيت
والجبابرة ...

فهو وحده العزيز الجبار المنكبر ، وهو
وحده الذى يحمد على كل حال ، وهو وحده
الذى لا يُستلّ هما يفعل ... لكن الناس
جميعا يستلون !!

واقه تعالى قد أمر بالعدل ، ونهى عن
البغي ... وقد ورد أن أشد للناس عذاباً يوم
القيامة رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل
عليه الجور في عدله !!

واقه تعالى قد أمر المسلمين أن يتناصفوا ،
وأن يكونوا بدأ واحدة على من بغي وعلنى :
« فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا
التي تبغى حتى تنفي إلى أمر الله ، !! »

فالؤمن بطبيعة إيمانه لا يعبد إلا الله ...
ولا يدين بمشاعر الخوف والرجاء لأحد سواه .
وهذا الإيمان في المؤمن طاقة ثورية

هائلة ... موصولة بمصدر لا ينفد . هو
رب العالمين ، الذى له جنود السموات
والأرضين ، وخزائن السموات والأرضين !!

والحكومات ، وإذا بالزعماء متدينون ،
والأحزاب مسيحية ، والحكومات صليبية :
سواء في محاربة الشيوعية أو في محاربة الإسلام ! .
ومع ذلك فقد نفذت الأسطورة إلى
عقولنا ... الأسطورة التي لا تتلام مع
تاريخنا ، ولا تتلام مع حاضر الغرب ...

فديننا دين العدل ، الذي يعلن الجهاد
المقدس ضد البغي ...

وخلفاؤنا المسلمون لم يدعوا عصمة ولا
قداسة ، بل كانوا بشرًا يقومهم الرعية إذا
أخطئوا ، وباتمسون الرأي ويدينون
بالشورى ...

وجماهيرنا كانت تحاكم حكماها إلى الإسلام ...
وحين يحور الحكم أو ينحرفون نرى علماء
الإسلام قوادا شعبيين ضد الحكم الجائرين ..
وكما سجل تاريخنا جهود أبي بكر وعمر ومعاوية
وعمر بن عبد العزيز والرشيذ والمأمون —
وهم حاكرون ، سجل كفاح أبي ذر وابن الزبير
والحسين وابن تيمية والعز بن عبد السلام
وعمر مكرم — وهم قواد شعبيون ناثرون
من أجل العدل !!

فإذا تركنا جانباً (العقد النفسية) التي
تغشى المشاعر والأفكار عند الحديث عن
(نظام الإسلام السياسى) وعالجنا البحث
الموضوعى لأصول هذا النظام وجدنا أصولا
لا يضيق بها عقل أو منصف فى الأرض ...

الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً
واجعل لنا من لدنك نصيراً ...

الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين
كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت
فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان
كان ضعيفاً . .

« قل هل تربصون بنا إلا لإحدى الحسنيين
ونحن تربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من
عنده أو بأيدينا فتربصوا ، إنا معكم
متربصون ، ١١١

* * *

والنظام السياسى فى الإسلام ... شىء
لا يطبقه الفكر الغربى وتلاميذه ... لقد
فصل هناك أخذود غائر بين السياسة والدين ،
ولا يراد إقامة أبى جسر للعبور والاتصال .
إن معاودة الاتصال بين السياسة والدين ،
فى الغرب معناه عودة تاريخ مرير : صراع
الامبراطورية والبابوية ... ثم صراع
البروتستنت والكاثوليك ... ثم تحالف
الأشراف والسكهنوت ضد العامة ... ثم
مذابج التعصب ومحاكم التفتيش وقرارات
الحرمان ... إلخ .

ومن هنا فصل القوم فى الغرب بين السياسة
والدين ... وما كادوا يسرون فى طريق
الانفصال ، حتى استحال عليهم الشذوذ من
الفطرة ، فإذا بالدين يوجه الأفراد والهيئات

في الإسلام من أصل عميق مسكين ... من الإيمان ذاته ...

فالله وحده هو الذي له الاستعلاء والكبرياء والناس بعد ذلك سواء ، وهم أشباه وأنداد ، إذ كلهم مخلوقون وكلهم عباد الله ...

(وحقيقة الإيمان تستحق هذا الرتل المتعاقب من رسل الله ، وتستحق ما لقوا من عنف في سبيل الله ...) .

(إن الإيمان بأن لا إله إلا الله ، يفرد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء التي لا تنبغي لأحد غيره ، فهو الحاكم القهار وحده الذي فطر الناس على معرفته وطاعته ، يسلبون له في السراء والضراء ولا يحمدون على مكروهه سواء ... أما موقف البشر مع بعضهم فهو غير هذا الموقف ، إذ يختارون حاكمهم — فلا يفرض عليهم ، ويناقشونه الحساب فيحمدون له ويسخطون منه ... ولا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون ،) !! .

(والإيمان بأن لا إله إلا الله ، يفرد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء التي لا تنبغي لأحد غيره ، فهو وحده ، ليس كمثله شيء ، وهو وحده ، لم يكن له كفوا أحد ، ...) . والناس بعده ذلك كلهم أشباه وأنداد ، كلهم مخلوقون وكلهم عباد ، وكلهم في ذلك سواء . وهم حين يحرسون سوايتهم يحرسون إيمانهم حتى لا يعلو عليهم إلا الخالق المعبود

فلسفة النظام السياسي في الإسلام تقوم على العدل ، والشورى ، والنزاهة والساحة ، والعزة ... إلى غير ذلك من الأصول التي لها ترجمتها التشريعية في تفاصيل النظام ، مما هو متروك للفقه الدستوري والإداري والدولي عند المسلمين .

وحسبنا أن نقول إن نظام الإسلام السياسي يقدر الحرية ، ويقرر الحقوق السياسية والاجتماعية ، ويضمن إنفاذها ... وقد وقف أول خليفة مسلم يقول : (إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتوني على حق فأطيعوني ، وإن رأيتوني على باطل فقوموني ... أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم ... الضعيف فيكم قوى عندي حتى أخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه) ... وعلق الإمام مالك على هذا الخطاب الخطير للخليفة الأول فقال : لا تصح خلافة إلى على ما اشترطه أبو بكر !! .

* * *

أما مجتمع الطبقة الواحدة الذي يفشده المفكرون والمصلحون من قديم ... فلا يقوم إلا على أساس ، من الأعماق ...

وهذه خصيصة الإسلام ... إن (المساواة الإنسانية) قد نبعت

في الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم
على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء
أفبنة الله يحدون ، ٩٩ .

(وجملة القول أن الإيمان بأن لا إله
إلا الله ، إعلان للأخوة الإنسانية ، عن طريق
إفراد الله بالربوبية ... ، ١٠١ هـ (١) .

فهل ترانا نقف عند لفظة (جب) ...
ونتدبرها ، ونعرف سرها بالرجوع إلى تعاليم
ديننا ، وننتفع من هذه التعاليم في تحقيق الآمال
المرموق وإقامة المجتمع السعيد ١١٩٩ .

نرجو أن يكون لنا إدراك (جب) ،
وإخلاص المؤمنين ٩ .

فقه عثمان

(١) رسالة (الدين والواقع) لكتاب السطور .

ويعودن بالله ، من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب ، ١١ .

(والإيمان بأن لا إله إلا الله ، بفرد الله
بخصائص الاستعلاء والكبرياء التي لا تنبغي
لأحد غيره ، فهو وحده الرزاق الذي يعطي
ويمنع ، ليلو الناس هل يؤدون الحقوق
وهل يطلبون الحقوق ... والخلق بعد ذلك
مطالبون بأن يتداولوا عطاء الله بينهم بالقسط
د كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ،
مطالبون بالآلا يتحلوا لأنفسهم حقوق المالك
الأصيل الذي استخلفهم على خزائنه
د وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، ...
فلا تحصد للطبقات ولا تأييد للفوارق ، بل
توجيه للتكافل والتضامن من زاغ عنه فقد
جحد نعمة الله د والله فضل بعضكم على بعض

(بقية المنشور على صفحة ١٨٧)

وأنفقها في مصالح المسلمين . وكان يوما
مشهوداً وأمرأ عجبا وعزة للدين ليس لها
مثيل ولا نظير .

هذا هو العزيز بن عبد السلام : سلطان
العلاء ، وأولى به أن يسمى سلطان
السلطين .

محمود الشرفاوى

قال : أبيعكم في د مزاد ، عام ... ا وقال
وماذا تصنع بثماننا ... قال الشيخ : أنفقته
في مصالح المسلمين . فقال النائب : ومن الذي
يقبض الثمن وينفقه ... ؟ قال الشيخ : أنا
الذى يبيع ، ويقبض وينفق .

وكان للشيخ ما أراد : أقام لغائب السلطان
والأمراء سوقاً فنأدى عليهم للبيع واحداً
بعد واحد . وغالى في أثمانهم ، وقبضها ،

البيان العزني

للأستاذ علي محمد حسن العاري

- ٢ -

فياقوت اضطرب رأيه ، ثم إن القاضي توفي سنة ٣٦٦ هـ على ما صحح ابن خلكان ، أو سنة ٣٩٢ هـ على ما ذكره ياقوت ، وعبد القاهر توفي سنة ٤٧١ هـ ، أو ٤٧٤ هـ . وعلى أي من التاريخين في وفاة القاضي فيبعد أن يكون عبد القاهر تلميذا له يفتخر بالاتباء إليه ، لأن بينهما نحو قرن تقريبا ، ولم يذكر أحد من الذين ترجوا لعبد القاهر أنه عثر طويلا .

وكان على المؤلف أن يحقق هذه المسألة ، وألا يقع في هذا التناقض ، وبعض الباحثين يرجح أن القاضي كان أستاذ عبد القاهر في الثقافة والروح ، وهو أمر غير مانحن فيه . أما ياقوت ، فعليه سماع الخبرين فأثبتهما دون أن يتنبه للتناقض بينهما ، أو لعل كتاب (المعجم) ليس كله لياقوت كما صح عند أحد الباحثين من أن ما وجد من كتاب ياقوت ينتهي في الصفحة ٢١٤ من الجزء السابع من طبعة سنة ١٩٣٨ م وهي آخر حرف الجيم (١) .

٢ - ذكر المؤلف في هامش ص ١٩٣ في ترجمة القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني أن من تلاميذه الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، ونقل عن ياقوت أن عبد القاهر قد قرأ عليه ، واغترف من بحره ، وأن عبد القاهر كان إذا ذكر القاضي تبخبخ به ، وشمخ بأنفه بالاتباء إليه .

ثم أعاد مثل ذلك في ص ١٦٠ ، فقال عن الشيخ عبد القاهر : قال السيوطي : إنه أخذ النحو عن ابن أخت أبي علي الفارسي ولم يأخذ عن غيره لأنه لم يخرج من بلده ، ثم علق المؤلف قائلا : ولعل هذا في النحو فقط ، أما الأدب فإن من أهم أساتذته فيه القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة .

قلت : وقد ذكر ياقوت نفسه في ترجمة محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت علي الفارسي ، أنه استوطن جرجان ، وقرأ عليه أهلها منهم عبد القاهر الجرجاني ، وليس له أستاذ سواه (١) .

(١) مجلة الرسالة ص ٧٦٥ .

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٨٧ ط دار للأمن

إلى البديع ، ولم يأت غير رأينا فله اختياره (فابن المعتز - إذن - يفرق بين البديع وبين محاسن الكلام ، وهذا ما فهمه ابن رشيق حيث قال في العمدة : (على أن ابن المعتز وهو أول من جمع البديع وألف فيه كتابا لم بعده إلا خمسة أبواب أولها الاستعارة ثم التجنيس ثم المطابقة ثم رد الإعجاز على الصدور ثم المذهب الكلامي ، وعد ما سوى هذه الخمسة الأنواع محاسن ، وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعا) .

فالامر واضح في أن ابن المعتز يفصل بين الأنواع الخمسة الأولى ، وبين الأنواع الثلاثة عشر الثانية ، فلا داعي للافتراضات في هذا الصنيع ، وإنما الذي يحتاج إلى التعليل هو لما ذاسمى النوع الأول بديعا ، وسمى النوع الثاني محاسن ، وقد حاول ذلك صاحب كتاب (بلاغة أرسطو) غير أنه افترض فرضا قال : (وهناك شيء ثالث يمكن أن يفسر لنا هذا الفصل بين « البديع » ، و « المحاسن » . أيكون ابن المعتز قد عرف شيئا من بلاغة أرسطو ، ادعاه ودونه في القسم الثاني بعد أن سلم القسم الأول للعرب وللشعر العربي ١٢ . هذا يمكن ! ولكنه يحتاج في إثباته إلى تثبت) ثم انتهى به التثبت إلى أن القسم الثاني الذي جمع فيه ابن المعتز محاسن الشعر أو الكلام من خاصة تفكيره .

فإذا صح ذلك كان منقضا هذا الاختلاف هو العبث بكتاب المعجم .

٣ - عرض المؤلف لصنيع ابن المعتز في تقسيم كتابه قسمين (١) البديع (٢) محاسن الكلام .

ورأى تعليلا لذلك (أن ابن المعتز لم يؤلف كتابه في وقت واحد ، بل ألفه على مرحلتين ، وقد أحصى في المرحلة الأولى الفنون الخمسة المذكورة في البديع ... ولعل ابن المعتز سمع بعد ذلك من بعض النقاد والمتبعين اعتراضا على قصر البديع على الفنون الخمسة الأولى ، وأنهم رأوا البديع أكثر مما ذكر ، فأقرم على دعواهم ، وكتب بقية المحسنات وضمها إلى الفنون الخمسة لينفي عن نفسه مظنة الجهل بتلك البقية .

وواضح من هذا الكلام أن ابن المعتز يرى أن الأنواع الأخيرة التي عنوانها بمحاسن الكلام من البديع ، وأنه أضافها بعد الاعتراض عليه ، ولكن التأمل والدراسة يؤديان إلى أن ابن المعتز كان يرى أن البديع غير محاسن الكلام ، ودليل ذلك من كلامه هو ، قوله بعد أن أورد الأصناف الخمسة الأولى : (قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكل عندنا) وقوله مرة أخرى : (فمن أحب أن يقتدى بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا

وجعله أساس كل جمال في العمل الأدبي هي السائدة في هذا الكتاب .

والحقيقة أن رأى عبد القاهر مضطرب - في الظاهر على الأقل - وأن كل الذين كتبوا عن عبد القاهر تنهوا إلى هذا الاضطراب ، وحاولوا التوفيق بين نظريتيه ، فالحطيب القزويني يوفق على النحو الذي ذكره المؤلف والدكتور مندور يرى أن النظريتين : نظرية الدلائل ونظرية الأسرار متعارضتان وذلك بعد أن يقول في موضع آخر : (ينكر عبد القاهر كل منزلة في اللفظ ^(١)) .

والدكتور ابراهيم سلامة يعترف بأن عبد القاهر لا ينكر قيمة الالفاظ جملة ، وإنما يريد أن يحدد مكانها في النظم ، ويفر كل الفرار من أن تكون المزية البلاغية في اللفظ وحده ، ويعيد قول الخطيب القزويني بأسلوب مصري ، فيرى أن عبد القاهر في تقريره للصورة وللتصوير الذي أفاض الكلام فيه وفي كتابه (أسرار البلاغة) يدخل عنصرا ثالثا في النقد الأدبي الذي لا ينبغي أن يقتصر على تقدير المعنى ، والالفاظ فقط بل لابد فيه من مراعاة للصورة التي تحدث من اجتماعهما ^(٢) . وهو بذلك يفسر قول عبد القاهر : (ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير

وقد كنت أحب لصاحب (البيان العربي) أن يثبت هو أيضا ليصل من وراء البحث إلى أن ابن المعتز ألف كتابه في فترتين ، أو في فترة واحدة . على أنه لا حاجة لما قلت لافتراض الأستاذ إلا إذا سلمنا له أن البديع ومحاسن الكلام - في نظر ابن المعتز - شيء واحد ونحن لا نسلم له ذلك ، فليبحث من يشاء ليعرف السر الذي جعل ابن المعتز يفصل بين النوعين .

٤ - أصر المؤلف على أن الشيخ عبد القاهر زهير مدرسة المعاني والأفكار ، وإذا كانت البلاغة تعنى قبل كل شيء بالأسلوب وهو مجال تلك الصناعة فإن عبد القاهر على هذا من الذين يناوئون ذلك الرأي ويسرون في اتجاه واحد معضاد لاتجاه سير البلاغة .

ومع أن المؤلف سجل في كتابه أن الخطيب القزويني فطن إلى التناقض في رأى عبد القاهر الذي ينادى بأن البلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إقادته المعنى عند التركيب ، وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا ، وهو مراد عبد القاهر بما يكرره في دلائل الإعجاز من أن الفصاحة راجعة إلى المعنى دون اللفظ مع هذا تناسى هذا التناقض في رأى عبد القاهر وبني كل حديثه على أن عبد القاهر يرجع الجمال في الكلام إلى معناه فقط ، حتى في أسرار البلاغة، فنظرة عبد القاهر إلى المعنى وإكباره

(١) مجلة الثقافة ص ١٢ العدد ٢١٦ .

(٢) بلاغة أرسطو ص ٣٨٩ .

متخلفين من كثير منه ، يقدمون ويؤخرون
ويقلون ويكثرون ، قد يوبوه أبواباً مبهمه ،
ولقبوه ألقاباً مبهمه ، وكل واحد منهم قد
ضرب في جهة وانتحل مذهباً هو فيه إمام
نفسه وشاهد دعواه ، فجمعت أحسن ما قاله
كل واحد منهم في كتابه ليكون العمدة في
محاسن الشعر وآدابه إن شاء الله .

والذي أفهمه من قول ابن رشيق أن كثيراً
من تسكلموا في الشعر لم يرجعوا إلى أصول
ثابتة في النقد ، ولم يخضعوا إلا لأهوائهم
الخاصة ، فكل منهم يستحسن معتمداً على
قريحته ، ويضع الألقاب على حسب ما يميله
عليه رأيه ، ولا يجد إنساناً آخر يوافقه على
مذهبه ، وقد نفهم من هذه العبارات ،
ما يقوله بعض النقاد المحدثين في أحد الكتاب
البارزين إنه يفصل آراءه على نفسه ، بمعنى
أنه يستحسن من الكلام ما يحسنه ، فإذا كان
يجيد القصة ، فهي أرقى فنون الأدب ، وإذا
كان يجيد نوحاً خاصاً من القصة فهذا النوع
هو أفضل الأنواع ، وهكذا . فلعل ابن
رشيق يريد أن هؤلاء الذين يوبوا الشعر أبواباً
مبهمه ، وانتحلوا فيه مذاهب كل منهم إمام
دعواه فيها ، من هذا النوع الذي لا يستحسن
من القول إلا ما يحسن ، ويعتبر نفسه دليلاً
على جمال هذا اللون .

ولو فهمنا من قول ابن رشيق ما فهمه

والصياغة وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه
سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه كالفضة
والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار ، فكما
أنه محال إذا أردت النظر في صوغ الخاتم
وجودة العمل ورواءته أن تنظر إلى الفضة
الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع
فيه ذلك العمل كذلك محال أن تعرف مكان
الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد
معناه .

ومن هنا يتبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك
أن عبد القاهر لا ينكر قيمة اللفظ ، ولا
يجعل الفضيلة كلها للمعنى ، وإذا كان الأمر
كذلك فقد كنت أحب مؤلف البيان العربي
أن يتنبه لهذه المشاكل ، وأن يحاول أن
يضع لها حلاً ، وبذلك يضيف جديداً في
الكشف عن اتجاه هذا الإمام العظيم .

هـ — قسا المؤلف على ابن رشيق صاحب
العمدة ، وحمله الدعوة إلى توقف العقول
والأذواق عن البحث حيث يريد ابن رشيق
— على ما فهم المؤلف — أن يجمع العلماء والنقاد
على كلمة واحدة لا يختلفون عليها ، قال :
ولقد كانت هذه الدعوة أهم الأسباب في
توقف البلاغة العربية وتحلفها عن متابعة
الأدب ، ووصد حركات تقدمه .

وهو يشير إلى قول ابن رشيق في المقدمة :
« ووجدت الناس مختلفين فيه — يريد الشعر —

القرن الخامس الذي عاش فيه ابن رشيق ،
ويثبتنا العملية تختلف عن بيئة ابن رشيق
في المغرب في ذلك العصر ، فإذا كنا نأثري
في تأليفنا ، فذلك لا يغض من شأن صاحب
العمدة ، ما دامت طريقتنا لا تبعد كثيراً
عن طريقته .

على أن ابن خلدون قد ذكر (العمدة)
أكثر من مرة ، فامتدح الكتاب ، وذكر
في باب صناعة الشعر أن هذا الكتاب (هو
الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة ، وإعطائها
حقها ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده
مثله) وقال في موضع آخر من هذا الفصل :
(وبالجمل فلهذه الصناعة وتعلمها مستوفى
في كتاب العمدة لابن رشيق ^(١)) .

وقد شهد له بعض العلماء المحدثين ، وإن
كان رى كتابه بأن فيه عوجاً ونقصاً ، ورى
ابن رشيق بأن عقله لم يكن يعرف الربط ،
قال : د ومع ذلك فينبغي ألا نغبط ابن
رشيق حقه ، إذ ليس من شك في أنه تعب
في جمع هذه المادة وترتيبها على هذا الفسق
الذي اختاره لنفسه ، وإن من يتبعه في عرضه
لذلك المادة الوفيرة يجد له كثيراً من الأفكار
الذرية ^(٢) .

المؤلف ، فهل لنا أن نقول إن دعوة ابن
رشيق هذه هي التي وقفت بالبلاغة ، وكانت
سبباً في تخلفها ، إننا نعد هذا كثيراً على جماعة
من المؤلفين وكيف تلقى هيبته على مؤلف
واحد ، إن تخلف البلاغة عن متابعة الأدب
له أسباب كثيرة لا اعتقد أن المؤلف يجملها
وهي لم تصنع في عصر واحد ، ولا من رجل
واحد ، فكيف تكون دعوة ابن رشيق من
أهم الأسباب التي دعت إليها .

وابن رشيق عند المؤلف ضيق الأفق في
البحث البياني ، ولا يحسب له في كتابه إلا القليل
الجيد ، وهو ليس إلا حاكياً آراء السابقين .
ونحب أن نقول للمؤلف أن ابن رشيق
ألف كتابه في صناعة الشعر ونقده ، وأنه له
نظرات جيدة في النقد ، تتصل بنقد شعراء
عصره ، فلو قلنا إنه نقل — فقط — عن
المتقدمين ولم يزد شيئاً في بعض الأبواب
عن الأقوال المأثورة عن السابقين ، أفلا
يكون ذلك عملاً يستحق الثناء ، وهل يسمع
لنا المؤلف أن نقول له إن صفيته في كتاب
(البيان العربي) هولون من صنييع صاحب
العمدة ، ذاك روى لنا ما قاله المتقدمون
في النقد والبلاغة وهذا أرخ لتطور الفكرة
البيانية ، فكيف نحرم على ابن رشيق
ما نجيده لأنفسنا ؟

لا شك أن طبيعة عصرنا تختلف عن طبيعة

(١) المقدمة ص ٥٨٤ - ٥٧٥ ط التجارية .

(٢) مجلة الثقافة العدد ٢٨٠ . شوقي ضيف .

إيراد الكلام بطرق مختلفة في الوضوح بعد مراعاة المطابقة لمقتضى الحال ، ومعنى ذلك أن الشاعر أو الكاتب يريد أن يصوغ معنى ، فيأتى بتشبيه أو مجاز أو كناية ، فهو حينئذ أخذ بجزء من علم البيان ، فإذا لاحظ أن هذا الأداء يطابق مقتضى الحال كان آخذاً بالعلم كله ، فالنظر في هذه الصور البيانية (التشبيه - المجاز - الكناية) يتأتى من ناحيتين ، من ناحية أنها صور يعبر بها عن المعاني ، ومن ناحية أنها تطابق أو لا تطابق ، والنظرة الثانية هي موضوع علم المعاني والنظرتان معاهما موضوع علم البيان ، ولذلك قالوا إن علم المعاني من علم البيان بمنزلة المفرد من المركب ، على أن ابن السبكي يناقش هذا الرأي فيقول : (لا نسلم أن علم البيان يتوقف على علم المعاني ؛ لجواز أن يعلم لإنسان حقيقة التشبيه والكناية والاستعارة وغير ذلك من علم البيان ، ولا يعلم تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، فليس علم المعاني جزءاً من البيان ، ولا لازماً له) (١) .

وقد قالوا : تطبيق الكلام على مقتضى الحال كالمادة ، وهذه الطرق كالصورة والمادة ليست جزءاً من الصورة .

والمشهور عند علماء البلاغة السكاكية أن أى بحث إذا نظرت إليه من زاوية المطابقة

وذكر أنه كان موقفاً في باب اللفظ والمعنى وفي باب موضوعات الشعر وفي باب المعاني المحدثه .

وأياً ما كان فإن المادة الأدبية التي ذكرها ابن رشيق في كتابه ، والآراء النقدية التي حفل بها الكتاب لها خطرهما في بناء هيكل البيان العربي سواء من حيث المصير إلى التعميد ، ومن حيث التذوق الفني للمعاني الأدبية .

٦ - المؤلف : وأنا أقول ذلك على كره مني - لم يطل النظر في البلاغة السكاكية ولو أنه أمعن النظر في بعض الشروح والحواشي التي عنيت ببسط قواعد هذه البلاغة لكان حزيناً أن يكتب بعض ما كتبه عن (البيان البلاغي) بغير الطريقة التي كتبه بها .

السكاكي فصل علم المعاني من علم البيان ، للملاحظة لاحظها ، ذلك أنه جعل الغرض من علم المعاني الاحتراز عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره وجعل موضوع علم المعاني هو البحث في اللفظ العربي من الناحية التي تؤدي إلى هذه الغاية ، فعلم المعاني عنده هو معرفة خواص تراكيب الكلام ، أما علم البيان فهو معرفة صياغات المعاني ، ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها ، وقال إن علم البيان يتوقف على علم المعاني ، ذلك أن علم البيان هو معرفة

قدرة وتقليداً كل الذين خلفوه في أدبه وبيانه وحاولوا أن ينسجوا على منواله من غير أن يعلم علم الاستدلال الذي يجعله السكاكي أساساً من أسس البيان ، ومن غير أن يعلم بلاغة السكاكي أيضاً) فإذا أراد المؤلف من هذا ؟ هل أراد أن السكاكي - وهو العالم الجليل - وقع في خاطره أن العربي لم يدبج البيان الرفيع إلا بعد أن درس بلاغة السكاكي ؟ هل أراد أن السكاكي وضع هذه الضوابط والقواعد ليتعلم الناس للبيان ؟

إن السكاكي أجاب في صراحة عن هذا الذي ، ما أظن المؤلف ظنه بالسكاكي . فقال بعد أن ذكر أقوالاً أربعة في إعجاز القرآن : (يخمسها ما يحده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة واللفصاحة ، ولا طريق لك إلى هذا الخامس إلا طول خدمة هذين العليين بعد فضل إلمى من هبة يهبها بحكمته من يشاء ، وهي النفس المستعدة لذلك فكل ميسر لما خاق ^(١)) .

فإدراك إعجاز القرآن بالذوق ، والذوق لا يكون إلا بشرطين : الأول طول خدمة هذين العليين . وطبعاً لا يعني السكاكي بطول خدمتهما حفظ قواعدهما ، وإنما يعني النظر في مصادرهما ، وتطبيق الشواهد على القواعد

(البقية على صفحة ٢٠٤)

وعندها فهو من علم المعاني ، فلو نظرت إلى السجع هذه النظرة كنت صادراً في بحثك عن هذا العلم وإذا نظرت إليه من ناحية أنه يزيد الكلام حسناً كنت صاحب بديع ، وهكذا النظر في غيره من المحسنات البديعية . أو من الصور البيانية .

وأظن بعد هذا البيان لا نجد مسوغاً للمؤلف أن يقول : ومن هنا يتبين الخطأ في قصر تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال ذكره على مسائل علم المعاني ، فإن ذلك شامل لفنون البلاغة جميعاً .

فلو أنا وضعنا هدف كل علم عربي في العلوم الأخرى لما أمكن فصل مباحث هذا العلم ، ألا ترى أنه لا بد في السجع وغيره أن نلاحظ أحكام النحو والصرف ، فلم نجعل ذلك في هذه العلوم ؟ إننا ولا شك لا نحكم على كلام بالجوذة حتى يكون مستوفياً لكل ما قرره علوم العربية ، ولكننا حين نصنف نرجع كل مسألة إلى علمها ، وهذا هو الشأن هنا ، فلو نظرت في المحسنات البديعية من ناحية مطابقتها ، لم تكن صادراً عن ضوابط علم البديع ، وإنما كنت صادراً عن ضوابط علم المعاني . وهكذا .

ولقد عجبت لقول المؤلف : (لقد كان العربي البادي في جزيرته يصوغ المعاني المعجبة ويدبج البيان الرفيع الذي اتخذ منهجه فيه

رِزَارُ التَّجْدِيدِ فِي شِعْرِ الْعَرَبِيِّ :

المازني شاعراً

للأستاذ العوضي الوكيل،

وفیصل الأمر بین القديم والحديث ليس في موضوع الشعر نفسه ، وإنما هو في إحساس الشاعر بهذا الموضوع ، ونقله عن هذا الإحساس .

وانتشرت الدعوة بين الناس حينذاك ، فتلقاها بعضهم تلقياً غريباً ، فإنه - حين أراد أن يكون شاعراً هضرياً - دون ما وصف القدماء وما شهروا في ديوان ، ثم قال متحدياً معارضاً ، فإذا وصفوا الناقة مضى هو إلى الطائفة والقطار ، وإذا ذكروا هنداً ودعداً والرباب مضى هو إلى أسماء النساء المستحذات في العصر فأوسمها غزلاً وتشبيهاً .

وضحك المازني - رحمه الله - وزميله ، وأنصارهم من هؤلاء المقلدين في إنكار التقليد وسموم أصحاب مذهب الابتداع التقليدي ، لأنه في حقيقة أمره لون من ألوان التقليد ويقول العقاد عن هؤلاء : لو أن الشاعر منهم كان نقاشاً لما عرف كيف يطل جداره باللون الأبيض ، ما لم ير أمامه جداراً أسود الدمان .

وإذا كان الشاعر العربي قد أصابه الركود

منذ نيف وخمسين سنة وقف المازني يدعو إلى مذهب جديد في الشعر ، مع زميلين شاعرين هما العقاد وعبد الرحمن شكري .

ولم تكن دعوتهم محاربة القديم ونبذه ، وإنما كانت دعوة إلى الابتداع ، وترك التقليد ، والاستجابة لوحى الشعور الصادق والوجدان الصحيح .

وعلى هذا الأساس ^(١) وكان شعر العرب (في نظرم) مطبوعاً لا تصنع فيه ، وكانوا يصفون ما وصفوا في أشعارهم ، ويذكرون ما ذكروا لأنهم لو لم ينطقوا به شعراً لجاشت به صدورهم زفيراً ، وجرت به عيونهم دمعاً ، واشتغلت به أفئدتهم فكراً ، وأما نحن فلا موضع لتلك الأشياء من أنفسنا فهي لا نحتاجنا كما نحتاجهم ، ولا تصيبنا كما أصابهم ، وإذا سكتنا عن النظم فيها لا نخطر لنا إلا كما تمر الذكرى بالذهن ، والمرء إذا تذكر لا يقلد من يتذكرهم ، ولكنه يتحدث بهم .

(١) مقدمة للعقاد لديوان المازني طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - القاهرة ١٩٦١ .

د أسطوانة ، تعاد مع تبديل العنوان ،
أوقاب يتكرر فلا تعريه زيادة ولا نقصان .
وصدرت دواوين الشعراء الثلاثة دماء
التجديد ، نماذج لما يدهون إليه وصوراً
صحيحة لمنهجهم في دعوتهم ، ومنها ديوان
المأزنى الذى نحن بصدده ، وقد أعاد إصداره
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب
بالقاهرة منذ مدة ، وتضمن الجزئين اللذين
كان الشاعر قد نشرهما في حياته وجزءاً آخر
قدمته أمرته إلى المجلس ، فكان الجزء الثالث
والأخير من ديوان المأزنى رحمه الله .

ولقد أعلن المأزنى ذات يوم بعد طبع
الجزءين الأول والثانى من ديوانه أنه لم يعد
شاعراً ، وأنه ينكر على نفسه الشاعرية ،
وفى هذا يقول حماد شارح ديوانه ومقدمه :

نظم الشاعر هذا الشعر
يوماً وارتماه
ويسوم آخر أند
مكره ثم نقاه
قال إن الشعر فن
ماله عندي أداة
ويقول صاحب ديوان رسوم وشخصيات :

المأزنى شاعر
وإن يقل بغير ذا

والضعف طوال حكم الأتراك والعثمانيين ،
كسائر فروع الأدب ، لما غشى العيش من
غواشى الحجر والطغيان ، وانحطاط الثقافة
العامة ، وفراغ الأذهان والقلوب من المعاني
الشريفة والأساس السامية ، فإن الأدب
لم ينقذ من ذلك إلا قبيل مجيء القرن العشرين
حين استيقظت الحرية في مشاعر الشرقيين ،
وكانت علامة تلك النهضة ، أن شعر كل
أديب بشخصيته واستقلال نفسه ، وصاد
لكل طريقة في الشعور والقول فتحة به عن
سواء من القائلين .

على أنه التقليد معنى لا يختص به الأدب ،
ولا تزيد به على الزمان ثمرات القرائح ، لأن
الشعراء ينظمون على قالب واحد من قوالب
القول ، ويدورون حول محور واحد من
محاوره ، فتقرأ المائة منهم كأنك تقرأ الواحد
أو كأنك تسمع أصداً من الماضى ولا تقرأ
لأحد ، ويقول العقاد في ذلك .

د رأينا المؤرخين يكتبون عن عشرين
شاعراً أو نائراً في عصر واحد ، فيقولون
عن كل شاعر أو نائر منهم : إنه وحيد زمانه
وفريد عصره وأوانه . ورأينا الشاعر يمدح
ويرثى ، ويردد مدحه ورناءه في العشرات ،
بل في المئات ، فلا يختلفون في صفة ولا عمل
ولا يتميزون بلبحة ولا علامة ، كأنها

من يشدون الصدق فيما يقولون وفيما يفعلون .
وتعبر ديوان المازني فتلح فيه روح عصره
الشاك المتردد ، من مثل قوله :

آليت لا يستخفى أمل
في الغد أو تستغرق في حسنه
الدمر لولا الآمال مشتبه
والمرء في نفسه يرى زمنه
وقوله :

يا ليتنى لو يصح لى أمل
أعنى ، له من كفافه شغل
أيبت لا مرهقا ولا قلق الآ
حشاء بما تحرك العلل
ويقول عن الإخوان :

ركبت إليهم ظهر الأمان
على ثقة ، فعدت أذم وحدى
وغر ما ضغ بالغيب لخمى
خلاه الذم إذ جدنا بمحمد
صفوت له على العلات دهرأ
فرتق بالسفاهة ماء وردى
وقوله جوابا على أبيات بعث بها إليه
العقاد :

وما طاف الكرى بالعين إلا
ليفتحها على الكرب العظيم
وفى ظلم القبور لنا مجير
يجلى وحشة العيش الجهام
وما إن أرتجى شيئا ولكن
مى الأحلام عون ذوى السقام

مجدد فما اقتدى
مبتكر فما احتذى
وقد صفا أسلوبه

فليس فيه من قذى
وهى خطرة من خطرات الشاعر ، لم يلبث
التاريخ أن ردها عليه ، وصحح وضعه بين
الشعراء فى سجله الباقي .

ولقد عاش الناس مستهل هذا القرن وهم
فى حيرة وشك لما أصاب الحياة من اضطراب
فلا جرم يظهر ذلك فى شعر الذين يدعون
إلى الصدق فى التعبير عن أنفسهم ، ولا جرم
يبدو زمان الشاعر فى طوايا نفسه ، وفيما
يصدر عن هذه الطوايا من شعر
لأن المرء فى نفسه يرى زمنه ، كما يقول
المازني فى بعض مقطوعاته . ولا معابة على
شاعر ينقل عن عصره التردد والاستياء
إذا كان التردد والاستياء سمعة تغلب على ذلك
العصر ، ولا بد لهذا الاستياء — كما يقول
العقاد — أن يأخذ مداه ، ويطلع على كل
ققص فى أحوالنا ، حتى إذا تمكن من
النفوس فخر كما إلى العمل ، وعاد عليها العمل
بالرضا فلا ينسى الناس — يومئذ — فضل
شعر الضجر والاستياء .

على أن الشكوى مما يؤلم ، والضجر
مما يضجر منه ليس أمرين غريبين عجيبين
ولكنهما الواجب الذى لا يفغى سواء عند

معاني شعراء الغرب ، والإغارة على قصائدهم
وادعائهم ، ولقد رماه بهذه التهمة بعض
أصدقائه من شمت به مثلى - المذهب العتيق -
وهذه عبارة المازنى بنصها ، ويعنى بذلك
أصحاب الشعر الذى يدور فى فلك القدماء
ويجربى فى غبارهم .

ويعترف المازنى - فى بساطته المعروفة -
بأن بعض قصائده فى الجزء الأول فيها معان
من بعض شعراء الغرب ، ولكنه يعمل ذلك
بأنه « علق بخاطره من شعرهم وهو لا يعلم ،
يقول المازنى :

« أما ما اتهمنا بسرقة فى الجزء الأول من
ديواننا ، فقصيدته فى سياق الموت ، وهى
ثمانية أبيات ، ولقد راجعنا قصيدة الشاعر
« هود ، فوجدنا فى قصيدتنا أبيانا ليست
له ، ونحن ننزل عن القصيدة كلها راضين
ونسبأ إلى الله من نعمه أخذها والإغارة
عليها ، وقصيدته قبر الشعر وهى خمسة أبيات
نكلمها إلى حظ أختها .

ولقد راجعنا الجزء الأول قصيدة قصيدة
لنميط عنه هذا الأذى ، وراجعنا دراوين
الشعراء التى عندنا زاهدة منا فيما عسى أن يكون
قد علق بخاطرنا من شعرهم ونحن لا نعلم ،
فلم نثر على شيء يجوز من أجله اتهامنا بالسرقة
إلا أبياتنا فى « رقية حسناء ، وهى لثيل
والجزء الأخير من قصيدة « أمانى وذكر ،

ويقول فى مطلع قصيدة بلغت مائة بيت :
بعض بغضائكم أولى البغضاء

إنما الشتم شيمة السفهاء
وهو يعارض بها - فى حدة وشدة وعنف -
قصيدة ابن الرومى التى يقول فى مطلعها :

يا أخى أين عهد ذاك الإخاء
أين ما كان بيننا من صفاء
ويبرز معنى المعارضة فى ختام قصيدته
فيجمله هكذا :

قضى الأمر بيننا فسلام
وسقى الله عهد ذاك الإخاء

وصور المازنى فى ديوانه ذات دقة وقوة ،
فهو يصور صديقه للغادر بصورة القرد
السكران ، فيجمع القردية وما فيها من غرابة
وقبح إلى السكر ، يقول :

لو تراه بالليل يخطر عجباً
فى مسوك الفرنجة السوداء
قلت قرد من آل دروين ناش

أخذت منه سورة الصها .

وكتب المازنى مقدمة للجزء الثانى من
ديوانه ، فتحدث عن الشعر ، وعن التجديد
فيه ، وجارى العقاد فى الحديث عن الصدق
والتعبير عن النفس ، ولكن أهم ما فى المقدمة
ليس هو هذا الحديث ، فإن العقاد قد أتى فيه
بما لا حاجة معه إلى زيادة مستزيد ، ولكنه
الحديث همارى به المازنى من السطو على

وهو لبيرتز وأول هذا الجزء ، ياليت
حي وردة .

ولو أن ما أخذ علينا في الجزء الأول
وما نهينا إليه القراء من تلقاء أنفسنا حذف
لما أنقص ذلك من قيمة شعرنا فإن ديواننا
الأول نحو ألف بيت وليس ما أخذ
علينا خيرها .

أما من وماه بهذه التهمة فهو صديقه شكرى
فقد جرت بينهما على أثر ذلك أهاج شاع
أمرها بين الأدباء في ذلك العصر ، وسجل
الشاعران بعضها في دواوينهما .

رحم الله المازنى وجزاه عما قدم للأدب
واللغة خير الجزاء .

العوضى الوكيل

ولئن كان هذا دليلا على شيء ، فهو دليل

(بقية المنشور على صفحة ١٩٩)

والشرط الثانى هو الاستعداد الفطرى ، كما هو
واضح فى كلامه .

وبعيد جدا أن يظن ظان أن العربى كان فى
حاجة إلى قواعد النحر أو قواعد الصرف
أو قواعد البلاغة والعروض لينطق لفظا
صحيحا فصيحاً .

على أن بعض أصحاب الحواشى تنبه لهذه

على محمد صمدى العمادى

لفكرة فأراد أن يحل التعليل بما يخرج
العربى ، قال الترمذى : علم العرب خرج بقوله

(١) عروس الأفراح ج ١ - ١٦١ .

دور العقيدة في شخصية الفرد والأمة

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

قوية ، واستطاعوا بفضل قوة شخصياتهم ، وتمسكهم بعقيدتهم ، أن يبسطوا سلطانهم على أمم كانت ذات سطوة وسلطان ، وأن ينشروا عقائدهم ويعلموا شعوب الأرض مبادئ الحياة للكرامة .

لقد خلقت العقيدة الإسلامية شخصية أولئك المسلمين الأولين ، فكانت هذه الشخصية مبعث تلك القوة التي اندكت أمامها صروح الظلم والظلمانيان ، وفتحت أمامها أبواب الممالك ، ولا تظن أيها القارئ الكريم أن ذلك ضرب من الخيال ، أو أن ذلك الصنف من المسلمين لم يعد له وجود في زماننا .

إن معركة بورسعيد في عام ١٩٥٦ لتبين بوضوح ما كان لقوة العقيدة من أثر في بعث روح النضال التي تحطم ذلك العدوان الأثيم على صخرتها ، فعندما ذهب الرئيس جمال عبد الناصر إلى الأزهر الشريف في بدء المعركة وصاح في جموع المحتشدين صيحته المدوية : (سنقاتل ، سنقاتل . .) كان يعلم تفوق الأعداء في العدد والعتاد ، ولكنه كان يعلم كذلك علم اليقين أن الروح المعنوية التي تنبعث من أعماق العقيدة والإيمان بالنصر ،

انتقل الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى ، بعد أن عا عبادة الأوثان التي كان العرب يقصدونها ، ويخزونها أمامها ساجدين ، زاعمين أنها تقربهم إلى الله زلفى ، وأن مجودهم لها وإشراكهم إياها في العبادة مع الله إنما كان بإرادة الله ؛ ثم أرسى مكان تلك العقائد الفاسدة ، عقيدة التوحيد الخالص ، والإيمان بأن لهذا الكون إلها واحدا قادرا على كل شيء ، وأنه قريب من عباده يستجيب لهمطالبهم إذا ما أخلصوا له العبادة ، دون حاجة إلى وسيط يقربهم إليه . كذلك قد بين للناس أعلى مثل للنظم الاجتماعية ، وتقلهم من دور الفوضى في المعاملات حين كان الحكم لقوة الذراع ، والخضوع لأشنع العادات ، إلى دور التهذيب ومحاسبة الضمير .

وقد كانت غاية المبادئ التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام من لدن رب العالمين ، هي الوصول بالبشرية إلى أسمى غاية ، والبعث بها عن مظاهر الانحطاط ، وقد رسمت هذه المبادئ الصورة الكاملة للعقيدة الإسلامية ، التي دان بها العرب فأصبحوا أمة موحدة ،

نزلت بهم نازلة ، ومنه كانت تنبعث صيحات إعلان الجهاد ضد كل غزو تقصد به الأمة الإسلامية ، وهناك صاحب الرئيس صيخته المدوية ، وأعلن الجهاد فاستجاب القلوب ، وتجمعت ، وكان للنصر المبين . وهكذا برز أثر العقيدة في شخصية الأمة العربية جمعاء حين التفعت شعوبها ، ووقفت صفاً واحداً أربب الأعداء المغيرين .

وبعينا في كلتنا هذه أن نوضح مقومات هذه العقيدة التي كانت مصدر القوة في شخصية المسلمين الأولين ، ومن اقتدى بهم إلى يومنا هذا ، ثم بمن سوف يقتدى بهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

إن كلمة عقيدة ، من الألفاظ الكلية ، التي لا يحدد مدلولها إلا بما تضاف إليه . غير أنها من حيث اشتقاقها ، تدل على مفهوم عام لكل ما يعقد المرء عليه عزمه ، ويجعله مناط تصميمه مهما كلفه من من أمر .

وأقرب ما ينحو إليه هذا المدلول العام لهذه الكلمة من سائر المفاهيم التي تستفاد منها إنما هو الوجه الديني .

وسيتناول حديثنا في هذا المقال « العقيدة الإسلامية » على ضوء فهمها عند الرعيل الأول من المسلمين الذين عاصروا نشأتها وتطورها واستكمالها . فيوم أن نزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت

والنصديق الكامل بوعده الله في تأييد المؤمنين ونصرهم مهما قل عددهم وعنادهم في قوله تعالى : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . و « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ، واقفه مع الصابرين ، ... كان يعلم أن تلك الروح كفيّة أن تعوض كل نقص في العدد أو العناد .

لم يكن ذهاب الرئيس إلى الأزهر يومذاك ليمسح بالجدران ، أو ليتبرك بقبر ولى ، وإنما برزت أمامه صورة المجاهدين من أبطال بدر ، وكيف نصرهم الله على قتلهم ، لأنهم على الحق وأيدهم بروح من عنده ، ثم صور أولئك الأبطال من الرعيل الأول ، حين وقفوا أمام حصون كسرى ، ولم ترهبهم الدروع ولا الأفيال ، وحين وقفوا أمام حصون قيصر ولم يرهبهم ارتفاعها ، ولا ضخامتها ، ولا بريق السلاح في يد أضخم الأجناد ، لأن أولئك الأبرار كانوا ينشدون انتشال شعوب قد غمرها الظلم ، وينشرون مبادئ العدالة ، والحرية ، والمساواة ، ويردون للإنسانية اعتبارها الذي اغتالته أيادي الطغاة الظالمين .

تذكر الرئيس كل ذلك ، فأمرع إلى الأزهر باعتباره قبلة المسلمين في مختلف العصور الإسلامية منذ إنشائه كلها حزبهم أمر أو

ورسخت في القلوب « وحدانية الله ، الذي هو وحده المجدد بأن يخشى وأن يعبد وأن يرجي في الملأ .

وثاني الأمرين : هو الإيمان الراسخ بالمسئولية الشخصية : فكل إنسان مسئول مسئولية كاملة عن أعماله في يوم البعث والنشور .

فلا ينفع الاحتجاج بأن العبد مجبور على ما عمل : « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت ، وهم لا يظلمون » . و « كل امرئ بما كسب رهين » . و « كل نفس بما كسبت رهينة » . « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » . « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » . إلى غير ذلك من الصور العديدة التي أشاعتها آيات الوحي حول تحديد المسئولية الشخصية وتحميل الفرد نتيجة أعماله .

ولا ينفع الاحتجاج بالاقتداء بالغير : « ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى ، ولو ترى إذا الظالمون موقوفون عند ربهم ، يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا الذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بلى

عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، في عصر عرفة من حجة الوداع ، كانت هناك صورة كاملة واضحة في أذهان المسلمين لما أراد الله أن يكون عليه المسلم الحق ، بعد ذلك الصراع العنيف الذي دارت رحاه بين عقائد الجاهليين ، وبين العقيدة الإسلامية . وعندما نبحث عن مقومات تلك العقيدة - كما فهمت في عهدها الأول - نجدها تتلخص في أمرين كبيرين :

أولهما : توحيد الإله ، والإيمان بقدرته وعظمته ، وأنه ليس في حاجة إلى شريك أو معين . « لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

لقد ترك ذلك الهدى الهائل الذي أحدثته آيات الوحي ، وما تضمنته من صور تهكمية بالأوثان وعابديها ، وما أبرزته من عجز هذه الأوثان عن كل حركة فضلا عن أنها تقدر على خلق ، أو نفع أو خير ، ثم ما في العكوف عليها اقتداء بالسالفين من دلالة على ضعف الشخصية ، وإعداد للكرامة الإنسانية ، وما أثارته تلك الآيات من حجاج منطقي سليم حول وحدانية الله تعالى ، وأنه وحده القادر على الخلق ... كل ذلك قد عني على آثار الوثنية ، وأزال فكرة إشراك الأصنام المنحوتة ، الأصماء ، العاجزة كل العجز - في العبادة ، أو التقرب إليها ، أو خشيتها ،

يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ؛ فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيمًا ، . وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، . قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم ، وأسلموا له ، من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ، من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس : يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول : لو أن الله هداني ، لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب : لو أن لي كرة فأكون من المحسنين . بلى : قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . إلى غير ذلك من الصور التي رسمتها الآيات ليوم القيامة ، وما يدور فيه من حوار بين مرتكبي الجرائم ومن أغوهم مثل : « وبرزوا لله جميعا ؛ فقال الضعفاء للذين استكبروا : إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا : لو هدانا الله لهديناكم . سواء علينا : أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص . وقال الشيطان لما قضي الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم . وما كان لي عليكم من سلطان

كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بلى مكر الليل والنهار ، إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا . وأسروا للندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا . هل يحزنون إلا ما كانوا يعملون ، . إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب ، وتقطعتم بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا : لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرا منا ؟ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار ، .

إلى غير ذلك من الآيات التي نشرت ذلك الوعي العظيم بالمسئولية الشخصية ، وأن لا طاعة إلا لله ، وإلا في حدود ما أمر به الله . ثم ما كان من أعمال النبي الكريم ، وأقواله الكريمة : فهو دائما متجه إلى الله ، يحرص على أداء ما فرض الله ، ويذكر أصحابه بيوم لقاء الله يوم (يحشر الناس حفاة عراة غولاً) . حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها (أو يرى بعضنا سوء بعض) ؟ فأجاب الرسول الكريم (يا عائشة : لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه) .

ولا ينفع الاحتجاج بالانسياق في تيار النفس الأمارة بالسوء ، أو الاندفاع وراء وسوسة الشيطان ؛ فإن باب التوبة مفتوح أمام الخطائين : « إنما التوبة على الله للذين

وشعور كريم بالمساواة بين المسلمين ،
فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ،
ولا خضوع أمام ذى جاه من أجل جاهه :
بل الحق يسيطر على الجميع ؛ لا أحساب ،
ولا أنساب ؛ فالتاس جميعا لآدم ، وآدم
من تراب .

واستعداد تام للبذل والفداء في نصرة
الحق ، ونشر راية مبادئ الإسلام ، فإن نال
المراء بغيته ، وانتصر فالشعور بالرضا
لما أداه من خدمة نحو رفع الإنسانية ،
ثم العزة والسيادة وإن هو قتل دون غايته ،
فإنما هي إحدى الحسينيين : الشهادة ، والجنة ؛
ورضوان من الله أكبر .

تلك هي معالم الصورة العامة للعقيدة
الإسلامية كما فهمها المسلمون الأولون ،
فשמروا عن ساعد الجند لنشرها ، حتى ذلك
لهم الصعاب ، ودانت لمبادئهم السامية
الرقاب : دفا وهنوا لما أصابهم في سبيل
الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله
يحب الصابرين .

وبعد : فإن تلك الصورة باقية هي ، هي ،
إلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض
ومن عليها ، لم يحل لونها ، ولن يبلها الزمان .
بل إن كر الأيام يزيد لها وضوحا وقوة .
ولكن هل المرء أن يسأل نفسه : أين هو
من هذه الصورة ؟

إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني
ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم ، وما أنتم
بمصرخي ؛ إني كفرت بما أشركتمون
من قبل ؛ إن الظالمين لهم عذاب أليم .

خرج المسلمون بعد ذلك الصراع العنيف
بين الشرك والإسلام بتلك الصورة الرائعة
للعقيدة الإسلامية :

إيمان عميق بوجود إله واحد ، كامل
القدرة ؛ فلا نصب ترتجي ، ولا حاجة
إلى وساطة بين العبد وربّه . وإنما هو ميزان
الطاعة ، وامتثال ما أمر به ، والبعد
عما نهى عنه .

وشعور كامل بالمسئولية للشخصية ، فإذا
استهوت المراء نفسه إلى فعل شر بعيد عن أعين
الرقباء ، فسرعان ما يتذكر الكرام الحافظين
يكتبون ويسجلون كل كبيرة وصغيرة ،
وسرعان ما تمثل أمامه صورة يوم القيامة ،
والميزان ، والصراف ، ونطق الجوارح ...
وإذا بعزيمته تقوى ، ثم تقوى ؛ فإن تغلب
الشیطان مرة ، فسرعان ما يتذكر باب التوبة ،
فيندم على ما فرط منه ، ثم يندم ويأسف ،
ويستغفر ، ثم يستغفر . وهكذا خلق هذا
الشعور بالمسئولية من شخصية المسلم إنسانا
قد جعل بينه وبين المحرمات حجابا ، وعاش
بين الخوف والرجاء . فكان الإنسان المهذب
الذي ينشده المجتمع الراقى .

والصالحين... ثم ما نراه في زماننا هذا من انحياز بعض الملوك والرؤساء من أبناء الأمة الإسلامية إلى جانب أعداء الإسلام والعروبة، يستجدون وغد العيش من يد من يستغلونهم ويسخرونهم لمآربهم الاستعمارية. كأن لم يسمع هؤلاء السادة ما قد جاء في كتاب الله عن أمثالهم إن كانوا حقاً من المؤمنين: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض. ومن يتولهم منهم فإنه منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارهم فيهم، يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة. فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين».

نعم!! لنسأل أنفسنا أولاً، ثم لنسأل التاريخ بعد ذلك، ثم نحكم على مدى ما للقرب أو البعد من هذه الصورة من أثر في شخصية الفرد، وما يترتب على ذلك من شخصية الأمة.

وفقنا الله جميعاً إلى السداد، وهذا ما صراطه المستقيم؟

دكتور سعد الدين الجبزاوي

لنسأل التاريخ في مختلف العصور الإسلامية عن أمثال أبطال بدر وفتح مكة إبان حياة الرسول الأمين؛ وعن أبطال الفتوح الإسلامية في العراق والفرس والشام وشمال إفريقيا، زمان الخلفاء الراشدين ثم بنى أمية. ثم عن الأبطال الذين تصدوا بعد ذلك لرد عدوان الروم وغيرهم طوال العصر العباسي، ثم عن صلاح الدين الأيوبي، وحطين، وأخيراً عن أبطال بوسعيد في عام ١٩٥٦. وغير أولئك من أبطال القتال في سبيل الدفاع عن العقيدة ونشر الحق.

ثم لنسأل التاريخ أيضاً عن لون آخر من أبطال المبادئ من أمثال أحمد بن حنبل، وابن تيمية، والعز بن عبد السلام، ثم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم ممن استمسكوا بعقائدهم ومبادئهم غير مبالين بما كان يصيبهم من مكروه؛ لأنهم قد استمدوا قوة شخصيتهم من تلك العقيدة الإسلامية التي عاشوا بها ولها.

ثم لنسأل في الطرف الآخر عن الوهن الذي كان يصيب الأمة الإسلامية في مثل العصر العثماني حين شاعت عقائد الجبر، والقطبائية، والتغالي في التوسل بالأولياء

مفردات قرآنيّة : التجارة في القرآن للأستاذ أحمد الشراصي

- ٣ -

ولقد روى ابن كثير في تفسيره هذا الحديث : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع من أولي بالكرم ليعلم الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل ، ثم يحاسب سائر الخلائق ، » .

وقال مطر الوراق : « كانوا يبيعون ويشتررون ، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة ^(١) . ونلاحظ هنا أن الآية قالت : « تجارة ولا بيع ، مع أن التجارة تشمل البيع والشراء ، ولكنه نص على البيع بخصوصه لأن البيع فيه انتظار الربح بمجرد تمام الصفقة بخلاف الشراء فإنه قد يكون لغير الربح ، ولو أريد منه الربح فإن الربح فيه غير عاجل ويقول الزحشرى في تفسير الآية : « فإما أن يريد : لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ، ثم خص البيع لأنه في الإلهاء

من الملاح الظاهرة في حديث القرآن الكريم عن التجارة الخس على ذكر الله في أثناء الاشتغال بالتجارة ، حتى يكون هذا الذكر عاصماً من الزلل فيها ، ومذكراً بإقامتها على أساس الصدق والفضيلة ؛ وقد جاء في سورة النور قوله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، » .

وقد جاء في تفسير الرازي أن هؤلاء الرجال تجار وباعة ، ومع ذلك لا تشغلهم التجارة عن ربهم ، وقال الحسن : « أما والله إن كانوا ليتجروا ، ولكن إذا جاءت فرائض الله لم يلهمهم عنها شيء ، فقاموا بالصلاة والزكاة ، » . ونظر سالم بن عبد الله إلى قوم من أهل السوق تركوا متاجريهم وذهبوا إلى الصلاة فقال : « هم الذين قال الله تعالى فيهم : لا تلهمهم تجارة ، وعن ابن مسعود مثله ^(١) .

(١) تفسير الرازي ، ج ٦ ص ٢٧٧ . وانظر تفسير الطبري ، ج ١٨ ص ١٤٦ طبعة الحلبي .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٩٦ .

بالمرصداً ، فيوفيه حساب أعماله التي عملها في الدنيا ، ويجازيه عليها جزاءه الذي يستحقه (١) .

ونفهم من روح الهدى القرآني في هذا المقام أن للتاجر عليه أن يستحضر ذكر ربه وهو يباشر تجارته في سوقه ، لأن السوق محادها المعاملات المالية ، وهذه ألصق بالدنيا وأدعى إلى الانشغال بها ، فإذا لم يستحضر التاجر ذكر ربه وسوس إليه الشيطان بكثير مما يحق الدين أو يذهب بالمرودة ، ولأنك روى أن الرسول قال : « من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة . وإنما تتحقق ثمرة هذا الدعاء إذا أثر في قائله تأثيراً عملياً فهداه إلى الخير ، وصده عن الشر ، وحال بينه وبين ما لا يرضاه الله جل جلاله ، وأقام تجارته على الحق والصدق والأمانة والتقوى . ومن كلام الحسن : « ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر ، وبرهان كبرهان الشمس ، ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها » .

وفي ضوء الهدى القرآني للتاجر تعارف الفقهاء والعلماء على طائفة من الآداب التي

أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة ، وهي طلبته الكلية من صناعته ألته مالا يلبه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني ، لأن هذا يقين ، وذلك مضمون ؛ وإما أن يسمى الشراء تجارة إطلافاً لاسم الجنس على النوع ، كما تقول : رزق فلان تجارة رابحة ، إذا اتجه له بيع صالح أو شراء (١) .

والقرآن الكريم في سورة النور بعد أن ذكر الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أبان ثوابهم العظيم بقوله : « ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » . ثم عقب على هذا بعرض الصورة المقابلة ، وهي صورة الخاسرين في تجارتهم ، فقال : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظلمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب » .

والمعنى أن الظلمان يأتي نحو السراب ملتصقا ماء يستغيث به من عطشه فلا يجده شيئا ، وكذلك الكافرون ، يحسبون أن أعمالهم الفضالة تنجيهم من عذاب الله ، حتى إذا هلكوا وصاروا إلى الله لم يجدوا أعمالهم نافعة لهم شيئا ، وهناك يجد الكافر ربه

(١) انظر تفسير ابن جرير ج ١ ص ١٨٨ .

(١) تفسير السكشاف ج ٣ ص ٧٨ .

ولقد قال بعض السابقين : (أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول : من ترون لي أن أعامل من الناس ؟ فيقال له : حامل من شئت ، ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون : حامل من شئت إلا فلانا وفلانا ، ثم أتى زمان آخر فكان يقال : لا تعامل إلا فلانا وفلانا ، وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضا) ١ .

ويعلق الغزالي على هذا الكلام بقوله : (وكأنه قد كان الذي يحذر أن يكون ، إنا لله وإنا إليه راجعون) ١١

وإذا كان الغزالي قد قال هذا — وهو قد مات سنة خمس وخمسة — فماذا يقول الذين أتوا بعده عن أدركوا عهود الظلمات والمظالم ؟ ما أحوجننا هنا أن نتذكر على الدوام ذلك التعريض النبوي البليغ الموجه الذي يقول فيما يرويه البخاري والنسائي : (يأتي على الإنسان زمان لا يبالي بمأخذه المال : أمن حلال أم من حرام) ١ .

ومن الواضح وضوح الشمس أن القرآن يجمعه بين التجارة وذكر الله ، وبحته على تجنب التلهي بالتجارة مهما كانت مغرية عن أداء واجبات الله عز وجل ، يريد ألا يجعل التجارة عملية مادية دنيوية خالصة ، بل يريد أن يعمرها بالعنصر الأخلاقي والوازع الديني ، حتى لا تكون مجال ظلم

يفنى للتاجر أن يحرص عليها ، ومن هذه الآداب أن يقصد بالتجارة إضفاف النفس والأهل والاستغناء عن الحاجة ومعاونة الغير وبذلك يكون ساعيا في سبيل الله ، وأن يفضل الاتجار في الساعة الهامة التي يحتاج إليها الناس ، حتى ييسر لهم أسباب الحياة ، والرسول يقول : د الجالب مرزوق ، ويقول الغزالي في حق التاجر : د فليفتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين ، (٢) .

ومن آداب التجارة في الإسلام ألا يستغل التاجر فرص الاضطراب عند الناس ، فيتحكم فيهم أو يستبد بهم أو يشتط معهم ، وقد قال الإمام على محذرا من ذلك : د سيأتي على الناس زمان عضوض ، يعرض الظالم على مافي يديه ولم يؤمر بذلك ، قال تعالى : دولا تنسوا الفضل بينكم ، ويبايع المضطرون وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر .

ومن آدابها المياسرة والسهولة والسماحة ، والحديث يقول : (رحم الله امرءا سهل البيع سهل الشراء ، سهل القضاء ، سهل الاقتضاء ، ويقول : (اسبح بسمك) .

ومن آدابها الأمانة ، وهذه صفة غالية نادرة ، يتلصها الغيور على سعادة المجتمع ،

والميامرة في البيع والشراء ، فليس معنى هذا أن يقف الإنسان نفسه موقف المغبون في الاتجار ، بل له أن يحقق ويدقق ، وكلا لا تحب أن تظلم غيرك ، ينبغي ألا تقبل أن يظلمك غيرك .

ولقد وصف بعضهم مهارة عمر بن الخطاب في أمور البيع والشراء فقال : « كان أكرم من أن يخدع ، وكان أعقل من أن يخدع ، وكان الحسن والحسين وغيرهما من السلف الصالح يدققون في الشراء ، ولا يرضون أن يغبنهم أحد فيه ، ولو كان موطن الغبن قليلا ، وكانوا مع ذلك يعطون الجزيل طواعية واختيارا .

وقيل لبعض السلف : تستقصي في شرائك على اليسير ، ثم تهب الكثير ولا تبالى ؟ فقال : « إن الواهب يعطى فضله ، وإن المغبون يغبن عقله ، ا .

وعلى التاجر أن يتجنب معاملة الظلمة والآثمين والمرايين والخوانة . يقول الغزالي : « الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله ، فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله ، وكذلك الأجناد الظلمة لا يعاملهم البتة ، ولا يعامل أصحابهم وأهوانهم ، لأنه معين بذلك على الظلم ، ولا يكتفي حجة الإسلام في هذا الباب بأن يتجنب التاجر ما هو واضح الإثم أو ظاهر

أو خيانة أو تعسير أو سوء استغلال ، وإذا كانت القاعدة الإسلامية تقول : « الدين المعاملة » فمعنى ذلك أن المعاملة يجب أن تكون مهتدية بهدى الدين الداعي إلى الأمانة والسهولة واليسر ، والمحرض على الورع وتجنب الآثام والشبهات ؛ ولقد قال عمر لرجل في قضية : اتقني بمن يعرفك . فأناه بـرجل فأثنى عليه خيرا . فقال له عمر : أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا . فقال عمر كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ فقال : لا . قال : فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل ؟ فقال : لا . قال عمر : أظنك رأيتة قائما في المسجد يهيمهم بالقرآن ، يخفض رأسه مرة ويرفعه أخرى ؟ قال نعم . قال عمر اذهب فلسك تعرفه . ثم قال للرجل صاحب القضية : اذهب فأتني بمن يعرفك ا وقال بعض الأولين : « إذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر ، وأصحابه في السفر ، ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه ، . وقال أحد الشعراء :

لا يغرنك من المرء قيص رقبته
أو إزار فوق كعب الساق منه رقبته
أوجبين لاح فيه أثر قد أطلعه
ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه
وإذا كان الهدى الإسلامى يدعو إلى السهولة

الظلم ، بل يطالب بالابتعاد عن مواطن
الشبهات والأمور التي تتضمن الريبة أو احتمال
الإثم والانحراف ، فزاه حينما يعدد الأمور
التي تم بمراعاتها شفقة التاجر على دينه ،
يقول في الأمر السادس منها : السادس
ألا يقتصر على اجتناب الحرام ، بل يتق
مواقع الشبهات ومظان الريب ، ولا ينظر
إلى الفتاوى ، بل يستفتي قلبه ، فإذا وجد فيه
حزاة اجتنبه ، وإذا حصل إليه سلعة رابه
أمرها سأل عنها حتى يعرف ، وإلا أكل الشبهة
وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبن ، فقال : من أين لكم هذا ؟ فقالوا :
من الشاة ؛ فقال : ومن أين لكم هذه الشاة ؟
فقيل : من موضع كذا فشرب منه ،
ثم قال : إنا معاشر الأنبياء أمرنا ألا نأكل
إلا طيبا ، ولا نعمل إلا صالحا ^(١) ، وقال :
إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به
المسلمين ، فقال : يا أيها الذين آمنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم ، فسأل النبي صلى الله
عليه وسلم عن أصل الثي وأصل أصله ،
ولم يزد ، لأن ما وراء ذلك يتعذر ^(٢) .
ولا ينسى حجة الإسلام في خاتمة المطاف
أن ينص على أن المقام هنا ذو درجات بعضها
فوق بعض ، وأولها العدل ، ثم فوقها

الإحسان ، ثم فوقه التزام وظائف الدين
والاعتصام بروحه ونوره ، فمن اقتصر على
العدل في معاملته كان من الصالحين ، وإن أضاف
إليه الإحسان كان من المقربين ؛ وإن راعى
مع ذلك وظائف الدين كان من الصديقين ^(٣)
وعما يبين عن العنصر الأخلاقي أو الوازع
الديني الذي يجب أن يتوافر باسم الإسلام
في التجارة أن يقرر الفقهاء أنه يلزم
للشغل بالتجارة العلم بأحكام الإسلام في
المسائل التي يتعرض لها في التجارة كالبيع
والربا والإجارة والسلم والقراض والشركة ،
وفي هذا يقول الغزالي عن التاجر : « اعمل
أن تحصل علم الباب - باب علم الكسب -
واجب على كل مسلم مكتسب ، لأن طلب
العلم فريضة على كل مسلم ، وإنما هو طلب
المحتاج إليه والمكتسب - بطريق البيع
والشراء - يحتاج إلى علم الكسب ، ومهما
حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات
المعاملة فينتقيها ، وما شذ عنه من للفروع
المشكلة فيقف على سبب إشكالها ، فيتوقف
فيها إلى أن يسأل ؛ فإنه إذا لم يعلم أسباب
الفساد بعلم جملي ، فلا يدري متى يجب عليه
التوقف والسؤال ، وله قال : لا أقدم العلم ،
ولكنني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة ، فعندها
أتعلم وأستفتي ؛ فيقال له : وبم تعلم وقوع

(١) ذكر الإمام العراقي أن هذا الحديث من
حديث أم عبد الله أخت عداد بن أوس بسند ضعيف

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٧٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٩ .

الواقعة إذا لم تعلم بجمل مفسدات العقود ؟ فإنه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ، لتمييز له المباح عن المحظور ، وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ؛ ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرّة ، ويقول : لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه ، وإلا أكل الربا شاء أم أبى ، (١) .

ولا شك أن الغرض الأول والآخر من الوقوف على أحكام الدين في العقود والمعاملات هو أن تخضع هذه العقود والمعاملات لتلك الأحكام ، فتلتزم بحدودها ، وتتقيد بقيودها ، وجوه هذه الأحكام قائم على تصفية المعاملات من كل ما يشوبها بشائبة

وإذا كان القرآن قد قال عقب هذا في وصف عباد الرحمن المتاجرين : يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، فمعنى هذا أنهم يراقبون دينهم في كل كبيرة وصغيرة من معاملاتهم ، وليس وراء ذلك تأكيد للعنصر الأخلاقي والوازع الديني في مجال التجارة كما يرسم حدودها القرآن الكريم .

أحمد الشرباصي

(١) المرجع ، السابق ٥٩ .

من الشعر الجيد لدريد بن الصمة قوله :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى
فلما عصوني كنت منهم وقد رأى
وهل أنا إلا من غرية إن غوت
فلم يستقيسوا الرشد إلا ضحى الغد
غوايتهم وأننى غير مهتدى
غويت وإن ترشه غزية أرشد

الإسلام في بورما

للأستاذ عطيته صقر

وأساس السعادة عنده هي المحافظة على نوااميسه وأهمها عدم القتل ، وعدم الونا ، وعدم الكذب ، وعدم تناول المسكرات الشديدة وأساس الآداب هو تجنب كل شر ، وعمل كل خير ، ورياضة الفكر تكون بالتأمل في براهما خالق الكون ، ويبيع الدين البوذي تعدد الزوجات بدون حد ، وإن كان أغلب البوذيين يقتصرون على زوجة واحدة ، والزواج سهل الإجراءات ، وإذا حدث شقاق يفترق الزوجان ، غير أن هذا الافتراق لا يعد طلاقاً إلا إذا مرت عليه ثلاث سنوات دون أن يحدث بينهما تخاطب حتى بالرسائل ، ومع ذلك فالطلاق نادر جداً ، لأن معظم حالات الزواج ناجحة .

ومن العادات الشائعة في بورما والتي هي ظل للدين البوذي كثرة الأعياد، ومن أهمها .
١ — عيد رأس السنة البوذية ، وهو يحل عادة في شهر أبريل ويستمر أربعة أيام ، يرقص فيها الشعب في الشوارع ، ويرشون المياه المعطرة بعضهم على بعض .

٢ — عيد بوذا ، ويبدأ في منتصف شهر يونيه وينتهي في أكتوبر ، ومظاهره عظيمة

في الجنوب الشرقى لتارة آسيا ، وفي الجزء الذى كان يسمى قديماً بالهند الصينية تقع جمهورية بورما Burma التى تحدها شمالاً بالصين والبنيت ، وشرقاً بسلام وبعض الممالك ، وجنوباً بخليج البنغال ، وغرباً بباكستان ، وتبلغ مساحتها ٧٨٩ ر ٢٦١ ميلاً مربعاً ، يسكنها حوالى عشرين مليوناً ٧٠ ٪ منهم برميون انحدروا من قبائل المخول ، التى هاجرت إليها منذ زمن بعيد من غربى الصين والبنيت ، كما هاجر إليها كثير من الهنود والصينيين ، ويعيش فيها حوالى عشرة آلاف أوربي .

والدين الرسمى في هذه الجمهورية هو البوذية ويتبعه نحو ٨٥ ٪ من السكان .

وهذا الدين منسوب إلى مؤسسه (بوذا) الذى ولد بشمالى الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، وقد نشأ في بيت ملك ولكنه هرب من حياة الترف وآثر الخلوة والزهد والتفكير على مبادئ الدين البرهمي ، الذى عمل على تهذيبه ، واجتهد في نشره حتى توفى حوالى ٤٨٨ قبل الميلاد ، وهذا الدين يقول بخلود الأرواح والتناسخ ، والجزاء بعد الموت ،

مدينى د هندلاى ، و د اكياب ، ٧٠٪ من المسلمين برمويون يتبعون عادات السكان الاصليين فى ملابسهم ومساكنهم ولغتهم البرموية وهى لغة سهلة يقول الخبراء إنه يمكن تعلمها فى مدة قصيرة لقلة حروفها . ومن المسلمين أيضا جاليات هندية وأخرى صينية . وهم على العموم يقسمون أنفسهم إلى أربع مجموعات حسب أصولهم ومهمهم التى يزاولونها فى بورما ، وهذه المجموعات هى :

١ - Souraties وهم المهاجرون من Surat بالهند . وهؤلاء هم ملاك الاراضى وأصحاب المصانع وتجار الجملة فى بورما .

٢ - Memans ، وهم المهاجرون من Mathiawar ، وهؤلاء يشتغلون بالاستيراد والتصدير .

٣ - Cholyas . وهم المهاجرون من Madras . وهؤلاء نشاط كبير فى تجارة التجزئة .

٤ - Zair Badi وهؤلاء هم الذين استوطنوا بورما ، واعتبروا أنفسهم كأهلها الاصليين . وتلمب العنصرية بين هذه المجموعات دوراً كبيراً فالهنود فى جانب ، والبرمويون المسلمون فى جانب آخر يشعر بصله أشد نحو البرمويين البوذيين ، وليس هؤلاء الآخرين من النفوذ والسلطان ولامن التعليم مالهنود الذين نجحوا نجاحاً كبيراً فى الميادين الاقتصادية والسياسية

خصوصاً فى المعبد الأثرى الضخم الذى شيد فى (رانجون) عاصمة البلاد ، منذ ألفى سنة ، ويبلغ ارتفاعه ٩٦ متراً ، تغطيه قشرة سميكه من الذهب .

٣ - عيد الصواريخ ، ومن تقاليده أن يقبع الأهالى فى بلادهم ، لا يغادرونها لمدة ثلاثة أشهر .

وإلى جانب الدين البوذى توجد الوثنية التى تقوم على عبادة الآباء والأجداد ، ويتبعها نحو ٥٠٪ من السكان ، كما توجد الهندوسية ، التى يدين بها نحو ٥٠٪ أيضاً ، وهى أشبه بالمذهب الفلسفى ، حيث لا يوجد لها نبي معين ولا كتاب مقدس ، ومن مبادئها القول بخلود الروح وحرية الفرد فى اختيار سبيله فى الحياة .

أما الإسلام فيدين به ٥٠٪ من السكان أى حوالى مليون نسمة . وقد دخل الإسلام إلى هذه البلاد كما دخل « تايلاند » والممالك المجاورة عن طريق الدول الإسلامية المحيطة بالمنطقة وأخصها الهند . وقد انتشر الإسلام فى أيام الحكم المغولى الذى سيطر على الهند من سنة ١٥٢٦ - ١٨٥٧ م .

وليس هناك إحصاءات دقيقة تبين نسبة توزيع المسلمين فى البلاد ، ويوجد نحو ١٥٠ ألف مسلم فى رانجون ، العاصمة ، التى يسكنها نصف مليون نسمة . كما يوجد كثير منهم فى

لجميع الطوائف يسمى: Religious Affairs Council وهو تحت إشراف وزير العدل بحكم منصبه . وفي المسلمين عدد لا بأس به ارتقى مناصب عليا في الدولة ، كما سذكركه بعد . والتعليم العام في الدولة مجاني ومختلط في جميع المراحل ، وبها جامعتان إحداها في « رانجون ، والأخرى في « مندلاي » ، وتضم الجامعتان كل أنواع الشكليات المعروفة . غير أن التعليم الديني غير موجود في مدارس الحكومة ، ولهذا اضطر المسلمون إلى إنشاء مدارس لتعليم الدين الإسلامي ، غير أن أكثرها يشبه « الكتاتيب » ، وهي ملحقة بالمساجد ، ويوجد نحو ٥٠٠ مدرسة ابتدائية وثانوية ، ومدرسة خاصة للبنات .

وقد أنشئت مدرسة « دار العلوم » سنة ١٩٣٦ ، وكان بها نحو ٥٠٠ تلميذ سنة ١٩٥٨ ، نصفهم داخلي ، وهم يحفظون بعض القرآن دون أن يفهموا معناه ، وتعتبر هذه المدرسة مرحلة دراسية إسرائيلية عالية ، وهي تقوم في ضواحي « رانجون » ويرأس مجلس إدارتها المفتي الأعظم للمسلمين ، ولها مدير أو شيخ كما يلقبونه ، ويلتحق البنات بهذه المدرسة ، ولكنهن يغادرنها عندما يبلغن سن التاسعة ، ويدرس بها القرآن وتفسيره والحديث والآداب وأصول الفقه ، والمنطق والهندسة واللغات الأوردية والانجليزية .

والاجتماعية . ومن أهم أسباب النزاع بين المسلمين والبوذيين ذبح الحيوان ، فهو محرم عند البوذيين ، ويشتهد هذا النزاع بنوع خاص في المواسم والأعياد حيث يكسر ذبح الحيوان . وفي الهنود طبقة مثقفة راقية ، فمنهم الأطباء والمحامون وأعضاء البرلمان والأحزاب المختلفة ، ومنهم أساتذة في جامعة رانجون ، في الطبيعة والكيمياء ، وفي الرياضة وعلم النفس ، ورئيسة قسم الأتروفولوجي في هذه الجامعة سيدة مسلمة ، وهناك مجموعة كبيرة من الطلبة المسلمين والمسلمات ، وعدد كبير من خريجي الجامعة من النساء يشتغلن بالطب وغيره .

وغير الهنود مستوأم المادى كالبوذيين تماما ، يقل عن الهنود بكثير ، وأهم أعمالهم الزراعة والحرف البسيطة ، وإن كان منهم عدد من أعضاء البرلمان .

والحكومة متساعمة مع المسلمين ، ولهذا يؤثرون ألا يكونوا حزبا سياسيا خاصا ، حتى لا يعتبروا منفصلين عن الغالبية . وهم يعاملون بالقانون الإسلامى في الأحوال الشخصية ، وهناك حالات من تعدد الزوجات ولكنها قليلة ، كما أن الطلاق نادر أيضا ندرته بين البوذيين . والمرأة المسلمة على العموم تنال حظا وافيا من التعليم . وفي الحكومة قسم خاص يرعى الشؤون الدينية

في «رانجون» ، ٣٦٥ مسجداً كما يوجد في «أكياب» ، ٥٠ مسجداً ، ومن أشهر الجمعيات هناك :

١ - الجمعية الإسلامية ، ويرأسها السيد / محمد رشيد ، وكان وزيراً للتجارة ، والجمعية تشرف على ترجمة القرآن بمعاونة الحكومة ، كما تشرف على ملجأ للأيتام يضم نحو ٦٠ تلميذاً ، نصفهم من مدرسة «بورما الإسلامية العليا» .

٢ - جمعية الطلبة المسلمين ، ولها مجلة سنوية ، وأهدافها ثقافية محضة وتلقى محاضرات أسبوعية .

٣ - جبهة العلماء وهدفها ، نشر الدعوة الإسلامية بين المسلمين .

وهناك مستشفى إسلامي في «رانجون» ساعدت الحكومة المصرية في بنائه .

ومن أبرز الشخصيات الإسلامية :

١ - السيد / محمد رشيد ، رئيس الجمعية الإسلامية ، وعضو جبهة العلماء ، وثقافته قانونية .

٢ - السيد / موسى ماذا ، وهو من سعاة المسلمين ويحرص على النهوض بالتعليم .

٣ - السيد / مولانا هاشم ، سكرتير الجمعية الإسلامية ، وهو من التقدميين ؛ ويشرف على ترجمة القرآن ، كما يشارك في جميع المؤسسات الإسلامية .

وقد اتجه المسلمون أخيراً إلى إعادة فتح الكتاتيب التي أغلق أكثرها لقلة مواردها المالية وضعف مستوى القائمين على التعليم فيها ، كما اتجهوا إلى إنشاء مدارس إسلامية تدرس البرامج التي تضعها الدولة للمدارسها ، ثم تدرس الدين في غير أوقات الدراسة العادية . ومن هذه المدارس مدرسة خاصة للبنات ، كما توجد مدرسة في «أكياب» تسمى «تكميل العلوم» ومدرسة في «بوتهي دنج» يؤمها الطلبة من أقصى البلاد ، ومدرسة «إشاعت إسلام» في «نول» ، وعلى العموم مستوى التعليم الديني ضعيف جداً .

وجميع المسلمين في بورما من أهل السنة ، ويعتبدون على مذهب الإمام أبي حنيفة بما يقوى الصلة بينهم وبين الهند ، التي تصدر لهم ثقافتهم خصوصاً من المنطقة الجنوبية . وهم شارهون في ترجمة القرآن إلى اللغة البرموية . والمسلمون فريقان : رجعيون وتقدميون ، ويتزعم الأولين من تعلوا في جنوب الهند في «شيرانفور» وهم متشددون في المظاهر ، يعارضون التجديد كالأكل بالملاعق وعلى الموائد ، وكاستعمال مكبرات الصوت في المساجد ، والآخرون يثبتون روح التقدم بين الشباب عن طريق الثقافة والمعارضة بين الفريقين شديدة .

في بورما مساجد كثيرة يوجد منها

ووفدت أول بعثة من طلاب بورما إلى الأزهر سنة ١٩٥٦، وكانت مكونة من طالبعين تخرجوا من مدرسة دار العلوم التي أشرنا إليها ويبلغ عدد الطلاب اليوم في الأزهر ٦ ، يتقاضى كل منهم ٨ جنيهات شهريا إلى جانب الرعاية الطبية والثقافية والاجتماعية . هذه لمحة يسيرة عن المسلمين في بورما أرجو أن تلقى بعض الضوء على إخواننا في هذه المنطقة التي تفصلنا عنها المسافات الطويلة ، لتزيد صلتنا بهم عن طريق الرباط الروحي إلى جانب الرباط السياسى ، والأمل كبير في الأزهر بعد تطوره أن يزيد من عنايته بالمسلمين في هذه المناطق التي تتجاذبها التيارات السياسية والفكرية ، وللتى نشطت فيها الدعاية الصهيونية لتشويه سمعة البلاد والمساس بالمقدسات الإسلامية بخاصة ، والله هو الموفق والمعين ؟

عطية صفر

٤ — السيد / يونس ، رئيس الفرقة للتجارية الإسلامية في بورما .

٥ — السيد / لطيف ، وزير الشؤون الشرعية في رانجون ، وقد زار مصر .

٦ — شيخ الإسلام توفان سونسام ، وقد اشترك في مؤتمر الدراسات الإسلامية في لاهور سنة ١٩٥٧ بكلمة عن الاجتهاد .

٧ — الشيخ عيد الله رشيد ، وكان خطيبا لمسجد رانجون سنة ١٩٣٧ ، وقد أرسل طلبا إلى الأزهر لإيفاد بعثة تزور بورما ، على غرار البعثة التي زارت الهند .

٨ — الأستاذ عبد المعين ، وله نشاط في نشر الدعوة الإسلامية ، وترجم بعض كتب الشيخ أشرف على النهاوى إلى اللغة البرموية . وجمهوريةنا على صلة طيبة ببورما ، وقد أرسل الأزهر اثنين من علمائه إلى الملايو وقد زارا هذه البلاد وتفقدوا الشؤون الدينية والطبية فيها .

من شعر ابن يسير الرياشى الذى سار له في العرب والعجم قوله :

ولم أجب في الليالى حندس الظلم	ولا البنية لم أجزع من العدم
ذل اليتيمة يحفوها ذرو الرحم	وزادنى رغبة في العيش معرقه
وكنت أخشى عليها من أذى الكلم	أخشى فظاظة هم أو جفاء أخ
جرت لعبرة بفتى عبرتى بدم	إذا تذكرت بفتى حين تندبنى

دراسات في علم المعنى

«التيما نيك»

للدكتور كمال بشر

(تتمة ما نشر)

التفريق أو الفصل بين هذين العنصرين ، بحيث يجوز النظر إلى كل منهما منفصلاً عن صاحبه ، إن صح هذا التفريق أو الفصل في بعض العلوم فإنه لا يصح في الدراسات اللغوية بحال من الأحوال ، ألم نقرر من قبل أن اللغة نتاج عقل الإنسان وجسمه معاً ؟ إذا ثبت هذا ، فأنى لنا أن نفرق بين عناصر صاحب اللغة وهو الإنسان ؟

٤ - يلزم من كل ما تقدم أن الأحداث اللغوية - كلمات كانت أو عبارات أو جمل - هي الأخرى وحدات متكاملة الأجزاء ،

ومن ثم لا يجوز لنا أن نفصل عنصرها الصوتي أو اللفظي من عنصر المعنى أو المضمون فيها ، وعلى هذا ليس لنا أن نخصص فروعا معينة من علم اللغة لدراسة الجانب الأول ، وفروعا أخرى للنظر في الجانب الثاني ، كما فعل بعض الدارسين من اللغويين .

٥ - « الإنسان » جزء من بيئته التي يعيش فيها ، وهو يمثل صحيح لها ، إذ تنعكس فيه كل خصائصها من عادات وتقاليده ومن هذه العادات لغته القومية التي يراعى فيها - بطريق الشعور أو اللاشعور - كل النماذج

بتحدد الإطوار العام الذي رسمه فيرث للبحث اللغوي بمجموعة من الخطوط العريضة التي يهمنها في هذا المقام ما يلي :

١ - اللغة ظاهرة اجتماعية ، شأنها في ذلك شأن العادات والتقاليد ، وهي من صنع الإنسان وابتكاره ، ومن ثم فهي لصيقة به وقريبة إليه ، بل هي جزء من معناه الذي لا ندرك حقيقته إلا بها . فأنت عربي ، لا بالدم والجنس ، وإنما بمجموعة من الخصائص والمميزات ، منها أنك تتكلم اللغة العربية .

٢ - اللغة بهذا المعنى هي نتاج الإنسان ومحصوله اللفظي في المجتمع المعين ، ولاكنها نتاج عقله وجسمه معاً ، وليست نتاج عقله فقط كما يظن البعض ، إن كل جزء فيك له دوره المعين ووظيفته الخاصة في إصدار هذه الأصوات التي نسميها لغة ، والتي ندركها - أول ما ندرك - عن طريق الفم وغيره من الأعضاء التي سميت تجاوزاً أعضاء النطق .

٣ - هذا الإنسان في نظرنا وحدة متكاملة للعناصر والجوانب ، إن تكوينه من عنصرى المادة والروح أو الجسم والعقل لا يعنى

٦ - ثبوت وحدة العناصر وتكاملها للإنسان ولكل ما يصدر عنه من أصوات لغوية - سواء أسميتها أحداً أم لغة أم كلاماً - يقتضى أن منهج البحث في اللغة هو الآخر ذو وحدة متكاملة الجوانب والمبادئ. ومن ثم قد اشترطنا منذ البداية - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - أن يكون طريقنا في الدراسة طريقاً لغوياً محضاً ، لا تشوبه أية شائبة من التفكير المنطقي أو الفلسفي أو النفساني أو غير ذلك من أنواع التفكير التي قد تؤدي إلى الازدواج أو الثنائية في مبادئ هذا المنهج وأساسه .

أما جوانب هذا المنهج المتكامل فتتمثل في مجموعة من الخطوات الرئيسية التي يؤدي بعضها إلى بعض والتي يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً من نوع ما . هذه الخطوات هي ما اصطلاح على تسميتها بفروع علم اللغة . وهذه الفروع في نظرنا هي :

- ١ - علم الأصوات العام phonetics .
 - ٢ - علم الأصوات التنظيمي phonology .
 - ٣ - علم الصرف morphology .
 - ٤ - علم النحو syntax .
 - ٥ - المعجم أو الدراسة المعجمية .
 - lexicography أو lexican
 - ٦ - علم المعنى (الاجتماعى) semantics
- وواضح من هذا التقسيم أن علم المعنى ليس إلا فرعاً واحداً أو خطوة واحدة من خطوات

والقواعد التي تعارفت عليها هذه البيئة ، والتي أصبحت جزءاً من مقوماتها الاجتماعية ، ومعنى هذا أنه لا فرق من الناحية العملية بين لغة الفرد ولغة الجماعة التي ينتمى إليها ، وإن صح القول بوجود فروق فهمي فروق ثانوية ترجع إلى خصائص الفرد ومميزاته الجسمية والعقلية ، ولكنها لا تمس من قريب أو بعيد جوهر اللغة أو خصائصها الأساسية التي جعلت منها لغة عربية أو انجليزية أو فرنسية أو أية لغة أخرى ، على حسب ما تكون الحالة المعينة . وهذه الحقيقة تقودنا إلى القول بعدم التفريق بين ما سماه البعض " اللغة ، language وما سموه " الكلام ، speech ، قاصدين باللغة تلك القواعد والنظم اللغوية المخزونة في ذهن الجماعة المعينة ، وبالكلام تلك الأحداث والأصوات الفعلية الصادرة من المتكلم الفرد . بل إننا - كما سبق أن ذكرنا أكثر من مرة - ننكر هذا التفريق ، لأنه - بالإضافة إلى عدم اعتماده على أسس حقيقية - يتضمن فكرة " الثنائية " في الكلام الإنساني ، تلك الثنائية التي تعني أن أحد جانبي هذا الكلام جانب عقل أو نفساني وأن الجانب الآخر جانب مادي أو ميكانيكي . إننا ننظر إلى الكلام الإنساني على أنه وحدة متكاملة العناصر ، وليس من الجائز لنا أن نفصل هذه العناصر بعضها عن بعض في الدراسات اللغوية .

للحدث اللغوى ، وهو بهذا الكشف يكون قد بين فى الوقت نفسه جزءا من المعنى اللغوى العام لهذا الحدث ، ثم يأتى من بعده علم الصرف فيبنى دراسته على نتائج سابقة ، ويضيف لإيها حقائق جديدة تقرب الشقة بينه وبين العلم الذى يليه ، وهكذا يقوم كل علم بدوره المعين فى هذا الشأن حتى نصل إلى علم المعنى أو السيماتيك الذى تكون وظيفته حينئذ البحث فى الجزء الباقى من المعنى ، وهذا الجزء - وهو ما نطلق عليه المعنى الاجتماعى - يستخلص ويستفاد من الحدث اللغوى بطريق الاستعمال الحى فى السياقات المختلفة ، ولا بد لنا عند استخلاص هذا المعنى الاجتماعى من مراعاة ظروف الموقف وملابساته ، وما يرتبط بذلك من أحوال المتكلمين والسماعين وعلاقتهم بعضهم ببعض كما ينبغى علينا أن نوجه اهتمامنا إلى ما يتميز به الكلام من صفات صوتية كالنغم والنبر، وإلى ما يصحب هذا الكلام من إشارات جسمية كتحرريك اليدين أو العين أو هز الرأس إلخ . كل هذه الاعتبارات ضرورية وحتمية فى دراسة المعنى على مستوى اجتماعى ، وكلها عوامل ذات أهمية بالغة فى تحديد المعنى المراد بدقة ووضوح فالعبارة الدارجة « يا سيدى » مثلا ، حين تؤخذ منعزلة عن سياقها ومقامها قد لا تعنى شيئا أو قد تعنى معانى كثيرة غامضة غير محددة . ولكنها حين تدرس فى سياقاتها

البحث فى اللغة ، وأن العلاقة بينه وبين غيره من الفروع ليست إلا علاقة التند بالتند ، وبهذا ينتفى كونه أصلا لهذا الغير أو تابعاً له على ما يزعم بعض اللغويين . إن هذه الفروع جميعا تتساوى من حيث الأهمية والمسكاة ، وليس أحدها بأولى ولا أهم من الآخر فى الدراسة ، إذ أن لكل منها وظيفته الخاصة ودوره المعين فى البحث اللغوى ، وهذا الترتيب الذى وضعت فيه ليس ترتيب رتبة أو منزلة ، وإنما هو ترتيب روعى فيه التيسير على الباحثين ، حيث إن كل فرع منها يعد خطوة ممهدة لما يأتى بعده من فروع ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الفروع - بالرغم من انفرد كل منها بدور معين - تعمل كلها فى سبيل الوصول إلى هدف عام واحد ، ذلك الهدف هو بيان حقائق اللغة المدروسة أو هو - على حد تعبير فيث - بيان المعنى اللغوى للأحداث الكلامية ، والمعنى اللغوى عنده ليس شيئا مخزونا فى الذهن أو فى العقل أو علاقة بين الشيء وفكرته ، وإنما هو عبارة عن مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية ، وهذه الخصائص والمميزات لا يمكن النظر فيها دفعة واحدة ، ولا يقوى على دراستها علم واحد من علوم اللغة ، وعلى هذا كان من الضروري أن تسير الدراسة على مراحل أو خطوات يسلم بعضها إلى البعض الآخر ، فلم الأصوات بنوعيه مثلا يتولى الكشف عن الخصائص والمميزات الصوتية

وفي هذا ما يدل على أن فيرث يرى أن كل فرع من فروع علم اللغة يصبح أن يسمى د علم معنى ، بدون أداة التعريف ، وهذا بالطبع يطبق على السيميائيك ، الذي نقفنا إلى العربية باسم : د علم المعنى ، بذكر الأداة . فذكر أداة التعريف في المصطلح العربي إذن إنما جاء ليقابل المفهوم المشهور من المصطلح الغربي د السيميائيك ، Semantics هند المدارس الأخرى التي ترى أنه هو العلم الوحيد الذي يدرس المعنى ، أي بالمدلول الذي ارتضوه ، ومن ثم رأينا - عند الكلام على رأى فيرث في هذه القضية - أن تمتع المصطلح العربي بالنعمة : د الاجتماعي ، ، للتفريق بينه وبين غيره من الفروع . ولبيان دوره المخصص له في دراسة المعنى .

الحقيقة الثالثة : إن دراسة المعنى على مستوى علم المعنى الاجتماعي أو السيميائيك تختلف عن دراسته على مستوى المعجم فالعلاقة بين المعنى الاجتماعي وبين مرحلة المعجم إذن ليست علاقة مترادف ، كما يظن بعض الدارسين ، وليست علاقة العموم والخصوص كما يرى البعض الآخر ، على ما سنبينه بشيء من التفصيل في فرصة أخرى .

دكتور كمال بشر

مدرس علم اللغة العام
بكلية دار العلوم

ومقامها قد تعنى مجرد النداء ، أو الإعجاب أو الاشتزاز أو غير ذلك من المعاني المحددة الدقيقة . ولاشك أن دراسة المعنى على مستوى السيميائيك - بهذا المفهوم الذي المعنا إليه - يختلف عن دراسته على مستوى المعجم ، فالمعجم كما هو معروف - إنما يعنى بالمعاني العامة للكلمات ، ولا يهتم عادة بالمعاني الدقيقة والألوان الأخرى التي تستفاد من المواقف الحية . لسنا ننكر أن بعض المعاني التي يسجلها المعجم قد تكون مستخلصة من سياقات معينة ، ولكنها بمرور الزمن وتطور الاستعمال تثول إلى التعميم والإبهام لا إلى التخصيص والوضوح . من كل ما تقدم تبرز لنا ثلاث حقائق مهمة .
أولها : إن علم المعنى (الاجتماعي) أو السيميائيك عند فيرث لا يعدو أن يكون جزءاً من كل وله صفات هذا الجزء من حيث التبعية والاستقلال .

الحقيقة الثانية : إن كل علوم اللغة بلا استثناء هدفها الوصول إلى المعنى اللغوي ، ولكن بالمفهوم الذي يبناه فيما تقدم ، وهو أنه مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للكلام المدروس . وكل علم من هذه العلوم يتولى بيان جزء من هذا المعنى ، على حسب وظيفته والدور المخصص له في الدراسات اللغوية . وحسيلة الدراسات التي تقوم بها كل هذه العلوم مجتمعة ، هي المعنى الكلي لموضوع هذه الدراسات

بين الشريعة والفلسفة

للأستاذ عباس طه

وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام تهدف كلها إلى هدف واحد ومرمى واحد هو العمل لخير الإنسانية والتواصى بالصبر والمروحة وتجنب الظلم والمأثمه ومجاعة للشروع في أقل صورها حتى تكبر فتتفاقم ولا تنمو فتعظم .

قالوا للناس أيها الناس عليكم أن تطرحوا الكذب في معاملة بعضهم لبعض وتطفيئ المكايل وبخس الموازين وتقدير السلع الذى ينفي الغبن عنها فينال كل ذى حق حقه ، وتطهير القلوب من أرجاس الغش والملق والرياء والآثرة والعدوان والطغيان والإفك والبهتان ، والسير بالفضائل قدما إلى المستوى الذى يضئ على الإنسانية المثل الخيرة وينهض بها إلى ما أعد لها من سؤدد ومجد ، بهذا كله وأكثر منه تواصت الرسل والأنبياء ، ثم جاء من بعدهم القادة والزعماء فساروا على هدى سابقهم وأمعنوا فى الدعوة إلى الرفق بروابط المجتمع أن تفكك أوصاله وتنحل عراه وتنهار قوائمه ، ولبشوا آلاف السنين يطالبون أبناء البشرية بالعمل لخير البشرية .

اسكن ما كان أسرع هؤلاء وأولئك ممن

عما لا مرية فيه أن الشريعة الغراء كانت ولا تزال مصدراً لسعادة البشرية منذ تواضع الناس على أن تكون لهم شرائع ، وما من أمة خلقت من الأمم إلا كانت لها شريعة تربط أفرادها برابط وثيق وتحكم صلة الفرد بالمجموع وصلة المجموع بالفرد ، لتكون ملاك الفضائل كلها إذا تعاملت فيها المصالح وتناصرت عليها المرافق ، فأحكام الدنيا التى تؤلف روابط المجتمع من بيع وشراء ووصية وهبة وما إلى ذلك من التصرفات التى تنظم المجتمع وتجعله متفاعلاً بعضه مع بعض حتى إذا خرج هذا المجتمع عن الطريق المستقيم كان أحرق به أن يتخلف عن مواكب الطبيعة التى أودعها الله فى خلقه منذ القدم .

من أجل ذلك بعثت الرسل والأنبياء فرسموا لأنهم الحدود والمعالم ، وعبدوا للفضائل السامية طرقها حتى بلغوا بها القمة . ثم قالوا للناس هذا حلال وهذا حرام ، هذا واجب الترك وهذا واجب الفعل ، هذا يخطو بالبشرية إلى دنيا فاضلة ويخط لبني الإنسان سبيلاً إلى السعادة المثل والطريقة التى لا عوج فيها فشريعة آدم البدائية إلى شريعة إبراهيم وموسى

في جيل سابق لا يصلح للعمل به في جيل لاحق كشف أولياء الكلمة هن الدواء فاستأصلوا به الداء .

لكن يبقى بعد ذلك أن كل هذه الحلول لم تغن عن منازعات طاحنة ومشاكسات بعيدة الغور ، وهذا بطبيعته ضرورى البقاء ما فتئت المصالح في تشابك وتفاعل وما ظلت المنافع في طغيان بعضها على بعض .

على أن علماء الفروع وقد استنفدوا الجهد وكبدوا قرائحهم في استنباط أمثل الوسائل لخير البشرية لا يزالون في اقتتار إلى مزيد من الجهد في سد مرافق الناس وكفايتهم . عرف جمهور من الشافعية والخنفية علم الفقه : بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية . وعرفه أكثر الخنفية بأنه معرفة النفس ما لها وما عليها وإن كان هذا الأكثر لا يخالف جمهور الشافعية بأن الحكم فى اصطلاح الأصوليين خطاب الله المتعلق بأحوال المكلفين بالانقضاء أو التخيير ، أى بالطلب أو الإباحة . والطلب إما طلب الفعل وهو الأمر أو طلب الترك وهو النهى والأمر إن كان جازما فهو لإيجاب ، وإلا فهو نذب ، والنهى إن كان جازما فهو بتحريم ، وإلا فهو كراهة . وهذه هى الأحكام الخمسة للتكليفية وهذه هى التى تفرعت عنها نظريات الفقه الإسلامى التى ألفت فيها مئات المجلدات ومئات

ذهبوا فى أحقاب التاريخ الغابر أن تشكروا لهذه المبادئ الصالحة ، بل ما أسرعهم إلى أن أحالوها إلى نفااضها وجعلوا منها مرتعاً لقضاء شهواتهم فى سائر أنحائها .

حدث بعد ذلك أن تطورت تلك النظريات لا إلى الخير المطلق بل إلى طور أكثره شرور وآثام فمدا القوى على الضعيف يسلبه حقه ويغلبه على أمره فى كل ما يصدر عنه ، فالتصرفات الصادرة عن الإنسان من بيع وشراء وهبة ووصية وما إليها عرض لها الانتكاس فانقلبت أوضاعها رأساً على عقب ، وتفاعلت عوامل الشر بين أطراف الخصومة والأحوال الشخصية المتعلقة بذات الإنسان اسمع بسمه الضراوة والاستشراء ، ولبست ثوب التمرد على حياة مثالية تضع لكل فرد حدوده اللاتقة به حتى لا يخرج إلى حدود شاذة تنساب به فى جو من التهالكة فتھوى به إلى قرار سحيق .

لذلك قامت المحاكم القضائية نائبة عن ولى الأمر فى البلاد الإسلامية ترسم الحدود وتوضح المعالم وتدعو الناس إلى التحول عن الحكم بالسياسة إلى شرعة عادلة وحق مبين . فجاءت المحاكم بأوضاعها وقوانينها ولوائحها تحدد الطريق لكل فرد وتبين له سبيل الهدى وتجنّبه طريق الردى ، فإذا ما كشفت التطورات فى مستقبل الأزمان أن ما جرى به التعامل

بما يصدر عنه عمل القلوب وعمل الجوارح .
 فعمل القلوب يشمل علم الكلام وقد سمي
 إمام الحرمين علم الكلام بالفقه الأكبر لكن
 يبقى بعد ذلك أن الوجدانيات والعقائد ليست
 من الفقه المصطلح عليه بين علماء الفروع ،
 وعو للعلم بالأحكام المكتسب من أدلتها
 التفصيلية فقصر الفقه في العبادات والمعاملات
 على هذه التسمية باعتبارها مظانا للجهتين
 الذين استنبطوا فروعها من الأصول الأربعة
 لا يقوم حجة على تلك التسمية إلا إذا أطلق
 الفقه أيضا على علمي التوحيد والتصوف قال
 صاحب كتاب (صيد الخاطر) : إذ أطلق الفقه
 عند العلماء المتقدمين من السلف انصرف
 إلى الفقه المتعارف عليه عند الفقهاء بشقيه :
 وهما العبادات والمعاملات وإلى علم التوحيد
 الذي هو علم العقائد ، وإلى علم التصوف الذي
 هو علم تهذيب الوجدان ، والظاهر أن المتأخرين
 من العلماء في العصور المتأخرة أدركوا أن علم
 الفقه بشقيه هو لإحكام الصلة بين العبد وربّه
 في عمل الجوارح فلا بد أن يكون لهذا العبد
 رهبة في قلبه تنأى به عن مسaire الهوى
 ومتابعة الشهوات والتردى في الخسيس
 من المذلات . وإذن فالفقه يشمل العلوم الثلاثة
 التي هي الفقه بمعناه الاصطلاحي وعلم الكلام
 وعلم التصوف .

عباس ط

آفاق الدنيا كنظريات خالدة ستظل أبقي من
 الزمن .

يبقى بعد ذلك موضوع جم الفروع كثير
 النظريات قد تداوله العلماء بالبحث والتحصيل
 في قديم الزمن وجديده وهو أن الأصول
 الأربعة ومنها الكتاب والسنة اعتبرت
 ناموسا عاما وموردا عذبا تنهل منه البشرية
 الصالحة للبقاء فتزداد بإذن الله حياة وقوة
 ونماء وقد رسم الاصلان (الأولان) وهما
 الكتاب والسنة شقي الفضائل لهذا الوجود .

وقد اعتبر العلماء النظريات المتفرعة
 من دينك الأصلين نظريات فقهية مع أنها
 كما تشعلمان فهي تشمل تهذيب الوجدانيات
 والعقائد وإصلاح ما بين المخلوق وخالقه
 وإحكام الروابط بين الابن وأبيه وذويه
 وصاحبه وفصيلته التي تؤويه وتوثيق الروابط
 بين المنعم ومعلمه وبين العبد وسيدّه وما إلى ذلك
 من الأشباه والنظائر ومع ذلك فلا تعتبر هذه
 للقضايا من الفقه .

قال صاحب إحياء العلوم هذا كلام وارد
 على مصبه ولا يوجد له دفع إلا إذا أريد به
 أن الفقه في معناه اللغوي : هو عبارة عن فهم
 الأمر الدقيق سواء كان متعلقا بالبحث
 عن ذات الإنسان أو بالبحث عن متعلقاته
 والمراد بمتعلقاته ما يصدر عنه والمراد

المسلمون السود في أمريكا

للاستاذ عباس محمود العقاد

The Black Muslims in America

(بقية ما نشر في العدد السابق)

مظالمها ما لم تكن هناك حقوق مهددة ومظالم منكرة وانفاق على الشعور بالخطر والتذمر من الضيم ، تخلقه الحاجة إلى التضامن حيث لا غنى عنه ولا مناص منه ؛ لأنه الوسيلة الوحيدة لحفظ البقا ، واجتناب الفناء .

وليس أعلم من هذا المؤلف بأحوال الأقليات على اختلافها ، لأنه ينتمى إلى أكثر من (أقلية) واحدة بين السود والبيض ، فضلا عن قلة القساوسة السود بين زملائهم البيض ، وقلة هؤلاء القساوسة جميعا على مذهب الكنيسة (المنهجية) بين رجال الدين من أتباع الكنائس الكبرى .

والقارىء يدرك من المقارنات الكثيرة بين أحوال الأقليات أن المسلمين السود في موقف خاص مع الأمريكيين السود والبيض على السواء ، وأن هذا الموقف قد يرضهم للحرج بينهم وبين أنفسهم إذا أرادوا (تصحيح الوضع) من الوجهة الاجتماعية التي ترتبط بأحكام القانون و (ظروف) السياسة القومية ، ومن حولها السياسة العالمية .

حديث المؤلف عن الأقليات حديث يغلب عليه الصدق والإنصاف ، ومنه حديثه عن المسلمين السود ، وهم أقلية دينية ، بين أقلية قومية ، بين السود المنتصرين أو الوثنين .

ومؤلف هذا الكتاب — كما علمنا من المقال السابق — هو القس الأمريكي الأسود الدكتور أريك لنكولن ، وهو من أتباع الكنيسة المنهجية Methodist التي تعتبر — هي نفسها — قلة صغيرة بين الكنائس الغربية ، تقوم برسالة مجددة كرسالة الثورة على التقاليد وعلى البدع المستحدثة في وقت واحد .

وقد جنح بالمؤلف موضعه هذا بين الأقليات المتداخلة إلى الصدق في تصوير أحوالها وشرح أزماتها وبسط أسباب الشكاية من جانبها ، وهو — في جملة آرائه وعواطفه — أقرب إلى تسويغ مواقف الأقليات بإزاء الكثرة الغالبة بين الأمم البيضاء ، لأنه يرى أن الأقلية من مبدئها لا توجد ولا تدوم ولا تنساند للدفاع عن حقوقها والتمرد على

ثقافيا يعتصمون به إذا نفروا من البيئة الاجتماعية البيضاء أو نفرت منهم هذه البيئة ، لأنهم يجسدون في المجتمع الإسلامى ثقافة روحية تعوضهم عن ثقافة الأكثرية الغالبة ، ويعتمدون على هذا المجتمع لإيواء اللاجئين إليه من أبناء جلدتهم الذين يتقبلهم المجتمع ولا يرفضهم كما ترفضهم الكنائس المسيحية ، وقد تبين من المقال السابق أن المجتمع الإسلامى لا يضيق باللاجئين به من نفايات المجتمع الأمريكى الموصوفين بصفات العاد والذيلة ؛ لأن هؤلاء اللاجئين لا يلبثون أن يشعروا بالتعاطف الصادق بينهم وبين إخوانهم من سبقوهم إلى الإسلام فلا يطول بهم الأمد أن يقلعوا عن عادات السوء التى وصمتهم فى حياتهم الأولى ، ويتوب الأكثرون منهم من ذائل المقامرة والمعارفة ومقارفة الأوزار .

فإذا استطاع المسلم الأسود أن يعتصم بمجتمعه الإسلامى فماذا يكون موقفه فى هذه الحالة من المجتمع الأكبر مجتمع الأمة الأمريكية ، أو الدولة الأمريكية ، فى أوسع نطاق ؟

لقد كان زعيم الدعوة الإسلامية فى الولايات المتحدة يستنهض السود بنخوة القومية والعصية للاستقلال بعقائدهم وعواطفهم عن الأكثرية البيضاء .

فاليهود - مثلاً - قلة فى الولايات المتحدة ، لأن عدتهم على أكبر تقدير لا تزيد على خمسة ملايين ، ولكنهم لا يشعرون بالحيرة التى تشعر بها الأقليات الوطنية إذا اضطرتهم النفرة بينهم وبين المسيحيين البيض إلى اجتناب الأندية والجامع المشتركة ومواضع المزاومة الملحوظة فى الحياة العامة ، لأنهم أصحاب ثقافة دينية وتربوية فكرية تجمعهم معاً عند الحاجة إليها ويعتصمون بها فى عزلتهم المختارة أو عزلتهم الاضطرابية ، وكثير منهم من يختلط بأبناء الأكثرية اختلاطاً تصعب التفرقة فيه ؛ لأنه اختلاط فى المصالح والأعمال .

أما الأمريكى الأسود فليست له عصمة ثقافية يأوى إليها إذا اضطرتة النفرة منه إلى اعتزال المجتمع الأبيض ، لأنه عالة فى ثقافته العصرية على أولئك الذين يعتزلونه ويدفعونه على الرغم منه إلى الاعتزال ، فهو يتعلم منهم ويدين أحياناً بدينهم ، وملاذه من التفكير ومن الآداب الاجتماعية يعود به إلى مجتمع بدائى فى غير القارة الأمريكية ، وليس له قوام اجتماعى فى بلاد هذه القارة .

وهنا تنشأ بين الأقليات حالة خاصة لا تشبه حالة الأقلية اليهودية ولا حالة الأقلية الزنجية ؛ وهى حالة السود المسلمين .

إن هؤلاء السود المسلمين يعرفون لهم ملاذاً

عن عقيدته المسيحية إلى العقيدة الإسلامية ،
ولكن المشكلة (الواقعية) تبدأ حين يتصل
الامر بحكم من أحكام القانون تتعارض فيه
الحقوق وإجراءات القضاء ، وبخاصة مسائل
الزواج والميراث .

فماذا يكون الحكم في قضية تلجأ فيها زوجة
من زوجتين إلى المحكمة للطالبة بحصتها في
الميراث ؟ وماذا يكون الحكم في قضية يتنازع
الخصوم فيها على المسائل الشرعية التي لاتنص
عليها قوانين الدول الأوربية أو الأمريكية ؟
عند الاعتراف بالإسلام مذهباً رسمياً من
مذاهب الدولة يجوز أن تكون لهذه القضايا
جهات نظر مستقلة يحتمل إليها لاختلافون ،
وهذه هي الوجهة التي يتجه إليها زعماء الدعوة
الإسلامية ويعتبرونها حقاً من حقوق
المواطن الأمريكي ينبغي أن يعترف به
الدستور والقانون .

ولا يخفى أن القانون الأمريكي يحرم تعدد
الزوجات ويحرم المذاهب المسيحية التي اعتمدت
في إباحة تعدد الزوجات على نصوص العهد
القديم ، ومنها مذهب المورمون ... ولكن
المشكلة تزول من ناحيتها القضائية إذا بطل
الاحتكام فيها إلى محاكم البلاد وتراضى
الطرفان على حلها بينهما أو على اختيار الحكم
الذي يفصل فيها ، ولو لم يكن هذا الحكم

فهل تمضى الأقلية الإسلامية على هذه الخطوة
فتعزل الأمة التي تعيش بينها اعتوال الأعداء
وترفض الولاء ، القانوني ، للوطن الذي
تفتنى إليه ؟ .

إن هذه الخطوة أخرجت كثيراً من زعماء
المسلمين السود ومكنت منهم خصومهم
الدينيين والسياسيين ، فخار بهم باسم القانون
واستعانوا عليهم بتهمة الخيانة الوطنية ،
وأوشكوا أن يتذرعو بهذه التهمة لحرمانهم
من حقوق المساواة في الانتخاب ووظائف
الحكومة ، فنض من هؤلاء الزعماء المسلمين
أناس يحمون أبناء دينهم من جرائم الاتهام
بخيانة الوطن ويعتبرون الدعوة إلى الإسلام
دعوة مفتوحة للبيض والسود على السواء ،
ولا يرون للدعوة الآن نفعا كبيراً في قصرها
على استئثاره (العصبية) الجنسية واعتبارها
ثورة على البيض في الدين وفي الوطن وفي
آداب الاجتماع .

وهؤلاء الزعماء الكفاة يتوسلون بتغيير
الوجهة على هذا النحو إلى غاية أخرى أصعب
مراماً من الأولى ، وهي الاعتراف بالإسلام
مذهباً من المذاهب الدينية الرسمية في دستور
الولايات المتحدة ، وهو مطلب كبير غير
مطلب الحربة الدينية ، لمن يشاء من السود
أر البيض أن يدين بالإسلام ، فليس في
نصوص القوانين ما يمنع أحداً أن يتحول

أن المسلم الأمريكي الأسود يزاحم البعث
التبشيرية مزاحمة شديدة في القارة الإفريقية
بعد استقلال شعوبها عن سلطان الدول
الغربية ، وينتظر أن يكرن — في تقدير
المبشرين قبل غيرهم — أوفر نصيبا من النجاح
والقبول من إخوانهم السود في تلك البعث
التبشيرية ، وأشد ما يكون الاهتمام بهذه
المسألة في هذه الأيام ، فإننا نفتح الصحف
التي تعنى بها عندهم فلا نصادف نكتة على صحيفة
منها تخلو من أخبار (ترقية) المبشرين السود
إلى كرامى الأساقفة ، بل المطارنة ، من
وجال للكنيستين الكاثوليكية والبروتستنتية
المقيمين بالديار الإفريقية أو الرحلين إليها
من ديار العالم الجديد ، ويزداد عدد هؤلاء
الأساقفة والمطارنة كل يوم في البلاد التي
يكثُر فيها المسلمون ؟

عباس محمود العقاد

مفوضا في وظيفته من جانب الدولة بالنظر
في هذه الأمور .

وقد عهدنا من مؤلف الكتاب أنه لا
يكشف عن نية صريحة في مقاومة الدعوة
الإسلامية . ولكنه صريح كل الصراحة في
بيان المواقف التي توجب هذه المقاومة أو
تسرها لمن يريد .

ويبدو من بين السطور أن تحويل الدعوة
الإسلامية من حركة مقصورة على السود
إلى حركة تفتح ذراعيها للسود والبيض من
الأمريكيين وغير الأمريكيين ، هي موضع
الاهتمام الكبير في دوائر التبشير ، لأن المبشر
الإسلامي من الأمريكيين السود يعاون
الدعوة إلى الإسلام في بلاده كلها اتجاه هذه
الدعوة إلى أبناء البلاد جميعا من قبل المسلمين
الآسيويين والإفريقيين ، وهم اليوم في
أمريكا طليعة ناجحة قديتها غدا مدد كبير ،
وأدعى من ذلك إلى اهتمام دوائر التبشير

مختار من الشعر القديم والحديث

الحسن العارى

المؤلف: علي الجندى

كانت عارية الصدر والظهر والأطراف ١١
فكان منظرها يشير الاشتياز في نفوس الفضلاء ،
وإن راق الذكورة الجماعمة والشهوة الظاسمة
في نفوس الحلقاء والمجان ١١ .

قلتُ : يا احسن هذا الح	من بالستر قين
بات نهياً مستباحاً	لعيون الناظرين
كان قبل اليوم في حصه	من من الصون حصين
يضرع العصب إليه	وهو قاس لا يلين
وله يعنو الأشم الآن	ف ، والسامى الجبين
فمضى منهم السـ	يرة ، بالإفك طعين
وغدا مبتذل العز	ة ، للذل قسرين

* * *

كيف هان الحسن والحسـ	ن عزيز لا يهون
رتعت فيه عيون	ورعت فيه عيون
نهمات تعرب الشـ	وة عنها ، وتبين
كعيون الوحش إن لا	ح لها صيد سمين

* * *

ما على الحسن إذا حـ	ب كالدر الكسـ
وتواري خلف ستري	خلق عـف ودين
بجمال الروح لا يـ	مح إلا بالظنون

(البتية على صفحة ٢٣٤)

في ظلال الاسلام كل الرجاء

المؤلف: محمد عادل - الجهاد

« العالم اليوم يعيش حياة قلق مضطربة ، ويحيا في صراع دائم ولن يفيق من هذا القلق وذلك للصراع إلا عندما ينبثق في روحه شعاع الإسلام الهادي بين سدف المادة إلى روحانية النور » .

ورفات الضياء في عالم الطين	كروح معذب الكبرياء
وانتفاض الأمواج في شاطئ الحزن	كقلب يمزق بالشقاء
وصلاة الهمسات في هدأة الليل	كحلم على جناح المساء
أنا في عالم تموت به الروح	ويحيا على ضفاف الغناء
أنا في عالم الظلام ختمير	صب فيه الإسلام كل الضياء

* * *

أسكب الحب والسلام لدنيا	مزقوها بالحرب والبغضاء
عمقوا الطين في النفوس فراحوا	يتهاوون في حضيض اللعناء
ينسجون الدمار للناس ثوبا	عاري الجمجمات والأشلاء
والخراب الكبير يبتلع الدنيا	يا ويهني بعالم الأحياء
يوشك الحرب أن تعذب روح الأرض	في ذلة الردى السوداء
أطبق الليل والخراب .. ولكن	في ظلال الإسلام كل الرجاء

(بقية المنشور على صفحة ٢٣٣)

لا يحس الشرق للشبه	س بشوق ، أو حنين
وهي للغرب جمال	، وبهاء ، وفتون
يتمنى أن يراها	سافراً في كل حين
حجبت عنه فأضنا	لها الحب الدفين

على الجندى

إنه النور في ظلام الليالي عبقى الأنداء والأضواء
قطرة الله رشت الأرض بالنور فكانت على صراط سواء
أحييت الروح بالسنا ثم راحت تتجدى نوازع الأهواء

* * *

نحن في روحنا انبثاقه فجر غزواته أنامل الصحراء
غير أنا لما نزل في طريق الذبور نمشى بعزومة الأنبياء
نحن قفنا نمزق الليل بالنور ونمضى إلى طريق البناء
ورفعنا عن العيون غشاء طالما لفها ظلام الغشاء
وسمنا على الثرى مستقر الطين بين القواقع الصماء
إن يكن صبرنا - مع الحق للبا - طل فالظلم قاتل الرجاء

* * *

من وراء الأسوار كان عذاب السوط يدمى لهيبه أشلاق
كلما فاض بي الحنين إلى الحق وأطلقت بالحنين ندائى
يكتم الظلم صرختى وحنينى فأصب الحنين فى أحشائى

* * *

وهنا ... حطم القيود أخو القيود وهو الفضبان بالأصداء
طالما كبل التراب خطاه طالما شدد خطوه اللوراء
ثار فوق التراب حين أفاقت روحه : روحه لنهر الضياء

* * *

إنما الدين صيغة الحق للدينيا ولجن الإلهام والكبرياء
ما لهذا العملاق يحجم فى الأرض ويمشى على ثرى الضعفاء ؟
آن للبارد الكبير انتفاض أبدى فى عالم الأقوياء

محمد عادل سليمان

المدرس بالأزهر

الكتاب

نقد وتعریف

الأستاذ محمد عبد الله السنان

١ - ذم الهوى :

للإمام ابن الجوزى

نشرت دار الكتب الحديثة بعابدين هذا الكتاب وقام بتحقيقه فضيلة الشيخ مصطفى عبد الواحد ، كما قام بالمراجعة فضيلة الشيخ محمد الغزالي .

لهذا الكتاب قصة لحصها المحقق في مقدمته له ، إنه حين أراد تحقيق الكتاب وتقديمه للطبع لأول مرة ، لم يعثر إلا على نسخة مخطوطة في المكتبة التيمورية بدار الكتب ، ولكنها كانت مشوهة صفحاتها وممسوخة إلا القليل ، وعلم أن هناك مخطوطتين في مكتبتى باريس الأهلية ، وبرلين ، فسعى إلى طلب صورة منهما وتم له ذلك ، وعليهما اعتمد في إخراج هذا الكتاب ، واستطاع أن يحفظ قطعة من تراثنا ، كاديوطيها النسيان في مكتبات أوروبا ، وغيرها .

فضيلة الشيخ مصطفى عبد الواحد كتب

مقدمة مسهبه ، ترجم فيها للدولف الإمام ابن الجوزى ، معتمدا على بعض المراجع القديمة المشهورة ، عرض فيها لابن الجوزى واعظا ومحدثا ، وعالما متبعا ، وزاهدا عفا ، كما عرض الكتاب من حيث قيمته الأدبية . والمنهج الذى التزمه في تحقيقه . ولقد جاءت المقدمة وافية وجديرة بالتقدير أما الكتاب نفسه فهو موسوعة أخلاقية اجتماعية أدبية شاملة ، يعتبر وثيق الصلة بشقيقه صيد الخاطر ألم فيه ابن الجوزى بكل شيء ، حتى بلغت صفحاته أكثر من ستائة وخمسين صفحة أكثر من الثلاثين فى العشق .

الباب الأول : منه فى ذكر العقل وفضله وماهيته وآراء العلماء والحكماء فيه ، والباب الثانى : منه ، فى ذم الهوى والشبهات ، ونقول عن الصحابة والتابعين والسلف من رجال التصوف وغيرهم ، والباب الثالث : منه فى ذكر مجاهدة النفس ومحاسبتها ،

لم يعتمد في كتابه على منهج محدود ، ولا على مناقشة مدروسة ، بل اعتمد على سرد القصص دون ما تحقيق لها أو تمحيص لسندها وروايتها ، أو تسليط أشعة الإسلام عليها لإقرارها أو رفضها ...

المحقق في الواقع - بذل مجهودا قويا لإخراج الكتاب ، وهو لم يحاول - كما ذكر - أن يتوسع في التعليق والتخريج ، فتمد كأنه ضخامة الأصل لا تقبل أن تزام بتوسع آخر ، وأما أفهم - كما أن ضبط الأصل في الكتاب من العناصر الأساسية للتحقيق - فإن من العناصر الأساسية أيضا إن لم يكن أهمها تحقيق مادة هذا الأصل ، ولا يمكن أن تكون المحقق شخصيته بدون إبداء رأيه في مادة الكتاب ومدى انحرافها عن الفكر الإسلامي الصحيح ، فابن الجوزي حشا كتابه بقصص لا يعبأ بها الإسلام في قليل أو كثير ، حيث امتزجت بالإسرائيليات التي لا طعم لها . رجل من عباد بني إسرائيل نظر إلى امرأة جميلة نظرة شهوة فعمد إلى عينه فقلعها . وواحد من السلف أقسم أن يحرم نفسه بقية حياته الماء البارد لينخص عليها الحياة ، لأنه حانت منه فطرة مرة إلى امرأة ، وأن آخر في بعض المغازي لطم عينه حتى نفرت لأنه نظر إلى جارية ، وأن راهبا في صومعته اطلع منها ذات يوم على شاب جميل فاهتز قلبه

والباب الرابع : منه في مدح الصبر والحث عليه ، والأبواب الستة التالية منه في ذكر القلب ، كيف فصوره ونحرسه ، ما يصدأ به ، وما ينفي عنه الصدأ ، تقليب القلوب والرغبة إلى الله في إصلاحها ، الواظ من القلب ، تفريغه من غير حجة الرب ، والأبواب العشرة التالية بعد ذلك في غض البصر ، وما يترتب عن فضول النظر ، وفي فتنة النساء والاختلاط بهن ، ثم تتوالى الأبواب التي بلغت خمسين بابا ، في ذكر العشق : ماهيته وحقيقته ، دانه ودوائه ، أسبابه ودوافعه ... وبعد - فالمحقق يرى أن الكتاب كتاب أدب بما اشتمل عليه من نصوص وأخبار وأشعار ، وأنه كتاب حديث بما حواه من متون كثيرة للأحاديث ، ونحن لا اعتراض لنا على هذين الرأيين ، أما الذي نعارضه فيه ، أن يرى أن الكتاب من كتب الفكر الإسلامي أو التوجيه الإسلامي الاجتماعي يمتاز بوضوح الفكرة ، أما موضوع العشق الذي استهلك معظم صفحات الكتاب ، فلم يكن دراسة لمشكلة الحب - كما يرى المحقق - بل كان مجموعة لا حدود لها من القصص المصنوعة التي تهتز لها مشاعر العامة من السذج والبسطاء ... والذي يحملنا على أن لا نفر المحقق في أن الكتاب من كتب الفكر أو التوجيه الإسلامي ، هو أن ابن الجوزي

٢ — ابن تيمية :

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
هذا هو العدد الخامس من سلسلة أعلام
العرب ، التي تنشرها مكتبة مصر بالفجالة ،
وتسهم فيها وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،
بمعاونتها المادية الأدبية ، نشرًا للثقافة
في المحيط العربي .

أستاذنا الدكتور يقدم ترجمة عن العلامة
ابن تيمية في أكثر من ثلثمائة صفحة ، قسمها
قسمين :

القسم الأول : عرض فيه عصر ابن تيمية
في النواحي السياسية والاجتماعية والعقلية
والعملية ، كما عرض حياة ابن تيمية نشأته
ودراساته ومكانته العلمية ، وجهاده النثاري ،
وخصومه ومحنه ومنهجه العلمي ...

والقسم الثاني : عرض فيه الدكتور آراء
ابن تيمية في الدين والحياة ، ونظرة عامة
في فقهه . آرائه في السياسة والاجتماع .

الدكتور يقدم لنا نموذجاً حياً لعالم الدين
الحق الذي فهم الإسلام عقيدة وعملاً ، فلم
يكذب تنسب الأنبياء إلى دمشق بأن التتار
في طريقهم إلى الشام ، حتى شمر عن ساعده
يدعو إلى الجهاد ، ويستحث في المسلمين
الغيرة على عقائدهم وأوطانهم وحضاراتهم ،
وحين بدأت المعركة حمل العالم الجليل سيفه
وتقدم الصفوف ليقرن القول مع العمل ..

فأقسم منذ عشرين عاماً على ألا ينظر إلى
إنسان بعد ذلك .

من هذه القصص الكثيرة بل هي معظم
مادة الكتاب . الذي يقرؤه العامة فيثأثرون
به . وكنا نود أن يكون دور المحقق في تمحيص
هذه القصص ، وقنيتها عن أن تكون مادة
للترويج الإسلامي ، وقد يصلح الكتاب
لوعاظ يقوى على التمهيد ، يستعين في مهمته
بالمؤمن منه ، ولكنه لا يصلح للعامة يتخذون
منه مادة للتسلية والتشويق . أما المسلم المثقف
فلأرى في الكتاب إلا صدمة لنفسه ،
ومفهوم الإسلام عنده .

كنت أود مرة أخرى أن يتصدى المحقق
لإبداء رأي الإسلام في هذا الغث الذي يحدث
ارتباكاً في المفاهيم الإسلامية ، بغض النظر
عن مكانة عالم جليل كابن الجوزي . فهو لم يقدم
في الغالب نصوصاً إسلامية ، وإنما قدم
قصصاً إسرائيلية وغير إسرائيلية ، استولت
على أكثر من نصف صفحات الكتاب
في مجال العشق والعشاق .

إن قيمة الكتاب في أنه من تراث علمائنا
الذين نقدرهم ، وأن تقدير المحقق يرتبط
بالجهد الذي بذله في ضبط هذا الأثر ،
ولا نكران أن في الكتاب عظات وتوجيهات
تهذب النفوس ، ولكنها ضاعت وسط هذا
الخصم من القصص المصنوعة ، التي لا مكان
لها إلا في مجال التسلية وقتل أوقات الفراغ .

الكتاب وما صح من السنة ، وأقوال الصحابة والتابعين أحيانا ، وهو في نفس الوقت لا يهمل العقل وتفكيره حين يعمل أساسا على الكتاب والسنة وآثار الصحابة ، وهو يخلع عن عنقه ربة التقليد للغير ، تقديرأ لا يقل نفسه .

وهذا المنهج طبقه ابن تيمية في ما ترك لنا من تراث فكري ، والتفسير . وعلم الكلام والفقه والأصول ... وهو إذ يقر الإجماع والقياس من أصول الفقه ، إلا أنه يردهما إلى الكتاب والسنة أيضا ...

أبرز شيء في حياة ابن تيمية ، موقفه من الجود ، وتحطيمه أسوار التزم ، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، والذي كنا نوده من أستاذنا الدكتور أن يعطى هذه المسألة نصيبا أوفى من صفحات الكتاب فلا زال لهذا الجود أثر في حياتنا ، ولا زال للتقليد مكان رحب في ققنها ...

٣ - الأسرة في الإسلام :

الأستاذ مصطفى عبد الواحد . هذا الكتاب الذي نشرته دار العروبة بالقاهرة لفضيلة الشيخ مصطفى عبد الواحد عرض عام لنظام الأسرة في ضوء الكتاب والسنة كما أراده المؤلف . .

وإزاء مظالم الناس يتصدى ابن تيمية لرد المظالم ، ولو كان الظالم سلطانا أو أميرا ، وإزاء المنكرات يتصدى لتغييرها ولو كانت العولة هي التي أقرتها ...

لننا افتقدنا اليوم هذا النموذج الحي من عالم الدين ، فالعالم الإسلامي في حالة حرب دائمة مع الاستعمار الصليبي والاستعمار الإلحادي ، فلا نجد عالم الدين الذي يصيح : أن حي على الجهاد ...

والمنكر والباطل اليوم يتناولان على المعروف والحق ، فلا نجد عالم الدين الذي يعلى كلمتي المعروف والحق ، ولا يتذرع بالسلبية المطلقة . مكتفيا بأضعف الإيمان . ويقدم الدكتور لنا ابن تيمية إزاء خصومه وسبب محنته ، وهكذا كأن الخصومة والدس والوقية يجب أن تنعقب عالم الدين الحق ، فالإمام المجاهد أعلن الحرب على الدجل والخرافة بخاصمه المتصوفون ، كما أعلن الحرب على الجود الديني ، بخاصمه الفقهاء الجامدون ، وتعاونت الجبهتان معا على الشيخ وزجتها به إلى السجن بوسائل إثارة الجماهير المتدينة في سذاجة تارة ، وبوسائل الدس عليه لدى السلطات تارة أخرى ...

ويقدم لنا الدكتور ابن تيمية العالم ، ومنهجه في البحث ، فهو يعتمد أولا على

الإسلام فيها مصلحة المجتمع ، فهل يتركون
وشأنهم وحسابهم على الله ؟

والمؤلف يعرض بعض بنو آجذه على الحديث
المعروف ؛ تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم
الأمم يوم القيامة ، وحتى إذا صح الحديث رغم
أن الحافظ العراقي ضعف الحديث في تعليقه
على أحاديث الإحياء ، والذي قاله الرسول
والمسلمون يومئذ قلة ، حتى يصلح هذا
الحديث مبروراً ؛ والعبرة ليست بالكم ،
وإلا فقد استعمرت هولندة وتعدادها
عشرة ملايين أندونيسيا وتعدادها فوق
سبعين مليوناً من المسلمين . .

والمؤلف يناقش قضيتي الطلاق وتعدد
الزوجات ، يدافع وحسب عن الإسلام في
إباحته للطلاق وتعدد الزوجات ، وكنا نود
أن يعرض حيثيات الحكم الداعية إلى تقييدهما
ليناقشهما ويفندهما . .

وإذا كان الإسلام قد اعتبر الطلاق وتعدد
الزوجات رخصة للمسلم ، ووكاه إلى ضميره
في طريقة الإفادة منها إذا مادعته الحاجة ،
فهل يتركه الإسلام حراً طليقاً يتخذ من رخصة
الطلاق وتعدد الزوجات مسلاة له ؟

هذا استفسار كنا نود أن يجيب عنه
فضيلة المؤلف . .

المؤلف في الواقع عرض الأسرة في ضوء

جاء الكتاب في أربعة أبواب :
أولاً — بناء الأسرة : حيث تحدث عن
ضرورة الأسرة ، كوضع فطرى ، وصورة
طبيعية للحياة المستقيمة وتحدث عن وظائفها
وتكوينها ، وصعوباتها كما تحدث عن حق
الغريزة وأركان الزواج الشرعى ومظاهر
الزفاف .

ثانياً — نحو السعادة والسلام : حيث
تحدث عن العلاقة بين الزوجين ، وحسن
العشرة ، علاقة الغريزة حقوق الزوج والزوجة
والأبناء ، وحماية الأسرة وقوامة الرجل
وتحديد النسل .

ثالثاً — عند التصدع : تحدث عن واقعية
الإسلام في بناء الأسرة ، نشوؤ كل من الزوجين ،
الشقاق ، حق كل من الزوجين بعد الطلاق .

رابعاً : من شبهات المفتريين : ناقش تعدد
الزوجات والطلاق ، وبيد الطاعة .

المؤلف في حديثه عن تحديد النسل ، يقرر
أن الإسلام أباح للأفراد توقي النسل بطرق
سليمة في بعض الأحوال دفعا للضرر عن
الوالدين أو هن الأولاد ، ولم يذكر لنا هذا
البعض من الأحوال . أليس العسر الاقتصادي
من الأحوال الضرورية التي تلحق الضرر
بالوالدين والأولاد معا ؟ . .

ولم يذكر المؤلف لنا إذا تنكب المسلمون
طريق الإسلام ، فلم يعملوا برخصة رخصها

للتجارة والصناعة يضع الإسلام حدودا الحرية الدوافع الذاتية في نفس الفرد ، وذلك لأن الملكية الخاصة والصالح الاجتماعي أمران متداخلان مرتبطان ارتباطا وثيقا حيويًا ، وهما يتحققان في دولة يسودها الانسجام المتبادل .

ثم عرض المؤلف للدين الإسلامي تجاه الاقتصاد ، ففند آراء الذين يعجزون عن إيجاد أى انسجام بين الاقتصاديات والدين ، فالإسلام يقدم أساسا صحيحا للحياة الدنيوية والروحية ، والذين تعمقوا في دراسته يعلنون بلا خوف ، أنه يعمل على هداية أتباعه في شئون المادة والروح على السواء .

إن بحث المؤلف يتسم بعمق الدراسة وأصالة التفكير ، وثقافته الرفيعة أسهمت إسهاما كبيرا في تقديم دراسة إسلامية عن الاقتصاد ، تجردت من السطحية والإسفاف اللذين تميزا بهما كثير من مؤلفات الذين يزجون بأقلامهم في موضوعات لا صلة لثقافتهم بها ؟

٥ - الطريق إلى اتحاد إسلامي :

للدكتور نجيب السكيلاني

نشرت هذا الكتاب مكتبة النور بطرابلس ليبيا ، والمؤلف أديب مصري معروف بقصصه التاريخية الإسلامية ودواسته الدينية .

الإسلام عرضا طيبا مركزا ، وإن لم يلم للماسا شاملا بكل مسائلها ، ولسكننا افتقدنا في هذا العرض الطيب المركز آراء أئمة الفقهاء قديما وحديثا والمذاهب الاجتماعية المعاصرة فإن المسلم المتدين يلبي هذا العرض حاجته ، أما المسلم المثقف الذي درس الفلسفة والاجتماع البشرى إنما يحتاج إلى مناقشات . . وليس إلى مجرد عرض طيب .

ونحن بعد ذلك نقدر في المؤلف غيرته الإسلامية التي طالما أطلت علينا من بين سطور كتابه . .

٤ - الإسلام ونوازل المجتمع :

تأليف ميرزا محمد حسين :

طبع هذا البحث في العدد الأخير من سلسلة الثقافة الإسلامية ، وقام بترجمته الأديب الأستاذ فتحى عثمان عن الانجليزية . .

المؤلف من مفكرى الباكستان ، ومن المتخصصين في الاقتصاد ، الذين نهلوا من الثقافة الغربية ، وتأثروا بالثقافة الإسلامية .

ناقش المؤلف الملكية الخاصة تجاه الصالح العام ، فهي أولا - دماء الحياة للرأسمالية ، والقضاء عليها هو الأصل البراق للاشتراكية .

ويرى أن الإسلام يدع الفرد ينهض بأعماله إلى النهاية ما دام لا يزهج التوازن الاجتماعي ، ومن أجل ضمان النمو السليم

الموضوع يهمل العناصر البارزة التي يجب أن يبنى عليها حيثياته ، فالسلام السامح من غير حدود ، قد يعطى مفهوما شاملا ، ولكنه لا يعطى قواعد تدرس ، وهو في المقدمة يكتب تمهيدا لبحثه ودراسته ، تمهيدا قام على إبراز العناصر لمكرته ، ونحن في عصر السرعة محتاجون إلى عناصر محددة ، وموجزة لإيجازا مركزا . لكي نبليغ الهدف من أقصر طريق ، وقد ناقش المؤلف أفكارا وموضوعات جاءت عرضا في موضوعه ، وكانت تحتاج إلى دراسات مستقلة .

ولقد حمل المؤلف في معظم موضوعاته على الاستعمار باعتباره المعسوق الأساسي للإسلام ، وفات المؤلف أن الاستعمار لم يعتمد إلا على عملاء ، وأين كان وعي الشعب المسلم من هؤلاء العملاء . إن المسؤولية أولا وأخرا تقع على عاتق الشعب المسلم ، ويوم أن يوجد الشعب المسلم الواعي يمكن للإسلام أن يأخذ مكانه ، هذا الشعب المسلم الواعي الذي نريده . يجب أن يكون بداية الطريق ، وإلا فإننا سنقطع كل طريق نحو الإسلام لنعود من حيث أتينا .

وعنوان الكتاب له تقديره وخطورته مما ، وإن لم يكن جديدا في موضوعه ، وإنما يعتبر جديدا بالنسبة لهذا الوقت الذي أصبح الحديث فيه عن وحدة المسلمين غريب كل الغرابة في عصر أصبح للتوميات مكانها وأهميتها .

تحدث المؤلف عن هذا العصر ، حيث يجتاز العالم أخطر مراحل حياته ، ويخوض تجارب مريرة ، وتوزعه أجواء شتى ، ولكنه يزهّد كل الزهّد في القيم الدينية ، ثم يتساءل المؤلف : لماذا انحسر ظل الإسلام ؟ وما دورنا نحن المسلمين إزاء هذا الصراع الفكري ؟ وما الطريق لخلق رأى عام إسلامي ؟ وما أسس الاتحاد الإسلامي ؟ وما صورته ؟ وما العلاقات الخارجية بالنسبة له . ويجب المؤلف عن هذا التساؤل لإجابة الدارس الواعي .

نراه يقترح أن تكون أسس الاتحاد الإسلامي : العقيدة والشريعة والإخاء الإسلامي ، والنهضة العلمية ، ثم يشرح هذه الأسس شرحا موجزا تارة ، ومطنبا تارة أخرى . . كما نراه عند تناول غير هذا

بريد المجلة

وعن صور اللهو والتسلية ، وعن المبيت في المقابر ، وانتهازها فرصة لما لا ينبغي - إذا خلت من كل ذلك وخلصت للدعاء والعظة ، واتخذت فيها الآداب الشرعية . كانت مشروعة للرجال والنساء ... وإن ، فما يفعله كثير منا في زيارة أصحاب الأضرحة الكاسية ، المزركشة ، ذات المقاصير المنفضة ، والقباب المزخرفة . تجاوز للحد المشروع في زيارة القبور ، واقتحام غير المشروع باسم المشروع ، فوقفة الاستئذان على باب الضريح ، واستقباله مع رفع الأكف بالضراعة والمناجاة ، والطواف حوله مع تقبيل جوانبه والتمسح بحديده أو خشبه ، وشرح القضايا والمهام ، وتقديم العرائض وطلب الفصل فيها ، كل ذلك عمل غير مشروع ، يأباه الله ، ويأباه الرسول ، ويغضب منه أصحاب الأضرحة أنفسهم ، وأولياء الله ، وهم - بنص كتاب الله - الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كانوا في حياتهم لله عبادا مخلصين ، لم يتجهوا بقلوبهم إلى غير الله ، ولم يقفوا بباب أحد سواه ولم يرفعوا أكف الضراعة إلا إليه ،

مكهم التوسل بالأولياء وما يصحبه :
نشرنا في العدد الماضي فتوى موجزة للجنة الفتوى بالأزهر في موضوع التوسل بالأولياء وقد اطلعنا على فتوى مفصلة للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت في هذا الموضوع رأينا من الخير أن نشرها هنا نقلا عن كتابه للفتاوى ليحيط القارئ علما بما يجوز وما لا يجوز في زيارة القبور .

قال فضيلته ما ملخصه :

ينبغي أن يعلم ، أن زيارة المقابر كانت في أول الإسلام محرمة على الرجال والنساء ، وأنه حينما استقرت عقيدة الإسلام في القلوب ، وعرفت أحكامه وأهدافه أبيحت الزيارة ، وجاءت فيها جملة من الأحاديث الصحيحة ، تضمنت مشروعيتها وكيفيةها وحكمتها ... والذي يؤخذ من هذه الأحاديث ، أنه متى قصد زيارة القبور الإحسان إلى الميت بالدعاء ، وإلى النفس بالعظة والاعتبار ، وخلصت عن تحديد الأحزان ومظاهر الجزع وعن التجمعات الساخرة التي نراها في الأعياد والمواهم ،

ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .

د قال شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسير تلكم الآيات الكريمة في سورة العاديات : د فأقسم بالخيل متصفة بصفاتها التي ذكرها ، آتية بالأعمال التي سردها لينوه بشأنها ويعلى من قدرها ، في نفوس المؤمنين أهل العمل والجد ، وكان في هذه الآيات القارعات وفي تخصيص الخيل بالذكر في قوله : د وأعدوا لهم ، الآية ، وفيما ورد من الأحاديث التي لا تكاد تحصى ما يحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون في مقدمة فرسان الأرض مهارة في ركوب الخيل ، أفليس من أعجب العجب أن نرى أما هذا كتابها قد أهملت شأن الخيل والفروسية إلى أن صار يشار إلى راکبها بالهزؤ والسخرية ؟ .

أليس من أغرب ما يستغرب أن أناسا يزعمون أن هذا الكتاب كتابهم يكون طلاب العلوم الدينية منهم أشد الناس رهبة من ركوب الخيل وأبعدهم عن صفات الرجولية ، حتى وقع من أحدهم أسانذتهم المشار إليهم بالبنان عند ما كنت أكله في منافع بعض العلوم وفوائدها في علم الدين أن قال : د إذا كان كل ما يفيد في الدين نعله لطلبة العلم كان علينا إذن أن نعلمهم ركوب

كانوا يدعون الناس إلى هدى الله وشرعه وهم يحبون من الناس أن يسلكوا سبيلهم ، يعبدون الله كما عبدوا ، ويتقربون إليه بما تقربوا ، فإذا ما سلكنا في زيارتهم ما سلكوا في زيارة أسلافهم ، طابعت نفوسهم واطمأننت أرواحهم ، وإذا ما انحرفنا عن طريقهم ، فوجهنا وجوهنا في عبادة الله إليهم ، واتخذنا قبورهم مطافا كالبيت الحرام ، ومستلما كالخبر الأسود ، ومصلى كسقام إبراهيم ، وخاطبناهم بالدعاء والرجاء ، فقد جافينا طريقهم وجفوناهم ، وصرنا إلى ما يحزنهم ، لا إلى ما يرضيهم .

والعاديات ضبحا :

قرأت للرحوم الدكتور زكي مبارك قوله في مقال وجهه إلى أدباء لبنان :

(مجد مصر اليوم هو مجد أقلامها ، وهو المجد الجدير بالخلود ، وقد أقسم الله بالقلم ولم يقسم بالسيف) .

وإن من حفظ كتاب الله معنا قد سها عن قوله تعالى : د والعاديات ضبحا ، فالهوريات قدحا ، فالغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا ، إن الإنسان لربه لسنود ، وللقسم بالخيل هو مثل القسم بالسيف . والخيل من العدد التي أمرنا الله في (الكتاب) بإعدادها للدفاع والجهاد بقوله : د وأعدوا لهم

ويسموننا لام الجحود وقد ورد القرآن
الكريم بهذا الاستعمال قال تعالى : « لم يكن
الله ليغفر لهم » .

محمد صابر

مدرس بالمدارس الثانوية

مجمع بحث على أبحاث :

طال الأخذ والرد بين الأدباء في جمع بحث
على أبحاث والكثيرون على أنه خطأ لا يجيزه
القياس وكتب اللغة لم تذكره إلا (أقرب
الموارد) وأرى من المفيد أن أذكر قاعدة
النحاة الكوفيين العامة ومنهجهم في القياس
على المسموع من كلام العرب . وهي تتلخص
في جواز القياس على ما ثبت ورود نوعه
عن العرب ولو كان هذا الوارد قليلا ، بينما
يتزمت للنحاة البصريون ويتشددون في أمر
القياس فلا يقيسون إلا على المسموع الكثير
سواء في ذلك التراكيب والمفردات .

وقد ثبت أن العرب جمعت وزن فعل
المفتوح الفاء الساكن العين على أفعال من
ذلك حمل وأحمال ، وفرخ وأفراخ ، وزند
وأزناد . قال الله تعالى : « وأولات الأحمال »
وقال الخطيب :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
وقال الأعشى :

الخيل ، يقول ذلك ليفحمني وتقوم له
الحجة على ، كأن تعليم ركوب الخيل بما لا يليق
ولا ينبغي لطلبة العلم .

وبعد ، فقول الدكتور المرحوم : مجد مصر
اليوم هو مجد أقلامها قول حق . وإنها
لظاهرة - وهناك تلك العزائم والمهم بالمجددين
العظميين والعلم منذ كان محتاج إلى العلم كما قال
عمارة النبي في ميمنته العبقريّة . وقد كان مجد
وإنه ليعود ، ومن ساد في القديم ورام العلا
فلا بد أن يسود ، وألف سنة في العز والسلطان
لن يذهب سدى . وكتاب الله نتلوه كل يوم ،
وفيه تحريض ، وفيه تحضيض ، وفيه تذكير ،
وفيه تبشير ، وفيه الضياء وفيه الهدى .
« فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم
يبحزنون » .

أنهري فريدم

لم يكن يعرف :

قرأت في جريدة الأخبار مقالا لأحد
الكتاب جاء فيه من قوله لم يكن يعرف ،
ولم تكن نتيج ، وهذا الاستعمال ظاهر الخطأ
وصوابه على حسب استعمال العرب : « لم يكن
ليعرف ، ولم تكن لنتيج ، ؟ لأن كان المنفية
بما ويكن المنفية بلم لا يرد بعدها للفعل
المضارع إلا مسبوقا باللام المؤكدة للنفي

وجدت إذا أصلحوا خيرهم
وزندك أنقب أزنادهما
المفرد المفتوح الفاء الساكن العين الصحيحها ،
واسكن هذا لا يمنع من القياس على ما سمع
منه كما ذهب إليه نحاة السكوفة .

بفرد مصطفى مواد

أبيات يقنازعرها الشرق والغرب

هي الأبيات التي أولها :

وقانا لفحة الرمضاء واد
سقاء مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فثنا علينا
خنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظما زلالا
ألد من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا

فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى
قتلس جانب العقد النظيم
فقد أجمع أدباء المشرق كما يقول ياقوت
في معجم الأدباء على نسبة هذه الأبيات إلى
أبي نصر أحمد بن يوسف المنازى المتوفى
سنة ٤٣٧ هـ ونسبها أدباء الأندلس ومؤرخوها
إلى حمدة بنت زياد الأندلسية قالها في وادي
آسن . وفي وفیات الأعيان لابن خلكان أن
المنازى اجتاز في بعض أسفاره بوادي
(بزاعا) قرية بين منبج وحلب فأعجبه حسن
هذا الوادى وقال في وصفه هذه الأبيات .

يرى البصريون أن هذه الجموع ونحوها
عاشد من القياس فهمى من النادر الذى
لا يجوز القياس عليه ، فأبحاث ونحوه جمع
خطأ ، لأن العرب لم تنطق به بذاته .

ويرى الكوفيون احترام المسموع وإن
كان قليلا . فأبحاث ونحوه عندهم جمع صحيح
لا غبار عليه لأن العرب نطقوا بنوعه وإن
كان قليلا .

ولعل هذا رأى هو المصدر الذى استقى
منه صاحب أقرب الموارد ما أورده وأغلب
الظن أن ليس له مصدر سوى هذا .

أما ترجيح أحد الرأيين على الآخر فالذى
أميل إليه هو رأى الكوفيين ، إذ ورد في
اللغة الفصحى مع ما ذكرت أولا أفراد
وآلاف وآراء وأنجاد وأنهار وأنحاء ،
وكثر هذا الجمع في واوى الفاء ومضعف
اللام مثل أوفاف وأوقات وأوصاف وأوكر
وأوعار وأوغاد . وقل أجساد وأعمال
وأبرار وأفذاذ . وربما كان في اللغة غيرها
وهي طائفة صالحة للقياس عليها . وهذا يدل
على أن العرب طردوا هذا الوزن (أفعال)
في جميع أوزان الاسم الثلاثى المجرد بلا قيد
ولا شرط . نعم إنهم لم يكثروا منه في جمع

والمفسرين . . وأسأذن فضيلته أن يفكر لي من هم هؤلاء الفقهاء والمحدثون الذين عناهم فالبحث العلمي يحتاج إلى وضع النقط فوق الحروف وتحديد أسماء المکتب وکاتبين . .

حتى يمكن أن أقصد في الجدل كما أشرت في ردكم . . أما ما ذكرتموه من رأى لبعض المفسرين في قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك » فإنه رأى يقابله سبعة آراء مخالفة في تفسير الآية نفسها ، فضلا عن أن هذا الرأى مرجوح بانعدام الرواية بالبسملة في قراءة القرآن من أثناؤه . وهذا محل إجماع . . وهو أيضا العمدة في استدلالى . . فلم يرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم رواية واحدة ولو ضعيفة تدل على أنه بسمّل حين قرأ قرآنا من أواسط السور . . فكنت أرجو أن تكون هذه النقطة بالذات هى محور حديثنا ، ومركز اهتمامنا . . لا نقول : المفسرين ، والفقهاء ، والقراء . . وأنا لم أرجح رأى من استعاذ فقط . . إلا اعتيادا على ما نسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .

وبعد : فكنت أود ألا أثقل على مجلّتنا « الغراء » بهذا الرد . . بعد أن طال في هذا الموضوع الأخذ والرد . . واسكن ما الحيلة ؟ وحق الدفاع مكفول لكل من هوجم ، ونسب إليه ما لم يقله ، ومن جهة أخرى فإن البيان

فهل في تقادنا اليوم من يقضى في هذا النزاع ، وبين الرأى الذى هو أولى بالاتباع ؟

مهل الذين المأخضاتى

* * *

الاستعانة من يتلى القرآن من أواسطه : أكبر الظن أن فضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكي . . لو راجع ما كتبتّه في عدد شعبان سنة ١٣٨١ هـ بشأن الاستعانة حين يتلى القرآن من أواسط سورة . . لا اعتذر لما نسبته إلى من إنكار التسمية في أول القراءة مطلقا . . سواء أكانت القراءة من أوائل السور أو من أثنائها . . فقد جاء بصحيفة ٩٧٧ من العدد السابق (وما ينبغي أن يعلم أنه لا خلاف بين القراء في الإتيان بالبسملة لمن يتلو من بداية السور - عدا براءة - . . . فافتتاح السور من أوائلها بالبسملة لا خلاف فيه . . إنما محل الخلاف قراءة القرآن من أواسطه . .)

.. هذا ما كتبتّه واضحا لا غموض فيه ، ومنه يظهر أنى لا أخالف في الإتيان بالبسملة حين يتلى القرآن من أوائل السور . لقد جاء في مقالى السابق قولى : إنما فى أوائل السور تتبع رسم المصحف ، ونوافق الإجماع . وقد رأى فضيلته أن القراء بإجماعهم أقل من أن يواجهوا إجماع الفقهاء والمحدثين

الإسلامي للدراسة أن نبقى على المركز الثقافي الإسلامي يباشر مهمته الإسلامية التي يقوم بها الآن ثم نزيد في أعماله وفروعه بإنشاء المعهد الدراسي ويكون تحت إشراف المركز وشعبة من أعماله فنحقق أغراضا سامية مجتمعة في آن واحد وأملنا كبير في تحقيق ذلك من السيد / وزير الأزهر والمسؤولين والله الموفق .

الحسيني هاشم

المدرس بمعهد الزقازيق

* * *

إلى السادة القراء :

اعتادت هذه المجلة أن تصدر عشرة أشهر في السنة ثم تحتجب شهرين اختارتهما ذا القعدة وذا الحجة ، ولكن هذين الشهرين قد يقعان في غير الصيف حين يشتد النشاط ويثمر العمل ولذلك اختارت أن تكون عطلتها في شهرى الصيف يوليو وأغسطس وهما بوافاق في هذا العام شهرى ربيع الأول وربيع الآخر وستستأنف الصدور إن شاء الله في شهر جمادى الأولى .

واجب ، والساكت عن الحق شيطان أخرس ، والاتباع خير من الابتداع .

محمد محمد الشرفاوى

المدرس بمعهد الإسكندرية الدينى

* * *

المركز الثقافى الاسلامى بواشنطن :

قرأت في جريدة الأهرام الصادرة في ٣ يونيو سنة ١٩٦٢ أن المركز الإسلامى بواشنطن دارت من أجله اتصالات بين سفارة مصر بواشنطن وبين السيد نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والأزهر الأستاذ حسين الشافعى وكان الغرض من هذه الاتصالات بث الثقافة العربية والإسلامية بجعل المركز الإسلامى وتحويله إلى معهد علمى يدرس فيه أساتذة من العالم العربى والإسلامى ويخرج هذا المعهد الأمريكىين الطلبة فى مدة ثلاث سنوات مزودين بالثقافة العربية الإسلامية ويعطى الطالب شهادة رسمية وهى فكرة جميلة طيبة ونهضة مباركة ، ولكنى أرى أن خير طريق لتنفيذ فكرة إنشاء المعهد العلمى

مِنْ أَصَابِيرِ لَجْنَةِ الْفَتَاوَى

بشرف عليه : إبراهيم محمد الأصيل

حكم شركة من يجد المال مع من يجيد العمل :

السؤال :

اشترى أحد الأشخاص ما كينة خياطة من ماله الخاص ثم أتى بعامل وتعاقد معه على أن يخطط على هذه الماكينة وما نتج من ذلك يقسم بينهما بالسوية فهل يجوز ذلك ؟ .
محمد عبد الله الشنقيطي

الجواب :

ذلك العقد جائز شرعا كما هو مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه وهو ما اختارته لجنة الفتوى .

تحديد الرقيق ، وحكم ضرب الرق على بعض الناس لغیر سبب شرعى مع التجارة فيهم :

السؤال :

ما حكم التجارة في الرقيق ، وهل هو محرم بنص شرعى أو بقانون مدنى ؟ .
حسين محمود شبراوى

الجواب :

الرق سببه المحاربة بين المسلمين والكافرين وأسر المسلمين لبعض الكفار

حكم شراء الحب قبل أن يحصد بأقل من

ثمنه عند الحصاد :

السؤال :

تاجر يشتري إردب القمح قبل أن يحصد بـ ٣٠٠ قرش مع أنه في وقت الحصاد يساوى ٥٠٠ قرش ويشتري ضريبة الأرض بـ ١٠ جنيهات مع أنها في زمن الحصاد تساوى ٥٠٠ ر ١٦ فهل يجوز ذلك ؟

عبد الهادى حسين عفيفى

الجواب :

هذا يعرف في الشرع بالسلم وهو جائز شرعا متى استوفيت شروطه التى منها قبض البائع الثمن جميعه عند العقد والاتفاق على التسليم والنظافة والجودة والرداءة إلى غير ذلك من الشروط التى تمنع النزاع بينهما فى المستقبل وكان هذا الربح مما جرت به العادة فى البلد بحيث لا يكون فيه غبن أو استغلال حاجة المحتاج .

الجواب :

يقول الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

ويقول عليه الصلاة والسلام في أهل الذمة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) .

فيجوز السير في جنازة أهل الكتاب حيث يراد المجاملة دون التعظيم ، ويجوز حمل نعش السكتاني إذا لم يوجد من أهله من يحمله وتجاوز المساعدة في الدفن إذا احتج إليها ، وتجاوز تهنئتهم بالعيد ، وزيارة مرضاهم ، ويجوز بدوهم بالتحية ، ومواساتهم في جميع الأحوال ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

حكم انتفاع المرتن بالرهن :

السؤال :

لى قريب قدرهن شقة من منزل فهل يجوز للمرتن استغلال هذه الشقة ؟
السيد / عبد الرحيم عبد المجيد

الجواب :

شرح الرهن لتوثيق الدائن على دينه الذي له في ذمة الرهن فإذا انتفع المرتن بالعين المرهونة مدة الرهن كان ذلك من باب الربا فيكون استغلاله على المنفعة زيادة عن مقدار دينه حراما يجب تركه .

والإمام مخير في الأسرى بين الفداء والمن والقتل والاسترقاق — ومن ضرب عليه الإمام الرق صار رقيقا يحل بيعه وشراؤه وهبته باعتبار أنه مملوك ، والرق بهذا المعنى مشروع ، ولا يشرع بغير هذا السبب بمقتضى النصوص الشرعية ، كما أنه لا يشرع الآن بهذا السبب ولا بغيره بمقتضى القانون المدني .

وأما ما يوجد الآن من جلب أناس من أماكن مجاورة وضرب الرق عليهم لغير السبب السالف فمثل هؤلاء لا يجوز بيعهم ولا شراؤهم بل يحرم ذلك شرعا وقانونا لأنهم أحرار والحر لا يجوز بيعه .

السيد / حيدر محمود شيرازي

حكم مجاملة أهل الذمة ومداهما :

السؤال :

يقطن بقريقتنا بعض القبط وهم يوادون المسلمين ويحاملونهم في أفراحهم وأتراحهم وقد مات أحدهم فاختلفت آراء مسلمي الناحية في :
١ - جواز السير في الجنازة .

٢ - حمل النعش .

٣ - المساعدة في الدفن .

٤ - البدء بالتحية .

٥ - تهنئتهم بالعيد .

السيد / محمد عثمان النمر

الشبيكة تبع سلوة قبلى

حكم شرب البيرة وبيعها :

السؤال :

ما حكم شرب البيرة وبيعها ؟

محى الدين فراج

الجواب :

شراب البيرة الكثير منه مسكر وما أسكر كثيره فالقليل والمكثير منه حرام وعلى ذلك فشراب البيرة حرام وبيعها حرام .

حكم العقد العرفي :

السؤال :

رجل يريد الزواج بامرأة بعقد عرفي فهل هذا جائز شرعاً وما طريقة إجراء هذا العقد ليكون شرعياً ؟

محمد علي إبراهيم

الجواب :

يجب أن يتوفر في عقد الزواج الإيجاب والقبول بشرط حضور الشاهدين ، والتوثيق في الوثائق الرسمية أصبح واجباً قانوناً وله آثاره وهذا ما تجب به اللجنة على هذا وتنصح بعدم إجراء هذه العقود .

حكم الرضاع المحرم :

السؤال :

شاب يريد الزواج من ابنتي مع العلم بأن

أمه أخبرتني بأنها أرضعت الفتاة ولا تعلم عدد الرضعات فما الحكم ؟ . محمود محمود إبراهيم

الجواب :

الشك في عدد الرضعات إذا كان يدور بين خمسة أو أكثر حرمت الفتاة بيقين الخمسة فلا يحل لابنك أن يتزوجها ؛ لأنها تعتبر أختاً له من الرضاع نظراً لأنها رضعت من أمه فأمه أم لها من الرضاع وابنك أخ لها من الرضاع والرضاع يحرم به ما يحرم من الفسب .

أما إذا دار الشك بين خمسة أو أقل فلا يحرم على ابنك التزوج بهذه الفتاة لأن الخمسة غير متيقنة والمحرم هو خمس رضعات متيقنات متفرقات كما هو مذهب الإمامين الشافعي وأحمد رضى الله عنهما وهو الذي تفتى به اللجنة .

أحكام عامة في الهبة والوصية :

السؤال :

(١) وهب لابنته القاصرة نصيبها في الميراث وقبل لها وقبض عنها واشترط لذلك شروطاً هي : —

١ — أن تصبح الهبة نافذة ومطلقة قبل وفاته بثلاثة أيام .

٢ — أن يحتفظ لنفسه بالفوائد والمنافع إلى أن تصبح الهبة نافذة أى إلى ما قبل وفاته بثلاثة أيام .

الشرعى يشترك فيها جميع الورثة حسب
الفريضة الشرعية .

السؤال :

مات الرجل ولم يوص إلى أحد بالقيام
على ابنه في تربيتها والحفاظة على مالها فمن
الذى يتولى ذلك ؟ .

الجواب :

الأصح فى مذهب الشافعية أن ولاية المال
لمن يقيمه القاضى حيث لا جد ولا وصى من
جهة الأب ولا من جهة الجد وحيث أقام
القاضى الأم كانت هى المنصرفة ولا حق
لغيرها معها فى إدارة ممتلكات الصغيرة وإذا
رأى القاضى أن يشرك معها غيرها كالآخ
أو غيره ، أو رأى تنحيتها لنقص فى تصرفها
وإقامة غيرها مقامها كان له ذلك إذ له أن
يتصرف حسب المصلحة .

حكم ميراث ابن أخ شقيق مع أخوين
شقيقين :

السؤال :

توفى رجل عن أخوين شقيقين وابن أخ
شقيق فمن يرث وما نصيبه ؟ .

محمود عيد

الجواب :

الميراث كله للأخوين الشقيقين تعصيا
بالسوية بينهما ولا شيء لابن الأخ الشقيق
لأنه محجوب بالأخوين الشقيقين .

٣ - أن تكون له القدرة على أن يبيع
ويتصرف فى النصيب المذكور إلى ما قبل
وفاته بثلاثة أيام فما الحكم ؟

الجواب :

هذه الهبة قد شرط فيها شروط الأول
منها معناه تعليق الهبة إلى ما قبل وفاته بثلاثة
أيام وهذا يمنع انعقاد الهبة إذ الهبة تمليك
منجز والثانى والثالث معناهما الرجوع فى
الهبة ، وهذا يتنافى مع مقتضى العقد فإن
الهبة تمليك مطلق أيضا فضلا عن أن نصيبها
فى الميراث مجهول الآن والهبة لا بد أن يكون
الموهوب فيها معلوما وقت الهبة . فهى
هبة باطلة .

السؤال :

وهب لزوجته نصف نصيبها فى الميراث
ولم يذكر أنها قبلت عقب الهبة ولا أنها
قبضت ما وهب لها فى حال حياة الواهب ،
واشترط لهذه الهبة أنه إذا حصل طلاق أو
انفصال عادت إليه الهبة .

الجواب :

هذه الهبة لم تتم بالقبول والقبض وأيضا
قد اشترط فيها ما ينافى مقتضاها والموهوب
مجهول وقت الهبة فهى باطلة .

وعليه فهذه الهبة بتسليمها للهبة للبنت والهبة
للزوجة تركه للتوفى تورث عنه بالميراث

بين الصِّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق عبد الرحيم فودة

نبي الإسلام :

منذ وجد الإنسان على الأرض وهو مشوق إلى تعرف ما في الكون المحيط به من سنن وخصائص ، وكلما أمعن في المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذى قبل ، وظهر له ضعفه وتضائل غروره . ونبي الإسلام صلوات الله عليه شبيه بالوجود ، فقد جد العالما منذ أشرقت الأرض بنوره يتلبسون نواحي العظمة الإنسانية فيه ، ويتلبسون مظاهر أسماء الله جللت قدرته في عقله وخلقه وعلمه ، ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى شئ من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل وبعد شاسع وطريق لا نهاية له .

والنبوة هبة الله لا تنال بالكسب ، لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح للمستعد لها ، والقدار على حملها . « الله أعلم حيث يحمل رسالته . » ومحمد صلى الله عليه وسلم أعد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمع ، أحمره وأسوده ، إنسه وجنه ، وأعد لأن يحمل أكل رسالة وأكمل دينه ، ولأن يختم به الأنبياء والرسل ،

وأيكون شمس الهداية وحده إلى أن تنفطر السماء . ونسكدر النجوم . وتبدل الأرض غير الأرض والسموات . »

للرحوم الشيخ « محمد مصطفى المراغى ، من مقدمة كتاب « محمد » : للدكتور هيكل دع ما ادعته النصرى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحافيه واحتمك فإن قدر رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفهم « البوصيرى ،

عموم رسالة الإسلام :

ولم تكن رسالة الإسلام رسالة موضعية محددة ، يختص بها جيل من الناس دون جيل . أو قبيل دون قبيل ، شأن الرسالات التي تقدمتها ، بل كانت رسالة عامة للناس جميعا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لا يختص بها مصر دون مصر ، ولا عصر دون عصر ، قال الله تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » ، وقال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » ، وقال تعالى : « قل يا أيها الناس إني رسول الله

به حفظ الدين . وحفظ النفس وحفظ العقل ، وحفظ النسل ، وحفظ المال ، وبديهى أن هذا يناسب الفطر ويساير العقول ، ويجارى التطور . ويصلح لكل زمان ومكان . من كتاب فقه السنة للأستاذ الشيخ السيد سابق

ليلة ٢٣ يوليو

عنيزة الله كانت معنا

في نحو الساعة العاشرة من مساء ٢٣ يوليو جاء إلى بيتي ضابط من ضباط الخابرات وعضو من جماعة وإن كنا لم نخطره بما اعتزنا القيام به — لتحذيرى بأن القصر قد تسرب إليه نبأ استعداد الضباط الأحرار للتحرك ، وأنه قد اتصل برئيس أركان حرب الجيش فدعا إلى عقد اجتماع عاجل في الساعة الحادية عشرة لاتخاذ الإجراءات ضدنا . وكان لا بد من اتخاذ قرار فوري .

فلو أننا تركنا كل شيء ليم في ساعة الصفر المتفق عليها وهى الواحدة صباحا — فقد يدركوننا قبل أن ندركهم ومن ناحية أخرى كانت الأوامر قد وزعت ، وكان من أصعب الأمور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع . وانضم إلينا ضابط الخابرات . وخرجت مع عبد الحكيم عامر لنجمع بعض القوات من ثكنات العباسية ... ووصلنا متأخرين . فقد وجدنا أن البوليس الحربى قد أغلق

إليك جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ، وفى الحديث الصحيح : (كان كل نبي يبعث فى قومه خاصة ، وبعث إلى كل أحر وأسود) .

ومما يؤكد عموم الرسالة وشمولها ما يأتى :

١ - أنه ليس فيها ما يصعب على الناس اعتقاده أو يشق عليهم العمل به ؛ قال الله تعالى « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وقال تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال تعالى « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وفى البخارى من حديث أبى سعيد المقبرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن هذا يسر ، وإن يشاد الدين أحد إلا غلبه) وفى مسلم مرفوعا : (وأحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)

٢ - أن ما لا يختلف باختلاف الزمان والمكان - كالعقائد والعبادات - جاء مفصلا تفصيلا كاملا ، وموضحا بالنصوص المحيطة به ، فليس لاحد أن يزيد فيه أو ينقص منه ، وما يختلف باختلاف الزمان والمكان كالمصالح المدنية ، والأمور السياسية والحربية جاء مجملا ليتفق مع مصالح الناس فى جميع العصور . ويهتدى به أولو الأمر فى إقامة الحق والعدل .

٣ - أن كل ما فيها من تعاليم إنما يقصد

وجلسنت مع الأستاذ جلال الدين الخمصي
نتحدث في بعض هذه الشؤون ...
وسألني « جلال » بعد فترة من الصمت
للكتيب هذا السؤال ...

هل الله موجود ... ١٩
وفتحت عيني في دهشة بالغة ... ولم أرد .
قال : قل : نعم .
قلت : وماذا بعد نعم ... ١٩
قال : أليس حاكما عادلا ... ؟
قلت : بلى ... وماذا بعد ... ؟
قال : والله ... لا يمكن أن تكون نهاية
هؤلاء المستهترين طبيعية .

وبعد ذلك بأسبوع كنت مع الأستاذ
« الباقوري » بعد منتصف الليل نسير في
شارع الجلاء .

وجري الحديث في بعض هذه الشؤون ...
في الملك . والحاشية . والظلام الذي كان
يعيش فيه الحكام .
وقال الباقوري هذه العبارة التي لازلت
أذكرها : تصور جماعة من السكارى في عربة
يقودها مخمور ... الركاب مخمورون والسائق
مخمور . والنتيجة التي لا معدى عنها أن ترتطم
هذه العربة . وتتحطم مع من فيها ...
وتطلعت إلى السماء في صمت أسأل الله
أن يصون مصر . وينقذها من هذا البلاء .
ثم تشاء العناية الإلهية أن تبدأ حركة
الجيش في مثل هذه الساعة من ليلة ٢٣ يوليو .

الشككات ... فضينا إلى شككات الفرسان
والمصفحات فوجدنا - أيضا - أنهم
سبقونا ، وكان البوليس الحربي يحرس
كل المداخل ...

وبدا - للحظات - أن خطتنا كلها في خطر .
ولم يبق على ساعة الصفر إلا تسعون دقيقة .
وبدا أن خطة الثورة كلها تدخل في مرحلة
من تلك المراحل الخطيرة في التاريخ . عندما
تدخل قوى أكبر منا لتوجيه الحوادث .
ولقد تأكد لي من تطورات الأمور
أن عناية الله كانت تلك الليلة معنا ...

الرئيس

جمال عبد الناصر

من حديث له مع صحفي أجنبي

لأننا نؤمنه سنه ...

كان ذلك قبيل فجر الثورة بقليل ...
الظلام يغمر العقول بالحيرة والنفوس
باليأس .

وسمعة مصر في الداخل والخارج مملوثة
بالأقذار .

وجهاز الحكم قد تحول إلى بورصة ،
تقوم فيها الأخلاق مقام الأوراق .

والبرلمان كجمعية المستفعين بالقناة التي
ألفتها حكومة « لايدن » من دول تمالها
وتدور في فلك سياستها . وتفتنح بما
تجود به عليها .

الفنى . . النقد الذى لا يحكمه تحزب ، الشلل ،
التي تمثل الإقطاع الثقافى فى بلادنا .

تلك الشلل التي توجد فى كل صحيفة وفى كل
جهاز ثقافى لها ناس بعينهم تحمى إنتاجهم ،
وتنشر أعمالهم وتنتدبهم لكل ما يطلب من
إنتاج فكري . . لا يحكم أعمالهم تقدير ،
ولكن تحكمه صلتهم ، بالشلل ، ، إذا كانوا
منها فهم مقربون ، وإذا لم يكونوا منها فهم
مبعدون ، مصدودون ، مزور عنهم .

وأعتقد أن هذا واضح لكل ذى عين . .
يلبس عند ما يتغير الأشخاص المهيمنون ، فإنه
يتغير بالتالى الأشخاص المنتجون .

ولقد صدق الأستاذ محمد مصطفى عطا
عند ما قال فى كتابه : « الحركة العاقلة » ، إننا
نعيش الآن وسط إقطاع ثقافى . حيث يحتكر
الفكر أفراد معدودون ، فالناشر لا يرحب
إلا بآثارهم أو بالآثار التي يقدمونها إليه
من غيرهم .

ولقد آن الآوان لأن يتغير ذلك ، ويكون
إنتاجنا الأدبى تحكمه مبادئ ثلاثة :

١ — الجودة . . لا القرب من « الشلل »
ولا لمعة الاسم .

٢ — الحرية . . لا عبودية الدوران ،
فى دائرة مدرسة المهيمنين .

٣ — تكافؤ الفرص . . لا مذهب « شيللى
وشيلك » . . عبد المقصود حبيب

من جريدة الأهرام ١٩٦٢/٦/٢٢

وأن يثب الأحرار ليوقفوا العربية ،
ويوقظوا السكارى . ويضيئوا الأنوار . .
أيها العرب المكافون فى كل مكان .
اصبروا فإن الله مع الصابرين .

واذكروا أن الله موجود ، وأنه عادل ،
وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأنه كما قال
لرسوله (يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) .

ح . ف

من جريدة الشعب

الإقطاع الثقافى

فى هذه الآونة من تاريخنا وهو يسجل
انتصاراتنا . . علينا أن نكشف الغطاء عن
كل الأخطاء التي نعيش فيها ونعيش معنا من
زمن تحت ضغط ظروف معينة .

ومن هذه الأخطاء فى ميدان الإنتاج
الفكرى ما يمكن أن نسميه « الإقطاع الثقافى »
وأعتقد أننا فى حاجة ماسة إلى ثورة كبيرة
على القيود الموضوعة على إنتاجنا الفكرى ،
والتي خلقت هذا الإقطاع . . تلك القيود التي
ايسست من وضع الدولة ولكنها - للأسف -
من وضع أناس مفكرين لأناس مفكرين
مثلهم .

وهذه الثورة لا يحققها إلا وجود التقدير
التقدير الصحيح للإنتاج . ووجود النقد . .
النقد المجرد البعيد عن الهوى والأغراض
الشخصية والعلاقات الخارجة عن حدود العمل

works or fields. The same is with the other different professional people. They will never be arabic socialists, unless they produce better and perfect work. The Muslim learned man who is of a spiritual message, will not be so an arabic socialist, unless he becomes adaptable with the society in which he lives, and be of a better production which can be realized by looking to the whole society as a unit and to the religion as a system of life. By these two looks, he can promulgate his ideas and judgments in the religious affairs of the people, as he can bear the message of pioneering and directs peoples towards the correct way of life.

The Journalist will not be also

an arabic socialist by means of his long or abundant article, but by betterness and perfection of what he writes about the arabic socialism : its significance and its performance without neglecting the historical events which led to the revolution and liberation and which urge people to keep that socialism and so on.

From what we above mentioned, we conclude that what the national Charter mentioned is surely a definition of the socialism in its significance and utilization in the different aspects of life. Lastly, the Charter is a covenant on ourselves to be believers in God, ourselves and our humanity in the great Arab homeland in which we live.

the perfect production, it also welcomes the spiritual power which causes motivation and removes the obstacles from the way of the producer and the worker.

The valuation of the arabic socialism for the spiritual power is not only because our history held and raised it through all its periods, and because the egyptian people used it as an arm — through our arabic frame — against the invisible and the visible colonialism, but also because the spiritual power keeps in — as we mentioned before — motivation and going forward, and every thing help in going forward, has been encouraged by the arabic socialism. Therefore, it encourages knowledge, as the way of knowledge is the nearest to the object and the safest one to it. The spiritual power is a motive one and the knowledge is a discovering power. So, one who wants to be of a perfect production — the arabic socialist one — should have both of the two power : The spiritual power and the powers of knowledge.

The duality of these two powers is an inevitable and an important matter in our arabic socialist society. And those who bear the spiritual message have to understand the knowledge and to behave not in a theoretical supposed circle without

looking to the actual life, because this will lead them to be in a permanent loneliness, and by turn they will create a group of people who has no ability to discover the actual life. The same will be with those of the scientific message, when they neglect their spiritual power. This is because they, in fact, neglect a great power of motivation towards perfection and better production.

Al-Azhar University :

Although that dualism between the spiritual power and the scientific one is not yet gathered in one circle in our society, the prospective hope is concentrated on the new university of Al-Azhar to realize that. In this university, science and the spiritual values will not only walk side by side, but they will form a unit which causes progress and motivation towards better production and work. Hence, we are the workers, farmers, officers, national capitalists and soldiers have no right to call ourselves arabic socialists, except when we are of a perfect production in every field. Therefore, the worker who his wage had been increased and who took a share in the profits of the factory in which he works, and the farmer who had been given land to be his own, are not arabic socialists as long as they do not produce better production in their

production, it only expresses the inevitable result of the arabic socialism utilization,

When we come to the field of work or farming and try to distinguish the arabic socialist from the other, we shall find that the criterion is very obvious. It is the supremacy in production, quality before quantity, but if they gather, the supremacy in production will be very evident.

It is The same when we go to the other fields such as the intellect teachr and the employers, the supremacy in production is the matter which distinguishes the arabic socialism from the other whether it is in quality, quantity or in both of them.

To clarify that supremacy, the worker in his factory when he produces perfect goods and when he keeps the machine in a good condition in order to stay in its perfect state, that is a methodical supremacy. Also, the farmer, when he produces a good production and fertilizes permanently his land, this is also another picture of the methodical supremacy. The same is with the teacher, the professor and the officer, when every one perfectly carries out his work to save people a complete welfare, that is a third picture of that supremacy.

Keeping out of the field of the

material production and going to the field of the human production in " family ", the perfect production which represents in the sons and in the material, spiritual and convincing power is a forth picture of that supremacy.

Going to the spending field, moderation and non-extravagance, whether in the private or in the common side is a fifth picture of that supremacy. This is because moderation in spending will cause an indirect favour can be saved, and this of course is a production which can be used in covering the private and the common expenses.

The arabic Socialism, being a restoration of the human consideration and removing the obstacles from the way of man to go forward in his work and production. And the arabic socialist, being the man of the perfect production, arabic socialism undoubtedly will be a principle which leads to the betterness. As a matter of fact, the man of the best work is the clement one who uses all his abilities to realize the human objectives as a human being.

The spiritual power :

As arabic socialism helps in the free motivation towards work and production and by turn helps in

its significance on the arabic socialism. Undoubtedly, arabic socialism is equal to the restoration of the human consideration to the whole individuals of the human consideration to the individuals of the Arab home-land.

The restoration of the human consideration is a beginning and in the same time it is a purpose. It is the beginning of the egyptian Revolution of 23rd July 1952, and the purpose of the arabic socialism which emanated from the successive events which passed over the egyptian people through the arabic circle.

As a matter of fact, the laws of July 1961, are nothing but an expression of the restoration of the human consideration for those who lost it in the past. They are also one of the results of the arabic socialism. Therefore, it is clear that these laws are not the socialism itself, but they are a feature which illustrates a picture of that socialism.

The field of work and production :

The main purpose of the arabic socialism — or rather of the restoration of the human consideration for those who lost it under the colonialism and the exploitation reign whether it was through the feudal or the capital system — is to widen the way for work and production, or in other words to remove the obstacles

and hindrances from the way of work and production. This is because man when he restores his human consideration and feels that he is an individual equal to the other ones in his society; equal to them in the human nature, values and consideration — though he may differ from them in ability and comprehension —. Then, he will not find any thing which may hinder his way towards work and production. So, Arabic Socialism is the factor which paves the way for work. And the arabic socialist is the productive work who produces without any spiritual obstacles which hinder him on his motive and freedom,

Towards a better production :

The work of the individuals under the arabic socialist system, being equal to their work before the 23rd July Revolution, this surely means that the arabic socialism is only in the mental imagination circle, as well as on the lips of mouth without going deeper to reach the heart and to become a belief and conviction. Therefore, the arab socialist is the one who produces better production during the time of the arabic socialism than what he produced before the 23rd July Revolution. Also, arabic socialism is equal to the supreme production. Consequently, when the national charter asks the workers to increase and improve their

AN IDEA AND UT ZATION

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The chancellor of Al-Azhar University

The national progress cannot
at all be realized by means of a
loud recitative words :

From the study of the draft of the national charter, the reader can conclude that this draft is really based upon an indigenous idea, and that its extension is the utilization of this idea. The indigenous idea is the arabic socialism, and its extension — which is the utilization of that idea — is the different aspects of the society, such as the political, economical and the social ones.

The arabic Socialism :

Concerning the idea, the draft does not try to define its significance from a linguistic origin, as it never tries to transfer that significance from another philosophy or a strange orientation away from the arabic limits; but it purifies that understanding from the historical events which passed over the egyptian people in the frame of the arabic nation's circle. These events which defined the

arabic Socialism significance, and which successively passed over the egyptian people through the arabic nation's circle, aimed at the spiritual and the material exploitation. So, people lost their human consideration and consequently, the society divided into two groups : The exploiters who were representing the minority, and the humiliated people who were representing the greatest majority.

Since the Tartar and the crusades era till the Naboleon's campaign and the British occupation, these events were very evident. Then they extended till the time of the internal exploitation in the shade of the independence which the colonialists made it as an extension to their indirect exploitation and handling the human consideration.

These historical events which passed over the egyptian people through the arabic circle, being the cause of the 23 July 1952 Revolution, and being the factor which dictated

other people towards the good and happiness. But a long time after them, other people inherited the Book and led their life according to the dictation of their lusts and desires and they forgot God, so He made them forget their own souls. Those people also subjected themselves to the others and imitated them in every thing : such as education, economic, civilization and the system of life. Hence, they lost their personality as a nation and lost their existence as human beings of a private system of life.

O Muslims : I call you to come back to your heavenly personality which God had completed for you. Come back to it to be linked to each other and to be a strong nation. Surely, the personality in the past is the same one in the present time. It still very clear in the holy Book. Also, the world is the same one and still have the readiness to take its way through good deeds and right path. So, be as your fathers were and be sure that God will not change the condition of a people until they change it themselves with their own souls.

defective one. And if the persons have the sensory personalities which realize the tangible existence for them, they have also other spiritual personalities which achieve for them the spiritual ones, the sensory personality of the individuals may be represented in their behaviour, movement, act of eating, drinking and stability. Also, the spiritual personality can be represented in their unity, separation, strength, weakness, interests and harm. As a matter of fact, without souls, the individuals will be like shade of the others. So, they will move when the others move, and stop when they stop. They will think through the others minds and consequently, nothing of the human deeds can be related to them at all.

The heavenly personality :

Indeed, no peace will be spread among mankind except when the nations of the tyrant personalities take off their personalities and replace them with the spiritual ones which the Almighty God have created in the human nature and makes them as a way which leads to stability and happiness. Then, these nations should undertake to cultivate this kind of personality in the other nations which are only of sensory ones and which are deviated from

the good life in that universe, and their peoples are prohibited from being vicegerent and leaders on their land. The Qur'an says : " but if, as is sure there comes to you guidance from Me, whosoever follows My guidance, will not lose his way, nor fall into misery. But whosoever turns away from My message, verily for him is a life narrowed down, and we shall raise him up blind on the Day of Judgement. He will say : "O my God ! why hast thou raised me up blind, while I had sight before ?". God will say : " Thus didst thou, when our signs came unto thee, disregard them : so wilt thou This Day, be disregarded. And thus do we recompense him who transgresses beyond bounds and believes not in the signs of his God : and the penalty of the Hereafter is far more grievous and more enduring." [S Taha. Vs. 123 : 127.]

This is the heavenly personality which revealed in the holy Qur'an " Verily, this is My way, leading straight : follow it follow not other paths, they will scatter you about from His great path : Thus doth He command you, that ye may be righteous." [S. The cattle, V. 153.]

In fact, some people believed in that personality during one time and built their life on its foundation. So, they directed themselves and the

the descendant of the prophet and that he is the follower of a certain holy book. Some of them said to the others : our prophet came before your one and our Book revealed before your book, so we are nearer to God than you. The latter said : no, but we are very nearer to God than you. This is because our prophet is the last ring in the chain of prophets, he is the only intercessor before God on the Day of Judgment. And also because our Book appropiates all the books which were revealed before it. But God guided them all to the right path, telling them that following of any prophet or book is not the way which leads to honour and greatness. The Qur'an says in this respect : " Not your desires, nor those of the people of the Book (can prevail) : whoever works evil, will be requited accordingly. Nor will he find, besides God any protector or helper. If any do deeds of righteousness, be they male or female and have faith, they will enter heaven, and not the least injustice will be done to them. Who can be better in religion than one who submits his whole self to God, does good, and follows the way of Abraham the true in faith ? "

[S. The women, Vs. 123 : 125.]

O Muslim, come back to your personalities :

I call you to come back to the

full meaning of the word "Muslims" and to realize its meaning in your hearts and souls as it is the will of the Almighty God. And consequently, your past glory will come back again to you, then you will lead a happy life in both this world and the Hereafter, In this respect the holy Qur'an says : "Has not the time arrived for the believers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the Truth which has been revealed (to them), and that they should not become like those to whom was given revelation aforetime, but long ages passed over them and their hearts grew hard ? For many among them are rebellious transgressors, Know ye (all) that God giveth life to the earth after its death ! Already have we shown the signs plainly to you, that ye may learn wisdom." [S. The Iron, vs. 16—17.]

The personality of a thing is what distinguishes it from the other things. And if we immagin that there is a thing without personality, we shall net be able to decide its existence, as it will take its place in the minds as a picture of no actuality. The existence is divided into two sections : Tangible existence of sensory Personalities and intangible one of the spiritual personalities. So, unless the thing has both of the two personalities, its existence will be a

their faces towards the sacred mosque at Mecca (Al-Kaabah). Hence, people started to speak about that matter. But people were divided into two groups. The first group prefer to direct faces towards the sacred Mosque of Jerusalem, while the other one prefer to direct their faces towards the holy shrine of Mecca. And every group presumed that thier preferable direction (Keblah) is the true religiosity which might make him nearer to his creator. Accordingly, the discussion had occupied the people about the matter of (Keblah). So, they became far away from the way of God which is the guidance that was revealed in the holy Qur'an and conveyed to people through His prophets. Consequently, God lightened His prophet and informed him about the condition and the abstinat attitude of those people. It is not the attitude of those who seek truth and look for it. So, He guided him not to give them any attention, but to follow what is revealed to him. In this respect, the Qur'an says: "The truth is from thy God; so be not in doubt." [S. The Cow, V. 147.]

The Qur'an also denies the attitude of those who occupy themselves and the other people in such matter which is concerning God who surely have the will to select what He wants and do what He wishes according to His Knowledge and

wisdom, The Qur'an says: "To God belong the East and the west: Whithersoever ye turn, there is the presence of God". [S, The Cow, V. 115]. Furthermore, God directs His bondmen to east or west according to His will. To carry out what God "exalted be He" ordered, this is the good which leads to happiness. The rock of the sacred Mosque of Jerusalem is not better than any other rock. And also, the building of the sacred mosque of Mecca is not better than any other building. But this and that are only places. And people had been ordered to direct their faces towards them during the performance of their prayers for nothing but to realize the sensory unity, as to achieve the spiritual unity by worshipping God and carrying out His teachings. So, we come to conclude that the matter of (Keblah) is not intended for itself. And consequently, one should not be fanatic for this or that place, but he should seek the useful facts and the pure essence which is: true faith, virtuous character and good deeds. These surely are the source of piety and the sign of the true religiosity before God.

Islam is a belief and a work:

In olden times, the followers of the religions declared their pride by saying one to another that he is

The Qur'an says : "Be not like those who are divided amongst themselves and fall into disputations after receiving clear signs : for them is a dreadful penalty," [S. The family of Imran, V. 105.] And in other verse it says : "As for those who divide their religion and break up into sects, thou hast no part in them in the least : Their affair is with God : He will in the end tell them the truth of all that they did." [S. The cattle, V. 159.]

In fact, the true religiosity before God is to follow and carry out the instructions of the holy Qur'an which join the Muslim's hearts to each other and directs them towards united aims which are the happiness in both this world and the Here after. It is the duty of the Muslim leaders and learned men - if they wish to spend a good life - to clarify the Muslim life of the wrong religiosity and to build the life of the individuals and societies on the correct foundation of the glorious Qur'an. By means of that, the Muslim nation will take its part among the other nations, and will be considered as one of the powerful personality in the world. Also, it is the nation which enjoins what is right and forbids what is wrong and does its utmost to spread equality and justice among all mankind.

The sign of the true religiosity :

The Qur'an says : " It is not righteousness that ye turn your faces towards east or west; but it is righteousness to believe in God and the last Day, and the angels, and the Book, and the messengers; to spend your substance out of love for him for your Kin, for orphans, for the needy, for the wayfarer, for those who ask, and for the ransom of slaves; to be steadfast in prayer, and practise regular charity; to fulfil the contracts which ye have made; and to be firm and patient, in pain (or suffering) and adversity, and throughout all periods of panic. Such are the people of truth, the God fearing." [S. The Cow, V. 177.

In fact, the intellectual trends of the ancient and the modern human being are similar. So, the inclination of man in olden times towards good and useful things has its similar in our modern times, and as well as the need to guidance was found in the olden times it is found also in the people of to-day.

The Almighty God had ordered Muslims to direct their faces, through the performance of prayers, towards the sacred mosque at jurusalem. Then He turned them afterwards to direct

wouldst see them turning away their faces in arrogance " (S. the hypocrites, V. 5.)

The formal religiosity :

While, another group of people claims that religiosity is the movements of the prayers, the performance of fasting, the praise of God, speaking in a lower voice, declaring sadness for religion and morals and the repeated visits to the sacred mosque whatever is the source of the expenses of going and coming back.

With these unuseful pictures, they limited their practical religiosity. But with regard to their scientific one which springs from the opinions of their fathers and grand-fathers, the Faith in their sight is that which related to Al-Ashary only, not what related to Al-Matoriedy or Al-Mautazily. Also, the indictment in their opinions is that which was decided by Abi Haniefah and conveyed to people by means of his followers, neither that which was decided by Al-Shafie, Al-Maliky, nor what is supported by the Qur'an and the prophetic traditions. Moreover, the full meaning of the quranic verse is that which is written in the kurtuby explanation and related to Kaabu Al-Ahbar and Wahb Ben Monabbbeh. The opinion of any one other than what we

mentioned above is in their sight nonsense whatever it is supported by the proofs and actuality.

The bad results :

With their sympolistic religiosity, the former had opened the door for the latter to abandon the guidance and the instructions of the Qur'an. Hence, a great plenty numbers of the youngmen denied the Faith and prefered the legislation and the laws of the western people than the laws and the teachings of God. Moreover, they said that the modern laws are more suitable to the present time, fitting the recent civilization and feeding the human emotions.

With their formal religiosity whether in scientific or practical affairs-the other group made diversity in religion. So, people considered that every Muslim state has its religious nature. Hence, separation among the Muslims appeared, though they pretend that they are the followers of one religion (Islam), one book (The Qur'an), and one Prophet "Mohamed peace be upon him". This separation was followed by differentiation in the affairs of the Muslim life as it was the fate of every state to be dominated by those who made and still making their utmost to harness us for their own benefits.

people through the prophets and messengers "Hence, both the false and the right religiosity will be obviously clear before all the the sights. The glorious Qur'an says : " Then, he whose balance (of good deeds) will be found heavy, will be in a life of good pleasure and satisfaction. But he whose balance (of good deeds) will be found light, will have his home in a (bottomless) pit. And what will explain to thee what this is ? It is a Fire blazing fiercely ! " [S. The day of noise and clamour, Vs. 6 — 11].

The symbolistic Religiosity :

In the light of this general balance, we find that there is a group of people who satisfied only by calling themselves Muslims. They only perform the first islamic statement which is to pronounce that " there is no God but Allah and Mohamad is his prophet ". But on the other side, we find that they are far away from : the virtuous meanings, the righteous deeds and the scientific subjects which were conveyed by those whom the Almighty God had chosen for that task. As a matter of fact, we observe that this kind of people are leading their life according to the demands of their lusts and desires : The right in their sight is that which they consider right, and the virtue before them is

that which they consider it so. In short, they have no guide except their lusts and desires which dictate them and turn their dictation into actions.

Indeed, rejection of Faith is better than this kind of religiosity. This is because the weak minded people may follow that false religiosity, as they may also be deceived by it as a righteous way. This kind of religiosity has spread among people who claimed that they have a certain kind of culture which takes them far away from the islamic duties and the laws that are revealed by God to be a base for the religiosity and a foundation for the construction of a good family and a protection for the society as a whole. The glorious Qur'an says : " Yet there is among men such a one as disputes about God, without knowledge, without guidance and without a book of enlightenment. (disdainfully) bending his side, in order to lead (men) astray from the path of God. For him there is disgrace in this life, and on the Day of judgement, we shall make him taste the penalty of burning fire. " (S. the pilgrimage, V. 8 — 9.) And as a sign to know those people God says : " And when it is said to them " come, the prophet of God will pray for your forgiveness ", they turn aside their heads, and thou

Undoubtedly, it is impossible to be a believer unless you believe in God's message. This is because God had created both universe and the human beings whom he supplied with the power of thinking and work. So, it is not reasonable to let them going astray or to lead their way through darkness as the beasts which take their lairs in the desert and eat what appears before them. The Qur'an says: "Behold! thy God said to the angels" I will create a vicegerent on earth" They said "wilt thou place therein one who will make mischief therein and shed blood? whilst we do celebrate thy praise and glorify thy holy (name) he said "I know what ye know not" [S. The cow, V. 30]. and says: "Did you then think that we had created you in jest, and that you would not be brought back to us (for account)? [S. The believer, V. 115].

The Religiosity before God:

As God created the universe, controlled and looked after it, he also created the human beings, controlled them by his guidance and constitutions, the Qur'an says: "our God is he who gave each (created) thing its form and nature, and further, gave (it) guidance". [S. Taha, V. 50]. The human being, when he carries out the instructions of God,

that is the religiosity, as the creator wants it to be. The basis of that is to confess that there is no God but Allah "Ye only we worship and ye alone we ask for help", and to obey Him, the Qur'an says: "Follow (O men) the revelation given unto you from your God, and follow not as friends or protectors, other than Him". [S. The Heights, V. 3.], and to fear of him in external and internal feeling beside the permanent remembrance of His greatness.

Hence, man will be a pious one who apprehend his God is emanating from his conscience, and not be one of those whom the glorious Qur'an speaks about in his saying "They may hide (their crimes) from men, but they can not hide (them) from God, seeing that He is in their midst when they plot by night, in words that He cannot approve: and God Doth compass round all that they do". [S. The women, V. 108].

The Religiosity which is approved by God, if we compare between it and the other religiosity which people turn to its different actions, we shall find that some of these actions are very light in the balance of comparative, while we shall observe that others are nearly equal in that balance to the former religiosity which had been mentioned in God's revelations and conveyed to the

THE RELIGIOSITY OF THE PEOPLE

by

His eminence shaykh Mahmoud Shaltout

The greatest Imam of Al - Azhar

The Qur'an says " Verily those who say our God is Allah " and remain firm (on that path), on them shall be no fear, nor shall they grieve [S. winding sand tracts, V. 13]. " Who is better in speech than one who calls (men) to God, works righteousness, and says I am of those who bow in Islam " [S. Abbreviated letters, V. 33] .

The belief in God — the one who had created both the universe and the people whom He provided with His bounties and whom He guided to use their talents for their own happiness — is a distinctive matter which souls always are being very keen to it in case of they are pure and far away from fanaticism. This is very clear in the quranic verses especially these which speak about the non-Muslims who worship stones, moon and the sun in order that they might be nearer to God. The Qur'an says: " If indeed thou ask them who has created the heavens and the earth and subjected the sun and the moon (to His law),

they will certainly reply, (God) " and also says : " And if indeed thou ask them who it is that sends down rain from the sky, and gives life therewith to the earth after its death, they will certainly reply (God) " [S. The spider, V, 61 - 63].

The belief in the heavenly guidance :

To believe in God, one should believe in his message, for which he selects one of his bondmen to convey it to the people and calls them to believe in it and to carry out its instructions, either by calling them to follow the way that leads them to happiness, or by forbidding them to do the unlawful and wrong deeds which surely will cause them much troubles. In this respect the holy Qur'an says: " And if as is sure there comes to you guidance from Me, whosoever follows my guidance, on them shall be no fear, nor shall they grieve ". [S. The cow, V. 38].

who repent (the offence) are companions of the fire : They will abide therein (for ever) ” [S. The cow, V. 275]. The Qur'an also declared that those who refuse to respond its call theirs will be the fire for ever “ O ye who believe ! fear God, and give up, what remains of your demand for usury, if ye are indeed believers. If ye do it not, take notice of war from God and His Prophet ”.

It also put the foundation on which the usury can be obliterated completely, God said “ But if ye turn back, ye shall have your capital sum: deal not unjustly, and ye shall not be dealt with unjust by. If the debtor is in a difficulty, grant him time till it is easy for him to repay, but if you remit it by way of charity, that is best for you if you only knew ”. [S. The cow, Vs. 279 — 280].

It is very obvious that the conduct of the owner of money towards the debtor is wisely treated by this quranic verse “ If the debtor is in a difficulty, grant him time till it is easy for him to repay, but if you remit it by way of charity, that is best for you if you only knew ”. [S. cow, V. 280].

God recommends us to treat the debtor one kindly and not to be hurry in charging his debt in case of his difficulty. But it is a human ideal that which is mentioned in the previous verse “ But if you remit it

by way of charity, that is best for you if you only knew ”. It links people to each other for the sake of reformation of the society. In this verse God shows the high standard of humanity. That is the owner of money who not only gives a time to the debtor who is in a difficulty, but also who gives him the debt as a charity.

A society like that one in which there is full mercy and kindness among its individuals, should spend its life in security, fraternity and peace.

On these principles which lead to mutual cooperation and brotherhood among the members of the society and between them and the State, the holy Qur'an urges people by many of its verses to spend money in the cause of God and to satisfy the needs of the needy people for fear of they may commit crimes against the rich ones, especially if they notice that they are living in a complete welfare.

On these bases, Islam built the islamic society to be like the one body which feels pain because of the complaint of one of its organs.

No doubt that money will not be a mean of exploitation, if the human relations — which are regulated by Islam — taken into consideration. Surely, the society which carries out these instructions is the one that God wills it to be.

barren rock, on which is a little soil : on it falls heavy rain, which leaves it (just) a bare stone. They will be able to do nothing with aught they have earned. And God guideth not those who reject faith. And the likeness of those who spend their substance, seeking to please God and to strengthen their souls is a garden, high and fertile : heavy rain falls on it but makes it yield a double increase of harvest, and if it receives not heavy rain, light moisture sufficeth it. God seeth well whatever ye do."

The verses go on like that till the saying of God " God will deprive usury of all blessing, but will give increase for deeds of charity : For He loveth not creatures ungrateful and wicked ". [S. The cow, V. 276]. You can read also the following verse from the chapter of the family of Imran which reads " O ye who believe ! Devour not usury doubled and multiplied ; but fear God ; that ye may (really) prosper ". [V. 130].

On the opposite side, you can read the saying of God " Be quick in the race for forgiveness from your God, and for a garden whose width is that (of the whole) of the heavens and of the earth, prepared for the righteous, those who spend (freely) whether in prosperity or in adversity ; who restrain anger, and pardon (all)

men ; — for God loveth those who do good " [S. The family of Imran, Vs. 133 — 134]. And from the chapter of Rooman empire you can read " So give what is due to kindred, the needy, and the wayfarer, that is best for those who seek the countenance, of God, and it is they who will prosper. That which you lay out for increase through the property of (other) people, will have no increase with God : But that which you lay out for charity, seeking the countenance of God (will increase) : it these who will get recompense multiplied ". [Vs. 38-39].

Read all that verses and think in their meanings with a faithful heart, then you will find out the aim for which the Qur'an prohibits usury and to usurp the money of the others unlegally, and for which it dispraises those who are usurers when it says " Those who devour usury will not stand except as stands one whom the evil one by his touch has driven to madness. That is because they say : " Trade is like usury, but God hath permitted trade and forbidden usury " [S. The cow, V. 275]. Then the Qur'an warned them to go on with treatment of usury when it said : " Those who after receiving direction from their God, desist, shall be pardoned for the past ; their case is for God (to judge) ; but those

Islam treated all people equally. It made no difference between one and another. It wanted them to spend a good life where among them there would be mercy and cooperation. It also put the principles which related individuals to each other, to the society and to the State. Hence, the treatments in Islam are represented in, giving every one his rights, kindness for the weak people, and charging the right of the society from the rich people.

Secondly, from the negative aspect :

Islam prohibited usury, bribery, miserliness, extravagance and to prevent the rights of the poor people. To clarify the dissimilarity between the positive and the negative aspects, holy Qur'an compares the two sides through many of its verses. In front of the sights, it put a light picture which is the one of kindness, sympathy and co-operation as it made giving charity as its motto. On the other side, it put the dark picture which is the one of avidity, cruelty and the hateful selfishness. This is to look into the two pictures and to compare the result of each. Consequently, this will lead people to respect the picture of kindness, sympathy and cooperation, while at the same time, they will dislike the one of cupidity, cruelty and selfishness.

Hence, their humanity will be realized and they will lead a smooth life and construct their glory and greatness on a solid foundation.

It is rarely to find the holy Qur'an mentions a verse which appreciates sympathy, charity and cooperation, without another verse following to it in which the Qur'an warns people of Greed and selfishness. In this respect, you can read through the chapter of the Cow verse, number 261 — 265 which says "The parable of those who spend their substance in the way of God is that of a grain of corn : it groweth seven ears, and each ear hath a hundred grains. God giveth manifold increase to whom He pleaseth : and God careth for all and He knoweth all things. Those who spend their substance in the cause of God, and follow not up their gifts with reminders of their generosity or with injury, — for them their reward is with their God : on them shall be no fear, nor shall they grieve. Kind words and the covering of faults are better than charity followed by injury, God is free of all wants and He is most forbearing. O ye who believe ! cancel not your charity by reminders of your generosity or by injury, — like those who spend their substance to be seen of men, but believe neither in God nor in the last Day. They are in parable like a hard

by money and properties to impose his will upon the people, sometimes by frightening them and another time by selling their conscience. He forgot that he is a human being and that he will depart from this world. Moreover, he imitated Karun when he declared his false pride and said "This has been given to me because of a certain knowledge which, I have" when God gave him that their very keys would have been a burden to a body of strong men. The poor man waited patiently a lot of time but in vain. Then he repeated many times his question: "where is the justice of God?"

5 — Because of the domination of money and the need of the poor people, the families disintegrated.

6 — The fear prevailed among all classes. The poor people were living with hearts full of fear as there was no mercy or justice. Also, the rich people were afraid for the others whom they usurped their money and exploited their properties for their own benefits.

7 — The plantation of the crime, the poor man hated the rich one while the latter treated the former badly for fear of the revolution against him.

How Islam faces the requirements of the needy :

While people were living in that bad condition, Islam came and

its leaders made their utmost - with the guidance of its instructions - to kill the sources of evil. The wise teachings of Islam obliterated the enmity and the separation which were existed among the people and replaced them with charity, fraternity and co-operation. Hence, the society changed into a new one which is similar to the bricks that form one building, every one co-operates with the others.

As a matter of fact, Islam treated that bad condition from two aspects :

Firstly, from the positive aspect :

(A) It put the legislations of the social welfare and ordered peoples to carry them out through their practical life.

(B) It asked every one to strive hard to gain his own living and to spend his life calmly and smoothly.

(C) It made the rich people feel that money and properties are not theirs, but their benefits should be for all people especially the poor ones.

(D) As a result of that, Islam ordered rich Muslims to help.

1 — The poor and the needy people, whether by giving them a share of their money or by supplying them with work to earn their living.

2 — The government to be able to erect the establishments for the common welfare.

their life to be continuously obedient to him.

(C) The monopolist made his utmost to gather goods in his own possession to be far away from the people's hands. Therefore, the shown goods will be disappeared from markets, then monopolist offers his goods to be sold of high prices. These exploiters take it an opportunity to increase illegally their fortunes. Hence, the cursed capitalism appeared and cut the human relations among people and also led them to be equal to the wild animals which live inside the forests : The richman tries to usurp the properties of the poor one, the strong one takes it an opportunity to harness the weak person in order to gain personal benefits, while both the poor and the weak man envy that rich and strong one and wait the opportunity to get revenge of them. Consequently, in the pre-islamic society, the following evils appeared :

1 — The rich man exploited the poor one and increased his poverty more than it was before.

2 — The wide fortune led the rich man or the capitalistic group to make their utmost trying to usurp the authority of the legal governors of the people. And this by turn threatened the security and stability of the nation, The glorious Qur'an says " Nay, but man doth transgress

all bounds. In that he looketh upon himself as self sufficient ". [S. proclaim, Vs. 6 — 7].

How great is the expression " in that he looketh upon himself as self-sufficient " which clarifies the cause of the tyranny. This is because richness is a proportional matter : differs from time to time and from an environment to another. Also, man may be comparatively a rich one but, however, he does not consider himself so. Hence, he will be of a good conduct till he raise the degree of richness at which he feels that he has become a richman. So the signs of tyranny, pride and haughty behaviour will take their way to his deeds and step by step, he will reach the top of tyranny and haughtiness.

Therefore, the glorious Qur'an states that, man when he imagines that he becomes a rich one, he in the same time takes his position among the tyrant people. In the sayings of the human beings, there is no complete discription of the bad influences of richness on the human soul as that of the holy Qur'an.

3 — The exploitation of the needy people, though they are the majority of the nation, led to the weakness of the people as it shoke the economical building of the society.

4 — The rich man was induced



The attitude of Islam towards the exploiters

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

The greatest Imam of Al-Azhar

The pre-islamic society :

Islam regulates the social welfare to satisfy all the individuals of the nation. It embodies the rules which control all the aspects of life. And to clarify the picture which Islam paints for the virtuous and the perfect society, it is our duty to state that Islam — in its early days — had faced a big problem. That is the exploitation on which no social welfare can be realized. And in order to conceive the influence of Islam towards obliterating this social disease which leads to the destruction of societies and nations, I shall explain the condition which prevailed in the society before the advent of Islam. Then I shall interpret, how Islam treated this social disease and how it — by the grace of the belief and faithfulness of the first Muslims — defeated it.

As a matter of fact, Islam came while people became of merciless hearts. They had no knowledge about co-operation : The strong man

humiliated the weak one for nothing but because he had money and health. The rich person exploited the poor one for nothing but because he had some kind of influence or an upper hand over him for his richness. Through these dark days, the greedy rich people made their utmost to usurp the properties of the poor ones, and consequently, there was no way in front of the weak people except to subdue themselves to the tyrant rich people, or to revolt against them. But the latter way was difficult, because the exploitation had weakened them and the exploiters had usurped all their capabilities. For instance :

(A) The loan sharker charged from the needy one more than he gave because of delay in paying what he had received before.

(B) The master of the work gave the workers wages less than their rights, beside those who were harnessed by him and for his own benefits. Those were the slaves who were forbidden the necessities of

يَشْتَرِكُ فِي التَّحْقِيقِ
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغُبَارِيُّ
بَدَلُ الْأَشْتَرَاكِ
عَمَلٌ فِي الْمَجْمُوعَةِ الْيَمِينِيَّةِ الْمُتَمَدِّدَةِ
٥٠ غَارِجُ الْمُنَاسَرَةِ
وَالْمُدَرِّسِينَ وَالطُّلَّابَ بِتَقْيِضِ ظُلَمِ

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِيَّةِ

مجلة شهرية جامعية

تَبَصُّدُهُ عَنْ مَشِجَّةِ الْأَنْزَهَرِيَّةِ فِي زَوْنِ كُلِّ شَهْرٍ عَمَرِي

مَهْدِي الْمَجَلَّةِ وَرَيْشُ الْخَرِي
أَخِي حَسَنُ الرِّثَائِيَّةِ
الْعَنْوَانُ
إِدَارَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ
بِالْقَاهِرَةِ
ت ١ ٤٦٤١٤

الجزء الثالث — السنة الرابعة والثلاثون — جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ - أكتوبر ١٩٦٢ م



٢٤٤٤٦
ر ر ي ت

لِسَمَاءِ الْمَرْمُومَةِ الْمَرْمُومَةِ

أَدْبُنَا بَيْنَ الْوَاقِعِيَّةِ وَالْكَلْبِيَّةِ

بِقَاسِمِ : أَحْمَدُ حَسَنُ الزَّيَّاتِ

الكَلْبِيَّةِ كَمَا فَهَمَهَا (دِيوجِين) ، وَالْوَاقِعِيَّةِ
كَمَا فَهَمَهَا (بِلْزَاك) ، وَالطَّبِيعِيَّةِ كَمَا فَهَمَهَا
(زَوْلَا) ، تَتَّفَقُ جَمِيعًا فِي تَنْظِيمِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ
أَوْ الْفَنِّ عَلَى مَقْتَضَى الطَّبِيعَةِ . . فَالْكَلْبِيُّونَ
كَانُوا يَرَوْنَ الْحِكْمَةَ فِي رَفْضِ الثَّرَاءِ وَنَبْذِ
الْفُضُولِ ، وَالْعُزُوفِ عَنِ اللَّذَّةِ ، وَالزَّهْدِ
فِي الرِّفَافِيَّةِ ، وَالتَّحَلُّلِ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ لِلْاجْتِمَاعِ ،
وَالْخُرُوجِ عَلَى كُلِّ نِظَامٍ لِلسُّلُوكِ . وَكَانَ
زَعِيمُهُمْ يَسْكُنُ فِي بَرْمِيلٍ وَيَمْشِي حَافِيًا
وَيَغْتَرِفُ الْمَاءَ بِيَدِهِ ، وَيَسْتَتِرُ بِرَدَاءٍ وَاحِدٍ

الْوَاقِعِيَّةِ مَذْهَبٌ مِنْ مَذَاهِبِ الْأَدَبِ عِنْدَ
الْإِفْرَنْجِ فِي الْقَرْنِ الثَّاسِعِ عَشَرَ بَعْدَ الْمِيلَادِ ،
وَالْكَلْبِيَّةِ مَذْهَبٌ مِنْ مَذَاهِبِ الْفَلَسَفَةِ عِنْدَ
الْإِغْرِيقِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ قَبْلَهُ . فَالْجُذُوعُ الْجَامِعَةُ
بَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ لَا تَتَمَثَّلُ فِي الذَّهْنِ ، لَأَمِنْ الزَّمَنِ
وَلَا مِنْ الْمَوْضُوعِ وَلَا مِنْ الْغَايَةِ . فَمَا الَّذِي
حَمَلَنِي إِذْنًا عَلَى أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَهُمَا فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ ؟
اسْتَمَرَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي الْقِرَاءَةِ فَلَعَلَّكَ
وَاجِدٌ فِيمَا تَقْرَأُ عِلَّةَ هَذَا الْجَمْعِ وَطَّبِيعَةَ
هَذِهِ الْعِلَاقَةِ .

عرفت الشر لا للشر
لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشر
من الناس يقع فيه

ويقول في القبح :

قلبي وثاب إلى ذا وذا
ليس يرى شيئاً فياً به
يهم بالحسن كما يذبحي
ويرحم القبح فيواه

على أن هذه البذرة الضائعة في حقول شعره
كانت أضعف من أن تثمر المذهب الواقعي
في الأدب العربي ، لأنها خاطرة من خواطر
شاعر ، لا فكرة من فكر فياسوف .

والواقعية مجالها القصص والمسرح لا الشعر
والقصيدة .

والطبيعيون يشاركون الواقعيين في تصوير
الواقع ، ولكنهم ، ينفردون عنهم بطريقة
تفسيره ، فالواقعي يكتفي بالملاحظة والتسجيل
والتعليل ، والطبيعي يزيد على ذلك التجربة
والوراثة والعلم . وهؤلاء وأولئك يشترطون
(الفنية) في المذهب . فلا يخرجون على
قواعد اللغة ولا يتمرّدون على قوانين البلاغة ،
ولا ينقلون عن الطبيعة نقل المصور
الفوتوغرافي يقف عند جد الآلة ولا يضيف
إلى الصورة نوراً من فكره ولا لوناً من خياله

على اللحم ، وينام تحت السماء في أروقة المعابد
طول العام . وسموا بالمكبيين لأنهم كانوا
يحملون على عابري السبيل بالتهكم اللاذع
فشبهوهم بالكلب العقور .

والواقعيون كانوا يرون البلاغة في تصوير
الطبيعة على الواقع المحسوس ، وتفسير
غوامضها على المعنى الحق . والواقع يكون
خيراً كما يكون شراً ، والمعنى يكون حسناً
كما يكون قبيحاً ، ولكنهم يجعلون بالهم إلى
دقائق الحياة المبتذلة القبيحة أكثر مما يجعلونه
إلى دقائقها المصونة الجميلة ، لاعتقادهم أن
الشر في الناس هو الأصل ، وأن القبح
في الطبيعة هو الجوهر .

شق الطربوش الذهبي في فم الإنسان تجدد
الناب ، واخلع القفاز الحريري عن يده
تجدد الخلب .

فالواقعية تلاحظ الطبيعة وتنقلها نقلاً
موضوعياً محايداً أميناً لا تدخل الفنان بشعوره
الشخصي فيه ، ولا تحفل بإظهار السمات
الجمالية به ، ولا تقصد إلى استنباط المغزى
الخلق منه .

وللواقعية في معنى من معانيها بذرة في شعر
عبد الله بن المعتز ، فقد كان يعرف الشر ويبرر
هذه المعرفة ، ويهوى القبح ويعلل هذا
الهوى . فهو في الشر يقول :

النزوع إلى الإصلاح في نفوس الخاصة ،
كان هذا الفهم حقاً لا جدال فيه .

* * *

أما إذا فهمناها على أنها الانطلاق من كل
قيد ، والتذكر لكل عرف ، والاستخفاف
بكل قيمة ، والنزول بالفن نفسه إلى مستوى
إدراك الرجل العاى وذوقه ، فتكتب له الأدب
بقلم (العرضالجى) ، ونعزف له الموسيقى
بزمارة الراعى ، ونرسم له الجبل والمحمل
بفرشة النقاش ، فتلك هى السكبية لا الواقعية .

أنا أميل بطبعى إلى الواقعية بمعناها الفنى
الصحيح ، ولكنى أكره لنفسى ولغيرى
غلو الغاين فيها بنقل الطبيعة والحقيقة نقلا
آلياً ، قبحاً بقبح ، وعرياً بعرى ، وغشاء
بغشاء ، دون أن يسمحوا للذوق أن يهذب
ولا للفن أن يجمل . وأرجو أن تظل
الواقعية كسائر المذاهب الجديدة محدودة
بحدود الفن محكومة بأحكامه ، وحيثما يكن
الفن يكن الجمال .

إن الفن كما أعتقد لا تطلب منه الحقيقة
التي تطلب من العلم ، إنما يطلب منه أن
يعرض شبهها بجملا بألوانه مزينا بوشيه ،
وكأنما وضع بين الفن والنفس ميثاق
ترخص له الحواس بمقتضاه أن يزور الحقيقة ،
وهو فى مقابل تلك الرخصة يحقق لها
السرور واللذة .

صحيح أن الواقعية من حيث الفكرة تعتمد
على الحقائق والوثائق لا على الفروض
والأخيلة ، ولكن من الصحيح أيضا أنها
من حيث الصورة لا تقصص أجنحة الخيال
ولا تطفئ ألوان الحسن . أليس من زعماء
الواقعية وأساطينها (فلوير) صاحب (مدام
بوفارى) ؟ إن واقعيته فى الموضوع
لا فى الشكل ، وإن شعبيته فى الفكرة لا فى
الصورة ، وإن أسلوبه آية فى البلاغة والدقة ،
وغاية فى الأناقة والجمال .

كتب قصته الجميلة (سلامبو) عن الحضارة
الفينيقية فى قرطاجنة ، فاقصته واقعيته التى
تعتمد على الوثائق أن يقرأ فى موضوعها
ثلاثة وخمسين كتاباً ، وأن يزور أطلال
هذه المدينة فيستنطق الآثار ، ويستوحى
المنازل ، ويجمع الأسانيد ، ويرصد
الأحاسيس ، ويصور المناظر . واقتضته
(فنيته) التى تعتمد على الألوان أن يصوغها
فى نظام من البلاغة مونتق باللفظة المختارة ،
مشرق بالعبارة العذبة .

وقل مثل ذلك فى سائر زعماء المذهب
كبلزاك ، وموباسان ، وزولا .

فإذا فهمنا الواقعية فى أدبنا المعاصر على
أنها تصوير للناحية الدنيا من حياة الشعب
الكادح بما فيها من عناء وشقاء وألم ،
وما بها من شذوذ وعوج ونقص ، لنوقظ
الطموح إلى الكمال فى شعور العامة ، ونحرك

على أجسام الخليفة هذا التمثال . وعلى نحو من ذلك نقول في الشاعر الذى ينظم من الأحاسيس الذاتية والمناظر الطبيعية قصيدة ، وفى الكاتب الذى يؤلف من الوقائع الفردية والطبائع الإنسانية قصة . ومن الجائز ألا يكون لهذه القصيدة مثال فى السكون ، ولا لهذه القصة وجود فى المجتمع ، ولكن العبرة فى الفن الحدوث الممكن لا الحدوث المحقق . ذكرت العلاقة بين الفن والطبيعة لأقول إن الواقعيين الغلاة الذين يتوخون الحقيقة ويتحرون الواقع ، ويؤثرون الدور وينكرون الذات إنما يكفرون بأثر الفن فى رفع النفوس ودفع البؤوس وتجميل الحياة .

* * *

ربما كان الخلاف بين الواقعية العربية والواقعية الأوربية ، أو بين الواقعية المتطرفة والواقعية المعتدلة ، أن من الواقعيين العرب من يريد أن يهبط باللغة والأسلوب إلى مستوى الأميين فيكتب لهم بالعامية ويدنى المعانى من أفهامهم بتجريد الأسلوب من خصائصه البلاغية وسماته الجمالية حتى لا يكون الأدب فى ذاته غاية يصفو به الذوق وتسمو به الروح وتعمل به الحياة ، والواقع الذى تحققته من اختلاطى بالشعب فى حياة القرية وتحرير الرسالة أن القارئ من الزراع

فرخصة الشعر أن يتسكلم بالوزن والقافية ، ويعبر بالجاز والاستعارة ، ويرتفع بالقصيدة أو المسرحية إلى مستوى لا يكون فى الحقيقة . ورخصة التصوير أن ينقح الواقع كما يحب ، ويغير الوضع كما يشاء ، ويرتفع بالصورة أو المثال إلى مستوى لا يوجد فى الطبيعة . ورخصة الموسيقى أن تذهب فى الإيقاع مذهب الإبداع فتؤلف من اختلاف الأصوات وتنوع النبرات وتعدد الطبقات لحنا متكاملا متلائما لا يطرق الأذان له مثيل فى الواقع . وهذه الرخص التى تمسوه الحقيقة لا بد منها للفن على اختلافه ليلبدع ما لم تبدعه الطبيعة من الجمال الذى يبعث الإعجاب ويحدث اللذة .

إن فى الفن شيئا أكثر من التقليد المحض . استمع إلى آلة تقلد تغريد البلبل كما هو بسناده ورتابته فلا تجد فيما تسمع جمالا يعجب ولا لحنا يطرب ، ولكنك إذا استمعت إلى الآلات الموسيقية تعبر عنه فى سمفونية أعجبت كل الإعجاب وطربت غاية الطرب ، لأن الفن قد دخل التقليد فى هذه الحال فنقح وصحح وزاد . لم توجد فى الطبيعة سمفونية (بهوفن) ، ولم توجد فى الخليفة فينوس ميديتشى . وإنما الفن وحده هو الذى ألفت من النبرات الرخيمة المتفرقة فى أصوات الطبيعة هذه السمفونية ، وصاغ من الملاح الجميلة الموزعة

إن الواقعية بمعناها العام مذهب من مذاهب الأدب ، والأدب عند الأمم جميعا فكرة سليمة في صورة جميلة ، وجمال الصورة في كل لغة لا يتحقق أولا وبالذات إلا بسلامة العبارة من الخطأ والغشاة .

والواقعية كما قلت لا تعادى الفن ولا تنافيه ، والواقعيون أجمعون هم من الكتاب الأفاضل الذين أوتوا ملكة البيان وفقهوا أسرار البلاغة ، وما نعرف أحدا منهم تعاطى الكتابة في لغته وهو ينكرها كل الإنكار ويتنكر لأدبها كل التنكر ، فهل يريد الواقعيون العرب أن يكونوا بدعا من سائر الكتاب فيفصلوا بين الواقعية والفن وبين الكتابة واللغة ؟ .

إن كانوا يريدون ذلك فهو الخلاف الذى لا يمتهى بيننا وبينهم ، وإن كانوا يدعون إلى واقعية عربية تدبش من حياة الشعب ، وتحرص على تقاليد العروبة ، فتؤثر الفصحى وتقدس الخير وترعى الجمال فإننا وإياهم على كلمة سواء .

أحمد حسن الزيات

والصناع يفضلون الشعر على الزجل ، ويتأثرون بالمقال البليغ أكثر مما يتأثرون بالقول الساذج . والأدب هو الجزء السماوى فى الإنسان ينزع به دائما إلى ما هو أعلى وأكمل ؛ فهو له كالجنحين للبلد ، يرفعه من كثافة المادة إلى لطافة الروح . ومن واجب الأديب أن يقوى هذا النزوع فى نفوس الشعب بتصوير المثل العليا للجمال والفضيلة وحمله بطريق التثقيف على أن ينظر إليها من فوق رأسه لا من تحت قدميه .

إن الحياة فيها المسجد والسوق ، وفيها المدرسة والمصنع ، وفيها الحديقة والمطعم ، وفيها الإستديو والورشة ، وكل جهة من الجهات المعنوية تعدل الجهة التى تقابلها من الجهات الحسية ، فلماذا نكره الأدب على أن يتقلب فى الجهات الدنيا لا فى الجهات العليا وأن يعيش مع ابن آدم فى حيوانيته لا فى إنسانيته ؟

إن الأدب للشعب كله ما فى ذلك خلاف ، ولكنه إذا نزل إلى عامته فإنما ينزل ليرفعهم إلى السطح لا ليغوص معهم إلى القاع . وقول من يقول إن الأدب يداخل بهذا المعنى فى قول من يقول إن الأدب للحياة .

الإيمان والاستقامة طريق الأمن والسلام

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

سبل الباطل للإعراض عنها ، ثم اعتقاد المحاسبة والجزاء يوم الدين « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً » . وبذلك يكمل في الإنسان الجانب العلى بإدراك الحق والإيمان به .

الإقرار والعمل :

أما الاستقامة : فهي الإقرار بالحق ، والاستمرار في العمل على مقتضاه بالتزام الطريق المستقيم الذى رسمه الله فى كتبه ، وبينه على ألسنة رسله ، وبها يكمل فى الإنسان جانبه العملى بفعل الخير والصلاح . فمن حاد عن شئ فى العقيدة أو فى عمل الخير ، فقد اعوج ومال عن الصراط المستقيم .

وكثيراً ما تحدث « القرآن الكريم » عن الاستقامة ، فسورة « الفاتحة » التى هى أم الكتاب ، والتى هى أول سورة كاملة نزلت من القرآن ، والى طلب قراءتها من المؤمنين فى كل صلاة ، تهتم — بعد إثبات الحمد والربوبية وملك يوم الدين لله — بتوجيه المؤمنين إلى الدعاء ، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، وترشدكم إلى أن طريق

قال الله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون » وجاء فى الأربعين النووية ، فى رواية لمسلم . . أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم قال : قلت : يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك . قال : (قل آمنت بالله ، ثم استقم) .

كثتان عظيمتان : الإيمان والاستقامة . هما أساس السعادة ، وهما طريق الأمن والسلامة ، يجمعان عناصر الإسلام ، ويضمنان جميع وسائل الخير ، وخصال البر .

كثتان : هما الإسلام كله . بهما يتحقق الإسلام ، فليس الإسلام نسبة يعرف بها تعداد السكان ، وليس الإسلام كلمة التوحيد مجردة تجرى على اللسان ، إنما هو تعبير صادق عما استقر فى القلب وملك على الإنسان الحس والنفس من اعتقاد وحدانية الله فى الربوبية العامة للعالم كله : أرضه وسماؤه ، مائه وهوائه ، نباته وحيوانه . . أجساما بالخلق والتنمية ، ونفوساً بالهداية والإرشاد وتوضيح سبل الحق للسير فيها ، وكشف

أصلها ، والبعد بها عن مظاهر الشرك ،
تتناول المحافظة على العبادة من جهة البعد بها
في أصلها وكيفياتها عن وجوه الابتداع فيها ،
وتتناول المحافظة على المعاملة من حيث
تحرى الخير فيها ، وعدم الإضرار بها ،
والاحتياط عليها ، وتتناول المحافظة على
التشريع بحيث لا ينقض أصل من الأصول
التي نص عليها في كتابه ، وألا يخرج بها عن
دائرة العدل الذي يريده الله .

وسط في كل شيء :

وهي — بعد ذلك — الحد الوسط الذي
لا إفراط فيه ولا تفريط ، وسط في العقيدة
بين الذين ينكرون الإله ، ويزعمون أن هذه
الحياة الدنيا وليدة المصادفات والتفاعلات
المادية ، وبين الذين يقولون بالتعدد
ويتخذون مع الله أندادا .
وسط في الأخلاق بين الذين يتحللون من
كل الفضائل ، وبين الذين يشتون في تصور
الفضيلة والالتزام طرق التشدد فيها .

وسط بين المادية البحت ، وبين الروحية
البحت ، وسط في طريقة التشريع ووضع
قوانين الحياة للناس ، وسط في تحديد علاقة
الفرد بالجماعة .

أما منهاج الاستقامة الذي تضمنته سورة
« هود » فهو في قوله تعالى من أواخر السورة :
« فاستقم كما أمرت ومن تاب معك
ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير . ولا تركنوا

الحصول على نعمة الله المطلقة : نعمتى الدنيا
والآخرة » اهدنا الصراط المستقيم ، صراط
الذين أنعمت عليهم » .

وسورة « الأنعام » تذكر أن اتباع شرع
الله في التوحيد والخلق والمعاملة هو ما يأمر
الله به ويحذر الإعراض عنه . ثم يقول
« وأن هذا صراطي مستقيما ، فاتبعوه ،
ولا تدعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

المستقيمون والمنحرفون :

وسورة « هود » ترسم المنهاج الكامل
للاستقامة في الحصول على السعادة والفلاح
والسلامة ، وقد جاء ذلك المنهاج بعد أن
صورت السورة الدعوة ، وذكرت دلائلها ،
وقدمت صورة تاريخية واضحة عن عاقبة الذين
استقاموا على أمر الله ، والذين انحرفوا
عنه . أما الذين استقاموا فهم الأنبياء
الداعون ، وأما الذين انحرفوا فهم الأقوام
المدعويون .

والاستقامة كما أمر الله ، هي التزام الخط
المستقيم الذي لا عوج فيه ولا التواء ، وبه
شبه طريق الحق الذي رسمه الأنبياء في العقائد
والعبادات والأخلاق ، والأصول العامة
للعاملات ، وأطلق عليه « القرآن الكريم »
« الصراط المستقيم » .

فهي تتناول المحافظة على العقيدة ، والمحافظة
على العبادة ، والمحافظة على المعاملة . والمحافظة
على التشريع ، تتناول المحافظة على العقيدة في

في هذه الآيات طلب الله إلى رسوله والمؤمنين معه أن يستقيموا على الطريقة كما أمر، ثم عاد يؤكد هذا الأمر، يوضح حدوده ويبين مہجه .

فنهى عن الطغيان «ولا تطغوا» والطغيان مجاوزة الحد بالإفراط أو التفريط في العقيدة وفي العبادة .

فالطغيان في العقيدة أن يظن المرء بالله عجزاً، أو يزعم أن غيره في الأمر شأنًا . والطغيان في العبادة بالإعراض عن طاعة الله ودعائه، والتوجه بهما إلى غيره، وباختراع عبادة لم ترد عنه، وتحليل الحرام أو تحريم الحلال، والاعتداء على الحقوق، وكفر النعمة والاعتزاز بالقوة .

وقد بين القرآن في أكثر من موضع عاقبة الطغيان، وضرب لنا الأمثال بالذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب .

كيف تتم الاستقامة ؟

ولم يكف في نظر الإسلام أن يستقيم المرء في نفسه، وإنما تتم الاستقامة بتجنب الطغيان والظلم وعدم الميل إلى الظالمين أملاً في خير أو خشية من شره ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون، فإن السكن إلى الظالم يغيره بظلمه، قتموت الفضيلة وتستشري الرذيلة وينهار المجتمع .

إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون، وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

وأول ما نلح في هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى سوى فيها بين الحاكم والمحكوم، وبين الراعي والرعية بالخطاب والأمر، وكان ذلك أصلاً من أصول المساواة في الإسلام قضى به على أثر من آثار التميز والطبقية، فالحاكم كالمحكوم في نظر الإسلام، يقام عليه الحد إذا ارتكب ما يوجب الحد . . . وإذا قتل قتل، وإذا زنى رجم أو جلد، وإذا شرب الخمر عزر .

القصص من النبي :

لذلك خطب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ماخطبت به أمته، وكان أول المنفذين على نفسه وفي نفسه . . . مكن من ضربه ليقص منه، وقال لا بئته كبتة الحاسمة: يا فاطمة لا أغنى عنك من الله شيئاً .

لم يخصه ربه بشيء من الأحكام ذات الأثر العام في الأمة وإنما كانت خصوصياته فيما يتصل بشخصه، كالتجديد وحرمة الزوج بغير من تزوجهن، وحرمة زواجه على أمته بعد موته .

عن الفساد وترك المترفين يعبثون ويبغون
« فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية
ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن
أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا
فيه وكانوا مجرمين » .

كما أعقبه ببيان عاقبة الظالمين « وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

العقل والتكليف :

وألزمهم الحجة بما أودع فيهم من عقل
يميزون به الخير من الشر والنافع من الضار
تركهم إلى اختيارهم تحقيقا للابتلاء والتكليف
« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ،
ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك
خلقهم » .

فالاختلاف قوام الحياة والباعث على
التنافس ، والله جلت حكمته لم يرد الحياة
صامتة جامدة وإنما أرادها متفاعلة متجددة .
ولن تتحق هذه الحكمة إلا إذا ترك الناس
وتصوراتهم وعقائدهم وخططهم التي يرسمونها
لأنفسهم في الحياة .

وحسب الحكمة الإلهية أن ترشد بالآيات
إلى طريق الحق وسبيل السعادة ، ثم يكون
للبحسن إحسانه وللبيس إساءته .

هذا هو منهاج الاستقامة كما جاء به القرآن
الكريم هدى وموعظة وذكرى للمؤمنين .

مهموم ملئوت

ولنما يستهدف هذا الأصل العظيم من
أصول الاستقامة كسر شوكة الطغاة وتقليم
أظفار الظلمة حتى تضيق عليهم الأرض بما
رحبت ، ولا يجدوا ملجأ من الله إلا إليه
بتطهير أنفسهم والرجوع إلى الدين الحق .
وقد حذر القرآن من اتخاذ البطانة والولاية
من المفسدين حتى لقد جعل أولياء الظلمة في
منزلتهم « ومن يتولهم منهم فإنه منكم » .

فالبعد عن الطغيان واجتناب الطغاة أصلان
متكاملان تتحقق بهما الاستقامة التي أمر الله
بها وهدى المؤمنين إليها وللوقاية من الطغيان
أمر الله عباده بالصلاة والصبر .

« وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى
للذاكرين ، واصبر فإن الله لا يضيع أجر
المحسنين » .

فالصلاة تربط الإنسان بربه عن طريق
المناجاة والدعاء وإسلام النفس وتهذيب
الخلق ، وتبديل غرائز الخير بغرائز الشر .
والصبر يعصم الإنسان من الزلل في مواقف
الفرح والجزع . فرح النفس عند النعمة
والجزع عند النقمة « واستعينوا بالصبر
والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » .
إن الإنسان خلق هلوفا ، إذا مسه الشر
جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين .
ثم أعقب القرآن هذا المنهاج بآيات التحسر
والتمندم على تقصير القرون الأولى في النهي

المقامة

بين المحافظه والتجديد

للأستاذ عباس محمود العقاد

المقامة فن من الكتابة النثرية لا يعرف له مثيل في غير اللغة العربية .

ولعله أسلوب من الكتابة الفنية لا تصلح له لغة غيرها ، لأنه يقوم على تنسيق الفواصل والقوافي وتجميل اللفظ والمعنى بالمحسنات الظاهرة والمضمرة ، وليس أنسب لهذا الأسلوب من لغة توزن فيها الألفاظ وتطرد فيها أوزان الاشتقاق ويكثر فيها استخدام الجناس والتورية كما يكثر فيها التوفيق والتفريق على حسب مواقع الإعراب والإيجام .

وقد وجدت للمقامة أغراضها التي تناسبها وتميزها من المقالة ومن القصة كما تميزها في الشعر من القصيدة والمقطوعة ، وتحرى المقاميون هذه الأغراض ، بسليقتهم وعلى وفاق ذوقهم ، منذ نشأت المقامة في القرن الرابع الهجري إلى أن أحيائها الكتاب المنشؤون في أواخر القرن الثاني عشر ، على مثالها الأول بغير تعديل كبير في موضوعها وأسلوبها .

فن أغراض المقامة الوصف والتحليل ،

والعاطفة والنكتة النادرة والتلقين أو التعاليم ، ويسبق هذه الأغراض جميعا غرض شامل تشترك فيه جميع المقامات على اختلاف أغراضها الأخرى ، وهو ما نسميه غرض الزينة أو غرض الجمال إلى جانب الفهم والإفادة ، وذلك غرض مقصود في كل صناعة من الصناعات ، يتحراه المجيدون في كل صناعة كما يتحرون وجه الفائدة منها ، فلا تخلو صناعات البناء والكساء والطعام ، بل الدواء والدراسة ، من جهود تبذل لإقامة الصرح الرائع وتطيرن الحلة الرائقة وتهيئة الصحف المشتهة وإعداد العقاقير والكتب في شكلها المستحب ووعائها المقبول .

ففي المقامة الوصفية نقرأ أوصاف المناظر والأشياء وأوصاف الإنسان والحيوان ، وأوصاف المدن العامرة والآنية الفاخرة ، وغيرها من الأوصاف العارضة ، كلما تناولها الحديث ، أو كلما شاء الكاتب أن يجعل الوصف غرضا مقصودا لمناسبة يختارها ولا يمعن كثيرا في بحثه عن هذه المناسبة .

وفي المقامة التحليلية يعرض لنا الكاتب

فيها حقيقة علمية في قالب من البيان والبلاغة ولا يشترط أن يكون العلم بالحقيقة وقفا على المقامة البليغة لأنها قد تكون من الحقائق التي يتعلمها من شاء في كتب الدراسة، ولكن يشترط في المقامة، أن تجعل تلك الحقيقة ميسرة الحفظ والرواية في مقام المساجلة والمنادمة، ووسيلة من وسائل الفهم مع تهذيب اللسان والقدرة على حسن البيان.

* * *

فالمقامة بوضعها وموضوعها قد أنشأت في اللغة فنا مستقلا من فنون الكتابة لا يغنى عنه فن المنثور أو المنظوم.

لأنها وسط في موضوعها بين موضوعات الفهم والدرس وموضوعات الذوق والخيال. وهي وسط بين الشعر والنثر، وبين الحكاية والصورة، وبين التعليم والتجميل، وبين الفن للفن من حيث القالب والصياغة، والفن لمعانيه ومطالبه من حيث النظر إلى الحياة النفسية أو الحياة الاجتماعية.

وحق البقاء مكفول لكل فن جميل نافع يصلح رسالة في عالم الثقافة الإنسانية لا يغنى غيره مثل غنائه فيها.

فلماذا وجدت المقامة عندنا ثم فقدت مكانها؟ وكيف تعود إلى ذلك المكان إذا كان من حقها أن تعود إليه؟

* * *

« صورة شخصية » لمن يتحدث بأسمائهم أو يتحدث عن أحوالهم وأخبارهم، تتمثل فيها جوانب الجسد منه وجوانب الفسكاهة، وجوانب الواقع أحيانا إلى جوانب التخيل والتقدير، ويغلب عليها أن تكون من قبيل الصور المرححة التي شاعت في الصحف الفكاهية واقتربت بالموضوعات الهزلية، وإن كان موضوع المقامة لا يأبى الجسد في تصوير الشخصيات، التي تذكر بمفاخرها وآثورها، وعظائم أخلاقها وأفكارها.

وفي المقامة العاطفية يوصف الشعور الإنساني بكلام يحفظ لجماله ويروى لما فيه من موضع الشاهد والعظة، وتلحق فيه الكتابة المشورة بالكتابة المنظومة على غاية ما يستطيع من مشابهة النثر والنظم ومقارنة الكاتب الفنان للشاعر الفنان.

وليس أبلغ، ولا أدعى إلى الإعجاب، من النكتة الرائقة في الكلم الرائق، أو من النادرة الشائقة في اللفظ الشائق، فالمقامة في موضوع النكتة والنادرة قصة وزيادة، إذ يراد فيها الأسلوب من أجل القصة وتراد فيها القصة من أجل الأسلوب، وتتمشى القصة وأسلوبها معا موضوعين اثنين في قالب واحد.

أما مقامة التقنين والتعليم فتلك هي المقامة التي يتعلم فيها القارئ فكرة ولغة، أو يتعلم

نعم يحق للجديد أن ينكر استخدام أسلوب المقامة في موضوعات شرح العلوم أو تفصيل مسائل القانون والسياسة ، أو بيان وجوه النقد في المسائل الأدبية كغيرها من مسائل الكتابة المرسلة في لغتنا العربية وفي جميع اللغات ، ولكن تحريم أسلوب المقامة في الموضوعات التي تصلح لها وتجمل بها هو مذهب التجديد الذي لا فرق بينه وبين التقليد ، لأن إنكار القديم لغير سبب كما إنكار الجديد لغير سبب ، كلاهما مجازاة على سنة المحاكاة ، لا تستند إلى فكر ولا ذوق .

والمجددون المقلدون هم آفة النقد في كل حركة فنية أو فكرية ، وهم - على ما نرى - أصل الإضرار على أسلوب المقامة في موضع وفي غير موضع ، ولو أنهم خصوا هذا الأسلوب بالنقد في غير موضعه لكانوا مجددين غير مقلدين .

ففي عصر البعث اللغوى - منذ قرن مضى - كان الاحتفال بالكتابة علامة الغيرة على اللغة والقدرة على مجازاة الأقدمين فيها ، وكانت المقامة بأبجاعتها ومحسناتها مثلاً لكلام المحتفل به ودليلاً على العناية بإحياء القديم في الوقت الذي كان إحياء القديم فيه هدف النهضة وغاية القدرة التي تؤهل صاحب القلم لحل أمانة الكتابة في العصر الحديث ، فشاع أسلوب المقامة في مقالات الصحف وفي مراسيم

إن المقامة ضاعت في معركة المحافظة والتجديد ، ولكنها لم تضع على أيدي المحافظين العارفين بما يحافظون عليه ولا على أيدي المجددين العارفين بما ينكرون من القديم وما يستحسنون من الجديد ، ولو كان لها قارئ خاص كقراء القصيدة والمقالة والقصة لانفرد بها الكتائب الخاصة الذي يجيدها ويترقى بها ويتوسع فيها ، ولكنها ليست من القراءة التي تطلب فيستجاب الطالب ، وإنما هي زينة حسنة توجد فيوجد من يستحسنها ، وقلبا يلح في طلبها إلحاحاً يفرضها على من يستطيعها ، من زمرة المحافظين كان أو من زمرة المجددين .

فالمحافظون لا يضيعون المقامة لأنها وصلت إليهم مع التراث القديم الذي يحافظون عليه . والمجددون لا يستقيمون على نهجهم في نقد البلاغة إذا تعللوا لنقد المقامة بعبء الوزن والقافية التي يحيزونها في الشعر أو بعبء التجميل الفني التي يقبلونها أو يطلبونها في النثر .

أما إن كان التجديد عندهم إنكاراً للوزن والقافية والتجميل الفني جميعاً فذلك هدم وليس بتجديد ، وهو هدم الأدب بمنظومه ومشوره من أساسه ، وليست المقامة وحدها مخصوصة فيه بالإنكار .

الكلام المرسل ؛ لأنه لا يفصل هنا بين غرض الإفادة وغرض التجميل .

وما أكثر الموضوعات التي تتقبلها المقامة في العصر الحاضر ولا تتقبلها القصيدة ولا القصة ولا المقالة بمثل هذا الترحيب ! .

مناظر السياحة في الفضاء ، أسرار العلم التي تقرب من التخمين ، وأسرار الخيال التي تقرب من العلم في أوصاف سكان الكواكب وعوالم الأفلاك ، خطاب يلقيه إنسان مريخي أو نبوءة يملها إنسان أرضي على كائنات المستقبل في عالم الحس والشهادة أو عالم الغيب والظنون ، بحث من بحوث التنجيم يتعاون فيه العالم والفيلسوف والشاعر والصوفي ورجل الدين .

أليس للمقامة عملها في هذه المقاصد عند الشقة الحرام على ملتقى العلم والشعر، والتحقيق والتخمين، والجد والفكاهة، والحلم والعيان؟ . بل . . . إن للمقامة لعملا كبيرا ينتظر

من الجدد قبل المحافظين ، وإنه لعمل ينتظره المخلصون ممن يزعمون تحرير الشعر بإلغاء البحور والأوزان ، فإن المقامة أوفى بالغرض في هذا المقام من شعر بلا بحور أو نثر مهمل يلبس الحلية في كم من كمين ، ويحمل الإيقاع بقدم من قدمين ، ولا يقنع بالمسخ في نفسه حتى يشترط معه الشروط هداما للشعر وتغريبا للنثر عن عالم النفع

وعالم الجمال . عباس محمود العقاد

الحكومة وفي كتب التاريخ والجغرافية وفي نقل الكلام المترجم وشرح الكلام المنقول .

لا جرم كان من التجديد أن يقننه رواد التجديد إلى خطأ هذا الرأي وأن يختاروا الأسلوب المرسل لموضوعات الكتابة المرسلة التي تطلب للفائدة وتحقيق العلم والفهم ولا تحتاج من تجميل البلاغة إلى مقصد غير مقصد الإبانة والإقناع وصحة اللغة وما تنطوي عليه من صدق التعبير وسلامة لفظه ومعناه .

ويتهى حق التجديد عند نقد الأسلوب في غير موضعه، فإذا تجاوزته إلى نقد أسلوب من الأساليب في كل موضع ولغير سبب من أسباب الفن الجميل أو أسباب الزينة البليغة المطلوبة في كل صناعة ، فذلك هو ابتداء التقليد عند نهاية التجديد .

ويعاب التقليد في هذا الفن من فنون اللغة العربية لأنه حرمان لها من مزياتها بين اللغات، وهي مزينة توفر فيها أسباب الجمال الفني في الكتابة النثرية على مثال يضارع هذا الجمال في الكتابة المنظومة ، من غير إخلال بمطالب الذوق السليم في الأغراض التي تنفصل فيها مواضع الشعر والنثر، ولا تسمح باللقاء السائغ بين الفكر والواقع وبين العاطفة والخيال .

والمقامة هي القلب الذي ينتظر منه القارئ مقالة وقصيدة وقصة ودرسا من دروس التعليم ، ولا يستغرب شيئا من ذلك كما يستغربه منظوما في القصيدة أو منشورا في

صياغة مشروع لجامعة إسلامية

للفقيه الكبير: أبي الأعلى المودودي

ذلك القديس ستقرأه في هذا المقال هو ما وقع في خاطر الأستاذ الكبير أبي الأعلى من تطوير التعليم الديني ، ليعود الإسلام كما شرعه الله ، دستوراً للحياة ونظاماً للعالم . ومشروع الأستاذ هو بتفصيل أدق وأتمثل ما انطوى عليه قانون الأزهر الجديد الذي أصدرته حكومة الثورة بالجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦١ - فلو أن الأستاذ قرأه منشوراً في عدد صفر سنة ١٣٨١ من مجلة الأزهر لأطمأن قلبه على ما تمنى للإسلام من تجديد ، والمسلمين من تقدم ، ولحمد الله على أن أتيح للأزهر وهو حصن الإسلام للمنتفع ، أن يكون مبعثاً للإسلام للتطور المنهري الصالح لقيادة الأمم في متاهة النظم الوضعية للمعارضة للتناقضات التي توشك أن تقتني بني آدم جميعاً على الهاوية .

المحرر

على الطراز القديم ولا إلى جامعة عصرية تخرج ماهرين في العلوم الغربية على الطراز الحديث ، بل هي تعدو هذا وذلك إلى جامعة تكون حملة للواء الإسلام كنظام للحياة في هذا العصر .

إن العالم الإسلامي - من أندونيسيا شرقاً إلى مراکش غرباً - إنما يجري فيه منهجان للتعليم والتربية .

منهج لا يخرج إلا الأفراد المتحلين بعقلية الغرب ، المصطبغين بصبغة ثقافته حذو القذة بالقذة . وهؤلاء هم الذين يسيرن اليوم دفقة الحكومات في معظم الدول الإسلامية الحاضرة وفي أيديهم أزمة أمور الاقتصاد والسياسة والمدنية فيها . ومن دواعي الأسف أن أغلبيتهم جاهلون كل الجهل بما للدين الإسلامي من الهدى والتعاليم في أمور الحياة البشرية ،

نرى رجال العلم والفكر في مختلف أقطار العالم الإسلامي ينادون بين يوم وآخر بضرورة إدخال تغيير أساسي على نظم التعليم والتربية التي يترتب عليها المسلمون في العصر الحاضر ، ويدعون إلى إدامة مؤسسات تعليمية ، على الطراز الحديث ، تحلّي الشباب الإسلامي بمؤهلات تكفله لمهمة إرشاد الدنيا وتوجيهها في هذا العصر وفق وجهة نظر الإسلام ، وأما ما أسس في الآونة الأخيرة من المعاهد لهذا الغرض في مختلف البلاد الإسلامية ، فلا نكاد نرى أحداً من ذوى العلم والرأي يطمئن بها قلبه إذا ألقي نظره على أوضاعها ومناهجها للتعليم وما أتت به من النتائج . فمن الواضح ، وضوح الشمس في رابعة النهار ، أن الحاجة التي تمس العالم الإسلامي كله في هذا الزمان ليست هي إلى كلية للثريعة تعد علماء

علماء يجمعون بين العلوم الدينية والمادية معا، ولا يكونون بمنزلة الحواجز، بل يتبوءون مكان السائق في قطار حياة المسلمين، ويتفوقون على المتخرجين تحت منهج التعليم الغربي في أخلاقهم وصفاتهم في جانب، وفي مؤهلاتهم وكفاءاتهم العلمية في الجانب الآخر.

وهذه حاجة ملهوسة لا نرى مؤسسة تربوية تقوم بتحقيقها في العالم الإسلامي، إن القلق يقض على جميع أهل العلم والرأى مضاجعهم وهم يتفكرون أى معجزة يمكن أن تحفظ على هذه الأمة دينها من الفساد النهائى، وأخلاقها من الانحلال التام، لو لم يبرز إلى الوجود نظام للتعليم والتربية يحمل في طياته المزايا المذكورة آنفا. وما لا يرتاب فيه أحد أن وضع منهج للتعليم كهذا، يتطلب من الوسائل ما لا يقدر على تهيئته إلا الحكومات. وأكثر الحكومات الحاضرة في العالم الإسلامى قد تربع على كراسيها رجال لا يخفى على أحد عقلياتهم واتجاهاتهم.

ولهذا - والحالة كما قلت - لم أجد بدا، أمام هذه الحاجة الملحة، من أن أقدم إلى العالم الإسلامى ما أجد في ذهني من مشروع لمؤسسة تعاليمية منشودة آملا أن يتفكر فيه أهل العلم، وأن يقيض الله للحكومة من الحكومات المسألة الحاضرة إخراجها إلى

مفتقنون بالحياة الغربية، مهزومون أمام الثقافة العصرية الخلافة، فهم يقودون قطار الأمة الإسلامية إلى جهة تخالف جهة الإسلام ولا يأتى يوم إلا وهم فيه أسرع سيرا إلى تلك الجهة.

ومنهج لا يخرج إلا علماء للعلوم الدينية يفقدهم معرفة العلوم الديونية الحديثة. فلذا تقتصر دائرتهم في القيام بواجب المحافظة على ناحية دينية من نواحي حياة المسلمين العديدة، ولا يتحلون في أى مكان في الدنيا، بالصفات والكفاءات التى تؤهلهم لقيادة قطار المسلمين في هذا الزمان، وإنما وظيفتهم في كل مكان وظيفه الفرمة Brake في جهاز القطار، أو بعبارة أخرى أن وظيفتهم تقتصر على إتامة الحواجز أمام سير القطار الذى تقوده الفئة الأولى حتى تهدأ سرعته. غير أنى أرى بأمر عيني أن هذه الحواجز طرأ عليها الضعف بل قد كسرهما في بعض الدول الإسلامية السائقون المتمردون الشرسون وبدءوا يسوقون قطار بلادهم على خط الإلحاد والفسوق والخلاعة والجنون غير عابئين بشيء في ذلك. فيجب علينا، قبل أن يستفحل الأمر ويستشرى الفساد ويأتى يوم تتحطم فيه تلك الفرمة التى لا تزال تعمل بعض عملها في بقية الدول الإسلامية، أن نعمل الفكر والروية في وضع منهج للتعليم يخرج

٤ - يذنبى أن يكون بابها مفتوحا لمسلمى الدنيا جميعا حتى يقصدها الطلاب من جميع نواحي الأرض إذا شاءوا .

٥ - يذنبى أن يكون وسطها وسطا إسلاميا بكل معنى الكلمة حيث يتحلى الطلاب بالتقوى والأخلاق الفاضلة ويغرس فيهم الولوع بالثقافة الإسلامية ، ويجب أن يعمل كذلك على حفظها من تأثيرات الثقافة الغربية ونفوذها حتى لا ينشأ في طلابها تلك العقلية المهزومة التي نرى بوادرها تفسو بكل سرعة في الأمم المغلوبة المفتتنة بحضارة الغرب وثقافته في كل مكان . ومن الواجب - لهذا الغرض - أن يكون استعمال اللباس الغربى غير مسموح به في حدود هذه الجامعة وأن تروج فيها لتربية الطلاب تربية رياضية ركوب الخيل والسباحة والرمى واستعمال الأسلحة والتمرن على سوق السيارة والدراجة النارية وما إليها من الألعاب الرياضية الجديدة الأخرى بدلا من الألعاب الغربية . كما أنه من المستحسن أن يدرّب فيها الطلاب على التربية العسكرية إلى جانب هذه الألعاب .

٦ - يجب ألا يكون اختيار الأساتذة للتدريس فيها على أساس الخبرة والكفاءة العلمية فحسب ، بل يجب أن يكون أساتذتها - قبل كل شيء آخر - متحلين بصفات الصلاح والتقوى من حيث عقائدهم ومن

الوجود أو أن يشرح صدور بعض أهل الثراء والأيدى البيضاء في الدنيا لهذا الغرض وما ذلك على الله بعزیز .

وفما يلي أذكر على وجه الاختصار ما أجد في ذهني من الاقتراحات بخصوص جامعة إسلامية على الطراز الجديد :

١ - إن أول شيء وأهمه بالنسبة لهذه الجامعة ، هو أن تحدد غايتها تحديدا واضحا حتى لا يوضع كل نظامها إلا على حسب هذه الغاية ، ولا يعمل فيها العاملون إلا واضعين هذه الغاية نصب أعينهم ، ولا ينظر إليها عامة المسلمين إلا من ناحيتها ، ولا يعتبرون نجاحها في أداء رسالتها إلا على مدى نجاحها فيها ، وعندى أن جامعة كهذه يجب أن تكون غايتها : « إعداد علماء صالحين يتولون مهمة إرشاد الدنيا وتوجيهها في هذا العصر الجديد وفق أحكام دين الحق ومبادئه » .

٢ - يجب أن تكون دائرة هذه الجامعة محدودة بالعلوم الإسلامية . أما العلوم الأخرى فإنما تدرس فيها باعتبار أنها مساعدة للعلوم الإسلامية الأخرى لا باعتبار أن الجامعة تهدف إلى إعداد الماهرين فيها .

٣ - يجب أن تكون هذه الجامعة سكنية لا تكون سكنى الطلاب ولا سكنى الأساتذة إلا في داخلها .

(هـ) المؤهلات الكافية للكتابة والخطابة والمناقشة والكفاءات المناسبة للقيام بمهمة تبليغ الدين والدعوة إليه .

(و) التعود على الجهد والمشقة والنشاط وخشونة العيش والاعتماد على النفس في الإنجاز جميع الأعمال .

(ز) الاستعدادات اللازمة للتنظيم والإدارة والقيادة .

٨ - يجب ألا يقبل للالتحاق بها إلا الطلبة الحاصلون على شهادة أقسام الدراسة الثانوية . أما الطلاب من البلاد العربية فيمكن لهم أن يلتحقوا بها رأساً . وأما الطلبة من البلاد غير العربية فإن لم يكن لهم إلمام كاف باللغة العربية ، يجب أن يكون هناك قسم خاص لتعليم اللغة العربية مدة سنة واحدة حتى يتأهلوا للاستفادة من الدروس باللغة العربية قبل التحاقهم بالجامعة .

٩ - يجب أن تكون مدة الدراسة فيها ٩ سنوات بتوزيعها على ثلاث مراحل :

أما المرحلة الأولى فيدرس فيها الطلاب ما يأتي من العلوم (على أن تقسم دراستها على أربع سنوات بطريقة متناسبة وينال الطالب إذا نجح شهادة « البكالوريوس ») .

(١) العقائد الإسلامية بالتفصيل الآتي :

عقائد الإسلام بموجب الكتاب والسنة والدلائل النقلية والعقلية التي تقوم عليها هذه العقائد ، كما أنه من اللازم أن يدرس الطالب

حيث حياتهم العملية معا . كما يجب أن يختار الأساتذة من مختلف أقطار العالم الإسلامي بعد إجراء الفحص الدقيق وإعمال الروية البالغة ، ممن لا تتوفر فيهم شروط الكفاءة العلمية فحسب ، بل يجب أن يكونوا ، قبل كل شيء آخر مسلمين بكل معنى الكلمة من حيث عقائدهم وأفكارهم وميولهم ، متمسكين بأحكام الدين غير مفتقنين بالحضارة الغربية . بل أرى كذلك من اللازم أن نكون على اطمئنان كامل وثقة وافرة بأهل بيئتهم حتى لا يكونوا أحراراً من التمسك بأحكام الشريعة وآدابها ومتعدين لحدودها . وذلك أن الأساتذة إذا كانوا يسكنون في دائرة الجامعة مع زوجاتهم وهن متبرجات سفارات وترتفع من بيوتهم أصداء الأغنية الخليجية ، فمن المستحيل أن يتربى الطلاب على أيديهم تربية حسنة تتفق وأغراض الإسلام السامية .

٧ - يجب أن يربى فيها الطلاب تربية تحلهم بالصفات الآتية بوجه خاص :

(١) الاعتزاز بالإسلام وثقافته والعزيمة على إعلاء كلمته في الدنيا .

(ب) التخلق بالأخلاق الإسلامية والمحافظة على الأحكام والشرائع الإسلامية .

(ج) التفقه والبصيرة الاجتهادية في الدين .

(د) النزاهة من الطائفية وضيق النظر

في أمور الدين .

(د) الحديث : وفي هذه المادة ، بعد أن يعرف الطالب إلى الحد الضروري بتاريخ علم الحديث وأصول الحديث والبراهين على الاحتجاج بالحديث ، يدرس أحد مجاميع السنن كمنتقى الأخبار أو بلوغ المرام أو مشكاة المصابيح مثلاً .

(هـ) الفقه : وفي هذه المادة أيضاً بعد أن يدرس الطالب كتاباً مختصراً في تاريخ الفقه يلحق تعليم الفقه بأسلوب يعرفه بمذاهب مختلف الفقهاء في جانب ، وكيف استنبط الأئمة المجتهدون المسائل من أدلتها الشرعية في الجانب الآخر

(و) التاريخ الإسلامى : وفي هذه المادة يدرس الطالب أولاً تاريخ الأنبياء عليهم السلام ثم يدرس السيرة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ، وسيرة الخلفاء الراشدين بما يمكن من البسط والشرح ثم يدرس التاريخ الإسلامى إلى الزمن الحاضر على الوجه المختصر .

(ز) العلوم العمرانية . (ولا سيما المتعلقة منها بالاقتصاد والاجتماع) ومن الواجب بالنسبة للأساتذة الذين يختارون لتدريس هذه المادة أن يكونوا ممن يستطيعون تدريسها مع تقديمها بوجهة نظر الإسلام حتى لا يفرغوا الأفكار والنظريات الغربية في أذهان الطلاب كما هي .

بهذا الصدد . كيف وبأى ترتيب ظهر ما ظهر بين المسلمين من الخلافات في العقائد ؟ ولم يوجد في الدنيا اليوم من المذاهب على أساسها ؟ وينبغي ألا تكون هذه الدراسة للعقائد متجاوزة لحدود البيان العلمى الجرد مع الابتعاد - بقدر الإمكان - عن المحاربة في العقائد .

(ب) النظام الإسلامى للحياة : يعرف الطالب في هذه المادة بنظام الإسلام المتكامل للحياة البشرية حتى يكون على معرفة تامة بالتصورات الأساسية التى ينهض عليها بناء الإسلام وكيف أنه يشكل على أساس هذه العقائد الأخلاق والسلوك الإنسانى وما هى المبادئ التى ينظم عليها فى المجتمع مختلف شئون البشر من الحياة العائلية إلى الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية وما هى الصورة التى تبرز عليها حضارة الإسلام .

(ج) القرآن : يدرس الطالب فى هذه المرحلة القرآن من أوله إلى آخره مع تفسيره الموجز ، والأفضل عندى لهذا الغرض أن لا يقرر للتدريس فى هذه المادة كتاب خاص فى التفسير ، بل على الأستاذ أن يراجع بنفسه مختلف كتب التفسير ، ثم يلقى دروسه على الطلاب على ضوء استفادته منها بحيث يدرك الطلاب غاية كتاب الله تعالى ومقصوده ويرتفع عن أذهانهم ما يجدون فيها من الشبهات حول تعاليمه وأحكامه .

- (ح) الإسلام على الوجه الإجمالى بأديان العالم ولا سيما اليهودية والمسيحية والبوذية والهندوكية .
- (ط) التاريخ الموجز للأفكار والمذاهب الجديدة ولا سيما الديمقراطية الغربية والشيوعية والفاشية وما إليها .
- (ى) إحدى اللغات الثلاث الآتية : الانكليزية والألمانية والفرنسية .
- (ك) اللغة العربية وآدابها .
- أما المرحلة الثانية فتكون الدراسة فيها ثلاث سنوات متقسمة على خمسة أقسام .
- التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتاريخ : بحيث يكون لكل طالب إذا نال شهادة إتمام الدراسة فى المرحلة الأولى أن يدخل فى أحد هذه الأقسام الخمسة ، وينال إذا نجح شهادة الماجستير .
- (١) أما قسم التفسير فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) تاريخ القرآن .
- (ب) تاريخ علم التفسير ومختلف مذاهب المفسرين مع الإمام بمزاياها وخصائصها .
- (ج) الاختلاف فى وجوه القراءة .
- (د) أصول التفسير .
- (هـ) الدراسة الوافية العميقة للقرآن الحكيم .
- (و) الاستعراض الدقيق لما وجه إلى القرآن من الاعتراضات من المعاندين وأجوبتها .
- (ز) الفقه على المذاهب الأربعة وعلى (ز) أحكام القرآن .
- (٢) أما قسم الحديث فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) تاريخ تدوين الحديث .
- (ب) علوم الحديث بكل شعبها .
- (ج) أحد أمهات الكتب فى الحديث مع النقد التفصيلى لمتونه وأسانيده حتى يتمرن الطالب على نقد الأحاديث على طريق أئمة الحديث .
- (د) نظرة شاملة فى الصحاح .
- (هـ) الاستعراض الدقيق لما وجه إلى الحديث من الاعتراضات من المعاندين وأجوبتها .
- ٣ - أما قسم الفقه فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) أصول الفقه .
- (ب) تاريخ الفقه .
- (ج) فلسفة القانون الجديد .
- (د) المقارنة بين القوانين الرومية والفارسية والشرعية اليهودية والقوانين الوضعية الجديدة والشرعية الإسلامية .
- (هـ) المذاهب المختلفة لفقهائ الإسلام وقواعدها .
- (و) التمرن على استنباط المسائل من القرآن والسنة مباشرة .
- (ز) الفقه على المذاهب الأربعة وعلى

مذاهب الظاهرية والزيدية والاثنا عشرية .
٤ - أما قسم علم الكلام فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

(أ) مبادئ المنطق .

(ب) الفلسفة القديمة والجديدة .

(ج) تاريخ علم الكلام عند المسلمين وتفصيل المذاهب الكلامية الناشئة بينهم للعوامل الخارجية والداخلية .

(د) مسائل علم الكلام وما للقرآن والسنة من الهدى في بابها .

(هـ) الاستعراض الدقيق لما وجه إلى الإسلام من الاعتراضات من المعاندين وأجوبتها .

(و) المقارنة بين الأديان ولاسيما الدراسة التفصيلية لتاريخ المسيحية وفرقها وعقائدها .

(ز) جهود المبشرين المسيحيين وطرائق عملهم .

٥ - أما قسم تاريخ الإسلام فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

(أ) فلسفة التاريخ وغاية دراسته وأسلوب دراسته بموجب القرآن .

(ب) المذاهب المختلفة في فلسفة التاريخ منذ ابن خلدون إلى العصر الحاضر .

(ج) تاريخ الجزيرة العربية والشرق الأوسط قبل الإسلام .

(د) تاريخ الإسلام منذ العهد النبوي

إلى العصر الحاضر من جهة تطور الأفكار والأخلاق والعلوم المدنية والسياسة .
(هـ) الحركات لتجديد الدين وإحياء دعوته في مختلف العصور .

(و) تاريخ الاستعمار الغربي في بلاد المسلمين وآثاره فيها .

أما المرحلة الثالثة فيكون فيها لكل طالب - إذا نال شهادة إتمام دراسته في المرحلة الثانية، وأراد التدرب على البحث والتحقيق على الطريق العلمي - أن يختار أى موضوع من الأقسام الخمسة المذكورة، ويدرسه دراسة عميقة تحت إشراف الأساتذة، ثم يقدم فيه أطروحته بعد سنتين، فعندئذ يمنح الشهادة بعد ما ينظر في أطروحته أصحاب العلم . وتكون هذه الشهادة شهادة الدكتوراه .

١٠ - يجب أن تزود هذه الجامعة بمكتبة من النوع الأعلى زاخرة بمجموعة عليقة من كتب الدراسة والمراجعة على قدر حاجات الجامعة المذكورة .

١١ - ويجب كذلك أن تؤلف لجنة من أصحاب العلم لاختيار الكتب المناسبة لمختلف مراحل الدراسة في الجامعة ولتختلف شعبها الأخرى .

١٢ - ويجب كذلك أن يؤسس بجمع على (أكاديمي) لتأليف الكتب الجديدة على قدر حاجات الجامعة خاصة .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو الوفاء على المردودي

صفحات من تاريخ المرأة في الإسلام للاستاذ محمد محمد المدني

في حله وترحاله ، واختبرت أخلاقه في عسره
ويسره ، ودرست نفسه فانتبت إلى وصفه
بهذه الصفات العالية التي يرجع أغلبها إلى خلق
التضحية والإيثار والتخلص من الأنانية
وشح النفس .

عرفت فيه هذه الأخلاق ، فبشرته بالنجاح
وأن الله تعالى لن يخزيه ولن يتركه ،
وبذلك ثبتت فؤاده ، ووقفت وراءه
في أخرج أوقاته ، وآمنت به ، وآزرت
طول حياتها بما لها ورأيها وعطفها وحنانها ؛
بما جعله يقول لزوجته عائشة حين ذكرتها
(آمنت بي حين كفر الناس ، وصدقني إذ
كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني
الناس) .

وهذه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها
تملاً حياة الرسول أنساً وبهجة ، وتملاً حياة
المسلمين علماً ورواية ، وتشارك في الأحداث
برأيها وجهادها ، وتضرب المثل الأعلى للنساء
الدنيا فيما يمكن أن تقوم به المرأة في مجتمعهما
حين تفقه الدين ، وتعلم العلم ، وتعرف
حقوق الزوج والأهل والوطن والمجتمع .

إن في التاريخ اصفحات مشرقة متألثة
بما سطر فيها من نغز للمرأة المسلمة ، في ميادين
العلم والرأى والأدب والتوجيه والتربية
إن التاريخ لا يفسى مثلاً موقف الزوجة
الأولى في الإسلام خديجة بنت خويلد حين
جاء إليها زوجها محمد صلوات الله عليه
يرجف فؤده وقد رأى الملك ليللة الرسالة
وهو يوحى إليه في غار حراء قوله تعالى :
« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان
من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم
بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ، .

إنه ذهب بها إلى خديجة يرجف فؤاده ،
وأخبرها خبر الملك الذي نزل عليه بها ،
وقال لها : مالي يا خديجة مالي ، لقد خشيت
على نفسي ! فقالت له خديجة : كلا والله
لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ،
وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب
المعديوم ، وتقري الضيف ، وتعين على
نوائب الحق .

فهذه سيدة من كرائم السيدات ، خبيرة
مجرية ، عرفت أخبار محمد صلى الله عليه وسلم

وكان لها موقف آخر في كهولتها ، إذ كانت أما لعبد الله بن الزبير ، فناء إليها وقد أحاط به أعداؤه ، وعلم أنه مقتول لا محالة ، فاستشارها فيما يفعل ، فقالت له : إن كنت تعلم أنك على الحق فامض في سبيلك غير هيب ولا وجل ، فقال لها : يا أماء والله ما أهاب الموت ، ولكني أخشى إذا مت أن يمثلوا بي ، وكان يريد أن يعرف بذلك مدى احتمالها وصبرها على الكارثة ، فقالت له يا بني إن الشاة لا تتألم بعد الذبح بالسليخ .

وهكذا غطت بالعقل والإيثار والتضحية على عاطفة الأمومة من الشفقة والرحمة والجزع واللهفة ، فكانت خير مثل للجهادات الأبيات الواقفات في جانب الحق مهما كلفهن هذا الوقوف من مشاق وتضحيات ! .

ويذكرنا هذا الموقف بموقف للخنساء الشاعرة المشهورة بقصائدها التي تروى بها أخاها صخرا ، فتقول في بعضها :

يذكرني طلوع الشمس صخراً

وأذكره بكل مغيب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي

على موتاهم لقتلت نفسي

هذه المرأة كان لها أربعة بنين ، فلما تجهز جيش المسلمين لفتح فارس في السنة السادسة عشرة من الهجرة سارت هي وأبنائها الأربعة

ولا عجب فهي بنت أبي بكر ، وخريجة البيت النبوي فيه اكتمل نموها ، ونضجت شخصيتها ، وتلقت دراستها ، واتفعت بما يتلى فيه من آيات الله والحكمة ، وعاصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبة منه قرب الزوجة الحبيبة إلى قلبه ، الأثيرة عنده ، فعرفت أهداف الإسلام ، وعاشت في أحداثه ، وظل ذلك طابع حياتها حتى لقيت ربها كأطهر ما يكون النساء ، وأكملهن عقلا ، وأسبغهن فضلا .

وهذه أختها أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين التي قامت في شبابها بدور الفدائية في أحلك ساعة من ساعات رسول الله صلى الله عليه وسلم وساعات أبيها رفيقه في الغار ، إذ كانت تحمل إليهما الطعام والشراب كل مساء ، متسللة تحت جناح الظلام حتى لا تراها عيون المشركين المتربصين بهما ، والهول يومئذ شديد ، والخطر محقق ، وقد علمت قریش بما كانت تفعل ، فأنى إليها نفر منهم بينهم أبو جهل بن هشام ، وسألوها في غلظة : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ فقالت : والله ما أدرى أين أبي ، وكانت صادقة في هذا القسم إذ كان هذا السؤال لها من المشركين بعد أن غادر الصحابان مكانهما في الغار ، وسارا متجهين إلى المدينة ، ويومئذ لطمها أبو جهل لكمة قاسية على خدها طار من شدتها قرطها .

فوجدتها، فصبرا يامعاشر المهاجرين والأنصار على الغصص ، وأقبلوا على الحرب قدما غير ناكسين ولا متشاكسين .

وقد أقدمها معاوية بعد أن ولي الخلافة ، وقال لها يعاتبها ويلومها : يا زرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه ، قالت له : أحسن الله بشارتك ! فملاك من بشر بخير وسرجليسه ! قال : أو يسرك ذلك ؟ قالت : نعم ، فضحك معاوية وقال : لوفاؤكم له بعد موته أعجب عندي من حبكم له في حياته !

وهكذا لم تنصل من حبها لعلی ونضالها عنه ، فدلّت على ما تتحلى به من الشجاعة والوفاء . ودخلت عكرشة بنت الأطرش على معاوية بعد أن تولى الخلافة — وكانت من ألد أعدائه يوم كان على حيا — فقالت له : السلام

عليك يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : الآن صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت نعم ، إذ لا على حي ! قال : ألسنت المتقلدة حائل السيف وأنت واقفة بين الصفين بصفين تحرضين المحاربين على ، والله لقد كدت يومئذ لتفلين أهل الشام لولا قدر الله ، فما الذى حملك على ذلك ؟ قالت يا أمير المؤمنين يقول الله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، وإن اللبيب إذا كره أمرا لا يحب إعادته ! قال : صدقت وسكت عنها .

وحضرت وقعة القادسية ، وأوصتهم من أول الليل قائلة لهم : « يا بني إنكم أسلتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، وقد تعلمون ما أعد الله من الثواب الجزيل للجهادين في حرب الكافرين ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، تظفروا بالمغنم والكرامة في دار المآب » .

فخرج بنوها قابلين لنصيحها فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً ، فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم في مستقر رحمته .

فأى طراز من الأمهات هذا الطراز ؟ وقد كان النساء في صدر الإسلام يعشن الحروب ، ويحضرن الغزوات مع الرجال ، وكان لهن أثر عظيم في إثارة الحماسة في النفوس وبعث المحاربين على الإقدام .

وقد احتفظ التاريخ بأخبار الكثيرات منهن : كالزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية التي كانت تركب الجمل الأحمر وتقف بين الصفين في موقعة صفين التي كانت بين علي بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وتقول في مناصرة أمير المؤمنين على :

أيها الناس : إن الحق كان يطلب ضالته

قالت : يا أمير المؤمنين أنت للناس سيد
ولأمورهم مقلد . والله سائلك عما افترض
عليك من حقنا . ولا تزال تقدم علينا من
ينهض بعزك ويبسط بسلطانك فيحصدنا
حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا
الحسياسة ويسألنا الجلييلة . هذا ابن أرطاة
قدم بلادى وقتل رجالي وأخذ مالى ، ولولا
الطاعة لسكان فينا عز ومنعة ، فإما لو عزلته
فشكرناك وإما لا فعرفناك . فقال معاوية :
أياي تهديدى بقومك ؟ والله لقد هممت أن
أردك إليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك .
فسكتت ثم قالت :

صلى الإله على روح تضمينه
قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حائف الحق لا يبغي به ثمنا
فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : على بن أبى طالب
رحمه الله . قال : ما أرى عليك منه أثرا .
قالت : بلى ، أتيت يومى فى رجل ولاء
صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث
والسمين . فوجدته قائما يصلى فانقتل عن
الصلاة ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟
فأخبرته خبر الرجل فسكى ثم رفع يديه إلى
السما فقال : اللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك

ووفدت سودة بنت عمار بن الأشتر
الهمدانية على معاوية بن أبى سفيان ،
فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه
سلبت ، فقال لها . كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟
قالت : بخير يا أمير المؤمنين . قال لها :
أنت القائلة لأخيک :

شمر كفعل أيبك يا بن عمار
يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه
واقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخوا النبي محمد
علم الهدى ومنازة الإيما
فقد الجيوش وسر أمام لوائه

قدما بأبيض صارم وسمان
قالت : يا أمير المؤمنين . مات الرأس ،
وبتر الذنب ، فدع عنك تذكرا ما قد نسى .
قال : هيئات ، ليس مثل مقام أخيك نسى .
قالت : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان
أخى خفى المقام ، ذليل المكان ، ولكن كان
كما قالت الخنساء :

وإن صخرًا اتسأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار
وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائى مما
استعفيت به . قال : قد فعلت فقولى حاجتك .

ولا ترك حقك ، ثم أخرج من جيبه قطعة
من جراب ، فكتب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . « قد جاءكم
بينه من ربكم ، فأوفوا السكيل والميزان ، (١)

« ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا
في الأرض مفسدين . بقية الله خير لكم إن كنتم
مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ ، (٢) إذا أتاك
كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من
يقبضه منك والسلام . فعزله يا أمير المؤمنين

ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام . فقال
معاوية : اكتبوا إليها بالإنصاف لها والعدل
عليها . فقالت : إلى خاصة أم لقوى عامة ؟
قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله
إذن الفحشاء واللؤم ؛ إن كان عدلا شاملا ،
ولم لا يسعني ما يسع قومي . قال هيهات ،

ناديت همدان والأبواب مغلقة
ومثل همدان سنى فتحة الباب
كالهندواني لم تقل مضاربه
وجه جميل وقلب غير وجاب
اكتبوا لها بحاجتها .

* * *

ألا إن هذه المرأة و مثاها لجديرات
بقول المتنبي :

ولو كان النساء كمثل هذى
لفضلت النساء على الرجال

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

[١] ٨٥ - الاعراف .

[٢] ٨٥ - ٨٦ هود

قال ابن الأعرابي :

قال معاوية بن أبي سفيان لصحار بن عياش العبدى : ما هذه البلاغة التى فيكم ؟ قال :
شئ تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا . فقال له رجل من عرض القوم : يا أمير
المؤمنين ، هؤلاء بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب فقال له صحار : أجل والله ، إنا نعلم
أن الريح لتلقحه ، وإن البرد ليعقده ، وإن القمر ليصبغه ، وإن الحر لينضجه ! .

فتح آية القرآن

خيانة العهود من خصال الكافرين للأستاذ محمد عبد اللطيف السبكي

(أ) «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين» . .
(ب) «وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر
أن الله يرى من المشركين ، ورسوله» .

وقد وصف الله - تعالى - نفسه بالوفاء بالعهد في تمدح واعتزاز «ومن أوفى بعهده من الله» ، ولا يضل في استيعاب ما ذكر القرآن ، أو السنة في شأن العهود ، والموفين بها ، والناقضين لها ، وما أعد من الجزاء لكل من الفريقين حسبما استوجب لنفسه ، وحسبما يقتضى عدل الله .

(٢) ونحن أمام آيات — في صدر الموضوع — تعتبر مطالعا رهيبا لسورة من سور القرآن . وقد بلغ مطالعها من الرهبة أن الله أنزلها دون افتتاحها بالبسملة كغيرها من السور ؛ لأن البسملة فيها وصف الله بالرحمة ، وذكر الرحمة يوحى بالتفاؤل ، والاطمئنان .

وهذه سورة نزلت في مقام الترهيب ، وإعلان التعهد من جانب الله ، وإظهار غضبه ومقته على المشركين ، الناقضين للعهد مع المسلمين ، فكان المناسب في سياقها أن

(١) التعااهد على السلام ، والمنافع ، وتوثيق الإخاء الإنسانى من أسباب الإصلاح للفرد ، وللجماعة .
ولذلك ينظر الإسلام إلى احترام العهد ، والوفاء به نظرتة إلى غاية من غاياته المرموقة ، وركن من أركان البناء الاجتماعى فى الأسرة ، وفى المحيط العام ، ضائق أو اتسع ؛ ولهذا أذن الله فى عقد المعاهدات الهادفة إلى الخير حتى مع المشركين .

ونادى القرآن كثيرا بالوفاء بالعهود ، وبالعقود — وهى جانب من العهود — وحذر من الغدر بها ، أو التحيف منها ، حتى اعتبر هذا التحيف خروجاً عن الإيمان فيما يقتضيه ، واعتبر عهد الأمان من مسلم تكافر لازماً لجميع المسلمين حتى يبلغ الكافر مأمنه ، أو ينتهى زمن عهده ومما قاله النبي فى ذلك «إن ديننا لا يصلح فيه الغدر» .

وجعل من أمارات النفاق فى المنافق «أنه إذا عاهد غدر» .

تقصيرهم وتخلفهم عن المسارعة ، ولكن الله عفا عنهم ، وقبل توبتهم ، وتعلبوا من هذا وتعلم غيرهم ألا يعودوا إلى مثل هذا التباطؤ كما هو ديدن غيرهم من المنافقين .

وهي السورة الفاضحة ، لكشفها عن محاولات المنافقين والكافرين ، ونقض العهد الذي كان مثار غضب الله ، وسخطه على الناقضين ، وهكذا من تسميات كثيرة ، ولكل منها مناسبة في سياق السورة .

٣- وفي السورة عجب ، وعبر ، وفيها بيان لجانب كبير من سياسة الإسلام والمسلمين مع سراهم في السلم وفي الحروب .

وموضوعها أن قريشاً كانت على عهد مع الرسول والمؤمنين منذ السنة السادسة للهجرة ، وهو عهد الحديبية على المسالمة وعدم تجاوز ما تعاهدوا عليه لعشر سنوات قابلة .

وما لبثت قريش أن غدرت بعهدا قبل تمام الستين ، إذ ناصرت حلفاءها من بني بكر على خزاعة حلفاء الرسول ، وكان العهد يمنع من مناصرة حليف على حليف ، ومع أن عهد الحديبية كان رحماً بالكفار ، وملاًماً لرغباتهم ، ومثيراً لاعتراض عمر وغيره على سماحة العهد ، وهوادة الرسول في قبول ما رغب الكفار من بنوده ، ومع امتداد الأمان فيه إلى زمن غير قصير ، فقد تعجلت قريش بغدرها ، وسعت إلى شؤمها

تبدأ بالبراءة من أولئك ، ومن عهدهم . وأن تكون بهذه البراءة من جانب الله ورسوله صادعة لأسماعهم ، ومثيرة لخوفهم ، أو على الأقل من عجة لأمنهم ، ومبددة لاطمئنانهم وكان من أثر هذا التفريع المقصود أن الصحابة تأسروا بالقرآن ، فلم يقرءوا البسملة فيها مع جواز ذلك تبركاً بالتسمية ، كما نقل الألوסי الاتفاق على جواز التسمية عند كل قراءة ، ولو كانت من أواسط الآيات ، كما تكون في أوائل السور .

ونظراً لما اشتملت عليه سورة براءة هذه من فنون القول ؛ سميت عند الصحابة بكثير من الأسماء المناسبة لموضوعاتها .

فهي براءة ، كما بدئت به من نبد عهد المشركين ، وتحقيرهم بإهدار دمائهم ، وأموالهم ، بعد أن كانوا آمنين في ظلال عهد وثيق أذن الله فيه لرسوله وللمؤمنين واحترموه ، ونقضه غيرهم .

وهي سورة التوبة ؛ لأن الله أشاد فيها بتوبته على المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع الرسول في غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، ثم اضطرب الكثير منهم لهول الموقف ، ولما تخوفوه على الرسول وعلى أنفسهم ، حتى غمهم الله بفضله ، وأبدلهم من عسرهم يسراً ، كما تاب الله على الثلاثة المسلمين الذين تريثوا في الخروج مع الرسول حتى فاتتهم فرصة الجهاد الآن ، فندموا على

بنفسها ، وكانت كالحقائب التي تنقض غزلها بيدها من بعد نسجه ، وإحكامه في قوة .
مع أن الرسول لم يكن متساحاً في عهده عن ذلة وهوان ، ولا من خوف مما يكون ، ولا لآي مخذور يخطر بالبال كما خشى عمر ومن معه أن يدور شيء من ذلك بخلد الكفار . وإنما هي مسألة يحنح إليها الرسول ، وهوادة في السياسة يأخذ بها الإسلام أهله حين لا يوجد ما يمنع من الهوادة ، وهو جنوح إلى الاستقرار ، والتماس للهداية من أقرب طرقها ، دون مشاقة ، أو نفور من التفاهم ، أو هو من مظاهر الحكمة التي تعتبر أجدى وسيلة في الدعوة .
لهذه الاعتبارات كان العهد سيمحاً ، وكانت حكمة الله التي يطمئن إليها رسوله قاضية بذلك حتى لم يكف عمر عن امتناعه إلا بتوجيه النبي له إلى أن هذا شأن من شؤون الرسالة .
وحينئذ يهدأ عمر ومن كانوا على رأيه . بل يعود عمر على نفسه باللائمة ؛ لأنه ناقش الرسول ، واضطره أن يحتج لسياسته بأنه رسول يبلغ ، وينفذ ما يوحي إليه من ربه . وعندما يكون اللين والمرونة وسيلة غير مجدية مع الجاحدين لم تبق إلا الشدة علاجاً ، ولم يعد من الحزم أن يوضع الحلم موضع السيف مع من لا يقدر على الحلم ، وهنا نزلت الآيات بما فيها من قوارع للسمع .

٥ - ونزلت الآيات كذلك بأن تعلن هذه البراءة يوم الحج الأكبر في مكة ، وهذا مقام انبثقت فيه الدعوة الإسلامية ، والحجيج هناك من كل فج ، فلتسكن البراءة علانية كما هو شأن الإسلام في صراحته وعلانيته ..

٤ - نزلت بالبراءة من العهد ونزلت

ولا يتجاوز الرفق إلا عندما يأبى الإنسان أن يترفق بنفسه . .

وأنت ترى من مظاهر ذلك قوله تعالى في سياق هذا القصص المرعب لأولئك الناكثين . « فإن تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله . »

وترى القرآن يستثنى من هذا الوعيد كله أولئك الكفار الذين لم ينقضوا عهدهم مع المسلمين ، فيأمر الله رسوله وأُمَّته أن تحفظ عهدهم إلى نهاية زمنه .

« إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً ، فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين . »
ومن ملاح الآيات وأسلوبها يتبين أن العداء القائم في هذه القصة ليس عداء قائماً بمجرد بقائهم على الكفر وعقيدة الشرك ؛ فإن الكفر عائق بالناقضين ، وغير الناقضين من هذا الفريق . وإِنما هو عداء في شأن ينشده الإسلام في أهله ، وغير أهله ، هو خلق الوفاء بالعهد ، فقد التزمه قوم يدينون به ، ويقتضيه إسلامهم وأهدره قومه بسبب حقدهم ، وضلالهم .

ولو التزموه لكان كفرهم مسكوتاً عنه إلى نهاية العهد ، وإلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً ، كما سكت عن غير الناقضين .

ولكن القوم نكشوا ، فدارت عليهم دائرة بغيهم بالخسران ، وفاتهم أضعاف ما كانوا يتعجلونه من آمال ، وصاروا حديثاً

وفي هذا المسلك شموح لروس المسلمين ، وتصاعد لراية الإسلام ، بعد الذي سلف من غلبة المشركين عليهم ، وطردهم للرسول وأصحابه من هذا البلد الأمين ، فليشهد البلد الأمين مذلة كبرائه اليوم .

وماذا سيكون الشأن في قوم يركبون رءوسهم ، ويهملون عقولهم ، والحق بين واضح أمامهم ، ولكن الباطل محبب إليهم ؟ ؟
إن الأمر أمر بناء للجمع الإسلامي على أنقاض الباطل ، وغرس لشجرة الهدى في أرض الضلال .

وأمر انتصار لدين الله على مغالبيه الذين يريدون أن يطفئوا نوره ، والله يريد أن يتم هذا النور على أوسع مدى ، وأرحب أفق !!
هم أن يعجزوا الله ، وهم الذين يهزأ الله بهم ، ويشهرهم بعذابه الأليم ، وكذا الأمر أمر مقاصة ؛ وجزاء سيئة بسيئة ، والشر بالشر والبادي أظلم لنفسه

على أن المعاملة بالمثل - وهى سنة فطرية - لا تجعل الجزاء سوءاً ، كما كان البدء سوءاً فإن العدوان شيء ، والقصاص شيء يضاهيه ، ولكن وضع القصاص معتبر عقلاً في موازين العدالة ، بعد أن كان العدوان في كفة الشيطان ولن يستوى في العقل هذا بذاك !!

فإذا ثبت الجرم فقد حل الجزاء .
٦ - ولكن الإسلام لا يتهاфт على الشدة

من الهجرة تتعلق بالعهد وقضه ،
وبقية آثاره .

وفي هذه السنة اختار النبي أبا بكر أميرا على
الحج، ولم يخرج هو صلى الله عليه وسلم حتى تنفذ
تلك الأحكام الجديدة التي نزلت بها الآيات..
ثم بعث علياً بعد قيام الصديق ليعلن هناك
في الناس آيات الله وأحكامه « براءة من الله
ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين »...
(الناقضين) .. « وآذان من الله ورسوله إلى
الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من
المشركين ، ورسوله ... إلا الذين عاهدتم
من المشركين ، ثم لم ينقصكم شيئا ، ولم
يظاهروا عليكم أحدا ، فأتتموا إليهم عهدهم
إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين » إلخ .

قام على رضى الله عنه برسائله ، وأعلن
في الناس أمورا أربعة - براءة الله ورسوله
من عهد الناقضين للعهد - لا يحجن بعد هذا
العام مشرك - لا يطوفن بالبيت عريان -
لا يدخل الجنة إلا من كان مؤمنا - وفي السنة
العاشرة كانت حجة النبي صلى الله عليه وسلم
وهي حجة الوداع ، بعد أن تركزت راية
الإسلام في مكة ، وصار المشركون مطرودين
عنها ، وأفلت نجومهم ، حتى انقضوا ،
والشر بالشر والبادى أظلم لنفسه ؟

عبد اللطيف السبكي

تتندر به الدنيا ، ويرويه التاريخ إلى نهاية
التاريخ .

٧ - وانظر إلى دورة الأحداث بهم
في فترة متلاحقة طوأم الزمن في أعقابها ،
وصدق فيهم وعيد الله :

١ - عقدوا عهدهم مع الرسول وصحبه
عند الحديبية - قريبا من مكة - سنة ست من
الهجرة ، ثم تحلل الرسول ومن معه من
عمرتهم ، وعادوا فقضوها سنة سبع ، والعهد
قائم لم ينقض .

٢ - نقضت قريش عهدها سنة ثمان ،
نفرج إليهم النبي على جيشه في رمضان ،
وقتح مكة ، وطهرها من الأصنام ، وأعاد
إليها حرمتها التي كانت لها قبل أن يطغى
عليها طغيان الوثنية ، وعادوا إلى المدينة .
وهذا الحادث الذي سلب المشركين بأسهم ،
ودحرهم في مذلتهم هو أول نتيجة مباشرة
لنقض العهد .

وهو الحادث الذي بشر الله به رسوله
عقب توثيق عهد الحديبية ، وقبل حصول
الفتح « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » إلخ الآيات
من سورة الفتح ، وقد حققها الله تعالى ..
وبقي الحج سنة ثمان على ما كان معهودا ،
في عهدة قريش ، ولكنه بقاء موقوف
وإلى أيام .

٣ - بعد ذلك نزلت آيات في سنة تسع

مسالك الإسلام إلى القارة الإفريقية

للأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن

أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة الزنات

وأبا الحسن الجزنائي في كتابه زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، وابن أبي زرع في كتابه الأنيس المطرب في أخبار ملوك المغرب ، وتاريخ مدينة فاس ، وعرب فقيه في كتابه فتوح الحبشة ، والشريف الإدريس في كتابه نزهة المشتاق ، وابن بطوطة في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة ، وابن خلدون في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر ، وابن زيدان في كتابه إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ، وابن عذارى في كتابه البيان المغرب في أخبار المغرب ، وأبا الحسن الوزان (ليو الإفريقي) في كتابه وصف إفريقيا Description de l'Afrique والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، وتقي الدين المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف باسم الخطط . ونعيم شقيري في كتابه تاريخ الإسلام القديم والحديث .

ومن أهم المصادر الإفريقية جميعاً كتاب الدعوة إلى الإسلام ، تأليف سير توماس

أخذت شعوب القارة الإفريقية تفيق من سباتها وتعمل على نيل استقلالها ، الأمر الذي عده السياسيون أعظم أحداث القرن العشرين ، بل لقد عده بعضهم أعظم أحداثه على الإطلاق وذلك نتيجة حتمية للوعي القومي الذي انبعث بين شعوب آسيا وإفريقية في الشرق الأوسط في القرن التاسع عشر ، وكان من أثر انبثاق هذا الوعي أن نال كثير من الدول الإفريقية استقلالها ، وفي ١٩ مارس الماضي أبرم اتفاق وقف إطلاق النار بين الجزائر وفرنسا ، الأمر الذي يعد بحق من أعظم أحداث هذا العام ، كما عملت الدول الإفريقية على إنشاء اتحاد إفريقي يقوم على دعم العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها وتأسيس اتحاد يضم الشعوب الحرة في هذه القارة .

مؤرخو إفريقيا :

وقد تناول كثير من المؤرخين والكتاب تاريخ القارة الإفريقية ، نخص بالذكر منهم على سبيل المثال : عبد الرحمن السعدي التزكيني في كتابه تاريخ السودان ،

الإسلام باعتباره ديناً وحضارة ، وتبحث التراث الثقافي وحالة البلاد الإسلامية ، وعلاقة العرب بالحضارة الإسلامية . ويتضمن هذا الكتاب فصلين كتبنا عن شمالي إفريقيا ، وعن إفريقيا الاستوائية ، وعن تأثير الشريعة الإسلامية ، وكيف تطبق في إفريقيا ، كما تضمن فصلاً آخر عن المؤثرات الإسلامية في شرق إفريقيا وغربها .

وهناك كثير من المصادر التي كتبت عن أجزاء معينة من القارة الإفريقية ، نخص بالذكر منها كتاب تاريخ نيجيريا (History of Nigeria) تأليف سير آلان بيرنز (Sir Alan Burns) الذي شغل منصب الحاكم العام لهذه البلاد سنين عديدة ، وكتاب الإسلام في السودان .

(Islam in the Sudan) وكتاب الإسلام في أثيوبيا (Islam in Ethiopia) تأليف سبنسر ترمينجهام (Spencer trimingham) وكتاب المهديّة (The Mahdiya) تأليف ثيوبولد (Theobald) وكتاب الإسلام والمسيحية في الحبشة (Islam and Christianity in Abyssinia) تأليف سيدر كويست (Cederquist)

ومن هذه المصادر الهامة كتاب وصف بلاد المغرب (Description du Maghreb) تأليف جوينبول ودي غويه (Juynboll et De Goeje) وكتاب البربر : دراسة عن

أرنولد (Sir Thomas Arnold) الذي تلبذت له بجامعة لندن . وقد ترجم إلى كثير من اللغات الحية ، ووصفه الأستاذ رينولد نيكلسون (Reynold Nicholson) المعروف بقوله : إنه يفوق حد الوصف من كل ناحية وقد خصص سير توماس أرنولد للقارة الإفريقية بايين متمعين : فتكلم في الباب الرابع عن انتشار الإسلام بين مسيحي إفريقيا ، ولا سيما مصر والمغرب والحبشة ، وبحث في الباب الحادي عشر تحول البربر إلى الإسلام ودخول هذا الدين إلى المغرب ، وقيام الممالك الإسلامية في القارة الإفريقية ، كما تناول في هذا الباب الكلام على الطرق الصوفية وانتشار الإسلام في إفريقيا الغربية والشرقية . وقد اهتم الأوروبيون والأمريكيون في العصر الحديث ببحث القارة الإفريقية من جميع نواحيها نخص بالذكر من بين هذه البحوث كتاب (إفريقية اليوم) Africa To-Day الذي قام على نشره جروف هينز (Grovo Heinz) ويشتمل على ستة أبواب أو مقالات دونها طائفة من الكتاب المحدثين . ومن المراجع الهامة كتاب الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (Unity and Variety in Islamic civiliation) وقد نشره الأستاذ جرونيباوم (Grunebourn) وطبع بمطبعة جامعة شيكاغو . ويشتمل هذا الكتاب على مقالات تعالج

وسأحاول في هذا المقال أن أبين في شيء من الإيجاز أهمية القارة الإفريقية لنشر الإسلام والطرق التي سلكها هذا الدين الحنيف إلى إفريقيا ، وأرجو أن أتناول في مقال آخر الكلام على أثر انتشار الإسلام عن طريق الفتح وعن طريق الفرق الصوفية ، ثم على أيدي الدعاة والعلماء والتجارة والرحالة ، ثم على العنصرية ومبدأ المساواة وأثر ذلك في نشر الإسلام بين سكان أواسط هذه القارة . كما أرجو أن أتكلم في مقال آخر على الممالك الإسلامية التي قامت في غربي وأواسط وشرقي إفريقيا .

إفريقيا ممة أغنى القارات :

يقتظم الإسلام أكثر من ثلث القارة الإفريقية التي تبلغ مساحتها ١١٢٦٢٠٠٠ من الأميال المربعة ، أي خمس مساحة الكرة الأرضية ، ويبلغ عدد سكانها أكثر من مائتي مليون نسمة ، وهم يكونون ٨ ٪ من سكان الكرة الأرضية . وبين هؤلاء السكان خمسة ملايين من البيض .

وموارد هذه القارة الاقتصادية بالغة الأهمية لتتنوع هذه الموارد بتنوع البيئات واختلاف الموقع والمناخ . وهي تنتج نحو ٩٨ ٪ من ماس العالم ، ٥٥ ٪ من ذهبه ، ٢٢ ٪ من نحاسه ، كما تنتج نحو ثلثي محصول السكاكو العالمي ، وثلاثة أخماس إنتاج زيت

فتح العرب لإفريقية (les Berberes, Etude Sur a conquête de l'Afrique par les Arabes)

وكتاب الجمعيات الإسلامية والحركة المرابطية الدينية في بلاد السنغال والنيجير .

Les confréries musulmanes et le maraboutisme dans les pays du Sénégal et le Niger.

وكتاب الإسلام والمسيحية في إفريقيا تأليف فورجييه (Forget) .

ومن المصادر الهامة كتاب الحركات الاستقلالية في المغرب العربي الأستاذ الرئيس علال الفاسي . وقد ترجم إلى اللغة الانجليزية بعنوان :

The independence Movements in Arab North Africa.

ومن هذه المصادر الحديثة كتابا : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى جنوبا وفي شرقي القارة الإفريقية وغربها ، ويتضمن المحاضرات التي ألقيتها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية الملتحق بجامعة الدول العربية . هذا بالإضافة إلى المادة التاريخية المتواضعة التي تناولت بعض أطراف هذا الموضوع في كتابي تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي بأجزاء الثلاثه ، ولا سيما ما يتعلق منها ببلاد المغرب والنوبة والسودان .

- النخيل . هذا عدا معادنها الأخرى كالمجنيز والسكر ، واليورانيوم ، بالإضافة إلى إمكانياتها العظيمة في القوى المائية . وبالقارة الإفريقية أكثر من ستين مليوناً من المسلمين وفق الإحصائيات التي أوردتها الأستاذ ماسينيون في كتابه التقييم السنوي ^(١) .
- وهذه القارة مورد اقتصادي عظيم في المعادن والزراعة والمواد الخام ، وقد أدركت الدول الغربية هذه الحقائق ، فسابقت إلى استعمارها للارتفاع بثرواتها الطبيعية ، وأدركت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الحقائق في السنين الأخيرة فاهتمت باقتصاديات إفريقية اهتماماً بالغاً ، وعملت على الاحتفاظ بأسواقها ، وضاعفت رؤوس أموالها المستغلة فيها . أضف إلى ذلك أهمية موقع هذه القارة الاستراتيجي ، كما قرر ذلك الأميرال ريتشارد كونولي في الفصل الذي عقده لبيان أهمية إفريقية من الوجهة الاستراتيجية . فقد ذكر الأهمية الكبرى للأماكن الآتية ^(٢) :
- ١ — طنجة .
 - ٢ — قاعدة مراکش الجوية وتاعدة الدار البيضاء البحرية .

- ٣ — شمال غربي إفريقيا .
- ٤ — ليبيا .
- ٥ — أرتيريا - الحبشة - الصومال - مراني مصوع وجيبوتي ومقدشيو .
- ٦ — جزيرة مدغشقر وأهميتها في حماية مسالك المحيط الهندي .
- ٧ — رأس الرجاء الصالح ولاسيما قاعدة سيمونز تاون البحرية .
- ٨ — قاعدة دكار التي تحرس طرق المواصلات في غربي إفريقيا .

كيف انتشر الإسلام في إفريقيا :

ويرجع انتشار الإسلام في القارة الإفريقية إلى عاملين أساسيين :

الأول : طبيعة الشعوب التي قامت بنشر الإسلام ، وكانت في الغالب شعوباً بدوية رعوية أو شبه رعوية . ولم تكن لها خبرة بركوب البحر أول الأمر ، بل كانت تمتطي ظهور الإبل والحمل ، ولا يستطيع أهلها التقدم إلا في السهول المكشوفة .

الثاني : طبيعة الأرض التي انتشر فيها الإسلام وتسربت إليها جموع البدو . وكانت هذه البلاد الإسلامية تحيط بالصحراء الكبرى شمالاً في المنطقة الممتدة من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي ، وجنوباً عبر وادي النيل حتى حدود النوبة . وفي

(1) (Annuaire musulmane, pp. 228 395)

(2) Richard Conolly, Africa To-Day, Africa's Strategic Significance, p. 55.

٢ — الطريق من تونس إلى المنطقة الواقعة بين نهر النيجر وبحيرة شاد .

٣ — الطريق من طرابلس إلى المنطقة المحيطة ببخيرة شاد كذلك .

وقد انتشر الإسلام في ربوع القارة الإفريقية فيما بعد فاخترق نطاق الغابات في غربى هذه القارة ، وانتشر على طول الساحل الشرقى ، ودخل مع بعض المهاجرين إلى الكونغو . ومن الشرق نفذ إلى جنوبى السودان وهضبة البحيرات ، وقلب الهضبة الحبشية ، وتخطى الساحل الشرقى فى المناطق الداخلية إلى كينيا وتنجانيقا . كما نفذ إلى جنوبى إفريقيا مع المهاجرين من سكان شبه القارة الهندية ، وما زال ينتشر إلى اليوم .

وهناك نهضة مباركة فى نشر الدين الحنيف انبثت بين مسلمى القارة الإفريقية فى جميع النواحي . فقد نفصوا عن أنفسهم تراب الماضى وشاركوا فى الحركات التحررية ، وتسمنوا أعلى المناصب ، وقاموا بدور ملحوظ فى النشاط الاقتصادى والاجتماعى والثقافى . ولم ينسوا تقاليدهم الإسلامية ، وحرصوا عليها جـد الحرس وتجاوبوا مع إخوانهم فى الدين فى كافة أرجاء العالم الإسلامى ، ولناخذ فى الكلام عن تلك المسالك الهامة فى شىء من التفصيل فنقول : إن الإسلام قد نفذ إلى القارة الإفريقية عن ثلاث طرق رئيسية هى :

النطاق الرعوى الذى يحيط بهذه الصحراء من الجنوب من مصب نهر السنغال حتى السودان .

على أن الإسلام لم يستطع أن يتخطى الحواجز الطبيعية الكبرى ، وهى شلالات النيل ، وهضبة الحبشة ، ومنطقة البحيرات الكبرى وما يكتنفها من أدغال وغابات .

الطرق التى سلكها الإسلام :

ويلاحظ أن الإسلام قد نفذ إلى غربى القارة الإفريقية عن طريقين هما :

الأول : الطريق الساحلى عبر حوض السنغال ، وهو الطريق الذى سلكه المرابطون .

الثانى : طريق التجارة الذى يبدأ من مدن إفريقية الشمالية متجها صوب الجنوب عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى فى السودان .

وأهم المراكز التجارية فى غربى إفريقيا بلاد غانة ، ومالى ، وجنى ، وتمبكتو (أو تمبكت) ، وكانو ، ومن أهم مراكز التجارة فى شمالى إفريقيا فى العصور الوسطى : القيروان ، وتونس وطرابلس .

وكانت هذه التجارة تسلك ثلاثة طرق رئيسية هى :

١ — الطريق من مراكش إلى منحنى نهر النيجر والمناطق الواقعة جنوبا .

إلى داخل القارة الإفريقية ، حيث شق الإسلام طريقه إلى بلاد الحبشة والصومال على أيدي الدعاة والتجار كما نفذ الإسلام إلى أوغندة في القرن التاسع عشر، وإلى نياسلاند في القرن العشرين .

والطريق الثاني الذي سلكه الإسلام إلى القارة الإفريقية هو طريق النوبة ودنقلة ، وذلك بعد الفتح الإسلامي لمصر ، ولم تكن السودان بلاداً مجهولة للعرب ، فقد كان نهر النيل الطريق التجاري لهم ، على الرغم من وقوف مملكة النوبة المسيحية حائلاً دون هؤلاء الفاتحين والمهاجرين ، ولم يكن كل العرب المهاجرين تجاراً ، بل كان فيهم الممتثل سعيًا وراء المراعى الخصبة والماء والكلاء ، فوجدوا في فجاج السودان المتزامية ما يثشدونه ، وتخلصوا من دفع الخراج ، كما وجدوا في تجارة الرقيق والذهب والجواهر ضائتهم المنشودة وساعدهم على ذلك أن طبيعة السودان تشابه طبيعة بلادهم .

العرب ونشر الإسلام في إفريقيا :

ولما ظهر الإسلام وامتدت فتوحه إلى فارس والشام وفتح العرب مصر في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، انتشر الإسلام في القارة الإفريقية حتى بلغ مدينة أسوان جنوباً .

ويرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة المسلمين إلى مالاقوه من ترحيب المسيحيين وعلى الأخص من القبط ، وهم

الطريق الأول : طريق بلاد اليمن وحضرموت والبحرين والأحساء إلى الساحل الإفريقي الشرقي ومصوع وبربرة ، حيث أخذت هجرات المسلمين تتدفق على طول هذا الساحل الشرقي من خليج عدن حتى مدار الجدى على حافة المنطقة التي كان جغرافيو العرب يطلقون عليها اسم بر الزنج . على أن أول هجرة للعرب ترجع إلى زمن أبعد من هذا ، إذ يرجح بعض الباحثين أن استيطان العرب لإفريقية الشرقية امتد في العصور القديمة حتى سوافالا جنوبى نهر زمبىزي . وقد بنى المسلمون مدينة مقدشيو على ساحل المحيط الهندي ببلاد الصومال ، وذهب جماعة منهم إلى زنبار ، حيث نشروا الإسلام بين أهلها الذين يطلق عليهم اسم «السواحلية» ، كما أسسوا مدينة كلوا ببلاد تنجانيقا الآن ، وفى الساحل الشرقي من مدينة مدغشقر ، بل لقد نفذوا إلى كينيا فأوغندة وإلى أقصى جنوبى القارة الإفريقية ، أى إلى مستعمرة الرأس ، حيث نجد مسلمي هذه البلاد من سلالة أهل الملايو الذين جاء بهم الهولنديون في القرن السابع عشر أو الثامن عشر ، كما يذكر سير توماس أرنولد (١) .

ولم تكن جهود العرب مقصورة على الساحل الشرقي أول الأمر ، بل لقد نفذوا

وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي كان قد تسرب إلى أهالي مدن النوبة السفلى . وكان لزواج العرب بالنوبيات أثر كبير في إسلام النوبيين .

دور المغرب في نشر الإسلام بأفريقيا

والطريق الثالث الذي سلكه الإسلام إلى القارة الإفريقية هو إفريقية الشمالية والغربية . ذلك أن العرب بعد أن تم لهم فتح مصر ، مدوا فتوحهم إلى بلاد المغرب . وقد هيا تأسيس مدينة القيروان في إفريقية (وهي القطر التونسي الآن) على يد عقبة ابن نافع سنة ٥٥ هـ للعرب مركزاً حصيناً اتخذوه قاعدة لنشر الإسلام في شمالي القارة الإفريقية وغربها .

ومن أهم طبقات المجتمع الإسلامي في شمالي إفريقية شعوب البربر ، وهم أهل البلاد الأصليون . وكان وقوع المغرب على ساحل البحر الأبيض المتوسط تجاه أوروبا سبباً في تبادل سكانه حضارة الأمم الجارة إلى جانب حضارتهم وتقاليدهم العريقة التي يرجع تاريخها إلى أيام الفينيقيين الذين عرفوا المغرب قبل ميلاد المسيح بنحو ألف سنة . وكان نجاح عقبة بن نافع في نشر الإسلام بين البربر بطيئاً ، لانشغاله بحروب الروم الذين أنزل بهم الهزائم المتتالية وكان ذلك سبباً أصيلاً في أن دبروا له مكيدة مقلته في موقعة تهودا التي لعب فيها كسيلة دوراً قتل

أهل مصر الأصليون الذين كرهوا الحكم البيزنطي بسبب فداحة الضرائب واستبداد الكنيسة البيزنطية بهم .

وفي عهد عمر بن الخطاب حاول العرب فتح بلاد النوبة ، فقد حاول عقبة بن نافع فتحها على غير جدوى ، فهاذن أهلها وعقد معهم صلحاً أشبه بمعاهدة اقتصادية ، على أن تمدهم مصر بالحبوب والعدس ، وتمتد النوبة مصر لقاء هذا بالزيتون والأرض . ثم حاول المسلمون فتح بلاد السودان ونشر الإسلام فيه ، وإن كان هذا قد كفهم ثمناً غالياً ، ومع ذلك فقد عرف المسلمون أرض النوبة واختلّفوا إليها لأغراض تجارية خاصة . كما عرفوا أرض البجة (أو البجاة) الذين كانوا يقيمون على مقربة من عيسذاب على البحر وينتشرون بين النيل النوبي والبحر الأحمر في الأراضي الممتدة بين أسوان ودقنة تقريباً .

وقد اتصل العرب بالبجة في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) بطريق البحر الأحمر وبطريق وادي النيل ، وخاصة من إقليم أسوان ، فرحلوا إليهم تجاراً واجتازوا مصر إلى بلادهم حاجين ، وهاجروا إلى مفاوز الذهب والزمرد منقبين ومستخرجين . كما استقرت جماعة منهم هنالك ، وبنوا المساجد والدور . وكان ذلك من العوامل التي ساعدت على دخول هؤلاء البجة في الإسلام وتعريبهم

وكادت تفتح على يده صفحة جديدة في تاريخ المغرب الإسلامي . ولكن القدر عانده ، فخلع من منصبه وخلفه موسى بن نصير الذي أتم فتح الأندلس سنة ٩٢ هـ مساهما في ذلك مع مولاه طارق بن زياد الذي كان ينوب عنه في ولاية المغرب الأقصى ، متخذاً طنجة حاضرة لولايته .

وكان فتح بلاد الأندلس فتحاً للإسلام في المغرب والأندلس معا ، ذلك أن معظم الجيش الذي فتح هذه البلاد كان من البربر بقيادة طارق بن زياد ، وقد شعر المغاربة لأول مرة بمساواتهم بالعرب ، وبدأت شخصية المغرب الإسلامية تدخل في دورها الفعال ، إذ شعر البربر بعد فتحهم الأندلس ، أنهم أضخوا حماة الإسلام في هذه البلاد ، وأن عليهم مهمة نشر هذا الدين ومناهضة المسيحيين .

وقد حرص الخلفاء على اختيار طائفة من الفقهاء ليعلموا البربر فرائض الإسلام ويفسروا لهم آيات القرآن الكريم ، وأظهر بعض ولاية المسلمين ، ولا سيما الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، حماسة في إعلاء شأن الإسلام ، فقد أرسل مع واليه على شمال إفريقيا عشرة من الفقهاء ليفقهوا مسلمي المغرب . على أن ثقة البربر بالدولة الأموية بالمشرق قد تزعزعت ، بسبب تسرب بعض فرق الخوارج ، كالأباضية والصفارية بينهم ، رقيامهم بنشر الدعاية ضد الحكم الأموي ،

بسبب استيائه لمعاملة عقبة بن نافع السيئة له ولصديقه ابن أبي المهاجر . وقيل - وهو الأرجح - إن الروم قد دفعوه إلى الإيقاع بالقائد العربي . ودليل ذلك أن تهودا كان يجانبها حصن رومي كبير .

ثم خلف عقبة زهير بن قيس البلوي الذي استطاع أن يقتصر لمقتل سلفه فقتل كسيالة وحطم مقاومة الروم ، ولكن الروم دبوا له مكيدة شديدة بتلك التي دبوها لعقبة حيث اشتبك مع الأسطول الرومي على ساحل طرابلس وكانت نهايته أن استشهد في تلك المعركة . وكذلك لم يتمكن زهير بدوره من نشر الإسلام ، ثم خلف زهيراً حسان بن النعمان ، وكان حريصاً على نشر الدين ، فكسر شوكة الروم الذين قويت عزيمتهم وانبعث فيهم الأمل في استرداد بلاد المغرب من أيدي المسلمين ، فقاتلهم حسان قتالاً مريراً وأنزل بهم الهزيمة ، ثم اتجه لمحاربة الكاهنة داهيا وقومها جراوة^(١) . ولكن الكاهنة هزمت حسانا الذي أنهكت جنده الحروب مع الروم ، فانسحب إلى طرابلس وظل بها خمس سنوات ، عاد بعدها إلى المغرب وهزم الكاهنة ، وبدأت مواهبه تظهر في نشر الإسلام وفي تدوين الدواوين باللغة العربية . وقد ساوى بين العرب والبربر ،

(١) السلاوي ، الاستقصاء ، الدار البيضاء ١٩٥٤ ج - ١ - ص ٩٢ .

دعوته . واتي المولى إدريس من هذه القبيلة المغربية كل العون والتأييد في تأسيس دولة الأدارسة التي كانت أول دولة مستقلة عملت جهدها على نشر الإسلام في ربوع هذه البلاد.

المرابطون ونشر الإسلام :

ومما هو جدير بالملاحظة أن الدولة المرابطية تعتبر أول دولة وحدت المغرب الأقصى والأوسط وقامت بدور خطير في نشر الإسلام على الساحل الإفريقي الغربي وبلاد السودان ، ويجمع المرابطون في المغرب بين الجهاد والثقافة الدينية معا ، كما يتجلى ما فطروا عليه من نزعة دينية خالصة وحب للجهاد فيما ذكره عبد الواحد المراكشي (١) عن حضور المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية إلى أمير المسامين يوسف ابن تاشفين مستغيثا به في حربه مع الفونس السادس ملك قشتالة ، فأجاب ابن تاشفين المعتمد إلى ما دعاه إليه قائلا : « أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ولا يتولى هذا الأمر أحد إلا أنا بنفسى » ، وعبر ابن تاشفين البحر من سبتة في أسطول مغربي يتألف من مائة سفينة ميمما شطر الجزيرة الخضراء ، وأوقعت جيوش ابن تاشفين بجيوش الفونس في موقعة الزلاقة المشهورة ، التي تعد بحق من المواقع الحاسمة في التاريخ

وفي العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) غدا شمالي إفريقية مسرحا للفتن والقتال ، ويعزى خروج البربر على ولايتهم من العرب إلى بعد هذه البلاد وفرضهم ضرائب ظن البربر أن الدين لم ينصعها ، يضاف إلى ذلك استفحال حركات الخوارج والشيعة ، حتى عمل بعض زعمائهم على الاستقلال عن الدولة العباسية وانضم بعض زعماء من العرب النازين في هذه البلاد إلى البربر ، وخلعوا طاعة العباسيين ، وتأسست في المغرب ولايات مغربية مستقلة ، منها ولاية تاهرت التي أسسها عبد الرحمن بن رستم من الخوارج الأباضية ، وولاية بجلماسة (تافيلالت الحالية) التي أسسها بنو مدرار بمساعدة الصفورية الزناتيين ، وولاية تلمسان التي أسسها بنو قرة الصنهاجيون ، ودولة برغواطة في تامسنا (الشاوية الحالية) على ساحل المحيط الأطلسي . من ذلك نرى أن أهل الشمال الإفريقي قد قاموا بدور ملحوظ في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية.

وفي سنة ١٧٢ هـ قامت دولة الأدارسة على يد المولى إدريس بن عبد الله العلوي الذي سار إلى بلاد المغرب الأقصى مع مولاه راشد بعد أن بطش العباسيون بأهل البيت العلوي في موقعة فخ المشهورة سنة ١٦٩ هـ . وقد استقبلته قبيلة أوربة البرنسية ونشرت

(١) المعجب في التخييم أخبار المغرب ص ١٣٠ - ١٣٣ .

المخلصين إلى جزيرة بنهر السنغال^(١) بنوا بها
رباطا اتخذوه مركزا لعبادتهم ، وأخذوا
يعلمون الناس التفقه في دينهم والمحافظة على
شعارهم والإقلاع عن عاداتهم المخالفة للدين .
وسرعان ما تجمعت حول عبد الله بن ياسين
طائفة من تلاميذه ، وخاصة من جدالة
ومسوقة ولمتونة أخذت في الزيادة حتى بلغت
نحو ألف شخص قاموا على نشر مبادئ
الإسلام . وقد ذكر ابن أبي زرع^(٢) أن
عبد الله بن ياسين قال لتلاميذه :

« اخرجوا على بركة الله ، وأندروا قومكم
وخوفوهم عقاب الله ، وأبلغوهم حجته . فإن
تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه
نخلوا سيبلهم ، وإلا أبوا ذلك وتمادوا
في غيهم ولجوا في طغيانهم . استعنا بالله تعالى
عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا » .

وأخيراً قاد عبد الله بن ياسين أتباعه
وسماهم المرابطين .

وهذا الاسم مأخوذ من الرباط ، أى الخلوة

فقد طال حكم المسلمين للأندلس أربعة قرون
أخرى بفضل انتصار يوسف بن تاشفين
في هذه الموقعة ،

ويرجع انتشار الإسلام في الصحراء وفي
حوض السنغال إلى عبد الله بن ياسين ، فقد
ذكر ابن أبي زرع^(١) أن يحيى بن إبراهيم
شيخ قبيلة جدالة إحدى بطون صنهاجة
استعان بعبد الله بن ياسين الذى عرف
بالتقوى والتفقه في الدين^(٢) ولما مات يحيى
ابن إبراهيم ، خلفه في زعامة صنهاجة يحيى بن
عمر اللتوني . وقد ذكر ابن خلدون أن جدالة
ولمتونة تنحدران من قبيلة صنهاجة الكبرى^(٣)
وقد وجد عبد الله بن ياسين أن البربر في ذلك
الوقت كانوا يهملون شعائرهم الدينية ، فأخذ
يحثهم على إصلاح سلوكهم ، وسار مع تلاميذه

(١) الأئيس للطرب (الرباط ١٩٣٦) ج ٢
ص ١١ - ١٦ .

(٢) راجع ابن خلدون ، المعبر ، طبعة بولاق
١٢٨٤ هـ ج ٦ ص ١٨٢ .

(٣) قال ابن خلدون : (المعبر ، ج ٦ ص ١٥٢)
إن بطون صنهاجة كثيرة : فمنهم بلا كالة وأنجفة ،
وسرطة ولمتونة ومسوقة ، وجدالة ، . وقال
ابن خلدون (ج ٦ ص ١٨٢) كان هؤلاء المائنون
في صحاريهم . وكانوا على دين المجوسية إلى أن
ظهر فيهم الإسلام لعمد المائة الثالثة . وجاهدوا
جيرانهم من السودان عليه (أى على الدين) فدانوا
لهم واستوثق لهم (أى للملئتين) الملك ، ثم افترقوا ،
وكانت رياضة كل بيت منهم في بيت مخصوص .

(١) ويذكر ابن خلدون (المعراج ٦ ص ١٨٣)
هنا كلامه على هذه الجزيرة : « وأخذ أبو بكر ،
فنبذوا عن الناس في ربوة يحيط ببحر النيل من جهاتها
ضخاها . في المصيف وغمرا في الشتاء » .
ولعل ابن خلدون قد وقع في هذا الخطأ الذى وقع
فيه الشريف الإدريسي (كتاب الملة - رب وأرض
السودات ومصر والأندلس ص ٨) إذ كان يطلق
اسم النيل على نهر النيجر .

(٢) الأئيس للطرب ص ١٤ - ١٦ .

أن الأمير أبا بكر بن عمر قلد ابن عمه يوسف ابن تاشفين في سنة ٤٦٢ هـ حكم بلاد المغرب الأقصى شمالا ، فاستطاع يوسف بفضل مواهبه الفذة أن يؤسس في سنة ٤٦٦ هـ (١) الدولة المرابطية العظيمة التي خدمت الإسلام في الأندلس ولم تأل جهدا في نشره في كثير من ربوع القارة الإفريقية .

ثم جاء الموحدون فزشر الإمام المهدي محمد بن عبد الله بن تومرت عقيدة التوحيد بين الناس بعد أن مهد لها طويلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ابتداء من مكة المكرمة وهو عائد من الشرق ، وانتهاء ببلاد المغرب ، وقد ألف لاتباعه كتباً في عقيدته التوحيدية التي قام بشرحها بنفسه باللغة البربرية. وكما كان للمرابطيين فضل عظيم في نشر الدعوة الإسلامية في أجزاء واسعة من القارة الإفريقية والأندلس ، كذلك كان للوحيدين أثر محمود في الجهاد ضد الصليبيين بالأندلس ، كما كان من مآثرهم نشر دعوتهم التي كانت تقوم على التوحيد ، وقد ذكر صاحب الاستبصار أن دعوة التوحيد امتدت من طرابلس شرقا حتى غانة وإلى قلب القارة الإفريقية ، وكان للوحيدين الفضل العظيم في نشر الثقافة عامة والإسلامية منها خاصة .

(البينة — الرباط)

المرکز تور مسمه إبراهيم مسمه

(١) المصدر نفسه ص ١٤٥ - ١٤٦ .

التي اتخذها عبد الله بن ياسين في جزيرته بنهر السنغال . هذا ما ذكره صاحب القرطاس أما ابن عذارى فإنه يرى رأيا آخر في هذه التسمية حيث يذكر أن تسمية المرابطين بهذا الاسم ترجع إلى موقعة حربية استبسلت فيها قبيلة لمتونة الصنهاجية ، فأطلق عليهم عبد الله بن ياسين اسم المرابطين لصبرهم وحسن بلائهم ورباطة جأشهم (١) .

ويرجع استعمال لفظ رباط إلى زمن أبعد من هذا ، ومعنى المرابطين : الاتقياء المجاهدون في سبيل الله ، وهذا اللفظ مأخوذ من الرباط وهو حراسة الحدود ، حيث كان يذهب المخلصون للدين لمساعدة حامياتها ، وقد ورد لفظ رباط في القرآن الكريم حين أذن الله سبحانه وتعالى المسلمين بالجهاد ، أي القتال في سبيل الله ، وذلك لتأمين الدعوة الإسلامية والدفاع عنها ضد من يقف في سبيلها ، فقال جل شأنه في سورة الأنفال (٢٢ - ٣٩ - ٤٠) :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

وقد قام المرابطون بدور هام في نشر الإسلام في القارة الإفريقية ، ومن المعروف

(١) أحمد مختار العبادي : مجلة تطوان ،

العدد الخامس ١٩٦٠ ص ١٤٦ - ١٤٧ .

نظرة في أحاديث «إحياء علوم الدين» للغزالي

للأستاذ محمد الشرفاوي

العقل المجرد ، لأن تصرفات العقل دائرة في إطار المحسّات ، فهو لا يفكر ولا يتخيّل ولا يتوهم إلا ضمن تلك الدائرة المحددة . . على حين أن ما وراء الطبيعة ليس من قبيل ما يخضع لحواسنا ومداركنا القاصرة . وكانت تلك الفكرة هي التي اختمرت أخيراً في عقلية الفيلسوف الألماني الشهير «كانت» والذي اعتبره قومه الألمان من أجلها . . نعمة من أجل نعم الله عليهم . . بيد أن «كانت» حين أثبت قصور العقل عن إدراك كل شيء لم يصل بعد ذلك إلى إثبات شيء في عالم العقيدة وألحد ... أما الغزالي فإنه استشرف معالم الغيب عن طريق السلوك في دروب الصوفية ، والترقى في سلم الوصول . . حتى أشرق عليه الفيض بالأمل المنشود .

. . ولقد شغف الغزالي - رحمه الله تعالى - الشغف كله بهذا اللون من التفكير ، الدائر في فلك الإيمان والتكفير ، وصال فيه وصال ، حتى بلغ شأواً عزيز المثال . . فقليل إنه أنظر أهل عصره ، وإنه بحر مغدق . . أو مغرق ، ومن هنا نشأ لقبه المشهور «حجة الإسلام» .

قبل أن تتناول الأحاديث النبوية الشريفة التي انطوى عليها كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي - بالنظر والتحليل . . نود أن نقرر بادئ ذي بدء أن ذلك الإمام الجليل قد بلغ القمة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . . وذلك حين اقتحم بعقله الجبار ، وعزمه الثوار ، آفاق الفلسفة والمنطق ، وعلم الكلام والعقائد ، وأن كتابه «تهافت الفلاسفة» كان معولاً تهاوت تحتهم دعائم الفلسفة العقلية التي شادها الفلاسفة على التفكير العقلي المجرد ، منذ عهد «أرسطو» . . صاحب أضخم عقلية فلسفية انبثق عنها التاريخ - في رأي الفلاسفة - فقد أبطال الغزالي مذهبهم المادى الذي كان يرصد عالم الغيب من خلال المعقولات ، حتى إذا استعجم عليهم إدراك ما وراء الطبيعة بالعقل ، كفروا بعالم الروح ، وصدوا عنه ، فهاجمهم الغزالي بسلاح الجدل المنطقي الذي دانوا به . . حتى حجهم ، وخاصمهم بالدليل البرهاني . . حتى خصمهم ، وكشف لهم حقيقة غابت عنهم ، وهي أن عالم الغيب فوق مدارك

في نصابها وإعطاء ما لله لله ، وما لقيصر ، لقيصر ، والحكم بالحق على الأشخاص ، لا الحكم بالأشخاص على الحق ، والتمتع بحقنا المشروع في الحرية الكاملة لمناقشة الآثار والمخلفات العلمية — مهما كان مصدرها — مع تحرى الأمانة والصدق في إصدار الحكم لها أو عليها ... وذلك على الرغم مما دبحته أقلام المعجبين بهذا الكتاب الشهير ، من عبارات المدح العريض ، والثناء المستطاب ، فقد جاء في دائرة المعارف الوجدية في معرض التنويه بذكره ، « إنه آية من آيات التأليف ، وغاية من الغايات التي تقصر عنها المهمم » ، ومن ذلك قول الإمام النووي فيما نقله عنه ابن السبكي في طبقاته : « كاد الإحياء يسكون قرآنا » ، ومن هذا القبيل أيضا ما ذكره التاج السبكي في الطبقات من قول بعض المحققين : « لو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل والنظر ، والفكر والأثر ... غير إحياء علوم الدين - لكفى » .

ونرى أن تلك الأقاويل قد استبد بها الإعجاب - إلى درجة المبالغة الفجة ... وذلك نتيجة لسبق الكتاب فيما عالج من موضوعات ، وما تناول من قيم ، وما حلل من مفاهيم ... على نحو لم يعرف من قبل في تاريخ الكتابة الإسلامية .

.. كما نود أن نشير إلى أن هذا الإمام العبقري قد كتب في علم الخلاف والفقہ بطريقة تسكاد تكون جديدة في بابها ، فقد زواج بين الحقيقة كما يعرفها الصوفية . والشريعة كما يفهمها الفقهاء ، وربط بين أعمال الظاهر ، وأحكام الباطن ، ولم يسلك مسلك الفقهاء الذين اعتمدوا في استنباطهم على الأدلة التفصيلية ، في ضوء قواعد فقهية مقررّة ، ومبادئ أصولية مسلمة .. بقدر ما سلك في ذلك مسلك أهل الطريق من ذوي الكشف والإلهام .. الذين يرون للبرقة بابا آخر ، غير باب الأدلة والقواعد .

ونحن لا نتعرض للغزالي من هذه الناحية ، ولا من تلك : إلا بالقدر الذي يحفظ له أثره وخطره في محيط المدارك الإسلامية العليا .

وهنا من هذا البحث ، أن نتناول أشهر كتبه « إحياء علوم الدين » الذي شاع ذكره وذاع ، وطبقت سمعته البقاع والأصقاع ... وذلك بالتحليل العلي لما تضمنه من أحاديث نسبت إلى صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، لننظر ... إلى أي مدى بلغت جهود الإمام في هذا السبيل ... بالنسبة لما بلغه في مجال الفلسفة والمنطق والعقائد ، والفقہ والأصول

وهدفنا الذي نرنو إليه ... وضع الأمور

بالتأويل ، والحق بالباطل ، وعز على الناس التمييز بين تألق الأصيل ، وبريق الزائف الدخيل ، ولو لم يكن قد عز عليهم هذا التمييز — لكان من غير المرغوب فيه وجود هذا اللون من المؤلفات التي تنتمي إلى الإسلام في مثل هذا الثوب المهلهل ، ويكفي أن أشير إلى أني طالعت الخمسمائة حديث الأولى من كتاب (الإحياء) مستعيناً بالإمام الحافظ العراقي — طيب الله ثراه — الذي تعقب كل حديث في الكتاب مبيناً ما له وما عليه ؛ فلاحظت أن الربع الأول من الكتاب المسمى بربع العبادات ، قد بدى بحديث ضعيف وانتهى بحديث ضعيف : فأما حديث البسمه فهو : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعبه » ، وأما حديث النهاية فهو : « إذا سلم يوم الجمعة سلبت الأيام ، وإذا سلم شهر رمضان سلبت السنة » فقد عده ابن حبان في الضعفاء ، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف . وفيما بين هذه البداية وتلك النهاية أحصيت ضمن الخمسمائة حديث المشار إليها : ١٩٤ حديثاً صحيحاً ، ١٣٥ حديثاً ضعيفاً ، ١٠٤ حديثاً حسناً ، ٢٤ حديثاً لم يعرف أصله ، ٢٢ حديثاً موضوعاً ، ١٧ حديثاً مرسلًا ، ٤ أحاديث غريبة .

وإذا أنعمت النظر في النسبة المعقودة بين

ولعل ما ذكره الشيخ محمد الخضر حسين في هذا المقام أدنى إلى القصد ، وأدخل في الصواب حين يقول : « وإذا وجد العلماء في كتاب الإحياء مأخذ معدودة ، فإنه من صنع بشر غير معصوم من الزلل » .

ومركز الاهتمام والخطورة في هذا البحث أنه زخر بحشود هائلة من الأحاديث النبوية الكريمة ، فيها الصحيح وغيره ... ولو أنها كانت ضمن كتاب لا يؤبه له ، ولا يلتفت إليه ... لو سعنا أن نضرب عنها صفحا ، وأن نغض دونها بصرا ؛ لكانها في أشهر موسوعة علمية إسلامية ، اعتبرت في نظر الطليعة من رواد الهداية مورداً فياضاً ، ومنهلاً عذب الورود ، تتسلسل في جداوله المترقق عبارات الوعظ والتأثير الديني طيعة للذين يتصدون لتلك المهمة في معترك الحياة ... ثم سرعان ما تشق طريقها إلى العقول والقلوب في مشارق الأرض ومغاربها لتعمل عملها ... وتوثق أكلها .

والواقع أن الإمام الغزالي — رحمه الله تعالى — حين ألف كتابه (إحياء علوم الدين) وجمع فيه من الأحاديث ما جمع ، كان كحاطب الليل ، أو كمن يخبط خبط عشواء فقد جمع الصحيح إلى جانب الضعيف ، وسوى بين المسموع والموضوع ، وزاوج بين المنقول والمدخول ، حتى اختلط الحابل

لكان لأحاديث إحياء العلوم شأن غير ما هي عليه الآن . . وأكبر الظن أن الإمام لم تواته ظروفه لكي يراجع ما كتب من أحاديث . إثر عكوفه على مطالعة الصحاح من كتب السنة .

وأنه لو أسعفته تلك الظروف . . لكان له إحياء جديد بعد إحيائه القديم . . كما ظهر ذلك في فقه الشافعي على اختلاف في زاوية الوضع والمراجعة . .

جاء في كتاب (جواب أهل الإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من آن) لابن تيمية : (وأما الطريق الخبرية النبوية فلم يكن للغزالي فيها خبرة بما صح من ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبطريق دلالة ألفاظه على مقاصده ، وظن بما شارك به بعض أهل الكلام والفلسفة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين مراده بألفاظه ، فتركب من هذا وهذا سد باب الطريق العقلي والسمعي وظن أن المطلوب يحصل بطريق التصفية والعمل ، فسلك ذلك فلم يحصل له المقصود أيضاً ، فرجع في آخر عمره إلى قراءة البخاري ومسلم) .

ويقول ابن النجار في ترجمته للإمام الغزالي : (ولم يكن للغزالي أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث ، ولم أر له إلا حديثاً واحداً) .

هذه الأحاديث وجدت أن نسبة الحديث الصحيح نحو ٠.٣٨ / وهي هي نفس النسبة للأحاديث الضعيفة والموضوعة والغريبة والمرسلة والتي لا أصل لها معاً ، بينما تتوزع النسب الباقية ما بين الحسن والمتمكر والمضطرب والمختلف في صحته والموقوف إلخ .

ومعنى هذا أن نحو نصف أحاديث هذا الكتاب الشهير ذي الخطر الكبير صحيح والنصف الآخر يفتقد مقومات الصحة . وهذا يفتقر إلى جهود صادقة من المشتغلين بالحديث لحصر الصحيح والحسن في إطار خاص ، وتنقيتهما من الشوائب ، ليسهل العلم ، ويصح العمل ، مع المحافظة على الأصل التاريخي للكتاب قياماً بواجب الأمانة العلمية

ومحل العجب هنا . . أن الغزالي كان كثيراً ما يعيب على المحدثين من أهل عصره إسفافهم في رواية الحديث ، وإغراقهم في النقول عن صاحب الرسالة . . . ومع ذلك فلا ندرى . . هل كان الغزالي يدري أنه تورط فيما عابه على غيره ، وقد ذكر الإمام أبو العباس بن تيمية أن الغزالي عكف في آخر أيامه على قراءة البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة ، ولقد تمينا على التاريخ . . أن لو كان عكوف الإمام هذا على قراءة الصحيحين نقطة البدء في حياة الإمام العلمية . . إذن

من نقد في أحاديث هذا الكتاب منها ما يمت إلى السياسة ، أو الخزانة الشخصية بصلة . . وليس هذا مقام تفصيله والإفاضة فيه إلا أن الواقع التاريخي لهذا الكتاب لم يسلم من القيل والقال ، والتصحيح والإعلاء . . وقد اعترف الإمام الغزالي نفسه في كتابه « جواهر القرآن » « بأنه لم يكن ممن عنوا بالحديث والخلافات في مسائل الفروع » ، وإذا كان الاعتراف سيد الأدلة ، فإننا في هذا البحث نبرأ من التجنى على الإمام الغزالي بغير ما دان به نفسه من تقصير في معالجة الأحاديث الشريفة . . ومن المعقول أن الإقلال مع الإجادة والإحكام ، خير من الإسفاف دون بلوغ المرام ، ولا شك أن الحديث من أوائل ما يعتمد عليه المجتهد في الفروع الفقهية ، فما بالك بمن يتصدى لمسائل العقيدة الأساسية ، وقد يكون من أسباب ذلك أن عصر الإمام كان عصر جدل في العقيدة ، وكان الفقه قد استقرت أصوله ، وكثرت مؤلفاته ، وتعددت تفريعاته ، إلا أن هذا لا ينتهض عاملا يبرر الإكثار من الأحاديث على النحو الذي سلكه الغزالي ، فالواقع أن الإسلام لم يهاجم عن طريق القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه وصيائته من الدخول والدجل ، وإنما اعتدى على الإسلام عن طريق الثغرات التي انصدعت في نطاق الأحاديث الشريفة ، ووجد فيها أعداء الملة مرعى مرمعا للفتن

وقد أخبر أبو عبد الله الحافظ بواحد من أحاديثه — كما جاء في الطبقات الكبرى — وفي الطبقات لابن السبكي : أن الإمام أبا بكر الطرطوشي تعرض لكتاب (إحياء علوم الدين) في رسالته لابن مظفر بقوله : — (فلما عمل الإحياء عمد يتكلم في علوم الأحوال ، ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، ولا خبير بمعرفتها ، فسقط على أم رأسه ، وشحن كتابه بالموضوعات ، ولقد بدا له الانصراف عن طريق العلماء ، ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف ، فهجر العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر ، وأرباب القلوب ، ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ، ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين) .

وقديماً اندلعت نار ثورة عارمة من فقهاء الدولة التاشفينية في المغرب على عهد علي ابن يوسف بن تاشفين — ضد كتاب (الإحياء) وقد عاصرها الإمام الغزالي ودعا على قادتها فقد جمع من نسخ الإحياء الشيء الكثير في بلاد الأندلس والمغرب ، ووضع ما جمع من الأندلسيين في صحن جامع قرطبة ، وما جمع من بلاد مراکش في صحن مسجد الجامع ، وهكذا في سائر الأقطار المغربية ، ثم أشعلت فيها النيران .

وقد يكون لذلك أسباب آخر غير ما ذكرنا

يشير إلى هذا ، ولهذا عكف في أخريات أيامه على قراءة الصحيحين ليكمل في النهاية نقصاته في البداية ، وحينئذ ما كان يذبح له أن يقدم على عمل خطير كهذا دون أن يستوثق من الحديث رواية ودراية .

وأما أنه كان على علم بالحديث ضعيفه وصحيحه ، ومسموعه وموضوعه ، ثم أخذ بالفكرة القائلة : « إن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال » ، ولئن صح هذا في ضعف الأحاديث . فهو لا يصح في موضوعها . على أننا لا نسلم تلك الفكرة لقائلها رغم ذبوعها وشيوعها ؛ لأننا لا نعرف لها أصلاً علمياً ، ولا سنداً تاريخياً ، ولا ندري كيف ، ومتى نشأت ، ولا عن تقاليد .

ولأن ننقى بتلك الفكرة في زوايا النسيان خير من أن نردها في مجال العرفان .

فالإسلام — والحمد لله — أغنى بصحيحه وصحاحه من أن يستعين بالضعيف من الروايات ، أو يستجدي المعلول من الأسانيد . ومهما يكن من أمر فإن اللائق بماضى هذا الإمام الألعى ، وسوابقه الحافلة بأجساد الكفاح الفكرى ، ومفاخر الدفاع عن عقائد الإسلام ضد هجمات الفلاسفة ، وأهل البدع والزنادقة - يجعلنا نردد ما ذكره الشيخ محمد الخضر حسين من أنه إذا وجد

والدسائس ، مما حدا بأهل الجند والغيرة إلى التشمير عن ساعد العمل لتخليص الإسلام من الطفيليات الضارة التي عاشت عالة على حساب الصحيح من مبادئه وتعاليمه ، والصحيح من أحاديثه .

وكنا نرجو مخضين أن يكون إيماننا الغزالي من هذا الطراز الذى قرعت أسماعه أجراس الخطر منذرة بتلك السموم التي تنفث في جسم الإسلام بين ضباب الشك ، وظلام الاحتماد والإحن الموروثة .

فكان يذبح له أن يعيد النظر مرتين قبل أن يسطر حديثاً واحداً . ولا سيما أن خصيصة الغزالي أنه مفكر ثائر ، لا يؤمن حتى يفهم ، ولا يفهم حتى يدرس ، ولا يدرس حتى يتشكك ، ولقد درس الغزالي وفهم ، وحصل كل ما وعته العقول والأفكار في عصره الذى كان أجمع العصور للعلم وأحفلها بالمعرفة ، وأنه بلغ من ذلك مبلغاً ليس بعده زيادة لمستزيد ، ولا وراءه غاية لمريد . فما معنى ما حدث إذن في « إحياء علوم الدين » ؟ .

إن الغزالي بنعته السابق واحد من اثنين : إما أنه رجل تشبع حتى تضلع في علوم الفلسفة والعقائد والجدل . ثم تقاصرت همته أو بالأحرى ضاق وقته عن العناية بالحديث ، ولعل اعترافه السابق في « جواهر القرآن »

فلا مستغنى أن يتفرد كل واحد من السالكين بانتذيه على أمر يخصه ، ويغفل عنه رفقاؤه ، أولا يغفل عن التذيه ، ولكن يسهو عن إيراد في الكتب ، أو لا يسهو ، ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف . وبعد :

فقد تبين من دراسة هذا الموضوع : أن الإمام الغزالي مع احتفاظه بالإمامة في علوم الفلسفة والمنطق والعقائد - لم تكن له عناية فائقة بالحديث ، ولذلك فإن نصف الأحاديث تقريبا التي انطوى عليها كتابه « إحياء علوم الدين » ، هي التي يصح الاعتماد عليها علما وعملا ، بينما النصف الآخر قد جمع أشناتا من ضعيف وموضوع ومنكر ومضطرب ونحوه ، مما لا تتوافر معه الثقة للاحتجاج به ، أو الاستناد إليه ، وأنه حق على كل قارئ لكتاب الإحياء أن يسترشد بالإمام الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الكتاب ، فلا يتقبل منها إلا ما حسن كلام الحافظ فيه ، وأنه تغلب فيه النزعة الصوفية أكثر مما يظهر فيه الروح الفقهي القائم على الاستنباط من الأدلة المتداولة بين الفقهاء .

وأن مراجعه الأساسية - كما يبدو - هي كتب التصوف لا كتب الأحاديث المعتمدة ، ولا كتب الأصول الفقهية .

محمد محمد الشرفاوي

العلماء في كتاب الإحياء مأخذ معدودة ، فإنه من صنع بشر غير معصوم من الزلل . والناظر في كتاب الإحياء تحت ضوء ما جمع في كتب أئمة التصوف الأربعة : المحاسبي والخزاز وأبي طالب المكي والقشيري ، وهم الذين قيدوا مذهب الصوفية بعد تبديده ، وضبطوه بعد انتشاره - يرى أن كتاب الغزالي كان مرآة انعكست عليها أفكار هؤلاء الأئمة وآراؤهم ، وأن مسحة المتصوفة هي الطابع المميز ، والعنصر الغالب في تصنيف هذا الكتاب ومن الممكن أن يقال : إن تلك الكتب كانت مراجع للإمام في تأليف الإحياء إلى جانب عمله الغزير ، وعقله الكبير .

ولقد حدد الإمام الغزالي الخطوط العريضة التي تميز كتابه الإحياء عن أشباهه من الكتب التي شاركت في موضوعه ، ولم ينكر أن الناس صنفوا في بعض معانيه ولكنه يذكر ، أن كتابه يمتاز عن أمثاله بخمسة أمور :

أولا : حل ما عقده ، وكشف ما أجملوه .
ثانيا : ترتيب ما بددوه ، ونظم ما فرقوه .
ثالثا : إيجاز ما طولوه ، وضبط ما قرروه .
رابعا : حذف ما كرروه ، وإثبات ما حرروه .
خامسا : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأنفهام ، ولم يتعرض لها في الكتب أصلا ؛ إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد ،

مع القرآن في الآفاق

للاستاذ الحسيني عبد المجيد هاشم

وأنا معهم في أن القرآن يدعو إلى العلم والعمل ولكني أرى أن هذه الدعوة واضحة جلية في آيات كثيرة غير هذه الآية مثل : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وأتينا إذا رجعنا إلى معنى السلطان نجد أنه بمعنى الأمر والحجة والولاية والقدرة . وإذا كانت الحجة نوعا من العلم فهي علم يغير علم التركيب والاختراع ، ومن الممكن أن يكون السلطان بمعنى القدرة ، ويطلق على مسبقها مجازا وهو الاختراعات .

ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فأى معنى للتحدى بهذه الصيغة القوية لفريق الجن والإنس معا ؟

على هذا التفسير الذي اختاره العلماء يكون المعنى يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ؛ إنكم لن تستطيعوا ذلك إلا بعلمكم . وعلى هذا النمط من التفكير لا داعي للتحدى فكل شيء لا يستطيع الإنسان أن

اقتضت نهضة التسابق العلى في غزو الفضاء ونجاح الرواد من الشرق والغرب أن تتجه الأبحاث حول الآيات الكونية في القرآن ، وكتب العلماء والباحثون في معنى الآية القرآنية : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » .

وكانت مهمتهم أن يوفقوا بين الحقائق العلمية الثابتة ، وبين القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إنه من عند الله الذي يعلم السر في السموات والأرض ومحال أن يصطدم مع نظرية علمية حقيقية . ولقد سعد رواد الفضاء وداروا حول الأرض وارتفعوا في السماء ، وأصبح ذلك حقيقة علمية لا يتطرق إليها الريب ، فكيف يتفق هذا مع التحدى في الآية ؟

رأى العلماء خروجاً من هذا الحرج أن يفسروا السلطان ، بالعلم الاختراعى ، فهم لم يصعدوا إلا بعلمهم الناتج عن أبحاث وكفاح ، وبذلك فالقرآن يدعو للعلم والعمل .

الساوية إليها فلا يبعد عنها سوى ٢٤٠ ألف ميل تقريبا .

ونحن لا نريد بذلك أن ننفي بأنهم سيصلون إلى القمر . بل ولا مهمتنا أن ننفي أنهم لن يصلوا إلى مدى أبعد من ذلك بكثير وكثير . ولكن كما قلنا نقرر بأن هذا لا يسمى نفاذا فلا تعارض مع الآية حتى تفسر السلطان بالعلم البشرى الاختراعى مما يفقد الآية معنى التحدى .

وإذا كان النفاذ لم يتحقق للرواد وليس في مقدور البشر وعليهم ذلك فإن سلطان الله وحده هو المحقق لهذا النفاذ . إنها القدرة الخارقة الفائقة ، من معاني السلطان: الولي ، « الله ولي الذين آمنوا ، وكانت ولاية الله واضحة لرسولنا صلى الله عليه وسلم . وكان النفاذ لا بعلمه ولا باختراعه ، ولكن برعاية الله .

اخترق السموات وأقطارها ووصل إلى الأفق الأعلى ورأى الآيات الكبرى : سدة المنتهى جنة المساوى ، الكرسي الذى وسع السموات والأرض ، وكان ذلك في ليلة المعراج من غير صواريخ ولا مخترعات وإنما كان بأمر صاحب الإبداع والسلطان د وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . . . وكان ذلك حقيقة في مأمن من خداع الحواس .

يفعله إلا على علم فالإنسان مثلاً لا يستطيع الكتابة ما لم يكن على علم بمعرفة الحروف وقواعد الخط والإملاء . وهكذا فى كل أعماله لا يستطيعها ما لم يكن على علم بها . ولا يقال له أنت لا تستطيع أن تعمل ذلك إلا بعلمك .

وإننا لو سلطنا أضواء البحث على معنى « النفاذ » الذى هو موضوع التحدى لاستبان الأمر ؛ ففي القاموس المحيط . النفاذ جواز الشيء عن الشيء وخلوصه منه كالتفوذ ، ويقال نفذ السهم من الرمية . إذا خالط السهم جوف الرمية وخرج طرفه من الشق الآخر ، وهل يتحقق النفاذ بهذا المعنى لرجل الفضاء فاخترق أقطار السموات كلها وجاوزها إلى عالم آخر فوقها غير عالمها حتى يذهب ، نظن أننا أمام مشكلة تعارض الحقائق العلمية مع النصوص القرآنية ، وحتى نؤول النصوص تأويلا غير سائغ يذهب من روعتها ويغير معناها . لم يحصل النفاذ فلا تعارض ، والتحدى قائم لا محالة ، بل إن هذا النفاذ لم يفكر فيه المفكرون حتى تضطر إلى التأويل غير المناسب باسم التحرر مع العلم الحديث . إن رجل الفضاء لم يخبر بأنه نفذ من أقطار السموات إلى عالم آخر . إن كل هدف التسابق أن يصل إلى القمر ، والقمر حفيد الأرض كما يقول علماء الجغرافيا وأقرب الأجرام

«إن هو إلا وحى يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى.»، إلى قوله تعالى: «إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى». هذا إذا فهمنا الآية مستقلة عن جوها القرآنى مما قبلها وما بعدها. أما إذا فهمناها فى جوها بالربط بين سابقها ولاحقها أيضاً لا اعتراض أيضاً بل لا علاقة لها من قريب أو بعيد بغزو الفضاء. إنما يتناسب البحث مع غزو الفضاء فى الآية: «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق». فالغزو وتحقيق لهذه الآية، أما آية التحدى بعدم النفاذ فهى من سورة الرحمن. وابتدأت السورة بذكر الرحمن الذى من رحمته علم القرآن، خلق الإنسان، ومن عليه بالعلم عليه البيان: فالله هو الرحمن والمعلم وخالق الشمس والقمر وخالق الكون بسماؤه وأرضه، وفاكهته ونخله، وخالق الإنسان من صلصال كالفخار، وخالق الجان فجعل أصله من مارج من نار، ومرج البحرين وجعل بينهما برزخاً لا يبغيان، كما أخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام. والكن كل هذا الكون بخلق ونعيمه إلى فناء. كل من عليها فان. والباقي الحق هو الله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

أصبحنا بعد قوله كل من عليها فان بإزاء التحدث عن الآخرة فالباقي هو الله يغير ولا يتغير، كل يوم هو فى شأن. فى هذا الوقت ستفقد القدر الاختيارية أو الصورية ويظهر الأمر لصاحب الأمر (لمن الملك اليوم لله الواحد الواحد القهار). «سنفرغ لكم أيها الثقلان، وسيكون الحساب، وفى ذلك الوقت لا قوة لنا على اكتساب الثواب ولا على اجتناب العذاب ولا اختيار ولا تكليف. بل حساب: «اليوم تجزى كل نفس بما كسبت»، ولا مهرب، ولا ملجأ من الله إلا إليه. «إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا وانجوا من الحساب: لا تنفذون إلا بسلطان الله، بأمره سبحانه وتعالى، تنجون أو تعذبون تساقون إلى النار أو الجنة. «فبأى آلاء ربكما تكذبان، يا معشر الجن ويا معشر الإنس. فالكلام القرآنى السابق للآية إنما هو فى الحياة الآخرة، والكلام اللاحق للآية فى الحياة الآخرة. بعد الآية يبين الله نوع العذاب للبعدين يقول تعالى «يرسل عاصباً شواط من نار ونحاس فلا تنصران. فبأى آلاء ربكما تكذبان. فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان. فبأى آلاء ربكما تكذبان. فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان.». واستمرت الآيات بأن الجرمين يعرفون (البقية على صفحة ٢١٢)

قضية اليوم : كتابة التاريخ المعاصر للأستاذ محمد رجب البيومي

النقاش المتضارب ، وقد جاءت أجوبة الأساتذة العلامة ساطع الحصري ، والباحثة المؤرخ عبد الرحمن الرافعي ، والدكتور الجامعي محمد أنيس مؤكدة ضرورة الإسراع في تسجيل الحوادث الراهنة دون إبطاء ، وكنا نطمح أن نجد من التعليل والتحليل لهذه الوجهة المحترمة ما يرضى حاجة النفس ، ولكن طبيعة المجال الصحفي لا تتسع للبسط المنشود ، ولعل ما نشر من آراء هؤلاء الأقطاب بالأهرام قد اجتزى اجتزاء قاهرا دون أن تكون لهم يد في هذا الاقتضاب الجائر إذ لا يعقل أن يبسط عالم متمرس رأيه الهام في هذه القضية في حدود لا تكاد تخرج عن نعم أو لا ، مما يدفعني إلى إبداء الرأي هنا دون تقييد ، عاتبا على الصحافة المتهزئة أن تضيق بأمثال هذه البحوث الجادة ، وهي تفسح المجال العريض لأبواب التسلية والتشويق .

ونحن نعلم بادي ذي بدء أن الفرض الشخصي قد ظهر بوضوح في بعض مؤلفاتنا القديمة ، فأنت تعرف نزعة المؤرخ وانجهاه من خلال ما يسطر من الأنباء ، وما يبيديه

ارتفعت أصوات عليية في الدوائر الجامعية تنادى بوجوب التريث في كتابة تاريخنا المعاصر ، وتعلن أن التاريخ النزيه المنصف لا يمكن تحريره بريئا من عناصر التأثير والتأثر إلا بعد خمسين عاما من وقوعه ولكن أصواتا عليية أخرى تصدت لمناهضة هذا الرأي ، وأشفقنا أن يطول بنا التلبث والانتظار حتى تنقضي المدة المعلومة ، وإذا ذلك نرجع إلى ما كتبه الأجانب عنا ، فيكون المصدر الأول للرصد والتسجيل ، وتصبح أقوال الأبعد وحدها مصدرا دافقا يحمل في تياره مئات الوثائق والأسانيد - وأكثرها يمثل وجهة نظر معينة - مشفوعة بما يفسرها من تعليل يخطئ مرماه تارة ، ويصديه أخرى ، وفي ذلك خرج خطير .

وقد انتقلت هذه الصيحات المتعارضة من أهباء الجامعات إلى ميادين الصحافة ، فطلعت علينا جريدة الأهرام الصادرة في ٢٦ مارس سنة ١٩٦٢ بخلاصة مبتورة لما يدور في المضمار الجامعي من اتجاهات ، كما قامت بأسئلة متعددة دفعت بها إلى كبار مؤلفي التاريخ في عصرنا الراهن ، ليبدوا آراءهم الحرة في هذا

والميلول ، فلم تعد أية دولة من دول الأرض بمعزل عن الأضواء الكاشفة في شق بقاع العالم ، بل أصبح الحادث اليسير في بقعة نائية يجد من التفسير في أمهات الصحف والإذاعات شرقية وغربية ما يشرحه على وجه المعقول ، ومهما حاول بعض المغرضين تزيفه فالكثرة الكثيرة لن تخدع بتضليل

نعرف مثلاً أن ألمانيا النازية قد حتمت على المؤرخين من الألمان أن يجعلوا الهتلرية الفردية والآرية الجنسية في مكان التنزيه والارتقاء ، وفرضت على أجهزة النشر من إذاعة وصحافة ومؤلفات وجامعات ومدارس أن تطرى أعمال الحاكين إطراء لا يلم به النقد - وإن كان مخاصماً غيوراً - حتى أصبح الشعب الألماني يشعر بارتقائه النوعي بين الشعوب المختلفة من ناحية ، ويعتقد في حكامه من الإخلاص والكفاية والنزاهة ما لا تدركه الشبهات من ناحية ثانية ، نعرف ذلك جيداً ، ونعرف معه أن الدول المحايدة للنازية - فضلاً عن المعادية لها - قد تتبعت أدوار الحكم النازي تتبعاً مستقرئاً دقيقاً ، ثم أصدرت عليه حكمها الحيادي ، حتى إذا انتهت الحرب العالمية الثانية رأينا من مؤرخي الألمان أنفسهم من يبرأ مما كتب ، ومن يبدأ في تسجيل صفحات جديدة تعتمد على التحيص والتدقيق ، وتعرض وجهات النظر في العالم

من الأحكام ، حتى اشتهر الكثيرون منهم بميولهم العباسية أو العلوية أو الاعترالية أو السنية مما لا مجال لإنكاره ، وحتى رأينا بعض هؤلاء يعيش في كنف دولة خاصة فتسبغ عليه من عطايها الثمينة ، ومناصبها الفاخرة ما يجعل عين الرضا كائلة عن كل عيب ، حتى اشترط بعض المنصفين في كتابة التاريخ أن تكون المعاصرة منتفية بين الكاتب والمكتوب ، كيلا تتحكم العوامل النفسية ، من رضا أو غضب ، أو منافسة ومعاداة في تسجيل آراء ناشرة تكتب على غير وجهها الصحيح .

أجل ، نعلم ذلك ولا ننكره ، بل نجزم بوقوعه فيما أسلف مؤرخو الزمن القديم من بحوث محجفة تتطلب النقد الدقيق ، ولكننا نعلم مع ذلك أن الزمن قد تغير ، وأن ما كان محتملاً من التزييف والتمويه في عهود الاعتزال والانكماش أصبح من غير المستطاع في النصف الأخير من القرن العشرين ، حيث تتناقل الأنباء مُسرعة في كل مكان ، وتجذ من المحللين والمفسرين ، من يزنها في كل دولة بميزانه الراصد ، ومهما اختلفت وجهات النظر في الفهم والتدليل فإن مجموعة هذه الموازين ستؤدي إلى رأى قريب من الواقع وستحمل من بواعث النقد ما ينفي تدليس المغرض ، ويفضح تمويه ذوى الأهواء

المتمدن ، دون أن يكون لما كتب من تاريخ النازية في حياة هتلر تأثير ما في الجرح والتعديل .
ومالنا نذهب بعيداً ، وأمامنا العدوان الثلاثي على مصر !! فقد حاولت بعض الأفلام الغربية في إنجلترا وفرنسا أن تفسره على غير وجهه العدوانى وأن تحتلق من التبريرات المنحرفة ما يشفع لحدوثه معتمدة في تدليس ظاهر على مادونه مجرمو الاعتداء من افتراءات كاذبة تدفع عنهم معرة الحق والرعونة وقصر النظر ، واندفعت الصحف الحاقدة تفسح لهؤلاء مكان الصدارة في التويه والخذاع ، لتخلق رأيا عاما يرحم المنهزم ويرثى لكبوته المفضوحة ، ولكن أشعة الحق قد تلاحقت من كل مكان لتكشف ظلام الخداع ، حتى رأينا من المحافظين العتاة أنفسهم من يفصح إيدن ويكشف رعوته ، ويعلن أنه فقد كياسته البصيرة حين قام بمؤامرة خاسرة طردته من مركزه السياسى ، وفرضت عليه العزلة الباردة المؤسسية في زاوية الخيبة والإخفاق ، وقد يعجب القارئ حين يعلم أن أحد هؤلاء الناقدين المتحررين نجل الداهية الاستعماري المستر تشرشل وراعيه الأمين !!

هذه ناحية أولى ، وهناك ناحية ثانية جديرة بالالتفات وهى أن كتابة التاريخ عصرنا الراهن ، لم تعد مجرد روايات عن أعمال ترصد في نطاق الشهور والأعوام حتى يجوز التدليس في خلق مكرمة زائفة ، أو افتراء بطولة كاذبة ، أو التحدث بأريحية موهومة ، بل إنها تخضع الآن إلى منطق منهجي يربط الأسباب بالمسببات ، ويسير علوم الاجتماع والنفس والاقتصاد بقواعدها الثابتة ونظرياتها المستحدثة في ركاب هذا التاريخ ، تفحص رواياته وتعلل لجأاته ، وتنقذ زائفه ، وتتشرب حياة المؤلف قنهم عوامل تكوينه ، وتفسر مختلف اتجاهاته ، وتعلل ما يتورط فيه من انحرافات ، فهو في هذا النطاق العلوى الدقيق مضطر إلى لزوم الحيدة فإذا اندفع إلى الغرض الشخصى كشفه البحث العلوى ببصيرته النفاذة ، وقامت القرائن والملازمات بما يؤيد منطق الأشياء ومجريات الحوادث في تيار واضح مفهوم ، ثم إنه ليس وحده في الميدان ، فلدينا ما قاله غيره عن موضوعه ، وهناك المقارنة الهادفة بين قول وقول ، واتجاه واتجاه !!

لا حرج إذن من كتابة التاريخ المعاصر ولا حرج إطلاقا من الغرض الشخصى في عصر تعددت به أساليب النقد وفنون التمييز ، بل لا حرج علينا في قراءة ما كتبه المؤرخون قديما مما سجله الهوى المغرض من محاسن وغفل عن رصد من سوءات ؛ لأن في تقصى

المتمدن ، دون أن يكون لما كتب من تاريخ النازية في حياة هتلر تأثير ما في الجرح والتعديل .

ومالنا نذهب بعيداً ، وأمامنا العدوان الثلاثي على مصر !! فقد حاولت بعض الأفلام الغربية في إنجلترا وفرنسا أن تفسره على غير وجهه العدوانى وأن تحتلق من التبريرات المنحرفة ما يشفع لحدوثه معتمدة في تدليس ظاهر على مادونه مجرمو الاعتداء من افتراءات كاذبة تدفع عنهم معرة الحق والرعونة وقصر النظر ، واندفعت الصحف الحاقدة تفسح لهؤلاء مكان الصدارة في التويه والخذاع ، لتخلق رأيا عاما يرحم المنهزم ويرثى لكبوته المفضوحة ، ولكن أشعة الحق قد تلاحقت من كل مكان لتكشف ظلام الخداع ، حتى رأينا من المحافظين العتاة أنفسهم من يفصح إيدن ويكشف رعوته ، ويعلن أنه فقد كياسته البصيرة حين قام بمؤامرة خاسرة طردته من مركزه السياسى ، وفرضت عليه العزلة الباردة المؤسسية في زاوية الخيبة والإخفاق ، وقد يعجب القارئ حين يعلم أن أحد هؤلاء الناقدين المتحررين نجل الداهية الاستعماري المستر تشرشل وراعيه الأمين !!

هذه ناحية أولى ، وهناك ناحية ثانية جديرة بالالتفات وهى أن كتابة التاريخ

جنابة ، ولا أظهر مخيلة إنابة ، ولا استنجى من حدث ، ولا أشجى فؤاده بتوار في جدد ، ولا أقر ببارئه ومصوره ، ولا قر بباريه في ميدان تهوره ، الإساءة إليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة عنده أهدى من الإنسان ، نظر في تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم ، واقتصر على الهيئته ، وحكم للكواكب بالتدبير ، واجترأ عند سماع النهى والإيعاد ، واستهزأ بقوله تعالى « إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد... إلى آخر ما انحدر إليه من إسفاف ، .

فهل استطاع الفتح بن خاتان أن يزيح ابن باجة الفيلسوف عن قمته الشائخة قيئاً نامة إنه دفع العقلاء إلى التفكير في أسباب هذا الهجوم الظالم ، فعرفوا من تاريخ الفتح أنه يتكسب بكتساته ، وأنه كان يطرق أبواب الأعيان من الفقهاء والرؤساء مسترفداً سائلاً فإذا منحوه الكثير أطال المديح وأجزل الثناء ، فأعاد بذلك في مجال النثر سيرة الوصاليين من الشعراء حين يرسلون مدائحهم وأهاجيهم وفق ما يرون من بذل وحرمان ، عرفوا ذلك فأنكروه ، ثم اتجهوا إلى مسلكه الشخصى فرأوا لديه من التبذل والسقوط ما لا يمنع التزيد والافتراء ، ثم نظروا من جهة ثانية إلى الفيلسوف النابغة فرأوه عبقرياً

الأسباب ، ومعارضة النصوص ، وتحليل المواقف ، وتوضيح الملابس ما يكفل رد الحق إلى نصابه وتمييز الطيب من الخبيث ! وسأضرب مثالين من مزائق المؤرخين أحدهما إيجابى والآخر سلبى ، ليؤكد بوضوح أن الغرض المائل عن الحق لا يحول دون الواقع الصريح ، وأن ذوى الأهواء المنحرفة في طيات العصور الغابرة لم يثبتوا أمام التحقيق العلمى ، فعرف معاصروهم ما ارتبطوا فيه من جور شائن وإذا كان العاصرون أنفسهم قد مازوا الجيد من الردى ، فإن من تلاهم من الأجيال المتتابعة قد نظروا إلى الموضوع من زاوية منفردة ، فأوسعوه بحثاً وتحليلاً وأدركوا فوق ما أدركه أسلافهم الغابرون كثيراً من بواعث الاختلاق وعلل التثويه ، وبقى الزيف سافراً خجلاً ينادى بتمويهه الخداع .

لقن شن الفتح بن خاقان الكاتب الأندلسى الشهير على معاصره الفيلسوف النابغة أبى بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجه هجوماً جارحاً أراد به أن ينال من مكانته وموهبته ، إذ قال عنه في قلائد العقيان : « هو رمد عين الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، اشتهر سخفاً وجونا ، وترك مفروضا ومسئونا ، فما يتشرع ، ولا يأخذ في غير الأضاليل ولا يشرع ، ناهيك من رجل ما تطهر من

صاحب القلائد من ساحته بصفحة المغبون ، وطفق يكتب عنه ماهبط بانقاد دون المنقود وتذيع مقالة السوء عن الرجل فتجد بعض الصدى عند من يحاربون الحكمة والمنطق من الفقهاء وحدهم دون من يعرفون بواطن الأمور ، ثم تمضى الأيام ويطلع الخلف ما قاله الفتح ، ثم يقرءون ما قاله سواه ، فيوازنون بين ما يتعارض ويتناقض ، ويهتدون إلى مقطع الصواب دون تضليل !! بل إنهم ليضحكون ملء أفواههم حين يرون صاحب القلائد يعدل عن هجائه الفيلسوف في كتابه (مطمح الأنفس) . ويتلسون التعليل لذلك ، فيعرفون أن بريق المال يجذب الكاتب إليه دون اهتمام برصانة الخلق ونزاهة الضمير .

هذا مثال إيجابى لمؤرخ ذى غرض ، أما المثال السابى فنجدده عند صاحب الأغاني أبى الفرج الأصبهاني فقد تعرض فى موسوعته الضخمة لمئات من المشهورين والمغمورين ، وترك ابن الرومى الجهير ظنا منه أنه بتجاهله السلبى سيمحق تاريخه ، ويعنى على شعره ، وإذا كانت تراجم الأغاني قد وضعت وفقا للأصوات المختارة فإننا نجزم أن لابن الرومى بما غنى به من الشعر أضعاف ما لخيره ، فقد كان ذا حس مرهف نافذ وأذن موسيقية لاقطة ، وشعره فى المغنيات والمغنين ومجالس

فى مضماره ، فهو أول المشتغلين بالفلسفة فى الأندلس فى عصر سيطرت فيه طبقات الفقهاء من المتشددين ، فقتيدوا بالنقل الظاهر ، وحاربوا كل تجديد يستند إلى عقل أو نظر ، وزاد من خطورتهم المؤثرة ما حباهم به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من نفوذ ظاهر لا يقف أمامه معارض ، فهم أولو الكلمة المسموعة ، وأهل الحل والعقد فيما يحللون ويحرمون ، ومع ترمت هذا الجو الغائم فقد جهر الفيلسوف بمعتقدده ، وكان أول هؤلاء الذين حاولوا أن يبحثوا شئون الفلسفة مستقلة عن قواعد الدين وأعلن أن فى مكنة العقل الإنسانى أن يصل إلى ما يثبته من المعرفة الحقيقية بالنظر والتفكير دون حاجة إلى التصوف الجاهد والشطح البعيد!! هكذا المفكر الأريب لا يتأتى له أن يعجب بكتابة الفتح وسجعاته ، وكلها من وجهة نظره الفلسفى سطور فارغة ينمقها التسكف النافر دون أن تهدف إلى جلاء حقيقة مطموسة ، أو تساعد على فهم ظاهرة مستعصية ، وهو بهذا الاعتبار لا يعبا بتأليفه ولا يهيمه أن يكون بين هؤلاء الذين يسبغ عليهم باطل الأمداح وزائف الحسنة فإذا قصده الفتح ليسلب من ماله ما يدفعه إلى الإطراء المموه ، فهذا ما لا يقع موقع الارتياح من الفيلسوف الرصين ، لذلك رجع

بما يشير حفائظ ذوى الأرحام ! والمدهش أنه تعرض لابن الرومى عرضاً فى موضعين اثنين من موسوعته الحافلة ليثلبه وينقده ، فكشف بذلك عن دخيلة نفسه وحقائق ميوله ، هذا التحامل السابى لم يغير شيئاً من حقيقة الشاعر ، بل عاد باللائمة الجارحة على الأصفهاني ودفع القراء إلى مزيد من القيل والقال .

نستطيع أن نقول فى ضوء هذين الشاهدين أن على المؤرخ المعاصر أن يكتب عن حوادث عصره ما شاء ، وعلى الناقد أن يتبسع المؤرخ وان يعجزه أن يفصح ما استتر من ملق مغرض أو تحامل بغيض ؟

محمد رجب البيرونى

الطرب والنشوة على كثرته يؤكد أن الشاعر قد أسهم فى ميدان الغناء بشعر كثير .

ولكن تغافل أبى الفرج عنه قد كان مدعاة لتساؤل كبير من الناقدين ، حتى اهتموا إلى السر الأصيل ، ذلك أن أبى الفرج تلميذ الأخفش تربى على يده ، وتشرب ميوله وأهواءه وبين الأخفش وابن الرومى من الأهاجى المقذعة ما اشتهر بين الأدباء ، وبجمله ديوان الشاعر فى صفحات كثيرة ، فلا عجب أن ينشأ أبو الفرج مفطوراً على كراهية الشاعر انتقاماً لأستاذه وغيره عليه ، ومن يدرى لعل أبى الفرج من ناحية ثانية قد رأى أن يمالئ الوسط الاجتماعى بإغفاله ابن الرومى كما يقول الأستاذ كامل كيلانى ، إذ أنه هجا كثيراً من آباء أعيان العصر وأجدادهم

(بقية المنشور على صفحة ٣٠٧)

فإننا نجد فى كلتا الحالتين فى تفسير الآية أنه لا تعارض مع انواقع القرآن ، ولا داعى للتأويل البعيد . وسيظل كتاب الله لسان صدق لا يأنيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسبب فى ذلك أنه تنزيل من حكيم حميد .

الحسينى عبد المجيد هاشم

المدرس بمعهد الزقازيق

بسياسهم ويؤخذون بالنواصى والأقدام . ويقال لهم هذه جهنم التى يكذب بها الجرمون ، إلى آخر أنواع العذاب المعدة للجرمين ثم بينت الآيات نوع النعيم المقيم لمن خاف مقام ربه ، فله الجنان وما فيها من كل فاكهة زوجان ، وقاصرات الطرف ، والياقوت والمرجان ، والخور ، والاتكاء على رفرف خضر وعبقرى حسان .

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد أبو شنبه

مستعمله من الأوساخ الحسية، وقال الراغب: سمي الدين شريعة تشبيها بشريعة الماء من حيث إن من شرع في ذلك روى وتطهر، وأعني بالرى ما قاله بعض الحكماء: كنت أشرب فلا أروى، فلما عرفت الله تعالى رويت بلا شرب. وبالتطهر ما قاله تعالى: «ويطهركم تطهيرا»، والمنهاج الطريق الواضح في الدين والعطف^(١) باعتبار جمع الأوصاف).

وقال الإمام الفيومي في «المصباح المنير»: مادة «شرع». «الشرعة بالكسر الدين، والشرع، والشرعية مثله مأخوذ من الشريعة وهي مورد الناس للاستقاء؛ سميت بذلك لوضوحها وظهورها وجمعها شرائع، وشرع الله لنا كذا يشرعه: أظهره وأوضحه، والمشرعة بفتح الميم والراء شريعة الماء.

قال الأزهري: ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عذبا لا انقطاع له كماء الأنهار، ويكون ظاهرا معينا لا يستقى منه برشاء، فإن كان من ماء الأمطار فهو السكرع بفتح الحين،

في المقال السابق وعدت القراء بالمقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية وها أنذا أفى بما وعدت، وسأقدم بين يدى البحث التعريف بالشريعة الإسلامية، والمراد بالقوانين الوضعية فأقول ومن الله أستمد العون والتوفيق: «معنى الشريعة». قال الإمام القرطبي في تفسيره^(١). «والشرعة والشريعة الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة، والشريعة في اللغة: الطريق الذي يتوصل منه إلى الماء. والشريعة: ما شرعه الله لعباده من الدين، وقد شرع لهم يشرع شرعا أى سن والشارع الطريق الأعظم».

وقال الإمام الألوسي في تفسيره^(٢): (والشرعة بكسر الشين: الشريعة وهي في الأصل الطريق الظاهر الذي يوصل منه إلى الماء والمراد بها الدين، واستعمالها فيه لكونه سبيلا موصلا إلى ما هو سبب للحياة الأبدية، كما أن الماء سبب للحياة الفانية أو لأنه طريق إلى العمل الذي يطهر العامل من الأوساخ المعنوية كما أن الشريعة طريق إلى الماء الذي يطهر

(١) يعني في قوله تعالى «اجعلنا منكم شرعه

ومن اجا».

(١) ج ٦ ص ٢١١.

(٢) ج ٦ ص ١٥٣.

الشريعة الإسلامية التي هي خاتمة الشرائع والأديان .

ولم يزل الشريعة وإن كان يجوز إطلاقه على جميع الشرائع السماوية إلا أنه عند الإطلاق ينصرف إلى الشريعة الإسلامية .

والشرائع السماوية كلها تتفق في العقائد والأصول كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والضوابط الخمس وهي حفظ الدين والنفس ، والعقل ، والنسب ، والمال . وعلى هذا يتنزل قوله سبحانه : « أولئك الذين هدى الله فبهم اقتدوا » (١) . وقوله : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٢) .

وتختلف في الفروع على حسب الأزمان والأحوال ، وعلى هذا يتنزل قوله سبحانه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٣) .

والإسلامية نسبة إلى « الإسلام » وهو في اللغة بمعنى الانقياد والاستسلام والإذعان والخضوع ، والمراد به في لسان الشرع : الدين العام الخالد الذي جاء به نبينا محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وهو الدين الذي ارتضاه

والناس في هذا الأمر شرع بفتحيتين وتسكين الراء أى سواء ، .

ومما عرضناه يتبين لنا أن الشريعة في العرف اللغوي إما الماء الذي يرد الناس والدواب فيشربون منه وينهلون ، وإما الطريق الواضح الموصل إلى هذا الماء ، وإما معنى التوضيح والبيان .

وأما معناها في الاصطلاح الشرعي فتطلق على ما شرعه الله لعباده من الأحكام ، وهي بهذا المعنى الاصطلاحي لا تطلق إلا على التشريعات السماوية المنزلة من الله سبحانه وتعالى .

والمناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة بينة ؛ إذ الشرائع السماوية مورد عذب ولكل الناس منها شرب ، وهي الطريق المستقيم ، الموصل إلى السعادتين الدنيوية والأخروية ، وهي ظاهرة واضحة لا غموض فيها ولا التواء .

وفي المعنى الدقيق الذي أشار إليه الإمام اللغوي الأزهرى ما يليق ضوءا على خصائص التشريعات السماوية من كونها مستساغة مقبولة وظاهرة واضحة ، ولا حرج فيها ولا مشقة ، بل هي سهلة ميسرة للطلاب ، وحظ الشرائع السماوية من هذه المعاني يختلف قلة وكثرة ، وظهورا وخفاء ، وأحظ الشرائع السماوية وأوفاه وأصلها في هذه الخصائص

(١) الأنعام ٩٠ .

(٢) الشورى ١٣ .

(٣) المائدة ٤٨ .

ما يعرف بالأحوال الشخصية ، ومنه ما كان متعلقا بالأموال والتصرف فيها من بيع وإجارة ، ورهن ، وسلم ، ودين ، وشركة ونحوها وهو ما يسمى بالمعاملات ، ومنه ما كان متعلقا بالجرائم وما يترتب عليها من عقوبات وآثار ، وهو ما يسمى بالحدود والتعازير أو العقوبات وما كان منه متعلقا بالقضاء ونظمه والدعوى وأنواعها ، وأدلة الإثبات وما إلى ذلك يسمى بالمرافعات ، وما كان منه متعلقا بالحروب وآدابها والمعاهدات والصلح والأمان وعلاقة الأمة الإسلامية بغيرها هو ما يعرف بالسير وهذا الجانب الفقهي العملي من الشريعة هو ما استدور حوله المقارنات ولم يقسم الفقهاء القدامى الفقه هذه التقسيمات بالفعل وإنما هذا من عمل الفقهاء المحدثين نهجوا فيه منهج علماء القوانين إذ قسموها إلى ما يشبه هذه القسمة تيسيرا لدراستها والكتابة فيها ^(١) والذي يعيننا في المقارنة ما عدا العبادات ؛ إذ القوانين لم تعرض لجانب العبادات أما القوانين الوضعية ، فالقانون هو القاعدة الكلية التي يتعرف منها أحكام جزئياتها والمراد بها النظم التي وضعها الواضعون لتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض وبيان آثار التصرفات سواء منها

الله سبحانه للبشرية جمعا وللناس جميعا ، وهذا هو الذي صدع به الوحي في قوله سبحانه : « إن الدين عند الله الإسلام » ^(١) وقوله : « ومن يتبع غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » ^(٢) . وإذن فالشريعة الإسلام ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده من التكليف والأحكام على لسان خاتم أنبيائه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذه الشريعة منها ما يتعلق بالعقائد كالإيمان بالله تعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحوها ، والعلم الذي يبحث فيها هو علم « التوحيد » أو « الكلام » ، ومنها ما يتعلق بهذيب النفوس وتربيتها على الفضائل والآداب والعلم الذي يبحث فيها هو علم « الأخلاق » ، ومنها ما يتعلق بأفعال المكلفين وتصرفاتهم والعلم الذي يبحث فيها من الأحكام العملية واستخراجها من أدلتها التفصيلية وينقسم علم الفقه إلى عدة أقسام ؛ فنه ما يقصد به التقرب إلى الله سبحانه وتركية النفوس وتطهيرها كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج وهو ما يعرف بالعبادات ومنه ما يتعلق بالأسرة وتكوينها ونظامها من زواج ، وطلاق ، ونفقات ، وعدة ، ونسب وحضانة وما إليها وهو

(١) أحكام المعاملات الشرعية للأستاذ علي الخفيف ص ٤ .

الاعتقادية والتشريعات والآداب التي لا تختلف باختلاف الزمان ، كالتوحيد والأمر بالعدل والصدق والنهي عن الظلم والكذب وحل البيع وحرمة الربا وأحكام النكاح والطلاق ، وحرمة الخمر والميسر ، والزنا ، والسرقه ، وقطع الطريق ، وحرمة التعدى على الدماء والأعراض كالقتل والقذف إلى غير ذلك من الأحكام التي نص عليها في الكتاب .

كما جاءت بعض أحكامه غير مصرح بها إما لمجيئها في ضمن غيرها وإما لفهمها بطريق الفحوى والإشارة ، وذلك مثل استنباط وجوب النفقة للولد على أبيه من قوله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » (١) فإن إيجاب رزق الوالدات وكسوتهن على الوالد لأجل الولد يدل على وجوب رزق الولد نفسه وكسوته على أبيه بطريق الأولوية ومثل أخذ حرمة سب الوالدين أو ضربهما من قوله تعالى : « فلا تقل لها أف ولا تنهرهما » (٢) ، بطريق الأولى بل أخذ الأئمة بعض الأحكام من القصص القرآني وذلك مثل قصة الزرع الذي أفسدته الغنم لصاحبه وهي المذكورة في قوله تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرت إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين .

(١) البقرة ٢٣٣ .

(٢) الإسراء ٢٣ .

ما يتعلق بالمعاملات ، المدنية ، أو العقوبات أو بنظام الأسرة أو علاقات الأمم بعضها ببعض في السلم والحرب وسميت بالوضعية تمييزاً لها عن التشريعات السبائية ، والقوانين الوضعية متعددة بتعدد واضعها ، وقد تتفق ، وقد تفتق ، ومنها ما هو مكتوب مدون ، ومنها ما ليس بمدون . وبعض الكتّاب قد يطلق عليها تشريعات . والأولى والأجمل ألا يطلق ذلك وأن يقصر لفظ الشريعة أو التشريعات على الشرائع السبائية وإذ قد انتهينا إلى هذا فلنأخذ في المقارنات .

(١) من ناحية الأصل والمصدر . وهو أهم وجوه المقارنة وأصلها .

مصادر الشريعة الإسلامية :

ترجع الشريعة الإسلامية إلى مصدرين أصليين وأساسين شريفيين :

(١) القرآن الكريم : وهو الكتاب الإلهي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الخلق ، المعجز بلفظه ، المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الباس ، أنزله الله على نبيه محمد في بضع وعشرين سنة ؛ كفاء لحاجات الخلق ، ومصالح البشر في أمور دينهم ودنياهم . وقد نص في القرآن على كثير من الأحكام والتكاليف الشرعية ولا سيما في الأمور

(ب) السنة :

وهي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وإذا كان القرآن هو الأصل الأول للتشريع فالسنة هي الأصل الثانى وهى مبينة للقرآن ومفسرة له ، تبين مجمله وتفسر مبهمه ، وتزيل إشكاله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه إلى غير ذلك قال عز شأنه : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » فكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين تارة بالقول وتارة بالفعل وتارة بهما معا وقد ثبت أنه قال : « صلوا كما رأيتموني أصلى » وقال : « خذوا عني مناسككم فعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، رواه مسلم . والسنة كما تأتى للبيان تأتى مستقلة بالتشريع فى بعض الأحيان وذلك كما فى تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير وتحريم لحوم الحمر الأهلية . والسنة منها ما هو بالوحي وهو كثير سواء أكان ذلك بالوحي الخفى أو الجلى كما فى قصة الرجل الذى أحرم بعمره وهو متضمن بطيب رواها البخارى ، ومنها ما هو بالاجتهاد وهو ما عليه المحققون وإقرار الله لنبىه فى حكم اجتهاد فيه تصديق له وتأيد ؛ إذ محال أن يسكت الوحي عن النبي فى أمر اجتهاد فيه ولم يوافق

فقهمنها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما (٢) » فقد حكم فيها داود بالغنم لصاحب الزرع وأما سليمان فقد حكم لصاحب الزرع بالغنم يقتنع بها وأمر صاحب الغنم بزرع الأرض حتى يعود الحرث كما كان فإذا عاد ترادا فكان أرفق ، ومع أن هذه القصة فى شريعة غير شريعتنا فقد استفاد منها بعض الفقهاء فى شريعتنا واستأنسوا بها فيما ذهبوا إليه ، وهو يدل على مبلغ ما وصل إليه الفقهاء المسلمون من مرونة وسعة أفق فى فقههم واجتهادهم .

كما اشتمل القرآن على بعض القواعد العامة التى يعول عليها الفقيه فى الاجتهاد فى الأمور التى لم يرد فيها نص كقاعدة « اليسر ورفع الحرج » ، وقاعدة « لا تسكيف إلا بما يطاق » ، وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث وقد شاء الله سبحانه أن يجمىء القرآن الكريم على هذا الوضع الدقيق الفائق ليمكن ذلك سبيلا إلى استنباط ما يسائر العصور والأحوال وبني بأحكام ما يجد للناس من وقائع وأحداث تتجدد بتجدد الأزمان وبذلك تتحقق مصالح الناس ويقوم البرهان على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان .

(١) الأنبياء ٧٨ ، ٧٩ ومعنى نفشت أى رمته

رواه أبو داود، ولما قال رجل لمطرف بن عبد الله لا تحدثونا إلا بالقرآن فقال: « والله ما نريد بالقرآن بدلا ولكننا نريد من هو أعلم بالقرآن منا » وقال الإمام الأوزاعي: « الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب ».

وقد فتح النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه باب النظر والاجتهاد، فيما لم يرد فيه قرآن أو سنة، فقد روى أنه لما ولي معاذ بن جبل قضاء اليمن قال له: « بم تقضى؟ » قال: « بكتاب الله قال: فإن لم تجد قال: أقتضى بسنة رسول الله قال: فإن لم تجد قال: فإنى أجتهد رأيى ولا آلو - أى أقصر - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذى وفق رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله ».

وقد اجتهد بعض الصحابة فى عهد الرسول إلا أن اجتهدهم لا يكون حجة إلا إذا أقرهم عليه وبهذا التقرير اكتسبت أحكامهم الصبغة التشريعية.

بعد عصر الرسول :

وعلى هذا الدرب سار الخلفاء الراشدون فقد كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عرضت عليه قضية نظر فى كتاب الله، فإن لم يجد نظر فيما يحفظ من سنة رسول الله، فإن لم يجد سأل الناس هل فيكم من يحفظ فى هذا

فيه الصواب والحق فن ثم كان ما اجتهد فيه النبي وأقر عليه بمنزلة الموحى إليه فى الصدق وإصابة الصواب.

« مكية السنة » :

وقد أجمع المسلمون على أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ثبتت فهى حجة فى الدين ودليل من أدلة الأحكام بل حجيتها ضرورة دينية كما قال الشوكانى، وقد دل على ذلك القرآن نفسه قال تعالى: « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١)، وقال: « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٢) وقال: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٣)، وغير ذلك كثير. وفى السنة الثابتة عن المقدم بن معد يكرب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ألا وأنى أوتيت الكتاب ومثله معه - يعنى السنة - ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم من حرام فحرّموه، ألا لا يحمل لكم الحمار الأهلى، ولا كل ذى ناب من السباع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ... »

(١) الحشر ٧.

(٢) النساء ٨٠.

(٣) النساء ٦٥.

وفي الحقيقة الآخرون يرجعون إلى الأولين ؛ لأن الإجماع لا بد له من دليل وإن لم نطلع عليه ، وهو إما قرآن أو سنة ، والقياس لا بد فيه من مقيس عليه وهو إما قرآن أو سنة فعند التحقيق يكون مرجع الشريعة الإسلامية إلى القرآن والسنة وقد جاء وافين بجميع ما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم على نحو ما أسلفنا .

أما مصدر القوانين الوضعية فسواء أكانت وضعت مستقلة أو أخذت من غيرها كعظم القوانين الأوروبية التي أخذت من القانون الروماني فرجعها إلى عقول البشر وتفكيرهم وهذا أمر من المسلمات إذ لم يزعم أحد أن هذه القوانين ترجع إلى أصل سواي . ويرتب على هذا الفرق الأصيل في المصدر بالنسبة إلى الشريعة الإسلامية النتائج الآتية : (١) القداسة (٢) المواءمة للفظر والطبائع (٣) الموافقة للصواب والحق وعدم احتمال الخطأ والغلط واتباع الأهواء وقد طال الحديث اليوم فلنرجى الحديث عنها إلى المقالات الآتية إن شاء الله تعالى ؟

للحديث بقية ،

محمد محمد أبو شهبة

الاستاذ بكية أصول الدين

الأمم سنة ؟ فإن لم يجد جمع رموس الناس وخيارهم واستشارهم فيجتهدون ، وكذلك كان عمر رضى الله تعالى عنه إذا لم يجد في المسألة كتابا ولا سنة ولا قضاء لأبى بكر جمع وجوه المسلمين واستشارهم ، وقد يجمعون على الأمر وقد يختلفون ، فإذا أجمعوا كان الحكم المجمع عليه قاطعا في النزاع المعروف عليهم ؛ لأنهم لا يجمعون على ضلالة ، وهذا هو أساس الإجماع الذى عد مصدرا ثالثا من مصادر التشريع فى الإسلام وإذا اختلفوا فلاختلاف الأدلة ، وتفاوت وجوه النظر والاستدلال ، وكل يجتهد منهم يظن ظنا راجحا أن ما وصل إليه هو حكم الله فيه ، وحين اختلفهم لا يكون رأيهم ملزما للخليفة فله أن يختار ما تطمئن إليه نفسه ويراه أصح ، كما أنه لا يكون قول أحدهم حجة على الآخر ، وفى باب النظر والاجتهاد كانوا يقيسون الأمور بأشباهها ، ويلحقون الفرع بالأصل ، وقد يتجهون إلى تطبيق قواعد الشريعة العامة التي عرفوها من الرسول واستخلصوها من النصوص ، واستوحوها من روح الشرع ، فكان ذلك طريقا من طرق التعرف إلى الحكم ، وهكذا صارت مصادر الشريعة وأداتها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والنظر والقياس .

مفردات قرآنيّة : التجارة في القرآن للأستاذ أحمد الشراصي

— ٤ —

وقال مقاتل : نزلت في عثمان بن مظعون ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أذنت لي فطلقت خولة (زوجته) وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ، ولا أنام بلبيل أبدا ، ولا أفطر بنهار أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من سقى النكاح ولا رهبانية في الإسلام ، إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله ، وخصاء أمتي الصوم ، ولا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ، ومن سقى : أنام وأقوم ، وأفطر وأصوم ، فمن رغب عن سقتي فليس مني » .

فقال عثمان : والله لوددت يا نبي الله ، أي التجارات أحب إلى الله فأتجر فيها . فنزلت الآيات (١) .

والتجارة هنا هي التجارة بين أهل الإيمان وحضرة الله تبارك وتعالى ، وهي التصديق بالجنان ، والإقرار باللسان ، والقيام بالأركان فمن آمن وأقر وعمل صالحا فله الأجر والرجح الوافر واليسار المبين ، ومن أعرض عن العمل الصالح فله الحسرة والخسران .

تحدثنا فيما مضى عن تجارة الإنسان مع الإنسان ، والآن ننقل إلى تجارة الإنسان مع الرحمن تبارك وتعالى ، وفي هذا النوع من التجارة يقول القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وقبح قريب وبشر المؤمنين » (١) .

وقد روى في سبب نزول هذه الآية أن الصحابة رضی الله عليهم أرادوا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه ، فأُنزل الله تعالى سورة الصف ، وفيها الآيات السابقة (٢) .

[١] سورة الصف الآيات ١٠ - ٣ .

[٢] تفهيم ابن كثير ، ج ٤ ص ٣٦١ .

[١] تفسير القرطبي ج ١٨ - ص ٨٧ .

وكأنما ينتهى هنا حساب التجارة الراجعة ،
ولأنه لربح ضخم هائل أن يعطى المؤمن الدنيا
ويأخذ الآخرة ، فالذى يتجر بالدرهم فيكسب
عشرة يغبطه كل من فى السوق ، فكيف بمن
يتجر فى أيام قليلة ، معدودة فى هذه الأرض ،
ومتاع محدود فى هذه الحياة الدنيا ، فيكسب
به خلوداً لا يعلم له نهاية إلا ما شاء الله ، ومتاعاً
غير مقطوع ولا ممنوع ؟ .

لقد تمت المبايعة على هذه الصفقة بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة
رضى الله عنه ، ليلة العقبة .

قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
اشترط لنفسك ولربك ما شئت . فقال صلى
الله عليه وسلم : (أشترط لربى أن تعبدوه
ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسى أن
تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم .
قال : فمالنا إذا فعلنا ذلك ؟ . قال : الجنة .
قالوا . ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل ^(١)) .

وهذه المحاورة السابقة بين الرسول وابن
رواحه كانت سبباً فى نزول قوله تعالى : « إن
الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون
ويقتلون ، وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل
والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ،
فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو

ومن التجارة هنا الجهاد فى سبيل الله وهو
ثلاثة ألوان : جهاد فيما بين العبد ونفسه ،
وهو قهر النفس ، ومنعها من اللذات
والشهوات ، وجهاد فيما بينه وبين الخلق ،
وهو أن يدع الطمع فيهم ، ويشفق عليهم
ويرحمهم ، وجهاد فيما بينه وبين الدنيا ،
وهو أن يتخذ زاداً لمعادته ولللقاء ربه ^(١) .

وثواب هذه التجارة هو غفران الزلات
ودخول الجنات ، والمساكن الطيبة فى جنات
عدن ، أى جنات الإقامة التى لا ظعن فيها ،
والدرجات العالية ، ويزيدهم الله على ذلك
زيادة يحبونها وهى النصر منه إذا قاتلوا
فى سبيله ، ونصروا دينه ، لأنه يتكفل
حينئذ بنصرهم : « إن تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم » ، وهناك فوق هذا فتح
قريب عاجل ، فخير الدنيا موصول لهم بنعيم
الآخرة الذى ينتظرهم ، ولذلك قال : « وبشر
المؤمنين ^(٢) » . يقول صاحب (فى ظلال
القرآن) :

« إنها لأربح تجارة أن يجاهد المؤمن
فى حياته القصيرة — حتى حين يفقد هذه
الحياة كلها — ثم يعوض عنها تلك الجنات .
وهذه المساكن فى نعيم مقيم ، وحقاً ذلك
الفوز العظيم .

[١] انظر تفسير الرازى ج ٨ ص ١٤٧ .

[٢] انظر تفسير ابن كثير ، ج ٤ ص ٣٦١ .

[١] فى ظلال القرآن ، ج ٢٨ ص ٨٧ .

من حصوله ، ويرجون بفعلهم ذلك تجارة ان تكسب ، وان تهلك ، وسيوفهم الله ثواب ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم ، وهو فوق هذا غفور لذنوبهم ، شكور للقليل من أعمالهم ، فكيف بالكثير (١) .

وفي تلاوة الكتاب المذكور في الآية السابقة إشارة إلى ذكر الله عز وجل ، وفي وفي إلتام الصلاة إشارة إلى العبادة البدنية ، وفي الإنفاق إشارة إلى العبادة المالية ، ومعنى ذلك أنهم يجمعون بين العبادات كلها : القولية والبدنية والمالية ، وهم يعملون لوجه الله تعالى ، وما كان لله دام واتصل ، وما كان لغيره زال وانفصل ، والتجارة مع غير الله باثرة مهما كانت ، ولكن تجارة هؤلاء مع ربهم لا تبور .

* * *

ونلاحظ أن الآيات التي تعرضت لذلك تجارة الإنسان مع الرحمن قد ذكرت صفات المتاجرين مع ربهم ، وإذا نظرنا إلى هذه الصفات نجد أنها في بعض الآيات صفات كلية عامة ، كما في آية : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » . وهذه الصفات هي الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله الواسعة المتعددة الجوانب بالأنفس والأموال .

الفوز العظيم : الثابتون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١) .

قال ابن كثير : « يخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم - إذا بذلوها في سبيله - الجنة ، وهذا من فضله وإحسانه ، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له » (٢) . وقال الحسن البصري : « بايعهم والله فأغلى ثمنهم » !

وهناك آية ثالثة تشير إلى تجارة الإنسان مع ربه ، وهي قوله تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور - ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور » (٣) .

والله تبارك وتعالى يخبر في هذه الآية بأن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه القرآن ، ويؤمنون به ، ويعملون بما فيه من إتمام الصلاة والإنفاق بما رزقهم الله تعالى في الأوقات المختلفة : ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، يرجون ثواباً عند الله لا يبد

(١) سورة التوبة آية ١١١ و ١١٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٣٩١ .

(٣) سورة فاطر ، آية ٢٩ ، ٣٠ .

(١) انظر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٥٥٤ .

وتفسير الطبري ح ٢٨ ص ١٢٢ ، طبعة الحلبي .

وانداء هذا الكتاب فأقام الصلاة وأنفق
مما رزقه الله سراً وعلانية .

ومن هنا نفهم أن أساس التجارة مع الله
أمران : الإيمان والجهاد . والإيمان هو
الاعتقاد الصحيح الصادق المطابق للواقع ،
الذى لا يتزلزل ولا يقبلبل ، والجهاد واسع
المدلول فسيح المفهوم ، فليس مقصوراً على
الجهاد فى الميدان ، بل إن المؤمن يجاهد فى
سبيل ربه بفكرته و كلمته ونصيحته ، ونفسه
وماله ، وكل مجهود يقدمه فى أى مجال من
مجالات سبيل الله ، وهى سبيل الحق والعدل
والخير والإصلاح .

ونستطيع أن نعتبر « المبايعة الدينية »
لونا من ألوان التجارة مع الله ؛ لأن المبايعة
فها معنى المتاجرة والمعاقدة ، وفى الحديث
« ألا تباعون على الإسلام » ؟ والمبايعة فى
الحديث — كما يقول ابن الأثير — عبارة
عن المعاقدة عليه والمعاهدة ، كأن كل واحد
منهما باع ما عنده من صاحبه ، وأعطاه
خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره^(١) .

وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى :
« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله »^(٢)
وقوله : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ
يبايعونك تحت الشجرة »^(٣) وقوله : « يا أيها

وفى بعض الآيات نجد هذه الصفات فيها
صبغة التوحيد والتجزئة كآية التوبة : « إن الله
اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن
لهم الجنة . » الخ فقد ذكرت الآية صفات
التوبة والحمد ، والسياسة (الرحلة أو الصوم)
والركوع ، والسجود ، والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، والحفظ لحدود الله .
وكآية فاطر : « إن الذين يتلون كتاب الله
وأقاموا الصلاة » الخ فقد ذكرت التلاوة ،
 وإقام الصلاة والإنفاق سراً وعلانية .

ولو دققنا النظر لوجدنا أن هذه الصفات
الجزئية المحدودة تعود فى الحقيقة والواقع إلى
الأمرين السكليين الأساسيين وهما : الإيمان
بالله والجهاد فى سبيله ، أو بتعبير آخر :
الاعتقاد والعمل ، والإيمان هو حافز
الجهاد . فهو أساس الأسس ، ولذلك بدأت
آية سورة الصف بقوله : « يا أيها الذين آمنوا »
وقالت بعد ذلك : « تؤمنون بالله » وجاء
فى نهاية الآيات : « وبشر المؤمنين » .

وفى آية التوبة جاء فى صدرها : « إن الله
اشتري من المؤمنين » فذكرت صفة الإيمان
وفى النهاية جاء قوله تعالى « وبشر المؤمنين » .
وحتى آية سورة فاطر فيها معنى الابتداء
بالإيمان ، لأن الذى يتلو كتاب الله تلاوة
المتفجع به إنما هو المؤمن الذى آمن بالله
وكتابه ، ولذلك استجاب لمقتضى هذا الإيمان

(١) النهاية لابن الأثير ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) سورة الفتح آية ١٠ .

(٣) سورة الفتح آية ١٨ .

من طاعة الله وطاعة رسوله ، ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بأمره ، أى بعقوبة عاجلة أو آجلة .
والمقصود منه الوعيد ، ثم قال الله تعالى :
« والله لا يهدي القوم الفاسقين ، أى الخارجين عن طاعته إلى معصيته ، وهذا أيضاً تهديد (١) » .

وفي تفسير المنار أن (حب التجارة التي يخشى كسادها يراد به والله أعلم — عروض التجارة التي يخشى كسادها في حالة الحرب ، وقد كان بعض المسلمين من أهل مكة تجاراً كما ورد ، وكان لدى بعضهم شئ من عروض التجارة يخشى كسادها في أوقات الحرب ، لأن أكثر مستهلكيها كانوا من المشركين ، وكانت أسواقها تنصب في أيام موسم الحج ، وقد منع منه المشركون بمقتضى الآيات السابقة واللاحقة من هذه السورة) يعنى سورة التوبة (٢) .

وروى أن الآية نزلت بعد الأمر بالهجرة ، إذ قال العباس : أنا أسقى الحاج ، وقال طلحة ابن عبد الدار : أنا صاحب السكبة فلا نهاجر فأنزل الله الآية (٣) .

* * *

النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ، (١) .

والقرآن الكريم يحذرنا من تفضيل تجارة الدنيا على التجارة مع الله تعالى ، فيقول :
« قل إن كان آبؤكم وأبنؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترمتموها (أصبتموها) وتجارة تخشون كسادها ومسكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره (٢) » والله لا يهدي القوم الفاسقين ، (٣) .
جاء في تفسير الرازي أن جماعة قالت : كيف يمكن البراءة منهم بالكلية ، وإن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا وهلاك أموالنا وخراب ديارنا ، وإبقاءنا ضائعين ، فبين تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليماً ، وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى

(١) سورة للمتجنه ، آية ١٢ .

(٢) روى أن المراد بالأمر هنا فجع مكة .
انظر تفسير ابن جرير ج ١ ص ٩٩ طبعة الحلبي .
وروى غير ذلك .

(٣) سورة التوبة ، آية ٢٤ .

(١) تفسير الرازي ، ج ٤ ص ٤١٢ .

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) تفسير الطبري ، ج ١٠ ص ٩٨ .

الله اتقى فطر الناس عليها ، فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة .

وقد تعود التسأل فتقول : فما معنى قوله :

« فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، ؟

ويعود الزمخشري إلى الإجابة : « معناه

أن الذى يطلبه التجار فى متصرفاتهم شيئان :

سلامة رأس المال والربح ، وهؤلاء قد

أضاعوا الطلبين معا ؛ لأن رأس مالهم كان

هو الهدى ، فلم يبق لهم مع الضلالة ، وحين

لم يبق فى أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة

الربح ، ولم يظفروا بما ظفروا به من

الأغراض الدنيوية ؛ لأن الضال خاسر دامر ،

ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس مال قد

ربح ، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما

يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه

ويخسر » (١) .

وقد جاءت إشارات إلى التجارة مع

الشیطان فى الآيات التالية : يقول الله تعالى :

« ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا » ، ويقول :

« أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ،

ويقول : « ثم يقولون هذا من عند الله

ليشتروا به ثمنا قليلا » ، إلى غير ذلك

من الآيات .

ومن الآيات التى تعرض لنا صورة من

من صور التجارة مع الشيطان قوله تعالى

أما الذرور الثالث والأخير من أنواع

التجارة التى تحدث عنها القرآن ، فهى تجارة

الإنسان مع الشيطان ، وبثست التجارة ؛

لأنها تجارة النفاق والضلال والإضلال ،

ومحاربة الحق والعدل باللهو والباطل .

وفى هذه التجارة يقول القرآن عن المنافقين :

« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ،

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ،

وذلك بعد قوله عنهم : « وإذا خلوا إلى

شياطينهم قالوا إنا معكم » .

والمعنى أنهم أخذوا الضلالة وتركوا

الهدى ، كما قال ابن مسعود ، أو أخذوا

الكفر وتركوا الإيمان كما قال ابن عباس ،

أو آمنوا ثم كفروا كما قال مجاهد ، ويقول

قتادة : « قد والله رأيتهم خرجوا من

الهدى إلى الضلالة ، ومن الجماعة إلى الفرقة .

ومن الأمن إلى الخوف ، ومن السنة

إلى البدعة ، (١) .

وقد تسأل فتقول : كيف اشتروا الضلالة

بالهدى ، وما كانوا على هدى ؟ . ويحيبك

الزمخشري على سؤالك هذا بقوله :

« جعلوا لتمكنهم من الإيمان كأنه فى

أيديهم ، فإذا تركوه إلى الضلالة ، فقد عطوه

واستبدلوها به ، ولأن الدين القيم هو فطرة

الذى هو بالثمن ، لأن ذلك هو أظهر معنييه « (١) .

والمعنى الثانى هو أن المراد بالمشتري هنا من يختار لهو الحديث ويستجبه ، قال قتادة : « والله لعله لا ينفق فيه مالا ، ولكن اشتراه استجابه ؛ بحسب امرئ من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع » .

نسأل الله أن يجعلنا صادقين في التجارة مع الرحمن ، موفقين في التجارة من أجل الحياة ، بعيدين عن التجارة مع الشيطان ، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعا إلى سواء السبيل ؟ « تم البحث »

أحمد الشرباصى

في سورة لقمان : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أو لئك لهم عذاب مهين ، وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم » .

قيل إن المراد بالشراء هنا الشراء المعروف بالثمن ، وتكون الآية قد نزلت فيمن اشترى بالفعل شيئا من لهو الحديث وباطله ليصرف به الناس عن كتاب الله وذكره ، وقد اختار الإمام الطبرى هذا قال : وأولى التأويلين عندى بالصواب تأويل من قال : معناه الشراء

من أمثال أكرم بن صيفى ، وبزرجمهر الفارسى

الغريب من لم يكن له حبيب . القريب من قرب نفعه . الأخ مرآة أخيه . إذا عز أخوك فهن . كما تدين تدان . من مأمنه يؤتى الحذر . خير الغنى غنى النفس . لكل مقام مقال . عند الصباح يحمد القوم السرى . الصدق منجاة والكذب مهواة . خير العلم ما نفع . الصحة داعية السقم . الشباب داعية الهرم . الدال على الخير كفاعله . أنفق منك وإن كان أجدع .

أبو هلال العسكري [١]

للأستاذ علي محمد حسن العامري

وانتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء
للآداب والتدريس بقطر خوزستان، ورحل
الأجلاء إليه للأخذ عنه والقراءة عليه،
وهذا ما نقله ياقوت من كتاب أبي طاهر
السلفي الذي أرشد إليه حين لقي الحافظ
تقي الدين الذي تقدم ذكره - ولكن يظهر
أن طول العهد بين القرن الرابع الذي عاش
فيه العسكريان، وبين القرن السابع الذي
تحدث فيه ياقوت هذا الحديث، مع بعد
الديار، عفي على ذكر العسكريين.

وقد كان أبو أحمد أبي النفس، لا يجب
الاتصال بالولاية والوزراء، ولذلك ثقل
حين طلب إليه الصاحب بن عباد أن يلقاه،
وكان هذا الأخير شديد الرغبة في لقاء
أبي أحمد حتى احتال على مؤيد الدولة بن بويه
وأوهمه أن عسكري مكرم قد اختلت أحوالها
وفي حاجة إلى أن يكشفها الصاحب بنفسه،
فأذن له في ذلك، فلما قرب من عسكري مكرم
كتب إلى أبي أحمد كتابا يتضمن علو نظما
ونثرا، ومما جاء في هذا الكتاب:

ولما أبيت أن تزوروا وقلتم
ضعفنا فما نقوى على الوخدة أن

أتيناكم من بعد أرض نزورك
وكم منزل بكر لنا وعوان

هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري
نسبة إلى عسكري مكرم، وهي بلدة بالأهواز
نسبت إلى مكرم الباهلي، وهو الذي اختطها.
وهو تلميذ أبي أحمد العسكري، ويقال
إن أبا أحمد خال أبي هلال، وقد اتفقا في
الاسم واسم الأب، لكن إذا قيل الحسن
ابن عبد الله العسكري الأديب فهو أبو هلال.
ويسدو أن شهرة هذين العالمين لم تظهر
في الآفاق إلا بعد القرن السادس، لأن ياقوت
الحموي صاحب معجم الأدباء يقول، وطال
تطوافي، وكثر تسالي عن العسكريين
أبي أحمد وأبي هلال فلم ألق من يخبرني عنهما
بجلية خبر، حتى وردت دمشق في سنة
اثنى عشرة وستمائة في جمادى الآخرة
ففاوضت الحافظ تقي الدين .. إلخ

مع أن أبا أحمد كان عالما جليلا وكان من
الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع الفنون
والتبحر في فنون الفهوم، ومن المشهورين
بجودة التأليف، وحسن التصنيف، ومن
كتبه كتاب (صناعة الشعر) يقول ياقوت
إنه رآه، ثم يقول ياقوت إنه بقي حتى علا به:
السنن واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان،

(١) من كتابنا (تاريخ البلاغة العربية)

الذي يصدر قريبا

ولكل شاعر جيد وردىء ، ولكنه سلك
خطة واحدة هي النص على السخيف من شعر
المتنبي مع التعامى عن معانيه الجيدة ، وخياله
الوثاب فانضم بذلك إلى النقاد المغرضين الذين
كلفوا بالبحث عن عيوب المتنبي ابتغاء
مرضاة الوزير ابن عباد ، وما أحط الأدب
إذا سخر لأهل الملك والسلطان .

هذا ما يقوله الدكتور زكى مبارك في
ص ٩٩ - ٢ من النثر الفني ، مع أنه قال في
ص ٩٦ من هذا الجزء أى قبل ذلك بصفتين
ما نصه : كان أبو هلال أبن النفس ، قوى
القلب ، يرفع عن الدنيا ، وينأى بنفسه
عما يرتطم فيه أدعياء الأدب من كسب العيش
عن طريق التزلف إلى الأمراء والرؤساء ،
وقد رأينا أن أستاذه وخاله أبا أحمد العسكري
كان قدوة له في ذلك ، إذ كان صاحب
يستدعيه إلى حضرته فيعتذر بالضعف
والشيخوخة فراراً من أن يحشر في زمرة
الأتباع وطلاب المغانم وأرباب الغايات .

والذى يبدو للتأمل أن أبا هلال كان
يعيب المتنبي لعقيدة في نفسه لا لحاملة
الصاحب ، وذلك أن رأيه في الشعر الجيد
يدلنا على رأيه في شعر المتنبي ، فهو يرى
أن : أجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً ،
لا يذوق معناه ، ولا يستهيم مغزاه ، ولا
يكون مكدوداً مستكرهاً ، ومتوعراً متقعراً ،
ويكون بريئاً من الغثاثة ، عارياً من الرثاثة .

نسائلكم هل من قرى لنزيلكم
بملء جفون لا بملء جفان
فرد عليه أبو أحمد معتذراً ، ثم بدا له
فذهب إليه وقابله بعسكر مكرم فقربه
الصاحب وعرف له حقه ، ولما مات رثاه
بشعر ذكر فيه أنه لم يمت شيخ من الشيوخ
وإنما فقدت (فنون الأدب) .

وإذا تذكرنا سيرة الصاحب ، وكبرياه ،
عرفنا أى مكانة كانت لأبي أحمد ، وإنما
قدمنا بذكر أبي أحمد لنقول إن أبا هلال
أخذ عنه علمه وخلقه ، وإن كان ضلوع مع
الصاحب بن عباد . ولذلك - كما لاحظ الدكتور
زكى مبارك - مظهران :

الأول : إشارات بأدب الصاحب ، والثاني
تحامله على المتنبي ، وكان ابن عباد يكره
المتنبي كرها شديداً لرفعه عن مدحه ، فكان
لذلك يدفع النقاد إلى النيل منه والوقوع فيه
والغض من شعره .

أما إشارات بأدب الصاحب فتظهر في
استشهاده بكلامه ، وامتداحه لهذا الكلام ،
فيصف معناه بأنه بديع ، ولفظه بأنه شريف .
وأما تحامله على المتنبي فيظهر في مواطن كثيرة
من كتابه ، فهو لا يذكره باسمه ولا يتحدث
عن شعره إلا حين يريد التمثيل للشعر القبيح .
وتحامل أبي هلال على المتنبي هو المطعن
الظاهر في أخلاقه ، فقد كان يستطيع أن
ينقد شعر المتنبي فيظهر الجيد منه والردىء ،

الإغداق على من يصطفيهم من العلماء ، وقد كان أبو هلال جديراً لعلمه وأدبه بكل تكريمة ، ولكنه يقول كما روى ياقوت : جلوسى فى سوق أبيع وأشتري دليل على أن الأناام قرود ولا خير فى قوم تذل كرامهم ويعظم فيهم نذلهم ويسود ويهجوهم عنى رثالة كسوتى هباء قبيحاً ما عليه مزيد ويقول أيضاً :

إذا كان مالى مالى من يلقط العجم
وحالى فيكم حال من حاك أو حجم
فأين اتقاعى بالأصالة والحجى
وما رجحت كفى من العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس يبصر حاتى

فلا يلعن القرطاس والخبر والقلم
وأعتقد أن هذا ليس كلام من يتصل
بالصاحب ، ويتنكر من أجله لرأيه وعلمه ،
ويظال يطعن على المتنبي دون أن ينال من
الصاحب شيئاً يكون كفاء لذلك الانحراف .
وقد اختلف الرأى فى ذوق أبى هلال ،
فالدكتور محمد مندور فى كتابه (النقد
المنهجى) يرى أن ذوق أبى هلال كان فاسداً
ويستشهد على ذلك ببعض رسائله ، فى حين يرى
الدكتور زكى مبارك أن نثر أبى هلال يعد
من الطبقة العالية ، والتعبير المشرق الفصيح من
أظهر ميزات ، ويستشهد - أيضاً - ببعض كلامه .

ولا خير فى المعانى إذا استكرهت قهرا ،
والألفاظ إذا اجترت قهرا ، ولا خير فيما
أجيد لفظه إذا سخف معناه ، ولا فى غرابة
المعنى إلا إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى
وظهور المقصد .

وقد غلب الجهل على قوم فصاروا
يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه
إلا بكد ، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه
كزة غليظة وجاسية غريبة ، ويستحقرون
الكلام إذا رأوه سلسا عذبا ، وسهلا حلوا ،
ولم يعلموا أن السهل أمتع جانبا ، وأعز مطلباً ،
وهو أحسن موقعا ، وأعذب مستمعا ،
ولهذا قيل : أجود الكلام السهل الممتنع .
هذا رأى أبى هلال ، ووضح أننا لو
وضعنا شعر المتنبي فى هذا الميزان لثالت
كفته ، فهذا سر تحامل العسكرى على المتنبي ،
ولأنما سميته تحاملاً لأنه أسرف فى الطعن
عليه ، ولم أسمه تحاملاً بجارة لزكى مبارك ،
فما أرى فى ذلك الموضع رأيه .

أما إعجابه بأدب صاحب ، فلأنهما على
مذهب واحد ، وذلك أن نثر أبى هلال
يجرى على نفس الطريقة التى يكتب بها صاحب .
ولعل أقوى دليل على أن أبا هلال كان
أبى النفس ، وأنه لم يحامل صاحب ، أن
حاله ظلت سيئة ، كما تحدثنا فى بعض شعره
ولو كان اتصل بالصاحب لحسنت حاله ،
وتأمل مالا ، إذ كان رجلاً معطاء ، كثير

غماماته الممتلئة بالماء تروى العطاش ، وأنه لا يذسى فيه تلبد الغيوم فى السماء ثم نضارة الصحو التى تعقب ذلك المنظر ، ولا الريح الجنوبية التى تبشر الأرض بالقطر ، كما يبشر العليل بالشفاء . ولا الغيوم المطرزات الحواشى بوميض البروق ، وكلما هطلت أعطتكم ماء بارداً وجوا رقيقا ، ثم يصور هذه الصورة البديعة :

وترى الأرض فى ملأه ثلج

مثل ريط لبسته فوق فرو

كما يفرح بالشتاء لأن لياليه طويلة تتمكنه من الدرس المتأتى ، واللهو الكثير :

وليل أظن مدة درسى

مثلاً قد مددن فى عمر لوى

مر لى بعضها بفقته وبعض

بين شعر أخذت فيه ونحو

فلا يمكن أن يوصف شعر أبى هلال بأنه جيد ، وإن كان هو يضعه فى طبقة أشعار المفلقين ، فكل إنسان معجب بعمله ، ويظهر ذلك الإعجاب بالنفس فى ثنايا كتاب الصنائع فى فترى أبى هلال يقول - مثلاً - : ذكرت فى هذا الباب - وهو ثلاثة فصول - من نعوت البلاغة ، ووجوه البيان والفصاحة ما فيه كفاية ، وأتيت من تفسير مشكلها على ما فيه مقتنع ولم يسبقنى إلى تفسير هذه الأبواب وشرح وجوها أحد ، وإنما اقتصر من كان قبلى على ذكر تلك النعوت

وقد طلت النظر فى هذه المسألة ، فتبين لى أن أبى هلال يجيد القول حين يترك نفسه على سجيته ، ويترك التكلف والتصنع وذلك يظهر فى تدوينه لآرائه العلمية والأدبية ، أما حين يكتب رسالة فإنه يلجأ إلى المحسنات البديعية ، ويجرى على طريقة ابن العميد فى التكلف والتصنع فيجىء نثره غثا بارداً .

وأما حين ينقد فإنه - عندى - صاحب ذوق دقيق ، وحس مرهف .

وقد أخطأ الدكتور زكى مبارك حين عد شعر أبى هلال من الشعر الجيد ، وقد تقدم لنا مثالان منه ، وهما لا يدلان على طبع فى الشعر ، ولا على خولة فى الصياغة .

وله فى الشتاء قصيدة لا بأس بها لولا أن قافيتها فاترة والفاتر شر من البارد كما يقول أبو هلال نفسه - ابتدأ القصيدة بقوله :

فرت صبوتى وأقصر شجوى

وأأتانى السرور من كل نحو
إن روح الشتاء خلص روحى

من حرور تشوى الوجوه وتسكوى
برد الماء والهواء كأن قد

سرق البرد من جوانح خلوا
وهذا التشبيه جيد ؛ لأنه جعل الرجل الذى يخلو قلبه من الحب ولا تلفحه حرارة الهوى أبرد من الشتاء .

ثم يرمى فى تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة فيقول إن ريحه الباردة تشفى الصدور وإن

قلت : هي يتبرز ، ولكن ليس معناها كما فهم هذا المعلق ، وإنما معناها أنه كان يتجر في الثياب ؛ لئلا يضطر للسؤال أو للارتداء في أحضان أحد من ذوى الجاه واليسار فيوصف بالطمع والدناءة والتبذل . وكيف يتفق فهم هذا القائل مع قول أبي هلال : (ويهجوهم عن رثاءة هيئتي) ؟ وقد ترك أبو هلال من السكتب غير

الصناعتين : ديوان المعاني . جمهرة الأمثال التبصرة . قال ياقوت : وهو كتاب مفيد ، كتاب شرح الحماسة ، كتاب الدرهم والدينار ، كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب العمدة ، كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصة ، كتاب أعلام المعاني في معاني الشعر ، كتاب الأوائل ، كتاب ديوان شعر ، كتاب الفرق بين المعاني كتاب نواذر الواحد والجمع ، رسالة في العزلة والاستئناس بالوحدة ، كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة ، كتاب التلخيص . أما وفاته فالمشهور أنه توفي سنة ٣٩٥ هـ ولكن الحموي يقول : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء غير أنني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إمسلاء هذا السكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .

كتاب الصناعتين :

السكتاب كما يؤخذ من عنوانه كان الغرض

عارية بما هي مفتقرة إليه من إيضاح غامضها وإزالة مظلها (١) .

ويقول : « ولا أعلم أحداً من صنف في سرق الشعر فثقل بين قول المبتدئ وقول التالى وبين فضل الأول على الآخر ، والآخر على الأول غيرى ، وإنما كانت العلماء قبلى يذهبون على مواضع السرق فقط نقس بما أوردته على ما تركته (٢) » .

وهذا حق ، فإننا لا نعلم أحداً قبله أطال في شرح السرقات الشعرية إطالته ، وإنما ذكرنا هذا لندل على أن أبا هلال كان يفخر بعمله ، ولم يرد أن يخس نفسه ، فحين يضع شعره مع شعر الفحول من أمثال أبي تمام والبحرئى لا يكون ذلك دليلاً على أنه من الشعراء المحمدين .

وكان أبو هلال يتجر في الثياب ، وقد وردت في معجم الأدباء عبارة : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردى - رحمه الله - بهمان عنه ، فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه معا ، وقال : كان يبرز احترازا من الطمع والدناءة والتبذل .

وقد تال المعلق على (يبرز) لعله (يتبرز) من البر وهو الثياب يعنى أنه يتجمل ويظهر للناس ذابزة حسنة ولبسة تدفع عنه التبذل ، فلا يزال الناس في كل عصر يكرمون الرجل ويجلون له لحسن بزته وهيئته وجمال شارته ولبسته .

(١) الصناعتين ص ٥٤ ط . الحموي

(٢) ص ٢٣٧ .

ضالة بين الأمثلة ، ومن هنا قال أحد النقاد المحدثين إن كتاب الصناعتين هو نقطة تحول النقد إلى بلاغة (١) ولعل هذا القول فيه كثير من الصواب ، وفيه بعض الحيد عن الجادة ، وذلك أن هناك عالمين آخرين سبقا أبا هلال إلى هذه المحاولة هما عبد الله بن المعتز وقدامة بن جعفر وقد علت عملهما في البلاغة ويمكنك أن تدرك أنهما جريا شوطا غير قصير في هذا الشأن .

وقد زاد في البديع على ما أورده المتقدمون ستة أنواع وهي : التشطير والمحاوراة والتطريز والمضاعف والاستشهاد والتلطف .

وجعل الاستعارة ، والكناية والتعريض من أنواع البديع - كما فعل من سبقوه - في حين أخرج السجع منه . أما التشبيه فإنه أخرجه من البديع .

وذكر المطابقة فعرّفها ومثل لها بما يدخل فيها النوع الذي سماه المتأخرون المقابلة أما هذه عنده فهي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة ، فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل ، مثله قول الله تعالى : « قتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم ، ونحو قوله تعالى : « ومكروا مكرا ومكرنا

منه تعليم الكتاب صناعتى الشر والنظم وهو يقول في ختامه : « على أن هذا الكتاب جمع من فنون ما يحتاج إليه صناع الكلام ما لم يجمعه كتاب أعليه » .

وقد بدأه بالحديث عن فنون القول فذكر البلاغة والفصاحة وفرق بينهما وسرد بعض أقوال العرب والفرس ثم تسكلم عن التشبيه والاستعارة ، والإيجاز والإطناب ، وذكر من البديع خمسة وثلاثين نوعا .

ويبدو أنه قرأ ما كتب العلماء قبله في البلاغة والنقد ، وأنه استفاد من كل ما كتب غير أنه يذكر في نهاية الكتاب أن كل شيء استعاره من كتاب ووضع في كتابه لم يخله من زيادة تبيين ، واختصار ألفاظ وغير ذلك مما يزيد في قيمته ويرفع من قدره .

ولعل أشهر الكتب التي طالعها واعتمد عليها كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ فقد ذكره في المقدمة وقال : إنه كتاب كثير الفوائد جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة والخطب الرائعة والأخبار البارعة . لكن عابه بأن الإبانة عن حدود البلاغة ، وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير .

فتصميم أبي هلال - كما يفهم من كلامه هذا - كان على أن ينظّم المسائل البلاغية ولا يجعلها

(١) هو الدكتور محمد مندور في كتابه النقد المنهجي عند العرب ص ٣٢٤ .

له أيطلا ظي ، وساقا نعامه
ولإرخاء سرحان وتقريب تتفل
وبقول المرقش الأكبر :
النشر مسك والوجوه دنانير

وأطراف الأكف عنم
ويجعل منه التشبيه الذى يكون المشبه به
فيه مصدراً مبيناً للنوع كقول امرئ القيس :
سموت لما بعد ما نام أهلها
سمو حباب الماء حالا على حال
غير أن أكثر أمثلة التشبيه التى ذكرها
وهى كثيرة مذكورة الأداة .

كما أدخل فى التشبيه بعض أمثلة الاستعارة
ومن ذلك .

وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد
قال : فشبه خمسة أشياء بخمسة أشياء فى
بيت واحد ، الدمع باللؤلؤ والعين بالنرجس
والحد بالورد والأنامل بالعناب لما فيهن
من الخضاب ، والشعر بالبرد . ثم قال :
ولا أعرف لهذا البيت ثانيا .

وبيت امرئ القيس (أيطلا ظي) من
باب الاستعارة ، لا التشبيه ونستنتج من كل
ذلك أن هذه الأنواع لم تكن واضحة كل
الوضوح فى ذهن أبى هلال .

ومما لا شك فيه أن العسكري استفاد
من كل ما كتب قبله وأتيح له أن يطلع عليه
فالكاتب التى ذكرها فى كتابه ، أو ذكر
أصحابها لها أثر ظاهر فى الكتاب لا شك

مكرا ، فالمكر من الله تعالى العذاب جعله الله
عز وجل مقابلة لمكرهم بأفبيائه وأهل
طاعته . . . وهكذا . فهى غير المقابلة
المعروفة فى كتب المتأخرين .

وهو يذكر اللون من ألوان الكلام ،
ويعرفه ، ثم يذكر الغرض منه ، ويجئ
بعد ذلك بأمثلة يبين فى بعضها وجه روعة
هذا اللون ، فمثلاً بدأ باب الاستعارة بقوله :
الاستعارة : نقل العبارة عن موضع استعمالها
فى أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك
الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل
الإبانة عنه أو تأكيد والمبالغة فيه ،
أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين
المعرض الذى يبرز فيه ، وهذه الأوصاف
موجودة فى الاستعارة المصيبة ، ولولا أن
الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه
الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى
منها استعمالاً .

ثم يذكر بعد ذلك فضل الاستعارة فى بعض
روائع الكلام . وقد يند عن الرسم الذى
رسمه ، فهو يذكر فى باب الاستعارة التشبيه
المحذوف الأداة من مثل قوله تعالى :
«وأفئدتهم هواء» ، وقول سيدنا على : السفر
ميزان القوم ، وقول معاوية : العيال أرضة
المال . فى حين أنه ذكر فى باب التشبيه أن
الأداة قد تحذف ، ومثل لذلك بقول
امرئ القيس .

في إفاذته منها ومن ذلك - بعد كتب الجاحظ - كتاب (النكت) للرماني فإنه (يعتبر أحد الروافد الهامة التي مدت كتاب الصناعتين فلا يكاد يخلو باب من أبواب كتاب الرماني إلا له أثر في الصناعتين) (١) وكتاب

(مشكل القرآن) لابن قتيبة فقد نقل عنه في كتابه ، وكتاب (البديع) لابن المعتر وكتاب (نقد الشعر) لقدامة . غير أن العسكري لم ينص على ما أخذه من هذه الكتب ، ويبدو أن هذه طريقة القدماء ، فإن الشيخ عبد القاهر — مثلاً — يشير إلى اعتراضات كثيرة ويجب عنها ولا يذكر أصحابها ، والسكاكي يقول : إن القسم الثالث من كتابه المفتاح هو ما أمكن تلخيصه من كلام السلف ، ولا يكاد يذكر إلا النزر اليسير من هؤلاء السلف .

وقد اتفق الذين ترجموا لأبي هلال على أنه كثير الحفظ ، وقد ظهر أثر ذلك في كتابه فإنه يذكر النوع البلاغي ثم يغرقه بفيض من الأمثلة من القرآن ومن الحديث ، ومن نثر العرب وشعرهم .

ثم يأتي عقب كل باب فيذكر الرديء من هذا النوع ، ويبين موضع الرداء فيه . وله نظرات صائبة في النقد الأدبي ، وقد تذب أبو هلال إلى أثر البيئة في تقارب الأفكار ، فقد ذكر أن عمر بن أبي ربيعة أنشد ابن عباس رضي الله عنه :

تشط غدا جار جيراننا

فقال ابن عباس :

ولدار بعد غد أبعد

فقال عمر : والله ما قلت إلا كذلك ثم قال أبو هلال : وإذا كان القوم في قبيلة واحدة وفي أرض واحدة فإن خواطرهم تقع متقاربة ، كما أن أخلاقهم وشمائلهم تكون متضاربة .

ومع إفادة العسكري من سبقه من العلماء اعتبر ما كتبوه في البلاغة غير ذي بال ؛ وذلك حيث يقول في مقدمة الصناعتين بعد أن نبه على خطأ كثير من علماء العربية في الاختيار ورمى بعض ما استحسوه بأنه كلام فج غليظ ووخم ثقيل ، وبعض آخر بدناءة اللفظ وخساسته ، وخلووة المعرض وقباحته ، قال بعد ذلك : « فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام

(١) أثر القرآن في تطور النقد العربي للأستاذ

علمٌ من أعلام الأدب العربي : أبو بكر الخوارزمي للأستاذ عباس طه

نسأله وسيرته :

الأفلاك بل من التراب إلى السحاب بل من
مقر الرغام إلى مجرى الغمام وليسوا على قدم
المساواة لأبي بكر الخوارزمي .

ومن العجب أن يكتب الكاتبون
من إخواننا رسائل متفرقة في أدباء هم أقل
من أبي بكر شأناً ، ويهملوا أبا بكر الخوارزمي
فلا يكتب عنه كاتب من المحدثين ، أو يفتحوا
له صفحات من المجد أحرزه طيلة حياته ،
وقد أغفله حساده ومناجزوه ؛ ليظل في التاريخ
مجهولاً وفي عالم الأدب مغموراً .

كان صاحب الترجمة معروفا بقوة الحفظ
في النثر والقريض ، يقص علينا الأدب
العربي أنه قصد ذات يوم صاحب بن عباد
بأرجان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابيه :
أبلغ صاحب أن بالبواب أحد الأدباء وهو
يستأذن في الدخول عليك فدخل الحاجب
فأعلمه . فقال صاحب قل له : قد ألزمت
نفسى ألا يدخل علي من الأدباء إلا من
يستظهر عشرين ألف بيت من شعر العرب .
نفرج إليه الحاجب فأعلمه . فقال له أبو بكر :
ارجع إليه وقل له هذا القدر من شعر الرجال

هو الأستاذ الكبير والعلامة الخطير قبس
الحق وظهيره ، وظهير الأدب وظهره ،
ومن علق ذكره بمناط الجوزاء وحف اسمه
بأبواب السماء أبو بكر محمد بن العباس
الخوارزمي الشاعر الذي لا يحاول ولا يطاول
والناثر الذي لا يبارى ولا يجارى ، يلقب
أيضاً بالطبرخزمي ؛ لأن أباه من خوارزم
وأمه من طبرستان وهو ابن أخت العلامة
الثبت الثقة أبو جعفر بن جرير الطبري إمام
المبرزين في علوم القرآن والتاريخ .

ولد أبو بكر الخوارزمي سنة ٣١٦ هـ
بخوارزم ، فلما اشتد ساعده نزح إلى الشام
وأقام في حلب فترة طويلة من الزمن ثم طفق
يجوب الأقطار ويقترح الأمصار ويطوف
الديار من الشام إلى أقصى خراسان .

كان أبو بكر الخوارزمي رجلاً مبرزاً
في حلبات الأدب العربي ، إن شئت فقل إنه
من ذواتها .

كتب الكتاب ونشروا في قوم أشادوا
بهم ورفعوهم من مسابح الأسماء إلى مدار

ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ويتكلم بكل نادرة، ويأتى بكل فقرة ودرة، ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته، وملاحة عبارته ونعومة نعمته وبراعة جسده وحلاوة هزله « انتهى » .

ظاهر من كل ذلك أن أبا بكر الخوارزمي قد بلغ رتبة شباب الزمان ومجدها فتي، وأخلق العالم وذكرها طرى، إن حاضر أرهف الآذان واقتحم القلوب بلا استئذان، ألفاظ كغمزات اللحاظ ومعان كأنها فك عان، وعبارات كأنها في عيون السكواعب عبرات، وفقرات تستنزل البلاغة من سمائها، والمعاني من صياصياها، قد تحفرت للوثاب ثم انقضت للاختلاب، غلبت العقول عن هواها، ووقفت بالنفوس الجائعة دون مرماها، تسابق النظر إلى مواطن العلم فلا يكاد يلحظها الوهم إلا وهى من النفس في مكان الإلهام .

يزدهى المنبر عجبا حين يرقاه خطيبا
أترى ضم خطيبا أم ترى ضمخ طيبا
ولا والله ما اليوث الضواري أزعجها
الطوى من آجامها، وأثارها على الفريسة ضنى
أشبهاها بأسرع عدوا ولا بأعنف ضراوة
وقتكما من قلم هذا الرجل إذا خشى على الأدب
أن تستباح حرماته أو أشفق من زائف
القول أن تعشو الأبصار ظلماته .

أم من شعر النساء . فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال . فقال الصاحب : هذا لا يكون إلا أبا بكر الخوارزمي، فأذن له في الدخول، فدخل عليه وانفرجت له أسارير وجهه .

كان معروفا بحسن الصياغة وأداء الأمانة فيما يكتب وجزالة العبارة . كانت له مدرسة واسعة الأكناف مترامية الأطراف ، له رواد وله حساد ، وكان في مدرسته يتخير الانجباب من أبناء المياسير ويلقنهم أطرافا من العلم والأدب الرفيع حتى نبه ذكره بين معاصريه وضربت إلى شهرته آباط المطى ، يلبس ذلك كل من يقرأ رسائله إلى الأمراء في عصره ، وإلى أبنائه النوابع في قرنه ، وإلى أصحاب المكانة السامية في جيله، وإلى من يقرأ حكمه وأمشاله التي ارتفعت فوق مستوى أهل عصره وبلغت من السمو مكاناً قصيا .

وأى رجل دارت لمقالاته أفلاك البلاغة ، وهتفت به العوانك في خدورهن ، وسرى ذكره مسرى الهواء العليل أكثر من أنى بكر الخوارزمي ، حتى قال عنه العلامة الكبير وحيددهره، وفريد عصره الأستاذ أبو منصور الثعالبي في كتابه بقيمة الدهر: « أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي باقعة الدهر وبحر الأدب وعلم النثر والنظم وعالم الفضل والظرف كان يجمع بين الفصاحة العجيبة، والبلاغة المفيدة ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها

يحمل بين فكيه لسانا إن سالمته سال عذبا ،
 وإن صارمته سل عضبا ، كالطبيب الحاذق
 يكلم بيد ويأسو بأخرى ، أو كالنحل إن
 رضيت عملت العسل ، وإن غضبت أعملت
 الأسل ، أو كالبحر إن صدم أغرق ، وإن جاد
 بجواهره أغدق ، فأحيانا يقذف لراكب
 متنه درأ وأحيانا يفتح له الموت فيه بين كل
 موجتين قبرا ، أو كالمطر فيه خير وشر وفيه
 نفع وضر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا ،
 وتشرب منه الأفاعي فيعقب سمأ ، إن هطل
 على الوادى الجديب أجاده ، وإن زخ على
 الوادى الخصب أباده

ولى فرس بالحلم للحلم ملجم
 ولى فرس بالجهل للجهل مسرج
 فمن شاء تقويمى فإنى مقوم
 ومن شاء تعويمى فإنى معوج
 وبالجهل لا أرضى ولا هو شيمتى

ولكننى أرضى به حين أخرج
 وكان أبو بكر الخوارزمى يستكثر من
 الأصدقاء حتى وإن انقلبوا له أعداء ، ويفر
 من الحق الجاهل حتى وإن كانوا عليه أسياء
 هاجم المتنبي فى صولته ، وناجزه فى دولته ،
 وانفق أن وجد له حامين لظهره من مكائد
 أبي الطيب فغالبه ثم غلبه ، وكان يسخر من
 تزمت أبي العلاء وانقباضه عن الدنيا فى يأس

لله القلم الأعلى الذى يشابه
 تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
 وكان رجلا عضوباً لكرامته ، معتزاً
 بهمته وإن وضى متح فأروى وإن غضب
 قدح فأورى .

حدث أنه ذهب ذات يوم إلى صاحب بن
 عباد لزيارته فقال له حاجبه : إنه خارج بيته
 الآن فارتأب أبو بكر الخوارزمى فى هذا النبأ
 ثم سلبه بطاقة ليرفعها إلى صاحب وقد
 جاء فيها :

د زائرکم يشکو وقد جاءکم
 غلظة بوابکم الخادم
 أنکرکم عنى على زعمه
 فياله من عجب دائم
 لأننى بين بنى آدم
 منذ خلقوا أشهر من آدم

كان والله السهم المسدد إذا غضب ، وحلاوة
 العسل المصفى إذا رغب ، إن شاء فهو العسل
 حلاوة أو الديباح لينا وطرواة ، وإن شاء
 فهو النمر إستشراء وضراوة ، إن شاء فهو
 الماء نميرا أو الزهر عبيرا وإن شاء فهو
 الحجر سعيرا أو النار توهجا وزفيرا ، إن شاء
 فهو اللبن خالصاً سائغاً يخرج من بين فرث
 ودم ، وإن شاء فهو المر النقيع والعلم ،
 وكذلك كل من يشعر بالكريم من الحياة

الطمع في جحر فأر لدخله ، ولو أتاه الدرهم
من إست كلب لما غسله ، فلا جرم أن الناس
كما استحسنا قوله استهجنوا فعله ، وكما أعجبوا
بشعره تعجبوا من غدره ، يشكر ثم يشكو
ويمنح ثم يهجو ، ويشهد ثم يجرح شهادته ،
ويعطى ثم يسترجع عطيته ، وكم من حرفضه
ثم ثابه ، وكم من عرض كساه ثم سلبه ، وكم
من صفقة أكل منها ثم بصق فيها ! .

ثم أشاد أبو بكر بنفسه ليوازن بينه
وبين المتنبى فقال :

ولكن في قيصر أبي بكر رجل إذا أعطى
لم يرتجع ، وإذا طلق لم يراجع ، وإذا بنى
لم يعد على بناءه بالهدم ، وإذا مدح لم يظأ
على عقب مديحه بالذم ، وإذا طيب فكه
بالمدح اكريم لم يلطخها بمدح اللثم ، وإذا
زوج كرائمه كفؤا حجبهن أن يتبرجن إلا
لديه ويحتلين غير عينيه ، وإنما الغدر من
أخلاق النساء فن تعلق بطرف منه فقد رغب
بنفسه عن كمال النكران وجذبها إلى شق
النسوان » انتهى .

فالإمام الخوارزمي يعتب ثم يعزى ثم
يهنىء ثم يكافئ على ضنائه بالممدح ويلوم
على قبائح غيره بالقدح .

كان له تلميذ من أنجب تلاميذه وأنبههم
ذكرا وقد اتفق أن جمعه مجلس بأحد الأدباء
فجرى بينهما حوار وكان لهذا الأديب في
(البقية على صفحة ٣٤٤)

وقنوط ، ونظره إليها في جانبها المعتم ، وإعراضه
عنها في جانبها المشرق المضئ . وكان يتجههم
للشريف الرضى هجاء يوم ذهب إلى الوالى فى
عصره ، وكان يملك ضيعة صغيرة فطلب إلى
الوالى أن يشتريها منه للنافع العامة للمسلمين
وأن ينقده ثمنا مبهظا فأطلق الألسنة فيه بمقالة
السوء فأحفظ عليه صدور الأدباء .

وإلى القارىء ملحة من ملح صاغها فى
تصوير المتنبي ، ثم قارن بين قوله وعمله ، وبين
طمعه وأدبه فى شعره ، وبين جزالة قصائده
والافتنان بالغى وما فى يده ، قال : « ونظرت
إلى أبى الطيب المتنبي وإلى تناقض حكمته ،
وتفاوت طرفي فعلته حيث قال فى سيف الدولة
لا تطابن كريما بعد رؤيته

إن الكرام بأسخام يداً ختموا
ثم قال فى كافور الأخشيذ :
قواصد كافور توارك غيره

ومن قصد البحر استقل السواقيا
فلقد باع من الوفاء علقا خطيرا ، واعتاض
من الطمع ثمنا يسيرا ، وحال ضباب
الحرص والرجاء بينه وبين العهد والوفاء ،
وكان يضائق نفسه فى اختبار المتاع ويسامحها
فى إختيار المبتاع ، ويخلع خالعة من نظمه
تساوى بدرة على عرض من لا يساوى بكرة
ويهب كريمة من كرائم شره إلى من لم تقم
عنده كريمة ، ولم تعرف له قيمة ، لو رأى

كرامة العقل ، وقداصة الحرية من رسالة الإسلام للأستاذ فتحى عثمان

« ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم للإيمان من قبل ، وفي هذا ليسكون
الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس » .

للطريق أن تعرض أخطر المقدسات على
الإرادة الإنسانية وتكون لها حرية
الاختيار .

وقد كان دين الله بوجه عام والإسلام
بوجه خاص مقررًا لكرامة العقل ولقداسة
الحرية في وضوح ، وقد سلك الطريق
الصحيح لهذا التقرير .

غير أن الدين مظلوم عند الناس بالنسبة
لحرية الفكر . . . أفليس الإيمان إذعان
وانقياد وتسليم ؟ أفليس الإيمان : استهواء
وإيحاء وتقليد وإكراه كما يقال في بعض
الآحايين . والدين الحق براء من هذا الافتراء .
إنه يقرر كرامة الإنسان بآيات من وحى
الله ذى الجلال والجبروت :

« ولقد كرّمنا بنى آدم ، وحملناهم في البر
والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم
على كثير من خلقنا تفضيلا » .

« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » .

لم يعد جديداً أن يقال : إن الإسلام هو
رسالة الحرية، وإن محمداً عليه الصلاة والسلام
هو رسول الحرية... والكثيرون يعرفون
عن الإسلام : أنه رسالة الحرية السياسية
للأفراد والشعوب ، وقد يعرفون أنه رسالة
الحرية الاجتماعية للأفراد والشعوب .

غير أن هذه الحريات جميعاً تتأسس على
حرية أخرى أجل وأخطر ، هي حرية
الفكر . . وهيئات لمن لم يتحرر من (داخله)
أن تتحقق حريته !! ولو خلص من أية
ضغوط من (الخارج) عليه ، فستجلب
عليه (هزيمته الداخلية) مزيداً من الضغوط .
ومن هنا كان لا بد أن تتقرر أساساً
كرامة (الإنسان) ، في (العقل) الإنسانى
والبداية الصحيحة للطريق أن يعامل هذا
العقل بالتكريم .

وكان لا بد أن تتقرر أساساً قداسة الحرية
في (العقل) الإنسانى . . والبداية الصحيحة

« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » . ١

ومن روائع الدين في هذا المجال ، هذا النمط الفذ من العرض العقلي لقضية الإيمان على لسان إبراهيم أبي الأنبياء ، عليه وعليهم الصلاة والسلام . .

ومن روائع ابن حزم ، أنه يقرر في كتابه (الأحكام) انتصاراً للجدال والمحااجة في قضايا الدين ، أن الله علمنا كيف نجادل ونحاج ، وعلمنا الحجة على (الثنوية) وعلى (الدهرية) وغيرهما . . وساق لنا مثلاً للمحااجة على لسان إبراهيم ، وألزمنا الاقتداء به إذ كنا على ملته . . « ملة أبيكم إبراهيم » . وإبراهيم أبو الأنبياء ، هو داعية « عقيسة التوحيد » ، وداعية « العقل والحرية » ، في الوقت نفسه . .

إنه من أول الطريق . . يفكر ، ويقلب الأمور أمام (العقل) :

« وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناماً آلهة؟ إنى أراك وقومك في ضلال مبين . وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، وليكون من الموقنين .

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال : هذا ربي . . فلما أفل ، قال : لا أحب الآفلين ! فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربي

ويقرر كرامة العقل الإنساني بجعله مناط الحكم والتقدير في أى قضية ، ولو كانت قضية الألوهية والدين : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

« قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون ، إنما يتذكر أولو الألباب » . « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » .

« أفلا يتذكرون . . أفلا يعقلون . . إلخ . ويعرض الدين قضية الإيمان بالله واليوم الآخر وهي أقدم وأخطر قضايا العقل الإنساني ، وعلى الإرادة الإنسانية ، وفي هذا تقرير حريتها في الاختيار ، وتقديس حريتها في الاختيار :

« أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخالقون ؟ ، « أخسبتم أنما خلقناكم عبداً ، وأنكم إلينا لا ترجعون ؟ » .

« لو كان فيها آلهة إلا الله ، لفسدتا » . وهو ينفي عن العقل الإنساني أى ضغط ، وعن الاختيار الإنساني أى تأثير :

« قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ، وأتاني رحمة من عنده فعميت عليكم ، أن نلزكموها وأنتم لها كارهون ؟ » . « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .

« إن عليك إلا البلاغ » .

قلبا أفل ، قال : إني لم يهتدي ربي لا كون من القوم الضالين !

قلبا رأى الشمس بازغة ، قال هذا ربي ، هذا أكبر فلما أفلت ، قال : يا قوم إني برىء مما تشركون !

إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين . وحاجه قومه .

قال أتأجوني في الله وقد هداني ، ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا ، وسع ربي كل شيء علما ، أفلا تتذكرون ؟ وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ؟ فأى الفريقين أحق بالأمن ، إن كنتم تعلمون ؟ الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم ، !!

عرض رائع ومنطق سليم وإبراهيم لا يلجأ إلى (اليد) إلا ليستثير (العقل) :

ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين .

إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل

التي أنتم لها عاكفون ؟؟

قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين .

قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين !

قالوا : أجبنا بالحق ، أم أنت من اللاعبين -

قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين .

وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جنادا إلا كبيرا لهم ، لعلمهم إليه يرجعون !!

قالوا : من فعل هذا بأهتنا ؟ إنه لمن الظالمين .

قالوا : سمعنا فتى يذكرهم ، يقال له إبراهيم !

قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يهبدون .

قالوا : أأنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم ؟

قال : بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون !! فرجعوا إلى أنفسهم ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمون !!

ثم نكسوا على رؤسهم : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون !!

قال : أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ، ولا يضركم . . أف لكم ولما تعبدون -

من دون الله ، أفلا تعقلون ؟؟ قالوا : حرقوه ، وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا : يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا ، فجعلناهم الأخرين ، !

« فراخ عليهم ضرباً باليمين . فأقبلوا إليه يزفون . قال أتعبدون ما تنحتون ؟ والله

يودرب عقله على الفروض والاحتمالات ،
قبل أن يواجه عقول الناس ، وتقرر على
ذلك الإقرار والتأييد !! إنه يناقش (ملكا)
منتفشاً بالسلطان والطغيان ، وتقرر في ذهنه
حقه المقدس في أن يطلب البرهان ، وتلقى من
الله حقه : ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم
في ربه — أن آتاه الله الملك (١١) ،

إذ قال إبراهيم : ربى الذى يحى ويميت
قال : أنا أحيى وأميت !

« قال إبراهيم : فإن الله يأتى بالشمس
من المشرق ، فأنت بها من المغرب
فهبت الذى كفر ، والله لا يهتدى القوم
الظالمين ، !! »

إن إبراهيم يسحق بقوة المنطق قوة
الطغيان .

ويسخر من الذى ينصب نفسه لجرد أنه يترجع
على كرسى العرش ويستطيع أن يقيم المشانق
أو يشدخ الرءوس بالسيوف !! يسخر
إبراهيم من هذا الملك الصغير ، الذى يزعم
أنه يحى ويميت فى عالمه الضئيل ، بأن ينقل
محور الجدول إلى العالم الكبير . . . السكون
الفسيح بأجرامه وأفلاكه ، بهيئته
وحركته . هنا يتهاك الأقوام !!

يذنبى أن نفخر حقاً ، بأن كنا على
هالة إبراهيم . . .

خلقكم وما تعملون ! قالوا : أبئنا له بنياناً
فألقوه فى الجحيم . فأرادوا به كيداً فجعلناهم
الأسفلين ، !!

إنها تجربة مثيرة . . . دلائلها كثيرة ،
فى مجال دراسة السلوك الاجتماعى
وهى محاولة نبيلة . . . لإبراز التناقض
القائم ، واستثارة العقل من الرضوخ والتسليم
للتناقضات وهى (حركة يد) . . . غايتها
(حركة اللهن) .

فلما تحركت الأذهان ، أوجعها المدرس
وأخذها الكبير . . . ففزعت إلى اليد ، يد
العدوان والتحريق ، لا يد الاختبار
والتجريب !!

ولإبراهيم يحاج ربه . . . كما يحاج الناس
ويطلب منه الدليل والبرهان !
والله يسوق إليه المثل . . . فى تجربة :

« وإذ قال إبراهيم : رب أرنى كيف
تحى الموتى ؟ »

قال : أولم تؤمن ؟

قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى

قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ،
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم
ادعهن يأتينك سعيماً ، واعلم أن الله
عزيز حكيم ، !

ومن هنا كانت حجة إبراهيم قارعة قاطعة
أمام الناس . . . إنه اقتنع قبل أن يقنع ،

ويطالب بإلغاء كل تبعية . . . بالتفكير
في كل علاقة وارتباط . . . ولو كانت العلاقة
بالكبير المتعال :

« قل إنما أعظكم بواحدة .

أب تقوموا لله مشي ، وفراى
ثم تنفكروا ،

هذا هو الدين . . . فى تكريمه للعقل ،
وتقديسه للحرية !

وهذه هى ملة أبينا إبراهيم . . . بها
نفخر ونثبه :

« إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه
وهذا النبى

والذين آمنوا

والله ولى المؤمنين » ؟

فتسمى عثمان

وينبغى أن نعتبر الدين ، هو المحرر الأصيل
للعقل البشرى . لقد هزه من الأعماق ،
وانتزعه من كل استرقاق :

« إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ،
ورأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب .

وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ
منهم كما تبرءوا منا .

كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ،
وما هم بخارجين من النار ، !!

« وقالوا : ربنا إنما أطعنا سادتنا وكبراءنا ،
فأضلونا السبيلا !

ربنا آتهم ضعفين من العذاب ، والعنهم
لعناً كبيراً !! »

« وبرزوا لله جميعاً ، فقال الضعفاء للذين
استكبروا : إنا كنا لكم تبعاً ، فهل أنتم

مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا :
لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا

أم صبرنا ما لنا من محيص ، !!

(بقية المنشور على صفحة ٩٢٣)

ناطق بالعجز ، وأن وجه الظلم مبرقع بالقبح
وأنتك إذا استدركت على نقد الصيارفة
وتتبعت خطأ الحكماء والفلاسفة ، فقد أضفت
عيبا إلى عائبك وما كتبه لمناصبك ونصرت
عدوك على صاحبك ، وقد عجبت من حسن
ظنك بل وأنتك إنسان والله المستعان ، اهـ .

عباس ط

المجلس أنصار ، فكتب الخوارزمى إلى
تلميذه يقول :

« أى بنى ، بلغنى أنك ناظرت فلما
توجهت إليك الحجة كما برت ، ولما وضع
نير الحق على عنقك ضجرت أو تضاجرت ،
وكنت أحسب أنك أعرف بالحق من أن
تعقه ، وأهيب لحجاب العدل والإنصاف من
أن تشقه ، وكأنت لم تعلم أن لسان الضجر

مَائِقَاتُ الْعَزَائِمِ

دَوْرُ الْإِسْلَامِ فِي مَسْتَقْبَلِ الْقَارَةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ

لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَفَّادِ

المؤلفين ، وأصبحت إرادة الأجنبي تبعا للإرادة الوطنية في تحصيل المعلومات والتعليق عليها بعد قيام الحكومات المستقلة وتركيز السلطان فيها على العوامل النفسية والاجتماعية التي ترجع إلى أبناء البلاد أولا ثم ترجع بعد ذلك لمن يحسن فهمها والانتفاع بها من أصحاب السياسات الأجنبية .

وقد أسفر هذا التنويع في موضوعات التأليف عن وجهتين من وجهات البحث المخصص للسائل الإسلامية ، وهما :

أولا : دور الإسلام المنتظر في إتمام نظم الحكم بعد استقلال الأمم الإفريقية .

ثانيا : معنى انتشار الإسلام قديما وحديثا بين الإفريقيين باعتباره حركة من حركات التاريخ ، والاستطراد من ذلك إلى استطلاع مصير هذه الحركة بين حركات الحضارة أو الحضارات العصرية .

وفي أكثر من بحث هام يميل المؤلفون إلى ترجيح فرص الإسلام على فرص العقائد الأخرى - دينية كانت أو اجتماعية - في توجيه

للإسلام حصة بارزة - لا تزال - في كل كتاب حديث يصدر من المطابع الأوربية أو الأمريكية عن القارة الإفريقية . وقد تنوعت موضوعات هذه الكتب على الزمن وتنوعت معها وجهة البحث في المسائل الإسلامية .

ففي الفترة الأولى منذ ابتداء العناية بهذه القارة قبل نحو السنوات العشر كانت الموضوعات كلها - أو أكثرها - متجهة إلى الإحصاء وجمع المعلومات العامة عن السكان وموارد الرزق وينايع الثروة وتقسيمات المواقع وتسجيل الظواهر الجغرافية والاستعمارية ، وكأما كان المؤلفون يفكرون في الناحية التي يستفيد منها المسيطرون من الخارج وهم يديرون حكومات البلاد أو يملكون أزمة الحكم ووسائل السيطرة والاستغلال فيها .

فلما تقرر في الأذهان فكرة الاستقلال الوطني أصبحت إرادة الإفريقيين بين حاكين ومحكومين هي الناحية التي تتجه إليها أنظار

بما تدعو إليه من الدقة وما تشتمل عليه من الكهنوتية المعقدة والاعتراف بالفوارق الكثيرة فضلا عن الارتباط بين وجودها ووجود الطبقات الحاكمة والعلم بأنها تكون في موضعها صحيحة مألوفة كلما تسربت بسربها الفضايف الذي لا يضيق حتى يشبه كسوة الشغل في المصنع ، وهى على هذا — تصر على التثبت ببعض القيم التى احتواها النظام الاجتماعى القديم بروابطه العائلية وشعائره المتبعة وإجراءاته القضائية وسائر فنونه التى لا يعلى عليها ويكاد الرجل الأبيض نفسه ألا يرتفع إلى أوجها .

يقول المؤلف ذلك فى الصفحة (٤٣٦) من المجلد الثانى ، واسكنه يقرر فى الصفحة (٢٧٦) من المجلد نفسه كلاما ينقض هذا الكلام فى فحواه إذ يقول : إنه على تقيض الحالة بالنسبة إلى المسيحية يشاهد « أن الإسلام كان له أثر ضعيف فى الوطنية الإفريقية وهو مع ضعفه الشديد سلبى لا إيجاب فيه ؛ لأن المثال المميز للحكومة الإسلامية ، كما يقول جورج كارينتر إنما هو مثال الحكم الشخصى المطلق مستندا إلى ولاء الجماهير قائما على قواعد الدين ، وعلى الخوف والرهبنة ، وسلطان الحكم العسكرى ، ولا ملامة بين هذا المثال وبين تركيب النظام الإدارى المتشايك وتعدد الكفايات الفنية التى تتطلبها

دفة الحكم واتخاذ السند الموافق للأنظمة الإدارية أو الدستورية التى يختارها الإفريقيون حيثما توقف الأمر على تقاليد المسلمين أو قواعد الإسلام كما يفهمونها هناك .

فى كتاب إفريقية الاستوائية ، وهو كتاب ضخيم فى مجلدين تزيد صفحاتهما على مائة وألف صفحة - يقول الأستاذ جورج كبل Kimble رئيس قسم الجغرافية بجامعة أنديانا - « إنه من المشكوك فيه أن تكون الأنظمة الغربية القائمة على النفاذ والجد ، ملائمة لمطالب الثقافة فى بيئة يغلب فيها أن يكون السبق للماكر لا للسريع ، والفوز فى المعركة للخفيف فى العمل لا للقوى فى الخلق ، حيث لا معنى لكلمة الفساد والرشوة لأن كل خدمة تعطى تتبعها فائدة تؤخذ ، ويسود الشك على العموم فى جدوى المطابقة بين النظم المحلية والنظم الغربية ، ولا يخلو مكان من فكرة الحيدة بين السكتلتين الغربية والشرقية ، إذ يعتقدون أن الأمة يستحيل أن تحكم نفسها إذا هى كانت متعلقة بأخلاق الأمم الأخرى ولغاتها وعقائدها ، ولا يقتصر النفور هنا على كراهة السير على المنهج الغربى ، بل يتعداه إلى وجوب البحث عن منهاج آخر أوفق للعقل الإفريقى والظروف الإفريقية ، مع تفضيل الإسلام - لتسليمه بمواطن الضعف الإنسانى وإغضائه عن فوارق الألوان - على المسيحية

عن أواسط إفريقية أن انتشار الإسلام بين الإفريقيين - إذا روجعت أسبابه جميعا - إنما هو نتيجة لا محيد عنها لانتشار حضارة إنسانية ممتازة لم تكن في العالم حضارة تضارعها أو تقوى على مغالبتها وأن وصول الإسلام إلى القارة الإفريقية كان ملازما لوصوله إلى القارة الأوروبية نفسها وامتداده إلى الأقطار البعيدة من القارة الآسيوية وقد كان امتياز حضارته سببا كافيا لسيادته على العالم المعمور والعالم المجهول الذي يصل إليه العربي المطبوع على الترحل والسياسة، يعينه على مطاوعة هذه النزعة أنه اقتبس كل ما يقتبس من اليونان والأمم القديمة من علوم الجغرافية والفلك وزاد عليها حب الكشف الذي سرى إلى جميع المسلمين مع سريان الشوق إلى زيارة مكة ومعاهد الإسلام الأولى. وبينما كان الأوروبيون يعولون على السحر كان أطباء العرب يجرون عمليات الجراحة الصعبة ويحسنون الانتفاع بكثير من العقاقير ولا تزال طرق العلاج عندهم مما يستفيد منه الأطباء في علاج بعض الأمراض إلى هذه الأيام ...

ومثل هذه الحضارة لا سبيل إلى حصرها في بقعة محدودة من العالم مع إقدام العربي على احتمال الجهد والخطر ورغبته في الرحلة والارتياح . فانتشار الإسلام إنما هو في

الأعمال المتنوعة في الأمم العصرية ، إذ ليس في وسع هذا المثال أن يخلق ولاء للوطن يرتفع به فوق منازعات العقيدة والأفكار المختلفة ، ولا أن يهيئ المجال لثقافة الزعماء المنتظرين وضمان الأمان للأكفاء من الموظفين .

* * *

ويرد هذا البحث في كتاب ضخم آخر عن شبه جزيرة « سيرااليون » يقع في أكثر من سبعمائة صفحة ويقول مؤلفه كريستفور فايف Cristopher Fyfe في متفرقاته : « إن تعاليم البعوث التبشيرية المسيحية على خلاف تعاليم الإسلام — تهدم الاستقلال الذاتي في الإفريقي وتعطل تصرفه المطبوع والحل الذي يقترحه بلايدن Blyden هو إقامة جامعة خاصة بإفريقية الغربية تسند فيها وظائف التعليم إلى إفريقيين من نضج الفكر ومعهم إفريقيون مسلمون من داخل القارة لثقافة الطلاب على سليقتهم والابتعادهم عن محاكاة المثل الغربية » .

* * *

أما البحوث التي تعرض لتفسير معنى انتشار الإسلام في القارة الإفريقية باعتباره حركة من حركات الأمم في التاريخ العالمي فهذه أمثلة منها :

يرى باتن Batten في سلسلة كتبه ،

جنوب الصحراء ممالك من أعظم الدول التي كان للإسلام هناك شأن في إقامتها .

وكأنما ابتدأت مرحلة الامتداد إلى داخل القارة الإفريقية في تقدير المؤلفين ، بعد انتهاء مرحلة الاستقرار في شمال إفريقيا وجنوب أوروبا ، على أثر انحلال الدول الإسلامية القوية في كلتا القارتين .

* * *

ويتخطى جاك بولن Bulin مراحل الماضي في كتابه عن « دور العرب في إفريقيا » ليسأل عن دور الإسلام في المستقبل القريب بين القوى التي يمكن أن تعمل في توجيه القارة ، وهي قوة التبشير وقوة السياسة الدولية وقوة الوطنية غير الإسلامية .

ويقول المؤلف — وهو صحفي فرنسي — يعرف العربية والانجليزية — إن الكنائس تتغاضى عن الإسلام ولا تشتد في مقاومته لأنها لا تنزله منزلة العدو الأول مع ما تحذره من خطر الشيوعية ، ولهذا لم تعقب صحيفة الفاتيكان بشيء على البيان الصريح الذي أعلن فيه شيخ الأزهر في مستهل سنة ١٩٦١ م وجوب محاربة البعثات التبشيرية لأنها أداة من أخطر أدوات الاستعمار ، ولا يلوح من مسلك الوطنيين الإفريقيين غير المسلمين أن الدول الغربية التي كانت تستعمر بلادهم ستلحق منهم عوناً في السياسة التي قد تدبّعها (البقية على صفحة ٣٥٢)

حقيقته انتشار حضارة جديدة بالانتشار وهو حركة من حركات التوسع الأسمى تبعها دواعي النشاط التي تمهدها المعرفة وتشحذها العقيدة التي تسود الدنيا لأنها لا تبالي أن تقتحمها ولا تسكتثر لفراقها .

* * *

ومن أحدث المؤلفات عن إفريقية تاريخ موجز للقارة ألفه كاتبان لها خبرة حسنة بالشرق من طريق الدراسة ومن طريق السياحة والمعايشة ، وهما رولاند أوليفر وجون فاج Fage وهما يفصلان بين دور الفتح الإسلامي ودور التغلغل الإسلامي إلى مجاهل القارة الإفريقية ، فإن الإسلام لم يسلك طريقه إلى ما وراء الصحراء إلا بعد زوال دولته الكبرى في المغرب ، ولكن الشعوب الإفريقية إلى الشمال لم تكن لتجتاز الصحراء التي لم تجاوزها قبل ذلك لولا دفعة من الحضارة يعززها إيمان العقيدة ... « وإن الفترة بين سنتي (٨٠٠ و ١٣٠٠ ميلادية) هي الفترة التي ازدهرت فيها حضارة للإسلام لم تشتمل حضارة أخرى على مثل ما اشتملت عليه من ثمرات الفسك والفن والعلم والسياسة ، وهي كذلك فترة نمت فيها دول من أهم دول القارة الإفريقية ، إذ قامت شعوب البربر بدور تاريخي كبير في العالم الغربي والبلاد الآسيوية القريبة ، وقامت من خلفها إلى

مَحْنَا بِرُفْزِ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

إلى التي شرب عقلها الشراب

للأستاذ على الجندي

إلى التي شرب عقلها الشراب

كانت حصاناً رزاناً تبدو في حلتها الشوكاء البيضاء كأنها ملك
كريم !! حتى إذا رشفت رشفات من « أم الخبائث » صلب
وجها الحي ، وانطلق لسانها بالقول البسذي ، وجعلت تلتفت
يمينا وشمالاً وأماما وخلفا كمن يرقب إنساناً أو يبحث عن
إنسان ، وسط ضحكات ماجنة ترن رنين الكسكس التي بين يديها !

ماذا لقيت من الشراب يا زين أتراب الشباب
قد كنت كالمالك الكريم يضيء في بيض الثياب
فغدوت شيطاناً رجيسماً ، كل ما فيه يعاب

* * *

هبناك ، والحسن البديع — على وداعية — يهاب
حتى إذا لعب الشرا ب بمعطف الورد الكعاب
وتبخر الخضر الرقيسق ، وكنت منه في يقاب
وزها بخسديك التمساب ، والسلاف لها التهاب
وهذيت والمخمور كالمحسموم مسلوب الصواب
وأدرت عيناً في الحضسور كأنها عين العقاب

براقة اللحظات كالفنسى سل من القرباب
تغرى بك النهم الدنسى كأنه بعض الذباب
قلنا - وملء صدورنا غضب ، وغيظ ، واكتئاب
ويح الجمال هوى من الأوج الرفيع إلى التراب
لعن الشراب ، فإنه أصل الخنى !! لعن الشراب

* * *

يا بنت مصباح السما سنا ، ويا أخت الشهاب
يا تومم الزهر النضير ، وصنو أرياق السحاب (١)
يا ربة العبق الشذى ، كأنه ريا الملاب
يا من لها صوت المزار على الأفانين الرطاب
« أم الخبائث ، - طبت نفسا - تفرس الأسد الصعاب
ما الظن بالظبي الأغنى الأهيف ، الغصن ، الإهاب
ما يعصم الغيد الغرا عز ، والحجا عنهن عاب ؟؟
قال الحكيم ، ولم يكن ما قال بالقول الكذاب (٢)
نصف النساء - إذا رقصن - هوى إلى درك الخراب
وإذا شربن فنصفهن يروح نهبا للذئاب

(١) أرياق : جمع ريق ، ولاراد به ماء المطر على التشبيه .

(٢) يقول بعض حكماء الغرب - وهو العليم ببيئته - : إن نصف النساء يسقط في الرقص ، والنصف الآخر يسقط في الشراب .

خواطـر عانس

للشاعر محمد أحمد العزب

ربما يأتي .. إذا صعدت لله الدعاء
أو إذا أشعلت في ليل الحزاني ضوء شمع
ليدق الباب دقات رقيقات الصدى
وجدارى الساهم الظمآن كم يهفو إليه
مخدعى الباكي . لئاء الزهر . أحلامي وظلي
تمطر الليل نسيدياً من حنين .. وحنان
مثل ما باللحن من شوق إلى بوح الوتر
من لهث الشوق للشاطئ في ليل البحار
تزرع الفجر على درب جراحى . لا أراه
ألف غصن يحرق الجسد براعم صباها
أحضن اللاشيء .. أمتص عذاباً حيرى
مثل في طير راسف في القيد مجروح الأنين
تحت كرم هارب خلف متاهات الفضاء
وهو يدعوني إلى دنيا انطلاقات غريبة
أذرعى تدعوك من خلف الضباب المعتم
كن كما شئت إذا أقبلت .. صلداً أو سخيلاً
باحثاً عنى .. عن الكرم الذى أوشك يذبل
فأنا ما زلت أشتاق سؤالاً عن وجودى
فأنا أنثى عشقت الحب لكفى حرمت
وأنا ليلي رياح . وجراح . ونواح
يملاً الألفى حوالها أغاريدا وشعرا
فوق حلم هارب الأطياف يمتص شذاها
كم زرعت الغيب والجهول بحثاً عن فتايا

ربما يأتي .. إذا صليت في جنح المساء
ربما يأتي إذا رجرجت في عيني دمة
ربما ينسل من خلف مجاهيل المدى
آه .. كم يشتاق بأبى نقرات من يديه
كل ما في البيت مشدود الزارعين يصلى
حزمة من أغنيات الشوق في صدر البيان
مثل ما بالرمل من توق إلى سيب المطر
مثل ما بالزورق المجروح من حب القرار
بى إليه .. غير أنى لا أرى يوماً خطاه
خلف بابى .. ألف حلم يخفق الوهم صداها
وسريرى . كم على صدر سريرى بتعبرى
أمصغ الآهات في صمت ضرير لا يبين
أتمنى في ظلال الصمت أطياف لقاء
أرتنى تحت خطاه طفلة الشوق سلبية
فارسى الموعود . يا حلوى . ويا جفري الظمى
أذرعى المطلوبة العذراء تدعوك فيها
الذى اشتاقه أن تطرق الباب . وتدخل
آه كم أعبد أن تسأل عنى عن شرودى
لا تدعنى أقطع العمر سؤالاً ما سئلت
فارسى : ليلي رقيقات مرايح وصدايح
كل سوسانة حقل صادفت في الحقل طيرا
وشبابى وردة عذراء نامت مقتناها
كم على صدر ظنوني البيض نقلت خطايا

قصة مجنونة الأشواق ترتج بقلبي
يزرع النجاة في صيني . وفي إيلي الوحيد
وعلى أهدابه لوني . وإيماء ذوق
وحيني كم مشى في التيه يستجدي حنيه
فارعا كالسرو . مشوقا . وسيا . كإله
وغدير فوق شطيه تصلي الأغنيات
يتراعى فيه عصفوران في رعشة صمت
لا . ولا شات ستارى كفه عبر المساء
وبقايا وردة في حجرى ماتت وحيدة
ربما صادفت فيه فارسا . شهما نبيلًا
ليدق الباب . . دقات رقيقات الصدى

محمد اصمحر العزب

كم تراءى لى رواء الليل . . . أسطورة حب
عاشقا بنسل كالأعصار يجتاح جليدى
فارسا يأتى وفى عينيه إطلالة شوق
كم تراءى لى . وكم قبات فى الصمت جبينه
وبعين اليأس والحرمان . فى ليلى أراه
مقلته خيمتا سحر . . ونبعا ذكريات
وعلى كفيه عش مثلما أشتاق بيتى
ويدق الصبح شبا كى . ولا الفارس جاء
الفراغ الجهم من حولى . وأحلامى الشهيدة
غير أنى خلف قضبانى سادعوه طويلا
ربما ينسل من خلف مجاهيل الصدى

(بقية المنشور على صفحة ٣٤٨)

يجمعون عن الجواب النافع إذا قابلوا بين
العدة التى استعد بها الإسلام أمس للإيفال
فى قلب القارة الإفريقية وبين عدته التى قد
يستعد بها اليوم للشباب والمزيد من التقدم ،
ولا يبدو على أكثرهم أنه ينتظر من القارىء
جوابا إلى الإيجاب إذا سألوا عن القوة
الكامنة فى المسلمين : هل هى كفؤ لرسالتها
الجديدة فى القارة الإفريقية ؟

عباسي محمود العقاد

لمقاومة الإسلام ، فلم يأت المستقبل نبأ
جديد عن علاقات الوطنيين الإفريقيين بهذه
القوى المتقابلة فهناك دور هام للعرب أو
للإسلام فى القارة الإفريقية يحسب له حسابه
الكبير فى توجيه مستقبلها القريب .
وهذا جواب معلق على سؤال المؤلف
عن المصير ، ولكنه يخرج بجوابه المعلق
من تردد الشك والإبهام إلى بعض الوضوح
حين يشير تلك الإشارة إلى الدور الإسلامى
المحتمل ؛ لأن الفريق الأكبر من الباحثين

الكتاب

نظرات في كتاب :

فلسفة تاريخ محمد

للأستاذ محمد جميل بيهم

بقلم : الأستاذ محمود الشراوى

قرأت له في الأسابيع الأخيرة كتابين ،
تفضل فأهداهما إلي ، هما : « أسرار ما وراء
الستار : الإتحاد السوفييتي والصين الشعبية
كأنك تراهما ، وهي دراسة مفصلة قام بها
لوتين الجمهوريتين بعد دعوة رسمية له منهما .
والكتاب الثاني : « فلسفة تاريخ محمد ،
وهو الذي أكتب هذه الكلمة عنه وعن آراء
فيه ذات قيمة وملاحظات لها خطر ووزن :
أول ما نجد للؤلف منهجه الذي رسمه
لنفسه في تأليف الكتاب وتناول موضوعه
يقول في رسم هذا المنهج إن كتابه هذا :
« دراسات عليية وتاريخية في النواحي
السياسية والاقتصادية والاجتماعية حول
الظروف العالمية والأحداث التي تقدمت عهد
النبي أو عاصرته ، سواء أكان ذلك في جزيرة

مؤاف هذا الكتاب ، الأستاذ محمد جميل
بيهم - لبنان - له في حياتنا الثقافية مكانة
مرموقة ، وله في الدراسات التاريخية
والإسلامية مباحث وآراء ذات قيمة ، صدر
له خمسة عشر كتابا في السنين الأربعين
الآخيرة عن المرأة في التاريخ والشرائع ،
وفلسفة التاريخ العثماني والانتدابات في
فلسطين وسوريا ، وقوافل العروبة ومواكبها
خلال العصور - جزآن - والعروبة
والشعوبيات الحديثة ، والعرب والترك في
الصراع بين الشرق والغرب ، وله دراسة
موجهة في موقف الشرق العربي من أحداث
العالم الكبرى الحاضرة هي : « واشنطن تعبد
الطرق لموسكو في بلاد العرب والمسلمين »
وغير هذا من الكتب والدراسات .

يقول الأستاذ بهم في ذلك : « ونحن وإن كنا لا نعبأ بالدعاوات سواء أتت من الغرب أم من الشرق ونعتبرها مأجورة لهذا أو لذلك إلا أن أمراً واحداً آثار اهتمامنا ... وهو استمرار بعض المؤلفين الأجانب على النيل من محمد استناداً إلى الصورة المزوقة التي وضعها له بعض أصحاب السير على شكل لا يتفق مع صورته الحقيقية .

إن هذا الأمر كان حافزاً لى على تأليف هذا الكتاب الذى أتوخى فيه وضع سيرة نبينا على حقيقتها البشرية دون زيادة أو نقصان ، بغية ألا يبقى لهؤلاء الأجانب مبرر للنيل منه استناداً إلى صورته المليئة بالخرافات ص ٦

والأستاذ المؤلف يعتمد طبعا ويستشهد بآيات القرآن الكريم والحديث الصحيح - كما فعل غيره من كتاب السيرة - غير أنه

يزيد عليهم ، وينفرد عن أكثرهم بأنه يضع « سيرة الرسول بأسلوب يعتمد على النواميس الطبيعية التى تربط الأسباب بالمسببات ، وترتب النتائج على المقدمات ... ولأن محمداً ،

ذلك السكان العظيم الذى أصاب ما أصاب من نجاح ، إنما يعود نجاح رسالته إلى أسباب متصلة بالنواميس الطبيعية ، كما يعود إلى صلاح هذه الرسالة ومجيئها فى الوقت المناسب ،

- ص ٦ -

العرب أم فى غيرها من أنحاء العالم ، تلك الظروف والأحداث التى مهدت لرسالته ، وأمنت نجاحها بمقتضى النواميس الطبيعية .

وهذه السطور القليلة فى رسم المنهج تدلنا على قيمة الكتاب وإدراك الحاجة إليه بعد أن رأينا ، وما نزال نرى فى بعض البلاد ، من تلك الكتب الكثيرة فى « السيرة النبوية » التى ملأها أصحابها بالقصص والأساطير والإسرائيليات والأحاديث الموضوعة ، تلك الكتب التى لا تكتب : « سيرة النبي محمد ، أو : « محمد الإنسان ، وإنما « تروى ، « ما ثورات ، عن أشياء يرضى عنها « إيمان العجائز ، كتلك التى نجدتها عند القاضي عياض وأمثاله ، ولكن العصر وثقافته لم يعودوا يهتملونها ولا يتأثران بها ، وقد تنتج أثراً عكسياً .

وهذا بعض الأسباب لاهتمامى بهذا الكتاب وإيثارى إياه بالنقد .

منهج الكتاب هذا جعل المؤاف يدرك ويذبه القارىء إلى الخطأ الذى يوجد فى تلك المبالغات الشاذة من جعل المعجزات والخرافات السماوية هى عمدة السيرة النبوية وقوامها وأساسها .

المعجزات والخوارق :

يقول الأستاذ بهم : « وقد اقتبس بعض المسلمين طريقة التزييق في عرض سيرة الرسول حينما تناول الأعاجم منهم تدوين التاريخ : ذلك بأن فريقا من هؤلاء كانوا يشتهون أن لا تبقى سيرة النبي مجردة عن الخوارق والمعجزات التي تحفل بها سير أنبيائهم في أديانهم السابقة ، فراحوا يذسبون لمحد معجزات لم يرد ذكرها في القرآن ، ولم يشر إليها الحديث . وعلى ما روى كتاب : « مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٦ ، فإن معجزات الرسول بلغ عددها ٤٠٥٠ معجزة جمعت في مجلدين . ولما وضعوا سيرة مولد النبي استساغ بعض الفرس الذين أسلموا أن يزجوا فيها تلك الخرافات التي كانت تحفل بها سيرة نبيهم السابق زرا دشت . فجاءت قصة المولد على شكل مليء بالخوارق التي لا تتفق مع مصادر الإسلام ومليء بما لا يلائم مع عظمة محمد » ص ٢٢٤ - ٢٢٥

فالأستاذ المؤلف يجعل حياة النبي محمد - في جملتها - حياة طبيعية خالية من المعجزات والخوارق - عدى القرآن المنزل طبعا - ويجعل انتشار الدعوة المحمدية كذلك أمرا طبيعيا قائما على أسباب عادية من فساد الحكم

على هذا المنهج العلى الطبيعي البعيد عن التأثير بالعاطفة الغشيمة وعن الإيمان بالخوارق يسير المؤلف في دراسته فيحدث عن الأديان وتدرج الإيمان بها من الوثنية البدائية إلى التوحيد المطلق : « مله إبراهيم حنيفا » . ويتحدث عن تلك الخصومات الحاقدة الشريرة التي جعلت كثيرين من الغربيين يتناولون سيرة محمد بألوان من الإفك والسخيمة ، كما فعل كيمون وبراديه وفوستر ورينان وجولد تسهر ودروتي . ثم تحول كثيرين منهم إلى الحق والإنصاف وإكبار محمد النبي والإنسان كما فعل كارليل الإنجليزى وريلاند الهولندى وكانييه الفرنسى وجوته - شاعر ألمانيا الأكبر - وغيرهم من الإيطاليين والأمريكيين .

وفي هذه الدراسة وهذا التسجيل لا ينسى المؤلف دعوة الكتاب وأهل الأديان عامة إلى المحبة والتفاهم والأخوة البعيدة عن التعصب والشطط .

وكلمة التسامح والمحبة والفهم أعتقد أن الفاقين المخلصين من رجال الفكر الدينى عليهم واجب الدعوة - بل الإلحاح في الدعوة لها - بين أصحاب المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة وهذا حديث قد وفيناه حقه في كتابنا « تقويم الفكر الدينى » .

في الدولتين القويتين المعارضتين للدعوة :
 بينظرة وفارس ، وانصراف أهلها وحكامها
 للخصومة المذهبية والجدل البيزنطي المشهور .
 فليس في تاريخ محمد - على رأى المؤلف -
 خوارق ولا معجزات ، وليس في انتشار
 دعوته خوارق ولا معجزات - أنظر الفصل
 الرابع ، ص ٧٠ - ٩٧ - وأيضا الصفحات
 ١١٤ و ١٥١ .

قضايا هامة :

ويشير الأستاذ بهم في كتابه هذا طائفة
 من القضايا الهامة بعضها من التاريخ وبعضها
 من الأدب وبعضها من الدين : من ذلك قوله
 إن العرب في الجاهلية كان لهم أدب
 وكانت لهم ثروة . ولم يكونوا أهل فقر
 وجهل ، كما يخيّل لعامة الناس ، - على حد
 تعبيره - وإنما كان الفقر والجهل محصورين
 بين الأعراب من أهل البادية ، وليس ذلك
 صادقا على أهل الحضارة في اليمن والشام
 والعراق ، ولا أهل المدن في الحجاز ، مكة
 والطائف ويثرب ، ص ٤٢ .

وهي قضية فصلها المؤلف وأقام عليها من
 الأدلة ما يكفي لإثباتها (الفصل الثالث) .

(١) نجد مباحث هامة من موقف اليهود من
 الذي محمد في كتاب « تاريخ اليهود في بلاد العرب
 للدكتور اسراييل ولفنسون . لجنة التأليف والترجمة
 والنشر بالقاهرة » .

ونحن نستطيع أن نقول : إن اختيار
 الزمن الذي ولد فيه محمد وبعثه برسالة الإسلام
 في وقت ضعفت فيه الدولتان القويتان
 المعاصرتان : بينظرة وفارس هما مظهران
 من أبرز مظاهر العناية الإلهية وتوفيقها لنجاح
 الدعوة المحمدية ، ولو لم يكن معجزة بالمعنى
 العلى لها .

أسباب اقتصادية :

ومن الآراء الهامة التي قد تكون جديدة
 في المؤلفات العربية عن سيرة النبي عليه السلام
 إبراز المؤلف للناحية الاقتصادية وأثرها
 في محاربة الدعوة المحمدية وانتشارها . فهو
 يذكر الأسباب الاقتصادية في موقف الخصومة
 التي اتخذته قريش حيال صاحب الدعوة

معروفة في تاريخ المسلمين ، وما يزال لها إلى الآن آثار .

ومن هذه القضايا ما « يعتقد » المؤلف من أن « الصابئة » الذين ذكرهم القرآن الكريم كانوا فرقة من الفرق النصرانية عاصرت محمداً ، وكانت تحمل هذا الاسم ، وهذا الاعتقاد قد يكون صحيحاً ، ولكن الاستدلال الذي ساقه المؤلف لصحته بما ذكره معجم لاروس الفرنسى عن كلمة : " Sadéisme " وما ذكره صاحب تفسير « الجلالين » من أنها « طائفة اليهود أو النصارى » : هذان الاستدلالات لا يكفيان ، في اعتقادي ، لصحة القضية (ص ٣٨ — ٣٩) .

وكذلك يقول المؤلف إن « اليهود ما إن رأو الإسلام بدأ ينتشر في يثرب حتى رحبوا به على اعتباره فرعا من اليهودية مفروضا أن يكون مؤيداً لهم على الوثنية فيها ، وحتى شجعوا ، بطرقهم الخاصة ، المسلمين من أهلها على إقناع محمد بأن ينتقل إلى يثرب ويهجر مكة » : ص ٩٤

وهاتان دعويان ساقهما المؤلف بلا دليل ، ونحن نعرف أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت بوحى من الله . لا شأن لليهود ولا « تشجيعهم المسلمين » بها . ولا شأن « لإقناع » المسلمين للنبي بها أيضا . وعندما ذكر المؤلف « الصابئة » :

ومن هذه القضايا الهامة ما قاله المؤلف من أن أكاسرة الفرس أظهروا من الجفاء للنبي محمد ما هو معروف مشهور لا سبيل إلى الشك فيه . ولكن الجوس من أهل فارس وجدوا أنهم يلتقون ورسالة محمد « في صعيد واحد عند حامل مشعل الوحدةانية الأول ، فلم يظهروا له جفاء دينيا مثلاً أظهر أكاسرتهم له من الجفاء السياسى ، إذ رأوه يحول جزيرة العرب إلى الأمبراطورية البيزنطية دونهم ، حتى إذا استغل الإسلام من بعد انحلال الجوسية ، وانحلال السلطة الفارسية وتمكن من استئصال دولة الأكاسرة ، أقبل الجوس عليه مسلمين » .

والشق الثانى من القضية - أى دخول الجوس فى الإسلام راضين غير كارهين وشعورهم « بالالتقاء » مع رساله النبي محمد فى صعيد واحد - هذه الدعوى لم يقم عليها من المؤلف دليل وهى يمكن أن تكون مثار شك وجدل شديد ، فأين عبدة النار ممن يؤمنون بواحد قهار؟ وأين إدلال الفرس بمجدهم وتاريخهم ، وإحاسهم الراسخ حيال الشعوب الأخرى وما رسخ فى نفوسهم من الشموخ والتعالى عليهم - وبخاصة العرب - ذلك الشموخ الذى بقيت منه مخلفات راسخة عميقة بعد الإسلام أيضا ، كان لها آثار كبيرة

قليلة ، بعضها في اللغة وبعضها في رواية النصوص ونقلها ، وكثير منها في الطباعة : فهو يكتب كلمة : « الذمام » مثلاً الزمام : « حفظ العهد والذمام » ص ٤٢ و ٢٠٦

وكذلك يقول : الزود عن الحياض - ص ٦٢ وصحتها « الذود » وفي ص ٦٣ يقول : « ذبيبة الجارية » وهي « ذبيبة » وكذلك كلمة « مزريه » يكتبها « مزيه » - ص : ٦٧ - وفي هذه الصفحة نفسها نجد كلمة « النزر » وهو يريد « النذر » ويضع الواو بعد « بل » ص ١٤٦ - وهو خطأ فاش يقع فيه كثير من الكتاب . ويضع أيضاً بعدها حرف الفاء - ص ٨٠ - وفي ص ١٣٧ نجد تعبيراً معنأ في العامية هو : « فاعدا بما بدا .. الخ » كما نجد - في ص ٤٨ - تعبيراً غير مستقيم عربياً ، يدرك ذلك من يتأمل السطور : ١١ ١٧ من هذه الصفحة .

هذه أمثلة من الخطأ في الكلمات ، وفي الصياغة . وهناك أخطاء في نصوص القرآن الكريم ورواية الحديث الشريف ، هذا بعضها :

ص ٨٥ : الآية الكريمة : . وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا « يستنقذوه » منه . كتبت الكلمة : « يستنفذوه » .

« ص ٢٩ و ١١٨ » أورد الآية الكريمة من سورة البقرة : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) : ٦٢ أورد المؤلف هذه الآية الكريمة ثم قال إنها وردت : « في مجال تطمين المؤمنين منهم عن المصير » - ص ٣٩ -

وهذه ، كما أعتقد ، إشارة إلى تفسير للآية لمح له الإمام محمد عبده ^(١) ولكن المفسرين والعلماء ورجال الفكر الديني عامة ينكرونه ويسخطون عليه أعنف السخط .

وكذلك ما ذكره الأستاذ عن النسخ في القرآن : ص ٢١٩ - ٢٢١ يحتاج ، من الناحية العلمية ، إلى تحرير ، كما يقول العلماء .

ملاحظات ومآخذ:

الكتاب جيد الورق حسن الطباعة ، له غلاف ملون مرسوم برسوم عربية جميلة . ولكن هذا الرنق لم يحفظه من أخطاء غير

(١) انظر : ص ٣٢٤ من تفسير الأستاذ الإمام للشيخ رشيد رضا الطابعة الثالثة : تفسير الآية ٦٢ البقرة . و ص ١٦١ - ١٦٤ من تفسير الشيخ الإمام لجزء عم : الأميرية ١٣٢٢ .

وكما نزل بها القرآن هي : « قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » الأنبياء : ٦٩ .
والآية ، كما رأينا ، في سورة الأنبياء
لا في سورتي الأنعام والصفات .

وفي الكتاب ملاحظات أرى من الخير
ألا تمر من غير تعليق : من ذلك أنه أورد
خطبة قس بن ساعدة المشهورة التي ألقاها
في سوق عكاظ : « إن في السماء لحبراً ، وفي
الأرض - وصحتها وإن في الأرض - لعبراً . الخ »
ويقول المؤلف إن النبي عليه السلام « سمع
هذه الخطبة قبل البعثة » ثم « جاءت عبارات
منها في القرآن » ص ٥٠

ودعوى أن النبي عليه السلام سمع خطبة
قس قد تكون صحيحة ، ولكنها تحتاج إلى
دليل ، ولكن المؤلف الكريم لم يدلنا على
هذه « العبارات » التي جاءت في القرآن الكريم
من هذه الخطبة .

ثم : هذه القصة التي أوردها المؤلف
ونسب فيها لقس ما نسب من بشارة بني
جديد ، هذه القصة أجدها ما يبرر الشك فيها ،
ولو أن المؤلف نقلها عن « السيرة النبوية »
ولم يقل لنا في أي سيرة هي من السير
- ص ٥٠ أيضاً - .

وأورد المؤلف - ص ١٦٦ و ٢٢٢ -
قصة وفد ثقيف ودخوله الإسلام ، وأنهم

ص : ١٠٢ الآية الكريمة : « وأنذر
عشيرتك الأقربين » كتبت الكلمة : « وأنذر »
ص : ١٤٣ الآية : « لا إكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي » كتبت : « فقد » .

وفي رواية الحديث أخطاء ، منها الحديث
المشهور : « لم عمل لديناك كما نك تعيش أبداً ،
والمعمل لآخرتك كما نك تموت غداً » وردت كلمة :
« أحرث » بدلاً من : « لم عمل » ص ٢٣٧

والحديث الشريف : « والله ما نالت من
قريش شيء » أكرهه حتى مات أبوطالب
والخطأ في كلمة « شيء » واضح - ص ١٠٧
وفي كتاب النبي عليه السلام إلى قيصر
الروم وردت كلمة « الأريسين » خطأ -
ص ١٤٤ -

وهناك أمر لا أستطيع الجزم بأنه خطأ
أو لبس ، فقد جاء في ص ٣٨ هذا التعبير :
« وفي القرآن حوار - أي إبراهيم - معهم
وكسره أصنامهم ، ومحاولتهم إحراقه ،
فكانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم كما جاء
في سورتي الأنعام والصفات » .

ووضع كلمات : « فكانت النار . الخ »
وما بعدها بين قوسين بالحرف الأسود
الكبير الذي يميزها عن سابقها ولاحقها ،
وتعقيها بجملة : كما جاء في سورتي الأنعام
والصفات ، يوهم بأن ما بين القوسين هو نص
الآية ، وليس الأمر كذلك ، فالآية كما نحفظها

إذا أسلبوا^(١) .

ومن هنا نعرف وجه الصواب فيما ذكره المؤلف من أن النبي عليه السلام : «أبي عليهم إلا أن يسلبوا دون قيد أو شرط» ، فإنه قبل بعض شروطهم وعلل ذلك ، عليه السلام ، بأنهم سيفعلون ما يجب على كل مسلم أن يفعله من بذل الزكاة والخروج للحرب ، إذا أسلبوا وأشربوا حب الدين .

وقد تحدث المؤلف ، في الفصل العاشر ، عما سماه بالخط أو القدر السعيد الذي رافق محمداً عليه السلام ، ثم ذكر - في ص ١٩٨ - ١٩٩ - قصة الغار والعنكبوت التي يعرفها قراء المولد النبوي ، وسامعوه ، ويقول بعد ذلك إن الخط ، أو القدر ، إن شئت أن تقول ، هو الذي صرف المطاردين عن ملاحقة النبي وصاحبه ومنعهم من دخول الغار .

وما دام الأستاذ المؤلف يؤمن بصدق هذه القصة عن الحمامتين والعنكبوت - على خلاف منهجه في الكتاب - فالأمر عندئذ أمر معجزة إلهية ، لا أمر حظ رقدر وتوفيق ومصادفة سعيدة .

وفي ص ١٧٥ نجد تعبيراً خائناً للتوفيق ،

(١) أبو داود ، كتاب الحجاج والإمارة والقيء . باب : ما جاء في خبر الطائف .

شرطوا لإسلامهم بعض الشروط ، ثم يقول «ورغم ما يعرف من بأس ثقيف ، ورغم ما يعلق على إسلامها من فوائد ، فإنه أبي عليهم إلا أن يسلبوا دون قيد ولا شرط» .

وقصة إسلام ثقيف - كما سجلتها كتب السيرة والحديث - تختلف عن ذلك ، فقد (قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله المسجد ، ليكون أرق لقلوبهم ، فاشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يحشروا^(٢) ، ولا يعشروا^(٣) ، ولا يجيبوا^(٤) ، ولا يستعمل عليهم غيرهم . فقال عليه السلام : إن لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم ، ثم قال عليه السلام : لا خير في دين لا ركوع فيه^(٥) .

وروى أبو داود : (عن وهب قال : سألت جابر عن شأن ثقيف إذ بايعت قال : اشترطت على النبي صلى الله عليه وسلم ألا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يقول : سيصدقون ويجاهدون

(١) لا يجاهدوا ولا يحاربوا

(٢) لا يدفعوا عشر الزكاة .

(٣) لا يسلوا .

(٤) مسند أحمد ، ج - ٤ - ص ٢١٨ .

إشارات وتوجيهات :

وليس : « فلسفة تاريخ محمد » كتابا يتحدث عن التاريخ وفلسفته في حياة محمد فقط ، بل يتضمن إلى ذلك إشارات ذات قيمة لحاضر المسلمين اليوم ، كهذه الإشارة إلى وحدة عربية قائمة على الألفة والتفاهم والمحبة والمنفعة - ص ١٦٠ - ويتضمن توجيهات مخرصة صادقة ، كذلك الحديث المؤثر المفيد عن « الإخلاص » الذي قال فيه المؤلف : (. . . بهذا الإيمان الصحيح الثابت المنزه عن الأغراض الدنيوية ، وبهذا الإخلاص في إبلاغ رسالته ، استطاع محمد أن ينقل إيمانه إلى قلوب المؤمنين ، وأن يذل كل عقبة كانت تعترض سير الإسلام وانتشاره) ص ١٦٧ - وأيضا : ٢٤٧ .

وهذه دعوة نرجو أن يصنى إليها ويستوحيا ويعمل بها المسلمون اليوم ، وأن يتأملها ، على وجه خاص ، بعض المشتغلين بالفكر الديني اليوم بين المسلمين في بلادهم جميعا .

محمود الشرفاوى

فهو يتحدث عن ثياب النبي عليه السلام ؛ وتواضعه في ملبسه ومأكله ومسكنه ، ثم يقول « أما بيته فكان من البيوت الوضيعة ، والسياق لا يدفع مجالا للشك في أنه يريد بالبيت « المسكن » ولكن التعبير - كما قلنا - خانه التوفيق . فهو يريد أن يقول إن النبي عليه السلام كان يسكن بيتا متواضعا .

وهناك خطأ في الشعر ، فالبيت المشهور - وهو للبتني - الذي يقول :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ،
مضر ، كوضع السيف في موضع الندى
هذا البيت وضعت فيه كلمة « للعدا » بدلا
من كلمة « بالعلا » ، ص ١٦٨ .

* * *

على أن هذه الملاحظات والمآخذ الهينة لم تنقص من قيمة هذا الكتاب الجيد الذي أفدت منه واستمتعت به وتعلبت عليه أشياء كثيرة ، والذي أنصح المشتغلين بدراسة السيرة النبوية الكريمة ، والثقافة الإسلامية بعامة أن يطالعوه وأن يفيدوا منه مثل ما أفدت ويستمتعوا .

لفت نظر ..

عاديا وإن كان أعظم مصلح ولم يعتمد على معجزات وخوارق كما اعتمد الأنبياء قبله ، وقد نسب الكاتب للأستاذ الإمام محمد عبده

يلاحظ القراء أن المؤلف - كما ذكر الكاتب الأستاذ محمود الشرفاوى - جرى على اعتبار محمد صلى الله عليه وسلم مصلحا

رأيا أنكره عليه العلماء في فهم قول الله :
« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل
صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون » .

وقد عرض الكاتب بكتاب (الشفاء)
للقاضى عياض على ماله من قيمة عظيمة ،
والمعروف الذى لا يحمله عالم أن الإيمان بالله
لا يفهم على معنى الإيمان بذاته لأن ذاته تعالى
فوق أن يحدها الكشف والوصف ، ولأن
متعلق الإيمان لا يكون إلا نسبة ، فالإيمان به
معناه الإيمان بوجوده وقدرته وكتبه ورسله
وكل ما ينسب إليه من صفات السكال ، وما
يصدر عنه من أقوال ، فعنى « من آمن بالله »
بعبارة واضحة صريحة - من أسلم ودخل في
دين الله بدليل قوله تعالى « إن الذين يكفرون
بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر

ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا .
أو لئلك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين
عذابا مبينا » .

أما الخوارق فحسبنا أن نشير إليها بقصة
الإسراء وبقول الله : « وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تحطه بيمينك » ، وقوله « هو
الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ،
وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين » ، وقول
الشاعر الحكيم العالم شوقي :

جاء النبيون بالآيات فانصرفت
وجئتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلها طال المدى جدد

يزينهن جلال العتق والقدم
ويكفى الآن هذه الإشارة العابرة أو اللوحة
الطائرة والسلام على من اتبع الهدى ؟

عبد الرحيم فوده

تعريف طريف للشعر

حلم الشاعر إغفاءة في صحوة الضمير ورقابة
العقل ، فلا هو رؤيا ولا هو رؤية . هو نتيجة
روحية سابقة لا تنبأه العقل ، وقضايا منطقية
سابقة لقياس المنطق ، إدراك خالص للتصور
والضمير في وقت واحد ، يكون فيه الشاعر
وهو ذاهل في تأمله ، مستغرق في تخيله آمنا
من الضلال بعيدا عن الخطأ . وكذلك القول
في كل فن وفنان .

قرأت في كتاب « دراسة الشعر » لأدريان
تلجر تعريفا للشعر أعجبني للأب اكسفابيه
بينلى السوسى وذلك قوله : « الشعر حلم يتهيا
في يقظة العقل » والمعنى الذى فهمته من هذا
التعريف أن الشعر أو الفن على الجملة نشاط
روحى يتسم بالفكر والمنطق . فالشاعر يحلم
ولكنه يدرك ما يترأى له . . يحلم وعيناه
مفتوحتان . وما يحلم به في يقظته ، يختلف
في طبيعته وفي نتيجته عما يحلم به النائم في نومه .

دراسة في ديوان : أيام من عمري للشاعر : ابراهيم محمد نجا بقلم الأستاذ محمد عبد النعم خفاجي

— ١ —

من الأعماق ، ثم يتجلى في صورة فنية وإطار جميل ، ولكنه يصبح خطراً على روح الشعر وجوهر الفن حين يأتي من الخارج فحسب فيصبح ضريبة مفروضة تجعل الفن أقرب ما يكون إلى مجموعة من اللوائح والقوانين ، والتوجيهات والإرشادات ، مع أنه من البدهي أن الفن لا يعالج المشكلات ولكنه يصورها ، ولا يحلها وإنما يكتب في بالإيجاء بها ومن البدهي أيضاً أن لغة الفن لغة رمزية ، لغة ترقص الباليه فكيف نريد من راقصة الباليه هذه أن تترك رقصتها الموحية ، لتقف خطيبة أمام الجماهير .

أسائل نفسي ، وقد انتهيت من قراءة هذا الديوان الجديد « أيام من عمري » ، للشاعر محمد ابراهيم نجا .

أولاً : ما الصلة الفكرية بين الشاعر ومجتمعه الجديد ؟ وبعبارة أخرى : ماذا يؤديه هذا الديوان من رسالة لتفكيرنا المعاصر ؟

ثانياً : ما الرسالة الفنية التي يدعو إليها هذا الديوان ؟

— ٢ —

رأى مقبول ، أميل إليه ونحن لانستطيع أن نحاسب الشاعر برأى نفرضه عليه ، وإنما يجب أولاً أن نعطي الشاعر حريته ، ونستمع إلى رأيه ، ثم نحاسبه وفق هذا الذي رآه ...

الالتزام ينبع من الأعماق ولا يفرض من الخارج ، هذا هو رأى الشاعر نجا في الموضوع ، وهو رأى له قيمته ، ونحن

وللإجابة على السؤال الأول نعود إلى مذهب الالتزام في الشعر الذي يدعو إليه بعض النقاد في مجتمعنا لحاجتنا إلى بناء نهضتنا الجديدة على أسس روحية تتجمع في دعمها كل طاقات الروح والفن . ويرفضه آخرون لأن الفن يأبى الالتزام ويؤمن بالحرية وللشاعر نجا رأى وسط في هذا الجانب كتبه في مقدمة الديوان ، قال إن الالتزام في الشعر لا بأس به حين ينبع

يدافع الشاعر عن الحرية والثورة ، وعن مبادئ الأحرار الثوار من العدالة وغيرها فيقول على لسان عصام مخاطباً أمه :
وتذكرى الأحرار من أبطالنا

وبهم عززنا بعد طول هوان
حصلوا على راحتهم أرواحهم
وتسلحوا بالعزم والإيمان
وأثروا إلى الدنيا بأكرم ثورة
هدمت صروح الظلم والطغيان
عنوانها حرية وعدالة
أكرم بما اتخذته من عنوان
ويقول كذلك على لسان الطيف يخاطب
أم عصام :

هو من شباب عاش أروع حقبة
من عمره مع ثورة الأبطال
لما ندافع عن مبادئنا التي
نبني بها حرية الأجيال
أشخاصنا تقنى ويسعد بعدها

بخلوده الوطن العزيز الغالي
ومن هذا نسئين مدى التجاوب بين
الشاعر ومجتمعه الثائر ، وبين شعره والثورة
في وطنه وعصره .

وفي مطلع الديوان قصيدة جديدة عنوانها
« بين ريح وشجيرة » ، في صدرها دعوة نبيلة
إلى الحرية .. يقول الشاعر على لسان الريح
يخاطب الشجيرة :

نحاسب شاعرنا بميزان نضع في إحدى كفتيه
هذا الأصل الذي قرره الشاعر ، ونضع في
الكفة الأخرى شعر الشاعر نفسه في ديوانه
الذي تناقشه هنا .

إننا وإن كنا لا نعرف تاريخ نظم الشاعر
لقصائد الديوان ، لأنه لم يذكر في آخر كل
قصيدة العام الذي نظمت فيه ، كما يفعل
كثير من الشعراء وإن كان هذا الديوان
لا يحتوي كل شعر الشاعر ، لأنه لا يزال
لديه مجموعات أخرى مخطوطة من شعره ..
لكن الحكم من أجل ذلك لا يختلف في كثير
ولا في قليل ؛ لأن الديوان قد ظهر هذا
العام ، ونحن لا نفرض على الشاعر أن
يكون ملتزماً ، بل نقول ونحن تناقش هذا
الديوان : إننا سوف ننظر بعين الاعتبار
إلى مذهبه في الالتزام ، وإنه لا بأس به
حين ينبع من الأعماق ، ثم يتجلى في صورة
فنية وإطار جميل .

فماذا شارك الشاعر نجما مجتمعه في تفكيره
المعاصر ، الذي نستطيع أن نلخصه في الحرية
والاشتراكية والقومية العربية ؟ .

للشاعر في آخر الديوان مسرحية شعرية
وطنية ، عنوانها « في سبيل الوطن » ، سجل
فيها بالحوار الشعري قصة أم ضحت في سبيل
الوطن بآبن لها ، ثم ضحت في سبيل هذه الغاية
نفسها بآبن آخر كذلك . وفي هذه المسرحية

أنا أعلى منك شأنًا هذه حياتى .. لهفة
أنا أسى منك قدرا حيرى ووجد وانطلاق
هل يساوى العبد من عا والحرية هى أساس كل دعوة من دعوات
ش مع الأيام حرا ؟ مجتمعا التأثير ؛ والشاعر إذا آمن بالحرية
والذى عاش اختيارا فقد آمن بكل شيء . وإذا دعا إلى الحرية
دونه من عاش قسرا فقد دعا إلى الاشتراكية والقومية ، وإلى كل
وللقصيدة نزعتها الفلسفية ، التى تأثر فيها نبيل من الدعوات .
الشاعر بشعر المهجر عامة ، وبإيليا أبى ماضى ومن الصور الشاعرة التى كتبها الشاعر
بصفة خاصة ، كما تأثر بذلك كله فى قصيدته عن مجتمعه قصيدته « ليالى الحصاد » ، التى
الأخرى « وبقيت وحدى » التى تنطوى صور فيها جمال هذه الليالى فى الريف تصويرا
على نفس النزعة ، والقصيدتان من أروع رائعا نادرا ، وفيها يقول :
شعر الديوان . يا عذارى الحقول يا منية الأار
وإذا كان الجانب الرومانسى قد طغى على واح رفقا بهذه الأعواد
الديوان ، فإنه لم يمح شخصية الشاعر وتفكيره ويريد الشاعر أعواد القمح وسنابله :
الموصول بتفكير مجتمعه ، وإن كان ما كتبه لأنها منبع الحياة لشعب
الشاعر فى ذلك الجانب قليلا من كثير . ما تربى إلا على الأجداد
ويرامى إيمان الشاعر بالحرية فى كثير قد غذاها بروحه نيل مصر
من قصائده الوجدانية ، يقول من قصيدته وسقتها روائح وغواذى
« أحزان المساء » يصور أن سعادته فى أن ورعتها الشمس المنيرة حتى
يحيا طليقا حرا : هياتها لمنجل الحصاد
لأننى أشتاق أن أحيأ سعيدا حسبها أنها تمتد عروقا
أترك السجن وأجتاز القيودا فى ثرى مصر كعبة القصاد
وأرى عمرى وقد صار نشيدا كل نبت وكل شيء عزيز
هائما فى الكون يرتاد الوجودا حين ينميه موطن الأجداد
ويقول الشاعر من قصيدته « عذراء » يا عذارى الحقول أين غذاء الر
يصور حبه للحرية ، للانطلاق : وح بعد الغذاء للأجساد

وعذراء ، وصلوات روح ، خاصة .
والحب عميق الجذور في نفس الشاعر
إبراهيم نجا ، ومن روائعه قصيدته « اذكريني »
وصلة الحب الوثيقة بقلب الشاعر يؤكدها
قوله من قصيدته « ضراعات » ...
لولا الهوى ماتت الأشعار في خلدي
ولم أكن لأذوق الحب لولاها
ويقول من قصيدته « بلا أمل » يتحدث
عن الحب ويفلسفه :

وأحسسته نورا يعانق مهجتي
وينساب في قلبي انسياب الجداول
ولمى لأهوى الحب حتى لو أنه
يعذب قلبي بالشقاء المواصل
عرفت به معنى الحياة وروحها
وأدركت سر الكائنات الأوائل
وللطبيعة سحرها عند الرومانسيين عامة ،
و « نجا » من بينهم ، فهو يكثر من
الحديث عنها في كل قصائده ، يصور فيها
الحقل ، والخميلة والزهرة والبحر والماء
والموج والهواء وغيرها من مظاهر الطبيعة ،
ويتحدث عن الربيع في قصيدة مفردة
عنوانها « جاء الربيع » . وقصائده : ليالى
الحصاد ، وعلى الشاطئ ، وسواها ، صور
جميلة لشعر الطبيعة الذى ينبع من أعماق
نفس الشاعر ، إذ تمزج مرأى الطبيعة بنفسه
ووجدانه وخياله امتزاجا قويا .

إن تقدمه تقدم من مجدا
وسناء وعزة للبلاد
إنما الكون ساحة لسباق
قوة الروح منه خير الجياد
والقصيدة عالية النمط والأسلوب والتفكير
وفيهما مشاركة ظاهرة بين الشاعر ومجتمعه ،
وإن كان تعبيره بكعبه القصاد جاء مفحما على
الصور الشعرية التى يؤديها الشاعر ...

— ٢ —

والإجابة على السؤال الثانى وهو الرسالة
الفنية التى يدعو إليها الديوان ، أقول :
إن الشاعر « نجا » يؤمن بالاتجاه الرومانسى
فى الشعر ، هذا الاتجاه الذى دعت إليه
مدارس : شعراء المهجر ، وشعراء الديوان ،
وشعراء مدرسة أبولو . ومن قبلهم دعا إليه
الشاعر « مطران » . وديوان « أيام من عمرى »
ملوء بقصائد الحنين والشوق والحب والهيام
التي يفنى الشاعر فيها ، إذ تتأجج هذه العواطف
النبيلة فى صدره ووجدانه وخواطره
ومشاعره فى شتى قصائد الديوان . والتى
يبدو فيها تأثير الشاعر إبراهيم نجا بالشاعر
الكبير إبراهيم ناجى .
وكقرب اسمى الشعارين بعضهما من
الآخر تقارب الاتجاه الشعرى بينهما ، أو قل
على الأصح : تأثر « نجا » بناجى تأثرا واضحا
فى شعره عامة ، وفى قصائده : أحزان الوجود ،

في بناء القصيدة ، كما فعل في قصيدته « قصة شريد » . والقصائد ذات القافية الواحدة قليلة في الديوان ، ومنها قصائد : ليالى الحصاد - بلا أمل - صارحيني - ضراعات - صلوات روح .

وفي شتى قصائد الديوان تحدث الشاعر عن نفسه وحياته وفلسفته في الحياة أحاديث حاملة هامة رومانسية .

— ٤ —

وفي إجمال شديد أقول : إن رسالة الديوان الفنية تتخلص في أنه بنهج الفن دعوة قوية إلى بساطة التعبير وصدقه ، وإلى صدق الشعور ، وإلى التجديد في بناء القصيدة العربية ، التجديد الذى لا يتنافى مع تقاليد الشعر ، ولا تأباه أصوله وأسس الفنية .

إن إبراهيم نجا الشاعر قد وهب لغة الشعر طاقات جديدة ، ومنحها قوة وقدرة على إمكان متابعة الشعر للحياة وتأثيره فيها ، وتأثرها به ، وذلك عمل كبير ، ورسالة جليلة ، نحمد من أجلها الشاعر وديوانه ، ونرجو لها التوفيق في نشر هذه الرسالة وإذاعتها بين الناس .

محمد عبد المنعم مفاوى

ويؤمن « نجا » بضرورة تعبير الشاعر عن ذاته ، وتعبير الشعر عن نفس صاحبه ليأمنه ببساطة الأداء وصدق التعبير .. ومن ثم يؤكد في مقدمته لديوانه أن الشعر يجب أن يكون صادق الشعور ، صادق التعبير ..

ولغة إبراهيم نجا الشعرية لغة رقيقة عذبة يؤدي بها أضخم المعانى وأبسطها على السواء ويجعلك وأنت تقرأها تؤمن بجمال البساطة في الأسلوب والتعبير والأداء .

ويلتزم نجا الوزن الشعري في قصيدته ، وإن كان يحيز تعدد البحور في القصيدة ، كما فعل في قصيدته الوجدانية الرائعة « رسائل ضائعة » ، إذ نظم مقطعها الأول والثاني من بحر الطويل ، ومقطعها الثالث من بحر المتقارب . والقصيدة مع كلاسيكيتها في الأسلوب رومانسية الصور والأخيلة والمعانى الشعرية . وكذلك عدد الشاعر البحر الشعري في مسرحيته الأخيرة ..

أما القافية فالشاعر في أغلب قصائده ينوع فيها ، فيجعل قصيدته على نمط الرباعيات أحيانا كثيرة ، وقد يجعلها خماسية المقاطع أو سداسيتها أو ثمانية ، ولكل مقطع منها قافية خاصة ، وقد تختلف أبيات كل مقطع عن الآخر ، وقد يسلك نهج الموشحات

بريد المجلة

الذي يكتب عن الإسلام :

نشرت مجلة الأدب والحقيقة التي تصدر في فرايبرج بألمانيا مقالاتاً تحت عنوان «الإسلام والتيارات العالمية» للستشرق (أرنست بانيرت) والمشتشرق ليس غريباً عن الإسلام ، فلقد زار الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت وقد تفضل فضيلة الإمام الأكبر وأهدى إليه كتابه المشهور (الإسلام عقيدة وشريعة) . والمستشرق له كتاب «الإسلام اليوم وغدا» ونشرت له المجلات الألمانية عدة مقالات عن الإسلام .

وألقي ثلاثين محاضرة عن الإسلام في جامعات فيينا ، كما ترجم حياة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت من العربية إلى الانجليزية ، وله كتب أخرى عن الإسلام ، وهو مشغول الآن بمعالجة كتاب منهاج العابدين . والمرجع الأول له في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) .

ولقد تناول في مقاله السالف عصر النهضة الروحية التي قادها الشيخ جمال الدين الأفغاني وحمل لواءها الشيخ محمد عبده ، وكيف تكونت مدرسة لها قيمتها يقودها اليوم الإمام الأكبر فضيلة الشيخ محمود شلتوت .

وتسكلم عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجن والإنسان . ورسالاته في الحياة طبقاً لما يقول أهل السنة . وتسكلم عن أركان الإسلام والنهضات الدينية التي قامت في بلاد الإسلام ، وأشاد بالزكاة وقيمتها في الحياة الاجتماعية وأنها طريق وسط بين إلغاء الملكية وطغيان الرأسمالية . ورأيه في القومية العربية أنها تخالف القوميات الأوروبية وأنه لا يمكن البعد بها عن التراث الروحي للأمة العربية .

ثم تسكلم عن الاشتراكية العربية كما وضع أصولها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . وفي نهاية مقاله تحدث عن صلة المسلمين القوية بدينهم ، وأعجب بالروح الدينية العالية التي تسود بلاد الجمهورية العربية المتحدة وروح التسامح العظيمة التي تظهر في تبادل الزيارات بين رجال الإسلام والمسيحية .

والمقال مراجعه من الكتب العربية الحديثة لكبار الكتاب المسلمين وهو جهد يشكر عليه من قراء اللغة الألمانية فقد جعل همه إزالة كل الشبهات التي يقع فيها كل قارئ عن الإسلام في أوروبا ؟

عبد العزيز عبد المعطي عوف

بإدارة الثقافة

خبطاً في قصيدة (لا تسكنني)

جاء في قصيدة (لا تسكنني) الأستاذ الشاعر كامل الشناوى قوله :

ماذا أقول لأدمع

سفحتها أشواقى إليك

ماذا أقول لأضلع

مزقتها خوفاً عليك

والوزن في (سفحتها) لا يستقيم إلا إذا

حذفت الألف من الضمير (ها) فتقول

(سفحته) فهل هذا يجوز ؟

عبر الخفيظ محمد عبد الحليم

(الملاحظة) حذف الألف من الضمير (ها)

لا يجوز صرفاً ولا عروضاً ، وكان من الممكن أن يقول الأستاذ الشاعر مثلاً :

ماذا أقول لأدمع

أهرقتها شوقاً إليك

ماذا أقول لأضلع

مزقتها خوفاً عليك

فيسلم من هذا الخطأ ويزاوج في الألفاظ

بين البيتين .

لفت نظر :

جاء في عدد شوال سنة ١٣٨١ هـ في مجلة

الأزهر في مقال للدكتور سعد الدين

الجزاوى صحيفة ١٢٢٠ من العمود الثانى

سطر ١٤ فى معرض قصة المتخلفين الثلاثة قال :
لأنهم ربطوا أنفسهم فى أعمدة المسجد
والصحيح أنهم لم يربطوا أنفسهم ولم يربطهم
أحد .

يقول أحد الثلاثة : فأما صاحبى فاستكانوا
وقعدوا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت
أشد القوم وأجلدهم فكنت أشهد الصلاة
مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمنى
أحد ... إلخ حتى إذا مضت أربعون ليلة
من الخمسين إذا برسول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يأتينى يقول - يأمرك رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن تعزل امرأتك .. إلخ ..
قال ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين
ليلة على ظهر بيت من بيوتنا .. إلخ .. وكان
الفرج . أقول - ظهر من هذا أنهم لم يربطوا
أنفسهم فى أعمدة المسجد .

وأما الذى ربط نفسه فى سارية المسجد
فهو أبو لبابة حين بعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى بنى قريظة لينزلوا على حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه
فى ذلك فأشار بيده إلى حلقة أى أنه الذبح
ففطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله
ورسوله فحلف لا يذوق ذواقاً حتى يموت
أو يتوب الله عليه ، وانطلق إلى مسجد المدينة
فربط نفسه فى سارية منه فمكث كذلك
تسعة أيام حتى كاد ينخر مغشياً عليه من الجهد

ولإن كان يشتمل على ذم الهوى مطلقاً (ص ١٦) بل هو يقول في مقدمته التي ذكر فيها سبب تأليف الكتاب أنه نصيحة لمبتلى بالهوى قد أتى بها على أبلغ ترتيب (ص ١) والرجل قد جعل وسيلته في تناول موضوعه سرد الأحاديث والأخبار والأشعار ثم التعليق عليها، وأحياناً يكون الخبر وحده مغنياً غناء باب من الشرح والتحليل ! .

فلا نستطيع أن نسلم أن ابن الجوزي عالم لم يكن له منهج محدود ، ولا نرى في سرد القصص والأخبار عيباً يشين الكتاب ، بل هي مادة نافعة زدنا بها المؤلف ربما كانت أنفع من تناوله وبيانه ، وهي طريقة متبعة في تأليف الأقدمين ، وهي في حد ذاتها منهج معترف به .

ثم تأتي مسألة الإسرائيليات في الكتاب ، أو الأخبار الواهية فيه على وجه العموم . فيرى الأستاذ أن ابن الجوزي حشاً كتابه بقصص لا يعبأ بها الإسلام في قليل أو كثير ، ويرى أنني لم أبين رأي الإسلام في هذا الغث الذي يحدث ارتباكاً في المفاهيم الإسلامية . والواضح لمن يقرأ الكتاب أنني تعقبت المؤلف في مواضع كثيرة ؛ ألفت النظر إلى نبوها عن الحقيقة أو وهن قواها . ففي هامش ص ٢٢ عقت على مجموعة قصص خرافية مستعبدا لها ومتمنيا لو أن ابن الجوزي لم يكثر بها .

فلما أنزل الله توبته وأرادوا أن يحلوه من السارية خلف لا يحله منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فله ، فظهر من هذا أن هذه واقعة غير تلك ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

محمد بمر الميرج الفقيه المصري

تعقيب على نقد :

في عدد صفر من مجلة الأزهر تفضل الأستاذ محمد عبد الله السمان بنقد كتاب « ذم الهوى » لابن الجوزي الذي قمت بنشره . ومع أن الأستاذ كان حسن الظن بي حيث أطرى بعض عملي وقدره ، فقد أحببت أن أجيب بإيجاز عن استفسارات وأرد على وجهات نظر أثارها الناقد .

فقد رفض الأستاذ أن يكون الكتاب من كتب الفكر أو التوجيه الإسلامي بحجة أن ابن الجوزي لم يعتمد في كتابه على منهج محدود ولا مناقشة مدروسة بل اعتمد على سرد القصص إلخ .

ونحن لا نرى أن ابن الجوزي لم يعتمد على منهج محدود ، بل هو حدد منهجه من بداية الأمر أو قسم كتابه خمسين باباً تناولت كل جوانب موضوعه ، وهو ذم الهوى ، الذي قال عنه في بداية الفصل الثاني : « وكتابنا هذا لزم الهوى في شهوات الحس ،

وهو ليس في مجال تشريع أو أحكام ، بل في مجال موضوع نفسي محتاج لكل المؤثرات ، وهو يضع هذا الحشد من التراث ليوزن بموازين العلم وليفحص على مناهجه ، أما أن ننحى على كل ما نستغربه أو نستبعده فمعنى هذا إحراق كل الموسوعات الحافلة بأخبار الأقدمين وآثار العصور .

وهذا التراث كان مادة التصوف ووسيلة التربية النفسية في عصر المؤلف وقبلة . وأخيراً يرى الأستاذ أن المسلم المثقف لا يرى في الكتاب إلا صدمة لنفسه ومفهوم الإسلام عنده .

وهذا عجيب ، فالكتاب لم يتناول مفهوم الإسلام ولا هو من كتب العقيدة أو الشريعة ، وليس إلا رحلة خلال العصور تجمع تراثها في ناحية الهوى والعشق من زاوية الإيمان والطهر ، ونهايته فصل رائع في أدوية العشق فيها ذروة التحليل وأمانة الخبرة ، وفيه ألوان جديدة ورائعة من الأدب الإسلامي فماذا يصدم المسلم المثقف ، إلا أن يكون عنى بالثقافة شيئاً آخر .

وأغلب الظن أن الأستاذ السهمان لم يمنح هذا الكتاب من وقته إلا لحظات قليلة ولعله قلب بعض صفحاته في نظرات عابرة جعلته لا يتبين حقيقته ولا يدرك مرماه .

والأستاذ شكرى وتقديرى ؟

مصطفى عبد الواسع

(البقية في صفحة ٣٨٤)

ثم في هامش ص ٥٧ استبعاد الخبر ذكره عن عمر . وفي هامش ص ١٠٥ و ص ١٠٦ بيان لوضع حديثين ذكرهما . بل إننى استنكرت ما يحكيه عن الإمام مالك وغيرهم من تشديدهم في مجالسة الأحداث ولو في ساحات العلم . وكذلك أخبار عن عمر ص ٩٨ ، وخبر منسوب إلى الرسول عن يوم الغيمياء ص ٥٠٠ وغير ذلك مما نقيته أو استبعدته .

وقد ذكرت في المقدمة أن فكرة الإحاطة والجمع في موضوع الهوى استولت على ابن الجوزى فألهته في بعض الأحيان عن نقد ما بورده وخص ما ذكره من أحاديث وأخبار . وضربت لذلك مثلاً بأخبار يحيى ابن أكرم التي رواها بدون تحفظ وذكرت رد ابن خلدون وقلت : فما كان ينتظر من ابن الجوزى أن ينزلق إلى رواية كل ما قيل . والعجب أن الأستاذ السهمان ذكر في نقده مثلاً للإسرائيليات قصة عابد بنى إسرائيل الذى نظر إلى امرأة فقلع عينه .

مع أن ابن الجوزى علق على هذه القصة بقوله : إن قال قائل : هذا قد فعل معصية بقلع عين نفسه ، فكيف صارت طاعة يتوسل بها ؟ وأجاب : إذا صح النقل عنه حمل على أنه كان ذلك في شرعهم جائزاً ، أما في شرعنا فذلك حرام .

ثم إن ابن الجوزى في كتابه ينقل تراثاً بلغه وانتهى إليه ، فيه الحق وفيه الباطل ،

فُنْ ضَائِرُ الْجَنَةِ الْفِتْوَى

بشرف عليه : ابراهيم محمد الأصيل

السؤال :

أصل المذهب عدم التعدد مطلقا فتندب صلاة الظهر مراعاة لذلك وطلبا لتبرئة الذمة ما أمكن .
فإن كان التعدد لغير حاجة أو زائدة على الحاجة فالجمعة لمن سبق ، فإذا لم يعلم السابق وجبت صلاة الظهر على تفصيل طويل يكشفنا هذا منه .

في البلد مسجدان يصلى في كل منهما الجمعة وعالم البلدة يوجب صلاة الظهر ؛ لأن الجمعة لمن سبق ولا يدري من السابق ، فما الحكم في مذهب الإمام الشافعي ؟
فريد المتولى حلاوة

الجواب :

ما حكم تعدد الجماعات في وقت واحد في مسجد واحد ؟
الشيخ محمد عثمان
إدارة الدعوة والمؤتمرات بوزارة الأوقاف

الجواب :

حكم التعدد وعدمه منوط بخوف الفتنة وعدمه ، فإذا خيف الفتنة كأن كان المسجد غير مطروق وله إمام راتب ولم يأذن الإمام الراتب في التعدد ، كان التعدد مكروها . قبل جماعة الإمام الراتب أو بعدها أو معها ، لما فيه من الإشعار بالطعن في الإمام الراتب وقد يؤدي إلى تعطيل جماعته ، فإذا تحققت الفتنة وأن القصد الكياد

الجواب :

أصل مذهب الشافعي عدم تعدد الجمعة في البلدة الواحدة مطلقا ؛ أي لحاجة أو لغير حاجة ، لأنها لم تفعل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده إلا جمعة واحدة .
غير أن معتمد المذهب جواز التعدد لحاجة وبقدر تلك الحاجة ، فإذا كانت الجمعتان في البلد لحاجة التعدد ، كانت الجمعتان صحيحتين السابفة والمسبوقه ، ومعنى الحاجة ألا يكون في العمران مكان يسع المصلين ، أو كانت هناك دواع ودوافع نفسية كضغائن بين العائلات يخاف من اجتماعهم بسببها في المكان الواحد أن تحصل الفتنة ، وعندئذ لا تجب صلاة الظهر ، إلا أن رعاية الخلاف مندوبة ، ونظرا إلى أن

أخوها من والدته معه ورضع أخوه الأصغر
من زوجة خاله مع شخص آخر فما الحكم ؟
السعيد محمد الحلو - القاهرة / مصر الجديدة

الجواب :

لا مانع من زواجه بهذه الفتاة ؛ لأنها
أخت أخيه من الرضاع وأخت الأخ من
الرضاع لا تحرم .

السؤال :

يريد شخص أن يأخذ طفلة شخص آخر
ويتولى تربيتها، وينسبها إليه : فهل يجوز
ذلك شرعا ؟

الجواب :

نفيد بأن التبني ونسبة الطفلة لغير أبيها
الشرعى ممنوع شرعا قال تعالى : « وما جعل
أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لأبائهم
هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم
فإخوانكم في الدين ومواليكم » .

وحيث إن والد الطفلة معلوم لنا وهو
موجود فهى بنته ، ويجب عليه تربيتها إن كان
قادراً على ذلك ، فإن عجز فلن قام بتربيتها نيابة
عنه ثواب عمله « فمن يعمل مثقال
ذرة خيراً يره » .

ويجب مع هذا المحافظة على نسب الطفلة ،
حتى لا يختلط بغيره ، ويقع من جراء ذلك
مخالفات دينية لا نعلم مداها الآن . وأما مع

للإمام الراتب والإفساد عليه ، كان التعدد
حراما ، وإن اتفق حصول ذلك ، لعذر فلا
كراهة ، وإذا لم تخف الفتنة كأن كان المسجد
مطروقا أو ليس له إمام راتب أو أذن
الإمام الراتب في التعدد ، فلا كراهة ، قبل أو بعد
أو مع جماعة الإمام الراتب ، بشرطين : الأول
ألا يقترن بالتعدد محذور كتشويش على
مصل أو تخليط في صلاتهم أو أقوالهم
أو أفعالهم . فإن اقترن به شيء من ذلك بسبب
التعدد كان حراما . الثانى انتقاء خوف الفتنة
من جهة أخرى غير جهة الإمام الراتب ، وإلا
كان التعدد ممنوعا كراهة أو تحريما على حسب
تفاوت الأحوال المقتضية لل منع ضعفا وقوة ؛
فقد يكون التعدد مكروها ، وقد يكون حراما
تبعا لذلك . كما أنه إذا أُلِف التعدد في المسجد
المطروق بمن علم من حاله أنه يقصد الكياد
للإمام الراتب والإفساد عليه كان حراما .
فإذا اتبى احتمال الفتنة رأسا فالتعدد جائز
بصوره الثلاث ، بشرط ألا يقترن به محذور
كما تقدم . وعلى ذلك إذا رأى ولى الأمر أن
يرتب فى بعض المساجد إمامين أو أكثر
لأمر مصلحي يقتضيه فلا مانع منه ، بل هو
من التيسير على المسلمين .
وهذا ما اختارته لجنة الفتوى من بين
أقوال الفقهاء .

السؤال :

يريد الزواج من بنت خاله ، وقد رضع

عنها ، وتنقضى العدة ويعقد عليها عقداً جديداً بمهر جديد برضاها .

وليس مما يوجب حلها للزوج الأول ما يفعله المحلل من نكاحها بقصد التحليل ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المحلل والمحلل له ، واللعن يقتضى الطرد عن رحمة الله ، وما كان طريقاً للطرد والإبعاد لا يصح أن يكون طريقاً للعودة والوفاق .

أما إن قصد التأكيد أو لم يقصد شيئاً ، فلا يقع بذلك الإطالة واحدة رجعية ، إن لم يسبق ذلك طلقتان . وحيفئذ فله مراجعة الزوجة ما دامت في العدة ، فإن انقضت العدة قبل المراجعة عقد عليها عقداً جديداً بمهر جديد برضاها .

السؤال :

مات والدى في حياة جدى ولى أعمام وقد صدر قانون الوصية في حياة الجد ولكن الأعمام يدعون أنه لا ينطبق على هذا القانون فما نصيب ذلك من الصحة ؟

عبد المنعم عبد الفتاح بسيوني
السنبلاوين / إتميد الحجر

الجواب :

المعتبر إنما هو الوقت الذى مات فيه الجد ، فإن كانت وفاة الجد بعد صدور القانون ثبتت الوصية لابن الابن أو البنت المتوفى في حياة والده بمقدار نصيب والده في حدود الثلث ؛ عملاً بالقانون المذكور . وعلى ذلك فالوصية ثابتة لك وعليك أن تتخذ الإجراءات اللازمة نحو مطالبتك بهذا الحق .

نسبتها لغير أبيها على أن تأخذ حكم أولاد هذا الغير في الميراث وغيره فذلك محرم وغير جائز لما تقدم .

السؤال :

هل يجوز الجمع بين المرأة وخالتها في النكاح ؟
هيام إبراهيم عبد الحميد - القاهرة

الجواب :

نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها ، والنهى للتحريم ؛ لأنه ليس هناك ما يصرفه عن الحرمة . وبذلك يكون الجمع بين المرأة وخالتها حراماً .

السؤال :

كتب لزوجته يقول لها : أنت طالق ! أنت طالق ! أنت طالق ! فهل يقع ذلك ثلاثاً أو يقع واحدة ؟ وإذا كان الطلاق ثلاثاً فما هو الطريق الذى يتبع لإعادة الزوجة ؟ .

رداً على كتاب إدارة الثقافة رقم ٦٨٤ في ٢ / ٣ / ١٩٦١ .

الجواب :

كتابة هذا اللفظ ثلاثاً كالنطق به إذا قصد به معناه ، فإن قصد بأن يقع بكل لفظ طلاق فقد بانء الزوجة بذلك بينونة كبرى ؛ لا تحل إلا بعد أن تزوج غيره زواجا صحيحاً ، ويدخل بها دخولاً حقيقياً ، ثم يطلقها أو يموت

بَيْنَ الصِّحْفِ وَالْكِتَابِ

السياسية العامة ، تارة مؤيدة وتارة معارضة حتى خاضت معركة الجبل ومعها عديد من الصحابة فيهم ، طلحة والزبير ، وحتى قال على عنها : لو كانت امرأة خليفة لكانت عائشة .

وقد شاركت نفيسة بنت كعب أم عمارة لإحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عدى بن عمرو بن نابي وأم منيع لإحدى نساء بني سليمة في بيعة العقبة الثانية^(١) ، وكانت البيعة على أن يمنعوا رسول الله مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى أن يرحل الرسول إليهم .

وتلك مبايعة المؤمنين الأولين لرئيسهم ورسولهم .

وشارك النساء أيضاً في بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعدم الفرار حين توجه عليه السلام إلى مكة وأجرى صلح الحديبية . وكانت بيعة الرجال على بيعة النساء المنصوص عليها في القرآن على « ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن

المرأة والشورى في الإسلام :

ليس في الإسلام ما يمنع من اعتبار المرأة مشاركة في الشورى ، ولا من مشاورتها والعمل برأيها إن أصابت ؛ وذلك لأنها ممن يباح لها الاجتهاد في الأحكام ويؤخذ بفتواها ، وقد كانت عائشة أم المؤمنين من أعلم الناس بالفقه وأقواهم اجتهاداً فيه حتى قال ابن حزم : يمكن أن يجمع من فتيا عائشة سفر ضخم ، وقال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بفقه من عائشة ، وقال عطاء : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس .

ومن المقتنيات المجتهدات غير عائشة من أمهات المؤمنين أم سبلة وحفصة وصفية وجويرية ، وحبيبة ، وميمونة ، ومنهن كما عند ابن حزم أم أيمن وأم يوسف الغامدية ، وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن ، وكانت عائشة ذات رأى قوى في الشؤون العامة يرجع إليها في ذلك ، حتى قال عطاء : كانت عائشة أحسن الناس رأياً في العامة .

ولم تتخل عائشة زمن خليفة من الخلفاء الذين كانوا في عصرها عن التدخل في الشؤون

(١) انظر سيرة الكلاعي وما نقله في ذلك من ابن إسحاق .

عليه ، فقالت له : إن خرجت لإحياء كتاب الله وسنة رسول الله ، فإن الشاة لما تعذب بالسليخ فت على الحق ، وإن كنت إنما خرجت على طلب الدنيا فلا خير فيك حيا وميتا ، يا بني مت كريما ولا تستسلم .

فإذا كانت المرأة قد شاركت في مبايعة الرسول الرئيس الأول للدولة الإسلامية ، وشاركت في التشريع عن طريق الاجتهاد والفتوى وإبداء المشورة فذلك ما يبين أن لها الحق في أن تكون نائبة عن فريق من الأمة ، وأن تشارك في انتخاب النواب والمستشارين والأصل في ذلك قوله تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » . فقد أثبتت هذه الآية الولاية المطلقة

للمؤمنات كما أثبتتها للمؤمنين وتدخل فيها ولاية النصرة كما تدخل فيها ولاية الحضور في المساجد والمشاهد ومعارك الجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد نص القرآن على التشاور بين الرجل وبين زوجته في شئون الزوجية فقال : « فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » . وإذا كانت الشورى مطلوبة لهذا الحد من أمر الأسرة ، فما بالك

أولادهم ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصينك في معروف » . وذلك ميثاق واثقن به الرسول عليه السلام .

وقد استشار النبي أم سلمة أم المؤمنين في غزوة الحديبية حينما أمر أصحابه بالنحر والهدى والحلق والإحلال ثلاث مرات قتل كماؤا في تنفيذه فطلب عليه السلام رأيها فأشارت عليه أن يعطيهم القدوة من نفسه فيخرج ، ويصنع هو ما طلبه منهم ، فلما فعل ، استجابوا واقتدوا به ، وأكب بعضهم يخلق بعضا حتى كادوا أن يغموا بعضهم من شدة الزحام .

واستشار النبي عليه السلام بريرة في شأن عائشة لما هلك في أمرها عبد الله بن أبي ومن معه ، فقالت له : لا نعلم عنها إلا خيرا ، وإنما هي جارية حديثة السن تنام عن العجيين فتأتى الداجن فتأكله .

وأراد عمر بن الخطاب أن يحد من صدقات النساء فقالت له امرأة في المسجد ليس لك ذلك يا أمير المؤمنين ؛ لأن الله يقول : « وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » ولو لم يكن يصح إعطاء المرأة القنطار في صداقها لما ذكره الله في كتابه ، فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ .

واستشار عبد الله بن الزبير أمه أسماء في حرب عبد الملك والحجاج ومن خرج معهما

ثلاثة لا رابع لها: الحب والصداقة والمطالعة .
تستطيع أن نحب الكتاب لأنه صديق وفي
صدوق . وإن الكتب أشد حكمة وأبلغ عظة
من واضعها لأنهم يودعون كتبهم خير
ما عندهم .

إن الكتب تحدثنا حديث من هم فوقنا
شأننا حديث من تألموا وسعوا وبحشوا كما
تتألم ونسعى ونبحث فهي أبواب مفتوحة
نطل منها على الغير من النفوس والشعوب .
فنحن نقرأ ونطالع لنسمو قليلا فوق
واقع الحياة ولنسندك أكثر فأكثر واقع
الحياة في الآخرين ، ولكن للكتاب غير
هذه من المتع واللذائذ ، فهو لا يترك مطالعه
كما كان قبل قراءته له فهو يسكب فيه من
طابعه ويجعله أحسن وأكمل .

إننا الآن في عصر نجد فيه الناس في كثير
من البلدان يزدادون يوما بعد يوم استمعا
بالمساواة في الحقوق ، ويشاركون أكثر فأكثر
في عملية الحكم ، ويؤلفون رأيا له من الحول
والشأن على الحكومات القائمة الكلمة الفصل ،
في حالي السلم والحرب وتقسيط العدالة
ورفع الظلم . وبكلمة أخرى في حياة الشعوب
في العالم أجمع . وقوة الشعب هذه التي نعب
عنها بالديمقراطية تقتضي بأن يتم للجواهر التي
أصبحت مصدر السلطات ، الوقوف على
المشكلات الكبرى التي تسببها بتباه العالم ،

بأمر الأسرة الكبرى وهي الأمة والدولة ،
وكما أن الشارع لم يحرم نصف الأسرة الذي
هو المرأة من حق التشاور ، فلما معنى لأن يحرم
نصف الأمة الذي هو المرأة من حق الشورى .

عمر الفاسي من مقال له في (البينة)

المكتبات العامة ورسالتها في المجتمع:

كلفت منظمة اليونسكو الأديب الفرنسي
أندريه مورو بكتابة دراسة مسهبة تتضمن
أهم ما يجب أن يعرفه القارئ العادي عن
(المكتبات العامة ورسالتها في المجتمع)
والدور الذي يؤديه في تغذية الثقافة ، وقد
قدم الأديب المذكور هذا البحث الذي
استغرق ٣٣ صفحة تناول فيها (١) المطالعة
(٢) المكتبة (٣) المكتبة العامة وخدماتها
(٤) مكتبة الأطفال (٥) أمين المكتبة
(٦) اليونسكو والمكتبات (٧) مستقبل
المكتبات العامة .

يقول أندريه مورو : « حضارتنا
الإنسانية مجموعة من المعلومات والذكريات
خلفتها تباعا الأجيال التي تقدمتنا لذا لا يمكن
الإسهام بإنمائها إلا عن طريق الاتصال
بالأفكار التي بلغتنا على الدهور ولكي يتم
لنا ذلك ويصبح الواحد منا مثقفا أو مهذبا
علينا أن نقرأ أي أن نطالع فليس ما يغنينا
عن المطالعة أو القراءة سيلا .

إن الكتاب سيبقى وحده رفيق الحياة ...

مؤلف «قصة الحضارة» في أيامه الأخيرة:

كان «ول ديورانت» مؤلف كتاب (قصة الحضارة) في السابعة والعشرين من عمره عندما قرر أن يحقق حلمه الكبير في تأليف هذا الكتاب وشرع في القراءة والاستعداد لإصدار هذه الموسوعة الضخمة، وكان قبل ذلك بعام واحد قد أصدر أجمل وأروع كتبه «قصة فلسفة» وقد باع من هذا الكتاب أكثر من ستة ملايين نسخة في أمريكا وحدها وكان هذا الكتاب هو المظلة الواقية الذهبية التي عاش بها وتحتها حتى يومنا هذا... وفي ظل هذا الكتاب الذي باع كل صفحة منه بألوف الدولارات، عكف المؤرخ الأمريكي الفرنسي الكندي المولد، ول ديورانت على تحقيق الحلم الكبير «قصة الحضارة».

لقد صدر أخيرا الجزء الأول من المجلد السابع لهذا السجل الضخم، وكان عنوانه: بدأ عصر العقل والجزء الثاني سيصدر سنة ١٩٦٣ بعنوان «عصر لويس الرابع عشر» والجزء الثالث سيصدر سنة ١٩٦٥ بعنوان «عصر فولتير» ويعتقد المؤرخ «ول ديورانت» أنه بهذا الجزء يكون قد حقق حلمه الكبير، فيكون قد بلغ الثمانين من عمره، وفي السن التي لا يقوى بعدها على أن يدفع «قصته» إلى ما بعد عصر نابليون.

وقد ترجمت معظم مؤلفاته إلى العربية

والذي أعنيه بذلك: هو أن تنال هذه الجماهير أكثر فأكثر تعليما يبقى أبدا ناقصا مجزوءا ما لم توازر المكتبة عمل المدرسة وتتمه.

ليست المطالعة رياضة موصوفة قديمة للعقل فحسب فهي تكشف الأذهان الغضة الفتية الخصائص الخفية للحقائق التي سيتلقونها الطالب لقمة سائغة بل يتمتم عليه تكوينها بنفسه على أساس من الجهد الشخصي والأسلوب الواضح والنية الحسنة. فالمكتبة هي تتمه لازمة للمدرسة أو للجامعة، ولا أعدو الحقيقة إذا ما قلت هنا: إن التعليم هو المفتاح الذي يفتح أمامك باب هيكل العلم ممثلا في المكتبة.

فرسالة المكتبة في العصر الحديث أنها منظمة تنبض بالحياة وتجيش بالنشاط فهي تتجه من القارئ وتسعى إليه وكلها رغبة بأن تشبع فهمه إلى المعرفة وتروى عطشه إلى العلم.

إننا إذا ما نمينا في الإنسان الذوق إلى المطالعة وأمانا له ما يشبع نهمه منها لا نلبث أن نجعل منه رجلا سعيدا هائلا إذ نجعله دوما في كل عطفة من عطفات التاريخ وجها لوجه مع حكماء البشرية وذوى الحجى وبذلك نجعل منه مواطنا في كل أمة ومعاصرا لكل جيل.

التفاهة في حياتنا الفكرية :

« التفاهة - ويا للأسف - هي ما يلون حياتنا الأدبية في الوقت الحاضر . وطبيعي ألا يرضى التافهون من الأدباء أن يقرأوا بذلك بل لعل طبيعة الدفاع عن النفس قد آل بهم إلى أن يقولوا في أنفسهم من المديح والإطراء ما ينجل النفس الكريمة . فمن قائل منهم أن ما يكتبون يستحق الخلود ومن شاتم يقول إن مادون الخلود إنما هو تقصير في حق ما يكتبون ، وهم وما يكتبون لا يساوون قلامة ظفر » .

تتجلى التفاهة في حياتنا الفكرية عن طريق الصحافة أولاً ، وعن طريق الأدب ثانياً . فالصحافة تنحدر من الأوطأ إلى الأوطأ . . . ولو رجعنا إلى ربيع قرن مضى لوجدنا أن المقالة والخبر مثلاً - وهما عماد الصحافة - كانا في مستوى لا يمكن أن نصلإ إليه اليوم حتى ولا بعد ربع قرن من الكد والتعب . لقد كانت المقالة محبوكة متسلسلة الآراء خالية من الحشو والأخطاء . أما اليوم فأكثر كتابنا إنتاجاً في الصحافة هم الذين يبدوون المقالة ذات العمودين بمقدمة سمجة تستغرق ثلث المقال لكي يبدأ الكاتب المفضل بعدها بيديها سخيفة مكتوبة بأسلوب مهمل غارق في التفاهة والركة ، الخطأ الذي لا يرتكبه المبتدئون .

فترجم الدكتور أحمد فؤاد الأهواني « مباحج الفلسفة » في مجلدين ، وترجم المرحوم محمد بدران معظم أجزاء « قصة الحضارة » . وقد تفرغ المؤرخ ديورانت تماماً للبحث العلمي فلزم البيت في حالة « سجن إرادى » ... فهو يصحو في السادسة ويقرأ ويكتب في السابعة حتى الظهر ويتناول غداءه ويستريح ساعة ويعود إلى العمل حتى العاشرة مساءً ... سبعة أيام في الأسبوع ... وهو يقرأ لكل مجلد صدر أكثر من ٥٠٠ كتاب ، وسجل مذكراته وملاحظاته في ألوف الصفحات ويختصرها إلى بضع مئات ، ثم يعيد كتابتها ثلاث مرات قبل نشرها وهو نباتي لا يأكل كل ما هو حي ، ولذلك فصيحته سليمة ومزاجه معتدل ، على حد قوله .

وإذا كان فيكتور هيجو شاعر فرنسا له شعاع هو : اكتب سطرا كل يوم .. فشعار ديورانت هو : ألف كلمة أنيقة على ورق أبيض لامع وقلم جاف ، كل يوم . أما النتيجة التي انتهى إليها ديورانت من قراءته لألوف الكتب ، واستعراضه لكل أحداث التاريخ فهي ، أن الدنيا لم تكن في صفاء أبداً ، وأن العقل لم يحكم التاريخ أبداً ، وإنما التاريخ يتدفق في قوالب نظرية ، ثم يعود يهدمها ويسخر من أفكارنا وعقائدنا ، ولا أمل في تغييره ولا حكمه في أن نفعل ذلك .

بحر المكتبة

بصورة عامة ، بل لقد وجدنا في بعض ما يخرج من المطبعة العربية نوعا من الأدب الموجه يستخدم الضعف البشري في سبيل نشر الدعاوى العقائدية ، وهذا انحدار خلقي لا ندرى إلى أين يتجه بالذهن العربي في هذا المعترك العظيم الذي تجتازه البشرية بعد الحرب الكونية الأخيرة التي يتوقعها الكثيرون .

- لقد عمت الفوضى - بمعناها المفهوم لا بمعناها القاموسي حياتنا وأصبح كل من يستطيع أن يكتب بضعة أسطر أدبيا ، وكل مهرج قصصيا ، وكل ناظم شاعرا .

هبر الوهاب الأُمِين

الأخبار البغدادية

سوريا وسورية :

شاع في الدوائر الرسمية وعند كثير من الكتاب خطأ في كتابة اسم (سورية) فجعلوا يكتبونه ويلفظونه بياء مشددة وألف أي (سوريا) على حين أن بعض الأمهات من معجمات لساننا ، وبعض المراجع التاريخية الموثوق بها قد أجمعت على كتابة (سورية) بياء مخففة بعدها تاء . ومن هذه المعجمات والمراجع : القاموس المحيط ، وتاج العروس ، ومعجم البلدان ، وقطوح البلدان ، وزبدة الحلب في تاريخ حلب ، والتسكلة في حديث لكعب وغيرها . ولم نر الاسم المشار إليه مكتوبا بالياء المشددة والألف في كتاب قديم يعول عليه .

ومع ذلك فإن أمثال هؤلاء الكتاب هم الذين لا ينجحون من تصدر الحركة الفكرية في البلاد .

وفي الأدب يتضح وجه القضية بصورة أجلى . ففي وسعك أن تقول : إن الإنتاج الأدبي في حكم المهدوم عندنا بصورة تكاد تكون مطلقة . وفيما عدا بعض التنف والقصائد التي لا تبلغ الدرجة المتوسطة ، تستطيع القول مستقرا بأن لا إنتاج أدبي لدينا في هذه البلاد يمكن ضمه إلى الباقية اليانعة التي تأتينا من البلاد العربية الأخرى - كلبنان - مثلا .

ولمى أتحدى من يقول إن لدينا إنتاجا أدبيا يعز به ويستحق التحلي بهذه التسمية . وإذا ما خالفني مخالف فسأرضى لغرض المناقشة بنموذج واحد لكتاب واحد أو أديب واحد من كتابنا وأدبائنا يوضع تحت المشرحة الأدبية . وليكن الحكم أي ناقد محايد .

ولا عجب بعد هذا أن تمتد التفاهة إلى الدوافع التي تدفع بالأديب إلى الكتابة . فالواقع أن حركة التأليف والترجمة قد انضوت تحت لواء السياسة بصورة عامة . ولا تكاد تجد ثقافة غير موجهة توجيها عقائديا إلا في إنتاج المطبعة اللبنانية على نطاق ملحوظ ، ولذلك فقد ترك المجال يقوم على دغدغة الغرائز دون الاهتمام بالثقافة الفكرية

الأمريكية ، على خطبة قصيرة للسيدة عائشة ، خطبتها الناس إذ علت أن فئة منهم تنال من أبيها . فأبانت عن مناقبه ، وذكرت محاسنه ، وما كان له من سابقة في الجاهلية والإسلام ، وما كان لإخضاعه المرتدة وحياطته الدين ومن شأن في تلييته وانتشاره .

هذه الخطبة تتصل بجانب من جوانب شخصية عائشة : هو جانب فصاحتها وبلاغتها . فقد أوتيت فيها البلاغة والإيجاز والشمول في المعنى الذي قصدت الإبانة عنه . ونصها جدير بأن يقرأ ويدرس ويحفظ . وإذ كنا نرى أن النصوص التي خلفتها القرون الثلاثة الأولى ، هي مصادر ثقاتنا وينابيع حضارتنا وأنه لا بد من نشرها . فقد استحسننا أن نقدم نص هذه الخطبة في هذه المجلة .

ولقد عني الأنباري - أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار المتوفى سنة ٣٢٧ هـ - بهذه الخطبة فأملأها ، وشرح ألفاظها . وعنايته بها ، وهو العالم للغوى الثقة ، دليل على شأنها . لقد أورد الخطبة ثم شرح معاني ألفاظها . فهي تساعد ، على تاريخ تطور اللغة العربية ، وعرفان الألفاظ التي كانت تحتاج إلى شرح في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . والأنباري كان من كبار علماء اللغة . وكان أوسع الكوفيين حفظاً ، ألف العديد من الكتب اللغوية . فليس غريباً أن يعنى بهذه الخطبة ويشرح ألفاظها ويدل على معانيها .

ومن المعلوم أن كثيراً من الكلمات الأعجمية التي عربت قديماً أو التي نضطر إلى تعريبها حديثاً تنتهى بالحرف [A] أو بالكلمة [GIE] الدالة على العلم . فالقدماء لم يتخذوا قاعدة مطردة في إنهاء هذه المعربات بالتاء أو بالألف ، ولكن السليقة العربية جعلتهم ينهون معظمها بالتاء فقالوا مثلاً إفريقية وصقلية وأرمينية وسلوقية وأشيلية وغرناطة إلخ .

وبناء على اقتراحى كان مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة اتخذ قراراً مؤرخاً في الخامس من يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥٦ يقضى بإنهاء أشباه هذه الكلمات بالتاء ترجيحاً على إنهاؤها بالألف فيقال مثلاً جيولوجية وبيولوجية وألمانية وإيطالية ترجيحاً على جيولوجيا وبيولوجيا وألمانيا وإيطاليا وهكذا .

ومع هذا فالموضوع فيما يختص بكلمة (سورية) لا يقبل التأويل مع وجود النص الصريح . ولذلك أعتقد أنه من المفيد ، أو من الواجب ، إذاعة بيان على الدوائر الرسمية والمعاهد العلمية في الدولة ، لكي تكتب اسم (سورية) وفاقاً لما جاء في الكتب القديمة المعول عليها ، أى بياء مخففة وتاء .

مصطفى الشربابي (مجلة المجمع العربي)

خطبة مجهزة للسيدة عائشة في أبيها :
عثرنا ، أثناء تطوافنا في الولايات المتحدة

كان والله غزير الدمة وقينذ (١)
الجوانح (٢) شجي (٣) النشيج (٤) ،
فأقصفت (٥) عليه نسوان أهل مكة
وولدانهم يسخرون منه ويستهنئون به ،
« الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهمون » وأكبرت ذلك رجالات قریش
خنت قسيها وفوقت سهامها وامثلته (٦)
غرضنا (٧) فافلوا (٨) له صفاة (٩) ،
ولا قصفوا له قناة، ومضى على سبائه (١٠)
حتى إذا ضرب الدين بجرانه (١١) ،
ورست (١٢) أطواده ، ودخل الناس فيه
أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا وأشياعا ،
اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه

بلغ عائشة رضى الله عنها أن قوما ينالون
من أبيها رضى الله عنه، فأرسلت إلى أذفلة (١)
من الناس ، فلما حضروا أسدلت ستارها
وعلت وسادها ثم قالت :

أبي وما أبيه ! أبي والله لا تعطوه (٢)
الأيدي ، ذاك طود (٣) منيف (٤) ، وظل
مديد ، هيات بعدت الظنون ! أنجح والله
إذ أكديتم (٥) ، وسبق إذ ونيتم (٦) سبق
الجواد إذا استولى على الأمد (٧) .

فقي قریش ناشئا، وكهفها كهلا ، يریش (٨)
مملقها (٩) ويرأب (١٠) شعبها (١١) ويلم (١٢)
شعبها ، ثم استشرى (١٣) في دينه ، فها
برحت (١٤) شكيمته (١٥) في ذات الله حتى
اتخذ بفنائه مسجداً يحيي فيه مآمات المبطلون.

- (١) الوقيذ : العليل .
(٢) الجوانح : الضلوع القصار التي تقرب من الفؤاد .
(٣) الشجي : الحزين (٤) للنشيج : صوت البكاء .
(٥) أقصفت : انثنت .
(٦) امثلت : مثلته ونصبت .
(٧) الغرض : ما يقصد بالرى .
(٨) فلوا : كسروا .
(٩) الصفاة : الصخرة للأساء .
(١٠) مضى على سبائه : معناه على شدته ،
والسبساء عظم الظم وحده ، تضربه العرب مثلاً
في شدة الأمر .
قال الشاعر :
لقد حملت قيس بن عيلان حربنا
على يابس السبساء محدودب الظم
(١١) الجران : الصدر ، يقال لصدر الجران والبرك .
(١٢) رست : ثبتت

- (١) الأذفلة : الجاعة . (٢) وتعطوه : تناوله .
(٣) الطود : الجبل . (٤) المنيف : المصرف .
(٥) أكديتم : خبتم .
(٦) ونيتم : فترتم وضعفتم ، يقال : ونى ينى
وونى يونى بمعنى واحد .
(٧) الأمد : الغاية ، وفي الحديث ليس لعذاب
الكافر أمد أى غاية وآخر .
(٨) يریش : يعطى ويفضل .
(٩) الملقى : الفقير .
(١٠) يرأب : يجمع ويلأم .
(١١) الشعب : المنفرد .
(١٢) يلم : يضم .
(١٣) استشرى : احتد وانكش .
(١٤) فها برحت : فها زالت .
(١٥) الشكيمة : الأنفة والحمية .

صلى الله عليه وسلم اضطرب حبل الدين ، ومرج (١) عهده ، وماج (٢) أهله وبني الغوائل (٣) ونصبت الحبائل ، وظننت رجال أن قد أكتب نهزها (٤) ، ولات حين الذي يظنون (٥) ، وأنى والصديق بين أظهرهم .

فلقا حضرته منيته فسد ثلثته بنظره في المعدلة وشقيقه في السيرة والمرحمة ، ذاك ابن الخطاب لله در أم حفلت له (٩) ودرت

فقام حاسراً مشمراً فرفع حاشيته (٦) وجمع قطريه (٦) ولم شعته بطبه (٧) ، وأقام

(١) مرج : اختلط .

(٢) ماج أهله : اضطربوا وتنازعوا .

قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا السكدي ، قال : حدثنا يحيى بن عمر اللبني ، قال : حدثنا مسلم بن قتيبة ، عن وهب ابن حبيب ، عن أبي حمزة ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله تعالى :

« فهم في أمر مرج »

قال : مختلط ، أما سمعت قول الشاعر :

فجالت والنست به حشاها فخر كأنه خوط مرج الحوط : النصب ، وجمه خيطان .

(٣) وقولها . وبني الغوائل : معناه طلبت له البلاء التي تضيقه .

(٤) وقولها : أن قد أكتب نهزها : معناه قرب ، والنهز : الاختلاس للشيء كيما يظفر به بمبادرة

(٥) وقولها : ولات حين الذي يظنون ، معناه : وليست الساعة حين ظفرهم

(٦) وقولها : فرفع حاشيته وجمع قطريه ، معناه في الأمور وجهد ، وتأهب وتشمرا نصرة الدين ، والقطر : الناحية .

(٧) والطب الدواء .

(١) والأود ، العوج .

(٢) والثفاف : يقوم الرماح وغيرها .

(٣) وامذقر : تفرق ، وفي رواية غير إسماعيل الغاض : وأبذر النفاق : يقال : أبذر الشيء وامذقر أي تفرق .

(٤) وقولها : انتاش الدين ، أزال عنه ما يخاف عليه

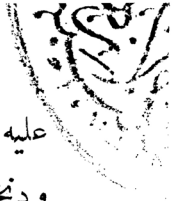
(٥) ونعشه : رفعه .

(٦) أراح الحق على أهله : أي أعاد الزكاة التي منعتها العرب ثم ردت إلى حكم الله وسنة رسوله في أهلها لما قاتلهم .

(٧) وقولها : وقرر الرءوس على كواهلها : أي وقى المسلمين القتل . والكاهل : أعلى الظهر وما يتصل به .

(٨) وحقن الدماء في أهيا : معناه رفع القتال عن المسلمين ، والأهب جمع إهاب ، وهو الجلد ، كنت به عن الجسد .

(٩) وقولها : لله در أم حفلت له : معناه جمعت اللبن لرضاعه ، والشاة المفضلة : التي يجمع لبنها في ضرعها .



عليه وأوحدت به (١) ، ففتح الكفرة (٢) ودنخها (٣) ، وشرد الشرك شذر مذر (٤) ،

وبنحج الأرض فنحجها (١) ، حتى قامت أكلها (٢) ، ولفظت خبيها ، ترأمة (٣) ويصلد عنها ، وتصدى (٤) له ويأبأها ، ثم طعن عنها على ذلك ، فأروني ما ترتئون ، وأى يومى أبى تنعمون ؟ أيوم مقامه إذ عدل فيكم ؟ أم يوم ظعنه إذ نظر لكم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت : أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئاً ؟ قالوا : اللهم لا .

(١) وقولها : بنحج الأرض أى شقها ، ونحجها استقصى عليها وفى غير هذه الرواية وبعج الأرض أى شقها

(٢) وقولها : حتى قامت أكلها ، تبنى جى خراجها وأخرجت خيراتها وثمراتها .

(٣) ودولها : ترأمة أى تمطف عليه .

(٤) قولها : تصدى له أى تعرض له

(١) وقولها ، وأوحدت به : أى جاءت به منفرداً لا نظير له فى زمانه .

(٢) قولها : ففتح الكفرة : أى غم بلاد الكفار .

(٣) ودنخها : أذلها وصغرها ، وفى غير هذه الرواية فدنخها بالياء أى دوخها ، كما يقال : تصوح البقل وتصيح أى تشق .

(٤) وقولها : شرّد الشرك شذر مذر أى أبعد

قال الله تعالى : « فشرّد بهم من خلفهم »

سورة الأنفال ، ٨ ، الآية ٥٧ ، أى أوقع بهؤلاء ليسمع من خلفهم من الكفار فيفزع فيهرب فيتباد عنك ، ويقال شرّدت القوم شذر مذر أى فرقتهم فلم أترك منهم أحداً ، ومثله تفرقوا شفر بفر جميعاً بمعنى واحد .

(بقية المنشور على صفحة ٣٧١)

ماكم غزة بشكر الأزهر :

السيد / مدير الثقافة الإسلامية

الأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدنى أن أنهى لفضيلتكم أن بعثة الوعظ والإرشاد بقطاع غزة تقوم بأداء واجبها فى الوعظ والإرشاد بين جميع السكان فى هذا القطاع بما يرضى الضمير وترتاح له النفوس .

وأن الجهود المخلصة التى يبذلها أفراد

هذه البعثة لتدعو إلى الإعجاب والتقدير ، وإننى إذ أسجل لأفراد هذه البعثة إخلاصهم وتفانيهم فى أداء واجبهم وتفهمهم الصحيح لحالة المنطقة ونفسية سكانها لأرجو أن تتفضلوا بقبول خالص شكرنا وتقديرنا على ما يبذله الأزهر الشريف ورجالاته من خدمات لأبناء هذا القطاع .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

فريق - يوسف المبرودي

الحاكم العام لقطاع غزة

مَجَلَّةُ الْإِنْشَاءِ

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المصنوع
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٤١٤

يَشْرِكُ فِي الْفَيْهْرِ
عَبَّاسُ مُحَمَّدٍ الْقَعْقَاؤُ
بَدَلُ الْأَشْفَاكِ
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ غارح البربرية
والمدرسين والطلاب ينفذون

بَصْدُرُ عَنْ مَشِيخَةِ الْأَنْزَهْرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

الجزء الرابع — السنة الرابعة والثلاثون — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ هـ - نوفمبر ١٩٦٢ م



١٤
٢٤٤٦
رور

السَّامِ الْهَامِ الْهَامِ

الجزيرة تنفض مَرَّةً أُخْرَى

بفلم : أحمد حسن الزيات

العقول بالرأى الحكيم ، وأرطب القلوب
بالإيمان الصادق، وأثبت الأيدي بالسيف الراح
وهؤلاء هم أصحاب محمد الذين بسطوا ظلال الله
على صحارى الجزيرة؛ فنبضت بالحياة، ورتعت
في النعيم، واطمأننت بالأمن. ثم انتقل منها طلوعها
الخصب مع الرياح اللواقح إلى كل أرض...!

* * *

تلك كانت الانتفاضة الأولى للجزيرة التي
وضع فيها أول بيت للناس، وبعث بها آخر
رسول لله ، انتفضت بروح من عند الله
ما شاء أن تنفض ، ثم انقبضت عن صحاريها
الظل ، وخبا في أرجائها النور ، فعادت

تنفض الجزيرة العربية اليوم انتفاضتها
الأخرى ، وكانت الأولى منذ أربعة عشر قرنا
حين شاء الله أن تخفق على الجبال الصهب ،
وفوق الرمال الصفر ، أجنحة الوحى نازلة بنور
السماء ، وعبير الجنة ، وسلام الروح ، ووحدانية
الله وحرية الإنسان ، وعدالة الحق ، على بلد
أو بقتة الوثنية ، وأهلكته العصبية ، وأكلته
الحروب ، واستعبده الطغيان ، واستبدله الحرمان
وهان على الدنيا حتى أكل القدر ، وشرب
السكر ، وعبد الحجر ، وشرذ عن ركب الحياة .
فلما أصابه الغيث الإلهي اهتز القفر ، وربا
الصخر ، وأنبت هذا البسالد الجديد أخصب

صاح بالنائم أن يستيقظ ، وبالعافل أن يعي ،
وبالمتخلف أن يلحق .

وهبت على العالم العربي هبة من جانب
مصر فيها ريح النبوة ، ولها صوت الحق ، يقول
للشعوب الخائفة : إنكم مسلمون والمسلم
لا يدين إلا لله ، وإنكم عرب والعربي
لا يستكين للذل ، وإنكم أصحاب الأرض
وما فوقها من زرع وضرع ، وما تحتها من
بترول وركاز ، فليس من شهامة العربي ،
ولا من كرامة المسلم ، أن تدعوا هؤلاء
الطفيليين الفضوليين يستأثرون بخيرها
دونكم ، وما قوتهم إلا منكم ، ولا سطوتهم
إلا بكم .

فإذا جردوا من الألقاب المزيفة ، وأزيلوا
عن العروش المستعارة ، عادوا ناسا أقل من
الناس ؛ لأنهم كما قلت أصنام ينطق في أفواههم
الشیطان ، ويوسوس في صدورهم المستعمر .
ورحم الله شاعرنا الذي قال :

عجبت لقوم يخضعون لدولة
يسوسهم في الموبقات عميدها

وأعجب من ذا أنهم يرهبونها
وأموالها منهم ومنهم جنودها

هنالك استجاب المستضعفون في الأرض
والمعذبون في الناس لدعاء عبد الناصر إلى
المبادئ الخالدة ، التي نزلت من عند
الله على محمد رسوله ، وأدركوا بعد لآي
أن الأمر شورى ، والرزق شركة ،

كما كانت بالأمس قطعة منبثة متروكة ، لا هي
في عداد الناس ولا هي في حساب الزمن !

جمدت الجبال فلا توحى ، وصمتت الرمال
فلا تهمس ، واستجمل الإسلام فلم تعد له
في النفوس معاني الوحي ، واستعجم العرب
فلم يعودوا يتدبرون آي القرآن . وقضت
الجزيرة شمالها وجنوبها ألفا وماتى سنة
في ردة عامة وورقة شاملة ، لا يسعى فيها
إلا ملك يطغى ، وإمام يحور ، وفاتك ينصر ،
وشارد يهيم ، وجائع يتضور . وانطمست
آثار العمرين والخالدين^(١) تحت أقدام الطغاة
الفجرة من آل الحسين وآل سعود
وآل حميد الدين ، وتحطمت أصنام الشرك
في مكة لتعود حية ناطقة في قصور الحجاز
ونجد واليمن .

جثمت هذه الأصنام الثلاثة بصدورها
الحجرية على إنسانية الشعب العربي وكرامته ،
وإرادته وثروته ، لا تتحلل ولا تريم ،
يشربون ويسكى انجلترا وهو يشرب أبوال
الإبل ، ويأكلون خنازير أمريكا وهو يأكل
دواب الأرض ، وينفقون أمواله على حسان
الترك والانجليز ، وهو عارى الجسد غاوى
الجوف ، لا يشعر بالحياة ولا تشعر به الحياة ؛
حتى جاء عصر الفذرة الذي راد السماء ، وزلزل
الأرض ، ولبل الأتفس ، وزعزع العروش ،

(١) العمران : أبو بكر وعمر . والخالدان :

ولدا سعد .

الشمال ، والقحطانية في الجنوب على موعد من مواعيد الحق ؛ ليضعوا الأغلال التي عليهم في أعناق من استعبدوهم باسم الدين ، واستذلوهم بقوة الجهل ، واينطلقوا خفافا إلى حياة أفضل ، ومكان أكرم ، يليقان بالجيل الجديد في الوجود الجديد .

* * *

ظلت اليمن حقبا طويلا معرة العالم المتحضر المتحرر ، تجري عليها حركات الدهر وهي ساكنة سكون الجراد لا تشعر بالفلك وهو دائر ، ولا بالعالم وهو سائر ، لأن (الأئمة) - أخذهم الله بما صنعوا - استعانوا على عزلها عن الوجود بالفقر والجهل والمرض والقات والترهات والشعوذة ، فما كان يظن طان أن من ألح عليه الحذر يفيق ، ولا أن من استبد به الضرر يطيق .. ولكن حدثت المعجزة وانشقت أرض صنعاء وتعز عن أبناء التبابعة والأذواء ، يتساءلون في تباشير الفجر : من الذي أطبق على نفوسنا الليل ، وأطفأ في عيوننا النهار ، حتى حسبنا أن الظلام سرمد ؟ . وكان الجواب دويا كنفخة الصور انبعث من مصر يقول : ومن غير الأئمة من آل حميد الدين يستطيع أن يجعل آية النهار عياء ولسان الحق أبكم ؟ وتكاثفت الثورتان : ثورة السلال وثورة عبد الناصر على أن تحطما

والحكم عدالة ، فتحرك الأردن فصرخ الطفل ، وتمردت السعودية فكش الملك ، وثار اليمن فطاح الإمام ! .

وعى عرب الجزيرة أن بواديهم لم تعد رملا ولا صخرأ ، ولا آبارأ تبض بالماء ، ولا مراعى تضن بالعشب ، وإنما أصبحت بفضل الأبحر السود التي تعج من تحتها بالنفط ، ومناجم تقذف بالتبر ، وقصورأ تضج بالجوارى ، وجنانا تفيض بالنعيم . ولكنهم رأوا أن أولئك كله : احشوشته فئة باغية لتكذبه في مصارف سويسرا ولندن ، وتنفقه في مواخير كبرى وباريس ، فقالوا للبارق السارق : حسبك ! إن الراعى الفرد يستطيع أن يسوق القطيع الضخم بعصاه ، فيجتز صوفه ، ويبتز لبنه ، ويحتر رأسه ؛ مادام لا يعرف أن له قروا تبقر البطون ، وتفلق الرموس ، فإذا عرف ذلك - ولا بد أن يعرف - انقلبت قرونه دبابات تحطم ، وحوافره مقذوفات تبید .

بهذا الوعى الذى أيقظته سورة تاريخ ، وأنضجته عبقرية جنس ، وأكملته عقيدة دين ، سرت في العالم العربى روح من قلق الروح ، لا يصبر على الهون ، ولا يرضى بالدون ولا ينعو وجهه لغير ربه .

وبهذا الروح القلق الذى ملك الجزيرة كلها رأسها وقلبها وأطرافها ، تلاقت العدنانية في

الداعية إلى هذه البطانية ، فإذا اقتنع بالأسباب - وقليلًا ما كان يقتنع - أخرج مفتاح الخزن من سلسلة في عنقه ، ودفعه إلى أمينه الخاص فيخرج المطلوب إلى المتعهد ثم يعود به إليه والإمام قد دخل مخدعه الآن فلا سبيل إلى الدخول عليه !!

بماذا تريد أن أعلق على هذه الواقعة ، واستبداد الإمام قد تغلغل إلى خيط الإبرة وشرك النعل وسير اللجام ؟ أليس هذا الفرعون الصغير واقعا في مرمى قول الله تعالى : « إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم (أئمة) ونجعلهم الوارثين ، . صدق الله العظيم .

أحمد حسن الزيات

السد الذي حجز الماء والنماء والتقدم عن اليمن السعيدة . وألقى المسلح الضليلان سعود وحسين بجثتيهما النخريتين أمام السد المنهار ليؤخرا ساعة انقضاذه ، فما زاده إلا ضعفا على ضعف !

أعلت كيف كانت تحكم اليمن ؟ . إليك مثالا واحداً من آلاف : حدثني المغفور له صديقي الدكتور عبد الوهاب عزام وكان سفيراً لنا في السعودية واليمن ، أنه بات ليلة من ليالي الشتاء في ضيافة الإمام يحيى هو وبعض صحبه ، وكان البرد قارسا ، وكانوا قد وضوا على كل سرير بطانية واحدة من غير لحاف . فاستعان كل منهم على الدفء بمعطفه إلا واحداً لم يكن عليه معطف ، فطلب السفير من القيم على دار الضيافة بطانية أخرى للضيف المقرور ، فكك القيم قفاه وقال إن في هذه المسألة مشكلة : لا بد أن يرفع إلى الإمام طلب بهذا الطلب تشرح فيه الحال

قال الله تعالى في سورة الحجرات :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .

« صدق الله العظيم »

الإسلام دين الحجة والبرهان

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد عثمان

البرهان والبرهان

وما كان للإسلام وهو دين عملي واقعي أن يتجاهل سنة الاجتماع البشرية التي كثير أمان يدفع بها الناس إلى التنازع وارتكاب المظالم والتناكر للحق والاعتداء على الحريات ، إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ، على هذا اعترف الإسلام بالحرب واتخذها حيث لا تنفع الحجة والبرهان وسيلة عملية لمكافحة البغي ، ورد العدوان ، وإزالة العقبات ، والقضاء على المفسد والطغيان . وقاتل في سبيل الله ، لا تسكف إلا نفسك وحرص المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ، ، فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا .

اعترف الإسلام بالحرب في تلك الدائرة وجعلها ذروة سنامه ، وأفرغ عليها صبغة الجهاد في سبيل الله ، يقيم بها العدل والميزان ويمهد بها سبيل الحياة الطيبة السعيدة ، وحينما يصل المسلمون بالحرب إلى هذه الغاية أوجب أن تضع الحرب أوزارها ، وأوجب الكف

الإسلام دين الحجة والبرهان ، دين الأمن والسلام ، دين التعاون والتآخي ودين التعمير والبناء . وهو لا يعدل عن الحجة ما وجد منها سبيلا إلى هدفه ، وهو إقرار الحق في نصابه وتمتع الناس بحريتهم الطبيعية ، وثمار العدل والمساواة . فإذا ما التوت بالعقول السبل ، واختلس الإنسان من سكان الكهوف والمناور أخلاقهم وطيشهم ، فعبث بالحياة ، وأراق الدماء ، وسخر الضعفاء ، وتحكم بمجبروته في الحقوق ، وانقض على الهادين فزلزل عليهم أمنهم ، وعلى المالكين فاغتصب حقوقهم : وانتزع منهم أوطانهم وقتلهم في دينهم ودنياهم .

فهنا ، وهنا فقط - حفظا لعرض الإنسانية من أن يظلم ، ولحكمة الله في خلق الإنسان أن تذهب - لا يجد بدا من ارتكاب الصعب وهو خوض معامع الحرب والقتال ؛ فيأذن بها لأهله حتى يرد أهل البغي والعناد ، وليحترموا حقوق الإنسانية المسكreme ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض .

أو يلتمسوا طريقاً للخلاص من هول ما هم فيه سوى العويل والصياح ، والاستغاثة من الخطر الذى دهمهم ، وحل بهم وبدارهم إلى أن تخمد أنفاسهم ويصيروا جثثاً هامدة تحت أنقاض البيوت وعروش العائز ! .

هرب المرنية :

هذه هى مدينة القرن العشرين : مدينة العلم الذى أنعم الله به على الإنسان ليسعد به الإنسانية فأشقاها ، ويحييها فأماها . هذا هو حربها وهذا هو سلامها الذى يتغنى به الخراصون الأفاكون ، والذى نسجوا من اسمه أحبولة يسيكون بها للسلام الحق بها ، يفسدون حكمة الله فى خلق الإنسان ، هذا هو السلام الذى يحتفل الأفاكون بعيدة كل عام ، ويزعمون أنهم يتنسبون إلى رسوله الذى جاء عنه قوله تعالى : « لى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً . وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبرأ بوالدى ولم يجعلنى جباراً شقيماً . والسلام على » يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ، .

عناصر الانتصار :

أقر الإسلام الحرب طريقاً للسلام ، وتحقيقاً لهذا الهدف السامى أرشد القرآن الكريم إلى عناصر النصر الذى يرد العدوان ، ويكافح الظلم والطغيان . أرشد إلى القوة المسادية ، وإلى جملة من أصول التنظيم لعملية الحرب ، وأرشد

عنها « فإن اتهموا ، فلا عدوان إلا على الظالمين ، « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سيلاً . » وهو إذ يقررها ويدعو إليها وسيلة لإقامة العدل والميزان ، يحوطها بالقشريع الذى من شأنه أن يحقق هدفها ، وهو إخضاع قوى الشر والفساد ، والذى من شأنه فى الوقت نفسه أن يخفف من ويلاتها ، ويضمد من جراحها ، ولا يترك أهلها يفتحون بابها على الناس : أبواب الجحيم من كل جانب ، لا يترك لهم أن يبقروا فيها بطون الجبال ، ولا أن يمثلوا بجثث الشيوخ والرضع .

هذا الجحيم الذى نرى دعاة الحضارة والمدنية يدقون ناقوسه بسبب ولغير سبب ، ويوقدون ناره فى جميع الآفاق ، فلا تلبث أن تلتهم المشرق والمغرب ، ويصير الناس فيها كمثل قوم فى سفينة ، أخذتها الأعاصير من كل جانب ، واضطربت بهم فى بحر لحي ، يغشاه موج من فوقه موج ، من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض . يكاد اليم يبتلعها بمن فيها ، أو كمثل قوم حوصروا بالنار ذات الوقود فى بيت مغلق النوافذ ، وقد تقطعت بهم أسباب النجاة فجمدوا فى أماكنهم ، شاخصة أبصارهم ، يشهدون الاتهام النار متاعهم ونفائسهم وأمواهم وأبناءهم وأنفسهم ثم لا يستطيعون أن يحركوا ساكناً ،

تحول بينهم وبين القيام بهذا الواجب؛ وفي ذلك يقول : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوهم لله ورسوله . . . » ، ولكن المسلمين فيما اتسبهم من عصور الضعف والانحلال تحلّلوا من هذا الواجب ، وعولوا على حماية غيرهم لهم فوجدوا فيهم اقمة سهلة لينّة ، فضغفوها وهضموها وكانت أثراً بعد عين . أهملوا الجندية وجعلوها صورة هزلية ، ومظهرآ من مظاهر السلطان الفاسد ، ولونآ من ألوان الخدمة لكبار الدولة المأجورين ، فقصروها على الفقراء الذين لا يستطيعون دفع البدل النقدي ، وأخرجوا من صفوف المجاهدين حملة القرآن والعلم وأبناء الأغنياء والوزراء وأرباب الوظائف الإدارية ؛ وبذلك صارت الجندية في أذهاننا وفي أوضاعنا عنوان الذلة والضعفة .

ولإنّي لأحمد الله الذي هيا لهذه الأمة من وضع الجندية في مكاتها ، ورفع من شأنها . وأحمده مرة أخرى إذ تلقّت الأمة هذا الوضع الجديد بإيمان قوى . وصدر بمثلّى بمصنّى العزة والكرامة ، ومستسير أمتنا في طريق المجد إن شاء الله بعد هذه البقطة الواعية . مستلهمة أحكام الله وشرعه . وبه يكون النصر المؤزر ، والكلمة العالية .

محمد سلوات

إلى الروح المعنوية الذي به تعمل الحرب عملها وتصل إلى أهدافها .

القوة المادية :

أرشد إلى القوة المادية ونزلت فيها آية محكمة ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، والقوة كلمة تتسع لكل ما عرف ويعرف من آلات الحرب برية وبحرية وجوية . والرباط كلمة تتسع لكل ما عرف ويعرف في تحصين الثغور ومداخل الأعداء وقوى الدفاع الظاهرة والكامنة . ويعلن في الآية أن فائدة هذا الإعداد العام الشامل ليست هي النصر في المواقع الحربية فقط ، وإنما هي قبل ذلك وسيلة قوية لإقرار الحق ومنع الأعداء من التفكير في زلزلته والطغيان عليه ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، ومن هذا الجانب تكون القوة المادية عاملاً من عوامل السلم، تحفظ الحقوق وتقيها شر الاعتداء وينشر على العالم ظلال الأمن والاستقرار .

وكما يرشد القرآن إلى القوة المادية من جهة العدد والآلات ، يرشد أيضاً في دائرة القوة المادية أن تكون الأمة كلها جنداً مدرباً على السلاح ، مدافعاً عن الحوزة ولا يستثنى القرآن من ذلك سوى أرباب الأعذار التي

الأبجدية العربية الكاملة الأبجديات للأستاذ عباس محمود العقاد

و (ثانيا) لأن بعض علامات الحروف عندهم يكتب حرفين متلاصقين لأداء المخارج الصوتية الملتبسة .

و (ثالثا) لأن حروف المد عندهم تتكرر بعلاماتها لتؤدي حركات الألف والواو والياء عندنا ، وهي مصوتة أو صامتة يتغير نطقها بتغير حركات الضم والفتح والكسر أو السكون عليها .

و (رابعا) لأن بعض الحروف عندهم تمثل أصواتا ملتبسة بين مخرجين ولا تمثل حرفا خالصا من مخرج واحد .

وكل هذه الحروف ليست بالناقصة في اللغة العربية ، ولكنها موجودة في لهجات القبائل وعليها زيادة من قبيلها ، وهي جميعا تدل على طور من أطوار النطق تخطاه العرب في سبيل سلامة النطق التي انتهت إليها قبائلهم الفصحى وخلص فيها النطق السليم من لبس المخارج ولبس الحروف ، فلا يسيغون حرفا واحدا يمتلئ فيه مخرجان ولا يسيغون مخرجا واحدا يتعثر فيه اللسان بين حرفين ، ولا يقعون في إهمال المخارج الصوتية المهمة التي يستقيم بها نطق الإنسان ، وأهمها مخرج

في أيام البحث في كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية كان أحد الزملاء - أعضاء مجمع اللغة العربية - يروى أن الأبجدية الروسية تشتمل على نحو أربعة وثلاثين حرفا وتزيد نحو ثلاثة حروف على الأبجدية العربية ، مع حسابان حروف المد في الأبجديتين . وكان يلوح لذلك أننا قد نستفيد من مقابلة تلك الأحرف الزائدة بما يناسب النطق العربي لأداء الأحرف التي لا توجد في لغة الضاد .

وقد رجعنا - لهذه المناسبة - إلى مراجع واف لأصول الأبجديات فوجدنا أن الأبجدية الروسية التي ذكرها الزميل أنقص حروفا من الأبجدية العربية ، وإن زادت علامات الأحرف بها عن علامات الأحرف عندنا . (أولا) لأن الأبجدية الروسية لا توجد بها حروف تمثل أصوات الحاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء ، فهذه الأصوات ناقصة فيها يعوضونها إذا كتبوا الأسماء العربية بوضع نقط تحت الحروف التي تؤدي عندهم أصوات الحاء والزاي والسين والذال والتاء .

تتجرى مواضعها القويمة من حروفها الخالصة ، إلى أن استقرت على حروف لا التباس بها ومخارج وافية من النطق الإنسانى لا يهمل بعضها ولا تتداخل الحروف على اختلاط واشتباء بعضها الآخر . وقوام النطق الإنسانى الفصيح أن فيه جميع مخارج الأصوات ، وأن تخلص فيه مواقع الحروف بغير لبس ولا اختلاط ، وهذه هى مزية « الأبجدية » العربية التى يحق لنا من أجلها أن نحسبها أكل الأبجديات ، وأن نستشهد لذلك بالشواهد العضوية الحيوية أو الشواهد البيولوجية الفزيولوجية كما نقول فى مصطلحات العلم الحديث ؛ لأن جهاز النطق الإنسانى وتوزيع مخارج النطق عليه حقيقة من حقائق العلم والحياة لا تزيد عليها ولا تنقص منها مفاخر الأجناس والأنساب ، ولا دعاوى اللغات واللغويين .

وقد تقدمت اللغة العربية فى هذه الأطوار وانتقلت من طور اللبس والاختلاط إلى طور الفصاحة والتمييز السليم لأسباب متعددة تخصها ولا تعم « العائلات » اللغوية الأخرى ، وأكبرها أثرا فيما نحن بصدده أن التطور بين لهجاتها قد كان تطورا بين لهجات لغة واحدة فى جزيرة واحدة ، ولم يكن تطورا تتنازعه اللغات المختلفة من عائلة لغوية واحدة أو عائلات شتى .

الحروف الحلقية التى تلبس الحروف عند الأمم غير العربية لإهماله فى تقسيم حروف الكلمات .

وفى أبواب الإبدال والحروف المتفرعة التى تستوفىها كتب النحو والصرف والقراءات بيان مفصل عن هذه الحروف الكثيرة التى تبلغها الأبجدية العربية فوق الأربعين ، لو أضيفت إليها .

فمن هذه الحروف حرف الياء القريبة من الجيم فى بعض لهجات قضاة .

وحرف الكاف القريبة من الشين فى بعض لهجات ربيعة .

وحرف الباء القريبة من الميم فى بعض لهجات مازن .

وحرف الكاف القريبة من الجيم القاهرية فى بعض لهجات اليمن .

وحرف بين الصاد والسين ، وحرف بين الطاء والتاء ، وحرف بين الظاء والثاء ،

وحرف بين الباء والفاء ، وحرف بين الهين والجيم فى بعض لهجات قيس وبنى أسد وبعض لهجات المتحدثين ممن تنحرف ألسنتهم عن النطق السوى المتفق عليه بين قبائلهم التى اصطلحت على النطق الفصيح .

فهذه الأصوات لم تكن ناقصة فى لهجات اللغة العربية ، ولكنها كانت فى هذه القبيلة أو تلك أصواتا مضطربة بين مخارج النطق

مفاخر قومية ؛ لأننا أخرى أن نغنى أنفسنا من دعوى الفخر في أمر نستغنى فيه بتقرير الواقع عن انتحال الدعوى ، وما من زمن هو أولى بإبراز هذه المعلومات من زمن كثرت فيه أحاديث التطوير والتجديد في قواعد الرسم وأصول الكتابة ومزايا الضبط في التعبير والأداء .

وخصلة أخرى تدعونا إلى إبراز تلك المعلومات والإبانة عن أسرارها وظواهرها ، وهى وجوب الانتهاء من طور الاتهام وسوء الظن بالنفس أمام الفضائل الأجنبية ما ثبت منها وما هو من قبيل المفاخر المشكوك فيها ، فقد كان طور الاتهام وسوء الظن بالنفس حميد المغبة من بعض جهاته ، يوم كان الشعور بالفضائل الأجنبية فى عالم الثقافة والصناعة لازما للتنبيه إلى مواطن ضعفنا وقصورنا والنهوض بنا إلى تصحيح أخطائنا وعيوبنا وابتغاء عزائمتنا وأفكارنا ، ولكن الجانب الحيد منه قد ينقلب إلى تقيض ذميمة إذا انتهينا إلى طور العمل ووجب علينا أن ندرك الحقائق على جليتها وأن نعطى كل شئ حقه من الجهد عندنا وعند غيرنا .

وثمة جانب آخر من جوانب الاتهام وسوء الظن لم يكن حميد المغبة من قبل وليس هو بالحيد المغبة فى وقت من الأوقات .

وذلك أن الإسراع إلى قبول التهم التى

فإذا تنازعت لهجتان فالغالب المستحسن منهما باق فى اللغة العربية ، والفرق بين المختار منهما والمتروك معروف بمقياس واحد فى تلك اللغة مردود إلى أصل واحد من أصولها ، باق فيها على أنه مزية من مزاياها تهدى إلى الاقتداء بها فى مزايا أخرى . وقد يرجع استيفاء النطق بمخارج الحروف الحلقية إلى مزية جوية فى الجزيرة ، تاريخية فى أهلها ؛ لأن مناخ الجزيرة لا يحول دون استخدام الحلق فى الكلام ، واشتغال أهلها برعى الإبل والشاة يعودهم سماع الأصوات التى تقارب حروف القاف والعين والحاء ، ولكن الفضل فى الاختيار والتمييز لا يزال بعد وجود الحروف لأى سبب من الأسباب الجوية أو التاريخية حقا خالصا للتسكلمين المتساقين فى تجويد النطق وغر البيان .

* * *

وهذه معلومات واقعية عن لغتنا تخولنا أن نعتد برسم الكتابة عندنا وأن نقيم على أساسه كل تنقيح أو توسع نحتاج إليه . فإن هذا الرسم نمط رفيع بين الأبجديات فى لغات الأمم التى لم تسلم بعد من العجمة أو اللكنة ولم تخلص فى تجربة المخارج الصوتية من الإهمال والاختلاط إلى فصاحة النطق السليم .

ونسميا « معلومات واقعية ، ولا نسميها

التي فتحت أبواب الإنكار على الثقافة الأجنبية من جهة، وفتحت أبواب التعصب لها والمباهاة بها من جهة أخرى... فليس منا من يحق له أن يعتبر الثقافة الأوروبية فخرا له دون غيره بين أبناء قومه، وليس منا من يحق له أن يتأدى مع التقليد الأعمى فيخيل إليه أن كل مزية ننسبها إلى لغتنا إنما هي نعمة نثار ونخوة عصبية، ولو كانت لها حقيقة واضحة كحقائق الأرقام؟

عباس محمود العقاد

تكال لنا جزافا قد كان إحدى الشهوات الخفاء في نفوس المغرورين من زمرة المتفريجين، إذ غلب فيهم حب الظهور على حب الحقيقة بل على حب الكرامة، فلم يكن أجمل منهم إلى الترحيب بكل تقيصة تنسب إلى لغتنا وكل مزية تنسب إلى اللغات الأخرى اغترارا منهم بسمعة العلم الذي انقردوا بتحصيله من الغرب ولم يشاركون فيه إخوانهم من فاتهم تحصيله هناك كما حصلوه، وليس لهذا الغرور محل في زمننا هذا لا انتهاء المفاجأة

الحجاج والأعرابي الحكيم

قال الأصمعي : خرج الحجاج ذات يوم فأصحر، وحضر غداؤه، فقال : اطلبوا من يتغدى معنا، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابيا في شملة، فأتوه به، فقال له : هلم . قال له : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتة . قال : ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصوم فأنا صائم . قال : صوم في مثل هذا اليوم على حر ! قال : صمت ليوم هو أحر منه . قال : فافطر اليوم وصم غدا . قال : ويعضن لي الأمير أن أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إلي . قال : فكيف تسألني عاجلا بآجل ليس إلي سبيل . قال : إنه طعام طيب . قال والله ما طيبه خبازك، ولا طبابخك، لكن طيبته العافية . قال الحجاج : والله ما رأيت كاليوم أخرجوه هني .

فتح القلبي

الإخاء منشود والفرقة بغیضة

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) « فإل تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة
نفلوا سيئهم إن الله غفور رحيم » ٦ - « التوبة » .
(٢) « فإل تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة
فإخوانكم في الدين ، ونفصل الآيات لقوم
يعلمون » ١١ - « التوبة » .

دعوته فيعلمهم - أولا - أن يحترموا عهودهم
التي يعقدونها مع الغير ، يا أيها الذين آمنوا
أوفوا بالعقود ، « وأوفوا بالعهد ، إن العهد
كان مسئولا » .

ويعلمهم - ثانيا - أن يصارحوا بالعزم على
التحلل من العهود قبل حلها ، إذا رأوا غيرهم
يحاول نقضها ، ولما تخافن من قوم خيانة
فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين .
ثم يعلمهم - ثالثا - بعد التحلل من العهد :
ألا يترفقوا بالعدو الغادر في حرب ، وألا
يهادنوه في حصار ، أو يتخلوا عنه في مرصد
حتى لا يجد سبيلا إلى مهرب يحتجى فيه .

« فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ،
وخذوهم ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد .
وغاية هذه التوجيهات : إذلال الناكثين
للعهد المتجرئين على الله ، وكبتهم نظير ما بدأوا
من السكيد لدين الله .

لم تكن خصومة بين الناس أعنف من
خصومتهم في العقيدة منذ وجدت أديان ،
ولا أطاح بالرقاب ، وأهدر الحرمات والأموال
مثل ما كان ذلك أو أكثر ذلك ناشبا عن جموح
في الرأي ، وانسلاخ عن الحق ، وإلف للجهالة .
وطالما كان المجال الديني معترك الفكر
كان هذا المجال مزرعة الشيطان لوقود الفتنة
بين الناس حول تدينهم ، وتصحيح إيمانهم ،
أو تكاذبهم فيما يدعون . وكل ما كان الباطل يصاغ
في هذا القالب ، ثم يساق إلى الناس في أساليب
الغيرة على الدين .

وما نسينا مما تعلمنا أن الحياة الإسلامية
حينما بدأت تتخذ في إطارها الجديد وضعا
مستقرا ثارت في وجهها الجدليات ، ثم الملاحم
بين ما في الدنيا من ضلال قديم ، وما أشرق
عليها من إصلاح جديد غير مألوف .

وفي هذا الاتجاه الناشئ يلحظ الله جنود

وعندئذ انحنس الشركه ، واتحد القصد ، وانتظم الشمل بعد تقاطع ، وتقاتل . وكان السبيل إلى هذا ، أنهم تلاقوا على دين الله ، وانخلعوا من الكفر إلى الإيمان ، ومتى توافر الإيمان استقام الأمر ، وانقشعت الضلالات ، وتبين الرشد ... ذلك تقدير الله في شريعته ، وهو ما جرت به الأقدار على مسارح دنيانا : في عروش الملوك ، وعلى كراسي الحكم ، وفي دوائر النفوذ على اختلافها : سعة وضيقا .

وكل نزعة تبين مارسم لعباده في مسالكهم لن تكون لها غاية مرجوة ، ولا عاقبة مأمونة وإذا كان غيرنا يلتمس هذه التوجيهات في كلام النصحاء : فحسبنا وزن زيادة أنها من قصص الله . فليس ترددها غريبا على مسامع المسلمين ولا بعيداً عن واقعهم ، وقد صقلتهم الأحداث ، وصهرتهم التجارب ، وذكرهم القرآن بهذا في كثير من آياته .

فإن يكن الدين هو الجامع بين الاشتات المتنافرة ، وهو الذي ألف بين الوحدة الأولى في تجميع هذه الأمة من قريش ومن الأوس والخزرج على ما كان لديهم من شقاق فلا يزال الدين - والحمد لله - قائماً على أركانه الشداد ، ومكفولاً بكتاب الله المحفوظ .

الإسلام هو الإسلام ، وهو الرابط القوي الوثيق بين أهله ثم بينهم وبين الداخلين فيهم حتى ليعتبرهم إخواناً ، غدير ناظر فيهم إلى اختلاف لون ، أو لسان ، أو جنس فإذا

وفي هذا المقام يتمثل العداء سافراً ، والقسوة بالغة ، والنكال شديداً من جانب المسلمين ؛ لأن عدوهم كان في عهد معهم ، والإسلام يأخذ أهله بالتزام الوفاء حتى مع خصومه . فحارلة العدو أن يغدر بم عهد المسلمين تعتبر خدعة ماكرة ، فجزاؤه أدياً أن يذوق وبال أمره ، والجزاء من جنس العمل ، وذلك قسطاس في العدل .

ومع ما يبدو من هذا التضيق والتحريض على الكفار لم يترك الله لجنود دعوته أن تغريهم نشوة النصر فيسرفوا في القسفي ، ويتجاوزوا الغاية المردوفة من الجهاد ، بل وضع أمام المجاهدين حاجزاً يكفهم عن التمادى ويكلفهم أن يكونوا على هوادة مع عدوهم ، وأن يطلقوا حرته المسكوبة .

« فإن تابوا ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة خلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم » .

حين تتحقق توبة المشركين بالتوحيد ، وفعل الصلاة والزكاة ، لم تعد بين الجانبين عداوة مشبوبة ، ولا دماء مهددة ، وإنما هم في كفالة الله ، وحرمتهم موفورة عليهم .

بل يضع الله أمام المجاهدين ذلك الحاجز توجيهياً شاخصاً إلى تبدل الحال أكثر من ذلك بمقتضى الإيمان الذي دخلوا فيه وصاروا به إخوة متساوين « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون » .

١ - أما التوبة منهم فإعلان التوحيد بالشهادتين .

٢ - وأما الصلاة فلأنها رأس العبادة البدنية وأحفلها بالدعوات والحشية لله .

٣ - وأما الزكاة فلأنها مواساة للفقراء، وتحجب إلى القلوب، وتعاون على النفع العام وبهذه الثلاث جميعا - يتضح - غالبا من حال فعلها أنه آمن ، واطمأن ، وسار على المنهج الإسلامى كله .

وما بعد هذا من شئون دينية يكون مفروضا حصوله . . لأن المعنى للتوحيد وهو المتردد على فعل الصلوات والبذل لماله

في الزكاة لا يشق عليه إن فعلها أن يستجيب فيما عداها لأن هذه الثلاث هى التى تجرده أكثر من سواها . وهذه هى الوجهة فى اشتراطها لتحقيق الإيمان من أولئك المعاندين وهنا وقفة عليّة تحتاج إلى تمحيص موجز .

١ - إذا وقف المرء عند هذه الثلاث، ولم يفعل سواها أيسكون قد تم إيمانه ؟؟

ظاهر الإطلاق فى الآية يؤم ذلك . . ولكنه فهم لا يستقيم فى نظام التشريع ، لأن أركان الإسلام فيها صوم وحج ، ولا بد من الإيمان بهما ، ومن أدائهما عند القدرة ، كما تطابقت النصوص القاطعة .

ولمّا اكتفت الآية بذكر الثلاثة من المشرى فى أول إيمانه ، حتى تدسّع له فرصة العمل بما بقى ، فإذا أنكر بعضها لم يكن مؤمنا حقا .

٢ - وتوجد أحاديث معتمدة فيما رواه البخارى ومسلم ، تدل على كفاية التصريح

كانت هذه طبيعته ودعوته ، وسياسته ، وهذه ظاهريته التى تمثلت فى أمته أينما كانت فى مراحل زمنها .

فإذا جد فيه حتى نرى من أهله صفوفًا تتخلف وجماعات تتصدع ، وسياسات تتمزق ورايات تتهاوى ؟؟

ماذا لحق بالجماعة الإسلامية حتى أصبح شأنها على غير ما بدأت ، وبات أمرها فى ظلام ؟ إن الله - سبحانه - لا يعطى النعمة جزافا ، ولا يقتل الملك اعتباطا .

ولمّا هى اختبارات فى العطاء أو مطاولة فى الحكم والنفوذ ، وامتحان فى الرحمة والعدل ، فإذا بدل الناس نعمة الله كفرانا ، وصيروا الملك طغيانا ، استرد الله نعمته ، وسلب من ذوى الطغيان سلطته ، وأقام البرهان من جانبه على أن الأمر إليه - أولا وأخيرا - وأنه لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم ونعود فنقول :

دين الله كما وضعه الله ، والثاكشون عن الدين هم الناكشون على أنفسهم وسنة الله تجرى على أوضاعها دون تبدل فيها . وقد جعل الله تلاقى الناس على دينه مثابة إلى الخير ، وأمنا من السوء .

وجعل ذلك مع الكفار - على عهد الرسول - بأمور ثلاثة ، ذكرتها الآية :

تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة . بهذه الثلاثة تنفرج أزمة العداوة بينهم ، وهذه الثلاثة يصيرون إخوة فى الإيمان .

٢ - مرة لا يكتفى النبي بكلمة التوحيد إذا صدرت مثلاً من يهودى كأن يقولها بحكم دينه .. بل لابد في تحقق إسلامه من شهادته لله ولمحمد بالرسالة عامة لئلا يعترف بالرسالة، وهو يخصها بالعرب وحدهم.

٣ - مرة يطلب الرسول مع الشهادتين أداء الصلاة والزكاة في مواعدهما وهذا في حالات تقتضى مزيد التأكد من إسلام من لم يكن مسلماً وهذا ما وردت فيه آيات الموضوع، وأحاديث تؤيدها في المراد وعلى أى حال : فالإذعان بالشهادة أو بالشهادتين أو ببعض العبادات كالصلاة والزكاة لا يغنى عن بقية عناصر الدين المفروضة في تشريع الله، والدين لا يتجزأ، ولا يغنى فيه شأن، عن شأن.

وتجزئة الدين تعتبر إيماناً ببعض الكتاب دون بعض، وهذا ضرب من الكفر يأباه الله سبحانه.

والقرآن : يتجه بالناس إلى التلاقي على تدين صحيح، وإخاء ناصح، ويحذرهم دائماً أن يخدعوا أنفسهم بالأمل الكاذب دون عمل خالص كما يحذرهم دائماً أن يتخذوا لأنفسهم بطانة من عدو دينهم ويعلمهم أن عدوهم مهما تصافى لهم لا يريد بهم خيراً، ولا يزيدهم إلا خبالاً، ولعل الله يحفظ بيضة الإسلام وشعبه من مكر الماكرين بها من طريق الأغرار المتخلفين عن التلاقي على الدين.

ع.م. اللطيف السبلي

عضو جماعة كبار العلماء

بالشهادتين في تحقق الإيمان، مثل (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلخ)، فلم يشترط في الإيمان صلاة ولا زكاة كما ذكرت الآيات والأحاديث المرافقة لها.

٣ - بل توجد أحاديث معتمدة كذلك تكتفى بقول (لا إله إلا الله .. فقط) ويقولها وحدها يكون الكافر مسلماً ويدخل الجنة.

وليس مشروطاً أن يشهد لمحمد بالرسالة كما تدل تلك الروايات وخلاصة هذه الشبهة - أننا نرى توبة الكافر تكون بكلمة التوحيد فقط. وعلى هذه النصوص يكون التلاقي على دين الله ممكناً بين الناس بمجرد كلمة لا إله إلا الله وهذا أيسر ما يقال، دون التزام لاكثر منها. والتحقيق :

أن جميع النصوص في كتاب الله وسنة رسوله داعية إلى مقصد واحد : هو ترك الكفر، والدخول في دين الله على أكمل وجه: عقيدة، وعملاً وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم - يتحدث في كل حالة بما يناسبها.

١ - مرة يكتفى من المشرك بقوله (لا إله إلا الله) لأنه حين يقولها تكون أمانة على تخليبه عن الشرك كله، ودخوله في التوحيد فترك قتاله إذا كنا في شجار معه ولا نعقد عليه أمر الدين، ونعطيه الفرصة فسيحة لإظهار دينه في رفق.

مَنْ مَعْنَى الْفَتْرَانِ

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى
والله غنى حلیم »
(قرآن كريم)

(القول المعروف يصدق على كل كلام يتسم بالرفق والخير والإحسان.
(والمغفرة ستر الذنب بالعفو والصفح عن فاعله .
(والمراد بالصدقة هنا ما يبذله المنفق أو المتصدق للسائل أو المحتاج.
(والأذى يطلق على المكروه الذي يؤلم ، والشئ الذي يستقذر .

ومعنى الآية - والله أعلم بمراده - أن رد
السائل بقول حسن أو كلمة طيبة خير
من إعطائه ما يطلب من صدقة إذا كان يتبعها
كلام يؤذيه ويؤلمه . أو اعتداد بها من المنفق
أو المتصدق يثقل عليه ، ويدخل في ذلك
إظهار الضيق به . والتبرم منه ، والتجهم
في وجهه ، والله غنى لا يحتاج لغيره .
بل كل ما سواه محتاج إليه ، وهو حلیم
لا يعاجل بالعقاب من يبخل بماله . أو يبذله
ويتبع البذل بما يبطله من أذى السائل
بالقول أو الفعل . فلا يغرنكم ذلك . وخافوا
عذابه وعقابه . فإنكم لا محالة محاسبون أمامه .
ويظهر من مقابلة القول المعروف بالصدقة
أن المراد بها صدقة التطوع والتبرع . وقد
شاع استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى في كلام
الناس حتى فهم خطأ أنها قاصرة عليه . مع أنها
في وضعها الإسلامى السليم - وقبل أن يضيق
العرف الفاسد معناها الواسع - تطلق على كل
قول وكل فعل ينم على صدق الإيمان . وإحساس
المؤمن بما يجب عليه نحو الله ونحو الناس .

فالزكاة وهى ضريبة لازمة وحق مفروض
في مال الأغنياء . تسمى صدقة ، كما يفهم
من قول الله « إنما الصدقات للفقراء
والمساكين الخ » ، والعامل على الزكاة كان يسمى
عاملاً على الصدقة ، بل كل عضو في جسم
الإنسان عليه - كل يوم تطلع فيه الشمس -
صدقة ، كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم
« كل سلاى عضو » من الناس عليه صدقة ،
كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين
صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها
أو تحمل له عليها متاعه صدقة ، والكلمة
الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة
صدقة . وتميط الأذى عن الطريق صدقة .
ومن ثم يقين أن معنى الصدقة يسع كل خير
وبر ، وأن صدقة التبرع أو التطوع . يجب
ألا يشوبها جور على كرامة السائل والمحتاج ،
فعلى الذين يرون في الصدقة غصنا من قيمة
الإنسان وكرامته أن يفهموا الإسلام على
سلامته واستقامته ، فسيجدون فيه اشتراكاً
أوسع وأرفع . هبهم ربهم فردة

بَيْنَ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ

لِلأَسَاتِذِ مُحَمَّدٍ وَأَبُو شَيْبَةَ

غفلة الحاكم الذى ينفذ الشريعة ، ويقم الحدود والتعزيرات ، ويقضى بين الناس ؛ لأنه إن غفل الحاكم وأعوانه ولم يصل إلى علمهم المخالفة أو الجريمة فلن يغفل الرقيب الأعلى العالم بكل شيء والخير بما تهجس به النفوس ، وهو الله تبارك وتعالى ، وهذه المراقبة للحق تبارك وتعالى إنما تربيتها وتنميتها الشرائع السماوية ، ولا تزال تنمو وترسخ حتى تصير ملكة نفسية ولن تجد أصلح للجماعات من سيطرة ملكة المراقبة فى النفوس .

وإنك لتلئس هذا المعنى واضحاً فى مسلك بعض الأغنياء الذين يخرجون زكاة أموالهم طائعين مختارين عن طيب نفس ومع التحرى والتحوط البالغين فى التقدير والإخراج ، بينما تجدهم يتقاعسون عن دفع بعض الضرائب التى تفرضها الدولة مع أنها تنفق فى الخير والمصلحة العامة بل ويتحايلون على التخلص منها ، وإذا دفعوها دفعوها مكرهين ، وذلك لأن الزكاة تسكيف من الشارع الحكيم ، أما الضرائب فتسكيف بالقانون .

بينت فى المقال السابق أن مرجع الشريعة الإسلامية إلى القرآن والسنة المحمدية يعنى أنها من عند الله سبحانه وأنه ليس للبشر فيها إلا فهم النصوص والاجتهاد فيما لم يرد فيه نص صريح بقياس الشبيه على الشبيه ، وتخرج الفروع على الأصول ؛ واستخراج أحكام الجزئيات من السكليات ، والنظر والاستدلال فى حدود القواعد العامة ، ومراعاة روح التشريع الإسلامى ومقاصده وأهدافه ، وأن القوانين الوضعية مرجعها إلى عقول البشر فهى بشرية بجملة ويترتب على هذا الفرق الأصيل فى المصدر النتائج الآتية :

١ — أن تكون للتشريعات الإسلامية القداسة والتقدير والاحترام فى النفوس وذلك لأن واضعها هو الله سبحانه وتعالى وله فى النفوس القداسة العظمى ، والخضوع المطلق ، وليست القوانين الوضعية كذلك فهى عارية عن هذا التقديس مهما كانت منزلة واضعها ، ولهذا التقديس أثره الكبير فى التزام الشريعة والعمل بها فى السر والعلن ، والرضا والغضب ، حتى ولو أمن العامل بها

وطبائهم ، وما يعرض لهم من صحة ومرض وغنى وفقر ، وسفر وحضر ، ولذلك جاءت التشريعات الإسلامية متفقة مع الفطرة وفيها كفاء لكل هذه الأحوال والملازمات .

وسأقتصر على ضرب مثل لهذا ، وليكن ذلك بعقوبة القصاص في النفس فقد جعلت الشريعة القصاص حقا لولى الدم ولم يجعله الله سبحانه حقا لازما كالحدود لا يجوز التنازل عنه ولكنه شرع لولى الدم العفو إلى بدل وهى الدية ، أو العفو المطلق قال سبحانه :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والآنثى بالآنثى ، فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ، » (١) وقال : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، » (٢) .

والآية وإن كانت في شريعة التوراة فهو في شريعتنا كذلك ، وقد دلت الآية على أن

وتلبسه أيضا في هذا المشهد العظيم - موسم الحج - حيث يجتمع الألوف المؤلفة من كل جنس ولون ، ومن كل قطر وصقع ، ومع هذا يكاد يكون التعدى على الدماء والأعراض والأموال في حكم العدم ، ولم نسمع أن أحدا قتل ، أو عرضا انتهك ، أو مالا انتقل ، إلا في القليل النادر جدا ، ولو رأيت الناس وهم يطوفون حول البيت رجالا ونساء ، وشبابا وشيبا ، ويتزاحمون بالمناكب حتى لا تكاد تجد منفذا للإبرة ، لعجبت ألا تجد أحدا سرقته تقوده ، أو عجوزاً وطئاً تحت الأقدام ، أو امرأة عرض لها أحد بسوء ، أو خدش حياءها بلبسة مريبة ، أو كلمة نابية ، ولآمنت حق الإيمان بسلطان الشريعة على النفوس وقداستها في القلوب ، ولو أن مجتمعا دنيويا لا يصل تعداده عشر معشار هذا الحشد الحاشد من الجميع لما سلم من الجرائم والمظالم التي لا يحصى الععد ولكنه الوازع الدينى الذى هو من ملازمات التشريع السماوى ولا سيما الإسلام .

(٢) موامة التشريعات الإسلامية للفطر وصلاحياتها لكل زمان ومكان ولكل الأمم والشعوب على اختلاف طبائعها ، واتجاهاتها وبيئاتها ، وذلك لأن واضعها ومرسها هو الله سبحانه وتعالى وهو عالم بما كان وما يكون ، وعالم بالبشر وفطرهم ، وغرائزهم

(١) البقرة ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢) المائدة الآية ٤٥ .

أن يقتص بنفسه لترضى بذلك نزعاً للانتقام المطلق ، أما شريعتنا فجاءت بالقصاص والدية والعفو المطلق ، وبذلك تميزت عن الشرائع السماوية السابقة والقوانين الوضعية ، وجاءت أوفى وأتم ، وأشد موامة للفطر والنفوس . ولذلك سر ؛ ذلك أن بعض الناس كالقباثل البدوية وأهل الريف بمصر مثلاً ومن في حكمهم ممن يستحكم فيه حب الأخذ بالثأر والتشفي والانتقام لا يرضون إلا بإراقة الدم وذلك بالقصاص وبغيره لاتذهب الحزازات من النفوس وذلك أمر معروف ويحس به أكثر المتصدرون للقضاء بين الناس ، وبعض الورثة وأولياء الدم قد يرون أن الدية أنفع لهم من القصاص ولا سيما إذا كان القتل هو عصمتهم وليس لهم عائل سواء ويرون أنهم في حاجة إلى المال للإتفاق على الأرامل والصغار أو لاعتبارات أخرى ككون القاتل له صلة قربي بهم ، وأمثال هؤلاء يميلون غالباً إلى الدية بدل القصاص وبعض أولياء الدم قد يرون العفو المطلق . إما لسمو في نفوسهم أو تسامح في فطرتهم ، أو قوة في دينهم فهم يلتسمون الأجر من الله . ولما لظروف تدعوهم إلى العفو عن القاتل كقرباة ونحوها ، فمن ثم جاءت الشريعة بالأمور الثلاثة وقد كان الشارع حكماً أيضاً حينما جعل القصاص حقاً للولى وجعل للولى

أن يقتص بنفسه لترضى بذلك نزعاً للانتقام المطلق في أغواره ، ولتحول بينه وبين أن يأخذ حقه بيده قبل المحاكمة أو قبل الموعد المحدد لتنفيذ العقوبة ، أو أن يرى العقوبة التي تنفذها السلطات العامة غير كافية لشفاء نفسه فيحاول أن ينتقم من أهل القاتل ، وحينما جعل للولى الدم أن يقتص أو أن يعفو إلى بدل أو يعفو عفواً مطلقاً ، فبعد أن مكنته من القصاص كل التمكين وسلطته على الجاني إلى هذا الحد ، حببت إليه العفو وأغرته به من الناحية المادية فجعلت له أن يعفو على مال ، وأغرته به من الناحية المعنوية فوعده رضاء الله والثواب الجزيل في الآخرة ، فن عفا وأصلح فأجره على الله (١) ، فن تصدق به فهو كفارة له ، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس (٢) ، حتى إذا عفا بعد هذا كله فقد عفا بنية صحيحة ، وانمحت السخائم والحزازات ، وحل الوثام محل الخصام ، وهو العامل الفعال في حفظ الأمن وإقرار النظام بين الجماعات (٣) .

وليس ثمة من يجادل في أن الإنسان بطبعه يكون أقرب للعفو عن حقه بذية صادقة كلما كان قادراً على الوصول لحقه ، لا يمنعه عنه

(١) الشورى ٤٠ .

(٢) آل عمران ١٣٤ .

(٣) التفريع الجنائي الإسلامي - ٥٤٩ ج ١ .

مثلاً أفسد ولم يصلح ، وفتح باب شر كبير على مجتمعاتنا الإسلامية ؛ وذلك لأنه وضع لبيئة غير بيئتنا ولقوم دينهم غير ديننا ، وطبيعتهم غير طبيعتنا ، وتقاليدهم غير تقاليدنا ، بل قد أثبت الواقع عدم صلاحية هذه القوانين للبيئة التي وضعت لها ، وليس أدل على ذلك من فشو الفساد والانحلال الخلقي والاجتماعي في كثير من البلاد الغربية ، التي تحكم بالقوانين الوضعية ، وإن يجادل في هذا إلا مكابر .

٣ — موافقة التشريعات الإسلامية للصواب والحق والعدل وذلك لعدم احتمال الخطأ أو الغلط أو الجور أو الظلم من واضعها أو الخضوع للأهواء والشهوات والتأثر ببعض المؤثرات وعدم احتمال المحاباة أو المجاملة أو النفاق والمساهنة ، إذ الحق سبحانه وتعالى منزّه عن كل ذلك ، وكذا الرسول صلوات الله وسلامه معصوم عن ذلك ، وقد قامت الدلائل العقلية والنقلية على كل ذلك ، وقد بين الحق تبارك وتعالى هذا المعنى بقوله : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » (١) ، وقال : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

(البقية على صفحة ٤١٠)

مانع ، ومن هذا العرض الموجز يتبين لنا موافقة الشريعة الإسلامية لطبائع البشر وغرائزهم ، وفضلها على غيرها في هذا ، وهذا المعنى هو الذي عناه الحق تبارك وتعالى بقوله : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٢) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟) رواه البخاري ومسلم والفطرة هي الدين الحق ، دين الإسلام ، الذي يوائم الفطر والطبائع وقوله : (تركتكم على الحنيفية السمحة التي ليلها كنهارها) .

أما القوانين الوضعية فواضعها البشر وهم مهما بلغوا من العلم فعلهم قاصر لأنهم إن علموا ما في أمسهم ويومهم فلن يعلموا ما في الغد ، وإن علموا بعض الطبائع فلن يعلموا كلها ، وإن علموا بعض البيئات فلن يحيطوا بها كلها علماً ومن ثم كانت بعض القوانين الوضعية لا توائم كل الفطر ولا جميع البيئات ، ولا تحقق مصلحة الناس ولا صلاح المجتمعات .

وليس أدل على هذا من أن القانون الذي نحكم به في بعض الجرائم والعقوبات كالزنا

التضمين، أو نيابة صرف بمكان آخر للاستاذ عمر لطفي السيد

هذه الحروف بحث الأخذ والرد وجب البت في أمرها وبيان حقيقة الموضوع أو توضيحه فأقول :

الفعل في اللغة يراد به معناه الأصلي ، والحروف المتعلقة به أو حروف الجر لا تتغير أبدا بالنظر إليه وهذا مما يؤيد أرباب الرأي الأول . وإذا تخلف ذلك ووضعنا حرفا مكان آخر عد ذلك غاطا قطعاً . وهذه قاعدة أصلية مقتبسة من كتب اللغة . ومن كلام العرب الفصحاء ، ولا تخرج هذه عن قاعدتها إلا إذا أردنا (الجاز المرسل) وهذا يقال له في مصطلح النحويين (التضمين) أو أن يراد باللفظ (الحقيقة العرفية) ومن ثم يقولون : إن حروف الجر ينوب بعضها مناب البعض الآخر - بأن يبقى اللفظ على حاله لا يتغير، وإنما يتغير حرف الجر للدلالة على أن الفعل تبدل معناه إلى ما يقاربه من وجه في التوسع أو التقييد لمعناه .

والعلاقة في الغالب سببية ولا تذكر لمعلوميتها أو أنها صارت (عرفاً لغوياً) ولا ينكر أن التضمين في اللغة العربية كثير

من أمد بعيد كنا نسمع في مجالسنا الأدبية فيما يجري من مباحث ومطالب تتعارض فيها الآراء أحياناً ومن جملة ما كان يجري بحثه أن (حروف الجر ينوب بعضها مناب البعض الآخر) فكان من رأى جماعة أنه لا يجوز أن ينوب حرف جر مناب آخر . وقال بعضهم إذن لا نستطيع أن نغلط أحداً فقلت له : فهل التعليل مقصود ؟ وإذا كان التوجيه ممكننا فن الضروري أن يحمل القول على محمل صحيح . ويصرون على أن مرجع ذلك اللغة ومدوناتا ... وشاركهم من شاركهم ممن لا يؤم المجالس الأدبية . ومن رأى جماعة آخرين أن هذه الحروف ينوب منابها غيرها وقد طالت المباحثات في هذا الموضوع .

وهذه المسألة لا تحل بإبداء الآراء وإنما تحقق من ناحية التبدل المشهود في الكلمات ومشاهدة التغير فيها عند التركيب أى من ناحية النحو . ومن جهة أخرى نلاحظ علاقتها باللغة وبمجارى النطق العربى من جهة البلاغة وموافقتها أو مخالفتها . ولما دخلت

شربن بماء البحر ثم ترفعت
مقي لجج خضر لهن نبيج
وشربن معنى روين (وأحسن) في «وقد
أحسن في إذا أخرجني من السجن» معنى
لطف وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى
وهذا الأخير هو بجمل الباب كله عند أكثر
الكوفيين، وبعض المتأخرين لا يجعلون
ذلك شاذاً ومذهبهم أقل تعسفا «اه»^(١)
وجاء في التصريح^(٢) :

«والصحيح عند البصريين أن حروف
الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما
لا تنوب أحرف الجزم وأحرف النصب
وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا
يقبله اللفظ وإما على تضمين الفعل معنى فعل
يتعدى بذلك الحرف وإما على شذوذ إنابة
كلمة عن أخرى وهذا الأخير هو بجمل الباب
كله عند الكوفيين، وبعض المتأخرين
لا يجعلون ذلك شاذاً ومذهبهم أقل تعسفا
على ما قال صاحب المغنى «اه» .

وهذا الإجمال هو موضوع المناقشة
ويوضح هذا :

١ - أن أصل اللغة مبناها (الحقيقة)
وأن الأفعال منها - ما تتعلق بها حروف

[١] المغنى ج ١ ص ١١١ طبعة الاندلس محمد
محي الدين عبد الحميد .

[٢] شرح التصريح ج ٢ ص ٤ - ٧ (المتن)
طبعة سنة ١٩٢٥ .

عد منه المرحوم الأستاذ (مصطفى صادق
الرافعي) المتوفى سنة ١٩٢٧ م عشرة آلاف
كلمة فعجز عن الإحصاء (والنحو في هذه
الحالة يراعى تحول الحروف ظاهراً) .

وغالب النقد من جهة مطابقة اللغة
أو مخالفتها دون التفات إلى مراعاة التضمين
أى المجاز ومن هنا عد أنه حصل بصورة غير
صحيحة وهناك التحمل فى التأويل ليلتئم .
وإلا فالملزمة غير قطعية ولا سيما عند تغير
المعنى بصرف الفعل إلى معنى آخر يستدعى
تبديل الحرف لعلاقة السببية أو لغيرها
ومحل النزاع ما ورد فى (المغنى) من أن
الحروف لا ينوب بعضها مناب البعض
الآخر إلا بتحوطات .

وهذا نصه :

«مذهب البصريين أن أحرف الجر
لا ينوب بعضها عن بعض بقياس» كما أن
أحرف الجزم والنصب كذلك، وما أوهم
ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ
كما قيل فى قوله تعالى : «ولأصلبنيكم فى جذوع
النخل» وإن (فى) ليست بمعنى على ولكن
شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال فى
الشيء، وإما على تضمين الفعل معنى فعل
يتعدى بذلك الحرف كما ضمن بعضهم (شربن)
فى قوله :

مرسل ، أو «تضمنين» وهؤلاء من جراء كثرة توغلهم في المعاجم لم يكونوا أهل سعة في مدلولات اللغة ، ولذا كانوا في تغليطهم على خطأ وإن كان في حقيقة اللغة صوابا ، هذا مع أن اللغة لا تخلو من ضروب بيان سواء في الألفاظ أو في الجمل وهي عوارض تزول بزوال علاقاتها ويزيد بعضهم بأنه لو راعينا هذه القاعدة لم يبق مجال في تغليط أحد من حيث اللغة ؛ نظرا لهذا الاحتمال أو لهذا السبب . في حين أن الكلام إذا كان له وجه صحيح ، فلا يجوز لنا التغليط إذا كان له مخرج في اللغة ولا تقبل التمحلات أو التقطعات .

وكان ذلك يضيع عليهم مكانتهم اللغوية وموقعهم الممتاز فيها . وانتقل هذا الأمر إلى آخرين أمثالهم أو المقلدين لهم على العمياء ، وما ذلك إلا لأن هؤلاء توغلوا في معاجم اللغة توغلا صرفهم عن أن يدركوا مجاريها وجمدوا على أصل اللغة دون مراعاة ما يلامسها في تصرفاتها في غير معاجمها ، واعتبار ذلك تجاوزا على حدود اللغة ولم ينظروا إلى المجازات المرسلة والاستعارات ، ولا إلى المجاز العقلي والكنيات .

وهذا مادعا للنجاح أن يقولوا : « الحروف ينوب بعضها مناب البعض » ، وما ذلك إلا لأن المعنى قد يتبدل فيتحول المقصود من الفعل بإرادة معنى آخر ، ومن ثم يحول الحرف

الجر الخاصة بها فلا تتجاوزها وبهذا الاعتبار لا ينوب بعضها مناب البعض الآخر على الإطلاق إلا بتحوطات وهذه عددها صاحب التصريح إجمالا عند البصريين ، وذلك بأن تزول الكلمة أو أن يراعى (فيها التضمنين) إلى آخر ما جاء ، فهذه القاعدة عامة في حقيقة اللغة وأما التجوز فإنه تابع لمراعى الكلام تبعا لعلاقات مجازية وهو موضوع (علم البيان) إلا أن التبدل قد يكون باستعارة كلمة أو صرف معناها عن حقيقته ، فإذا زال السبب عاد الكلام إلى ما كان عليه من حقيقة وإلا لم يكن الأمر كيفيا أو حسب الأهواء بأن تتصرف به حسب ما نريد وبدون مراعاة عوارض اللغة أى تتصرف بلا قياس .

٢ - التضمنين أمر مجازى في الحقيقة وذلك بأن نستعمل فعلا في معنى آخر مجازا لعلاقة السببية فيظاهر التحول في معنى الفعل فتتغير له حروف الجر ، والنحويون ليس من مباحثهم المجاز وإنما ينظرون إلى تبدل حروف الجر نظرا لتبديل المعنى ويقولون « تضمينا » .

٣ - تغليط النحويين وأهل البلاغة ؛ مبناه التوغل في كتب اللغة ومشاهدة أن الحروف ثابتة لا تتغير بالنظر للأفعال في « حقيقة » استعمالها ولذا يغلطون النحويين وعلماء البلاغة فيما ذهبوا إليه من « مجاز

نسكرها أو نغلط الناطقين بها لجرد أنها تخالف أصل اللغة ، وهذا التغليب ناجم عن التوغل في المعاجم (أصول اللغة) كما تقدم ، أو عدم إدراك العلة الناجمة ، ومن ثم صار يعد كل خروج انحرافا عن اللغة وشذوذا عنها . وأكبر سبب هو أن الاستعمال مرتبط بعلاقات حالية أو مجازية يزول حكمها بزوال تلك العلاقات وتبعاً لها فلا تبقى مستقرة كاللغة الأصلية .

فإذا كانت المعاجم تتسكلم عن أصل وضع اللغة أو ما جرى في زمان ، وعد المرء ذلك هو اللغة وحدها كان مخطئاً من جهة أنه ضيق على اللغة فلم يتعرض للجازات وتصرفات الألفاظ وما مائل من ضروب التغيير . فالمفردات مبنية في المعاجم على حقيقتها وكذا الأفعال ومتعلقاتها ، أما المجازات فهي تابعة للعلاقات وفيها مؤلفات كثيرة فلا تدخل في أصل اللغة وإنما ذلك تابع للاستعمال ومن أجل مباحثه (التضمنين) .

وكذلك (الجمل) فهي متحولة وقد يراد بها غير ما وضعت له في تكون اللغة وذلك مثل (الجاز العقلي) فيصرف عن أصل المعنى كتشبيه جملة بجملة أو معنى تام بمعنى آخر مثله أو يكون ذلك كما قلنا (مجاز) وأطلق عليه علماءنا لفظ (الجاز العقلي) وهذا أيضاً من ضروب البيان وضروب البيان

الذي هو من متعلقاته تبعاً للمعنى المقصود من الفعل وإرادة معنى آخر ، أو أن الحرف شاع تبدله تبعاً للمعنى المطلوب واطراده في الاستعمال وشيوعه ، وكأن الفعل متداول في المعنيين فصح أن يستعمل الحرف محل الآخر ، وهذا هو الاستعمال (العرفي) أو ما يقال : إنه (حقيقة عرفية) وقد يسمى بـ (التضمنين) أيضاً من جراء عدم ظهور العلاقة أو فقدانها .

وأما التخصيص فيراد به الحرف المقصود قطعاً كأن استعملنا فعلاً بمعنى فعل آخر إن اضطررنا أن نراعى الحرف المؤدى لمعنى ذلك الفعل وما يحتاج إليه من حرف وهذا من أوضح ضروب التضمنين .

ولا شك في أن اللغة كائن حي ، وفي تبدل مستمر وتغير لا نهاية له يمثل هذه الاستعمالات وهي لغوية أيضاً ولكن اللفظ الأصلي يحافظ على وضعه وعلاقته بالحرف الملازم له في الأصل قبل أن يحدث تبدل طارئ ، فإذا أردنا أن نزيد في أغراضنا المتحولة المتبدلة دائماً وجب أن نجعلها مرتبطة بتلك الأغراض لعلاقات مجازية أو تضمينات ... باستخدام الحروف للمعنى المقصود دون (المعنى الحقيقي) وهكذا شيوع الاستعمال أو (الحقيقة العرفية) .

وهذه ظواهر ليس من الصواب أن

والتفنن في التعبير تجعل للغة ثروة عظيمة والمجاز لا يرجع فيه إلى كتب اللغة ومثله الحقيقة العرفية .

والتضمنين مجاز علاقته غير ظاهرة وربما وجدنا أن كثرة الاستعمال في مثل هذه تقطع (العلاقة) فتصير (حقيقة عرفية) ... والتلاعب في البيان لا حدود له ، وإن ضروب المعاني لا ينكر وجودها ، وتكون لأدنى علاقة ظاهرة أو خفية أو غير مدركة بسهولة كالإشارة والكنائية .

نعلم أن اللغة (مادية) في الأصل وأن تصرف الناس خرج بألفاظها إلى الأمور المعنوية ، أو معان أخرى غير مقصودة لأدنى ملابسة من أصل اللفظ ، وقد تنسى وجهة الملابسة أو المناسبة فيبقى الاستعمال وهو حجة ، ومثل هذا ضروري لضيق اللغة مهما بلغت من المكانة في السعة ؛ فإنها مقيدة للناطقين بها وحاجاتهم ، وضرورة بيانهم تدعو إلى ذلك ولا تختلف اللغة العربية عن غيرها من اللغات ، وإن كانت واسعة النطاق فإن الناطقين بها لغتهم محدودة فيضطرون إلى استعمال المجاز في اللغة كأنها لا يوجد منها غير ما يعلمون للتصرف بألفاظها وجعلها فيميلون إلى محامل كثيرة ، وإن المعارضين استبعدوا في الحروف أن ينوب بعضها مناب البعض الآخر .

وهذه القاعدة أقرها علماء اللغة والنحو معا فالتصدى إلى أنها غير صحيحة لا يستند إلى دليل ونحن نستدل بكتب النحو ونصوصها ونستدل بالاستعمال فلا ندرى وجه الإنكار ولكن أرباب هذا الرأي لا يسمعون دليلا ويريدون أن يفرضوا آراءهم فرضا وصفوة القول : إن اللغة دونت (الحقيقة) أو ما هو شائع في عصر التدوين كحقيقة ولم يلتفت إلى استعمال الناس استعمالا مطردا في ألفاظها مجازا أو استعارة أو كناية أو إشارة أو رمزا أو حقيقة عرفية ، ولا إلى الجمل واستعمالها بما هو قريب من هذا مما يعبر عنه بالمجاز العقلي ، وهذه الاستعمالات زادت في ضروب البيان كما خرجت بمعاني الألفاظ الأولى إلى ما يقرب منها أو ما يعد مقاربا من وجه أو متباعدا بمقدار ضعف العلاقة أو قوتها ، وأكد ذلك الكتاب الكريم والحديث الشريف وضروب المدونات في الأدب العربي . . وقد قيل (استعمال الناس حجة) في اللغة وفي غيرها . . و (الحقيقة العرفية) من أمثلة ذلك فلا نجد بين حقيقة اللغة وبين الحقيقة العرفية حدودا سوى الاستعمال . هذا والتضمنين في مصطلح البيانين الإشارة إلى آية أو مثل أو بيت شعر وتضمنينه . . وهذا لم يكن من موضوعنا .

٣ - الدر الثمين في محاسن التضمين ،
تأليف العلامة الشيخ عبد الله بن سلامة
الإذكارى نزىل القاهرة ولد سنة ١١٠٤ هـ -
١٦٩٢ م والمتوفى في ٥ جمادى الأولى سنة
١١٨٤ هـ - ١٧٧١ م فرغ من تأليفه سنة
١١٧٥ هـ منه نسخة بدار الكتب المصرية .
٤ - رسالة المرحوم الأستاذ محمود
شكرى الألوسى .

وهذه الرسائل تعين بجارى الآراء في
الموضوع سواء كان للسيد الشريف الجرجاني
أو لسعد الدين التفتازانى أو لغيرهما من تلا
من علماء البلاغة ؟ **عمر لطفي السيد**
من خريجي الأزهر

وأما مصطلح النحويين فهو ما تقدم
الكلام عليه .
والتضمين النحوى تعرض له علماء البلاغة
في بحث الجاز .

ومن الرسائل المدونة فيه :

١ - رسالة ابن كمال باشا ومولفها توفى
سنة ٩٤٠ هـ - ١٥٣٣ م .

٢ - رسالة ياسين بن زين الدين أبى بكر
ابن محمد بن الشيخ عليم (بالتصغير) الحصى
الشافعى نزىل مصر الشهير بالعلمى ويعرف
بالسنوشرى (محشى كتاب التصريح على
التوضيح) وله رسالة أخرى في التضمين
أيضا . توفى سنة ١٠٦١ هـ - ١٦٥٠ م .

(بقية المذشور على صفحة ٤٠٤)

تنزيل من حكيم حميد ،^(١) وقال : « أفلا
يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .^(٢)
أما القوانين البشرية ، فإن واضعها عرضة
للغلط والسهو والخطأ واتباع الأهواء
والشهوات ، وقصد المحاباة أو النفاق وتملق
الجمهير بل احتمال ذلك أمر قريب محتمل ،
ولذلك نجد القوانين الوضعية لا تسلم من
التخطئة والنقص والإبطال ، والتغيير
والتبديل ، وما من قانون وضعى قديم
أو حديث إلا وفيه ثغرات كثيرة ، نفذ
منها الناقدون المنصفون ، على حين نجد

الشريعة الإسلامية ، مضى عليها قرابة أربعة
عشر قرنا وقد بلغت من الجدة كأن عهدا
بالحياة أمس ، ومن الأحكام ما جعلها تفوق
كل تشريع كما بينا وكما سنبين ، وإذا كانت
لم تسلم من الطعون ، فما ذلك إلا إرضاء
لتنعصب ذميم ، أو حقد دفين ، أو استجابة
لهوى نفسى من المبشرين والقساوسة ومن
لف لفهم ، والمنصفون من الغربيين
قد وصفوها بما هى له أهل ، وقد بينا طرفا
من ذلك فى المقال الأسبق وبحسبنا هذا اليوم ،
فإلى المقال الآتى إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهرة

عالم جري، بواجه الطفيان :

يحيى بن يعمر العدواني للأستاذ محمد رجب البيومي

مشجرة في غرس بذور النحو ، مع أبي الأسود
الدؤلي ، ثم إنه كان كاتباً لا يتلقى العلم مشافهة
فحسب ، بل يدون ويسجل ، وقد عثر على
بعض الصحف الأثرية مبهورة باسمه ، كما أنه
المخترع الأول لنقط الحروف بعد أن خاف
اللبس من الإهمال ، فابتكر الإجماع ، هذا
إلى تضلع واسع في اللغة إذ كان لا يسأل
عن كلمة ينطق بها باوى مصرح إلا شرحها
واستشهد عليها من محفوظه ، وقد دعاه هذا
التبعية الواسع لمهجور الكلام في بطون
القبائل ، وأخذ البداية أن ينطق في بعض
حديثه بالغريب ، حتى اشتت بعض الكاتبين
فعدوه بين المتعقرين ، وما أظن هذا صحيحاً ،
لأن المتعقر هو الذي يجمع الحوشى من هنا
ومن هناك ليتشدد به عن عمد على سبيل المباهاة .
أما العالم اللغوى المتمكن ، فلا بد أن يجيئ
على لسانه ما لا يتعمده من الغريب ، كما نرى
اليوم بعض الاصطلاحات العلمية في كتابات
العلماء وأحاديثهم دون أن يقصدوا إلى تعلم
شخصى ، إنما يتحكم فيهم تخصصهم الضليع
تحكما لا يقوون على الانقلاط منه ، وهكذا
كان يحيى بن يعمر فيما نطق به من الغريب
حتى اشتهر به وتنوحت عنه طرائف وأفأكيه .

لو ازدهر التأليف في القرن الأول من
الهجرة كما ازدهر فيما تلاه من العصور انضمت
الثقافة الإسلامية خيراً كثيراً منه ، إذ أن
هذا القرن الجليل قد حفل بعلماء أمثال
من أجلة الصحابة ، وأهله التابعين ، وإذا
كنا نرى اليوم آراءهم العلمية متفرقة
في مطاوي الكتب فتقف على الرائع من
اجتهادهم الحافل واستنباطهم الدقيق ، فإذا
كنا نغنى من المعرفة لو عكف هؤلاء الأعلام
على تدوين آرائهم في كتب خاصة بهم كما فعل
الحلف من تلامه على مد العصور ، وإن سماء
ساطعة يتألق في أفقها الشاسع كواكب
وضاءة من أمثال علي وابن عباس وابن عمر
وزيد ومعاذ وابن مسعود من مشيخة
الصحابة ، ومن طراز الزهري وابن المسيب
وابن جبير وعطاء والشعبي وربيعة وحماد
والحسن من أعيان التابعين ، إن سماء تسطع
بهذه الكواكب لجديرة أن تبعث الضوء
في ظلمات الأحقاب ، ودياجي العصور ،
فهدى إلى التي هي أحسن ...

ولقد كان يحيى بن يعمر العدواني أحد
هؤلاء المتضلعين في علوم الشريعة والعربية
من أفاضل التابعين ، وقد شارك مشاركة

روى أن يزيد بن المهلب كتب إلى الحجاج لقد لقينا العدو ففعلنا وفعلنا حتى اضطررناه إلى عرعره الجبل ، فقال الحجاج : ما لابن المهلب وهذه العرعره ؟ فقل له إن يحيى ابن يعمر لديه ، فابتسم يقول : هو ذاك .

هذا بعض ما يشير إلى مكانته في علوم العربية ، أما آراؤه العلمية في الفقه والتفسير والحديث فأكثر من أن يلم بها ملم في نطاق وجيز ، ولسنا هنا بصدد إيضاح مركزه العلمي وتحديده ، ولكننا نحمد للإيضاح عظمتهم النفسية ، وعزته الخلقية ، فقد كان من الشجاعة الأدبية في الحق ، والجرأة الخلقية في مواجهة الباطل بالمكان الأعلى ، والمنزل المرموق ، وقد شاء له القدر أن يبتلى بالحجاج أو يبتلى الحجاج به ، فواجهه وكابر ، وأدى دوره مرفوع الرأس على الجبين .

كان الحجاج طاغية العراق يدين بفلسفة القوة والإرهاب ، فليس من همه أن يستميل القلوب بمعسول القول وجميل الفعل ، إذ أن ظروف حياته ، وفتن بيئته ، وكوارث عصره قد جعلته جميعها لا يعبأ بمهادنة واستمالة ، وإنما يرى القمع الرادع سبيل الهدوء والاستقرار ، وقد اختاره عبد الملك ابن مروان ليردع ويقمع لايؤلف ويكتب ، ووجد بعد التجربة أن القمع الزاجر يدنى من مأربه ، ويرفع من مكانته لدى الخلافة ، فتمادى فيه تتمادياً جائراً ، ووطد

عزمه على أن يقوم السيف بواجب الطاعة والخضوع ، مهما امتلأت منه القلوب موجدة وغيظاً ، ولأنه ليجلس على العراق عالماً أن حاشيته الخاصة قبل رعيته يضيئون به ، ويسعون للتخلص من شره ، ثم هو لا يعبأ بما يعلم ، ما دام السيف في يده . والسجن من ورائه ، فليغضب الغاضبون كما يشاءون ، فالقوة الباغية تقيه كل سوء ، وقد تغلغل اعتقاده هذا في نفسه ، حتى سرى إلى أسرته الخاصة ، فكان يجبر المرأة على الاقتران به ثم يعاملها معاملة من لا يستميل ودها ، أو يحرص على خنانها ، بل معاملة المتسلط المتحكم ، ولها أن تضيق فيما بينها وبين نفسها بزوجها ومنزلها وحياتها فليس بمنجيتها منه تبرم أو ضيق ، وإذا كان هذا سلوكه مع أحب الناس إليه فما ظنك بالجانب البعيد ؟ ! هذا المتحكم القاهر قد ابتلى بيحيى ابن يعمر فيمن ابتلى بهم من خيار العلماء فما هموا لما أصابهم بل ناوشوه وقارعوه ، وانتصروا عليه بالمنطق المفحم في يوم مجموع له الناس .

لقد رأى الحجاج أن الكوفة تهيم حياً بالحسين بن علي ، وتجعل من ذكره العاطرة المؤسسية منحدرأ للدمع ومصعداً للزفير ، وقد كافح وجاهد في تبديد هذا الحب الوثيق فما استطاع ، وكان يعلم أن قرابة السبط الشهيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم

مسموع السكمة ، محترم الرأي ، فإذا أفتى بما يعارض الحجاج ، فقد تمكن رأيه من قلوب الناس ، وذهبت دعوى الطاغية في الحسن والحسين أباديد ، ماذا عسى أن يصنع به وقد اصطدم منه بداهية دهياء ؟ !! لا بد أن يتمكن من إسكاته عن طريق الادعاء وانتعنت ، فيلزمه بنصر واضح من القرآن يؤيد دعواه ، وليس في القرآن الكريم في منطق الحجاج ما يثبت ذلك ، فإذا أعلن يحيى عجزه عن الاستشهاد بالقرآن ، فقد قامت عليه الحجة في رأى الجبهة من العامة وللطاغية بعد ذلك أن يتناول عليه مستكثراً بالسلطان والجبروت حتى يخذله خذلاً لا ينجح من بعده ! هكذا قدر الحجاج وأراد ثم تعجل فخذ مجلساً خاصاً بأعوانه ووجهاء الكوفة ، ودعا معهم شيعة يحيى ومقدري فضله من الرماء والتلاميذ ، لينكشف أمامهم في المصمعة فيضيع ما ينتسب إليه من علم وثبات ، ثم أرسل من يحضر يحيى ابن يعمر ليتجرع كأس الهزيمة في انكسار !

وحانت الساعة المرتقبة ، فحضر الرجل ليرى حفلاً غاصاً بالجموع ، وقد تصدره الحجاج بن يوسف الثقفي كالح الوجه ، مقطب الجبين ، فامتدت العيون لترى العالم الوقور يتقدم في اطمئنان ، فيلقى تحية الإسلام ، ثم يهم بالعود فيصيح به الحجاج غاضباً : لا تقعد يا يحيى ، وأوضح لنا رأيك في صلة الحسين برسول الله ؟

تجتمع عليه القلوب ، وتضعه بين الجوانح والشغاف ، ففكر وقدر ، ثم رأى أن يعلن أن الحسين رضى الله عنه هو ابن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وليس من ذرية محمد ابن عبد الله ، لأن انتسابه لفاطمة الزهراء لا يغير من الأمر شيئاً ، فالأب هو المعتبر في النسب دون الأم على قول من قال :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا

بنوهن أبناء الرجال الأبعد

وقد خطب في ذلك وأطال ، وأخذ يتتبع مخالفيه بنجاً وتشريداً ، ويرسل عيسونه في الكوفة ليأتوه بمعارض يصدر عن غير رأيه - فيجعل من عقابه مثلاً رادعاً لغيره ، وسرعان ما جاءه الخبر أن يحيى بن يعمر سئل عن الحسين وانتسابه لذريرة رسول الله فأجاب في المسجد الجامع بأنه من ذريته ، وزاد فخماً بأن الحجاج يحكم ولا يفتى فإذا أفتى فعن غير علم وإطلاع .

لم يدهش الطاغية لما بلغه فهو يعرف في يحيى جرأة وشجاعة ، وكثيراً ما اصطدم معه في جدل مذهبي فكان صاحب الحجة الفاصلة ، والمنطق الراجح دون أن تعصف به رهبة أو يميل بثباته لإيعاد ثم هو بعد يتشيع لآل البيت في اعتدال فلا يوازن بين الصحابة ليضع علياً فوقهم ولكن ليعرف لكل مجاهد مكانه الصحيح ، مستعصماً بالعروة الوثقى من الإيمان ، على أنه من وراء ذلك

فزادت من ضيق الحجاج وانبهاره ، ثم رأى أن يتراجع في مأزق ضائق يضغط عليه بأصاره فابتسم في تصنع ، وقال : اجلس يا يحيى فقد فاتني هذا الاستنباط .

ولم يشأ أن يصرف القوم بعد ما لحقه من خزي فاشل ، فرأى أن ينهض فيعترف بأن القرآن بحر لا ساحل له ، وأن العربية الفصيحة لا تسلم قيادها لغير من يحفظ كتاب الله ، وأنه - أى الحجاج - هو الذى أمر يحيى بن يعمر أن يضع النقط على حروف المصحف ، لتسهيل سبيل الحفظ الدقيق ، والاستظهار الصحيح ، ورأى أن يحامل يحيى فالتفت إليه سائلاً :

أتجدنى ألحن فى قولى يا بن يعمر ؟

فابتسم يحيى ابتسامة المتهكم ، وقال فى لهجة ذات مغزى خاص : الأمير أفصح من ذلك . فاغتاض الطاغية وصاح قائلاً : عزمت عليك ، أتجدنى ألحن ؟

فقال يحيى بملء فم : نعم أيها الأمير .

فنظر منهراً وقال : ألحن فى أى شيء ؟ فصاح يحيى : فى كتاب الله !! فهض الحجاج مرتبكا وهو يصيح : ذلك أسوأ لو كان ! ففى أى حرف لحت ؟ .

فرد يحيى فى تحد بين : لقد قرأت فى المسجد الجامع : « قل إن كان آبؤكم وأبنؤكم وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن

فيرد يحيى فى كبرياء : الحسين من ذرية محمد صلى الله عليه وسلم وإن غضب الحجاج . فيتنمر الطاغية متحفزاً ويصيح ألدبك دليل من كتاب الله ؟ فيرد العالم الشجاع فى ثقة بالغة معى الدليل من القرآن !!

فيضرب الحجاج كفا بكف ، ويقول متهماً : ما شاء الله : أفى القرآن أن الحسين من ذرية رسول الله ؟ ! لقد قرأته مئات المرات فما وجدت ما تقول يا رجل !! .

فيتطلع يحيى إلى الحاضرين ثم يصيح بصوت مجادل وإيمان وثاب : قال الله تعالى « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين . وذكر يا يحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين » ثم يلتفت إلى الجمهور قائلاً : أليكون عيسى بن مريم من ذرية إبراهيم بنص القرآن ولا يكون الحسين من ذرية رسول الله ، ويذهما من القرابة الدانية أكثر مما بين عيسى وإبراهيم عليهما السلام !! ؟ .

جاء الدليل صاعقاً قاصماً ، وقد اعتصم الحجاج بذكائه ليسعفه برد مضلل فما استطاع وبدت الفرحة والشامة فى عيون الجالسين ،

إليه ، فزادت من حرج الحجاج وتورطه ،
فأعاد السؤال مغیظا ، وأخذ يتطلع ، فقال
يحيى فى غير اكتراث : أيها الأمير ماذا أقول
عن واسط ، وقد شيدتها من غير مالك
وسيسكنها غير أهلك !!

فلم يعد فى قوس الصبر لدى الطاغية من
منزع ، وتلهب الجمر فى عينيه بقدر بالشر ،
ثم صاح فى انفعال ، ما حملك على هذا ؟
فقال يحيى فى اعتداد : ما أخذ الله تعالى
على العلماء فى علمهم ألا يكتبوا الناس حديثا .
فأطرق الحجاج منخذلا ، وساد صمت
حائر غمر المكان لحظات ، ورأى الطاغية
أن يقوم بعمل أو قول ينقذ خشيته فصاح
بيحيى : أيها الرجل ، لا تساكنى ببلد
أنا فيه !! فاذهب منفياً إلى خراسان !
ثم نهض من مكانه متضايقا ، فتنفرق
المجتمعون . كل إلى مشواه .

* * *

قال الراوى : وذهب يحيى بن يعمر إلى
خراسان ، فوجد صيته الطائر قد سبقه إلى
هناك ، ورأى الناس يتحدثون عن مجاہته
الحجاج معجبين مقدرين ، ودنا خراسانى
فسأله فى تعجب :

ألم تخش سيف الحجاج ؟

فرد فى إيمان الواثق : لقد ملأتى خشية
الله ، فلم تدع مجالا لخشية إنسان ؟

محمد رجب البيومى

ترضونها أحب إليكم من الله ! فضممت
الباء وهى مفتوحة !

فتغير وجه الرجل ، وحدثته نفسه أن
يهم بصاحبه ، ولكن انهياره النفسى أورثه
ترددا لا عهد له به ، ثم إنه خشى أن يصديه
بسوء فيتناقل الناس فى الأمصار قصة حجاجه
فى نسب الحسين ، ويتهى إلى قصر الخلافة
ما كان من تهوره حين جادل فى أمر لا يقبل
الجدل ، فسكن لخصوم بنى أمية من الانتصار
وأضاف إلى حججهم الكبيرة حجة بالغة ،
فرأى أن يستكين .

وشاء بعض الحاضرين أن يصرف الحديث
إلى موضوع آخر ، فأخذ يسأل الحجاج عن
مدينة واسط التى شيدها بأذلا جهده الجاهد
فى التعمير والتشجير ، وكان الطاغية قد ارتاح
إلى هذا الانتقال المنقذ ، فأخذ يسهب فى
تقدير كفايته الشخصية ، وبين حسن اختياره
للبنان ، وسخاءه فى الإنفاق والتشيد ، ويحصى
عداد من قاموا بالبناء من الفعلة والعمال ،
وما استخدم من الماشية والحيوان ، وما
أنفق من الذهب والفضة ، ثم رأى أن
يصانع يحيى بن يعمر ليظهر أمام الناس أن
هزيمته لم تنل من نفسه ، وأن الأمر لا يخرج
عن مجرد رأى يخطئ ويصيب ، فربت على
كتفه برفق ، ثم قال : لم تذكر لنا رأيك فى
مدينة واسط يا يحيى .

فسكت الرجل ولم يرد ، وتوجهت العيون

المسؤولية الفردية والمسؤولية الجماعية في نظر الإسلام للدكتور عبد العظيم شرف الدين

وعلى هذا السنن القويم سار الخلفاء الراشدون ؛ فقد أعلن أبو بكر يوم أن تولى أمر هذه الأمة : « الضعيف عندى قوى حتى آخذ الحق له ، والقوى عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه » .

وكذلك أمر الآخرة لا يفترق عن أمر الدنيا في هذا المبدأ ، فكل امرئ رهن بما اكتسب « ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ، ولو كان ذا قربى » ، ولقد حمل الرسول عشيرته الأقربين المسؤولية ، وأبان لهم أنه لن يغنى عنهم من الله شيئاً : عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله : « وأنذر عشيرتكم الأقربين » قال : « يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا بنى عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله ، لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة

لا يستقيم أمر هذه الحياة إلا إذا عرف كل إنسان واجبه ، وحرص على تنفيذه حرصه على نيل ما له من حقوق ، وتفانى في أداء واجبه ، تفانياً ملئاً عليه إحساسه وشعوره ، فلم يدخر وسعاً في أداء الواجب والنهوض بأعبائه ، يدفعه إلى هذا رغبة صادقة ، وضمير حى يقظ يحاسبه على ما يأتى وما يدع من الأمور ؛ لهذا قرر الإسلام مبدأ المسؤولية الفردية ، فكل إنسان في نظر الإسلام - محاسب على ما عمل ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، لا فرق في هذا بين أمر الدنيا ، وأمر الآخرة .

فلا ينفع المرء في دنياه إلا ما قدمت يداه ، ولا يشفع له إلا عمله الصالح ، فالكل أمام القانون سواء ، ولأمر ما لم يقبل الرسول عليه السلام شفاعته أسامة قائلاً : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، فوالذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجت ونجوا جميعاً . فالرسول عليه السلام شبه جماعة المسلمين بجماعة اقسما سفينة ، فأخذ بعضهم أسفلها ، وبعضهم أعلاها ، وكان الذين بأصلها إذا أرادوا ماء مروا على الذين بأعلاها ، فربما تأذوا بهم ، فهم الذين بأصلها أن يخرقوا في نصيبهم خرقاً ليأخذوا منه الماء ، فإن تركهم الذين بأعلاها وما يريدون كان مصيرهم جميعاً الهلاك ، وإن وقفوا في سبيلهم نجوا جميعاً . وإنما يهلك هؤلاء الذين لم يباشروا الجريمة لأنهم قصروا في أداء واجبهم ، وتركوا الجريمة تديس وتفرخ حتى شب فيها الصغير ، وهرم عليها الكبير ، ولم يصحوا من سباتهم العميق إلا بعد فوات الأوان ، فجنوا ثمرة هذا التراخي والإهمال ندماً وحسرة ، ومتى يجدي الندم ؟ ! ومتى تنفع الحسرات ؟ ! وكذلك إقامة الحدود يترتب عليها سلامة المجتمع ، والتهاون في أمرها ينشأ عنه الهلاك والدمار ، وإن الكوارث — عند ما تحل بالأمم ، وتنتاب الشعوب — لا تتخير من تصديه ، وإنما هي عمياء لا تبصر ، وكم من كوارث حلت بالأمم ، فأكلت الأخضر واليابس ، وقضت على الصغير والكبير

بنت محمد ، سليمان ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئاً . وإلى جانب هذه المسئولية الفردية هناك مسئولية جماعية لا تقل خطراً — إن لم تزد — عن المسئولية الفردية ، فعلى جماعة المسلمين أن تأخذ على يد الظالم ، وأن تحارب الجريمة قبل أن يستفحل خطرها ، ويشهد أمرها ، وإلا كانت مسئولة عن هذا التهاون ، واعتبرت مسئولة عما يقتاب الجماعة من تدهور ، وما يعترها من انهيار ، وقد حدد القرآن الكريم هذه المسئولية الجماعية بقوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين طلبوا منكم خاصة » ، وقد عاقب الله من سبق من الأمم بالهلاك والدمار لأنهم تستروا على الجرائم التي كان يرتكبها أشراهم ، ولم يكبحوا جماحهم : (إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه) . وقد ضرب الرسول عليه السلام مثلاً يحدد العلاقة بين القائمين على الحق المييمين عليه ، والموجهين لمجتمعاتهم توجهاً سليماً ، وبين هؤلاء الذين يقعون في الخطيئة ، فإن حال الفريق الأول دون وقوع الطائفة الثانية في الجريمة نجوا جميعاً ، وإن تركوهم وما يريدون كانوا متعاونين معهم على وقوع الجريمة فهلكوا جميعاً : روى النعمان بن بشير — رضى الله عنهما — عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ،

لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ولا يد لها فيها ، اللهم إلا اتفاق مشثوم ناشئ عن خطأ فهم ، وقصر نظر : « فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » . هذا ، وقد يبدو لبعض قصار النظر أن مبدأ المسؤولية الجماعية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتعارض مع قوله تعالى : « يأياها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ؛ وذلك لأن هذه الآية تعني المؤمنين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتطالبهم أن يعنوا بأموهم الخاصة ، ولن يضيرهم ضلال من ضل ماداموا هم قد اهتدوا ، وآمنوا بالله ولكني أقول رداً على هؤلاء : إن الدافع إلى هذا الفهم القاصر هو تفسير الاهتداء بمجرد الإيمان ، دون أن يدخل في مفهومه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ ولكن سياق الآية يدل على أن الاهتداء يراد به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وذلك لأن الآية تخاطب المؤمنين ، فأى فائدة في تقييد الحكم بالإيمان مع أن المفروض أنهم مؤمنون ، وإنما تظهر الفائدة في تقييد الحكم بأمر آخر أكثر من مجرد الإيمان ، وهو ما يكمل به الإيمان من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وغير هذا من صفات المؤمنين الذين كمل إيمانهم ، وصدقت عزائمهم ، وبناء على هذا نقول : إن الآية تهيب بالمؤمنين

لهذا ندب القرآن الكريم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » . وإن هؤلاء الداعين إلى الخير ، والناهين عن المنكر في الأمة بمثابة صمام الأمان ، وهم الرقباء والحراس الذين يعصبون كل القوى لمحاربة تيارات الإلحاد والزندقة ، ويدعون الأغنياء إلى الإسهام في الأعمال الإنشائية البناءة التي تسير ركب الإنسانية الصاعد نحو الجدد والتحرر والعزة والكرامة . لهذا كانت مسؤوليتهم أتم لبصرهم بالأمور وعواقبها ، ولأمر ما ارتبط مصير الأمم بتاريخ قادتها وزعمائها ، وإن القائد المظفر هو الذي يرسم لأمته طريق النجاح ، ويقودها من نصر إلى نصر ويحمل الناس على محبته واحترامه وتقديره . وقد طلب الإسلام من جماعة المسلمين أن تعد طائفة من أبنائها كي يقوموا في المستقبل بمنصب التوجيه السليم : يرسمون للأمة سياستها ، ويحددون لها أهدافها ، ويبصرونها بعواقب الأمور ، فلا تخط في سياستها خبط عشواء ، وإنما تسير في ضوء سياسة مرسومة ، وتنتج نحو هدف معين ، وترسم لنفسها خطة بعيدة المدى ، تتسم بعمق الغور ، وبعد النظر ، فلا تتورط في سياستها باتفاقات دولية ، أو أحلاف استعمارية قد تجر عليها الخراب ، وتلزمها التزامات تضحي من أجلها بأعر أبنائها ، تقدمهم وقوداً لحرب ،

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون» ، ثم قال : « كلا ، والله لتأمر بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً (١) ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم) وإذ إنما الشعور بالمسئولية الفردية في نفوس الأفراد ، وشعرت الجماعة بما عليها من مسؤوليات جماعية مشتركة توفر للجمتمع ما يصبو إليه من رقي وأمن وسعادة في حاضره ومستقبله ، وأصبح جدراً بالبقاء ، واستطاع أن يقود غيره من المجتمعات الإنسانية نحو المثل العليا والمبادئ القويمة التي يعيش في ظلها أفرادها ، ويتفانون في سبيلها .

فعلى رب الأسرة أن ينشئ أبناءه على حب الفضيلة ، والتفاني في سبيل الواجب ، وينمي فيهم الشعور بما عليهم من مسؤوليات فردية كانت أم جماعية ، فإنما تحبوا الأمم ، وتنهض الشعوب بكفاح أبناءها المخلصين الذين عرفوا واجبهم ، فقاموا به عن طواعية وطيب خاطر ، يحدوهم الأمل ، ويدفعهم الرجاء وعلمنا أن نستفيد من التجارب التي مرت وتمر بالأمم ؛ فإن فيها دروساً وعبراً نستفيد منها في حاضرنا لنعمل فيه لمستقبلنا ، والله الموفق

ذكر نور عبداً عظيماً شرف الدير

أن يتعهدوا أنفسهم بالإصلاح بأداء ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى عنه ، وأن يأمرُوا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ويسكروا لما يمانهم بغير هذا من الصفات التي تجلو القلوب ، وتسمو بالأرواح . ولا يضيرهم بعد هذا ما يصادفونه من إصرار من يدعوهم على الضلال ماداموا قد اهتدوا ، وأدوا ما يتطلبه الاهتداء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالآية إذا لا تعني الناس من المسئولية الجماعية كما قد يتبادر لقصار النظر لأول وهلة .

وليس مبدأ الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبمعنى آخر ليس مبدأ المسئولية الجماعية مبدأ خاصاً بأمة دون أخرى ؛ فهو مبدأ فطري تقتضيه القوانين الاجتماعية التي تنظم علاقة الناس بعضهم مع بعض ، ويستلزمه النهوض بالجماعة ؛ ولهذا كان من المبادئ الإلهية التي طالب الله بها الأمم السابقين ، ويوم أن تخلوا عنه وقع بهم العذاب ، عن علي - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل - كان الرجل يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا ، اتق الله ، ودع ما تصنع ؛ فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

(١) يقال : أطدرا العود إذا عطفه وثناه .
فالعنى : لتعطفنه على الحق عطفاً ، ولتحمله عليه حملاً .

الأزهر والتطوّر

للأستاذ محمود الشرفاوى

هذه اليد الباطشة ، يد الثورة ، التى تستطيع
هى وحدها ، أن تكسر هذه التقاليد وتخرج
بالأزهر والفكر الدينى من هذه المعوقات .
وهكذا صدر فى السنة الماضية قانون (تطویر
الأزهر) الذى بدأ تطبيقه فى السنة الدراسية
القائمة .

وإذا أردنا أن ندرك الأثر السريع الحاسم
لهذه الثورة وقانونها لتطویر الأزهر نذكر
أن الحاصلين على الشهادة الثانوية من الأزهر
يقبلون الآن فى معهد التمثيل والفنون الجميلة
و (الكونسرفتوار) ، بعد أن أشرنا إلى
إنشاء كلية البنات ومعهد الفتيات ، كما نذكر
ما نشرته صحف القاهرة من أن (فاطمة)
أى (فاطمة) جاءت من ليبيا لتتعلّم فى الأزهر ،
وأنها تقضى وقتها — كما قالت الصحف —
فى تعلّم اللغة العربية والرقص والغناء ، ويقبلها
الأزهر ضمن طالباته لتتعلّم فيه الدين واللغة .

٢ — وليكن ندرك غزى التطور وأهدافه
يجب أن نحيط أولاً بالحال التى كان عليها الفكر
الدينى وكانت عليها الحياة التعليمية فى الأزهر ،
وهى حال ، أو هما حالان ، ما يزال كثير
من مظهرهما وجوهرهما موجوداً فى أذهان
كثير من المتصلين بهذا الفكر وهذا المهد .

١ — قالت جريدة التيمس ، وهى تعلق
على قانون تطویر الأزهر : إن دخول الفتاة
العربية الأزهر أمر (يكاد ألا يتصوره
العقل) .

وهذا التعليق من كبرى الصحف الانجليزية
دليل على أمرين : أولهما كثافة التقاليد
التي كانت ، وما يزال شيء منها ، تحيط
بالأزهر والفكر الدينى ومحاولة إصلاح ذلك .
ثانيهما قوة تلك اليد ، يد الثورة ، التى شهرت
سيفها الصارم لكسر هذه التقاليد والمعوقات ،
بعد طول المعاناة وكثرة المحاولات .

ونحن حين نذكر ما لقيه قاسم أمين ،
فى حياته وبعد موته ، من الصد والاثام
بسبب دعوته المتواضعة لتعليم المرأة وكشف
وجهاها ، وما لقيه الإمام الشيخ محمد عبده
من مثل ذلك بسبب دعوته المتواضعة أيضاً
لتصحيح الأسلوب وتحرير الفهم وتقرير
شيء من الحرية للفكر الدينى ، حين نذكر
هذا وذاك ندرك صدق هذا التعليق الذى
علقت به التيمس على قانون تطویر الأزهر .

ونحن الذين قضينا ثلاثين سنة متوالية
ندعو ونجهر بمثل ذلك ، ونلقى من
الخصومات والشر والهمة ما نلقى ، ندرك قوة

أثقل لغيرهم مثلاً واحداً من كتاب درسه في الأزهر ، وهذا المثل هو ... أو ثوب موصوف بصفات السلم فهو بيع للدعاة من المدعى لغيره أو إجارة لها بغيرها منه لغيره أو لغيرها بها من غيره له ^(١) .

يقول بعض القوم إن التمس على هذا الأسلوب ومعالجة هذه المشكلات والمعوقات بما يكسب الذهن صقلاً وبصراً وحسن تدقيق . ولكن العناية في فهمها عناء كبير ، وهو عناء ينتهي إلى فهم الصياغة والأسلوب والعناية بهما دون العناية بالجواهر والموضوع .

أما أن الزمن والناس قد سبقا الفكر الديني وثقافة الأزهر التقليدية ، فهذا أمر بين لا يحتاج لدليل ، وهذا القانون لتطوير الأزهر ، الذي نتحدث عنه في هذا المقال ، هو الدليل الأول على السبق من جانب والتخلف من جانب آخر .

٣ - والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكل أمة ، ونوع الحكم فيها ، بين ذلك كله وبين نواحي الحياة الأخرى ، كالحياة العقلية والأدبية والدينية ، من الروابط ما يجعل كل واحدة منها مرتبطة بالأخرى أكمل ارتباط ومتأثرة بها أتم التأثر . والحوادث التي تواجه أمة من الأمم ، كالحروب والانتصارات والهزائم ، لا بد أن

وموجوداً أيضاً في عواطفهم وخواطرهم وآمالهم ، كما يوجد أيضاً في واقع الفكر الديني وواقع الحياة التعليمية لكثير من المعاهد الدينية في بلادنا العربية والإسلامية ، وهي بيئات ومعاهد نطلب لها ما نطلب لأنفسنا من الإصلاح والخير .

كان الفكر الديني قائماً على التسليم والمتابعة ، وكانت الحياة التعليمية في الأزهر قائمة على التلقين والتلقي والحفظ . كانت هذه الحياة ، متابعة منها لعصر خاص من عصور التفكير العلمي ، تصف العالم (بالحافظ) لأنه يحفظ وينقل . بدلاً من وصفه (بالباحث) لأنه يفهم ويبحث ويناقش ويتصدى .

كانت حياة تناول طائفة من الكتب والآراء وضعت في العصر المملوكي ، أو في العصور التي كانت فيها الثقافة الإسلامية ضخمة ، ضعيفة ، سقيمة الأسلوب ، ضيقة الأفق ، لا تخرج عالماً مدركاً لروح عصره ولا منسجماً مع البيئة والناس ، لأنها تناول جزئيات من العلم على طريقة خاصة ، وقد أبعد تطور الحياة وسير الزمن بين هذه الجزئيات وبين واقع الناس حتى أصبحت لا تبلي شيئاً من هذا الواقع ^(١) .

والأزهريون ، مثلي ، الذين كابدوا هذه الحياة ودرسوا كتبها يعرفون جيداً ما فيها من الأسلوب والفكرة على السواء ، ولكنني ^(١) مقالنا في جريدة الأهرام : ٢٠ يناير ١٩٥٤ .

(١) حاشية البجيري على شرح المنهج في فقه الإمام الشافعي ، الجزء ٣ ص ٤ باب الصالح - الاميرية ١٣٠٩ .

وقد خرجنا - ونحمد الله - من مؤثرات هذه العصور التي وقفت عندها ثقافة الأزهر وجمد بسببها الفكر الديني ، فكان من الحتم أن يخرج منها أيضا هذا الفكر وهذه الثقافة إلى نور جديد .

خرجنا من نظم الحكم وحدود العقل العثماني والمملوكي ومن سطوة الحياة فيهما ، فكان من الحتم أن يخرج من هذه النظم وهذه الحدود التفكير الديني ورجاله وأهله .

وأعتقد أن هذا هو ما قصده المشترون الذين وضعوا قانون تطوير الأزهر ، حين قالوا في مذكرته التفسيرية : « . ويعمل - أى الأزهر - على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة ، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

٤ - ولئن كنا ندعونا ، وندعو على الدوام ، لتجديد الفكر الديني والخروج به عن القيود والسدود الذي جذبه وتجذبه إلى تفكير القرون الوسطى من عصر المماليك والعثمانيين ، فنحن ندعو إلى إبقاء الصالح الطيب من تقاليد الأزهر القديم ، بل إلى تجديد ما قد يوشك أن يندرس منها .

يقع منها كلها ظل على الحياة العقلية والإنتاج الفكري والثقافي - بأنواعه جميعها - لهذه الأمة ، بحيث تكون عاملا كبيرا الأثر في ذلك كله ^(١) ، فكيف « بالثورة » وما يكون لها من أثر حاسم قاطع ... ؟

وقد جرت من قبل محاولات ، بعضها متردد وبعضها كان سابقا لزمته ، حكم عليها وزير الأوقاف والأزهر بقوله : « إن المحاولات السابقة لإصلاح الأزهر لم تتجاوز الاحتفاظ بأسلوب معين في البحث والدراسة والتحصيل وبكتب معينة ذات طابع خاص في الجدل الفكري . وكانت الكتب الأزهرية لذلك صورا مكررة لا فرق بينها إلا من حيث التطويل والاختصار ^(٢) ،

وهذا الحكم ، كما هو واضح ، يتناول المحاولات السابقة لإصلاح الأزهر كما يتناول وصف الكتب الأزهرية القديمة وصف الحق الذي ذكرنا من قبل .

ولكن هناك طائفة أخرى من كتبنا هذه - لم يكن يدرسها الأزهر ولا يعرفها من أهلها إلا الأقلون - وهي النبع الأصيل لثقافتنا الإسلامية والعربية . والحديث عن هذه الكتب أوثر أن أتركه لمكانه من هذا المقال .

(١) مقالنا في جريدة الأهرام : ١ مارس ١٩٥٠ .

(٢) حديث السيد الوزير الدكتور محمد البهي : جريدة الأهرام : أول أكتوبر ١٩٦٢ .

الجديد : (...) وتعمل على تزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بالعلماء العامين الذين يجمعون إلى الإيمان بالله ، والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه في العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك .

هـ — جعلت عنوان مقالى هذا : « الأزهر والتطور » ، لأنى طالما دعوت وأردت للأزهر أن يتطور . ثم جاء قانون « التطوير » ، وكل جديد لابد أن يثير شيئاً قليلاً أو كثيراً من اختلاف وجهات النظر ، ومن الخير أن يكون ذلك ، وأن يقع فى « تطوير الأزهر » ، أيضاً . فبيننا - ولا بأس فى ذلك بل لابد منه - المؤمنون بالقديم والداعون والمؤمنون بالجديد . ولكننا نريد من الذى يعتقد القديم ويؤمن به ، على قدمه ، أن يقف أمام رأيه مدافعاً منافعاً ، ولا يهتم . ونريد من الذى يعمق الجديد ويؤمن بالتطور أن يقف أمام رأيه مدافعاً منافعاً ، ولا يحرض .

نريد الإيمان الثابت الراسخ المطمئن ، ولا نريد المتابعة المسارعة المهرولة المخدولة . نريد اليقين لا التلقين ، ذلك هو الإخلاص

للأزهر وتلك هى أمانة الدين ؟
(البقية فى العدد القادم)

محمد الشرفاوى

كان الأزهر القديم « جامعا » ، ولكنه لا يخلو من معانى كثيرة تمثل « الحياة الجامعية » ، وتوحى بها وتدل عليها . بل هى تمثل خيراً ما فى هذه الحياة الجامعية الصحيحة : كان الطالب - ومن قبله العالم - يجلس كل منهما إلى درسه ليس لأحد منهما غاية سوى العلم ، والاستزادة منه والإفادة به و « التعبد » بملازمته .

كانت غاية الشرف عندهم أن يضع العالم والمتعلم فوق توقيعه تشريفاً وتكريماً لاسمه وشخصه لقب : « خادم العلم الشريف » . وكان طالب العلم ، شيخاً وتلميذاً ، يلزم الأزهر باحثاً دارساً الشهور والسنين لا يبرحه ولا يشغله عنه شأن ولا أمر ولا سعى ولا معاش ، فهو له مدرسة ومسكن ومطعم ومراح ومخدع . وكانت الدولة تكفيمهم مؤنة الحياة والعيش ، والناس تعطيهم صدارة المجتمع وحق التكريم والسيادة والتعظيم ، وطلاب الآخرة يكفونهم ، بما يقفون عليهم ، مؤنة التفكير فى الدنيا .

وكانت العلائق بين الشيوخ وطلابهم أصفى ما تكون نقاء وطهارة ومودة ، وأقوى ما تكون الوشائج من المحبة والبر والتعاطف والتوقير .

فهل نطمح فى أن تبقى الأزهر - أو تعود - تقاليده الصالحة تلك ... ؟ وهل نستطيع أن نفهم ذلك بما قاله قانون « التطوير » ،

من زعماء المسلمين بالهند : مولانا محمد حفظ الرحمن للأستاذ عبد المنعم النمر

ولد مولانا حفظ الرحمن سنة ١٩٠١ م . في بلدة (سهورا) بشمال الهند وتلقى علومه في دار العلوم (ديوبند) أكبر مدرسة دينية عربية في الهند وتخرج فيها . . وناداه الوطن ليشترك مع المجاهدين من أجل تحريرهم فلبى نداءه وتحمل نصيبه في عبء الجهاد حتى وصل إلى الصفوف الأولى للجهاديين حيث صار عضواً لحزب المؤتمر الهندي سنة ١٩٣٦ وسبق إلى السجون عدة مرات كان آخرها أثناء الحرب العالمية الثانية مع مولانا آزاد ونهرو وغيرهما من زعماء الهند الذين زجت بهم حكومة الهند في السجن من سنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٤٤ م حيث أطلق سراحهم وبدأ الانجليز يفاوضونهم للجلاء عن الهند .

وكان مولانا حفظ الرحمن يشغل منصب السكرتير العام لجمعية علماء الهند، ويمثل العنصر الحيوي المتحرك في كل نشاط لها . . عرفه أهل الهند جميعاً — المسلمون والهندوس والسيخ — بجهاده وإخلاصه لقضية حرية الهند ووحدتها فأجله الجميع وهاجوه ، حتى

كان آخر لقاء لي معه في دار جمعية العلماء بدهلي وهو يحمل معه ملفاً ويتأهب للذهاب إلى البرلمان ، وسأله إلى أين وصلت قضية اللغة الأوردية وتقريرها لغة رسمية ثانية ؟ فقال: إنني ذاهب الآن إلى اجتماع لتسكيل البحث في هذا الموضوع، وودعته وأنا أتمنى له النجاح في مهمته وفي كل المهام العظيمة التي يحمله المسلمون عيها .

ودعته ولم تغب عني صورته بجسمه الذي يغالب المرض وتبدو عليه ملامح الإرهاق من كثرة العمل ، وبشديته الرسالة وقامته المنصوبة تتحدى المرض والضعف والإرهاق، وكنت كلما تذكرته أشفقته عليه وأشفقت على مصالح المسلمين التي يتحملها وينوء بحملها ولا يرحم نفسه في سبيل العمل على تحقيقها بعد أن تجمعت عليه آمال المسلمين ، واتجهت أنظارهم إليه بعد وفاة شيخ الإسلام مولانا حسين أحمد مدني . ومولانا أبي الكلام آزاد وكان ركناً عظيماً للمسلمين في الوزارة الهندية .

تقديرًا لخدماته ومواقفه الوطنية، ومع ذلك كان ينازله بعض الهندوس والمسلمين في دائرته فيتغلب عليهم بألاف الأصوات بالرغم من أن أكرثية الدائرة من الهندوس...

كان يمتاز بعقلية إسلامية متنورة متحررة من التقليد والحرص على القديم لأنه قديم كما يفعل كثير من علماء الهند... حيثما وصلت إلى دار العلوم - ديوبند... ووقفت على مناهجها وطرق التدريس فيها أحسست أن فيها نقصا كبيرا وتحتاج إلى تعديل وإدخال بعض المواد الجديدة التي لاغنى عنها لطالب العلم في هذا الزمان... وبدأت أنحس آراء القائمين على الدار والمدرسين فيها فوجدت في الكثير منهم جمودا على هذا المنهج الذي ظلت الدار عليه نحو ستين سنة وأكثر، وتقتدى بها كل المدارس الدينية في الهند فاجأت إلى مولانا حفظ الرحمن وكان عضوا بارزا في المجلس الأعلى للدار وحدثته في هذا الأمر، فوجدت عنده تجاوبا كاملا وكان هو والأستاذ أبو الحسن الندوي عضو المجلس كذلك... يقودان معي حركة التجديد في البراج وإن شئت فقل معركة التجديد؛ لأنها كانت معركة فعلا بين القديم والجديد. حتى قال لي الأستاذ أبو الحسن إذا نجحت في هذه الحركة فسيكون لها أثرها القوي في اتجاه التعليم في المدارس الدينية في كل أنحاء الهند وسيكون

كان يلقي بنفسه وسط المعارك الدامية التي كان يشنها الهندوس والسيخ على المسلمين عند التقسيم ويعملون فيهم التقتيل والتذبيح فلا يجرؤ هندوسي أو سيخي على أن يمسه بسوء... ويكون لمواقفه الجريئة هذه أثرها في تخفيف حدة هذه الاعتمادات المتوالية على المسلمين.

كان رأيه - كراي جمعية علماء الهند - ضد التقسيم وضد قيام باكستان كان يرى أن تبقى الهند كلها دولة واحدة تضم المسلمين والهندوس وغيرهما ويعمل مع ذلك على تقرير حقوق المسلمين كاملة في الوطن الهندي الكبير، فلما تم التقسيم عمل على أن يبقى المسلمون في الهند في دورهم ومتاجرهم ومزارعهم ومناصبهم فلا يتركوها إلى باكستان حتى يظل المسلمون عددا كبيرا وأقلية كبيرة لها صوتها وحتى يظلوا حراسا لمساجدهم ومدارسهم وآثارهم الإسلامية التي تملأ الهند وتعد مثار فخر لها بين العالمين... وحتى يحولوا دون تحويل هذه المساجد الفخمة إلى معابد هندوسية، واندثار هذه المدارس الدينية وزوال الثقافة الإسلامية من ربوع الهند.

انتخب عضوا في البرلمان المركزي منذ إنشائه عن دائرة «مراد آباد» وكان حزب المؤتمر يترك له دائرته فلا يرشح فيها أحدا

إخوانهم في بورسعيد، فاستجاب سريعا وعمل على أن يصدر مدير الجمعية وشيخ الإسلام مولانا حسين مدني نداء لأهل الهند مسلمين وغيرهم يهيب بهم أن يناصروا إخوانهم في مصر، ويمدوا لهم يد المعونة في محتهم . وقامت فروع الجمعية في كل مكان بجمع التبرعات التي تولى السفير المصري الدكتور مصطفى كامل في ذلك الوقت من إرسالها للقاهرة ...

وكننت كلما ذهبت لدار جمعية العلماء ووجت مولانا حفظ الرحمن وجدت حوله كثيرا من أصحاب المصالح من المسلمين والهندوس يطلبون منه أن يتوسط لقضاء مصالحهم ورعايتها وكان لا يرد أحدا بل يمنح الجميع من بره وعطفه ومساعدته ما يستطيع بل وفوق ما يستطيع جسمه الضعيف وبالرغم من كل هذه المشاغل التي كانت تحيط به فإنه لم ينس واجبه العلي الديني إذ كان يقطع من وقته ما يفرغ فيه للسكرتير ويعكف على التأليف فأخرج عدة مؤلفات قيمة باللغة الأوردية منها : قصص القرآن ، « الأخلاق وفلسفتها » ، « النظام الاقتصادي في الإسلام » . وكان مع ثقافته الدينية متقنا كذلك اللغة الانجليزية على غير عادة العلماء في الهند .

لقد كان أمة في جهاده وعلبه وبره بدينه

تطورا لم تشهده هذه المدارس منذ ستين أو سبعين عاماً واستطعنا بعد جهاد سنتين أن نظفر بالتعديل ، وطلبت الدار السكرتير الخاصة بالمواد الجديدة من الأزهر والمؤتمر الإسلامي والأسف لم تصل لها هذه السكرتير الآن ...

كان خطيبا من الطراز الأول باللغة الأوردية ، يشترك في كل اجتماع أو حفل إسلامي في أي بلد من بلاد الهند على سعتها ولذلك لم تكن دهل - مقره - تحظى بوجوده كثيرا فيها . كان برغم تقدم سنه يطنخ عليه الحماس لمصالح المسلمين وقضاياهم داخل الهند وخارجها . . أقامت جمعية العلماء مؤتمرها الإسلامي السنوي في أكتوبر سنة ١٩٥٦ في مدينة « سورت » ، شمالي بومباي وكننت أمثل الأزهر في هذا الاجتماع وحضره الأستاذ أمين الخولي والدكتور محمد عبد الله العربي مندوبين عن المؤتمر الإسلامي . . وأثناء إلقاء كلمتي أخذت الحماس جموع الحاضرين وأخذوا يهتفون من كل ناحية لمصر والهند ولناصر ونهرو فتقدم هو من الميكروفون في حماس ظاهر وقاد موجة الهتاف وحينما ألقى كلمته كانت تفيض بالحماس لمصر ولتأميم القناة وتنفجر بالانتماء على المستعمرين ، وبعد أن وقع العدوان على مصر تحدثت معه فيما يحسن بمسلي الهند أن يفعلوه اتجاه الضحايا من

شيخ الإسلام مولانا شاه ولي الله الدهلوي صاحب الكتب والمؤلفات العديدة التي نعرف منها هنا « حجة الله البالغة » .

ولقد رثاه « نهرو » في كلمات مؤثرة وكان قد زاره الزيارة الأخيرة له قبيل وفاته بساعات قليلة . . وقال عنه « إنه كان زعيماً : ممتازاً من رعماء الحركة الوطنية الذين أخلصوا لبلادهم ولحريتها إخلاصاً لا يرقى إليه شك » وقال رئيس وزراء مقاطعة « أوتر برديش » بالهند : إن الفقيه قدم لوطنه ومواطنيه أعمالاً مجيدة ، ولا سيما في سبيل الوحدة الوطنية ، وسيظل التاريخ والوطن يحفظها له بالفضل والشكر .

إنني هنا أتصور المسلمين هناك يتلفتون حولهم ليجدوا من يملأ فراغ هذا الراحل العظيم فيطول تلفتهم ، وعيونهم تفيض من الدمع حزناً وقلوبهم تنفطر أسى وحسرة .

رحم الله الفقيه وجزاه خير ما يجزى به المجاهدين المخلصين ولطف بإخواننا المسلمين في الهند ، وهياً لهم من أمرهم رشداً ؟

عبد المنعم النمر

وطنه وإخوانه ، حتى خلع عليه مواطنته لقب « مجاهد الملة » .

ذلكم هو مولانا محمد حفظ الرحمن الذي كتب إلى صديقي الأستاذ محي الدين الألواني ينعاه إلى وإلى المسلمين في كلمة مؤثرة تفيض تقديرًا ووفاء للراحل الكريم الذي ظل يغالب المرض سنين ، وسافر إلى أمريكا في محاولة للقضاء عليه ، وعاد وقلوب الذين عرفوه وقدروه تحيط به وترجو له تمام الشفاء ليظل في مكانه حارساً أميناً وخادماً مخلصاً للإسلام والمسلمين ، ولكنه كان على موعد مع قضاء الله الذي وافاه في الثاني من ربيع الأول سنة ١٣٨٢ هـ - الثاني من أغسطس سنة ١٩٦٢ م ، وبكته الملايين الذين عرفوه وقدروا له إخلاصه وجهاده الطويل في سبيل دينه ووطنه .

ومشى خلف جنازته أكثر من خمسين ألفاً ، في مقدمتهم نهرو وجميع رجال الدولة جاءوا من جميع أنحاء الهند ليوودعوا الرجل الذي ظل طول حياته رمز الإخلاص والجهاد ويواروه التراب بجانب ضريح المغفور له

قال مروان بن أبي حفصة يمدح معرب بن زائدة ، ويصف مفاخر قومه ومنهم لمن استجار بهم :

هم القوم إن قالوا أصابوا ، وإن دعوا
هم يمنعون الجار حتى كأنما
أجابوا ، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
لجارهم بين السماكين منزل

نظرية التعسف في استعمال الحق للأستاذ أحمد مصطفى أبوشنة

الحياة ومطالبها على اختلاف ألوان المجتمعات
في كل عصر ومصر .

تقديم :

ونظرة واحدة إلى تطور الكتب الفقهية
من زمن كبار الأئمة المجتهدين ترينا مبلغ
الرقى المتزايد والنمو المطرد الذى وصل
إليه طالما كان يجلس مع القضاة على كراسى
القضاء ويقعد مع المفتين فى الجامع
والمساجد .

الفقه الإسلامى أظلت رايته بلاد المسلمين
فى أكبر بقعة عرفها التاريخ على وجه الأرض
صار فيها حقوق الناس وحفظ مصالحهم
فنعموا بعدالة التشريع وعدالة القضاء :
ذلك العدل الذى من أجله أرسل الله الرسل
وأنزل الكتب ، لقد أرسلنا رسالنا بالبينات
وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط .

النظرية :

ونظرية التعسف فى استعمال الحق تسميتها
بهذا الاسم منقولة عن رجال الحقوق الغربيين
ولكن هذه النظرية عرفها الإسلام منذ
أرسل الله رسوله وأنزل عليه قرآنه واعتنقه
الناس ديناً وطبقوه فى قضاياهم وسائر علاقاتهم
شريعة محكمة ، بين الحق كما بين مصادره
 وأنواع التعدى عليه مباشرة وتسبباً وعمداً
 وخطأً وعن طريق التحايل والذريعة ، فلم
 يترك قانونه قضية من غير حكم .

جهد القضاة والمفتون من الفقهاء فى
استنباط الأحكام من مصادر الشريعة كلها
نزالت بهم قضية أو حزمهم أمر : فكانوا
يحدثون للناس أفضية بقدر ما أحدثوا ،
ويصونون فيهم المصلحة التى أرادها الله من
هذا الدين كما يقول تعالى : « وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين » : فقامت بذلك الحجة البالغة
على كمال هذا الدين وعلى أنه شريعة الناس
كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ،
وقامت بذلك الآية البينة على أن الفقه كائن
حتى ينمو ويؤتى أكله بإذن الله لتلبية حاجات

ولكن الذين يقرءون لرجال القانون من
الغرب ولا يقرءون الفقه الإسلامى دأبوا
على أن يعجبوا بكل ما نقلوه عن الغرب على

آخر كالثمن المؤجل ومنفعة الأجير والامتناع عن الانتفاع بالمرهون أو الوديعة ، والحق العيني هو علاقة اختصاص لشخص على شيء في مواجهة الناس جميعا كحق الملك وحل التصرف في المملوك وحق الارتفاق بالشرب والطريق ووضع الجذوع على حائط الجار . وأسباب اكتساب هذه الحقوق إما اختيارية وإما جبرية فالأولى العقد والعمل النافع كالفضالة ومنها ما إذا أنفق على اللقيط بغير إذن القاضى عند المالكية ، والعمل الضار كارتكاب الجرائم والامتناع الضار .

والسبب الجبرى أمران : الأول أوامر الشارع كالإنفاق على الأولاد والضرائب من العشر والخراج والزكاة . والثانى هو الإرث . معنى التعسف : التعسف فى استعمال الحق تعبير وارد إلينا عن الحقوقيين الغربيين فيجمل بنا أن نفرق بما أرادوا منه ثم تتسكلم عما يقابله فى الفقه الإسلامى .

فالتعسف فى استعمال الحق عندهم : هو استعمال الحق على وجه غير مشروع — فالمفروض أن الحق أمر مشروع ومباح الاستخدام ولكن الذى استعمله نحا فى ذلك نحوا غير مشروع كما سيتبين هذا فيما بعد .

وفرق بين التعسف وبين الفعل الضار أو الامتناع الضار ؛ لأن الأخيرين أمر غير مشروع أى ممنوع ومحرم من أول الأمر .

حين يهتمون الفقه بقصر نظرياته وجمود أحكامه .

معنى التعسف فى استعمال الحق :

الحق : قسم علماء الشريعة الحقوق إلى ما هو حق العامة ، وضابطه ما يتعلق به النفع العام للجتمع من غير اختصاص بأحد ، كالانتفاع بالطريق العام والأنهار العامة والمساجد وهذا يثبت للناس جميعا حق الانتفاع به والدفاع عنه : الثانى الحق الخاص وهو ما يتعلق به مصلحة خاصة للفرد وكحقه فى ملكه أو فى ولايته على ولده ، وميزوا بين الحقين بأن الأول لا يمكن تملكه ولا إسقاطه والثانى يمكن تملكه وإسقاطه .

ويمكن إدماجها فى تعريف واحد نستخلصه من الاستعمالات المختلفة - للفقهاء وهو ما يثبت للإنسان استيفاءه . سواء أكان عاما أم خاصا ، وسواء أكان حقا متعلقا بالمال كحق الملك فى الأعيان وحق الانتفاع بالعين المستأجرة أم المستعارة وحق الحبس فى المرهون أم كان حقا غير مالى كحق الولاية للشخص على أولاده وحق الزوجية ومنه حق الطاعة لولى الأمر وحق الشورى للأفراد الذين يتأهلون لذلك وغيرهما من الحقوق السياسية .

ولا يأبى الفقه الإسلامى تقسيم فقهاء القانون له إلى شخصى وعينى . فالأول دين أو عمل أو امتناع عن عمل لشخص على

سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا
لتعبدوا .

سبب نزول هذه الآية كما أخرج ابن جرير
وابن المنذر أن رجلا من الأنصار يدعى
ثابت بن يسار طلق زوجته حتى انقضت
عدتها إلا يومين أو ثلاثا راجعها ثم طلقها
ففعل ذلك بها حتى مضت لها تسعة أشهر
يضرها : فأُنزل الله تعالى الآية .

يعنى والله أعلم : إذا طلقتم النساء فقاربن
انقضت عدتهن فأمسكوهن بالرجعة : بما هو
متعارف في الشرع من حسن العشرة أو
اتركوهن حتى تنقضى عدتهن ، ولا تراجعهن
مضارين لهن بهـ هذه الرجعة فيتحقق بذلك
عدوانكم عليهن .

وجه دلالة الآية : أن الإمساك حق للزوج ،
وقد ندب الله تعالى إلى استعماله على نحو
مشروع وهو الإمساك مع المعاشرة الحسنة
ونهى عن استعماله على نحو غير مشروع
وهو استعماله على وجه المضارة على النحو
الذى فعله ثابت بن يسار وهذا بعينه هو
إساءة استعمال الحق لأنه استعمال حق الإمساك
على وجه غير مشروع .

الدليل الثانى : قال الله تعالى بعد بيان نصيب
الأخوات لأم من الميراث : « من بعد وصية
يوصى بها أو دين غير مضار وصية
من الله » .

أما التعسف فهو استعمال الحق المشروع
على وجه غير مشروع .

أحوال التعسف فى القوانين الحديثة :
ذكرت التقنينات الحديثة ثلاثة أحوال
للتعسف فى استعمال الحق :

الأول أن يأتى الإنسان بعمل مشروع
ويقصد به الإضرار بالغير من غير أن تكون
له مصلحة فيه .

الثانى أن يأتى بعمل مشروع للحصول على
مصلحة ضئيلة له لا تتناسب مع الضرر
العظيم الذى لحق الغير من جراء هذا العمل .
الثالث أن يأتى بعمل مشروع يقصد به
تحقيق مصلحة غير مشروعة وقد نص على
هذا القانون المصرى فى المادة ٤ ، ٥
والقانون السورى ٥ ، ٦ .

النظرية والفقه الإسلامى :

هذه النظرية مسطورة فى صميم الفقه
الإسلامى وبارزة فى آيات الكتاب وأحاديث
السنة بأوسع من معناها فى القانون ، وهى
من المبادئ الكبرى التى حفظت بها الحقوق
منذ كان الإسلام .

الأدلة عليها إجمالا :

الدليل عليها من القرآن
أولا قول الله تعالى : « وإذا طلقتم النساء
فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو

الزواج والبيع عمل مشروع والزواج لأجل التحليل والبيع لأجل الربا عمل غير مشروع فلما قصد بالمشروع غير المشروع نهى عنه الشارع، وحكم بفساده لأنه تعاون على الإثم وقد قال تعالى: «ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»، ووجه الدلالة من الحديث الثالث أن الذين في أسفل السفينة يستعملون نصليهم وحقهم لكن لما أرادوا أن يستعملوه على وجه غير مشروع؛ لأنه يضر الجماعة ضرراً عظيماً لا يتكافأ مع مصلحة شرهم، وترك إيذاء الفريق الأعلى اعتبره الشارع منكراً يجب أن يمنعوا عنه. إلى غير ذلك من أدلة يأتي بعضها إن شاء الله (١).

اشترائية الحق في الإبراء - مسلم :

الحقوق الشخصية والعينية ليست مختصة بأصحابها في الإسلام اختصاصاً مطلقاً وليسوا مستبدين في التمتع بمزاياها استبداداً كما قد يتبادر من وصفها بالحقوق الخاصة. بل الواقع أن للجماعة حقاً عاماً مشتركاً بينهم وذلك من ناحيتين.

الأولى: أن تصرف الشخص فيها مشروع بشرط سلامة الجماعة من ضرر ينشأ عن

(١) انظر تفسير الألوسي ج ٢، ٤ - أحكام الجصاص ج ١ - صحيح البخاري في كتاب الحدود - قبل الأوطار في كتاب البيع - باب الباب لابن راشد المالكي في كتاب النكاح - المغني الحنبلي في - كحاح التحليل.

يعنى والله أعلم لكل من الأخوات لأم نصيبه بعد أداء دين المورث وإخراج وصيته، على أن يسكون المورث قد أقر بالدين وأوصى من غير ضرار بورثته بأن يكون الدين صحيحاً والوصية لا ضرار فيها. وجه الدلالة: أن الوصية حق للمورث وله استعماله على وجه مشروع بأن يكون فيه بر بالورثة ولا يجوز استعماله على وجه غير مشروع بأن يسكون إضراراً بالورثة كأن يوصى بأكثر من الثلث أو يوصى لأحد الورثة فالوصية مع الإضرار هي بعينها إساءة استعمال الحق.

الدليل الثالث: ما أخرج أحمد بسنده إلى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم (لعن الله المحلل والمحلل له) - وما روى عن الأوزاعي عنه صلى الله عليه وسلم (يأتى على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع).

وما أخرج البخاري عن النعمان بن بشير أنه صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً). وجه الدلالة من هذه الأحاديث: أن

يجب أن يشعر بأن لغيره فيه نصيب لا يصح الاعتداء عليه .

تفصيل الكلام على التعسف في الحق في الفقه الإسلامي :
تعريف :

تبين من دراستنا لأحكام التصرفات وما يعتبر منها مخالفة وما لا يعتبر أنه يمكن تعريفه بما يأتي :
هو تصرف الإنسان في حقه تصرفاً غير معتاد شرعاً .

ولشرح هذا نقول :
الأصل الفقهي العام في المسؤولية إذا تصرف الإنسان في حقه :
قرر الفقهاء كما في الفقه الحنفي وغيره أن للإنسان أن يتصرف في ملكه تصرفاً معتاداً ولا يسأل عما يترتب عليه من ضرر حينئذ ؛ وإنما يسأل عن الضرر إذا كان التصرف في ملكه غير معتاد .

ويصدقون بالملك ههنا : الحق بدليل أنهم ذكروا من فروع هذا الأصل ما لو سقى أرضه من الأنهار العظام التي ليست مملوكة للأفراد كالنيل والفرات أو ساق منها نهيراً إلى أرضه - قالوا يجوز ذلك إلا إذا أضر بالعامه .
تفريع :

وفرعوا على هذا الأصل أموراً منها ما إذا سقى زرعه فنزت أرض جاره ، وتلف بذلك

استعمال هذا الحق كما يشير إلى ذلك حديث الواقع في حدود الله : ولهذا أذن للجماعة في منعه عن استعماله للحق استعمالاً ضاراً بهم : فصاحب الحق يجب أن ينظر إلى النتائج الناجمة عن استعماله إن قصد الضرر أو ترك الاحتراس أو أراد تحقيق مصلحة لا تتكافأ مع ضرر الغير أو مصلحة غير مشروعة .

الناحية الثانية : أن الحق كما جعل الله فيه مصلحة فردية لصاحبه جعل فيه مصلحة اجتماعية لصالح الجماعة ؛ لأنه من ثروة الأمة التي تعتمد عليها - ولهذا نهى الشخص عن إتلاف ماله : لأنه إن لم يصبه هو بالخسارة أصاب الجماعة ، ولأن الله جعل فيه نصيباً معلوماً للجماعة كما في الزكاة والعشر والخراج ويدل على هذا النهي عن الاحتكار والنهي عن رفع الأسعار وحق الجماعة في بيع المال المحتاج إليه على صاحبه عند الغلاء الشديد أو الجماعة .

ويشير إلى هذا الأصل العظيم قول الله تعالى : « ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » . وبهذا تبين أن الحق الخاص فيه جهة عموم نظراً للوظيفة الاجتماعية التي رتبها الشارع من الناحيتين السابقتين .

ولهذا المبدأ ارتباط وثيق بنظرية التعسف في استعمال الحق من جهة أن صاحبه

وزرع أو بناء وإن سقاها سقيا معتاداً بأن سقاها قدر ما تحتمله عادة لم يضمن وإن سقاها قدراً لا تحتمله ضمن .
ومنها ما إذا أحرقت حصائده في أرض مملوكة أو مستأجرة فاحترق بذلك شيء لجاره لم يضمن لأنه تصرف في حقه تصرفاً معتاداً وإن كانت الرياح مضطربة عند الإحراق فأحرقت شيئاً لغيره ضمن ؛ لأنه يعلم أن النار لا تستقر فكان مستعملاً لحقه استعمالاً غير معتاد أى فكان متعدياً .
ومن هذا يقين حكم الفقه فيما لو حفر بئراً في ملكه فغاص الماء من بئر جاره أو أدار آلة لإدارة معتادة، فتأذى السكان بضوضائها وهو ألا يضمن الضرر لأنه تصرف معتاد .
وحكم هذا الأصل يسرى على من قام بعمل لغيره بناء على عقد أو إذن كالطبيب والقاضي ومنفذ الأحكام إذا سلك الطريق المعتاد في عمله فتخلف عن ذلك ضرر لا يضمن .

وإن جاوزه ضمن ، ولهذا قالوا إن الختان والفصّاد إذا هلك الغلام والمريض بجرحهما المعتاد لا يضمنان وإن جاوزاه ضمناً^(١) وكذلك القاضي إذا ظهر أنه حكم بغير الحق والمنفذ للعقوبة كالسجان والجلاد إذا تخلف عن قيامه بعمله المعتاد ضرر ، ويشير إلى هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون إلي ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو مما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه ، الحديث .. حيث لم يعتبر خطأ القاضي تعدياً بعد ما تحرى في عمله وجه الصواب وتصرف الإنسان في حقه تصرفاً غير معتاد هو جماع مسائل التعسف في استعمال الحق .

(للبحث بقية)

أحمد فهمي أبو سنه

(١) الدر وابن عابدين - الزيلعي ٦٣ صفحة ٤٣
الزيلعي ج ٥ ص ١٣٧ وابن عابدين ج ٥ ص ٥٨ .

من شعر الحكمة قول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها

وإذا ترد إلى قليل تنقع

المازنى شاعراً

للاستاذ العوضى الوكىل

— ٢ —

سلك الشعر العربى فى أوائل هذا القرن مرحلة من مراحل تطوره ، وأثمرت حركة الاتصال الأدبى بين الشرق والغرب ثمراتها ، وكان تطور الشعر ، إحدى تلك الثمرات . وكانت دعوة الصدق ، والتعبير عن الشعور الصحيح ، بما أخذ الشعراء به أنفسهم ، فنزعوا إلى « الاستقلال » ورفع غشاوة الرياء ، والتحرر من القيود الصناعية . ومن ثم انقضى أو كاد ، شعر الزخرفة البديعية ، وشعر التهانى بالمناسبات والتعزية المتسكفة ، التى لا تتصل بشعور القائل ولا بعاطفته . وانفتحت نفوس الشعراء لمؤثرات الكون ، التى يعرض عنها غير الشعراء وامتزجت طواياهم بطواياها ، فعمقوا بأشعارهم معنى الحياة فى نفوس الأحياء ، واتسعت بواعث الشعر ، وانفرجت نوافذ الحياة أمام أعين الشعراء عن موضوعات له لا تغنى ، إلا إذا فئيت الحياة ، وصح بذلك ما قاله العقاد فى مقدمة ديوانه : دوحى الأربعين ، الذى صدر فى نهاية الثلث الأول من هذا القرن : « إن من أراد أن يحصر الشعر فى تعريف محدود لسكن يريد أن يحصر الحياة نفسها فى تعريف محدود » . وصح كذلك ما قاله فى مقدمة ديوانه « عابر سبيل » - وقد أصدره قبل نحو ربع قرن - : « كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ، وتخلله بوعينا ، ونبت فيه هواجسنا وأحلامنا ونخافنا هو شعر ، وموضوع للشعر ، لأنه حياة ، وموضوع للحياة » . وأحسست الأوزان والقوافى أنها أضيق - كما يقول العقاد فى مقدمة ديوان المازنى - من أن تنفس لأغراض شاعر « تفتحت مغالق نفسه ، وقرأ الشعر الغربى فرأى كيف ترحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة ، والمقاصد المختلفة ، وكيف تلين فى أيديهم القوالب الشعرية ، فيودعونها ما لا قدرة لشاعر عربى على وضعه فى غير النثر » . ومن ثم ظهرت القوافى المرسلة والمزدوجة ، والمتقابلة ، فى ديوان عبد الرحمن شكرى الأول ، ثم جاء المازنى فضمن ديوانه نماذج من تلك القوافى .

بالمثني والشريف والأخطل وجريز ، تتألق
في ثناياها روح مشرقة :
وفي قصيدة - أوموشة - الدار المهجورة -
يقف المازني بها ، كما وقف قبله آلاف
من شعراء العرب ، على رأسهم نابغة بني
كندة امرؤ القيس ، ولكنه يسلك في وقوفه
بها مسلكاً يخير مسالكهم جميعاً ، فإنه
يتمثل الدار وقد علاها المشيب ، وأدركها
البلى ، فبقيت متهدمة قائمة كالمرء بين الحياة
والموت ، أما حديث الواقف بها فأمره
عجيب . فإنه لا يجد لديها قراراً ، ولا تستطيع
أو هو لا يستطيع لها حواراً ، ولا تلبث
أصداء الحديث أن ترتد إلى المتحدث .
يقول المازني :

لم يدع منها البلى ، إلا كما
تترك التسعون من غض الشباب

* * *

وهي في سكونها كأنما
فارقها روحها إلا ذماً

* * *

ليس يلني عندها الصوت قراراً
كلما أرسلته مل الجوارا
واسترد المرء منها ما أعارا
تثب الأصداء عنها مثلاً
طارت العقبان طيراً عن عقاب

في هذا الجو الأدبي الشعري الجديد نشأ
المازني وعاش ، وصدر ديوان شعره ،
كما صدرت قبله دواوين زميليه في الجهاد
الأدبي العقاد وشكري ، وجاء ديوان المازني
كما ينبغي أن يحى ، معبراً أصدق التعبير
عن صاحبه وعن زمنه جميعاً ، وجاء شعر
المازني وصاحبيه ، نمطاً جديداً لا يخاف
القديم ولا ينكره ولا يدايره ، وإذا كان
ثمت نضال بين مذهب قديم ، ومذهب جديد
فهو نضال انتهى الأمر فيه إلى أن د نزع
الظافر أسلاب المخدول ، ولكنه لبسها ،
فكان ظاهراً ومخدولهم أقرب الناس زياً ،
وأشبههم بزة .

وأنت حين تقرأ للمازني قوله في مقطوعة
الإهداء بالجزء الأول من ديوانه :

إلى الذي نام عن ليلي وأسهرني
ومن إليه على الأيام تحناني
ومن أكاثمه وجدى ، وأوهمه

أن اقترابى وبعدي عنه سيات
ومن غذائي ذكراه ، وإن بعدت

أوطانه ونأت بي عنه أوطاني
أذكيت في الصدر ناراً لا أخود لها
فاقبس ثوائر أنفاسي وأشجاني
هدية لك فيها الفضل أجمعه

وليس لي غير إنصافي وعرفاني
تجد صياغة عربية مشرقة ، يتصل نسبها

فالشاعر إذن في فترة مراوحة فنية وإنسانية،
فلا جرم يحس شعره في الحب ذا حرارة،
يقول :

إن وجها رأيته ليلة السبد

مت رمانى بحبه وتولى

عجب كيف يرتضى البعد عنا

من عبدنا في حسنه الله جلا

هل حباك الإله بالحسن إلا

لنرى فيك آية تتجلى

أنت أفسدتى وعلمتني الح

ب، فهلا أصلحت منى هلا!

ويقول المازنى :

ودعته والليل يخفّرنا

والليل يرمقنى ويرمقه

ولرب خدبت أثلّه

والدمع يطغى ما أحرقه

ويقول من قصيدته لحظ الحبيب :

يا قرة العين أنت حسبي

لولاك ما أثمرت غصونى

لولاك لم أحتمل حياتى

ولم أطق صفقة الغبين

وددت لو تنفّع الأمانى

لو كنت لدنا من الغصون

وليتنى صيدح يغنى

فى ظلك الوارف الأمين

والعقاب الأخيرة جمع عقبة وهى المسكان
المرتفع فى جبل أو نحوه، ويقول فى الإخوان
ص ٣٢، الجزء الأول، وتأمل إشراق
الديباجة، وصفاءها :

سل الخلاء ما صنعوا بعهدى

أضاعوه، وكم هزلوا بحدى

ركبت إليهم ظهر الأمانى

على ثقة فعدت أذم وحدى

وصلت بحبلهم حبلى فلما

نأوا عفى قطعت حبال ودى

وكانوا حليتى فعطلت منها

وغمدى، فالخسام بغير غمد

وفى الجزء الأول من الديوان ستمتان

ظاهرتان، أولاها أن شعر الحب به فيه

حرارة، والثانية الجروح فى هجاء بعض من

كانوا أصدقائه.

أما الأولى فنحن نعلم أن المازنى نظم هذا

الديوان وهو بعيد العشرين بقليل، وفى الثانية

والعشرين على التحديد، يقول فى قصيدته

ثورة النفس - ص ٤٢ - رداً على أبيات

كان قد بعث إليه بها صديقه الشاعر

عبد الرحمن شكرى :

لبست رداء الدهر عشرين حجة

وئنتين، ياشوق إلى خلع ذا البرد

عز وفاعن الدنيا، ومن لم يجد بها

مراداً لآمال، تعلق بالزهد

بالبحى التى نشأت بين بيئة شنعاء ، وبأنه
دنىء الإسفاف والكبرياء ، وفاسق يظهر
العفاف ، وحماراً وهمه الشيطان أمراً فصاح .
وفى القصيدة بعض الصور الفكاهية - التى
تلائم طبع المازنى - ولكنها كما قلنا قليلة ،
ومن أمثلتها صورة القرد السكران ، وصورة
الحمار المتكبر ، والمجهونا - كما يظهر من
الآيات ، وكما يحدثنا من عاصر هذه الحقبة
من حياة المازنى - شاعر كان صديقاً للمازنى
ثم تخاصماً ، يقول المازنى :

يا قطيع اللسان مالك والشه

ر وصوغ الـ كلام جم العناء

وثمة قصيدة أخرى تجرى هذا الجرى
فى ديوان المازنى ، وهى قصيدة الإخوان
- ص ٣٢ - وفيها يقول :

وغر ماضخ بالغيب لحي

خلاه النزم إذ جـدنا بمحمد

صفوت له على العلات دهر

فترق بالسفاهة ماء وردى

* * *

مضى زمن التسامح والتغاضى

وذا زمن الترامى والتحدى

لئن أعلى خسيستهم سكونى

فسوف يحطها بدئى وعودى

وإن أثمر لهم ذماً كثيراً

فهم غرسوا بذور النزم عندى

ونلاحظ أنه كرر كلمة الغصون ولم يمحض
عليها فى القافية غير بيت واحد .

واقراً كذلك مقدمة قصيدته « السلو » :

أبليت فيك العمر وهو جديد

وعرفت فيك الصبر كيف يبيد

وغدوت - أجالك - فى الحياة محسداً

تغ - لى على ضغائن وحقوق

وتركتنى مثلاً شروداً فى الهوى

يوى إلى الإصبع الممدود

لى كل يوم منك موقف ذلة

صعب على الطبع الحى شديد

وأما السمة الثانية فتمثلها قصيدة همزية طويلة

يعارض بها ابن الرومى فى قصيدته التى مطلعها :

يا أخى أين ربع ذاك الإخاء

أين ما كان بيننا من صفاء

وطالت قصيدة المازنى حتى بلغت

مائة وستة من الآيات ، لتتم معارضة ابن

الرومى فى كافة النواحي ، فإنه كان طويل

النفـس جداً ، بدأها المازنى بقوله :

بعض بفضائكم أولى البغضاء

إنما الشتم شيمة السفهاء

ليس يشنى السباب غل حسود

قد طوى صدره على الشحناء

وتمتلئ القصيدة بالسباب ، وتقل فيها

الصور ، ويقسو السباب أحياناً حتى يصل

إلى درجة غير مقبولة ، كأن يصف خصمه

وتعاود المازنى طبيعة الهجاء فى الجزء الثالث - الذى نشر بعد مسوته - يقول فى قصيدة عنوانها اللص :

لحاك الله من لصل رقيق
يفاخى بالعضية والفجور
أتذكر حين كان أبوك يمشى
وما فى كفه شروى تقير
يدلل يومه فى السوق طورا
وطورا فى الأزقة والكفور
ويوقر ظهره مولاه حتى
كان أباك كان من الخير
وله كذلك فى هذا الجزء الثالث قصيدة من الهجاء عنوانها الحمار المستأسد اضطر ناشر الديوان ومراجعته إلى حذف تسعة أبيات منها فيها نبوغ خادش وإن خالف بذلك أمانة النقل ، ولعله كان أمام كلام شديد البذاءة ، والملاحظ أن ابن الرومى يسيطر على الشاعر حتى فى قوالب صياغته يقول ابن الرومى .

ويمينا لألهون بأشلا
تلك بين الإشواء والإصماء
مادحا هاجيا ومتخذيا إيا
ك ملهى وعرضة استهزاء
ويقول المازنى :

ويمينا لأجعلنك أحدو
ثة كل الركبان والأملاء
ناشراً كل سوء لك تطو
يها دوماً وفعة نكرام
فحتى القافية الهمزية لم تسلم من المازنى حين عارض ابن الرومى .

وإلى مقال آخر نعالج فيه فن المازنى الشعرى وأسلوب صوره وتفكيره ؟

العرضى الوكيل

عهد أبى بكر لعمر بن الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر .

لأنى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدل فذلك على به ورأى فيه ، وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

ثورة التّوحيّد الفلسفى على التعدّد الوثنى للدكتور محمد غلاب

عما لا سبيل إلى الريب فيه أن الأدب الهيلينى قد ترك فى تكوين العالم الحديث أثرا روحيا وخلقيا وفنيا لا يحجده اليوم أحد من المثقفين فى الغرب والشرق وأن هذا الأدب قد اقتبس أروع موضوعاته من تلك الأساطير الشيقة التى لا تزال إلى اليوم منبعها فياضا من منابع الشعر الساحر ، والفن الفاتن .

هذه الأساطير هى أساس الدين الهيلينى ، بل لقد بقيت زمنا طويلا ينظر إليها على أنها هى التاريخ المعتمد لذلك الدين الذى هو نموذج للتعدد وتحديد الاختصاص ، والذى كان الشعب يؤمن به إيمانا عميقا ، وعلى رأسه شعراؤه وكتابه ومؤلفوه منذأ بعد عصورهم ضربا فى القدم ، ومن أوضح الآيات على ذلك الإلياذة والأوديسا اللتان أبدع فيهما هو ميروس فى تصوير آلهة الإغريق أينما أبدع .

بيد أن الزمن قد عمل عمله فى تطور هذه العقيدة ، وقد ظهر فيها ذلك التطور قويا بارزا حين تلاقى نجم الشاعر الرسمى العظيم پانداروس وأعلن فى أول القرن الخامس

أنه يقبل التقاليد الدينية الإغريقية ، ولكنه يرفض فى حزم أن يقر ذلك الضعف البشرى الشائن الذى عزاه هو ميروس إلى الآلهة ، وبعد أن أنهى پانداروس باللائمة على الصور الأدبية والمادية الشائنة التى رسمها هو ميروس للآلهة ، صرح بأنهم يمتلكون القوة والجمال والخلود ، وعلى الأخص الخيرية والعلم المنزه عن الخطأ والانخداع فى أى شئ ، وأنهم متصفون بأسمى الفضائل التى تأسست عليها ديانتهم عنصريا ، ثم انتزعت من هذه الديانة تطبيقيا .

وعلى هذا النحو نفسه كان الشاعران المأساويان : اسكيلوس ، وسوفوكليس ، وقد امتازا باحترامهما النقى الفائق للتقاليد الدينية ، فالآلهة عندهما قوى غامضة رهبة لا يقيدهم سوى قانون القدر الذى يستحيل الفرار منه أو التمرد عليه ، وهم متصفون بالقدر والعدالة ، بل هم حماة الفضائل العالية . ومعنى هذا أن ذينك المأساويين قد خطعا على الآلهة من الأوصاف العالية والنعوت الرفيعة مالم يظفروا بعشر معشاره فى ملحمتى هو ميروس .

غير أن هذا الطابع الإجلالي لم يلبث أيضا أن لحقه التطور الذي لا يدع كبيرة ولا صغيرة في السكون إلا أخضعها لقاموسه القاهر الجارف ، ومآتى ذلك التطور هو الأورفية ثم الفيثاغورية اللتان تأثرتا بالمبادئ الشرقية عامة ، والهندية خاصة ، ومن الأسس الجوهرية لهذه المبادئ : التوحيد أو دين الفطرة ، ولكن لما كانت هذه التعاليم الأورفية والفيثاغورية تدرس سرا بين الصفوة والعلية من المفكرين ، وكانت من (المضمون به على غير أهله) ولهذا بقيت بعيدة عن الشعب ، مصنوعة عن الدهماء ، مقصورة على الخاصة الممتازين .

تومبير إكسينوفانيس :

على أنه من الأمور الطبيعية أيضا أن الحنفى يصير علنياً في يوم ما ، وقد كان ذلك بالفعل ، إذ لم تلبث أن ظهرت تلك الحملة الهائلة التي سدد الفيلسوف الإلهى إكسينوفانيس سهامها إلى عقيدة التعدد والمشابهة في إغريقيا فأصابها في الصميم ، وإليك البيان :

كان أول ما شغل إكسينوفانيس في حياته الفكرية هو النظر في التراث الإغريقى القديم المؤلف من الأساطير الدينية الممثلة في قصائد الشعراء وتماثيل الفنانين ، فبسطها أمامه ثم تأمل فيها على ضوء النضوج الذى أحدثته

النهضة العلية الإيونية ، وكانت نتيجة هذا التأمل أن الديانة الإغريقية باطلة من أساسها لأن الآلهة الحقيقيين لا يمكن أن يكونوا كما صورتهم الأساطير من الناحية المادية ولا من الناحية الأدبية ، فأما مذنباً سخر التصوير المادى للآلهة وبطلانه ، فهو أننا نلاحظ أن تماثيل آلهة الإغريق زرق العيون ، بيض الوجوه ، صفر الشعور ، وتماثيل الإثيوبيين سود الوجوه ، فطس الأنوف ، جعد الشعور إلى غير ذلك مما يحملنا على الاعتقاد بأنه لو أتيح للأسود أن تصنع تماثيل آلهتها لصنعها ذات مخالب وأنياب ، ولو قدر للثيران أن تفعل ، لرأينا تماثيل آلهتها ذات قرون طويلة وأذيال متدلية ، وأما مآتى فساد التصوير الأدبى الذى ورد فى الشعر الإغريقى القديم للآلهة ، فهو أننا نشاهد أن آلهة (هوميروس) و (هين يودوس) يتناسلون وينامون ويشتهون ويعشقون ويخدعون ويخونون ، وبالإجمال يقرءون أكبر الموبقات الإنسانية ، وهذا كله يحملنا على اليقين بأن جميع هذه الآلهة من صنع البشر وكما شاءت لهم أهواؤهم وبيئاتهم ، ولا ريب أن كل ذى عقل سليم يحتقر هذا ويسخر منه سخريه تامة .

ثم إن (إكسينوفانيس) بعد أن هدم الديانة الأرسطورية التى كان يعتقد بطلانها ، شرع يؤسس على أنقاضها عقيدته الفلسفية

الآخر من القرن الخامس وهو أزهر عصور هذه العاصمة على الإطلاق ، إذ كانت أثناءه على رأس إغريقيا كلها لاسيا بعد أن أنقذتها من الغزو الفارسي بفضل شجاعتها واستعدادها ، ومن أسباب ذلك التفوق أيضاً أنه كان على رأسها ذلك الحاكم العظيم بيريكليس . ولهذا لا نستطيع أن نمر هنا بتلك الحقبة التاريخية الخالدة دون أن نقف عندها هنيهة . ولما لم يكن من الميسور أن نقف هذه الوقفة دون الإلماع إلى حياة بطل الساعة في ذلك الحين ورافع لواء المجد فيه ، وهو بيريكليس ، فإليك هذه الإلماعة :

انحدر بيريكليس من أسرة عريقة ماجدة ، ولكنه لم يكذب يشب حتى وضع نفسه على رأس حزب الشعب ، وقد أدهش هذا المسلك المؤرخين ؛ لأنه غير طبيعي ، ففرض فريق منهم أنه لا بد أن يكون في هذا التصرف قد خضع لدافع الميل الشديد إلى الخطابة ، ولبي في نفسه نداء الفصاحة والبلاغة اللتين بلغتا لديه أقصى حدود الإعجاب . ولم يكن يستطيع لإرضاء الرغبة التي ملكت عليه أحاسيسه إلا إذا كان زعيماً سياسياً وقائداً شعبياً من أولئك القادة النادرين الذين تفتقر إليهم الشعوب في منحها أو في حركاتها التحريرية التي تقوم بها لتتخلص من البؤس أو من المظالم الاجتماعية .

الصحيحة المؤسسة على النظر المنطقي السليم ، فأخذ يسائل نفسه قائلاً : ولكن مع ذلك ، هل كان الكون من غير إله ؟ كلا ، بل إن هناك إلهاً واحداً بعيداً كل البعد عن جميع نعوت البشرية من غير استثناء ، وهو يرى بكليته كل مرثى ويسمع بكليته كل مسموع ، ويدرك بكليته كل مدرك ، وأنه ثابت كل الثبات ، منزه عن الحركة بأنواعها ، وأنه يدير كل شيء في الكون بقدرته الإدراكية التي لا نظير لها .

وعنده أن إثبات وحدانية الإله ليس مفتقراً إلى أدلة حسية ، أو براهين تجريبية ، بل هو ظاهر بالدليل النظري لدى كل عقل مستقيم ، وهذا الدليل هو أن القوة غير المحدودة هي أولى خصائص الإله ، فلو كان له شريك لما استطاع أن يفعل كل ما يريد . وهذا العجز حد للقوة التي لا تتحقق الألوهية إلا بتخطيها كل حد وبلوغها أعلى درجات الكمال . وقد برهن على أزلية الإله وأبديته بمثل هذه البراهين النظرية .

نومينانا كساغوراس :

كان إكسينوفانيس ينادي بهذه الآراء في إيطاليا الجنوبية في القرن السادس قبل المسيح ، ولكن التوحيد الواضح قد ظهر في أثينا على يدى أنا كساغوراس في النصف

أثينا بقايا مبادئ الديانات الفطرية الآسيوية
فكلن الأول من جرو على أن يتحدث
في أثينا الوثنية عن إله واحد مجرد حكيم
مدبر للكون ولا يشبه من عداه ، وقد وجه
إليه سؤال كان بمثابة حد فاصل بين المدارس
الإيرانية والإليائية والذرية أو بعبارة أدق
كان حدا فاصلا بين مدارس الإلحاد التي تعلن
أن الحركة الكونية لا يحرك لها البتة وإنما
هي سائرة بالمصادفة أو مدفوعة بقانون الثقل
ومدارس التأليه التي تقرر أن لكل حركة
محركا إلى أن ينتهي الأمر إلى المحرك الأزل
الذي يحرك ولا يتحرك ، وبجمل هذا السؤال
هو ، مم نشأت هذه الحركة الدائمة التي لا تكاد
تجمع شيئا حتى تفرقه ، ولا تفرقه حتى تجمعها
ولم كانت ؟ ، ولم يتردد أنا كساغوراس في أن
يجيب سائليه بقوله : إن هذه الحركة ميكانيكية
متأثرة بقوة منصبة عليها من الخارج ، وهي
لازمة لزوماً لا مناص منه لنظام الكون ، إذ
لو لم توجد لانعدم كل شيء في العالم ، ولهو
الكون كله إلى جمود سحيق . فبالحركة يحدث
الكون والفساد أو ما يسمى بالحياة والموت
وبها يوجد النهار والليل ، وبهوى الرطب
والثقل نحو المركز ، ويصعد اليابس
والخفيف نحو الخارج ، وبها يحصل التعقل
والإدراك . وبالإجمال هي أولى الضرورات
وأقواها من غير استثناء . أما فاعلها فهو

وما هو جدير بالملاحظة أن هذه الشخصية
الذرية النظيفه كان لها كثير من الخصوم
المغرضين المهاجمين ظلماً وعدواناً ، لا شيء
إلا لأنه لم يسايرهم في أهوائهم ومطامعهم .
ولا غرو فإن الشاعر العربي يقول :

إن نصف الناس أعداء لمن

ولى الأحكام هذا إن عدل

ولكن بيريكليس لم يكن يستشيط غضبا
من الهجوم ، ولا يهترط طربا للثناء ، لأنه
كان يعيش في ذاته . وقد خلق لنفسه حياة
شخصية مستقلة عن حياته السياسية التي كانت
مع ذلك مثالية . وكان يفضل مرافقة الفلاسفة
على مرافقة المتعلقين من رجال الحكم وذوى
المطامع والأهواء وكان منزله أشبه بمنزل
فيلسوف ظريف فكان مفتوحا على مصراعيه
للصفوة المختارين .

وكان سقراط الشاب وأنا كساغوراس
الشيخ من بين رفاقه المفضلين ، وإذا كان
اختيار المرء قطعة من عقله كما يقولون ، فإن
اصطفاء بيريكليس هذين الحكيمين دليل
على سداد الرأي ونفاذ البصيرة ؛ لأن
أنا كساغوراس كان يمثل جانبين عظيمين
من جواب المعرفة البشرية ، أولها أنه كان
دارسا ممتازا للعارف الطبيعية اليونانية التي
كانت تحاول أن تشرح الكون بواسطة
النظريات المسادية وثانيهما أنه قد حمل إلى

برهاننا على وجوده ، إذ لو أنه اتخذ خيريته التي نشعر بجذبها إيانا نحو الخير في داخل نفوسنا برهاننا على ذلك الوجود ، لكان أقرب إلى الصواب ؛ لأن ما ندركه في داخل نفوسنا أثبت وجوداً وأقوى يقيناً مما نحسه بحواسنا .

ولا شك أن في هذا التصريح من سقراط دليلاً قوياً على عظمة أناكساغوراس وضربة في الفلسفة العالية بسهم نفاذة .

ولقد هزت تلك التصريحات من جانب أناكساغوراس كل العقليات الممتازة في أثينا وعلى رأسها بيريكليس وسقراط وزلزلت عقيدتها في التعدد الأسطوري ، ولا ريب أن هذا الجانب من أناكساغوراس كان له أعمق الأثر في تكوين سقراط أولاً ثم أفلاطون وأرسطو من بعده ولم لا ؟ أليس سقراط هو الذي يقول عنه إنه : « الصاحي بين السكارى » كما أسلفنا ، وإن كان ذلك لم يمنعه من أن يخالفه في الجانب المادى من شرح الكون وأن يعارضه في عبارته المشهورة وهي قوله : « ليس في هذه المظاهر ثابت إلا الفكرة » ، وما لا يخفى أن هذه العبارة هي أساس المثل الأفلاطونية .

إلى جانب هذا التأثير القوي الذي تركه أناكساغوراس في سلسلة عظماء فلاسفة الإغريق الروحيين والعقليين في التوحيد

« النواميس » أو تلك القوة الحكيمة التي لا يقبل العقل السليم أن تكون مثناة كما رأى أمبيذوكليس ، وإنما هي واحدة من جميع الوجوده ، وهذه القوة العاقلة مستقلة تمتزج بالأشياء ، وهي بأكملها في نفسها . إنها ألطف وأنقى الموجودات جميعها . وقد نقل عنه ساميليسوس في كتابه « عن السماء » ما يأتي : إن النوس أو القوة العاقلة لها قدرة قاهرة على كل شيء ، ولها علم غير محدود . وعنده أن كل كائن حي حتى النبات ، مشتمل على جزء يتناسب معه من ذلك الإدراك السكلي الأعلى . وبهذا الجزء يدبر كل كائن حي حياته تديراً خاصاً مستقلاً وهو يرى أنه لولا وجود تلك القوة الحكيمة المدبرة لما سلبت تلك الأجرام الكثيرة العدد من الاصطدام أثناء هذه الحركة الفاتقة في السرعة ، والتي لا تفتر لحظة واحدة . ولا ريب أن هذا يشف عن أنه كان عالماً طبيعياً مبدعاً ، وفيلسوفاً مؤلفاً جليلاً . وأن نتائج نظرياته إن لم تكن قد ظهرت في حياته ، فإنها كانت بارزة الأثر بعد موته حتى لقد شهد له سقراط بأنه كان مثله في البيئة التي يعيش فيها مثل : « الصاحي بين السكارى » على حد تعبيره ، وليس هذا بحسب ، بل إنه قد اعترف له بأنه مؤله موحد حيث قال : « إني آخذ على أناكساغوراس اتخاذه حكمة الإله الممثلة في نظام الكون

سامية انتزعها من مبادئ أستاذة أناكساغوراس . ولكن حظ هذا الداعي للتأليه العقلي الجديد كان في أثينا أحسن من حظ زميله سقراط ؛ إذ شاءت له الأقدار أن يغادر تلك المدينة إلى مقدونيا وأن يبقى بها حتى يتوفى في بلاط الملك أركيلاؤس .

وأيا ما كان فعلى أثر اشتها أناكساغوراس بهذه المبادئ ، وذيوع أستاذه لبيريكليس ، اتهم خصومه المعارضون هذه الفرصة فأطلقوا ألسنتهم في المدينة أن بيريكليس قد أصبح ملحداً . وهاك عبارة الكاتب الإغريق القديم أفلاطون في هذا إذ يقول : (لقد اعتبر الرأي العام بيريكليس ملحداً منذ اللحظة الأولى التي تعلق فيها دروس أناكساغوراس) بينما سجل أفلاطون وشيخرون على العكس من ذلك أن بيريكليس مدين لهذا الفيلسوف بكل ما كان لديه من الحكمة .

على أن هذه الحملة الآتفة التي وجهها خصوم أناكساغوراس إلى مبادئه ، لم تلبث أن أنتجت نتائجها المشؤمة التي كان من ضحاياها ذلك الفيلسوف الجليل الذي انتهى الأمر بأولئك الخصوم إلى اتهامه بجحود الآلهة وإقامة قضية ضد مذهبه ، ولم لا ؟ أليس هو الذي تجرأ على التصريح بوجود إله واحد مجرد عن المادة ، أو ليس هو الذي كان ينقب بعقله في السماء ليسقط منها الألوهية الوثنية

الراقى الذي بدأ بسقراط وجعل يسمو حتى بلغ الأوج عند الأفلاطونية الحديثة في الإسكندرية ، إلى جانب هذا التأثير الفلسفي فشاهد أناكساغوراس تأثيراً آخر أدنى إلى الشعب وألصق بالجمهور ، فقد كان من بين تلاميذه الممتازين ذلك المأساوي الموهوب أوريبيديس ، وما لا يخفى على أحد أن المأساة كانت قد أنشئت أول أمرها لتشريف الآلهة وتمجيدهم ، وقد ظلت تؤدي مهمتها على أكمل الوجوه منذ نشأتها حتى تلك الحقبة التي بدا فيها التردد على الآلهة ، ونما الشعور بنقا صميمهم ورذائلهم وتناقضهم وعدائهم للمبادئ السامية واستهتارهم بالقيم الروحية إلى غير ذلك مما لا ينطبق على الألوهية الصحيحة . وقد تمثل ذلك النقد اللاذع في مسرحيات أوريبيديس التي جعلت تصور آلهة الإغريق منغمسين في الكذب والنفاق والغرور وحب الانتقام والخذاع والخيانة والعدو والتوحش وعدم الاتساق حتى في توحشهم . وبالإجمال كانت منتجاته كأنها عرائض اتهام مفعمة بالهجوم والسخرية ، ولكنها لم تسكن سخرية من العقيدة الدينية من حيث ذاتها ، وإنما كانت متجهة إلى الديانة الإغريقية بالذات وعلى صورتها الراهنة . ولم يكن ذلك الهجوم هداماً لحسب ، بل كان مطهراً يزيل أنقاض التخريف ليشيد في مواضعها للألوهية صورة

القديمة ، أو ليس هو الذي بذل جهده في إحداث انقلاب عام في العلوم الطبيعية المقررة التي كانت بمثابة عقيدة ثابتة ، فأعلن في دروسه أن الشمس هي كتلة من النار ، وأن القمر كوكب أهل بالسكان ، وأن الرعد ليس سوى نتيجة اصطكاك السحب ، وإذا كان الأمر كما يقرر أنا كساغوراس فإذا عسى أن يصير زوس قاذف الصواعق ، وأبولون إله الشمس وأرتيميس آلهة القمر ذات الوجه الأبيض ؟ بل ماذا عسى أن يصير جميع آلهة الأولامبوس بإزاء تعاليم هذا الفيلسوف الذي تجرأ - بإعلان هذه المبادئ الجديدة - على اكتساح آلهة الإغريق وعقيدتهم التي توارثوها من قديم الزمن جيلا بعد جيل ، وإحلاله محلها ذلك الإله الواحد المجرد الذي لا يشبه أي موجود من عداه ، والذي ليس

كشله شيء ولا يحصره مكان ولا زمان ، ولقد كان من نتائج هذه التعاليم الأناكساغورية أن اقترح دروفيلاس الخطيب التصويت على قانون يعاقب كل الذين يساهمون في زلزلة عقيدة الدولة ، أو يحاولون أن يشرحوا الظواهر السماوية عن طريق العلم ، فتم له ما أراد ، وفي نفس تلك السنة وهي سنة ٤٣٣ ق . م حكم على أناكساغوراس بالنفي ، ولمالم يكن بيريكليس يستطيع دفع الضر عن أستاذه وصديقه فقد تألم لما نزل به تألما شديداً واكتفى على مضض بأن يرافقه إلى أبعد مدى ممكن في طريق منفاه بمدينة لانساخييه التي بقي بها حتى توفي في سنة ٤٢٨ ق . م ، وهي نفس السنة التي ولد فيها أفلاطون .

الذكرور محمد غنوب

من رسالة عمر في القضاء

إلى أبي موسى الأشعري

المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجلدا في حصد ، أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا في ولاء أو نسب ، فإن الله تولى منكم السرائر . ودرأ بالبينات والأيمان . إياك والغلق والضجر والتأذى بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الآخر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته ، وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله . فإظنك بشواب عند الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .

من نايخ الأدب العربى الحديث :

بكرية عبد الحليم المصرى

للككتور سعد الدين الجيزاوى

قد حولوا مجرى التاريخ ، ولم تقف أمامهم أفيال كسرى ولا حصون قيصر .
ولقد كان موقف الشعراء - الذين عاصروا تلك الفترة - من تأجج الشعور العام موقف الحائر المضطرب !! لأنهم أرادوا أن يجدوا البطولة كما يجدوها أسلافهم من أمثال أبي تمام حين خلد بطولة الجيوش العربية في معارك عمورية والمتنبى حين خلد بطولة سيف الدولة الذى أذل كبرياء الروم وحطم على حصونهم ...
غير أن هؤلاء الشعراء لم يجدوا من بنى جنسهم من يستحق التمجيد ، فقد كانت الانتصارات فى الحرب ، لأسماء أجنبية بغيضة إلى نفوس الشعراء كما هى بغيضة إلى نفوس الأمة جميعا .

وكان لابد للشعراء أن يعبروا عن أحاسيسهم ، ويصوروا الشعور العام ، ويسجلوا الأحداث ، ويوجهوا النفوس إلى ما فيه رفع الروح المعنوية فى الأمة بعامه ، وفى الشباب بخاصة . ولكن ماذا يقولون ؟

إننا نجد أبياتا فى شعر حافظ إبراهيم وأحمد محرم وغيرهما فى وصف أهوال

« بكرية » ، الشاعر عبد الحليم المصرى (١) هى إحدى قصائد طوال ظهرت فى أخريات الحرب العالمية الأولى ، عندما تأجج الشعور العربى العام ، وثارَت النفوس فى مصر ، وسمَّ الناس رؤية الجند الأغرَاب من الانجليز وحلفاء الانجليز يطوفون البلاد بسلاحهم فى صور من الرعب والتهديد ، ويملثون الجو بأزيز طائراتهم ، ويدكون الأرض بضخام مدافعهم ودباباتهم ، وقد ضاق الناس فى مصر أشد الضيق ؛ لأنهم لم يروا فى تلك الآونة بين قادة الحرب أو المسيطرين على زمام الأمور أبطالا من بنى جنسهم ، وبرموا لذلك أشد البرم ، ولم يجدوا ما يسرى عنهم ما قد آلمهم من الضيق والبرم إلا تذكرهم لأبطال هذه الأمة فى ماضيها الغابر المجيد ، أولئك الأبطال الذين كانوا

(١) هو من الشعراء الضباط ، وأصله من مديرية البحيرة قرية فيشا . بعد أن تخرج فى المدرسة الحربية التحق بخدمة الجيش بالسودان . وله ديوان من ثلاثة أجزاء ، والبكرية التى نحن بصدد مناقشتها منشورة بجريدة الأفكار - العدد ٢٥٢٠ فى ١٩١٨/٥/٢٤ - تولى سنة ١٩٢١ .

ثم يأخذ في وصف الجيش التركى الإسلامى:
منع الخلافة أن تضام ، وصانها
حامى الحجيج وناصر القرآن
جيش يسير به النبی ، وحوله
جند الملائك ، بينه العمران
يهتز «عمرو» فى اللواء «خالد»
ويمور «حيدرة» بكل عنان
ولقد سيجل محرم فى هذه القصيدة أسفه
على ما كان بين الشريف حسين العربى الذى
كان يملأ الدنيا بدعوته إلى سيادة العرب ، إذ
انخدع بوعود الإنجليز ، واستسلم لمطالبهم
ضاربا بالعرب ومصلحتهم عرض الحائط .
قال محرم :

نبئت ما زعم الشريف وقومه
فسمعت ما لم تسمع الأذنان
خدعوه إذ ضاق السبيل بمكرهم
ورموا بآمال إليه حسان
فأباح ما منعت فوارس هاشم
وحمت ولاية البيت من عدنان
ياذا الجلالة : لا سعدت بتاجه

ملكا ، سواك به السعيد الهانى
ومن خلال حيرة الشعراء ، وشدة رغبتهم
فى إبراز البطولة العربية الإسلامية التى لم
يجدوها ماثلة فى زمانهم ، لاح لهم خاطر
أخرجهم من حيرتهم ، وفتح لهم بابا واسعا
يشبعون فيه رغباتهم فى تمجيد تلك البطولة

الحرب ، ولم يكن من الأسماء الإسلامية بين
قادة الحرب إلا أسماء بعض الضباط الأتراك ،
إذ كانت تركيا التى تمثل الخلافة الإسلامية
قد حالفت الألمان فى تلك الحرب التى انتهت
بانتصار الإنجليز وحلفائهم .

وفى إبان اشتعال تلك الحرب الضروس
وجحت كفة الألمان وحلفائهم الأتراك
فترة من الوقت ، واستبشرت حينذاك الأمم
الإسلامية ، وظنت أن أبطال الخلافة
سيحرزون النصر فيحفظون بذلك للخلافة
هيبتها ، وهنا تنفس الشاعر الكبير - المحروم
أحمد محرم - الصعداء فأنشأ قصيدة كبرى من
من تسعة وعشرين وماتى بيت يمجّد فيها
بطولة الجيش الإسلامى جيش الخلافة ،
ويشيد بموقف الخلافة من حماية الدين
وأوطان المسلمين ...

ومما جاء فى هذه القصيدة (١) :

طرب الحطيم ، وكبر الحرمان
واعتر دين الله بعد هوان
قامت سيوف الفاتحين بأمره
والنصر بين مهند وسنان
ظمئت جوائحه إلى حر الوغى

فسقته شئبوب النجيج الغالى

(١) مخطوطة من بين مخطوطات محرم المديدة ،
وله قصيدة أخرى من ٦٠٠ بيت فى وصف حرب
الاستك واليونان بين ١٩٢١ و ١٩٢٣ فيها
صور بارعة .

حتى ترى بعض ما شادت أوائلها
من الصروح ، وما عاناه بانيها
وحسبها أن ترى ما كان من عمر
حتى يذبه منها عين غافيا
وبعد حوالى ثلاثة شهور (١) من إذاعة
قصيدة حافظ ، نشر المرحوم عبد الحليم
المصرى بكريته يعرض فيها صورة كاملة
لرجل آخر من الرعيل الأول من المسلمين ،
كان أول الخلفاء الراشدين ، وله فى إرساء
دعائم قواعد الإسلام والدولة الإسلامية
فضل بارز ، وقد أخذت تخضع للعرب فى
عهد دولته دولتنا الظلم والطغيان : فارس
والروم ، وارتفعت الراية الإسلامية العربية
تعلن العدل ، والمساواة ، وزوال عهود
العبودية والاستبداد .

وإذن فقد ظهرت هذه القصيدة الكبرى -
مع سابقتها ثم ما تلاهما (٢) - فى وقت كانت

المحبة إلى نفوسهم ، ذلك أنهم اتجهوا إلى تاريخ
هذه الأمة المجيد ، واتخذوا من بطولات
السالفين صورا يشيدون بها ويعرضونها على
شباب الأمة ، لتكون لهم فيها قدوة ، وتخلق
فى نفوسهم معانى العزة والكرامة ، وتدفع
عنهم اليأس ، وتبعث عندهم الأمل فى مستقبل
كريم . وكان هذا الاتجاه من شعراء تلك
الفترة محموداً مشكوراً ، وقد برزت فيه
رسالة الشعر جليلة واضحة ، وأدى فيه أولئك
الشعراء رسالتهم لأمتهم خير الأداء .

وكانت أولى هذه القصائد الطوال هى عمرية
حافظ إبراهيم (١) التى ألقاها فى حفل عام ،
وقد أبرز فيها صوراً ناضرة من حياة
عمر بن الخطاب كحاكم عادل ، وسياسى بارع ،
ومصلح اجتماعى ، وقد بين فى ختامها هدفه
من إنشادها . قال :

هذى مناقبه فى عهد دولته

لشاهدين وللأعقاب أحكيها (٢)

فى كل واحدة منهن نابلة

من الطبائع تغذو نفس واعيا

لعل فى أمة الإسلام نابتة

تحملو لحاضرها مرآة ماضيا

(١) ألقى حافظ قصيدته فى ٨ فبراير ١٩١٨
وانشرت البكرية فى ٢٤ مايو سنة ١٩١٨ وهى
من أحد عشر ومائتى بيت .

(٢) ظهرت العلوية الكبرى من ٣٠٧
(سبعة وثلاثمائة بيت) فى عام ١٩١٩ ترسم
صورة للخليفة الرابع على بن أبى طالب ، وحوالى
تلك الفترة كان شوق قد نظم « أرجوزة العرب
الكبرى » وهو منى بالأندلس - من ١٧٢٦
(سنة وعشرين وسبعمائة وألف بيت) بعنوان :
« دول العرب وعطاء الإسلام » وصف فيها
الأم الإسلامية وعطاء الأبطال للمسلمين من لدن
ظهور الإسلام إلى نهاية دولة الفاطميين بمصر .

(١) ألقاها فى ٨ فبراير ١٩١٨ بمدرج وزارة
المعارف (١ - ١٠ من الديوان ص ٧٧ - وأبياتها
١٨٧) مطبعة دار الكتب .

(٢) الديوان ص ٩٧ - ١ - نائلة : سجة ثمينة .
نابغة : يقصد الناشئين . للعلى : التام .

ماجز عن بلوغ ذلك المقام السامى لا مقصر :
 أفضى أبا بكر عليهم قوافيا
 وأمطر لسانى حكمة ومعانيا
 وقل لرسول الله : لا يجز زلتى
 إذا لم أكن فيه بقولى باديا
 مقام رسول الله فوق قصائدى
 وهل شرر النبراس يجدى الدراري؟
 وبعد أبيات يأخذنى بيان الهدف الذى
 جعله يتجه إلى اختيار أبى بكر :
 فأمنت بالإلهام فيك ، وإن أقل :
 تعهدنى وحى ، فليست مغاليا
 بأول صديق ، وأول مؤمن
 وأول شورى أشد رجائيا
 وأضرب أمثالا لقومى تجميعهم
 بصورة شيخ المسلمين كما هيا
 عسى أن يعيدوا ما أضعوا من الهدى
 وأن يتلافوا منه ما كان باقيا
 وحتى يروا أن الخلافة لم تكن
 مظاهر فى إبانها ومرائيا
 وأنت لم ترق الخلافة بالغنى
 ولا السن . لكن بالنبى كنت راقيا

* * *

أولئك قوم لا يحابون سيذا
 ولا عرفوا فى جانب الحق عاليا
 بهذه المقدمة التى رسم فيها صورة الحاكم

نفوس الناس فى مصر وسائر البلاد العربية
 أشد ما تكون قلقا واضطرابا بسبب ما
 وصلت إليه الأحوال العامة فى هذه البلاد
 الإسلامية من النكسة والضعف وسيطرة
 المستعمر .. فجاءت كشعاع ضوء فى وسط
 ظلام دامس تطمئن النفوس ، وتفتح
 أبواب الأمل .

تضمنت البكرية سبعة عشر غرضا وهى :
 مقدمة إجمالية - تصديقه بالإسراء - شراء
 الموالى فى الغار - شجاعته يوم بدر - رأيه فى
 صلح الحديبية - رأى النبى فى أبى بكر -
 بعد وفاة النبى تسيير جيش أسامة - حرب
 أهل الردة - غزو الروم والفرس - أبو بكر
 وذو الكلاع - اتجاره فى الخلافة - هو وعمر -
 وفاة ابنه عبد الله - يوم وفاته - الخاتمة .

ونرى من هذا التقسيم أن الشاعر قد جعل
 أكبر اهتمامه فى إبراز شخصية أبى بكر ، وقوة
 إيمانه ، وعدالته ، وهو يهدف من خلال
 ذلك إلى رسم الصورة المثالية للحاكم المؤمن
 الساهر على صالح رعيته .. دون أن يتعرض
 للحسب والنسب وكرم المحتد ..

والمقدمة فى أربعة عشر بيتاً ، وقد بدأها
 بلفتة مهذبة اعتذر فيها إلى مقام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إذ لم يبدأه بمدحه وعلل
 ذلك تعليلاً طريفاً إذ اعتبر أن شعره
 لا يسمو إلى مقام الرسول ، ومن ثم فهو

وبعد أن صور شجاعة أبي بكر في غزوة بدر ، وقيامه حارسا ساهرا على عريش النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار إلى بعد نظر أبي بكر في صلح الحديبية ، وما كان من رأى النبي في أبي بكر حين استخلفه في إمامة الناس قبيل وفاته ، وما كان من موقف أبي بكر حين انتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى وارتج معسكر المسلمين ، وأظهر أبو بكر من الشجاعة والثبات وتذكير الناس بآيات من الكتاب الكريم ما أعاد إلى الناس صوابهم ... انتقل بعد ذلك إلى ذكر تسيير جيش أسامة ، وما كان من تواضع أبي بكر حين مشى إلى جانب فرس أسامة . وهنا انتهز فرصة وصف الجيش وأدب الحرب ، وكأني به يعرض بقيادة الحرب التي كانت دائرة .

وقفت أمام الجيش ترفد أسه
وقضرم من تلك العواطف خايا
يكاد يشق النار إن صحت أمرا
ويرتدخوف الظل إن صحت ناهيا
تقول لهم : لا تحملوا غير زادكم
ولا تفسدوا عذابا من الماء جاريا
ولا تهلكوا زرعاً ولا تهتكوا حيا
ولا تستبيحوا نسوة وزاريا
ولا تحرقوا باللائنين كئناسا
ولا تهدموا باللاجئين مغانيا

وطريقة اختياره بدأ قصيدته ، ونلس هنا تعريضا بما كان عليه اختيار الحاكم في مصر حينذاك عن طريق الوراثة وإشارة للمستعمر . ثم انتقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف نكران قريش لما سمعوه من الرسول الأمين عن الإسراء ثم ما كان من تصديق أبي بكر لكل ما سمع وأكثر مما سمع في ستة عشر بيتا انتقل بعدها إلى الحديث عن رقة قلب أبي بكر حين رأى بلالا يعذب بالسياط في حر الظهيرة فأسرع إلى شرائه وعتقه :

قلبا أفاض النفس إلا صبا
إذا ما رآها الموت لم يدر ما هيا
أطلت عليه رحمة الله من يد
ترى البرق في ديباجة الغيث وانيا
رأى نور عيش في ظلام منية
يلوح أبو بكر به متهاديا
تعرض ما بين الحمام وبينه
وكان له في الله بالمال فاديا
كريم يرى ما في يد الناس فانيا
وليس يرى ما في يد الله فانيا
وأخذ بعد ذلك يصور موقف أبي بكر في غار ثور وكيف اقتدى النبي عليه الصلاة والسلام :

إذا لدغتك الجن ألفتك صابرا
على السم ، تخشى أن تروع غافيا
ولم يبق منك الوهن إلا أصابعا
فألقمتها دون النبي الأفاعيا

كفيتم أبا بكر ، فردوا تجارتى
إلى بيت مال المسلمين وماليا
كما صور هبة أبى بكر حين قدم عليه
« ذوالكلاع » بموكبة الفخم وخدمه وحشمه ،
وزهبه وجواهره ، وكبره وعجبه ، فرأى
خليفة المسلمين العظيم فى ثياب متواضعة :
لا خدم ولا حشم ، ولا عبيد ولا إماء ،
ولا زينة ولا جواهر ...

فلما رأى من نسج تيم مجاسدا
يكاد يرى فيها الخليفة عاريا
تولته من أمر الخلافة دهشة
فألقى الحلى والخز ، وارتد حافيا
وقال : كذا دبن المساواة ، فلتكن
خلافته حرية وتأخيا
ومن ضمن الإجلال فى كل بردة
رأى ما وقاه الحر والبرد كافيا
وقد عرض قصة طريفة عن سبقه لعمر
بن الخطاب فى غشيانه بيوت العجائز سحرا
لإصلاح شئونهم ، وتقصيه فى حاجاتهم ...
ثم تحدث بعد ذلك عن موقفه من تركه ابن
عبد الله على ضآلتها وردّها إلى بيت المال
ثم وصيته أبى بكر قبيل وفاته برد ما يملك
لبيت المال :

وقال - وقد حان الفراق - لبقته :

إذا مت ردى عيهم وردائيا

ولا ترهقوا الأسرى ، فرب محارب
إلى الحرب يسعى مكرها لامعاديا
ثم أخذ يصور موقف أبى بكر من مانعى
الزكاة واعتبارهم مرتدين عن الإسلام ثم
قتالهم وثبيت ركن من أركان الإسلام ...
وانتقل بعد ذلك تسيير الجيوش تلوا الجيوش
لغزو الروم وفارس ، وكيف ألف أبو بكر
بين قلوب العرب ليقفوا صفّا واحدا ضد
الطغاة الظالمين :

لأنتم هداة الناس ، والأمة التى
إذا افترقت فى الأرض عادت كاهيا
فيا عرب : اشتدوا ، فإنى لرافع
عليكم إلى يوم الحساب لوأثيا
ثم انتقل إلى الحديث عن عفة الحاكم
ونزاهته بما رسمه لأبى بكر من صورة الخليفة
الذى يأكل من كسب يده بالاتجار ، فلما
خوطب فى ذلك لم يطمع فيما فى بيت المال
بل اكتفى بما يكفيه :

فقل له : ألهتك عنا تجارة
إذا عدت بزاذا فلا تك راعيا
فقال : أيرجى رعيكم فى خلافتى
إذا كنت فيها ليس أرعى عياليا ؟
فقالوا له : نعطيك « فرض مهاجر »

ونأخذ من ثوبيك ما كان باليا
فقال : لقد أغنيتمونى بفرضكم
وحسبى ما سد الطوى وكسانيا

وفاء وتحنانا إلى الزمن الذي
تضوع من عطر الخلافة ذا كيا
ليالى كان الناس : لا المال ذخرم
وما هو إلا مال من جاء عافيا
وما فضل مولود على مال والد
وما ذنب مولود من المال خاليا
ولا فرق فيهم بين مولى وعبد
إذا جاءهم عبد لمولاه شاكيا
وما الحق إلا حائط بين قوة
وصعف ، وإس العدل لإلتقاضيا
أرب أبى بكر : ستخلق مثله
فيسدرك من بنيانه متراميا
ذكرت أبا بكر لقومى ، وليتقى
بلغت به فى القول ما كنت راجيا
لعل سراة الدهر تدرك فجره
فإنى أرى الأصباح تتلو الدياجيا
ورحم الله شاعرنا الكبير ، فقد حقق الله
أمنيته وخلق من يحيى سياسة أبى بكر ، فقد
رأينا الدياجى تنقشع ، وتحل مكانها
الأصباح ، ورأينا رائد العروبة جمال عبد الناصر
فى زماننا هذا لا يألو جهداً فى تقصى سيرة
أبى بكر ورفع راية العروبة والإسلام ،
وجمع العرب فى صف واحد حتى تعود لهذه
الامة المجيدة مكانتها اللائقة بها .

ولا تدفنونى فى الجديد ؛ فإنما
أحق به من كان فى الناس عاريا
وردى عليهم حائطى فى دراهم
تقاضيتها منهم ، وردوا صحافيا
خرجت من الدنيا بنفسى ، وليتقى
خرجت معافى ، لا على ولا ليا
ومات ، ولم يترك تليداً لوارث
يقوم به فى الوارثين مباهايا
وما نال أبناء الخليفة ضيعة
ولا قام منهم من يقول : تراتيا
هذا هو أبو بكر خليفة المسلمين الأول ،
والحاكم الساهر على مصالح رعيته ، يخرج
من الدنيا لا مال ولا نسب ، ولا قصور
ولا ضياع كمثل الذى كان يتمتع بها سلاطين
مهصر وحكامها .
أما الخاتمة ، فقد أفرغ الشاعر فيها كل
مشاعره ، وركز فيها ما تكنه نفسه من
آلام على الماضى الزاهر ، وسخط على الحاضر
القاسى المظلم ، وتمنى لو أن المسلمين تفقهوا
سيرة أبى بكر وساروا على نهجها :
فذكرك فى الأحياء سال مدائحا
وذكرك فى الأموات حال مرثيا
فمن لى بدمع المسلمين الذى جرى
وما سوف يغدو للأجنة جاريا
صنبذل من تلك العيون كراثما
ونرخص من تلك الدموع غواليا

وبعد :

فذلك هى بكرية الشاعر عبد الحليم المصرى عرضناها فى إيجاز يتناسب وصفحات المقال . وقد رأينا أن هذه القصيدة الكبرى كانت قد ظهرت فى وقتها المناسب ، متضمنة صفحة ناضرة من التاريخ الإسلامى فى أزهى فتراته ، رجاء أن تنعكس ما فيها من صور على أهل الزمن الذى أنشدت فيه ، فتتبرر لهم الطريق إلى المعالى ، وتأخذ بيدهم إلى مراقى العزة والكرامة .

وقد سار الشاعر على الأسلوب المألوف فى الشعر العربى من حيث الوزن والقافية والعناية بذكر الحقائق ... وقد سرد الأحداث مسلسل ، ولم يعمد إلى غريب الالفاظ بل إنه توخى السهل الميسور ولعله أراد بذلك أن يعم نفع القصيدة فى يسر .

وبحكم طبيعة الموضوع ، والدقة فى تلخيص الإشارات التاريخية ، لم يطلق الشاعر العنان للخيال ، بل كان السرد يغلب عليه أحيانا فى بعض الأبيات مثل قوله عند الحديث عن الإسراء :

أتى المسجد الأقصى ، ورد براقه

إلى الطبقات السبع لم يخش عاديا

فصلى بمن فيها ، وكلم ربه

وأصبح فى بطحاء مكة داعياً

وجاءت بعض الأبيات كأنها حكم مرسله :

ومن ضمن الإجلال فى كل بردة
رأى ما وقاه الحر والبرد كافياً

وما فضل مولود على مال والد
وما ذنب مولود من المال خالياً

وما الحق إلا حائط بين قوة
وضعف ، وليس العدل لإلتقاضيا
وقبل أن أختم حديثى عن بكرية هذا
الشاعر العظيم عبد الحليم المصرى أقول :

إن هذا الشاعر من أولئك الشعراء الذين عاصروا فترة طويلة من زمن الخلافة العثمانية وفترة الاحتلال البغيض . وله فى ديوانه ، وفى طيات الصحف كثير من الشعر الإسلامى والوطنى ، ولم يلق بعد ما يستحقه من عناية بالدراسة والعرض . وإنى أعتبر شعراء تلك الفترة من أمثال عبد الحليم ونسيم وصبرى ومحرم وحافظ وشوق وغيرهم من المصورين البارعين الذين سجلوا أحداث ذلك الزمن ، وما كان فيها من صراع دائم . وأرجو أن يلقى عبد الحليم المصرى مثل ما لقي بعض زملائه من دراسة وتكريم

وقفنا الله جميعاً إلى ما فيه الصواب .

دكتور

سعد الدين الجبزاوى

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ٩ —

ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فنأدى عمر
في الناس : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه
فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ فقال
عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم نفر
من قدر الله إلى قدر الله ! رأيت لو كان لك
إبل فهبطت وأديا له عدوتان إحداهما
مخصبة ، والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت
المخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة
رعيتها بقدر الله ؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف
ـ وكان غائباً في بعض حاجته ـ فقال : إن
عندي من هذا علما : سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم به بأرض
فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم
بها فلا تخرجوا فرارا منه . قال : فحمد الله
عمر ، ثم انصرف .

* * *

وفي هذا الحديث أمور تصور لنا بعض
الجوانب من فقه عمر .

(١) روى مالك بسنده في «الموطأ» عن ابن
عباس رضى الله عنهما : أن عمر بن الخطاب
خرج إلى الشام ، حتى إذا كان يسرخ (٢) ؛
لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح
وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام
قال ابن عباس : فقال عمر بن الخطاب :
ادع لي المهاجرين الأولين بالشام ، فاختلفوا
فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن
ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس
وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال :
ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي الأنصار ،
فدعاهم فاستشارهم فسلخوا سبيل المهاجرين
واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عني ،
ثم قال : ادع لي من كان ههنا من مشيخة قریش
من مهاجرة الفتح ، فدعاهم فلم يختلف عليه
منهم رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس

(١) تأخر هذا اللقال عن موضعه لأنه تأخر
عن مواعده .

(٢) قرية بوادي تبوك في طريق الشام .

وصل إليهم بعد ثلاث ليال ، وسأله : هل يدخلهم في القسم معهم بما أفاء الله عليهم ، فكان من فقه عمر أن أمره بأن يدخلهم معهم في الغنيمة ، فإن العدو إنما ضعف ، وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم .

وذكروا أن عمر كان قد عزم على أن يطوف البلدان ، ويزور الأمراء ، وينظر فيما اعتمدوه وما أثروا من الخير ، فاختلف عليه الصحابة ، فمن قائل يقول : ابدأ بالعراق ومن قائل يقول بالشام ، فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قسم مواريث من مات من المسلمين في طاعون عمواس ، فإنه أشكل قسمها على المسلمين بالشام ، فعزم على ذلك ، وهذا يقتضى أن عمر عزم على قدوم الشام بعد طاعون عمواس ، وقد كان الطاعون في سنة ثمانى عشرة من الهجرة .

وذكروا أن عمر أتى الشام أربع مرات مرتين في سنة ست عشرة ، ومرتين في سنة سبع عشرة ، ولم يدخلها في الأولى من الآخرين .

٢ — ومن ذلك أن عمر رضى الله عنه كان على قوته وكمال ثقته بنفسه ، وعلو كعبه في الحكم والسياسة ، يحب الشورى ولا يكاد يبرم أمرا إلا بعد أن يجمع له أهل الرأى ، ويظل يراجعهم فيه ويراجعونه ، مستمعا إلى مختلف الحجج ووجوه النظر ، حتى يحيط

١ — فن ذلك أن عمر رضى الله عنه كان قادما إلى الشام ، ليطالع أحوالها ، ويتعرف شئون أهلها ، وتلك سنة كان عمر أول من سنها في الإسلام ، وسار عليها من بعده الخذاق من الولاة والحكام : أن يزورا البلاد والأقاليم النائية كلها دعت إلى ذلك حاجة ، بل يزورها ليتفقد شئونها ، ويتعرف على أهلها ، ويتعهدا عن كسب ، ولولم تدع حاجة خاصة إلى ذلك ، فإن من شأن هذه الزيارات أن توثق الصلات بين الحاكمين والمحكومين ، ولذلك يقول الفقهاء : إن على الإمام إذا بعد عهده بالثغور أن يتطلعها بالمشاهدة ، وألا يكتفى بما يرد إليه عنها من خبر ، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وقد عرفت لعمر رحلات منها هذه الرحلة ، ومنها رحلته إلى بيت المقدس ، ومنها رحلته التي أنجد فيها أبا عبيدة حين حصره الروم بمحص ، إذ خرج عمر بنفسه لينصر أبا عبيدة فبلغ (الجابية) فلما سمعت الروم بقدومه أصابهم رعب شديد وضعفوا جدا في حصارهم ، فأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهزمت الروم هزيمة فظيعة ، وذلك قبل ورود عمر عليهم ، وقبل وصول الإمداد إليهم بثلاث ليال ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجابية يخبره بالفتح وأن المدد

بأطرافه ثم يحكم حكمه فيه عن بينة ، وذلك كله تحقيقاً لقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وانتفاعاً بالنهج القويم الذى سنه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله » .

ويبدو هذا النهج القويم فى الأمر الذى ذكره هذا الحديث ، فإن عمر رضى الله عنه فوجىء بنبأ الوباء ، فأدرك بفطرته الصافية أن من واجبه التريث والتوقف عن إتمام الرحلة فليس من رأى أن يزج بنفسه وهو أمير المؤمنين الذى يجب عليه أن يحتفظ بحياته الغالية لأتمته ، أو أن يزج بمن معه من وجود الصحابة رضوان الله عليهم ، فى هذا الخطر ، فإن الله تعالى يقول : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ويقول : « ولا تقتلوا أنفسكم » فينبى عن بذل النفس فى غير جهاد أو قصد لإعلاء كلمة الله تعالى ، أو تحقيق لمصلحة من مصالح المسلمين .

ولقد كان هذا الأمر واضحاً لدى عمر ، وليس من شأنه أن يلتبس على مثله ، ولكنه مع ذلك رأى أن يشرك منه أهل الشورى فلا يعزم على الرجوع حتى يستبين الأمر لهم كما هو بين أمامه ، ومن ثم دعا المهاجرين ثم دعا الأنصار ، ثم دعا شيوخ قریش من مهاجرة الفتوح ، واستشارهم فريقاً بعد فريق وإنما لم يجمعهم دفعة واحدة لأنه أراد أن

يترك الفرصة للناظرين ، حتى يتسبب رأى فى أعماقهم : فلا يكون رأياً فطيراً ، وحتى يكون لديه هو أيضاً فرصة التأمل فى مختلف الآراء ، والتعمق فى فحصها والموازنة بينها . وهناك عامل نفى لا بد أن يكون عمر قد لاحظته ، وهو مما تجرى به عادة الجماعات دائماً ، فالناس إذا كانوا سائرين فى اتجاه معين ، كهؤلاء القادمين إلى الشام مع أمير المؤمنين ، لا يسهل عليهم أن يردوا عنه دفعة واحدة ، فإنهم يذهبون فى تفسير هذا الرد مذاهب شتى ، وربما أدركت كثيراً منهم بلبلة الشك أو حيرة الوهم ، لذلك كان من حكمة عمر أن توقف ، ثم استشار فريقاً من الناس بعد فريق ، فترك الأمر يختمر بينهم ، وترك رأى يشتجر ، ثم اعتزم الرجوع عن هذه الرحلة متوكلاً على الله فى هذه العزمة ، غير خائف أن تدرك أحداً من رجاله حيرة أو بلبلة ، فنادى فى الناس : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه يريد السفر ووصفه بذلك ؛ لأن المسافر ومتاعه يصير على ظهر الخيل والإبل والدواب وكان السفر هو سفر الأوبة والرجوع . ومن مواقف عمر فى الشورى موقفه يوم أراد الخروج إلى العراق ليشهد الفتوح مع جند المسلمين ، فقد كان عمر رضى الله عنه بين أمرين : إما أن يخرج كما يخرج سائر

على المسلمين فذاك ، وإلا أعاد رجلاً وذب رجلاً آخر ، وفي ذلك ما يغيظ العدو .

وقام عبد الرحمن بن عوف فأيد هذا الرأي ، وتسابق إليه الناس واجتمعوا عليه ، فنزل عمر على رأيهم ، وقال : أيها الناس . إنني كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج ، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً .

وهكذا تتجلى حكمة عمر وحسن سياسته ، فإنه لم يحمل الناس على ما اعتقد أنه الرأي قسراً ، ولو شاء لفعل فهو أمير المؤمنين المطاع فيهم ، ولكنه شاورهم وبدأ بعائتهم وسائر هؤلاء العامة فيما رأوا ، ثم شاور الخاصة فأشاروا بالرأي فنزل عليه .

ولعمري إن هذا في السياسة وفق الحكم لفقه عظيم .

وقد يبدو أن عمر رضي الله عنه كان في حرصه على الشورى متأسيماً بصاحبه الصديق رضي الله عنه :

فقد أخرج البغوي عن ميمون بن مهران قال : (كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياء خرج فسأل المسلمين وقال : أتانى كذا

المجاهدين ، فهو رجل منهم ، ولا يحق له أن يأمرهم بالجهاد ويقعد عنه ، وإما أن يبقى فلا يخرج حتى يكون هو مرجع الجيش ومستنده الذي يستند إليه ، يمدد إذا أراد المدد ويبعث إليه بالقائد إذا احتاج إلى غير قائده .

وكان عمر لا يخفى عليه أن الخطوة الأخيرة هي الرأي السديد ، الذي لا رأى سواه ، فإنه رئيس الدولة ، ولا بد له من أن يكون هو الموجه لها ، والمدير لأمرها ، فلا يصلح أن يذهب بنفسه لقتال الأعداء ، وقيادة الجيوش ، ولكنه مع ذلك طرح الأمر على الناس طالباً المشورة ، فجمعهم في المسجد وأخبرهم الخبر ، فقال العامة : سر وسر بنا معك ، فدخل معهم في رأيهم وكره أن يكون هو الذي يبين لهم فساد هذا الرأي ، حرصاً على صلاح نفوسهم وألا تراود أحداً منهم الظنون ، وقال لهم : استعدوا وأعدوا فإنني سائر إلا أن يحجى رأي هو أمثل من ذلك ، ثم بعث إلى أهل الرأي ، فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أحضروني الرأي ، فأجمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيده بالجنود ، وقيمه أمام العدو ، ويمدده بالمدد فإن كان الذي يرجى من الفتح

كانت الاستشارة فيما يحكم به في هذه الجزئية بمثابة استنباط المجتهد للحكم ليقضى به .
وينبغي أن يلاحظ أيضاً أن هذه الرواية تقرر أن كلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ما كانا يمكن ، إذا استشارا رؤوس الناس ، إلا بما يجمعون عليه .

ويؤيد ذلك ما رواه السرخسي في المبسوط إذ يقول : (كان عمر يستشير الصحابة مع فقهاءه ، حتى كان إذا رفعت إليه حادثة قال : ادعوا لي علياً ، وادعوا لي زيدا . . فكان يستشيرهم ثم يفصل بما اتفقوا عليه) .

وهذا كله إنما هو في مجال القضاء ، واستقصاء الوسائل التي تعرف بالحكم المشروع ، أو تستنبطه ليكون قانوناً يحكم به .

وكلامنا حين أثبتنا لعمر رضي الله عنه خاصية الشورى إنما هو في حكمه السياسي العام ، فإنه طابع انفرادي ، ولم يكن يلتزم فيه أن يقع الإجماع على أمر فيأخذ به ، أو يختلف الناس فيقف من خلافهم موقفاً سلبياً ، بل كان ربما رأى الكثرة في جانب ، والقلة في جانب ، فأخذ برأى القلة لأنه انتدح في نفسه صوابه وصلاحيته ، وأكثر ما كانت استشاراته التي من هذا القبيل في المبادئ العامة ، لا في الأحكام الجزئية .

وكذا ، فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء ، فربما اجتمع عليه نفر كلهم يذكر فيه عن رسول الله قضاء ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع رأيهم على شيء قضى به ، وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك ، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر بل كان فيه لأبي بكر قضاء ، فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلا دعا رؤوس الناس فإذا اجتمعوا على أمر قضى به) .

لكن لا ينبغي أن يفوتنا أن هذا منهج قضائي جزئي ، لا منهج حكومي سياسي ، فالقضاء مجال يجب فيه التأسي والتماس ما هو مشروع بالفعل مسطوراً كان أو مستنبطاً ، إذ الفرض أن الخصوم مرتبطون في قضاياهم بقانون معين ، وأن تصرفهم يحكم بمواده التشريعية ولو لم يعلموها ، فن واجب القاضي أن يبحث عن مواد هذا القانون ويطبقها على الخصوم في قضاياهم الجزئية ، ولا يعتبر سؤال الناس من أبي بكر أو من عمر رضي الله عنهما في هذا المجال إلا استطلاعاً للحكم المتقرر إن كان في الأمر حكم متقرر من الشرع ، فإن لم يعلم في ذلك حكم متقرر

الأمر الثاني: أن الإسلام أمر بالشورى ، وامتدح المؤمنين بقوله : « وأمرهم شورى بينهم » ، وأكسبه لم يحدد للشورى نظاماً معيناً ، ولم يبين من الذين يستشارون ، وهل يؤخذ رأى الكثرة كائناً ما كان ، إلى غير ذلك مما اقتضته النظم الحكيمة والسياسية فيما بعد .

والسر في ذلك أن الإسلام لا يريد تقييد المسلمين بأوضاع معينة ، بل يريد لهم أن يكونوا مرنين في اختيار ما تقضى به المصلحة والتطور الزمنى والسياسى مع الاحتفاظ بجوهر الشورى .

وإذن فالصورة التى اختارها عمر ابن الخطاب إنما هى وجه من وجوه الشورى ، لنا أن نحتفظ به ، ولنا أن نعدل فيه ، وقد عرف التاريخ للأندلسيين أنهم كونوا مجلساً للشورى يعين أعضاؤه من قبل الخليفة ويمثل فيه مختلف أهل الرأى والتفكير .

محمد محمد الطمى

عميد كلية الشريعة

وأمر آخر يختلف فيه المجالان : هو أن مجال التشريع القضائى فيما روى عن أبى بكر وعمر ، كان يستشار فيه رؤوس الناس ، أما مجال الشورى فى الحكم العام والمبادئ فلم يكن قاصراً على رؤوس الناس ، إنما كان شاملاً للعامة والخاصة كليهما ، ولعل ذلك المنهج العمرى هو الأصل فيما نعرفه الآن من أن الشورى ليست حكراً على الخاصة دون سواهم من عامة الشعب ، بل هى حق للجميع .

ويهمنا قبل أن نترك الحديث عن المهج العمرى فى الشورى أن نقرر أمرين :

أحدهما : أن الشورى فى المبادئ العامة وفى سياسة الحكم قد تكون وقعت على عهد أبى بكر ، ولكننا لم نفسها إلى عهده رضى الله عنه ، لقلة حوادثها ، ولاشتراك عمر نفسه فيها ، فقد كان من أبى بكر بمثابة الوزير والمشير ، ولم يكن أبو بكر مستقل من دونه بشئ .

بين العلم والعمل للأستاذ محمود النواوى

إذا كان للفظ (العلم) معان مختلفة باختلاف الأوضاع والمصطلحات . فإنما يعنينى هنا ما يعنى المنتسب إلى الدين والذي يتخاطب باصطلاحاته فيما يورده من ألفاظ . فالعلم إذا هو تلك المجموعة من المعادن التى أساسها ما تنزلت به الأديان السماوية لهداية البشر فى عقائدهم وعباداتهم لخالقهم وتعاملهم فيما بينهم وفى صفاتهم وأخلاقهم التى يحق عليهم أن يكونوا عليها حتى تتم عمارة الأرض على وجه يرضى الرب ، وينشر السلام والحب ، وحتى يتحقق المعنى الذى من أجلهم خلقوا . وهو عبادته وشكره على خير وجه يقوم نفوسهم ويطهر قلوبهم بما يشير إليه القرآن الكريم بيانا لأرسال الرسل ، وما يحققه ذلك الإرسال ، فى مثل قوله سبحانه (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز . ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين

اتبعوه رافة ورحمة ، ورهبانية ابتدعوها) الآية .

والميزان كما نقل ابن كثير عن مجاهد وقتادة وغيرهما هو الحق الذى تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة ومساق على ذلك عدة أدلة وشواهد من القرآن الكريم .

فالعلم هنا هو معادن تلك الأديان المصلحة للبشر وهو الذى أردت أن أبين الصلة بين إدراكه وتحصيله . وبين العمل به ، أهنك لزوم بين الأمرين . أم هناك انفكاك يحول دون ذلك الزوم ؟ وهذه المسألة فى ذاتها بما تناوله الناس قديما بالنظر فوق الخلاف بينهم فى صلة العلم فى ذاته بالعمل به . وقال قائلون إن العلم الصحيح يلزمه العمل فإذا تخلف العمل بالعلم عنه لم يكن علما وكان صاحبه غير عالم . وإلا كان عثا وفعل العاقل يسان عنه ومحال أن ترى أفعى تحاول أن تهلكك ، أو عدوا يريد أن يفتك بك ، ثم تعرض عن مقاومة ذلك ، إلا إذا لم تكن على علم بما يراد بك وإلا لم تكن من أهل العقل ! ويستدل لذلك بعض الإسلاميين

الهدى والعلم بالغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة نقية قبلت الماء فأنبئت العشب والكلأ وكان منها أجادب أمسكت الماء للناس فشربوا وسقوا وملثوا أسقيتهم وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ... فهذا وأمثاله يدل دلالة واضحة على أن العلماء متفاوتون بتفاوت استعدادهم وتوفيق الله لهم ، وأن الهدى يختلف الاتفاف به باختلاف من يوجه إليه ، وتدل الأخبار على أن العلم تارة يكون حجة على صاحبه (والقرآن حجة لك أو عليك) كما أن هناك آيات كثيرة وأحاديث صحيحة تدل على شقاء من لا يعمل بالعلم وعظم جرمه فكيف يقال إن العلم يلزمه العمل به لو كان كذلك لم ينسح القرآن والسنة والحكام على العالم المخذول غير العامل ، واللازم باطل قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، الآية .

وقال سبحانه : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » ، ولست هذه الآية الكريمة على أن أم العلم وأصله والذي تصدع الجبال من خشية الله لو وجه إليها ، وهو القرآن الكريم

بما يدل على أن من وقع في الخطيئة فهو جاهل وأن من يقارفها فهو مجرد عن العلم كقوله سبحانه (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) الآية فمن عمل السوء فهو جاهل غير عالم وإن كان اسمه عالما غير جاهل . وقد نقل هذا المعنى عن مجاهد وغيره من أئمة الصحابة والتابعين قالوا كل من عصى الله خطأ أو عمدا فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته ويستدل بعضهم بما ثبت عن أبي الدرداء وهو مرفوع في بعض الروايات إلى النبي صلى الله عليه وسلم « لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا » .

فإنه يدل على أن من لا يعمل بالعلم لا يكون متصفا به .

ويقول بعض الناس : إن العلم إنما يرفع تقيضه وهو الجهل وهو لا يستلزم العمل بمقتضاه ولا ينافي عدم العمل به فهو لا يرفع ضللا ولا مائثما ، وكل من عالم غزير المادة واسع الإطلاع والأخذ ، وهو متورط في الموبقات دائب الانقياد للشهوات ومنهم دون ذلك ، فالعلماء متفاوتون بين عامل صادق وعامل خالط ، وغير عامل ولا موفق « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله » ، ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثه الله به من

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب » ومن ذلك الاعتدال بشهادتهم على ما يختلف فيه بعض الناس كوحداية الله سبحانه في قوله : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » الآية : وكرسالة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » وكنزول القرآن عليه في قوله : « أو لم يكن لهم آية أن يعمله علماء بني إسرائيل » .

وأما السنة النبوية فما أكثر ما مجدت العلماء وحفلت بأمرهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقه في الدين »^(١) ، وقوله « العلماء ورثة الأنبياء »^(٢) وحديث « فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي »^(٣) ، وما إلى ذلك وما أكثره وهو كله يفيد أن العلم لا بد أن يصحبه العمل وإلا لم يكن هناك معنى لكل هذا التنويه وذلك الإطراء وإذا فلا بد من كشف الغطاء عن اللبس في هذا الموضع وبيان حقيقة أمره والواقع أن العلم على مراتب بعضها يستوجب العمل في الجلسة ويأبى على صاحبه أن يرتكب المخالفة إلا فلتة لا بد منها للبشر

(١) رواه الشيخان :

(٢) أبو داود والترمذي وابن صاحب وابن حبان

في صحيحه .

(٣) الترمذي وقال حسن صحيح .

قد لا ينتفع به من يوجه إليه فكيف بغيره من المعارف ؟ . وفي السنة الكريمة من ذلك الشيء الكثير مثل حديث العالم الذي تندلق أقتابه في جهنم لأنه كان يأمر الناس بالخير ولا يأتية . وحديث خوف النبي صلى الله عليه وسلم من المضللين أكثر من خوفه من الرجال وحديث : العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على عباده وعلم في القلب فذلك النافع وما أكثر ما جاء في كلام الصحابة والتابعين والحكماء من ذم من لا يعمل بعلمه ، والتنديد به ، بما يدل على دلالة واضحة على أنه لا تلازم بين الأمرين . وهو أمر مشاهد ملموس وقد كنت ناصرت هذا المذهب في بعض دراساتى قديماً^(١) ولكن ما ورد من مدح العلماء مطلقاً والثناء عليهم غير مقيد بالعمل ، يؤيد المذهب الأول وينصره فإن العالم لا يمدح لمجرد علمه ما لم يكن لهذا العلم ثمرة هي استنباعه للعمل وأدائه إليه ومقتضى ذلك أن العالم لا يكون عالماً حتى يعمل بعلمه . أما مدح العلماء مطلقاً والتنويه بشأنهم فقد دلت عليه دلائل بينات من القرآن الكريم والسنة النبوية والحكم والآداب . ومن ذلك قول الله سبحانه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقوله سبحانه :

(١) راجع كتاب جولات السلامة للكاتب

المقال ص ٨ فما بعدها .

بلغ في التمسك بما يعلم والاستماتة في تنفيذ مطالب الدين ورغائبه المرتبة الثالثة التي هي أرقى هذه المراتب . إلا أن مرتبته الأصلية هي مرتبة التقليد التي لا تستلزم الرسوخ في العلم والتزام العمل به .

المرتبة الثانية ، مرتبة العلم الاستدلالي الذي يرتفع صاحبه من حضيض التقليد المجرد بالاعتماد وعلى شاهد العقل الذي يؤيده النقل كما في علم الكلام البرهاني المعروف أو النقل الذي يؤيده شاهد العقل كما في علم الفقه الاجتهادي المبني على تعرف الدليل من أجل الاعتماد عليه في الحكم الشرعي وكما في علم التوحيد لدى السلفيين من العلماء الذين يحدون كل مطالبهم من عقائد وغيرها في الأدلة الشرعية فيؤثرونها على كل ما سواها

وهذه المرتبة يتفاوت أصحابها كذلك تفاوتاً كبيراً بعد اشتراكهم في أن إدراكهم للعلم إنما سبيله العقل لا القلب فليس العلم فيهم كالوصف الثابت وإنما هو كالأشياء المكتسبة والمدونات المحفوظة التي يحكم عليها العقل وحده وتكون في جملة مودعاته .

وأصحاب هذه المرتبة في منتصف الطريق التي من أجلها يطلب العلم ، وهم علماء اللسان والعقل غير المجرد عن الهوى والشهوات وهم على خطر ما لم يجوزوا هذه المرحلة

غير المعصوم وبعضها لا يستوجب العمل ولا يصون صاحبه من التورط في الزلل .

وهذه المراتب ترجع في مجملها إلى ثلاث لا رابع لها لأن كل ما تفرق من الجزئيات مندمج تحت كلياتها ، وإليك بيانها على التدرج من الضعيف إلى القوى بحسب تدرجها في الوجود .

المرتبة الأولى مرتبة العلم التقليدي الذي لم ترتفع همه أصحابه إلى تعرف أسسه وأدله ، لأن لديهم ما يشغلهم من تكاليف الحياة ومطالب العيش وغير ذلك ، وهؤلاء يعملون بالعلم بمقتضى الحمل التكميلي والحسب الديني بالترغيب تارة والترهيب أخرى .

وهذه المرتبة والدرجة مطردة في العامة الذين يأخذون من العلماء أو بالوراثة عن الآباء وفي طلبة العلم الديني الذين لم يطل أمدهم فيتوسعوا إلى درجة البحث والنظر وتنبع المسائل بالاجتهاد وربما خبط بعضهم أو خلط لقلة إحاطتهم وعدم درايتهم وقد يضلون أو يضللون . على أن بعضهم قد تقوى فطرته فيكون أكثر انبعاثاً للعمل

من العلماء الباحثين وتسلم عقيدته من تشكيكات البحث والجدل . وقد يفتح الله لبعض هؤلاء أبواباً من الفقه في الدين ثمرة لتقوى الله والاشتغال بالرياضة والجهاد فربما

نفسه حتى يصون عليه ويصح وضعه ، وأن يقوم هواه حتى يكون العلم له وصفا ثابتا ، وأن يطهر قلبه حتى يستقر فيه العلم فلا يجد الشيطان سبيلا إلى إضلاله وإفساده وإلا كان من الخاسرين الذين يقول الله سبحانه فيهم (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) الآية . « رأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره عشاوة فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون ، ونسأل الله العافيه .

وأما المرتبة الثالثة فهي مرتبة أولئك الراغبين الذين صار علم الدين وصفا ثابتا لهم بعوامل اقتضت ذلك كحسن الاستعداد وقوة التهيؤ وخلو القلب من الأمراض المفسدة كالخسد والحقد والنفاق وحب الدنيا وإيثارها مع مقاومة الهوى ، وإخضاعه للحق وهم الذين وقعت الإشارة إليهم في القسم الأول من الحديث الصحيح « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم . . » منهم الصنف الذي نفعه الله بما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من ذلك والمشتبهون بالبقعة النقية التي قبلت الماء فأنبئت العشب والكلاء وهذا هو العلم المعبر في الدين ، والممدوح على ألسنة النبيين والموصوف أصحابه بأن الله يرفعهم درجات وبأنهم شهداء لله على الوحداينة

إلى مرحلة الرسوخ في العلم وهم إذا زاولوا العمل بالعلم كانوا أقوى من أصحاب المرتبة الأولى وأكثر في الحيلة انبعاثا إلى العمل لأنهم تجاوزوا مرحلتهم إلى تعقل العلم بدليله الذي يحمل على العمل ، وصارت المفاهيم معقولة المعاني عندهم فلا جرم تحملهم الأدلة التي عقلوها على العمل ، وتحول بينهم وبين المخالفة فإن المخالفة بين العلم والعمل في حقيقة تكذيب خفي إلا أنهم قد تغلبهم الأوصاف الأصلية الراسخة في الإنسان كالهوى والشهوة والأصيل أقوى من المكتسب ولا بد لهم من أسر زائد يساعد الوصف المكتسب كحكم التقاليد واللباقات والفرار من التبعات والمسئوليات ، على أن هذه في الحقيقة ليست أوضاع العلماء الذين كرمهم الله ورضى عنهم . فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه ومن هنا كان الخطر على هؤلاء ؛ فهم الصنف الذين لا يلزم فيهم العمل بالعلم والذين وردت فيهم أخبار التشنيع والذم كقوله صلى الله عليه وسلم « ويل لجماع القول ويل للصرين ، ومنهم الأئمة المضللون الذين يقولون ما لا يفعلون فتندلق أقتابهم (أمعاؤهم) في جهنم ويشبههم في ذلك أصحاب العلم التقليدي فإن كل ما عليه المرء من شئون الدين فهو حجة عليه حتى يعمل به . وجدير بهذا الصنف أن يجاهد

ولكون العلم وصفاً ثابتاً لهم . استطاع أن يقاوم الهوى والشهوات فيتعلم عليها ويكون الظفر للحق والانتصار للعلم مصداقاً لقول الله سبحانه « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

ولكون العلم وصفاً ثابتاً لهم مسيطراً على جميع مظاهرهم استطاعوا أن يكونوا خير أمة للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصبرون على ما أصابهم في الله فلا يخافون فيه لومة لائم . وما أكثر ما تنكرت الدنيا لكثير منهم واضطهدهم البغي محاولة لصرف الواحد منهم عن موافقه الكريمة لله فياً في إثباتاً على الحق وانتصاراً له « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

وحقاً إن أصحاب هذه المرتبة هم الذين لا يخالف قولهم فعلهم ولا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم .

إلا أن هناك ناحية ينبغى الالتفات إليها في هذا الوضع وهي أنه لا عصمة لغير الأنبياء من هؤلاء العلماء ، وإن الزلة قد تقع منهم كما تقع من غيرهم ولكن هناك فارقة كبيرة بين هؤلاء وغيرهم إذا ارتكبوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم

مع الملائكة في (شهد الله أنه لا إله إلا هو) الآيه كما أنهم الموصوفون بأنهم هم الذين يخشون الله في قوله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء . » وبأنهم لا يستوون مع غيرهم من الآخرين في قوله : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . » .

وهذا هو العلم النافع المستقر في القلوب والذي لم يقف عند حد العقل والنظر كما ميز النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين ما سواه بقوله العلم علان : علم على اللسان فذلك حجة الله على عباده ، وعلم في القلب فذلك العلم النافع فالذي على اللسان هو الذي ذكر في المرتبتين المذكورتين من قبل (العلم التقليدي ، العلم النظري) ما لم يرتفع واحد منها إلى المرتبة الثالثة .

حقاً إن أصحاب هذه المرتبة هم العلماء حقاً والعقلاء الحسكاء الذين قدروا الدنيا قدرها ووضعوها في وضعها فلا يميل بهم الهوى ولا يستهويهم الشيطان إلى ما دون المباح منها بل إنهم ليركعون أبواباً من الحلال خشية الوقوع في الحرام حفاظاً على حق الله وإشفافاً من مواجهة الحى ألا وإن حمى الله محارمه ، وهم الذين حققوا إخلافة الله وعصمهم العلم عن العبث بشيء من حقوق الله أو حقوق عباده .

إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب
إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .
الآيات قبلها وبعدها .

ومثل هذا الوجه لا يعترض أصل المسألة
فهو معنى جاء في كل الأوصاف الجبلية فقد لا
تبصر العين وقد لا تسمع الاذن لعروض
ما يمنع ذلك كفسكر أو غفلة أو نحوهما
ولا يقتضى ذلك أن يكون صاحب الحرمان
وقت غفلته أو فكره غير مجبول على السمع
أو الإبصار فكذلك العالم الراسخ المتصف
بالعلم وصفا ثابتا كما بينا ، فأما المعتاد للذنوب
الواقع فيه الذى لا يبالي به فلا يمكن أن
يكون من أهل هذه الرتبة .

هذا هو ما أمكن لى به الفصل بين تلك
المراتب والتوفيق بين ذلك التضارب ،
وأسأل الله سبحانه أن يجعلنى وإخوانى
وأساتذتى وأبنائى فى مراتب العلماء الراسخين
الذين هم خير وسلام وبركات على الأرض
وهم إشراف ورضوان فى السماء . وأولئك
عند الله هم الفائزون . ٢٠

محمود النواوى

فإن غيرهم تقع منه المعصية مع الإصرار
ويرتكب الذنب مستهيناً بأمره . ويعمل
السوء ثم لا يعود إلى ربه ، فهم الذين ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون، وظلوا فى طغيانهم
يعمهمون ؛ كأنهم لا يرجون رحمة الله ولا
يخافون عذابه ؛ ولهذا فإن طاعتهم إذا عملوها
صورية من قلب مريض أو هتته سيئاته
أو أوبقته متابعة المظالم واستمراء الشهوات .
فأما هؤلاء العلماء العاملون فإن المعصية تقع
من أحدهم - إذا وقعت - فلتة لا يسلم منها
إلا المعصوم . وغفلة هى من لوازم البشر
وفى هذه اللحظة التى يقارف فيها قد يكون
غير عالم وينطبق عليه أنه عمل السوء بجهالة
ثم يعود إليه العلم وتدركه اليقظة . وقد وصف
الله سبحانه هؤلاء بالتقوى لأنهم من التوابين
الذين يغسلون قلوبهم فلا يجعلونها مأوى
للشياطين إذ يقول سبحانه : « إن الذين اتقوا
إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا
هم مبصرون » .

ولما ذكر أوصاف المتقين لم يقل لأنهم
معصومون لا يقارفون، ولكن ذكر سبحانه
أنهم يذكرون الله على إثر الذنب فيستغفرون
ثم لا يصرون ، إذ يقول جل شأنه : « والذين

الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

ضريبة العبد وهي غلته ، وفي حديث الحجام : كم ضريبتك ؟ . الضريبة ما يؤدي العبد إلى سيده . من الخراج المقرر عليه ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة ، وتجمع على ضرائب ، ومنه حديث الإمام اللأثي كان عليهن لمواليهن ضرائب . يقال : كم ضريبة عبدك في كل شهر ؟ والضرائب ضرائب الأرضين ، وهي وظائف الخراج عليها ، (١) .

وفي كلمة « الضريبة » من الناحية اللغوية معنى الإلزام وعدم الفكك ، ولذلك تقول المعجمات : أضرب فلان في بيته — وما زال مضرباً فيه — إذا لم يبرح . وضرب فلان على الكرم ، أى طبع عليه فصار ملازماً له ، وأضرب فلان جأشاً لأمر كذا ، إذا وطن عليه نفسه . وضرب فلان الود في مكان كذا : أقام فيه (٢) ، وهذا كله فيه معنى اللزوم والالتزام ، وهو معنى ملحوظ في الضريبة المالية ؛ لأنها تلزم صاحبها فلا نبرأ ذمته إلا بأدائها .

والضرب هو إيقاع شيء على شيء ، وهذا

أصبحت الضرائب تحتل مركزاً جليلاً خطيراً في النظام الاقتصادي المعاصر ، ولا تستطيع أمة اليوم أن تدير شئونها ، وتنفذ مشروعاتها ، وتضمن المستوى اللائق من المعيشة لأفرادها ، دون ضرائب تفرضها وتجبها وتنفق منها ، ولذلك كان من حقنا — إن لم يكن من واجبنا — أن نعرف شأن هذه الضرائب في نظر الإسلام ، انتبين حكم العقيدة التي ندين الله عليها في هذا النظام الاقتصادي الذي يتغلغل بطرقه المباشرة وغير المباشرة في أعماق الأوضاع المادية للأفراد والجماعات .

ولو رجعنا إلى كتب اللغة لوجدناها تحدثنا بأن السجية والطبيعة يقال لها ضريبة ، كأن الإنسان قد ضرب عليها ضرباً ، وصيغ صياغة ، والضريبة ما يضرب على الإنسان من جزية وغيرها (١) .

وفي « القاموس » أن الضريبة واحدة الضرائب التي تؤخذ في الجزية ونحوها ، وغلة العبد ؛ وجاء في « لسان العرب » هذا النص : « الضريبة واحدة الضرائب التي تؤخذ في الأرصاد والجزية ونحوها ، ومنه

(١) لسان العرب ، ج ٥ ص ٥٥٠ طبعة بيروت .

(٢) أساس البلاغة ، ج ٢ ص ٤٥ .

(١) معجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ص ٣٩٨ .

على الأفراد ؟ وقد يقول قائل : إنه لا محل لهذا السؤال ولا موجب له لأنه ما دام المال المأخوذ سيرد على أصحابه في صورة خدمات ومنافع فالعقل السليم لا يمنع ذلك .

ولكننا نطرح هذا السؤال لأن هناك من يقول : إن الإسلام لا يبيح فرض ضريبة ، لأن فيه نظم الزكاة والجزية والحراج . ونحب أن نجعل الجواب صادراً عن رجل معروف بثشدده في الأمور الدينية ، وهو الباحث الإسلامي الباكستاني أبو الأعلى المودودي ، فقد سئل نحوه من هذا السؤال السابق ، فقبل له :

« ما هي وسائل الدخل للحكومة الإسلامية والمعروف عامة أن لا ضريبة في الإسلام إلا الزكاة والجزية والحراج ، فإن صح ذلك فكيف لحكومة من حكومات هذا الزمان أن تستوفي نفقاتها ضمن الحدود الإسلامية ؟ وأجاب الباحث على هذا السؤال بقوله : « من الخطأ القول : إنه لا يجوز في الإسلام أن تفرض ضريبة لسد نفقات الحكومة ، وكذلك لا يصح أن يقال إن الزكاة هي ضريبة توضع على الناس لتسديدها نفقات الحكومة ، إنما الزكاة هي مال من أموال التأمين الاجتماعي يؤخذ من الأغنياء ليرد إلى من يستحقه من الفقراء .

أما حاجات الحكومة فما هي إلا حاجات

معنى ملحوظ أيضا في الضريبة ، إذ كأننا أوقفنا الضريبة على رقبة المطالب بها ^(١) . وفي مادة « الضريبة » معنى تبادل النفع والتعاون ، ومن هنا جاءت « المضاربة » ، وهي أن تعطى إنساناً من مالك ما يتجر فيه ، على أن يكون الربح بينكما ، أو يكون له سهم معلوم من الربح ، وكأنه مأخوذ من الضرب في الأرض لطلب الرزق ، قال الله تعالى : « وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله » ، ^(٢) .

وفي حديث الزهري : لا تصلح مضاربة من طعمته حرام . قال : المضاربة أن تعطى مالا لغيرك يتجر فيه ، فيكون له سهم معلوم من الربح ، وهي مفاعلة من الضرب في الأرض والسير فيها للتجارة ^(٣) .

وهذا المعنى - وهو تبادل النفع والتعاون - ملحوظ في الضريبة المادية ، بل هو عمادها وأساسها عند استقامة الأمور واعتدال الأوضاع ؛ لأن الضريبة تجبي من جهة ، لئرداها إلى دافعيها منافع وخدمات مباشرة أو غير مباشرة من جهة أخرى .

وما دنا نفهم معنى الضريبة على هذا النحو ، فهل يحيز الإسلام فرض الضرائب

(١) مفردات القرآن ، ص ٢٩٦ .

(٢) لسان العرب ، ج ١ ص ٥٤٤ .

(٣) لسان العرب ، ج ١ ص ٤٥٠ .

تلك الثروات ، لتحقيق التكافل الاجتماعى وغيره بما تحتاجه الدولة » (١) .

والضرائب إنما تفرض عند الحاجة إليها ، وهى تزيد إذا زادت هذه الحاجة ، وتقل إذا قلت الحاجة ، وقد تقبل على الأمة حالات طوارئ تحتاج فيها إلى مضاعفة الضرائب أو الزيادة فيها ، وهذا حين يتم لوجود مقتضيه ، وحين يجمع بيدولى الأمر الشرعى ، وحين ينفق فى الوجوه المشروعة اللازمة التى اقتضته يكون عملا مشروعا لا غبار عليه ، وقد يكون واجبا وليس جائزا فقط .

ولذلك ذكر القرطبي أنه إذا أصابت المسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها ، وقال الإمام مالك : يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم ، وهذا إجماع (٢) .

وقال الشاطبي : « إننا إذا قررنا إماما مطاعا مفتقرا إلى تكثير الجنود لسد حاجة الثغور ، وحماية الملك المتسع الأقطار ، وخلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند إلى ما لا يكفيهم ، فللإمام إذا كان عدلا أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم (أى للجنود) فى الحال ، إلى أن يظهر مال بيت المال ، ثم إليه النظر فى توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك .

الجمهور أنفسهم ، فكل ما يطالبون به الحكومة من واجبه أن يكتتبوا لها من الأموال ما تحقق به مطالبهم ؛ فكما أنه يكتتب بالمال لمختلف الشئون الاجتماعية ، فكذلك يجب على الناس أن يكتتبوا بالمال ويمكنوا الحكومة من القيام بكل ما هم فى حاجة إليه ، وما الضريبة فى الواقع إلا مال يكتتبه الناس لمصالحهم .

أما الضرائب التى قد ذمت دما شديدا فى كتبنا الفقهية القديمة فما كانت من نوع ضرائب اليوم ، وبينهما فرق أساسى مهم ، فما كانت الضريبة فى ذلك الزمان بمثابة مال الاكتتاب يجمعه الناس لمصلحة أنفسهم ، وإنما كانت مال الغرامة تأخذه الحكومات الملكية من الناس وتصرفه على حسب مرضاة الملوك ، وما كان على هذه الحكومات الملكية شئ من التبعة إذا لم تتفق هذا المال على الجمهور ، ولمصلحة الناس أنفسهم ، ولا كانت مسئولة عنه أمام أحد ، ومن أجل ذلك قد شدد الإسلام فى تحريم هذه الضرائب ، أما الآن وقد تغيرت حقيقة الضريبة ، فقد تغير حكمها أيضا . (٣)

وهذا باحث آخر هو الدكتور مصطفى السباعى يقول : « ومع احترام الإسلام للملكية الشخصية ، فقد جعل فى الثروات الخاصة حقوقا للشعب تأخذها الدولة من

(١) اشترأكية الإسلام ، ص ١٣٦ الطبعة الثانية .

(٢) تفسير القرطبي ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٣) كتاب نحو الدستور الإسلامى ، ص ١١٠

العسكر ، وخيف من ذلك دخول العدو بلاد الإسلام ، أو ثوران الفتنة من قبل أهل الشر جاز للإمام أن يوظف (أى يفرض) على الأغنياء مقدار كفاية الجند ، لأننا نعلم أنه إذا تعارض شران أو ضرران قصد الشارع دفع أشد الضررين وأعظم الشرين ، وما يؤديه كل واحد منهم (أى من الأغنياء) قليل بالإضافة إلى ما يخاطر به من نفسه وماله لو خلت خطة الإسلام (أى بلاد الإسلام) من ذى شوكة (قوة) يحفظ نظام الأمور ، ويقطع مادة الشرور ، (١) .

ثم نسأل سؤالا آخر فنقول : هل يصح إطلاق كلمة « الضريبة » على الحقوق الشرعية المحددة اللازمة في المال شرعا ؟ وبعبارة أخرى نقول : هل يمكن مثلا أن نسمى الزكاة ضريبة ؟ .

ولا شك أن إطلاق كلمة « الزكاة » على مسماها هو الأصل وهو الأفضل ، ولكن هل يجوز هذا الإطلاق الآخر في مجال النقاش والتوضيح والمقارنة بين ما تلقيناه من تراث فقهي وما استحدثه الناس من أوضاع ونظم اقتصادية ؟ ...

إذا نظرنا إلى معنى الضريبة العام - لا إلى معناها العرفي - فتذكرنا أن هذا المعنى العام يتضمن الإلزام بحق يؤدي إلى جهة مختصة ، استطعنا ولو بشيء من التجوز أو الجاز أن نسمى الزكاة ضريبة إلهية دينية ، لأنها حق

ولنما لم ينقل مثل هذا عن الأولين لاتساع بيت المال في زمانهم ، بخلاف زماننا ، فإن القضية فيه أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر ، فإنه لو لم يفعل الإمام ذلك بطلت شوكة الإمام ، وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار ، ولنما نظام ذلك كله شوكة الإمام ، فالذين يحذرون من الدواهي لو ننتطع عنهم الشوكة يستحقرون بالإضافة إليها أموالهم كلها ، فضلا عن اليسير منها ، فإذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق بهم يأخذ البعض من أموالهم ، فلا يتبارى في ترجيح الثاني عن الأول ؛ وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر من الشواهد ، (١) .

ويلزمنا أن نلاحظ هنا أن المستند القوى الذى يستند إليه تشريع الضرائب هو المصلحة العامة التى يعطيها الإسلام أهمية كبرى ، حتى يقول الشاطبي في شأنها : « إنا وجدنا الشارع قاصداً لمصالح العباد ، والأحكام العادية تدور معه حيث دار ، فترى الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة ، فإذا كان فيه مصلحة جاز » ، (٢) .

ولذلك يقول الغزالي عن الجنود : « إذا خلت الأيدي من الأموال ، ولم يكن من مال المصالح (مال بيت المال) ما يفي بمخرجات

(١) الاعتصام ج ٢ ص ١٠٤ .

(٢) الموافقات ج ٣ ص ٣٠٦ .

(١) المستصفى ج ١ ص ٣٠٣ .

للسال وهو النقد ، بل يراد بالمال هنا كل متقوم فيه معنى التنمية والكسب والربح . وإذا اتفقنا على أن الحقوق المالية المحددة شرعا الواجبة في الأموال يمكن إطلاق اسم « الضرائب » عليها ، أمكننا بعد ذلك أن نستعرض هذه الحقوق ، فنجد أنها هي :

الزكاة : وهي نصيب معلوم يؤخذ من الأغنياء ليرد على الفقراء : « والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . وخمس الغنائم ، وهي كل مال وصل إلى المسلمين من أعدائهم المحاربين لهم ، ويكون وصوله بطريق القهر والغلبة . والجزية ، أي ضريبة الرؤوس ، وهي مقدار مالي يعطيه الرجل القادر غير المسلم للدولة المسلمة في مقابل الحماية وتحقيق الأمن . والخراج ، وهو ضريبة موضوعة على رقة الأرض المفتوحة . والعشور ، وهي مقدار مفروض على أموال التجارة المتقلة التي تدخل بلاد الإسلام أو تخرج منها ، وهذه العشور أشبه الأشياء بالضرائب الجمركية المعروفة الآن .

هذه خمسة أنواع من الحقوق الشرعية اللازمة المتعلقة بالمال ، وفي كل نوع منها أكثر من مظهر لحكمة التشريع ، وعدالة التوزيع ، وروعة الإصلاح ، ومن مجموعها يتكون نظام ضرائبي إسلامي محكم ، تتحقق به روح التضامن والتكافل بين أبناء الإسلام ؟ « للبحث صلة »

أحمد الترابي

شرعي لازم ثابت يطالب الإنسان بأدائه لحكمة ومصلحة أرادهما الشارع .

ومثل هذا أو قريب منه يمكن أن يقال في بقية الحقوق اللازمة شرعا في الأموال ، وستحدث عنها .

وحينما نتحدث عن الضرائب بصفة عامة تكون أمامنا نقط رئيسية في البحث ، هي أولا : أوعية الضريبة ، ويراد بالأوعية هنا المصادر التي تؤخذ منها الضريبة ، أو المنابع التي تنبع منها ، ثانيا : أغراض الضريبة ، وهي الأهداف التي نريد تحقيقها ، وهذه تشمل المصارف التي تصرف فيها الضريبة وثالثا : مبادئ الضريبة ويراد بها القواعد والأصول التي تستند إليها وتعتمد عليها في التسويغ والتشريع ، ورابعا : ضمانات الضريبة ، ويراد بها الحوافظ التي تحيط بها لتجعلها مصلحة غير ضارة ، ولتحقق الغاية التي تنشذ منها . ومن الممكن لنا أن نتعرف إلى هذه النقط الأساسية المتعلقة بالضرائب في ضوء الإسلام .

أما وعاء الضريبة في الإسلام - ونقصد به المحل الذي تتعلق به الضريبة فهو « الأموال » غالبا ، ونلاحظ في هذا الوعاء صفة العموم والشمول ، لأنه يشمل الأرض والحصاد والتجارة والماشية والذهب والفضة ، ويشمل بالقياس العمارات والمصانع الإنتاجية ، فلا يقتصر وعاء الضريبة هنا على المعنى المألوف

الإسلام في زنجبار

للأستاذ عطية صقر

في المحيط الهندي وعلى بعد نحو ٢٠ ميلا من الساحل الإفريقي ، وبين خطي العرض ٦ جنوبا والطول ٣٩ شرقا ، تقع جزيرة زنجبار التي تعتبر الثانية في المحيط الهندي بعد جزيرة مدغشقر .

وتبلغ مساحتها نحو ٦٤٠ ميلا مربعا ، وتقعها جزيرة « بمبا » التي تبلغ مساحتها ٣٨٠ ميلا مربعا ، كما يتبعها شريط على ساحل كينيا يمتد نحو ٥٢ ميلا طولا و ١٠ أميال عرضا ، بما في ذلك جزيرة « بمباسا » أو الجزيرة الخضراء .

يبلغ سكان زنجبار نحو مليون وربع على أقصى تقدير وجدناه في عدة مصادر ، وذلك مراعى فيه مجموعة الجزر والساحل الإفريقي . والسكان الأصليون خليط من القبائل أهمها : واهاديمو ، وأتومباتو . وإيمسا . وهي تنحدر من قبائل البانتو التي تعيش على سواحل إفريقيا الشرقية وبلادها الداخلية . وإلى جانب هؤلاء يوجد نحو ٤٠ ألف عربي وهم السواحليون الذين هاجروا إلى إفريقيا من جنوب الجزيرة العربية ، وعاشوا على السواحل وأصبحت لهم لغتهم الخاصة ،

كما يوجد بعض الإيرانيين وأكثرهم من شيراز . وكذلك يعيش هناك بعض الهنود والأوربيين

وعاصمة الدولة هي مدينة زنجبار ، التي وضع أساسها البرتغاليون في القرن السادس عشر ببناء كنيسة ذات أهداف سياسية كما هي عادة المستعمرين الذين يستغلون رجال الدين في التمهيد لما ربههم الاستعمارية . ويسكن هذه المدينة نحو ٣٠ ألفا ، وهي ميناء دائم الحركة بالتجارة مع المسوانى الإفريقية والآسيوية ، حيث تروج تجارة القرنفل والبن والأناناس والقطن والعاج وغيرها .

عرف العرب هذه الجزيرة كما عرفوا غيرها من مدن إفريقيا وبلادها منذ ألف سنة وهاجر إليها كثيرون أيام التنازع على الخلافة في القرن العاشر الميلادي . ولم يعرفها الغربيون إلا عندما مر عليها « فاسكودي جاما » الرحالة البرتغالي المعروف عند عودته من الهند سنة ١٤٩٩ م . ووقعت تحت حكم البرتغال سنة ١٥٠٣ م . وبعد ٢٠٠ سنة دخلها جيش من العرب من قبل سلطان عمان ومسقط ، فطرد البرتغاليين ، وأصبحت

الإسلام هو الدين السائد في الدولة ويتبعه ٩٠٪ من السكان ، وهم طوائف ، فمنهم أهل السنة ، ومنهم الشيعة الإسماعيليون والإماميون والداوديون ، ومنهم الأباضية وهم فرقة من الخوارج جلبوا معهم هذا المذهب من موطن هجرتهم في عمان ومسقط . والسنينيون من المسلمين يتعبدون على مذهب الإمام الشافعي ، وهناك بعض من الأصفاف ، وفي كل من زنجبار وبمبا محكمة شرعية ، لكل منهما قاضيان ، أحدهما سني والآخر أباضي ، ومن المؤسف أن حكمهما ليس نهائيا إلا إذا رضيه طرفا الخصومة ، وإلا فإن لها أو لأحدهما أن يرفع قضيته إلى رئيس القضاء الانجليزى ، وله وحده حق النقض والإبرام . ويقول المراقبون للأمور هناك : يبدو أن الحكومة ترمى إلى التخلص من القضاء الشرعى في زنجبار كما تخلصت منه في بمباسا وكنيا ودار السلام وأوغنده ، أما الطوائف الأخرى فترجع في قضاياها إلى شيوخها .

والمساجد هناك كثيرة ، ولكل طائفة من الطوائف مساجدها الخاصة بها ، وجمعياتها التي ترعى شؤونها ، ويلاحظ أن الجمعيات الشيعية تهتم بذكرى أئمتها خصوصا ذكرى الإمام الحسين على الصورة المعهودة في هذا الاحتفال ، والملاحظ أيضا أن الجمعيات

قسما من سلطنة عمان ومسقط ، ولما تولى الحكم سعيد بن سلطان سنة ١٨٠٤ م نقل البلاط من مسقط إلى زنجبار سنة ١٨٣٢ م ، وتم انفصالها عن سلطنة عمان . وبعد وفاة السلطان سعيد سنة ١٨٥٦ م انقسمت السلطة إلى قسمين ، وأصبح القسم الإفريقي محمية بريطانية سنة ١٨٩٠ م . وآخر خليفة حكم البلاد هو السيد / خليفة بن حاروب من سنة ١٩١١ م حين توفى في أكتوبر سنة ١٩٦٠ وخلفه على الحكم الأمير عبد الله الذى يزيد عمره الآن على الخمسين . وبعد وضع البلاد تحت الوصاية البريطانية أجرى السلطان سنة ١٨٩٥ المنطقة الساحلية في إفريقيا إلى حكومة كينيا نظير إيجار اسمي قدره ١١ ألف جنيه سنويا

السلطان في زنجبار يلقب برئيس الدولة ، والمقيم البريطانى يلقب برئيس الحكومة ، التي تتكون من مجلسين ، تشريعى وتنفيذى ، ورئيس المجلس التشريعى هو المقيم البريطانى ، أما المجلس التنفيذى فيرأسه السلطان وينوب عنه المقيم البريطانى ، وأعضاء المجلس كلهم من الانجليز بحكم وظائفهم الرسمية ، أما المجلس التشريعى فكان عدد أعضائه ١٧ في سنة ١٩٥٧ منهم ٩ انجليز بحكم وظائفهم الرسمية ، والباقيون يعينهم السلطان بمشاوره المقيم .

والدراسة في المدارس الابتدائية مدتها ست سنوات وهي باللغة السواحلية ، أما التعليم في المدارس الثانوية فهو بالانجليزية وليس هناك تعليم عال ، وأغلب الراغبين فيه يلحقون بكلية ما كيرى فى أوغندة - أو إحدى جامعات لندن .

وتعليم الدين لا يتبع طريقة منهجية يرجى منها الخير ، فهو لا يعدو سرد أحكام الإسلام وقراءة بعض سور القرآن فى المصحف مرة كل أسبوع . وذلك كله فى المراحل الابتدائية أما المرحلة الثانوية فلا يدرس الدين فيها مطلقا ولا تلقى دروس فى المساجد إلا فى رمضان ويقوم بها دجالون مستجدون ، ومؤهلات العالم عندهم إجادته لقراءة مولد النبى الذى ألفه « البرزنجى » وخطبة الجمعة من ديوان ابن نباته ، ومولد البرزنجى مقدس عند الجميع ويشيدون به كالقرآن .

والمعهد الدينى هناك مدة الدراسة فيه خمس سنوات تؤهل لنيل الشهادة الثانوية ثم يسافر الطالب بعدها ليكمل دراسته فى معاهد الجمهورية العربية ، والمعهد لا يتلقى إعانات خارجية من الدول الإسلامية أو العربية ، فكل نفقاته على الحكومة .

واللغة الشائعة فى البلاد هى السواحلية ، وهى تكتب بحروف لاتينية وبحروف عربية ، وبعض العرب يتكلم العربية ولكن

العربية دائماً منقسمة ويكيد بعضها لبعض ، ولا تضم بين أعضائها أحداً من الإفريقيين ، ذلك فى الوقت الذى نرى فيه تكاتف الجمعيات الأخرى ، وقد أثر تفرق العرب على المساجد فأغلق أكثرها لعدم وجود المصلين والمهتمين بعبادتها .

ومن الصحف العربية هناك جريدة « الفلق » ، التى يشرف عليها الحزب الوطنى ، وله أيضا نشرة تسمى « الطليعة » لخدمة أغراضه ، وهى تصدر بالانجليزية والسواحلية مرتين فى كل شهر وتوزع بالجمان وتتحدث باسم سياسة الشعب التحررية .

وكان فى البلاد سنة ١٩٥٦ نحو ٢٢ مدرسة ابتدائية حكومية يتعلم فيها نحو ٢٦١٤ تلميذا ، وفى جزيرة « بمبا » ١٢ مدرسة بها نحو ١٥٥٠ تلميذا ، وهناك أربع مدارس للبنات فى زنجبار واثنان فى بمبا ، بها ١٠٣٩ تلميذة ، و توجد ثلاث مدارس ثانوية منها اثنان للبنين يدرس بها ٦١٠ من التلاميذ ، إحداهما فى مستوى التعليم فى الجمهورية العربية المتحدة ، وتوجد مدرسة للبنات بها ١٢٥ فتاة ، كما يوجد معبدان : أحدهما لإعداد المعلمين وبه ٤٥ طالبا والثانى لإعداد المعلمات وبه ١٤ طالبة ، كما توجد مدارس طائفية ابتدائية ، ومكاتب لتحفيظ القرآن الكريم ، وكل طائفة لها مدارسها التى تقوم هى بإدارتها والإنفاق عليها ، أما مدارس العرب والإفريقيين فنفقاتها على الحكومة .

وعلوم الدين واللغة ، ولكن المستعمر يحارب ذلك بكل قوته . وعندما زار الدكتور محمود حب الله هذه البلاد سنة ١٩٤٧ طالب زعماء الجمعية العربية الحكومة بإنشاء معهد للدين واللغة ليمد البلد برجال القضاء والفتوى والتدريس ، فشرعت الخلافة في إصلاح بيت قديم ليكون مقراً للمعهد ، وأنشأ المعهد مدرسة لإعداديه تهيء له الطلبة ، ولكن المعهد ودور التعاليم عامة في أشد الحاجة إلى المدرسين الأكفاء والكتب الدراسية ، والمشاهد أن نصف طلاب المعهد يدينون بالمذهب الأباضي ، ولكن ليس هناك من يحسن دراسة الفقه لهم .

وفي زنجبار مؤسستان للتبشير تعلنان الطبقة الراقية بالمصاريف وتعلنان الفقراء مجاناً ، وتشجعهما الحكومة على مواصلة رسالتهما . ومعظم الأهالي يشتغلون بالزراعة ، وأهم محصول عندهم هو القرنفل الذي يصدر منه ٧٠٪ من محصول العالم كله . والتجارة هناك تكاد تكون محتكرة للهنود والشيعة الإسماعيليين ، الذين هم أغنى الطوائف وأعظمها جاهاً ونشاطاً .

والطائفية تلعب دوراً هاماً في تفريق الصفوف ، وهي سياسة الاستعمار التي يعيش في ظلها ، والتي وضع مخططها « ديزرائيلي » القائل : إن بريطانيا لا تستطيع أن يكون

في نطاق ضيق ، وهم يحاولون تعلم اللغة العربية ، ولكن تنقصهم الكفايات من المعلمين العرب ، فستوى العربية هابط جداً بالرغم من أنها تدرس بالمدارس ، إلا أن حظها من الحصص قليل ، فلها حصتان وثلاثة في السنتين الخامسة والسادسة الابتدائيتين ، وتدرس في المدارس الثانوية اختيارياً وطلابها نحو ١٠ فقط .

وإلى جانب نقص الكفاية العلمية تنقصهم الكتب والمراجع ، والانجليز يحاربون المدرسين الوافدين من البلاد العربية ومن « مصر » على الخصوص . ولهذا أنشأ الحزب الوطني مدارس خاصة به تركز اهتمامها على اللغة العربية . وقد جاهد الحزب حتى قررت الحكومة إنشاء مدرسة تسمى « المدرسة العربية » لهذا الغرض حتى تحل اللغة العربية محل اللغة السواحيلية . ولضعف اللغة العربية يقرأ المسلمون هناك القرآن ولا يفهمون معناه ، والنساء يحرصن على قراءة بعضه عقب القيام من النوم .

وقد حرص سلاطين عمان أثناء حكمهم لزنجبار على تعليم اللغة العربية والدين وجلبوا من أجل ذلك مدرسين من عمان وحضر موت وجزائر القمر وغيرها . وكان لذلك أثره إلى حد ما في حفظ اللغة وحفظ الدين ، ووجدت المؤلفات في المكتبة العربية في الفقه الأباضي

أوغندة للتعليم الزراعى ، وبعد عودته مهندسا ترك العمل وتفرغ للسياسة ، وعين سنة ١٩٥١ ممثلا للعرب فى المجلس التشريعى ، وألف الحزب الوطنى سنة ١٩٥٦ ، والانجليز يخشون نفوذ هذه الشخصية ، وقد حاولوا دون حضوره المؤتمر الآسيوى الإفريقى فى القاهرة . ومن الشخصيات البارزة فى ميدان الأدب كاتب القصة الشيخ محمد بن على بن خميس ، والشاعر الشيخ برهان بن محمد م كلا ، ومن الكتّاب أيضا الشيخ عبد الله صالح ، والسيد أحمد ناصر السكلى الذى تعلم بمصر وسجن فيها سنتين ، ومن النساء المجاهدات : عالية محسن أخت الزعيم على محسن .

وفى سنة ١٩٥١ أرسل الأزهر مبعوثا إلى زنجبار قام بنشاط ملحوظ فى ميدان التعليم الدينى ونشر الدعوة الإسلامية الصحيحة ، وفى عهده نشط المعهد الدينى الذى ما يزال أثرا بارزا يرفع صوت الأزهر والجمهورية العربية هناك ، ويوجد بمعهد البعوث فى الأزهر طلاب من زنجبار تبلغ عدتهم ١٦ كما هو وارد فى إحصاء ١٩٦٢/٦١ ، كما توجد بعثات من الفتيات جئن لتعلم اللغة العربية والعلوم الحديثة فى الجمهورية العربية ، حضر منهن ١٧ سنة ١٩٥٨ ، وقد طلب الحاج زكى بليما عمرو القمري رئيس الجالية القمرية

لها أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون ، بل لها فقط مصالح دائمة .

والناس هناك يحرصون على الزواج من الأقارب ، ويندرفيهم من يتزوج غير قريبته ، وتعدد الزوجات منتشرة بين العرب وبين الوطنيين بصفة خاصة ، كما توجد تقاليد عند الزواج لا يقرها الدين كالعادات المنتشرة فى البيئات الإسلامية . وهم لا يعرفون شم النسيم ولكنهم يحتفلون بيوم « عيد النيروز » فى بقعة خاصة جنوبى الجزيرة ، معظم سكانها من الشيعة الإيرانيين المستوطنين هناك ، وهم يظلون فى مرح طول اليوم الذى يسمونه يوم الحرية ، حيث يستمر الرقص واللهو حتى مطلع الفجر ، ثم يستعم الجميع فى البحر قبل طلوع الشمس ، والنساء هناك لا يزنن المقابر فى المناسبات كالعيد ، ولا يلبس السواد للحداد ، فلابسه عندهم بيضاء . والحجاب الشرعى ما زال متمسكا به بين المسلمين إلى حد كبير ، وإن كان التطور بدأ يأخذ مجراه فى هذه الناحية وبخاصة فى الأوساط المتعلمة . من الشخصيات البارزة فى الكفاح السياسى والوطنى السيد / على بن محسن البروانى زعيم الحزب الوطنى ، وقد ولد سنة ١٩١٦ وبعد إتمام دراسته الابتدائية والثانوية أراد والده أن يلحقه بالأزهر ، غير أن الحكومة أرسلته مع طالب آخر إلى كلية (ما كبرى) فى

بزنجبار ، من الأزهر مدرسين للشريعة واللغة العربية .

هذا والصبغة الانجليزية واضحة في البلد إلى حد كبير ، فالحاكم العام انجليزي ، والسكرتير للعام للحكومة انجليزي أيضا ، ونظام القضاء انجليزي ، والعملة هي الشلن الانجليزي المستند إلى لجنة شرق إفريقيا المالية الانجليزية ، وأحكام السلطان لا تكون نافذة إلا إذا وافق عليها المقيم الانجليزي ، وهذا النفوذ الانجليزي يلقي معارضة تتمثل في الحركات الثورية والتنظيمات السياسية التي تعمل للتخلص من هذا الحكم وإنهاء عقد إيجار الساحل الإفريقي ، ومن أقوى الأحزاب السياسية هناك الحزب الوطني وزعيمه السيد علي بن محسن البرواني ، وثلاث أعضاء إفريقيون ، ولكن المسيطر عليه عقول عربية ، وهذا الحزب هو حزب الأغلبية ، وإن كانت الصحافة البريطانية تصر على تسميته حزب الأقلية ، وهو أكثر الأحزاب تقدما ولا يعتمد على اللون والجنس كبقية الأحزاب بل يدعو إلى تحرير الفرد والعدالة الاجتماعية وتسكافو الفرص ، ويتميز عن غيره بأنه يؤمن بمبدأ الجهاد ، وله الآن ١٢ فرعا ، ١٢٠ مدرسة تضم ٨ آلاف طالب ، ١٢٠ مركزا اجتماعيا ، وله ١٠ مقاعد في البرلمان ويؤيد هذا الحزب حزب سياسي آخر يسمى

حزب شعوب بمبا ، وله ٣ مقاعد في البرلمان وتوجد اتحادات للعمال أقواها اتحاد عمال السفن والبحر ، وبريطانيا تضرب الحزب الوطني بهذه الاتحادات ، وفي اتحادات العمال ٩٩ ٪ من الإفريقيين ، وزعيمهم عبيد كروم ، وهو موال للانجليز ويحبذ بقاءهم وسيطرتهم على الساحل بحجة أن الأهالي لم ينضجوا بعد سياسيا أو دستوريا ، ويشاركه هذا الرأي الشريف شاطري رئيس الاتحاد العربي في ممباسا ، وهناك اتحاد إفريقيا الشيرازي وهو يحظى بعطف الانجليز .

والبلاد في أمس الحاجة إلى أساتذة أكفاء في اللغة والدين ، وإلى مبعوثين على درجة كافية من اللياقة والنفوذ المنظم ، لينفذوا الأهالي من التيار الاستعماري الجارف ، ويصروهم بواجبهم من الوحدة والعمل الخالص للصالح العامة ، ولوقاية المناطق المجاورة من السوم التي ينقشها المستعمرون هناك ، فقد اتخذوا من ممباسا والساحل وزنجبار نقطة تمركز لهم ، وهم يخشون الإشعاع العربي الذي ينبعث من النهضة النائرة في الجمهورية العربية المتحدة ، سواء في ذلك الإشعاع الوطني والثقافي والاجتماعي .

ولقد أفصحت الدبلي تلغراف عن مخاوف الانجليز من هذا الإشعاع حين كتبت معلقة على هزيمة الحزب الوطني في انتخاب سنة (البقية على الصفحة التالية)

من أعلام اليمن : طاووس بن كيسان للأستاذ يوسف القضاوي

اسمه طاووس بن كيسان ، وكنيته أبو عبد الرحمن .
ولد باليمن السعيد ونشأ به ، ونشر به علم الإسلام ، فلا غرو أن ينسب إليه ويعرف بـ « طاووس اليماني » ، ويسجل تاريخ الرجال أنه فقيه اليمن غير منازع .
أدرك نحو خمسين من الصحابة ، وتلقى عنهم ما وسعه من العلم والهدى الذي بعث

الله به رسوله ؛ فروى عن أبي هريرة وعائشة وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله ، وابن عمر ، وأكثر الرواية والصحبة لابن عباس ، وكان من أجل تلامذته وخاصة أصحابه .
وقال فيه : « إني لأظن طاووسا من أهل الجنة » ، وقال سفيان بن عيينه : قلت لعبد الله ابن أبي يزيد : مع من كنت تدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة .

(بقية المنشور على صفحة ٤٧٧)

١٩٥٧ تقول : إن انهزامه انهزام لمصر ، لأن سياسته تقوم على تقوية العلاقة معها .
وإذا كان السيد الرئيس جمال عبد الناصر قد قرر أنه لا يمكن لمصر أن تتخلى عن إفريقيا أو تنعزل عنها بحكم الصلات الكثيرة فالواجب علينا أن نتعقب الاستعمار في كل بقعة وطئتها قدمه في هذه القارة وغيرها وأن نلبي رغبات هذه الدول التي تتطلع إلى يوم الخلاص من نير الاستعمار ، خصوصا في الميدان الثقافي الذي توجه به الأفكار وترسم الخطوط الموصلة إلى الغاية .

ولما كانت اللغة العربية والدين الإسلامي هما العاملان القويان في التوجيه الثقافي ، وفي دعم صلاتنا بهذه البلاد فالأزهر بما يضطلع به من مهام جسيمة في هذا الميدان هو أولى الهيئات برعاية هذه القضية خصوصا في عهده الجديد الذي ألقى الزمام فيه إلى من يقدرון هذا الأمر قدره ، ونحن منتظرون خطواته الإيجابية في هذا المقام ، وأملنا فيه كبير ، والله ولي التوفيق .

عظيم صفير
مفتش الوعظ بالأزهر

ودق بعضهم بعضاً من الفزع ، فلما كان السحر ذهب عنهم الأسد فنزل الناس يميناً وشمالاً يبتغون النوم والراحة ، وقام طاووس من بينهم يصلي ، فقال له ابنه : ألا تنام فإنك قد سهرت ونصبت الليلة ؟ فقال : ما كنت أظن أحداً ينام في السحر ، وكان رقيق القلب مرهف الوجدان دقيق الحس ، حتى روى عنه أنه إذا مر برواس (بائع الروس) فرأى الروس المشوية لم ينم تلك الليلة .

وكان كثير الحج إلى بيت الله الحرام ، في عصر ما كان الحج فيه من اليمن إلى مكة سفرأ قاصداً ، ولا نزهة تستروح فيها النفس ، كان يسير شهراً ذاهباً ، وشهراً راجعاً ، لكن هذا العناء كان يسيراً عليه حببها إليه ما دام من ورائه شرف الغاية وحسن الثواب فهو يقول لابنه : إن الرجل إذا خرج في طاعة ، لا يزال في سبيل الله حتى يرجع إلى أهله .

والحق أن الحج لم يكن لطاووس ونظرائه عبادة روحية فحسب ، بل كان — فوق ذلك — مجمعاً لعلماء الإسلام من كل الأقاليم ، في ساحته يلتقون ، ويتساءلون ويتذاكرون ويتعاونون ، فيأخذ بعضهم عن بعض ، ويراجع بعضهم بعضاً قبل أن تعرف الدنيا معنى التعاون العلبي على هذا النطاق الفسيح .

وتلقى عنه العلم جم غفير من التابعين وأتباعهم (منهم ابنه عبد الله) رأوا فيه ثبناً أميناً فيما يروى ، فقيهاً مسدداً فيما يرى قال عمرو بن دينار : ما رأيت مثله ، وقال الزهري : لو رأيت طاووساً علمت أنه لا يكذب . وقال هو لأحد تلاميذه : إذا حدثتك حديثاً قد أثبتته فلا تسأل عنه غيري ومثل هذا لا يقول إلا واثق من نفسه ، مطمئن إلى علمه وأمانته .

وذكر في تاريخ صنعاء أنه ولي قضاء صنعاء والجنند ... إلى جانب ما يقوم به من رواية وإفتاء وتعليم وتذكير .

علم وعمل :

ولكن شخصية هذا الإمام لم يبرزها العلم وحده — وإن له لفضلاً — وإنما أبرزها الإيمان الصادق والعمل الصالح ، والخلق العظيم .

كان وثيق الصلة بالله ، قائماً آناً الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه يجد في قيام ليله قرّة لعينه وزاداً لقلبه ، وأنساً بمولاه ، لا يشغله عنه عذاب السفر ولا نصب البدن .

كان في قافلة الحجاج مرة ، فعرض للناس أسد حبسهم في الطريق لئيلة مروعين ،

الإسلام مجابى :

وكان الإسلام فى رأسه وقلبه واضحاً مستقيماً ، بعيداً عن الضعف والسلبية ، دافعاً إلى البناء والإيجابية ، متسماً بروح القوة وقوة الروح .

لم يكن كإسلام المتكلمين - فيما بعد - بما غلب عليه من جدل ونظريات ، ولا كإسلام المتصوفة بما فيه من سلبية وانعزالية ، ولا كإسلام أتباع المذاهب الفقهية بما طغى عليه من جفاف وتفريع وتعقيد .

فليس كل صمت خيراً ؛ ولا كل كلام شراً كما يدعى بعض الورعين المتزمتين ؛ بل كما قال طاووس لأبى نجيح . (من قال ، واتقى الله خير ممن صمت واتقى) .

والدعاء خير ، ولكن لا يكن همك تسول الدعاء من غيرك ، وباب الله مفتوح لك على مصراعيه ، فلا عجب أن يرد الذين يعتقدون فيه الزنى إلى الله ، ويسألون الدعاء لهم - وقد عرف بين الناس أنه مستجاب الدعوة - قال له رجل : ادع الله فقال : ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال آخر : لا أجد بقلبي حسبة فأدعوك . والمؤمن يرضى بالقضاء ، ويصبر على البأساء والضراء ، ولكن الفقر والبأساء شئ ، وإهمال النظافة والزينة شئ آخر ،

وقد رأى رجلاً مسكيناً فى عينه عمش ، وفى ثوبه وساخة فقال له : يا هذا إن كان الفقر من الله فأين أنت من الماء ؟ ! .

والتزين وحسن الهندام مندوب إليه ولكن الترف والنعمومة والطراوة - وبخاصة فى الشباب - مفسدة للرجولة ، وقتل لروح الجهاد . رأى فتياناً من قریش يرفلون فى مشيتهم فقال : إنكم تلبسون لبسة ما كانت آباؤكم تلبسها ، وتمشون مشية ما يحسن الزفانون (١) أن يمشوها .

كان قوى الفكر مؤمناً بسنن الله فى الأسباب والمسببات ، ينفر من الخرافات ويكفر بالآوهام ، وكان رجل يسير معه فسمع غراباً ينحب فقال : خيراً ! فقال طاووس أى خير فى هذا أو شر ؟ لا تصحبنى ولا تمش معى .

ولم يكن كأولئك الذين سموا فيما بعد بالصوفية ، الذين دعوا إلى الرهينة وخوفوا مريديهم من الزواج ، بل كان يقول : لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ، وقال لإبراهيم ابن ميسرة أحد تلامذته : لتتزوجن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبى الزوائد : ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور .

عجز أو فجور ذلك هو المانع من الزواج وكلاهما مما يستعاذ بالله منه ، فالإنسان بطبيعته ضعيف أمام الغريزة ، فإذا لم يغلبها

(١) الزفن : هو الرقص .

هو وأبوه أن لله عبادة يزهدون فيهم وفيما في أيديهم !

وقال الصلت بن راشد : كنا عند طاووس فجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، فسأله عن شيء فأتته طاووس ، فقلت : هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ! فقال : ذاك أهون له على !

وروى الزهري أن سليمان بن عبد الملك في حجه رأى رجلاً يطوف بالبيت له جمال وكال ، فقال : من هذا يا زهري ؟ قال : هذا طاووس ، وقد أدرك عدة من الصحابة ، فأرسل إليه سليمان فأتاه ، فدخل عليه في قوة المؤمن ، وإيمان القوى ، لم ينخلع قلبه فزعا ، ولم يسئل لعابه طمعا .

فقال له : لو ما حدثتنا ؟ وقال طاووس في نفسه : هذا مقام يسأني الله عنه ، فلم يكن حديثه إلى الخليفة حديث الخائف أو المادح ، إن المدح والإطراء بضاعة الشعراء ، لا بضاعة العلما ، ومهمة العالم أن يوجه وينذر لا أن يحرق البخور ؛ فإذا قال طاووس ؟ قال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم) . والحديث ناطق ناصع لا يحتاج إلى تعليق .

بالحلال غلبته بالحرام ، وكان طاووس يفسر قوله تعالى : « وخلق الإنسان ضعيفاً » فيقول في أمور النساء ، ليس يكون في شيء أضعف منه في النساء .

مدرسة أموية :

وكان مجلس طاووس - إذا جلس للتدريس - مدرسة تربوية عملية ، يتلقى الناس فيها معارف الإسلام وأخلاق الإسلام معا . فالناس عنده سواسية ؛ الأمراء إذا حضروا حلقتهم كالعوام أو أدنى ، لا يوجه إليهم فضل عناية ولا مزيد اهتمام ؛ كان يعلم الناس بسلوكه أن العلم أرفع قدراً من المال والجاه ، وأن العالم العامل أعز من الأمير والخليفة المطاع ، وأن العلما أمراء الأمراء .

قال سفيان بن عيينة : حلف لنا إبراهيم بن ميسرة - وهو مستقبل الكعبة - : ورب هذا البيت ، ما رأيت أحداً ، الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاووسا .

وجاء ابن سليمان بن عبد الملك - وهو خليفة - فجلس إلى جنب طاووس فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه قال : أردت أن يعلم

أن ليس في أيديهم من أمرهما شيء ، حتى يأمل منهم الزيادة ، أو يخشى منهم النقصان .

التحرر من الخوف والطمع ، والرغبة في وجه الله وحده هما مفتاح تلك الشخصية الفارعة ، وقد قيل : إن العالم إذا أراد بعلمه الناس والدنيا خاف من كل شيء ، وإذا أراد بعلمه وجه الله خوف الله منه كل شيء .

قدم طاووس بمكة ، وقدم إليها أمير المؤمنين فقيل لطاووس : إن من فضله ومن . . . ومن . . . فلو أتيتته ؟ قال مالى إليه من حاجه ، فقالوا : إنا نخافه عليك ! قال : فما هو إذن كما تقولون ! وصدق طاووس . فأى فضل لحاكم يخشى الناس بطشه وأذاه أن يمتد إلى العلماء والهداة !!

وكان يقول لعطاء بن أبي رباح فقيه مكة : يا عطاء ؛ إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وجعل دونه حجاب ، وعليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة ، طاب منك أن تدعو ، ووعدك الإجابة !

إلى الآخرة :

عمر طاووس طويلا حتى ومن العظم منه ، واشتعل الرأس شيبا ، بيد أن قلبه لم يهن وعقله لم يشخ ، بل ظل متألق الفكر ، حاضر

فتغير وجه سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه إليه فقال : لوما حدثتنا ؟ .

قال : حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام في مجلس من مجالس قريش ، ثم قال : إن لكم على قريش حقا ، ولهم على الناس حق ، ما إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا اتتمنوا أدوا ، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ؛ لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وتغير وجه سليمان للبرة الثانية وأطرق طويلا ثم رفع رأسه إليه وقال : لوما حدثتنا ؟ .

فقال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

وكذلك يكبر العالم بعلمه وإيمانه ويرتفع حتى يصير كالجبل ، ويتضاءل أمامه الأمراء والخلفاء حتى يصيروا كالذباب .

ولنما جراه على هؤلاء أنه لم يكن يطمع في شيء عندهم ، ولا يخافهم على شيء عنده ، وفيه يطمع ؟ وعلام يخاف ؟ الناس يطمعون في دنيا الأمراء وهو استدبرها وراء ظهره ، ويخافونهم على الرزق والأجل ، وهو يعلم

لهذا السراج الوهاج أن ينطفئ ، فأدركه الموت على خير ما يدرك عليه المسلم : أدركه محرما ملييا طائفا قانتا لله . . في البلد الحرام والشهر الحرام ، في السابع من ذى الحجة ، من سنة ست ومائه من الهجرة بعد بضعة وتسعين سنة مباركة حافلة بالعمل والعمل والدعوة إلى سبيل الله .

وكان هشام بن عبد الملك قد حج تلك السنة - وهو خليفة - فصلى على طاووس ، وسار في جنازته خلق كثير حرصوا على تشييعه إلى مشواه الأخير ، منهم عبد الله بن الحسن ابن علي ، الذي أخذ بقائمة سيره فما زاياله حتى بلغ القبر ، وقد سقطت قلنسوة كانت عليه ومزق رداءه من خلفه ، من كثرة الزحام ، والناس يسترحون ويقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ؛ حج أربعين حجة . أجل ، رحم الله أبا عبد الرحمن في الأولين ونفع بعلمه في الآخرين ؟

برسف الفرضادى

الذهن ، قائما بشعائر العبادة لربه ، حتى آخر عمره .

روى ابن سعد عن ليث قال : رأيت طاووسا في مرضه الذى مات فيه يصلى قائما على فراشه ويسجد عليه .

وقال أبو عبد الله الشامي : أتيت طاووسا فاستأذنت عليه ، فخرج إلى شيخ كبير ، فقلت أنت طاووس ؟ قال : لا ، أنا ابنه . قلت : إن كنت أنت ابنه فإن الشيخ قد خرف ! فقال : إن العالم لا يخرف . فدخلت عليه . فقال طاووس : سل فأوجز ، فقلت : إن أوجزت أثقلت - فقال : تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والإنجيل والفرقان فقلت : نعم . قال خف الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه ، وأرجه رجاء أشد من خوفك إياه ، وأحب للناس ما تحب نفسك .

وما أصدقها وصية جامعة في معاملة الله والناس !

وفي إحدى حجاته إلى مكة المكرمة ، آن

يروى في الاستدلال على جود حاتم قوله الغلامه يسار :

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا موقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فأنت حر

بمناسبة افتتاح كلية البنات الإسلامية :

طاقة جديدة في مجالات العمل للإسلام

للأستاذ فتحي عثمان

(فإن قالوا : أوجب عليهن النفار للتفقه في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قلنا : نعم ، هذا واجب عليهن كوجوبه على الرجال . وفرض على كل امرأة التفقه في كل ما يخصها ، كما أن ذلك فرض على الرجال ، ففرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة ، وفرض عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك - كالرجال ولا فرق ...

ولو تفقّحت امرأة في علوم الديانة للزمنا الأخذ عنها ، وقد كان ذلك . فهؤلاء أزواج النبي وصواحيبه قد نقل عنهن أحكام الدين وقامت الحجة بنقلهن ، ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا في ذلك) .

وهكذا أبرز ابن حزم مكانة المرأة ودورها في مجتمع الإسلام ... في صورة صريحة جلية قوية .

وجاء تطوير الأزهر ... فامتدت الآفاق وانطلقت الطاقات .

د إمام المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، أهد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً ، ...

د فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضهم من بعض ...

هذه مجالات العمل في الإسلام ، يوجه فيها تعاليمه إلى الرجال والنساء على حد سواء ... وقد كان من أسباب القوة في المجتمع المؤمن في عهد النبوة ، أنه سار برجاله ونسائه في سبيل تحقيق رسالته ، فكانت جهود خديجة وعائشة وأسماء تظاهر جهود أبي بكر وعمر وعلي ، وغير هؤلاء وأولئك من صواحب الرسول وأصحابه على السواء !

لقد جاء القرآن يسوق المثل للؤمنين في امرأة فرعون ... ويفرد للنساء سورة وأحكاماً .. ويخصص لهم الرسول مجالس .

إن المرأة في ديننا، وتاريخنا، ومجتمعنا ...
قد أعطيت حقوقها من قرون !
والمرأة إنما استبعدت من واقعا
أو اعتبارنا أخيراً — يوم تأرجحت أماننا
الموازين ، ووفد علينا الدخيل من التقاليد
والآراء !

على أن دهشة « التيمس » لها دلالتها على
أية حال ... دلالتها على أهمية هذا الحدث
الكبير ! ولقد زارني صحنى بريطاني هو
مستر پول ويستر مندوب الدليل لتلجرف
اللندنية ، وسألني عن معالم التطوير الجديد
للأزهر ... وتذبح أبناء كلية البنات الإسلامية
بجامعة الأزهر باهتمام ، أى اهتمام !

ولقد جاء لإنشاء هذه الكلية موقفاً
في كثير ...

فهي تشمل شعباً أربعة للدراسة العلمية ؛
الشعب : الإسلاميه ، والعربية ، والاجتماعية ،
بجانب شعبية المعاملات والإدارة .
وسوف تشمل في المستقبل بالطبع شعباً للطب
والهندسة والزراعة ، فهي جامعة إسلامية
شاملة للفتيات .

ولم تكثف كلية البنات الإسلامية
برسالتها العلمية البحتة ، ورأت أن تذهب
مذهب بعض جامعات الغرب في الاضطلاع
ببعض الأعباء في الثقافة والخدمة العامة .

* فالدراسة الجديدة قد امتدت طولا
فشملت مختلف ألوان المعرفة : من طب
وهندسة وزراعة ، بجانب المعاملات
والإدارة ، وبجانب العقيدة والشريعة واللغة
والحضارة والتاريخ .

* والدراسة الجديدة قد امتدت عمقا
فشملت دراسة مقارنة في العقائد والشرائع
والآداب والحضارات .

* ثم امتدت الدراسة الجديدة عرضا
فشملت الطلاب والطالبات . على حد سواء !
وهكذا صحح هذا التطوير وضع المرأة في
فلسفة الإسلام وواقع مجتمعه ؛ إذ طلب العلم
فريضة على كل مسلم ومسلمة ...

وأطلق هذا التطوير طاقة كانت معطلة في
مجتمع الإسلام ، وكانت لا توجه إلى الانطلاق
إلا بدعوى ونزعات غير إسلامية ...
واستعاد هذا التطوير أمجاد المجتمع
الإسلامي الأول ، كما استكمل كيان الأزهر
كجامعة .

وشده هذا التطوير صحيفه « التيمس »
اللندنية ...

لقد قالت صراحة : إن إنشاء كلية للبنات
في نطاق جامعة الأزهر ، شيء لا يمكن
تصديقه ! تراه لماذا لا يصدق ؟؟

وفرة الانتقال ... هي الخيط الحاد الرفيع الذي علينا أن نجتازه سعياً إلى المستقبل السعيد المرموق !

والرجال أولو العزم ، هم الذين يكونون معبراً يحتمل أثقال التغيير ، حتى لا يتهشم تحت وطأة القديم أو دفعه الجديد ...

وعلى هذه (القنطرة) البشرية ، كم تغير مجرى التاريخ ، وكم تبدلت أوضاع المجتمعات ! وإن أحكم النظم وأكملها في حاجة إلى هذه (القنطرة) للعبور عليها . قنطرة فيها ثبات ومرونة في الوقت نفسه ...

فهل ترى يتاح للجيل الحاضر من الأزهرين أن يحقق معجزة التغيير ، بعد أن شهد قانون التطوير ؟ ؟

« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً

كلمة طيبة كشجرة طيبة

أصلها ثابت وفرعها في السماء

تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها

ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . .

« يشبث الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة

ويضل الله الظالمين

ويفعل الله ما يشاء . .

فتمى عثمان

قتضت شعبة خامسة عامة : للثقافة الأسرية والإسلامية ، تعد الفتاة لتكون زوجاً وأماً وربة بيت صالحة ، بصرف النظر عن التخصص العلمي الدقيق والإعداد المهني .

وجاء قرار السيد / الدكتور وزير شؤون الأزهر بقبول الطالبات الحاصلات على الشهادة الثانوية النسوية ضمن هذه الشعبة تأكيداً لطابع هذه الشعبة العامة ، ودورها ورسالتها كما جاء خطوة جريئة في فتح المجال في كلية جامعية لأصحاب الدراسة الفنية ، ولو في مثل هذه الشعبة العامة .

ويعين على أن تؤدي مثل هذه الشعبة العامة دورها على أوسع مدى ، أن يفتح باب « الاستماع » المقرر بمقتضى اللائحة التنفيذية حين تصدر ، للطالبات الذين قد تقف أمامهن عوائق للالتحاق والانتظام ... بعد أن تتوفر إمكانيات « الأمكنة » ، و « هيئة التدريس » .

* * *

على أن الأحداث التاريخية الكبرى ، تدعو دائماً إلى الحرص والتدقيق ...

وأنا أشفق على هذه التجربة الخطيرة ... التجربة التي طالما أملت فيها منذ سنين ، والتي عشت تحقيقها والسعي في طريق هذا التحقيق ...

أشفق عليها من رواسب نفسية وفكرية تراكت مع الأجيال تثير المتاعب خلال فترة الانتقال !

الملكية في الإسلام

للأستاذ أحمد حمد

أنواع الملكية :

ملكية الدولة أو ملكية الأمة إذ الدولة نائبة عن الأمة في تصريف أمورها وإدارة شئونها ، والواقع أن هناك ملكيات لا يستطيع الفرد القيام بها ولا العناية بأمرها ، وهناك من الجمعيات ما لا تستطيع أداء مهمتها إلا إذا كانت تمتلك عدداً كبيراً أو صغير من الأموال والممتلكات . فكان لابد من وجود هذه الملكيات الجماعية بصورها المختلفة في كل مجتمع .

الملكية الفردية :

أما الملكية الفردية فهي غريزة وقانون أزل وليست مجرد نظام اقتصادي يفضل بعض المجتمعات ويرفضه البعض الآخر ، لأنها طبيعة تتغلغل في النفس وتمتج بالميول والعواطف والمشاعر والأحاسيس ، وتعمل عملها لتحقيق وجودها في مجال صاحبها الواقعي الاقتصادي بما لها من قوة الإغراء والتوجيه فإن ما يحوز المرء في خزائنه أو يمينه هو التعبير العملي عن هذه الغريزة والانعكاس الخارجي لهذه الفطرة .

الملكية نوعان : ملكية مواهب وملكيات اكتساب . أما ملكية المواهب فلا دخل للدولة فيها بتأميم ولا تحديد ولا نزع ولا إلغاء ؛ لأن المواهب التي يهبها الله لعباده مواهب لا يستطيع الإنسان أن يتدخل فيها بأي نوع من أنواع التدخل ، فوهبة العقل اللبيب أو الصوت الطريـب وموهبة اللسان الفصيح أو الجسم الصحيح كيف يتسنى لأحد أن يتدخل فيها بنزع أو إلغاء إلا الذي وهبها ومنحها وهو الله جل شأنه .

أما ملكية الاكتساب فهي مجال هذا التدخل ولأن الملكية عرفاً واستعمالاً لا تطلق إلا على ملكية الاكتساب فقد أصبح المتبادر ذهنياً عند إطلاقها هو هذا المعنى وحده ، وملكيات الاكتساب هي كذلك نوعان ملكية فردية وملكيات جماعية .

الملكية الجماعية :

أما الملكية الجماعية فلها مظاهر متعددة ، منها ملكية العائلة وملكيات النقابة وملكيات الجمعية وملكيات الشركة وأبرزها جميعاً

مقدمة من الأزل :

مقاصد سامية وراء ما يريد الإنسان من حيازة وما يسعى إليه من ملكية ، لقد أرادته ليربط بين قوى الحياة ومواهب الفطرة في كيان المرء وبين ثمار الطبيعة الظاهرة وكنوزها الباطنة فيقوم التفاعل التام بين الطرفين وتتكون الحضارة السالحة والعبارة المنشودة بما في الإنسان من مواهب العقل والروح وما في الكون من أسرار الحقائق وكنوز المال والثروة .

والأفراد حينما يشعرون بسلطانهم الحقيقي الحر على أملاكهم يشعرون معه بدافع قوى وحافز يسوقهم إلى تحصين معاشهم والرقى بها ومن هنا تتعدد الحرف وتتفرع الصناعات وتكثر الأعمال التي تعود على الأمة جميعها بالخير والثناء .

إلغاء الملكية مناقض للفطرة :

ومن هنا ندرك مدى ما يحدثه تحريم الملكية وإلغاؤها من فساد العمران وإفساد للفطرة البشرية وقضاء على طاقات الإنسان وكبت لها وانقلاب الإبداع الذاتي المنبعث عن فطرة وموهبة من الله تعالى إلى آلية في التنفيذ وإجراء أعمال الاقتصاد والصناعات ومن ثم فإن الخير إنما في مساهرة الفطرة مع إزالة أسباب سوء استغلال الملكية وما تفضي إليه من كوارث ونسكبات .

ولقد ابتدأت جميع حقوق الملكية في الأرض عند ما استعمر الله فيها الناس ، وكان الأساس الفطري الذي يقوم عليه بناء الشؤون الاقتصادية أن من حاز شيئاً وأصلح شأنه وجعله قابلاً للارتفاع والاستعمال أصبح صاحبه وما ملكه ، أى صار من حقه أن يخص استعماله لنفسه دون غيره ، ويطلب الأجر من أراد استعماله والارتفاع به .

والملكية الفردية وإن كانت في نظر الفرد غاية اقتصادية له فهي في حقيقتها قانون أزل خطير يعمل عمله في تطوير الحياة وترقية العمران وزيادة الموارد ، ولعل أعظم ما في ذلك وأخطره على الإطلاق أن يكشف الإنسان عناصر وجوده المعنوي ويحققها معالم واضحة في أفق عمله وإنتاجه ، ويحقق وجوده الفكري في مجال التنظيم والابتكار والتطوير والإكثار ويحقق وجوده الأدبي في إرادة الإنتاج واختيار طريقته وكيفية سيطرته على عمله وإنتاجه ويحقق وجوده الروحي في محيط المجتمع بما يحقق من مبادئ الإيمان والسلوك وتعارف على المثل العليا .

الخلاصة من هذه الفطرة :

وقد أراد الله سبحانه ذلك ليحقق به

المرموم بقررة الملكية الفردية :

وقد جاء الإسلام فقرر ذلك كله وحققه وأرسى قواعد الملكية الفردية على أسس مكيئة راسخة فقد قررهما في نطاقها الفطرى العادل الذى يرضى طموح البشر ويحترم مشيئة الله فى تحقيق المقاصد الحكيمة ، فقد روى أن عروة رضى الله عنه قال : (أشهد أن رسول الله عليه السلام قضى : أن الأرض أرض الله والعباد عباد الله ، ومن أحياء موات فهو أحق به) وفى كتاب الأموال أحاديث فى إحياء الموات يروى معظمها عروة هنا رضى الله عنه ، وقد قرر رسول الله فى هذه الأحاديث صور حياة المرء ثمرة عمله وجعله نتيجة لجهده وكده ، وفى ذلك ما يتجاوب مع العدالة فى الإنتاج والطمانينة إلى مغبة السعى ، والرضا بما يؤتية العمل والكفاح ، وإذا تعمقنا فيما وراء هذه الأحاديث فستظهر لنا جليا حقيقة مقاصد الحق سبحانه فى العماره والتعمير ، فهو نداء إلى تسمير وإحياء الأرض الميتة لينمو العمران ويزداد الخصب وتوسع رقعة الأرض ، وهذه الأحاديث تحمل الدولة كذلك على تشجيع الأفراد على الملكية وإثارة غريزتها فيهم فهمى ليست دعوة إلى التسمير وحسب بل دعوة إلى ملكيات جديدة باستحداث عامر جديد ، يؤيد ذلك ما رواه

أسمر بن مضرس إذ قال : (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فقال عليه السلام من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له . قال أسمر فخرج الناس يتعادون ويتخاطون أى يسارع بعضهم بعضا ويضع كل منهم خطوطا على الأرض تميز نصيبه عن الآخرين) .

وليس أبلغ من امتنان القرآن بالملكية واعتبارها من النعم ، فقد جاء القرآن يمتن على بنى إسرائيل بما منحهم من نعمة الحياة وبما قرر لهم من حق الملكية ، فقال جل شأنه : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين » .

تسريع محكم لحماية الملكية الفردية :

ولتصان الملكية الفردية من العدوان وتحصى من السطو قرر الإسلام عقوبة حازمة حدا لجريمة السرقة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » ، ونهى عن الغصب والنهب والرشوة والجبابة الظالمة ونحوها من كل طريق باطل للاستيلاء على أموال الناس « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » .

وكان لعظم جريمة العدوان على الملكية ومبلغ حرمتها عند الله ورسوله أن قررهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع

وتحت قانون الخير يجب أن يكون التصرف في المال وحيازته وتسميره أما إذا تعدى المال هذا النطاق واستخدم للإفساد وإشاعة السوء فهنا يجب أن يعمل قانون المصلحة العامة عمله لوقف تيار الفساد واستئصال نوازع السوء ، بل إن الإسلام لم يرض لصاحب المال أن يكون مجانباً للحكمة والساد ، حين يتصرف في ماله فأمر المسؤولين أن يسكفوا عنه يده وأن يتولوا هم التصرف فيه بحكمة وسداد لأن هذا المال هو حق الأمة وسبيل خيرها ورفاهية حياتها ورغادة عيشها : « ولا تقوتا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » .

قبرد مختلفة على الملكية في الإسلام :

ولم يبح الإسلام الملكية في جميع الأشياء بل حرم ملكية المعادن ظاهرة أو باطنة قال ابن قدامة في المغني : (وجملة ذلك أن المعادن التي يبتاعها الناس ويتفقون بها من غير مثونة كالمالح والماء والكبريت والقار والمومياء — نوع من الدواء — والنفط والياقوت وأشباه ذلك لا يجوز احتجازها دون المسلمين ؛ لأن فيه ضرراً بهم وتضييقاً عليهم) .

وقد جاء في كتب السنة أن الرسول عليه

بقوله : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص فلا يمس ملكية سابقة فيقول : « من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين » ، ويقول كذلك : (من أحيا أرضاً ميتة ليست لأحد فهي له) . ويقول للظالم الذي يزرع في أرض غيره بدون إذن منه : (من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق . والعرق الظالم هو عروق الشجر أو الزرع أو جذورها إذا غرسها صاحبها طامساً في أرض غيره) .

وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم - في مثل هذه الحالة - لصاحب الأرض بأرضه وأمر صاحب النخل بنزع نخله منها .

وقد بلغ من حرص الإسلام على الملكية وصيانتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الرجل أن يأخذ متاع أخيه ولو على سبيل المداعبة فيقول : (لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جادا ولا لاعبا ، وإذا أخذ أحدكم عصا أخيه فليردها إليه) .

هل الملكية الفردية مطابقة في الإسلام :

إن المال في الإسلام محكوم بقانون الإصلاح والإفادة ، ولذلك سمي المال في القرآن بالخير « وإنه لحب الخير لشديد » فالخير يجب أن يكون سمة المال وهدفه ،

(تقصد ضرر غيرك) ثم قال اصحاب البستان (اذهب فاخلع نخله) . وشكا الضحاك بن خليفة الأنصارى إلى عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة لأنه رفض أن يمر الماء من أرضه إلى أرض الضحاك ولا يمكن غير هذا — فاستدعى عمر محمد بن مسلمة وقال له : أعليك ضرر في ذلك؟ فقال : لا، فرجاه في أن يمر بأرضه الماء فأبى، فقال : (إذن فليمرن ولوعلى بطنك) وشرع كذلك حق الشفعة على الملكية تحقيقاً لمبدأ عدم المضارة وإقراراً لقاعدة المصلحة .

حكمهم الواسع - مرسوم في التأميم :

والتأميم (وهو لفظ مستحدث) يعتبر كذلك نظاماً من النظم التي ترد على الملكية الفردية ، فقد عرفنا أن قانون الملكية هو المصلحة العامة ، وإذا كان هناك مرفق من المرافق يمتنع به مجموع الأمة وتضار الأمة لو ظل بيد فرد واحد أو أكثر ، وكذلك إذا تطورت خدمة من الخدمات من نطاقها المحدود إلى نطاق المرفق الذي تتعلق به مصالح المجموع كتطور سقاية الماء بالقرب إلى شركات كبيرة للياه ، وتطور استئجار الدواب للتنقل إلى شركات كبيرة للنقل ومرفق ضخيم للسكك الحديدية وخطوط الطيران ، أقول إذا حدث ذلك فيجب حينئذ الأخذ

سلام الله انتزع ملاحه من أبيض بن حمال — وهو رجل من اليمن — كان الرسول قد أقطعها له حين جاء يسأله إياها ، وعندما أخبر أن الملح يستخرج منها دون عناء قال فلا ، إذن وانتزع الملاحه منه . وقد قال ابن قدامة تعليقا على هذا الخبر : ولأن هذا الملح تتعلق به مصالح المسلمين العامة فلم يجوز إقطاعه كشارع الماء وطرقات المسلمين ، والملكية مقيدة بالطيبات والمباحات ، أما المحرمات كالخمر والخنزير وما جاء عن طريق الرشوة أو الغش أو الربا أو التطفيف في الكيل والميزان أو الاحتكار أو استغلال النفوذ والسلطات وما إلى ذلك من الطرق غير المشروعة للكسب فهذه كلها تسقط عنها الملكية الفردية ولا يجوز تملكها بأي حال ، وكذلك قيدت الملكية في الإسلام بعدم الإضرار وإساءة الاستعمال إذا لم يقبل المالك نصيحة الناصح ولا رجاء الراجي ولا حكم الحاكم ، فقد روى أن سمرة بن جندب كان يملك نخلا في بستان رجل من الأنصار وكان يكثر من دخول البستان هو وأهله حتى تأذى صاحبه من ذلك وشكاها إلى الرسول فاستدعى سمرة وقال له بع نخلك فأبى ، فقال : هبها له فأبى ، فقال : هبها لي ولك مثلها في الجنة ، فأبى فقال له : أنت مضار

بمبدأ التأميم ، ونقل ملكية هذه المرافق من يد مستغليها إلى ملكية الأمة لعموم النفع بها وعدم الاستغناء عنها ، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حمى أرضا بالمدينة ليرعى خيل المسلمين - أى جعلها لعامة الناس - وجعل نتائجها من الملكيات الجماعية . والصحابي الذي حدث بهذا هو ابن عمر رضى الله عنه ، والأرض تسمى بالنقيع ، وحمى عمر رضى الله عنه كذلك أرضا بالربذة ، وجعل كلأها لجميع المسلمين ، فجاء أهلها يشكون قائلين : (يا أمير المؤمنين إنها أرضنا قاتلنا عليها في الجاهلية ، وأسلمنا عليها ، علام تحميها ؟ فأجاب عمر المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا في شبر) . ونقل هنا القصة كاملة من كتاب الأموال لأبي عبيدة (حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر وهو يقول لهنى - حين استعمله على حمى الربذة - يا هنى : اضم جناحك عن الناس ، واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة وأدخل رب الصريمة والغنيمة (١) ، ودعنى من نعم

ومن هنا نص الفقهاء على جواز نزع الملكية الفردية إذا اقتضت ذلك حاجة المرافق العامة أو اقتضاء صالح الأمة ، ولا شك أن الدولة وهي تقوم بمشروعات عمرانية من شق الطرق وإقامة السدود وبناء المنشآت تضطر إلى الاستيلاء على بعض ممتلكات الأفراد فمن ذا الذي يحرم عليها هذا ويمنعها منه .

بمبدأ التأميم ، ونقل ملكية هذه المرافق من يد مستغليها إلى ملكية الأمة لعموم النفع بها وعدم الاستغناء عنها ، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حمى أرضا بالمدينة ليرعى خيل المسلمين - أى جعلها لعامة الناس - وجعل نتائجها من الملكيات الجماعية . والصحابي الذي حدث بهذا هو ابن عمر رضى الله عنه ، والأرض تسمى بالنقيع ، وحمى عمر رضى الله عنه كذلك أرضا بالربذة ، وجعل كلأها لجميع المسلمين ، فجاء أهلها يشكون قائلين : (يا أمير المؤمنين إنها أرضنا قاتلنا عليها في الجاهلية ، وأسلمنا عليها ، علام تحميها ؟ فأجاب عمر المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا في شبر) . ونقل هنا القصة كاملة من كتاب الأموال لأبي عبيدة (حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر وهو يقول لهنى - حين استعمله على حمى الربذة - يا هنى : اضم جناحك عن الناس ، واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة وأدخل رب الصريمة والغنيمة (١) ، ودعنى من نعم

(١) الصريمة : تصفير الصرمة وهي المقطيع من الإبل ، يريد صاحب الإبل القليلة والغنم القليلة .

نقد الملكية أصحاب آخر :

وكما يرد التأميم على الملكية للمصلحة العامة كذلك يرد عليها التحديد بل هو أولى ؛ لأن التأميم نقل ملكية الفرد كلها إلى ملكية الأمة ؛ أما التحديد فهو نقل جزء منها فقط إلى مالك آخر دون الباقي أو وقف الملكية عند حد معين لا تتعداه ، وإذا كان التضخم في الملكيات يدفع إلى الشرور ويوقع في حمة الرذيلة والفساد ويخلق سوقا رائجة للبذخ والترف أو سوقا أخرى تعج بالعوز والشظف فلا بد من عملية سريعة تخفف من هذا الورم أن تستأصله وتحد من هذا التضخم إن لم تزله .

إن مبدأ سد الذرائع الذي اتفق عليه جميع الفقهاء يؤيد جواز التحديد ، وقد حد عمر رضى الله عنه من حرية كبار الصحابة في الانتقال من المدينة إلى غيرها من الأمصار ، مع أن الانتقال حق طبيعي للإنسان ؛ وذلك لأن انتقالهم من المدينة إلى غيرها من البلاد سيجعله وحده دون معاونيه من أهل الرأي والمشورة في سياسة شئون الدولة وتولى أمر المسلمين ، وهذا أمر خطير ومسئولية عظيمة تتطلب حزم عمر وتقديره لمصالح الأمة وفقهه لمبادئ الدين ، فإذا كان عمر قد حد من حرية الانتقال وهو حق طبيعي ؛ سدا للذرائع فالحده من حرية التملك جائز كذلك سدا للذرائع ،

بل إن السنوات الطوال العجاف التي قاست فيها جماهير الفلاحين ظلم الإقطاع وذات ألوان العبودية والسخرة ، وصبت عليهم سيئات العذاب والهوان تجعل هذا التحديد واجبا من أهم واجبات الدولة لا سيما أن الاستعمار كان يقطع عملاءه وأعوانه أجزاء كبيرة من الأرض مقابل الخيانة للوطن والسير في ركاب المستعمرين .

القرآن ضد التضخم في الملكية :

لقد ذكر القرآن أن التضخم في المال مقرون في مبدئه بالبغى المظنى وفي منتهاه بالخسف المهلك ، وقص علينا قصة قارون مثلا من الأمثلة تقرؤها الأجيال للعظة والاعتبار ، إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناها من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندي ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه في زينته (البقية على صفحة ٣٩٤)

مُعْتَرِكُ الْمَذَاهِبِ الْفَلَسَفِيَّةِ لِلأُسْتَاذِ عَبَّاسٍ طه

الضمير الأدبي شعور باطني في الإنسان يشهد على ما يفعله هو أو يفعله غيره إن كان خيراً أو شراً ، وهو الذي عبر عنه في القرآن الكريم بالقلب ، والضمير والقلب لغة بمعنى واحد . قال الله تعالى : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد » وقال : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » أي تفسد بغلبة

الآهواء عليها فيستوى عندها الحسن والقبيح ، والخير الشر و . وبناء على هذا فوظيفة الضمير هي ما يحسه كل إنسان في نفسه عندما يشرع في قول أو عمل من الحكم على ما هو شارع فيه ، إن كان خيراً موافقاً للقانون الأدبي ، والعرف الإنساني ، أم بخالفاً لها . والمشاهد أن هذا الحكم لا يتجاوز حد الشهادة ، فليس فيه صفة

(بقية المنشور على صفحة ٤٩٣)

نحن والمحتقبل :

إن مستقبلنا مرتبط بما نخططه من خطط وما نقرره من نظم . ومادما نخطط حياتنا على ضوء ما رسمه القرآن من مبادئ ونقرر نظمنا على أساس ما قرره من نظم ، فنحن سنصل بعون الله إلى غايتنا ، وسنحقق أهدافنا وسيكون مستقبلنا مشرق القسمات رخى النسبات « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

أحمد محمد

قال الذين يريدون الحياة الدنيا : ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون . ففسدنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين .

بل إن القرآن قد قرر ذلك مبدأ ثابتا في طبيعة البشر في أكثر من آية حيث يقول : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء » . « كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى » . « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

تدفعنا لإيثار الحلول النافع على المضر الضار ،
كذلك تلازم الضمير الإنسانى عوامل تسوقنا
لتفضيل الأفعال الطيبة على الأفعال السيئة .

بناء على هذا المذهب يكون حكم الإنسان
على ما هو خير وما هو شر ليس متنزلاً
عن تعقل سابق ، أو عن تجربة متقدمة ،
بل من شعور اضطرارى طبيعى ، موجود
فى النوع البشرى من أول وجوده .

يعزى هذا رأى إلى الفيلسوف الانجليزى
شيفتسبورى المتوفى سنة ١٧١٣ .

٢ - مؤدى مذهب العقليين أن الضمير
الإنسانى نفحة من نفحات العقل فإن الإنسان
مضى عقل أن فعلا من الأفعال سيء الأثر
على فاعله وعلى مجتمعه ، سقطت منزلته
فى نفسه وكرهه ، وأن فعلا آخر حسن الأثر
فى نفسه وفى جماعته التى ينتمى إليها ، ارتفعت
قيمتة فى نظره وأحبه ، فيتألف من مجموع
هذه المدركات شعور قوى فى نفسه يعبر عنه
بالضمير الأدبى .

وبناء على هذا فيكون الضمير الأدبى
فى الإنسان مجموع أحكام عقلية مستفادة
من الشئون الحيوية .

٣ - أما مذهب الذين يقولون بأن الضمير
الإنسانى ثمرة التجربة والتمرس بأمور الحياة ،
فإن له ثلاثة أشكال :

الإلزام . فقد يشهد عليه ضميره بأن ما يقتوى
عمله شرفاً تبه ، وأن تقيضه خير فيمتنع عنه ،
مصرأ على الإساءة . فالضمير الأدبى والحالة
هذه فى حاجة إلى قوة تنفيذ تكبح الإنسان
عن عصيان ضميره ، وهى لا توجد
إلا فى النفوس العالية التى يقوم فيها مجرد
الشعور بخسة الإساءة مقام الوازع المادى ،
فلا يصدر عنها إلا ما يشهد بحسنه ضميرها
الأدبى .

ما هو الضمير الأدبى وكيف نشأ فى الإنسان ؟

انقسم علماء النفس فى كنهه ، وفى كيفية
نشوئه فى الإنسان إلى ثلاثة مذاهب :

أولها : أنه شعور غريزى فى النفس البشرية ،
أى موهوب وليس بمكتسب .

ثانيها : أنه وجه من وجوه العقل .

ثالثها : أنه ثمرة التجربة والتمرس بشئون
الحياة .

١ - مؤدى المذهب الأول أن الحكم
الأدبى الذى يشعر به كل إنسان فى ضمير نفسه ،
أمرأ إياه بالمعروف ، وناهياً له عن المنكر ،
ومشيراً عليه بما يجب أن يفعله ، هو صوت
حاسة غريزية فى النفس ، نشأت ملازمة لها
بالفطرة ، مثلها كمثل ما منحناه من خاصية
التفرقة بين الطعوم المختلفة ، والتمييز بين الخير
والشر . وكما تلازم حواسنا الجثمانية دوافع

بالفضائل ، ولا تألوا جهداً في معاقبة المجرمين ومكافأة المحسنين .

ولا تنس ما تصادفه الرذيلة من ذم الناس وتشنيعهم ، والقبح في أهلها وتحقيرهم ، وما تجده الفضيلة من ثناء الناس وتقديرهم وتبجيلهم . كل هذه المؤثرات ولدت في قلوب الناس إكباراً للفضيلة ، واحتقاراً للرذيلة ، أصبح بالتمرس به طبيعة ثانية في النفوس البشرية يتوهمها الخياليون متنزلة من العالم العلوي ، وما هي إلا ثمرة ما ذكرناه هنا من العوامل .

أما مؤدى الشكل الثالث : فهو أن الضمير الإنساني ثمرة من ثمرات ناموس التطور والوراثة ، فعند هؤلاء العلماء وعلى رأسهم دارون وبوختر وهلسكي أن العالم وما فيه من النواميس قائم على نظام آلي محض ، وكل ما فيه خاضع لهذا النظام لا يشذ عنه ، فجميع الكائنات البسيطة والمركبة ، حتى الحياة والقوة العاقلة ، من صنعها ، وقد صدرت لا عن تدبير وقصد سابقين عليها ، ولكن عن الاتفاق المحض ، وإنما جاءت محكمة ومتناسبة ؛ لأنها نشأت عن قوى منتظمة لا يتسرب إليها أقل اختلال ، وما كان كذلك فلا يعقل أن يصدر منه إلا كائنات منتظمة .

أولها : أن الضمير الأدبي ثمرة التربية والعرف .

ثانيها : أنه نتيجة تشارك الأفكار والتعود .

ثالثها : أنه أثر من آثار ناموس التطور والدراسة .

مؤدى الشكل الأول : أن الضمير الإنساني يميز بين الخير من الشر على مقتضى ما لقنه من أبويه ، ومن المجتمع الذى يعيش فيه . ودليل القائلين بهذا رأى من أمثال الفيلسوف الانجليزى هوبز وهلفتيوس ، أن الخيور والشرور كثيراً ما تختلف عند الأمم . فلو كانت صادرة عن غريزة طبيعية ، أو عن حكم عقلى ثابت ، لما اختلفت إلى هذا الحد .

ومؤدى الشكل الثانى : أن الضمير نتيجة تشارك الأفكار والتعود ، والعامل الرئيسى فيه هي قيمة النفع العائد على الإنسان من أعماله ، وتأثيرها في تحسين أحواله .

وقد فسر القائلون بهذه النظرية ، وعلى رأسهم الفيلسوف الانجليزى (ستيوارت ميل) ، كيف ينشأ الضمير الأدبي في الأفراد ، فقالوا : لا يخلو أى مجتمع من قوة وازعة تسهر على الأمن العام ، وعلى الفصل بين المتنازعين ، وعلى الهيمنة على حفظ كيان الجماعة ، فهى لا تنفى في النهى عن الرذائل ، وعن الأمر

يجب علينا أن ندحض شبهات أصحاب نظرية التطور والآلية الوجودية، فإن هذا المذهب وإن خدع بسهولة بعض العقول، فإنه قد تبين لأهل العلم فسادُه بأدلة لا تقبل النقض، ولزم أشياءه السكوت.

يسهل على الباحث العرضي أن يشبه العالم وما فيه من القوى بأداة مولدة للكائنات على سبيل الاتفاق، وتحليلها بكل ما هي في حاجة إليه تحت تأثير الضرورة القاهرة، ولكنه يصعب بل يستحيل عليه أن يعقل ذلك أو يقيم عليه شبه دليل، لابتناء جميع عناصره على افتراضات.

لقد كفانا العلماء مئونة دحض هذا لأن الاتجاه العلى تحول إلى مذهب العلامة الهولندي دوفريس، الذى أثبت عملياً في العهد الحديث ظهور الأنواع الحية الجديدة، حاصلة على جميع مقوماتها وغرائزها، طفرة، فسقط بذلك قولهم بضرورة التطور في الآماد الطويلة، وبنشوء الغرائز بالعود وتوريثها للأخلاف، وبزوال هذين الأصلين ماذا بقى من نظرية التطور التدريجى، ومن معنى الانتخاب الطبيعى، ومن رأيهم فى نشوء الغرائز، وفى وراثة الصفات المكتسبة. اللهم لم يبق شئ أصلاً.

وبثبوت حدوث الغرائز المحيرة للعقل

والضمير الأدبى لا يشذ عن هذه القاعدة، فليس هو بشئ قائم بنفسه، ولا بمنزلة من عالم أرفع من هذا العالم، ولكنه من متولداته كالروح والعقل وما نشأ فيهما من العلم والحكمة والعبقرية.

والضمير الأدبى فى نظرهم بدأ تولده فى الحيوان، فإن الحاجة الحيوية حتمت عليه القيام على نظام خاص فى معيشته، وأورث هذا النظام أخلافه، وكلما ترقوا فيه وصار فيهم صفات راسخة، أورثوه ذرائعهم حتى نشأ الإنسان فكان حاصلاً على ما ورثه من آباءه الحيوانيين.

وبما أنه أوتى حظاً من انتظام الجمجمة، وتناسب الأعضاء، وتابع طريقه فى الارتقاء تمت عوامل النواميس، فوصل إلى معقولات أولية، وأصول أدبية اضطرارية لا اختيارية، وأورثها أخلافه، وما زال يترقى ويورثهم صفاته المكتسبة، حتى تكون لهم ضمير أدبى ظنه الفلاسفة هبة سماوية، وهو فى الواقع من إملاء الحاجات عليه فى آماد لا تحصى، فنظروا إليه فى حالته الراقية، ولم ينظروا إليه أيام كان لا يفرق عن ضمائر القردة وما دونهم من العجائز.

تحليل هذه المذاهب والنظر فى أداتها :

قبل أن نكتب كلمة واحدة فيما نحن بصده

جرماً ، وما تعدده الأولى حسناً تعدده الثانية قبيحاً . فهو يتطور في كل منها على حسب تغير الزمان والمكان والاختيار .

ثالثها : أن الضمير الأدبي متناقض عند الأمم المتمدينة .

ونحن نناقش كل شبهة من هذه الشبهات بغية الوصول إلى حقيقة ثابتة يثلج الصدر عليها فنقول :

١ - إن عدم وجود الضمير الأدبي عند الجماعات المنحطة التي لا تمتاز كثيراً عن الحيوان الأعجم ، لا يدل على أنه ليس موجوداً فيها بالقوة ، كما لا يدل عدم وجود الفلسفة لديها على أنها ليست موجودة لديها بالقوة وإذا كان لا يجرؤ على القول الأخير إنسان يعتقد بعقله ، فكان يجب ألا يجرؤ أحد على القول الأول ، وإلا فهل كان يريد أن يكون الرجل الذي لا يفترق عن العجماوات إلا في التلفظ بوضع عشرات من الكلمات الساذجة ، ومضطر لأن ينقل عنها ما تصنعه من بيوتها التي تأوى إليها ، ووسائلها التي تستخدمها للحصول على فرائسها إلخ ، وهو مع ذلك مهدد في كل آونة من وجوده بغارات الوحوش ، وعاديات الطبيعة ، وهل كان يريد المعترض أن يكون لمثل هذا الرجل ضمير أدبي كالذي عند من أمن على نفسه وذويه ، وبلغ

للحيوانات الحقيرة ، هبة من غير كسب ، يسهل تصور أن يمنح الإنسان ضميراً أدبياً هبة من مبدعه من غير كسب ؛ لأنه من ضروراته في درجة حواسه الخمس .

لا جرم أنه يصعب جداً على الإنسان أن يعتقد بأن الصانع جل شأنه يلهم الحشرات الدنيا بوسائل يستحيل عليها تحصيلها لحفظ ذواتها وأنواعها ، ولا يودع في قلب الإنسان غريزة أدبية يميز بها الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، فالفلاسفة الذين قالوا بهذا الرأي هم في نظرنا على حق ، ولكن هل لدينا من دليل على ذلك نكافح به في سبيل تثبيت هذه العقيدة في النفس ؟ .

نعم ، وهو دليل محس لا يترك ريبة في النفس ، ولا طريق إليه إلا بعد إيراد المناقشات التي تشور عادة حول هذا الموضوع . مناقشات فلسفية حول الضمير الأدبي للإنسان :

تنحصر شبهات الماديين على فطرية الضمير الأدبي للإنسان في ثلاثة أمور :

أولها : أن ليس للجماعات المنحطة ضمير أدبي على الإطلاق .

ثانيها : أن الضمير الأدبي في الجماعات التي اجتازت أدوار الاجتماع الأولى يوجد مناسباً لحالتها الأدبية ، وهو يخالف في كل منها ما عليه في غيرها . فما تعدده جماعة واجبا تعدده الأخرى

مدنى بطبعه ، أرادوا بذلك أن توجد الجماعات الساذجة على أرقى الأصول الاجتماعية ، من الدرجة التى تشاهد لدى أرقى الأمم الأوربية وهل قدح فى هذا الأصل العلى وجود جماعات أولية فى مثل ما عليه الحيوانات العجم من الفرقة والقشقت بحيث ظنهم كثير من العلماء من أنواع القرودة المرتقية .

٣ - كما أن ما يشاهد من الخلافات فى الضمير الأدبى لدى الأمم المتمدينة ، لا يقدر فى وجوده فطريا فى النفس البشرية ، كما لا يقدر اختلافها فى أصول الاجتماع ، وأصول الحكم ولا تؤثر خلافاتها فى الضمير الأدبى فى أن الإنسان مجبول عليه من أصل الخلقة . هذا ولقد قام فى العالم الإنسانى فى العهد الأخير غلاة من الاشتراكيين ، إرتأوا أن أصحاب العاهات أسباب وهن فى المجتمعات ، فيجب إبادتهم وإبادة من يجد منهم حتى لا يكونوا عبثا ثقيلا عليها . وهذا رأى من الوجهة العلمية البحت صحيح ، ولكنه من الوجهة الإنسانية التى يتحكم فيها الضمير الأدبى لا يمكن إساغته ، ولذلك عدت الإنسانية هذا القول هراء محض ، وأزرت بقائله واعتبرتهم غير جديرين بالاحترام ، فصمتوا فى وسط سخط العالم وسخريته .

غاية بعيدة من العلم والوسائل الحيوية ، وماذا يفيده ذلك الضمير لو كان له وهو فى تلك الحالة المزجة والحياة المضطربة ؟ .

ولكن قد يكون لهذه الشبهة وزن إن ثبت عن هذا الرجل أنه لبث على حاله الأولى مجرداً عن الضمير الأدبى بعد أن أمن شر العواذى عليه وعلى أهله ومجتمعه ، وبعد أن وصل إلى حالة من الرخاء والنظام الاجتماعى تسمح له بالانتفاع بما أودع فى جبلته من المواهب الأدبية ، والصفات العلوية ، وهذا لم يحدث قط .

٢ - أما ما يشاهد من الخلافات بين الأمم فى الضمير الأدبى لكل منها ، على حسب تباينها فى البيئات، وتخالفها فى شؤون الحياة ، فهذا أمر طبيعى لا يمكن أن يحدث سواء ، فمن الذى قال إن الإنسان خلق حاصلا على جميع ما هو فى حاجة إليه من علم وأدب وصناعة وفن؟ أما رأيت أن كل هذه الشؤون الضرورية لوجوده قد نشأت فيه نشوء تدريجيا واختلفت فى كل منها عما هى عليه فى غيرها على حسب اختلافات بيئاتها ، وتباينات أحوالها؟ فهل يسوخ لمن يرى الشعوب على هذه الحالة من الخلافات العلمية والأدبية والصناعية والفنية أن يقول إنها مجردة من الأصول الجبائية التى تولدها .

وهل عندما قال الاجتماعيون إن الإنسان

تأثير الإسلام في العبادة اليهودية للأستاذ عباس محمود العقاد

وإن كل قول لا يستند إلى البحث ولا يستند
البحث فيه إلى الدليل فهو حديث من أحاديث
الإشاعات ، إن لم نقل أحاديث الخرافات .
والبحث الذي كان من الواجب أن يستقصيه
« الباحث » المقارن بين اليهودية والإسلام
إنما يقوم على دراسة الموضوع والأمة
لا على دراسة الرقم التاريخي وحده والوقوف
لديه بعيداً من موضوعه ومن أهله .

ولا يتم هذا البحث إلا إذا تناول أصالة
اليهود فيما نقلوه من العقائد والأخبار ،
ثم تناول السبق عامة ولم يتناول في ناحية
واحدة من نواحيه ، وتناول جوهر الدين
ولم يقنع منه بأسماء العناوين .

واليهود ليسوا بالأصلاء فيما تدينوا به
من العقائد ونقلوه من الأخبار ؛ لأنهم
لم يعرفوا أكثر هذه العقائد والأخبار قبل
عهد عبوديتهم في بابل ، وكل ما كان مفتوح
الباب لليهود فيما بين النهرين فقد كان مفتوح
الباب أيضاً لعرب الجزيرتين : جزيرة الدجلة
والفرات وما يليها من أرجاء الجزيرة العربية .
والسبق إلى النبوة عامة لم يثبت لليهود ،
بل ثبت من كتب اليهود أنفسهم أن أنبياءهم

هذا اسم كتاب ألفه نفتالي فيدر
Naphtali Wiedner باللغة العبرية ونشرته
مكتبة الشرق والغرب بأكسفورد وجعلت
عنوانه بالإنجليزية :

Islamic Influences on the Jewish
Worship.

وعنوان الكتاب يغري بهذا السؤال :
كيف يكون هذا التأثير اليهودية سابقة
للإسلام ؟ .

وقد يتعرض القارئ المسلم أيضاً لهذا
الإغراء ؛ لأن تقدم اليهودية في تاريخ
الدعوة يميل إلى الكثيرين أن السبق
في التاريخ أولى بالتأثير فيما يليه ، أو بسبقه
إلى الشعائر التي يتشابهان فيها .

وهذا الخاطر « العرضي » هو مصدر تلك
« الإشاعة » التي راجت في الغرب وكادت
أن تثبت عندهم ثبوت المقررات العلمية ،
فقال بعضهم : إن الإسلام نسخة مصحفة من
اليهودية ، وزاد آخرون فقالوا : بل نسخة
مشوهة من اليهودية والمسيحية ! ولم يبرأ
من هذه العجلة رجل في طبقة الدكتور
« شويتزر » في الثقافة والخلق ، كان من
واجبه أن يعصم عقله أمام الإشاعة الرائجة ،

فوق تلك السماء العليا التي ارتفع لها الإسلام. فإذا كلف الباحث عقله أن ينظر إلى السبق التاريخي نظرة الإنصاف فليس لليهودية سبق على الإسلام ، وقد يكون السبق على خلاف ذلك للمسلمين على اليهود ، كما نظرنا إلى أهل الدين في الزمن القديم أو في الزمن الحديث . ولقد بدأ البحث على هذا الأساس فثبت الثبوت الذي لا شك فيه أن اليهود تعلموا من المسلمين في لغتهم وأدبهم وحكمتهم ، وأن المسلمين لم يأخذوا من اليهود شيئاً غير تلك « الإسرائيليات » التي تناقلها الجاهل وأفلح المصلحون — أو كادوا — أن يفلحوا أخيراً في تطهير العقول منها والرجوع بها إلى الجادة الإسلامية في نظائرها من شعائر الدعوة المحمدية .

فلم تكن اللغة العبرية قواعد نحو أو بلاغة قبل القرن العاشر لليلاد ، وهو القرن الذي تعلم فيه (الرباني سعديا جاون) ثقافة العرب بمصر ووضع أول كتاب للقواعد العبرية وقواعد الفصاحة فيها ، وتلاه (الرباني آودنيم نبي تميم البابلي) فألف كتابه بالعبرية مقرونة بالعربية ، مفسرة بشواهد وأمثالها . ولم يكن في اللغة العبرية فن للعروض فتعلم شعراء اليهود هذا الفن من العرب بالاندلس ومصر ونظموا في لغتهم وفي لغتنا على الأوزان العربية .

الأول تلقوا علم الدين وشعائر العبادة من « ملكي صادق » ، وبلغام وأيوب وثيرون ... وثيرون كما جاء في العهد القديم هو الذي علم موسى عليه السلام علم التبليغ وإقامة الشريعة ، وهو الذي أمه وأم قومه لصلاة القربان ... وفي تاريخ العرب من أخبار الأنبياء ما ليس في تاريخ اليهود ، ومنهم صالح وهود وذو الكفل عليهم السلام ، وكلمة « النبي » نفسها لم تكن معروفة عند اليهود قبل دخولهم أرض كنعان ، وإنما كانوا يسمون النبي بالرائي ورجل الرب على رواية العهد القديم .

أما المقارنة في جوهر الدين فالمعول فيها على المقارنة بين الفسكرة التي توحىها الديانة في العقائد الجوهرية : وهي عقيدة الإله وعقيدة النبوة وعقيدة التسكليف .

والمقارنة بين هذه العقائد في الديانتين الإسلامية واليهودية هي بالإيجاز مقارنة بين « يهوا » والإله الواحد الصمد رب العالمين ، ومقارنة بين نبي التنجيم والخوارق وبين نبي الهداية والبلاغ المبين ، ومقارنة بين الحساب على سنة المحابة والاختصاص بالخطوة وبين حساب العمل والنية واستقلال الإنسان بما كسب وبما أراد .

ولم يعرف النوع الإنساني ديناً رفع هذه العقائد إلى سماء من التنزيه والرشد والصدق

ولما ثار الرجعيون من رجال الدين اليهود ثورتهم على هذه البدع المستحدثة سرت الثورة إلى الشعب في هذه المرة فقال الرئيس فنحاس بن مشول شيخ الطائفة بالإسكندرية : (هب الناس من جميع الأنحاء قائلين : نحن لا نحتمل أقوالكم التي ينقض بعضها بعضاً ، لأنكم تحلون ما تشاءون وتحرمون ما تشاءون . أليست هناك تقاليد أثرت عن أسلافنا ومن تقدمونا تحرم على الإسرائيل الصلاة وهو بحال الجنبابة حتى يغتسل في الحمام أو يتطهر في البحر وينظف نفسه ؟ فكيف يجيزون الصلاة ودخول الكنيس وتلاوة التوراة دون اغتسال ؟ ... إذا كان الدين كذلك فنحن ذاهبون لنرفع أمرنا إلى القضاء) (١٩) .

والقضاء هنا هو القضاء الإسلامي في غير الشئون المالية التي يتولاها رئيس الطائفة ، مما يدل على اعتبار قضاء الشرع المسلمين مرجعاً للشعب ورجال الدين في هذه الأمور . وقد سئل موسى بن ميمون كثيراً في هذا الخلاف فكان يقول إنه لا يرى في كتب السلف الأولين ما يوجب غسل الجنبابة ، ولكنه يغتسل بحكم العادة حيث عاش ونشأ في بلاد المسلمين .

وتغنيينا أقوال الأحبار بأقلامهم وألسنتهم عن بيان أطوار الرقي الاجتماعي والخلق الذي سرى إلى عبادات القوم وعاداتهم بعد الاقتداء بأدب الصلاة الجامعة عند المسلمين

وكان فيلسوفهم موسى بن ميمون تلميذ فلاسفة المسلمين في المغرب أول من كتب عندهم في حكمة (التوحيد) واستثنى المسلمين من الأمم التي تنهى التوراة عن التعود بعبادتهم ؛ لأنهم مؤمنون يعبدون الإله الأحد ولا يشركون به إلهاً آخر .

وكتاب اليوم يتقدم بالبحث خطوة أخرى فيقابل بين عبادات اليهود قبل اتصالهم بالمسلمين وعباداتهم بعد هذا الاتصال ببضعة أجيال ، فيثبت المؤلف أن القدوة بالمسلمين عادت باليهود إلى إحياء السنن التي هجروها من عباداتهم الأولى وعلنتهم سنناً أخرى لم يعلوها ، ومنها شعائر في صميم العبادة كشعائر الوضوء والغسل ونظام الصلاة الجامعة وغيرها من الصلوات .

وينقل المؤلف نصوص التلمود التي لم يرد فيها ذكر للوضوء أكثر من غسل اليدين ، ثم ينقل وصايا الأئمة المتأخرين ووصايا الشعراء الذين تبعوهم بنظم القصيد لترغيب الشعب في هذه النظافة المستحبة ، وأشهرهم (مناحيم دى لونزان) الذي قال في بعض شعره : (تطهر من رجس المتاع ووقائع الليل الجسدية ولا يكن العرب والليبيون والليديون أكثر منك طهارة وهم يغسلون أيديهم وأرجلهم وروءوسهم بالماء وفي الفجر وظهرأ وعشية ، وكذلك ليلاً حين يشتد البرد ويسقط الثلج)

وكل من يعرف الصلاة يصلي معه في همس والأحداث يسمعون ويركعون جميعهم مع الإمام والشعب كله متجه إلى الهيكل ينجز كل منهم فريضة ويسير الأمر على ما يرام ويتمتع التكرار الطويل ويزول تدنيس اسم الله ، وقد شاع بين الأمم إل اليهود يبصقون ويثرثرون في صلاتهم لأنهم يشاهدون ذلك أينما رأوهم يؤدون الصلاة ، وهذا هو الصحيح على الأكثر ، كما أرى ، لما ذكرت من أسباب) .

قال المؤلف : (ولما كان الميموني قد نظر إلى الحالة في الكنيس من خلال مرآة المسلمين وكان يخشى مما تقوله الشعوب فقد رأى نفسه يوصى ويعمل عمله للقضاء على هذه الحالة) . وكانت خير وسيلة للقضاء عليها في تقديره أن يسلك قومه في صلواتهم الجامعة مسلك المسلمين ، بعد الاقتداء بهم في فرائض الوضوء والتطهر ورعاية أدب المسجد من جميع الوجوه .

ومن الكلام على الوضوء والصلاة يستطرد المؤلف إلى الكلام على سائر الفرائض وعلى العقائد الروحانية التي لا تدخل في باب الشعائر الحسية ، بما يضيق عنه هذا المقال ونلم به إن شاء الله في مقال تال ؟

عباس محمود العقاد

في المغرب والمشرق ، فؤاف الكتاب العبري ينقل عن الرباني الفيلسوف موسى نبي ميمون إنه فصل علة الوصية التي دعا فيها إلى إلغاء صلاة الهمس في المعابد الإسرائيلية فقال : (إن الذي دعا إلى هذا النظام هو انصراف الشعب إلى النظر أمامه أثناء الصلاة ، فيتحدث كل منهم إلى جاره أو يخرج من الصف والكاهن يتلو تسبيحاته وتبريكاته على غير جدوى ، إذ ليس هناك من يستمع إليه ، وإذا رأى الشعب الأحداث من المتعلمين وغيرهم يتجاذبون أطراف الحديث ويبصقون ويسلكون أثناء الصلاة سلوك من لا يشتركون فيها يفعل مثلهم ويدخل في روعهم أن الصلاة مقصورة على ما يهمس به الكاهن ولا يسمعون ...) .

ويقول ابن ميمون في موضع آخر : (وإن الإمام إذا عاد إلى الصلاة بصوت مرتفع نرى كل من فرغ من صلاته يستدير ليثرثر مع رفيقه ويناجيه في خاصة أمره ، ويحول وجهه عن الشرق ويبصق ويتشبه به الأحداث فيفعلون فعله ، ويظنون أن ما قاله الإمام لا يعتمد عليه أو عاينهم ، ومن ثم يخرج جميع الأحداث وهم لم ينجزوا واجبهم ويبطل الغرض الذي من أجله يرتل الإمام صلاته ... وفي الحق لا يصلي الجمهور في همس أبداً بل يصلي الجميع بعد الإمام صلاة واحدة في قدسية وخشوع ،

مَحْنًا فَرَّ الشَّجَرُ الْقَيْدَ وَالْحَدِيدَ

الذَّيْبَاجُ الْخَسْرَوَانِي

لِسُحَيْمِ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ

قال سحيم عبد بن الحسحاس وكان المفضل الضبي يقول : قصيدة الأسود — يعني سحيمًا — ديباج خسرواني :

عميرة ودع إن تجهزت غاديا	كفى الشيب والإسلام للبرء ناهيا
ليالى تصطاد الرجال بفاحم	تراه أثينا ناعم النبت عافيا
وجيد كجيد الريم ليس بعاطل	من الدر والياقوت والشذر حاليا
كأن الثريا علقت فوق نحرها	وجمر غصناً هبت له الريح ذاكيا
أرتك غداة البين كفأً ومعصما	ووجهاً كدينار المرقلي صافيا
فما بيضة بات الظليم يحفها	ويرفع عنها جوؤاً متعاليا
ويجعلها بين الجناح ودفعه	ويفرشها وحفاً من الزن وافيا
بأحسن منها يوم قالت : أراحل	مع الركب أم ثاو لدينا لياليا
فإن شو لا تمل وإن تك غاديا	تزود وترجع عن عميرة راضيا
ألكنى إليها عمرك الله يا فتى	بآية ما جاءت إلينا تهاديا
تهادى سيل فى أباطح سهلة	إذا ما عملا صمداً تفرع واديا
ففاءت ولم تقض الذى أقبلت به	ومن حاجة الإنسان ما ليس قاضيا
وبقنا وسادانا إلى عاجانة	وحقف تهاده الرياح تهاديا
تو سدننى كفأً وتثنى بمعصم	على وتحنو رجلها من وراثيا
أميل بها ميل الزيف وأتقى	بها البرد والشفان من عن شماليا
فما زال بردى طيبا من ثيابها	إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
وقلن لصغراهن أنت أحقنا	بطرح الرداء إن أردت التباهيا
تمارين حتى غاب نجم مكبد	وحق بدا النجم الذى كان تاليا

وحق أنار الفجر أبيض ساطعا كأن على أعلاه ريطا شاميا
فأدبرن يخفضن الحديث كأنما قتلن قتيلا أو أتين الدواهيا
وأصبحن صرعى في الحجال كأنما شربن مدا ما أو مرين لياليا

قال المفضل : كان عبد بن الحسحاس أسود طمطانيا إلا أنه كان حسن الشعر رقيق
الالفاظ وأتى به أول ما قال الشعر عثمان بن عفان فقبل له : اشتريه فإنه شاعر ، فقال :
لا حاجة لي فيه ؛ لأن العبد الأسود إذا كان شاعراً وجاع هجاءمواليه ، وإذا شبع شذب بنسائهم ،
وهو آخر أمره مقتول ، وكان الأمر كما قال ، وسأل عمر بن الخطاب يوماً أهل مجلسه
عن الذي يقول : « كنى الشيب والإسلام للبرء ناهيا » ، فقبل : عبد بن الحسحاس ، فقال :
لو قدم الإسلام على الشيب لفرضت له .

الإيجاز

قال أبو العباس :

من كلام العرب الاختصار المفهم ، والإطناب المفخم . وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغنى
عند ذوى الألباب عن كشفه كما قيل « لمح دالة » .

وقد يضطر الشاعر المفلق والخطيب المصقع والكاظم البليغ ، فيقع في كلام أحدهم
المعنى المستغلق واللفظ المستكره . فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عوارده .
وسترتا من شينه . وإن شاء قائل أن يقول : بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر ،
ومجاورته له أشهر ؛ كان ذلك له . ولكن يغتفر السي للحسن ، والبعيد للريب .

فمن ألماظ العرب البيئة القرينة المفهمة ، الحسنة الوصف ، الجميلة الرصف
قول الخطيب :
وذاك فتى إن تأته في ضيعة إلى ماله لا تأته بشفيع
وكذلك قول عنتره :

يخبك من شهد الواقعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم

الكتيب

في بلادى الجميلة
للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

والطبع أكثر مما ترجع إلى الاستبداد والجهالة . . . وفعل المقاربة (تكاد) يمنع من إطلاق الحكم على شاعرية المرأة ؛ لأن المفهوم الشائع أنها انفعال مجسد وإحساس مرهف وتعبير بارز . وربما يصحح هذا المفهوم أنها على الجملة لم ترزق الخيال المنح ولا التأمل العميق ولا التصوير المجرد ولا التفكير المستقل . إنها منذ خلقها الله من ضلع آدم مصابة بالتبعية للرجل . فالحب مثلاً وهو أخص صفاتها الطبيعية تشعر به أشد الشعور ، ولكن حياءها الذى تأصل في طبعها من حيالة الرجل لها ورقابته عليها يمنعها من التعبير الحر عن هذا الحب فتستره للرجل . ولو أنها تغلبت يوماً على هذا الحياء بجرأة الحرية وضعف الوازع ففعلت ما فعلته الكاتبة الفرنسية فرنسواز ساجان ، أو الكاتبة العربية خولة الخورى (١) لكان ذلك بدعا في المجتمع يسترعى النظر ويستدعى الفضول .

(١) سماها جدها فارس الخورى (خولة) وأبت إلا أن تسمى نفسها (كوليت) ! .

١ — أصدرت الكاتبة البليغة الدكتوراه نعمات أحمد فؤاد كتيابين في هذا الشهر أحدهما (النيل في الأدب المصرى) والآخر (في بلادى الجميلة) وسنقدم هذا الكتاب بالمقال الذى قدمه به إلى القراء الأستاذ رئيس التحرير . أما الأول فلنا إليه عودة .

الأدب العربى — وإن شئت قلت الأدب العالمى — فقير فى أدب المرأة . ومعنى الفقر هنا يقترب كثيراً من معنى الخلو ، لأنك إذا عدت إلى مرصد التاريخ تراقب منها سماوات الأدب فى الشرق والغرب لا تجد فى آفاقها الرُّحْب إلا نجمة تلعب من حقبة إلى حقبة لمعان السها تظهر من بعيد لتختفى من قريب ! . وهذه الأنجم النوادر يلبعن فى الأدب لافى العلم ، وفى النظم لافى النثر ، وفى فن الرجل لافى فن المرأة ! .

تستطيع إذن أن تضرب الأمثال على ضالة الأدب الحوائى بجانب الأدب الآدى من كل أدب فى كل بلد وفى كل زمن ؛ لأن هذه الظاهرة عامة تكاد ترجع إلى الاستعداد

في الشرق ، وإذا تذكرت أن هذه النادرة ملحوظة في أدب اليونان والرومان وفي أدب الهند والفرس ، وفي أدب اللاتين والسكسون أدركت أن هذه الظاهرة المحيرة أعمق من أن تحلل في كلمة موجزة ، وأوسع من أن ترد إلى سبب واحد

خذ الأدب العربي مثلاً : شغل هذا الأدب العريق الزمن من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن العشرين ، وطبق الأرض من أقصى بلاد الشرق إلى أقصى بلاد الغرب ووسع آداب الخليفة منذ طفولة الإنسان إلى اضمحلال الحضارة العربية . وأنت مع ذلك إذا عرضت عصوره الخمسة على ذاكرتك لا تجد فيها من نوابغ النساء في الأدب إلا الخنساء وتوابعها من خُرَرق بنت بدر ، وليلى بنت لكين وجليلة بنت مرة في العصر الجاهلي ، وإلا سكينه وليلى الأخيلية بين تسعين شاعراً في العصر الأموي ، وإلا عليّة بنت المهدي في العصر العباسي ، وإلا ولادة بنت المستكفي وحمدونة في العصر الأندلسي ثم تنتظر طويلاً لتعثّر في طوايا ذاكرتك على السيدة عائشة الباعونية تنتقل بين دمشق والقاهرة في أوائل القرن العاشر الهجري ! نعم أوافقك على أن في الآفاق السحيقة نجيمات دقا لا يدرك ضوؤها المرصد ، ولكن ذلك على صحته لا ينفي الندرة ولا يغير

والبعض أيضاً يسائر الحب في طبيعة المرأة ، فهي تبغض ولكن بغضها من نوع خاص لا يطلب التعبير العلني وإنما يكتم في بزفرة في الصدر أو بعبرة في العين . وهي لا تخطر ببالها أن تمدح المستجدي أو تهجو للمستعدي ، فإن الرجل قد آمنها من الجوع والخوف بكفه وسيفه .

دنيا المرأة هي عش الزوجية الذي تحلم به وهي في رعاية الأب ثم تستكن فيه وهي في حماية الزوج ، وكل آلتها لهذا العش جمال وحب تمسك بهما الرجل ، وحنان وعطف ترأم بهما على الولد . والتعبير عن هذه العواطف الطبيعية يكون بالفعل لا بالقول ، وبالشعور لا بالشعر ، فإذا خرجت عن دنياها الخاصة إلى الدنيا العامة فتفاعلت مع الأحداث ، وتأثرت بأحوال الناس حملت نصيبها من أمانة الأدب ورسالة الفكر .

في هذه النواحي العضوية والنفسية والاجتماعية يجب أن تلبس الأسباب الجوهرية لندرة الأدب النسوي في العالم قديمه وحديثه وشرقيه وغربيه ، فإن تلبس هذه الأسباب في حرمان المرأة من الحرية وتخلّفها في الثقافة وانعزالها عن المجتمع لا يعلل هذه الندرة في الغرب ، وإن تلبسها في انكبابها على العمل وانغمارها في المادة وانطلاقها من القيد لا يعلل هذه الندرة

المسكنون في كل نفس وهو الأدب فعبثت به عن مشاعر شعب أو أحاسيس عالم ، مصداق ذلك تجده في أدبنا الفسوى في هذا القرن على تفاوت شديد فيه بين ربه الأول وربعه الثاني . تيقظت المرأة المصرية على صيحة قاسم أمين ، ولم تكدم تسمح عن جفניה فتور الكرى الثقيل الطويل حتى ضاقت بالحجاب وبرمت بالقيد وتطلعت من خصائص الأبواب وثقوب النوافذ إلى المراء الرحب والفضاء الفسيح والشارع اللجب ، فقررت أن تحطم القيد وتكسر الباب وتهصر الستار وتخرج إلى الدنيا لتشارك الرجل في العلم والعمل والأمل ، فتفعل كما يفعل وتقول كما يقول وترجو كما يرجو . وساعدها على هذه الانطلاقة حدوث الهبة العامة في مصر عقب الحرب العالمية الأولى ، وسهولة النشر والإعلام بالطباعة والصحافة والإذاعة . وكانت البواكير الأدبية بالحقل النسائي قد أخذت أكامها تتشقق عنها في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، فظهرت وردة اليازجية وعائشة التيمورية وزينب فواز وأنيسة وعفيفة الشرتونيتان وليدة هاشم وملك ناصف ومى زيانة .

ثم اكتمل شباب الربيع واكتهل غراس النهضة فظهرت الطبقة الثانية من الأدبيات وكانت أنضر عوداً وأذكى أريجاً وأعلى ثمراً

النسبة ، فإن في الرجال أيضا آلافا غمرهم الخمول فلم يقفوا في سماع الزمان وبصره لا بالرواية ولا بالرؤية .

أما ما روى عن أبي نواس من أنه لم يقل الشعر إلا بعد أن حفظ شعر ستين امرأة ، وما روى عن الخوارزمي من أنه قصد صاحب بن عباد بأرجان . فلما وقف ببابه ذهب الحاجب إلى صاحب وقال : إن بالباب أدبياً يستأذن في الدخول فقال الوزير : قل له قد ألزمت نفسي ألا يدخل على إلا أديب يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب . فقال أبو بكر للحاجب ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أو من شعر النساء ؟ فلما أخبر بذلك صاحب قال هذا أبو بكر الخوارزمي ، فإن ذلك وشبهه إذا أطفأت لمعة التموه والتحويل فيه لا يبقى تحت النظر منه إلا تلك المقطعات التي جمعها الرواة واللغويون من شعر أعراييات مجهولات كن ينشدنه إلهاء لأنفسهن وهن يهددن الطفل أو يدرن المغزل أو يرعين القطيع .

* * *

قلت إن المرأة الموهوبة إذا خرجت من نفسها إلى الناس ، ومن بيتها إلى المجتمع ، فشعرت بالشعور العام وأسهمت في الوجود المشترك ، فتفتحت قريحتها عن الجزء الإلهي

لقد كتبت نجات في البحث والنقد والوصف والتراجم ، ولكن هذه الفنون المختلفة يؤلف بينها أسلوب واحد إذا عرّفته عرفت طريقته في هذه الفنون وحقيقتها من هذه المعاني .

إن الأسلوب مركب فني من عناصر مختلفة يستمدّها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه ، تلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف ، ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة والموسيقية المعبرة . والمراد بالصورة إبراز المعنى العقلي في صورة محسنة ، وبالعاطفة تحريك النفس لتميل إلى المعنى المعبر عنه أو لتتنفر منه . والأسلوب بهذا المعنى لا يكتسب بالتعليم ولا بالتقليد . وإنما هو هندسة روحية وملسكة ذهنية تتمثلان في قالب معنوي غير موصوف ولا مرسوم يخرج منه الفكرة والعاطفة والخيال والصورة منسقة على الوضع الذي ارتضاه الذوق الرفيع في الإنسان الذي علمه الله البيان وآتاه الحكمة .

ولعلنا إذا استثنينا النساء الشواعر في القديم والحديث لا نجد في الكتابات العربيات من ينطبق على أسلوبهن هذا الوصف إلا كاتبتين اثنتين في هاتين الطبقتين : الأولى في الأولى هي زيادة ، والأخرى في الأخرى نجات فؤاد . ذلك لأن أسلوبهما يتميز من سائر الأساليب النسوية بالشاعرية والأناقة والتنويع والتلوين والحركة . وتزيد نجات على صاحبها

وأعلى فائدة . طبقة سهير القلبواى وعائشة عبد الرحمن ونجات فؤاد ووداد سكا كيني وفدوى طوقان وملك عبد العزيز ونازك الملائكة وروحية القليبي ثم جاذبية صدقي . وقد تقسمن الفنون الأدبية على حسب استعدادهن واجتهادهن ، فمنهن الناقدة البصيرة والباحثة المحققة والكاتبة البليغة والأديبة الموفقة والشاعرة الرقيقة والقصصية المجيدة . ولكل واحدة منهن أسلوب في النشر أو النظم صاغته من طبيعتها ونشأتها وثقافتها واستعدادها ، فيه الغموض والاختلاط ، وفيه الوضوح والتميز ومنه الوصف الرصين السليم . ومنه التقريرى السقيم المهلهل . ولست هنا بسبيل البحث الموضوعى في هاتين الطبقتين فأبين العوامل المؤثرة فيهما ، والخصائص المميزة بينهما ، وأحلل الأعمال الصادرة عنهما فإن ذلك موضعه تاريخ الأدب . وإنما أنا في هذه الكلمة بسبيل كاتبة وكتاب . الكاتبة هي الدكتورة نجات فؤاد ، والكتاب هو كتابها الحادى عشر (في بلادى الجميلة) ، وما أريد أن أعرض لنجات هنا إلا من جهة الفن ، ولا لفنها اليوم إلا من جهة الأسلوب . ومن يعرض لفن الكاتب وأسلوبه بالكشف والوصف والتحليل فقد عرض لكل شيء فيه . وهل الأسلوب كما قيل بحق إلا الكاتب أو الكاتبة في صورة مؤتلفة من عقله وفكره وشعوره وخلقه وذوقه وطابعه ؟

إلى غيره . إن أسلوب نجمات أصيل صادق ، لأنه ينم عن طبيعة المرأة ويكشف عن جوهر الأنوثة . ولا يشاركها في هذه الخصيصة إلا الآنسة حى . أما غيرهما من الكاتبات النوابغ فقد تقرأ لهن الأسلوب الجزل والبيان المحكم والرأى النضيج ، ولكنك تستشف من وراء ذلك محاكاة الرجل في خولة منطقته وطريقة فنه .

أنت من نجمات بين زوج وفية وأم رءوم وأخت مواسية ومواطنة مخلصة وعاشقة للليل تنشده على ضفافه الخضر أناشيدها المؤلفة من عبرات إيزيس ، وضحكات كليوباتره ، وصلوات عمر وغزوات صلاح الدين .

ونجمات منك بمثابة بياتريس من دانتي تطوف بك في مجالى الطبيعة ومشاهد الكون (فى الورد) و (فى الريف) و (فى الليل) و (فى المقطم) و (فى الهرم) و (فى الفرج) كما طافت بالشاعر الإيطالى حببيته الروحية الملهمة بمجالى الفردوس ومشاهد عدن .

حاشاك أن تحمل كلامى عن نجمات على المجاملة والمهاوأة لأنها امرأة . وللنساء على الرجال لين القول وحسن المصانعة ، إني أقول وبين يدي الدليل وأحكم وأمام عيني السند . اقرأ على سبيل المثال مقالها فى (البيت) أو فى (الريف) أو فى (المدرسة) أو فى (الطريق) أو أى مقال شئت ، ثم حاول من طريق الفن أو من طريق الذوق أن تطبق

بالعمق والدقة والسلامة وتوليد المعنى من المعنى ومزاوجة اللفظ للفظ واستبطان دخائل الموضوع واستقصاء أطرافه حتى لا تدع فيه معنى يخطر على بال . وكل ذلك فى غير تكرار ولا إملال ولا سقط ، وكل ذلك فى حسن نسق وجمال إيقاع من غير تسكلف ولا شطط .

وموسيقى نجمات ألحان من المعنى وأنغام من اللفظ لا يبلغ بدونها الكلام ، ولا يقوى بغيرها الأثر . وهى موسيقى معبرة لأنها من بنية الأسلوب فى باطنه ، لا من حلية التركيب فى ظاهره . وهى فى بعض الكتاب والكواكب سجية وطبيع ، فكما لا يستطيع البلبل أن يكون غراباً ينبعب ولا ضفدعاً تنق كذلك لا يستطيع الفنان الصادق أن يكون فجاً على الذوق ولا ثقيلاً على الأذن .

أذكر أن نجمات كانت فى بعض أعمالها أمانة للجنة النشر بالجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فكانت تكتب محاضر الجلسات بالأسلوب الرفيع تختار له اللفظ الملائم ، وتتق له التعبير المؤدى ، ولكن أعضاء اللجنة وهم من أقطاب الكتاب أنكروا عليها أن تستبدل بأسلوب الدواوين أسلوب البيان والتبيين . فآثرت أن تظل بلبلا يطرب على أن تصير غراباً ينبعب ، وانصرفت عن هذا العمل

٢ - المحمود في الزمان :

للأستاذ أبي الحسن الندوي .

هذا كتاب جديد للأستاذ الندوي عضو
المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومعتمد دار
العلوم ، ندوة العلماء بالهند نشرته مكتبة
دار الفتح بدمشق .

الكتاب دراسة اشتملت على دور المسلمين
في حضارة الهند وتراث العلماء المسلمين
العلمي وعنايتهم باللغة العربية ، ومدى
تأثيرها في اللغات الهندية ، ومراكز العلم
والثقافة ، والدور الذي قام به مسلمو الهند
في تحريرها ، ثم تناولت الدراسة مشكلاتهم ،
وأثر الصوفية في المجتمع الهندي .

إن هذه الدراسة عرضت تاريخاً مضى
للمسلمين بالهند ويهمننا منه ما يلفت الأنظار
إلى الدور الرئيسي الذي قام على عواتقهم ،
والأستاذ الندوي يقرر أن مركزهم كان القائد
في الحركة التحررية ، وهذا طبيعي لأنهم
هم ولادة البلاد وسادتها حين احتل الانجليز
الهند ، ولا ينسى التاريخ نضال السلطان تيبو
(فتح علي خان) المتواصل وتعبئة المجاهدين
للقتال حتى سقط شهيداً في الميدان ، ولم ينقطع
نضال المسلمين حتى نالت الهند استقلالها وزعيم
الهند الإسلامي الكبير مولانا (أبو الكلام
آزاد) يومئذ رئيس المؤتمر الوطني الهندي .

كما عرضت هذه الدراسة لحاضر المسلمين
في الهند اليوم وهم أكثر من أربعين مليوناً ،
فتناولت مشكلاتهم التي يعانها ويحاول

ما وصفت لك من أسلوبها على ما قرأت
أنت من كلامها ، فإذا لم تخرج من التصور
إلى التصديق ، ومن التطبيق إلى التحقيق
جاز لك أن تقول إن رجل يقول على الأدب
بغير علم ، وبحكم على الأدباء من غير بيعة .

* * *

ذلك بعض القول في الكتابة ، أما الكلام
عن الكتاب فقد تضمنه الكلام عن أمه .
وإن الثمره فيها سر الشجرة كله ، فهمها أقل
لك إن الشجرة ريانة الأصول فينانة الفروع
رفافة الورق وارفة الظل حلوة الجنى ، لا تجد
في هذا القول على صدقه من الكفاية والرضا
ما تجده في الثمرة حين تقطفها بيدك ، وترمقها
طويلاً بعينيك ، ثم تدسها في فمك ، فتذوق
من حلاوة العصير ، وتشم من فوحة العبير
ما يقنعك أن النبعة كريمة وأن الشجرة مباركة :

لقد حدثتك عن الكتابة لأنها لا تحدث
عن نفسها ، أما الكتاب فسأدعه وإياك
ليحدثك عن نفسه .

أحمد حسن الزيات

كنت أود أن يكون كتاب الأستاذ الندوى معنياً بعناية أكبر بمشكلات المسلمين في الهند ، بل قاصراً على هذه المشكلات ، وقد ذكر أنه إنما قدم رموس المشكلات ، ونفهم من هذا أن هناك مشكلات أخرى لم يتعرض لها ، ولست أدري لم لم يعرض أستاذنا المشكلة الكبرى (الدعوة الإسلامية) عرضاً واضحاً يضع فيه النقط على الحروف كما فعل في غيرها ، لا سيما وأن التعصب وحده اليوم هو الذى يتعقب الدعوة الإسلامية ويقف لها بالمرصاد .

* * *

٣ — الفكر العربى ومطامير التاريخ

للبستر ديلاس أولرى

هذا الكتاب من كتب وزارة الثقافة والإرشاد، نشرته مكتبة عالم الكتب بالقاهرة وقام بالترجمة والتعليق الدكتور تمام حسان وقام بالمراجعة الدكتور محمد مصطفى حلى رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة كلية الآداب .

المؤلف مستشرق نمساوى ومؤلف الحضارة الإسلامية ، والكتاب دراسة عميقة وعلى جانب من الخطورة أيضاً ، قسمه اثني عشر فصلاً : تناولت الصورة السريانية للهلينية ، العهدين العربى والعباسى : دور الترجمة ، المعتزلة ، فلاسفة الشرق والمغرب ، التصوف الإسلام السلفى ، النقلة اليهود ، ثم أثر الفلسفة العربية فى المدرسة اللاتينية .

فى هذه الجولة (المستعة) يقرر المؤلف :

التغلب عليها ، بعضها نتيجة أخطائه ، وبعضها نتيجة رواسب الماضى ومخلفاته الفكرية والسياسية ، وبعضها نتيجة وضع الأحوال والحوادث التى مرت بها الهند فى العهد الماضى .

ويرى الأستاذ الندوى أن المشكلة الكبرى هى مشكلة الدعوة الإسلامية التى تتعثر اليوم وتقف مشلولة الحركة ، وأن المشكلة الثانية تتصل بالانحراف المقصود عن الدستور الهندى الذى يكفل حرية العقيدة لكل طائفة ، وهذه القاعدة اليوم أصبحت حبراً على ورق كما يقولون ،

ويتضح هذا فى المناهج الدراسية التى لا تعنى إلا بالهندوكية ديانة الأكثرية على ما فيها من تحد للعقيدة الإسلامية ، لا سيما وأن هذه المناهج إجبارية على كافة الطلاب ، أما المشكلة الثالثة فهى مشكلة اللغة ، وهذه المشكلة تتمثل فى انحراف آخر عن الدستور ، فقد تقرر فى لغة (أردو) لغة قومية رسمية ، ولكن المسئولين استطاعوا أن يفرضوا اللغة الهندية إجبارياً كأداة للتعليم ، وأثر ذلك فى ثقافة المسلمين ، حيث كانت لغة أردو الوسيلة الوحيدة التى تربطهم بالثقافة الإسلامية ، فحرفوها عربية تسهل بها قراءة القرآن ودراسة اللغة العربية ، وفيها آدابهم وحضارتهم . وهناك المشكلة الاقتصادية ، فقد بدأ قسط المسلمين — بعد التقسيم — فى الوظائف الحكومية يضعف ويقل حتى أصبحت نسبة ضئيلة تنذر بتطور خطير فى أوضاع المسلمين الاقتصادية والاجتماعية على السواء .

في القرن الثاني الهجري كإبراهيم بن أدهم والكرخي والطائي ، الذين يراهم المؤلف فريقاً ذا نمو محلي بين العرب تطورت به مؤثرات مسيحية بما قبل الإسلام حيث كانت الرهبانية المسيحية معروفة لدى العرب على تخوم الصحراء السورية وفي صحراء سيناء .

في الكتاب دراسة دسمة لها تقديرها ، وفيه مفتريات وأضاليل أبرزها المؤلف عن قصد ، وقد أدى الدكتور تمام حسان جانباً من الواجب حين كشف في مقدمته عن سوء المؤلف ، ولكن التعليق لم يكن متكافئاً مع المفتريات التي دست بين السطور .

لننا لا ننكر الإقدام على ترجمة دراسات المستشرقين المتصلة بالإسلام لدساعتها وتعمقها وسعة الاطلاع الواضحة فيها ، ما دامت لا تنقصنا القدرة على رد المفتريات على أعقابها ، وهي مفتريات يدفع إليها التفكير الصليبي الذي لا يتورع عن أن يلبس الحق بالباطل .

وهناك مسألة جديدة بالنظر ، فالمؤلف كغيره من المستشرقين ، يعتمد كثيراً على كتب التراث الإسلامي القديم ، ولعل من الخير أن نعيد النظر في هذا التراث ، وأن تكون هذه المهمة الأولى لمجمع البحوث الإسلامي بالأزهر إن شاء الله ، هذا وإن مؤتمر التوجيه لعلواء الأزهر برئاسة الأستاذ الأكبر الذي انعقد في الأسبوع الأول من

أن الثقافة الأوروبية الحديثة مشتقة من الثقافة الرومانية التي كانت هي بنفسها مجموعة من النتائج التي تمحضت عنها مؤثرات متعددة . كانت الحياة العقلية الهلينية أقواها ، ولكن هذه النتائج تفاعلت فأسفرت عن نظام متماسك عن طريق القدرة الرائعة على التنظيم . أما الثقافة الإسلامية فهي في أساسها وجوهرها جزء من المادة الهلينية الرومانية ، حتى علم التوحيد الإسلامي قد تحدد وتطور بواسطة منابع هيلينية .

ونرى هذا المستشرق في الفصل الأول يضرب على هذا الوتر ، ويحاول أن يدخل على ذهن القارئ أن محمداً - صلوات الله عليه - كان على صلة بمعلمين من النساطرة (المسيحيين) وأن رهبان أولئك النساطرة ومبشرهم كانوا على صلة بأوائل المسلمين ، وهذا كلام بالطبع لا يقوم على دليل علمي ، وإنما هو نغمة يضرب عليها دائماً غلاة المستشرقين كلمستر ديلاس أوليري .

والأحاديث النبوية في رأى هذا المستشرق صنعت في العصر الأموي لتكيف أى وضع جديد مع الإسلام ، ويجنح الغلو بالمؤلف إلى حد يقرر فيه أن المسلمين حين عرفوا فلسفة أرسطو تلقوها كما يتلقى الوحي ، وأن هذه الفلسفة كانت القرآن يقرآن جنباً إلى جنب ، وأن الرهبانية المسيحية تركت أثرها في التصوف الإسلامي وزهاد المسلمين الأوائل

رسول الله لإيهم ، وهو في كل ما يخبر به الرسول من أمور يجعل شعاره مثلاً أعلى للتصديق المدعم باليقين (إن كان قال فقد صدق) وتتجلى عظمة الصديق بعد ذلك في ثباته وقوة إرادته النابعة من إيمانه بالله وثقته فيه ، فهو في مواقفه في أزمة السقيفة على أثر وفاة الرسول ، ومشكلة حرب الردة ، ومسألة قيادة أسامة الصغير السن لجيش المسلمين في وقت عصيب ، في هذه المواقف وغيرها تجلت شخصية أبي بكر الفذة التي لم تعرف الضعف ولا التردد حيال تحمل التبعات والمسئوليات .

ويكشف الأستاذ خالد عن شخصية الحاكم المثالي تحت عنوان (ولست بخيركم) فيضعه داخل دائرة من الدقة والنزاهة والأمانة ، ويتخذ من أول خطبته للخليفة نموذجاً للحاكم المثالي .

(إني وليت عليكم ولست بخيركم . إن أحسنتم فأعينوني . وإن أسأت فقوموني) وفي الفصل الخامس والآخر يعرض الأستاذ خالد الصديق أبا بكر الحاكم البسيط الذي لم تفتنه مظاهر الحكم ، ولا عظمة السلطان ، فهو قبل الحكم يحلب للأرامل الشياه ، ويقضى لهن الحوائج ، وظل كذلك بعد الخلافة . الترجمة للعظماء شيء سهل ، ولكن الجديد في كتابات الأستاذ خالد ، هو تجسيم المعاني الكبيرة وإبراز المثل الرفيعة في أسلوب تحليل جميل

شهر سبتمبر بالإسكندرية ، قد أصدر قرارات منها إعادة النظر في منهج التاريخ الإسلامي ، ونحن نأمل أن يعاد النظر في كتب التراث الإسلامي بأسره .

٤ - وجاء أبو بكر :

للأستاذ خالد محمد خالد

هذا الكتاب الذي نشرته دار الكتب الحديثة بعابدين ، حلقة ثانية لحلقة سبقت تحت عنوان (بين يدي عمر) والأستاذ خالد لا يهدف إلى ترجمته عن كبار الصحابة ، وإنما يهدف إلى دراسة تحليلية ، ومنهجه أن يلتقط من حياتهم مثلاً رفيعة ، وقياً عليها ويضعها في إطار تبرز داخله عظمتهم وعبريتهم .

فهو تحت عنوان (ليلغز الكتاب أجله) يحللي استعداد أبي بكر النفس والقلبي والعقلي لعقيدة الألوهية الحق ، والوحدانية الخالصة لأنه لم يرض كما - رضى غيره - من شباب العرب ، ألوهية حجارة صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى من الحق شيئاً ، وإن عقله ونفسه وقلبه لتحن إلى محاولات المنددين بوثنية الجاهلية ، بمن أرهصوا بالتوحيد الخالص قبيل الرسالة المحمدية ، كقس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة ابن نفيل .

ويتجلى استعداد أبي بكر أيضاً للإيمان ، فهو يتجاوب مع الرسول حين يعلن أنه

بريد المجلة

مع الأستاذ الدكتور محمد البهي :

كتبت هذه المجلة كلفة ترحيب في عددها
الماضي هنأت فيها المعنيين بالإصلاح الديني
والتطوير الأزهرى بتولى الدكتور محمد البهي
وزارة الأوقاف وشئون الأزهر فلما اطلع
عليها فضيلته بعث بهذه الرسالة الرقيقة البليغة
إلى رئاسة تحرير هذه المجلة وهذا نصها :

أخى الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات
رئيس تحرير مجلة الأزهر .

سلام الله عليكم ورحمته

وأشكر لكم تحيتكم الكريمة على صفحات
مجلة « الأزهر » وهى تحية أعتز بها ، إذ تأتى
من أديب كبير ، وصديق عزيز . ورائد
أصيل للفكر العربى والإسلامى الحديث .

وإن « مدرسة الرسالة » لتمثل فى تاريخنا المعاصر
تجديداً أدبياً فكرياً روحياً قومياً ، تلتمس
جذوره وأصوله فى « مدرسة الإمام » وتبرز
ثماره وآثاره فى انطلاقتنا القومية الكبرى
فى هذه الأيام التاريخية الكبرى التى قدر لنا
أن نحياها منذ ثورة « جمال عبد الناصر »
الوثابة البناءة .

ولمأتى إذ أكرر شكرى وتقديرى ،

أدعو الله مخلصاً أن يبارك فى حياتكم وقلوبكم
ليظل - كالعهد به دائماً - حداة العروبة
والإيمان .
والسلام عليكم ورحمة الله .

وزير الأوقاف
وشئون الأزهر
(دكتور محمد البهي)

استدراك وتعقيب :

فى مقالى : (نظرات فى كتاب فلسفة
تاريخ محمد) المنشور فى العدد الماضى ذكرت
حديث : « اعمل لديناك كأنك تعيش أبداً ،
واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »
وتعرضت للرواية التى ذكرها الأستاذ
مؤلف الكتاب وهى وضع كلمة : (احرث)
بدلاً من اعمل فى أول الحديث .

ومن الإنصاف للأستاذ محمد جميل بيهم
أن أقول إن هذه الصيغة وردت فى (النهاية
فى غريب الحديث والأثر لابن قتيبة ، الجزء
— ١ — ص ٣١٢ ، العثمانية ١٣١١) .

على أن من العلماء من يصف هذا الحديث
بأنه ضعيف أو موقوف وبعضهم يقول
إنه : لا أصل له .

التي تلقتها الأمة بالقبول كنبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم . وكالأحاديث التي تعين مدلول قوله انشق القمر على أنه حصل فعلا وليس مؤولا بيوم القيامة ...

هذا ما قاله الصديق الشيخ محمد سعاد جلال في تعقيب الشفوى السريع على هذا التعقيب المكتوب ، وأضيف إليه ما قاله العلماء من أن التحدى يكون بالقوة كما يكون بالفعل . وليس من اللائق بأستاذ كان سكرياً لتحرير هذه المجلة أن يتصيد الآراء التأفهة المرفوضة عند جمهرة العلماء . ويعتمد عليها في التدليل لترويج ما لا يحل ترويجه من الآراء ..

عبد الرحيم فودة

حول لفت نظر :

قرأت بالمجلة في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ . صفحة ٣٦١ تحت عنوان (لفت نظر) ملاحظة الأستاذ عبد الرحيم فودة على كلبة الأستاذ محمود الشرقاوى . نظرات في كتاب فلسفة تاريخ محمد . فوجدت في ملاحظة الأستاذ فودة نقطتين لم أستطع فهمهما . هما قوله : إن الأنبياء كانوا يعتمدون على معجزات وخوارق ، وعد من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم حادث الإسراء . والثانية هي قوله : إن الإيمان بالله معناه

أما ما ذكره فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة في (لفت نظره) عن قصة الإسراء ، في صدد الكلام عن المعجزات ، فإن المعجزة — كما يعرفها العلماء ، هي (العمل الخارق للعادة المقرون بالتحدى) ، ولا كذلك الإسراء

ومن العلماء من قال إن الإسراء كان (رؤيا منامية) ، ومع أن الأستاذ جميل بهم لم يتعرض في كتابه للإسراء ، فإن من حقه أن يقول مقالة هؤلاء العلماء ، وله أن يقول — كما قال قبله علماء آخرون — إن معجزة النبي عليه السلام هي القرآن الذي تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ، أو آية ، فعيجزوا .

محمود الشرقاوى

لفت نظر ... أيضا

قال الشيخ محمد سعاد جلال يعقب على هذا التعقيب : إنما تكون المعجزة مقرونة بالتحدى عند قصد التحدى . أما تحقق مفهوم المعجزة في حد ذاته فهو ثابت وإن لم تقرن بالتحدى كانفلاق البحر لموسى ونبع الماء بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم . وانشقاق القمر فهذه كلها معجزات ثابت بعضها بالقطع كانفلاق البحر وبعضها بالأحاديث المستفيضة

تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) آية ١٠٦ يوسف وقوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) آية ٨٢ الأنعام ومعنى ذلك أن الإنسان قد يكون مؤمناً بالله وبوجوده وقدرته وكأله ومع ذلك يكون مشركاً به تعالى .

ففرجو أن توضح لنا المجلة في عددها القادم ما يزيل هذا اللبس . والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود عبد الحفيظ

كلية الحقوق بعين شمس

للبس :

لو قرأ الكاتب الفاضل الآيات السابقة والآية اللاحقة . للآية التي ذكرها لزال من ذهنه ما توهمه لبساً : فليقرأ قبلها قوله تعالى : د وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين . وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، وليقرأ بعدها قوله د أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ، فسيخرج بعد قليل من التأمل أنه لا يكفي في الإيمان مجرد التصديق بوجود الله ، فقد يكون مع التصديق بوجوده شرك يوقع في شرك

الإيمان بوجوده وقدرته وكتبه ورسله وكل ما ينسب إليه من صفات الكمال وما يصدر عنه من أقوال . فعنى من آمن بالله بعبارة واضحة صريحة من أسلم ودخل في دين الله .

ولما رجعت لأحد علماء الأزهر أرشدني إلى كتاب من كتب التوحيد التي تدرس بالأزهر وإلى بعض كتب التفسير فخرجت منها بما يأتي :

أن الأمر الخارق للعادة إنما يسمى معجزة إذا صدر على يدي نبي يتحدى به قومه . ويكون إظهار الله لهذا الأمر الخارق على يدي النبي المتحدى به حجة على قومه .

وأما الخارق الذي يمرى لا على سبيل التحدى فهو مجرد كرامة . كما يظهر على يدي النبي يظهر أيضاً لولى من أولياء الله . ولا دخل له في التحدى ولا في إقامة الحجة على الغير .

وعلى ذلك لحادث الإسراء . لم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم قومه لأنه حصل في الليل وهم نيام . وعلى ذلك فهو ليس بمعجزة .

على أن بعض كبار الصحابة قال إنه كان مناماً بروحه الشريفة . ولم يكن في اليقظة . وأما أن الإيمان بالله معناه الإيمان بكل ما ذكره الأستاذ فهذا لا يتفق مع قوله

وسوريا والعراق ، والكويت ، والبحرين .
وقد احتشد في مسرح كلية الحقوق أكثر
من ألقى شاعر وزائر وحج للشعر . واقتتح
حمدي عاشور محافظ الإسكندرية المهرجان
الكبير بكلمة عن دور الإسكندرية الطلائعي
في الثورات ، والمعارك الوطنية ، ومجالات
العلم والثقافة . وقال للشعراء : أنتم حملة المشاعل
أرجو أن تشقوا طريقنا للسلام على أعضائها .
تشجيع الشعراء :

وتحدث يوسف السباعي سكرتير المجلس
الأعلى لرعاية الآداب والفنون عن الجهود
التي يقوم بها الشعراء النشريعير السلام والمحبة
وسط دخان الحرب الذرية التي تهدد بفناء
العالم . وأضاف قائلا : . « وأقدم شكرى
للرئيس جمال عبد الناصر الذى يعزى أقلام
الشعراء بعنايته . وإن المجلس ، سيعلم عن
مسابقات شعرية جديدة وطبع دواوين
الشعراء الجدد ، والاهتمام بفن التراث
الشعرى القديم لربط حاضرنا بماضيها .

وألقى عبد المنعم الصاوى وكيل وزارة
الثقافة كلمة نيابة عن الدكتور عبد القادر حاتم
قال فيها : إن الشعر لم يكن فى يوم من الأيام
ترفاً ، وإنما كان إحساساً وتعبيراً عن كيان
الامة . والشعر هو النعمة الجميلة التي هبت
من دول عدم الانحياز ، كلها أمل ، وحج
وسلام .

الهلاك والعياذ بالله ، فلا يكون لهذا الإيمان
قيمة ، بدليل قوله تعالى : « أفأمنوا أن تأتيهم
غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة .
صحيح أن مجرد التصديق بوجوده تعالى
يسمى فى اللغة إيماناً لأن الإيمان قد تعلق
بنسبة وهى ثبوت الوجود لله ، ولكنه ليس
الإيمان المطلوب ، بدليل الآية التي ذكرها
الكتاب « الذين آمنوا ولم يلبسوا لإيمانهم
بظلم ، فلا شك أن الشرك ظلم كما يقول الله
« إن الشرك لظلم عظيم » .

أما ما ذكره عن المعجزة فقد عقبنا على
مثله فى نفس هذا العدد فليرجع إليه ؟

عبر الرمهم فودة

مهرجان للشعر فى الإسكندرية :

بالرغم من التشاؤم الذى يسود العالم بسبب
أزمة كوبا ، والخوف من قيام حرب ذرية
تهدد بفناء البشرية وتقضى على الحضارة
فى بضع لحظات ، انبعثت من الإسكندرية
ألحان عذبة رقيقة تحمل كلمات الحب والسلام .

ففى مهرجان الشعر الرابع الذى اقتتح
بالإسكندرية أول أمس ، اجتمع لأول
مرة شعراء من ١٩ محافظة من جميع أنحاء
جمهوريةنا . واجتمع كذلك ممثلو البلاد
العربية من اليمن والجزائر وفلسطين ولبنان

الشعراء الشباب :

وسلم محافظ الإسكندرية ، جائزة التفوق للشعراء الشباب الذين فازوا في مسابقة المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وقد فاز أحمد داود عن قصيدته (ترنيمة نهد) بسبعين جنيتها ، ومحمد أمل دنقل عن قصيدة (طفلها) بخمسين جنيتها ، ومحمد عادل سليمان بثلاثين جنيتها عن قصيدته (حكاية أجير إقطاعي والأورة) .

شاعرات المهرجان :

وقد اشتركت في المهرجان ست شاعرات هن : جليمة رضا ، نجاة شاور ، روحية القليبي ، نسرین عبد الحى ، شريفة فتحى ، لورا الأسيوطى .

وتحدثت الدكتور سهير القلباوى عن التجديد في الشعر العربى ، والدكتور نemat فؤاد عن المازنى .

وانتهى المهرجان بحفل شأى أقامته الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب بالإسكندرية في نادى الضباط .

وأعلن عبد المنعم الصاوى قائلاً : إن وزارة الثقافة ، قررت تشجيع جميع الشعراء ليزداد صوت السلام ولا يرتفع صوت المحبة عالياً .

العقاد يهاجم :

ثم ألقى كلمة العقاد ، وكانت رائعة ، حملت في طياتها هجوماً على الشعر الحديث ، قال إن الإنسان العاوى يستطيع أن يمشى وأن يتحدث بسهولة وأن يرفع عقيرته بالصياح ، ولكنه إذا رقص أو غنى أو ألف بين الأصوات ليخرج موسيقى متناسقة ، أصبح فناناً والقواعد الفنية ليست قيوداً على الفنان ولكنها الحرية الكاملة ، التي تساعد الفنان على إيصال فنه إلى الجماهير .

وتتابع الشعراء في إلقاء قصائدهم ، فألقى عزيز أباظه قصيدته عن (شوقى) وإبراهيم العريقى (مندوب البحرين) وهارون هاشم رشيد (مندوب فلسطين) ، وعبد الله العلوى (مندوب اليمن) وألقى قصيدة الشاعر محمود عماد معهم وكانت عن (القمر الجريح) الذى أصابه الصاروخ .

باب الفتاوى :

مِنْ أَضَائِرِ الْجَنَازِ الْفَتَوَى

ابراهيم محمد الاصيل

بشرف عليه :

هذه الشبكة ، ولورثة الزوج استردادها
كما في المهر .

حكم المهر والشبكة قبل العقد .

السؤال :

حكم سن الزواج شرعاً وقضاء .

السؤال :

على أى نص من النصوص الشرعية
اعتمد قانون الجمهورية العربية المتحدة
زواج للبنات التي لم تبلغ سنها السادسة عشرة
والصبي الذي لم يبلغ سنه الثمانية عشرة
وما الحكم الذي يترتب على مخالفة هذا
التشريع ، وهل هذا التشريع خاص بالجمهورية
العربية المتحدة أم يسرى على جميع البلاد
الإسلامية ؟

محمد الحضرمي - حضرموت

الجواب :

صحة النكاح شرعاً لا تنقيد بسن معينة
للزوج أو الزوجة فيصح النكاح شرعاً
ويترتب عليه جميع آثاره الشرعية من مهر

خطب رجل فتاة ودفع لها مهرأً وشبكة،
ثم توفي قبل أن يعقد العقد عليها ، فما الحكم
في ما دفع للخطوبة وهل يرد كله أو بعضه ؟
محمد علي شمس : بالعربية

الجواب :

ما دام الحال كما ذكر ، من أنه لم يتم عقد
الزواج على الفتاة المذكورة ، فلا حق لها في
شئ من المهر ، ولورثة المتوفي الرجوع
على هذه الخطوبة بما دفع لها من ذلك ،
وكذلك لا حق لها في الشبكة ؛ لجريان
العرف على أن هذه الشبكة لم تدفع على أنها
هدية بمحبة ، وإنما دفعت لها على أساس أن
يتم الزواج ، وما دام الزواج لم يتم بسبب
موت الزوج قبل القعد ، فلا حق لها في

الزوجية قد انتهت - وإذا توفيت بعد ما يقرب من ستة أشهر من الطلقة الأولى هل يرث الزوج شرعاً في تركتها؟
مهندس حامد عبده معيط

الجواب :

صيغة العصمة تملك بها الزوجة طلاقاً واحدة في أى وقت شاءت دون أن تفيد تكرار التطليق، وقد طلقت نفسها طلاقاً رجعية فلزوجها مراجعتها، وقد راجعها فعلاً فليس لها بعد ذلك تطليق نفسها، وما صدر منها من الطلاق بعد ذلك لا اعتبار له؛ لأنها لا تملكه وعلى هذا فقد ماتت وهي زوجة لزوجها وله ميراثها شرعاً.

نقل الدم وهل يبطل الزوجية والمصاهرة؟

السؤال :

أولاً : مرضت إحدى النساء وأدخلت المستشفى وأصبحت حالتها الصحية خطيرة جداً، فاقترح الطبيب المعالج حقنها بالدم فقطوع زوجها بتقديم الدم لها، ثم شفيت المريضة ففى هذه الحالة هل تبقى الزوجية قائمة بينهما أم تصبح الزوجة محرمة عليه؟

ثانياً : امرأة حامل احتاجت إلى دم

وحل استمتاع ونفقة وطاعة . لكن إذا حصل خلاف بين الزوجين فى شيء من ذلك وترافعا إلى المحكمة ، فإنها لا تسمع دعوى الزوجية إلا إذا كان للزوج قد بلغ سنه ثمانى عشرة سنة ؛ وكانت الزوجة قد بلغت ست عشرة سنة فإن الجمهورية العربية المتحدة لما رأت أن فى الزواج قبل هذه السن ضرراً أرادت منع ذلك تجنباً للضرر الناتج من هذا الزواج ، ولم تعتمد إلى وضع ذلك مباشرة بل قصدت إلى منعه عن طريق تقرير عدم سماع الدعوى ، وبنت ذلك على القاعدة الفقهية التى تقرر أن القضاء يتخصص بالزمان والمكان والحادثة . فلولى الأمر أن يمنع القضاة من سماع الدعوى فى بعض الحوادث ، وله أن يقيد سماعها بشروط يراها . وهذا القانون خاص بريايا الجمهورية العربية المتحدة .

عصمة المرأة بيدها ، وهل حكمها فيها

حكم الرجل ؟

السؤال :

تزوجت على أن تكون العصمة بيدها تطلق نفسها متى شاءت وفى أى وقت شاءت وطلقت نفسها طلاقاً رجعية فهل ، لزوجها أن يراجعها دون موافقتها ، وإذا تمكن من ردها بوثيقة فهل تكون هذه الوثيقة قانونية ، وإذا طلقته بعد ذلك مرتين فهل تكون العلاقة

الجواب :

١ — هذه الاحتفالات لا تقرها الشريعة الإسلامية بحال لما فيها من المفساد العظمى والمنافاة للفضيلة ولما يجب على المرأة من ستر جسمها ومواضع الزينة منها :

وما هذه الاحتفالات إلا تقليد سيء لما يجرى في البلاد الغربية التي لاتدين بالإسلام. وقد حرص الإسلام على صيانة المرأة من هذا التبذل وهذه المواقف المنكرة ، وفي الاشتراك فيها وتعريضها لإثم كبير .

٢ — إن مجرد الذهاب إلى المصايف دون أن يقترن به ما يخالف الآداب الشرعية لا جناح فيه ، وأما ما أتى به أكثر الناس في هذه المصايف مما يخفى العلم به عن وصفه فهو منكراً أشد الإنكار شرعاً وعرفاً ولاخفاء في ذلك .

٣ — في اليا نصيب يدفع الناس أموالهم للجهة التي أصدرته على أمل الكسب ، وقليل ما يكسبون وكثيراً ما يخسرون ودفع المال على هذا الوجه غير جائز شرعاً وهو لإحدى صور الميسر .

والمشروعات الخيرية يجب أن تقوم على الأساس المشروع وأن تكون بوازع نفسى من الدين والرغبة في الخير ولا يحمل الناس على التبرع لها بما يقعهم في الإثم .

فأعطاها أحد الأشخاص كمية من دمه لإنقاذ حياتها ، ثم شفيت المرأة ووضعت بنتاً فهل محل لمعطى الدم الزواج بهذه المرأة أم لا ؟ وهل يجوز له الزواج بالبانة عند بلوغها ؟ وهل يجوز زواج ابنه من بنت المرأة المذكورة ؟ .

الحاج عبد الله داود الدوكزلى

الجواب :

الحقن بالدم لا يمنع بقاء الزوجية المذكورة في السؤال الأول - ولا يوجب تحریم المصاهرة بين صاحب الدم أو ابنه وبين المحقونة به أو بنتها كما في السؤال الثانى .

رأى الشريعة الإسلامية في احتفالات ملكات الجمال . والمصايف ، واليا نصيب .

السؤال :

١ — ما رأى الشريعة الإسلامية في احتفالات ملكات الجمال التي تقام في أنحاء الدنيا ؟
٢ — ما رأى الشريعة الإسلامية في المصايف وهل بوضعها الحال يخالف الشريعة وما هو الإصلاح الذى تقترحونه لتتلاءم مع الشريعة ؟ .

٣ — ما رأى الشريعة الإسلامية في اليا نصيب الذى تناوله بعض الهيئات الخيرية والأفراد ؟

ابراهيم الطحاوى

تشریح الأجسام في رأى الدين .

السؤال :

ما هو حكم الله في أمر تشریح جثث الإنسان بغية التعليم الطبى لتخريج الأطباء ؟
محمد سليمان غازى - حماة - سورية

الجواب :

من مقدمات فن الطب بل من مقوماته تشریح الأجسام ، فلا يمكن الطبيب أن يقوم بطب الأجسام وعلاج الأمراض بأنواعها المختلفة إلا إذا أحاط خبراً بتشریح جسم الإنسان علماً وعملاً . وعرف أعضائه الداخلية وأجزائه المكونة لبنيته واتصالاتها ومواضعها وغير ذلك ، فهو من الأمور التي لا بد منها لمن يزاول الطب حتى يقوم بما أوجب الله عليه من تطبيب المرضى وعلاج الأمراض . ولا يمتري في ذلك أحد ولا يقال قد كان فيما سلف طب ، ولم يكن هناك تشریح ؛ لأنه كان طباً بدائياً لعل ظاهرة . وكلامنا في الطب لشيئ الأمراض والعلل ، والعلوم تزايد ، والوسائل تنمو وتكثر .

وإذا كان التشریح كما ذكر ، كان واجباً بالأدلة التي أوجبت تعلم الطب وتعليمه ، ومباشرته واجبة على طائفة من الأمة ؛ فإن من القواعد الأصولية أن الشارع إذا أوجب شيئاً يتضمن ذلك إيجاب ما يتوقف عليه

ذلك الشيء . فإذا أوجب الصلاة كان ذلك إيجاباً للطهارة التي تتوقف الصلاة عليها . وإذا أوجب بما أو ماناً إليه من الأدلة على فريق من الأمة تعلم الطب وتعليمه ومباشرته ، فقد أوجب بذلك تعلم التشریح وتعليمه ومنزاولته عملاً

هذا دليل جواز التشریح من حيث كونه علماً يدرس ، وعملاً يمارس ، بل دليل وجوب التخصص في مهنة الطب البشرى وعلاج الأمراض .

أما التشریح لأغراض أخرى كتشریح جثث القتلى لمعرفة سبب الوفاة وتحقيق ظروفها وملابساتها ، والاستناد به على ثبوت الجناية على القاتل أو نفيها عن متهم ، فلا شبهة في جوازه أيضاً إذا توقف عليه الوصول إلى الفصل في أمر الجناية ؛ للأدلة الدالة على وجوب العدل في الأحكام حتى لا يظلم برىء ولا يغلط من العقاب مجرم أثم .
حكم نقل أعضاء جسم ميت إلى حي :

السؤال :

تلقينا من مستشارنا الثقافى في جاكرتا استفسار الدكتور هيث طبيب العيون ، الذي يقوم بإعداد رسالة جامعية في طب العيون عن مشكلة طبية دينية ، هذه المشكلة كانت قد أثرت في مؤتمر طبي عقد بالقاهرة ، وهي تتعلق بنقل أعضاء جثة الميت إلى جسم حي

الكريم بالحروف اللاتينية المعروفة ؟ ،

عن الهيئة المركزية للرابطة العلوية

الرئيس الثانى

السيد أبو بكر بن محمد الحبشى العلوى

وكيل الكاتب الأول

السيد عبد الله بن أبى بكر بن سالم الحبشى العلوى

الجواب :

لا شك أن « الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تودى جميع ما تؤديه الحروف العربية ، فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربى كما يفهم من الاستفتاء لوقع الإخلال والتحريف فى لفظه ، وتبعهما تغير المعنى وفساده .

وقد قضت نصوص الشريعة بأن يسان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف .

وأجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف فى القرآن الكريم يؤدى إلى تحريف فى لفظه ، أو تغير فى معناه - ممنوع منعاً باتاً ومحرم تحريراً قاطعاً .

وقد ألزم الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية .

ومن هذا تبين أن « كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة لا تجوز » .

بقصد علاجه ، والذي يهيمه كطبيب عيون هو نقل جزء من عين الميت لاستخدامه فى ترقيع القرنية ، فما حكم الشرع ؟

مستشار ج . ع . م . فى جاكرتا

الجواب :

يتأذى الميت مما يتأذى منه الحى ، فأخذ جزء منه يؤذيه وقد يتأذى أهله كذلك . وعدم إبصار الحى مثلاً وتعطل نفقه ضرر يفوق ضرر الميت إذا قورن به ، لأنه إذا ترك جزء الميت للميت فإنه يبلى ولا يقتفع به أحد . وإذا نقل لغيره من الأحياء فإنه سيؤدى وظيفته ويقتفع به الحى وقد يتعدى نفقه لغيره من الأحياء كذلك فيعود نفعا عاما - ولا يقف دون هذا ضرر الميت بأخذ جزئه منه ؛ فإن الضرر الأخف يحتمل لدفع الضرر الأعظم ولا شك أن ضرر الحى أكثر فالنقل إليه أولى أن يسلك سبيله ويتبع ، على أن الإنسان اجتماعى لم يخلق لنفسه وإنما خلق له وللجتمع . فإذا أمكن أن تبقى منفعة بعض أجزائه ولو لغيره بعد وفاته فلا مانع منه ، ولا يقف الدين فى سبيل ذلك بشرط ألا يكون فى ذلك مثالة بالميت وأن يستأذن أهله فى ذلك حتى لا يترتب على ذلك مفسدة .

كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية :

السؤال :

« ما قول سادتنا - أيدهم الله فى كتابة القرآن

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق عبد الرحيم فوده

وفاء ...

سأل عن قرابتها لينالهم بما كان ينالها به من المعروف ، فأنيء بأنها لم تترك أحدا .

وحياة أهل البادية مملوءة بالضنك حافلة بالشقاء ، فانظر إلى « حليلة » تهبط مكة تستعين بابنها على أثقال الحياة ، فيكلم لها خديجة فتمنحها بعيرا وأربعين شاة ، وانظر إليها تستأذن عليه مرة أخرى فإذا أدخلت عليه ورآها قال : أمى أمى ! ثم بسط رداءه فأجلسها عليه ، ثم أدخل يده من دون ثيابها فس صدرها مسا ، ثم قضى حاجتها .

ثم انظر إليه بعد أن عظم وارتفع شأنه ودانت له العرب كلها . وقد نصره الله يوم « حنين » ، على هوازن ، فهزم الجند ، واحتوى المال ، وسبي الذرية والنساء ، وقسم الغنائم بين المسلمين ، وإنه بالجرانة (موضع) صباح يوم وإذا وفد من هوازن يقبل عليه مسلما ، منبثا بإسلام من وراءه من الناس ، وفي هذا الوفد عمه من الرضاة ، وإذا عمه يتحدث إليه فيقول : يا رسول الله ، إنما في هذه الحظائر من كان يكفلك من عماتك وخالاتك وحواضنك ، وقد حضناك في حجورنا ، وأرضعناك بشدينا ، لقد رأيتك

... ولست أعرف صبيا تأثر بحياة الصبا ، واحتفظ بمحادثه وذكرياته ، ما أقام في هذه الدنيا ، ووفى للذين بروا به وأحسنوا إليه كذا الصبي .

لم يكد يقدر على البر وإسداء المعروف وإظهار شكره للنعمة ، واعترافه بالجميل حق ضرب للناس في ذلك أروع الأمثال وأبلغها تأثيرا في القلوب .

أرضعته أمة لأبي لهب يقال لها « ثويبة » ، أياما قبل أن تأخذه « حليلة » ، فلما علم ذلك من أمرها حفظ لها هذه النعمة ، وعرف لها هذا الجليل ، فلم يكد يقدر على شكرها والبر بها حتى جهد في ذلك ، وإذا هو يحمل زوجه خديجة على أن تسعى عند أبي لهب في أن تشتري منه هذه الأمة لتعتقها ، فيأبى أبو لهب ، فيتصل معروف الرضيع بأمه هذه ما أقام بمكة ، حتى إذا هاجر إلى المدينة لم يفس أمه ولم يهملها ، وإنما يرسل إليها الصلات والسكوة من حين إلى حين ، حتى إذا عاد من خيبر وقيل له إن ثويبة قد ماتت

والحمد، وتهيتها لقبول الإسلام والنصح
للمسلمين في صدق وإخلاص .

قال محدثي : نعم ! ولكن له وفاء آخر
يملا القلوب رحمة ويمزقها لوعة وأسى ، لأنه
وفاء المحب الصادق في الحب ، والعاجز عن
النفع الذي لا يملك لمن يحب خيرا .

قلت : وكيف يجد العجز إلى هذا القلب
العظيم سيلا . ؟ قال : إن الله قدراً مهما تعظم
القلوب فلن تغيره أو تبدل له .. لقد كان أشد
الناس تعلقاً بأمه ووفاء لعمه : مربي قبر أمه
عام الحديبية فاستأذن ربه في أن يزور القبر
فأذن له ، فزاره وأصلحه ومكث عنده حيناً ،
ثم استأذن ربه في أن يستغفر لأمه فأبى عليه
فانصرف عن القبر باكياً كئيباً . وبكى
المسلمون لبكائه . واكتأب المسلمون
لاكتئابه .

ودخل مكة عام الفتح ، ظافراً منتصراً
وبينما هو في بعض مواضعها رأى أصل قبر
فعطف عليه وأقام عنده ، واستأذن في
الاستغفار لصاحب القبر فلم يؤذن له . فانصرف
محزوناً كئيباً . وبكى فبكى الناس . وما رأى
الناس يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم واختلط
أمر هذا القبر على الرواة . فظنوه قبر أمه
وقبر أمه في « الأبواء » ومن يدرى ؟ لعله
قبر جده الشيخ .

وعرض الإسلام على عمه وألح عليه .

مرضعاً فما رأيتك مرضعاً خيراً منك ،
ورأيتك فطماً فما رأيت فطماً خيراً منك ،
ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك ،
وقد تكاملت فيك خلال الخير ، ونحن مع
ذلك أصلك وعشيرتك ، فامنن علينا من الله
عليك ، فيجيبه : لقد استأنيت بكم حتى
ظننت أنكم لا تقدمون ، وقد قسمت السبي
وجرت فيه السهمان (جمع سهم وهو النصيب)
فما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ،
وأسأل لكم الناس ، فإذا صليت بالناس
الظهر فقولوا : نستشفع برسول الله إلى
المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ، فإني
سأقول لكم ، ما كان لي ولبنى عبد المطلب
فهو لكم ، وسأطلب لكم إلى الناس .

فلما صلى الظهر قام الوفد ، فأتهم ما أمر به ،
ووفى لهم بوعده ، وشفع لهم عند الناس
فردت عليهم نسائهم وأبنائهم لم يأت ذلك
إلا نفر من الأعراب اشترى منهم ما كان
في أيديهم من السبي ورد على أهله .

قلت لمحدثي : فإن هذا الوفاء بليغ التأثير
في النفوس ، وأبلغ منه هذه (الحيلة . ١)
الظاهرة البريئة في استخلاص السبي من الذين
ملكوه ، فيها وفاء ، وفيها رد للحرية على
آلاف من الناس ، وفيها إقرار للأمن والسلام
في قبيلة ضخمة قوية من العرب ، وفيها
تخليص القلوب من الضغينة والموجدة

الدعاية إذن ليست هى مصدر هذا الإقبال الشديد على أقراص تحديد النسل ، فإذا يكون السبب . ؟

إن الظاهرة الثانية التى صاحبت الإقبال الشديد على هذه الأقراص تشير إلى أن استجابة المدن كانت أبعد بكثير من استجابة سكان الريف ، وهذا يعنى أمرين .

أولاً : أن الأقراص قد ضلت طريقها إلى الفلاحين أصحاب المشكلة الحقيقية الذين تنقشر بينهم ظاهرة تعدد الزوجات وكثرة النسل ، وفشل الدعاية لتحديد النسل بين صفوف الفلاحين ليس بدعة فينا ، بل هى ظاهرة طبيعية جداً اعترفت بها أكثر بلاد العالم وخاصة الصين عندما شنت حملتها الكبرى لإقناع الشعب الصينى بأضرار الإسراف فى النسل .

ولعل أطرف ما روى وقها عن عناد الفلاحين هذه القصة . فقد شكأ أحد المشرفين الحكوميين من أنه رأى ذات مرة مجموعة من الفلاحين ملتفين حول إحدى لوحات الدعاية التى ملأت كل مكان . وكانت اللوحة تمثل عائلتين . إحداها تضم مجموعة ضخمة من الأطفال العراة الجائعين وأخرى تضم طفلين فقط . وقد ارتدىا ملابس نظيفة وظهرتا فى أتم صحة .

وأسرع الموظف بندس بين جموعهم ليدير

وكاد الرجل أن يقبل لولا حمية الجاهلية فلما مات قال ابن أخيه لأستغفرن لك . فلامه القرآن فى ذلك لوماً عنيفاً .

تبارك الله ! . رجل يخرج الله به أمة كاملة من الظلمات إلى النور . ويفتح لها أبواب الخير على مصاريعها إلى آخر الدهر . ثم يأبى الله عليه أن يستغفر لأمه وعمه وأن ينقذ أهله الأقربين الذين أدوه إلى الناس وحموه حتى أدى الأمانة وبلغ الرسالة .

قلت لمحدثي : وماذا تنسكرون ذلك وعدل الله محتوم لا يقبل أخذاً ولا رداً ، ولا تجوز عليه المصانعة ولا المحاباة . ؟

من كتاب على هامش السيرة

المركتور طه حسين

أقراص منع الحمل ... لمن ؟ !

اختفت أقراص منع الحمل . أو هى لا تكاد تطرح فى السوق حتى تختفى ، وهذه ظاهرة تسترعى الانتباه وتثير القلق معاً . !

فليس من السهل التسليم بأن امتصاص السوق لهذه الأقراص راجع للدعاية التى أحيطت بها ، لأن هذه الدعاية اصطدمت من أول يوم بالناحية الدينية .

والذين يضعون أصابعهم على نبض الرأى العام فى بلادنا يعلمون حق العلم أننا شعب متدين متشبث إلى أبعد مدى بعقيدته ، ومن ثم لا مجال للزعم بأن فكرة تحديد النسل قد غزت رموس ملايين المتدينين بهذه السرعة رغم تعارضها مع مبادئهم .

التعليق...

لقد قيل - غير ما قاله الكاتب - إن أساس التفكير في اختراع هذه الأقراص يرجع إلى الإحساس بضرورة الحد من كثرة عدد اللقطاء في أوروبا إلى الرغبة في تحديد النسل، وهذا وحده يكفي في تصور مدى الخطر الداهم علينا وعلى أخلاقنا. إذا لم نبادر باتخاذ الوسائل التي تحمي مجتمعنا وأخلاقنا منه، والامم كما قال شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وكما قال :

وليس بعامر بنيان قوم
إذا أخلاقهم كانت حرابا

مائة ألف ممة بنى تميم :

لما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه الأحنف ابن قيس فقال له معاوية : والله يا أحنف ما أذكر يوم دفين ، إلا كانت حزارة في قلبي إلى يوم القيامة ، فقال الأحنف : والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أعهادها ، وإن تدن من الحرب فترا ندن منها شبرا ، وإن تمش إليها نهروا ، ثم قام وخرج ، وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه ، فقالت لأخيها : من هذا يتهدد ويتوعد . قال : هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب .

من كتاب هبة الإمام فيما يتعلق بأبي تمام .
شرح وتعليق الأستاذ محمود مصطفى

المناقشة بينهم لصالح المشروع . فإذا به يفاجأ بأنهم وقفوا ليبدوا أسفهم على الزوجة التي لم تنجب غير طفلين ...

الأقراص إذن قد ضلت طريقها إلى من هم في حاجة إليها ، واتجهت إلى أوساط المتعلمين وسكان المدن .

ولكن إلى أى مدى ذهبت هذه الأقراص في ضلالها .. ؟ ومن هم المستفيدون من نتيجة تعاطى هذه الأقراص ؟ .

هل هم المتزوجون وحدهم ..

أخشى أن تكون الإجابة على هذا السؤال في ظل النظام الذي يجرى فيه توزيع هذه الأقراص مستحيلة ، فليس ثمة ضمان واحد في نظام التوزيع الحالي لأن يقتصر تعاطى هذه الأقراص على المتزوجين فقط .

إذن . لا مفر والأمر كذلك من الاعتراف بأن هذه الأقراص - وقد ضلت طريقها - تمضي في ضلالها بلا قيود ..

وهذا خطر داهم يجب أن تدق له الأجراس فلقد أثبت إحصاء أخير في أمريكا أن أكثر من ٦٠ ٪ ممن يتعاطون أقراص الحمل من المراهقات ، وهي ظاهرة مفرقة لا أحسب أحدا من المتحمسين لتحديد النسل عن طريق إغراق السوق بالأقراص يستريح ضميره لتجاهلها .
إننا لا نريد أن نشيد ببناءنا الاقتصادي على ألقاض كياننا الاجتماعي ...

عبد السلام داود

من جريدة الأخبار



مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المصنوع
إدارة إجماع الأزهر
بالقاهرة

ت ٤٦٤١٤

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشتري في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدربين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — السنة الرابعة والثلاثون — رجب سنة ١٣٨٢ هـ - ديسمبر ١٩٦٢ م



١٤
٢٤٤٤٦
دوريات

لِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى العالم الإسلامي
شعوبه وزعمائه
من صاحب الفضيلة
الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للبتقين . (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم
أيها العرب ... رقاب بعض) .

أيها المسلمون ... اذكروا أيها العرب والمسلمون : أن
قوتكم في توحيدكم ، وأن عزتكم في جمعكم ،
واذكروا تربص الأعداء بكم ، وتداعى الأمم
عليكم : د ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم ، . اذكروا أيها العرب والمسلمون ما أمركم
الله به من كتابه ، وآراكم من آياته ، وأعزكم به

اذكروا نعمة الله عليكم ، حين بعث فيكم
د محمداً ، صلى الله عليه وسلم فألف به بين
القلوب المتنافرة ، ووحد به الصفوف
المتقاطعة ، وجمع عليه كلمة العرب بعد أن
كانوا شتى تناوشهم رماح الفرقة والخطوب ،
ثم أفضى بعد ذلك إلى ربه وهو يقول :

وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
وأولئك لهم عذاب عظيم .

أيها العرب ...

أيها المسلمون ...

لقد ينس الاستعمار أن يبقى في بلادكم ،
فأشعل نار العدواة والكراهية بينكم ،
وبث بذور التفرقة والبغضاء بين صفوفكم ،
فلا توالوا عدو الله وعدوكم . وتعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ...

ليكن بأسكم على أعدائكم ، إن الاستعمار
مجد في تفريق كلمتكم والقضاء على وحدتكم
واتحادكم ، فلا تتمكنوه من رقابكم ،
واحذروا ما يقوم به الآن بين صفوفكم ،
ولا تتخذوا بطانة من دونكم .

قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفي
صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن
كنتم تعقلون .

أيها العرب والمسلمون .

الله الله في دينكم .

أيها العرب والمسلمون .

الله الله في إخوانكم ووحدتكم ..

أيها العرب والمسلمون .

الله الله في بلادكم وأوطانكم ..

أيها العرب والمسلمون .

(البقية على الصفحة التالية)

بعد ذلة ، فاستمسكوا به يرضى ربكم عنكم .
وأبلاؤ ربكم في هذه المواطن أمرأ تستوجبوا
الذى وعدكم به من رحمته ومغفرته ... فإن
الاختلاف والتنازع والتثبط من أمر العجز
والضعف ، وهو مما لا يحب الله ولا يعطى
عليه الظفر والنصر .

اذكروا أيها العرب والمسلمون .

أن المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يظلمه
ولا يخذله ، وأن المسلم على المسلم حرام كله :
دمه ، وماله ، وعرضه . وأن المسلمين يدواحدة
يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

اذكروا أيها العرب والمسلمون حرمة
الدماء المراقبة على أرض الين ، وخشونة القتال
الدائر في بقعة عزيزة من الوطن . فكفوا
عن الشريد الطغاة . قال تعالى : فقاتلوا إلى
تنبى حتى تنف إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا
بينها بالعدل وأفسطوا إن الله يحب المقسطين .
إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم
وانتقوا الله لعلكم ترحمون .

اذكروا أيها العرب والمسلمون أنكم بهذا
التخاذل تعرضون أوطانكم للضيعة ، وتقيمون
عليكم الدليل والحجة ، وتظهرون للعالم أنكم
غير جديرين بالسيادة والعزة .

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ،
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »

أَسْبَابُ الْفَصَاحَةِ الْعَرَبِيَّةِ

لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَقَادِ

اليونان والرومان أبناء « المدنية والارتقاء »
على « البرابرة » الذين تدل رطابتهم على
جلافتهم وتخلفهم في مراتب العمران .

أما العربي فقد يسلم للأمة بمحضارتها
وصناعاتها أو يسلم لها بحكمتها وعلومها ،
ولكنه يحتفظ لنفسه بمزية الإفصاح ويجعل
« العجمة » صفة لكل من عداه ، وقد أصبح
الإعراب عنده مرادفا للإبانة وحسن
التفصيل والتوضيح ، من حيث تدل العجمة
على تقيض ذلك في صفات اللسان .

وقد حضرت مناقشات كثيرة عن أصول
القبائل والعشائر في السودان أثناء رحلتي

من خصائص العرب أنهم معتزون بلغتهم
بين لغات الأمم ولو كانت من الأمم التي
يشهدون لها بالحكمة وجودة الصناعة ،
كما شهدوا قديما للهند والصين .

وهذه خاصة عربية لا نظير لها بين الخواص
القومية التي تميز بين الأقوام في تقديرها
لأنفسها .

فكل أمة من أُمم التاريخ المعروف تفخر
بالقومية التي تنتمي إليها ، ولكنه غفر
يرجع في أكثر أسبابه إلى العزة والمنعة
أو إلى التمدن والتهديب وما يقابلهما من
صفات الهمجية والجلافة ، وهكذا كان غفر

بقية نداء الإمام الأكبر

لكم آياته لعلكم تهتدون .
« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل
السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور
بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

محمد رشيد

شيخ الجامع الأزهر

اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم . .
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن إلا وأنتن مسلمون . واعتصموا
بحبيل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة
الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا
حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله

لأن مسألة المخارج الصوتية مسألة « بيولوجية » ودلائل التمام فيها أو النقص مسألة حسية تحكم فيها الآذان ولا حاجة بها إلى تحكيم العقول والأذواق .

فإذا كان سر الفخر العربي باللسان أن فصاحة اللسان العربي حقيقة لا مرأ فيها ، فقد يحق للسائل أن يعود فيسأل : وما هو سر هذا الاختصاص بالفصاحة في لغة الجزيرة العربية ؟

إن بعض الباحثين الأوروبيين يجعل ظهور حروف الحلق في اللغة العربية بعلة غريبة ولكنها تقال كما تقال جميع الأسباب المحتملة في مقام التحليل .

فهم يقولون إن العرب قوم رعاة لابل وشاء ، وأنهم تعودوا أن يسمعوا من أصواتها ما يشبه الخنا والعين والقاف ، فأصبحت تسرى إلى ألسنتهم بعد أن وردت على أسماعهم وتعودوا النطق بالحروف التي أهملها غيرهم لأنه لا ينطق بها ولا يسمعها .

قالوا : وربما تيسر لهم النطق بها ولم يتيسر لغيرهم لأنهم أقاموا في الجزيرة العربية في جو معتدل لا يتعسر فيه فتح الأفواه بالنداء ، فاستخدموا الحلق في أداء الحروف لأنهم لا يخشون أن تنفتح حلوقهم للهواء البارد أيام الشتاء ، كما يخشى المتكلمون ذلك ولا سيما الصائجون بالكلام من أمم الأقاليم الباردة .

إليه ، فكانت العلامة الحاسمة على صحة انتساب العشرة إلى الأصول العربية أنها تشعر « بفخر اللسان » ومزية الإبانة بالقول ، ولم تكن هذه العلامة تخطئ مرة في كل عشر مرات ، إلا أن يرجع الأمر إلى اختلاط الأنساب مع وجود النسب العربي في النهاية ، صريحا أو غير صريح .

ما سر هذه الخاصة النادرة التي لا نعرف لها نظيرا بين خواص الأمم بهذا التحديد في مسألة اللغة دون سواها ، أو قبل سواها ؟ سرها في الحقيقة أن اللغة العربية أفصح لغات العالم بغير مرأ .

ولاخفاء بمعنى الفصاحة اللغوية بين الناس ، فإنما اللغة الفصيحة هي اللغة التي تم فيها جهاز النطق الإنسانى فلم تهمل أداة من أدواته ، وهي التي امتنع فيها اللبس بين حروف اللفظ ومخارج الصوت فلم يلتبس فيها حرفان في مخرج واحد ولم يلتبس فيها مخرجان في حرف واحد ، بل جاء كل حرف من حروفها فصيحا من مخرجه الذي يؤديه على ملتبس بسائر الحروف ، ولو كانت مقاربة له في الأداء .

هذا هو معنى الفصاحة الذي قصدنا إليه غير مرة فيما نثبته من مزايا اللغة العربية المقررة ، ولا محل فيه للجدل ولا للاتهام بدعوى المناظرة والمفاخرة بين الشعوب ،

النطق بين حرفين في نخرج واحد ولا بين نخرجين في حرف واحد ، وقد يكون ذلك أدل على الفصاحة من زيادة عدد الحروف في الأبجدية العربية .

والذى نرجحه أن الفصاحة العربية قد تعزى إلى أسباب كثيرة غير تلك الأسباب المحدودة أو الفرعية .

وأول أسبابها — على ما نعتقد — أن تطور اللغة العربية قد تم بالمشاركة بين كثير من القبائل التى تتسكلمها وتنطق بلهجاتها ، وقد تم بين العرب وهم منعزلون في جزيرتهم عن الأمم الأجنبية .

وقد وجدت في الجزيرة البريطانية لهجات متعددة وقبائل شتى على طول الزمن ، ولكنها كانت لهجات واردة على الجزيرة مع لغات الأمم المغيرة عليها ، فلم تكن لغة واحدة تتطور وتبقى مزية التطور في نطاقها ، ولكنها كانت لهجات شتى من لغات شتى ، فلم تخلص مزايا التطور فيها على قاعدة واحدة .

ومن أهم الأسباب التى عملت في استقرار مزايا التطور أن الكتابة تأخرت زمناً طويلاً عن الخطابة بين قبائل جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها ، ولو تقدمت الكتابة بضعة قرون بين القبائل لاستقرت في اللغة تلك اللهجات المعيبة التى تسكلم بها أبناء القبائل زمناً طويلاً قبل أن تتغلب عليها

ومهما يبلغ من شأن هذه العلة في تفسير الخاصة العربية فليس في وسع أحد أن يزعم لها أنها تفسيرات جامعة مانعة لتلك الخاصة ، فغاية ما يدعيه لها المدعون أنها تفسيرات محدودة فرعية لا يستغنى الباحث بعدها عن أسباب أخرى أعمق منها وأوفى .

فالرعاة — رعاة الإبل والشاة — قد أقاموا في بلاد كثيرة غير البلاد العربية .

والأقاليم المعتدلة غير جزيرة العرب كثيرة في أقطار العالم .

والبلاد الباردة لا يتمتع فيها فتح الحلق طوال العام ، وتكفى فيها شهور الربيع والصيف والخريف لتعود النطق بالحروف الخلقية ثم اتباع هذه العادة في سائر الشهور . وحروف الحلق لا تنحصر في الخاء والعين والقاف التى تسمع أحياناً في أصوات الإبل والشاة . واللغة العربية تتميز بحروف أخرى غير حروف الحلق لا توجد في معظم اللغات ، ومنها حروف الضاد والطاء والغين .

فهناك إذن أسباب التمام لحروف العربية غير الاشتغال برعى الإبل والشاة وغير الإقامة في الأقاليم المعتدلة .

وإذا صلحت هذه الأسباب لتفسير تمام الحروف فهى لا تصلح لتفسير المزية الأخرى من مزايا الفصاحة ، وهى تقسيم الحروف ومخارج النطق بحيث لا يلتبس

والهضاب ، حذراً من عوادي الحيوان
والإنسان ومن ضلال الطريق بين الأهوية
والأنواء ، فاكثبوا مزية السمع المرفف
وما يصحبه من مزية التفرقة بين الأصوات
بل بين الهمسات والأصدا ، وتلك مزية
لا محل فيها لدعوى المكابرة بالفخار الكاذب
لأنها مزية حسية يكتسبها الحيوان كما يكتسبها
الإنسان ، وليس أقدر على السماع المرفف
من حيوان الصحراء .

فهذه الحاسة المرففة هي التي عودت السامع
العربي أن يميز بين درجات الصوت المتقارب
في الزاى والذال والظاء والجيم المعطشة ،
وهي التي عودته أن يميز بينها في السين والصاد
والثاء والشين ، وهي ولا شك تلك الحاسة
التي يعرفها الموسيقيون وينسبون إليها وجود
ربع المقام في الأنغام العربية حيث يحتجى
من أنغام الموسيقى الأوربية ، ولا حاجة
باللغة في سبيل التطور والتصفيه إلى حاسة
أوفى بهذا الغرض من حسن النطق وحسن
الاستماع . .

* * *

وكل أولئك من الأسباب العلمية الطبيعية
التي تعنى المتفرنجين ببلننا من مؤنة هز الكتبتين
إذا سمعوا يوماً أن لغتهم العربية
أفصح اللغات .

عباس محمود المفاذر

لهجات التصفيه والتهذيب التي وافقت شيوع
الكتابة بعد ذلك ، فلم يثبت من الكلام
المنطوق غير ما حسن تدوينه بالكلام
المكتوب

ومما أعان على تصفيه اللغة العربية أنها
استقلت بمزايا اللغات السامية كلها في عزلتها
بعد أن تفرقت الشعوب السامية من
السكلدانيين والآراميين والعبرانيين ،
والأحباش حيث اختلطت في الأقطار
الآسيوية والإفريقية المتباعدة ، فظلت
على حالة النقص التي توقفت بها عن التطور
المستقل مجارة لغيرها من لغات الأمم التي
أحاطت بها وأثرت فيها .

فالتطور في اللغة العربية سلسلة لم تنقطع ولم
تتفرق في جهات ممتدعة لالتقى بعد افتراقها ،
فخلصت لها مزايا التطور قبل انفصالها عن
أخواتها السامية وبعد انفصالها عنها .

ولا نهمل الأسباب الجغرافية التي كان لها
أثر في اختصاص العرب بمزايا النطق الفصيح
ومزايا التنسيق والتوفيق بين المخارج
والحروف .

فمن تلك الأسباب ما أفاد اللغة من جانب
حسن الاستماع كما استفادت من جانب حسن
النطق وحسن الأداء .

فقد عاش العرب في الصحراء أحوج
ما يكونون إلى السمع الدقيق بين الأودية

المثالية في نظر الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

قول « لا إله إلا الله »، وكان هذا المفسر يريد أن يقول : (إن لا إله إلا الله) هي الحقيقة الكبرى التي لا تعلوها حقيقة ، وهي التي يجب أن تكون المرجع والمقياس الذي يقاس به كل شيء ليعرف ، فما كان متمشياً معها ، ملائماً لها من الأفعال والأحوال فهو حق وخير ونهج سوى ، وما كان منافراً لها ، غير متسق معها فهو باطل وشر والتواء عن الصراط المستقيم . وهذا معنى صحيح ، ولكنه لاجمال يحتاج إلى تفصيل .

وعندى أن المثل الذي ذكر في هذه الآية مرتين ، هو ما يحتذى ويقاس عليه ^(١) ، وهو نوعان متقابلان :

أحدهما المثل السيئ ، وهو عبارة جامعة لكل معنى من معاني الشر والفساد ، كأنه قالب لكل ما هو سوء ، فحق يقاس عليه شيء من الأشياء وطبيع به لم يأت إلا خيالاً وخساراً وضلالاً وفساداً ، وقد عبر عنه بعبارة فيها تركيب إضافي ، فقيل « مثل السوء » لأنه مقياسه وقالبه فكان « السوء »

(١) اقرأ التعليق على هذا في باب انباء وارااء .

من معاني المثل والمثل في اللغة ما جعل مثالا أى مقداراً لغيره يحتذى عليه .

وبعبارة أخرى هو في الماديات : القالب الذي يقدر عليه مثله .

ويقال : هذا الرجل مثال أو مثل يحتذى أى أسوة وقدوة .

وقد اعتاد الناس في عصرنا الحاضر أن يفسبوا إليه فيقولوا « المثالية » يريد التزام أمثل الأشياء وأفضلها وأشرفها ويقابلون به « الواقعية » أى : التزام الواقع والرضا به كيفما كان .

ولذلك يقولون : فلان مثالى ، أى يترسم في قوله وفعله المثل العليا ، أى الصور الأفضل ، وفلان واقعى أى : من خلقه مجازاة الواقع دون أن يعبأ بما عسى أن يكون فيه مما يغمز أو يعاب .

وفي القرآن الكريم :

« للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » قال بعض العلماء في تفسير « المثل الأعلى »

الذى أثبت في هذه الآية لله عز وجل : هو

يشق اللحد فيميل به إلى جانب الحفرة لا إلى وسطها وسوائها .

وقد وصف القرآن الكريم رب العزة بأن له الأسماء الحسنی ، ومعنى ذلك أنه تعالى هو المبدأ الأكل ، والمثل الأعلى في كل ما هو سمو وفضل وجلال وجمال ، وأن كل ما في الكون من ذلك صادر عنه وقس منه . وقد قرب هذا المعنى حيث يقول : «الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » .

فالسماوات والأرض تعبير عن الكون كله ، علويه وسفليه ، وما خلق الله من شيء . والله نورها ، والنور هو روح كل موجود وسره ، فلو تصورنا موجودا مظلما لا نور له لما كان في المعنى إلا صورة مساوية للعدم . وقد أثبت العلم أن كل موجود لا بد له من النور على نحو من الانحاء ، وأن انقطاع النور انقطاعا تاما عن الموجود إنما هو مرحلة نهايته وفنائه ، وهذا المعنى قد أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض دعائه الذي توجه به إلى ربه ، حيث يقول : (أعوذ بنور

الذي هو جماع كل شر وفساد وضلال شيء له قالب يطبع عليه ، ويمثل به . ونسبته إلى « الذين لا يؤمنون بالآخرة » صلبها أن هؤلاء هم الذين لا يرجون ثوابا ، ولا يحشون حسابا ولا عقابا ، فهم لذلك يستبجحون كل إثم ، وكل شر ، وكل ضلال أما الذين يؤمنون بالآخرة فن شأنهم أن يترسموا ما ينجيهم من حسابها وعذابها ويدخلهم في رحمة الله ورضوانه .

وفي القرآن الكريم : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

والنوع الثاني من المثل هو « المثل الأعلى » الذي يقاس عليه فعل الخير والصلاح وكل ما هو رشاد واستقامة ، وذلك هو الفضائل والصفات الحميدة والأعمال الصالحة ، فكل ذلك مرجعه ومقياسه وتقديره هو الله ، لأن الله تعالى هو مجمع المثل العليا - إذا جاز لنا أن نعبر بهذا التعبير - وهذا شبيه بقوله عز وجل في موضع آخر : « والله الأسماء الحسنی فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائهم » .

ففي هذه الآية مقابلة بين « الأسماء الحسنی » التي أثبتها الله لنفسه جل وعلا ، والأسماء التي يلحد فيها الملحدون ، أي يميلون في شأنها عن النهج القويم ، والوسط السوي ، كمن

التأمل فيها ، ويعرف أخلاقه تعالى
أوصافاته بها ، وترسم ما توحى به من المثل
العليا في أبوابها ومواطنها ؛ من شأنه أن
يعرفنا بالفضيلة والكمال وكل ما هو سمو
وخير وجمال .

ذلك هو « المثل الأعلى » الذي أثبت لله
جل جلاله ، وتلك هي « الأسماء الحسنى » :
كلاهما يوجه إلى الرجوع إلى الله تعالى
وترسم مقاييسه ومناهج حكمه وتشريعه ،
وصفات علوه وكأله .

* * *

و « المثالية » في نظر الإسلام ليست
هي الوصول الفعلي إلى هذه المثل ، حتى لو أن
إنسانا قصر عنها خطوة ، أو حاد عنها قيد
شعرة ؛ لما كان في نظر الإسلام « مثاليا » .
كلا ، ولكن الله تعالى إنما يكلفنا بأن
نترسمها ونتعشقها ونجعلها نصب أعيننا ،
نهدف إليها بقدر استطاعتنا ، ونذود
في فللكها غير نادين عنها عناداً واستكباراً
ورفضاً وتخلصاً .

إن الله تعالى فطر بنى آدم على نوع معين
من الغرائز والطباع والوظائف الجسمية
والعقلية ، ومن شأن هذا النوع أن يجرهم
إلى ارتكاب ما يعد خطئاً أو انحرافاً
أو ذنباً ، ولم يشأ جل جلاله أن يخلقهم
على النوع الذي خلق عليه الملائكة الذين
(لا يعصون الله ما أمروهم ويفعلون ما يؤمرون).

وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلاح
عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل في غضبك ،
أو تحل على سخطك) .

وقد وصفت الآية الكريمة هذا النور
بوصف تمثيلي مداره على إثبات قوته وصفاته ،
وتكامله وتمايم بهاته ، فبلغت من ذلك الغاية ،
وقربت الأمر أعظم تقريب .

وقد جاء القرآن الكريم بكثير من أسماء
الله الحسنى التي اشتهر أنها تسعة وتسعون
استناداً إلى ما روى في الصحيحين وغيرهما
من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إن لله تسعة وتسعين اسماً - مائة إلا واحداً -
من أحصاها دخل الجنة) .

وذلك مثل : الرحمن ، الرحيم ، الصبور ،
الشكور ، الملك ، القدوس ، الباري ،
المصور ، القدير ، العظيم ، الحليم ، الغفور ،
الودود ، الخئيد ، الحميد ، الوهاب ، الباسط ،
القابض ، الرقيب ، الحسيب ، وغير ذلك .

والمؤمن البصير بربه ، يتعلق بأسمائه
ويتعشقها ، ويرسمها ، ويجعل منها مثله
ومقاييس أفعاله وأخلاقه ، ويرى فيها سلواه
وهداه ، ويستمد منها قوة في حياته ،
تيسر له الصعاب ، وتهون عليه الشدائد ،
وتدفعه إلى القيام بما أقامه الله فيه دون
تبرم أو ضعف .

وذكر الله تعالى بهذه الأسماء عن طريق

هذه هي نظرة الإسلام إلى « المثالية » ، ولو أنه نظر إليها نظرة تشديد ، وألزم بها الناس على معنى أنه أوجب عليهم تحقيقها كاملة غير منقوصة ، لما استطاعوا أن يحققوها ، ولكانوا كلهم خارجين عن أمر الله ، مستحقين لعقابه . ولو أنه تعالى خلق الناس جميعا على طبيعة الملائكة ، فلم يعص في الأرض ولا في السماء ؛ لما تحقق وصف « العفو » ، ولا وصف « الغفور » ، تحقيقا عمليا .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن « المثالية » التي يقرها الإسلام ، إنما هي الاتجاه إلى مثل الفضيلة والخير والحق والجمال ، وتعشق ذلك كله ، وأن تهوى إليه أفئدة الناس مؤمنين به ، مصدقين « بالحسن » ، أي بأن لهم مثلا عليا يجب عليهم أن يعملوا على احتذائها ولا يكونوا كالذين يكذبون « بالحسن » ، ويعتقدون أن كل شيء في الحياة مباح ومستباح ، وهم الإباحيون الانحلاليون الذين لا يؤمنون بالآخرة ، والذين لهم (مثل السوء) كما يقول القرآن الكريم .

وبذلك يكون للمثالية نظر إلى الواقعية ويكون للواقعية نظر إلى المثالية . أو بعبارة أخرى . يكون الإسلام واقعيًا في مثاليته ، ومثاليًا في واقعيته .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

ولهذا لا نستطيع أن نقول : إن الله تعالى ينتظر من عباده أن يكونوا طائعين طاعة تامة ، متجنبين لاقتراف أى إثم ، بعيدين عن ملاسة أى نواع من أنواع الشرور والمفاسد . لا نستطيع أن نقول ذلك ، لأن الله تعالى هو الذى خلقهم وغرس فيهم طبائعهم وملكاتهم ، وركب فيهم الشهوات والرغبات والحاجات ، فلا يمكن أن يتطلب منهم سجايا الملائكة وقد خلقهم بشرا .

ولذلك نجد القرآن الكريم يرسم للمثالية خطوطا فيها رحمة بالإنسان .

فهو يقول : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ويقول مع ذلك « فانقوا الله ما استطعتم » ، ويقول أيضا « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » ، ثم يصف هؤلاء المتقين بأوصاف تدل على اتجاهمهم إلى فعل الخيرات ، واجتناب الإصرار على المعاصي إذا وقعوا فيها ، فيقول : « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » .

مَنْ مَعْنَى الْفَتْرَانِ

« وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله ،
وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ،
(قرآن كريم)

والطوية ، فالربا زيادة تؤخذ بالباطل ، ودون
عمل مقابل وهو لذلك ضرر وشر ، والزكاة
زيادة تعطى للمستحقين من الأغنياء والموسرين
وهي لذلك بر وخير ، الربا زيادة يأخذها
الغنى من الفقير أو المحتاج ، والزكاة زيادة
يدفعها الغنى للفقير أو المحتاج ، وبين الأمرين
من الفوارق ما بين الرذيلة والفضيلة ، والباطل
والحق ، والخبيث والطيب ، والحرام والحلال .
وفي ضوء هذا التوجيه الإلهي تدبّر معام
« الاقتصاد الموجه » كما يريده الإسلام ؛
فالمال يجب أن يوجه إلى طريق الخير والبر .
فلا ينمى بالاستغلال الآثم الظالم كما هو الشأن
في مسلك اليهود وفي نظام الائتمان الذي ابتدعوه
وأشاعوه ، وعاشروا عليه . كما يقول الله :
« وأكلهم الربا وقد نهوا عنه » . وإنما ينمى
بما شرع الله من وجوه السعى النافع والنشاط
الشريف ، وبما ينفق منه في وجوه الخير
والبر ومصلحة الناس والاجتماع كما هو الشأن
في النظام الذي جاء به الإسلام وأشار إليه
قول الله سبحانه : « ولاتأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا
من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

عبد الرحيم فودة

الربا كلفة تطلق على الزيادة والنماء وعلى المال
الزائد ، يقال ربا المال يربو بمعنى نما وزاد .
وضعف الشيء مثله ، ويقال أضعف فلان
إذا صار ذا أضعاف - بفتح الهززة - كما يسر
بمعنى صار ذا يسر .

والزكاة تطلق على معنى الزيادة والنماء ،
والطهارة ، والصلاح . وصفوة الشيء ، وهي
بالمعنى الشرعى حصّة من المال ونحوه يوجب
الشرع بذلها للفقراء ونحوهم بشروط خاصة .
المعنى

ما أعطيتم من مال تلتمسون بإعطائه أن
يزيد وينمو في أموال الناس لقاء انتفاعهم به
أو حاجتهم إليه ، فهو لا يزيد عند الله ،
ولا يبارك الله لكم فيه ، وما أعطيتم من مال
تريدون بذلك إرضاء الله وامتنال أمره . فهو
ينمى أموالكم ويضاعفها ، ويجزل الله لكم
الأجر والثواب عليه ، والذين يبذلون بعض
ما يملكون من المال على هذا الوجه الذي
يرضاه الله هم دون غيرهم أحباب اليسر والبركة
والنماء « يمحى الله الربا ويربى الصدقات » .

والمتأمل في هذه الآية الكريمة يجد مقابلة
بين أمرين كلاهما بمعنى الزيادة . وهما الربا
مع قصد الاستغلال وزيادة المال ، والزكاة
مع الإخلاص لله في النية ، وسلامة القلب ،

الأزهر والتطور

للأستاذ محمود الشرقاوى

— ٢ —

ثقافتنا الإسلامية عندما نعود بها إلى عصور السيادة والأصالة : عصورها الأولى .

ولست أريد أن أطيل في رسم هذا المنهج لأنى أجد كلمات قليلة لإمام من أئمة الشريعة الإسلامية ، هو أبو حنيفة ، تحدد هذا المنهج أصدق تحديد وأعظمه دقة وشجاعة ، يقول أبو حنيفة : « إن ما كان من عند الله ورسوله قبلناه على العين والرأس ، وما كان من عند غيرهما فهم ناس ونحن ناس » .

ولا أزيد على كلمة أبو حنيفة هذه سوى أن « ما كان من عند الله ورسوله » من الأوامر الصريحة والتكليف المطلوبة قبلناه كما يقبله المؤمنون على العين والرأس . ولنا في غير ذلك أن نفهم وأن نقارن وأن نجتهد . فقد أصبح من نافلة الحديث أن نقول إن باب الاجتهاد لم يقفل . وأصبح من المكابرة الضارة القول بغير ذلك .

٧ — وما يجب أن يدخل فيه الفكر الدينى ، الذى يمثله الأزهر المتطور ، القصد والاعتدال فى الأحكام الجازمة فى الشريعة ، وناهيك بالاتهام والتكفير ، ونحن نحفظ

٦ — « خرجنا من نظم الحكم وحدود التفكير العثماني والمملوكي ومن سطوة الحياة فيهما ، فكان من الحتم أن يخرج من هذه النظم وهذه الحدود التفكير الدينى ورجاله وأهله » .

دكذا قلنا فى مقالنا السابق من هذه المجلة (١) فى آين يدخل الفكر الدينى - الذى يمثله الأزهر المتطور - بعد خروجه الحتمى من نظم الحكم العثماني والمملوكي وحدوده فى التفكير ... ؟

أول ما يجب أن يدخل فيه الفكر الدينى - الذى يمثله الأزهر المتطور - هو : « المنهج الحر » فى البحث وفى التفكير وفى الأداء . وبعض المجددين المفتونين بالثقافة الأوروبية يسمونه المنهج « الأوربى » أو « الغربى » لأن سمات هذا التفكير القائم على الشجاعة والشك والتفرس قدمت لنا فى هذا العصر من الغرب . ولكن هذه السمات نفسها ، وخصائص هذا التفكير نفسه نجدها فى

(١) ص : ٤٢٢ من عدد جادى الآخرة سنة ١٣٨٢ « نوفمبر سنة ١٩٦٢ » .

وليجعلوا — قبل ذلك — رائدهم وإمامهم
نهى النبي الكريم أميره (بريدة) « أن ينزل
عدوه إذا حاصره على حكم الله . وقوله ،
عليه السلام في ذلك : فإنك لا تدري أتصيب
حكم الله فيهم أم لا ، ولكن أنزلهم على
حكمك وحكم أصحابك ، وبذلك نهى
رسول الله أميره ، والعلاء من بعده ،
أن يسمى حكمه واجتهاده « حكم الله » .

وأماى وأنا أكتب هذا المقال حديث
تحدث به شيخ معاصر كبير يقول فيه : إن
إعطاء المرأة حق الانتخاب (حرام) وكان
ذلك قبل سنة ١٩٥٢ ، ونحن الآن لم نعط
المرأة حق الانتخاب فقط ، بل أعطيناها
— بعلم رجال الفكر الدينى وإقرارهم —
حق التمثيل النيابى وحق الاشتراك فى الحكم ،
الوزارة ، وربما عن قريب حق تولية القضاء .
وليس شئ من ذلك خارجا على (عموم
الشريعة) وإن يكن خارجا عن رأى (بعض
العلماء) فيها .

ولو أن شيخنا الذى أفتى بأن إعطاء حق
الانتخاب للمرأة « حرام » ، جنح إلى القعد
والحيطة ولم يحزم بكلمة (التحريم) لجنب
نفسه وجنب الشريعة نفسها هذا الحرج الكبير
الذى لا موجب له ولا مبرر .

٨ — هذا الموقف من بعض رجال
الفكر الدينى والمضى — أو من أكثرهم —

قول النبي الكريم : « الدين يسر لا عسر ،
وما شاذة الدين أحد إلا غلبه » ، ونعرف
أن النبي عليه السلام ، كما وصفته عائشة ،
ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما .

وفى هذا القصد وهذه الحيطة نجد التابعى
الجليل « ابن وهب » يقول راويا عن الإمام
مالك : « سمعت مالكا يقول : لم يكن من أمر
الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت
أحدا أقتدى به يقول فى شئ . هذا حلال
وهذا حرام ، وإنما كانوا يقولون نكروه
كذا ونرى هذا حسنا ، فينبغى هذا
ولا يرى هذا (١) » .

وفى ذلك أيضاً يقول ابن القيم إن الأئمة
تورعوا عن إطلاق لفظ التحريم على كثير
من الأشياء واختاروا لها وصف الكراهة ،
تحرزاً وورعاً وحيطة .

ليجعل الذين يبادرون إلى التحليل
والتحريم نصب أعينهم كلمة عظيمة زاجرة
قالها مالك (فى بعض ما كان ينزل به فيسأل
عنه فيجتهد فيه رآيه) (٢) فقد كان مالك
يقول : « إن نظن إلا ظناً ، وما نحن
بمستيقنين » (٣) .

(١) ص : ٣٩ « من إعلام الموقعين » الجزء ١
« محمد محيى الدين عبد الحيد » .

(٢) ، (٣) ص ٤٤ من : إعلام المودعين (الجزء
١ - الطبعة سابقة الذكر) .

في الحرية التشريعية في رسالة ابن المقفع المعروفة برسالة الصحابة ، فقد ذكر فيها ما يفهم منه أن الحرية الذهنية في الفقه الإسلامي كانت في ذلك العهد مطلقة حتى وجدها في نظره قد انتهت إلى فوضى ، فهو يقول إن القضاء « متروك لرأى القاضى واجتهاده حتى تصدر عن ذلك أحكام متناقضة حتى في البلدة الواحدة ، فمستحل دماء وفروج وأموال في ناحية من نواحي الكوفة وتحوم في ناحية أخرى ، تبعاً لحكم القاضى » (١) ثم يذكر ابن المقفع أصحاب الرأى وأصحاب الأثر من القضاة وأن بعض هؤلاء يقضى بما شاء « ثم إذا قيل له : إن مثل هذا الأمر لم يرق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله وسلم أو أئمة الهدى من بعده قال : فعل ذلك عبد الملك بن مروان أو أمير من بعض أولئك الأمراء » (٢) وأن بعض هؤلاء يزعم أنه من أهل الرأى « فيقول في الأمر الجسم قولاً لا يوافق عليه أحد ، ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وإمضائه الحكم عليه ، وهو مقرر أنه رأى منه » (٣) .

وقد أكون أطلت في هذه الناحية الخاصة التي أريدها أن تكون أثراً من آثار تطور

هو الذى جعل الثورة الكيالية في تركيا قبل أربعين سنة تقتحم القدسية العظيمة التى كانت لهم فيها ، وتجترى ، مع ذلك ، على الشريعة نفسها فتفعل بها ما علينا من المحو والتحدى أو الإبادة في بلاد (الخلافة الإسلامية) نفسها . وهذا الموقف نفسه هو الذى جعل مصلحاً عظيماً ، هو الشيخ المراغى (١) ، يعلو صوته بهذه النصيحة قبل خمس وثلاثين سنة فيقول : (... وكما حصل في الأمة المصرية نفسها إذ تركت الفقه الإسلامى لأنها وجدته ، بحالته التى أوصله إليها العلماء ، غير ملائم . ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة وراعى الضرورات والخرج ، لما تركته إلى غيره . لأنه يرتكز إلى الدين الذى هو عزيز عليها ...) . وهذا بحث قد وفيناه في بعض كتبنا .

٩ - وعلى النقيض من ذلك نجد الأمر في عصر من أزهى عصور الفكر الإسلامى وأزهر أيام الحضارة الإسلامية ، نجد فيها الشكوى من الإنطلاق في الحرية لا من تقيدها والحجر عليها ، وكان الأجدر أن يكون العكس هو الواقع .

نجد مظهرًا من مظاهر هذا الإفراط

(١) (٢) رسالة الصحابة لأن المنفع

(٣) ص - ٩٥ - من كتابنا - تقويم الفكر الدينى - « البيان العربى » .

(١) مذكوره الشيخ المراغى الإصلاحية المشهورة التى قدمها إلى الملك فؤاد سنة ١٩٢٨ .

في الشريعة وفي علوم عصرهم أيضا . حتى في أشد عصور الفكر الإسلامى ظلمة وتخلفا نجد عالما مثل الشيخ حسن الجبرتى - والد الشيخ عبد الرحمن المؤرخ الكبير - في القرن الثامن عشر يقبح في فقه الحنفية ويتقن علوم الطب والهندسة والحساب ويرى موازين الناس قد « فشى فيها الغش » كما يقول ولده - فيقومها لهم . ولكن هذه السكليات الجديدة التي أنشئت أو تنشأ في الأزهر لا بد أن تبقى عليه طابعه وخصائصه وميزاته .

١٠ - والأزهر ، قبل تطويره وبعد تطويره ، له رسالة نحو اللغة العربية وتجديد دراستها على منهج جديد . وهذه الملاح التي وصفناها في مقالنا هذا وسابقه ، عن دراسة الشريعة، نجد أشباها لها في دراسة اللغة العربية ، فقد جمدت وفسدت عندما جمدت وفسدت الحياة الفكرية والسياسية الأمة العربية كلها . فكانت دراسة اللغة ، مثل دراسة الفقه والشريعة ، قائمة على التلقين والتلقي والمتابعة والجمود والتقليد والتعقيد ، وبقيت على هذا الحال حتى عصر قريب : نرى الشيخ ناصيف اليازجى ، مثلاً ، يؤلف في منتصف القرن التاسع عشر ، في لبنان ، كتابه : « مجمع البحرين » على نسق « مقامات الحريرى » ، ونرى أمير الشعراء شوقي يؤلف بعد ذلك كتابه : « أسواق الذهب »

الأزهر ، : ناحية القصد والاعتدال في الحكم وناحية التيسير في الحرية ، على أساس من الدليل والفهم للشريعة وروح العصر معاً ، قد أكون أطلت في ذلك ، عن قصد ؛ لأنى أعتقد أن الأزهر مهما أضيفت له أو أنشئت فيه من كليات مدنية ، فسيبقى هو الأمين على شريعة الإسلام في العالم كله ، على الشرائط التي ذكرناها ونذكرها وعلى المستوى الذى نريده وندعو إليه . وأعتقد أن هذا أيضا هو ما يريده المشترون لتطوير الأزهر في حديث وزير الأوقاف وشئون الأزهر الذى يقول : « جامعة الأزهر لن تكون صورة من الجامعات الأخرى ^(١) » وليس للأزهر من خصيصة تفرده عن الجامعات الأخرى إلا أنه الأمين المهيمن على شريعة الإسلام ، وسيدى بهذه المثابة على الدوام مادام كفواً لها وقادراً عليها .

لا بأس أن تنشأ في الأزهر وفي غيره كلية أو كليات للطب والهندسة والزراعة وغيرها . « فالعلم » الذى قال النبي عليه السلام إنه « فريضة على كل مسلم ومسلمة » ليس هو علم الدين والشريعة وحدهما ، بل كل علم من علوم الحياة ، وقد كان ابن رشد وابن سينا والغزالي وغيرهم علماء من كبار الأئمة

(١) حديث السيد الدكتور محمد البهى ، جريدة الجمهورية في ١١ أكتوبر ١٩٦٢ .

ويعتمدها، وهي، في مجلتها، تهدف إلى زيادة فهمه للحياة العقيدية والسياسية والاجتماعية التي تحيط بجماعة المسلمين في العالم المعاصر بخاصة، والتي تحيط بالعقائد والأديان ووضعها القائم في العالم المعاصر، وفي المستقبل القريب، بعامة. ولنضرب أمثلة على ذلك: عند جماعة المسلمين في العالم المعاصر جملة من «المشاكل» أو «المسائل» التي تؤثر تأثيراً كبيراً عليهم جميعاً وعلى مستقبلهم كأصحاب عقيدة يأمرهم دينهم بالمساندة والمؤازرة - وهما نتيجة للفهم والمعرفة - من ذلك مثلاً وضع «باكستان»، القائم ومستقبلها والحال التي يعيشها المسلمون فيها، وأهلها كلهم مسلمون، هذه الجماعة الإسلامية الكبيرة يجب على رجل الفكر الديني الذي يريد أن يشارك مشاركة فعالة في خدمة جماعة المسلمين أن يدرس أوضاعها ومشاكلها واحتمالات مستقبلها القريب، حتى يشارك في معونتها.

البقية في العدد القادم

محمود الشرفاوى

على نسق كتابي: «أطواق الذهب» للزخشرى و«أطباق الذهب» للأصفهاني. والتقليد من الأخير واضح، حتى في التسمية. وكما نرى في «ليالى سطيح» لحافظ إبراهيم و«وحديت عيسى ابن هشام» للويلحي. وهذه الكتب وأشباهاها مما ألفت في عصور الظلام قائمة على المحاكاة والمحسنات وأدب اللفظ والصياغة. والتفصح والتصعيب ولإبراز القدرة اللفظية والتزويق.

وقد وجدت وأنا ألقى دروسى في كلية اللغة العربية قبل سنين أن هذه «المدرسة» لا يزال لها رجالها ونفوذها ومتابعوها وهذا الذى نريده من «الفكر الدينى» الذى يمثله الأزهر المتطور، نريده أيضاً فى دراسة اللغة والأدب من كلية الدراسات العربية الجديدة فى الأزهر.

١١ - وهناك ألوان من الثقافة ليست تعليمية ولا جامعية - ويمكن أن تكون كذلك - ولكن رجل الفكر الدينى، الذى يمثله الأزهر المتطور، يجب أن يعرفها وأن يحيط بها، بل يجب أن يدرسها

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوماً: يا أبت، إنك تنام نوم القائلة، وذو الحاجة على بابك غير نائم: فقال له: يا بني، إن نفسى مطيقي، فإن حملت عليها فى التعب حسرتها.

فن الصورة في أدب المازني

للدكتورة نعات أحمد فؤاد

وفضل المازني في الصورة يظهر إذا رجعنا خطوات وراجعنا إطار الصورة في الأدب العربي . كان هذا الإطار يأخذ شكل المقامة أو الرسالة أو القصيدة . وكانت الصورة داخل هذا الإطار تؤدي على اختلاف ، في ظل الصناعة اللفظية ، فتخرج مثقلة بالمحسنات ، والسجع خاصة ، وتجمدت أشكالها حتى أخذت شكل القوالب .

وجاء في بشائر عصر النهضة جيل حاول التجديد كالمويلحي في حديث عيسى بن هشام فشمنا ريح التجديد في الموضوع ، ولكنه لم يتخلص من (القوالب) بصفة نهائية فحديثه شبه مقامة في سبجه و (القفلات) و (الخطابية) .

وهنا يظهر عمل الرواد من حيث الشكل والمضمون . وتفصيل هذا كثيرة ولها امتدادات تخرج بنا عن الموضوع . يكفي أن نقول إن الإطار والصورة ، على أيدي

الرواد ، تجسدا حتى وصلا إلى المفهوم الحديث لهما . فكانت القصة والمسرحية عند توفيق الحكيم ، والمقالة والقصة عند المازني ، والمقال والقصيدة عند الأستاذين : العقاد وشكري .. هذا على سبيل المثال لا الحصر .

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني في طليعة كتاب المقالة في أدبنا الحديث إن لم يكن كاتبها الأول ، وهو يقف في هذه الطليعة بين كتاب القصة أيضا ، فالصورة عنده لها مجالات متعددة غنية وساحة . وفي هذه المجالات تستمد الصورة من ملكاته الخاصة وقدراته الفنية . تستمد من طبيعته المتفككة الساخرة ، تستمد من قراءاته الأصلية المترعة ، فقد كان رواد الأدب وثيق الصلة بالأعمال الأدبية الكبيرة في الأدب الغربي إلى جانب ضلالتهم في الأدب العربي . من هذه الينابيع كلها تستمد الصورة في أدب المازني ، فتروع بالملاحظة النافذة والتفاصيل الممتعة ، والفكاهة العذبة ، والسخرية الضاحكة ... ويمد المازني لهذا كله بمبالاته المستمرة . والتجسيم فن طبع في يده ، يطرف به ويروق ، فتغدو الصور كاريكاتورية تبلغ بالدعابة ما لا تبلغه صور أخرى بالجد والتقنين .

والصورة عند المازني فن يستهوى . وكلنا نذكر مقدمته لكتابه (صندوق الدنيا) الذي يشبه به أدبه ، والحقيقة أن قراءه معه كأطفال الصندوق الذين رسم لهم المازني صورة ملونة استوقفت الكثيرين .

صورة الولد وصورة البنت - أعنى بنوة الولد وبنوة البنت .

صورة المرأة وهذه لها معرض من الصور في كتبه كلها : متكلمة ، وصامتة .

إذا صح أنها تطبق الصمت في رأى الرجل على الأقل - ومتدلة وزوجة وصديقة . . أما وبنتا ... إلخ .

وأخيراً صورة نفسه التي استغرقت كتابين من كتبه ، ولعل كاتباً لم يصف نفسه وصفاً دقيقاً متشعباً محيطاً كما فعل المازنى . إنه لم يدع أدنى شيء يتصل بها أو عمل أخته إلا تناوله بقلبه . ولعله كان يعرف هذا فقد كتب في وصف إبراهيم السكاتب وهو يعنى نفسه (وكان يرص العبارة فوق الأخرى ويكظمها جميعاً بشخصيته حتى لتحس أن ألفاظه ملأى بمعانيه هو ، ومثقلة بخواجه هو ، وأنه لاسيلاً لك إلى رأى أو إحساس فيما وراء هذا الكوم المسكندس من الآراء والإحساسات وأن عليك أن تتبلع بلا تردد ولا مضغ) . إبراهيم السكاتب ص ٢٢٩ / ٣٠٠ .

وكتاب المازنى (من النافذة) يكشف عن مادة الصورة عنده ، فهذا الكتاب مجموعة صور التقطتها عين المازنى وكونتها من مجموعة أشياء ذكر بنفسه منها : (ثيابهم ومبلغ عنايتهم بها وما يراه عندهم من ضروبها وحركاتهم ومشياتهم وطريقتهم في الكلام

وليس معنى هذا أن المقال والقصيدة بل والمسرحية كانت غير معروفة قبلهم واسكنها كلها بالصورة الحديثة لها أو الصورة المتكاملة المفهوم والشكل إنما ولدت على أيديهم ... أيدى الرعيل الأول وأحد أعلامه الأستاذ « إبراهيم عبد القادر المازنى » .

ولقد صور المازنى بيته ومعاملة أهله له طفلاً ويافعاً ، كما صور ملاعب طفولته ورفاق حدائمه ومعابدهواه . صور هذا كله وصفاً دقيقاً بارعاً في « حصاد الحشيم » و « قبض الريح » و « صندوق الدنيا » و « ع الماشى » و « مجموع وصفه يعد تاريخاً مصوراً للجيل الماضى ، والبيت المصرى القديم ، والمجتمع المصرى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . فأدبه التصويرى من هذه الناحية لون من الأدب الموضوعى . ومن صور المازنى البارزة وأستطيع أن أقول الخالدة :

- صورة « حياة » (مقدمة كتابه « فى الطريق ») .
- » (صندوق الدنيا) .
- » البيت المصرى (بيت الطبقة الوسطى فى عصره) .
- صورة المدرسة القديمة مدرسيها ونظارها .
- » (ابن البلد) .
- » (الحاوى) .
- » أو لوحة الأبوة والأمومة .

حشد من التفاصيل كما ترى لا يخطئ^١
حرفين من خيط ... لا يخطئ من إيهام
القدم ولون الظفر ..

ويخدم فيما يخدم ، الاسم . فيسمى أحد
الأشخاص عبد المنعم ، ولو من باب إطلاق
اللفظ على ضده كما يقول ..

وصورته تعمد إلى التحليل النفسى في رسم

الشخصية من نظرات العيون أو المشية
أو وجوه السلوك . وأعلى قسما الوجه

عنده (العين) كل القيمة فيها أو كل قوة
النفس كما يقول تتدفق من العين . وهنا كانت

العين أداة التنويم المغناطيسى . . . حتى

الابتسامة سرها فى العين وفى هذا يقول :

(نعم يسعى أن أفتح فى وأوسع حنكى

ولكن عيني .. كيف أقصرها على الالتصاع

الذى لا يكون الابتسام ابتساما إلا به) .

وأحيانا ترتكز الشخصية على (الكفين)

كما فعل مع « عبد المنعم » فى كتابه

« مع النافذة » .

والمازنى مثل الجاحظ فى تقصى الخواج

النفسية حتى ما خفى منها ، وتفسير الحركات

والكلمات على هديها فأدبه من هذه الناحية

أدب إنسانى له شأن ..

وأحيانا يرسم المازنى خلفية للصورة

Background فإذا رسم صورة لإنسان

مكبوت النشأة ناقص الأهلية ، رسم صورة

جاننية لأمه وأبيه بل محبيه أيضا .

وشمائلهم وسكونهم أو ضجرهم إذا أبطأ
عليهم الترام أو حال الزحام بينهم وبين ركوبه) .

ونستطيع أن نضيف له مما يعنى به من

أوصافهم ، قسبان وجوههم وأشكال

أجسامهم ثم تدخل الصورة عناصر أخرى

منها خياله واستطراده الذى قد يحسبه البعض

من حواشى الموضوع ولكن كنهه كثيراً

ما يكون تشويقا يشد المشاهد إلى الصورة

ولا يحول بينه وبينها ...

ثم سخرته وفكاهته وتجسيمه وأخيراً

سره ... روحه الخاص .

وفى أثناء تخطيط الصورة يخدم لها

تفاصيل كثيرة يعطيها أحيانا من الأهمية

ما يعيش على رسم الشخصية المرسومة فيركز تارة

على الثياب ويعمق معناها بما ظاهره الاستطراد

وهو مقصود لتعمق خطوط الصورة .

وثيابها أيضا نفيسه ناعمة ، وكأنها الغلالة

الريقة التى تلبس تحت الثياب ، وهى قطعتان

كذلك : صدار أبيض قصير الكمين ، وفوق

موضع القلب منه ، أو أعلا قليلا ، حرفان

يرمزان إلى اسمها بخطوط حمراء ، والثانية

حجول أزرق هفهاف يخف مع الريح ،

والخداء سيور بيض وزرق ، وإيهام القدم

بارز والظفر أحمر . أما الشعر ففينان

مسترسل وقد لفت عليه دون أن تغطيه

مندبلا أدارته كطرف العمامة ... إلخ) .

لا يطاق حتى لكأنك تلغو في حضرة البابا) .

أحاديث المازنى ص ١٢٠ .

وتحت العنوان البسيط يصف القط فيأخذ في حديث السياسة فالقط حذر متردد (ولو كان الانجليز قد خلقوا قبل القطط وسبقوها إلى الدنيا والحياة لقلت أن القطط أخذت ذلك عنهم وقلدتهم فيه فإنهم مثلاً يقدمون على الشيء متحرزين ويخطون خطوة ثم يقفون ينظرون ما يكون فإذا جرت الأمور على غير ما يحبون أو يتوقعون ارتدوا بخفة وبسرعة وإلا نقلوا رجلاً أخرى وهكذا فيظهر أنهم هم الذين يقدون القطط ويحسونهم في هذا والله أعلم) .

وللبازنى صور بعيدة أو غريبة منها تلك التى رسمها للعصا ولا تقل وما فضل العصا على غيرها من سائر الجملادات فإن المازنى يقول : (العصى معروضة فى دكان ، أو على أيدي بائعيها الطوافين بها ، أو تحت آباطهم لا تبدولى أكثر من أعواد من خشب منجور ومدهون مصقول ولسكنها فى أيدي متخذيها أو حاملها أو المتوكئين عليها تدب فيها « الحياة » وتكتسب « شخصية » وتنقلب أشبه بالعنوان أو الشارة أو الراية .

ثم يمتضى فى التحليل ومن غريب وصفه لها قوله : (والعصا كاللحية تكون أليق فى سن منها فى سن أخرى . وكذلك ألوانها وزينتها أو عطرها وحجومها) .

والعناوين عند المازنى بسيطة مشوقة .

والبساطة نفسها ومن كاتب قصة ، تشويق . . على أنه وراء هذه العناوين البسيطة يتسلل إلى معان ليست بسيطة . فالمازنى تحت هذه العناوين البسيطة يبتث الصورة ما يشاء من أفكار وسخرية تتناول الأشياء . . تتناول ما تواضعنا عليه بسيطاً وغير بسيط . فصورة القط مثلاً أو قل صورة القط منها هذه اللقطة له يصيد فأراً (ومخالبه فى لحمة الطرى فيدرك الفأر اليأس ويستسلم ويقول فى سره وهو يؤكل عسى الله أن يعوضنى يوم النشور داراً أخرى لأقطط فيها . . ويلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يحلم بجنة الفيران) .

وصورة أخرى للقط لا تخلو من سخرية (ومن غرور القطط أنه لا يستأنس أبداً - يسكن بيتك ويأكل طعامك برضائك أو على الرغم منك ومع ذلك لا يكون معك إلا على حرف تمسح له شعره فيثنى أرجله تحته ويرضى جفنيه ويروح يزوم أو « يقرأ » كما يقول العوام فكأنك تستلم حجراً مقدساً من فرط ما يكون من انصراف هذا الحيوان المتكبر عنك ، وتدغدغه فلا يعنى بأن ينظر إليك ليرى من أنت - أغريب أم صاحبه الذى يطعمه ويؤويه - بل ينحنى عليك بأظافر يده وبفمه فى آن معا . وتقدم له اللقمة فينظر إليها شزراً ويعرض عنها محتقراً ويحول رأسه عنك بكبر دونه كل كبر وترفع

خفيف دقيق لا أثقل أرضا ولا أسد قضاء ،
ولا فى الجلد فإن جلدى شف رقيق كثياب
النساء فى الصيف ، فهو لا يحجب شيئا مما
فى جوفى ، ولا يحوج الأطباء إلى الأشعة
ليروا بها ما تحته . وكل إنسان يستطيع أن
يرى قلبى . حق من فوق الثياب . ولكنى
كالفيل فى شىء واحد هو كرهه للوطاويط
ص ٣٥) . فوصف الجلد هنا صورة كاريكاتورية
أو يصف ابتسامه عريضة فيقول إنها
(وصلت فيه بأذنيه !) .

والمازنى مولع بالمبالغة من غلبة الروح
الفنى عليه . والمبالغة فى التصوير تؤدي عنده
إلى المبالغة فى التعبير . وعلى هذه المبالغة
بنوعيتها تقوم سخريته فهى كقبة الكاريكاتير
الذى يبحث عن الشئ الظاهر ويمضى به إلى
أقصاه فى نفس اتجاهه الطبيعى من غير أن
يبدل شكله . والتجسيم عند المازنى فن
مبالغة كما هى الحال فى فن الكاريكاتير وإن لم
تكن المبالغة غايته وإنما هى وسيلة إلى
ما يريد التعبير عنه

ووصف المازنى لبيته يكف عن أسلوبه
فى المبالغة والسخرية وطواعية السخرية فى
يده حتى تغدو « مفاجأة فنية » .

(كانت بوابته كبوابة المتولى كبيرة هائلة
تغطىها المسامير الضخمة التى تعدل رأس الواحد
منها رأس طفل وكان له رتاج غليظ يدخل
فى جدار عظيم السمك ، أما المدخل بما إلى البوابة

هنا تعتمد الصورة على الهيئة وعنصر خارجى
هو حامل العصا .

وأحيانا يدخل الحوار والحديث فى رسم
الصورة عند المازنى وقد اتبع هذا الأسلوب
فى رسم صورة (أمه) فخرجت الصورة لأم
فى نمطها الأعلى رءوما حاذقة كيسة يقظة هادئة
الأعصاب جليدة متفائلة راجحة الشخصية
ذات أسر تكفى بالنظرة الأولى إذا أمكن
أن تستغنى عن الكلمة ويوثق صلتنا بالصورة
فى اللبسة الأخيرة حين يقول (وانى لجليد
فى العادة ولكن موتها هدنى فقد كانت لى أما
وأبأ ، وأخأ ، وصديقا) .

وعلى ذكر الحوار نقول إن المازنى فى رسم
الصورة يخدم العامية فى رسم الصورة كما فى
كتابه « ميدو وشركاه » و « دى الماشى » .
ويخدم المازنى للصورة مواهب أسلوبه
وقدراته من تفصيل فى التصوير والتعبير فى
بساطة وواقعية وشعبية أيضا مع بصر
بالأوصاف المتنوعة وفهم كامل للترادف
والتضاد وفكاهة وسخرية ومبالغة .

والمبالغة والتجسيم عند المازنى عنصر من
عناصر فكاهته تعتمد عليه فى ناحيته كما تركز
فى ناحية أخرى على مدد من طبيعة الروح
المصرى وحبه الفطرى للدعابة والتندر .

هذه إحدى صورته لنفسه فى كتابه « فى
الطريق » : (أنا كالفيل - لا فى الجسم فى

كأسلوبها متفككة ساخرة ضاحكة لأنها تستمد عناصرها من نفسين مستخفتين بالحياة من طول ممارستها لها ، والنقد لما رأيا فيها والعطف مع هذا على الناس ، ومن ثم نزعا في نقدهم منزع السخرية عازفين عن الصرامة والجسد حتى لا يخفى حبهما ، وإن اختلفت سخرية المازني عن سخرية الجاحظ بقدر ما بين البيهتين والعصرين والثقافتين من خلاف ولكن السخرية عندهما بعامة وبالتالى « الصورة » قائمة على الملاحظة المنتخبة ، فهما يلاحظان كل شيء أو معظم ما تقع عليه أعينهما وينتخبان منه ما يصلح مدارا للسخرية وعنصرا للصورة .

وصور المازني ترفدها ينابيع أصيلة

للصورة الجيدة منها غزارة الشعور وقوة الخيلة ، قتلك الصور التى رسمها لطفولته وصباها فى (صندوق الدنيا) و (خيوط العنكبوت) مليئة بالأحاسيس والمشاعر وهى تنبض بالحياة والعاطفة والحرارة وشعور الفنان .

وأحيانا يركز المازني على الزوايا لتؤكد

الصورة الأصلية فصورة (الحاوى) نرى الأطفال المذعورين فى وصف المازني لهم عناصر جاذبية لإبراز صورة الحاوى وتعميق خطوطها .

(كئنا نلعب وإذا بالساحر بيننا ، ولم يقل أحد أنه هو ولا كئنا رأيناه من قبل ، ولكن

فطريق ملتو يتعطف يمنة ويسرة ، وفيه مخاض ومكان متصل بها دهايز خفية ، والمراء لا يستطيع فى النهار أن يبصر كفه من شدة الظلمة وكئنا نضع مصباحا ولكنه لم يكن يضئ شيئا ، بل كان كل ماله من النفع هو أن يرينا شدة السواد ، ويزيده وقعا فى النفوس . وفى الصحن الواسع شجرة جيمز عميقة كثيفة الغصون تسد النوافذ وتمنع الفسيم أن يروح عن نفوسنا فى الصيف . وكئنا نعرف أن الجو جميل والهواء عليل من خشخشة الأوراق ومن مصافحة الهواء لوجوهنا ، وقد يكون اليوم حارا والهواء فى الغرف راكدا ونحن نكاد نختنق ، ثم نسمع صوت الأوراق فيلتفت بعضنا إلى بعض ونبتسم وتشهد ونقول (الله ! لقد رق الهواء وطاب الجو ، ونمسح عرقنا مع ذلك .) خيوط العنكبوت ص ٤٦ - ٤٧ .

فهذه الصورة أو الجزء من الصورة يظهر فيه مسار الباب كرأس طفل ، والمصباح بلغ من ضآلته بل من لاشيئيته أنه يزيد شدة السواد وقعا فى النفوس .

وفى الإنسان الذى يمسح عرقه وهو يقول الله لقد رق الهواء وطاب الجو ! .

إنه الإنسان يخدع نفسه فيتمثل ما يحب وإن كان واقعه خلاف ما يزعمه .

ومرة أخرى أعود إلى المقارنة بين المازني والجاحظ فى الطابع العام للصورة . فصورهما

سخريته المعروفة التي ترى البلغة العتيقة يزداد
لونها على الأيام - لا شحوبا كبني آدم بل
قوة وعنفا وامتلاء فينقلب صفارها احمرارا
وكثير ما تحول سخرية المازني «الصورة»

إلى نقد اجتماعي وتسكسبها قيا إنسانية وأنا
هنا أتمثل صورة (سلطان الرجل ممثلا
في أبيه الذي يجعله فيها مركز الثقل أو نقطة
الانطلاق يتشاءب فينقلب السكون ضجة أو تشتد
حركة الصورة في سرعة وجلبة حين (يتعمد
كل إنسان أن يسمعه صوته ويثبت له أنه
يتحرك في خدمته) ... وعندى أن اللمسة
الفنية في هذه الصورة قول المازني (كل من
في البيت يخدمه حتى أمي ، بل حتى أمه هو)
في هذه العبارة شحنة من الرأي والنقد
والمرارة والسخرية .

وكما صور المازني ، الأشخاص ، صور
الطبيعة . ومن أجل صورته في هذا الباب ،
صورة عصفور ود المازني لو كانه وإن حكى
أن (شوشو) هي التي ودت (لو أنها كانت
عصفورا يذهب إلى حيث يشاء ويخلق
في الجوزاء ، ويسبح في الفضاء ، ويصر
وهو ناشر جناحيه كل ما بين الأرض والسماء
عصفوراً ينحدر على شعاع من نور الشمس
أو خيط من ضوء القمر - عصفوراً يرفع
منقاره وهو طائر ويتلقى في فمه الدقيق قطرة
من المطر - عصفوراً يحط على أعلى فنن في

عينيه الحادثتين الغائرتين دلتانا عليه، ولحيته
السكثة الهاشجة وشت به ، والخيزرانة التي
في يمينه نمت عنه، وكان في ماعدا ذلك كسائر
خلق الله ، على قدميه - وهما أول مارأيناه
ونحن مشيون ننظر إلى البليات المتصادمة -
« بلغة » عتيقة كانت في أيام جدتها صفراء ،
ثم ازداد لونها على الأيام لا شحوبا - كما هو
حالنا نحن بني آدم - بل قوة وعنفا وامتلاء ،
أو انقلبت حمراء ثم أخذت حوافها
ولا سيما حيث تحف بالأصابع - تسود وفوق
ذلك ساقان عاريتان عليهما غابة كثيفة من
الشعر ، وفيما يلي الركبتين خيوط وهلاهل
من نسيج قيعس أزرق باهت مشدود إلى
وسطه بحزام من الليف فوقه عب منتفخ
لم نشك - ونحن ننظر إليه - أن فيه غلاما
مخبوءا، فارتفعنا بعيوننا عنه بسرعة فلقينتنا
عينه بنظرة سمـرتنا حيث كنا فتراخت
أعصابنا قفقلت « البلى » من بين أصابعنا
إلى الأرض ولم يعد بيننا واحد ربح
وآخر خسر .

خيوط العنكبوت ص ٣٥ .

ووصف المازني له ظلال يمددها على
الحياة والناس في صورة الساحر أو الحاوي
التي خدم فيها الألوان اتخذ بما بارعا نرى « البلغة »
وحدها (صورة) . تغير اللون فيها وتطوراته
وحوافها ولا سيما حيث تحف بالأصابع . .
وهنا يسلط المازني على الصورة ، كالشعاع

فشق على المقلدين . ولكن صور المازنى - ويدخل فى باب الصور عندى قصصه ، - هذه الصور التى طوع لها اللغة لتؤدى دقاتها وترسم فى سهولة أبعادها وأعماقها ، هذه الصور لها شخصية واضحة فى الأدب المصرى الحديث أثرت فى جيل القصاصين بعده كعبد الحميد جوده السحار ونجيب محفوظ وأضرابهما .

والمازنى المصور فى كل إنتاجه إنما يعبر عن روح عصره ، ويصور ساخر أحيانا ، وجاداً حيناً آخر ، البيئة التى عاش فيها وانفعاله بها . فإنتاجه القصصى ومقالاته وفكاهاته ما هى إلا صورة لمصر ومن مصر التى قوى إحساسه بها فعبّر عنها وأحسن التعبير .

لقد كتب كثيرون من معاصريه وصوروا وبعض هذا الذى كتبوه يلتقى معه فى العنوان أو زاوية من الزوايا ، وقد أغفلت عائدة المقارنة حتى لا يتشعب البحث ويطل الخلاف فى الرأى والتفضيل ، كما تعمدت ألا أتناول بالبحث الدور الذى لعبته ثقافته الانجليزية فى اتجاهات أدبية مؤثرة الدراسة الموضوعية ؛ لأن المقام لا يحتمل الإطالة أو مناقشة التفاصيل . إننا نكرم رجلاً ، فى أدبه الغنى الإنسانى ، الكثير مما ينهض بعضه بتأهيل صاحبه لإعزاز الأدب وتكريم الأدباء .

نعمات أصمرفؤاد

أستق شجرة ، أو يهوى إلى الأرض ويخطو بين أغصان البرسيم فتحجبه ويضع بيضه الصغير فى حيث يروقه أن يؤلف عشه ، ويمد منقاره إلى الماء حيث يجده ويمص قطره ويتلطف - عصفوراً لا يغير ثيابه ولا يبدل أفراف ريشه ولا يكون فى رأى العين مع ذلك إلا جميلاً) .

وبعد أن رسم المازنى هذه الصورة النابضة المنسابة الخطوط السريعة الحركة الكثيرة اللفتات وجاء دور اللسة الأخيرة بثها خالجة نفسه تأكيذاً لشخصية الفنان ، خالجة تدسرب هادئة إلى الصورة فتعطيها قيمة وتمد لها فى الاستمرار .

يقول المازنى بعد أن فرغ من رسم العصفور (الذى لا يغير ثيابه ومع هذا يبدو جميلاً) .

آه إنه روح الكون ولا شك فى العصفير والسحب سابحة تجوب الآفاق - وفى الأزاهر والأشجار التى لا تكون إلا عطرة ، ولا تبدو إلا حالية موقفة ولا يتورها قلق ولا يساورها اضطراب . (إبراهيم الكاتب)

كان المازنى رسام صور وهو من هذه الناحية صاحب مدرسة . إن أدب المازنى المصور له شخصياً وله مدرسة وإن سلم أسلوبه التعبيرى على التقليد لعق أصالته

منهج القرآن في تربية الفرد للأستاذ خليل البرقوقي

أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ،
وبهذا المبدأ القويم استطاع القرآن الكريم ،
أن يستل من النفوس عوامل القلق ،
ورواسب الخوف ، المنبعثة من اختلاف
اللون والجنس ، وأن يستميلها إلى دعوته .
ولم يهمل القرآن مبدأ الفروق الفردية
بين البشر ، بل أولاه عناية خاصة ، فقرر
في أكثر من موضع أن الناس متفاوتون
في قدرتهم على التفكير والعمل ، ولذلك
لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وأن
الظروف المحيطة بالإنسان قد تؤثر في قدرته ،
فتحد منها أو تزيد ، فللسافر حكم ، وللقيم
حكم ، وكذلك الصحيح والمريض ، والسليم
والأعرج ، والأعمى والمبصر ، ليس على
الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ،
ولا على المريض حرج ... ، وبمراعاة هذه
الفروق عالج القرآن الكثير من العقد النفسية ،
التي يسببها الشعور بالنقص أو الضعف .

ولقد أشبع القرآن في النفوس حاجة كل
منها إلى العبادة والتأليه ، والخضوع للقوة
القاهرة المسيطرة على عناصر هذا الكون ،
ولكنه حرر الأفراد من كل سلطان ،
سوى سلطان الله جل شأنه ، ونمى شخصياتهم

سلك القرآن الكريم في تربية أبنائه منهجا
علليا دقيقا ، تقوم دعائمه على معرفة تامة
بأغوار النفس البشرية ، واستعداداتها
الفطرية ، وقدراتها الخاصة ، فلم يترك وسيلة
من الوسائل تؤدي إلى استغلال الطاقات
السكائمة في نفوس البشر ، وتسخيرها فيما
يعود على الجماعة بالخير إلا طارحها ، من أجل
تكوين مجتمع مثالي ، يعمر العالم .

والدارس للقرآن الكريم يرى لأول
وهلة أنه يلتزم في خطته التربوية ، الحقائق
العلمية التي كشفت عنها البحوث النفسية
الحديثة ، قبل أن تعرف هذه البحوث بآماد
طويلة ، مما يدل دلالة قاطعة على أنه جاء من
لدى حكيم عليم .

ومن الأسس النفسية التي راعاها القرآن
في اجتذاب الناس إلى مبادئه السامية ، إشعار
الخلق جميعا بالأمن والعدالة المطلقة ، عن
طريق إقرار مبدأ المساواة في نفوسهم ،
فلا تفرقة عنصرية ، ولا امتياز لجنس على
آخر ، بل الكل سواء أمام الله ، وميزان
التفاضل بينهم هو التقوى ، والعمل المثمر
وأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ،
وجعلناكم شعوبا وقبائل ؛ لتعارفوا إن

منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » وبالاستهواء « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

أما العمل فقد جعله شرطاً أساسياً لأهلية الناس الدعوة العامة واستحقاقهم الأكل من تلك المأدبة الجامعة التي دعاهم إليها رب العباد حين قال « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، فالأرض ملك لله بحكم الإيجاد والإنشاء ، وهي حافلة بالخيرات والكنوز ولكل فرد الحق في أن يأكل منها بموجب تلك الدعوة ، ولكن بشرط واحد ، هو العمل وأقل العمل هو السعي فيها بحثاً عن الرزق .

ولما كان الإنسان قد يتحول إلى حيوان مفترس ، ووحش ضار ، إذا ترك لغرائزه دون أن تحاط بسياسات متينة يحميها من الانحراف ، ويوجهها الوجهة السليمة ، فإن القرآن الكريم يقرر مبدأ المسؤولية والجزاء ، ليشبع في النفس حاجتين ، الحاجة إلى الزاجر والرقيب ، والحاجة إلى التشجيع والثواب والتقدير « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » ، كل نفس بما كسبت رهينة ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » . والأمل واليأس أثر كبير على نفس الإنسان وإنتاجه ، فقد يدفعه الأمل إلى

بنفي الوساوس بينه وبينهم ، فالناس جميعاً ، غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم محتاجون إلى رعاية الله وحده « يأبى الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد » .

ولكى يعد أبناءه إعداداً سليماً ، ويوجههم إلى العمل البناء ، بين لهم أن النجاح وليد الرغبة والميل ، وأنه متى توفر الميل النفسى وضح الطريق ، وهانت المتاعب ؛ لأن الرغبة في الشيء تذلل المتاعب التي تعترض طريقه ، وتهون من أمرها « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

إن القرآن الكريم يريد للناس عالماً مزدهراً متطوراً ، يسوده الحب ، ويرفرف عليه السلام ، وينهض به العلم والعمل ، ولهذا نادى بالتعاون والتعايش السلى حتى يعيش الناس في أخوة ووثام ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، ولا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، ودعا إلى العلم والعمل ، لأنهما وسيلة الإنسان إلى السعادة والرقى ، وتطوير الحياة من حسن إلى أحسن ، فأحاطهما بهالة من القداسة ، ثم أخذ يستثير حوافز الناس إليهما بكل وسيلة ممكنة ، بالإقناع بأيسر السبل « هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون ، ؟ وبالحث القوي على المعرفة « أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض » ، « فلو لا نفر من كل فرقة

ولقد عرف القرآن الكريم أثر الشعور بالعزة والكرامة في نفس الإنسان ، ومدى ما للثقة بالنفس على سلوكه ، فدعم ذلك الإحساس في نفوس أتباعه عن طريق الإيحاء بقوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، ولكنكم لمعرفته التامة بالنفس وتقلباتها ، ونظراً لما بين الثقة بالنفس والغرور من تقارب ، احتياط للأمر ، ورسم الحدود والمعايير التي تكفل للطبيعة البشرية السلامة من الانحراف ، والبعد عن الغرور ، والانصباب في دروب السلوك السوى ، فساق قصة آدم وإبليس لتسكون للناس عظة وعبرة فلا ينخدعوا بالمظاهر الجوفاء ، ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ، قال أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج إنك من الصاغرين . » .

وبهذا سلم القرآن الكريم من النقد الذي وجه إلى أسلوب التربية المبنية على نظرية « السوبرمان » أو الإنسان الممتاز عند نيتشه فيما بعد .

ويؤكد القرآن كرامة الإنسان لإنسانيته لا لمنزلته أو جاهه أو سلطانه ، ويحذر من إهدار آدميته ولو كان ذلك لمصلحة

التفوق حتى يسلك في عداد الأفاذاز وقد يقعد به اليأس حتى يعد من الأموات ولو كان حياً ، فبالأمل واليأس ، تزدهر الحياة أو تقفر . ولذا فتح القرآن باب الأمل على مصراعيه أمام الناس ، ليلجوا منه إلى رحمة الله ، إلى النجاح والفلاح ، إلى تدارك الأخطاء ، وإصلاح ما فسد ، إلى الإنتاج السليم القائم على الخبرات المكتسبة ، عن طريق المحاولة والخطأ حيناً ، والنجاح والفوز حيناً آخر ، وبقدر ما أفسح المجال للأمل نراه يوصد باب اليأس في وجوه الأفراد ، ويحاربه حرباً عنيفة لا هوادة فيها حتى لا تقفر النفوس من حوافز العمل ، فتتوقف عن الإنتاج المثمر أو تسلك طريق الشر والرزيلة ، فتندثر الحياة ، وتزول معالمها « وربك الغفور ذو الرحمة ، فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ، وإذا سألك عبادي فأني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ، إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك ، قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . » . ولقد جعل الحسنة بعشر أمثالها ، وجعل جزاء السيئة سيئة مثلها ، إمعاناً في فتح باب الأمل ، وتشجيع الناس ، وإغلاق نوافذ اليأس حتى لا يتسرب إلى النفوس فتصرع في حباله .

كبرى في نظر القرآن ، ليتخذ الناس من الماضي عبرا تنفعهم في حاضرهم ، ودروسا تؤمن مستقبلهم ، وتحميهم من الانحراف كما تمشي في أساليبه التربوية مع الفطرة البشرية فأمر الناس بأن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد ، وأن يأكلوا ويشربوا ولكن دون سفه أو إسراف ، ورسم صوراً رائعة للجنة وما فيها من متاع ، وأخرى بخيفة للنار وما فيها من آلام ومتاعب ، لترسب في أعماق البشر ، وتشكون منها ضمائرهم خالصة نقية فتكون نعم الرقيب لهم ، تصرفهم عن الشر حبا لله ، وامتنالا لأوامره ، وتجنباً لعقابه وتدفعهم للخير استجابة لتعلقها به ، وأملا في اكتساب رضوان الله والاستمتاع بما في الجنة من نعم .

حقا إن القرآن كتاب فصلت آياته من لدن حكيم عليم ، وإنه لمن الواجب على المسلمين جميعا دراسة هذا الكتاب دراسة جديدة منهجية ، مبنية على أسس علمية ، تحشد لها الطوائف المتعددة من رجال الدين ومن غيرهم من المتخصصين في كل علم وفن حتى يخرجوا للناس تفسيراً عصرياً يجمع بين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والعلمية المتوفرة فيه ، وبذلك وحده يؤدون واجبهم نحو الله والوطن ؟

فيليل البرقوقي

المفتش بمنطقة الفيوم التعليمية

يغنيها ، ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم » .

والإنسان مولع بالتقليد والمحاكاة ، ولهذا أمده الله جل شأنه بكون عامر بناذج رائعة الجمال ، مةسقة الجوانب ، لا أثر فيه للاضطراب حتى يصل وجده ، بعد أن ينطبع بها ، ويشب على منوالها ، ولم يكتف بذلك بل بعث إليه صفوة ممتازة في السلوك والطبع ليفتدى بهم ، ولما كانت الكلمة الطيبة تفتح مغاليق القلوب ، والمعاملة الحسنة تأسر النفوس ، والقدوة الصالحة تجتذب الجماهير ، فإن القرآن الكريم يخاطب الرسول عليه السلام قائلا : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ، « ولو كنت فظا غليظ القلب لا انفضوا من حولك » ويخاطب أتباعه قائلا : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

وعنى القرآن الكريم بالقصة كاسلوب ناجح من أساليب التربية ، نظرأ لما لها من تأثير قوى على الوجدان ، ولأنها تنقل إلى القراء الأثر المطلوب بطريقة غير مباشرة ، فتطبعهم بانطباعات قوية حين تنقل إليهم التجربة المبررة أو الأثر المحمود الذي مر به أصحابها ، وكان للقصص التاريخي الذي يحكى أخبار الماضين ، وما آل إليه أمرهم أهمية

الموسوعات والمعاجم اللغوية للأستاذ عمر لطفى السيد

ما يظهر ، وقد ذكر المؤرخون أن الخليل لم يتمه بل أتمه غيره من علماء اللغة ، ثم أتى بعده من صنف في اللغة ، وكان من أشهرهم إسماعيل ابن حماد الجوهري الذي عاش في المائة الرابعة فإنه ألف الصحاح في اللغة ، ولكنه لما أشرف على نهايته أصابه هوس وخبل في عقله فسقط من سطح داره مترديا ، وترك كتابه في مسوداته فأكمله بعض تلاميذه . لهذا السبب وقعت فيه أغلاط وأوهام ، تتبعها العلماء من بعده كالعلامة أبي محمد عبد الله ابن برى في حواشيه على الصحاح وابن برى من رجال القرن السادس ، هذا ومن الذين تتبعوا هفوات وأغلاط صاحب الصحاح العلامة مجد الدين الفيروزابادى أحد أعلام القرن التاسع ، فإنه كثيراً ما يذنب على أوهام الجوهري في القاموس المحيط ، والفيروزابادى من أبرز رجال القرنين الثامن والتاسع ، وهو صاحب المعجم الكبير المسمى « باللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والعياب » في ستين مجلدا ، وقد جمع في كتابه هذا بين المحكم لعلى ابن سيده المرسى الأندلسى ، وبين العباب الزاخر واللباب الفاخر

لا يخفى على المطلعين على تراث أسلافنا من علماء الإسلام ، أن اللغة العربية غنية بمعاجمها وموسوعاتنا في شتى العلوم والفنون ، وذلك بما تركه علماءنا من آثار علمية في مختلف القرون الإسلامية الزاهرة ، ولقد احتوت كتب التراجم والطبقات على كثير من تراجم للعلماء الذين صنفوا معاجم لغوية أو موسوعات علمية ، ممابقى مخلدا على صفحات التاريخ يتوارثه الخلف عن السلف ، ويستقى من معينه رجال العلم والأدب على توالى الأيام وكر الشهور والأعوام ، وما لا ريب فيه أن الأمة العربية هى فى الرعيل الأول من الأمم التى اعتنت بتدوين العلوم فى موسوعات كبرى وتصنيف المعاجم اللغوية ، وهذا يتضح جليا لكل من يتصفح كتب التراجم والطبقات ، كوفيات الأعيان ومعجم الأدباء والوفى بالوفيات ونفح الطيب وغيرها من المؤلفات المخصصة لطبقات العلماء والمؤرخين والأدباء ، ولقد شرع العلماء فى وضع معاجمهم منذ القرن الثانى للهجرة ، فى هذا القرن نجد الخليل بن أحمد الفراهيدى وضع كتابه المسمى « بالعين » وهو أول معجم صنف على

لرضى الدين الصاغانى أحد أعلام القرن السابع ، وقد أثنى كثير من العلماء على مؤلفات الفيروزابادى ووصفوها بالتحقيق والاستيفاء والاستيعاب .

هذا وقد ذكر مجد الدين الفيروزابادى فى خطبة قاموسه المحيط ، أن كتابه هذا هو خلاصة ألفى كتاب من كتب اللغة التى ألفها أسلافنا من العلماء ، اطلع عليها المجد الفيروزابادى واستخرج منها الخلاصة المدرجة فى قاموسه ؛ الذى يحتوى على ستين ألف مادة حسب تحقيق العلماء ، وهذا من فضل الله ، إن الله ذو الفضل العظيم ، وليس بالامر الهين الاطلاع على المظان العلية ، وإنما ذلك موهبة خصها الله بعاثفة من العلماء وكان فى مقدمتهم صاحب القاموس المحيط ، ولا أعتقد أن أحدا من العلماء فى العصر الحاضر مهما بلغ من العلم والاطلاع على تراثنا الإسلامى ، يستطيع أن يلم بأسماء ألفى كتاب فى اللغة ، فضلا عن الاطلاع عليها ودراستها واستخراج خلاصات منها ، ولا يخفى على المطلعين أن الإمكانات فى القرون الأولى كانت غير متوفرة وأن طلاب العلم كانت تشد الرحال فى سبيل استنساخ الكتب ، وتقطع المسافات الطويلة لدراسة كتب العلم على مشاهير الشيوخ ، وربما كان ذلك فى

زمهرير الشتاء ، أو حمارة القيظ ، مثلما حدث للعلامة أبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى وهو من رجال القرن السادس فانه وجد نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة لأبى منصور الأزهري فى عشرة مجلدات ، وجدها فى سوق الوراقين بمدينة تبريز فاشتراها ثم سأل عن شيخ قدير حتى يدرس عليه ذلك الكتاب القيم ، فدلوه على العلامة أحمد ابن سليمان المعرى فى معرة النعمان ، فشد إليه الرحال ووضع الكتاب فى مخلاة ، وسافر صحبة قافلة من تبريز إلى معرة النعمان .

والكتاب كان محمولا على ظهره فى تلك الرحلة الطويلة ، وكان ذلك فى زمن الصيف مما سبب خروج العرق من جسم الخطيب التبريزى إلى أن نفذ على غلاف ذلك الكتاب .

وقد بقي أثر العرق على تلك النسخة إلى أن اطلع عليها العلامة شمس الدين أحمد ابن خلصكان وقال : عنها ولقد رأيت نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة وعليها عرق الخطيب التبريزى ، وكما أن صاحب القاموس المحيط تدبّع هفوات صاحب الصحاح فى مواضع كثيرة ، فكذلك تعقبه كثير من العلماء بالاستدراك والتحقيق والتصحيح مثل العلامة الشريف السيد محمد مرتضى الزبيدى الحسينى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ فإنه تعقبه فى شرحه

قاطع على نقصان العقول البشرية ، مهما بلغت من درجات العلوم والثقافة ، وفوق كل ذى علم عليم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

هذا ومن أشهر المعاجم العربية المحكم والمحيط الأعظم تصنيف على بن سـيده الأندلسي من أعلام القرن الخامس الهجري ، وله كتاب التخصيص وهو كبير أيضا ومرتب على الأبواب ، لا على ترتيب المعاجم المتداولة ، ثم أتى بعده رضى الدين الصاغاني وكان من رجال القرن السابع فألف العباب الزاخر واللباب الفاخر ، وقد اعتمد في تأليف كتابه هذا على المحكم لابن سـيده وعلى غيره ، إلا أنه لم يتمه ، بل وصل فيه إلى مادة بكم ، ثم قضى نحبه وفيه يقول بعض الشعراء :

إن الصغاني الذي حاز العلوم والحكم
كان قصارى أمره أن انتهى إلى بكم
هذا ، ومن النوابغ الذين تزين بهم جيد الزمان ، العلامة محمد جمال الدين بن منظور من أعلام القرن الثامن ، وهو صاحب لسان العرب الذي يعد أوسع لمعاجم العربية من حيث الاستيعاب والتبسط في العبادة ولقد اعتمد مؤلفه في كتابه هذا على الصحاح والتهذيب والحكم والنهاية وحواشي بن برى على الصحاح وجمهرة ابن دريد ، ولسان العرب في ٢٠ مجلدا ، وهو يحتوي على علوم شتى كال تفسير

الكبير على القاموس ، وبين المأخذ عليه وما زل به قلبه من أوهام وأغلاط ، وفي كثير من المواضع ينتصر فيها للجوهري صاحب الصحاح ، وشرح السيد مرتضى على القاموس ، وهو المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس ، كتاب جليل جمع فأوعى وهو لعمري بغية الأديب والمنهل الصافي لرواد العلم وطالاب الثقافة .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر العلامة أبا عبد الله محمد بن الطيب الفاسي من رجال القرن الثاني عشر ، فإنه ألف حاشية على القاموس في ثلاثة مجلدات ، تتبع فيها ما هفا به قلم الفيروز آبادي من أوهام وأغلاط في قاموسه وهكذا نرى العلماء يواصلون دراساتهم وملاحظاتهم على القاموس المحيط وكان من أواخرهم العلامة أبو زيد عبد الرحمن ابن عبد العزيز ، فإنه صنف الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهم الجدل الصحاح وهو كما يتضح من اسمه ينتصر فيه للجوهري على المجد ، ومن المتأخرين الذين لاحظوا على القاموس وبينوا هفواته وزلاته ، العلامة أحمد فارس الشدياق فإنه ألف الجاسوس على القاموس ، واسمه يدل على بيان ما يحتوي عليه القاموس من أوهام وأغلاط ، وهكذا نرى هؤلاء العلماء بعضهم يتبع هفوات من قبلهم من العلماء ، وهذا دليل

فهذه الدلائل تدل على أن صاحب اللسان
ليبي الأصل والمنشأ والدراسة ، ويقول
المؤرخون كالصفدى وابن حجر وجلال
الدين السيوطي : أن ابن مكرم تولى رئاسة
ديوان الإنشاء بمصر ، ولم يذكر مسؤولاً
المؤرخون الوطن الذى توفى فيه ، غير أنهم
يحددون تاريخ وفاته سنة ٧١١ هـ ولابن مكرم
مؤلفات أخرى غير لسان العرب ذكرها
الصفدى الذى قال عنه : إن مؤلفات ابن
مكرم بلغت خمسمائة مجلد ، حتى إنه من كثرة
الانهماك فى التأليف ومراجعة المظان فقد
بصره فى آخر عمره ، ورحم الله القائل :

أفنت عمرى فى علا وما أثر

وإفادة للعلم أو تصنيف
وسبغت فى بحر العلوم مغامرا

أواجه والناس دون سيوف

* * *

الموسوعات :

اشتهرت طائفة من كبار علماء الإسلام
بوضع مؤلفات جامعة للعلوم المختلفة ، فريق
من هؤلاء من المشرق وفريق من الأندلس ،
فمن رجال المشرق الذين حدثنا عنهم
المؤرخون ، العلامة محمد بن الحسين البنجدهي
الزاغولى ، مصنف قيد الأوابد فى أربعائة
مجلد ، يشتمل على التفسير والحديث والفقه
واللغة ، وهو من علماء القرن السادس ،

والحديث واللغة والنحو والصرف والاشتقاق
وأيام العرب وأمثالها ، وغير ذلك من
المواضيع التى تهتم العلماء ، وهو لعمري
ضالة الأديب وبغية الأريب ومقياس الأدباء
ومرجع العلماء ، وابن منظور يتصل نسبه
بالسيد رافع بن ثابت الأنصارى دفين مدينة
البيضاء بليبيا ، كما ذكره مؤلف اللسان
فى مادة ج رب ، والسيد رافع بن ثابت
الأنصارى كان واليا على ليبيا فى خلافة
معاوية بن أبى سفيان ، وتوفى فى منتصف
القرن الأول من الهجرة ، وقد ذكر شارح
القاموس بأن لسان العرب يحتوى على ثمانين
ألف مادة من كلام العرب ، بينما القاموس
المحيط لا يحتوى إلا على ستين ألف مادة ،
والصحيح على أربعين ألف فقط .

وهذا يدلنا على اتساع اطلاع مؤلف
اللسان واجتهاده وتبعه لشوارد اللغة
فى مظانها ، ولقد تبعنا فى المظان التاريخية
حتى نستطيع أن نعلم مسقط رأسه ، فلم نجد
لذلك أثرا ، غير أن المرجح أن ميلاده كان
بمدينة طرابلس الغرب « بليبيا » ودليلنا
على ذلك وجود أسرة بها ، تدعى أسرة
« ابن مكرم » وهى بلاشبهة من سلالة ذلك
الجهنم الكبير ، وفضلا عن ذلك فإنه تولى
قضاء طرابلس الغرب ، وجده الأعلى رافع
ابن ثابت الأنصارى دفين البيضاء « بليبيا » .

وعلى كل حال فالإمام السيوطي مؤلفاته كثيرة جداً ، وما سلم مكشأ ولا أقيـل له عـثار . كفى المرء نبلاً أن تعد معـايـبه .

هذا وفي القرن الثالث عشر نبغ العلامة السيد محمد صديق خان القنوجي أحد أمراء الهند ، وألف مؤلفات كثيرة في شتى العلوم ، ومن أشهرها أبجد العلوم في ثلاثة مجلدات ، جعل القسم الأول منه لمبادئ العلوم ، والقسم الثاني لأشهر مؤلفات علماء الإسلام ، والثالث في تراجم مشاهير العلماء وهو مطبوع في الهند ، والكتاب قيم من حيث غزارة المادة والنقل ، إلا أنه ينقصه الترتيب العلمي والتنسيق الفني .

وبما لا شك فيه أن المؤلف رحمه الله بذل مجهوداً جباراً في جمع شوارد كتابه من مئات المجلدات ، وهذا عمل عظيم يشكر عليه من الهيئات العلمية — وفي الأقطار الاندلسية نشأ في القرن الرابع العلامة أحمد بن أبان اللغوي ، وألف موسوعة كبرى أسماها « العالم واللغة » ، في مائة مجلد ، رتبها على الأجناس ، بدأ فيها بالفلك لكونه أعظم الأجسام وختمها بالذرة ، هذه الموسوعة لعبت بها طوارق الحدثنان ونواب الزمان ، وأصبحت أثراً بعد عين مثل غيرها من آثار أسلافنا في المشرق وفي الفردوس المفقود ، وأصبحنا لانعرف عن تلك الآثار

ثم أتى بعده النويري فألف نهاية الأرب في فنون الأدب وهو كتاب كبير متداول بين العلماء ومؤلفه من أقطاب القرن الثامن الهجري ، ولا يخفى على المحققين من العلماء ما في هذا الكتاب من بحوث ينفذها العقل السليم ولا يقبلها التحقيق العلي ، وكان صاحبه جارف سيل وحاطب ليل ، ومهما يكن من الأمر ، فالكتاب كبير جداً وفيه كثير من الفوائد المتنوعة ثم أتى بعد النويري ، شهاب الدين أحمد العمري المعروف بابن فضل الله ، فألف موسوعة كبيرة في ٢٠ مجلداً ، أسماها مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار ، وقد طبع منها على ما يظهر المجلد الأول باعتناء المحرم شيخ العروبة أحمد زكي باشا ، وبحوث الكتاب أكثرها في التاريخ وتقويم البلدان ، وفي القرن التاسع نبغ العلامة جلال الدين السيوطي وألف موسوعة كبرى في خمسين مجلداً وعدا مؤلفاته التي تجاوزت ٣٠٠ تأليف ، وقد نعتها بالفلك المشحون ؛ لأنها مشحونة بأنواع العلوم ومختلف الفنون ، ومؤلفات السيوطي رحمه الله ينقصها التحقيق والتمحيص في بعض الحالات ، وكل من يطلع على بعض مؤلفاته مثل حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، يجد فيه بحوثاً بعيدة كل البعد عن المفهوم العقلي والتدقيق العلمي ،

على العلوم البشرى، لذلك أرى لزوما علينا نحن العرب، ونحن في فجر النهضة العربية المباركة، أن نتدارك الأمر وذلك بأن يسعى بجمع اللغة العربية الموقر، في تشكيل لجان علمية ذات اختصاصات حتى تضع في أول الأمر قاموساً^(١) في مجلد واحد على غرار لاروس الصغير وقاموس «ملسى» الجديد الإيطالي، ثم بعد فترات من السنين تقوم تلك اللجان بوضع القاموس المتوسط، وربما بعد فترة أخرى تضع القاموس العلى الكبير، وبذلك يكون مجتمعنا خطأ خطا خطوات كبيرة إلى الأمام، ونستغنى عن المراجع الإفرنجية التي نحن الآن عالة عليها، والله در القائل :

لسنا وإن أحسابنا كرمت

يوما على الأحساب تتكل

نبنى كما كانت أوائلنا

تبنى ونفعل مثلما فعلوا

سدد الله خطانا لما فيه مصلحة هذه الأمة

العربية، وجدلنا من الذين يستمعون القول فية يعون أحسنه .

عمر لطفى السببر

من خريجي الأزهر

المجلة : صدر أخيراً للمجمع المعجم الوسيط .

القيمة إلا أسمائها في كتب التاريخ ، والله الأمر من قبل ومن بعد ، ومن المتأخرين الذين اعتنوا بهذا الأمر بطرس البستاني الذى اعتزم على تأليف دائرة المعارف وأصدر منها ثمانية مجلدات ، ثم اتفق ولداه نجيب ونسيب بعد وفاته مع ابن عمهما العلامة سليمان البستاني على إصدار بقية الأجزاء ، فأصدروا التاسع والعاشر والحادى عشر ، ولم يواصلوا سير العمل فيها فبقيت مبهتورة لغاية الآن ، ودائرة معارف البستاني جل مواضعها تاريخية وجغرافية ، ثم أتى بعد البستاني العلامة المرحوم محمد فريد وجدى فألف دائرة معارف القرن العشرين فى عشرة مجلدات ، نحا فيها طريقة الغربيين فى قواميسهم العلمية واللغوية ، فأجاد وأفاد — هذا وإذا نظرنا إلى ما تنتجه الجامع العلية فى أوروبا من موسوعات ضخمة مثل لاروس للقرن العشرين ولاروس العام ولاروس الطبى والتجارى والزراعى ، ومثل دائرة معارف « تريقانى » الإيطالية وغيرها ، أقول إذا نظرنا إلى تلك الآثار الثقافية الجبارة ذات التنسيق البديع والطبع الأنيق وغزارة المادة العلمية ، يستولى علينا الذهول والحجل ونرى أنفسنا فى مؤخرة الأمم المتقدمة، لأننا لا نملك ما تملك تلك الأمم من قواميس ضخمة تحتوى

نظريّة التعسف في استعمال الحق للأستاذ أحمد فضلي أبوئنته

— ٢ —

لتضييقوا عليهم ، . يعني لا تضاروا المعتدات في السكنى : فالزوجات أولى ألا تضاروهن - والأصل في مسائل هذا الباب تحريم إمساك المعتدة بقصد الإضرار بها ، وتحريم وصية الضرار وبطلانها ، وتحريم طلاق المريض ليفر به من ميراث زوجته ، فتقاس سائر مسائله عليهما لاتحاد العلة وهي قصد الإضرار .

الأصل الثاني : أن يستعمل الإنسان حقاً يقصد به تحقيق مصلحة له ، فتترتب عليه مفاسد وأضرار لاحقة بالغير هي أعظم من هذه المصلحة أو مساوية لها ، وذلك كاحتكار ما يحتاج إليه الناس في أوقات الغلاء ، أو القحط يقصد به البيع بثمن مرتفع : فإن المحتكر يريد من ذلك مصلحة الربح الكثير ، لكن يترتب على هذا ضرر عظيم يلحق الجماعة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « الجالب مرزوق والمحتكر ماعون » .

ومن هنا يمنع من الاحتكار ويبيع عليه ما احتكره بثمن المثل إن امتنع من البيع .

ومن ذلك إغلاء التجار السعر على الناس

يمكن حصر أصول مسائل التعسف في استعمال الحق بالاستقراء في أربعة :

الأصل الأول : ما إذا استعمل حقه لا يقصد من ذلك إلا الإضرار بغيره وليس له مصلحة فيه (وذلك كمن يدعى على آخر جريمة أو عملاً غير لائق لا يقصد بذلك إلا الإضرار به هذه الدعوى لا تسمع ويعذر المدعى إذا ثبت ذلك بالقرائن) - وفي فقه المالكية كما في التبصرة لو ادعى الصعاليك على أهل الفضل دعاوى باطلة وليس غرضهم من هذا إلا أن يشهروا بهم ، ويوقعوهم أمام القضاء للإيلام والامتهان ، لا تسمع الدعوى ويؤدب المدعى .

ومن ذلك ما إذا أراد الزوج أن يسافر بزوجه إلى بلد بعيد وهو غير مأمون عليها ، لا يريد بذلك إلا الإضرار بها وإيذاها ، أو سلب مالها : فيقضى بمنعه من السفر بها للإضرار^(١) وقد قال تعالى : « ولا تضاروهن

(١) انظر ابن عابدين ص ٤٩٥ وما بعدها .

الحاضر للبأدى^(١) حيث قال الإمام أحمد بطلان هذه العقود لرجحان المفسدة .

والمسائل المنصوص على حكمها بما قدمنا أصل في هذا النوع فيثبت الحكم لنظائرها بالقياس وإن شئت أثبتته بالمصلحة إن تعذر القياس^(٢)

الأصل الثالث : أن يستعمل حقه المشروع عقداً أو غيره يقصد به تحقيق غرض غير مشروع مغاير للغرض الذى وضعه له الشارع وهذا كالبيع الذى يقصد به الربا ومن هنا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع وسلف لأنه يؤدى إلى الربا كأن يبيع سوارا يساوى أربعائه بخمسمائه على أن يقرض البائع أربعائه فإن هذا العقد يشول إلى ربا الفسيدة وهو أخذ تسعائه ليردها ألفا . وكبيع العينة لأنه يؤدى إلى الربا أيضا وهو شراء ما باع بشمن أقل من الثمن الذى باع به قبل قبض الثمن حيث تكون زيادة الثمن المؤجل ربا .

ومنه زواج التحليل فإن الزواج موضوع

(١) قال صلى الله عليه وسلم « لا يبيع حاضر لبادى دعوا الناس برزق الله بعضهم من بعض » .

(٢) انظر فى هذا الأصل مفتى ابن قدامة فى البيع ج ٤ الزيلعى فى كتاب الكراهية فصل فى البيع الدر وابن طهيدى فى كتاب الوقف . الطرق الحسكية فى التفسير والاحتكار .

بحيث يصل إلى ضعف قيمة السلع فإن تقدير البائع ثمن مبين حق له ولكن استعماله على هذا النحو وإن حقق مصلحة له فقد نشأت عنه مفسدات عظيمة بالجماعة ولذلك قال الحنفية والمالكية إذا عجزوا إلى الأمر عن رد التجار إلى الأسعار العادية بكل الوسائل أزال هذا الضرر بالتسعير بمشورة أهل الخبرة وقد ثبت هذا بالمصلحة المرسلة لدفع الضرر عن الجماعة فإن امتنع التاجر من البيع بالسعر المحدد يبيع عليه كما يبيع المال على المدين وفاء للمدين .

وقال الشافعية وبعض الحنابلة بمنع التسعير واستدلوا بما روى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم « ألا تسعر لنا فقال إن الله هو المسعر القابض الباسط وأجاب القائلون بالتسعير بأن الحديث كان قنوى فى واقعة خاصة بسبب خاص فلا تدل على عموم الحكم . ومنه تلقى التاجر للوافدين إلى السوق من أهل الريف والبادية وشراء ما جلبوه بالثمن الرخيص لبقية لأهل المدينة غالبا حيث يضر ذلك بأهل المدينة وبالوافدين وقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ولا تلقوا الركبان لبيع » .

ومنه يبيع السلاح فى أيام الفتنة أو لقطاع الطريق ويبيع العصير بمن يتخذة خمرًا ويبيع

منها قوله تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » :

فإن مفسدة سبهم للإله الحق أعظم من مصلحة سب الأصنام المباح فنفع السب المباح لذلك ومنها قوله تعالى : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » ، حيث حرم الضرب المباح لما فيه من إثارة الميلول الخسيسة ومنها تحريم البيع عند نداء الجمعة ؛ لأن مفسدة الانشغال عن الصلاة أعظم من مصلحة البيع ومنها تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها لأن مفسدة قطيعة الرحم أعظم من مصلحة الزواج ومنها امتناعه صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين حيث عبر عن ذلك بقوله : (ولا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) مفسدة لأن تنفير الناس من الإسلام أعظم من مصلحة القتل .

وقد أطلنا بعض الشيء في ذكر الأدلة ليظهر ظهور النهار أن ما يخاله الناس قواعد قانونية مبتكرة لأهل الغرب هو من ضروريات الشريعة المحكمة .

وهذه الأنواع كذلك مبنية على أصل آخر وهو أن الخيل التي تؤدي إلى إسقاط واجب أو إحلال محرم تقع باطلة .

وتدل عليه كثرة الأدلة منها قول النبي صلى الله عليه وسلم . (لعن الله اليهود إن الله

للعشرة الدائمة وتكرين الأسرة وقصد به عمل مؤقت مذموم عند الله وقد تقدم تحريمه بالحديث الكريم .

ومنه البيع الذي قصد به إسقاط الشفعة وهبة المال التي قصد بها الواهب إسقاط فريضة الزكاة أو الحج — فثبت بالنص في هذا الباب يعتبر أصلا وغيره يقاس عليه (١) .

هذه الأنواع الثلاثة مبنية على قاعدة سد الذرائع فوق ما تقدم من الأدلة نذكر أن الأنواع السابقة للتعسف في استعمال الحق مبنية على أصل عظيم من أصول الشريعة وهو سد ذرائع الفساد .

وضابطها أن الشارع إذا حرم شيئا حرم وسائله المفضية إليه وهذا يتحقق فيما إذا أفضت الوسيلة إلى ضرر مقصود أو إلى مصلحة معها مفسدة تساويها أو ترجح عليها أو إلى غرض حرمه الشارع كالربا أو الزنا وبالجملة إذا أفضت إلى إسقاط الواجبات وإحلال المحرمات .

وهذا الأصل تثبته أدلة كثيرة في الشريعة

(١) انظر في هذا الأصل للمفتي لا بن قدامة في البيع — نيل الأوطار في البيع والدر وابن عابدين في الشفعة .

لما حرم عليهم شحوم الميتة جملوها أى أذا بوها
فباعوها وأكلوا ثمنها^(١) .

الأصل الرابع :-

أن يستعمل الإنسان حقه لكن دون
احتراس وتثبت فيما يمكن فيه الاحتراس
فيفضى هذا إلى الإضرار بالغير .

وذلك كما إذا أراد أن يصيد طير افطاش سهمه
وأصاب إنساناً أو حيواناً بضرر فإن الصيد
حق مباح ولكنه لم يحتسب في استعماله له
ولم يثبت فادى إلى ضرر الغير وهو المعروف
بالخطأ في الفعل ، وكما إذا ضرب دابة غيره
يظن أنها دابته فأعطبها أو قطف ثمرة غيره
يظن أنها ثمرته وهو المعروف بالخطأ في القصد
وهذا تعسف في استعمال الحق .

وحكمه ضمان هذا الضرر إنساناً أو حيواناً
لأن القرآن يدل على تضمين الخطي كافي قوله
تعالى « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة
مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله » .

ومن ذلك سائق السيارة إذا صدمت
إنساناً فقتلته أو أتلفته لأنه استعمل حقه
في قيادتها لكنه لم يحتسب .

ومن ذلك مالو استعمل في الدفاع الشرعى
سلاحاً لا تدعو إليه ضرورة الدفاع فأدى

إلى ضرر فإنه يضمنه - وفي الدر وابن
عابدين^(٢) المرأة إذا أريدت بسوء الزوج
إذا وجد رجلاً مع امرأته وأمكن الدفع
بالصياح أو بالضرب بما دون السلاح
فاستعمل السلاح ضمن الضرر المترتب عليه .

لكن محل ضمان الضرر في هذا الأصل
إذا أمكن الاحتراس عنه عادة أما إذا
لم يمكن فلا ضمان كالطبيب إذا أجرى جراحة
على النحو المعتاد بين الأطباء قتلف بها
إنسان وذلك لاختلاف طبائع الناس واحتمالهم
للجراحات .

أما إذا أمكن الاحتراس فإنه يكون
مقصرأ كالحمال إذا زلقت رجله فأتلف
ما يحمله والكواء إذا أحرقت الثوب
الذى يكويه .

وقاعدة الحنفية في هذه المسألة أن الإنسان
إذا أتى بمباح فترتب عليه ضرر بالغير
ضمن لأن استعمال المباح مشروط بالسلامة
والضرر دليل على عدم الاحتراس ، وذلك
كالرور في الطريق وضرب الزوجة لترك
الطاعة وإن فعل واجباً عليه فترتب
ضرر لا يضمن كمنفذ الأحكام والفصّاد
الذى يعمل بالأجرة لأنه مسلط على ذلك
إلا إذا تجاوز ما أمر به أو أمكن الاحتراس
عن الضرر حينئذ يضمن . وقال الشافعى

(١) ج ٣ ص ٢٤٨ باب التعزير .

(٢) انظر في هذا البحث الموافقات ج ١ في بحث
الحليل ، ج ٤ في سد الذرائع وتقيح الفصول للقرافى
في آخر الكتاب « إعلام اللوهم » في بحث سد
الذرائع ج ٣ .

أبي وقاص لما شكاه أهل الكوفة ومن أجل ذلك أنشئت محاكم المظالم في خلافة عبد الملك ابن مروان لإنصاف أفراد الشعب من ظلم الحاكمين (١).

ولهذا نرى أن تقنين العقوبات في البلاد الإسلامية هو احتياط لدرء مفسدات التعسف في استعمال الحق الذي قد يقع من القضاة لأن العقوبات على الجرائم في ما عدا الحدود والقصاص كلها راجعة إلى التعزير — والعقوبات التعزيرية متفاوتة كما أن الجرائم متفاوتة، فالقاضي ما لم يكن خبيراً بأحوال الناس وما يصلحهم مثبته بالعدالة بعيداً عن الأغراض والغايات كثيراً ما يقع منه الشطط في تقدير الجريمة وتحديد العقوبة فكان التقنين هو الضمان الصحيح للعدل بين الناس، وقد اتخذت الوسائل قديماً للبتع من التعسف كالحجر على الطبيب الجاهل والمفتي الذي يفتي الناس بالحيل الباطلة وكالحجر على المديان (٢).

أحمد فرهمي أبو سنة

يضمن في تنفيذ الأحكام. من الزيلعي ج ٣ ص ٢١٦ وابن عابدين في الإجارة (١).

وقد يبدو غريباً ذكر الأصل الرابع في أنواع التعسف ولكننا رأينا هذا لأنه ينطبق عليه تعريفه وإلا فالكل في نظر الفقه من باب التعدي على سبيل التسبب.

التعسف في استعمال السلطة :

رجال السلطة التنفيذية يتصرفون بالوكالة عن ولي الأمر في حدود الأحكام المشروعة لذلك لا يجوز لهم أن يفعلوا ما يخالف الشريعة ولا أن يفعلوا ما لم يفوضوا فيه : فإن فعلوا شيئاً من هذين اعتبر ذلك إساءة في استعمال حقوقهم وترتب عليه إزالة ما لزمه من الضرر فإذا اعتصبوا مال الأفراد وضموه إلى ملك الدولة أو حصلوا ضرائب ظالمة لبست المال ردت إلى أصحابها وإذا عاقبوا أحداً بغير جريمة أدبوا ما لم يكن ترتب الضرر عن اجتهاد؛ كاجتهاد القاضي وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا رأيتم في أعوجاجا فقوموني. وكان رضي الله عنه يرسل المفتشين إلى الولايات لمراقبة عماله وصح عنه أنه عزل معبد بن

(١) انظر الأحكام السلطانية لابن أبي عمير ص ٥٢.
(٢) انظر في هذا البحث فتح القدير وابن عابدين في باب التعزير والقضاء. رسالة العرف للباحث - وتاريخ الكامل لابن الأثير في تاريخ عمر.

(١) انظر في هذا الأصل شرح الزيلعي وحاشية ابن عابدين في كتاب الجنایات وفي المحتسج في كتاب الجراح والحدود وابن عابدين في باب ضمان الأجير.

من أعلام المسلمين في الهند : مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

« خير الدين » ، أن يرحل إلى بلاد يجد فيها متنفساً حراً ، فغادر الهند في نفس السنة التي فشلت فيها الثورة ، وكان شاباً في مقتبل العمر ، واستقر في « مكة » ، بلد الله الحرام ، واشترى فيها داراً ، وتزوج من ابنة عالم كبير من علماء المدينة ، هو الشيخ محمد ظاهر الوطري ، واشتغل بالعلم والحياة ، واشط في خدمة المسلمين ، فشارك في إصلاح « عين زبيدة » ، بما جمعه من أموال كثيرة من إخوانه ، في الهند والبلاد الإسلامية ، بلغت نحو مليوني روبية . وكان لهذا الجهد المشكور أثره المحمود ، في نفس السلطان عبد المجيد ، فمنحه أعلى الأوسمة المجيدية تقديراً لخدماته . وفي مكة المكرمة ولد ابنه « محي الدين أحمد » وهذا هو الاسم الأصلي لمولانا آزاد وكان ميلاده سنة ١٨٨٨ م ولكن بعد ولادته بقليل أصاب الوالد كسر في ساقه ، ورأى أحبائه وإخوانه في الهند وفي الحجاز أن يسافر إلى « كلكتا » للعلاج فسافر ، وهناك ألح عليه إخوانه ومريده ، أن يبقى معهم فأقام وكان ذلك سنة ١٨٩٠ م أي بعد ولادة ابنه المرموق بستين ..

اسم ملا الأسماع والقلوب في الهند وخارج الهند ، وشخصية نادرة قل أن يوجد يمثلها الزمان ، جمع بين الإمامة والزعامة في العلم والأدب والدين والسياسة حتى كان لقبه الغالب عليه بين الطبقة العليا من رجال السياسة والأدب والدين بل وعامة الشعب لقب « الإمام » .

وهب حياته منذ صغره لدينه ووطنه الصغير الهند ، ووطنه الأكبر : العالم الإسلامي ، ولم يكن يبالي بالصعاب ولا بالسجون في سبيل هدفه ، وشاء الله له أن يعيش حتى يرى ثمرات جهاده وتضحياته فنالت الهند استقلالها وتولى قيادتها مع زملائه المجاهدين في عهد الحرية كما قادها معهم في الجهاد من أجل الاستقلال .

كان والده « خير الدين » من المسلمين ذوي الغيرة على دينهم ووطنهم ، فلم يطق المقام في الهند بعد أن فشلت ثورة المسلمين على الإنجليز لإيقاد الحكم الإسلامي من قبضتهم سنة ١٨٥٧ م ، وتمكنت قبضة المستعمر من عنق البلاد وأخذ يكيد للمسلمين بوجه خاص ويطارد هم في دينهم وأرزاقهم .. فرأى

إلى مطالعة مقالات « السير سيد أحمد خان » وتأثرت بها تأثراً بالغاً وأدركت أنه ليس لأحد أن يصبح عالماً بمعناه الحقيقي في العالم الحاضر إلا بعد أن يدرس العلم الحديث والفلسفة والآداب الجديدة .^(١)

وقد دفعه هذا الشعور ، إلى أن يبدأ في تعلم اللغة الانجليزية ، السائدة في الهند ، فتعلمها سريعا ، ثم عكف على دراسة كتب التاريخ والفلسفة .. وقد أتاح له هذه المعرفة الحديثة ، أن يطل على آفاق جديدة من الثقافة ، تعلق بها قلبه وعقله ، ولسكنه وقع في أزمة عقلية كبيرة ، كان لا بد لأمثاله الذين تربوا في بيئة محافظة ، وتلقوا علوما خاصة تتفق وهذه البيئة ثم ألقوا بأنفسهم في تيار العلم الحديث ، كان لا بد لهم أن يصادفوها .. ويتحدث هو بنفسه عن هذه الأزمة وسببها فيقول : -

« ولدت في أسرة متمسكة بالتقاليد الدينية إلى آخر حد ، فلا تقبل أن ينحرف أحد أعضائها ، عن العادات الموروثة أى انحراف ، في الوقت الذي لم أعد أقدر فيه على الانسجام من هذه العادات السائدة ، بل كان قلبي مفعبا بشوة فكرية عليها ، مندفعاً إلى البحث عن الحقيقة أينما كانت ، لاسيما بعد ما رأيت

ونشأ مولانا آزاد في كلكتا وتعلم كما كان يتعلم أمثاله من أبناء الأسر المسلمة المحافظة التي تنأى بأبنائها أن يتعلموا في مدارس الحكومة التي تلقنهم ما يتصادم أحيانا مع عقائدهم .. فتعلم مناهج المدارس الدينية العربية كي يشب محافظا على دينه وتقاليده ، بعيداً عن التأثير بمساوى التعاليم الغربية .. فدرس الفارسية والعربية والفلسفة والحساب والفلك والجبر بجانب مواد الدراسة الدينية وتلقى كل ذلك على يد مدرسين خصوصيين في بيت والده بما أتاح له الانتهاء من دراسة هذه المناهج في سن مبكرة وبدأ يدرس هذه المواد للطلاب .. وقد كانت نشأته بين أبيه وأمه اللذان يجيدان العربية خيراً مساعد له على إتقانها حديثاً وكتابة - وتلك ميزة قلباً تتوفر للعلماء الذين يدرسون المناهج الدينية العربية في الهند - وكان لذلك أثره بلا شك ، في منهج حياته وتشكيلها ، وفي ثقافته الدينية العربية بوجه خاص ..

ولم يقنع الشاب الصغير بما حصل من علوم يقنع بها كثير من أمثاله بل أخذ يستزيد من المعارف ويقرأ الكتب والمقالات وتتفتح نفسه على آفاق جديدة لم يألّفها من قبل . فشعر بضالة ما درس من علوم حتى وجدناه يقول في مذكراته عن تاريخ حياته « لم يمض كثير من الزمن حتى اهتديت

(١) من مذكرات « حياى » المنشورة في مجلة

ثقافة الهند عدد سبتمبر ١٩٥٨ .

على إلهاب نفوس المسلمين وبعضها من رقادها حتى تتخلص من مستعبدتها واعتمد في ذلك اعتماداً كبيراً على تعريف المسلمين بدينهم بعيداً عن الخلافات والخرافات ، وسقيهم من منبعه الصافي ؛ ليتلاقوا إخواناً في ميدان العمل على كفة التوحيد ، والجهاد من أجل الوطن جهاداً دينياً في سبيل الله وتخليص الإسلام من المتحكم الظالم .. ولذا نراه يقول في مرافعته الكبرى أمام المحكمة حين محاكمته سنة ١٩٢١ م « إن ما يعمل به المهاتما غاندى ، الآن من بث الروح الدينية في الهندوس ، كانت دلهلال ، قد فرغت منه سنة ١٩١٤ م . » ويقول في مذكراته « رأيت من الواجب الحتمى إنشاء حركة جديدة بين المسلمين الهنود ، وازددت حماساً لذلك ، وقر عزمى على الاعتناء بالأعمال السياسية بعد عودتى للهند ، وفكرت بعض الوقت فيما يكون عليه منهاجى للمستقبل ، وانتهيت إلى ضرورة تربية الرأى العام ، وتحقيقاً لهذه الغاية لم يكن بد من إصدار مجلة « أنيقة الطباعة ، قوية الدعوة ليست على غرار ما يصدر من الصحف والمجلات الأوردية المحرومة من ميزات الصحافة الحديثة ، ونتيجة لهذا أصدرت مجلة « دلهلال » وأسست لها مطبعة خاصة ، وصدر العدد الأول منها في شهر يونيو سنة ١٩١٢ م ، وكان صدور « دلهلال » نقطة تحول في تاريخ

من اختلافات رجال الدين المسلمين ، وتكفير بعضهم لبعض ، مع زعمهم أنهم جميعاً يستقون من منبع واحد .. وظللت ثلاث سنوات مضطرباً حائراً ، نهياً للشكوك ، باحثاً عن حل لها يريحنى ، ولم أجد بداً من أن أحل نفسى من التقيد بالتقاليد القديمة الموروثة ، وأترك لها حرية البحث عن الحقيقة واتخذت لنفسى لقب « أراد » أى الحر ، تعبيراً عن الخطة التى اخترتها لنفسى فى المباحث الدينية . »

وقد دفعه نضجه المبكر ، ورغبته فى التزود من الثقافات المختلفة ، والإلمام بأحوال الأمم على الطبيعة ، إلى السفر خارج الهند فزار العراق وسوريا وتركيا ومصر وهو فى العشرين من عمره ، ومن مصر سافر إلى فرنسا ليسافر منها إلى إنجلترا ولكنه اضطر للرجوع إلى الهند حينما علم بمرض والده ، وكانت هذه الجولة سنة ١٩٠٨ م .

وفى أسفاره هذه اتصل بالآحرار فى الأمم التى زارها ، وارتبطت نفسه الشائرة بنفوسهم ، وتلاقوا جميعاً على وجوب العمل لإثارة الروح الدينية وتعبئتها فى نفوس المسلمين فى كل مكان حتى يتخلصوا من الاستعمار ، وينفضوا عنهم غبار التأخر والانحلال ، والرضوخ للأمر الواقع . فعاد للهند وهو أكثر من ذى قبل إيماناً بوجوب العمل

كان كأنه على موعد مع القدر، الذي أعده لإنتقاذ أمته من براثن الانجليز، فزودوه بالمنضج المبكر، مع الصلابة في الحق والهداية في الفكر، والرشد في التوجيه الديني والسياسي معا، عرفه الناس من كتابته إنسانا من طراز جديد لم يعهدوه من قبل بين العلماء والكتاب والساسة، وقرأوا له فأكبروه، ولمسوا فيما يكتبه نضجا حملهم على أن يظنوه رجلا مجربا كبير السن، وسعى الكبار إلى معرفته ولقائه - وهو شاب - كما يسعون إلى رجل كبير أهله كبر سنه وجليل عمله لتعلقهم به وحبهم له وثنائهم عليه ..

لقيه مرة أحد الزعماء المسلمين الكبار وهو السيد أظاف حسين وكان شاعرا كبيرا اتخذ لنفسه لقب «حالي»، على عادة شعراء الهند وكتابتها .. فظنه ابن ذلك الكاتب الكبير الذي يقرأ له ويعجب به ويكبره، فاحتفل به، وأخذ يثنى على أبيه الكاتب الممتاز .. إل .. إل .. ولكن الزعيم كانت مفاجأته كبيرة حين عرف أن أبا الكلام الكاتب هو ذلك الشاب الصغير الذي أمامه فكانت دهشته بالغة وإعجابه مضاعفا .. وكان نواب محسن الملك أحد الزعماء المسلمين يقول عنه «صغير السن عظيم العمل»، وهكذا كانت تحف به في شبابه عظمة تمهد له أن يحتل مكانه المرموق في مستقبل أيامه.

هيم المنعم النمر

الصحافة الأوردية، حيث نالت إقبالا منقطع النظير، وأعجب بها الشعب لا من ناحية طباعتها بل من ناحية دروسها الوطنية القوية التي تأثروا بها تأثراً بالغاً، بحيث خلقت بين عامة المسلمين حركة ثورية جديدة، وبلغ من تلهفهم عليها أن اضطرونا خلال الأشهر الثلاثة الأولى إلى طبع الأعداد السابقة مرة ثانية.

اتخذ الشاب «أزاد» من الروح الدينية نقطة ارتكاز لتحريك نفوس المسلمين، وبعث الحياة فيها، وإثارتها على المستعمر، وتعريفها بواجبها الوطني، فكانت غايته مزدوجة: إحياء الروح الدينية السليمة في المسلمين، ودفعهم للثورة على المحتل. وكانت «الهلال» تصدر في ظل هذه الغاية حتى قال شيخ الهند الزعيم السياسي الديني «مولانا محمود الحسن» متحدثاً عن الهلال وأثرها في النفوس: «كدنا ننسى مهماتنا فذكرتنا الهلال بها» وكان شيخ الهند فوق الخمسين من عمره ويدير الحركة السرية ضد الانجليز وأبو الكلام آزاد في مستقبل الشباب .. وشهادته هذه شهادة مجرب مجاهد عظيم لشاب مجاهد ناضج في أوان مبكر ..

وهي تدلنا على مقدار الطاقة القوية التي اندفع بها مولانا آزاد إلى ميدان العمل والجهاد في بدء حياته وجهاده ..

البيان الأربعة : بَلال بن رباح للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

« أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا ،
عمر بن الخطاب ترميمهم بمجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف
مأكول .

قصد أبرهة في جيشه الضخم ، بيت الله
الحرام ، يبنى لإزالته من الوجود ، فقد غاظه
تعلق الناس به وحجهم إليه ، وانصرافهم عن
كنيسته التي أقامها كأغخم ما تقام الكنائس ،
وأغضبه أشد الغضب سخرية المسكين منها .

وفي مسيره من اليمن إلى مكة لم تحاول قبيلة
من قبائل العرب أن تعرض طريقه أو تصده
عن قصده فقد رأوه في جيش لجب ، يسعى
في قوة وعدة .

وأما من حدثته نفسه بالتعرض له
أو مناوآته ، فقد أقسم أبرهة في نفسه أنه
سوف يؤدبهم عند عودته .

وبلغ الجيش مكة والتقى أبرهة بسيد قريش
عبد المطلب ، وكان يظن أنه سيطلب منه أن
يترك البيت ويأخذ من المال ما يريد ،
ولم يدر بمخلد أبرهة أن عبد المطلب يعتقد
اعتقاداً راسخاً أن للبيت رباً يحميه ، وقد حماه
الله فأرسل على أبرهة وجيشه طيراً أبابيل ،

ونظر عربى كان يبحث عن غنيمة له ،
فرأى عبداً حبشياً غليظاً يقود ناقه وهو يمشى
متخاذلاً ، قد أنهكه التعب وأضناه الجهد ،
وكان على الناقة هودج نفيس ، يستهوى الناظر
إليه ، فأسرع إلى العبد يأمره أن يتبعه ،
فانصاع لأمر العربى ، ثم أخذ يسأله حق

مع غيرها من العبيد . ثم زوجها لأحد غلمانه الذين ينتمون إلى الحبشة بسبب ، وكان قد أعتقه لإعجابه به . إنه غلام أمه من عامة الشعب الحبشى ، وفى زواجه من مثل هذه الأميرة إذلال لها وحط من كرامتها فليس من المعقول أن مثل هذا الغلام يرقى إلى مرتبة الخدم لهذه الأميرة فما بالك بزواجه منها .

وأصبحت الأميرة الحبشية زوجا لرباح غلام خلف ، فأكرمها غاية الإكرام ، إذا رأى فيها رائحة قومه الذين لم يره من قبل ، وقد أقبلت أمه ذات يوم فاتخذها بعض العرب أمة له وأنجب منها رباحا هذا ، وعمل رباح على أن ينسبها ما هى فيه من ذل وهوان وأن يشعرها أنها سيده المطاعة ، كما عمل على أن يدخل السعادة على نفسها ، فكان يطيعها ويسهر على راحتها ، وقد عرفت له ذلك فامتثل قلبها غبطة وفرحا ورضيت به زوجها لها ، بل إنها اعتبرت زواجها منه نعمة من نعم الله عليها .

ومرت الأيام وأنجبت الأميرة من رباح ابنا فرحت به ولكن أباه قد أهمه أمره إذ تخيله وقد صار فى المستقبل عبدا لخلف أو لابن من أبناء خلف .

ويقبل خلف ذات يوم على ضيعته ليرى كيف تسير فيها الأمور ، ويلقى غلامه رباحا

عرف أن هذا الهودج يحمل أميرة من أميرات الحبشة ، كانت تتبع الجيش .

ولما وصل إلى مضارب قومه ، أنماخ الراحلة ومد بصره داخل الهودج فإذا هو بفتاة رائعة الحسن يظهر عليها الخوف والوجل فأخذ يطمئنها ويحدثها حديثا يبعث بعض الأمن والهدوء فى نفسها الخائفة المضطربة ...

ومضت الأيام وأحس العربى أن زوجته أخذت تنظر إلى هذه الحبشية الحسنة نظرة الغريم إلى غريمه ، إنها لا تطيق أن تقيم معها فى البيت ، وفكر وهدهد تفكيره أن يقدمها هدية لأحد سادات العرب ، وكان بينه وبين خف صلة ومودة ، فحملها إلى مكة ، وهناك أطرف بها صاحبها ، وذكر له أنها إحدى أميرات الجيش الذى أراد أن يهدم بيت الله الحرام .

وقضى ذلك العربى فى مكة ما شاء الله أن يقضى ، ثم عاد إلى قبيلته ، أما خلف فقد تجلّى حقه على الجيش الذى غزا مكة فى معاملته لهذه الفتاة الأسيرة ، فقد أقسم ليذيقها الذل والهوان . وأرادت زوجته أن تتخذها خادما ، ولكنه رأى أن خدمة زوجته لا تحقق له ما يريد بها ويقومها من إذلال .

وكان لخلف هذا ضيعة خارج مكة ، فمزم على أن يرسلها إليها لترعى الإبل والشاة

إلى زوجك حريتها ولجعلت ابنك حراً مثلك (١) .

وعاش رباح وزوجه يعملان في خدمة خلف ويقومان على تربية من أنجبا من أبناء . سعيدين بما يغدق عليهما سيدهما من خير موفور وما يحبوها به من رعاية خاصة .

ثم مات رباح وزوجته ، وتبعهما بعد ذلك سيدهما خلف ولم يقدر لأحد منهم أن يرى ما كان يتحدث به رباح .

واقسم أبناء خلف ما ترك لهم أبوهم وأصبح بلال بن رباح ضمن نصيب أمية ابن خلف .

وكان في أمية صلف وكبر فعال بلالا أسوأ معاملة ، وكرع بلال من الكأس التي خشي أبوه أن يكرع منها فقد سخره سيده في جمع الحطب وحمل المتاع وخدمة الحيوان ، وحرم عليه غشيان مجالس السادة إلا أن يكون خادما مأموراً منكس الرأس ، خافض الطرف .

* * *

وذات يوم سمع شباب قریش بلالا يغنى ليعين نفسه على العمل المكلف به ، وليس في غمرة الغناء ما يلقى من هوان ، فوجدوا في صوته حلاوة وجالا ، فأنصتوا إليه وطربوا لصوته وما فيه من رخامة ، وأعجبوا بخلقه حينما تعاملوا معه ، وسرعان ما أصبح له منهم

(١) طه حسين (الوعد الحق) .

فيسأله ، ألم ينتجب أطفالا بعد؟ ، فيذكر له رباح أنه قد أنجب غلاما وهو متألم له أشد الألم ؛ لأنه سيصبح عبداً يذوق ما ذاقه أبوه من قبل ، ويتمنى أن ينقضى هذا الليل المظلم ويشرق الصبح قبل أن يشب طفله عن الطريق فيسأله خلف .

(ويحك ! ماذا تقول ؟ أى ليل وأى صبح ؟ قال رباح : الليل هو هذا الدهر الذى نعيش فيه والذى يسوى فيه الرق بين الأرقاء ، وتفرق فيه الحرية بين الأحرار .

والصبح هو الزمن المقبل الذى يسوى فيه بين الأحرار والعبيد ، ويتميز الناس فيه بأعمالهم وبلائهم لا بمنازلهم وحظوظهم من الثراء . قال خلف وقد أغرق في الضحك : لقد تكهنت يا رباح منذ اليوم ! دع ليالك المظلم وصبحك المشرق ، وحدثنى عن صديق هذا الذى كنت تريد أن تشده منذ حين ، ما اسمه؟ وما شكله؟ قال رباح : إنك لتسخر

من ليل وصبحى ، وإن ليلى لمنجل ، وعسى أن تشهد إسفاره ، فإن لم تدركه فسيذكره ابنك أمية وسيدركه ابني بلال . فهز خلف رأسه ورفع كتفيه وقال : حسبك يا رباح تحدث بهذا إلى غيرى ، أما أنا فإني زائد في عطاءك لمكان هذا الصبي من أسرتك ، ولولا أن قسما عظيما قد سبق منى لرددت

الصلة بينه وبينهم ، فرضوا عن صحبته وحمدوا رأيه وسيرته .

وفي أحد الأيام خرجت إحدى قوافل التجارة من قريش قاصدة الشام ، وكان فيها جماعة من أشرف قريش وأثريائها ، يصحبون معهم أحلافهم ومواليهم ، وكان محمد بن عبد الله أحد الذين رافقوا القافلة وقبل أن تبلغ القافلة حدود الشام طرأ لمحمد مادعا إلى العودة إلى مكة ، ولم يكن من السهل أن يعود منفردا ولم يرض رفاقه أن يتركوه وحيدا ، فطلبوا منه أن يختار له رفيقا يؤنس في عودته ، ونظر محمد إلى من معه واستعرض رفاقه فلم يجد منهم أحدا أقرب إلى قلبه من بلال بن رباح ، وعادوا معا . ولا إخالها إلا قد تذكر كثيرا من الأمور ، وإن بلالا ذكر لمحمد ما كان يسمعه من أبيه رباح عن قرب انحسار الظلام وانبلاج نور الصباح .

فلما آن لظلام الليل أن يبده نور الصباح ولقسوة الظلم أن تمحوها شريعة العمل ، أرسل الله محمدا يدعو الناس إلى الدين الجديد وأوحى إليه بشريعة الإسلام لينخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ولينقذ الضعفاء المضطهدين من سلطة السادة الظالمين .

* * *

وعرف أبو بكر أمر صاحبه فأمن به ،

أصدقاؤه ومعجبون كانوا كلما أقبل الليل وخرجوا إلى شعاب مكة يسمرون ويلهون ، طلبوا بلالا وكلفوه أن يغنيهم ، فيغنيهم غناء عذبا جميلا يتردد صداه في شعاب الوادي وسفوح الجبال .

وكثيرا ما يستخف الطرب المستمعين فينسبون أن من يغنيهم إن هو إلا عبد رقيق فيقربونه ويشركونه في سمرهم ولعبهم ، فيرون منه أكثر من جمال الصوت عقلا راجعا وبيانا حسنا وحديثا حلوا طليا ، فتمتلئ قلوبهم إعجابا به وإكبارا له .

ولا يزال أمر بلال يعلو وينتشر حتى رفع عن أعمال العبيد وندب لأنبل حرفه يشتغل بها أهل قريش ، وأشرف عمل يقومون به ، ألا وهو التجارة بين الشام والحجاز . وبين اليمن والحجاز

وقد كانت الحياة الجديدة خليقة أن ترضى بلالا فيغتنب بها ويعرف لسيدته يده عنده ، ولكنه لم يرض بتلك الحياة الظالمة ، وضجر بما حوله من فساد وظلم وذلك لأنه نبيل النفس نقي السريرة . وبرغم ما كان يلحق فإنه عاش متطلعا إلى اليوم الذي كثيرا ما تحدث عنه أبوه . واتصل بكثيرين من عقلاء مكة وأصحاب الرأي فيها ، وكان ممن اتصل بهم بلال ، أبو بكر الصديق واتخذ منهم أصدقاؤه قلبه وأصفياء نفسه وتوثقت

وسمع بلال بما خص الله به صاحبه محمدا فاتبعه فكلناهما الاثنان أول المؤمنين .

ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آمن به عندما كان يدعو الناس سرا : « من اتبعك على هذا الدين ؟ » فقال عليه السلام « رجلان : حر وعبد ، أما الحر فأبوبكر ، وأما العبد فبلال ثم استمر بلال بعد إيمانه ، في عمله يؤديه لسيده على أكمل ما يؤدي العمل . وبجانب ذلك كان يجتمع بالرسول في دار الأرقم بن الأرقم يسمع من صاحبه آيات الله التي يجلو بها قلبه ، ولم تطل سرية أمر بلال فقد وشى به واش لدى سيده ، وعلم أمية أن عبده قد آمن بدعوة محمد ، ودخل في دينه ، فركبه الهم واشتد به الكرب ، فاستقدمه إليه وسأله في غضب : أحقا يا بلال قد استخفك محمد فاتبعته ودخلت في دعوته وكفرت باللات والعزى ؟ وكيف تتبع محمدا الذي سفه ديننا وعاب آلهتنا ؟ » .

فقال بلال : « ما استخفني محمد وما صبات ، وإنما رأيت الحق فاتبعته وأرشدني محمد الأمين إلى أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا يعبد سواه ، فصدقته وآمنت به ولأن النصر سيكون له مهما طال الزمن » .

فنظر إليه أمية وقد ملأ الحنق قلبه وقال : « لم يبق إلا أن تهتك أيها العبد الآبق ، لقد غلبك سحر محمد كما غلب غيرك فلا قلبك ضللا وكفرا كما أضل غيرك من أراذلنا الذين اتبعوه ، لقد كنت مخطئا عندما رفعتك من خدمة المتاع وقطع الشجر وجمع الحطب ، إلى التجارة والرحلة والتصرف في المال ، فدعاك سوء طبعك واوهم نفسك أن تبجح نعمتي وتنسى فضلي ، وسولت لك نفسك الشريرة أن تتخير الأرباب وتمايز بين الأديان ، فواللآلة والعزى إن لم تعبد ما أعبد من آلهة ، فإنني سأريق دمك كما يراق دم الشاة » فقال له بلال : « لا بأس بالموت يا مولاي فهو غاية كل حي ونهاية كل حياة ، وإنه لأحب إلى من العودة إلى الضلالة والكفر ، وحياة الذل والهوان » .

فثارت ثائرة أمية وغلى مرجل غضبه ، فأمر أن يؤخذ العبد إلى الموت وأن يذوق ألوان العذاب .

عبد الموجود عبد الحافظ

قيل لعنتر صف لنا الحرب : فقال :
أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى .

الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٢ -

اصطلحنا على أن الحقوق المالية الواجبة في مال المسلم شرعاً يمكن تسميتها - بشئ من الجاز - ضرائب إلهية ، لأنها حق ثابت لازم ، يطالب به الشارع صاحب المال ، ولا يتخلص من تبعته إلا بأدائه .

والأموال المزكاة ضربان : ظاهرة وباطنة ، فالأموال الظاهرة مالا يمكن إخفاؤه . كالزرع والثمار والمواشي . والأموال الباطنة ما يمكن إخفاؤه ، كالذهب والفضة وعروض التجارة ^(١) .

وأول هذه الحقوق المالية هو : الزكاة ، التي جعلها الإسلام ركناً من أركانه الأساسية الخمسة ، وأوجبها القرآن بقوله : « وآتوا الزكاة » في آيات كثيرة ^(٢) ، وأوجبها الحديث في وصية الرسول لمعاذ حين بعثه والياً على اليمن وقال له : « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم » ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بيدها وبين الله حجاب . وقال الفقهاء : إن الزكاة شرط لصحة الإسلام ^(٣) ، وهي حق المال المعلوم الواجب للسائل والمحروم .

وزكاة الأموال الباطنة يؤديها أصحابها ويخرجونها بأنفسهم في الأصل ، ولهم أن يعطوها لولى الأمر وهو يتولى توزيعها ، ولكن الزكاة في الأموال الظاهرة يؤمر أصحابها بدفعها لولى الأمر ، وليس لهم أن ينفردوا بإخراجها ، وإن امتنعوا حاربهم عليها كما فعل أبو بكر مع مانعي الزكاة ، وهم يصيرون بذلك المنع من البغاة ، وروح التعاليم الإسلامية توحى بأن المسلم إذا ثبت عليه أنه لم يزك أمواله الباطنة كان على ولى الأمر أن يحمله على دفع هذه الزكاة .

وأنواع الأموال المزكاة هي أولاً الذهب والفضة ، وثانياً الزرع والثمار ، وثالثاً المواشى وهي الإبل والبقر والغنم ، ويضم المعز إلى الغنم ، والجاموس إلى البقر وإنما

(١) البقرة آية ٤٣ و ٨٣ و ١١٠ . والحج ٧٨ والنور ٥٦ والمجادلة ١٣ ولزمل ٢٠ .
(٢) انظر تفسير المنار ، ج ١٠ ص ٢٠٢ .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٩٩ .

أو دالية (دولات) ففيه نصف العشر ، .
والنصاب الواجب فيه الزكاة هو أربعة
أرأب وكيلتان فأكثر ^(١) .

أما زكاة الذهب والفضة فقدرها اثنان
ونصف في المائة ، إذا كان الذهب يساوي
اثنى عشر جنيتها مصريا - إلا اثنى عشر
قرشا ونصف - فأكثر ، أو كانت الفضة
تساوي خمسمائة وتسعة وعشرين قرشا وثلاثين
فأكثر ^(٢) ، وبشرط أن يمر عام قمرى على
ملك هذا النصاب .

ويمكن أن نسمى زكاة الذهب والفضة
بضريبة المال الحمد غير المستثمر ، وكان
الحكمة من فرض هذه الضريبة هي الحفز
على تحريك المال واستثماره وعدم كسبه ،
لأن الشخص إذا لم يفعل ذلك تسبب في ضياع
رأس المال بتسكركر أخذ الزكاة منه كل عام
وهو بمجد غير متحرك ، وأما إذا حركه فهو
تحقيق هدفين : الأول نمو المال ، ويمكن
أن يعوض هذا مقدار الزكاة المأخوذ ،
والهدف الثانى ألا ينقص رأس المال أو يزول .
ونلاحظ هنا عدة أمور لها حكمها ،
فقد اشترط الإسلام النصاب لأن القليل

سميت هذه مواشى لأنها ترعى وهى تمشى ؛
ورابعا عروض التجارة .

وإنما تجب الزكاة على المسلم البالغ العاقل
الحر المالك للنصاب : أى المقدار المالى
الذى تجب فيه الزكاة ^(٣) .

ولم يترك الإسلام القدر الواجب فى المال
المزكى مبهما ، بل حدده وبينه فى كل صنف
من أصناف المال ، فى الزروع والثمار
كالقمح والذرة والأرز والشعير والتمر
والزبيب حدد عشر المحصول ، إذا كانت
الأرض المزروعة تسقى مباشرة بماء السماء ،
أو تسقى بدون آلة أو مجهود ، أو كما يعبر
أهل الريف « تسقى بالراحة » ، وحدد نصف
العشر فى المحصول إذا سقيت الأرض بآلة
كساقية أو دلو أو غيرهما ، أو بذل صاحبها
مجهودا فى سقيها .

ونلاحظ هنا عدالة التقسيم ، فالأرض
المسقية ببذل مجهود يزيد زكاتها عن الأرض
المسقية بلا مجهود ، وفى هذا مراعاة لاختلاف
الأحوال ، والعمدة فى هذا التقسيم هو قول
الرسول عليه الصلاة والسلام : « ما سقت
السماء ففيه العشر ، وما سقى غرب (دلو)

(١) فى كتاب الفقهاء تفصيلات كثيرة عن
الشروط اللازمة لوجوب الزكاة ، والقدر المذكور
هنا هو ما يكاد ينعقد عليه الإجماع ، ويمكن
مراجعة باقى التفصيلات فى كتاب الفقه على المذاهب
الأربعة ج ١ ص ٤٧١ وما بعدها .

(٢) لقول الرسول : « ليس فى حب ولا تمر
صدقة حتى تبلغ خمسة أوقى » ، والوسق ستون صاعا
مدنيا ، وقدروا الخمسة بما ذكرنا .

(٣) راجع لتحديد النصاب هنا كتاب الفقه
المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤٨١ :

عن طريق التوالد . وما استدلووا به على وجوب هذه الزكاة ما رواه سمرة بن جندب قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الزكاة مما نعدده للبيع » . وقال عمر لأحد التجار في شأن تجارته : « قومها ثم أد زكاتها » .

وأما زكاة الماشية أو النعم أو البهائم فتجب فيها الزكاة إذا كانت سائمة ، والسائمة هي التي ترعى في السكلا المباح ، كالموجود في البراري أو الأرض العامة التي لا مالك لها ، وتظل تأكل من هذا (العلف) المباح أكثر السنة على الأقل ، ويشترط أيضاً أن تكون هذه الماشية مقصودة لدر اللبن أو النسل أو التسمين ، فلو كان المقصود منها العمل كالحرث أو الحمل أو الركوب فلا زكاة فيها ، وإذا اتخذت للتجارة انتقلت زكاتها إلى باب عروض التجارة . والنصاب - أي المقدار الذي لا تجب في أقل منه زكاة هنا - يختلف باختلاف أنواع الماشية ، فأول نصاب الإبل خمس ، فإذا بلغت فيها شاة ، وهكذا تؤخذ عن كل خمس شاة إلى عشرين ، ثم هناك تفصيل للواجب فيما زاد عن ذلك يراجع في كتب الفقه .

وأول نصاب البقر ثلاثون بقرة ، فإذا بلغتها وجب فيها تبيع أو تبيعة ، أي بجل أو بجلة بحيث يكون كل منهما قد أوفى سنة

المدخر لحاجة قريبة أو بعيدة لا يؤبه به ، واشترط حولان الحول - أي مرور العام والمال موجود - حتى لا يكون لصاحبه عذر في تجميده بعد هذا الوقت الطويل الذي يستطيع خلاله أن ينفق المال أو يحركه في استثمار .

وأما عروض التجارة - وهي جمع عرض بسكون الراء ، أي ما ليس بذهب ولا فضة - فزكاتها ربع العشر ، أي اثنان ونصف في المئة ، ويجب هذا المقدار بالنسبة لقيمة السلع مجتمعة ، ويضم الربح الناشئ خلال العام إلى أصل المال ، لأن الزكاة في التجارة تجب متى تم الحول أي السنة .

وهذه الزكاة يمكن اعتبارها في مقابل ضريبة الأرباح التجارية المعاصرة ، ونلاحظ أن الإسلام جعل مقدار زكاة التجارة كزكاة النقدين الذهب والفضة ، لأنه ينظر إلى التجارة على أنها رأس مال ، وكأنه يريد أن يقول بطريق غير مباشر : ينبغي أن يكون الذهب والفضة متحركين حركة التجارة للنمو والتشجير ، وأن يكون للتجارة من المكانة والتقدير المادي ما للذهب والفضة ، فيدعو ذلك إلى العناية بها والحرص عليها ، ولذلك قال الفقهاء إن (عروض التجارة) مال مقصود به التنمية ، فهو يشبه الزرع في تضاعف المحصول ، ويشبه الأنعام في الزيادة

غالبا ، والفلاحون وأصحاب الأرض عليهم
زكاة الزروع والثمار والأنعام ، والتجار
عليهم زكاة عروض التجارة ، فإذا أضفنا
إلى هذا أن الإسلام يأخذ من أهل الغنائم
خمس الغنيمة ، ومن أهل الذمة يأخذ الجزية ،
ومن الجميع رجالا ونساء ، وكبارا وصغارا ،
وخدما ومخدومين ، يأخذ زكاة الفطر عند
رمضان من كل عام . وهى المسماة فى كتب
الفقه صدقة الفطر ، وهى واجبة على كل حر
مسلم قادر ، حتى قال الرسول قبل يوم الفطر
بيوم أو يومين : « أدوا صاعا من بر أو قح
أو صاعا من تمر أو شعير ، عن كل حر وعبد
صغيراً أو كبيراً » .

إذا أضفنا كل هذا إلى أنواع الزكاة المتقدمة
أدركنا أن عنصر « الشمول » الذى يعتبر
سمة من سمات الضريبة العادلة متوافر
فى الحقوق المادية التى أوجبها الإسلام
فى الأموال .

وبما يذبغى تذكره أن فريقا من الفقهاء
المعاصرين يرون من فهمهم لروح الإسلام
فى تشريع الزكاة أن العارات والمنازل المبنية
للسكنى بالإيجار تقاس فى الزكاة على الأرض
المزروعة ، فيسكون فيها زكاة كزكاة الزرع ؛
وذكروا أن الفقهاء القدماء لم يتعرضوا لهذه
الناحية لأن المساكن فى الزمن القديم كانت
تستعمل فى السكنى الشخصية ، ولم تكن تؤجر

ودخل فى الثانية ، وإذا بلغت البقر أربعين فما
فوقها فلها أحكام مفصلة فى كتب الفقهاء كذلك
وأول نصاب الغنم أربعون ، فإذا بلغت
ففيها شاة أتمت سنة ، فإذا بلغت الغنم
مائة وإحدى وعشرين ففيها شاتان ، فإذا
بلغت مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه ، وفى
أربعمائة أربع شياه ، وما زاد فى كل مئة شاة ،
وما بين كل مقدارين معفو عنه فلا زكاة فيه .
وهناك من الفقهاء من يرى وجوب الزكاة
فى الخيل ، ومن يرى وجوب الزكاة
فى المعدن أو الركاز ، وهو ما يوجد تحت
الأرض من معادن أو كنوز ، ولكن
الخلافا موجود بين الفقهاء فى هذين الأمرين ،
فليراجعه فى مصادره من أراد .

ونلاحظ فى تشريع الزكاة عنصرى التيسير
والشمول ، فالتيسير يبدو فى اشتراط الإسلام
قدراً معيناً من المال لا تجب الزكاة فى أقل
منه ، فليس كل مالك يزكى عما يملكه ولو كان
ضئيلاً قليلاً ، والشمول يأتى من ناحية أن
كل مالك للنصاب تلزمه الزكاة بلا استثناء ،
ولم يكن هذا النصاب مقصوراً على صنف
من المال دون صنف ، بل شمل كل أنواع
المال النامى بالقوة أو بالفعل ، وشملت الزكاة
بأنواعها الكثير من مستويات الناس ، فعلى
الأغنياء زكاة الذهب والفضة بوجه عام ،
لأنهم هم الذين يدخرون ما يزيد عن النصاب

فبالزكاة تدفع إذن إلى الفقراء ، والفقير هو المحتاج إلى مطالب العيش وضرورات الحياة ، أو الذي لا شيء له ، وتدفع إلى المساكين ، والمسكين هو الذي لا يجد ما يكفيه ، أو هو الذي قد أسكنه العدم ، ومهما يسكن من خلاف في تحديد معنى الفقر والمسكنة فالوصفان مشعران بالاحتياج ، فيدفع من الزكاة إلى الفقير والمسكين ما يخرج به كل منهما عن حالة الفقر والمسكنة إلى أول مراتب الاستغناء على الأقل : « وذلك معتبر بحسب حالهم ، ففهم من يصير بالدينار الواحد غنيا إذا كان من أهل الأسواق يرج فيه قدر كفايته ، فلا يجوز أن يزداد عليه ، ومنهم لا يستغنى إلا بمائة دينار ، فيجوز أن يدفع إليه أكثر منه ، ومنهم من يكون ذا جلد يكتسب بضاعة قدر كفايته ، فلا يجوز أن يعطى وإن كان لا يملك درهما » (١) وتدفع الزكاة إلى (العاملين عليها) وهم الذين يقومون بجمع الزكوات من الناس وجبايتها ودفعها إلى ولي الأمر ، والذين يقومون بقسمتها وتوزيعها على مستحقيها ، فالعامل في هذا المجال يأخذ أجرته من مال الزكاة ، ويدفع له في هذه الحالة أجر المثل. والمصرف الرابع هو (المؤلفة قلوبهم) وهم الذين كن النبي يتألف قلوبهم ، ويتودد إليهم ، ليقوى إسلامهم ، أو ليكفوا

بالصورة المعروفة الآن ، ولكن العمارات اليوم أصبحت مصدر استغلال كبير واستثمار موصول ، بل إن العمارات تدر من الأرباح أكثر من أرباح الأرض الزراعية الآن ، فلا أقل من أخذ الزكاة فيها كزكاة الأرض ! وكما لاحظنا ملاحح الحكمة والتيسير والرحمة والعدالة والشمول في مصادر الزكاة ومنابعها ينبغي أن نستعرض مصارف الزكاة لعلنا نلاحظ فيها مثل هذا من ألوان الحكم ووجوه الإصلاح .

والمراد بمصارف الزكاة الجهات التي توزع عليها وتصرف فيها ، وقد جاء القرآن الكريم بتحديد هذه المصارف في قوله تعالى من سورة التوبة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وإذا كانت الآية قد عبرت عن الزكاة بالصدقات فلا فرق بين الكلمتين من ناحية المدلول ، لأن « الصدقة زكاة ، والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتفق المسمى » . (١) وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم حينما نزلت هذه الآية : « إن الله تعالى لم يرز في قسمة الأموال بملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، حتى تولى قسمتها بنفسه » (٢) .

(١) الأحكام السلطانية لماوردى ص ٩٨ ، .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

وفي كتاب (الإسلام عقيدة وشريعة)
للشيخ شلتوت جاءت هذه العبارة : (وليس
من ريب في أن حاجة المسلمين اليوم في دفع الشر
عنهم ماسة إلى تقوية ضعفائهم ، والاستعانة
بكل ما ينفع في رد العدوان والبغي .

وإذا كان خصومنا قد لجئوا إلى هذا ،
وأعلنوا مشروعات التأليف والمعونة التي
يخمدون بها المترددين منا ، ويؤلبون بها
الأعداء علينا ، فنحن لا نسد على أنفسنا
هذا الباب وقد قمحه القرآن لنا على مصراعيه ،
وأورده بكلمة واضحة تحمل معناها وتؤدي
غايتها ، وإذن فالذي كان من عمر والأصحاب
هو وقف لإعطائهم في زمنهم ، وليس نسخا
للحكم كما قيل (١) .

ويقول الدكتور بدوي عبد اللطيف :
(إذا نظرنا إلى الحالة الحاضرة ، وما عليه
الأمم في العصور الحديثة رأينا الدول تتسابق
إلى نشر أديانها ومذاهبها ، وتنظيم سبيل
الدعاية لها ، والترغيب بها ، ومحاربة الدين
الإسلامي بانتشار المبشرين في الأقاليم الإسلامية
وغيرها ، ونشاطهم في إلقاء أباطيلهم الزائفة
وعقائدهم الباطلة ، وشراء عقائد الأفراد
وضمائرهم بالأموال الطائلة ، يؤيدهم في ذلك
الاستثمار باسم حرية الدين والعقيدة والرأى ،
وبإنشاء المستشفيات والملاجئ والمعاهد

شرم ، أو ليضاعفوا جهودهم ، وهؤلاء
المؤلفة أصناف ، فصنف تتألفهم لمعونة
المسلمين ، وصنف للكشف عن المسلمين ،
وصنف لتوطيد الإسلام في نفوسهم ،
وصنف لترغيب عشائهم في الإسلام ، فن
كان مسلما من هذه الأصناف أخذ .

وهناك من يرى سقوط هذا الصنف من
دائرة الاستحقاق ، بدعوى أن الإسلام
استغنى عن تألف الذين تخشى عليهم الردة
من ضعاف الإسلام ، وبدعوى أن عمر
قال : في حق رجلين من المؤلفة قلوبهم
(كننا نؤلف حين كان الإسلام في ضعف ،
أما الآن ، وقد عز وقويت شوكته - فلا
حاجة بنا إلى التألف) أو ما معناه ذلك .

وهذه الرواية لا تقتضى سقوط هذا
السهم ، وإنما ذلك اجتهاد من عمر بأنه ليس
من المصلحة استمرار هذا التأليف لهذين
الرجلين الظالمين وأمثالهما ، بعد الأمن من
ضرر ارتدادهما لو ارتدا ، لأن الإسلام
قد ثبت في أقوامهما حتى إنه لا يترتب على
قتلهما لو ارتدا أدنى فتنة (١) .

والإمام الشوكاني يرى جواز التأليف
عند الحاجة ، فإن كان في زمن الإمام قوم
لا يطيعونه إلا للدنيا ، ولا يقدر على إدخالهم
تحت طاعته بالقسر والغلب ، فله أن يتألفهم
ولا يكون لفشو الإسلام تأثير (٢) .

(١) - تفهيم النوار ج ١٠ ص ٥٧٦ .

(٢) - المرجع السابق ، ص ٥٧٧ .

أموالها وسلطانها وحريتها في بلادها ، كان ذلك رق أفراد يموت بموتهم ، وتبقى دولهم حرة رشيدة ، لها من الأمور والأهلية ما سائر الأحرار الراشدين . ولكن هذا رق شعوب ، وأمم ، تلد شعوبا وأمماهم في الرق كأباهم ، فهو رق عام دائم ، يفرض على الأمة بقسوة ظالمة غاشمة .

وأذن فما أجدر هذا الرق بالمسكخة والعمل على التخلص منه ، ورفع ذله عن الشعوب ، لا بمال الصدقات فقط . بل بكل الأموال والأرواح (١) .

والمصرف السادس يتعلق بالغارمين ، وهم الذين استدانوا لمصالح أنفسهم ، ثم عجزوا عن الوفاء ، أو استدانوا لمصالح المسلمين وعجزوا ، فهؤلاء وهؤلاء يأخذون من مال الزكاة سهمهم لقضاء ديونهم .

والمصرف السابع هو « سبيل الله » وقد قصر السابقون معنى هذه الكلمة على الغزاة والمرابطين ، ولكن سبيل الله واسعة شاملة ، وهي سبيل الحق والعدل والحرية والإصلاح والتعدي والتعاون وهي سبيل كل خير ، والتحقيق أن سبيل الله هنا مصالح المسلمين العامة التي بها قوام أمر الدين والدولة دون الأفراد (٢) .

التي أقاموها بين ظهرائي المسلمين في ربوع الأقطار الإسلامية لتضليل أبناء المسلمين ، وردهم عن دينهم بأشنع الوسائل وأخبث الطرق التي لا يقرها عقل ولا دين .

لأننا إزاء ذلك يجب ألا نضن بالمال فيما يستدعيه واجب الدين والوطن الإسلامي وما تتطلبه مصلحة المسلمين ، وذلك بالدعوة إلى الإسلام ومقوماتنا بالموعظة الحسنة والإرشاد وبالتي هي أحسن ، ولإرسال البعوث من العلماء المتنورين الفاهمين إلى الآفاق والأصقاع لإذاعة كلمة الدين وبيان أسرار ومحاسنه (٣) .

والمصرف الخامس للزكاة هو المعبر عنه بقول الله تعالى : « وفي الرقاب ، أي في تحرير رقاب العبيد ، وللتخلص من الرق الذي حاربه الإسلام وهدف إلى القضاء عليه ، ويكون ذلك بمعاونة المساكين ، بأن يدفع لهم من الزكاة ما يعتقدون به رقابهم ، ويكون كذلك بشراء أرقاء وعتقهم .

يقول صاحب (الإسلام عقيدة وشريعة) في هذا المقام : (وهذه الناحية قد انقرض أفرادها بانقراض الرق الذي يتشوف إليه الإسلام ، ولكن فيما أرى قد حل محله الآن رق هو أشد خطراً منه على الإنسانية ، ذلك هو استرقاق الشعوب في أفكارها وفي

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٧

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٥٨٥ .

(٣) الميزانية الأولى في الإسلام ، ص ٥٥

وإذا راجعنا هذه المصارف وجدناها محققة لعنصر الشمول في الصرف ، فإن هذه الجهات تشمل كل المحتاجين ، وإذا كانت الآية الكريمة قد حددت مصارف ضيقة المجال أو محدودة النطاق كالعاملين على الزكاة والأرقاء ، فإنها تذكر بجوارها مصارف يتسع نطاقها وينفصح في كثير من الأحيان كالفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم بمعناهم العصري والغارمين ، ثم هي مع كل هذا تذكر ما يتسع ويتسع ، وينفصح ثم ينفصح ، وهو « سبيل الله » بالمعنى الذي ارتضيناه ، وهكذا تسهم ضريبة الزكاة الإسلامية في وجوه من الخير والإصلاح ، تعمر المجتمع وتسعد الأحياء .

أحمد الصرباصى

ومن سبيل الله نشر دعوته وإعداد الدعاة لذلك ، والإنفاق على المدارس للعلوم الشرعية وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة ، ومن سبيل الله أيضا : « التسكين الحربى الذى ترد به الأمة البغى وتحفظ الكرامة ، ويشمل العدد والعدد على أحدث المخترعات البشرية ، ويشمل المستشفيات العسكرية ومدنية ، ويشمل تعبيد الطرق ، ويشمل الإعداد القوى الناضج لدعاة إسلاميين يظهرون جمال الإسلام وسماحته ويذشرون كلمته (١) » .

وهكذا نستطيع أن نفهم المعنى العام لسبيل الله على أنه كل ما يتعلق بمصالح الأمة الدينية والدينيوية ومنافعها الروحية والمادية . والمصرف الأخير هو ابن السبيل ، وهو المسافر لغرض ، مشروع وينقطع به الطريق لقلة الزاد أو المال ، فيأخذ من الزكاة ما يبلغ به داره .

(١) الاسلام عقيدة وشرعة ، ص ٩٧

العطية قبل السؤال

قال سعيد بن العاصى : قبح الله المعروف إن لم يكن ابتداء من غير مسألة ، فالمعروف عوض عن مسألة الرجل إذا بذل وجهه وقلبه خائف ، وفرائضه ترتعد ، وجبينه يرشح ، لا يدرى أيرجع بنجح المطلب أم بسوء المنقلب . قد انتقمع لونه ، وذهب دم وجهه .

اللهم فإن كانت الدنيا لها عندى حظ فلا تجعل لى حظا فى الآخرة .

المصانف الدبلوماسية في الإسلام للأستاذ حسن فتح الباب

مقدم :

الدولة لسياستها الخارجية عن طريق
المفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية .
وهناك معان أخرى متنوعة تستعمل فيها
الكلمة جوازاً ، إلا أن المدلول الذي أشرنا
إليه هو المعنى المؤلف والأكثر شيوعاً .

وثمة تعريفات مختلفة للدبلوماسية وردت
في الموسوعات والمعاجم وفي مؤلفات فقهاء
القانون الدولي ورجال الدبلوماسية وعلمائها
نخلص منها إلى أن الدبلوماسية هي من إدارة
العلاقات الخارجية للدولة ، أو بتعبير آخر
هي أسلوب مباشرة العلاقات بين الدول .

وبما يجدر ذكره في هذا الصدد ذلك
التعريف الذي ورد على لسان معاوية بن أبي
سفيان أول خلفاء بني أمية وأدهى الحكماء
العرب ، فقد عبر عن فن سياسة الحكم
وإدارة شؤون الدولة في علاقاتها العامة بقوله :
لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ،
كنت إذا أرخوا شديتها ، وإن شدوها
أرخيتها .

وهو تعريف بالغ الدلالة على ما ينبغي أن
يتوافر في الدبلوماسي من مرونة وحكمة في تدبير
علاقاته وتنفيذ خطته . كما يدل هذا التعريف

تعنى كلمة دبلوماسية في أصلها الإغريقي
القديم الوثيقة أو المكاتب التي تطوى كما
يطوى الخطاب وبيع بها أصحاب السلطة
بعضهم إلى بعض في علاقاتهم الرسمية ، وتجعل
لحامها امتيازاً معيناً .

وقد انتقلت هذه الكلمة من اليونانية إلى
اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوروبية الحية
كالإنجليزية والفرنسية ثم إلى اللغة العربية ،
واستخدمت للدلالة على أكثر من معنى .
فقد استعملها الرومان بمعنى الشهادة الرسمية
أو الوثيقة التي تتضمن صفة المبعوث أو
السفير والمهمة الموفد بها ، فكانت بمثابة
جواز سفر ، وبمعنى ما ينبغي على المبعوث
أن يتحلى به من الأدب الجم واصطناع المودة
وتجنب أسباب النقد .

وتطور استعمال كلمة دبلوماسية حتى أصبحت
في القرن السابع عشر تعنى دراسة الوثائق
القديمة . ولم تستخدم في معناها المتعارف
عليه الآن إلا منذ نهاية القرن الثامن عشر .
وتعنى الدبلوماسية في العصر الحديث ممارسة

حميدة في العالم المعروف إذ ذاك . وتحفل كتب التاريخ بأخبار رسلهم إلى الملوك وسفاراتهم ومفاوضاتهم ، بل لقد قدمت إليهم بعثات من هذه الممالك ، والبلاد تخطب ودهم وتطلب مؤازرتهم .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اقتضته طبيعة الرسالة أن يسلك سبيل الدبلوماسية لنشر دعوته في الجزيرة العربية ومنها إلى أرجاء العالم الذي كان قائماً في ذلك الحين . وهكذا تطورت النظم الدبلوماسية لتتفي بهذه الحاجة الجديدة ودخلت في مرحلة أكثر تقدماً في شكلها ومحتواها ونعني بها الدبلوماسية الإسلامية في نشأتها . وتختلف حلقات هذه المرحلة بحسب ظروف الدعوة وأغراضها وتطورها المرتقب في المستقبل . فقد كانت العلاقات الدبلوماسية التي أقامها الرسول قاصرة في بداية الأمر على المحادثات الشخصية وإرسال الكتب وإيفاد البعثات إلى القبائل العربية وإلى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها للتعرف بالإسلام والدعوة إليه . ومن أجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة إلى مختلف القبائل . وكانت المؤتمرات التي عقدت في الجزيرة العربية لشرح مبادئ الإسلام والإقناع بها فيما بعد .

وهكذا تعددت وسائل الاتصال في الدبلوماسية الإسلامية من محادثات شخصية

على وعى مستنير وفهم لأصول الدبلوماسية وما يتخلق به رجالها من حضانة نادرة وذكاء نافذ ومهارة خاصة في معالجة الأمور .

المبحث الأول

الدبلوماسية الإسلامية

عرف العرب الأسلوب الدبلوماسي في علاقاتهم ومعاملاتهم ، وكانت لهم نظم وتقاليد دبلوماسية حتى في جاهليتهم . فقد نشأت منذ القدم علاقات تجارية وثيقة بين القبائل العربية وبين جيرانها من الأمم والشعوب . وقد اقتضت تلك العلاقات أن يتبادل العرب فيما بينهم وبين غيرهم المراسلات والبعثات ، وأن يصبح لهم بتواتر هذه السفارات أسلوب دبلوماسي تقليدي يصرفون به شئونهم ويديرون به مصالحهم التجارية وغيرها . والعرب تطبيعهم قوم رحل جوابو آفاق ، تشهد بذلك أسفارهم وقوافلهم التجارية وندواتهم في سوق عكاظ وغيرها من الأسواق ، واجتماعاتهم في مواسم الحج ، ووفادات شعرائهم وحكائهم إلى ملوك فارس والحيرة وغسان وحير .

وقد ساعد على قيام العلاقات الدبلوماسية بين العرب والبلاد المجاورة وتوثيق صلاتهم بها موقع جزيرتهم بينها منذ كانت معبراً للقوافل التجارية قبل الإسلام . وقد أتاح لهم ذلك مركزاً تجارياً ممتازاً وعلاقات ودية

للإسلام بعقد المعاهدات مع ممثلي المدن والأمصار التي فتحها المسلمون .

ثم كان عصر العباسيين الذي اشتهر فيه ساعد الدولة الإسلامية فأصبحت في طليعة القوى السياسية الدولية - إذ امتدت رقعتها من أطراف الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، فضلاً عن اتساع أرجائها شمالاً وجنوباً ، كان لذلك أثره البالغ في الدبلوماسية ، فازداد النشاط الدبلوماسي باتساع نطاق العلاقات الدولية بين العباسيين في بغداد والبيزنطيين في القسطنطينية ، وتعددت أغراض السفارات ووظائفها بحيث أصبح تبادل الممثلين السياسيين وسيلة لتوثيق الصلات التجارية وتبادل الأسرى وتبادل العطايا . وفض المنازعات وعقد المعاهدات وغير ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية . كما استحدثت غرض آخر للسفارات وهو تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الدول لما يحققه ذلك من إقرار علاقات المودة والسلام بينها ودعم الحركة الثقافية في البلاد .

ومن ثم كان انتاج الدولة الإسلامية الأسلوب الدبلوماسي في علاقاتها السياسية مع الدول الأخرى ضرورة حيوية لمباشرة نشاطها ودعامة قوية من دعائم نموها وتطورها ، فلا غرو أن تغدو الدبلوماسية في الإسلام فناً جديراً باهتمام الدولة ورعايتها ،

ومراسلات إلى سفارات ومؤتمرات حسبما كانت تتطلب الظروف . وكان الغرض الأول الذي تستهدفه دبلوماسية هو الدعوة إلى الإسلام ونشر رسالته .

ولما أثمرت الدعوة وتحققت للعرب - لأول مرة . وحدتهم السياسية ، فقامت أول دولة إسلامية في المدينة برياسة النبي ، أصبح انتاج الدبلوماسية ضرورة جوهرية لدعم أركان الدولة الناشئة ، فاتسع نطاقها وتعددت وسائلها وأغراضها وتطورت دعائمها ، فلم تعد علاقات المسلمين بغيرانهم قاصرة على التبادل التجاري ، بل امتدت إلى مختلف النواحي الأخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة إلى الاتصال بالدول المحيطة لتنفيذ السياسة الخارجية الإسلامية بالطرق الدبلوماسية . وكان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لهده النبي الكريم ، فظلت الدبلوماسية تسعى لتوطيد أركان الدولة بالإفادة من الأسلوب الدبلوماسي كبديل للحرب أو مساعد لها في تنفيذ الخطط السياسية إذ كان ذلك من طبيعة بث الدعوة إلى الإسلام والدع عنها . ولم تختلف الدبلوماسية الإسلامية كثيراً من حيث أغراضها في العصر الأموي وإن جد تطور عليها في أسلوبها وطابعها وتنظيمها ، فاستمرت تستخدم في نشر العقيدة وإعلان الحرب دفاعاً عن حريتها والتمكين

كسب مودته حتى إذا عاد إلى قومه كان للعرب خير سفير يبلغ عنهم مالمسه من طيب خلأهم وما استقر في نفسه من فضلهم ونبيلهم ، وكسبت الدولة الإسلامية عن طريقه حسن منزلة في بلده فأعانها ذلك على تحقيق مقاصدها ونيل مبتغاها ودعم علاقاتها الودية بمخلفائها في المحيط الدولي .

وهكذا انعكست التقاليد العربية السمحة على النظم الدبلوماسية وأضافت رصيذاً جديداً إليها ، فأحاط المسلمون السفراء الوافدين إلى ديارهم بضروب العناية والرعاية ، وأعلوا من شأنهم ورفعوا من منزلتهم شأنهم في ذلك شأن سائر الشعوب منذ فجر التاريخ ، وزادوا عليها بما ابتدعوه في سبيل تأمين المبعوثين والزفیه عنهم من مراسم الإجلال ومظاهر الحفاوة والإكبار .

ويجدر بنا قبل البحث في الحصانات التي منحتها القواعد الشرعية الإسلامية للسفراء أن نبين مدلول الحصانات والامتيازات الدبلوماسية وأنواعها . بحسب العرف والقانون الدوليين وما استقرت عليه آراء الفقهاء وأحكام القضاء في شأنها حتى يتسنى لنا في ضوء هذه الدراسة التمهيدية أن نعالج موضوع الحصانات الدبلوماسية في ظل الدولة الإسلامية .

المبحث الثاني

الحصانات والامتيازات الدبلوماسية
يعنى مصطلح الحصانات الدبلوماسية تلك

وأن يكون الدبلوماسيون الأجانب في الديار الإسلامية موضع الحفاوة والتقدير ، فتنسب عليهم الدولة حمايتها تيسيراً لمهامهم ودعم العلاقات الودية مع الدول التي يمثلونها .

إن المروءة والسخاء ورعاية الجار من أعظم المناقب التي عرف بها العرب منذ الجاهلية ، لا تكاد تدانيهم في هذا المضمار أمة من الأمم على مر العصور ، وقد حفلت كتب السير والتاريخ بأزهى الصفحات في ذكر كريم شمائلهم وشريف خصالهم حتى كانوا مضرب الأمثال في إكرام الضيف وغوث الملهوف وإيواء المستجير والبر بأصحاب الحاجات . وقد أسرفوا في كرم الوفاة وحسن استقبال الغرباء وجاوزوا في ذلك حد الاعتدال . فكيف وقد صفت طباعهم ورقت شمائلهم في ظل الإسلام ، وصقلت حضارته أذواقهم وأخلاقهم وتقاليدهم . والسفير القادم إلى ديارهم له في ذمتهم حقوق لا مفر من الوفاء بها ، فله حق الغريب في النزول أكرم منزل ، وحق الرسول في حسن استقباله وتسهيل مهمته . وهو بعد ذلك من صفوة قومه وقد تجشم مشاق السفر والترحال ليثمل رئيس دولته في البلاد الإسلامية ، فإكرامه إعزاز اشخصه ولمرسله معا .

وفضلاً عن ذلك ، فإن شعور السفير الأجنبي برعاية الدولة الإسلامية أدعى إلى

من يمرون ببلاده عن مهامهم ، بل كان يقدم إليهم الطعام أحياناً . وهذه العادات قد عرفتها كثير من المجتمعات القديمة كالهند وجنوب نيجيريا حيث كان السفراء يضعون عصابة حمراء على جباههم .

على أنه كان للتمتع بالحصانات لدى بعض هذه القبائل شروط وحدود ، فيشترطون على السفير مثلاً ألا يحيد عن الطريق المحدد له وإلا فقد حصانته .

وتطورت الحصانات الدبلوماسية بتطور المجتمع الدولي وخروجه من مرحلته البدائية إلى عصور العلم والمعرفة ، فأصبحت تلك الحصانات حقوقاً مكتسبة منظمة يتمتع بها أرباب التمثيل الدبلوماسي على اختلاف جنسياتهم وتباين مراتبهم ، وتعددت أنواعها بما يبنى بمحاجات التبادل الدولي والحرص على تحقيق الأغراض الدبلوماسية .

ومن ثم يترتب على تبادل العلاقات السياسية بين دولة وأخرى إقرار هذه الحقوق والامتيازات للممثلين المعتمدين لدى كل منهما ، ويؤدي الإخلال أو المساس بها إلى تعكير صفو هذه العلاقات وربما إلى قطعها . والحكمة في تقرير هذه الحصانات هي تهيئة أفضل الظروف والضمانات لأعضاء البعثات الدبلوماسية والتيسير عليهم في ممارسة وظائفهم تقديرًا لدورهم الجليل في إنشاء العلاقات السياسية الدولية ودعمها ومن

الامتيازات التي يخلعها القانون الدبلوماسي على الممثلين السياسيين دون غيرهم من الأفراد والجماعات . وقد استقرت تلك الحصانات بتأثير العرف والتقاليد الدولية منذ أقدم العصور ؛ إذ أدركت القبائل والأمم القديمة جلال المهام التي يضطلع بها المبعوثون والسفراء ، فأحاطتهم بهالة من القداسة لتمكن لهم من القيام بها على خير وجه . وبالرغم من أن القدماء بوجه عام كانوا يذبذبون الغريب ويكرهونه أو يعدونه عدوًّا يستحلون دمه ، فإن تمتع السفير بالحصانة في أثناء تأديته لمهمته قد أصبح عرفاً مستقرًا منذ قيام العلاقات الدبلوماسية في مراحلها الأولى قبل فجر التاريخ . وأصبحت الحصانة الشخصية منذ ذلك الحين من مستلزمات تحقيق المهمة الدبلوماسية .

وكما كان قتل السفير أو إلحاق الضرر أو الإهانة به سبباً في بدء القتال من جانب قبيلته ، فإن بعض القبائل كانت تعاقب بالقتل كل من يقتل المبعوث إليها أو يهينه .

ولهذه الأسباب ، كان على المبعوث أن يميز نفسه لدى مروره بين معسكرات العدو ، أو في أثناء سفره بين القبائل الأخرى في طريقه لتأدية مهمته من ذلك أن الرسل كانوا ينتقلون بين جبال مراكش ووهادها في العصور الأولى ، وقد حملوا حربة في رأسها خرقه من القطن الأبيض ، حتى يتبين الأعداء شخصيتهم فلا يعتدوا عليهم . ولا يسألهم

يقرر الوجود القانوني لبعض الحصانات مبدئياً ، إلا أنه لا يستطيع أن يضمن احترامها وحمايتها بشكل محدد . ومن رأى بعض فقهاء القانون الدبلوماسي أن صدور تشريعات داخلية لضمان الحصانات الدبلوماسية ، وإلزام المحاكم الوطنية بمراعاة استثناء الدبلوماسيين من القضاء المحلي ، على أساس تبيانها وتحديدتها في القانون الداخلي ، هو أمر ضروري .

وثمة إجراء آخر لضمان احترام حصانات الدبلوماسيين وهو الاتفاق عليها في معاهدة دولية تعد جزءاً من القانون الداخلي لكل طرف من أطرافها بمجرد التصديق عليها من قبل السلطات المختصة دستورياً .

وقد ابتدع الفقهاء عدة نظريات بنوا عليها أساس الحصانات ، فكانت بمثابة سند فكري يسد حاجة الدول إلى تبرير هذه الامتيازات التي استقرت بالعرف والقانون الدوليين ، إذ أنها في جوهرها قيد على سيادة الدولة ، يحول بينها وبين ممارسة سلطتها وتطبيق قوانينها على بعض الفئات ، ونعني بهم أعضاء السلك الدبلوماسي من رعايا الدول الأخرى . وتستند أولى هذه النظريات على فكرة امتداد إقليم دولة الممثل الدبلوماسي في الدولة المعتمد لديها . وتعد دار السفارة أو المفوضية - بحسب هذا الافتراض - جزءاً من الدولة

أجل هذا الغرض فرضت لهم حقوق يمثل بعضها إعفاءات معينة من بعض الالتزامات التي يكلف بها المواطنون ، ويمثل البعض الآخر حصانات خاصة تنصرف على هؤلاء المبعوثين . ولئن كانت هذه الامتيازات تشكل قيوداً على سيادة الدولة التي تقضي بامتداد سلطتها على إقليمها ومن يقيمون فيه ، فإن الدولة لا تضار من هذه الاستثناءات مادام يمثلوها يتمتعون بهذه الحصانات في الدول الأخرى ذلك أن مبدأ المعاملة بالمثل هو القاعدة المتبعة في مجال الامتيازات الدبلوماسية .

وقد بلغ من اهتمام الدول بتقرير هذه الحصانات اهتماماً يبلغ حد التقديس أن ضمتها نصوص القوانين الداخلية التي تصدرها بل عمدت بعض الدول إلى النص في دستورها على ما يقع على كاهلها من التزامات دولية في شأن الحصانات . وبينما تعترف بعض البلاد في قانونها العام بقواعد القانون الدولي بالنسبة لمركز الممثل الدبلوماسي ووضعه ، تمنع بلاد أخرى أحكاماً تشريعية صريحة في قانونها الداخلي تسجل بها القواعد المقررة في القانون الدولي بشأن مركز الممثل الدبلوماسي .

ومن ثم لا خلاف بين الدول في المبادئ العامة للحصانات الدبلوماسية ، وإن كانت تنشأ أحياناً منازعات بينها حول مدى شمول هذه الحصانات . فالقانون الدولي ، وإن كان

رطايا موطنه ومصالحهم . ولا سبيل له إلى حسن الاضطلاع بمهامه والتمتع باستقلاله في القيام بها إلا إذا أمن جانب السلطات المحلية ، ولا يتحقق ذلك إلا بمنحه تلك الامتيازات .

وقد اتفق فقهاء القانون الدبلوماسي على أن الامتيازات الدبلوماسية تتجلى في صور أربع هي : الحرية الشخصية ، وحرمه المسكن ، والإعفاء من القضاء الإقليمي ، والإعفاءات من الضرائب .

(١) الحرمة الشخصية :

ومدلولها أن تكون ذات الممثل الدبلوماسي مصونة ، فتلتزم الحكومة المعتمد لديها بحمايته من كل عدوان يوجه إليه ، ومن كل فعل ينطوي على مساس بشخصه أو امتنان لصفته .

وتفرض القوانين الجنائية في معظم الدول عقوبات خاصة على ارتكاب أفعال الاعتداء التي تقع على مبعوثي الدول الأجنبية ، وعلى الأخص الأفعال التي يكون من شأنها المساس بكرامتهم أو صفتهم التمثيلية . غير أنه يشترط لتمتع الممثل الدبلوماسي بالحصانة الشخصية ألا يتسبب بخطئه أو سوء تصرفه في وقوع الاعتداء عليه ، وأن تكون العلاقات بين دولته والدولة المعتمد لديها قائمة فعلا ، وأن تكون تلك الدولة قد اعترفت

التي يمثلها السفير أو الوزير المفوض ويمتد ذلك إلى الذين يسكنونها وأتباعهم ، فهم لا يخضعون للسلطات المحلية ما داموا مقيمين في قطاع ممتد من بلادهم .

أما أرباب النظرية الثانية فيرون أن امتيازات الممثل الدبلوماسي ترجع في أصلها إلى سيادة الدولة التي يمثلها . ويجعل هذا الرأي أن رؤساء الدول متساوون ، فلا خضوع من رئيس دولة لمثله ، وبالتالي لا يجوز أن يكون مندوب هذا الرئيس خاضعا لرئيس آخر . فالممثلون الدبلوماسيون يمثلون رؤساء دولهم فهم لذلك لا يخضعون للسلطات المحلية في الدول التي يعتمدون لديها إذ تتمثل فيهم سيادة دولهم .

وقد وجه كثير من النقد إلى كلتا النظريتين مما أدى إلى أطراحهما والاختذ بالنظرية الحديثة التي يطلق عليها نظرية الوظيفة . وهي تبرر منح الممثل الدبلوماسي امتيازات خاصة بمحاجته إليها للنهوض بأعباء وظيفته على الوجه المنشود وضمان استمراره في أدائها . فهذا الممثل هو الذي يوثق العلاقات بين دولته والدولة التي يعين فيها ، وهو الذي يدير دفة المفاوضات بينهما ، ويراقب سير الأمور في الدولة التي يعتمد لديها وينقل إلى دولته أهم الأحداث التي تتصل بالأوضاع الدولية ، وهو الذي يحمي

أو الإعدام وإلا سقطت حرمتها ، كما لا يجوز استغلال هذه الحصانة بإيواء الجرمين وتمكينهم من الاختفاء عن أعين العدالة إذ ينبغي تسليم من يحتوى بالسفارة من هؤلاء الأشخاص إلى السلطات المحلية لتتخذ من جانبها الإجراءات القانونية التي تستلزمها تلك الحالة .

(م) الحصانة القضائية :

تقضى الامتيازات الممنوحة للموظفين الدبلوماسيين بإعفائهم من القضاء المحلي ، فلا يخضعون للقضاء الجنائي أو المدني في البلاد التي يؤدون فيها وظائفهم ، ويلحق بتلك الحصانة الإعفاء من أداء الشهادة أمام المحاكم المحلية .

والإجماع منعقد بين الفقهاء والقضاة على أن رجال السلك الدبلوماسي يتمتعون بحصانة مطلقة من حيث الخضوع للقضاء الإقليمي في الشؤون الجنائية ، سواء تعلق ذلك بأعمالهم الرسمية أو لم يتعلق بها .

وهذا الإعفاء إنما هو نتيجة للحصانة الشخصية التي يتمتع بها الممثل الدبلوماسي ، إذ يترتب على عدم جواز التعرض له بالقبض عليه أو دخول منزله وتفتيشه بسبب ما قد يصدر عنه من أفعال تخل بالقانون الجنائي ، عدم خضوعه للقضاء الجنائي الإقليمي .

على أن هذه الحصانة لا تخل بحق السلطات المحلية في اتخاذ التدابير اللازمة لمنع الممثل

بدولته اعترافا قانونيا ، وفي هذا الاعتراف لإقرار بالصفة التمثيلية للبعوث الدبلوماسية . وتمتد الحصانة الشخصية إلى جميع الأشياء المتعلقة بالممثل الدبلوماسي ، فلا يجوز التعرض لمقتولاته وسياراته وحقائبه . كما لا يجوز التعرض لأوراقه ومراسلاته الخاصة أو تلك التي يتبادلها مع حكومة دولته في شأن وظيفته .

(ب) حرمة المسكن :

وهي من أهم مظاهر الامتيازات الدبلوماسية ، فلا يجوز التعرض لدار الوكالة الدبلوماسية سواء بدخولها أو اتخاذ أى إجراء فيها كتحقيق أو تفتيش أو إعلان دون إذن من رئيس البعثة الدبلوماسية . ذلك أن التعرض لدار السفارة يعد إخلالا بطمأنينة المثل وتعطيلا لأعماله ووظيفته ، وواجب السلطات المحلية أن تعينه على أداء هذه الوظيفة .

ومن رأى أكثر الفقهاء أن هذه الحصانة تمتد إلى مساكن سائر الأعضاء في البعثة الدبلوماسية على اختلاف درجاتهم . ويرى قليل منهم أنها لا تسرى إلا على دار الوكالة الدبلوماسية . على أنه يشترط للتمتع بهذه الحصانة ألا يسمى أربابها استعمالها وأن يستخدموها في العرض الذي شرعت لتحقيقه ، فلا يجوز استخدام دار السفارة مكانا للسجن

على هذا العمل . فطبقت مبدأ الحصانة في الحالة الأولى ، ولم تأخذ بها في الحالة الثانية . وثمة رأى ثالث في هذا الصدد يجمله تتمتع الممثل الدبلوماسي بالحصانة القضائية في جميع الدعاوى المدنية باستثناء تلك التي تتعلق بأموال عقارية يملكها الممثل في إقليم الدولة المعتمد لديها أو الناشئة عن أعمال تجارية قام بها الممثل لحسابه الخاص دون أن يكون لها علاقة بمهام وظيفته أو المتفرعة عن دعوى أصلية تقدم بها الممثل نفسه إلى القضاء بصفته مدعيا .

(د) الإغفاء عن الضرائب :

جرت الدول على إعفاء المبعوثين من أداء الضرائب الشخصية المستحقة عليهم كضريبة الدخل وما شابهها .

أما الضرائب العينية المربوطة على الأموال العقارية فلا بد أن يؤديها الممثل إذا كان يملك أموالا عقارية في إقليم الدولة المعتمد لديها ، ويستثنى من ذلك العقار الذي تملكه حكومة الممثل وتتخذ دارا لسفارتها أو مفوضيتها .

وكذلك استقر العرف على إعفاء الممثلين الدبلوماسيين من الرسوم الجركية ، فتعفى المنقولات التي ترد إليهم سواء أكانت خاصة بهم أم بدار الوكالة من رفع الرسوم المقررة .

مصر فتح الباب

[٥]

من الاستمرار في ارتكاب جرائم تهدد نظامها الداخلي أو تمس الأمن فيها ، وبخاصة تلك الجرائم الخطيرة كتدمير المؤامرات أو إشعال الفتن . فللسلطات الإقليمية في هذه الأحوال أن تحاصر دار الوكالة الدبلوماسية برجال الشرطة ، وأن تحيطها برقابة دقيقة . كما يجوز لها أن تطلب من حكومة الممثل استدعاءه في الحال ، فإذا لم تجد استجابة جاز لها أن تطرده وترسله مخفورا بحرس إلى حدود بلادها . بل يجوز لها أيضا أن تطلب من دولته أن تتولى محاكمته . فإذا كانت الجريمة التي ارتكبها الممثل الدبلوماسي إحدى الجرائم العادية ، فإن الحكومة المحلية تكتفي بتنبيه حكومة الممثل إلى ذلك بصفة سرية لتقوم باتخاذ ما تراه لزاء هذه الحالة .

أما في شأن الإعفاء من القضاء المدني فنجد اختلافا بين الآراء في مداه ، وبخاصة في الدعاوى العينية العقارية التي يكون الممثل الدبلوماسي طرفا في الخصومة الناشئة حولها . فقد أخذت بعض المحاكم بمبدأ الحصانة المطلقة في القضاء المدني أسوة بالقضاء الجنائي . ومن ثم شمل الإعفاء جميع الدعاوى المدنية بما في ذلك التجارية سواء كانت متصلة بالعمل الرسمي للممثل أو لم تكن .

وفرت أحكام أخرى بين الدعاوى المدنية الناتجة عن العمل الرسمي وتلك التي لا ترتب

فقيه كبير نخدى الظاهر بيبرس :
محيى الدين النّوى
 للأستاذ محمد رجب البيّسى

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
 وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ، (قرآن كريم)

التي زلزلت هذا السكبان الباغي فارتد
 ناكصا على أعقابيه في ذهول ، كما استطاع
 أن يسهم إسهاما جادا في اندحار السيل التتري
 المتوحش حين تدفقت أمواجه على المسلمين
 ولم يجد من يثبت أمامه غير الحجل المومن
 الصابر في عين جالوت بقيادة الملك المظفر
 قطز والبطل المغامر بيبرس ! ومع هذه
 البطولة النادرة فقد كان مسلكه السياسى
 لا يخلو من النقد الصارم العنيف ، إذ أن
 أنانيته الشخصية كانت تدفعه إلى بعض
 ما يعد جريمة خائنة ، ويكفى أن نذكر
 تأمره الغادر على حياة الملك قطز ، فقد
 اغتاله بعد أن فرحت الدنيا بانتصاره الحاسم
 في عين جالوت ! ولم يكن الظاهر يحسب
 حساب أحدا ما ، بعد خيائته اللئيمة غير
 العزيز بن عبد السلام ، فقد امتنع عن مبايعته ،
 حين رأى لون الدم في يده ، وخاف الظاهر
 من تسكتل الأمة وراء العز فأخذ يصانع

(١) إن مصباح الهداية الإسلامية ليتنقل من
 جيل إلى جيل ، دون أن ينطفىء نوره على
 مد الحياة ، فلم يكد العزيز بن عبد السلام
 ينتقل إلى جوار ربه حتى نهج نهجه في الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر عالم جليل من
 طرازه ، يشاركه الفهم الصائب ، والعزة
 العالية ، والجاهة الجريئة للظفيان ، ذلكم
 هو الإمام الورع أبو زكريا محيى النوى
 الشهير بمحيى الدين ! !

عاش الرجل ردحا من حياته في عصر الظاهر
 بيبرس ، والظاهر كما نعلم جميعا بطل قاهر من
 أبطال التاريخ ، أسدى للعروبة والإسلام أيادى
 رائعة حين كافح الاستعمار الصليبي في مواقع
 فاصلة ، فقاد الجيوش وراء الجيوش ليرد
 الزحف الأوربى المتربص بمواطن الإسلام
 ومرايض العروبة ، ضاربا ضرباته الصاعقة

(١) من كتابنا (عناء يحاربون الظفيان)
 وسيددر قريبا .

من الفقهاء لتكون أداة ترجيح بين رأى ورأى ، وقد جرى العامة والخاصة من الناس على اعتقاد الولاية والصلاح فيه ، حتى نرى شيخنا جليلاً كالإمام تقي الدين السبكي ينزل إلى قاعة الحديث الأشرفية بدمشق حيث كان النووى يلقي درسه ، فيمرغ وجهه على بساطه ويقول لمن حوله .

لعلى أن أمس بحر وجهي
مكانا مسه قدم النووى
هذا الذى يمرغ وجهه فى مواطئ أقسام
النووى كان رأس الفقهاء والقضاة فى عصره
وقد طارت له شهرة واسعة فى التحرير
والفتيا ووقف من الأمراء والطغاة مواقف
خالدة تنبئ عن جراءة مؤمنة ، وعظمة شماء
ويخيل إلى أن هيام تقي الدين السبكي
بالنووى يرجع إلى اعتقاده بأن محي الدين
النووى هو محرر المذهب الشافعى فى عصر
بلغ فيه التنافس المذهبي بين العلماء حدّاً يدفع
بعضهم إلى التعصب والجحوش ، وآية التوافق
والتناسب بين الفقيهين الكبيرين أن النووى
قد شرح جزءاً كبيراً من كتاب المذهب
للشيرازى فى فقه الشافعية أسماه « بالمجموع » ،
وأدرك الموت دون أن يتمه ، لجاء تقي الدين
من بعده وعزم على أن يكمل الشرح ، من
حيث انتهى صاحب المجموع ، فبدأ تصنيفه
من أول باب الربا إلى آخر السككيات وأسماء
« تسكيلة المجموع » ، ولن يقدم على ذلك إمام

الأمراء ، ويحامل القواد ، ليضم إلى جانبه
ذوى القوة والسلاح : وقد واجهه
ابن عبد السلام على رموس الأشهاد بأنه
عبد للبندقدار لم يثبت عتقه للآن ! فأخذ
يتذلل ويتضرع ، ويحضر شهوداً يثبتون
خروجه من ملك البندقدار ، وكان الشيخ
المسن فى مرضه الأخير فلم يلبث أن لحق
بربه ، وتنفس الظاهر الصعداء حين رأى
جنازته تمر تحت القلعة ، ووراءها آلاف
الرجال ممن لا يحصون ، حتى قال قولته
الشهيرة « اليوم قد استقر أمرى ، فإن هذا الشيخ
لو قال للناس اخرجوا عليه لانتزع منى الملك » .
قال الظاهر بيبرس قولته تلك ، ولم يدر
أن الأيام تخبي له عالماً داعية جريئاً من
طراز العز ، آلى على نفسه أن يوفى بعهد الله
على العلماء أن يقفوا مع الحق فى كل سبيل ،
فحمل الراية ، ونزل إلى الميدان .

كان الفقيه العلامة محي الدين النووى
رضى الله عنه ذا هبة وجلال ، وقد تنقل
فى أكثر العواصم الإسلامية لينهل من حياض
الثقافة فى كل مركز من مراكزها النائية
ثم رجع إلى دمشق يحرق وراءه علماً وفقهاً
وورعاً ، فقام بالتدريس ، وأخذ فى التأليف
المستوعب الجامع حتى طارت له شهرة واسعة
فى فقه المذهب الشافعى ، ونحن نقرأ آراءه
الدقيقة حتى فى غير كتبه إذ يتناقلها المؤلفون

حق وصل به الشطط إلى ضروب من العنت والإرهاق ، ودار الشيخ بعينه فرأى كثيرا من التجار يجردون من أموالهم ، ويحيط بهم طائفة من غلاظ الجبابة ، يقتصبون ويسلبون فإذا اعتذر أحدهم بضيق اليد تعرض متجره للتهب وقد تنهاوى عليه السياط المحرقة دون رحمة وإشفاق ، فكتب النووى إلى السلطان بلفته إلى ذلك ، ويوصيه بالعدالة والحق فيما يأخذ ويدع من الأموال ، ويشرح له ما شهد به نفسه من مآسى تتفطر لها الأكباد ، وقد أغلظ عليه القول فبالغ في التهديد والوعيد ، وطار الخطاب إلى الظاهر فرأى أن العز بن عبد السلام قد رجع في صورة عالم جديد هو محي الدين النووى ، فظن أن المهاجم الثانى ليست له مكانة العز ومزنته ، ورأى أن يواجهه بالشدة قبل أن تلتف حوله النفوس ، ويصير ذا صدى مسموع يلقى ويهيج ، فرد عليه بكتاب قارص يحمل الإنكار والتوبيخ ، ويشير بالوعيد القاهر لكل من يتدخل فيما ليس يعنيه ، ثم هو لا يقتصر على الشيخ وأتباعه من العلماء بل ينتقل إلى الرعية فيصمها بالبخل والشغب ، ويعلن أن أمر الجبابة نافذ الطاعة مهما غلوا فى المكوس ، وتهجموا بالسب والضرب ، إذ هم أعوان الدولة ورسلا لدى الناس ، وظن الملك الظاهر أنه بذلك أطفأ الثائرة وكبم الأفواه وصل الرد إلى الإمام المجاهد ، فقرأه

الفقهاء فى عصره إلا إذا قدر النووى أكبر التقدير ، وكأنى بهذا الإعجاب وقد انتقل من الأب إلى الابن فكتب نجلى تقى الدين السبكى فى كتابه «طبقات الشافعية» ، يقول عن النووى متأثراً بروح أبيه .

«كان رحمه الله سيداً وحسوراً ، وليئاً على نفسه هصوراً ، وزاهداً لم يبال بخراب الدنيا إذا كان ربيع أنسه معموراً ، له الزهد والقناعة ، ومتابعه السابقين من أهل السنة والجماعة ، والمصابرة على أنواع الخير ، لا يصرف ساعة فى غير طاعة ، هذا مع التفنن فى أصناف العلوم ؛ متون أحاديث وأسماء رجال ولغة وصرفاً إلى غير ذلك اهـ . وهذا التفنن فى التأليف لدى النووى جعلنا نلصق نور قلبه فى كثير من مؤلفاته مثل رياض الصالحين ، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، وبستان العارفين فى التصوف إذ أن أمثال هذه الكتب تفيض بضياء مشرق يستمد شعاعه من التقوى الخاشعة واليقين الصريح ، أما دقته العلمية فتتضح فى كتب أخرى مثل التحرير فى الفقه وروضة الطالبين ، والمنهاج والمجموع وغيرها مما لا يزال أكثره مخطوطاً إلى اليوم ، ولسنا الآن بصدد تحديد مكانه العلمى ولكننا نمهد بذلك إلى الحديث عن شجاعته الأدبية وإيمانه الجرى .

لقد اشتط الظاهر فى جمع الضرائب والمكوس من العامة ليستعين بها على الجهاد ،

يقوم به إزاء هذا العالم العنيد ، فاستمع إلى كثير مما يتعارض ويتناقض بين داع إلى العقاب ، ومشير بالتسامح والإغضاء وكان رأى الظاهر بعد النقاش الطويل أن يجنح إلى التهادن ، إذ لو سارع بإعلان غضبه على الشيخ لجعله بطلا كبيرا في مرأى العامة ، ولأصبح بمحتته هذه رمزاً للدفاع المخلص ، ولواء يلتف حوله الناقون في كل مكان .

والواقع أن نصيحة الشيخ رغم قسوتها الصريحة قد فعلت فعلها في نفس الحاكم ، فاضطر إلى أن يجمع الجباة فيشير عليهم بالرفق والملاينة ، ويحذرهم غضب العلماء من الخاصة ، والجمهور من العامة ، وإن كان الظاهر في واقعه لا يستطيع أن يتخلص من حنق مكظوم أثار الشيخ مرارته في نفسه ، وأنى له ، وهو إنسان يحب أن يأمر فيطاع ...

مرت هذه الحادثة لتعقبها حادثة أخرى أشد منها عنفاً وإيجاعاً ، فقد تهيأ الظاهر إلى بعض حروب أعدائه من خصوم الإسلام ، وأراد أن يأخذ من أموال الرعية ما يستظهر به على العدو ، واستفق العلماء في ذلك فأقتوه بالجواز ، ولكن محي الدين يمتنع عن الفتوى ويعان ذلك في إصرار .

لو ملك الظاهر زمام عاطفته لتدبر وفكر في وجهة نظر الشيخ ، ولكن تسرعه الغاضب أوحى له أن يعقد اجتماعا عاجلا يشهده الجميع

متعجباً ثم دعاه داعي الحق إلى أن ينقض الباطل ويرفع الحق ، فلم تأخذه رهبة من حاكم جبار يعتصم بالقوة والجاء والسلطان ، ودعا من فوره بالدواة والقلم ، ليرد على كل كلمة جائرة تضمنها قول الحاكم الباطش ، وقد غمرته سكينه الإيمان فما أحس بخوف ، أو تهيب من دفاع ، وكان فيما قال رضى الله عنه وطيب ثراه : -

(وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا ، وتهديد طائفة من العلماء ، فليس هو المرجو من عدل السلطان وحله ، وأى حيلة لضعفاء المسلمين في الناصحين نصيحة للسلطان ولهم ، ولا علم لهم به ، وكيف يؤخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ، وأما أنا في نفسى فلا يضرني التهديد ولا أكثر منه ، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان فإنى أعتقد أن ذلك واجب على وعلى غيرى ، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى :

« هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هي دار القرار ، » وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد . » وقد أمرنا رسول الله أن نقول الحق حيثما كنا وألا نخشى في الله لومة لائم) .

وصل الرد القاطع إلى صاحب الأمر ، فأثار في نفسه ضرراً من الانفعالات الناقية وجمع مستشاريه ليأخذ رأيهم فيما يجب أن

في وجه النوى : اخرج من بلدى — يعنى دمشق — إذ لا يجب أن تساكنتى فى مكان ! :
وتدفع النخوة زملاءه من الفقهاء فينسحبون
من الحفل محتجين ، ويسود المهرج والمرج
صفوف الناس فيخشى الحاكم سوء المقال
ويتراجع قائلاً :

ولماذا تخرج ؟ أذنت لك بالمقام !!
فيجب النوى فى صرامة : ومن أدراك
أنى أقبل المقام لديك ، لابد من الرحيل ثم يهيم
بالخروج فيتفرق الناس خلفه مبهوتين !!
لو أن ذاكرة الظاهر كانت حادة نافذة
لتذكر أن العز بن عبد السلام قد وقف
من الملك قطز هذا الموقف حين هم بجمع
المال من الرعية قبل موقعة عين جالوت إذ
أعلن سلطان العلماء أن المال محرم على السلطان
قبل أن يستنفد ما لدى جواريه ومالكمه من
ذهب ولؤلؤ ، ولكن الملك الظاهر لم يتذكر
ذلك إلا حين مثل محي الدين دوره فى شجاعة
وإيمان ، فاضطرب صاحب الأمر وتخيّل
الموقف السالف وقد شهد به عينيه منذ أعوام !
ورأى أن العز الذى استراح بفقده قد عاد
من جديد فى صورة محي الدين ، فعرض على
شفتيه يدمدم «ذرية بعضها من بعض» ، والتفت
إلى أحد جلسائه ليقول له فى غرابة مريرة :
ما أشبه الليلة بالبارحة فيما كان ؟

محمد رجب البيومى

الحاشد من الناس ، ويحضره النوى ليظهر
فى ثوب المخذل عن الحرب ، الصاد عن مجالدة
الكفار ، فيكون موقفه إذ ذاك غير كريم ،
وتسقط مهابته لدى الناس .

وتم للبك ما أراد ، فاكتمل الحفل
بأعيانه ووجوهه وذوى الرأى فى البلاد ،
وتقدم محي الدين بقدم ثابتة ليسأله الظاهر
فى عناد : لماذا لا تجيز أن نجمع الأموال
من المسلمين لننفقها فى الجهاد كما أفتى زملاؤك
من الفقهاء ؟ .

فرد الشيخ فى حزم أعاذ : كنا يعلم أن
لديك ألف مملوك ، كل مملوك له حياة
من ذهب ، وعندك مائتا جارية ، لكل جارية
نصيب من الحلى والجواهر ، فإذا أنفقت
ذلك كله ، وبقيت ممالكك بالبند الصوف
بدلاً من الحوائص ، وبقيت الجوارى بثيابهن
دون الحلى والجواهر أقتيتك بأخذ مال الرعية !
يا لله : لقد دهش الحفل من صراحة الرد ،
وأشرقت الابتسامات فى الوجوه لتعلن
اغتيالها بهذه المجابهة الرادعة ، وتطلع الملك
الظاهر إلى رفقاته متلبساً من يسعف برد
منقذ ، يحول دون الإلحاح والإلجام ، فلم يجد
غير محي الدين ينظر إليه فى كبرياء عالية
من الحق تحتم على الناس أن ينزلوها منزلة
الإكبار والإعجاب ، حين تجيز لهم أن يشمتوا
بمجبروت السلطان وقسوته فى ابتزاز الأموال :
فعصفت نخوة السلطان بالظاهر وصاح

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد محمد أبو شنبه

— ٣ —

كان آثمين وذهبت البركة من بيعهما . وإن صدق أحدهما ، وغش الآخر ، كان للصادق ثوابه ، وعلى الآخر وزره . روى البخارى فى صحيحه عن حكيم بن حزام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » أو قال : « حتى يتفرقا » فإن صدق وبيننا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما .

وكذلك القرض الحسن أمر مستحب شرعا وجائز قانونا والقانون ينظر إليه من الناحية الظاهرية والاجتماعية . أما الشرع فنظر إليه من الجانب الروحى أيضا فجعل له ثوابا مضاعفا مدخرا عند الله سبحانه روى ابن ماجه بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة أُسرى بنى على باب الجنة مكتوبا : الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل : ما بال القرض أفضل من الصدقة

من المقارنات المهمة والفوارق الأصلية بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية أن الشريعة الإسلامية ربطت تشريعاتها بالجانب الروحى أو بمعنى آخر عرضت لظاهر الأعمال وباطنها بخلاف القوانين الوضعية ؛ فإنها عنيت بالظاهر ولم تعر الجانب الروحى أية عناية . وإنك لتلبس هذا واخفا في التشريعات الإسلامية حينما رتبنا على الأعمال آثار دنيوية وأجزية أخروية بالإثابة والعقوبة فالبيع مثلا يتوقف عليه انتقال الملكية ، ومضى حصل الإيجاب والقبول فقد تمت الصفقة ووقع البيع صحيحا من الناحية الظاهرية حتى ولو كانت فى المبيع عيوب خفية أخفاها البائع ولم يتنبه لها المشتري ، ولكن الشريعة لم تقف عند الظاهر بل قالت : إن صدق البائع والمشتري وبيننا العيب ولم يكتما بورك لهما فى بيعهما وأثيبا فى الآخرة ، وإن كتما وغشا

وجريمة السرقة رتب عليها الشارع الحكيم القطع في الدنيا والعذاب في الآخرة قال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما

جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظله وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ، (١) والمقصود التوبة بعد تنفيذ الحد ، ولا محل لقبول التوبة وغفران الذنوب إلا إذا كانت هناك عقوبة أخروية وبذلك دلت الآية على العقوبتين هذا عدا الأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك .

وقذف المحصنات المؤمنات وإشاعة الفاحشة بين الناس له عقوبة دنيوية وهي الحد وعقوبة أخروية وهي عذاب النار قال عز شأنه : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ، (٢) . فقد بينت الآية العقوبة الأصلية وهي الحد ، والعقوبة التبعية وهي رد الشهادة إلا إذا تاب وحسنت توبته فتقبل شهادته

قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة ، وإنه لتعليل شديد ...

والقتل العمد حرام شرعا ومنوع قانونا ويرتب عليه آثاره الدنيوية في الشريعة والقانون ولكن الشارع رتب عليه إلى العقوبة الدنيوية وهي القصاص عقابا أخرويا قال تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ، (١) أما القانون فلم يرتب عليه شيئا زائدا عن العقوبة الدنيوية .

والحرابة وهي قطع الطريق رتب عليها الشارع عقوبة دنيوية وهي القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي ورتب عليها أيضا العقاب الأخروي قال تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٢) ، أما القانون فلم يرتب على هذه الجريمة عقابا أخرويا .

(١) المائدة ٣٨ ، ٣٧ .

(٢) النور ٤ ، ٥ ، ٦ .

(١) النساء الآية ٩٣ .

(٢) المائدة الآية ٣٣ .

جعل الله لمن سبيلاً^(١) ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ، رواه مسلم وأصحاب السنن . وفي الصحيحين أن عمر رضى الله عنه خطب بمحضر من الصحابة فقال : « إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل الله عليه آية الرجم^(٢) قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم حق في كتاب الله تعالى على من زنى ، إذا أحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف » .

أما العقوبة الأخرى فقد جاءت بها الآيات الكريمة ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً

عند الجمهور ، وقال سبحانه « لمن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون^(١) » وهى نص فى العقوبة الأخرى وقال أيضاً : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة »^(٢) أما القانون فلم يرتب على هذا إلا عقوبة دنيوية وإن كانت دون عقوبة الشارع الحكيم زجراً وردعاً .

وجريمة الزنا لها عقوبتان : عقوبة دنيوية ، وأخرى أخرى فى الكتاب الكريم : الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ،^(٣) وهذا الحد فى حق غير المحصن والمحصنة أما أحدهما وهو الرجم فقد جاءت به الأحاديث الصحيحة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عني خذوا عني فقد

[١] إشارة إلى قوله تعالى : « أو يجعل الله لمن سبيلاً » النساء ١٥ فقد نسخ الحكم الأول بالجلد أو الرجم والجمهور على عدم الجمع بين الجلد والرجم فى المحصن والاكتفاء بالرجم كما يدل على ذلك قصة ماهر والعامدية .

(٢) كانت قرآناً ثم نسخ لفظها وبقي حكمها أبداً .

(١) النور ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) النور ١٩ .

(٣) النور ٣ .

ولامنان ، إلى غير ذلك من الأحاديث المتكاثرة ، أما القانون فلم يرتب على الخمر والمسكرات عقوبة في حد ذاتها ، ولو دنيوية ، وإنما اعتبر العقوبة على ما يترتب على السكر من عسكرة أو إخلال بالأمن والردة عن الإسلام لها عقوبتان : دنيوية وأخروية ، قال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (١) وفي الحديث المتفق عليه « من بدل دينه فاقتلوه » ، وذلك بعد الاستتابة والكشف عن شبهته وإمهاله مدة يراجع فيها نفسه عسى أن يرجع إلى صوابه على ما هو مفصل في كتب الفقه .

وكذلك الربا له عقوبتان دنيوية وأخروية ، أما الآخروية فذكرها الله في قوله سبحانه : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحى الله الربا ويربى الصدقات والله

فألتك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » (٢) أما القانون فلم يرتب على جريمة الزنا أى عقاب أخروى .

وجريمة شرب الخمر والمسكرات لها عقوبتان دنيوية وأخروية ، أما الدنيوية فالحد وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة المتكاثرة ، وأما الآخروية فبالعذاب ، قال تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (٣) والرجس الذى يصد عن الذكر وعن الصلاة والذى هو من عمل الشيطان من أعظم موجبات العقاب الآخروى .

وفي الحديث المتفق عليه « من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة ، وهو كناية عن الحرمان من الجنة ، وفي الحديث الذى رواه الإمام أحمد مرفوعاً « لا يدخل الجنة عاق ، ولا مدمن خمر ،

(١) الفرقان ٦٨ - ٧٠ .

(٢) البقرة ٢١٧ .

(٣) المائدة ٩١ .

الأخروي ، واقعد بلغ من أمر الشريعة الإسلامية أن الأمور المباحة إذا نوى بها المسكف الخير والقرية أثيب عليها فالأكل إذا قصد به التقوى على الجهاد ، أو السعى على المعاش فهو مثاب عليه والنوم يقصد به التقوى على التهجذ وقيام الليل مثلاً عبادة يؤجر عليها ، حتى اللقمة يضعها الرجل في فم امرأته على سبيل المباسطة معها والمؤانسة لها أمر يؤجر عليه فاعله .

وغير خفى ما لهذا الجانب الروحي في التشريعات من أثر عظيم في إصلاح القلوب ، وتقويم السلوك والحض على فعل الخير والمعروف والكف عن الشرور والآثام ، وفي تربية النفس البشرية على مراقبة الله والخوف منه . وفي إيجاد نوع من الوازع الديني يعجز عن تكوينه أى قانون وضعى .

وهذا هو السر فى أن بعض المسلمين فى العصر الأول كان إذا اقترف ذنباً أو ألم بمعصية جاء إلى الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - راعباً فى إقامة الحد عليه بصدق وإخلاص وعزيمة وإصرار ، وذلك كما حدث من ماعز والغامديه وغيرهما . روى مسلم فى صحيحه عن بريدة أن ماعز بن مالك الأسلبى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : لى قد ظلمت نفسى وزنى ،

لا يحب كل كفار أثيم ، ^(١) وأما الدنيوية فقد أشار إليها الحق تبارك وتعالى بقوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ^(٢) .

روى عن ابن عباس فى تفسير هذه الحرب : « من كان مقبياً على الربا لا ينزع عنه كان حقاً على إمام المسلمين أن يستقيه فإن نزع وإلا ضرب عنقه » وروى عن الحسن وابن سيرين نحو ذلك ^(٣) .

وفى تفسير الألوسى أن المربى يحبس حق تظهر توبته ولا يمكن من التصرفات وما لم يقب لم يسلم له شىء من أمواله ^(٤) ، وإنه لتشريع حكيم فالمرابون عاربون لله ولرسوله ، ومفسدون فى الأرض ومقطعون لأرحام البشرية والروابط الإنسانية .

وهكذا نجد أنه ما من أمر محظور شرعاً إلا ورتب عليه الشارع الحكيم العقاب

(١) البقرة ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٢) البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٤ القرطبى ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٤) تفسير الألوسى ح ٣ ص ٥٣ .

توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم . وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى ؟ وروى قصة ماعز والغامدية أيضا الإمام البخاري في صحيحه (١) وقد روى أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم صار يستوضحه ويستفصل منه عسى أن يكون اشتبه عليه الزنا الذي يوجب الحد بغيره مما يسمى زنا في اللغة فقال له : لعلك قبلت ، لعلك لمست ، وكان للرجل مندوحة في الإفلات من العقوبة لو أراد ، ولكنه الوازع الديني الذي كان مسيطرا على النفوس آنذاك ، والذي تربى في النفوس بفضل التشريعات الإسلامية الحكيمة التي لم تقتصر في الجرائم على العقوبات الدنيوية ، بل رتبت عليها أيضا أجزية أخروية ، ولن تجد في تاريخ الدنيا مثيلا لهذه المثل التي سقناها إليك في الاعتراف بالذنب والرغبة في التطهر من الإثم عن صدق وإخلاص ؟

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

ولاني أريد أن تطهرني ، فردّه ، فلما كان من الغد أتاه فقال : يا رسول الله لاني قد زنيت فردّه الثانية ، فأرسل إلى قومه فقال أتعلبون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا ؟ فقالوا مانعله إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى ، فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ، ولا بعقله ، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم قال : فجاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله لاني قد زنيت فطهرني وإنه ردها ، فلما كان الغد قالت : يا رسول الله لم تردني ؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزا فوالله لاني لحبلى ، قال : إما لا فاذهي حتى تلدى ، فلما ولدت ، أتته بالصبي في خرقة قالت . هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى تظطمي ، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت . هذا يابى الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها (١) وفي رواية أنه صلى عليها فقال له عمر . تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ فقال : لقد تابت

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٢

ص ١٠٣ وما بعدها .

[١] صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٢٠٢ ،

ص ٢٠٥ .

الاسلام في الملايا

لورستانه عطية مفر

الملايا مستعمرة سنغافورة Singapur التي يبلغ سكانها مليوناً أو يزيدون ، وأكثرهم من الصين ، ولكل ولاية من ولايات الاتحاد حكومتها الخاصة ويرأسها سلاطين مسلمون ، وهناك حكومة مركزية في عاصمة الاتحاد كوالا لامبور Kuala Lumpur التي يسكنها حوالي ١٥٠ ألف نسمة .

ولم يعرف الغربيون هذه البلاد إلا عندما مر عليها ماركو بولو الرحالة الإيطالي Marco Polo (١٢٥٤ - ١٣٢٣ م) فسال عليها لعاب الاستعمار ، ووقعت تحت حكم البرتغال سنة ١٥١١ م ، ثم الهولنديين سنة ١٦٤٠ م ، ثم استولى الانجليز على جزيرة بنانج في الشمال سنة ١٧٨٦ م ، واحتلوا ملقا سنة ١٨٢٤ م ، واشتروا جزيرة سنغافورة سنة ١٨١٩ م . ثم استقلت البلاد أخيراً ضمن مجموعة الممتلكات البريطانية (كومنولث) في ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٧ م . وذلك بعد كفاح طويل كان للأمير Tunhu عبد الرحمن دور كبير فيه . يسكن الاتحاد حوالي ستة ملايين نسمة

في الجنوب الشرقي من قارة آسيا تقع شبه جزيرة الملايا Malaya بين خطي عرض ١ ، ٧ شمالاً ، وخطي طول ١٠٠ ، ١٠٥ شرقاً . وتحدها شمالاً بملكة تايلاند ، وجنوباً جزيرة سنغافورة ، وشرقاً ببحر الصين ، وغرباً مضيق ملقا والمحيط الهندي . وتبلغ مساحتها حوالي ٥٠٠.٦٨٠ ميلاً مربعاً ، أربعة أخماسها غابات كثيفة ، وهي تشتهر بالمطاط والقصدير والصفير ، وجوز الهند والأرز والتوابل .

وأول من سكن هذه المنطقة مهاجرون من وسط آسيا منذ سبعة آلاف سنة ، ثم وفدت إليها موجات من الصين والهند وغيرها . والملايا الآن اتحاد يتكون من تسع ولايات هي : جوهور Johor وباهنج Pahang ونيجري سبيلان Negsi Sembilan وسلاجور Selanggar وقدهج Kedah وكلاتان Kelantan وترنجانو Terengganu وبرليس Perlis وبيرق Perak ، وهناك ولايتان أخريان هما : ملقا Malacca وبنانج Benang . وفي الطرف النهائي من جنوب

Pasa حيث كان الإسلام موجودا فيها
وفي سامودرا Samudra .

وفي نهاية القرن الثالث عشر ذهب أحد
كبار جاوة وأقام في قرية ملقا Malacca على
ساحل الملايا وصارت بعد ذلك مأوى التجار
والعالمين في البحار ، وتكونت أول مملكة
فيها سنة ١٤١٤ م ، وكان أول حاكم لها
يدعى ميجات اسكندر شاه Mcgat IS. Shah
وكانت التجارة مزدهرة في باساي في ذلك
العهد ، فانتقل منها إلى ملقا كثير من التجار
الهنود والعرب ، وكانوا قد أحضروا معهم
من بلادهم كثيرين من الملا Mulah أى
المتفقهين في الإسلام ، وقد سربهم اسكندر
شاه سرورا عظيما ، وكرم العرب فأعطاهم
أرضا يبنون عليها مساكنهم ومساجدهم ،
واجتهد هؤلاء ، فأدخلوا الملك في الإسلام
فأسلم وسنه ثنتان وسبعون ، وتحققت بذلك
رغبة ملك باساي الذي زوجه بخته وسمى
الملك باسم عربي إسلامي محمد اسكندر شاه
وأسلم معه آل بيته وجمع شعب ملقا .

وبهذا دخل الإسلام ملقا في الربع الأول
من القرن الخامس عشر ، وكان للتجار
والهنود الوافدين من كجرات Guerat
بالقرب فضل كبير في نشر الإسلام في ربوع
المنطقة ، ومن ملقا انتقل الإسلام إلى جاوة
وفي غضون نصف قرن صارت ملقا مركزا

بخلاف سنغافورة . وهم يتكونون من
أجناس مختلفة ، فالملاييون وهم السكان
الأصليون يبلغون نحو ثلاثة ملايين ،
والصينيون الذين زادت هجراتهم منذ ١٠٠٠
سنة يبلغون نحو مليون ونصف ، وهناك
حوالي ستمائة ألف من الهند وباكستان
ومائة ألف من الأجناس الأخرى : من
أوربا أكثرهم انجليز ، ومن المولدين من
أوربا وآسيا أوراسيين ، وفيهم جماعات
من سيلان من السنغال والتاميل ، وجماعات
من تايلاند وإندونيسيا . وبين السكان
نحو أربعة آلاف عربي من حضرموت .
ولا يعرف بالضبط متى دخل الإسلام

هذه البلاد ، فإن الثابت أنها كانت لها
علاقات تجارية قديمة مع الهند التي انتشر
الإسلام فيها في وقت مبكر ، ومع جزر
الأرخبيل الملايوى ، ومن المؤكد أن
الإسلام كان موجودا في سومطرة المواجهة
للإندونيسيا من الجهة الغربية في القرن الثالث عشر
فعندما زارها ماركوبولو الإيطالى سنة

١٢٩٢م وجد تجارا مسلمين في براك Perlak
وهي ميناء صغير على الساحل الشمالى لسومطرة
ذات الصلة الوثيقة بالملايا ، وقد ثبت أن
بنت حاكم براك تزوجت الملك الصالح المتوفى
سنة ١٢٩٧م وهو أول سلطان في باساي

ويلتزم مذهب الإمام أبي حنيفة .
والمأمول أن يكون الإسلام هو الدين
الرسمي للاتحاد ، وقد ظهر كلام كثير حول
هذا الموضوع ونوقش قبل الاستقلال في
المؤتمر الذي عقد بمدرسة الإحياء الشريف
في بيرق في ٢٤ من مارس سنة ١٩٤٧ ،
وتقرر فيه إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى
الذي يرمز إليه بهذا الرمز «ماتا» وكان من
أغراضه فصل الدين عن الدولة ، كما هو الحال
في بلاد العالم الأخرى ، ذلك لأن الرسميين
لا يهتمون بالتعليم الديني ، كما كان من أغراض
المجلس مطالبة السلطات الموجودة « أصحاب
السمو السلاطين » بالتنازل عن سلطاتهم
الزمنية والروحية للمجلس .

هذا ويوجد في كل ولاية قسم للشئون
الدينية ، يرعى المساجد ويشرف على القضاء
الشرعي . ورؤساء هذه الأقسام من الإداريين
الذين لم تسبق لهم دراسة الدين ، ولذلك
يوجد لكل ولاية مفت خاص ، مهمته أشبه
بمهمة الواعظ في مصر ، وهذه الوظيفة تسمى
مشيخة الإسلام في ولاية قدح ، وفي بعض
الولايات يحل محل أقسام الشئون الدينية
مجلس استشاري دين .

والملايويون - وكلهم مسلمون - يعترفون
بدينهم إلى أقصى حد ، ويحج منهم كل عام
نحو ستة آلاف ، بالرغم من بعد الشقة ورقة

يشع منه الإسلام على المناطق المجاورة ،
فأسلمت باهانج وجنوبي الملايا ، كما أسلمت مناطق
كثيرة في سومطرة وجاوة وجزر الارخبيل .

وتقول إحدى الروايات . إن ملقا دخلت
في الإسلام في عهد أحد ملوكها سنة ١٢٧٦م
فبعد سنوات قليلة من حكمه رست سفينة
عربية بالميناء ، وكانت قادمة من جدة تحت
قيادة سيدي عبد العزيز ، فاستطاع هو ومن
معه أن يدخلوا الملك في الإسلام وسموه سلطان
محمد شاه ، وتأسست بذلك مملكة سلطان إسلامية
قامت بنشر الإسلام فيما جاورها من البلاد .

ويقول ريتشارد وينستد R,winstedt
في كتابه عن الملايا : إن الإسلام وصل إلى
شمالي الملايا في وسط القرن الرابع عشر ، كما
يدل عليه وجود أول كتاب عربي فارسي
في ترينجانو . وأياما كان الأمر في الإسلام
كانت له قدمه الراسخة في الملايا قبل أن يلوثها
الغرب باستغلاله واستعمار .

والدين الغالب في هذه البلاد هو الإسلام
فنسبته بين السكان ٥٥ ٪ . ذلك أن الملايويين
وهم سكان البلاد الأصليين ويبلغون نصف
عدد السكان لا يعرفون غير الإسلام .

والصينيون وثنويون أو بوذيون ، وقد
أسلم منهم ألف أخيرا ، والهنود ينتشر فيهم
الدين البوذي والهندوكي ، وقد تنصر كثير
منهم على يد المبشرين ، وقليل منهم أسلم

الدينية ، وعدم صحة الجمعة في مسجد إلا بإذن من السلطان .

والمساجد منتشرة في المدن والقرى ، وصلاة الجمعة مقصورة على المساجد الكبرى إذا أذن السلطان ، وتوجد هناك طائفة الإسماعيلية وفرقة القاديانية ، ولأنصار السنة جماعة في هذه البلاد .

هذا والمسلمون عامة بين اتجاهين ؛ اتجاه قديم يترجمه المثقفون على مناهج الحجاز وحضرموت ، ويسمون أنفسهم «قوم تواه» واتجاه جديد يترجمه المثقفون على مناهج الأزهر ، ويسمون أنفسهم «قوم مودا» ، ويلاحظ أن التقدميين العصريين في حاجة كبيرة إلى عمق الثقافة الإسلامية الصحيحة ، والحجازيون يتمسكون بالقشور إلى حد كبير ، وهم كثيرون الزواج والطلاق ، ويعتمدون في أكثر أحوالهم على الصدقات ، كما يقول المراقبون الأحوال هناك .

ومن الجمعيات الإسلامية : جمعية الدعوة الإسلامية ورئيسها السيد إبراهيم عمر القاف وجمعية الشبان المسلمين ، واتحاد علماء الدين الإسلامي ، واتحاد الطلبة المسلمين ، وجمعية الإصلاح في كوتا بهارو .

والتعليم في الملايا تابع لتعدد الأجناس واللغات ، وأهم أنواعه أربعة : -

١ - التعليم الانجليزي وهو التعليم الرسمي الحكومي وتدرس فيه العلوم بالانجليزية

حالم المالية بالنسبة إلى الصينيين والهنود ، وإذا عاد الحاج حافظ على هذا اللقب واعتز به كما يعتز بالعمامة التي يلفها حول رأسه فتكسبه الشرف والاحترام . وهم يبدون مجالسهم ويحتمونها دائما بدعاء طويل ، ويكرمون شهر رمضان ، والأفكار الدينية هناك مختلطة بالخرافات الهندية ، ويبدو ذلك في حفلات الزواج على الخصوص . والمحاكم الشرعية لها قوانين وأحكام تختلف في كل ولاية عن الأخرى ، والقضاء في حاجة ماسة إلى مزيد من التفقه في الدين والدقة في معرفة الأحكام كما تقول التقارير . والمرأة الملايوية معروفة بولائها وطاعتها لزوجها . وهي تساوى الرجل في الحقوق والتعليم والانتخاب ، وفي الأحزاب السياسية شعب للنساء تسمى «قوم أيبو» ، والطلاق منتشر كتعدد الزوجات ، ولا يشيع بين الملايويين استعمال ألقاب الأسرة ، فالفرد يسمى فلان بن فلان ، وكنتي ، ولا ينسب إلى جده ورئيس الأسرة .

والمذهب الشافعي سائد في الملايا ، والهنود يلتزمون المذهب الحنفي ، وهم جميعا يقدسون المذاهب إلى حد أنهم يعتبرون تقليد غير المذهب أقرب إلى الكفر ، بالرغم من أنهم يأخذون في كثير من المسائل بالمذاهب الأخرى ، وذلك تبعا لمصالحهم ، كما يجار المسلمين على دفع الزكاة نقودا لأقسام الشؤون

وضالة الموارد المالية . وفي هذا النوع من التعليم ثلاثة اتجاهات ؛ أحدها يحاول تقليد التعليم الديني في الحجاز لأن المشرفين عليه درسوا هناك . وثانيها يحاول تقليد الأزهر ، وثالثها يحاول التجديد والاقتراس من التعليم الأزهرى والتعليم المصرى العام .

وفي الملايا ما يقرب من ستمائة مدرسة عربية ضعيفة المستوى لإلا قليلا منها فهو شبه منظم لأن بعضها يشرف عليه فنيون مصريون كالمدرسة العلوية الإسلامية . ويلتحق بهذه المدارس التلاميذ المسلمون فقط من أبناء الملايو والعرب أما مسلمو الهند وباكستان والصين فيندران يلتحق أبناءهم بهذه المدارس . وخريجوها يكملون تعليمهم في مصر أو الحجاز .

هذا وقد أنشئت حديثا كلية إسلامية في العاصمة الاتحادية كوالالمبور ، وتم افتتاحها في فبراير سنة ١٩٥٥ بعد أن انتدب لها اثنان من أساتذة الأزهر ، وكان من أغراض هذه الكلية إصلاح المدارس العربية والإسلامية بعمل دراسات صيفية لمدرسيها . ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة بين المسلمين والقضاء على الخرافات ، وتخرج طائفة ممتازة في دراسة الدين لتوجيه البلاد توجيهها سليما ، ومدة الدراسة فيها خمس سنوات على مرحلتين الأولى عامة لمدة ثلاث سنوات ، والثانية خاصة لمدة سنتين فيها شعب اللغة

كما تدرس اللغة الملايوية كلغة ثانية . ويلتحق بهذه المدارس التلاميذ من جميع الأجناس ، ولا يدرس الدين فيها للمسلمين إلا بقدر ضئيل ولا يدخل ضمن مواد الامتحان . وهذا التعليم ابتدائي وثانوى يؤهل لدخول جامعة الملايا التي أنشئت في سنغافورة سنة ١٩٤٩ م .

ب - التعليم الصينى وهو تعليم حر وأهلى ، ومنظم أكثر من التعليم الانجليزى ، وغايته إعداد التلاميذ للحياة العملية وبخاصة التجارة وهذا التعليم خاص بأبناء الصين ولغته الصينية ، وهو منتشر في شتى أنحاء الملايا . وهو ابتدائي وثانوى وعال ، ومناهجه كمناهج التعليم الانجليزى مع الاهتمام بالناحية العلمية . ج - التعليم الملايوى ، وهو تعليم حكومى ذو مرحلة أولية ، ويكاد يكون خاصا بالجنس الملايوى ، ولغة التعليم فيه الملايوية ، مع دراسة اللغة الانجليزية ، وتدرس فيه مبادئ الدين الإسلامى إلى جانب المواد الأخرى ، ومستوى التعليم في هذه المدارس منخفض لقلة الكفايات العلمية .

د - التعليم العربى . وهو تعليم حر شعبى بمعنى الكلمة يقوم به الغيورون على الدين ويتكسب به بعض من نالوا حظا من الثقافة الدينية والعربية ، وقليل من الثقافة العامة . وهذا التعليم منتشر في الملايا ، وهو متأخر ومستواه منخفض إلى حد كبير لقلة الكفايات

العربية ، وللفقه ، وللتوحيد والفلسفة ، ولعلوم القرآن والحديث .
ومن المعاهد الدينية معهد ديني في ألورستار Alor Star بولاية قدح ويديره السيد / عبد المجيد نور من خرجى الأزهر .

واللغات في الملايا متعددة ، فالملايويون يتحدثون لغتهم وفيها من ١٥ إلى ٢٠ ٪ من الكلمات العربية ، وهم يكتبونها بالحروف العربية ، وإن كانت الحروف اللاتينية بدأت تزحف ، شأنها شأن كل دخیل جلبه معه الاستعمار . والهنود والباكستانيون يتكلمون لغة بلادهم ولغة التاميل Tamil ولغة التلجو Telego ، والصينيين لغتهم ذات اللهجات الكثيرة التي أشهرها هناك الهوكية والكاتونية . كما توجد اللغة الانجليزية . ولهذا يقول بعض الكتاب : إنه لا يكاد يوجد واحد من عشرة آلاف من الملايويين يستطيع قراءة اللافتات الموجودة على واجهات المحال التجارية في شارع واحد من البلد . وقد فرضت الحكومة تدريس لغة الملايو في غير المدارس الملايوية تمهيداً لجعلها اللغة الرسمية في مدى عشر سنوات . كما فرضت تدريس الانجليزية في غير المدارس الانجليزية بمحجة الحاجة إليها في التعليم العالي والعلاقات الدولية .

والصحافة الدينية حظها قليل في الملايا ، وهناك مجلة شهرية تصدر بالملايوية في سنغافورة واسمها (مجلة قلم) ورئيس تحريرها الحاج عيديروس . وتعتمد في كثير من آرائها على ما يصلها من الصحف الإسلامية في العالم ، كما توجد مجلة شهرية أخرى تصدر في العاصمة الاتحادية كولا لامبور واسمها (سوارا إسلام) أي صوت الإسلام ، وهي لسان حال حزب (اتحاد المسلمين في الملايا) ، وهناك مجلات أخرى غير منتظمة الصدور .

هذا وقد صرح السيد / إبراهيم عمر السقاف بأنه تقرر إنشاء دار للصحافة في الملايا وستصدر مجلة شهرية بالانجليزية تسمى العالم الإسلامي Muslem World ، وأخرى عربية شهرية تسمى (إسلام) كما ستصدر صحيفة يومية تسمى بالجاوية (سيمنا نجونج) تتحدث عن الإسلام .

ولكثرة الأجناس في الملايا أثر واضح في الحياة الاجتماعية ، فهي تكثره بعضها بعضاً ، والملايويون يعتبرون غيرهم دخيلاً غاصباً حتى لو كان مسلماً وعربياً ، والصينيون ذوو نشاط عجيب في كل شيء وتكاد الصناعة تقصر عليهم لأنهم فنيون فيها ، والهنود يعملون في التجارة وفي حقول المطاط وهم ناجحون ، والمولدون

والحاج محمد الحاج أبو بكر واهيل، المحاضران بالسكية . والحاج محمد صالح متفيه قاضي قضاة سنغافورة ، وعبد الجليل حسن نائب مفتي جوهور وغير هؤلاء كثيرون .

ونحن نأمل في الطليعة المثقفة أن ترتفع بالمستوى الثقافي الديني في الملايا وأن يوجهوا المواطنين وجهة عملية بدافع من الدين الذي يحرص على القوة وعمارة البلاد بالخير ، وأن يحاولوا إزالة الجفوة بين الجنسيات ، وينبهوهم إلى الخطر الذي يمكن من وراء هذا الاختلاف وأن تكون سياستهم في جميع أنواع نشاطهم نابعة من أنفسهم وبوحى من حاجة وطنهم لأن تستمد من التيارات التي تتدافع من حولهم ، والتي تكاد تجرفهم لو لم يحسنوا تنظيم أنفسهم ، وإذا كانت الأخبار تؤكد أن هناك حركة شيوعية تعتمد على العنصر الصيني وهو غالب بنفوذه ونشاطه ، وعدده يقارب نصف عدد السكان فكيف لو تم لهم الأمر وكيف يكون مصير الإسلام ؟ أم أننا كبير في بعوث الملايا في الأزهر وغيره من معاهد الجمهورية العربية المتحدة أن يؤدوا رسالتهم الدينية الوطنية وعلى أكمل وجه عندما يعودون إلى بلادهم موفقين ، وإنا لمنتظرون .

عطية صفر

مفتش الوعظ بالأزهر

(أوراسيون) قلوبهم مع بلادهم وولاؤهم للملايا ضعيف . والملايويون حظهم ضئيل من التجارة والصناعة ، وهم يكثرون في القرى ويقولون في المدن ، وأهم عملهم الزراعة ، وفيهم موظفون كثيرون في الأعمال الكتابية وغيرها وهم يكثرون أيضاً في البوليس والجمارك .

ويعزو المتحدثون عن أحوالهم الاجتماعية تأخرهم مالياً إلى كثرة خيرات بلادهم وقناعتهم بالقليل ، بينما كانت هجرة الهنود والصينيين للكفاح من أجل العيش في هذه البلاد . وقيل إن سبب سوء حالة الملايويين عدم فهمهم لمبادئ الإسلام فهما صحيحاً فهم يتلقونها من متوسطي الثقافة في ثوب يحجب إلهيم الزهد وساعدهم على ذلك تشجيع المستعمرين لهذه المعاني ، وجاء الانجليز فزحزحوهم عن المدن إلى القرى ، فصعب عليهم تعليم أولادهم في المدارس التي تنشأ بكثرة في المدن .

هذا ويدرس من طلبة الملايا في الأزهر بمختلف مراحل التعليم ١١٠ طالباً مائة وعشرة في سنة ١٩٦١ ويتنظر زيادة عددهم في السنين المقبلة وقد تخرج عدد كبير منهم وتقلدوا مناصب هامة في بلادهم منهم : السيد/ حسن يونس صالح رئيس وزراء في ولاية جوهور ، ومحمد محي الدين وان وكيل عميد السكية الإسلامية ، وإبراهيم الحاج ياسمين

السمات الفنية في شعر محرم للأستاذ محمد إبراهيم الجبوشي

ولكنه كان من أكثرهم احتفالا بحسن الصياغة ولطف التخيل^(١) ولا يستطيع الباحث أن يتجاهل القرابة القوية التي يأنسها بين شعر شوقي وبين شعر محرم لما يحفل به كل منهما من موسيقى بلغت عند شوقي أرقى درجات السمو والسحر لما وشاها به من خياله المحلق الجواب.

وبحق ما يقوله الدكتور شوقي ضيف من أن شعر شوقي يقوم على ركنين رئيسيين: هما الموسيقى والخيال، وإن كان يسندهما العاطفة، وإن لم يكن لها وضوحهما ولا قوتها^(٢).

وقد كان لهذا التشابه بين شوقي ومحرم صدى بعيد في البيئات الأدبية، وكثيراً ما قامت المفاضلات بين الشعارين، وكان يتعصب لكل منهما فريق يخلع عليه لقب الإمارة، ويبذل له من حماسه كل ما يستطيع، ولا بأس من أن نستمع في ذلك لما كتبه

لا يلبث الدارس لشعر أحمد محرم أن يسترعى انتباهه ما يفيض به هذا الشعر من موسيقى عذبة ساحرة تنبعث من كل بيت فيه وتترامى في كل لفظ نغماً مشجياً، ثم ما يتفجر خلاله من عاطفة عاتية تملؤه بالقوة وتبعث الحياة في نواحيه دافقة زاخرة.

على هذين الأساسين يعتمد شعر محرم. لا يكاد يفترق واحد منهما عنه في كل ما قال، ولكن حظه من الخيال محدود ونصيبه منه قليل.

ومما يسجله الدارس لشعر أحمد محرم أيضاً تلك الديباجة المشرقة، وهذه الجزالة السامية والقافية المحكمة، والنفس الطويل في غير إملال ولا سقط.

ويقول الأستاذ الزيات في ذلك: «كان أحمد محرم من الشعراء المطبوعين على الديباجة المشرقة، والقافية المحكمة، وكان يطيل في غير سقط، ويبالغ في غير شطط، ويتأنق في غير تكلف وربما كان أقل معاصريه وقوعاً على المعنى الطريف، والفكرة العميقة،

(١) الرسالة عدد ٦٣٥-٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥.

(٢) انظر شوقي شاعر العصر الحديث ص ٥١٠.

تويده دراسة شعر محرم وصاحبيه شوقي وحافظ ، ويستريح إليه الدارس المتأني والباحث عن الحقيقة لذاتها .

وعلى أى حال ، فإننا نستطيع أن نخرج من دراسة شعر محرم بالخصائص الفنية التالية :—

١ - الموسيقى السارية في بناء أبياته وألفاظه .

٢ - العاطفة المتدفقة التي تريك الألفاظ ذات إحساس وحركة .

٣ - الديباجة المشرقة والأسلوب القوي الرصين .

٤ - طول النفس طولا لا ضعف فيه ولا هبوط .

٥ - براعة التصوير براعة تثير الإعجاب ، لاسيما إذا كانت نتيجة ثوران عاطفته أو هياج مشاعره .

هذه هي السمات الفنية التي نراها في شعر محرم أتينا بها موجزة وسنعرض كلا منها بالتفصيل .

الموسيقى :

لن كان أحمد محرم لم يؤث من لطف التخيل ما أوتيه شوقي فإن موسيقاه العذبة ،

أحد شعراء جماعة « أبولو » ، « إني لأذكر أنه منذ أعوام كانت تقوم في البيئات الأدبية مفاضلات بين شعر المرحوم شوقي بك ، وشعر الأستاذ أحمد محرم ، وفي الحق أن أنصار شاعرنا محرم كانوا على كثير من الحق حين أقاموا هذه الدعوى ، فإن بين شوقي ومحرم علاقة قوية وتقاربا بينا ، فقد امتاز شعر شوقي بموسيقيته العذبة الموهوبة ، وهذه الميزة التي نجدتها في شعر محرم ، ولست مغاليا إذا قلت : إنها إن تفارق لفظا من ألفاظه ، فإنني لأقرأ البيت من شعر محرم فأحس كأن صدى أنغام عذبة تطوف على خاطري في حلم جميل ... وإلى جانب هذه الموسيقى التي يتسالم عنها في قصيدته « وجودي » ، والتي يحس تأثيرها في أنفس قرائه فيقول :

أمن أدبي تبيت الطير تبكي ؟

فأ أدبي ، أشدوه أم رنين ؟

تتجلى تلك الديباجة العالية ، وتلك الجزالة السامية التي يقدرها فيه أدباؤنا ، ولن أكون إلا محقا حين أقول إنه يمتاز على المرحوم حافظ إبراهيم في الرنين العذب الذي صحب شعره الناضج ولازمه (١) .

وعمالاشك فيه أن هذا الحكم على وجازته

وروعة أنغامه لم تفارقه في بيت أنشده حتى حين يتحدث عن تأملاته ، ويصور نظرته إلى الحياة من خلال تجاربه ، وفي قصيدته « وجودي » تتجلى هذه الموسيقى حين يقول :

وجودي لست لي ، فلن تكون ؟
أسر أنت عن نفسي مصون ؟
يصيب حقائق الأشياء على
وتعصف بي حواليك الظنون
أمن نفسي على نفسي غطاء ؟
فكيف أنا ؟ أشك أم يقين ؟

وجودي أين أنت ؟ ألا سبيل ؟
إليك فيهدأ العاني الحزين
ومن أنا في بني الدنيا ؟ ومالي ؟
وللدنيا وما وعت القرون
ظلمت وفي في الأدب المصنف
وضعت وفي يدي الكنز الثمين
أمن أدبي تبليت الطير تشدو ؟
فأ أدبي ؟ أشدو أم رنين ؟
وموسيقى محرم تجمع إلى حلاوتها الاتساق
التام مع المعنى الذي يريد أن يسوقه ، فهي
قوية مصممة ، إن تحدث عن الكفاح ومعارك
الوطن ، وثائرة مستهضة إن طاف بها طائف

من مجد الإسلام الضائع وأيامه الخوالي ،
وناعمة حاملة إن تحدث عن وجدانه ، وتغنى
بأشواقه . وحسبنا أن نشير إلى أبيات نجزتها
من قصيدة قالها على أثر الدستور العثماني
سنة ١٩٠٨ م قال فيها :

من يمنع الليث أن يعتز أو يثبا ؟
ما قيمة السيف إن جردته فثبا ؟
من يرفع العرش إن هدت دعائمه
هوج العظام والأموال فانقلبا ؟
من يمسك التاج إن هزته عابثة
من الخطوب تجيد اللهو واللعبا ؟
اليوم ينعم بالأوطان مغرب
ما هزه الشوق إلا أن واثعبا
يفرق النفس في شقى مفارقة
من البقاع ويطوى العيش مرتعبا
ورب ناشئة بالشام باكية
بأرض دأ كولب ، أمابرة وأبا
يا أرض دكولب ، ردى من ودائنا
تلك النفائس إن الرد قد وجبا
ويا عيوننا أهان الدمع غالبا
أما كنفي من دموع الصحب ما انسكبا ؟
ولقد كنت أعجب بقصيدة شوقي التي قالها

بمناسبة مشروع ٢٨ فبراير والى يقول
 في مطلعها :
 أعدت الراحة الكبرى لمن تعباً
 وفاز بالحق من لم يأله طلباً (١)
 وكانت تأخذني روعتها ، وتستولى على قلبي
 براعة شوقي وقوة لإحكامه فيها وإشراق
 ديباجته ، فلما قرأت قصيدة محرم عدت
 بذاكرتي إلى ما كتبه شوقي ، فوجدت محرماً
 قد سبق قصيدته قرابة خمسة عشر عاماً .
 وكان محرم ساحر اللفظ متين الأسر عذب
 البيان في سهولة ويسر وإحكام .
 ولقد كنت أطرب كلما رددت قول شوقي :
 وإن ترى صحبة ترضى عواقبها
 كالخق والصبر في أمر إذا اصطحبا
 ولكن هذا الطرب لم يعدله في نفسى ذلك
 الأثر بعد ما قرأت بيت محرم .
 ما أيد الملك ، واستبقى نضارته
 كالرفق والعدل ماداماً وما اصطحبا
 ولا يحتاج الأمر لكثير من النظر
 كي يدرك القارئ مدى اعتماد شوقي على محرم
 في معناه ، بل في ألفاظه أيضاً ، وهذه خاطرة
 أثارها ما بين القصيدتين من تشابه .

ثم يمضى محرم في قصيدته يتحدث
 عن الشعوب ووئباتها والحكام وحاجتهم
 إلى العدل والمحافظة على مكاسب الشعوب .
 تأبى العناية أن تبقى على دول
 يلقي الخلائق منها الويل والحربا
 ترى الشعوب عبداً لاذناب لها
 وتحسب الملك في الدنيا لمن غلبا
 لا بد للشعب مهما لان جانبه
 من وثبة تفزع الأفلاك والسحبا
 ما أيد الملك واستبقى نضارته
 كالرفق والعدل ماداماً وما اصطحبا
 ما أضيع التاج يرى الشعب صاحبه
 بالمحفظات ويؤذيه بما كسبا (٢)
 ويمضى محرم في قصيدته في قوة وعذوبة ،
 لا يهبط ولا تنبوه نغمة ، ولعلك لاحظت
 معي أن محرماً يردد ذكر الشعب ، ويرى
 الحكم المتين الأركان الثابت الدعائم هو الذى
 يعتمد على إرادة الشعوب ويستمد سلطانه
 منها .

محمد إبراهيم الجبوسى

نحو منهج رشيد في تطوير الفقه الإسلامي للأستاذ فتحى عثمان

على احتياجات الواقع الضخمة ، وعلى دراسات العصر العميقة المتشعبة فى الاقتصاد والسياسة ، والنفوس والجماعات وأجفل المسلمين من الفجوات الكبرى التى أحسوها فى تكوينهم الفكرى وبنيتهم الواقعى .. ! ففهم من أحس فى الدراسات العصرية قرباً من واقعنا ومزاجنا الثقافى ، وأحس فى تراث ، الفكر الإسلامى بعداً عن كثير من احتياجاتنا المادية والفكرية والنفسية المعاصرة ، فأقبل ينادى بترك ثقافة الإسلام فى أصوله وفروعه على السواء !! وكانت هذه هى النعمة السائدة فى أوائل هذا القرن العشرين .

ولم يجد الناس فى الثقافة « العصرية » القوة السحرية التى تبرى الأكمة والأبرص ، وتحل كل العقد وتعالج جميع المشكلات !! .. وإن العقل الإنسانى لا بد أن يودى دوره المفروض الذى لا يعفيه منه فكر « معبأ » ، أو « معلب » سواء كان من صنع الأرض أم من وحى السماء !! فلا بد أن يعالج الفكر بالفكر ، ولا بد أن يعالج الفكر بالتطبيق ، وحياء الفكر وحياء المجتمع فى هذه الحيوية

أحب أن أقرر أولاً أننا نعرض هنا لتطوير « الفقه » الإسلامى ، وهو الفهم البشرى للشرعية ، والفهم متغير متطور بطبيعته ، يتأثر بظروفه وإمكانياته الفكرية والواقعية ، أما الشريعة نفسها فنحن نصوص محكمة ثابتة محددة ، لكن يحتفظ العقل إزاءها بمجالة فى الفهم والتطبيق ، ومنها قواعد كلية عامة ، تتعاقب عقول الأفراد والأجيال على فهمها وإعمالها فى الجزئيات المتجددة وفق الظروف المتغيرة .

وقد كان للسلف الصالح « فقه » لأحكام الشريعة ، وكان من العوامل المؤثرة فيه واقع ، المسلمين واحتياجاتهم ... فاجتمعهم البسيط لم يكن محتاجاً لدراسات اقتصادية أو سياسية أو نفسية مثلاً بالقدر الذى يحسه مجتمعنا الحاضر المركب ! ومن هنا كانت دراساتهم فى هذه المجالات محدودة أو بجملة ، وإن تخللت دراساتهم الفقهية لمحات وإشارات تكون أحياناً لامعة موفقة إلى حد كبير .

واستيقظت مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة

ونظام ، وقد اكتمل بناؤها الفكرى نتائج
لاحتياجات متتالية أثبتتها تجارب العمل الطويل
والكشف المدبر ، حتى تبلورت فى أساسها
الفلسفى وبنائها التنظيمى . وقد شهد العصر
الحديث كثيراً من هذه التجارب فى وقت كان
فيه الإسلام غائبا عن الحكم والتوجيه .
وكان التطور الاجتماعى الذى يشهده واقع
الغرب مخالفا للركود القائم فى واقع المسلمين
فهناك فجوة كبيرة قائمة بيننا وبينهم فى الواقع
وما ينبثق عنه من فكر . . . ولكن تطلب
المتحمسون أن يعبروا الفجوة ركضا ووثبا !
فليأتوا بخلاصة ما انتهى إليه الفكر الغربى
نتيجة لاحتياجات واقع المجتمع الغربى ومطالبه
وليضموها تحت عناوانات ولافتات إسلامية
تزرع من آيات الله أو أحاديث رسوله
المتداولة ! فإذا اتيج لأحد المتحمسين أن يعرف
شيئا من أسماء مراجع الفقه الإسلامى ، أو
يقرأ شيئا مما جاء فيه ، فزع إلى ما عرف فى
التراث الإسلامى ليقدمه للناس فى (تعبئة)
كانت قد راقته أهميتها ومزاياها ورواؤها فى
الفكر الغربى الحديث !!

ومن هنا طالعنا كثيرا من الكتابات الفجة
والعناوانات الخداعة عن « الاقتصاد فى الإسلام » ،
أو « علم النفس فى الإسلام » ، . . . وأحيانا
عن علوم الطبيعة والكيمياء ، والجيولوجيا
والمتيورولوجيا - فى الإسلام !!

— وصرنا نقرأ أن علم الإحصاء مثلا
مقرر فى القرآن ؛ لأن الله تعالى قال فى محكم
تنزيله « لقد أحصاهم وعدهم عدأ » !!

الدافقة ، وهذه الدورات العقلية والواقعية
المتلاحقة .

« ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ،
ولذلك خلقهم » ، بل تقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فإذا هو زاهق ، « وتلك الأيام
نداولها بين الناس » ، ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفست الأرض ، « فأما الزبد
فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث
فى الأرض » .

وإزاء التعثر الذى صادفته الثقافة العصرية
وجزء كبير من أسباب هذا التعثر راجع
إلى المثقفين العصريين أنفسهم فى سطحياتهم
وتحيزهم ، إزاء هذا التعثر أتيحت الفرصة
لكى يعود الناس إلى مناقشة قضية « الدين »
و « الفكر الدينى » ، ما دام دعاة الانصراف
عن الدين لم يأتوا بالبدل السعيد المرغوب !
ووجد دعاة الدين آذانا صاغية وقلوبا مهيئة
لاستماع دعوتهم فى الرجوع إلى الله ، وكان
بعض هؤلاء الدعاة ممن آتاهم الله لإخلاصا
وحامسا ، وآتاهم ذكاء عرفوا به طابع العصر
الفكرى والعلمى ، فأقبلوا يعرضون الإسلام
بما يوافق هذا الطابع !! فإذا كنا فى عصر
المذاهب والنظم (ism) ، فليعرض
الإسلام كنظام سياسى اجتماعى اقتصادى
متكامل ، وليقدم للناس على أنه يحقق لهم
ما لا تحققه الديمقراطية أو الاشتراكية .

ولكن ...

ولكن الديمقراطية والاشتراكية فلسفة

قدره ويعطوه حقه ، ويعرفوا مكانه بين المذاهب والنظم !!

فلنخفف من اعتبارنا السائد أن تراثنا قد حوى ما هو كفيف بتعجيل الفصل في كل قضية . فلن يشرف الإسلام أن يعرف جيل مضى من أجياله كل شيء ، ثم لا يبقى لمن بعده ما يدعو لبذل جهد أو طلب علم أو كد ذهن (١) .

ويقتضينا الإنصاف أن نقرر أن من دعاة الإسلام المتحمسين المعاصرين من « أفادوا في عرضهم المحمل للإسلام وإبراز محاسنه ، وأفادوا في الدعوة إلى المبادئ الأساسية من أحكام القرآن والسنة بعيداً عن الدوامة الهائلة من التعريفات الفقهية والتشقيقات الكلامية ، وأفادوا في محاولة تقديم الإسلام بأسلوب العصر كفلسفة شاملة ونظام متكامل لكن هذا كله يجب أن يعتبر نقطة بدء لا غير ، لانطلاق إسلامي رشيد ، !! (٢)

* * *

كتب جون ديوى في « الحرية والثقافة » يقول :

« يصحب كل حركة اجتماعية تسير في اتجاه

(١) من كتاب : « الفكر الإسلامى والتطور » لكتاب المقال - فصل « النوافذ المفتوحة » ، « أسلافنا خلال النوافذ » .

(٢) من كتاب : « الفكر الإسلامى والتطور » لكتاب المقال - فصل « النوافذ المفتوحة » ، « أسلافنا خلال النوافذ » .

— وأن الطاقة الذرية قد أشار إليها القرآن في قوله تعالى : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ، !!

— أما مشكلات النفس والمال والحكم فقد فرغ الإسلام من علاجها كلها في كلمات ... أو في جرعات !!

« إن طائفة أخرى وسعت بالقدر الذى ضيق به المتزمتون ... وسعت حتى صار الإسلام ثوباً فضفاضاً ، وعالجت القضايا الدقيقة والمشكلات المعقدة ببسبب شنيع !! نحن محتاجون إلى مدارس تراثنا ، ومتابعة عصرنا ، وفحص ما عند غيرنا ... وخلال هذه الدراسات ستتفاعل في رؤوسنا أصول الإسلام مع ثقافة العصر وواقع المجتمع ، فينتج عن هذا كله طابع لشخصيتنا أصيل . وهذا كله يستدعى زمناً ، ويقتضى فترة حل ووضع وحضارة ...

علينا أن نكون صرحاء ... فلا نتعجل اقتطاف الثمر قبل أوانه ، ولا نعبث عن فقهاء العصور للإسلام قبل أن ينضج في رؤوسنا ! ونحن نحتاج إلى أن نحدد لنا خصائص الدين ومقومات شخصيته التى تميزه عن سواه ، بعد هذا التيه من تراحم المبادئ ، والآراء التى كدسها المعاصرون داخل الإسلام ، حتى يستطيع الناس أن يزنوا ديننا ويقدروه

ونحن نريد أن تتوقى النكسة الفكرية والعقدة النفسية نتيجة رد الفعل ... ونريد أن نسير في تطوير الفقه الإسلامى على علم وهدى ، وكتاب منير ،

وفي هذا السبيل ... نضع هذه المعالم المتواضعة :

* لابد من التفرقة الذهنية الواضحة بين « مبادئ الإسلام » ، التى تخلع على المفكر المسلم « سمتا ، أو « مزاجا ، فكريا معينا يضرب به فى أعماق المشكلات ودقائق التفاصيل ، وبين « تراث الفقه الإسلامى » الذى هو ثمرة تفاعل مبادئ الإسلام العامة مع واقع اجتماعى وثقافى معين .

فالإسلام يقدم فلسفة عامة ، سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ... أما تفاصيل التنظيم السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى فتترك للعقل البشرى ، وهذا هو دور الفقه ... وهو دور متجدد لكل جيل وبيئة ، ومجال مفتوح أمام عقل كل فرد ... والفرد هنا يجتهد بخصائصه الفردية ، وبإمكانيات بيئته الفكرية والواقعية ، بعد أن يتخلع عليه الإسلام هذا « السمت » ، « والمزاج » الفكرى العام ، ويضع أمامه معالم « فلسفة » ، لينبئ بجهد الخلاق تفاصيل « النظام » .

لابد من التفرقة الذهنية الواضحة بين السير فى « التطوير الفقہى » ، على منهج وأصول

جديد ، تبسيط كبير للأمور ! فيتجاهل الخيال كل ما قد يخفى وحدة الهدف الذى ترمى إليه ، وتغفل الخطط التى توضع لها كل ما قد يقف فى سبيل تركيز الهمة وتعبئة النشاط .

ثم فيما بعد يعود الناس ويلاحظون الأشياء التى سبق أن أغفلوا إدخالها فى تقديرهم ، وعندئذ يتبين لهم أنها كانت من بين دواعى فشلهم فى تحقيق خططهم الأصلية . فبعد فترة تفيض حماسة وتشتعل حمية يحىء الفشل وخيبة الآمال ، وبعد الرجاء يحل دور النقد ومراجعة النفس والعودة إلى التروى .

وكثيراً ما تفتقر الهمة وتثبط من حيث القيمة العملية لأية نظرة اجتماعية واسعة ... وليس من شك فى أن للتبسيط فائده ما دام يمكننا من أن ندرك بشكل أجلى أثر أى اتجاه جديد فعال فى شئون البشر ، أما الأضرار فتنشأ من أن النظرية قد صيغت فى عبارات عامة مطلقة كأنها تصدق على كل مكان وزمان ، فإذا تغيرت الأحوال فيما بعد ولم تعد النظرية تعمل عملها وتؤدى وظيفتها حدث رد فعل ، ويكون أيضاً عاما مطلقا وعلى نطاق واسع ! وعندئذ ترفض الفكرة الأصلية على أنها مجرد خداع وهم ، وتقوم حركة جديدة وكثيراً ما تصطبغ هى الأخرى بصيغة عامة مطلقة !!! ،

ويعين معالجة « الواقع السريع » الذي لا بد أن نعترف بخلو يدنا إزاءه من وجود نظام مفصل محدد ، يكون ثمرة لتفاعل مبادئ الإسلام العامة مع واقعنا الفكري والعمل ؛ لأن حركة الفقه الإسلامى عانت قرونا من التعطيل والتجميد . فليس أمامنا إزاء هذا الواقع السريع الذى لا ينتظر دراستنا المتعمقة وفقهنا المتطور ، إلا دراسة تجارب غيرنا واختيار أقرب ما يكون منها إلى واقعنا الفكري والعلمى « ومن التسرع أن نتجدى أنظمة فضجت عند غيرنا ، قبل أن ننضج نحن ما عندنا ... إن الصورة التطبيقية للماضى ، والأمانى البراقة الساذجة للمستقبل ليست هى البديل الصالح !! إن البديل الصالح جهد ضخم نبذله فى التحضير للإسلام فى القرن العشرين ، (١) !!

لا بد من التفرقة الواضحة إذن بين الدراسة العلمية المنهجية لإخراج فقه إسلامى جديد وبين علاج مشكلات الواقع التى لا تنتظر فهمنا ، لا بد من دراسة عميقة جادة لتجارب غيرنا الفكرية والعملية ، واختيار الأنسب لتفكيرنا وواقعنا بقدر الإمكان ، ولا جدوى فى الانصراف عن ثمار الجهود الإنسانية الكبرى القائمة بدعوى أن ثمار الجهود

الإسلامية المترتبة سوف تكون أكبر وأجل ، إذ ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ولكن العاقل من يعرف خير الشرين !! وما أصدق كلمات القائل : « هناك مشكلة الاستمرار فى العمل أثناء مراحل التغيرات ... وكل تاجر يعرف مبلغ الصعوبة فى استمراره فى عمله فى فترة يعاد فيها بناء محله ! وإن القائمين بعلمية تجديد محطة للسكة الحديدية عليهم ، وهم ينجزون مهمتهم ، أن يسمحوا للقطارات بالدخول والخروج يوميا ، كثير من الروس تمتلئ بالافكار الحسنة للمستقبل ولكننا لا نستطيع أن نتوقف عن الحياة إلى أن تحقق هذه التغيرات !! إن الحكومة تواجهها المشكلات اليومية : مشكلات الطعام والعمل والأسواق ورأس المال والأمن ، وإذن فمن المحال أن تفكر حكومة فى هذه التغيرات دون أن تقيم وزناً للحاجة إلى استمرار الأعمال فى حين تنفذ هذه التغيرات ، !!

يجب أن تستبين المعالم ... ليتضح الطريق ونحن نحاول فى سلسلة من المقالات بعون الله استجلاء المعالم .

وعلى الله قصد السبيل

فنى همام

(١) من كتاب « الفكر الإسلامى والتطور »

لكتاب المفال .

النقد الأدبي من خلال تجاربي

للأستاذ محمد عبد المنعم خالحي

الفاصل في الحكم الأدبي^(١) . . . ويتحدث عن سمات الناقد وأخلاقه الفكرية والنفسية، وخاصة النزاهة ومحاولة البناء، وذلك في الفصل الرابع من الكتاب^(٢). ويفيض في الحديث عن ثقافات الناقد في الفصل الثالث منه^(٣)، سواء الثقافات الأدبية القديمة، أم الثقافات النقدية الجديدة، مع ضرورة المطالعة الواسعة لكل ما يتصل بالنقد من علوم: كعلم الجمال، والموسيقى، والتصوير، والتاريخ، وعلم النفس، والفلسفة.

ويطلق المؤلف للناقد الحرية في إنارة العمل الأدبي المنقود، فله أن يرجع إلى التاريخ أو الفلسفة أو التحليل النفسي ليفهم العمل الأدبي فهما جيدا^(٤)، والحرية كذلك في اعتناق المنهج النقدي الذي يروقه، دون تقييد بمنهج معين. ويأخذ هو نفسه

[١] راجع ص ١٣ و ١٤ النقد الأدبي، من خلال تجاربي.

[٢] ص ١٥١ وما بعدها.

[٣] ٤٦ - ١٥٠ المرجع نفسه.

[٤] ص ١٤٩ للرجع.

١ - يفصل مصطفى عبد اللطيف السحرتي في كتابه «النقد الأدبي من خلال تجاربي»، أصول النقد، ويتحدث عن منهجه فيه، وتجاربه، خلال حياته النقدية، الطويلة . . . والكتاب محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية، ونشره المعهد عام ١٩٦٢.

٢ - أما من حيث أصول النقد فالسحرتي يتحدث في كتابه عن التجربة الشعرية، والوحدة الفنية، وموسيقى الشعر، والصورة الشعرية، والعاطفة والفكر والخيال الشعري، وثقافة الناقد، والذوق، وغير ذلك من أصول النقد وقضاياها . . . كما يتحدث عن عملية النقد ذاتها حديثاً طويلاً.

وأما من حيث منهج المؤلف في النقد، فإنه يوجب توافر الروح الإنساني لدى الناقد، وأن يتحلى بفضيلة التواضع، فليس رأى ناقد مهما كان وأيا كان هو الرأي

و يرى أن في النقد الجديد نزعه نحو التركيز على ناحية معينة من العمل الأدبي لأن النقد المتكاثر العناصر يفقد - كما يقول هايمن - قوته ^(١) ويبدو أن السحرتى في ذلك ليس متناقضا مع منهجة في النقد ، إذ يقول في موضع آخر : إذا قدرنا العمل الأدبي من حيث جماليته المطلقة أو واقعيته المطلقة فهو تقدير من حيث الدرجة ، مع احتفاظنا بما أخذنا به أنفسنا من معيار نقدي يعتمد الجمالية والواقعية معا ^(٢) و يرى السحرتى أن التجربة أول مقياس للناقد في رحلته الكشفية ، وأن الحكم على القصيدة لا يكون بالصورة ، إنما بالتجربة ومادتها وأدواتها ومن أبرزها الصورة والموسيقى ^(٣) والمقياس الفني العام للحكم على قصيدة في رأيه هو التوفيق في تأدية التجربة الشعرية تأدية حية صادقة ^(٤) ويسير السحرتى في أغلب نقده على نقده على المنهج العام الذى يكشف عن العمل الأدبي في كليته لا المنهج الخاص الذى يسير على تفصيله والفحص عن كل جزء من أجزاءه ^(٥) .

بمعيار نقدي يعتمد الجمالية والواقعية معا ^(١) . و يرى أن العمل الأدبي لابد أن يجمع بين العنصر الجمالى والعنصر القيمي ، وأن قيمة العمل الأدبي تحكمه ثلاثة مقاييس مميزة : المقياس الفني للإبداع الشكلي ، والمقياس المعرفي للحقيقة ، والمقياس المعيارى للمحتوى أو المضمون ، وأن النقاد البصراء لا ذوا بالمقياس الجمالى كما اعتمدوا المقياس القيمي في تقويمهم ^(٢) ، ومن ثم رأى أن النقد التفسيري نقد تصويرى ذاتى ، والنقد التحليلي الخارجي نقد كيني قاصر ، والنقد التحليلي الداخلي نقد ثانوى لا يتضوأ روح العمل الأدبي من خلاله ، والنقد الاجتماعي أو المقصور على المحتوى والمضمون نقد غير كامل ومع هذا فلا يجوز أن تقلل من أهمية اتجاه من هذه الاتجاهات ، فليس شك في أن النقد التاريخي ركيزة للناقد في نقده ، والنقد السيكلوجي يلتقي أضواء على مضمون العمل الأدبي ، والنقد التحليلي الداخلي يكشف عن مدى بناء العمل الأدبي ، والنقد الاجتماعي يكشف عن المضمون ^(٣) . ويؤكد السحرتى منهجه في الرجوع بالنقد إلى الناحيتين الجمالية والقيمية في مواضع متعددة ^(٤) .

(١) ص ١٦٥ للرجع .

(٢) ص ٩ للرجع وقد ذكر ذلك أيضا

في موضع آخر ص ١٥٠ .

(٣) ص ٩٤ للرجع .

(٤) ص ٦١ للرجع .

(٥) ص ١ للرجع .

[١] ص ٩ .

[٢] ص ١٦٣ ١٦٤ للرجع .

[٣] ص ٦٤ للرجع .

[٤] ص ٨ ٦٦ للرجع .

والشعر الحر الذي يدعو إليه بعض النقاد ويعيبه لجلتهم ، ومن بينهم العقاد حيث يرى أنه ليس شعرا على الإطلاق ^(١) نقول فيه : إنه نوعان : نوع يسير على التفاعيل العربية دون التزام لعددتها في البيت ودون حرص على مساواة شطر لشطر فيه ، ومثله الشعر المنظوم على تفاعيل عروضية لم تنظم عليها العرب قصائدها ؛ ونحن لا نرفض هذا النوع لأنه يجرى على الموسيقى الشعرية عند العرب مع نوع من التجديد فيها ؛ ونوع يسير على موسيقى يتخيلها الشاعر الحر ولا قاعدة لها ولا وزن ، ونحن نرفضه ولا نعدده شعرا ؛ وليس الشعر التقليدي ملازما للشعر الكلاسيكي وليس الشعر الجديد ملازما للشعر الحر ، فقد يكون الشعر الحر تقليديا لا معنى له ولا تأثير فيه ، وإلا فما الجدة في قول شاعر من شعراء هذا المذهب - الشعر الحر - :

أنا رجعت من بحار الفكر دون فكر
قابلي الفكر ولكني رجعت دون فكر
أنا رجعت من بحار الموت دون موت
حين أتاني الموت لم يجد لدى ما يميت
وعدت دون موت

أنا الذي أحيا بلا أبعاد
د د د د
أبعاد
د د د د (آماد ٢)

- (١) جريدة المساء عدد ١٢٨٥ أكتوبر ١٩٦٢ .
(٢) ٨٣ ديوان : أقول لكم لعلاص عبد الصبور .

ويدعو إلى عدم ^(١) الحكم على الأثر الأدبي من خلال القراءة الأولى وإلى تناول جميع أعمال المنقود ^(٢) وقد قصر أغلب نقده على الأدب المعاصر ، وعلى الشعر خاصة دون نظر إلى كبير أو صغير بل كانت نظراته إلى الأعمال الشعرية في ذاتها ، وكان أكبر اهتمامه موجهًا إلى إنصاف شباب الشعراء الموهوبين ^(٣) . ويحاول بكل وسيلة الوصول إلى حقائق العمل الأدبي وإلى جوهره ^(٤) .

ويذكر السحرة تفاعلاته الأدبية وجهوده في تطعيم النقد المعاصر بكثير من الآراء والنظريات الحديثة : كالتجربة الشعرية ^(٥) والوحدة الفنية في القصيدة ^(٦)

ومادة التجربة من شعور وعاطفة وفكر ^(٧) والصورة الشعرية وموسيقى الشعر والشعر الحر ^(٨) الذي يرى أنه من الأساليب التحررية ، وينقد الشعر التقليدي ^(٩) . . .

(١) ص ١٥ المرجع .

(٢) ص ٢٩ .

(٣) ص ٣٠ .

(٤) ص ٣٤ المرجع .

(٥) راجع ٢٤ - ٢٥ الشعر المعاصر لسحرة ، ص ٦١ - ٦٤ النقد الأدبي له أيضا .

(٦) ٨٢ - ٩١ الشعر المعاصر ٦٥ - ٦٧ النقد .

(٧) ٩٣ - ١٠٨ الشعر المعاصر ٦٨ - ٨٠ النقد .

(٨) ٩٤ - ١٠٨ النقد ، ويذكره في موضع آخر (١٣٤ - ١٤١ النقد) .

(٩) ص ٩ النقد

٢ - ويقول : « لا نرى رأى المؤلف فى ترك الأعمال غير الجيدة بدون نقد . ومع أن صحة الأسلوب أن يقول « الغير الجيدة » : فإن للسحرتى رأيه ، وللغنىمى رأيه ، ولا يضيره أن يخالفه أحد فى رأيه . .

٣ - وينقد الغنىمى فى حدة وانفعال منهج الكتاب ، هذا المنهج الذى جمع بين الموضوعية والذاتية ، وفقاً لموضوعه « النقد الأدبى من خلال تجاربى » ، وكلامه فى نقد المنهج لم يستطع أن يؤيده بدليل واحد يبين به خطأ السحرتى فى منهجه الذى سار عليه .

٤ - ويقول : إن السحرتى طاف بميادين كثيرة ولم يدخلها . وهذا ولا شك تحامل شخصى ، يخض السحرتى فى مسألة إلا وشرحها ؛ دون اكتفاء بالتقرير ، بل اتخذ مع ذلك التطبيق مادة لشرحه .

٥ - ويقول : إن أكثر ما فى الفصل الأول مكرر فى الفصل الرابع . . والعجب أنه ليس فى الفصل الرابع كلمة واحدة ذكرت من قبل فى الفصل الأول الذى تحدث فيه السحرتى عن حقائق النقد ، من حيث وقف الفصل الرابع على سمات النقاد وميزاته .

ويعيب الغنىمى الشواهد المتعددة فى الكتاب للفكرة الواحدة ؛ ومع أن هذه الشواهد مميزة واضحة للكتاب ، فإن كل

٣ - هذه هى أصول نظريات السحرتى النقدية . ومنهج فى النقد فى كتابه الذى قدمه إلى القراء فى تواضع شديد ، وحياء جم ، والذى تناول فيه بالنقد والتطبيق ، أعمال أكثر من أربعين شاعراً معاصراً . . ويمتاز السحرتى بالإحاطة بآثار الشعر المعاصر العربى ، وبرهافة ذوقه ودقة تطبيقه للشعر على المناهج النقدية ، وتشير آراؤه فى النقد وتقدير الأدباء والنقاد والمستشرقين لنزاهته وحبه للإنصاف . ولكن كاتباً عرض للكتاب ، وللأسف لم يحاول إنصافه ، وهو غنىمى هلال ، فنقده مدفوعاً بروح الكراهية والتعصب ، لا لشيء إلا لأن السحرتى نقد غنىمى هلال فى كتابه « المدخل » ، فذكر فى « النقد الأدبى من خلال تجاربى » بعض آرائه وخطأها (١) ، ولنناقش آراء الغنىمى فى الكتاب :

١ - يقول غنىمى : « إن هذا الكتاب دون مستوى لإنتاج المؤلف فى تأليفه السابقة الغزيرة » . ولماذا ؟ لأن هذا الكتاب هو خلاصة آراء المؤلف فى كتبه السابقة : الشعر المعاصر - شعراء مجددون - شعر اليوم الفن الأدبى - أدب الطبيعة . وفى محاضراته وكتاباته وتجاربته النقدية !!

(١) راجع ص ٨٧ ، ٩٠ ، النقد الأدبى ، ومن أجل ذلك كان نقد الغنىمى للكتاب « راجع المجلة عدد أكتوبر ١٩٦٢ » .

على قصائد عدة . . أما أن السحرتى ذكر أحكاما عامة دون تعليل ، فهذا ما تنفيه دراسات الكتاب ، فما من حكم إلا علل له ، إلا ما كان مرجعه إلى الذوق ، فإن أحكام الذوق تنطوى بنفسها على التعليل .

٨ — ويعيب عليه أنه ذكر قسمين من مذاهب النقد ، وهما المذهب اللغوى والمذهب الفنى ... وماذا ينكر غنيمى من ذلك ؟ هل أتى برأى ناقد من النقاد يؤيده فى ذلك ؟ ويغالط غنيمى هنا مغالطة أخرى فيذكر أن الواقعيين جميعا يعنون بالتعبير اللغوى والبلاغى .

جميل جدا ذلك ، إن الواقعيين يأسيدى إذا نقدوا الشعر من حيث المضمون كان تقدم وفق المذهب الواقعى فى النقد وإذا نقدوه من حيث اللغة أو البلاغة كان تقدم وفق المذهب اللغوى ، فالجوابان مختلفان تماما .

٩ — ويقول : إن المؤلف كرر نفس الفكرة الإجمالية المقتضبة حين قسم المذاهب الفلسفية ، ومع أنه ليس هناك تكرير إطلاقا ، فإن كلام السحرتى الموزج فى عرضه للفلسفة وصلاتها بالنقد كان وافيا بمحاجات البحث كل الإيفاء .

١٠ — ويقول : كان الأولى أن يعتمد فى عزل الشعر عن الدين والخلق على الجرجاني

شاهد إنما جىء به لغرض خاص ولفائدة معينة .

٦ — ونقد غنيمى قول السحرتى عن التجربة الشعرية : « ومقياسها الفن العام إنها هى التوفيق فى أداء التجربة صادقة حية قوية » . وهذا تحريف للنص وصحته كما جاء فى الكتاب : « تحدثنا عن المقياس الفنى العام للحكم على القصيدة » ، وهو التوفيق فى تأدية التجربة تأدية حية صادقة » . ويقول غنيمى : « إن هذا المقياس عام لا يشرح شيئا . . لا يأسيدى ، لعلك لو قرأت التطبيق الشعرى الذى أتى به المؤلف لإثر ذلك لعرفت أنه شرح كل شيء » ، مع أنه أوضح التجربة أيضا فى صفحتى ١٤٦ و ١٤٧ من الكتاب .

٧ — ويعيب عليه أنه ذكر أربع قصائد فى كلامه على التجربة مع أحكام عامة لا نقفنا على معنى التجربة وعقب عليها تعقيبا موجزا ، وأنه قال عن قصيدة منها إن معناها مبتكر لم يسبق لإليه شاعر عربى أو غربى . . أما ذكر أربع قصائد لأربع تجارب شعرية مختلفة فلا عيب فيه ، وأما القول عن قصيدة إن معناها مبتكر فها وجه الطعن عليه ، ولم يتقص الكاتب الحكم بدليل . . وأما التعليق على القصائد بإيجاز شديد فإن من الإنصاف أن نذكر أنه جاء بعد التعليق على كل قصيدة على أنه ليس هناك هيب فى تعليق موجز

دليل لم يقرأ الكتاب . ولماذا الرجوع إلى كروتشه ، وقديسبى الثعالبي في كتابه « خاص الخاص » ، إلى كل ذلك ؟ إن الأمر كما يقول العقاد : إن هؤلاء الدكاترة بدأوا كتاباتهم النقدية بترديد شعارات وآراء مستوردة ، ثم انتهى الأمر إلى ما نرى ، حتى المذاهب الأدبية التي لا تكلفهم أكثر من نقلها من لغتها إلى لغتنا يتخبطون في غرضها ولا يحسنونه لقد بدأوا تدفعهم حماسة الارتجال ، ثم تخلفوا لأنهم تنقصهم الأصالة والصدق والابتكار ، وأخيراً توقفوا وكان لا بد لهم من هذه النهاية ^(١) .

١٣ - ويعيب غنيمي ملحمة « عنوان النشيد » للشاعر الكبير محمود أبو الوفا بزعم أنها ليست شعراً ، بل نظم . . وهذا حكم من أحكام ذوق غنيم وحده ، والحمد لله على أنه لا يشاركه في ذلك ذوق آخر . والتغنى بالقيم النديلة ليس معياراً فنياً في مذهب الواقعيين عند السحرتي كما يقول غنيمي ، لأن السحرتي لم ترد كلمة الواقعيين في كلامه ^(٢) ، وإنما تبرع بها الكاتب من عند نفسه ، والسحرتي لم يقل أكثر من أن الذين يعتقدون الفلسفة الإنسانية يركزون اهتمامهم على مواقف الإنسان وتجاربه ^(٣) .

في الوساطة لا على قدامة ، لأن كلام قدامة في قضية صدق الشاعر ومناقضته لنفسه . . ومع أن كلام قدامة ليس في القضية التي أشار إليها الكاتب ، لأنه يقول : يباح للشاعر أن يتناول المعاني الحميدة والذميمة على السواء فإنه لا عيب على المؤلف في استشهاده بالاثنتين معا .

١١ - ويرى السحرتي أنه يجب أن يكون للشاعر خط فكري واحد لا يحميد عنه فينقد ذلك غنيمي بدعوى أنه يتناقض مع إعجابه بالنظرة الجمالية المحضة وأن تحثيمه على الشاعر أن يختار إما الناحية الاجتماعية أو الذاتية لا مبرر له . . وحديث التناقض عجيب ، وأعجب منه أن تقول إن السحرتي معجب بالنظرة الجمالية المحضة ، إذ أن أساس منهجه النظر إلى القيمة الجمالية والقيمة الواقعية معاً ؛ والسحرتي لم يقل للشاعر : اختر إحدى الناحيتين كما يزعم الكاتب ، ولكنه قال : إذا كان لك اتجاه معين إلى إحدى النواحي فانظر فيها ولا تظهر زيف مشاعرك بالنظم في ناحية مناقضة لها .

١٢ - ويشك غنيمي في أن يكون السحرتي قد قرأ كروتشه ورأيه في كتابه علم الجمال الذي ذكر فيه أن الأدب إنما يجود في وصف النقائص والآمال الجائفة والسحرتي الذي قرأ كروتشه ورجع إليه وذكره في كتابه النقد الأدبي يصبح من غير

(١) للساء عدد ٢٨٥ أكتوبر سنة ١٩٦٢

(٢) راجع ص ١١٢ النقد الأدبي .

(٣) ص ١٠٧ المراجع .

١٦ - وحين أعجب السحرتى برأى
لصاحب كتاب « سر للفصاحة » فى الاعتداد
بالحروف ومخارجها فى بلاغة الكلام يقول
غنىمى : لم يفد السحرتى من الكتاب غير
ذلك . تعسف ما بعده من تعسف فى المنطق .
إذ يحكم على المسكوت عنه بحكم لا يحتمله
منطق الكلام .

ويذكر السحرتى رأيا للعسكرى حول اللفظ
والمعنى ، فيقول الكاتب : إن أبا هلال ردد
رأى من قبله . . وماذا فى هذا مادام
أبو هلال قد آمن بهذا الرأى .

ويجعل السحرتى للنقاد العرب فضل
الاهتداء إلى الموحدة الفنية فى العمل الأدبى ،
ولعبد القاهر فضل فهم التجربة الشعرية
فيكون ذلك خطأ عند غنىمى . وإذا أعجب
برأى لعبد القاهر فى بلاغة التشبيه فى الحركات
كان ذلك عند الكاتب هو حصيله قراءاته
فى عبد القاهر .

وبعد فلا داعى لمناقشة هذه الآراء التى
لا تحفل بغير الانفعال والتحامل والعصية :
وحسب السحرتى فى نظر المنصفين من النقاد
أن يتوج جهاده الأدبى والنقدى بكتاب مثل
« النقد الأدبى من خلال تجاربى » الذى
يستحق كل تقدير وإتصاف ؟

محمد عبد المنعم ففاهى

١٤ - ويعرض الكاتب لما ذكره
السحرتى من نقد قصيدة لشاعر معاصر .
مع أن السحرتى نقد عدة قصائد لهذا الشاعر
ويذكر الكاتب أن السام معنى إيجابى ،
ولا أدرى كيف جعله إيجابيا ، ثم كيف فهم
أن السحرتى جحد شاعرية القصيدة مع أنه
لم يصرح بحكم فى عليها ، ومعيار السحرتى
فى تقويمها أنها تخالف اتجاهه الواقعى لأنها
تدعو إلى السأم والملل ، وقد قال السحرتى :
إن المضمون الذى ينبثق منها لا يساير الاتجاه
البناء ، فأخطأ الكاتب فى فهم ذلك وقال :
إن المؤلف اعترف بأنها تشف عن المعنى البناء
بالإيحاء لا بالتصريح ؛ وفاته أن يعرف
الفرق بين « ينبثق منها » وتوحى : والسحرتى
لم يعترف بأنها تشف عن المعنى البناء ،
ولوقال الكاتب « لغير البناء » لأصاب .

١٥ - ويذكر السحرتى أن ثقافة
الجاحظ عن الحيوان أفادته حين قرأ كتابه
« الحيوان » . فيقول غنىمى : إن نفس
الكتاب يحفل بآراء عميقة فى النقد . وكأنه
ينبى أن تكون هذه الآراء بما قرأها
السحرتى وأفاد منها .

والعجب أن السحرتى سكنت عن آراء
« الحيوان » النقدية ، والمسكوت عنه لا يحكم
عليه بنفى ولا إثبات ، وإثباته يحى من
قرائن أخرى ، ولكن الكاتب يحكم عليه
بالتنى قطعاً لأن له منطقاً .

عالمٌ من أعلام الأدب العربي : أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِي لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسٍ طه

- ٢ -

سبق بنا أن كشفنا لقراء هذه المجلة في عهدها الزاهر وعصرها الفريد الفاخر عن حقيقة متغلغلة في التاريخ ضاربة في بطونه وزواياه وفي شرايينه وخباياه تلك هي سيرة ونشأة العلامة الكبير والأديب الخطير من علق ذكره بمناط الجوزاء وحف اسمه بأبواب السماء الشاعر الذي لا يحاول ولا يطاول والنائر الذي لا يجارى ولا يبارى هو صاحب الترجمة كان الخوارزمي ولعاً بمنصرة العرب وزعمائهم وكان قريباً من قلوب الأمراء والوزراء حتى ملأ ذكره الأسماع وعم صيته البقاع فكثرت حساده شأن العظيم في ناحية من نواحي الحياة إذا عظم شأنه ونبه ذكره تألب عليه منافسوه وتجمهم قرناؤه ومعاصروه

١ - كان هناك صراع عنيف بين العرب والفرس ، وكان هذا الصراع قبل الإسلام لأن الفرس والروم كانتا تتنازعا على أطراف البلاد العربية فقد كانت الحيرة تدين لفرس وسوريا تدين للروم والأحباش حلفاء الروم لهم نفوذ على اليمن .

٢ - حدثت حروب عديدة طاحنة بسبب هذا التنافس في الجزيرة العربية بين أشياع هذه الدول في الجاهلية ثم ظهرت حركات تحررية في الجاهلية أيضا أظهرها وأبرزها

حدث أن بديع الزمان الهمداني حين قرعت أسماعه أنباء الخوارزمي ونباهة ذكره وعلو شأنه بين معاصريه في الشعر والنثر وروائع الأمثال وبوالغ الحكم ونوايج الخصال رحل إلى نيسابور ونزل وشيكا على الخوارزمي

٥ - ظهر الفرس بفكرة جديدة في تاريخ الحكم العربي تلك هي الشعوبية ، ثم نادوا بهذه الدعوة لإظهار أن الفرس أفضل من العرب سواء من ناحية العلم أم من ناحية القيادة ، وظهرت الشعوبية بمظاهر عدة من أبرزها الدعوة الإلحادية ومن زعمائها المقنع الخراساني ثم الدعوة السياسية ومن زعمائها البويهيون وآل سلجوق والديلم ثم نزعة لغوية لمحاربة اللغة العربية واستعادة اللغة الفارسية وقد نجحوا في هذا أخيراً إلى حد ما .

فكل من يرجع إلى الماضي يجد في أبرز صفحاته هذا الخلاف بين البديع الذي كان يشايح الفرس وبين الخوارزمي الذي كان يشايح العرب مع فارق بعيد الغور بين الرجلين .

وقد وقعت مناظرة بين البديع وبين الخوارزمي أو إن شئت فهي المؤامرة التي دبرها أشياع البديع من الفرس وحاكوا خيوطها ثم أعداء الخوارزمي من منافسيه وجاحدى فضله فخذوا لها الحشود وجمعوا من أجلها الجرع بعد أن وضعوا لها الأسس والقواعد من خلف ظهر الخوارزمي ثم مشى سفراء السوء بينهما بالوقعة حتى حملوا صاحب الترجمة على قبول هذه المناظرة أو المؤامرة ف وقعت على استعداد من البديع وترقب منه لها وعلى غفلة عنها من الخوارزمي

الحركة التي كان يقودها هاني بن مسعود وهزم فيها الفرس في - يوم ذي قار - فلما قام الإسلام استولى على بلاد فارس بأكملها وعلى الأجزاء المهمة من إمبراطورية الروم البيزنطية الشرقية وكان العرب ينظرون إلى الأمم الأخرى نظرة استعلاء وتكبر كما ينظر السكسون إلى غيرهم من الشعوب فكانوا يسمون الأمم الأخرى بالأعاجم (معنى الحيوان الأعجم الذي لا يبين) ، ومع أن الإسلام قد سوى بين الأجناس والألوان وآخى بين الشعوب والمذاهب والنزعات إلا أن الحكم الأموي كان متشيعاً للعرب ويأبى أن يعهد بأية ولاية للأعاجم فأنحاز الفرس إلى الشيعة لمقاومة النفوذ الأموي وحكمه ثم انضموا إلى العباسيين وأقاموا دولتهم على أنقاض بني أمية بقيادة أبي مسلم الخراساني .

٣ - احتضن العباسيون الفرس لأنهم أسس الدولة ولما رأوا أن نفوذهم بدأ يمتد فوق نفوذهم وعلو ناجزهم ثم نكسبهم فبطش أبو جعفر المنصور بأبي مسلم الخراساني ونكل الرشيد بالبرامكة ويروى أن المأمون كان سبباً في اغتيال الفضل بن سهل .

٤ - الخلاف بين الأميين والمأمون فالأميين أمه هاشمية والمأمون أمه فارسية فانضم الفرس إلى المأمون ونصروه على الأميين وشوهوا سمعته .

رسالة بديع الزمان الهمداني إلى أستاذه

أبي بكر الخوارزمي

الأستاذ أبو بكر - والله يطيل بقاءه !
أزرى بضيغه (١) أن وجده يضرب إليه
أباط القلة في أطوار الغربة ، فأعمل في رتبته
أنواع المصادفة ، وفي الاهتزاز له أنواع
المضايقة من إيماء بنصف الطرف وإشارة
بشطر الكف ودفع في صدر القيام عن التمام ،
ومضغ الكلام ، وتكلف لرد السلام ، ولقد
قبلت توجيهه صعراً ، واحتملته وزراً ،
واحتضنته نكراً ، وتأبطته شراً ، ولم آله
عذراً ، فإن المرء بالمال وثياب الجلال ،
ولست على هذه الحال وفي هذه الأسمال
أقرر خف النعال . فلو صدقته العتاب ،
وناقشته الحساب ، لقلت بوادينا ثاغية صباح ،
وراغية رواح ، وناس يمحرون المطارف
ولا يمتنعون المعارف .

وفيههم مقامات حسان وجوهم

وأندية يتنابها القول والفعل
ولو طوحت بأبي بكر أيده الله طوائح
الغربة لوجد مغنى البشر قريباً ومحط الرحل
رحيباً ووجه المضيف خصيباً .

فأجاب الأستاذ الكبير الخوارزمي على رسالة
تليذه البديع برسائله التالية .

(١) رحل البديع إلى الخوارزمي في أسمال بالية

تبدو عليه المسكنة .

وإذ ذاك أشاعت السنة الإفك والبهتان
مليئة بالحق والسخائم واللدن بتفوق البديع
على أستاذه الخوارزمي .

فليس عجباً أن يقضى الخوارزمي بعد عام
واحد متأثراً بنكران الجليل وجحود الفضل
وتجاهل النبل من أعدائه والمتربصين أولئك
الذين نهلوا من معين عرفانه وفيض أدبه
ومعارفه والذين كانوا يجلسون القرفصاء
في حضرته ويحبسون أنفاسهم خجلاً
من هيئته .

ونظرة فاحصة من القارئ الحصيف
إلى رسالة البديع ورد أبي بكر عليه في رسالته
البلقاء تكشف عن مدى الغلظة والتحدى
الذين وردا في رسالة الهمداني إلى أستاذه
الخوارزمي وعن مدى الملاينة والترفع
عن اللدن والإسفاف اللذين وردا في رسالة
الخوارزمي رداً على رسالة تليذه وصنيعته
بديع الزمان الهمداني .

ومن نافلة القول أن الرسالتين المتبادلتين
بينهما كانتا فاتحة الخصومة والشرارة الأولى
التي أوسعت رقعتها وشيدت قواعدها وأرستها
على أسس من اللدن كانت غاية في التحدى
والحرج ولا بأس أن نضع بين رأى القارئ
الحصيف صورتين بارزتين للرسالتين
المتبادلتين بين البديع وأستاذه الخوارزمي .

رسالة أبي بكر الخوارزمي إلى بديع الزمان

«وصلت رقتك ، وعرفت من خشن خطابه ومؤلم عتابه فصرفت ذلك منه إلى الضجر الذي لا يخلو منه من مسه عسر ، وبنا به دهر ، والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه ومظنة مشتكى ما في نفسه . أما مشكاه من مضايقي إياه في القيام فقد وفيته حقه سلاما وقياما على قدر ما قدرت عليه ووصلت إليه ، ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات العلوي أدام الله عزه وما كنت لأرفع أحداً على من جمده الرسول ، وأمه البتول ، وشاهداه التوراة والإنجيل ، وناصره التأويل والتزويل ، والبشير به جبرائيل وميكائيل . فأما القول الذي صور سيدي عنهم ، فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقه وكال تفصيل وجلة ولقد جاورتهم فأحدث المراد وتلت ما يراد .

فإن كنت قد فارقت نجدا وأهله

فما عهد نجد عندنا بذييم والله يعلم نيتي للإخوان كافة ، ولسيدي من بينهم خاصة ، فإن أعانني الدهر على ما في نفسي بلغت إليه ما في الفكرة ، وجاوزت مسافة القدرة ، وإن قطع على طريق عشتري بالمعارضة وسوء المؤاخذة صرفت عنائي طريق الاختيار بيد الاضطراب .

فما النفس إلا نطفة بقرارة

إذا لم تكدر كان صفوا مميها وبعد فهذا عتاب سيدي إذا استوجبنا عتبا واقترنا ذنبا ، فأما أن يسلفنا العريضة فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ، ولست أسومه أن يقول استغفر لنا إنا كنا خاطئين ، ولكني أسأله أن يقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

الصفات الخلقية لأبي بكر الخوارزمي

كان الخوارزمي رجلا حديد الذكاء ، محضور الروية ، موفور البديهة ، ينأى بجانبه عن الإسفاف ولغو الحديث ، فهو يختار العفاف ويعاف الإسفاف ، وقد يدع الطعام طاويا ويزر الشراب صاديا إن بدا له أن في ذلك دفعا لثائمة أو بعدا عن لائمة ، فقد أبى أن يتجر بشعره أو نثره شأن الكتاب والشعراء في عصره أمثال المتنبي والبديع وأبي فراس حيث كانت له مدرسة يلقي فيها أبناء المياسير روائع الحكم وبوالغ المواعظ ويتقاضى منهم على ذلك أجرا ، وكذلك الأديب الرفيع لا يتجر بلسانه ولا يقامر ببيانه بل يضع نفسه مواضع الجوزاء من أديم الغبراء حتى يخطبه أهل العلياء وطلاب الحمد والثناء .

الذكر في بابها ومنحها والتي يقول فيها
بجلالها خصوم الشيعة ومناجزا لهم ، فإن
أصابنا نكبة فذلك ما قد تعودناه ، وإن
رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه ،
وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آلة ،
ولكل مقامة مقالة ، فعند المحن الصبر والأجر ،
وعند النعم الذكر والشكر .
مؤلفاته

١ - رسائله إلى أبنائه وأصدقائه والناهلين
من ذنائبهم .

٢ - مفيد العلوم ومبيد الهرم وهو يشتمل
على قواعد الشرع وقانون الممالك ونصرة
المذهب ورد الخصم وتذكرة الآخرة وقاعدة
العدل إلى غير ذلك .

٣ - كشف الظنون .

وفاته

ورد في يقيمة الدهر لأبي منصور الشعالبي
أن قضاء الله تعالى نفذ في أبي بكر
محمد بن العباس الخوارزمي في شوال
سنة ٣٨٣ هـ .

عباس ط

ولم يكن عريداً كبعض الشعراء الذين
اشتهروا في عصره بمعاقرة الطلي والوقوف
على أبواب الأمراء والعذراء وذوى الكلمة
النافذة والمجد الأشم بل كان رجلاً مؤمناً بالله
صبوراً على النوائب إذا غالته ، راضياً
بالقضاء والقدر وأحداث الدهر إذا نابت .

وكان رجل جلال ونضال إذا حزبه
الخطوب ونزلت بساحته فوادح الكروب ،
ولم يكن شيعي المذهب بل كان مدافعاً عنهم
يوم رأى أن خصوم الشيعة قد علا نجمهم
وطار في الأنام صيتهم حيث كانوا من ذوى
اليسار استطاعوا بالمال أن يكونوا له عصابة
من الخوارج الذين خرجوا على على
ابن أبى طالب وسفهاوا أحلامه وهجنوا
رأيه وبسطوا فيه ألسنتهم بالمنسديات
من بذى القول وهجين الحديث .

من أجل ذلك بسط الخوارزمي لسانه
في طائفة منهم ببعض الهنوات والعورات
كان أخفها لذعاً في عقولهم أنهم انحدروا
من نطف السكارى إلى أرحام القيان .
فرسالة صاحب الترجمة إلى الشيعة في نيسابور
تبدو لمن يجميل النظر فيها رقيقة القدر جليمة

مَائِقَاتُ الْعَزَلِ سَلَامَةً

تأثير الديانة الإسلامية في العبادة اليهودية
" تأليف نفعالي فيدر "

للاستاذ عباس محمود العقاد

من أعلامها البارزين أو أقوال مفكر واحد من أئمة الفسك بين أبنائها المجتهدين ، وربما كان المفسر الديني الذي ينهج في النسك منهجاً لم يسبقه إليه أحد من أبناء ملته أعظم استقلالاً بالرأى من يبتدع ذلك المنهج لنفسه من غير سابقه ، لأن التغلب على العصبية المذهبية والتحيز القوي أخرج إلى الاستقلال من ابتدع رأى لا مقاومة فيه ولا حاجة به إلى التغلب على معارضيه أو منكره .

وقد أراد مؤلف هذا الكتاب - عن تأثير الإسلام في اليهودية أن يتبع أثر التصوف الإسلامي في اليهودية فاختار لذلك سيرة متقدمة من سير الأئمة الصوفيين الذين لم يسبقوا إلى منهجهم بين أبناء عقيدتهم ، والذين عرفت لهم صلة بالثقافة الإسلامية وأثرت عنهم أقوال منقولة عن العربية ولم تكن لها سابقة في اللغة العبرية ، وقد بدأ المؤلف كتابه ببيان الآداب الإسلامية التي دعا إليها الإمام اليهودي الحكيم موسى بن ميمون ثم لخص الشعائر التي قررها ابنه

الآداب الصوفية في الأغلب الأعم آداب فردية يستقل فيها كل عابد متصوف بطريقته في السلوك الديني أو الدنيوي كاستقلاله فيها بما يؤثره من نوافل العبادة وتفسيرات النصوص والمعتقدات التي يجوز فيها الاجتهاد بالرأى لأهل الاجتهاد ، فإذا وجدت الجماعات الصوفية فإنما توجد من قبيل الأخوة التي تنتمي إلى أب روحى واحد ويشترك فيها التابعون جميعاً في اتباع الشيخ والافتداء بمسلكه ومنهج تفكيره وتفسيره : وهو على جميع حالاته منهج اختصاص يستقل به فرد متبوع أو طائفة تابعة ولم يعهد فيه من قبل ، ولا نتظر أن يعهد فيه من بعد ، أن يكون منهج عموم يشيع بين جميع الناس شيوع الإيمان بالعقائد والفرائض التي لأجل فيها للاجتهاد بالرأى والاستقلال بالعادة

فإذا أراد المؤرخ أن يبحث عن سريان التصوف من اتباع ديانة إلى اتباع ديانة أخرى فإنما سبيله في هذا البحث أن يتعرف الصوفية المنتقلة من نخلة إلى نخلة في سيرة علم واحد

منه أن أناسا من أبناء الطريق الإسرائيليين كانوا يلبسون الصوف ويعكفون على الصوامع ويتسمون بالفقراء ؛ لأن الكاتب يفرق بين المتصوف الحق وبين المتصوفين الأدعياء فيقول إن التصوف لا يكون بلبس الصوف ولا بملزمة الصوامع ولا باتخاذ أزياء الفقراء ولكنه طهارة وزهد وإخبات إلى الله .

ويتهى المؤلف من تلخيص هذه التعريفات إلى قوله : « في الختام يتضح التأثير الصوفي أيضا في تنويه الميموني باللبكاء التعبدي ، فإن غزارة الدموع علامة يتميز بها الصوفي العظيم . وقد سمي الزهاد الأوائل في الإسلام بالبكاين ، وإن البكاء كما قال الميموني هو غاية في التهيؤ للصلاة ، وبفضله تلتقي صلاة المصلي قبولاً حسناً كما قيل لحزقيال : قد سمعت صلاتك . قد رأيت دموعك . »

ولولا الثورة الصاخبة التي أثارها شيعة الجود على هذا التجديد « الأجنبي » كما وصفوه لتعدرت الشواهد التاريخية التي يستدل بها على انتفاع اليهود بالقدوة الإسلامية في كل إصلاح من هذا القبيل أدخله حكمائهم على آداب الدين وشعائر العبادة عند القوم ، ولكن من الممكن أن يقال إن الأمانة اليهودية أخذت بهذا الإصلاح على سنة الأنبياء الأولين عن جاءوا في رواية العهد القديم وفي رواية التلمود ببعض الوصايا التي أحيتها

لإبراهيم من بعده في الوضوء وفي الصلاة الجامعة وهي السجود والركوع واستقبال القبلة والاصطفاف وبسط اليدين ، وانتقل من الشعائر البدنية ، إلى الشعائر الصوفية الروحية فكانت خلاصة بحمته فيها « أن النفس الشريفة تحتاج مدرسة لإبراهيم الميموني وزميله الحبر إبراهيم الحسيد ، وجذوره مستمدة من البيئة الإسلامية ومتأثرة بالمتصوفة المسلمين . »

وتسأل : من هو الحبر إبراهيم الحسيد ؟ فقال إن كتاب كفاية العابدين لإبراهيم الميموني هو مصدر الأخبار التي نعرفها عن ذلك الناسك الذي يكتنف الغموض سيرته والذي يقول عنه الميموني إنه أخوه في سبيل الله ، وما يلفت النظر في هذا التعريف كثير من العبارات التي نقلت عن المسلمين وهي الإخوة في سبيل الله وتسمية الله رب العالمين وتسمية المسالك الصوفية بالحالات والمقامات والاعتناء بالإمام الغزالي في تعريف المتصوفة كما عرفهم في كتابه المنقذ من الضلال بأنهم هم الذين يسرون في طريق الله ، وإشارة الميموني إلى الحسيد حيث يقول : « سيدنا وحبرنا إبراهيم الحسيد بن أبي الربيع كرم الله وجهه ، وأشبه ذلك من الصيغ التي اقتبسها الحكماء اليهودي من أقوال المسلمين . ويتخلل وصف الإمام الحق كلام يؤخذ

ما يوجب المنع رددنا عليه بأن النصارى أيضا يستقبلون جهة أورشليم في صلاتهم فليس من أجل هذا يحرم علينا استقبال جهة القدس في صلاتنا ... وهو — رأى الحبر الميمون — يوجه هذا الرد إلى معارضيه من الأحبار المقيمين في أقطار النصارى ، وهو نفسه الحكم فيما يختص بمحاكاة القرائين ، فإن اتباع خطاهم لا يجوز ، ولكن في البدع الحديثة لا في الأمور التي لها أصولها وجذورها في شريعة إسرائيل ، .

ولم ينفرد الأحبار المقيمون في الأقطار المسيحية بمعارضة هذا الإصلاح بل كان له معارضون مقشدون بين كبار أحبار المشرق ومنهم هوديا الناسى من آل الناس بدمشق وهو الحبر الذى كان الميمونى يرد عليه حيث قال : «لست أخشى هذه الأباطيل ، فإذا يمكن أن يقال عنى ؟ هل أفرطت في إخافة الجمهور من سلطان أحد غير الله ؟ هل جرت في الحكم ؟ هل قبلت الرشوة ؟ هل ابتغيت الربح ؟ هل أقسمت باطلا ؟ إنهم لا يستطيعون أن يقرفوني بشيء من هذه التهم ، اللهم الا أننى مثار على عبادة رب إسرائيل تبارك اسمه بكل قلبى وروحى ، وإننى أطيل الركوع والسجود ، وبمثل هذا يتحدثن عنى ، ولا أخفيه ، . على أن دعوة الحكيم الميمونى لم تلبث أن شاعت بين الطوائف اليهودية بالشرق والمغرب

الديانة الإسلامية ، ولكن هذا الإصلاح لم يمحض بسلام بين القوم في حينه ، ولم يلبث أكثرهم ومعهم أناس من قاداتهم أن قابلوه بالإنكار الشديد مقابلتهم للبدع الدخيلة التي تفسد العقيدة وتبدل السنن وتخالف أمر الإله الذى نهاهم عن التعود بعادات الأمم كما جاء في التوراة .

وكان المصلحون منهم يوافقونهم على تحريم التعود بعادات الأمم وإنكار البدع التي يدخلها المقلدون للشعوب الأخرى على جوهر الدين ، ولكنهم يقولون إن عادات المسلمين هي عادات الشريعة الموسوية في لبائها وإن بنى إسرائيل هم الذين خالفوا تلك الشريعة الموسوية وهجروها ، ولا يعقل أن تنهى التوراة عن إعادة الأمة الإسرائيلية إلى سنن أنبيائها لمجرد ظهور هذه السنن في أمم أخرى تتبع من أوامر الإله ما لم تتبعه أمة التوراة ، ويقول المؤلف نقلا عن الحكيم الميمونى : «إن حبرنا يرفض البتة ادعاء محاكاة الأمم أو القرائين ، لأنه لا وجه لتحريم العادات الإسرائيلية القديمة التي اختفت من اليهودية أثناء النفي ... وإذا شئنا أن نحرم الأمور التي دانت بها الأمم الأخرى فإننا سنضطر إلى التخلي عن كثير من وصايا التوراة كالصلاة والزكاة اللتين أصبحتا من أركان الإسلام ... وإذا ادعى أحدهم أن في هذا

أردناه من تفنيد خرافة القائلين بأن الإسلام
شعبة من اليهودية ، أو أن الإسلام مدين لها
بشائره وأحكامه .

فالواقع أن اليهودية بعد الإسلام قد استغادت
من آدابه وشعائره كما استغادت في ثقافته في
علم من الأصول وفي نحو اللغة وعروضها
وأوزان شعرها .

أما قبل الإسلام فصادر اليهودية في المسائل
المتفق عليها هي مصادر الإسلام من البيانات
التي سبقتهما بين النهرين وعنها أخذ اليهود
عقائدهم التي لم يعرفوها قبل منقاهم إلى العراق
فإذا اختلفت اليهودية والإسلام فالفضل
للإسلام في الارتقاء بالعقيدة الإلهية التي
جعلها اليهود مشيخة قبيلة ، وفي عقيدة النبوة
التي جعلوها ضرباً في التنجيم ، وفي المسؤولية
الإنسانية التي جعلوها ضرباً في محاباة العصبية
الجهلاء لغير سبب ولا فضيلة ؟

عباس محمود العقاد

حتى أستجاب لها أناس من أحبار اليهودية
في نبتها الأول وهو أرض فلسطين ، ومن
حافظ على تقاليد الموروثة فإنما كان تأويله
لذلك أنه يجرى على سنة تغيير الروح وإبقاء
الجسم ، ويقول المؤلف إنه « إذا كان نساك
فلسطين أنفسهم قد استمروا يستمسكون
بصورة لكفاء الوجه التقليدي ، فإن أحبار
فرنسا الذين أكبروا الخبر إبراهيم الميموني -
وهم المقيمون في مدينة عكا قد اتبعوا نظامه ،
وهو ما نفهمه من بضعة سطور بقيت لنا
في إحدى صفحات كتاب الجنيزة جاء فيها أن
المقيمين اليوم في عكا حفظهم الله وهم الخبر
يوسف بن الخبر ستاتيا والخبر يهودا والخبر
صمويل - هؤلاء يركعون ويسجدون على
وجوههم وليس جانباً بل على ركبهم وجباههم
على الأرض ... » .

وفيا أردناه من هذا الكتاب كفاية لما

مَحْنَابُ فَرْزِ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

مِنْ رَوَائِعِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ

لِلأَسْتَاذِ الصَّادِقِ عَلَى شَعْرِ الْمَلِكِ

عهدت المجلة إلى الأستاذ الصاوي شعلان أن يقدم إلى قرائها في كل عدد بعض روائع الشعر الإسلامي مترجماً إلى اللغة العربية والأستاذ يلم بمدة لغات منها الفارسية وهو من الأزهرين الذي عناه أمير الشعراء أحمد شوقي بقوله :
واقفة ما عذرى لعل كنفهم يوماً يكون أباً للعلاء المبصرا

المؤمن الحر في نظر إقبال

كن مخلصاً مثل الكريم نية وفعلًا تسمع نداء لا تخف إنك أنت الأعلى

(إقبال)

المؤمن الحر هو الذي جرى فيض إيمانه من مورد (لا تخف إنك أنت الأعلى) .
إننا حين نواجه المشكلات ، وقد انطوت منا الرموس في الجيوب ! يقبل المؤمن الحر إلى الميدان ورأسه على كفه !
لقد اشتعلت جذوة ضميره بنور لا إله إلا الله ! وأمام عبودية الله القدير ، لن يقبل الخضوع لسلطان أو أمير ؛ ما أشبه المؤمن الحر بالإبل الصابرة ؛ التي تحمل الأثقال ، وتصبر على قطع المسافات بين الأغوار والأنجاد ؛ تأكل الشوك ؛ وتصبر على وهج الشمس ؛ وسهر الليالي !

لقد أبت روح هذا الحر أن يفنح الموت ؛ وإن تكبيره الحى فوق تعبير الحرف والصوت !
إن الذي يحطم بقوة إيمانه أحجار الطريق ، كبقايا الزجاج ، خليق به أن يفرض على القياصرة الضريبة والخراج !!
إن كان فيك حرارة مؤمن فهي قبس من جمره ؛ وإن جرى نهرك متدفقا فهو من فيض بحره ، إن جبابرة الملوك في أقبية الحرير لتصفرو وجوههم رهبة من سهم ذلك العريان الفقير ... !
إن الدين لدى هذا المؤمن الحر بصيرة

ذلك الأبواب في ثوب تقاه
ألزم التيجان تقديم الخراج ١١
قد جرت أنهارنا من بحره
وأضأت نارنا من خمره ١١
بسمه الورد شذى من سمره

شعلة الجحد سنا من فسكره ١١
شأننا في الدين لا يعدو الخبر
وهو في الدين شهود ونظر ١١
نحن عند الباب في ظل الشجر
وهو في الدار وفي بجنى الثمر ١١
لبنى الإفرنج في الدنيا عبيد
في قيود من حرير أو جديده ١١
كم تغنى بمسجايا د بايزيد ،
ذو رياء وهو للورد مرید ١١

في حديث المصطفى شمس الهدى
كل أرض مسجد للؤمنين ١١
كيف تبلى فوق أرض معبدا
إن تركت الأرض للمستعمرين ١١
ليس حيا من يرى مستعبدا
لسوى من في يديه رزقه ١١
سيد من ليس يرضى سيداً
ما خلا ربى فكل عبده ١١
في ضمير الحر تكبير الإله
في جبين الحر تقدير الأمم ١١

ونظر ، أما نحن في أمر الدين فما زلنا ننشد
الخبر ! وبيننا العميل يبيع المسجد ، ويتملق
المستعمر ! نرى المؤمن الحر ثملاً بكأس
التوحيد ، والثقة والإيمان من معين المصطفى !!

المؤمن الحر

أقبل الحر على يوم الفدا
ومضى يرمى على النجم الهدف ١١
فكأن الوحي لقاها النداء
من سماء الله أقدم لا تحف ١١
أشرق التوحيد نوراً في هداه
وسرى التحرير منه في الضمير ١١
أترى من لم يخف غير الآله
يرهب السلطان أو يخشى الأمير ١١
روحه تكشف أسرار الخلود
عن حياة مالها في الدهر موت ١١
يرسل التكبير من قلب الوجود
لغة تغنيه عن حرف وصوت ١١
سل ملوك الأرض عن دنيا الفرور
في الملامح خلف أستار الحرير ١١
زلزلتهم بين أبراج القصور
ضربة من سهم عريان فقير ١١
ضرب البحر د كوسى ، بعصاه
ورمى الصخر حطاما من زجاج ١١

إعانة الشتاء

للاستاذ العوضى الوكيل

يا أيها السارى على جوعه	من ذلك السارب تحت الظلام
كفى بكاء بالدموع السجام	يبعث عن مأوى له أو طعام
***	مهلهل الثوب هضم الحشا
الله فى أم دهاها الشتاء	يكاد يبدو كومة من عظام
وحولها أطفالها فى العراء	ويكتم الآلام فى صدره
بكوا من القر ولكننا	آلام جوع قاتل أو سقام
هل يدفع القر مرير البكاء ؟	تذهب فى الظلماء أناته
من كل طفل مثل وجه الضحى	مخنوقة تشبه همس الكلام
أحاله الفقر كوجه المساء	بنفحة البرد فلا ينثنى
لأن ملكت يوما رداء مضت	رحمى له من ساهر لا ينام
تكسو بنها كلهم بالرداء	دوامه الإعصار ترى به
	حتى غداً مثل بقايا الحطام

بقية المنشور على الصفحة السابقة

يتحدى الموت فى جلوته	موته أعلى مقامات الحياة
أو يتم فيها نصره !!	يرفع النصر لذكره العلم !!
إن غرس الحق فى نور القلوب	هو يوم السلم فى نهضته
غير شأن الزرع فى ماء وطن	يبعد الإصلاح يبنى عصره !!
فالتمس للبعد أحرار الشعوب	ويذيع الخير فى أمته
إنهم فى الدهر أعلام اليقين !!	مثل ما ينشر روض عطره !!
	وهو يوم الحرب فى ساحته
	سيفه يحفر فيها قبره !!

الصاوي على سمومه

جلست أسوان حليف الشجي
ورحت تبكي دهرك القلبيا
يا قسوة الأيام ، يا عنفها
حين تصيب الواهن الأشياء
يصطك فكاه وأوصاله
حين يلاقى العاصف المرعبا
كم يبتغي ثوباً يرد الأذى
لا تخملا يبغي ولا مذهباً
هل راحم شديته عاطف
يحبوه بالثوب ، وقل الحبا

* * *

أخوك من بات على القارعه
وأختك العريانة الجماعه
والشارد الضارع بعض الحى
وبعضه الشارده الضارعه
أبوك هذا الشيخ ، ما أفلحت
في رفع ما يكسى به الراقعه
وهذه الأطفال ذخر الحى
لمقبل أيامه رائعه
أحل عبوساً في محياهمو
لبسمة آلقه ساطعه
يا غارس الخير بأرض الحى
غداً ترى أزهاره يانعه

العوضى الوكيل

تقسمه ما بينهم قسمة
تعلل الباكي ببعض الرجاء
والليل مقرر الدجى راجف
يعصف حتى بالنجوم الوضاء
أيتها الأم وأطفالها
ما نسيتمكم رحمت السماء !

* * *

يا أيها السارى بأسماله
يستقبل الليل بأهواله
يهرأ جنبيه نسيم الصبا
ويفعل القر بأوصاله
واهاً له من شارد فى الدجى
قيده الفقر بأغلاله
لم يلق ما يحميه من قره
فراح ينعى كل آماله
فى نظرة غشى عليها البكا
تشكو إلى الله بهطاله
ودمعة منحدر فيضها
على قيصر ضج من حاله
أشهد لو قد رآه باخل
لجاد عن طوع بأمواله

* * *

يا شيخ ، قد ودعت عهد الصبا
ما أنضر العهد ، وما أطيبا
وصرت صغراً من صباباته
فلم تك الآمال إلا هبا

الكتاب

الحسبة في الإسلام

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

تعليق على كتاب للأستاذ إبراهيم دسوقي الشهاوي

الذي يقوم بتدريس مختلف أبواب الفقه الإسلامي لطلاب كلية الشريعة ، وهو بحكم ثقافته ومنصبه متصل أتم الاتصال بمناهل الشريعة الإسلامية ، خبير بمواردها ومصادرها يعرف إذا أراد أن يعرض موضوعا كيف يعرضه ، وقد سبق لي أن قرأت له كتاب «السرقة في التشريع الإسلامي» مقارنة بالقانون الوضعي . وقد كان لهذا الكتاب أثره في نفوس المهتمين بالدراسات الإسلامية ، المدافعين عن تشريعات الإسلام لنفي ما ألصق بها ظلما وزورا من اتهام بالقصور . وإن قوة تلك المبادئ وخلودها قد اضطرت كبار المشرعين الأوروبيين في عصرنا الحديث أن يعترفوا مرغمين في المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي عقد لإحدى جلساته في باريس عام ١٩٥١ - بأن مبادئ القانون الإسلامي ذات قيمة لا تقبل الجدل - وأن تعدد المدارس والمذاهب داخل هذا النظام

١ - كنت أزور صديقي الأستاذ إبراهيم محمد الأصيل صباح يوم إدارة مجلة الأزهر الشريف ، فلفت نظري كتاب على مكتبه عنوانه . الحسبة في الإسلام .

تناولت هذا الكتاب مبدئيا إعجابي بهذا الاتجاه السديد في تغذية المكتبة الإسلامية بموضوعات تبرز ما في تشريعات الإسلام من قوة وحيوية ، وتبين للناس عناية هذه الشريعة الغراء بصيانة حقوق الأفراد والجماعات ، وبالتقنين لقيام مجتمعات سليمة تسودها العدالة والطمأنينة . ثم أخذت أنظر في صفحات الكتاب ، فقال صديقي إبراهيم أما وقد وافق هذا الموضوع ميولك ، فهل لك في أن تقدمه بكلمة إلى المجلة ؟ . حاولت الاعتذار . . . غير أن جلستنا انتهت بأن أقدم الكتاب .

إن مثل هذا الكتاب يقدم نفسه بنفسه لطرافة موضوعه وأهميته ، ولمنزلة مؤلفه

والأحاديث الشريفة وما انعقد عليه إجماع الأمة . وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دعائم إصلاح المجتمع ، فوجب أن يكون القيام بهما محل اعتبار ، وألا يترك للظروف ، ومن هنا اعتبرت ولاية الحسبة ضمن ولايات القضاء في الإسلام . وتناول الفصل الثالث : «مراتب الحسبة» .

وفي هذا الفصل بين المؤلف أن الحسبة باعتبار المحاسب عليه - ثلاث مراتب ، لأن أصلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أمر شامل لا يقتصر توجيهه على فريق دون فريق أو فرد دون فرد ، بل إن التكليف به يقتضى - أولا - أن يدعوا المحتسبون سائر الأمم إلى الإسلام ويبينوا لهم ما فيه من مزايا ، ويرشدوهم إلى ما فيه الخير باعتبار أن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام عامة تشمل البشر جميعا . وقد أشار الأستاذ المؤلف إلى ما ينبغي أن يتصف به من يتصدى لدعوة الأجانب بخاصة . ويقتضى - ثانيا - تخصيص طوائف من علماء الأمة ، لنشر تعاليم الإسلام بين المسلمين وتذكيرهم بما أحل الله وما حرم ...

ويقتضى - ثالثا - أن يكون هناك وعى إسلامى عام بين الأفراد حتى يكون بعضهم رقبيا على بعض ، وينصح كل فرد من يعاشره من زملائه وأفراد أسرته وعشيرته وغيرهم

القانونى الكبير ، إنما يدل على ثروة من النظريات القانونية ، والفن البديع ، وأن كل هذا يمكن القانون الإسلامى من تلبية جميع حاجات العصر ^(١) .

والآن : نعرض فصول الكتاب :

تضمن كتاب « الحسبة في الإسلام » عشرة فصول وخاتمة .

قدم الأستاذ المؤلف كتابه بافتتاحية قصيرة بين فيها هدفه من تأليف هذا الكتاب وقد تناول الفصل الأول « تعريف الحسبة » . وقد اكتفى سيادته بتعريف الحسبة شرعا ، وأورد في هذا الفصل كثيرا من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مبينا آثار ذلك في وقاية الأفراد والجماعات من الشرور والآثام .

وربما كان الأفضل ألا يقتصر في التعريف - وهو أول ما يطالع مختلف طبقات القارئ - على المصطلح العلبي ، وياحبذا لو توسع في شرح هذا التعريف في الطبقات التالية إن شاء الله .

وتناول الفصل الثانى : « حكم الحسبة » .

وقد بين في هذا الفصل أن حكم الحسبة هو الوجوب بنص الآيات القرآنية

(١) راجع مجلة « المسلمون » العدد الأول

الفاسق . وقد رجح المؤلف هذا الرأي ، وأنا أوافقه أيضا ؛ لأن في قبول الحسبة من الفاسق اعترافا بأدميته ، ومعاونة له على إبراز ما قد يكون كامنا في نفسه من خلال حميدة ، وفي ذلك استعلاء بنفسه ، وحث له على أن يبتعد عن مواطن النقص ، وفوق ذلك فإن فيه ضمانا لرعاية المجتمع ، إذ لو حررنا قبول حسبة هذا الفاسق لسببنا في تشجيع الجريمة ، إذ يرى من العبث تقويم ما رآه من منكر قد يكون هو يأباه .

وكذلك الخلاف في وجوب الإذن من ولي الأمر ، أو عدمه ، وقد خرج الأستاذ المؤلف بعد عرض الخلاف ومناقشته بأن الأصل العام في الحسبة هو عدم اشتراط الإذن (وسيشير المؤلف في الفصل الخاص بولاية الحسبة إلى الفرق بين المحتسب المتطوع وفقا للأصل العام إذ لا يجب اشتراط الإذن والمحتسب المعين المأذون له) .

وتناول الفصل الخامس « آداب المحتسب » . وقد شرح المؤلف ما ينبغى أن يتصف به المحتسب سواء أكان معينا أم متطوعا من صفات تجعل عمله مشرعا . وأهم ما في هذا الفصل أن وظيفة المحتسب تخلق منه شخصية قوية تجعله لا يخشى في الحق لومة لائم ، لا يبالى إن نصح كبيرا أو صغيرا ، ولا يخشى في الحق قويا أو عظيما أو غنيا أو فقيرا بل يسعى

من أفراد الأمة . حتى تعم الجميع رحمة الله ، ولا يكونوا مثل بني إسرائيل إذ كانوا لا يقناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون .

وقد فصل الأستاذ طبقات من يوجه إليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأسلوب الذي ينبغي أن يتخذه المحقسون إزاء كل طبقة ، مؤيدا شرحه من الآيات والأحاديث ، وقد أشار في هذا الفصل إلى نقطة هامة في وظيفة المحتسب ، وهي التدرج في الوعظ وتوجيه الإرشاد ، ومراعاة حال كل طبقة من المخاطبين .

وفي الفصل الرابع تناول : « شروط المحتسب » .

وهذا الفصل من الأهمية بمكان إذ كانت تقوم الشروط المطلوبة فيما مضى مقام المؤهل الدراسي في أيامنا هذه مع فارق الصفات الدينية والخلقية التي لم تعد يحل اعتبار إلى جانب « الشهادة الدراسية » . وقد شرح المؤلف هذه الشروط وبين ما هو متفق عليه منها كالإيمان ، والتسكيف ، والمقدرة ، والعلم بأحكام الشرع فيما يقوم به ، ثم ما فيه خلاف بين الفقهاء كاشتراط العدالة في المحتسب على رأى فريق من العلماء وعدم اشتراطها عند فريق آخر منهم الإمام الغزالي إذ لا مانع عند هؤلاء من وجوب الحسبة على

والاختلاف ، وأهم ما في ذلك أنه يجوز للمحتسب أن يباشر مهمته في إزالة المنكر وردع الظالم . . بنفسه ، ومن غير أن يرفع الأمر إليه ، وأن يظهر بما يرهب ويقوى سلطانه ، بخلاف القاضي .

ومهما قيل من أن ولاية الحسبة قد وزعت اختصاصاتها في أيامنا هذه على مصالح كثيرة كالبلدية وإدارة المرور ومراقبة الموازين وغيرها ، فإن شيئاً من ذلك لم يقيم بوظيفة المحتسب قياماً كاملاً ؛ لأن سلطة المحتسب تتعدى زملاءه ومرءوسيه وهامة الجماهير وأصحاب المصالح المخالفين إلى الرؤساء والمسئولين - ثم إن أساس مهمته أن ينظر في كل ما هو مغل بأحكام الشرع من منكرات يأبأها الذوق السليم ، ويرى ما يرتكب من محرمات أو يؤدي إلى فساد . . فهل يوجد الآن مثلاً من يحكم على المناظر التي تعرضها دور الخيالة ، وفيها ما فيها من نشر الخلاعة التي كان يقاومها - باسم الشرع - المحتسبون فيما مضى ؟ إلى غير ذلك .

ثم تحدث الأستاذ الفاضل في الفصل السابع عن « نشأة الحسبة » .

وقد أوضح أنها نشأت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تولاها عليه الصلاة والسلام بنفسه ، ثم سار عليه خلفاؤه الراشدون ثم ولادة المسلمين من بعدهم ،

لإرضاء الله تعالى مهما لاقى من سخط الناس . وهذه هي الشخصية التي ينشدها الإسلام . وفي الفصل السادس تناول « الولايات في الإسلام » .

وهنا عرض المؤلف ثلاثاً من تلك الولايات هي : ولاية القضاء ، ولاية الحسبة ولاية المظالم وذلك لما بين هذه الولايات من أوجه الشبه أو الاختلاف .

ولقد برهن السيد المؤلف في هذا الفصل على دقة في التفصيل ، وأبرز مهمة وإلى الحسبة وخطورة منصبه ؛ وبين الفرق بين المحتسب المعين بأمرولى الأمر وما يشترط فيه ، وضرورة الإذن له لمباشرة عمله باعتبار أن الحسبة قد صارت من ولايات الدولة العامة كولاية القضاء - وبين المحتسب المتطوع ، الذي يقوم بمهمة الإرشاد تطوعاً دون اشتراط إذن .

وأهم ما في سلطة المحتسب أنه يراعى تطبيق الأحكام الشرعية ويراقب ما هو حلال أو حرام ، وله حق غشيان مجالس الحكم ، ووعظ الحكام ، وتنبيه الرؤساء إلى ما قد يراه من أخطاء في تنفيذ أحكام الشرع إذ إن الرؤساء والحكام والقضاة من البشر ، وهم ليسوا معصومين .

ثم أخذ في الموازنة بين ولاية القاضي وولاية المحتسب وما بينهما من أوجه الاتفاق

وشرح الحسكة في ترك أنواع من العقوبات بغير حد مقدر تمشيا مع تطور الزمن ، واختلاف البيئات . ثم اذكر أنواع التعزير وهى : الهجر ، والتوبيخ ، والحبس ^(١) ، والنفي ، والضرب ، والقتل ^(٢) ، والغرامة المالية ، وقد ذكر أدلة كل نوع ، وأغراضه وكيفية .

وفى الفصل العاشر عقد المؤلف د مقارنة بين التعزير والحد ، أوضح فيها ما بينهما من فروق بتفصيل دقيق . أما الخاتمة ، فقد اشتملت على ترجمة لاثنتين من كبار المحققين فى الديار المصرية ، وهما : المقرئى والعينى .

وبعد : فهذا هو عرض سريع لكتاب « الحسبة فى الإسلام » ، وإن أهم ما يلفت نظر القارئ لكتاب ما إنما هو موضوعه ، ثم منهجه فى البحث .

وموضوع كتابنا - كما رأينا - يتعلق

(١) ص ١٢٢ « واللاقى يأتين الفاحشة من نساءكم .. الآية . قيل إن حكمها كان أول عهد الإسلام وأنها لم تكن . (راجع تفسير الكشاف والناسخ والمفوخ لابن حزم) .

(٢) لماذا لا نعتبر « أوفسادا فى الأرض . » الواردة فى آية المحاربة دليلا على جواز القتل تعزيرا ؟ فقد رأيت للؤلؤة يقتصر فى جوازه على السنة والمقول .

وصارت من ولايات الدولة الرسمية فى مختلف العصور .

وقد ذكر السيد المؤلف فى الفصل الثامن عند ما تحدث عن : « نظام الحسبة فى مصر وتطوره التاريخى » . أن نظام الحسبة ظل ساريا فى مصر إلى عام ١٨٠٥ م حين قام بولاية مصر محمد على .

وفى هذا الفصل - الثامن - أوضح المؤلف ما كان للبحث من منزلة فى الديار المصرية ، وما كان يقوم به من رقابة عامة على الآداب الإسلامية ، ومراعاة تعاليم الإسلام . وبمراجعة الأمثلة التى أوردها لأعمال المحقق ، يشعر القارئ حقا بفضل هذا النظام ، ويتمنى من صميم قواده لو يعود .

ولما كان لوالى الحسبة أن يعزر فى المنكرات الظاهرة التى ليس فيها حدود مقدرة ، ولما كان التعزير هو « عقوبة غير مقدرة ، تجب حقا لله تعالى أو لآدمى ، فى كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة » . فقد ناسب أن يكمل الأستاذ بحثه ، فجعل التاسع : فى « التعزير » .

وقد أورد المؤلف فى هذا الفصل أدلة مشروعية التعزير من الكتاب ^(١) والسنة ،

(١) الآية الواردة بصفحة ١٢٥ سقط منها « أو كفارة طام مساكين » فتكون « يحكم به ذوا عدل منكم ، هدى بالغ الكعبة أو كفارة طام مساكين ، أو عدل ذلك صياما . »

ينتشر بفضل دعوة الإمامين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، ثم ظهور مجلة المنار وما تلاها فيما بعد مثل «الفتح» وغيرها
تغبه الناس ، وأخذ بعض أفاضل العلماء فى إحياء بعض التراث الإسلامى .. وفى الأيام الأخيرة - بعد قيام الثورة ، وبعد جلاء الانجليز اطمانت النفوس وأقبل العلماء على التراث الإسلامى يبعثونه ويذيعونه ، وأخذت المكتبة الإسلامية تعمر بصور من رجال الفقه الإسلامى فى مختلف أبوابه ، وفى فترة وجيزة ظهر الكثير من الكتب التى تحمل الطابع الإسلامى .

بقيت ناحية واحدة هامة ما يزال التأليف فيها قليلا ، هى أبواب المعاملات الإسلامية ونظم الحكم فى الإسلام .
وقد آن الأوان لأن تبرز هذه النواحي ، فإنها خير ما أخرج للناس من قوانين «تقى بجميع الحاجات العصرية» وتحمل بين طياتها بذور النماء والقوة والمقدرة على التطور .
وموضوع الحسبة كما رأينا من أهم تلك الموضوعات الجديرة بالدراسة والتطبيق العملى إذ لا يوجد فى وظائف الدولة ما يطابقها تمام المطابقة ، مع مسيس الحاجة إليها .
ومادة الموضوع مستوفاة سليمة مستقاة من أوثق المراجع لا غموض فيها .

أما منهج هذا الكتاب : فإنه يدل على صبر

بناحية هامة من النظم الإسلامية التى ظلت محجوبة فترة من الزمن طويلة ، فقد مر بنا أن نظام الحسبة ظل قائما بمصر إلى أول عهد ولاية محمد على ، أى أنه ألغى من أكثر من قرن ونصف قرن .

ومنذ ذلك التاريخ أخذت تشريعات الإسلام بعامة تبتعد رويدا رويدا عن دور الحكم ، ثم كانت الطامة الكبرى عند ما رزئت بلادنا بالاحتلال الانجليزى إذ حاول الانجليز جاهدين أن يمسحوا كل ما هو إسلامى ، غير أنهم ارتدوا فى كل مساعيهم خائبين .

وخلال ذلك الزمن صار أكثر الناس لا يعرفون من الفقه الإسلامى إلا ما يتعلق بالعبادات التى يمارسونها من صلاة وصوم وحج ، وكأن تشريعات الإسلام لم تأت بغير هذه الأمور ؛ فهى التى يسمعونها فى الدروس بالمساجد ، وهى التى يقرأون عنها إذا أرادوا التفقه فى الدين ، وقليلا ما كانوا يسمعون عن الجهاد فى الإسلام ، أو عن نظام المعاملات والقضاء عند علماء المسلمين ، وأوشكت المكتبة الإسلامية أن تخلو من كل ما يشير إلى أن فى الإسلام قوانين تستطيع أن تحكم ، وأنها خير من القوانين السارية .

ولكن بعد أن أخذ الوعى الإسلامى

عن دائرة الإسلام ، وبمزايعها العقيدية التي تفضح نفسها بنفسها .

وبعد أن يمد المؤلف لكتابه بتمهيد يقع في أكثر من عشرين صفحة ، أوضح مظاهر الشرك في هذه النحلة ، وجنايات التصوف وعلم الكلام والمذهبية في قضيتها . بعد هذا التمهيد المسهب ، قسم دراسته إلى فصول ستة :

من السبئية إلى البابية : وهو الفصل الأول ، الذى حاول فيه أن يرد البهائية إلى السبئية التي تزعمها (عبد الله بن سبأ) الذى وضع الخطوط الأولى لفكرة الشيعة وحركتها ، والمؤلف يحول بنساجولة تاريخية ، يعرض المجتمع الإسلامى الأول سليم البناء قوى الأساس ، ثم كيف استطاعت الأحقاد تتآمر عليه ، وكيف أوجد كل من الشيعة والخوارج ، فتنة الحسين ، أسطورة المهدي المنتظر ، الدولة العباسية ، البرامكة . .

وفي الفصل الثانى : « الباب والبابية » تناول نشأة الباب (ميرزا على محمد) وحركته فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى ، ادعاه المهديّة ، شريعة حركته ، نهايته المؤسفة والأساطير التي ابتدعها الخيال حولها بعد أن خر صريع الرصاص ، وألقيت جثته فى العراق .

وفي الفصل الثالث : « البهاء والبهائية »

المؤلف وسعة اطلاعه ودقته فى الفهم ودقته فى الفهم والتلخيص . إن هذا الموضوع قد ورد بتفصيلات مستفيضة فى مثل كتاب الإحياء للإمام الغزالي وبعض مؤلفات ابن تيمية وغيرهما ، وتظهر مقدرة المؤلف هنا فيما قام به من تلخيص لأهم النقط وتنسيقها ، وترتيب فصول الكتاب من غير خلل أو قصور ، وهى مهمة ليست باليسيرة .

والقدر الذى استخلصه من هذا الموضوع المتسع الجوانب كاف بأن يظهر الكتاب فى هذا الحجم المناسب لطاقت جمهور القراء الذين قصد المؤلف إلى إفادتهم : فلا هو فى اختصار مخل ، ولا فى تطويل ممل . وإنه بتفسيقه وحسن تبويبه يستهوى القارىء ، ويجعله يلم لما مفيداً كافياً بهذا الموضوع القيم الخطير وفقنا الله جميعاً إلى طريق السداد .

دكتور سعد الدين الجيزاوى

٢ — البرهانية :

الأستاذ عبد الرحمن الوكيل
نشرت مكتبة أنصار السنة بعابدين هذا الكتاب ، والمؤلف هو فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ، وكتابه دراسة واسعة عن البهائية ، تلك الطائفة المعروفة بخروجها

وللبهائية آراء على قمة الفساد ، هم يرون الرسول - أى رسون ربا وعبدا، ويؤمنون بوحدة الوجود ، ويفسرون «ختم النبوة» تفسيراً يحقق أن الوجود لا ولن يخلو من رسل ، ويكفرون بالمعجزات وبإعجاز القرآن ولا يرون معجزة إلا فى النسخ وحده .

والفصل الخامس : «عقيدة البهائية فى البهاء» تؤمن البهائية بربوبية البهاء ، وتطعن على أدلة الرسل ، وبراهين الإسلام ، وتزعم أن نحللتها ناسخة للإسلام .

أما الفصل السادس والآخر «دين البهائية» فهو عرض مسهب لهذا الدين المبتدع ، فالبهائية كفر جبان ، والتوحيد عندها هو : معرفة الأجساد البشرية التى حلت فيها الحقيقة الإلهية . ولا بد من وسائط فى الدين هم شيوخه ، وللبهاء وحده يصلى البهائيون ، وإلى قبره وحده يحججون ، وقد قال لهم : (من توجه إلى ، فقد توجه إلى المعبود) والصلاة تسع ركعات فقط ، والقبلة هى قصر البهاء ، والزكاة ١٩ ٪ ، وأشهر السنة ١٩ شهرا والشهر ١٩ يوما ، والميراث تشريع جديد ، والربا مباح ، والجهاد محرم ، وعقوبة الزنادية مسلمة إلى بيت العدل أى بيت ماله . .

وبعد - فهذا عرض سريع لهذه الدراسة الجيدة ، ولا ريب فى أن الأستاذ عبد الرحمن

يواصل المؤلف دراسته ، فيقدم لنا البهائية كوريث للباية ، وامتداد لها ، والبهاء هو (حسين على) ابن الميرزا عباس ، المولود بطهران عام ١٢٢٣ هـ ويكشف عن أساطير هذه النحلة ، وحركاتها ، واستنادها إلى المؤامرات والدسائس الدموية ، إلى أن هلك البهاء المذكور بجرثومة الحمى ، بعد أن صنع منه الاستعمار الروسى واليهودى لها وبطلا .

وفى الفصل الرابع : «عبد البهاء والبهائية» حدثنا المؤلف عن ابن البهاء ، وكيف استطاع بدراسته للفلسفة اليونانية ، وكتب الباطنية والصوفية المنحرفة ، أن يسيطر على والده سيطرة واسعة ، ثم استمرأ هذه السلطة فى ظل الكفر والإلحاد ، فواصل نشاطه فى خدمة الاستعمار الانجليزى والفرنسى ، وجمع المال والثروات بغير حساب ، إلى أن انتهت حياته عام ١٣٤٠ هـ وخسرت الإمبراطورية الانجليزية أخلص عبيدها .

والفصل الرابع : «الحقيقة الإلهية فى رأى البهائية» مناقشة دقيقة لعقيدة البهائية - إن جاز أن تسمى عقيدة - ويرى المؤلف أنها على زندقته مسبوقة بزندقه الفلسفة والصوفية والباطنية والإسماعيلية والدرزية ، وهى زندقه حيرى بين عبادة عدم وعبادة صنم فال مجرد الصرف ، والكللى البحث ، وجوده ذهنى لاعينى ، أى لا حقيقة له خارج الأذهان .

وإني لأحمد بعد ذلك للؤلف اتجاهها جديدا هو عدم المساس بأقدار علي وبنيه ، وتأويله لكل ما حدث في فتنة الحسين وغيرها ، بأن الخطأ في اجتهاد الرأي ، وأحمد له أيضا ، أن قلبه قد أمتعنا بدراسة قيمة عن هذه النحلة الخبيثة التي لا زالت تستهوى بعض المأفوتين من الشباب الذي يجد لذة في التحلل والانحلال .

* * *

٢ - المدين في موقف الرفاع :

للاستاذ فتحى عثمان

هذا كتاب جديد للأستاذ فتحى عثمان ، نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، قدم لهذه الدراسة بمقدمة جاءت بمثابة تمهيد له . فهو يقرر أن خير دفاع عن الدين أن يكون في موقف الدفاع ، ووقوف الدين موقف الدفاع مشحون بالمعانى الكبيرة منها أن الله جعل الدين موافقا لسنن الكون ، وفطرة الإنسان ، فكما أن كلا من الكون والإنسان في حركته ، كذلك الفكر لا بد أن يتحرك . أما فصول الكتاب الرئيسية فهي : الدين والفلسفة المادية ، الدين على فطرته ، الدين في حركته . ولقد تحدث في الفصل الأول عن الدين والإنسان على الأرض ، البيانات الجديدة ، وناقش « جوليان هكسلى » في كتابه : (دين بغير وحى) الذي يحاول

الوكيل بذل جهداً يشكر عليه ، فقد جعلنا نلم لما شاملا بالبهائية ومفترياتها ، في أسلوب فيه روعة البيان ، وإن لم يخل من الحدة التي كنا نود أن يجنب أسلوب منها في هذه الدراسة العلمية الموضوعية . ولست أدري لم أتعجب نفسه وكتب الفصل الأول في حدود أربعين صفحة ، استعرض الإسلام منذ نشأته إلى الخلاقات التي نشبت في أماليب دموية بين الشيعة والأمويين ، ليبرر مسلك الأمويين في كثير من أحوالهم ، وجنوح آل البيت إلى الفتنة والهوى ، كان من الممكن أن يركز لنا في صفحات قليلة محدودة المنايع الأصلية للبهائية ، دون أن يحاول إصاقتها بالحركة السبئية والحركة الشيعية والحركة اليهودية منذ ضحى الإسلام .

ولقد استعمل من أول دراسته - وهو يحدثنا عن الفتنة في عهد عثمان - كلمة « الصهيونية » وهي كلمة مستحدثة معاصرة ، وكان الأحرى أن يستعمل مكانها « اليهودية » ، مثلاً ، والمعروف أن مؤسس البابية التي كانت فيما بعد « البهائية » ولد عام ١٨١٩م ، فكيف نربط حركته بالسبئية المنتمية إلى عبد الله ابن سبأ المعاصر للخليفة الثالث - رضى الله عنه ، إنى أرى بعداً عن المقاييس الصحيحة للدراسة العلمية المنهجية ، وإن كان من السهل مثلاً أن نرد هذه النحلة إلى فكرة الشيعة الباطنية في مسألة المهدي المنتظر .

ومقالات بمجلة الأزهر الغراء وسواها . .
بعد هذا العرض أود أن أقول أو أقرر
ملاحظات لابد منها .

أولا : الأستاذ المؤلف كتب بحثا عن
« الإسلام والموسيقى » في حوالى خمس وأربعين
صفحة ، ولست أدري أى مكان متواضع
لهذا البحث في هذه الدراسة ، وأخرى به أن
يكون كتابا مستقلا .

ثانيا : كذلك كتب بحثا عن « الرسول
الإنسان » ، ولا أرى له مكانا أيضا في هذه
الدراسة ، لا سيما أنه كتب في حوالى
تسع صفحات .

ثالثا : ترجم المؤلف عن الانجليزية مقالا
في خمس عشرة صفحة عن الحركات الإسلامية
المعاصرة ، للأستاذ مسعود الندوى ، دون
التعليق عليه أو ربطه بموضوع الكتاب .

رابعا : اهتم في بحثه عن القومية العربية
والدين بمناقشة جرت على صفحات
روزاليوسف دون أن يكون له في هذه
المناقشة مكان واضح .

خامسا : موضوع الترحيب بالجزائر في
سبع صفحات خارج عن موضوع الكتاب .
سادسا : المؤلف المجل لم يعن عناية
دقيقة بالتفصيل الداخلى لما أثار من
موضوعات ، ففي البحث الذى عنوانه
(أصول الحرية في منهج التفكير الإسلامى)

لإيجاد دين منشود يستمد أصوله من الطبيعة
الكونية والإنسانية - لا معاراة الطبيعة ،
كما ناقش الأستاذ فتحى في هذا الفصل :
الحضارة والأزمة ، الطاقة الدينية ، الإسلام
والشيوعية .

وفي الفصل الثانى : قرر أن الدين حرية ،
وأصول الحرية في منهج التفكير الإسلامى ،
ورأى أن يعرض الإسلام - كنظام - مرتبطا
بأساسه العقيدى ، كما ناقش في هذا الفصل :
إنسانية الرسول ، وموقف الإسلام من
الموسيقى ، ومباهج الحياة في نظر الإسلام .

وفي الفصل الثالث : تحدث المؤلف عن
مقومات الشخصية الإسلامية الإيجابية الفعالة
وترجم مقالا لمسعود الندوى عن الحركات
الإسلامية المعاصرة ، ثم عرض فكرة (الدين
والقومية) فناقش مدلول القومية ، وإلى أى
مدى يصطدم بالدين ، ولماذا انفصلت
القومية عن الدين في الغرب ، الدولة القومية ،
والدولة العقيدية . وختم الفصل بالترحيب
بالجزائر المناضلة كأمة أسلمت في جسد ،
ووفت للإسلام في صدق .

وبعد هذا العرض الموجز لدراسة
الكتاب التى كانت في أكثر من ثلثمائة صفحة
من القطع المتوسط ، والتى جاءت دراسة على
مستوى رفيع كما عودنا المؤلف في دراساته
الإسلامية السابقة التى نشرت في كتب تارة ،

اللغة والمعنى ، فتحدث عن العلامات والرموز ، والكلام واللغة وعن أن للكلمة صورتين إحداهما منطوقة والأخرى مكتوبة ، وعن الكلمة والمعنى العاطفي والمشارك اللفظي ، وفي الباب الثاني (المعنى والغموض) تحدث عن المعنى البسيط، والتقليدية، والتوليد الصوتي، والنحوي، والمعنوي، والمعنى المتعدى مدلول واحد وألفاظ عدة ، والعكس ، وفي الباب الثالث (حركة الثروة اللفظية) تحدث عن أربعة مصادر خلاقة : الابتكار ، أو صوغ الكلمات ، أو الافتراض أو التغيير في معاني الكلمات الموجودة ، كما تحدث عن أسباب تفسير المعنى اللغوية والاجتماعية والتاريخية ، وعن كيفية تغير المعنى ، وعن انقراض الكلمات ، وفي الفصل الرابع والأخير (الكلمات والأشياء) تحدث عن تأثير الكلمات وقصورها .

ولنا أن نقول بعد ذلك : إن هذه الدراسة العميقة على مستوى رفيع من البحث ، وتدل على أن المؤلف عالم له مكانته الرفيعة في البيئات اللغوية ، وقد استطاع الدكتور كمال بشر الذي قام بالترجمة أن يثبت وجوده في التعليق على الكتاب وتذرع بالامانة العلمية ، فهو لم يجمال المؤلف ولم يتعجن عليه ، بل استطاع أن يخفف من حدة دسامة البحث بشروحه الكثيرة ، وهو وإن كان يختلف مع المؤلف في بعض جوانب البحث ، إلا

لم يبرز عناصر هذه الأصول لتكون سهلة التناول ، والمفهوم من العنوان التحديد .
سابعاً : موقف الإسلام الدفاعي في الإطار السياسي لم يهتم به المؤلف ، وهو وثيق الصلة بموضوع الكتاب .

هذه ملاحظات عارة ، ويبقى بعد ذلك للكتاب تقديره من حيث مناقشة المؤلف للآراء الغربية الاستشراقية وغيرها ، وهي كثيرة في الكتاب ، وقد ناقشها المؤلف مناقشة جدية اتسمت بنضوج العقل ، وسعة الأفق .

٣ — دور الكلمة في اللغة :

للمستر ستيفن أولمان

قام بنقل الكتاب إلى العربية والتعليق عليه والتقديم له الدكتور كمال محمد بشر المدرس بكلية دار العلوم ، أما المؤلف فهو أستاذ علم اللغة بجامعة ليدز بالإنجلترا .

الكتاب دراسة على جانب من الأهمية ، ويذكر لنا الدكتور بشر في تقديره للكتاب ، أن الحضارة الإنسانية تراث مشترك بين أمم الأرض جميعاً ، وأن الثقافة وعامة هذه الحضارة وركيزتها الأولى — ليست ملكاً لجنس من الناس دون جنس ، وبهذه الروح أقدم على ترجمة الكتاب .

وقد جعل المؤلف دراسته القيمة هذه في أربعة أبواب :

قم أخى فالكون حيران المرام
ضارب فى التيه يضنيه الظلام
فارغ القلب ظمىء للصدام
هاجر للروح منشور النظام
جعل الله وأسباب الظلام ...

قم بنا فالأرض أوحال وطين
نفرس الدرب (بزيتون وتين)
وتحت عنوان (شرف) يعلن الشاعر
اعتزازه بالإسلام مهما لقي فى سبيله وتحت
عنوان (التيه) يتحدث عن حيرة الشرق فى
متهاتات الضلال وتحت عنوان (هولاء كو)
يذكرنا بهذا الطاغية الذى دوخ العالم :

لارشد . لا أفكار . لا وعى . لا ثوار بل
طائش فوار ، غنى له زمار . قد أنك الأوتار .
الحق أن الديون تضمن قصائد فيها ثورة
والم ، وفيها دعوة إلى المبادئ والمثل ، وإن
كنا نأخذ على الشاعر أنه خرج قليلا على
قواعد اللغة مما لا تحتمله ضرورة الشعر ،
ومما لا يخدش كثيرا فى قيمة الديوان .
واعتباره نفثة قوية بمنزلة بياض الشاعر
الأديب .

* * *

٥ - المزمع بنى عبد السلام :

الأستاذ محمد حسن عبد الله
هذا الكتاب الذى نشرته مكتبته وهبه
بالقاهرة - عابدين دراسة شاملة مستفيضة عن

أنه لم يهضمه حق من الإجلال والإكبار ،
والدكتور بشر يقرر أن الكتاب قدم وجهة
نظر جديدة فى معالجة المعنى اللغوى ، لا يتفق
مع المؤلف فيها ، ولذلك أفرد بحثا فى كتاب
لمناقشة هذه الوجهة تحت عنوان : (دراسات
فى علم المعنى) حتى لا يرحم بحث المؤلف
بكثير من التعليقات ، وهذه هى الأمانة العلمية ،
والأفق الواسع ، اللذان تتطلبهما من يتصدون
لترجمة الدراسات الغربية والتعليق عليها .

٤ - المزمع بنى :

للاستاذ صالح آدم ييلو .

هذا ديوان الأديب السودانى الشاعر
المتمخرج فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف
وهو ديوان يهتم بالإسلام ديننا ودولة ، فى
معظم قصائده فالشاعر يمزج أحاسيسه ومشاعره
بكل ما يتصل بالإسلام والقضايا الإنسانية
والاجتماعية ، ويهذى ديوانه إلى الشباب
المؤمن الذى روى بدمائه أرض القناة وفلسطين
والجزائر التى ظلت زمانا عطشى لدماء الشهداء
وإلى شباب الإسلام فى كل مكان من أرضهم
المديدة الطاهرة . وقد اقتبس عنوان ديوانه
من الآية الكريمة (الله نور السموات والأرض)
القصيدة الأولى (أوحال وطين) أهداها
إلى روح شاعر الإسلام (إقبال) يستحيا
أن تنهض وتعود لتأخذ بيد المعايير والمقاييس
التي تنكها الناس :

٦ - الإرشاد والتطريز .

اليافعى .

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر عنوانه (الإرشاد والتطريز فى فضل ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز) على الطريقة القديمة فى الإسراف فى العنوان ، مع المحافظة على السجع المعهود ، والمؤلف هو شيخ الحرمين أبو محمد عفيف الدين عبد الله ابن أسعد اليافعى المتوفى عام ٧٦٨ هـ وقد راجع الكتاب وقدم له الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف المدرس فى كلية الشريعة .

الكتاب يقدم نماذج من الأذكار والأدعية الماثورة فى الأوقات المختلفة ، وبعض المأثور على بعض رجال التصوف كأبى الحسن الشاذلى ، ثم يعرض منزلة بعض العلماء المعروفين وآثارهم العلية الدينية ، كالإمام الغزالى والشيرازى والنواوى وبعض كبار المتصوفين كالأخوص وابن عربى .

أما مراجع الكتاب الشيخ عبد الوهاب ، فقد قام بواجبه فى تصحيح الكتاب ومراجعته وإن كان فاته التعليق على بعض آرائه لاسيما ما فيه من بعض الشطط ، وهذا التعليق كان ضروريا لتم فائدة الكتاب .

محمد عبد الله السمانه

عز الدين بن عبد السلام بائع الملوك، جاءت فى ستة فصول : العصور السياسية والاجتماعية والعلية فى عصر العز بن عبد السلام ، وسيرته وحياته، وشخصيته السياسية، وشخصيته العلية ، وشخصيته الاجتماعية ، ثم الفصل السادس والآخر ، الدولة الباطنية حيث تحدث عن العصر المتصوف ، وتصوف العز ، ورأيه فى التصوف .

المؤلف بذل مجهودا مشكورا فى الكتابة عن شخصية إسلامية وعالم فذ لم يبع دينه بديناه بل واجه طغيان الحكم فى عنفوانه ، وأثبت جدارته بلقب العالم الدينى العالم .

إلا أن المؤلف ، وهو شاب مثقف فى أول مرحلة حياته ، سار فى ترجمة للعز بن عبد السلام على المنهج القديم فى الترجمة للشخصيات الفذة ، وكأنما السزيم المراجع القديمة فى سوق القصص والأحداث ، وكنت أود أن تبرز عظمة الشيخ فى إبراز مبادئه ومثله الرفيعة .

وهذا هو الهدف الأساس من الترجمة للعظماء كما أن رأى الكاتب فى الدراسة لم يكن له مكان ملحوظ . وقد أضاف بحثا إلى الكتاب تحت عنوان (حياة فكر) عرض الإسلام فيه منذ نشأته ، واستغرق زهاء ثلاثين صفحة . وكان يكنى الإمام السريع بالفترة التى سبقت العز ليعطى صورة ناطقة عن عصره .

ولكتاب المؤلف بعد ذلك تقديرنا .

آراء وأحاديث

سافر إلى بيروت عبر البحر :

يقع مثل هذا التعبير في الصنف بين حين وحين ، وقد اختلف أهل اللغة المعاصرون في صحة هذا الاستعمال ، ولكنني وقفت على شاهده في (تاريخ الإسلام وطبقات الأعلام للذهبي ج ١ ص ١٢٣ المطبوع حديثاً بالقاهرة) وهو قول سواد ابن قارب :

فشمرت عن ساق الإزار ووسطت

في الذعلب الوجناء (عبر السباسب)
الذعلب : الناقة السريعة ، السباسب جمع سبب وهي المفاصل . على برهان

ضبط الرصافة :

يتمسك كثير من أولئك بوجوب ضم راء (الرصافة) واقفين عند نص الفيروز آبادي ولو أنصفوا لحولوا أعينهم إلى ما كتبه شارح القاموس على هامش المادة وإذا علموا أن الفتح والضم سيان ، وفي ظني أن الفتح في مثل هذه الكلمة أرق وأجمل ، وما أحسب (علي بن الجهم) طيب الله ثراه قد نطق بها إلا مفتوحة الراء حين قال بيته الخالد :

عيون المهايين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث ندرى ولا ندرى
عمر لطف

أسماء غير ممنوعة منه الصرف :

جرى النحاة على اعتبار كلمة (أشياء) ممنوعة من الصرف والتسوا لذلك الحكم عللاً غريبة ، فمنهم من اعتبرها اسماً مفرداً منتبهاً بالآلف الممدودة ليبرر منعها من الصرف ، وهذا غريب جداً ، لأن قصد الجمع واضح كل الوضوح في هذه الكلمة ، ومنهم من قرر أنها محولة عن (شيء) ، ومنهم من تعسف فادعى أنها جمع (شيء) على وزن (شيء) وقال إنها في الأصل (أشياء) على وزن (أدياء) ثم حصل فيها ما ادعاه من قلب وحذف مما لا محل لعرضه على القارئ .

والذي استطعت أن أهتدي إليه بعد روية وتأمل أن الكلمة جمع (شيء) ووزنها أفعال ومثالها جمع (فاء) وهو أفياء وحققاً أن تكون مصروقة كما صرفت (أفياء) وأمثالها ولا حاجة لمن منعها الصرف بورودها غير منونة في الشعر لأن الضرورة الشعرية

مقطعان من لفظ واحد يحدث منهما شيء واضح من النقل الذي يأباه تآلف النغم في القرآن الكريم . وهذا التآلف من أسرار الإعجاز ، فقرئت كلمة (أشياء) غير منونة لأنها مرتبطة بجملة الشرط بعدها ارتباط الموصوف بالصفة وذلك يقتضى وصلها وهذا يوجب تكرار لفظ (إن) مرتين متواليتين ، فمن أجل ذلك لم تنون (أشياء) ومن هنا جاءت فروض النحاة ، والحق أنها مثل كلمة (أفياء) في الوزن والإعراب .
مصطفى شبل

نُصْرَدُ فِي اللَّفْظِ لَا مُوجِبٌ لَهُ :

علم الله أنني حريص على سلامة اللفظة ، ولكنني أكره التزمّت فيها ، وأبغض شيء إلى نفسي الإمعان في الجدل إلا جديلاً يكشف حقاً ، أو يدحض باطلاً ، أو يهدي إلى الرشيد وقد ضقت ذرعاً بمسائل كثيرة تتعلق بها بعض من حسنت نيّتهم أو ضاق أوقعهم ، أو استولى عليهم الغرور ، وأحب أن يتسع نطاق البريد بمجلة الأزهر الغراء لنشر هذه المسائل ، فمنها :

١ - يحرص كثير من أهل الفضل والدراية على تغيير لفظ العلم السكّنيه المصدر بأب إذا كان مضافاً إليه ، فيقولون مدرسة أبي حفص ، ومدرسة أبي المطامير ، جريا

تبيح صرف الممنوع والعكس ، ولكنهم وجدوها في القرآن الكريم في سورة المائدة غير منونة .

فقد جاءت في قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، ويخيل إلى أن عدم تنوينها ليس نتيجة علة من العلة التي أوردوها ولكنها نتيجة القاعدة العامة التي اتفق عليها النحاة وهي جواز صرف الممنوع من الصرف وصرف الممنوع للتناسب والضرورة وما التناسب إلا مراعاة الانسجام في جرس الكلمات واتتلاف النغم بين أجزائها ، ولذلك قرئ في المتواتر « سلاسل وأغلا لا وسعيرا » ، وكلمة سلاسل بمنوعة من الصرف لأنها صيغة منتهى الجموع ولكنها صرفت لتنسجم مع أغلا لا وسعيرا) وقرئ « ولا يفوت ويعوقا ونسراً » و (يفوت ويعوق) بمنوعان من الصرف للعلية ووزن الفعل ولكنهما صرفا في هذه القراءة المتواترة لينسجم جرسهما مع (نسرا) وكذلك « كانت قواريرا ، قوارير من فضة قدروها تقديرا » فإن قوارير الأولى نونت لتناسب فواصل الآيات ، فالمحافظة على حسن الجرس والانسجام من عادة العرب والقرآن الكريم نزل على رسول الله بلسان عربي فلم لا نقول إن كلمة (أشياء) لم تنون لظرف خاص في محيطها في الآية السكّينة إذ لو نونت لتوالى

التأنيث في أشهر الموسوعات اللغوية ، وقد غاب عنهم ورودها في (المخصص) للعلامة (ابن سيده) في باب ألوان العيش والنعم (أو كال قال) ويعلم الله كم جرى قلبهم الأحمر والأزرق على كلمة الهناء شائخين مزهوين وكم نال (ابن نباته) الشاعر الظريف من الزاوية والاستخفاف حين طرق أسماعهم ببسته الرشيق :

هنا معا ذاك العزاء المقدما
فما عبس المحزون حتى تبسما
محمد برهام

أصنع من ذي قبل :

كثيراً ما يعترض القارئ ويجرى على ألسنة المتحدثين هذا الأسلوب - ومنهم من يكتفي بفحواه وما يتبادر إلى الذهن من معناه ، غير باحث فيما بنى عليه من أساس لغوي ، أو قاعدة نحوية ، ومنهم من يحرف الكلم عن مواضعه فيزعم أن اللفظ الأخير منه وهو (قبل) بفتح الباء لا يسكونها ، ويفسى أن هذا الضبط يفضى إلى قصور في المعنى وتعسف كبير ، إذ القبل كل شيء في مستهل وجوده على حد تعبير المعجمات : وما زلت أبحث في هذه المسألة وأدير الحوار حولها مع الثقافات من أهل البصر باللغة حتى انتهت إلى ما أعتقده فيها . والخلاصة أن كلمة

على قاعدة جر المضاف إليه بالياء إذا كان من الأسماء الخمسة ، وقد يقعون بحسن نية فيما يدعو إلى السخرية فيقولون : مدرسة بنى أبي الريش يريدون مدرسة البنين ببلدة أبو الريش ، ولو علموا أنه يجوز حكماً لإثبات الكنية على أشهر أوضاعها ، وهو صيغة الرفع بالوار لأراحوا واستراحوا .

وأظن الإمام الشيخ حمزة فتح الله قد عقد بحثاً لذلك في كتابه (المواهب الفتحية) وقرأ أحد الصحابة (تبت يدا أبو لهب) كما في تفسير العلامة (أبو السعود) .

٢ - يلتئمت بعضهم بوجوب جر كلمة (أثناء) فيقولون مثلاً (يلعب البرق في أثناء السحاب) ، وهم يعتمدون في هذا التزم على ورود الكلمة في جميع المراجع اللغوية التي بأيدينا على هذه الصورة ، ويقول النحاة إن اسم المكان لا يقبل النصب على الظرفية إلا مبهماً لا تحصر حدودها فيما أضيفت إليه وهذا بلا شك كلام صحيح ، ولكن لم لا يكون نصب الكلمة جارياً على نزع الخافض ، وهو كثير جداً في كلام العرب وجعله بعض العلماء قياسياً في المصادر المؤولة من (أن) وما دخلت عليه بل في غير المصادر من الأسماء الصريحة ؟ .

٣ - ما زال بعض الأدباء ينسكرون كلمة (الهناء) لعدم ورودها مجردة من تاء

هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) وقوله
وقوله جل وعلا (ها أنتم أولاء تحبونهم
ولا يحبونكم) وقول الشاعر :

إن الفقى من يقول ها أنذا

ليس الفقى من يقول : كان أبى
وقد غلا كثير منهم فى تطبيق هذا الحكم
غلوا كثيراً مع تخلفه فى مواطن شتى من
كلام البلغاء والعلماء الذين يقتدى برأيهم .
كالعلامة (ابن هشام) فإنه أورد هذه القاعدة
فى (المعنى) ولكنه جرياً وراء فطرته فرق
بين ما يجب فيه ذلك وما لا يجب فقال فى
مقدمة الكتاب قوله :

(وها أنا بائح بما أسررتة) بدون أن
يخبر باسم الإشارة وقال (البحرى) وهو
من هو فى صفاء الأسلوب .

ها هو الشيب لائماً فأفئق
واتركيه إن كان غير مفئق

ولا يمكن وقوع (البحرى) فى هذا
الخطأ إن كان الحكم السابق مطرداً فى جميع
الأحوال . والحق أن النحاة لم يوجبوه
ولكن كثيراً من الواقفين على شاطئ العلوم
لا يفرقون بين أسلوب وأسلوب ،

ولا يتعمقون المباحث العلمية حتى يقفوا على
أسرارها ، فيقضوا فى الأمور على بينة ،
ولمى — ولا أذكرى نفسى — أستطيع أن
أعرض على القارىء ما أراه سبباً لتخلف

(قبل) ظروف مبنى على الضم لحذف
المضاف إليه ، ونية معناه كبقية (الغايات)
وهى ظروف محصورة فى كتب النحاة منها :

بعد ووراء وخلف إلخ . . وأن كلمة (ذى)
ليست بمعنى صاحب كما يتبارى إلى الذهن
ولكنها اسم لوصول يستعمل فى لغة طيء
للفرد وغيره مذكراً ومؤنثاً كما هو منصوص
عليه فى المصادر النحوية كشرح (ابن عقيل)
وحاشية الخضرى ، وأنها قد تأتى مبنية
بلفظ واحد وهو (ذو) رفماً ونصباً وجراً ،
وقد تعرب بالواو رفماً وبالألف نصباً
وبالياء جراً عند قوم من طيء فتكون فى
أحوال الإعراب مثل (ذى) بمعنى صاحب
التي هى من الأسماء الخمسة ، وعلى هذا الوجه
يمكن توجيه الأسلوب ، ويسكون الظرف
المبنى على الضم صلة الموصول باعتباره شبه
جملة حسب ما شرحه النحاة .

وإذاً يكون المعنى : هذا الشيء خير
من الذى كان قبله ، أو هذه الحالة أحسن
من التى سبقتها وهكذا . وبذلك يستقيم اللفظ
وينسجم مع المعنى المراد والسلام .

حسين البشبيشى

فى محبطة النعم :

اشتهر بين المتأدبين أن الضمير المسبوق
بها التنبيه يخبر عنه وجوباً باسم الإشارة
الذى يناسبه ومثاله قول الله تعالى (ها أنتم

تعقيب . وافتراح

الأستاذ العبقري مدير ورئيس تحرير
مجلة الأزهر .

تحية طيبة مباركة . وبعد فإن المجلة التي
شرفت برياستكم طلعت علينا في عدد
جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ تحمل نقداً
وتحليلاً لكتاب (فلسفة تاريخ محمد للأستاذ
محمد جميل بيهم) بقلم الكاتب الأستاذ محمود
الشرقاوى وقد عقب عليه الأستاذ الجليل
عبد الرحيم فوده - (بلفت نظر) الكاتب
إلى بعض هنات وقت للؤلؤ ثم جاء في العدد
الذى يليه - استدراك وتعقيب ، ولفت
نظر ، وحول (لفت نظر ، وكلها تدور
حول تحديد معنى المعجزة ، وكان حرياً
بهؤلاء جميعاً ألا يعيروا مثل هذه المسألة
اهتماماً ، لأن الإحاطة بالأسماء علم لا ينفع
وجهل لا يضر ، والله در محمد بن سيرين
التابعى الجليل حيث يقول : (العلم أكثر
من أن يحاط به ، فخذوا من كل شيء
أحسنه) وأحرى بهم أن يطلعوا على تفسير
الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » - في تفسير
المنار لتليذ الشيخ محمد عبده السيد رشيد
رضا (عليهما الرحمة والرضوان - ص ٣٣٦

هذه القاعدة في بعض الحالات ، يبدو لى أن
الأساليب المقرنة بالتحدى هى التى لا تخلو
من أسماء الإشارة ، فالآيتان الكريمتان فيها
إنكار شديد وعتاب لاذع للؤمنين الذين
لا يزالون يوادونهم ويحبونهم مع استقانة
البغضاء فى أفواههم ، وتماديهم فى معاندة
الإسلام والكيد للسليين ، ولما كان اللوم
شديداً على نفوس المؤمنين ومظنة لمحاولة
التنصل منه حسن الإخبار باسم الإشارة
زيادة فى تصوير موجب اللوم حتى كأنه
مصور محسن لا يمكن التنصل منه ، وكذلك
الشأن فى البيت فإن معنى التحدى واضح فيه
كل الوضوح (وزيادة فى الفائدة يحسن
الإشارة إلى أن بعض المفسرين يعتبر اسم
الإشارة فى الآيتين منادى مع حذف حرف
النداء) ثم نرجع إلى صميم البحث فنقول :
أما إذا خلا الكلام من معنى التحدى فقد
حسن (أو جاز على الأقل) تجديد الكلام
من اسم الإشارة ، وبهذا يكون (البحرى)
على العهد به فى تفهم مقتضى الحال ، والإتيان
بما يطابقه من الكلام فيكون كلامه جارياً
على سجيته : من الجودة والرصانة كما كانت
الآيتان الكريمتان فى الذروة من البلاغة
لأنهما طابقتا كل المطابقة مقتضى الحال .

الاسكندرية — منصور عامر

يسير مع الحق حيث سارت ركائبه (أقول بصراحة إن الأزهر قد خطا خطوات في اتساع دائرته ، ولكنه لا يزال في عزلة القديمة بالنسبة لتقليد المذاهب وترك السنة ، أسأل الله أن ينير بصائرنا جميعاً ، ويوفقنا إلى اتباع كتاب الله وسنة رسوله وأن يعصمنا من الخطأ والسلام على من اتبع الهدى .

محمد عبد الرحيم القناوى
جامعى سابقاً

دخول امتحان الإلهادية والثانوية الأزهرية من الخارج

وافق فضيلة الامام الاكبر على إباحة دخول امتحان الشهادات الإعدادية والثانوية الأزهرية المعادلة من الخارج تيسيراً على الطلاب الذين فصلوا لاستنفاد مرات الرسوب وتمكيننا للذين حالت ظروفهم الخاصة دون الاستمرار في الدراسة، وذلك بشرط أن يكونوا حاصلين على الشهادة السابقة عليها وأن يكون قد مضى على حصولهم على هذه الشهادة مدة الدراسة المقررة للرحلة المراد نيل شهادتها ، وأن يكون امتحانهم في كل مواد هذا القسم .

وافق فضيلة الامام الاكبر على إباحة

جزء أول . هنالك يجدون ما كان يقرره الشيخ محمد عبده لتلامذته في الدرس - أن الكلام في الأمم المؤمنة بأنبيائها واتبعت شرائعهم قبل أن يبدل دينهم وأن يفسخ شرعهم ، فالله يقول : إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية ، وإنما يكون بالإيمان صحيح له سلطان على النفوس ، وعمل صالح يصلح به حال الناس . وعلى هذا فلا إشكال في عدم اشتراط الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ، في الآية على أن القرآن حلقات متصل بعضها ببعض ، والله يقول : (١) « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد امتدوا ، وإن تولوا فإني ما في شقاق . . . » .

هذا وإنى أنصح لرجال الأزهر وخاصة الذين لهم مكاتهم الرسمية أن يتقدموا بأقلامهم وجاههم إلى أصحاب السلطان في الأزهر أن يدرسوا كتب السنة بدلا من المذاهب فإن في هذا تيسيراً للسلبين وخيراً كثيراً وحتى تكون الفتوى صادرة من معدنها الصافي .

(٢) إن الفقه قانون الحياة ، والحياة في تطور ، فيجب على الباحث أن يكون حراً في حياته العملية لا يلتزم مذهباً معيناً ، بل يتوخى المعنى الصحيح

(١) سورة البقرة ١٣٧ .

(٢) لابن القيم .

لنعود بالامة الإسلامية إلى مجدها السابق ،
وعزها الضارب .

الإمام الأكبر يستقبل سفير النيجر

في لاوس

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود
شلتوت شيخ الأزهر السيد / حميدو ليغا
سفير النيجر في لاوس وضيف السيد الرئيس
جمال عبد الناصر ، وقد حمل الضيف إلى
فضيلة الإمام الأكبر تحيات المسلمين في النيجر
وتقديرهم الكبير للرسالة التي ينهض بها الأزهر
والجهود التي يبذلها خلال أكثر من عشرة
قرون في المحافظة على التراث الإسلامى ،
والدعوة إلى الله في كل مكان .

وقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الله قد
ربط بين المسلمين بحبله المتين وأمرهم
بالاعتصام به ، والتعاون على البر والتقوى ،
ونحن جميعاً متضامنون في الدعوة إلى الله
والمحافظة على دينه ، وإن أفريقيا التي تلقت
الإسلام بقلب خالص وعزم صادق في العصر
الأول للإسلام لا تزال في حيوياتها الدينية
وتمسكها بشريعة الله ، وسيكون لها أثره
الطيب إن شاء الله بعد أن تحرر أكثر دولها
من نير الاستعمار ، وأن الأزهر ليسره

دخول امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية
المعادلة هذا العام لطلبة المعاهد الأزهرية
الذين نجحوا ولم يحصلوا على درجات تؤهلهم
لدخول الجامعات وعددهم ٥٠٠ طالب .

وسيكون امتحان هؤلاء الطلاب على نظام
المنتسبين كفرصة أمامهم هذا العام .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الشؤون

الإسلامية في نروم :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود
شلتوت شيخ الأزهر السيد / محمد بل الفوتي
رئيس الشؤون الإسلامية في توجو ، وقد
تناول الحديث شئون المسلمين في إفريقيا ،
وجهود الأزهر في التعريف بالإسلام والدعوة
إليه ، وإمداد البلاد الإسلامية بالعلماء
والكتب الدينية والعلمية واستقبال الطلاب
الوافدين من شتى الأقطار الإسلامية .

ثم قال فضيلة الإمام الأكبر : إن جهود
الأزهر وقف على الدعوة إلى الله والمحافظة
على تراث الإسلام ، وإعداد الرواد في العالم
الإسلامى الذين ينهضون بأوطانهم ويقودون
حركات التحرير .

ثم استطرد سيادته قائلاً : إن الأزهر
ليضع يده في أيدي زعماء العالم الإسلامى

غض النظر عنها ، ومن ذلك إقحامه آية « والله المثل الأعلى » في الحديث عن المثالية . ثم تفسيره المثل بأنه ما يحتذى به ويقاس عليه ، فقد أغفل أو أهمل ما ذكره المفسرون من أن المثل هنا بمعنى الصفة ، ونسى أو تناسى قول الله « ليس كشله شئ » وهو السميع البصير ، ولو ذكر ذلك أو شئنا بما قيل في ذلك لاستقام في تقديره ما قاله بعض العلماء في تفسير المثل الأعلى بأنه « لا إله إلا الله ، فإن معناها يننى أن يكون الله مثالا أو مثالا . وينتق أن يكون المثل في الآية بمعنى النظير والمثيل ...

وقد ذكر الزحشرى في تفسير المثل الأعلى أنه الغنى عن العالمين ، والنزاهة عن صفات الخلقين على أن كلمة المثالية من الكلمات الوافدة المستوردة ، وهى من المصادر الصناعية التى تشير إلى خصائص جنس ما تدل عليه الكلمة ، وليس بينها وبين الإسلام نسب أو سبب وإنما هى تنسب إلى نظرية المثل وبلاد التماثيل ، ولو كان المثل هو الرسول كما يقول الله « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » لكان لنا أن نعتذر عنه لتبرير ما قيل ...

عبد الرحيم فردة

دائما أن يلبي مطالب المسلمين وأن يسعى لهم في سبيل نشر الدين .

استحداث الشهادات العامة

بالمعاهد الأزهرية

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر قراراً بمواعيد امتحان الشهادات العامة بالمعاهد الأزهرية . وقد تحدد يوم السبت أول يونيو سنة ١٩٦٣ لامتحان الشهادة الإعدادية الأزهرية و امتحان شهادة المرحلة الأولى بمعهد البحوث الإسلامية ، كما تحدد يوم السبت ١٥ يونيو سنة ١٩٦٣ لامتحان الشهادة الثانوية الأزهرية المعادلة وشهادة المرحلة الثانية بمعهد البحوث الإسلامية .

المعالية :

يرى القراء فى هذا العدد مقالا عن المثالية فى نظر الإسلام لفضيلة الأستاذ محمد المدنى وفضيلته من كتاب المجلة ومن عمداء إحدى كليات الجامعة الأزهرية ، ولهذا لم يكن بد من نشر المقال وإلقاء تبة كلامه عليه دون غيره . غير أن الأمانة العلمية تستوجب لفت النظر إلى ما فى هذا المقال من أخطاء لا يمكن

باب الفتاوى :

مِنْ أَضَائِرِ الْجَنَةِ الْفِتَوَى

ابراهيم محمد الاصيل

بشرف عليه :

السؤال :

إلا وقد أمنه على دينه، فالمدین موسر في تلك الحالة فلا تنطبق عليه الآية، وبالتالي فلا حرمة على الدائن فيما فعل .

وعن الثاني : نفيد بأنه يجب الزكاة في كل ما جاز استنباته من الأرض ، قليله وكثيره ، ومن ذلك الدخان ؛ لأن استعماله لا يحرم إلا إذا أضر بالجسم أو المال

وعن الثالث : نفيد بأنه إذا كانت عشيرة فعليه العشر إن كانت الأرض تسقى سبحة أو بماء الأمطار وعليه نصف العشر إن كانت تسقى بمعالجة وتكاليف .

السؤال :

هل يجوز اعتبار الأموال المدفوعة للحكومة أى (مصلحة الضرائب) عن قيمة الأرباح التجارية من أصل المطلوب من زكاة المال أم لا يجوز ؟ .

عوض بسيوني فيوض

تاجر بفيشا - سنهور بحيرة

١ — رجل له على آخر دين وطالبه بسداده فاقترض المدين من البنك بغائدة وسدد الدين فهل على الدائن حرمة ؟

٢ — هل في الدخان أو الزرع زكاة ؟

٣ — رجل لا تكفيه غلة أرضه فهل عليه في الخارج زكاة ؟

عبد الفتاح يلدشن - تركيا

الجواب :

نفيد عن الأول : بأنه إذا كان للدين طريق يوفى بالدين كان موسرا ولا حرمة على الدائن حينئذ في مطالبته واستيفاء دينه ، أما إذا لم يكن له طريق آخر يسدد منه غير طريق الاستدانة بالرأيا فإنه في تلك الحالة يعتبر معسرا ، وعلى الدائن حينئذ أن يمهله إلى ميسرة (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) . والظاهر في مسألتنا أن البنك لم يقرضه

الجواب :

لا يغنى دفع الضرائب التي تفرضها الحكومة عن الزكاة الشرعية ؛ لأن الضرائب ليس لها مقدار محدود شرعا بل يرجع الأمر في تقديرها إلى ما يراه المسؤولون في الدولة استجابة لمصالحها ، وليس لها أيضا مصرف معين شرعا بل مصرفها مصالح الدولة . أما الزكاة فهي مقدار من المال محدود شرعا بأنه ربع العشر في النقدين وعروض التجارة . والعشر أو نصفه في لزروع والثمار ، وفي المواشي من مخصوصة في كل عدد منها يجب فيه الزكاة ، وللزكاة مصارف معينة في قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية » والخلاصة أنه لا بد من إخراج الزكاة ولا يغنى عن ذلك دفع ضريبة الأرباح التجارية .

السؤال :

أولا : تاجر له أموال عند أناس أصبحوا في حالة عجز عن السداد . هل يجوز اعتبار هذه الأموال أو جزء منها من الزكاة المفروضة عليه شرعا ؟

ثانياً : لهذا التاجر ابن يعول أسرة . وقد غدا في حالة إملاق بعد أن أفلس تجارته . هل يجوز إعطاؤه من الزكاة التي يخرجها أبوه ؟

محمد محمد عباسي

الجواب :

يجوز شرعا احتساب الدين المذكور من الزكاة المفروضة على ما ذهب إليه بعض الأئمة كما جاء في شرح المذهب للإمام النووي رحمه الله في صفحة ٢١٠ ج ٦ ونصه : « إذا كان لرجل على معسر دين فأراد أن يجعله عن زكاته وقال له جعلته عن زكاتي ، فوجهان حكاهما صاحب البيان أحدهما لا يجوز ، وبه قطع الصيمري ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد ؛ لأن الزكاة في ذمته فلا يبرأ إلا بإقباضها ، والثاني يجوز وهو مذهب الحسن البصري وعطاء لأنه لو دفعه إليه ثم أخذه منه جاز ، فكذا إذا لم يقبضه ، كما لو كان له عنده دراهم وديعة ودفعها عن الزكاة ، فإنها تجزئه سواء أقبضها أم لا .

وترى اللجنة الأخذ بالقول الثاني تيسيراً على الناس - كما نفيد أن لهذا التاجر أن يعطى ابنه المذكور من زكاة ماله .

السؤال :

دارت بين بعض المتعلمين مناقشة بخصوص الزكاة وتفرق رأيهم فيها فأردت أن أقدم إلى الجهة التي رأيها القاطع وقولها الفصل للاستشارة في ركن من أركان الإسلام وها هو نص السؤال :

استأجر رجل أرضاً من آخر فأتتجت

ومذهب الإمامين مالك والشافعي أن
زكاة الزرع على المستأجر ولا تسقطها
أجرة الأرض ولا الخراج مهما بلغا
ولو استغرقا الزرع ، وإذا لم يقدر المستأجر
على إخراج الزكاة لأى سبب من الأسباب
تبقى ديناً عليه يخرجها عنه - عند المقدرة ،
ولا عبرة باحتياج الزارع إلى الزكاة ولو في
قوته وقوت عياله .

ومذهب الإمام أحمد أن زكاة الزرع
على المستأجر ، وأن الدين يسقطها إذا لم
يوجد مال آخر للزارع يسدد منه الدين ،
ومن الدين الذى يسدد أجرة الأرض
والنفقات التى أنفقت عليها .

هذه هى آراء الأئمة وترى اللجنة أن
الأرفق بالعباد فى هذا الزمان هو الأخذ
برأى الإمام أبى حنيفة .

السؤال

كثيراً ما نسمع من الناس قسماً (وحياة
النبي محمد أفعل كذا) فهل هذا قسم له كفارة؟
«ولذا كان ليس له كفارة فما جزاء الحانث
فى هذا القسم ، وهل يعتبر قسماً أو لا؟»

محمد السيد الخواص

شارع سوق العطارين رقمه اسكندرية

الجواب

قال صلى الله عليه وسلم من كان حالفاً فليحلف

زرعاً يزيد على النصاب ولكن لإيجار الأرض
يستغفره ولا يبقى للمستأجر شيء ، فعلى من
تجب زكاة الزرع : على المؤجر أو المستأجر ؟
وإذا كان الناتج يزيد على الإيجار المقرر ، فهل
تجب الزكاة فى الزائد فقط أو الزرع كله ؟
وإذا لم يقدر المستأجر على دفع الزكاة فهل
تصبح ديناً عليه يخرجها عنه عند المقدرة ؟ وهل
يفنى المال الأميرى الذى تجنيه الحكومة عن
الزكاة ؟ وإذا كان ما ينتج من الأرض
المستأجرة لا يزيد عن الإيجار وقوت
الأولاد فى العام فهل تخرج الزكاة ؟ وإذا زاد
الناتج عن الإيجار وقوت الأولاد وكان على
المستأجر دين فما الأفضل دفعه : الزكاة
أم الدين ؟

محمد محمد النادى

ناظر مدرسة الشيخ درغام الابتدائية للبنين
بدمياط

الجواب :

مذهب الإمام أبى حنيفة أن زكاة
الزرع على مالك الأرض لأعلى المستأجر ، وأنه
لا يجمع عنده بين عشر وهو الزكاة وبين
خراج وهو ضريبة الأرض ، فالزرع فى
الأراضى المصرية المستأجرة لا زكاة فيها على
مذهبه ؛ لأنها لا تجب على المستأجر ولأن
المالك يدفع الخراج للدولة .

حجة الإسلام، ويراعى فيمن يحج عن غيره أن يكون قد أدى فريضة الحج عن نفسه وإلا فلا يصح حجه عن غيره .

والأفضل أن يحج السائل هنا بنفسه عن والده ليكون ذلك أضمن في أداء النسك على الوجه الأكمل .

بالله أو ليصمت، ومفاد هذا أن القسم بغير الله لا يجوز، ولا يلزم به كفارة؛ لأنه ليس يميناً شرعية .

فليستغفر الخالف بغير الله ربه سواء برقى يمينه أم حنث .

السؤال :

السؤال :

أولاً : هل يجوز تربية الكلاب لحراسة الدار وغيره أو لا يجوز ؟ .

ثانياً : هل إذا لحس الكلب أحداً أو مسه وهو مبلول بالماء أو غيره ، ولم يغسل محل اللحس والمس مقلداً للإمام مالك رضى الله عنه في طهارته وطهارة ريقه ، ويتوضأ ويصلى على مذهب الإمام الشافعى ، ويقلد من يجوز التلفيق في القضيتين ، هل يجوز ذلك أو لا يجوز ؟ .

ثالثاً : هل قول الإمام مالك بطهارة الكلب مخالف لدين الإسلام وخارج منه أولاً ؟ .
راج كلتئين رئيس المجلس الدينى

الجواب

عن السؤال الأول : تربية الكلاب واتخاذها لمنفعة شرعية كالصيد وحراسة الدور وغيرها جائز شرعاً ، فقد جاء في صحيح مسلم وسنن ابن ماجه وأبى داود والنسائي

بجولة شهرية مصورة ترصد جوائز شهرية للقراء بعضها مالية والبعض الآخر حق اشتراك سنوى بالجمان فى الجولة فما حكم هذه الجوائز ؟
سيد أحمد حسنين

الجواب :

هذه الجوائز مكافآت تشجيعية تبرع بها المجلة لأغراض نافعة ليس فيها شئ من المفاسد التى يمتنعها الدين فلا مانع من قبولها .

السؤال :

يريد أن يهب حجة لوالده المتوفى ويسأل هل الأفضل أن يحج بنفسه أم ينيب فقيراً ؟
على أبو سيف

الجواب :

يجوز شرعاً أن يحج الإنسان عن غيره إذا كان الغير قد توفى إلى رحمة الله ولم يحج

الشیطان فاجتنبوه. وهذا عام في كل ما يخامر العقل أى يغطيه ويحدث به نشوة وطربا. وقد وردت الأحاديث النبوية بما يفيد أن الخمر عام في كل مسكر من ذلك ما جاء: عن النعمان ابن بشير قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام إن من الحنطة خمرأ، ومن الشعير خمرأ، ومن الزبيب خمرأ، ومن التمر خمرأ، ومن العسل خمرأ، وإنما أنهى عن كل مسكر. رواه أحمد. ومنها ما جاء عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل مسكر خمر، وكل خمر حرام. ومنها كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، كما جاءت الأحاديث بتحريم القليل بما يسكر كثيره. من ذلك ما جاء عن سعد ابن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قليل ما أسكر كثيره. وبما تقدم يعلم أن كل ما يخامر العقل فهو خمر، وهو من مشمولات النهى وإن عمله الناس بغير اسم الخمر. فقد جاء عن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليشربن أناس من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه.

وخلاصة هذا أن البوطة من الخمر وأنها حرام قليلها وكثيرها إذ من شأنها الإسكار. خصوصا إذا لاحظنا مع هذا أنها مضرة بالصحة تالفة للبال.

أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في كلب الغنم والصيد والزرع.

عن السؤال الثاني: تليفق المصل في الحادثة المستول عنها، وأخذه من كل مذهب شيئا من أحكامه جائز على الراجح من مذهب الإمام مالك رضى الله عنه.

عن السؤال الثالث: مسألة طهارة الكلب من المسائل التي ليس فيها نص قاطع، بل هي من المسائل الفرعية الاجتهادية التي اختلف فيها الأئمة رضوان الله عليهم، فمنهم من رأى طهارة الكلب، ومنهم من رأى نجاسته، وقد ذهب كل منهم إلى رأيه لدليل ترجح عنده، فلا يصح أن يعتبر قول الإمام مالك بطهارة الكلب خروجاً عن الدين، أو مخالفا للإسلام.

السؤال :

ما حكم الشرع في الشراب المعروف بالبوطة؟

الجواب :

الشراب المعروف بالبوطة سواء أكان متخذاً من القمح أو الشعير أو غيرهما إذا أسكر كثيره فقليله حرام، إذ هو حينئذ خمر فإن الخمر ما خامر العقل وهو يشمل كل مسكر من أى نوع كان وقد قال تعالى: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل

وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ولذا فهي داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والسكر لفظاً أو معنى .

وقد تكلم رحمه الله عنها أيضاً غير مرة في فتاواه فقال ما خلاصته (الحشيشة الملعونة هي وآكلوها ومستحلوها الموجهة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة صاحبها لعقوبة الله تشتمل على ضرر في دين المرء وعقله وخلقه وطبعه وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً بجانين وتورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك ما لا تورث الخمر، ففيها من المفاصد ما ليس في الخمر فهي بالتحريم أولى . والكثير والقليل منها حرام أيضاً بالنصوص الدالة على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر) انتهى وقد تبعه تلميذه الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله فقال في زاد المعاد ما خلاصته: (أن الخمر يدخل معها كل مسكر مائعاً كان أو جامداً عصيراً أو مطبوخاً فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور (هي المعاجين المعروفة الآن بالمنزول) (فالحشيشة خمر بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح الصريح الذي لا مطعن في سنده ولا إجمال في سنته ، (إذ صح عنه قوله كل مسكر خمر) وصح عن الصحابة رضی الله عنهم - الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده: أن

السؤال :

هل شرب الحشيش أو أكله حرام ؟
لإسماعيل مرسي

الجواب :

لا ينبغي لمسلم أن يشك أو يرتاب في أن تعاطى الحشيش على أى وجه ، حرام لأنه يؤدي إلى مضار جسيمة ومفاصد كثيرة فهو يفسد العقل ويفتك بالبدن إلى غير ذلك من المضار والمفاصد فلا يمكن أن تأذن الشريعة التي جاءت بما يحفظ العقل والبدن والدين والعرض والمال بتعاطيه مع تحريمها لما هو أقل منه مفسدة وأخف ضرراً . ولذلك قال بعض علماء الحنفية — إن من قال بحل الحشيش زنديق مبتدع — وهذا دلالة على ظهور حرمة ووضوحها . ولأنه لما كان الكثير من الحشيش يخامر العقل ويغضيه ويحدث من الطرب واللذة عند تناوله ما يدعوهم إلى تعاطيه والمداومة عليه ، كان داخلياً حرمه الله تعالى في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الخمر المسكر . قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب المبايعات الشرعية ما خلاصته : (إن الحشيشة حرام يحد تناولها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث

الخمر ما غامر العقل - على أنه لو لم يتناول لفظه صلى الله عليه وسلم كل مسكر لكان القياس الصحيح الصريح الذي استوفى فيه الأصل والفرع من كل وجه حاكماً بالتسوية بين أنواع المسكر . فالتفريق بين نوع ونوع تفريق بين المتماثلين من جميع الوجوه انتهى - وقال صاحب سبل السلام (يحرم ما أسكر من أى شيء وإن لم يكن مشروباً كالخيشة) ونقل عن الحافظ ابن حجر (أن من قال إن الخيشة لا تسكر وإنما هى مخدر مكابر فإنها تحدث ما تحدثه الخمر من الطرب والنشوة) ونقل عن ابن البيطار من الأطباء (أن الخيشة التى توجد فى ممر مسكرة جداً إذا تناول الإنسان منها قدر درهم أو درهمين ومفاسد كثيرة . عد منها بعض العلماء مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية ومفاسد موجودة فى الأفيون وفيه زيادة مضار .

ومما ذكرنا يتبين أن الخيشة قليلا كان أو كثيراً حرام على أى وجه كان ، سواء أكان أكلاً أم شرباً .

السؤال :

هل كلمة سيدنا فى شهادة أن محمداً رسول الله واردة بصيغة الأذان الواردة أم لا ؟ .

عبد الفتاح سعد - البدرين

الجواب :

الأذان من الشعائر الدينية التى بين الرسول صلى الله عليه وسلم كقيمتها وصيغتها وليس فى هذه الصيغة كلمة « سيدنا » ، فى الشهادة بأن محمداً رسول الله ، وقد مضى على ذلك عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين وجميع الصحابة التابعين . لم ينقل بخلاف لذلك فى هذه العصور .

وترى بعض الشافعية - مع تسليمه بأن لفظ « سيدنا » فى الأذان لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن الأفضل زيادة هذا اللفظ فى الأذان مراعاة للأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام .

واللجنة ترى الاختصار على الوارد من غير زيادة هذه الكلمة ولا غيرها لأن الأذان سنة متبعة لا يزداد عليها ولا ينقص منها شيء .

بين الباب وقرائه

إلى السادة الأخوة الأفاضل الذين كتبوا للباب يطلبون خاصة على رسائلهم نذكر أن الردود ستصلهم قريباً إن شاء الله ، وسيقوم الباب بنشر بعض ما تحويه هذه الردود مما له صبغة عامة .

بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

إختيار وتعليق

عبد الرحيم فوره

يحتل مكان القلب منها .

كذلك أنشئت مدينة الفسطاط . فكان جامع عمرو حبر الأساس فيها ، ثم كان ما يحيط به خطاً للقبائل المختلفة تقيم كل قبيلة في الحطة المخصصة لها مساكنها ومتاجرها . وكذلك أنشئت مدينة العسكر بعد أن دالت دولة الأمويين وقامت دولة العباسيين فكان جامع العسكر كذلك حبر الأساس فيها . وكذلك أنشئت مدينة القطائع في عهد الدولة الطولونية فكان جامع ابن طولون في مكان القلب منها أو حبر الأساس فيها . ثم كان إنشاء القاهرة بعد ذلك . فكان الجامع الأزهر كذلك .

وهذه الحطة كانت سنة متبعة في كثير من المدن التي قام بإنشائها الخلفاء والولاة والقواد المسلمون ، فإننا نجد لها في البصرة والكوفة وفي كثير من مدن الشام ، ويرى بعض المؤرخين أن هذه السياسة أو الحطة ترجع إلى عهد عمر رضي الله عنه . بدليل ما كان يكتبه إلى الولاة - ومنهم عمرو بن العاص في هذا الشأن ، ولكن مد النظر إلى ما قبل

الجامع الأزهر

أنشئ أول ما أنشئ . ليكون مسجداً جامعاً ، ثم بدأت الدراسة فيه بعد إنشائه بعدة أعوام فصار مسجداً ومعهداً معاً ، ثم أقبل عليه العلماء وطلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامي ، فصار جامعة تدرس فيها علوم الدين والدنيا ، ثم امتحن العرب والمسلمون بالغزو والتتري ، والاستعمار الأوربي ، فكان منبر ثورة ، وحصن مقاومة ومقر قيادة . . ثم هو من قبل ومن بعد القلعة التي قامت على حراسة علوم الدين واللغة حتى الآن ، وبعد أن عمرت أكثر من ألف عام .

ذلكم هو الأزهر الذي أنشأه جوهر الصقلي عام ١٣٥٩ للهجرة (٩٧٠ م) ، بأمر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي .

ولم يكن لإنشاؤه في قلب القاهرة استجابة لرغبة طارئة ، أو فكرة عابرة ، وإنما كان تنفيذاً لحطة مرسومة ، وسياسة موضوعية ، جرى عليها الخلفاء والولاة والقواد المسلمون فيما كانوا ينشئون من مدائن وأمصار ، حيث كان يراد إنشاء مدينة كان المسجد الجامع

مدينة إسلامية ، ولا يقلل من أهمية هذا الاتجاه أن بعض المذاهب الأخرى لم تشرط المسجد الجامع ، فإنها مع ذلك تشرط لصحة صلاة الجمعة أن تكون في المصرا أو في الأبنية المجتمعة أو قريبا منها ، ولا شك أن الأمثل والأفضل مع هذا أن تكون في المسجد الجامع .
د . ع . ف ،

من بحث في تاريخ الأزهر
بكتاب الشعب « مساجد ومعاهد »

بصر المسجدين

واذكره بعد المسجدين (١) معظما
لمساجد الله الثلاثة مكبرا
واخشع مليا (٢) واقض حق أئمة
طلعوأ به زهراً (٣) وماجوا أبحراً
كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطانا وأنغم مظهرأ
زمن الخواف كان فيه جنابهم (٤)
حرم الأمان . وكان ظلهم الذرا (٥)

(١) يريد بالمسجدين . المسجد الحرام والمسجد
الأقصى .

(٢) مليا . زمانا طويلا .

(٣) زهر . جمع أزهرو وهو النير ويسمى القمر
الأزهر . والأزهران . للشمس والقمر ، فالمراد .
شيوخه للبيض القدين تألقوا في سماء الشرق كأنهم
كواكب .

(٤) الجناب فناء البيت . وماقرب من محلة القوم .

(٥) القدرأ بفتح القادال . للجبأ .

عهد عمر يرينا أن هذه الخطة ترجع إلى أبعد
من هذا العهد بقرون وأجيال ، فقد كان أول
بناء أنشئ بمكة هو بيت الله الحرام ، كما يفهم
من قوله تعالى « إن أول بيت وضع للناس
للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » ، ثم كانت
أول قبيلة نزحت إليه هي « جرهم » ، ثم تبعها
ولحقت بها قبائل أخرى فأقامت حول هذا
البيت العتيق ، وأقامت حوله منازلها ومتاجرها
فكانت مكة ، وكان بيت الله في مكان القلب
منها ، يحججه الناس من كل صوب وحذب
« رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج
عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله » ،
فليس من البعيد - بل من المحتمل القريب -
أن يرى المسلمون في هذه المدينة نموذجا
لما ينشثون من مدن وأمصار ، ولعل
مما يرجح ذلك أو يؤكد ما نبجده في الفقه
الإسلامي ، فإن مذهب الإمام مالك يشترط
لصحة الجمعة أن تكون في المسجد الجامع ،
ويشترط في المسجد الجامع أن يكون داخل
البلدة أو قريبا منها بحيث يمكن أن ينعكس
عليه دخانها ، كما يشترط لصحة الجمعة فيه أن
يكون مبنيا ، وأن يكون بناؤه على الأقل
مساويا للبناء المعتاد ولأهل البلد .

وهذا التفكير يلقي الضوء على هذه الخطة ،
ويمكن أن نرى فيه التفسير لهذا النظام
المعماري ومدى أهمية المسجد الجامع في كل

مجلة الاعتصام - من مقال للأستاذ محمد
على أحمد في الدس والافتراء على العلماء .

إله عمر يعلم

نهى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في
خلافته عن مذاق اللبن بالماء ، فخرج ذات
ليلة في حواشى المدينة . فإذا بامرأة تقول
لابنة لها : ألا تمذاقين لبنك ، فقد أصبحت؟
فقال الجارية : كيف أمذاق وقد نهى
أمير المؤمنين عن المذاق ؟ ! فقالت : قد مذاق
الناس فامذاق ، فما يدري أمير المؤمنين ،
فقالت : إن كان عمر لا يعلم فإنه عمر يعلم ،
ما كنت لأفعله وقد نهى عنه .

فوقعت مقالها من عمر ، فلما أصبح دعا
عاصما ابنه ، فقال . يا عاصم ، اذهب إلى
موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية -
ووصفها له - فذهب عاصم ، فإذا جارية من
بنى هلال : فقال له عمر : اذهب يا بن فتزوجها ،
فما أحرأها أن تأتى بفارس يسود العرب ،
فتزوجها عاصم بن عمر ؛ فولدت له أم عاصم
بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها
عبد العزيز بن مروان ، فانت بعمر
ابن عبد العزيز .

من كتاب قصص العرب تأليف
الأساتذة محمد جاد المولى بك ، ومحمد
أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى

من كل بحر في الشريعة زاخر
ويربكه الخلق العظيم غضنفرأ (١)
لاتخذ حذو عصاة مفتونة
يمجدون كل قديم شئ منكرأ
ولو استطاعوا في الجامع أنكروا
من مات من آبائهم أو عمرا
أحد شوق
من ديوان الشوقيات

مبصر سبطانه :

ومن لطائف ما وقع للعارف الشيخ
عبد القادر الجيلاني ما حكى عنه أنه قال :
ترأى لى مرة نور عظيم ملا الأفق ، ثم بدت
لى فيه صورة تنادىنى يا عبد القادر أنا ربك ،
وقد أسقطت عنك التكالييف ، فإن شئت
فأصبدنى ، وإن شئت فاترك فقلت له : إخصأ
يا لعين ، فإذا ذلك النور قد صار ظلاما ،
وتلك الصورة صارت دخانا ، ثم خاطبنى
اللعين فقال : يا عبد القادر ، نجوت منى بعلمك
بأحكام ربك . وفقهك فى أحوال منازلتك ،
ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من
أهل الطريق . فقيل للشيخ عبد القادر من
أين عرفت أنه شيطان ... ؟ فقال : بإحلاله
لى ما حرمه الله على لسان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فإنه تعالى لا يحرم شيئا على
السنة رسله ثم يبيحه لأحد فى السر أبدا .



هو مل معونة الشتاء :

إن لنا إعتراضاً على الشكل الذى إلتخذه حملة الدعوة إلى التبرع . فالشيء الذى يلفت النظر هو أن القائمين عليها من فرط حماسهم لعمل الخير ربطوا المشروع باشتراكيتنا وثورتنا ربطاً قد يثير البلبلة فى عقول البعض فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الوضوح ذلك أن بعض اللافتات كانت تقول « معونة الشتاء قلب الثورة » . والأخرى ادعت أن « معونة الشتاء عنوان لاشتراكيتنا » إلى غير ذلك من العبارات المبالغ فيها . ونحن قوم لا يزال الميل إلى المبالغة من بعض طباعنا . إن معونة الشتاء لا يمكن أن تكون عنواناً لاشتراكيتنا أو رمزاً لها . ولا يمكن أن تكون قلب ثورتنا إن الميثاق هو عنوان اشتراكيتنا وقلب ثورتنا ، الميثاق بما تضمنه من قيم تمجد العمل والحرية والديمقراطية ، وبما احتواه من أسس لتنظيم الشعب العامل حتى يمسك حاضره ومستقبله بيده يصوغها كما يجب أن يكون حاضر الإنسان ومستقبله .

الدكتور محمد الخفيف

من جريدة الأهرام

التعليق . . إذا كان القائمون على الدعاية لمعونة الشتاء قد ربطوا المشروع باشتراكيتنا وثورتنا فذلك - فيما أعتقد - لاتصال اشتراكيتنا وثورتنا بديننا ، فإنه الإطار

للاشتراكية التى تؤمن بها . وللدستور الذى نسير عليه ، والميثاق الذى يتوارى فى ظل الشتاء عليه الكاتب اللبق جداً - عفا الله عنه - يمجّد مع العمل والحرية والديمقراطية القيم الدنيوية والإنسانية ، وأول دستور طلعت به الثورة على الشعب ينص على أن دين الدولة الإسلام ، والتقرير الذى انبثق من ضمير الشعب واعتبر تفسيراً للميثاق ينص كذلك على ذلك ، فربط المشروع باشتراكيتنا وثورتنا لا يشير أية بلبلة ، وإنما يثير البلبلة ويزعزع الثقة مثل هذا الكلام الذى يخرج مسموماً من بعض حملة الأفلام

ظل إنتاجى

يا صاحبي إن مالى لا يظللنى
ولا يراعى ولا فأسى . ولا تاجى
ولا انقسابى ولا اسمى حين تذكره
إن كنت «أفطون» أو إن كنت «بلتاجى»
كل الظلال إذا ما الموت أدركنى
نفر منى إلا ظل إنتاجى
محمد السيد شحاته
شاعر البرارى

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور .
قرآن كريم

مجلة الزهراء

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المصنوع
إدارة إسماعيل الأزهر
بالقاهرة

١ ٤٦٤١٤

بصدور عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

يشارك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدلاً من الأستاذ
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
ولمدرستين والطلاب في جميع

الجزء السادس — السنة الرابعة والثلاثون — شعبان سنة ١٣٨٢ هـ - يناير ١٩٦٣ م

سما الله العليم

١٤
٢٤٤٤٦
دوريات

عصرنا الذهبي الرابع

بقلم : أحمد حسن الزيات

الأرستقراطية ، فلا يكاد خيرها يجاوز
النطاق الخاص ؛ فقااعات العروش ، وأبهاء
القصور ، ودواوين الحكم ، كانت تفيض بالثراء
والنعمة ، وتزخر برجال العلم والأدب
والفن والحكمة .

أما الشعوب فكانت قطعاناً تستغل ، وموارد
تستنزف ، وطبقات يعلو بعضها بعضاً بحكم
النسب أو السلطان أو الثروة ، فما كان ينالهم
من فضل العصر إلا القدر المحتوم من الرخاء

سبوي الرئيس :

(١) إن العصور الذهبية العربية التي تقدم فيها
العلم ، وازدهر الأدب ، وارتقت الحضارة ،
وتطورت الحياة ، ثلاثة :

عصر الرشيد وابنه المأمون في بغداد ،
وعصر العزيز وابنه الحاكم في القاهرة ، وعصر
الناصر وابنه الحكم في قرطبة . وهذه الأعصر
الثلاثة كانت مراحل للتقدم البشري في طريق
الكمال الممكن ، إلا أنها كانت تقسم بسبات

(١) نص الكلمة التي ألفت في عيد العلم نيابة عن الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية .

سيدى الرئيس :

إن الأدب الذى تكرمه الليلة فى أهله قد بشر بك ومهد لك ودعا إليك . فى أغسطس من عام ١٩٣٥ قالت مجلة الرسالة : نحن فى مجموع الناس أوزاع وأتباع ننظر إلى الأمم تعمل وإلى العالم يسير بعين بلهاء لا يجاوز بصرها مدى العجب ، وعلتنا أن ساسقنا وقادتنا كلهم من رجال القول لا من رجال الفعل ، ومن أرباب القلم لا من أرباب السيف ، ومن جنود القانون لا من جنود (الأوامر) نفقوا على مباحث الكتب. ودرّبوا على مكاتب الدواوين وحرّموا التربية العسكرية وهى وحدها القائمة على الخطّة والنظام والأمر والتنفيذ والتضحية والشرف ، وفى أبريل من سنة ١٩٤٠ تنبأت الرسالة بالرجل المنتظر فقالت مانصه : « إن للرجل الذى تنتظره الأمة العربية آيات تمهده وتدل عليه . فمن الآيات المهيئة لظهوره انحلال الأخلاق فلا تماسك فى قول ولا فعل ، وتقاطع القلوب فلا تتواصل فى وطن ولا دين ، واستئثار النفوس فلا تتعفف فى صداقة ولا نسب ، وجحوش الشهوات فلا تنقذع بلين ولا شدة .

ومن آياته المنبئة بوجوده أن يكون لغيره لا لنفسه ، ولأتمته قبل أسرته ، ولإنسانيته بعد وطنيته ، ومصداق

العام والخير المشترك . حتى أراد الله أن يكون للمغرب عصر ذهبي رابع يكمل نقص هذه الأعصر جميعا ، فكان عصرك يا سيدى الرئيس ! عصرك الذى أشرق لإشراق الشمس وأقبل لإقبال الربيع ؛ فيه الحرارة والنور ، وفيه المنضارة والخصب . عصرك الذى طبقت فيه مبادئ الإسلام التى فهمت ولم تعتقد ، أو اعتقدت ولم تطبق ، فالأمر شورى ، والحكم عدل ، والرزق شركة ، والناس سواسية ، والشعب حاكم .

عصرك يا سيدى الرئيس قد انفرد من بين العصور بأنه عصر الإنسان الكريم ، والمواطن الحر ، والعامل الكادح ، والعالم المجتهد ، والأديب المستقل . فكل منهم يشعر اليوم بأن له حقا يناله ، وواجبا يؤديه ، ورزقا يكفيه ، ووطنا يعتز به .

عصرك عصر السلام والوئام والوحدة ، فانت تسعى دائما للسلام الدائم بين الدول ، وللوئام الكامل بين الشعوب ، وللوحدة الشاملة بين العرب ، لا تبتغى من وراء أولئك كله إلا ما ابتغاه ذوو الرسائل من قبلك .

وسيتشر ضوء ميثاقك المحكم الهادى فى كل نفس ، وفى كل أرض انتشار كلمة الله لأنه الحق الذى وضعه الله فى شرعه ، والمنهج الذى منه لجميع خلقه .

الراعي الذي يطرد الذئب ، والحفيظ الذي يجمع الحب ، والدليل الذي يحمل المصباح ، والقائد الذي يرفع العلم ، والأستاذ الذي يعلمنا أن نصنع الإبرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ، ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة . وكل أولئك يارباه يجمعهم رجل واحد هو أشبه الناس بالمهدي المنتظر والمسيح الموعود . . ذلك ياسيدي الرئيس ما تنبأت به الرسالة قبل قيام ثورتك المباركة باثنتي عشرة سنة ، وقد صدقت النبوة واستجيب الدعاء ، فهل كانت تنظر إليك بلحظ الغيب ؟ .

سیدی الرئيس : إذا تفضلت الليلة على رجال العلم والفن والآداب بالتقدير والتشجيع فإنك تقدر سلاحاً من أمضى أسلحتك ، وتشجع جنوداً من أخلص جنودك . وإنی أقدم بأسمائهم جميعاً وباسمى إلى سيادتكم بأصدق الشكر وأعظمه ، ونسأل الله أن يديم عصرك ويعز نصرک ويتم عليك وعلى أصحابك نعمة التوفيق؟

أحمد حسن الزيات

تلك الآيات أن تموت (الأنا) في لسانه وتحيا في ضميره ، ويتحد في ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ، فهو يحس ألمه لأنه يجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه مجتلي عقله ، ويملك قيادته لأنه مظهر إرادته ، وهو في سمو نفسه ونزاهة هواه قد ارتفع عن أوزار الناس وأقذار الأرض ، فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابي لأن فضله أرفع من العصية ، ولا يقول قولاً ولا يعمل عملاً إلا إذا وافق الدين الذي يعتقده والمبدأ الذي يؤيده والشعب الذي يقوده ، ثم هو في ألمعية ذهنه ورصانة لبه وصلابة عوده وبعد همته يعظم على الأحداث ويعلو على الحوائل ، فلا ينضج رأياً إلا أمضاه ، ولا يرمى غرضاً إلا أصابه ، ولا يروم أمداً إلا أدركه . .

ثم ختمت الرسالة مقالها بهذا الدعاء :

رباه : لقد امتد بنا التيه في مجاهل الأرض إلى قرون . وفسد في نفوسنا الإيمان بالحياة حتى تحول إلى ظنون . فتقن فخرج من التيه يارباه خروج موسى ، وتنبسوا من صدر الحياة العاملة مكان محمد ؟ اللهم إنا نسألك

الشخصية السماوية للأمة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد شلنت

وشخصيتها المعنوية ترجع إلى مقدار ما لها من تماسك وتخلخل، وثبات وتردد، ونفع وضرر، وإذا ما خلت الأفراد عن الروح الذي يحقق لها مركزاً في الوجود، ويفيض عنه آثارها التي هيئت لها، وظلت في وجودها عند شخصيتها الحسية كانت فاقدة للوجود المعنوي، وكانت بفقدائها إياه، ظلاً لغيرها، تتحرك بحركته إذا تحرك، وتسكن بسكونه إذا سكن، وتفكر بعقله إذا فكر وهكذا لا ينسب إليها شيء من آثار الإنسانية التي يتبوأ الإنسان مركزها في الحياة.

شخصية الأمة :

وإذا كان للفرد شخصية حسية، وأخرى معنوية وبتحققهما يتحقق وجوده في ذاته وفي آثاره، وبفقداهما يفقد وجوده الحسي فلا تتحقق ذاته ويفقد وجوده المعنوي فلا يكون له آثار، فإن الأمة كالفرد في ذلك كله لها شخصية حسية، تحفظ عليها وجودها الحسي، وأخرى معنوية تحفظ عليها وجودها المعنوي، وترجع شخصيتها الحية إلى إقامتها في إقليمها الذي نشأت فيه ونسب إليها

شخصية الشيء هي ما يحقق وجوده، ويميزه عن غيره، ويعرف به في ذاته وآثاره ولو أتيسر لنا أن نتصور شيئاً ما، دون أن تكون له شخصية لما أمكن الحكم عليه بالوجود، وظل في الأذهان مجرد صورة ليس لها واقع تتعلق به الأنظار، أو تتجه إليه الآمال، أو تصدر عليه الأحكام، أو يدخل به في حساب الأحياء.

والوجود منه حسي لا بد له من شخصية حسية، ومنه معنوي لا بد له من شخصية معنوية، والشيء لا يحظى بالوجود الكامل، ولا يستحق عنوان الوجود، إلا إذا نال نصيبه من الشخصيتين: الحسية والمعنوية، وعندئذ يتحقق له الوجدان الحسي والمعنوي ويكمل في صورته ومعناه.

وإذا كان للأفراد كما ترى شخصية حسية، تتحقق لها وجودها الحسي، فلها أيضاً شخصية معنوية تتحقق لها وجودها المعنوي.

وشخصية الأفراد الحسية ترجع إلى ما لها من صورة وشكل، وحركة وسكون وما كل ومشرب، واستقرار وارتحال.

الإنسان بوحيه الخاص ، وشعوره الخاص ، ويعمل جهده في تمسك الناس بها ، ونزولهم عليها ، وهى لذلك تتعدد وتباين تبعا لتعدد مصدرها وتباين التقدير البشرى في أساسها وغايتها ، وهى في جميع ألوانها وأهدافها تدور حول اعتبارات مادية لا تتصل بالروح ، ولا بالفكرة السامية التى تتخذ الوحدة الإنسانية أساس شخصيتها المعنوية ، وميدان عملها في الحياة .

ومن هنا تختلف بالأمم السبل ، وتنزع كل أمة إلى البناء على أساسها الخاص ، وتنشأ عن ذلك المنافسات وتنبت العداوات ، وتوجد الأحقاد والأطماع ، ويكون الاستغلال وتكون الفتن المفرقة ، والحروب الطاحنة والتفنن في وسائل التخريب والتدمير .

وبذلك يصير العالم ، كما نراه اليوم - وقد بعدت عنه عناصر الخير ، وتخلت عنه أرواح الأمن والسلام ، على فوهة من الجحيم ، ينتظر من آن إلى آخر ، الوقت الذى يسقط فيه إلى الهاوية .

وما حديث الذرة وأخواتها ، وما التحكم في الشعوب وشد الخناق عليها ، ومحاولة سلب حقوقها ، إلا تعبير صادق عن الحلقة الأخيرة من هذه الحلقات المحزنة المخربة ، التى جرت وتجر الولايات على العالم بسبب تحكم هذه الشخصيات التى ابتدعها الإنسان سيرا مع

أو نسبت إليه ، وافترشت أرضه ، والتحففت سماءه ، وضربت في أرجائه ، وتغذت بثماره وارتوت بمائه .

وترجع شخصيتها المعنوية إلى وزن شعورها بقيمتها في الحياة العامة ، وإلى ما تفترضه لنفسها من نصيب في أعباء تلك الحياه ، ولإعداد مسالك الخير أو الشر فيها ، وإلى مقدار ما تنفع به أو تضر نفسها أو غيرها من سلوكها ومن صلتها باتجاهات الخير أو منازع الشر .

وإذا ما انعدمت هذه الشخصية المعنوية أو ضعفت ، ووقفت الأمة بنفسها على حدود شخصيتها الحية ، انعدم وجودها المعنوى أو ضعف ، وصارت أمة ذليلة ، وإن كانت مقيمة في بيتها ، فقيرة ، وإن كان ينزل عليها المن والسلوى ، وتنبع لها قناطير الذهب والفضة ، قليلة ، وإن ضاقت وديانها بأفرادها فهى كما قال الرسول عليه السلام ، غناء كغناء السيل ، تنهافت عليها الأمم ذات الشخصيات الكادحة ، كما تنهافت الأكلة على قصعتها ، تملكها الوهن ، وملأها الجبن ، وهزبت عنها عفاصر العمل .

الشخصية البشرية :

والشخصية المعنوية للأمم ، منها شخصية تستمد خططها من العقل البشرى يضعها

شهواته ، ثم أفرغ وسعه في إخضاع الناس لها وتسخيرهم بها ، هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ، وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور .

وسيطر العالم يبعد عنه الخير . ويقرب من الشر ، ما دامت أمه تتردد بين أمة فقدت شخصيتها المعنوية وسكنت إلى الذلة والضعف والفاقة ، وأمة تتخذ لنفسها تبعاً لها واهي شخصية تجوس بها خلال غيرها من الأمم ذات الوهن ، وتسلبها عزها وإرادتها .

الشخصية السعادية :

ولاسلامة للعالم من طغيان القوة والجبروت ، ولا من ذلة الضعف والهوان ، إلا إذا خلصت الأمم ذات الشخصيات البشرية الطاغية ، نفسها من إطار تلك الشخصيات ، ورمت بها إلى قاع المحيطات ، ورجعت إلى هذه الشخصية المعنوية التي رسمها العليم الخبير بطبائع البشر ، طريقاً لسعادته ، ونزل بها الروح الأمين على رسل الله .

ثم أخذت على عاتقها غرس تلك الشخصية في الأمم الأخرى التي حصرت وجودها في دائرة شخصيتها الحسية ، ذات المأكل والمشرب ، ذات اللهو واللعب والحرمان من معنى الحياة الحقة التي خلق لها الكون وجعل الإنسان خليفته يقودها وينظمها .

فإذا يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى

فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

وهذه الشخصية السعادية ، نزل بها القرآن ، وبين معالمها ، وأوضح عناصرها وهدى الناس إليها . « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ، آمن بها فريق من الناس حيناً من الدهر ، وبنوا حياتهم على أساس منها فوجهوا أنفسهم ووجهوا العالم إلى كثير من آفاق الخير . »

تخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ، حتى ران زخرف الحياة على قلوبهم ، وشغلوا بشهواتهم ، وغرهم الحياة الدنيا ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وأسلموا أنفسهم لأرباب الشخصيات الأخرى . وتعلقوا بأذيالهم في كل شيء .

في علمهم إذا طلبوا العلم . وفي قوتهم إذا طلبوا القوة ، وفي اقتصادهم إذا طلبوا الاقتصاد ، وفي نظامهم إذا طلبوا النظام ، وفي قانونهم إذا طلبوا القانون ، وفي حضارتهم إذا طلبوا الحضارة .

وهكذا نزعوا شخصيتهم ، وتفرقت بهم السبل ، وانحازت كل طائفة منهم إلى أهل شخصية خاصة ، يستظلون بظلمهم ، ويطلبون منهم العون والنصرة وبذلك ذابوا في غيرهم ، وفقدوا وجودهم كأمة لها في الحياة وجود خاص ، ومنهج خاص .

تفرقوا عن رباطهم المقدس الذي يربط قلوبهم بالعزة ، وفقدوا جميع الوسائل التي تدفعهم إلى الالتفاف حول ذلك الرباط ، والاعتصام بمجده ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

عودوا إلى شخصيتكم .. عودوا إلى شخصيتكم السماوية إلى أكملها الله لكم ، وربط بها خيركم وفلاحكم .

عودوا إليها وأقيموها فيما بينكم من جميع جوانبها ، لتألف قلوبكم ويقوى سلطانكم ، وتنفذ كلمتكم ، وتصلح عزتكم .

عودوا إلى شخصيتكم وأنقذوا بها أنفسكم من هول ما يحيطكم ويترص بكم . وأنقذوا بها العالم من الجمر الذي يتقلب فيه ، كما أنقذه بها من قبل أسلافكم .

إن الشخصية هي الشخصية ، لا تزال بينة واضحة في كتابها ، والعالم هو العالم لا يزال ينقاد بطبعه إلى الخير متى وجد إليه سبيلا ، ولكن كونوا أنتم كما كان آباؤكم ، واعلموا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

محمود سنانوت

البـ _____ لـاغة

قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة .

ثم قال : ومن البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة ، أن تدع الإفصاح بها إلى السكينة عنها ، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة .

وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك ، وأحق بالظفر .

الأدبُ العربيُّ المعقولُ الذين لا يعقلون !

للأستاذ عباس محمود العقاد

لكذلك مرض لا شك فيه ، تعرف أسبابه وعوارضه من ظواهر هذا العصر التي سبقت لها نظائرها في العصور الغابرة ، كما تعرف من ظواهره التي لم يسبق لها نظير .

والظواهر التي سبقت لها نظائر كثيرة قبل القرن العشرين هي اضطراب الأحوال في ظروف الانتقال ، وأزمات الحروب المتوالية أو الثورات الاجتماعية والعالمية .

أما الظواهر التي اختص بها القرن العشرون منذ نهاية القرن السابق فهي - من جهة - شيوع الكلام على الأطوار النفسية والعوارض العقلية ، وهي - من جهة ثانية - قدرة الجهاد والمصايين على التحدي والمكابرة بالنقص وعوارض السخف والجهالة ، لخلطهم بين الحرية من الطغيان وبين الحرية من الخجل ، وبما ينجل الإنسان وينبغي أن ينجله في كل زمان ، وقد تطورت هذه الحالة بعد فقدانهم الخجل من الحاجة والمالية ، إلى فقدان الخجل من كل حاجة ولو كانت حاجة إلى المعرفة أو إلى الفطنة أو إلى الذوق ، وبلغ من شطط هذه اللجاجة ، أو هذه « اللاخجولية » ، قياساً على تعبيراتهم المعهودة أن أحدهم واجه الفيلسوف الأسباني « أنامونو » ، في درسه

الذين لا يعقلون يسألون عن حكم العقل الصراح ، وعن الرأي المقنع ، في اللامعقولية واللامعقول !

« واللامعقولية » هي دعوة من دعوات الزمن الأخير ، فخواها - إن صح أن يكون لها فحوى - أن الفن عمل لا يعقل ولا يفهم ، وإنما يحس ويقاس ، ولكن بغير مقياس !

وأصحاب هذه الدعوة آخر من يحق لهم أن يفضوا إذا قيل عنهم إنهم سخفاء يشتغلون بالسخف الذي لا معنى له ولا محل لإبداء الرأي فيه ، إذ كان السخف شرطاً من شروط اللامعقول واللامفهوم ، بل هو عنصره الذي لا يتجرد منه بحال لأنه - إذا تجرد منه - كان له معنى ، ودخل في حيز المعقول المفهوم .

وأعجب العجب أن يسألوا الناس آراءهم في شيء لا يجوز لهم أن يكون لهم رأي فيه .

وأعجب من هذا أن تروج دعوة بغير رأي ، وبغير موافقة أو مخالفة ، تستندان إلى دليل . فإذا كانت « اللامعقولية » دعوة تلغى

العقل باختيار أصحابها أو على الرغم منهم ، فهي ضرب من المرض العقلي والمرض النفسي يعالج على هذا الأساس ، وإنه

كما يجهل حقيقة اللغو الذي يبدئون فيه ويعيدون .

فالوعى الباطنى عند هؤلاء المتخطفين المتعالمين حلقة جديدة فى الدنيا لم تكن مخلوقة فيها قبل أيام « فرويد » وزملائه من أصحاب الدراسات النفسية الحديثة .

والوعى الباطنى إذن قد خلق فى هذا العصر ليلغى الحس الظاهر الذى كان نصيب الأقدمين من الوعى كله ولم يكن لهم نصيب سواء ، فلا ترى العين ولا تسمع الأذن ولا يشم الأنف ، ولا يعمل العقل ، ولا يجوز للجواس أن تشعر شعورها ولا للفنون أن تعبر تعبيرها بعد اليوم ، بل يجب أن تلغى الحواس ولا يسمح لها أن تعمل إلا بالمقدار الذى يتناوله التشويه والخلط والإسفاف بجارة للوعى الباطنى الذى يعيه كل أحد كما يدعيه ، ولا مقياس له ولا سبيل إلى تمييز هذا الذى يدعيه ! و « اللامعقولة » هى وليدة واحدة من ولائد كثيرة من هذا الوعى الباطنى الذى بطل الوعى بعده ظهروا وخافيه . وهكذا يفهم المتخطفون المتعالمون ، ولكنه لم يفهم قط هذا الفهم عند أصحابه الذين اختاروا له هذا الاسم بين عشرات الأسماء التى عرفه بها الأقدمون ، ويكفى أن نذكر منها : الضمير والوجدان والطوية والخبثية والسريرة والخلد والروع والهواجس والدخيلة والوسواس : عشرة من عشرات تزدحم بها المعجمات .

الآخر بهذا النداء : « لتسقط الثقافة ، وقفاه بنداء أقبح منه وهو « ليحي الموت » . . . فأجابه الفيلسوف قائلا : « إذن لمت الحياة ! » .

فى العصور الغابرة كان الجاهل الذى يعلم من نفسه قصور العلم والذوق ينجس من إقحام نفسه فى مجال الرأى والدراية ولا يخفى اجتهاده لمشابهة غيره ممن هم أعلم منه وأدرى بمسائل الذوق والثقافة ، ولكنه فى هذا العصر يسمى فهم الحرية فيخيّل إليه أن حريته فى إبداء الرأى تمحو الفوارق بين الآراء ، وأن قدرته على تحدى المفضلين عليه بالمال والجاه تخوله أن يتحدى المفضلين عليه بالفهم والذوق ومزايا المواهب والأخلاق ، وربما التقط من فضلات الدراسات النفسية كلمة هنا وكلمة هناك فلا يعترف بالعيوب إذا لزمته وتحققت نسبتها إليه ، بل يقول فى تسويقها لنفسه وتسويقها لمن حوله : إنها مسألة مزاج ... إنها من الخصائص السيكلوجية ... إنها من عمل الوعى الباطنى . إنها من النقائص المشتركة فى الخفاء بين جميع الأحياء من أبناء آدم وحواء . ولا نظن كلمة شاعت عن هذه الدراسات النفسية بين الدهماء فكان لها أثر أسوأ من أثر هذا « الوعى الباطنى » كما فهمه الذين يجهلون معناه والذين يتخطفون أوائل الكلمات فيتعلمون بها على من يجهل حقيقة

وليس غير العامية والبيغوية معا شيء يسول لأحبابه أن يحسبوا هذا اللغو مذهباً ، علياً أو فنياً تقام له المدارس ويتلذذ عليه الطلاب ويجرى النقاد على حكمه فيما يقيسون وما يقدرّون ، وعلى أى مقياس يا ترى ؟ ! وبأى مقدار يكون التقدير ؟

سبحان الله ! وهل من المعقول أن يسأل هذا السؤال أو ذاك عن مذهب « اللامعقول » .

إن الآداب العربية في جانبها المبثذل قد عرفت هذه « اللامعقولية » ، ووضعها في موضعها « المعقول » ، قبل القرن العشرين ببضعة أجيال ، فأعطت هذه « اللامعقولية » كل ما تستحقه من التفات الأديب الشاعر أو الزجال ، وسمتها بالاسم الذى لا يحق لجماعة « اللامعقولية » أن يغضبوا منه ؛ لأنه اسم الفن أو الدور المجنون .

ومنذ سنوات ثلاث أشرنا إلى ذلك في محاضرة عن تجديد الشعر ألقيناها بمجمع اللغة العربية وختمناها بهذه الفقرات :

(... لا تفوتنا في معرض الكلام على الشطط الفنى ملاحظة وثيقة الصلة بموضوع الخلط الذى يقال عنه إنه هو التعبير الصادق دون غيره عن الوعى الباطن والسريرة الإنسانية فى أعماقها اللامنتطقية على حد تعبيرهم المسأثور . فالخلط الهاذر مذهب لم يخلقه دعاة اللامنتطقية فى القرن العشرين ، ولكنهم خلقوا شيئاً واحداً فيه لم يسبقهم

ولإنما فهم علماء الوعى المحققون أن « اللامعقولية » نزوة عارضة تغلب الإنسان على فكره كلما ثقلت عليه مؤنة الجد والوقار فينطلق من قيود العرف على حدة ، أو مع الناس ، كأنهم فى أجازة عارضة يباح فيها ما لا يباح ، ثم ينتهى الأمر عند هذا ولا يصح أن يتبادى بالناس منفردين أو مجتمعين وراء مداه .

وهكذا كان العقلاء يقولون : « إن اللذة هى أطراح الحشمة ، وهكذا نشأت المساهر والكرنفالات ، وأبيحت المهازل للبقعين والمتسكرين ، وهم لا يبيحونها سافرين . عارض يمر وحالة لا تدوم ، ولا يريح العقل ولا « اللا عقل » أن تدوم .

أما أصحابنا جماعة « اللامعقولية » فشكل ما فهموه أنها مرسوم صدر بإلغاء العقل إلى آخر الزمان ؛ فلا يصح التعقل بعد اليوم ولا يكون التعقل إلا ضرباً من الرجعية أو الجسود على القديم ، فلا يليق التعقل « بالعقلاء » فى عصر التقدم والتجديد .

أمتقدمون ومجددون وعقلاء ؟ ! معاذ الله ... إنما التقدم والتجديد أن نقفز إلى الوراء ، إلى حظيرة البهيمة العجاء عهد اللامعقولية واللاخجولية واللاحياء .

* * *

وليس غير العامية وأختها البيغوية محسبان أن إلغاء العقل شيء يفهم ويجوز أخذاً للرأى عليه ، وإبداء حكم العقل فيه .

في كل واحدة أربع قواعي خضار

وهذا مثال آخر :

ياليل ياعين معرفش اكذب

والضفدعة شائلة مركب

وأبو فصادة ريسها

والقط الأعور حارسها

وغيرها وغيرها مما لا يحصى في صفحات

الجاميع وعلى ألسنة الناس من عامة الرواة

والزجالين .

أناس متواضعون طيبون ، معقولون

وهم ينظمون الفن المجنون ؛ لأنهم لا يسمونه

(باللامعقولم) ولا باللامعقولية ،

ولا يعرضونه بديلا من العقل المحكوم عليه

بالإلغاء ولا للذوق الذي لا موضع فيه للفهم

ولا للحياة ، وكل ما يدعو له هذه

(اللامعقولية) منهم أنها تنفيس معقول

في ساعة عارضة وفي أجازة من تكاليف

الجد ومتاعب الحياة ، يؤخذ فيها الرأي

فيقال حيث تقال الآراء ، وبخلاف ذلك

كل سؤال عن (اللامعقولم) ما الرأي فيه ؟

ولا محل للرأي في مذهب لن يقول

منكره في إنكاره أسوأ من قول القائلين

في تأييده :

لأنه شيء غير معقول ، وغير مفهوم !

عباسي محمود العقاد

أحد إليه ، وهو إطلاق العناوين العلية

عليه ... وقديماً وجد في الشعراء والفنانين

من يمنح به هواه أحياناً إلى رفع الكلفة

واطراح الحشمة والابتذال في اللفظ أو المعنى

أو في كليهما ، فيسترسل في الهذر واللفظ

كأنه في أجازة من نفسه (الفضلي) كما يقولون

وينسب إلى هذه الزوات شعر الجانة والهزل

وشعر الإباحة والجوح ، وينسب إليه

كذلك ضرب من الشعر الذي يخيل إلى الناس

أنه محدثهم بالحكم والأمثال وهو في أسلوبه

الهازل ساخر بضروب الحكمة والمثل ،

ومنه قصائد ابن سودون الشيبغاوي الملقب

بالمجنون ، وقد كان ينظمه قبل خمسة

قرون ، قال :

عجب عجب عجب عجب عجب

بقر تمشي ولها ذنب

ولها في بزبها لبن

يسد للناس إذا حلبوا

لا تغضب يوماً إن شئت

والناس إذا شتموا غضبوا

... ومن أمثلة هذه اللامعقولية في الزجل

منظومات كثيرة وردت في مجاميع الزجل

وأشهرها كتاب ترويح النفوس لحسن

الآلاتي ، وهذا مثال منها :

كسرت بطيخة رأيت العجب

في وسطها أربع مداين كبار

وفي المداين خلق مثل البقر

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ١٠ —

عندي من هذا علما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه — قال الراوى : فحمد الله عمر ، ثم انصرف .

هذه هي القضية التي جعلها عمر موضع الشورى في الحديث الذي أسلفنا ، وهي قضية « القدر » ، وإنها لمن القضايا التي حارت فيها العقول قديماً وحديثاً ، وشغلت الناس في مختلف الديانات والفلسفات العقلية . ولقد كان فقه عمر فيها هو فقه العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وفقه المنطق السليم في شأن الألوهية وما أقامت عليه العالم من سنن لا تتبدل ولا تتحول .

بيان ذلك : أنه كثيراً ما يقع في أذهان الناس أن قضاء الله وقدره مادام قد سبقا ، فلا فائدة في الأعمال ، ولا داعي لتوسيطها بين ما قضى به الرب ، وما يصير إليه أمر العبد ، فلا بد من وقوع القضاء الذي قضاه الله مهما كان من العبد .

ويقولون : مادامت هذه العقيدة من أركان

أثبتنا في مقالنا السابق من هذه النظرات الحديث الذي رواه مالك في الموطأ عن خروج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام واستشارته — وهو في الطريق إليها — المهاجرين والأنصار ممن كانوا معه في أمر الوباء الذي علم أنه قد وقع بها .

وتحدثنا عن سنة عمر في الشورى وما يوحى به هذا الحديث وغيره في شأنها ومسلكه فيها .

وقد جاء في آخر هذا الحديث : أن نقاشا وقع بين عمر وأبي عبيدة رضي الله عنهما ، إذ قال أبو عبيدة لعمر حينما قرر الرجوع الناسا للنجاة بنفسه وبمن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطر الوباء : أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله . أرايت لو كان لك إبل فمطبت واديا له عدوتان ، إحداهما مخضبة ، والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت المخضبة رعيتها بقدر الله . وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف — وكان غائباً في بعض حاجته — فقال : إن

ويبغي أن نعلم أن هناك فرقاً بين المتحيزين والمتحيين في هذه القضية ، فإن المتحيزين لديهم شبهة يريدون في إخلاص وصدق أن يمالجوها لتنجلي عن قلوبهم فيكمل إيمانهم ، ويكون إيماناً عن بصيرة ، على عكس المتحيين الذين لا يريدون إلا إضاءة الشكوك ، وإيقاع الناس في الفتنة عن دينهم وعقائدهم . وقد سبق إيراد هذا السؤال أو التساؤل من الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجابهم بما فيه الشفاء والهدى ؛ ففي الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأثامنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مخضرة فركس لجعل يركب بمخضرته ثم قال : ما منكم من أحد ، مامن نفس منهوسة إلا كتب مكانها من الجنة أو النار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة ، فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا ونندع العمل . فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاوة ، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال : اعملوا فكل ميسر ؛ فأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسييسره اليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره اليسرى . وعن عبد الله بن عمر أنه قال : نزل فيهم

الإيمان ، وأنه لا يؤمن أحد إلا إذا كان معتقداً بها ، فسوف يتكل عليها الناس ، وسوف ينصرفون عن الأعمال واتقين بأنهم صائرون إلى ما قدره الله ، وبذلك تتعطل القوى ، وتتوقف المصالح ، ويبطل الإيمان بقيمة العمل وماله من أثر في معادة الإنسان أو شقائه ، وفي قيمة الأسباب والعوامل المؤدية إلى قوة الأمم أو ضعفها ، وعزتها أو ذلها ، وتقدمها أو تأخرها .

وقد يصل الأمر ببعض الذي يتبعون ما تشابه من آيات الله ابتغاء الفتنة ، إلى أن يقولوا : إن الإيمان بقضية القضاء والقدر على نحو ما يؤمن المسلمون ؛ هو الذي بعث في شعوبهم الاسترخاء ، وذلهم لعوامل القهر والذل التي سلطها عليهم الاستعمار والظلم ، فقد رضوا بالفقر باسم القضاء والقدر ، ورضوا بالذل والاضطهاد باسم القضاء والقدر ، ورضوا بالظلم من الملوك معتقدين أنهم مسيطرون عليهم بقدر من الله ولو شاء ربك ما فعلوه ، إلى غير ذلك من مقتضيات الإيمان بهذه العقيدة .

هكذا يقولون : منهم من يقوله مختاراً ، ومنهم من يقوله إنكاراً ، ومنهم من ينطوى عليه في نفسه ولا يجهر به خوفاً من أن يتهم بالزندقة أو الخروج على تعاليم الدين وعقائده أو تهرباً من الجدل والمصادمات الفكرية التي لا تقف عند حد .

العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه،
ويمكن منه، وهي له، فإذا أتى بالسبب؛
وصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب،
وكذا زاد اجتهادا في تحصيل السبب؛ كان
حصول المقدور أدنى إليه. وهذا كما إذا قدر
له أن يكون من أعلم أهل زمانه، فإنه لا ينال
ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه،
وإذا قدر له أن يرزق بالولد؛ لم ينل ذلك إلا
بالنكاح أو التسرى والوطء، وإذا قدر له
أن يستغل من أرضه من المغل كذا وكذا؛
لم ينله إلا بالبذر وفعل أسباب الزرع،
وإذا قدر الشيع والرى؛ فذلك موقوف على
الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب
واللبس، وهذا شأن أمور المعاش والمعاد،
فمن عطل العمل اتكالا على القدر السابق،
فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة
في المعاش وسائر أسباب اتكالا على ما قدر له،
وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على
الأسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم
الدنيوية. بل فطر الله على ذلك سائر
الحيوانات، فكذا الأسباب التي بها مصالحهم
الآخروية في معادهم، فإنه سبحانه رب الدنيا
والآخرة، وهو الحكيم بما نصبه من
الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسر كلا
من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة،
فهو مهيا له ميسر له، فإذا علم العبد أن مصالح

شقي وسعيد، فقال عمر: يا نبي الله: علام
نعمل؟ على أمر قد فرغ منه أم لم يفرغ منه
قل: لا، على أمر قد فرغ منه، قد جرت به
الأفلام، ولكن كل ميسر وأما من أعطى
وانتقى وصدق بالحسنى فسنفسره لليسرى.
وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنفسره لليسرى.

وخلاصة الهدى النبوي في جلاء هذه الشبهة
أن القدر مرتبط بما سنه الله للعالم من سنن،
فإذا كان الله تعالى قدر لفلان أن يرزق بولد
مثلا، فإن ذلك مرتبط في التقدير نفسه بأن
يكون له امرأة هلي سبيل النكاح أو غيره،
يتصل بها فتنجب منه هذا الولد، فلا يقال
سيرقه الله الولد الذي قدر له سواء اتصل
بامرأة أم لم يتصل؛ لأن التقدير شامل
للأصل وللوسيلة معا.

ويشرح هذا المعنى ابن القيم في كتابه
(شفاء العليل) فيقول: دامت هذه
الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا
يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه، بل
يوجب الجد والاجتهاد، ولهذا لما سمع بعض
الصحابية ذلك قال: ما كنت أشد اجتهادا -
في وقت ما - مني الآن، وهذا مما يدل على
فقه الصحابة، ودقة أفهامهم، وصحة علومهم،
فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر
السابق وجريانه على الخليفة بالأسباب، فإن

آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها ؛ كان أشد اجتهاداً في فعلها والقيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياء ، وقد فقه هذا كل الفقه من قال : ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن ... فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سبب السعادة : الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد ، والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خير ، وتحجز عن شره ... والنبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة ، وهو القائل « احرص على ما ينفعك ، واستمع بالله ، ولا تَعْجِز ، - والعاجز من لم يتسع الأمرين »^(١)

وكان العدوى هي أيضاً قدر ، له سبب أو أسباب ، فربما وقعت بالقرب من المريض والاختلاط به . وربما لم تقع ، لوجود حصانة في بعض الأشخاص مثلاً ، فعدم الحصانة سبب جعله الله تعالى موصلاً إلى العدوى بالمرض ، والحصانة سبب جعله الله موصلاً للنجاة منها ، والمؤمن يجب عليه أن يبتعد عن مظنة الإصابة احتياطاً على نفسه ، وتحرزاً من الأسباب الموصلة إلى الضرر عملاً بقوله تعالى : « ولا تملقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، وحينئذ تكون نجاته بقدر من الله أيضاً ، حيث ربط هذه النجاة بسبب هو الابتعاد والتحرز ، ولذلك كان عمر رضي الله عنه موفقاً تمام التوفيق في قوله : (نفر من قدر الله ، إلى قدر الله) كما كان موفقاً تمام التوفيق في المثل الذي ضربه ، حيث يقول : رأيت لو كان لك إبل فمبطت وأديا له عدوتان ، إحداهما مخضبة . والأخرى جذبة أليس إن رعيت المخضبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجذبة رعيتها بقدر الله ؟ يريد عمر أن رعى المخضبة يوصل إلى صلاح الإبل ، فصلاح الإبل قدر ، وكونه بسبب رعى المخضبة قدر مرتبط به ، وكذلك يقال في رعى الجذبة إن رعاها ، فرعى الجذبة قدر يوصل إلى فساد الإبل أو هلاكها ، وكلاهما مرتبط بالآخر .

وهذا هو المعنى الذي دعا عمر بن الخطاب إلى أن يقول في جوابه عن سؤال أبي عبيدة : نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، يريد أن المرض والصحة كلاهما قدر ، ولهذا القدر سبب في كل منهما ، فمن أخذه كان موصلاً إلى ما قدر له ، فتعرضه للوباء يعرضه للمرض لأن العدوى سنة من سنن الله في الخلق ،

(١) ص ٢٥ ، ٢٦ من كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والنعيل) للإمام العلامة ابن القيم - الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ بالمطبعة الحسينية المصرية .

ومن الواضح أن خروج الناس من بلد وقع فيها الوباء. يؤدي إلى حماهم (الميكروبات) التي هي الأسباب المباشرة بأمر الله وقدره للعدوى والمرض. فيجب أن يعمل المؤمنون على حصر هذه الأسباب في مكان الوباء كما تحصر النار حتى يقضى عليها فلا تترك فتنتقل إلى أماكن أخرى، ولا يصح أن ينزكروا أسباب العدوى والمرض فتقتل وتنتشر اعتماداً على أن كل شيء بقدر، كما لا يصح أن تترك النار تسرى اعتماداً على مثل ذلك.

ومن الواضح أيضاً أن إقدام الناس على أرض فيها الوباء. إنما هو تعرض لأسباب البلاء، فلا يجوز للؤمن أن يفعله اتسكلاً على قدر الله، فإن الله تعالى هو الذي قدر الأسباب كما قدر المسببات. وبالله التوفيق.

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

وهذا لا ينافي الإيمان بأن الله هو القادر المتصرف وحده، لأنه في نظر المؤمن هو مسبب الأسباب، وموفق العاملين إلى الأخذ بها، وهذا هو السر في أن الإنسان يجب عليه أن يجمع بين أمرين: هما الأخذ بالأسباب، وسؤال الله التوفيق

* * *

وفي الحديث بعد ذلك: (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا سمعتم به - أى بالوباء - بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه).

وهذا هو قانون الحجر الصحي الذي تأخذ به كل الأمم المتحضرة، دل عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وأدركه عمر بنظرة الثاقب. ثم حمد الله تعالى على أن هداه الله إليه، وأطمأن لما عرف أن هذا هو هدى الرسول صلى الله عليه وسلم.

من للشعر الجيد قول إبراهيم بن المهدي يرضى ابنه:

فللمين سح دائم وذروب
فقلبك مسلوب وأنت كئيب
وأحمد في الغياب ليس يثوب
سواي وأحداث الزمان تنوب
على طول أيام المقام غريب
سقاء الندى قاهتز وهو رطيب

نأى آخر الأيام عنك حبيب
دعته نوى لا يرتجى أوبة لها
يثوب إلى أوطانه كل غائب
تبدل داراً غير دارى وجيرة
أقام بها مستوطناً غير أنه
كأن لم يكن كالفن في ميعه الضحى

نَفَاحَةُ الْقُرْآنِ

العقيدة أولاً ثم العمل

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ، أولئك حبطت أعمالهم ، وفي النار هم خالدون ...

- ١ — لنا في الحياة أعمال ومقاصد ، وأعمالنا وسيلتنا إلى مقاصدنا .
 وابتغاء المقاصد من غير عمل في سبيلها :
 سفه في التفكير ، وحرمان من الرشد .
 كما أن العمل القيم دون مقصد مكفول :
 سفه في التصرف ؛ والبطالة على قبها خير منه ، وأهون بكثير ..
 وإليك مثلاً - في جانب الدنيا - رجل يطمع في الكسب والثراء ، ولكنه لا يأخذ بالوسائل الجدية المشروعة : فسكانه يريد اغتصاب المسببات دون أسبابها ، وهذا خروج عن سنة الله في تنظيم الحياة لنا ، وعدوان كريحه .
 ومن أجل ذلك حرم الله السرقة ، والربا ونحوهما ؛ لأن الكسب فيها من غير طريق العمل المشروع ..
 ومثلاً آخر - في جانب الدين - أناس يعملون خيراً في ظاهره ، ولكنه عمل مبتور عقيم ، لا ينتج ثوابه ؛ لأنه غير مبني على عقيدة من إيمان صادق كما شرط الله على عباده أن يؤمنوا - أولاً - ثم يعملوا على أساس الإيمان .
 وإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات - ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ... ،
 فمن لم يكن على إيمان يملأ قلبه فعمله هباءً وبعثه ضائع في هواء ، وهذا كالكافر ، والمرأى في إيمانه ..
- ٢ — ولدينا نبذة من قصص القرآن عن مشركي مكة : فيها نمط فسيح للتربية ، وتركيز المبادئ الحقة ..
 كانت للبيت الحرام قداسة عند العرب منذ عاصروه ..
 ومع انحرافهم عن دين إسماعيل ، وخوضهم في الشرك ، وعبادة الأوثان :
 فقد ظل البيت الحرام ملء عيونهم ، وقلوبهم ، ورمز مجدهم .
 حتى كانوا يتزاحمون على خدمته ، واقتراهم في المسكن من مبانيه ، وتنافسهم في إكرام الحجيج إليه من كل حذب .
 فلما جاء الإسلام حسبت قريش أن صلتهم

« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ،
واليوم الآخر ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ،
ولم يخش إلا الله » .

٣ - فعمارة المساجد من أعمال البر ،
والبر لا يكون إلا عن إيمان بالله واليوم
الآخر : إيماناً يتجلى في صالح الأعمال من
صلاة ، وزكاة ، وخشية لله تقتضى الاستجابة
له فيما أمر ونهى . .

ثم انظر - أولاً - إلى أن هذا تمجيد
للمساجد كلها ، لأنها ملتقى العباد من الراكعين
والساجدين ، فهي خير بقاع الأرض
كما صرح الرسول بذلك - صلى الله عليه وسلم -
(خير بقاع الأرض المساجد - ويكون
في مقدمتها شأننا بيت الله الحرام ، لأنه أول
بيت وضع للناس مباركاً ، وهدى للعالمين) .
والحديث في هذا السياق من سورة التوبة
متجه إليه ، وقد اتسع لسائر المساجد ،
لأنها في حيزه ، وتؤدى معظم رسالته ،
وكلها يرنو إليه ، ومصوب نحوه من كل
ناحية في الدنيا ، وفي كل صلاة .

وإذا كانت المساجد مركز الإشعاع
الدينى ، ومشرق الدعوة الهادية ، فأولى بها
أن تكون الصلة بها لمن يتوافر الإيمان
عنده ، ويعترف برسالتها .

وهذا التخصيص في ولاية المساجد محمول
على رعايتها ، وتولى شأنها ، كما كانت قریش
فيما سبق .

بالبيت ستظل قائمة ولولم يسلبوا ، وأن تعميرهم
له حق موروث فيهم وإن كفروا بربههم .
ولكن الله - سبحانه - بين لهم وللمسلمين
أن الاتصال بالبيت الحرام يقتضى الإيمان ،
وأن نقيصة الكفر بالقرآن ، أو بشيء
مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، تنزل
بهم عن أهلية القيام على البيت العتيق :
إذ لا يتفق أن يجتمع تة ديس البيت مع
الكفر برب البيت ، أو برسوله بل صارحهم
القرآن بأن هذا البر لم يكن معتدأ به فيما سبق ،
فإن عبادتهم للأوثان مناقضة لما عرفوا
واعترفوا من أن الله هو الذى خلق
السموات والأرض .

وهذا هو ظاهر القرآن في غير تكلف
« ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله
شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت
أعمالهم ، وفي النار هم خالدون ، أى : ليس أهل
الكفر ، أهلا لعمارة المساجد فلا قيمة لعملهم .
ولو وقت الأمر عند إحباط هذا البر لكان
الخطب عليهم ، ولكنهم محاسبون على كفرهم
هذا بعد أن دعاهم ربهم إلى الإيمان فعصوا
رسولهم ، فهم خالدون في النار إذا لم يؤمنوا !
ومن هذا نعلم أن العقيدة تسبق العمل فهي
أساسه ، وهو بعدها ، وهى مطوية في القلب ،
وهو عنوانها ، وتفسيرها ، ومن مجموع العقيدة
والعمل يكون الدين ، أو الإيمان المطلوب . . .
وبذلك صرح القرآن في حصر وتأکید

مثل الإيمان وما يترتب عليه ، ثم يأتي الجواب صريحاً بالنفي : لا يستوون عند الله !! وهنا مقابلة لطيفة بين أصحاب العقيدة والمبدأ ، وبين المجازفين الذين لا يتقيدون بشيء من هذا .

ففي شأن الفريق الأول يحتم الله الحديث عنهم بقوله سبحانه « فحسبى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، وفي شأن الفريق المتحلل من الدين والمبدأ يقول تعالى « والله لا يهدي القوم الظالمين » .

هـ — ثم : يا ترى - أيسكون حديث الله في كتابه مجرد قصص عما سلف من قريش في شأن المسجد الحرام ... أم يكون هذا القصص توجيهاً مقصوداً لغايات إنسانية نبيلة ترفع من شأن الإنسان أدبياً كما تنهض به دينياً . أفادنا القرآن أن قصصه عبرة لأولى الأبواب ، وذكرى لمن كان له قلب ، وأن الذكرى تنفع المؤمنين .

فالقصص بوجه عام كدلائل واقعية في التأثير ، والإقناع ، وهذه غاية القرآن ، وبها يمتن الله بأنه يقص علينا أحسن القصص ، وبأنه يقص علينا القصص الحق . ولولم يكن القصص حقاً واقعاً ، حسناً في مرماه ، مجدياً لمن أطاعه لما ضرب الله الأمثال في كتابه لعباده ، ولا حفل بها القرآن الحكيم « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

أما القيام بعمل يحتاجه المسجد من طريق الاستئجار عليه كهندسة المسجد ، وبناءه ، وصناعة أبوابه ونحوها فقد أجاز العلماء قديماً أن يقوم بها غير المسلم ؛ لأنها ليست ولاية إشراف ، ولا تحكم ، ولا اعتلاء بها على الغير ، كما كانت ولاية الكفار للمسجد الحرام .

ومن هذا القبيل إقامة المساجد بالبلاد الأوروبية بواسطة رجال غير مسلمين .

٤ — وانظر - ثانياً - إلى أن السياق هنا لا يقف عند الجانب الديني فحسب ، وإنما هو توطئ للناس على اعتناق المبدأ الحق في شأنهم كله ، وألا تكون مسالكهم في ناحية ، وقلوبهم في ناحية . .

وإذا كان بعض السابقين من قريش تخلفوا وقتاً ما عن الإسلام ، ثم حسبوا أن صلتهم بالبيت الحرام قبل أن يسلموا تجبر تقيصتهم ، وترجع كفتهم ، أو تساوى بين ما ضيهم وما ضى من بادر إلى التصديق والطاعة : جاءت الآية الثالثة لهاتين الآيتين تقتلع من نفوسهم تلك الفكرة ، وتؤكد لهم من جديد فضل الإيمان والمؤمنين ، وتنفي أن يكون بين الفريقين تشابه فضلاً عن عدم المساواة « أجمعتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كن آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله » . ففي هذا الحديث استفهام بمعنى النفي : لا تجعلوا ما تفخرون به من السقاية وغيرها

غير أن العقيدة وثيقة روحية مع الله تعالى، والمبادئ الخلقية منهج فطري، أو اجتماعي إلى حد ما، ولا يفترق مفهومهما إلا في شخصين في شخص متدين يتلقى من جانب الدين، وفي شخص غير مستمد من دينه ولكنه على خلق كريم... وفي أن المتدين الواعي لا يخطئ في مسلكه، ضرورة أن الدين صواب وحق، فالخطأ يكون في التطبيق.

وأما المتخلق من غير طريق الدين فقد يخطئ في الكثير أو القليل لأن استمداده من أوضاع إنسانية غالباً...

وما نحب أن تتوسع في تشقيق فلسفي له أربابه، ولا حاجة بنا إليه... وعلى أي حال: فالكثير منا يعرف مناهج الخير.

والكثرة من هؤلاء الكثيرين مع معرفتهم لهذا بحاجة إلى التذكير، والذكرى تنفع المؤمنين.

ومن لم تفده الذكرى في تدينه، أو خلقه في مجتمعه، فلن يكون على مبدأ، وهو إما شيطان يعبث في بيئته وفي الأرض فساداً، أو هو متخلف ومن سقط المتاع، وكلاهما شر في اعتبار الإنسانية وفي اعتبار الدين.

هجر اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

وعلى هذا نقرر في ارتياح أن ما قرأناه عن الذين يعملون بلا عقيدة أو يطمعون من دنياهم بلا عمل فهم يطمعون في غير مطمع، ويثبت أنهم عابثون في لهو باطل. ولا جرم- أن الله حق في ذاته، وتشريعاته، وفي شأنه كله، وهو لا ينشد لعباده غير الحق، ولا يرضى منهم غير الحق.

٦- وإذا كانت العبرة شاخصة في قصص الكتاب العزيز، وكاشفة لنا عما كنا نجهل من شئون سافرة، وموجهة لنا إلى ما يغيب عن وعينا من تقديرات فما الذي يحجبها هنا وقد طويها من الزمن أحقاباً طوالاً، وخطونا في رحاب الدنيا خطى مترامية، وحصلنا من الثقافة والحضارة على نصيب غير ضئيل؟

ذلك أننا لا نستأنس بعقولنا، ولا نستخدم أفهامنا... والنصيحة وحدها لا تغمر القلوب غمراً، وإنما هي لأولى الأبواب، وذوى العقول، ولكل من ألقى إليها السمع وهو شهيد: حاضر الوعي متذنب المشاعر، مستعد للاستجابة.

٧- وبقدر ما تكون العقيدة الدينية صواباً في التدين تكون المبادئ الخلقية حصانة للشخصية، وقواماً للحياة المجتمع؛ فإن هذه من تلك، وكلاهما يهدي إلى الخير، ويكفل راحة الضمير.

الإسلام والعالم

للأستاذ الدكتور محمود حبيب الله

د آسيا ، معلنا : أنه في رحلة يقصدها غزو هذه البلاد غزوا فكريا وعقديا ، فانها لت عليه الدولارات من كل جانب ، لينفذ بها رسالته الدينية والفكرية والسياسية لأن الرجل معروف في مجالات التبشير ، وإذا تحرك تحركت معه الملايين من الدولارات التي يتسابق أرباب اليسار في وضعها بين يديه ، فزار على وجه خاص مواطن الإسلام في د نيجيريا ، ود السنغال ، وبعض بلاد شمال إفريقيا ، ود الجمهورية العربية المتحدة ، وغيرهما من بلاد الإسلام ، وألقى عدة محاضرات في كثير منها ، ثم عاد ليروي كرما حاتميا وحسن ضيافة واستقبال ويعلن أنه لم يجد لها قال أثرا ما في النفوس أو في القلوب .

وبين هذين الحادتين حاضر أحد العلماء من الأمريكيين في دار المركز الإسلامي بواشنطن متحدثا عن زيارته الطويلة لكثير من بلاد إفريقيا ، وعن تجاربه فيها ، وأحاسيسه نحوها ، وجاء فيما قال : د إن إفريقيا لم تعد بعد زوال ظل الاستعمار الغربي مكانا صالحا للشيوعية ، والمستقبل هناك للإسلام أو للشيوعية ، فإذا لم يسيطر

(١) الليلة أود أن أتحدث عن التراث المجيد للإسلام ، الذي غير معالم التاريخ ، ولا يزال العالم الحديث ينعم بآثاره حتى اليوم ، ولكنني سأحدث عن الإسلام وأثره في العالم الحاضر ، وحاجة العالم إليه اليوم ، وحاجة العلم إلى مسلمين كقادة ورواد ، في سبيل إيجاد حياة السكرامنة والعزة والطمأنينة .

من بضعة شهور مضت نشرت مجلة أمريكية كبرى مقالا طويلا لكاتب هندي معروف جاء بين سطوره : د إن الإسلام كقوة ذات تأثير في العالم الحديث ، وذات توجيه في تسيير دقة أموره قد انتهى بالفعل ، وأصبح أقل شأوا من أن يدخل في حسابان الذين يقررون مصائر الأمور في العالم ؛ فينبغي أن يسير العالم في طريقه المرسوم ، دون التفات إلى مبادئ الإسلام ، أو إلى توجيهات المسلمين ، . وقبيل هذا التاريخ بشهور قام مبشر أمريكي معروف بزيارة لإفريقيا ، وكثير من بلاد

(١) من المحاضرة التي ألقاها الأستاذ الدكتور محمود حبيب الله أمام جمع البحوث الإسلامية في قاعة الإمام محمد عبده في مساء يوم الثلاثاء ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ هـ .

و هل يمكن أن يفيد العالم اليوم من العالم الإسلامي ، أو أن الإسلام قد أدى رسالته وانتهى ؟ ذلك كله ما سنحاول الإجابة عليه .
إن عدد المسلمين اليوم لا يقل عن ستائة مليون من النفوس ولا يدخل في هذا العدد كثير من الأقليات الإسلامية في المناطق التي لم تخضع إلى حصر دقيق حتى اليوم ، أو لم تهتم بعمل حصر دقيق للمسلمين بنوع خاص .
وهذا العدد الضخم من البشر الذي يتحد في العقيدة ، وفي الهدف والغاية ؛ لا يوجد له نظير في العالم على الإطلاق ، كما أنه يتميز عن غيره بالتجاور في المكان ، والتركز في قلب العالم ؛ فدول العالم الإسلامي تتركز في بقعة مستطيلة ، تمتد دور حواجز أو فواصل ، من أواسط آسيا ، إلى المحيط الأطلسي ، ومن د روسيا ، في الشمال إلى المحيط الهندي ، وأما في إفريقيا ، فيتضمن حجم السكتلة ، فتمتد شمالا إلى ما وراء البحر الأبيض المتوسط ، وجنوباً إلى ما وراء خط الاستواء .

فوضع المسلمين العددي والجغرافي مكن لهم ولا يزال يمكن لهم من الانصال بغيرهم من البشر والثقافات في يسر وسهولة فينقلون ما لديهم من مبادئ وقيم إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فيلقى آذاناً واعية ، وقلوباً متفتحة ، وهكذا انتشر الإسلام بعمل الأفراد دون أن يكون له نموذج

الإسلام - ووسائل سيطرته على هذه القارة سهلة ميسورة - فستسيطر الشيوعية ولا محالة وبهذا تصبح د إفريقيا ، التي لا يفصل بينها وبين د أمريكا ، سوى المحيط الأطلسي وكرا للشيوعية ، وخطراً جسيماً على د أمريكا ، ثقافياً ومادياً ، وأعلن في النهاية : أنه ينبغي على د أمريكا ، ألا تقف في سبيل المسلمين في عملهم على نشر راية الإسلام هناك لأنهم يفتشرون مع الدين الخلق والفضيلة ، ويबाعدون بيننا وبين الشيوعية .

هذا ، وقد سمعنا من ناحية أخرى عالماً غربياً يوصف بأنه من أكبر علماء الاجتماع في العصر الحديث يعلم في مؤتمر إسلامي عقد في د الباكستان ، : أن الوحدة بين العالم الإسلامي وحدة شكلية تنهار عند التحليل ، وليس بينهم قدر مشترك في العقائد والتقاليد سوى كلمة : د لا إله إلا الله ، ولكن عند التحليل تجدد أن مفهومها يختلف باختلاف العلماء ، واختلاف البلاد

هذه ألوان مختلفة من نظرة رجال من الغرب والشرق إلى الإسلام والمسلمين ؛ فهل حق أن المسلمين قد انتهوا كقوة ذات تأثير سياسي في العالم ؟ وأن الإسلام قد انتهى تأثيره الفكري في العالم ؟ هل حق أن المسلمين مسيروا بعجلة الزمان ، وليس لهم رأى في التوجيه العالمي ؟ وهل حق أن المسلمين لا يجمعهم جامع من العقيدة أو الفكر ؟

تعتبر الآن من أغنى بلاد الله كان لا يمكن أن ترقى إلى هذا الوضع الاقتصادي الذي هي عليه إذا لم تتحد ولاياتها وتكون كتلة يتضامن جميع أجزائها في استغلال الموارد الطبيعية جميعها ، في صالح الجماعة ، والاتحاد هو الذي جعل منها هذه القوة التي يغبطها عليها كل العالم .

وللعالم الإسلامي اليوم من الإمكانيات البشرية والطبيعية ومن القدر الفكري والعقلية ما يجعله أكثر غنى ورخاء من أى بلد آخر من بلاد العالم إذا ما أحسن استغلالها ، وأعيد تنظيمها على أساس سليم ، من الإدراك لمصالح الفرد ، ومصالح الجماعة .

هذا ، وينتاب العالم من ناحية أخرى قلق متزايد له كثير من الأسباب : من الخوف مثلاً من المستقبل والمصير المجهول ومن بين هذه المخاوف خوف الجماعات في القريب العاجل ؛ فأمريكا مثلاً الغنية الفتية : تخشى جماعة تحمل بها وبالعالم فتوى إلى كارثة عالمية في المستقبل القريب ، وقد بدأوا يتخذون المدة لذلك المستقبل ، لمحاولة استغلال أعشاب البحر ونباتاته في الغذاء ، ومنادين فوق ذلك بتحديد النسل ، ولم يدركوا أن هناك قوة أخرى يمكن أن تكون عاملاً فعالاً في التقليل من أسباب المخاوف وحدتها ، وأن تسهم بنصيب وافر في بناء عالم جديد ، تسوده الطمأنينة والرخاء ، وتلك القوة هي العالم الإسلامي ، وذلك لأنه يملك إمكانيات

أو ضغط سياسي . تجد هذا في إفريقيا ، وفي أوروبا ، و أمريكا ، وغيرها من بلاد الله ، يشعر في كلها الفرد المسلم بأنه داعية إلى الله يعرف بالإسلام ، ومبلغ — يشعر بأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم — في التبليغ والقيام بالدعوة ؛ فالقيام بها في نظره فرض عليه ، ينبغى أن يؤديه في كل الأحوال ؛ لذلك وجدت الحقيقة التي يعترف بها الجميع من أن الإسلام ينتشر كل يوم ، وأن عدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم ، في جميع الأوساط والهيئات ، وفي الشرق والغرب على السواء ؛ فليس بصحيح أن نفوذه الأدبي ينكش يوماً بعد يوم ، والعكس من هذا هو الصحيح . حقاً فقد ظهر نجم العالم الإسلامي يلمع في الأفق مؤذناً بفجر جديد وعهد جديد ، تنتشر فيه راية الإسلام على العالم فتسوده الطمأنينة ، ويسوده الرخاء بتضامن المسلمين بما لديهم من مقدورات مادية وأدبية مع محبي السلام من العالم في تحقيق هذه الغاية النبيلة .

إن الثروات الطبيعية ، والموارد الاقتصادية التي تضع الشعوب في أسنى درجات الثراء والرخاء موفورة كلها في بلاد العالم الإسلامي ، ولكنها موزعة على مناطق شتى من مناطقه توزيعاً يجعل تعاون البلاد التي تنعم بها أمراً ضرورياً وحيوياً إذا ما أرادت لنفسها القوة والنهوض ، وإن الولايات المتحدة ، مثلاً ، التي

والسكان والحري وغيرها من مواد الغذاء، والبناء الجسمي والعقلي للجماعات الإسلامية؛ كل هذه موفورة في مواطن العالم الإسلامي وفرة لا نجد لها نظيراً في العالم. فلو نظمت هذه الموارد وهذه الإمكانيات لتخدم المجتمع الإسلامي، ونظمت جهود المسلمين لتخدم الجميع لأصبح المسلمون قوة منتجة، قادة على أن تسهم بنصيب كبير في بناء العالم الحديث، بعد أن يفسح المجال لطاقتها البشرية التي لا تزال حتى اليوم تبحث عن نوافذ للانطلاق، وعندما تنطلق هذه القوى بالتعاون والاتحاد، وتستغل إمكانياتها الطبيعية، فسيتبين العالم كله مدى الخسارة الفادحة التي أصابته من جراء كبت هذه القوى طويلاً، وسيتبين المسلمون أنفسهم أنهم كانوا مخدوعين يوم أن ظنوا أن في الانعزالية، تحقيقاً لرغبات أو مصالح.

وإذا كان حقاً أن المسلمين انحدروا من أجناس وأنساب شتى، وجاءوا إلى الإسلام من ثقافات وحضارات شتى، وأن لهم لغات ولهجات متغايرة متباينة، فإنه لحق كذلك أن الإسلام قد جمع بينهم، والإسلام عقيدة وشرعية، مبادئ ومثل، وطريق للسلوك في الحياة - للسلوك في شتى أنواعه ومظاهره، فغرس لذلك بين الأمم والشعوب التي اعتنقته عادات وتقاليد متشابهة في الحياة، وحدث بها

ضخمة لا يعرف مداها غير الله، ولم تستغل استفلا كاملاً بعد، كما أن طاقاته الكامنة لا تزال تتطلب المزيد، من تعاون القوى البشرية حتى تخرج ما اختبأ في بطونها من كنوز؛ فالعالم الإسلامي الذي يسمونه بلغة العصر الحديث «متخلفاً»، هذا العالم يمكن أن يكون مصدر خير وبركة على العالم كله، وقادراً على أن يسهم بنصيب وافر في إزالة أسباب المخاوف، وحل الأزمات، إذا قدر لموارده الطبيعية والبشرية أن تتعاون وتتحد في سبيل الخير والصلاح العام، وبذلك يصبح من أوائل الدول المنتجة، ويصبح معيناً ومساعداً.

هذا، ولا شك في أنه يمكن للفرد أو للجماعة أن تعيش في عزلة أو شبه عزلة ولكن إلى حين أولاً، وعيش الضرورة ثانياً، الفنى أصبح لا يتناسب مع حاجات الإنسان وكرامته، فالحياة الفاضلة التي تمكن الإنسان من تعمير الكون، والتي أرادها الإسلام للمسلمين تستدعى تعاون الإنسان مع أخيه الإنسان، وتعاون القوى والإمكانيات، التي وجدت لتتضامن وتتآزر في تهيئة الحياة الكريمة للإنسان؛ فلو تعارفت هذه الإمكانيات في الولايات الإسلامية المتحدة، لجعلتها من أغنى، بل أغنى بلاد العالم، فالبرترول فيها، والحديد والصلب، وما إليها من الخامات الطبيعية، والجوت والقطن،

حتى يصبحوا جميعاً أحراراً ، في بناء ما يسمون لأنفسهم من مستقبل في الحياة ، فإذا بعد ذلك ؟ وما الذي سيمصنعونه لأنفسهم ، وبالإستقلال الذي حصلوا عليه بعد كفاح مرير ، وجهاد طويل ؟ إن الحياة في وضعها الحاضر تتطلب التكتل والتعاون بين المتشابهات ، فالمعسكر الشرقي يتكتل ليقبض ، وكذلك المعسكر الغربي ، فعلى العالم الإسلامى أن يتكتل كذلك ، إن التكتل هو لغة العلم ، ولغة العصر الحديث ، الذى لا يؤمن بغير القوة ، وبغير حجم الكتلة ، ونحن كسليين نؤمن بالقوة ونؤمن بالتكتل ، ونؤمن بالفرد كذلك ؛ فللفرد فى فلسفتنا قيمة ، ولكن قيمته لا تعرف إلا فى المجتمع ، والفضائل فى الإسلام فضائل اجتماعية ؛ لأنها إنما تعبر عن نفسها فى المجتمع ، وبين المجتمع .

فإذا أرادت هذه الجماعات أن تحافظ على ما اكتسبته من حقوق واستقلال ، وتبقى ذات أثر فعال ، ونفوذ إيجابى فى العالم ؛ فلا بد لها أن تعمل على تدعيم هذا الاستقلال ، وعلى المحافظة عليه بكل الوسائل ؛ فالحقوق التى يكتسبها الإنسان ليست شيئاً ما يضعه بين يديه ، ثم لا يفلت منها أبداً . إن ما يكتسب من الحرية والكرامة والاستقلال ، وأسباب التطور والعزة والنهوض يحتاج إلى كفاح دائم ، وجهاد مستمر ليبقى فى يد الإنسان

بين اتجاهات المسلمين فى تصرفاتهم وطرائق سلوكهم فى الحياة .

فلو ذهبت إلى أى بلد من بلاد الإسلام لوجدت أن تقاليد وعاداته وتشابه مع تقاليدك وعاداتك إلى حد كبير ، فيما يمت إلى الحياة الإسلامية بسبب ، فلم يوحد الإسلام بين المسلمين فى كلمة التوحيد ، فحسب ، أو فى النظريات الفلسفية فحسب ، بل وحدث بينهم كذلك فى قواعد السلوك ، وفى أساليب السلوك فى الحياة ، فأصبحت عاداتهم متقاربة متشابهة ، تجدد ذلك فى « اليابان » وفى « أندونيسيا » وفى « مجاهل إفريقيا » وفى أكثر بلاد العالم تحضراً وثقافة ، وإن كان بعضهم أقل فهماً وإدراكاً لمفاهيم الإسلام من بعض ؛ فالوحدة بين المسلمين وحدة حقيقية ؛ لأنها وحدة فى الإيمان ، وحدة فى المثل وفى الأهداف ، وحدة فى الشعور ، وحدة فى السلوك الأخلاقى ، وفى التقاليد والعادات ، ووحدة فرق ذلك كله « جغرافية » لما يقرب من ثمانين فى المائة من مجموع المسلمين ؛ فهل نجد فى العالم أسباباً للوحدة والانسجام أكثر تأصلاً وعمقا من هذه الأسباب ؟ .

من عشرين سنوات مضت كانت الدول المستقلة من دول العالم الإسلامى استقلالاً كاملاً لا يتجاوز عددها اثنتى عشرة دولة ، وأما الآن فقد قارب هذا العدد الثلاثين ، وسيزيد قريباً

شواطئ في الغرب والجنوب ، تسهل مراقبتها وحمايتها ، وصحراء في الجنوب يضل فيها الحزيرت ، وتعتبر فاصلا طبيعيا يجعل محاولاته العبور فيها عسيرة التنفيذ .

هذه الوسائل الضرورية للبقاء موفورة كلها للعالم الإسلامى فما الذى يدفع بعض المجتمعات الإسلامية لأن يمد يده لى تلقى شيئا منها من الخارج ، وهى موجودة بين يديه وتحت رجله ، لأنه لانتقصه غير الرغبة والإرادة ، فالأسباب التى أدت بدول العالم الإسلامى إلى هذا المصير ، الذى لا يريدونه أسباب معروفة ومشهورة وليس من بينها : « الإسلام » ، ولكن الانحراف عن الإسلام وعن تعاليمه انحرافا ناشئا عن جهل ، أو عن تصلب بعض الرغبات الجائعة ، وهى المسئولة فى غالب الأحوال عن تدهور الإنسان والإنسانية إلى المصير المحزن الخيف .

فى هذه الظروف القاسية ، وأمام هذا الواقع المألوس الذى نعيش فيه اليوم ، واستجابة لنداء الإسلام بالآلفة والوحدة ، ومجاراة للعرف الحديث من انقلاص المتجانسات وأرباب المصالح المشتركة ينبغى للعالم الإسلامى والعالم العربى أن يفكر من جديد فى وضع يربط بعضه ببعض برباط متين ، ليوفروا لأنفسهم حياة العزة والكرامة والأمن والطمأنينة ، وهذا اللون من الاتجاه يحتاج إلى أن ينتشر وعى جديد

ووسائل الكشف فى العصر الحديث معروفة مشهورة ، وأولها حسن التفاهم والاتحاد ، وأسباب القوة ، وأسباب الوحدة موفورة كلها للعالم الإسلامى ، ولا ينقصها فى التنفيذ غير الرغبة والإرادة ، فأسس الوحدة بين المسلمين - كما قلنا - موجودة فى طبيعة العالم الإسلامى ؛ لأنها من صنع الله ، فأصبحت طبيعة ثانية للمسلمين لا تتخلف عنهم أبدا . ويعجبني فى ذلك ما قاله أحد المستشرقين : « إن مثل المسلمين مثل صندوق رنان ، إذا لمس طرفا من أطرافه ظهر الصدى فى جميع الجوانب الأخرى » ، وكأنه فى هذا كان يشرح الحديث الشريف : « . . . إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحى والسهر » ، وكذلك العدالة والمساواة الضرورية للاجتماع ، ولبقاء هذا الاجتماع . . موفورة كلها للعالم الإسلامى ، لأن المسلمين يعلمون يقينا أن العدل من صفات الرحمن ، وبهقاء السموات والأرض ، وأن المسلم الحق هو الذى يتخلق بخلق الرحمن ، فيكون العدل والرحمة من أخص خصائصه ، وأن الناس سواسية ، لا يتفاضلون إلا بصالح الأعمال ، وقد غدا المسلمون فى هذا الباب مضرب الأمثال .

هذا ، وللمسلمين قوة اقتصادية لا تضارع ، ويمكن أن تكون لهم قوة عسكرية ضاربة ، لا يقوى عليها أحد ، لتحمى الشغور والحدود التى أراد الله أن تكون حصونا طبيعية من جميع الجهات : جبال ووهاد فى الشمال ،

كبير ، فإذا كانت لنا قوة نشعر من يريد بنا شرا أننا لقمة مسمومة وقعت الممارك ؛ لأنها تصبح غير ذات موضوع . فعليكم أتم — أيها الأزهريون — أن تشعروا هؤلاء الناس أننا جادون في الحياة ، وسائرون إلى الأمام بخطى فسيحة ، وخير لهم أن يحاولوا أن يكونوا أصدقاء لهذه القوى الناهضة التي سوف لا تقف أبداً . إن اتحاد العالم الإسلامي آت لا محالة ، وخير للمعسكرات الأخرى أن تريح نفسها ، وتريح أعصابنا فلا تحدث عن الفراغ ومناطق النفوذ ، وتوقف تيارات الإغراء والمؤامرات التي تحاك هنا وهناك ، ولا توجد غير العداوة والبغضاء .

هذا ، وفي الجانب الإيجابي والنوجه نحو المسلمين ، ففي مقدور الأزهر ، والأزهريين أن يصنعوا الكثير ، ولديهم من الإمكانيات مالا يتيسر لغيرهم في هذا السبيل ، فقد تلمنت من زياراتي للعالم الإسلامي : أن الحريجين من أزهرينا المعمور هم القادة ، أو أشباه القادة هناك ، وهم الرواد والموجهون في كثير من بلاد إفريقيا ، وآسيا ، وهذه ثروة ينبغي أن تستغل في إثارة هذا الوعي الجديد ، وتمكينه في النفوس ، كما أن بالأزهر ممثلين لعشرات من الدول والجماعات الإسلامية ليست لهم غاية إلا إعداد الزاد لرحلة الدعوة

بين الشعوب والجماعات الإسلامية يحتاج إلى دعاة ومبشرين ، يبدئون هذه الأفكار في عقل المسلم وقلبه ليفكر فيها ، ويتغنى بها وتكون حله وأمله في الحياة ، ود الأزهر ، هو الهيئة المتميزة بإثارة هذا الشعور بين المسلمين وتمكينه في نفوسهم .

فليس واجبكم هنا أيها الإخوة والأبناء من رجال الأزهر وشبابه أن تعلموا المسلمين الصلاة والصوم ؛ وأركان الإسلام وفضائله وحسب ، ولكن إذا أردتم أن يبقى المسلمون فرادى فقفوا ههنا هذا الحد من التوجيه ، ولكن إذا آمنتم بأن بناء مجد الدولة الإسلامية ليس بأقل خطراً ، بل أكبر مشوبة عند الله من صلاة فرض أو صوم فرض ، إذا علمتم ههنا كله فليتوجه الأزهر ، ولتوجه مراعاة نحو هذا الصراط السوي من الدعوة ، ينبغي علينا أن نبين للعالم الخارجي الذي يريد أن يحمل منا مناطق نفوذ ، ونشاطاً حيويًا له أننا جادون في الحياة ، ولا نريد منها غير مواقف العزة والكرامة ، وقد عقدنا النية على استغلال كل طاقاتنا البشرية والمادية حتى نتمكن من الإسهام بقسط كبير في توفير وسائل القوة للعالم الإسلامي ، وقوة هذا العالم كقيلة وحدها بتحقيق السلام العالمي ؛ فالمعركة بين الغرب والشرق معركة نفوذ إلى حد

يكونوا معلمين ، وينبغي أن يتذكروا دائماً أن وحدة المسلمين أصبحت ضرورة تدعو إليها غريزة البقاء فلا تيسر لهم الحياة الإنسانية الكريمة إلا بها .

إنكم - يارجال الأزهر - تحملون سلاحاً من أقوى أنواع الأسلحة في القوة ، وإصابة الهدف .. ذلك هو السلاح الفكري الإنساني الذي يرضى العقل والوجدان . والعالم اليوم الذي أتخمته المادة ، وشغلته عن نفسه وربه متعطش إلى الجديد ، ويسره أن يجد عندكم بلسم النفوس الذي لا يمكن أن يوجد إلا حين توجد مادة يحكمها دين ، وعلم يهذب خلقاً .. ألا فلنكن هؤلاء الدعاة الذين يكافون من أجل العمران في ظل الدين ، ومن أجل العلم تحت راية الأخلاق ، ومن أجل وحدة إسلامية تحيى فيها هذه المبادئ الإلهية الإنسانية الكريمة .. ألا فلنتذكر أن الإسلام لا عيب فيه ، ولا ينقصه شيء من مقومات الحضارة ، بل هو الموجد لأعلى أنواع الحضارات ، فإذا كانت هناك هيوب ، وإذا كان هناك تخلف ، فهو نتيجة لتفكيرنا ولعلمنا نحن المسلمين ، وليس نتيجة للإسلام ، فدعونا نعمل ونكافح من أجل هذه الغاية النبيلة ونتوجه إلى الله أف بكل مساهمة بالنجاح ؟

الدكتور محمود حب الله

إلى الله ! يمثل الأسلوب الفردي الذي انتشر به الإسلام هنا وهناك وفي جميع الأوطان ، ومهمة « الأزهر » أن يكون بنوع خاص هذا الداعية إلى الله ؛ فهمته تكون رجال يتمكنون من غزو القلوب قبل العقول بالقدوة الحسنة ، من سلامة الصدر ، وحسن القول ، وجمال السلوك ، وبالأسلوب الكريم الذي دعا إليه القرآن ، ؛ فليس « الأزهر » معهداً تعليمياً خصب ، ولكنه بجوار ذلك دار صفى وتربية وتهذيب ليخرج عالماً تحبه وتجله ، ولو خالف رأيك ، وتنفعل نفسك بخلقه ، كما تتأثر بحكمته وعلمه ؛ فرسالة « الأزهر » الضرورية لتحقيق ما ألعنا إليه من غايات نبيلة ينبغي أن يبدأ بها كل منا ، وكل أزهري في حدوده الضيقة أولاً : د ابدأ بنفسك ثم بمن تعمل ، د أصلح بيتك أولاً ، اتجه إلى الله بسلوك الطريق القويم في الحياة ، وستتجه إليك الدنيا صاغرة ، كون مجتمعاً قوياً وسيخطب العالم ودك ، وكل واحد منا يمكن أن يكون جندياً في هذا الميدان ، في نفسه ، وبين أهله وعشيرته ، وقد سمحت لأبناء الأزهر الأيام بمجال خصب ينبغي أن يستغل في هذا السبيل ، وأعني به بعوثنا إلى الخارج ، التي كثرت في هذه الأيام وانتشرت حتى كادت تغم مواطن الإسلام جميعاً ، فالبعوثون رسل الإسلام ودعاة له ، قبل أن

المساهمة الإسلامية في الطب

بفلم : نيرواسطى

أستاذ الطب اليونانى والعربى فى باكستان

مغمضى الأعين على خطى أسلافهم اليونانيين كما أنهم لم يكتفوا بما خلفه جالينوس وأبقراط من تراث قليل ، بل إنهم حصوا هذا التراث وغربلوه ثم أخرجوا منه ما هو مفيد لهم ، ورفضوا دون تردد ما اعتبروه هديم الفائدة قليل الأهمية ، وفضلا عن الشيء الكثير الذى فعلوه فى هذا الميدان ، فإن العلوم الطبية القائمة تبدلت إلى علم جديد بكل معنى الكلمة على أيديهم .

فكتابا «القانون» لابن سينا و «الحاوى» للرازي يعدان شهادتين ناطقتين على مساهمة المسلمين فى هذا العلم .

ولاشك فى أن استعراضا معقولا للمساهمات الإسلامية ستحتاج فى الحقيقة إلى عمل ضخم ، ولكننى سأقتصد فقط بعدد قليل منها .

علم التشريح :

لم يسلم العرب تسليما أعمى بتفسيرات اليونان لعلم التشريح أو بكتاب «علم التشريح» لجالينوس . بل حصوا هذا العلم تمحيصا دقيقا وقد روى عن يوحنا بن ماسويه أنه حين

من المؤلف لدى مؤرخى العلوم والفنون ، ولا سيما أولئك المعنيين بتاريخ الطب أن يتجاهلوا الحقبة الإسلامية فى الفنون والمعرفة بقولهم إنه لم يظهر خلال هذه الفترة أى عمل بناء ، وأن المسلمين حسب رأيهم لم يفعلوا شيئا سوى أنهم حافظوا على التراث اليونانى وأبقوه حيا ، ثم نقلوه إلى العالم الأوروبى ، وإذا سلطنا بوجهة النظر هذه فسيكون المرء عازفا عن دراسة العلم الذى ساهم المسلمون به «مساهمة قليلة» .

ومن بين الفترات الثلاث المتميزة لتطور علوم الطب (وهى اليونانية والإسلامية والأوربية) نجد أن الفترة الوسطى مستبعدة بحجة أنها خالية من الإنتاج ، ولكن هذا الرأى هو على شيء كثير من الخطأ والضللال .

التراث اليونانى :

ليس عندى أدنى شك فى التسليم بأن العلماء والحكام المسلمين قد أعجبوا بالفنون والمعارف اليونانية ، ولكنهم لم يسيروا

ثمانية عظام، بينما أكد جالينوس أنها تحتوى على سبعة . وفى ما بعد اعتقدوا أن الأذن تحتوى على ثلاثة عظام صغيرة لتسهيل طاقة السمع .
الفيزيولوجيا :

يذكر برهان الدين فى كتابه ، شرح الأسباب ، أن الدم يحتوى على عصير العنب (السكر) وقال الرازى إن مادة حامضة وجدت فى المعدة ، واعتقد حنين أيضاً أن هناك عصيراً حريفاً فى المعدة هو الذى يسبب الشعور بالجوع .

وقد شرح علاء الدين أبو الأعلى ، على ابن أبي حزم القرشى من دمشق نظرية الدورة الدموية بالتفصيل قبل ثلاثمائة سنة من السير ويليام هارفى وهو واقع اعترف به البروفسور دكتور . ج . بلاتام من جامعة مانشستر .
وقال حنين بن إسحق إن تركيب الأعصاب هو مماثل للدفاع . ووجد علاء الدين القرشى من دمشق أن الغذاء هو الوقود للحفاظة على تدفئة الجسم ، وقد نمت هذه الفكرة فى ما بعد ، وقد شرح أبو سهل الميحيى بأن امتصاص الغذاء يجرى فى الأمعاء أكثر مما هو فى المعدة ، وحين وصف ابن سينا عملية الهضم قال لأنها تبدأ فى الحقيقة عند مضغ الطعام فى الفم ، وقال أبو الفرج إن هناك أقنية فى الأعصاب تتدفق الأحاسيس والحركات عن طريقها .

ألف كتابه فى علم التشريح استحضر قردة من حديقة الخليفة المعتصم بالله لإجراء اختبارات التشريح عليها .

وقد قام بعملیات كاملة عليها لجعل معرفته أكثر اتساعاً ، وللحصول على المزيد من المعلومات حول الجسم البشرى .

ويقول ابن القفطى إن يوحنا كان ينوى فى البداية التضحية بأنه للقيام بهذه التجارب ، ولكن الخليفة حال بينه وبين هذه الطريقة وبعث إليه بالقردة .

انتقاد جالينوس :

إن الجداول البيانية والرسوم التفصيلية لأجزاء الجسم الإنسانى كذلك التى ظهرت فى كتاب « تشريح المنصورى » ، لمؤلفه منصور ابن محمد (١٣٩٦ بعد المسيح) لم يعثر عليها مطلقاً فى التراث اليونانى .

وفى هذا الميدان نجد أن العرب قد تفوقوا على اليونانيين وقدموا عدة إضافات . وقد كتب عبد الطيف البغدادى فى القرن الحادى عشر ينتقد جالينوس على تأكيدده بأن الفك الأسفل مؤلف من عظم واحد . ويعتبر البغدادى ذلك نقصاً فى الملاحظة الدقيقة . كما لاحظ على بن عباس بأن هناك ثلاث طبقات فى جدران الأوعية الدموية .

واستنتج علماء التشريح المسلمون على عكس جالينوس بأن الجمجمة البشرية تحتوى على

البكتريولوجيا (علم الجراثيم) :

إن العلم الطبي اليوم هو نتيجة أبحاث الجراثيم وفي هذا الصدد تأتى الأبحاث التي أجراها ابن سينا في الطليعة . وقد ذكر ضمنا أن الإفرازات الجسمية تتلوث بجسم أجنبي أرضى غريب قبل أن تصاب بالالتهاب . وذكر ابن ختمية (١٣٦٩ ميلادية) أن الإنسان محاط بأجسام دقيقة تدخل الجهاز البشرى وتسبب الداء ، وقد استشهد الدكتور غروينر بهذه الآراء ليعبر عن رأى القائل إن العرب كانوا مطلعين تمام الاطلاع على نظرية الجراثيم .

وشرح ابن الخطيب وجود العدوى بالتفصيل وقال إنه توصل إليها بعد التجربة والملاحظة .

التشخيص والمعالجة :

وصف الجرجاني في ذخيرة خوارزم شاهى ، الفرق بين جمحوظ العين والقوطر الذى اكتشفه الدكتور بارى سنة ١٨٢٥ أى بعد ٦٠٠ سنة على ذلك ، وكان الرازى أول من ألف كتابا عن الحصبة والجدرى ، وأظهر الفرق بين الاثنين . وفي سنة ١٦٧٩ بدأ المسلمون في تركيا عمليات التلقيح ضد الجدرى التي انتقلت إلى أوروبا في القرن الثامن عشر عن طريق اليدى موتاغوزوجة السفير البريطانى في تركيا ، ولم يكن الأطباء

اليونانيون يقدررون على التفرقة بين الداءين . وقد اقترح أبو المنصور سعيد بن بشير ابن عبدوس ، على عكس الأطباء اليونانيين القدماء ، الأطعمة الخفيفة والأدوية التي تسبب البرودة عند معالجة الشلل العمومى وشلل الوجه .

وقد طبق أبو الحسن الذى كان طبيب عضد الدولة طريقة الفصد لمعالجة النزيف الدماغى الذى ينتج غالبا عن الضغط الدموى ، وفي تركيا كان الطبيب المسلم شرف الدين سابونكو أوغلو هو أول من جرب الترياق على الديكة قبل إعطائه إلى المرضى .

وقد شرح أبو القاسم الزهراوى (في القرن العاشر) أن الجرح في النخاع أو النخاع الشوكى يسبب الشلل .

قناة المعدة :

استخدم الأطباء العرب قبل الجميع قناة المعدة لإجراء عملية تطهير المعدة في حالات التسمم . وكانوا يعرفون تمام المعرفة مبادئ علاج العضو بالعضو ، وهذه الطريقة في المعالجة نسبت للدكتور براون سيكوارد الذى مارسها منذ خمسين سنة فقط ، بينما كان العرب مطلعين عليها تماما قبل عدة قرون قبله .

وكانوا يستخدمون دماغ الحيوان لمعالجة الحثل العقلى والخصى للضعف الجنسى ، وقد

وفي القرن الخامس عشر استعان شرف الدين سابونكو أوغلو من تركيا بكتاب التصريف ، ثم زاد عليه من خبرته مستشهداً بصور العمليات التي أجراها والتبديلات التي قام بها على الأدوات الطبية .

وقد قدم ابن زهر (القرن الحادى عشر) فى كتابه (التيسير) وصفاً كاملاً لعملية قصبة الرئة ، بينما لم يرد أى ذكر لذلك فى كتب اليونان . وكان ابن سينا أول من شرح معالجة ناسور العين (الغرب) وأدخل المحراف الطبي فى مكان الجرح . وقد كان المسلمون أول من طبق طريقة التبريد لوقف النزيف ، وتقليب الجروح بخيوط حريرية ، وقد كانوا هم الذين بدءوا فى معالجة الجروح بالمكى .

وكان الرازى أول شخص عمد إلى استخدام الكحول فى الأغراض الطبية .

وطبق المسلمون التخدير فى العمليات الجراحية . وفى العمليات الرئيسية كانوا يعتمدون إلى جعل المريض فاقداً وعيه حتى لمدة سبعة أيام .

وقد ساهم المسلمون مساهمة قيمة فى جراحة العين ، وأجروا جميع العمليات التي تجري فى أيامنا الحاضرة . وكانوا يعرفون تمام المعرفة لإظلام عدسة العين الذي ينتج عن السمكة العدسية وقد استخدموا النظارات

ورد وصف مفصل فى هذا الصدد فى كتاب (حياة الحيوان) .

وقد شدد ابن الوافد على المعالجة بواسطة مراقبة الغذاء (أى الحمية) وأوصى رضى الدين بالأغذية المغذية لمعالجة الضعف والهزال . وسجل بهاء الدولة السعال الديكى لأول مرة سنة ١٥٠٧ ، بينما اكتشفته أوربا بعد عدة قرون . وكان على بن ربان يعتبر عرق النساء مرضاً عصبياً ويصف السكى لمعالجته . وكان أبو الحسن الطبرى أول شخص أعلن أن السل هو مرض ينتقل بالعدوى ، وأنه لا يصيب الرئتين فحسب بل الأعضاء الأخرى ، أما مرض ورم الكلية الذى أطلق عليه هذا اسم برايت بعد اكتشافه على يد الدكتور ريتشارد برايت فى القرن الثامن عشر فقد اكتشف فى الحقيقة على يد نجمب الدين السمرقندى منذ عدة قرون قبله . وقد شرح أيضاً أن الزلال الأبيض ينتقل إلى البول ويصبح الجسم متورماً . وكان أبو المنصور الحسن القمى فى كتابه (غنى ومنى) قد كشف النقاب قبل عدة قرون عن (قراد الجرب) .

الجراحة :

أدخل المسلمون فى الجراحة تبديلات جوهرية . وقد اخترع أبو القاسم الزهراوى عدة أدوات جراحية شرحها فى كتابه (التصريف) .

اليونان في صدد فن الولادة . وكان العرب هم المخترعين الحقيقيين لهذا الفرع من فن الطب . وكان أبو القاسم الزهراوى أول من وصف في كتابه (كتاب التصريف) وضع الجنين . واخترع طريقة تكسير الجمجمة لتخليص الجنين الميت ، وقد أجرى بنفسه مثل هذه العملية . وقد صور كتاب (الآثار الباقية) الموجود في مكتبة أدنبرة طبيباً عربياً وهو يقوم بالعملية القيصرية . أما المساهمات التي قام بها المسلمون باكتشافهم أدوية جديدة ووسائل علاجية فهي كثيرة في عددها وفي قيمتها . وقد خصص جورجى زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامى (الجزء الثالث) فصلاً كاملاً لهذا الموضوع وما جاء فيه :

« لقد بدأ العرب لأول مرة في استخدام طرق الكى في الجراحة ، ووصفوا حالة أظافر المرضى بالسسل ، واكتشفوا معالجة داء اليرقان . واقترحوا استخدام كمية معقولة من الأفيون لمعالجة الجنون واقترحوا لمعالجة نزف الدم تبريد الرأس بالماء البارد وكانت طريقة عملية لإظلام العين الأولى التي وصفها العرب . وشرح العرب أيضاً طريقة تفتيت الحصاة ، ووضعوا الكتب عن عدة فروع طبية لم يتوصل إليها أسلافهم وفي هذا الصدد يعتبر كتاب يوحنا بن ماسويه

لمعالجة اختلال النظر وكانوا يضعون لها عدسات ذات قوى مختلفة .

وكان الرازى أول من أعطى شرحاً لعملية استئصال إظلام عدسة العين ولوصف انعكاس القرنية للضوء .

وقد شرح المعلق على كتاب (الأسباب)

في الفصل المتعلق بإظلام عدسة العين ،

الوصف الكامل لمثل هذه الأمراض التي تصيب

العين . ونصح ابن سينا عند مجئه مرض

السرطان لأول مرة ، بوجوب استئصال

جميع الأجزاء المصابة والأوعية المحيطة به

كلها عند إجراء العملية . وقد تحدث الأطباء

المسلمون لأول مرة عند وصف عمليات

الجمجمة وأجزائها عن عملية اللهاة والنواسير

الأنفية . وقد اخترعوا طريقة لإزالة

اللوزتين وإخراج السائل من طلبة الأذن ،

ونصحوا في حالة سرطان اللسان استئصال

اللسان بكامله . وفي حالة التهاب مخ العظام

اقترحوا إزالة العظم المصاب . وكان الجراحون

المسلمون هم أول من أجروا عملية غلاف

الأحشاء المخاطي ، واستخدموا طريقة آلة

تروكال وقصبة كانولا لإخراج المياه . وكان

أن طبقت الطريقة نفسها فيما بعد على يد فولر

وبوتن وقد وصفها بهاء الدولة بالتفصيل .

فن الولادة :

لم يصل إلينا سوى النزر اليسير عن

على وصف ٨٥٥ عشبة فقط . وقد رفع بعده ابن البيطار في كتابه « المفردات » ، هذا العدد إلى ١٤٠٠ . وكان علم الصيدلة متطوراً جداً عند العرب . وقد ألفوا جميع أنواع الأشربة والمعاجين النباتية وبدءوا باستخدام أقراص الطريفلات في المعالجات الطبية وقد طبق العرب استخدام ورق الذهب والفضة عند لف الأقراص . وقد أدخل العرب لأول مرة طريقة دستور الأدوية (الأقرباذين) في العلم الطبي . وكان سابور بن سهل أول طبيب وضع دستور الأدوية الذي لم يكن معروفاً عند اليونانيين .

فن الكيمياء :

أولى العرب اهتماماً كبيراً للكيمياء . وفي الحقيقة هم مؤسسوها الحقيقيون . وفي هذا العلم كانوا أول من شرح طرق الترشيح والتصيد ، والتقطير والتبلور والتذويب . وقد حضروا عدة مركبات كيميائية كحامض النريك ، وحامض الكبريت ، وحامض النتروهيديروكلوريد . وفيرى سولفاس ، وليكورا مونيا ، وكلوريدات الزئبق ، وأوكسيد الزئبق ونوات البوتاسيوم ... وتقوم الأعمال الطبية المعاصرة على نطاق واسع ، على أساس هذه الكيمائيات وفضلاً عن ذلك فإن أنواعاً عديدة أخرى من

عن الجذام ، وكتاب الرازي عن الجدري والحصبة ، وكتاب أبو موسى بن عيسى عن حبوب الأدوية ، وكتاب قسطا بن لوقا عن الوفاة الفجائية ذات قيمة كبرى .

وكان الرازي أول من طبق عملية تبريد الرأس في معالجة داء السقطة ، واستخدام الماء البارد في معالجة الحمى المحرقة (التيفوئيد) وكان ابن سينا أول من أوصى باستخدام فرش الماء للمريض بالتيفوئيد ، وكان أن طورت هذه الطريقة في ما بعد بشكل أنابيب لیتل ، وأكياس الثلج التي تستخدم في أيامنا الحاضرة .

فن الصيدلة :

أما في ما يتعلق بفن الصيدلة فقد قدم العرب خدمات قيمة ، فقد اكتشفوا الخواص الصيدلية لأصل الراوند والكافور والسنا ومارسوا استخدام البنج في الطب . واستحضروا السكر واستخدموه في العسل وقد استعانوا بالأعشاب الهندية في علاجاتهم واكتشفوا عدداً من الأعشاب المفيدة التي لم تكن معروفة للأطباء اليونانيين . وقد اخترع الرازي مرهم الزئبق . وقد وضع أول كتاب عن الأعشاب اليونانية على يد ابن الموفق بالفارسية وعنوانه « كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية » ، الذي يحتوي

ولكن أسماء اثني عشر طبيباً يونانياً ظلت غير معروفة .

نظام الطب ونظرياته .

اكتشف الأطباء العرب وقائع عديدة ثبت أنها حقيقية في الأبحاث الجرثومية الحاضرة . وأن كل ما يتعلق بالعناصر والأمزجة والاختلاط والطباع فقد حصرت بأربعة وظل حصرها قضية لا يختلف عليها أحد بين العرب . وقد شرح ابن سينا بأن بعض الأمور تتعلق بالنفسانيات بدلاً من العلم الطبي ، ويتوقف الأمر على الأطباء للتسليم بذلك أو رفضه . وقد آمن الأطباء العرب بنظرية أن لكل شخص طبعه الخاص وهو يتأثر حسب ذلك . وقد شرح ابن سينا هذه النظرية مفصلاً . فقضية « الحساسية » في العصر الحاضر تقوم في الواقع على أساس هذه النظرية .

القوة الدفاعية :

كان العرب عند معالجة أحد المرضى يولون عناية خاصة للقوة الدفاعية عند الشخص . وكانوا يعتقدون - عن حق - أن الطبيب الحقيقي هو القوة الدفاعية الحقيقية للجسم ، وأن مهمة الطبيب هي تقديم المساعدة لهذه القوة . وقد أيد ابن زهر الأندلسي هذه النظرية كل التأييد . وقد كان أهم عمل قام به العرب في علم الطب هو تنظيم الفروع المختلفة لهذا العلم ، وتعتبر كتب فردوس الحكمة ، وكامل

الحوامص والقلويات استحضرها العرب . ومن المهم في هذا الصدد أن نلاحظ أن العرب لم يضعوا فقط أساس الكيمياء العصرية بل أصلحوا عدة نظريات يونانية قديمة . وكان يعقوب بن إسحق الكندي من أحسن من محصوا الكيمياء اليونانية وانتقدوها .

كتاب الأدوية :

يعتبر « كتاب الأدوية » الذي ألفه دسقوريدوس دليلاً كبيراً على اهتمام العرب بالأبحاث وتشوقهم للمعرفة في الأدوية . ويعتقد أن هذا الكتاب قد ترجم لأول مرة على يد استيفن بن باسيل على عهد الخليفة المتوكل بمراجعة حنين بن إسحق . ولكن الأسماء البديلة لمعظم الأدوية اليونانية ما زالت ضائعة . وقد أعيد النظر في هذا الكتاب حين حملت نسخة منه من بغداد إلى أسبانيا على عهد الخليفة الأندلسي الناصر ، وقد حملت نسخة أخرى منه باللغة اليونانية القديمة من مكتبة أباطرة الرومان للتصليح . وظن أنه لا يوجد شخص يستطيع فهمه فطلب إلى الإمبراطور الروماني إرسال عالم لغوي معه أيضاً . وقد أوفد راهباً يدعى نيقولا وهو متضلع في اللغة اليونانية القديمة إلى أسبانيا لهذا الغرض . وكان يعاونه أطباء عرب لإتمام ترجمة هذا الكتاب .

والرازي في ميدان الطب . وما زال « كتاب الحاوي » للرازي يعتبر من أهم الكتب الذي لا يوازيه كتاب في قيمته الضخمة .

حرية التفكير :

كان العرب مشهورين بصورة خاصة في حرية تفكيرهم وبنظامهم التعليمي العملي في علم الطب ، وقد أعلن يوحنا بن ماسوية بصراحة في كتابه « النواذر الطبية » أنه لا يريد أن يتبع المبادئ القديمة لأسلافه دون وضعها موضع التجربة في المعرفة والخبرة ، وأن كل ما وجدته مخالفا للتجربة والاختبار كان يرفضه . ولاحظ هبة الله ابن ساعد في مقدمة كتابه دستور الأدوية (القرايين) أن الوقائع الحقيقية هي التي خضعت عند التجربة . كما أعلن الرازي في كتابه الحاوي وكتاب الفاخر أنه غير متفق مع أسلافه في كثير من المسائل . بل سجل معظم نظرياته القائمة على الملاحظة الشخصية دون أن يهتم بما فكر به اليونانيون ، وقد اتبع الطريقة نفسها ابن سرافيون في كتابه « الفصول المهمة في طب الأمة » .

التعليم العملي :

والى جانب حرية التفكير كانت المساهمة البارزة التي قام بها العرب هي نظامهم العملي في التعليم . وقد كانوا هم أول من بدأوا التعليم العملي لطلاب الطب في مستشفياتهم .

الصناعة ، والقانون ، والحاوي وعدد كبير من الكتب الماثلة مراجع قيمة في هذا الصدد .

والتراث اليوناني هو خال من ثروة المعرفة التي تتضمنها هذه الكتب .

الآثار الأصلية :

لقد قيل إن أهم مساهمة قام بها العرب هي ترجمة الكتب اليونانية على عهد الأمويين والعباسيين ، وفي رأي أن أعمالهم الأصلية التي تشكل الآن جزءاً من مكتبات روما وباريس وانكلتر وتتركيا هي مساهمات حقيقية . فقد بدأ العرب في تصنيف كتبهم الأصلية في مطلع العهد العباسي ، بينما كانت ترجمة الكتب اليونانية متقدمة في بغداد بإشراف حنين بن إسحق ، وكان مؤلفو هذه الكتب يفتخرون في معظمهم إلى مدرسة جنديسابور الفكرية ، ومن أبرز هؤلاء المؤلفين سابور بن سهل وعيسى بن موسى ، ومن أهم كتب الأخير « كتاب من لا يحضره طبيب » . وهناك كتاب آخر لابن ماسويه هو « كتاب الحمية » المزود بالجدول والخرائط .

وبعد هذه المرحلة تماماً بدأت فترة طويلة مشمرة من الأعمال الأصلية والتصنيف في علم الطب العربي . وظهرت شخصيات عظيمة كعلي بن عباس المجوسي ، وابن سينا ،

ويقول مؤلف «طبقات الأطباء»، إن هذه الطرق لم تكن مطبقة مطلقاً في مدارس الإسكندرية الطبية قبل عهد المسلمين. وكان حضور الطلاب إلزامياً في المستشفيات التي أنشأها المسلمون والتي استخدمت في ما بعد كنماذج لمستشفيات إيطاليا وفرنسا. ويقول الرازي إن الطبيب يجب أن يتمتع بشرطين لاختياره: أولاً يجب أن يكون مطلعاً تمام الاطلاع على العلوم الطبية القديمة والحديثة. وثانياً يجب أن يكون قد عمل في أحد المستشفيات كطبيب مداوم.

وكان إبراهيم بن بكس أستاذا منتظماً في مستشفى عضد الدولة. وكان تلامذة الرازي يزورون المرضى في مستشفى الري. وكان يوجد مجلس للعلم تم تأليفه في مستشفى مباحقين لبحث حالات وأمراض المرضى، وكان زاهد العلماء مدير هذا المجلس، ونتيجة لذلك بدأت التشخيصات السريرية. وكان يجرى تسجيل أحوال المرضى وطرق شفائهم بانتظام، وتحتوي كتب «الحاوي»، «الفباخر»، «والفصول» المهمة على وصف كامل لمثل هذه التشخيصات السريرية والمعالجات.

والخلاصة لم يضع المسلمون فقط أسساً متينة لعلم الطب الحديث، بل وضعوا أيضاً بناء رائعاً له. فهل نكون شرفاء ومنصفين إذا وصفنا هذه الفترة الجميدة في العصور المظلمة؟

مراجع:

- كتاب القانون لابن سينا.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
- معجم الأطباء.
- طبقات الحكماء لابن جليل.
- طب العرب.
- الطب العربي تأليف الدكتور ادوارج. براون.
- الطب العربي تأليف الدكتور دونالد كامبل.
- دراسات في العربية والفارسية.
- الأدب الطبي تأليف الدكتور محمد زبير صديقي.
- بعض الوقائع المجهولة عن الطب العربي تأليف الحكيم كبير الدين.
- التاريخ الطبي للفرس تأليف الدكتور ألفود.
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي.
- تاريخ تمدن الإسلام لجورجي زيدان.
- شرح القانون لأبي الحسن الفريسي.
- الفهرست لابن النديم.
- وفيات الأعيان.
- الأنسكلو بيديا البريطانية (مادة السكر).
- كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون.
- الحاوي طبعة حيدر آباد.
- «غنى ومف» طبعة لاكنو.
- كتاب التصريف طبعة لاكنو.
- شرح الأسباب والعلامات طبع دلهي.
- فردوس الحكماء طبعة برلين.
- أصول تاريخ الطب التركي تأليف.
- البروفسور سليل أنور.

نبراهي

أستاذ الطب اليوناني والعربي في باكستان

الكندى فيلسوف العرب

للاستاذ سعيد زايد

لم يذكر المؤرخون على وجه التحديد تاريخ مولد الكندى ، ويرجحون أن مولده كان سنة ١٨٥ هـ ، أى فى الأيام الأخيرة لحياة أبيه ، وهم إذ كانوا لم يحددوا تاريخ مولده ، فإنهم بالتالى لم يهتدوا إلى تاريخ وفاته ، فقليل إنه توفى فى أواسط القرن الثالث الهجرى .

فهو إذن قد نشأ يقياً ، وفاته أن يمرح بين ربوع الجاه والسلطان ، وإن لم يفته أن يعيش فى مجبوحة من المال والرفاهية . كفلته أمه فدبرت أمره ومآله ، ورأت فيه مخايل الذكاء وحب المعرفة فألحقته بدور العلم .

ووفقاً للتقاليد المرعية فى تلك الأيام حفظ فيلسوفنا القرآن على يدي معلم ، ثم تعلم الخط والحساب . وأنس فى نفسه ميلاً إلى الرياضيات ، فأقبل على العلوم الرياضية والفلك . ولكن لم تفته المشاركة فى علم الكلام ومباحثه ؛ وهذا أمر طبيعى بالنسبة لأى مفكر فى زمانه ، فقد كانت قننة القول بخلق القرآن على أشدها ، وكان لا بد من إبداء الرأى فيها . إلا أن مشاركة الكندى فى ميدان الجدل كان بقدر ؛ فقد كان عفاً للسان ، بعيداً بطبعه عن الفتن والدسائس ،

(١) أئن سعى الفارابى بالمعلم الثانى ، وأطلق على ابن سينا لقب المعلم الثالث ، فإن الذين نعتوا الكندى بفيلسوف العرب لم يتعدوا الدقة فى كثير أو قليل .

فإن أوضح برهان لذلك النعت هو عربيته الأصلية ، فهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن الصباح بن عمران بن محمد بن الأشعث ابن قيس ، من قبيلة كندة التى كانت تستوطن جنوب شبه جزيرة العرب . ولقد ذكر ابن أنى أصيصة فى دعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، من نسب الكندى ما يرجع به إلى قحطان ، وهذا دليل على أنه عربى صميم . ولقد توفر الكندى على دراسة العقلية ، وعد أول من أخذ بمذهب المشائين فى الإسلام ، فى وقت كان فيه أغلب المقبلين على الدراسات العقلية من غير العرب الأصلاء . وبالرغم من عراقة أصل عائلة الكندى وشرف محتدها فقد رحل بعض أفرادها إلى العراق ، وأصابوا فى عهد الدولة العباسية مناصب كبيرة ، وكان أبوه من أصحابهم بعض المناصب ، فقد كان أميراً على الكوفة .

(١) بمناسبة مهرجان الكندى الذى عقد أخيراً فى بغداد .

مكتبة زاخرة بالكتب النفيسة، سميت بالخزانة الكندية، كما يقول ابن أبي أصيبعة. وللجاحظ بالنسبة لفيلسوفنا نوارد تصفه بالبخل. والظاهر أن الذى حدا بالجاحظ إلى هذا، هو - كما يقول أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق فى كتابه: «فيلسوف العرب والمعلم الثانى» - «إن نوع الحياة التى كان يحياها الكندى الفيلسوف بحكم ما فيها من عزلة وانقطاع عن مجامع الأدباء والعلماء، واتصال بالترجمين والفلاسفة وهم غير مسلمين ولا عرب، لم يكن من شأن ذلك أن يجعل الكندى خفيفا على أرواح من يرون فى الحياه غير ما يرى. ولعل هذا هو السر فى أن عمر بن بحر الجاحظ جعل من الكندى فى كتابه «البخلاء» موضوع أسماء وفكاهات».

عاش الكندى إذن عيشة الفيلسوف، وهى ما نعرف من نظام فى المأكل والمشرب، واقتصاد فى الأهواء، ومجاهدة لشهوات النفس الأمارة بالسوء، فكان شعاره حكمته المأثورة «اعص الهوى، وأطع ما شئت»، ونبراسه العبارة التى رواها الشهرزوى فى «نزهة الأرواح»، «من ملك نفسه ملك المملكة العظمى، واستغنى عن المؤن. ومن كان كذلك ارتفع عنه الذم، وحمده كل واحد، وطاب عيشه. ولو أفسد أحد أحسن أعضائه كان مذموما،

فلم يشأ أن يخوض بصورة فعالة فى معارك أهل الأدب ورجال الدين خوفا من حدوث ما لا تحمد عقباه، وآثر العزلة والبحث العلمى، والاطلاع.

فإلى جانب مشاركته فى علم الكلام وإقباله على الرياضيات، قرأ فى الفلسفة التى نقلها المترجمون عن فلاسفة اليونان والفرس والهند، بل حاول أن يتعلم اللغة اليونانية ليقرأ بها آثار اليونانيين فى منابغها الأصيلة، ويحاول من جهة أخرى أن يترجم منها إلى اللغة العربية والثابت أن الكندى كان يعرف اللغة السريانية وقد نقل منها بعض الكتب إلى اللغة العربية، كما رواه القفطى فى «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» من أنه نقل كتاب بطليموس المسمى كتاب «الجغرافيا فى المعمور من الأرض» إلى اللغة العربية نقلا جيدا، عن السريانية. ولقد عده أبو معشر، كما رواه ابن أبي أصيبعة فى «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء»، أحد أربعة رجال حذقوا الترجمة فى الإسلام، وهم: حنين بن إسحاق، ويعقوب بن إسحاق الكندى، وثابت بن قرة الحرانى وعمر بن الفرغان الطبرى.

وقد عاش الكندى - كما ذكرنا - مرفها، فقد كان له ضيعة بالبصرة، وكانت له فى بغداد دور يؤجرها. ورجل هذا شأنه من الغنى وحب العلم كان من الطبيعى أن تكون له

عظيما في معرفتنا له . ولقد نشر هذه الرسائل في جزئين الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريذة سنة ١٩٥٠ ، ونشر الدكتور أحمد قواد الأهواني إحداها وهي « كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى » سنة ١٩٤٨ .

ورسالة الكندي في الفلسفة الأولى من أطول رسائله ، يقول فيها - بعد الديباجة - : إن صناعة الفلسفة من أشرف الصناعات الإنسانية ، منزلة ومرتبة ، فهي صناعة حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان . وغرض الفيلسوف إصابة الحق من الناحية النظرية والعمل به في الحياة . وإذا كانت صناعة الفلسفة شريفة ، فإن أشرف أبوابها هو البحث في الفلسفة الأولى أي البحث في معرفة العلة الأولى للكون ، وبالتالي يكون أشرف فيلسوف هو الباحث في علل الكون أو الباحث في علم الحق الأول الذي هو علة كل حق . فالعلة الأولى أولى بالشرف ، وأولى بالجنس وأولى بالترتيب ، وأولى بالزمان ، فإنها علة الزمان .

والباحثون في الحق - على رأى الكندي - من أتى منهم ييسر منه ، له الشكر العظيم ، فضلا عن أتى بكثير منه ؛ وذلك لأنهم أفادوا الناس من ثمار فكريهم ونوروا لهم الطرق الخفية . وقد ذكر الكندي أن أرسطو قال : إنه ينبغي أن نشكر آباءهم ، إذ كانوا سبب كونهم .

وأشرف الأعضاء الدماغ ، ومنه الحس والحركة وسائر الأفعال الشريفة ، ومستعملو السكر يدخلون الفساد على أدمغتهم ، ومتى توالى السكر على أحد بدون مرض دماغه ، واشتد ادضعفه وبعده عن القوة الممدة للأفعال الإرادية والنفسانية .

هذا ، ولقد كتب الكندي في الفلسفة ، والمنطق ، والرياضيات في أغلب فروعها مثل الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ، والطب ، والكيمياء ، والسياسة ، وهو كما يقول ابن النديم في « الفهرست » : « له في أكثر العلوم مؤلفات من المصنفات الطوال والرسائل القصار .

وقبل أن تعرف ، أو بالأصح قبل أن تكتشف كتيبه ، كانت الآراء تختلف حول الكندي وقيمه العلية ، وفيما إذا كان متكلما ومعتزليا ، أو فيلسوفا له مذهبه المتكامل في تفسير مشاكل الكون ، أو هل هو ممن احتذى حذو أرسطو أم سار على نهج خاص .

واكتشاف كتب الكندي أو على الأصح اكتشاف بعضها لم يأت دفعة واحدة ؛ بل إن بعض رسائله كان معروفا لدى الغربيين ، وترجم إلى اللغة اللاتينية ، وتدارسه محبو الفلسفة . ولكن اكتشاف المستشرق الألماني العلامة ريتير لمجموعة رسائل الفيلسوف في مكتبة أياصوفيا سنة ١٩٣٢ أحدث أثرا

وفائع مأموسّة : من شمار الإيمان للأستاذ محمد رجب البتوي

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال
والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، (قرآن كريم)

أدى عمر بن الخطاب صلاة الفجر ذات
مرة ، ثم تطلع إلى من وراءه من الناس ،
فوجد المصلّي حاشداً يمجج بالراكع والساجد ،
والمسبح والمترنل ، ونظر غير بعيد فلبح
متم بن نورية يجلس في زاوية هادئة وقد
وضع رأسه بين يديه كمن يفكر في شجن مرير ،
فنهض أمير المؤمنين من مكانه ، ودنا منه
فخياه في تواضع ، وأخذ يسأله عن نفسه
ومعاشه وبيته ، واستنشدته آخر ما قال
في رثاء أخيه مالك ، فاسترسل الشاعر

(بقية المنشور على صفحة ٦١٢)

في بغداد . ولعل حكومات العرب تضع في
اعتبارها - دائماً - إقامة مهرجانات ذكرى
للفكرين العرب . فقد أقيم منذ أكثر من
عشر سنوات مهرجان ابن سينا . وأقيم منذ
ستين مهرجان الغزالي ، ولست أدري لم اهتم
المستولون بمن جاء بعد الفارابي وبمن جاء قبله
ولم يهتموا به وهو فيلسوف عظيم أسس مذهباً
فلسفياً متكامل الأطراف وله في جميع فروع
الفلسفة آراء أصيلة .؟ لسنا هنا نلفت النظر
نحو الفارابي وحده ، بل إنما نرجو أن يكون جميع
مفكري الإسلام موضع الاعتبار ، فإن هذا
يربطنا بما ضيّننا التليد .
سهيير زايير

فعلم حقائق الأشياء ، عند الكندي ، علم
شريف نافع ؛ ذلك لأن فيه د علم الربوبية ،
وعلم الوجدانية ، وعلم الفضيلة ، وجملة علم
كل نافع والسبيل إليه ، والبعد عن كل ضار
والاحتراس منه ؛ واقتناء هذه جميعاً هو الذي
أتت به الرسل الصادقة عن الله ، جل ثناؤه .
فإن الرسل الصادقة صلوات الله عليها إنما
أتت بالإقرار بربوبية الله وحده ، وبلزوم
الفضائل المرتضاة عنده ، وترك الرذائل
المضادة للفضائل في ذواتها وإيثارها .

وبعد ، فهذه كلمة قصيرة عن حياة الكندي
الفيلسوف العربي ، وعن مقدمة رسالته في
الفلسفة الأولى ، بمناسبة مهرجان الذكرى

كبيراً ، فعمر الصارم الجاد كان يستجيب
لعاطفته الرحيمة حين تهب عليه لوافح
الذكرى المؤسية ، فيستشعر طيب الحزن
يندلع في صدره ثم يستروح برد التأسى حين
يجلس إلى شاعر مفجوع فيسمعه أصدق
الرثاء ، ويريق بين يديه عبرات الشجي
الضارع ، حزينة النغم ، دامية الرنين ، ويود
لو كان شاعراً يفصح عن ذاته لينطلق أواره
الحبيس في قافية مجاللة ذات تصوير وتمثيل ،
ولاكنه يفاجأ بحقيقة سارة لا يدري كيف
غابت عنه على وضوحها البارز ، وصدقها
الأكيد ، فأخوه الشهيد ينعم برضوان من
الله أكبر ، ومهما انسدل بينهما حجاب الغيب
الآن فسيأتي يوم يرفع فيه الستار ، وسيطلع
الأخ الصابر ليجد أخاه مع الذين قتلوا في
سبيل الله حيا يرزق ! وإذن فقيم الأسف
الجازع والشجي المرير ، !! إن هذا المعنى
المؤمن يترأى له فجأة فينزل على صدره
المحوروز نزل الندى الماطر على الزهرة
الملتاحة ، فتنبسط أساريه بعد انقباض ،
ويصيح صوته منطلقاً بعد احتباس ما عزانى
أحد بمثل ما عزانى متم ! الحمد لله رب العالمين !!
ليس الفاروق وحيداً في بابه ، فنحن
نشاهد عشرات المصابين ، تفجؤهم الكارثة
الصاعقة يطيش لها اللب الحازم ، ويتزلزل تحتها
الفؤاد الراسخ ، ولكنهم يتوبون إلى نفوسهم

في إبداعه ، وعمر الأديب الراوية يهتز للبنى
الجسد ، ويهش للتعبير الصادق ويلبس
ياحساسه الأدبي ما وراء هذه الزفرات
المنظومة من مشاعر لاهبة تذوب أسى وتفتلى
اضطراباً ، ثم انحدرت دمعتان ساختان
على خد الخليفة العادل ، فتطلع إليه الشاعر
وسأل متعجباً :

ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟

فقال له عمر في صوت تخنقه العبارة ،
وتعوقه الزفرة ، وددت أنى كنت شاعراً
فأرئى أخى زيد بن الخطاب بمثل قولك :

وكنا كندمانى جذيمة حقة
من الدهر حق قيل لن يتصدنا
فلما تفرقنا كأنى ومالك

على طول وصل لم نبت ليلة معا
فتطلع إليه متم متحيراً ، ثم أسمعفه
خاطره المؤمن فقال : هنيئاً لك يا أمير
المؤمنين أن رزق أخوك الشهادة في سبيل الله ،
فلقى الجنة راضياً مرضياً ، ولومات أخى
مالك على مثل ما مات عليه زيد بن الخطاب
مارثيته ببيت واحد ، إذ راح ينم
برضوان الله !

فانطلق بالبشر وجه الفاروق سريعاً ،
وزال عنه ما جلله من كآبة الشجن العابر ،
وصاح متهللاً ، والله ما عزانى أحد بمثل
ما عزانى متم ، الحمد لله رب العالمين .

هذه القصة الصغيرة تحمل وراءها معنى

وكان له إحدى عشرة سنة، وقد حفظ القرآن، ولقنه من الفقه والحديث شيئا كثيراً على حداثة عمره، ثم امتحن بفقده، فجثت أعزیه، فقال لي في هدوء: كنت أشتى موته!! فتعجبت كثيراً، وقلت: يا أبا إسحاق؛ أنت عالم الدنيا، تقول مثل هذا في صبيك وقد نبه، ولقنته الفقه والحديث! فأسند رأسه إلى الحائط، وأطرق قليلاً ثم قال: لقد رأيت منذ عام في النوم كأن القيامة قد قامت، وكان صبيانا بأيديهم القلال فيها الماء، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم حار شديد الحرارة، فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، فنظر إلى ثم قال: لا، لست أبى، فسألت أى شيء أتم؟ فقال قائلهم: نحن الأطفال الذين متنا في الدنيا وخلفنا آباءنا، نقوم اليوم فنستقبلهم بالماء. قال إبراهيم: فلهذا تمنيت موت الغلام!! ونحن نتساءل في ضوء هذه الحادثة: كم يكون جزع الوالد على ولده الذكى النجيب، إذا بدت عليه مخايل العبقريّة في سن مبكرة، فحفظ القرآن، وروى الحديث، ودرس الفقه، ثم تخطفه الموت من بين أحضان والده وقد تعهد عوده الناضر بالرى حتى كاد أن يورق، كم يكون جزع هذا الوالد إذا لم يجر الإيمان بالله مجرى الدم في عروقه، وكم تسود الحياة في عينه فلا يرى في ضياء الشمس،

المؤمنه فيعلبون أن اللقاء قريب، ويرون في أحلامهم المادئة أطيايف الحبيب النازح يفتقر ثغره، ويشرق جبينه، فيتأكدون أن قبره روضة من رياض الجنة وأنه فارق موطن البلاء في الحياة ومنعق الشقاء في الدنيا لتهدأ روحه الناعمة بين أشجار وحدائق، وحوار وولدان، ثم يرسلون إلى روحه هدايا عبقة تفوح في آى من الذكرا الحكيم، ولا يزالون كذلك يرونه في الحلم ليلا ويستمتطرون عليه الرحمة نهاراً، فهو القريب البعيد، والغائب الحاضر، ولن يصعب رحيل لإنسان، يبعده القبر ويدينه الإيمان!

لن أقف عند هذا الحد، فأقرر أن الإيمان الصادق يهون المصيبة عند وقوعها، بل أتجاوز ذلك فأقرر صادقا أن من مزايها هذا الإيمان المخلص أنه يهون المصيبة على نفس الصابر الخاشع قبل أن تقع، فهو يوطن نفسه بآدى ذى بدء على احتمال المكروه، وتوقعه في دنيا مخوفة بالمكاره الكارثة، حتى إذا حانت ساعته المحتومة صادفت قناة صليبة تهب عليها الريح من كل مكان، فما تقدر أن تزحزحها قليلا عن مطمأنها الثابت في مستقر الأرض، وإذ ذاك يصير الكارث المذهل رغم فداحته القاصمة مما لا يكاد يؤبه له من الأشياء!

قال محمد بن خلف: كان لإبراهيم الحربى ابن

وشعرها الذائع لا تملك أن تشك فيما تقذف به من الدليل .

لقد فقدت الشاعرة الودود أخاها ضحرا في الجاهلية ، فلم تتحمل كارثة الموت بفقده ، واندفعت تصل الليل بالانهار في نواح متصل ، وشعر دافع ثم ارتدت ثياب الحساد فآلت على نفسها أن تظل عالقة بها ، ما تردد في صدرها نفس ، وكانت ذات إحساس شاعر ، فليست بمن تهون لدى نفوسهن كارثة تحقيق ، بل تتغلغل في الأعماق ، غائرة اللذع ، مشبوبة الالتئاع ، فهي تذكر فقيدها النازح عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، وتتلصص العزاء لدى المفجوعات من أترابها ، مع ما تعتقده في قرارتها من بعد الفارق الشاسع بين مصاب ومصاب .

وما يسكون مثل أخى ولكن
أعزى النفس عنه بالتأسي
هذا الأخ الفقيد ، كان - على ما تروى المأثورات بارا بأخته ، فهو يؤثرها على بيته وأهله ، ولم يكن ذلك مستغربا من بدوى شهم يرعى الاحدوثة ، ويهتز للحمد ، وقد وجد من معارضة زوجته ملاما جعله دبر أذنه ، ويظهر أن الأريحية كانت طبعه الاصيل ، فأشعار الخنساء فيه تضعه موضعه البارز فهو صخر الندى ، كثير الرماد ، نهار إذا تشو البادية .

ونور القمر بصيصا من شعاع ، ولكن اقه قد لطف به ، فرزقه الأمل وهو شيء كثير . تصور هذه الحادثة بخيالك ، ثم امض في سبحاتك إلى إنسان جاحد بالله ، منكر للغييب ، كافر بالحساب ، ودع الموت يفجعه في نجل عزيز ، أو أخ حبيب ، وقل لي بربك : كيف يستشعر الراحة في مصابه ، ولا أمل عنده في لقاء آجل ، ولا ثقة لديه في رب قادر ، إنه من شجونه الدامسة في ليل مطبق ، بطيء الكواكب ، وإلى اليأس الجهم ليضاعف عليه نكبته ، ويرمي في أمواج من السخط والقلق والفجيعة ، وإذا كنا نعرف أنه لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة ، فلا حياة هادئة لهذا المعذب التعس ، وقد فقد الأمل وسدت بعينه منافذ الرجاء !

إن كنت في شك من ثمرة الإيمان فأخذت تنكر علاجه النفس ، ودواءه الروحي ، وقطن موضوعنا هذا كلمات تنمق ، وخيالات ترص ! إن كنت في شك مما أؤكد من القول ، فسأضع أمامك صورة ناطقة لشخصية مشهورة ، ذاع حديثها في الناس وتناقل الدارسون أخبارها المتواترة جيلا بعد جيل ، ثم ضرب بها المثل السائر ، فقيل (أبكى من الخنساء) هذه الشخصية المشهورة ذات المثل السائر تهض دليلا صادق البرهان لما نقول ، وأنت أمام تاريخها المشهود

هذه الشاعرة الجازعة قد تعرضت في شيخوختها الواهنة إلى نكبة أكثر هولاً ، وأعظم فجعة من نكبتها في صخر ، وكان الظن بها أن تصوغ قصائد الرثاء لاهبة كالوية ، فالتكبة نكبة أربعة من أولادها المغاوير كانوا في ميعة الشباب ، وعنفوان الرجولة ثم تخطفهم السيوف الكافرة في يوم واحد ، وهي نكبة أكبر من أن توصف ، ولكن ظروفها الزمنية جعلتها محتملة ؛ لأن الخنساء المؤمنة في دنيا الإسلام غير الخنساء المشركة في دنيا الجاهلية ، وسنعرض من أقوالها ما يحلو هذه الحقيقة ، لتكون بروعتها المؤثرة أثراً طيباً من آثار اليقين المخلص وثمرة شهية من ثمار الإيمان .

لقد زحفت الجيوش الإسلامية لحرب الفرس في القادسية ، ونهض الشباب من أشبال العرب وأبطال المسلمين يؤدون ضريبة الدين ، في فتح خالد ، يزلزل عروش البغى ، ويعلى منار العدالة والحرية والمساواة ، ورأت الشاعرة المؤمنة أشبالها الغطاريف يتسابقون إلى النصر مستبشرين ، فهزتها أريحية البطولة وسرها أن تسهم بأفلاذها الأربعة في نصرة دين عزيز يجمع الناس على المودة والتعاطف والإيمان ، ثم دفعتها لودعية الأدب وعبقرية الذكاء وجلال اليقين أن تخطبهم خطبة جهيرة فتقول :

حمال ألوية هباط أودية
شهاد أندية للجيش جرار
لاجرم ، مثل هذا الرجل الشهم كان يروع
الغريب بمآثره ، ويبدد البعيد بأياديه ،
فما ظنك بأخت قريبة تسمع نناء الناس
عليه ، وتزهي به أمام زوجها وأولادها ،
وترى الضيفان يؤمون ساحته في السلم ،
والشجعان يحتمون برايته في الحرب ،
فن أي نواحيه جمته وجدت الفتوة الماجدة ،
والمروءة المهتزة ، والشهم الرفيع .

قد يقول قائل : إننا نعتمد في أوصاف صخر على ما ذكرته أخته في معرض الرثاء ، ولعلها اندفعت في مغالاة عاطفية تجعل السفح قة ، والسراب ماء ، ونحن نقول : إن الشاعرة تعرضت إلى فجعة أخرى في أخ شقيق هو معاوية ، فرثه رثاء معقولا دون أن تتريد فلو كان ديدنها المبالغة لوضحت في رثاء الشقيق قبل الابن !! ثم إن الشعر العربي لعهدا لم يسلك مسلك الإغراق بل كان في أكثره فطرياً يعكس ما يحول في النفس ، وكفى ، وقد تناقل الرواة حديثها عن صخر فما شفوه بنقد ، وهي بعد فتاة لها منافسون أقوياء حراس على أن يرتفعوا بأشعارهم عن مستواها دون أن يرزقوا عاطفتها الثائرة ، فكان أن غلبت الفحول :

الشيخوخة اليائسة والعمى المظلم ، والضعف
الراعش ثم تتلسس النصير فلا يعين .

لم يكن المصاب القديم أفدح من الرزم
الطارئ دون جدال ، ولكنه صحب اليأس
وجافاه الأمل ، فبدت كارثته على احتمالها
شديدة لا تطاق ، أما مصاب الأبناء فقد
هونه الإيمان ويسره الرجاء ، فرجعت الأم
لدى دينها القوى ، فأخبرها أن اللقاء قريب ،
وأن أفلانها الأبطال فرحون بما آتاهم الله
من فضله ، يستبشرون بنعمة من الله ، ورأتهم
بإيمانها الشاعر يطرون في آفاق الفردوس ،

تعبق دماؤهم الشذية بأريج الاستشهاد ، وتتألق
أسرتهم الوضيئة ببريق المشوبة ، وإذ ذاك
قالت في ثقة المؤمن ، وعزيمة الآمل : الحمد لله
الذي شرفني بقتلهم وإني لأرجو أن أجتمع
بهم في مستقر واحد .

إن بيت القصيد في هذه العبارة هو كلمة
أرجو ، وبها وحدها صار البعد قربا ، والقبر
جنة ، والمحنة منحة ، وهي وحدها التي دفعت
لإبراهيم الحربي أن يحلم بالحوض المشهود ،
يوم يقوم الناس لرب العالمين ، كما أهابت
بالفاروق فصاح « والله ما عزاني أحد بمثل
ما عزاني متم ، !

فيا لحلاوة الرجاء ، ويا لعذوبة الآمال .

محمد رجب البيومي

أى بنى : إنكم أسلتم طائعين ، وهاجرتم
مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو إنكم
لبنو رجل واحد ، ما خنت أباكم ، ولا
فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا
غيرت نسبكم ، فاعلموا أن الدار الآخرة خير
من الدار الفانية ، فاصبروا وصابروا واتقوا
الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد
شمرت عن ساقها ، فيمموها وطيسها ،
وجالدوا رئيسها ، تظفروا بالكرامة والغنم
في دار الخلد والقيامة .

ثم يمضون إلى القتال ... ، وتمر الأيام ،
فتتلسس الأبناء متطلعة ، فيعود الظافرون
إلى الخنساء فيخبرونها بانتصار الإسلام
واستشهاد الأبناء ، ما بقى منهم أحد ، فترد
في صوت خافت تقطعه الشيخوخة الواهنة
« الحمد لله الذى شرفني بقتلهم وإني لأرجو
أن أجتمع وإياهم في مستقر رحمة ، ثم لا تزيد .

أى معجزة نادرة قلبت الخنساء من نائمة
جزوع إلى واثقة صبور ، هل كان خطب
الأخ مهما عظمت به الكارثة وتضاعف فيه
الشجن ، أكثر فداحة من نازل بحقيق يعصف
بأربعة من الشباب البسلام أرضعتهم دماها ،
وأطعمتهم حياتها ، ومنحتهم رجاءها ثم غابوا
مستشهدين وتركوها فريدة وحيدة تجالد

الأزهر والتطور

للأستاذ محمود الشرقاوى

— ٣ —

و ذات خطر بالغ أيضاً ومطامع بالغة كذلك في توجيه المستقبل لهذه الجماعة الإسلامية توجيهاً خاصاً قد يدابر الحياة العامة لبقية الجماعة الإسلامية ، وقد يدابر الإسلام نفسه ويعمل على جر الجماعة الإسلامية في هذه الدول الجديدة إلى خارج الدائرة كلها .

وعلى رجل الفكر الدينى ، الذى يمثله الأزهر المتطور ، نحو هذه الجماعة الإسلامية واجبات ، أولها فهم أوضاعها ودراسة أحوالها وإدراك مشاكلها ثم المشاركة الإيجابية في توجيهها نحو الحياة الإسلامية والاجتماعية الصحيحة ليلقيها (داخل الدائرة) .

وفي السنوات العشرين الأخيرة شهدنا مأساة كبرى لجماعة إسلامية اغتصب بلادها ومحار دينها وقوميتها مغتصب غائن غادر . ولهذه النكبة أسباب بعيدة وقريبة ، واضحة وخفية .

هذه أمثلة نوردتها من مشاكل أو مسائل قائمة في حياة الجماعة الإسلامية المعاصرة التى نعتقد أن لرجل الفكر الدينى حيالها واجب ،

قبل أربعين سنة قامت ثورة في بلد من بلاد المسلمين كان سلطانها يحكم بلادهم جميعاً باسم الخلافة ، وقد هدمت هذه الثورة أساس هذا الحكم وأزالت من الخلافة الاسم والرسم وخرجت بهذه الجماعة من نسبة الإسلام وما يصلها به من سبب وقالت عنه قولة منكرة : إنه ريع الصحراء ، وهذه المحنة العاتية التى مرت منذ قريب بجماعة المسلمين هذه في (دولة الخلافة) كان لها من الأسباب والنتائج ما يجب على رجل الفكر الدينى أن يعرفه ويدرسه وأن يتأمل ما تبطنه هذه الأسباب من احتمالات أخرى في بلاد أخرى من بلاد الجماعة الإسلامية ، حتى يحذر وينذر ويتطلع ويشير .

وفي هذه السنوات الأخيرة خرجت إلى نور الحياة وكرامه الحرية بلاد كثيرة ، في إفريقيا خاصة ، فيها جماعات كثيرة من المسلمين . وهذه الجماعات التى عاشت دهرأ طويلاً أو قصيراً في ظلام العدم وذل العبودية تتطلع إلى المستقبل ، تتناوشا وتتناوش جماعة المسلمين فيها عوامل ذات قوة بالغة

بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ثم يجعل القانون ، في المادة ١٦ منه ، تكوين مجمع البحوث هذا من خمسين عضواً من كبار علماء الإسلام يمثلون جميع المذاهب الإسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطني الجمهورية العربية المتحدة .

ونستطيع هنا أن نقول : إن هذا المجمع للبحوث هو امتداد أو تجديد أو تطوير ، لجماعة كبار العلماء . وجماعة كبار العلماء كان الغرض من إنشائها - وهو غرض لم يتحقق مع الأسف ، شيء منه - كان الغرض من إنشائها هو : « أن يعود إليه - أي إلى الأزهر أو لشك الفقهاء المحققون والمحدثون الثقات والمفسرون المطلعون واللغويون البلغاء والمؤرخون الصادقون وأهل الصلاح والتقوى » .

... ليسكون للأزهر منها أمثال عز الدين ابن عبد السلام والسراج البلقيني وجلال الدين السيوطي والسبكي وابن هشام والشهاب القرافي ، وكلهم مصريون ، والإمام الأصفهاني وإبراهيم بن عيسى الأندلسي والإمام الزيلعي وأبو حيان محمد ابن يوسف الغرناطي وتاج الدين التبريزي وعلاء الدين الحموي والحافظ العراقي والرضي الشاطبي وشيخ الإسلام زكريا

وأن التطور الجديد - أو التطوير - يجب أن يعينه على فهمها أو أن يوجب عليه فهمها وتعمق حقائقها وأسرارها والمشاركة الإيجابية المخلصة فيها . وما نريد أن يكون الأزهريون جميعاً من هذا الطراز ، بل نريد منهم قلة واعية قادرة .

يخرج الأزهر معلمين للغة ومشرعين وموظفين ، وسيخرج ، عند إنشاء كلياته الجديدة ، أطباء ومهندسين وزراعيين ، ولكن هذه الطائفة ، من رجال الفكر الديني ، التي عليها أن توجه جماعة المسلمين في العالم كله ، هي ما نرجو أن نراه ثمرة لهذا التطوير ، أو التطور : طبقة تكون ، بفهمها وثقافتها وإخلاصها أهلاً للريادة والقيادة .

وتقول المادة ١٥ من مشروع القانون بتطوير الأزهر إن : « مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية وتقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة ، وبيان الرأي فيما يحد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق

يتمنى من صميم قلبه ، كما أتمنى أن يحققها ، أو يمهّد لها ، التطور أو التطوير : هي أن يكون الأزهر الجديد عاملاً من عوامل التقريب ، وأوشك أن أقول التوحيد ، بين المسلمين ، كما يأمرهم دينهم .

والإسلام ، كما نعلم ونقول ، يدعو إلى الأخوة الإنسانية والمصافاة بين جميع البشر فكيف بذلك بين أهله ومعتقديه ... ؟

ونحن نعلم أن الأزهر مدرسة ثقافية علمية إسلامية ويجب أن يبقى كذلك ، وهو - عن هذا الطريق وحده - يستطيع أن يصنع شيئاً كثيراً في سبيل هذه القربى - أو الوحدة - التي نريدها بين المسلمين إذا أخلص وسعى ، وأجهد جهده .

وفي الباب الثالث من مشروع القانون لتطوير الأزهر إشارة إلى هذا السبيل كنت أود أن تكون أوفى وأوضح ^(١) . وهذه المادة تقول إن الأزهر ، بعد تطويره ، يعمل على « تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب ، وآثار التعصب السياسي والمذهبي ، وتجليتها في مظهرها الأصلي الخالص » .

تجريد الثقافة الإسلامية من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي

(١) المادة ١٥ من المشروع .

الأنصارى والحافظ ابن حجر العسقلاني وقاسم بن محمد التونسي ، ^(١) .

وهؤلاء العلماء الذين تمنى مشروع إصلاح الأزهر قبل خمسين سنة أن يخرج الأزهر الجديد أندادا لهم ، هؤلاء العلماء ما زلنا نرجو من الأزهر المتطور أن يخرج أندادا لهم من السلفيين المتابعين ، وآخرين شجعانا مجددين مستقلين من أمثال ابن القيم وابن تيمية وابن حزم والشيخ محمد عبده والمراغي . وهؤلاء وهؤلاء يرجى أن يكون منهم - كما قال مشروع إصلاح الأزهر قبل خمسين سنة وكما لا يزال نقول - يرجى أن يكون منهم : « تاج الجامعة الأزهرية ، ومن أهلها أن يكونوا أساطين العلم وحفاظ الشريعة ونصوص لغة القرآن . لتركن الطعائر الواجفة إلى عليهم ، وتهبأ النفوس الراجفة بهديهم وإرشادهم وتطمئن قلوب المؤمنين بقيامهم حفاظاً لليقين ، وحراساً على شريعة النبي الأمين » ، ^(٢) .

وهناك أمنية أعتقد أن كل مسلم مخلص

(٢،١) ص ٤٨ من الطبعة الأميرية سنة ١٩٢٨ من مشروع قانون إصلاح الأزهر ، الذي وضعته ، في سنة ١٩١٠ ، لجنة من المرحومين : عبد الحاق باشا ثروت وإسماعيل صدق وفتح باشا زغلول ، والذي كان من عمرته قانون ١٩١١ للمروف بقانون الشيخ شاكر .

يقول أبو بكر الصيرفي ، الفقيه الشافعي الأصولي : « كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله أبا الحسن الأشعري فجزم في أقاص السسم . ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار علم ما كانوا عليه من العدد والعدة » (١) .

فإذا رجونا من الأزهر ألا يكون نصيراً لمذهب بعينه من بين المذاهب الإسلامية فيتعصب لها . بل أن يكون محيطاً بها جميعاً متخذاً التقريب بينها سبيلاً للخروج بالمسلمين جميعاً من العصبية المذهبية ثم سبيلاً بعد ذلك للتقريب بينهم . إذا رجونا من الأزهر المتطور أن يفعل ذلك فإننا لا نطلب شططا ، بل نجد لذلك كثيراً من الأسباب القائمة والدوائر التاريخية والأسناد الثقافية التي لا تحتاج لغير الإقدام والشجاعة والحيلة معاً . ونجد ، قبل ذلك وفوق ذلك ، أن حاضر المسلمين وبلادهم ومستقبلهم يوجبان ذلك ويحتانه . وأما كثير من النذر .

محمود الشرفاوي

(١) ص ٤٩ - ٥٠ من كتابنا « تنويم الفكر الديني » - البيان العربي .

هذا التجريد أو تنقية الثقافة الإسلامية من بقايا التعصب السياسي والمذهبي سبيل يجب أن يسلكه الأزهر وأن يسير فيه بكل جهده وإيمانه وإخلاصه . فبين المسلمين الآن من الفرق المذهبية ما يثير الحزن والشجن . فإذا تأملنا نشأة هذه المذاهب ، التي كانت من أسباب الفرق بين المسلمين بدل أن تكون من أسباب التيسير عليهم ، وتأملنا كذلك أسباب السيادة التي سودت بعضها منها على الآخر ، إذا تأملنا نشأتها وجدناها ، في الأكثر ، نشأة طبيعية ، كما تنشأ المدارس الفكرية ، ثم كانت السيادة لبعضها لأسباب قد يكون للسياسة والحكم مدخل فيها : هذه السيادة المقررة ، وهذا الشيوع والغلبة على بقية المذاهب لم تكن لتفوق الأولى على الثانية من الوجهة العلمية أو الدقة في الفهم ، بل لذلك أسباب هي إلى الساسية أقرب منها إلى العلم ، ونحن نعرف أيضا أن بعض هذه المذاهب - غير الأربعة - كانت له في يوم من الأيام وفي أزهر العصور من دول الإسلام مثل هذه الغلبة ، وهذا التفوق الذين نجد هما الآن للمذاهب الأربعة ، فقد بقيت السيادة في الذهن وفي الحكم لأصحاب مذهب الاعتزال أكثر من خمسين سنة في زمن الدولة العباسية .

نظرية التعسف في استعمال الحق للأستاذ أحمد فضلي أبو سنه

- ٣ -

امتناع المحتكر عن بيع ما احتكره والناس بحاجة إليه حيث يجبر على البيع ويعزر ، وامتناع التاجر عن الثمن المسعر حيث يجبر عليه ويعزر ، وامتناع العمال الذين تتوقف عليهم إدارة المصانع الضرورية للدولة كصانع الأسلحة ومواد البناء والأطعمة حيث يجبرون على العمل بأجر المثل وامتناع الطبيب الذي تعين لعلاج مرض معين .

الأمطام المترتبة على التعسف :

وحكم التعسف إما التعويض إذا أدى إلى إتلاف مال أو نفس كمن حفر في ملكه بحوار حائط جاره فانهدمت ، وإما الإبطال إذا كان في التعاقد كوصية الضرار وبيع العينة وإما رفع الضرر كبناء المالك ملاصقا لجاره فسد عليه نوافذ الضوء والهواء (١) وكجباية ضرائب ظالمة ومنع المحتكر ، وإما التعزيز كما في دعاوى التشهير وإما المنع من ممارسة الحق المتعسف في استعماله كما في منع الزوج من السفر بزوجته إذا قصد به إيذاءها والحجر على المديان والمفتي المحتمل على المحرمات والطبيب الجاهل .

(١) مهشد الحيران مادة (٦١) .

عرفنا أن أنواع التعسف أربعة وأن الثلاثة الأولى منها مبنية على قاعدة سد الذرائع التي تقول إن المشروع إذا أدى إلى محذور كان محظورا والمباح إذا أدى إلى حرام كان حراما .

والرابع كذلك استعمال محذور لما جاوره من عدم الاحتراس ، وبناءً عليه يكون المتعسف في استعمال الحق قد تسبب في أمر محذور فيعتبر متعمداً بطريق التسبب : لتقصيره عند استعمال حقه : لقصد الضرر أو بالسعي في حصول مفساد غالبية أو في تحقيق أغراض غير مشروعة أو لعدم الاحتراس : فيكون مسئولا عن هذا التقصير ، والمسئولية في الأصل الأولى والرابع عن القصد ، وفي الثاني والثالث عن التقصير ، ويرتب عليه حكم مرتكب المحذور وهو في كل شيء بحسبه كما يأتي : فلا فرق في حكم الشريعة بين من يأتي بما هو محذور من أول الأمر كالضرب والغصب ومن يأتي بمشروع أدى إلى نتيجة تقصير تتعلق به مسئولية المخالفة . وبهذا يتبين أن التعسف في استعمال الحق في حكم النفقة هو من الفعل الضار أو الامتناع الضار والعقد المحرم . مثال الامتناع الضار

لأنهم وجدوها فيه تجمع بين الوضوح والوفاء بخلاف القانون اللبناني فإن « جسران الفرنسى »، واضع هذا القانون استمدها من القوانين الغربية (٢) ولهذا جاءت فيه ناقصة . ملاحظة : ولكن يلاحظ على القانونين المصرى والسورى أنهما قد قصرا أحوال التعسف على الثلاثة الأولى وتركوا التعسف بسبب هدم الاحتراس مع أن معنى التعسف فيها أوضح .

إثبات التعسف في استعمال الحق أمام القضاء
يثبت التعسف أمام القضاء بجميع الطرق المثبتة للحق غير أن تكليفه يتوقف إلى حد كبير على ظروف القضية وعلى عرف الجماعات فقد يكون استعمال الحق تعسفا في بيئة دون أخرى وضراً في حال دون حال وذلك كرفع صوت المذياع إذا كان في السوق العامة أو في الأحياء الآهلة بالسكان وبين سكان البادية أو الحاضرة .

ولما كان سوء النية والتحايل لتحصيل المفساد والأضرار هما أكثر أسباب التعسف وجب على القاضى أن تكون له خبرة واسعة بقرائن الأحوال وفقه نافذ بأحوال الناس الاجتماعية ليجمع منها أدلة قصد الإضرار ويكتشف التحايل باستعمال المباحات على

وفاء النظرية في الفقه الإسلامى ووضوحها

لعلنا تبيننا من العرض السابق أن هذه النظرية غدت مستوعبة لجميع حالات التعسف ، واضحة المعالم لبنائها على أصول مضبوطة لا اضطراب فيها : فإن مبنى الأصل الأول وهو قصد الدار وإن كان أمراً شخصياً لكن يمكن كشفه بالقرائن الظاهرة والأصل مبنى على مقياس مادى ، وهو الموازنة بين المصلحة والمفسدة ، والأصل الثالث معياره معرفة النظم الإسلامية : والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكل عمل مأذون فيه يراد به تحقيق غرض يخالف هذه الأنظمة يعتبر من التعسف كمن أهدى ويريد الرشوة ، أو اشترى ويريد الربا ، أو تطوع للجندية ويريد التجسس على أنظمة الجيش والأصل بنى على عدم الاحتراس من الضرر وهو واضح يكاد يدل على نفسه .

أما القوانين الأجنبية التى يقال عنها إنها تقديمية وافية : فإنها لم تعرف هذه النظرية إلا فى هذا العصر ومع هذا فهى فيها ناقصة وغامضة : فالقانون السويسرى يبنها على سوء النية وكفى ، والقانون الروسى يبنها على مخالفة الأغراض الاجتماعية ، والاقتصادية لا غير .

ولهذا أحسن واضعو القانونين المصرى والسورى فى استمدهما من الفقه الإسلامى (١)

(١) محاضرة الأستاذ زهدى يكن التى ألقاها في مؤتمر المحامين ببنداد سنة ١٩٥٨ .

(٢) المذكورة لإيضاحية للقانون المدنى المصرى مادة ٦٦٥ .

بالأجر ليس له أن يعزل نفسه قبل إنهاء ما وكل به ^(١) كما في السمسار فإنه وكيل بالأجر ^(٢).

٢ - من الخطيب في فسخ الخطبة :

الخطبة وعد بالزواج وإخلاف وعد بعذر مشروع وعلى هذا ففسخ الخطبة بسبب جائز للمريض المعدي أو المانع له من المعاشرة الزوجية، وعجز الزوج عن دفع المهر، والخلاف المستحكم بين الخطيبين أو أسرتهما. وإن كان الفسخ من غير سبب كان الإخلاف للوعد من غير عذر إخلافاً ضاراً لأن الناس عادة يعلون بالخطبة ويركنون إليها فينصرف عن الخطبة من يفكر في الزواج منها . فإذا فسخ الخطيب من غير سبب فقد فوت عليها فرص الزواج التي كانت سانحة ونشر حولها الشائعات من أسباب الرفض ، الأمر الذي يثور النفوس وترتكب بسببه الجرائم لاسيما في هذا الزمن الذي فسدت فيه الأخلاق وكثرت الظنون السيئة فتتعطل بذلك مصلحتها الأساسية التي أعدها الله لها - وإخلاف الوعد إذا ترتبت عليه أمثال هذه المفاسد كان منكراً يجب تغييره ومعصية يستحق فاعلها التعزير عليها .

تكليف الفسخ به سبب :

وعليه فللقاضي أن يعاقب الفاسد لا على مبدأ تعويض الضرر بل على مبدأ التعزير على

الوصول إلى المحرمات والأغراض غير المشروعة . نعم هناك حالات نصب الشارع عليها علامات ظاهرة كالطلاق في مرض الموت لأجل الفرار من ميراث الزوجة .

بعض تطبيقات مبدأ الإساءة في

استعمال الموكل :

١ - حق الوكيل في عزل نفسه :

الوكالة من العقود غير اللازمة فلكل من الوكيل والموكل حق العزل ، وبناء على هذا قد يستعمل الوكيل حقه : فيفاجأ الموكل بعزل نفسه في وقت يعجز عن القيام بما وكل فيه أو عن التوكيل به كالمرافعة في قضية قرب موعد نظرها وهي محتاجة إلى دراسة واسعة ، وكالقيام بعمل ضروري عاجل والموكل غائب .

وهذا في نظر الفقه تعسف في استعمال الحق لأنه لإضرار عظيم بالموكل بقصد أو بغير قصد وقد رأينا بأحنيقة يشترط في عزل أحد الطرفين علم الطرف الآخر منعا من الإضرار لجواز أن يكون الوكيل تصرف لصالح الموكل تصرفات فيها تبعات مالية ولجواز أن يكون هناك أعمال في تركها تغرير بالموكل وإضرار به .

وبناء على هذا فقواعد مذهبه تقضى ببقاء الوكالة وإلزام الوكيل بإنجاز ما وكل فيه دفعا للضرر وتأديبه إن فرط على أن الوكيل

(١) باب الباب لابن رافع المالكي

(٢) فتح التقدير ج ٧ ص ٧٨ .

فإذا وقع الطلاق لغير حاجة كان مبغضاً إلى الله ولا سيما إذا كانت الزوجة ذات أولاد منه وكانت فقيرة وقد رتبت حياتها على العيش معه. وعند هذا لا ننكر أن الزوج قد يسيء استعمال حقه فيه لما يترتب عليه من الإضرار بالزوجة .

فصل بمحور المنع من إيقاعه إلا بأمره القاضي :

وبعض الناس يريد أن يتخذ من مبدأ التعسف في استعمال الحق سبيلاً إلى المنع من إيقاعه إلا بإذن القاضي، وعندنا أن هذا خطأ لأن إثبات التعسف في الطلاق وإثبات أن الزوج أوقعه من غير حاجة مشروعة تدعو إلى إيقاعه ، القضاء لا يستطيع إثباته بطريقة المعروفة ومعايره الصحيحة ، لأن الكثير من أسباب الرخصة في الطلاق التي شرحنا بعضها خفي : لا يستطيع المسلم ذكره لأن الله تعالى يحب السر على عباده ، وفتح هذا الباب قد يؤدي إلى مصارحة بأشياء هي من السرية والخطورة بحيث يضر الزوجة إعلانها ، بل قد يضطر الزوج الذي لاخلاق له إلى انتحال أسباب كاذبة ضارة بالمرأة ولا يستطيع القضاء الوقوف عليها. وماذا يفعل القاضي إذا قال الزوج إنني أكرهها وإن أمسكتها كان على بغض ومضارة. والحق : أن عقدة الزواج عاطفية بناها الله على المودة والالفة فمن الطبيعي في الغالب ألا يترك الزوج زوجته التي أحبها وسكن إليها وأنفق في سبيلها إلا لداع قد يستتبع المقام

الإتيان بهذا المنكر وهو إخلاف الوعد المستتبع للفساد ، والتلاعب بمصالح الناس وأعراضهم ؛ لأن التعزير ثابت على كل فعل أو قول فيه إيذاء للمسلم بغير حق زجراً للناس عن ارتكاب المفاسد والمضار واستصلاحاً لهم لقوله صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده) وهو خطاب لأولياء الأمر وهذا مبدأ إذا عمل به حمل الذين يريدون الخطبة على الإمعان في التروي قبل الإقدام عليها وعلى أن يفرقوا بين العدول عن شراء سلعة تم الوعد بشرائها - وفسخ خطبة فتاة كريمة على نفسها وعلى قومها .

٣ - من الطلاق :

الطلاق أبغض الحلال إلى الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكنه مشروع عند الحاجة كعدم عفة الزوجة بل قال بعض الفقهاء بوجوبه حينئذ : خشية أن تفسد فراشه وتدخل عليه من ليس من أولاده ، ولئلا يقع تحت طائلة اللعنة الواردة في الديوث الذي لا يغار على حريمه . ومن مواضع الحاجة سوء خلقها في معاملة الزوج أو معاملة الناس ، وتضرر الزوج بها في الحياة الزوجية العاطفية لمرض بها أو لهدم انسجامه في الطباع ، وتفريطها في حقوق الله وهي لا تطيعه في أدائها حتى لا يعاشر امرأة عاصية . ومن الأسباب عمقها إذا لم يستطع أن يتزوج بأكثر من واحدة .

تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، .
والدليل على أن العدل المشروط في الآية ليس
هو المحبة التي أخبر الله عنها أنها غير مستطاعة
قول النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم إن هذا
قسى فيا أملك فلا تأخذني في ما تملك ولا
أملك) يعني ميل القلب .

والتعدد مشروع لحاجات اجتماعية وعاطفية
لايستطيع بنو الإنسان الاستغناء عنها والذين
صنعوا التعدد بالقانون والقضاء وقعوا فيه
من طريق الشر والجريمة : وليس هنا بسط
أسباب التعدد وإنما لإجمال ما نريد أن نقوله
هنا ، إن الله العليم بأحوال عباده وما يصلحهم
شرعه لمصالح اجتماعية سامية . وأقلها عند
المحافظة على العدل الواجب أنه ارتكاب لأخف
الضررين وهو المتعة من طريق حلال .

ولهذا لا يمكن أن يثبت من طريق القضاء
في حق التعدد تعسف في استعماله متى تحقق العدل
الواجب .

نعم : قد يتعدى الناس فيفعلون ما ليس
مشروعاً وهو الزوج مع العجز عن تحقيق
العدل فإذا شاع ذلك بين الناس ولم تكن
لهم من ضمايرهم رقابة على أنفسهم في تنفيذ
أوامر الدين ساغ للقضاء أن يتدخل فيمنع
من التعدد كل من يثبت بالأدلة أن حالته
المالية لا يستطيع معها أن يمون نساءه أو
يعدل بينهم .
أحمد فرهمي أبو سنة

معها من المضار ما لا يعلمه إلا الله ويشعر
الزوج عندئذ أن بيتها جمع لا يطاق .
والمعروف في الشريعة أن المرأة إذا كرهت
زوجها كان لها أن تفتدى له من مالها ليفارقها
كما قالت جميلة امرأة ثابت بن يسار لرسول الله
صلى الله عليه وسلم : (إني أخاف الكفر في
الإسلام لشدة بغضى ليأه) فإذا يكون الحال
إذا اشتد بغضه لها ومنعه القاضي من تطليقها
لأنه لم تقم لديه مبررات للطلاق ولئن كان
البغض من المبررات عند القاضي فلكل واحد
من الأزواج أن يدعيه .

وعليه : فأقل حالات الطلاق عندئذ
ارتكاباً لأخف ضرر . والأحوال القليلة التي
قد يفسد فيها تقدير الزوج ، المجتمع مضطر
إلى تحملها إذ لا سبيل إلا هذا .

والذي ينبغي تلافيا وإصلاح المجتمع
وإشاعة مبادئ الإسلام الصحيحة بين أهله
بجميع الطرق الممكنة .

٤ - من تعدد الزوجات :

تعدد الزوجات مشروع قطعاً إلا عند
خوف الزوج أن يظلم من في عصمته فعندئذ
لا يكون حلاله .

والظلم المانع هو الظلم في الإنفاق أو في
الإقامة عند الزوجة أما المحبة وميل القلب
فأمره إلى الله وقد بين سبحانه وتعالى أنه
خارج عن استطاعة البشر . قال تعالى : ولن

الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٣ -

وكذلك روى أن النبي رفع وبرة من الأرض حين رجوعه من غزة حزين وقال : (مالي بما آفاه الله عليكم ولا مثل هذه إلا الخنس ، والخنس مردود عليكم . ويروى أن بعض المسلمين سألوا النبي الغنائم ، حتى عدلوا دابته عن الطريق ، وتعلقت سمرة (شجرة) بردائه ، فقال النبي : اعطوني ردائي ، فوالذي نفسي بيده لا تجردوني كذبوا ولا بخيلا ، لو كانت غنائمكم مثل سمرة تهامة نعماً لقسمتها بينكم ، ومالي فيها إلا الخنس ، والخنس مردود عليكم) (١) .

ولنما قال النبي كلبه (لى) لأنه هو الذي سيتولى إنفاقها على وجوه الخير التي أمر الله بها وعلى نفسه وأهله واليتامى والمساكين وابن السبيل .

والحكمة في هذا التوزيع أن هناك مصالح عامة لا بد من تحقيقها ورعايتها ، ولما كانت هذه المصالح عامة للجميع ، والله هو رب الجميع ، قيل إن هناك نصيباً من هذا الخنس لله ،

النوع الثاني من الضرائب في الإسلام هو «خمس الغنيمة» . والغنيمة هي ما أخذه المسلمون من المنقولات في حربهم الكفار عنوة ، فيؤخذ من هذه الغنيمة خمسها ، يكون لله تبارك وتعالى ، فيصرف فيما يرضيه من أعمال الخير والبر ، ووجوه الإصلاح والتعمير ، والدعوة إلى الإسلام ، وعمارة الكعبة ؛ وكذلك يأخذ النبي عليه الصلاة والسلام من هذا الخنس ما يكفيه ويكفي نساءه وأقاربه الذين حرمت عليهم الصدقة ، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، ويأخذ من هذا الخنس المحتاجون من المسلمين ، وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل (١) .

والدليل على ذلك هو قول الله تعالى في سورة الأنفال : «واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير» .

(١) الأموال ، ص ٣٠٦ .

(١) تفسير للنار ج ١٠ ص ٧ .

والأمة ، ليكون خير عوض عن نظام المربع ، فيرضى نفوسهم من جهة ، ويصلح أمرهم من جهة أخرى ؛ لأن هذا الربع كان لرئيس القوم وعصبته لا يشركهم فيه غيرهم ، فجاء الإسلام ووسع دائرة الانتفاع به .

يقول الدهلوى : « فجعل الله الخنس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه عليه السلام مشغول بأمر الناس لا يتفرغ أن يكتسب لأهله ، فوجب أن تكون نفقته في مال المسلمين ، ولأن النصرة حصلت بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم والرعب الذى أعطاه الله إياه فكان كحاضر الواقعة ، ولذوى القربى لأنهم أكثر الناس حمية للإسلام ، حيث اجتمع فيهم الحمية الدينية إلى الحمية النسبية ، فإنه لا غر لهم إلا بعلو دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأن في ذلك تنويها بأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وتلك مصلحة راجعة إلى الملة .

ولذا كان العلماء والقراء يكون توقيهم تنويها بالملة يجب أن يكون توقيهم ذوى القربى كذلك بالأولى (١) .

وهناك نوع آخر من المكاسب التى يغنمها المسلمون من أعدائهم ، وهودالقي . . . وقد جاء أكثر من قول في التفرقة بين

(١) عن كتاب الحججة البالغة .

ثم إن الرسول متفرغ للدعوة وخدمة الأمة ، ولذلك حق له ولأهله أن يأخذوا ما يكفيهم من هذا الخنس ، وكذلك ذوو قرابته لأنهم لا يأخذون من الصدقات ، ثم إن اليتامى والمساكين وبنى السبيل محتاجون إلى من يعاونهم ويدفع الحاجة عنهم ، فتسكفل نصيبهم من هذا الخنس بتحقيق ذلك .

ويرى العلامة ولى الدين الدهلوى أن سهم الرسول يوضع بعده في مصالح المسلمين الأهم فالأهم ، وسهم ذوى القربى في بنى هاشم وبنى المطلب جميعا ، وأن الإمام يخير في تعيين المقادير ، ويعطى سهم اليتامى للأولاد الصغار الفقراء الذين فقدوا آباءهم ، وأن سهم الفقراء والمساكين لهم ويفوز كل ذلك إلى الإمام ، يجتهد في الفرض ، وتقديم الأهم فالأهم ، ويفعل ما أدى إليه اجتتهاده (١) .

والأصل في الخنس - كما يقول الدهلوى - أنه كان المربع (الربع) عادة مستمرة في الجاهلية ، يأخذه رئيس القوم وعصبته ، فتمكن ذلك في علومهم ، وما كانوا يحدون في أنفسهم حرجا منه ، وفيه يقول القائل :

وإن لنا المربع من كل غارة

تكون بنجد أو بأرض التهام

فشرع الله تعالى الخنس لحوائج الدين

(١) تفسير للنارج ١٠ ص ١٢ .

والغنيمة، و «النبيء» ، فقال الحسن بن صالح : « سمعنا أن الغنيمة ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه عنوة ، وأن النبيء ما صولحوا عليه ، يقول من الجزية والحراج ^(١) » .

ويقول الإمام الشافعى : « الغنيمة هى الموجف عليها بالخیل والركاب ، والنبيء هو ما لم يوجف عليه بخیل ولا ركاب ^(٢) » .

وقال الماوردى : « الغنيمة والنبيء يفترقان فى أن مال النبيء مأخوذ عنوة ، ومال الغنيمة مأخوذ قهراً ^(٣) » .

وهناك من يرى أن الغنيمة هى الأموال المنقولة التى أخذت من المشركين بالقتال ، والنبيء هو الأرض أو العقار ، وهو فى الأصل أخذ عنوة ثم اتفق عليه ، ويجوز أن يؤخذ بالصلح دون قتال ، يقول الدكتور ضياء الدين الرئيس :

« التعريف الحقيقى للغنيمة أنها الأموال ، أى المنقولات التى أخذت من المشركين بالقتال . والنبيء هو الأرضون أو العقار ، وهى فى الأصل أخذت عنوة ثم اتفق عليها ويجوز أن تؤخذ بالصلح بدون قتال ، وهذا هو أكثر استعمال النبيء ، أو المقصود به فى الأغلب :

ويكون من النبيء ما يستتبع الغلبة على الأرضين وهو الجزية ، وكذا كل مال يحصل عليه من غير المسلمين بدون قتال . فعنى الغنيمة إذن قد انحصر فى أنها المال المنقول الذى يحصل عليه نتيجة الحرب ، أما معنى النبيء فقد اتسع لما يؤخذ عنوة أو بالصلح ، وقد ورد أن عمر عبر بالفعل عن الأرضين بالعين ، وهو مرادف للعقار ، وهذه التفرقة بين المنقول والعقار هى من اجتهاد عمر رضى الله عنه ، وثمرة فهمه لكتاب الله وروح الشريعة ^(١) .

ولكن نجد صاحب « تفسير المنار » يقول : « والتحقيق أن الغنيمة فى الشرع ما أخذه المسلمون من المنقولات فى حرب الكفار عنوة ، وهذه هى التى تخمس ، نفمسا لله وللرسول كما سيأتى تفصيله والباقى للغنائم يقسم بينهم ، وأما النبيء فهو عند الجمهور ما أخذ من مال الكفار المحاربين بغير قهر الحرب لقوله تعالى : « وما أفاء الله على رسوله منهم فإا أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، الآية » ، وهو لمصالح جمهور المسلمين . وقيل كالغنيمة ^(٢) .

وهذا النبيء الذى وصل من المشركين هفوا من غير قتال ولا استخدام خيل

(١) الحراج ليعبى بن آدم ص ١٧ .

(٢) الأم ، ج ٤ ص ٦٤ .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٢١ .

ومال النبي يقسم على خمسة أسهم متساوية سهم منها كان لرسول الله في حياته ، ينفق منه على نفسه وأزواجه ويصرفه في مصالحه ومصالح المسلمين ، ولما كان الرسول قد مات فقد اختلفوا في نصيبه : لمن يكون؟ أيقوم وراثته فيه مقامه ، أم يسقط بموته ، أم يكون ملكا للإمام بعده لقيامه بأمور الأمة مقام النبي ؟ ...

ويعجبنى رأى الشافعى هنا وهو أنه يكون مصروفا في مصالح المسلمين ، كأرزاق الجيش ولإعداد الكراع (الخيل) والسلاح ، وبناء الحصون والقناطر ، وأرزاق القضاة والأئمة وما جرى هذا المجرى من وجوه المصالح ؛ والسهم الثاني سهم ذوى القربى ، ويرى أبو حنيفة أن حقهم فيه قد سقط ، ولكن الشافعى يرى أن حقهم فيه ثابت بلا تفرقة بين غنى وفقير ، والنفس أميل إلى رأى أبي حنيفة ومن وجدناه من هؤلاء محتاجا نستطيع إدخاله في المساكين .

والسهم الثالث لليتامى من أصحاب الحاجات فلا يكفى أن يفقد الولد أباه في الصغر — وهو المسمى باليتيم — ليستحق في هذا السهم بل يضم إلى ذلك حاجته إلى المعونة ، والسهم الرابع للمساكين ، وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم ، والسهم الخامس لبني السبيل ،

أو ركاب يؤخذ ليصرف على مصارفه التي أشارت إليها الآية : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » . ويروى أنه لما قرأها عمر رضى الله عنه قال : هذه الآية استوعبت المسلمين .

ولكن الماوردى يرى أن مال النبي يؤخذ منه الخمس . يقول : « إن كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ، ولا بايجاف خيل ولا ركاب فهو كال الهدنة والجزية وأعشار متاجرهم ، أو كان أصلا من جهتهم كال الخراج ، ففيه إذا أخذ منهم أداء الخمس لأهل الخمس مقسوما على خمسة ، وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : لاخمس في النبي ونص الكتاب في خمس النبي يمنع من مخالفته . قال الله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فيقسم الخمس على خمسة أسهم متساوية (١) » .

وكما نشاهد لا نجد في الآية نصا على خمس النبي ، ولكننا نجد فيها ذكر لمصارف النبي وهي خمسة مصارف ، فكيف ذهب الماوردى إلى هذا مع أنه جاء في دكليات أبي البقاء ، أن النبي « حكمه أن يكون لكافة المسلمين ولا يخمس » ؟ .

وبلغة يعيشون بها ، واقعا في يد الأغنياء ودولة لهم ، ^(١) والدولة ما يتداول .
ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :
« أى جعلنا هذه المصارف لمال النية كيلا
يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون
فيها بمحض الشهوات والآراء ، ولا يصرفون
منه شيئا إلى الفقراء » ، ^(٢) .

ويقول القرطبي : « فأما النية فقسمة
وقسمة الجنس سواء ، والأمر عند مالك فيهما
إلى الإمام ، فإن رأى حبسهما لنوازل تنزل
بالمسلمين فعل ، وإن رأى قسمتهما أو قسمة
أحدهما قسمه كله بين الناس ، وسوى فيه
بين عربهم ومولاهم ، ويبداً بالفقراء من
رجال ونساء حتى يغنوا » ، ^(٣) .

إذن هناك حكمة اقتصادية اشتراكية
تكافلية عظيمة جعلت الإسلام يشرع هذا
الإصلاح الاقتصادي المحقق للتوازن المادي
بين أبناء الأمة المؤمنة المتضامنة .

وينبغي أن نعرف الفروق بين « الزكاة »
وأموال النية والغنيمة ، فالزكاة حق معلوم
واجب مأخوذ من المسلمين المالكين للنصاب
بينما النية والغنيمة مأخوذان من الكفار
وأعداء المسلمين .

وهم المسافرون الذي لا يجدون ما ينفقون ^(١)
ويجب أن لا ننسى تذكر الحكمة في توزيع
النية بالصورة السابقة فإن الآية الكريمة
السابقة قد دلت عليها في آخرها ، فهي بتامها
تقول مع التي قبلها : « وما أفاء الله على رسوله
منهم فشا أو جفتم عليه من خيل ولا ركاب
ولكن الله يسلط رسله على يشاء والله على
كل شيء قدير . ما أفاء الله على رسوله من
أهل القرى فله وللرسول ولذئ القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل ،
كى لا يكون دولة بن الأغنياء منكم وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا
الله إن الله شديد العقاب » .

وقد كان هذا النية من « بنى النصير » وكان
المسلمون يومئذ قسمين : الأنصار والمهاجرون
فالأنصار في دورهم وعقارهم ، والمهاجرون
قد أخرجوا من ديارهم بلا عقار وبلا مال ،
فأراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقرب
ما بين القسمين من فروق وتفاوت ، فجعل
النية هذا للمهاجرين دون الأنصار لإلراجلين
من الأنصار كانت بهما حاجة .

وإنما فعل ذلك حتى لا يكون المال مقصورا
على أيدي الأغنياء ممنوعا عن الفقراء ويقول
الرازي هنا : « ومعنى الآية : كى لا يكون
النية الذي حقه أن يعطى للفقراء ليكون لهم

(١) تفسير الرازي ، ج ٨ ، ص ١٣٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣٣٦ .

(٣) تفسير القرطبي ، ج ٢٨ ، ص ١٥٠ .

(١) المرجع السابق ص ١١٣ .

بَيْنَ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ لِلْأَسَازِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ

— ٤ —

أن الاعتداء على العرض محل مباح متى جازت المرأة الثامنة عشرة ، وكانت الواقعة برضاها ، ولا تترتب عليها لو ظهرت بين الناس تحمل ثمرة الفاحشة في أحشائها ، أو حملت وليدها من سفاح بين يديها ، ^(١).

ولأنك لتلبس هذا الفرق واضحاغاية الوضوح في موقف الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية من جريمة الزنا ، فالشريعة الإسلامية تعاقب على جريمة الزنا في حد ذاتها سواء

(١) من محاضرة قيمة للسند أحمد موانى .

من المقارنات والفرق الدقيقة عناية الشريعة الإسلامية بالجانب الخلقى والإنسانى بخلاف القوانين الوضعية فإنها قد تغفل الجانب الخلقى والإنسانى ، ولذلك جات بعض القوانين الوضعية عارية عن رعاية الأخلاق الكريمة بل جاءت هادمة لها . ويعجبني في هذا المقام كلمة قالها أحد قضائنا الكبار قال : « إن المشرع الذى وضع أحكامها - أى القوانين كان فاجرا ، فقد نقل بغير تصرف عن التشريع الفرنسى أحكاما لا تسير البيئة التى نعيش فيها ولا تتفق مع تقاليد بلادنا . فعنده

(بقيه المنشور على صفحة ٦٧٢)

من قبل - أن يجمعها ولى الأمر ، وأما النية والغنية فلا يجوز لأهله أن ينفردوا بدفعه إلى مستحقه حتى يتولى ذلك أهل الاجتهاد من الولاة ^(١) .

وهكذا نرى كيف تتعدد أوعية الضريبة فى الإسلام بحق وعدل ، وكيف تتعدد مصارفها لتعمير وإصلاح .

أحمد الشرباصى

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ١١١ .

والفرق الثانى أن الزكاة محددة المصارف فقد نص القرآن الكريم على الجهات التى توزع فيها الزكاة ، فليس فى هذه المصارف اجتهاد لمجتهد ، وأما أموال النية والغنية ففى مصارفها ما يتناوله اجتهاد الأئمة ، والفرق الثالث متصل بالفرق السابق ، وهو أن مصارف الزكاة مختلفة عن مصارف النية والغنية فى بعض المواطن ، والفرق الرابع أن الزكاة يجوز أن يقوم أصحابها بتوزيعها على مستحقها ، وإن كان الأصل - كما ذكرنا

وإذا خول الزوج المجنى عليه وحده الحق في تحريك الدعوى فإن العقاب حينئذ يتوقف على مزاجه ودرجة تأثره ، والجزاء الطبيعي في نظر هذه التشريعات هو الحكم بالطلاق أو الفقرة .

وغالبية القوانين الوضعية لم تعاقب على كل وطء حرام أى على الفعل باعتباره رذيلة في حد ذاته ، وإنما تجعل العقاب على الفعل الذى يحصل من شخص متزوج على اعتبار أن فيه انتهاكا لحرمة الزوجية ، ولا تميز في الوقت نفسه تحريك الدعوى إلا بناء على شكوى من المجنى عليه الذى له أن يتنازل عن الدعوى في أى حالة كانت عليها فتتقضى بهذا التنازل .

ومن هذه القوانين القانون الفرنسى وهو الذى اعتمدت عليه بعض البلاد الإسلامية التى تأخذ في أحكامها بالقوانين الوضعية ، ومنها بلادنا المصرية ، فهذا القانون وما استمد منه كقانون العقوبات المصرى يعاقب على الزنا إذا حصل من امرأة متزوجة ، أو من رجل متزوج ، ويفرق بين جريمة الزوج ، وجريمة الزوجة من عدة وجوه : فالجريمة لا تقوم بالنسبة إلى الزوج إلا إذا وقع منه الزنا في منزل الزوجية ، بخلاف الزوجة فإن الجريمة تقوم إذا وقعت منها في أى مكان ، وتعاقب الزوجة على الزنا بالحبس لغاية سنتين بينما يعاقب الزوج بالحبس مدة لا تزيد على ستة

وقعت من محسن^(١) أو غير محسن ، وإن فرقت بين العقوبتين فجعلت الرجم الأول ، والجلد للثاني من غير نفي عند بعض الأئمة ، ومع النفي عند البعض الآخر ، ولم تفرق الشريعة بين حالة الرضا من المزنى بها ، وحالة عدم الرضا ، ولا بين من جاوزت الثامنة عشرة ، ومن دونها كما فعل القانون ، فالعقوبة لازمة كما أن الشريعة اعتبرت العقوبة حقا لله تعالى صيانة للمجتمع عن الفساد ، فليس لولى الأمر أو القاضى التصرف فيها بالتخفيف أو الإعفاء منها أو الزيادة فيها ، وليس للمجنى عليها أو عليه حق التنازل ؛ لأنها حق الله وهو ما يعبر عنه بحق المجتمع .

أما القوانين الوضعية فأمرها في هذا الباب حجب ، فهناك فئة من القوانين لا تعاقب على الزنا ولو وقع من متزوج أو زوجة وذلك كلقانون الانجليزى وحجتهم في هذا أنه لا فائدة من معاقبة من لا تردعه مبادئ الأخلاق وأن إثارة الفضيحة قد ينجم عنها ضرر للأسرة أبلغ مما يترتب للمجتمع^(٢) ،

(١) شروط الإحصان أن يكون حرا بالغا حافلا مسلما قد تزوج امرأة زواجا صحيحا ودخل بها .
(٢) ما تطلوا به مغلطة مكشوفة فتواحد الأخلاق ان تقيد إلا مع أشخاص الفطرية السليمة والنفوس الحرة ، أما النفوس الشريرة التى تستمرى الجريمة فلن يفيد معها إلا العقوبة الزاجرة الرادعة ، والتستر على الأسرة في مثل هذا هدم للأسرة والمجتمع معا .

من شك في أن ترتب العقوبة على الجريمة ذاتها أصح للجمع وأدعى إلى تطهيره من هذا المرض الخطير الذي يهدد الأمة والمجتمع لما فيه من اختلاط الأنساب وانتهاك الأعراض، وإفساد الصحة، ونقل الأمراض ولا سيما التناسلية منها .

٢ — أن الشريعة الإسلامية لا تعتبر رضا المزني بها مبرراً لعدم اعتبار الزنا جريمة وبالتالي لعدم العقوبة بخلاف القوانين الوضعية فإنها اعتبرت الرضا بمن زاد منها عن الثامنة عشرة نافياً للجريمة، ومعنى هذا جعل التشريع قبيحاً للأهواء والشهوات كما أن فيه المساعدة على تفشي الانحراف والفساد في المجتمع، إذ الغالب والكثير أن لا تقع هذه الجريمة إلا بالتراضي وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض » .

٣ — أن الشريعة الإسلامية تجعل العقوبة من حق الله سبحانه أو بمعنى آخر من حق المجتمع كله، لأن معظم الضرر يعود على المجتمع لا على مرتكب الفاحشة فحسب فمن ثم لا يجوز للحاكم أو القاضي الإعفاء أو التخفيف منها، ولم يعتبر الشارع الحكيم تنازل المجني عليه أو عليها مغيراً من صفة الجريمة ولا رافعاً للعقوبة لأن ذلك ليس حقاً متمحضاً له يتصرف فيه كما يشاء وإنما هو حق الجماعة،

أشهر، وللزوج أن يعفو عن الزوجة بعد الحكم النهائي عليها، وأما الزوجة فلا حق لها إلا في التنازل السابق عن الحكم النهائي ويقضى أيضاً بأن للزوجة التي زنى زوجها في منزل الزوجية الحق في أن تزني مع غيره ولا تثريب عليها في هذا لأنها أتت عملاً يقره القانون، أما إن وقع الزنا بين غير متزوجين وكان برضا المزني بها وقد جاوزت الثامنة عشرة فلا جريمة فيه وبالتالي فلا عقوبة، فإن وقع بغير رضاها أو كانت دون الثامنة عشرة فهي جريمة اغتصاب وعقوبتها الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة إلا إذا كان الجاني من أصول المجنى عليها أو متولياً تربيتها أو بمن لهم سلطة عليها فتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة لا غير (١) .

ومن هذا العرض يتبين لنا سمو التشريعات الإسلامية على القوانين الوضعية وأصالتها في إصلاح المجتمعات، والحفاظ على الأعراض والحرمان من وجوه .

١ — أن الشريعة الإسلامية تعاقب على الجريمة في حد ذاتها أما القوانين الوضعية فبعضها لا يعاقب عليها قط، وبعضها يعاقب عليها إذا كان فيها انتهاك حرمة الزوجية وليس

(١) شرح قانون العقوبات للدكتور محمود مصطفى من ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٥٧، ٢٦٥ — نهج الشريعة والقانون في تقرير الأحكام للمستشار أحمد موفى ص ٤ - ٦ .

الفساد والفاحشة في المجتمعات التي لا تحكم بالشرعية ، وأكثر الناس الذين يسكنون عن الزنا ، ويستعصمون من الوقوع فيه لا تصرفهم عنه عقوبة الحبس ، وإنما يصرفهم عنه الدين وماله من سلطان على النفوس ، أو الأخلاق الفاضلة التي لم يعرفها أهل الأرض إلا عن طريق الدين ، وهذا هو السر في أن البيئات التي لا يقوى فيها وازع الدين ، أو وازع الأخلاق تكثر فيها الفاحشة ، والاستهانة بالأعراض ، ويكثر فيها تبعاً لذلك الأولاد الغير الشرعيين .

٦ - أن عقوبة الزنا في الشريعة الإسلامية لم تجب ارتجالاً ، ولم توضع اعتباطاً ، وإنما جاءت بعد فهم على صحيح بتكوين الإنسان وعقليته ، وتقدير دقيق لغرائزه وميوله ، ووضعت لتحفظ مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فهي عقوبات عليية تشريعية ، أما كونها عليية فلأنها وضعت على أساس العلم بالنفس البشرية ، أما كونها تشريعية ، فلأنها شرعت لمحاربة الجريمة وهذه ميزة تمتاز بها العقوبات التي وضعها التشريع لجرائم الحدود ، وجرائم القصاص ، والدية ونحوها ، ولا تكاد توجد هذه الميزة في عقوبة من العقوبات التي تطبقها القوانين الوضعية ، ولا ريب في أن العقوبة التي تقوم على فهم نفسية المجرم هي العقوبة التي يكتب

(البقية على صفحة ٦٨٢)

والضرر لا يقع على المجنى عليه بقدر ما يقع على الجماعة كلها وهذا - ولا ريب - أصلح للجمتمع ، وتطهير له من الخنا والفجور ، والتحليل والزوال .

٤ - أن الشريعة الإسلامية تعتبر زنا الزوج جريمة يستحق عليها العقاب سواء أكان ذلك في منزل الزوجية أم لا بخلاف القوانين الوضعية فلا تعتبره جريمة إلا إذا كان في منزل الزوجية لا غير ، ومعنى هذا حصر قوانين الجريمة في أضيق حدودها وفتح الأبواب للتحايل على القانون ، إذ لا يعدم الزوج أمكنة أخرى كثيرة لإشباع نزواته وشهواته ، وبذلك لا ينطبق عليه القانون ، وفي ذلك ما فيه من فتح أبواب الفسق والفجور ، وتضييق أبواب العفة والتحصن ، وصيانة الأعراض .

٥ - أن الشريعة الإسلامية تعاقب على الزنا إما بالجلد أو بالرجم ، وهي عقوبة زاجرة رادعة لا محالة ، أما القوانين الوضعية فلا تعاقب إلا بالحبس وهي عقوبة لا تؤلم الزاني إلا بما يحمله على الزهد في اللذة التي يتوقعها وراء الجريمة ، ولا تثير فيه من العوامل النفسية المضادة ما يصرف العوامل النفسية الداعية إلى الجريمة أو كبثها ، وليس من ريب في أن عقوبة الحبس أدت إلى إشاعة

مَنْ مَعَانِي الْفِتْرَانِ

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .
[قرآن كريم]

فإعطاء ذوى القرابة حقهم ، والبر بهم ،
والإحسان إليهم فى القمة العالية من مراتب
العدل والإحسان .

والله يطلب منكم أن تبتعدوا عن القبائح
الشيعة وكبائر الذنوب فلا تترفوها ،
وعما ينكره الدين القويم ، والطبع السليم ،
والعرف الصالح فلا تقدموا عليه ، وعن
ارتكاب الظلم ، والوقوع فى الإثم بالجور
والاعتداء على الغير ، والكبرياء وحب
الاستعلاء ، فلا تطلعوا إليه فتقعوا فيه ،
والله فيما يأمركم به ، وفيما ينهاكم عنه ،
ينصحكم بما فيه خيركم ، ويذركم بما ينفعكم
وما يضركم ، لئى تذكروا أوامره ،
وتستحضروا نواهيه ، وتسترشدوا بهما
وبأحكامهما فى ابتغاء الخير ، واتقاء الشر ..

والم تأمل فى هذه الآية الكريمة مجدها
- على إيجازها - قد جمعت كل ألوان الفضائل
فى « العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى »
وكل ألوان الرذائل فى « الفحشاء والمنكر
والبغى » ، ومن ثم كان ابن مسعود رضى الله
عنه على الصدق فيما نسب إليه إذ قال: إن أجمع
آية فى القرآن فى سورة النحل . ويذكر هذه الآية

عبد الرحيم فوده

من معانى العدل والإنصاف والقصد
فى الأمور، والمثل والنظير والجزاء والفداء .
وكلمة الإحسان معناها فعل الحسن .
وإيتاء معناها إعطاء ، والقربى القرابة ،
والفحشاء هى الفاحشة ، وهى القبيح الشنيع
من القول أو الفعل ، والمنكر ما لا تسميغه
العقول القويمة والفطر السليمة .

يعظكم ينصحكم ويذركم مع النصح
بالمواقب ، تذكرون تعظون .

المنعنى :

تأكدوا أن الله يأمركم فى كل أمر من
أمركم بالتزام القصد ، وتوخى الحق
والإنصاف ، فلا تتبعوا الهوى فيما يكون
بينكم وبين أنفسكم وأهلكم ولا فيما يكون
بينكم وبين غيركم من الناس .

وهو يأمركم مع العدل بالإحسان والفضل ،
الإحسان فى النية بالإخلاص وسلامة القلب
والطوية ، والإحسان فى القول بالكلمة الطيبة
وبالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، والإحسان فى الفعل بإتقانه
والإجادة فيه ، وابتغاء الخير والصلاح لكم
ولناس منه ، وإذا كان العدل والإحسان
إلى الناس مما يطلبه الله ويرغبكم فيه ،

من أعلام المسلمين في الهند :
مولانا أبو الكلام آزاد
 للأستاذ عبد المنعم النمر

١٨٨٨ - ١٩٥٨ م

- ٢ -

خلاصة مائشرد ولد في مكة من أم مدنية عربية وأب هندي ثم حمله أبوه طفلاً إلى كلكتا وعنى بتربيته تربية دينية فدرس المنهج الذي كان يدرسه طلاب المدارس الدينية ثم قرأ وشفق وتعلم الانجليزية وزار البلاد العربية وكان نضجه مبكراً فاتجه لخدمة الدين والوطن عن طريق القلم فأنشأ مجلته « الهلال » لتعبر عن رأيه سنة ١٩١٢ .

مقداره ألفا روبية فدفعه وفوت على الحكومة هدفها ولكنها - كأي حكومة مستعمرة مستبدة - لم تلق السلاح وسارت في طريقها تضيق على هذه المجلة الخناق لتقضي عليها ، يقول مولانا آزاد في مذكراته : -

« ولكنها سرعان ما طلبت عشرة آلاف روبية أخرى فدفعتها حتى أحول بينها وبين ما تريد ، وقامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م فطالبني الحكومة بتخفيف حدي ، وأرادت أخذ تعهد على بذلك ، فأبيت ، فصادت « الهلال » ومطبعها سنة ١٩١٥ م ، ولكن بعد أربعة أشهر أصدرت مجلة أخرى باسم « البلاغ » وأنشأت لها مطبعة سميت باسمها وذلك في نوفمبر سنة ١٩١٥ ، فأيقنت الحكومة إنها

كانت مقالاته في الهلال كالصاعقة تنقض على رءوس الإنجليز ومشايخهم من المسلمين ، ولا سيما جماعة « عليكرة » التي تأثرت بسياسة السير سيد أحمد خان في وجوب ولاء المسلمين للتاج البريطاني ، فها أن وجهت « الهلال » دعوتها الجديدة وتضاعفت شهرتها ، وزاد انتشارها حتى شعرت هذه الجماعة أن زعامتها في خطر ، وكلها خالفت « الهلال » الزعامة القديمة ، كلما ازداد المسلمون إقبالاً عليها حتى بلغ انتشارها ورقم توزيعها ٢٦ ألفاً ، وهذا رقم لم تعهده الصحافة الأوردية من قبل ..

أما الحكومة فقد اضطربت بدورها ، وأخذت تلجأ إلى الطرق المستترة للقضاء على « الهلال » فطلبت من « مولانا آزاد » ضماناً

لقد أحدث هذا الكاتب والصحفي الشاب تأثيراً عظيماً في الأوساط الإسلامية المثقفة ، ووجه الجيل الناشئ المتحمس لقضايا البلاد الإسلامية ، ولم يكن هناك تعارض مطلقاً بين الإسلام والعطف على البلاد الإسلامية وبين الوطنية الهندية ، مما ساعد على تقريب العصبة الإسلامية للوئمة الهندي الوطني ، وكان « آزاد » نفسه قد انضم للعصبة - وهو بعد صبي - في جلستها الأولى سنة ١٩٠٦ ، . « ولم يكن ممثلاً للسلطات البريطانية راضين » عن الحلال ، ولذلك طلبوا منها أن تقدم ضمانات ، ثم لم يلبثوا أن صادروها فأنشأ بدله صحيفة البلاغ ولكنها توقفت كذلك عندما بيخته الحكومة ، ومكث في السجن أربع سنوات ، وعندما خرج من بيخته احتل مكانه فوراً بين زعماء المؤتمر الوطني ، وهو منذ ذلك الحين يحتل أرفع المناصب التنفيذية في المؤتمر ، ويعتبر برغم حداثة سنه من كبار أعضائه الذين تقدر مشورتهم أعظم التقدير في الأمور الوطنية والسياسية والمسائل الطائفية ، ومشاكل الأقليات لقد خرج من السجن بعد أربع سنوات قضاها بين جدرانها ، وكأنه اتخذ من ظلمته وبرودته نورا ونارا... نورا يضيء له طريق الحقيقة في جهاده ونارا تلهب عزمه ويلهب بها نفوس مواطنيه لينتفضوا على الاستعمار ويأتوا عليه .

لن تتمكن من إيقاف نشاطي باسم قانون المطابع فقط ، فلجأت إلى قوانين الدفاع الهندية ، وأخرجتني من « كلكتا » في أبريل سنة ١٩١٦ فلم أجد مكاناً أذهب إليه إلا مدينة « رانشي » في ولاية « بهار » لأن الولايات الأخرى قد منعت التصريح لي بدخولها والإقامة فيها ومع ذلك لم تتركني الحكومة فقد قبضت علي بعد ستة أشهر وبقيت معتقلاً حتى الحادي والثلاثين من ديسمبر سنة ١٩١٩ (١) .

وقد تحدث الزعيم الهندي « نهرو » عن هذه الفترة من حياة مولانا آزاد في كتابه « من السجن إلى الرياسة » ، قال (٢) : « كان شاباً ألعيا ، اشتهر وهو في العقد الثاني من عمره بمعرفته العميقة باللغتين العربية والفارسية إلى جانب إلمامه بمحاضر العالم الإسلامي وبالحرركات الإصلاحية التي كانت آخذة مجراها فيه ، وبالتطورات الأوروبية . « ولقد تكلم أبو الكلام بلغة جديدة في صحيفته الأسبوعية « الحلال » ولم تكن جديدة في الفكر والنظرة فحسب ، بل إن تركيبها كان مختلفاً ؛ ذلك أن أسلوب « آزاد » كان رجولياً وشديداً ، وكان مؤثراً وقاطعاً .

(١) من مذكراته للنشورة في مجلة ثقافة الهند عدد سبتمبر سنة ١٩٥٨ المترجمة عن كتاب « الهند تلوذ بحريتها » .

(٢) ص ٢٤١ وما بعدها باختصار .

تقييمها الحكومة له .

وقد اتخذت الحكومة عدة قوانين وإجراءات مشددة للقضاء على حركة المقاطعة وبدأت بتنفيذ هذه الإجراءات في كلكتا ، لقرب زيارة ولي العهد لها ، ولأنها مدينة كبيرة شبه أوربية لكثرة الأوربيين فيها ، فهب مولانا آزاد وأعلن بياناً على الشعب حظه فيها على نبذ هذه القوانين الجائرة والإقبال على السجون أفواجا وقرر الأمور الآتية : (١)

١ - أن الخضوع لمثل هذه الأحكام معناه النزول عن الحقوق المدنية والإنسانية وليس للحكومة أن تمنع الاجتماعات السلبية والأعمال الوطنية الجائزة . ولأننا إذا خضعنا لها خوفاً من الحبس والإهانة فإننا نكون مجرمين أمام ضمائرنا ، وأمام الإنسانية ، وليس أمام محبي الحرية إلا أن يعصوها ويوطنوا أنفسهم على احتمال جميع المصائب التي تصبها الحكومة فوق رؤوسهم دون أن يخضعوا لها طرفة عين .

٢ - يجب أن يوسع نطاق التطوع وأن يذبح المتطوعون في كل شارع وزقاق معلنين مقاطعة الزيارة الملكية .

٣ - تعقد المجالس والمحافل في جميع الأماكن العامة وكل من يذهب إليها يسلم نفسه للسلطة إذا أرادت القبض عليه ...

٤ - كل من يقبض عليه يقاطع المحاكم

(١) ثورة الهند السياسية ص ٦ - ٨ .

خرج ليواصل جهاده بعزم حديد ويخوض معركة اللاتعاون ، متأثراً بالروح الإسلامية التي توجب على المسلمين ترك موالاة الأعداء والتعاون معهم ، ويلتقي في ذلك مسع جمعية علماء الهند وجمعية الخلافة وحزب المؤتمر الهندى ، وغاندى . . . حيث يضم الجميع ميدان العمل الواسع من أجل الوطن .

وعندما ظهر لثائب الملك في الهند د لورد ريدنج ، أن البلاد مقبلة على حركة اللاتعاون تفتق ذهنه عن حيلة لإحباط هذه الحركة وهى قيام ولي عهد انجلترا بسياحة في البلاد ظناً منه أن الأهالى سوف لا تمتنع عن مقابله والحفاوة به ، لأن العائلة المالكة فوق المنازعات والخلافات السياسية وحينئذ تضعف الحركة وتفشل وتعود المياه إلى مجاريها ... وكانت مقامرة من نائب الملك ظن أنه سيكسب فيها ولكنه تبين له حين بدأ ولي العهد في هذه الزيارة أنه خسرها وخسر معها سمعته واهتز منصبه ، وكان لمولانا آزاد جهوده المنتظرة منه في مقاطعة البلاد لهذه الزيارة ..

لقد أعلنت جمعية الخلافة وجمعية علماء الهند - وكان لمولانا آزاد مشاركة وزعامة فيهما - أعلنتا أن هذه السياحة تنوب عن الامبراطورية البريطانية التي تحارب الخلافة والبلاد الإسلامية وتريد استعبادها واستعمارها فلا يجوز لأحد من المسلمين أن يشارك في استقبال ولي العهد ولا في الاحتفالات التي

إلا من سلاح الإيمان ليواجهه القوة الجارفة المستبدة ويقول لها - أمام محكمة د إنك ظالمة ، وأنا ظالم إن لم أقل لك إنك ظالمة ، وقد أعجبنى تعليق فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد حسن الباقوري على هذه المرافعة الخالدة وتحليله لموقف مولانا آزاد في كلمته التي ألقاها ليلقيها نائباً عن الجمهورية العربية المتحدة في احتفال الهند بميلاد مولانا آزاد ولكن الموت كان أسرع إليه من الاحتفال بميلاده . وقد نشرت هذه الكلمة بعد ذلك في مجلة ثقافة الهند عدد سبتمبر ١٩٥٨ . فكان بما جاء فيها ؛ « وتظهر عظمة آزاد ويتجلى إيمانه الوثيق بالله وفهمه الصحيح للإسلام حين قدمه الانجليز للحاكمية بتهمة التحريض على الثورة وجمعوا لذلك أدلة الاتهام من خطبتين كان قد ألقاها في مدينة د كلكتا ، يدعو المسلمين خاصة والهنود عامة إلى العصيان المدني ، كان ذلك أو آخر عام ١٩٢٢ ، و آزاد في بقية من شباب يحرص المهرء عليها شد الحرص ويضن بها أن تذهب في مجال الحياة الجافية المظلمة ولو وقف آزاد هذا الموقف قبل ذلك بسنوات لقلنا إنها فورة الشباب د ولو وقف هذا الموقف بعد ذلك بسنوات لقلنا إنه بأس الشيخوخة حمله على أن يخرج من الحياة من هذا الباب في صورة بطل من أبطال التاريخ ولكن شاء القدر أن يتخير لآزاد هذا الموقف بالذات في هذا الدور من

مقاطعة تامة في القول والعمل لأن الحكومة التي تنوب عنها الحاكم جائرة ومقاطعتها واجبة . ه - تتوقف هزيمة الحكومة على العدد الذي يدخل منا السجون ، فلنهرول إليها زرافات زرافات حتى تتعب الحكومة من حبسنا ولا نقب نحن من الإقدام عليه ... وقد استجاب الشعب في كلكتا لدعوة مولانا آزاد دون خوف من القوانين المشددة التي أعلنتها الحكومة حتى كانت تعتقل ألف متطوع كل يوم .

وضاقت الحكومة ذرعاً بما يجري في غير كلكتا كذلك فطبقت هذه القوانين في كل البلاد ، ولما لم تجد لها أثراً إلا ازدياد حركة المقاطعة واستمرار الشعب بالحكومة وقوانينها وسجونها أقدمت على اعتقال الزعماء ظلنا منها أن ذلك سيفت في عضد الشعب ويقضى على الحركة .

فاعتقلت مولانا آزاد في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ وقدمته إلى المحاكمة أمام محكمة إنجليزية ، وأمام هذه المحكمة ألقى أروع مرافعة وأجراها وأخلدها على مر الزمن ، صورة نادرة من الجهر بكلمة الحق أمام السلطان الجا ركا أوصى بها الإسلام وكما قالها هذا الرجل المجاهد النادر المثال . صورة يجب أن يعرفها بل يحفظها كل إنسان ولا سيما الشباب ليعرفوا مدى تأثير العقيدة في الإنسان ، وكيف ترفعه إلى مرتبة القديسين حين يقف وهو أعزل

ولعلك - أخى القارىء - بعد هذا فى شوق إلى أن تقرأ شيئاً مما ألقاه مولانا آزاد فى ساحة المحسنة لترى إلى أى مدى وصل فى الإيمان بالحق وعدم المبالاة بالظلمة الظالمين .

موعدنا معك فى المقال الآتى إن شاء الله .

عبد المنعم النمر

حياته ليثبت فى سجل الإنسانيه آية من آيات السمو البشرى ، ومثلاً من أمثلة الإنسانية الرفيعة فى الإيمان بالحق والقيام فى وجه الظالمين الطغاة .

« وتدور المعركة فى ساحة المحسنة فيشهد التاريخ أعنف معركة وأعجبها » يسجل فيها آزاد ، نصراً حاسماً للإنسانية ، به يتقرر مصيرها ويتحدد موقفها لأجيال عديدة مقبلة،

(بقية المنشور على صفحة ٦٧٦)

الإسلامية كلها أن تأخذ بالتشريعات الإسلامية ككل لا يتجزأ ، ولا سيما وقد أفلست القوانين الوضعية فى محاربة الرذيلة والقضاء على الفساد فى أقطار الغرب والشرق على السواء ، وإن كانت بلاد الشرق الإسلامى لا تزال أحسن حالا من بلاد الغرب فيما يتصل بالأعراض ، والمحافظة على الأنساب وذلك لأنها مهما أخذت بتقاليد الغرب ونظمه فلا تزال فيها بقايا من خلق ومن حياة ، وذلك بفضل ما بقى لها من دين قويم ، وعادات موروثة كريمة ، لا يزال يستعصم بها كثير من الناس فى هذه الأقطار .

هذا وقد طال الحديث اليوم فلنرجى السلام هن رعاية الشريعة للجانب الإنسانى إلى مقال آت إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شربة

لها النجاح ؛ لأنها تحارب الإجرام فى نفس الفرد وتحفظ مصلحة الجماعة ثم هى بعد ذلك أحدل العقوبات لأنها لا تظلم المجرم ولا تحمله مالا يطيق فى سبيل الجماعة ، وهى عادلة أيضاً بالنسبة للجماعة لأنها تحفظ الاجتماع حقه ولا تضحي به فى سبيل الأفراد والعقوبة اتقى تحاقب الأفراد على حساب الجماعة إنما تضيق مصلحة الفرد والجماعة معا لأنها تؤدى إلى ازدياد الجرائم واختلال الأمن ، ثم توهين النظام وانحلال المجتمع . وإذا دب الانحلال فى مجتمع فقل على الأفراد وعلى المجتمع العفا . (١) وهكذا يتبين لنا بعد المقارنة والموازنة سمو التشريعات الإسلامية وعدالتها ودقتها والفرق الكبير بينها وبين القوانين الوضعية ، وأن الواجب على الأمم

(١) التشريع الجنائى الإسلامى مقارناً بالقانون

الوضعى ١٩٣٦ ، ٦٤٦ .

التَّفَاوُلُ وَالتَّشَاوُمُ

للأستاذ محمد محمد الشرقاوي

في غير مطمع .. ومثل هذا لا يعرض صاحبه
للؤاخذة الدينية .. لأنه من الفطرة ..
ولكن إذا صار عقيدة جازمة .. تصدر
عنها الأفعال إيجاباً وسلباً .. فهنا تكون
الخطيئة .. وهنا يتوجه التهديد الشديد الذي
يتمثل في ترديد كلمة الشرك ثلاثاً على مسامع
قوم حديثي عهد بجاهلية .. كانوا يرون التأثير
في الأشياء مع الله لغير الله .. وعلى المسلم
الصادق .. أن يكافح تلك الأوهام الكاذبة
بالتوكل على الله في صدق وعمق وإيجابية ،
وأن يردد الدعاء المأثور الذي أوصى
به الرسول صلى الله عليه وسلم حين يستقبد به
شؤم موهوم ، أو وسوسة خادعة ... روى
أحمد وأبو داود : « ذكرت الطيرة عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال : أحسنها الفأل ،
ولا ترد مسلماً .. فإذا رأى أحداً ما يكره
فليقل : اللهم لا يأتني بالحسنات إلا أنت ،
ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول
ولا قوة إلا بك » .

فَعَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ يَفْبُحِي أَنْ تَصَان عَنْ هَذَا
اللُّغُو الَّذِي تَوَارَثَتْهُ الْعُقُولُ السَّاذِجَةُ أَنَّ هُنَاكَ
أَحْوَالاً تَنْسُجُهَا الصَّدَقَةُ الْمُحْضَةُ ، وَيَفْضِي إِلَيْهَا

.. لا التَّفَاوُلَ - ولا التَّشَاوُمَ - حين تنفعل
به نفس صاحبه - بمغير من واقع المقادير -
حين كانت وحين تكون شيئاً .. فقد ارتبطت
الأسباب بمسبباتها في أحوالها العادية .. ديناً ،
ودنياً ، وعقلاً ونقلاً ، وسمياً وطبعاً ، ..
وعلى المرء أن يأتى البيوت من أبوابها ..
دون أن يتأثر - في مجريات الأمور - بما يخرج
عن دائرة الأسباب ، .. ومن اعتقد
أن للأسباب معوقات من دون قدرة الله تعالى ..
بما ينعكس في الخيال .. من صدقة مقارنة ،
أو نذرة عابرة .. أو جزم بأن طالع اليمن ،
ونجم السعود يحالفان عمله كلما تعرض لرؤى
طيبة ، أو اكتنفت ظروفه وقائع مستحسنة ..
فقد طوى قلبه على أفكار جاهلية خاطئة ،
تدنيه من حماة الشرك ، وتباهده عن شاطئ
الإيمان الصحيح . روى أبو داود عن عبد الله
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « الطيرة شرك .. الطيرة شرك ..
الطيرة شرك .. وما منا إلا .. ، ولكن الله
يذهب بالتوكل » .

.. أى إن كل فرد هدف لتلاعب الأوهام
به .. فترهبه في غير مرهب ، أو تطمعه

العله والمعلول العقلين الذى لا يتصور فى العقل
اتفكا كهما .. الأمر الذى يتنافى مع توحيد الله
وجودا وتأثيرا ، ولم يجادا وتديرا ..

فالتحوط ونفى التأثير عن غير الله كلاهما
قدر لله ويتضح هذا بما رواه مسلم : « أنه كان
فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي
صلى الله عليه وسلم : « إنا قد بايعناك فارجع .. »
مع ما روى عنه صلى الله عليه وسلم : « أنه
أجلس مجذوما يأكل بجواره وقال له : كل ثقة
بالله ، وتوكلا عليه .. »

فحديث المبايعه يرشد إلى التحصن والحيلة
فى الأمور كلها احتراما للأسباب ، ودفعاً لبلبله
الآلأباب ، وحديث المجاورة يضع النقط
فوق الحروف ، ويبين أن الله - لا غيره -
هو الضار النافع .

أما الطيرة : فهى توقع المكروه والشر
لغير ما سبب ظاهر .. سوى عمل الصدقة .
والهامه طير أو هى البوم كانوا يتشاءمون
منه إذا هبط فى مكان ، ويرون فيه نذير
البؤس والخراب .

والصفر : هو شهر صفر كانوا يحلونه عاما ،
ويحرمونه عاما .

ومن مزاعمهم الزائفة : الغول .. وفى رأيهم
أنه نوع من الجن يترامى للناس فى صور
شقى فيضلهم ويهلكهم .. ، والنوء .. وهو
نجم يأتى بالمطر ، وآخر بالريح .. وهكذا .
وقد حمل الإسلام حملة شعواء على تلك

الاتفاق المجرد .. يكون لها أثر فى نفع مرتبى ،
أو ضرر متقى ، ومثل هذا لا يخرج عن كونه
خرافة يمجها العقل القويم ، وينبو عنها المنطق
المستقيم ، وتأباها أصول الدين المقررة ،
وقواعده المحكمة .

ولقد جاء الإسلام فوجد سوق الدجل
رائجة بتلك السلع التافهة ، فسلط عليها نور
الحكمة ، فكشف خباياها ، وفضح أمرها ..
فتبدد ضبابها تحت إشراقه الباهرة ، وتهاوت
هياكلها أمام حججه القاهرة ، .. فمن ذلك
أن الرجل كان إذا أراد سفرا .. أو غيره
خارج إلى طير .. أو ظباء .. فزجرها ..
فإن طارت يمينا تيمن واستبشر ، وإن طارت
شمالا تشام وتكدر ، فهام الشرع عن ذلك ..
وفى هذا أخرج البخارى عن أبى هريرة
رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر ،
وفر من المجذوم كما تفر من الأسد .. »

والعدوى .. سريان المرض من صاحبه
إلى غيره .. والمعنى : لا مرض يعدى بطبعه
من غير فعل الله تعالى .. كما كانت تتصور
أوهام الجاهلية ، ولا منافاة بين صدر الحديث ..
وبين عجزه الذى يدعو إلى الفرار من المجذوم
خشية المرض لأن هذا احتياط بتقدير
من الله تعالى .. خوفا من التورط فى عقيدة
مؤداها : أن العدوى مؤثرة بنفسها على طريق

فياضاً بمعاني الرجاء حتى تظل حيويته الروحية دافقة لا يعتريها رهن ولا ضعف .

وذلك حين تنعكس على مرآة النفس ألوان معتمة تشكل جزءاً من طبيعة الأشياء .. ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يسير أعرابياً تملكه التشاؤم من كل أقطاره ، ويدعوه إلى تغيير أوضاعه ، ليعود نور الأمان إلى حنايا أضلعه .. روى أبو داود بسند صالح أن رجلاً قال يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها عددنا ، وكثير فيها أموالنا ، فتحولنا إلى دار أخرى .. فقل فيها عددنا ، وقلت فيها أموالنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذروها ذميمة »

ولم يكن هذا التوجيه من الرسول إلا اختصاراً لطريق العلاج النفسي من غير ماساس بعقيدة القضاء والتوكل الأساسى . وهذا يفسر لنا جواب الإمام مالك رضى الله عنه حين سئل عن شؤم الدار فقال : « كم من دار سكنها ناس فهلكوا ثم سكنها آخرون فهلكوا » .

ويلقى ضوئاً على ما أخرجه أبو داود والترمذى عن بريدة رضى الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث رجلاً سأل عن اسمه .. فإذا أعجبه فرح به ، ورؤى بشر ذلك في وجهه ،

الرواسب البالية .. والظنون الطائشة .. التي لا تغنى من الحق شيئاً .

نعم إذا وجدت أسباب الشر ، وتقدمت عوامل النحس .. كان ذلك دليلاً على النتيجة المشئومة .. كما أنه إذا توافرت وسائل الخير ، وبشائر السعد . أدى هذا إلى النتيجة الميمونة .. « فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، وهذا يعطينا التفسير الصحيح لما رواه ابن عمر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة ، وإنما الشؤم في ثلاث . في الفرس ، والمرأة ، والدار » .

فقد قالوا : إن شؤم الفرس جوحها ، وعدم انقيادها .. أو عدم الجهاد عليها ونحوه .. وهذا - كما ترى - مرجعه إلى تقصير في الترويض ، أو تبسلد في الواجب ، وأن الشؤم في المرأة سوء خلقها .. أو ثقل مهرها ، أو عقمها ، وهو شؤم له من الأسباب ما يبرره ، وأن شؤم الدار في ضيقها أو سوء جيرانها ، أو رداءة مرافقها .. أو نحو ذلك مما يؤدي إلى ما لا محمد عقباه .

ومع أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد نفى نفيًا باتاً ما انعقدت عليه قلوب الجاهليين من عقيدة التأثير من جانب التشاؤم نجدده يحرص كل الحرص على سلامة الشعور الوجداني في سريرة المسلم .. كيما يبقى دائماً مشرقاً بنور الأمل ..

يتوب إلى إرشاد الرسول . . ولكنه تصلب وتحزن . . حتى صارت الشدة والخشونة في طبعه . . ثم في نسله . . بيد أنها كانت في سعيد بن المسيب تشدد للحق وفي الحق .

ومن هذا القبيل ما رواه مسلم عن ابن عمر قال : « إن ابنة عمر كانت تسمى عاصية . . فسمها الرسول جميلة ، وما رواه أبو داود عن أسامة بن أخطري أن رجلاً يسمى أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما اسمك ؟ فقال : أصرم قال : « بل أنت زرعة » والزرعة اسم من الزرع وهو أطيب لفظاً ، واللفظ معنى من أصرم الذي ينبىء بالقطع والبر .

وما رواه الثلاثة عن ابن عباس قال : « كانت أم المؤمنين جويرة رضى الله عنها اسمها برّة . . فسمها الرسول جويرة وكان يكره أن يقال : خرج من عند برّة ، أى لما يشعر من الخروج من معنى البر .

وهكذا نجد الرسول في أكثر من موقف يحب الفأل الحسن ويشيع التفاؤل من أوسع أبوابه ، وأقرب أسبابه فيؤثر الأسماء ذات الأنس والبهجة ، والمعاني صاحبة النين والبركة . حتى تعتمل القلوب بمعاني الخير والبر . بقدر ما تتوارى عنها أشباح الاتراح . وهذا هو ما حدا بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى استبدال أسماء العاص ، وعملة ،

وإن كره اسمه روى ذلك في وجهه ، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها ، فإن أعجبه فرح بها وروى بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمها روى ذلك في وجهه .

فمن هذه الزاوية الوجدانية في حياة النفس يعالج النبي معنوية المسلم ، ويرفعها من سفساف الاخيلة الكواذب ، والأوهام الهوائيم . . إلى معالي الحقائق التي يستند واقفها على العلم والعمل مع العناية بحسبها المرهف وشعورها اليقظة . . فقد أعطاهما حقهما من حسن التأثير ، وجمال الانعكاس . . روى البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال « ما اسمك قال : حزن . . قال : بل أنت سهل . فقال : لا أغير اسماً سمانيه أبى ، قال ابن المسيب : فما زالت الشدة والحزونة فينا بعده

والحزن : ضد السهل ، وهو ما غلظ من الأرض ، نجد سعيد وهو حزن بن أبي وهب القرشي الخزومي ناقش الرسول في صراحة تامة فيما ذهب إليه من إثبات حسن الأسماء وكانت وجهة نظر جد سعيد أن للسائلة جانباً آخر يشعر بهذا التيمن ففي رواية أحمد وأبي داود أنه قال للرسول : « . . لا . . السهل يوطأ ويمتن . . ومهما يكن من أمر تأويله فقد كان الأخرى به أن

أمان في تلك الثغرة المنامية . ويتلخص هذا الصيام في أسرين : أحدهما إيجابى ، والآخر سلبى فأما الإيجابى . فهو أقوال وأذكار يرددنها النائم حين تفزعه الرؤيا وأما السلبى فهو الكف عن حكاية ما يترامى له في النوم من صور مزعجة ، وأحوال بغيضة . روى الأربعة عن أبي قتادة رضى الله عنه قال : كنت أرى الرؤيا فتمرضنى . حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الرؤيا الصالحة من الله . فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يتحدث بها إلا من يحب ، وإن رأى ما يكره فليبتغل عن يساره ثلاثاً ، وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها ، ولا يتحدث بها أحداً . فإنها لن تضره » وفي رواية : « فليبتغل عن يساره ثلاثاً وليقل : اللهم إني أسألك خيراً وخيراً ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها . » وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال يا رسول الله . رأيت في المنام كأن رأسى ضرب فتدحرج ، فاشتددت على أثره . فقال عليه الصلاة والسلام : لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك .

وذكرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : « أحسنها الفأل . » ولا ترد مسلماً . فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات

وشيطان ، وغراب ، وحباب ، وشهاب ... بأضدادها ، وقد سمي حرباً ، وسلماً ، والمضجع والمنبث ، وأطلق اسم خضرة على أرض كانت تسمى عفرة ، وشعب الهدى على مكان يعرف بشعب الضلالة ، وبنى الرشدة على قوم يعرفون ببنى الزنية ، وبنى مغوية . يروى الثلاثة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا طيرة وخيرها الفأل ، قيل : يا رسول الله . وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسميها أحدكم ، وفي رواية : « لا طيرة ، ويعجبني الفأل الصالح : الكلمة الحسنة ، والفأل ضد الطيرة وتستعمل في الخير والشر ، والمعنى لا تطير ثابت .. ولكنى أحب أن أسمع الكلمة الصالحة نحو يا سالم . يا غانم . يا منصور . يا ناصر . »

ولم يدع الإسلام منفذاً يظل منه التشاؤم بشبهه . المعتم إلا ألقى عليه ستاراً كثيفاً من حسن الظن بالله ، وثقة المرء بنفسه ، وقوة اعتياده بعد الله على عمله وكفاحه ، وقرن بذلك اليقين والنجاح والأمل ، ولعل الرؤى والأحلام التي يراها النائم في المنام تلعب دوراً كبيراً ، وخطيراً فيما ينتاب الإنسان من أوضاع نفسية حسنة أو سيئة ولم يترك الإسلام لتيارات النجس والخداع الضارة أن تسترق الخطى في غفلة اللا شعور إلى صدر المسلم . بل بادر إلى وضع صمام

إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، .
رواه أحمد وأبو داود .

قال النووي : الغال يستعمل فيما يسوء ،
وفما يسر ، وأكثره فيما يسر . . والطيرة
لا تكون إلا في الشؤم ، وقد تستعمل مجازاً
في السرور ، وفي الشرع . . خصت الطيرة بما
يسوء ، والغال بما يسر ، ومن شرطه عدم
القصد إليه ، وإلا كان من الطيرة الذميمة .
قال ابن بطال : جعل الله في فطر الناس محبة
الكلمة الطيبة ، والانس بها ، كما جعل فيهم
الارتياح للنظر الأنيق ، والماء الصافي ،
وإن كان لا يملكه ، ولا يشربه .

وقد ذكر البيهقي أن التطير كان في الجاهلية
شائعاً عند العرب ، وذلك بإزعاج الطير عند
إرادة الخروج للحاجة ، ثم صاروا يتطيرون
بصوت الغراب ، وبمرور الظباء . . فسموا
الكل تطيراً لأن أصله الأول . . فكان
أحدهم إذا خرج لأمر فإن رأى الطير طار
يمنة تيمن به واستمر ، وإن رآه طار يسرة
تشام منه ورجع ونفر ، وربما كان أحدهم
يهيج الطير ليطير فيعتمدها ، ويستند إلى
فعلها ، وكانوا يسمون الطير المتيامنة (السانح)
والمتياسرة (البارح) ومن أمثلتهم في هذا
المقام د من لى بالسانح بعد البارح ، .

قال ابن حجر د وليس في سننوح الطير ،
وبروحها ما يقتضى شيئاً مما اعتقدوه ،

وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له . .
إذ لا نطق للطير ، ولا تمييز حق يستدل
بفعله على مضمون معنى فيه ، وطلب العلم
من غير مظانه جهل من فاعله .

ولم يكن العرب وحدهم هم الذين تورطوا
في هذا الحق العقلي ، والسفاهة العقائدية ، بل
نجد العجم أيضاً قد شاعت فيهم تلك السفاهات
الفكرية ، فمن ذلك : أن أحدهم كان إذا رأى
الصبي ذاهباً إلى المعلم تشام ، وإذا رآه راجعاً
تيمن . أو رأى رجلاً موقراً حملاً تشام ،
وإن رآه واضعاً حملة تيمن ، إلى غير ذلك
من ترهات وأباطيل تحالف على بها الجهل
والسذاجة . . فجاء الشرع الحكيم وحرر
الأفكار من هذا الإيسار ، وحقق إصلاحاً
جذرياً في العقائد ، وقرر . د أن من تسكن
أو رده عن سفر تطير فليس منا ، كما نطق
الحديث الشريف ، قال الحليمي « وإنما كان
صلى الله عليه وسلم يعجبه الغال ؛ لأن التشاؤم
سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق والتفاؤل
حسن ظن به ، والمؤمن مأمور بحسن الظن
بالله تعالى على كل حال .

وقال الطيبي : « معنى الترخص في الغال ،
والمنع من الطيرة أن الشخص لو رأى شيئاً
فظنه حسناً ، ومحرضاً على طلب حاجته . .
فليفعل ذلك ، وإن رآه بضد ذلك ... فلا
يقبله . . بل يمضى لسيئله ، فلو قبل وانتهى
عن المضى . . فهو الطيرة التي اختصت بأن

ولقد كانت الكثرة المسكثرة من أهل الجاهلية يتخذون من نظرية التشاؤم والتفاؤل قضية مسلمة ... يستلهمونها الحكمة ... ويقبسون منها الهدى .. وكانت أحيانا تصح معهم ، لتزيين الشيطان ذلك ، ومن عجب أن تبقى بقية من تلك الرواسب الخرافية .. في أعماق قلوب الكثير من أبناء الملة الإسلامية ، وأن تتوالد جراثيمها وتتكاثر وتظهر في المجتمع في أزياء شتى ، وصور متباينة ... من ضرب الرمل والحصى ... واللعب بالورق ، ومطالعة النجوم ، وقراءة الفنجان والكف ، وفتح الكتب .. ونحو ذلك مما يتخذ شكل الوباء العقائدى في المجتمع الإسلامى ، ويذهب بالألاء العقيدة الصحيحة ، ويطمس توهج الحق في معدنها ثم تظهر آثاره في الأعمال حمقا وجهالة .. وسخفا وضلالة .. وإذا يممنا وجهنا قبالة التفاؤل مرة أخرى . نجد أن التوجهات الإسلامية في هذا الجانب تحمل في ثناياها فكرة الإيحاء الحسن الذى الذى نوه علماء النفس بآثاره الجيدة في رفع معنويات المرء ، ودعم ثقته بنفسه ، وتقوية أمله في مستقبل أفضل . وهذا يتمثل بأجلى معانيه في سورة الانشراح حيث يقول الله تعالى « فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ، وفى هذا يقول علماء البلاغة : - إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى ، والمعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى . وهذا يعنى

تستعمل في الشؤم ، .. أخرج الطبرى عن حكرمة قال : كنت عند ابن عباس ... فر طائر يصيح .. فقال رجل . خير .. خير .. فقال ابن عباس : ما عند هذا لا خير ولا شر ، .. وأخرج البيهقي من حديث ابن عمر موقوفاً من عرض له من هذه الطيرة شيء .. فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ، ، وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أنس مرفوعاً : « لا طيره .. والطيرة على من تطير ، ، والبيهقي من حديث أبي هريرة : « إذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا ، .

وقد بما لم تهضم عقليات قادة الفكر ، وذوى الزعامة من العرب هذا الخرف والهرف ، ونادوا ببطلانه في تضاعيف شعرهم ، وسائر أمثلتهم .. واهتدوا إلى ذلك بفطرم السليمة ، وطبائعهم القويمة .. قال شاعرهم : -

ولقد غدوت وكنت لا
أغدو على واق وحاتم
فإذا الاشائم كالأيام
والأيام كالاشائم

وقال آخر : -

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله فاهل
وقال ثالث : -

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى
نجاحا ، ولا عن ريثن قصور

للمسلمين فتوحات كثيرة ، وحققوا انتصارات متوالية في قطاعات مختلفة .. ومن وراء ذلك كله يسر هو أعظم شأننا وأجل قدرا : « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ، وهما حسنا الظفر وحسنا الثواب .. وهذا ما جعل ابن مسعود رضى الله عنه يقسم غير حائث ويقول : « والذي نفسى بيده لو كان العسر في حجره لطلبه اليسر حتى يدخل عليه . إنه لن يغلب عسر يسرين » ، وذلك بالرغم من أن مصحفه رضى الله عنه ليس فيه تكرار هذه الآية .. ولكنه - كما قال صاحب الكشف - تأوله بيسر الدارين ، وكأنه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفتيح .

وحق في أشد حالات المؤمن كربا .. يرف الإسلام بمجنّحين من رحمة .. وتقاؤل حول قلبه المهموم وهو يعاني سكرات الموت .. ليربط على نفس المؤمن في أحلك ساعاتها ، ويكفكف من غلواء الفزع والهلع في أخرج موافقها .. فيقول صلى الله عليه وسلم باعثا الأمن والسلام .. في محنة الموت الزوام : « لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » ، رواه مسلم عن جابر .. أى يعتقد أن الله به رءوف رحيم عفو كريم .. وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال : كيف تمجدك ؟ فقال : أرجو الله يا رسول الله .. وإنى أخاف ذنوبى .. فقال صلى الله عليه وسلم :

أن الآية السريمة تشير إلى أن كل عسر واحد يحف به يسرا ، وقد تأكد ذلك من قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما في تفسير تلك الآية : « لن يغلب عسر يسرين » .

وجاء في الكشف أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول : « لن يغلب عسر يسرين » ، ويقول الزخشرى بعد ذلك : « سواء كانت الجملة الثانية تكريرا الأولى .. كما كرر قوله : « ويل للكاذبين » ، لتقرير معناها في النفوس ، وتمكينها من القلوب . أو كانت الجملة الأولى وعدا بأن العسر مردوف بيسر لا محالة ، والثانية وعدا آخر مستأنفا بأن العسر متبوع بيسر ، فعلى كلا التقديرين هما يسرا وعسر واحد . أما على تقدير التكرار فلأنه عمل بالظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن وعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه ، وأما على تقدير الاستئناف .

فلأنه لا يخلو .. إما أن يكون تعريفه للعهد .. وهو العسر الذى كانوا فيه .. فهو هو .. وإما وإما أن يكون للجنس الذى يعمله كل أحد .. فهو هو أيضا ، وأما اليسر فنسكر متناول لبعض الجنس .. فإذا كان الكلام الثانى مستأنفا غير مكرر .. فقد تناول بعضا غير البعض الأول بغير إشكال ..

ولقد جاء التاريخ مصداقا لوعد القرآن باليسر إثر اليسر إذا هرض عسر فقد تيسر

وأن الإسلام حارب التشاؤم ونهى عنه ودعا إلى التحلل منه وندب إلى التفاؤل في كل الأمور لما له من أثر حميد في المزاج والسلوك: وأنه عاجل الشؤم أحياناً بإزالة أسبابه اختصاراً مع عدم المساس بالعقائد المقررة. وأن التشاؤم والتفاؤل: كلاهما لا صلة له بالأهمال وإنما أحب الإسلام التفاؤل من حيث إنه نوع من حسن الظن بالله ولو بغير سبب، وهو من مستحبات الإسلام في كل حال، وأبغض التشاؤم من حيث إنه مظهر لسوء الظن بالخالق بدون ما سبب ظاهر. وهو بما يكرهه الإسلام وأن القرآن الكريم قد أيد السنة الشريفة في إشاعة التفاؤل وبث روح الطمأنينة في النفوس الواجفة، والقلوب الراجفة .

وهناك آيات أخرى كثيرة غير آية الانشراح تحمل نفس معناها ومغزاها منها قوله تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم » ، وقوله جل ذكره : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، وقوله تباركت أسماؤه : « ولا تيئسوا من روح الله ، إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون » ؟

محمد محمد الشرفاوي

مبعوث الأزهر إلى لبنان

« لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه مما يخاف » . ويتابع الرسول تزويد المؤمن بطلاقات هائلة من قوة الروح ، وطمأنينة النفس .. حتى إنه صلى الله عليه وسلم يصرح بأقصى غايات التفاؤل ، وأبلغ معاني البشر والسعادة وذلك فيما رواه أبو داود والترمذي والحاكم في صحيحه عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وفي رواية لمسلم بلفظ : « قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني عفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني عفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .

ولا أجد أحفل بالمئي العذاب ، والآمال الزهر أجعله خاتمة المسك في هذا البحث مما رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والحوام : منها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة : وبعد ، فقد تبين بما ذكرنا : أن الأقدار لا يغيرها شؤم سيء ولا فال حسن :

أرثُ مفارنَ : ذئبٌ عَبريٌّ وذئبٌ فرنسيٌّ للأستاذ العوضي الوكيل

نقصد بالذئب العربي ذئب الفرزدق ، همام بن غالب ، وكان قد لقيه مدلجا بلبيل ، فبسط أمامه الطعام ، ودعاه إليه ، ليتعشيا معاً ، وأخذ الفرزدق الحذر ، فكانت يد منه ترفع اللقمة إلى فمه ، وأخرى تمسك بمقبض السيف ، وهو اللقاء الذي سجله الفرزدق في قصيد قوى منه :

وأطلس عسال وما كان صاحبا
دعوت لنارى موهنا فأتاني
فلما أتى قلت ادن دونك ، لأنني

ولياك في زادي لمشتركان
وبت أقد الزاد بيني وبينه

على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تبسم ضاحكا

وقائم سبقي من يدي بمكان
تعش فإن عاهدتني لا تخونني

فكن مثل من ياذئب يصطحبان
ليس هذا الذئب الذي اكتفى بالتبسم

والضحك دون اللوثوب والهجوم مقصدنا
من هذا الحديث ، وإنما الذئب العربي الذي

نعنيه هو الذي لقيه - في إحدى المفاوز

أو في الخيال الشعري - أبو عبادة الوليد البحرى ، قتصاولا ، ووقع صراع من جولتين اثنتين ، خر الوحش بعد الثانية منهما على الأرض صربعا إذ رماه البحرى بسهم نفذ إلى قلبه . ثم سجل انتصاره في قصيد رائع .

والذئب الفرنسي ذئب لقيه الشاعر الفرنسي الخالد ألفريد دى فيني ، مع نفر من أصحابه ، وكان معهم كلاب الصيد .

ووقعت بين الفريقين معركة انتهت بقتل الذئب . وسجل الشاعر ذلك في شعره :

وإن التقي الذئبان الفرنسي والعربي ، في المعركة ، ولقي كل منهما حتفه على يد شاعر فإن الشاعرين لم يلتقيا .

لقد لقي البحرى الذئب وحيدا في صحراء قاحلة ، وقد نفذ زاد الشاعر واشتد جوعه

فهو يبحث عن طعام ، والذئب يحوس خلال المفازة لعله يصادف فريسة يسد بها جوعته ،

فكلاهما جائع ، وكلاهما يبحث عن طعام ، وسيبعد الحظ أحدهما ويتعس الآخر :

كلانا بها ذئب يحدث نفسه
بصاحبه والجد يتعسه الجذئ
ويقف الجائعان وجها لوجه ، الذئب
البشرى ، والذئب الحيوانى ، ويجلس الذئب
مقعيًا متحينًا من الشاعر فرصة ، ويفزع
الشاعر ويهرع إلى شعره ، ويفشد أبياتا
حماسية بصوت جهورى لعله أن يخيف
الذئب ، ولكن الإنشاد يحدث عكس
المطلوب ، فيهبج الوحش ، ويحاول
الانقضاء على الشاعر :

عوى ثم أقمى فارتجزت فبهتة
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فيعاجله البحرى بسهم مريش ، يسدده
إليه ، فلا يصيب منه مقتلا ، فيشتد هجوم
الذئب ، ويعاود البحرى الكرة فيرميه بسهم
آخر مريش ، ويحسن التسديد هذه المرة
فيمضى السهم إلى قلب الذئب أو إلى حيث
يكون اللب والرعب والحقد كما قال البحرى
وفى ذلك يقول :

فأوجرته خرقاء تحسب ريشها
على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد إلا جرأة وصرامة
وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
فأتبعها أخرى فأضلت نصلها
بحيث يكون اللب والرعب والحقد

نفر وقد أوردته منهل الردى
على ظمأ لو أنه عذب الورد
وبعد أن خر الذئب صريعا ، ووضعت
المهركة أوزارها ، مضى البحرى لجمع حصي
واشتوى الذئب ، ثم نال منه خسيسا سد به
الجوع . وغادره ومضى إلى شأنه .

وقد لقي الفريد دى فينى الذئب ، مع نفر
من أصحابه - كما قدمنا ، ومع كلام للصيد ،
خرج الجميع للهو والتسلية وإزجاء الفراغ
ولم يكن هناك حاجة أن تقوم معركة بين هذا
الذئب وذلك الجمع الحاشد من الشاعر
وصحابه ، ولا يمكن أن يكون من الشجاعة
أن يتكاثر جماعة على ذئب ، وبجل الشاعر
الفرنسى على نفسه العدوان ، وأقر به لإقراراً
لا يقبل الجدل ، فإن الشاعر وصحبه رأوا
الذئب من بعيد وحوله صفاره يرقصون في
مرح وأنشاه تنظر إلى بنينا في فرح وإعجاب ،
ولم نستطع هذه الأمومة الوادعة الهائلة
أن تكف العادين عن العدوان ، إذ ما لبث
الشاعر وصحبه حتى أحاطوا بالذئب في شكل
هلال - وما أشأمه من هلال - وكل منهم
يحشو بندقيته بالرصاص ، ولما رأى الذئب
ما حدث مضى إلى كلب من كلاب الصيد التى
معهم فهوى على عنقه بأنياه ونخابه ، وسم
فكيه في قوة المستميت :

ودرسا ، في تحمل الألم ، وفي العزم والجلد ،
وعدم البكاء والنحيب :

إن معنى البكاء ضعف وذل
من عواء العاوى أمر وأشأم
قتالم مثلى بصمت طويل

عبرى وميت ولا تسكلم !
إن البحرى لم يقتل ذنبه لها وعشا ،
ولكنه المضطر ، ومن اضطر غير باغ
ولا عاد فلا إثم عليه ، ثم إنه فردى قابل فرداً
وسلاحه قوس وبعض أسهم لعلها لم تكن
صالحة كل الصلاحية فإن أحدها أصاب الذئب
فلم يفعل شيئاً ، ودى فينى يلقى الذئب فى جحفل
من أصحابه ، وحشد من كلابه ، وسلاحهم
البنادق والرصاص ، وهم يلقون الذئب
للهو والعبث .

وإذا كان البحرى قد ختم قصيدته بالحكمة
حين تحدث عن جور الليالى وشقاء الكريم
فى الدنيا فإن دى فينى قد ختم قصيدته بمقطع
يكاد يبلغ نصفها عما استخلصه من موقف
الذئب من العظاظ والعبر وكان أكثر توفيقاً
من البحرى فى هذا المجال .

العرضى الوكيل

فضى نحو فاتك من كلاب الصيب
سد ضار يهوى على عنق ضار (١)

بغم ساعر وقلب تلظى
فى حنايا ضلوعه كالبحار

وحال الشاعر وصحبه أن ينقذوا كلهم
فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فأطلقوا
الرصاص وأبلا على الذئب الذى أهلك الكلب
قبل أن يهلك ، ووقف ينظر إليهم شامتا
بهم ، ولم ينطق بصيحة ألم واحدة حتى وقع
على الأرض :

هلك الكلب قبله وهو يرنو
نحونا فى علا وفى استكبار (٢)

لم يدعه وقد رمينا حشاه
ما استطعنا بالنار تلو النار
ورنا نحونا ومال على الأثر

ض رضيا أن نال بعض انتصار
ودم السكب غامر فه الو
سع حتى كساه ثوب احمرار
ويستخلص الشاعر من ذلك كله عبرة

(١) ، (٢) الدرجة لكتاب المقال .

شخصية ذى القرنين بين قورش والإسكندر المقدوني

للككتور سعد الدين الجبزاوى

« ويسألونك عن ذى القرنين . قل : سأتلو عليكم منه ذكراً ،
إنا مكنا له فى الأرض ، وآتيناه من كل شئ سبباً ،
فأتبع سبباً ... (١) » .
قرآن كريم

اللغوية بعد أربعة عشر قرناً من نزوله مثلاً ،
أن يلم بما طرأ على كثير من مفردات اللغة
خلال تلك القرون ، وأن يستفيد من مناهج
البحث الحديثة فى مقارنات اللغات ومعرفة
ما بينها من اتفاق أو اختلاف .

وفى كتاب الله الكريم دعوة إلى النظر فى
ملكوت السموات والأرض ، والتفكير فيما
خلق الله ، وطبيعى أن هذه الدعوة ليست
للفرجة ، وإنما هى للبحث والتنقيب لمعرفة
أسرار النظام البديع الذى يسير عليه هذا
الكون ، والوقوف على عظمة الخالق
سبحانه وتعالى ...

ومهما تناهت معارف الناس فى تفسير
إشارات القرآن الكريم وتليجحاته فإنها
لا تعطى القول الفصل أو الكلمة الأخيرة ،
بل بقدر ما تقسع له طاقة المعرفة فى العصر
الذى فسرت فيه ، وهذا بلا شك من دلائل
عظمة هذا الكتاب الكريم وأسرار

فى كتاب الله الكريم لإشارات كثيرة ،
تحتاج فى تفسيرها إلى سعة اطلاع ، ومعرفة
شاملة لأحوال الأمم السابقة ، وما كان لها من
نظم ومعتقدات ، ثم إلى ثقافة خاصة بما يؤدى
إليه مرور الزمن من تطور فى مدلول كثير
من المفردات اللغوية ... إلى معرفة متجددة
بكل ما يستجد فى ميادين الكشف العلمية
الحديثة ؛ ذلك لأن هذا الكتاب الكريم ،
من خصائصه أنه قد ضم بين دفتيه أخباراً
عن كثير من الأمم السابقة ، ومعتقداتها ،
تارة تصريحاً ، وتارة تليجحاً لحكم الله أعلم
بها من خلقه ؛ فعلى من يريد تفسير تليجحاته
وإشارات أن يجد ويبحث عساه يوفق ،
وفى هذا فلسفة بعيدة المدى للدعوة إلى
التعليم المستمر .

ولأن القرآن فى القمة من اللغة الفصحى ،
فعلى من يريد أن يعرف مدلولات مفرداته

(١) سورة الكهف الآيات من ٨٣ إلى ٩٨ .

الواردة في قوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها »^(١) .

وكان فهم هذه الإشارة يحتاج إلى دراسة عميقة لمعرفة الفكرة في الذبح أمام الوثن كما كان يفعل الوثنيون ...

ومرت القرون حتى كان عصرنا الحديث ، ثم نظمت دراسات عميقة وبحوث مستفيضة في معرفة أصول الأديان والعقائد جميعاً ، وعقد مقارنات بينها ...

وقد فهم أحد المستشرقين الألمان من المعنيين بدراسات القرآن الكريم أن وراء التعبير بكلمة « ولا دماؤها ، سراً ، وقد هداه بحثه إلى أن منشأ عقيدة الذبح أمام الوثن كان عند قدماء الصين حين ظنوا أن روحاً سارياً في كل الكائنات هو المسيطر على الكون ، فأرادوا أن يتقربوا إليه ، فاخترعوا الوثن ونصبوه معتقدين أن ذلك الروح السارى يشم رائحة الدماء ، فيرضى عن العابدين ويقضى لهم حاجاتهم كما كانوا يزعمون .

هكذا حدثنا أستاذنا المرحوم الدكتور علي العناني ، في إحدى محاضراته بدار العلوم ، وقد ذكر ابن السككي^(٢) في كتابه

لعجازه ، فهو أبداً جديد ، يساير كل زمان ومكان : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد »^(٣) . ومن إشارات القرآن التي تحتاج في تفسيرها إلى معرفة خاصة بمنشأ الوثنيات وفكرة الذبح تقريباً إلى الأصنام ، ما جاء عن ذبائح الحج التي تعتبر شعيرة من شعائره ؛ فقد كان أهل الجاهلية يذبحون البقر والإبل والأغنام تقريباً إلى الله في شخص الأوثان كما كانوا يزعمون ، والصورة العامة التي كانت عندهم عن الدماء التي تتطاير أمام الوثن أنها ترضى الإله ، ولذلك كانوا لا يكتفون بسيل الدماء ، بل كانوا يأخذون منها وينضحون الوثن إن كان الذبح أمام وثن أو جدران الكعبة إن كان الذبح أمامها .

فلما ظهر الإسلام ، أبقى ذبح الأنعام ، ولكن على صورة تغاير ما كان عليه أهل الجاهلية ، إذ اعتبر الإسلام الذبح لوئاً من الإحسان إلى المحتاجين وحبب إلى الذابحين أن يأكلوا من ذبائحهم طيبة بذلك نفوسهم ، لأنهم إنما يذبحون امتثالاً لأوامر الله . وفيما بين تشريع الإبقاء على الذبائح ، وتغيير الصورة التي ألفها الجاهليون لها ، كانت إشارة .

وهذه الإشارة كانت في كلمة « دماؤها ،

(١) سورة الحج ٣٧ .

(٢) هو أبو المنذر هشام بن محمد السائب السككي

توفي سنة ٢٣١ هـ .

(١) فصلت ٤٢

إلا أمانى،^(١) فقال : ليس المقصود بالآمية هنا الجهل بالقراءة والكتابة كما هو شائع لمفهوم هذه الكلمة ، وإنما هى إشارة إلى ما كان يطلقه الإسرائيليون على غيرهم من اليهود الذين دخلوا اليهودية من أجناس أخرى أى أمم أخرى غير بنى إسرائيل ، فالنسبة إلى أمة أو أمم . ولذلك جاء فى آية أخرى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمى ، الذى يحددونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، »^(٢) فهو يذكر الإسرائيليين أن هذا النبي الموصوف فى كتبكم ليس إسرائيليًا وإنما هو « أمى » - وكذلك لفظة « أمانى » فهى ليست من الآمنية والأمل ، وإنما من التآمين على الدعاء بقول « آمين » فقد كان الإسرائيليون يعتبرون كل يهودى ليس من جفسهم لا يستطيع أن يفقه التوراة مثلهم وإنما هو يستجيب لما يسمع دون فهم للأسرار ...

والحق أن هذا الاتجاه قد أثلج صدرى من أستاذنا الكبير ، والله أرجو أن يمكن له ويتيح له من الفرص ما يعينه على التفرغ لهذا المشروع الجليل .

وفى كتاب الله إشارات تاريخية كثيرة لا يتسع هذا المقال للإشارة إليها ، وإنما

« الأصنام » ، أن وثنية العرب منقولة عن الصين فى أرجح الروايات .

ومن الإشارات التى تحتاج فى تفسيرها إلى ثقافة خاصة ما سمعته من الأستاذ الكبير عباس العقاد فى إحدى ندواته حين سأله سائل : لماذا لا تقوم برضع تفسير للقرآن الكريم ؟ .

قال الأستاذ : إننى معتمزم هذا الأمر ، وعندى فكرة واضحة عن منهج للتفسير يغير الطرق المألوفة فيه ؛ لأننى أفضل أن يكون التفسير لموضوعات وأن يعنى فى ذلك بدراسة المناهج العلمية الحديثة وتطبيقها ، ولا سيما فيما يتعلق بتطور مدلولات الكلمات ، على ألا يكون التفسير هو الكلمة الأخيرة أو ما قصدته الآيات تماما ، وإنما هو تقريب وطريق إلى الوصول للحقيقة ، وضرب الأستاذ لذلك عدة أمثلة ، أذكر منها مثلا على تغير المفهوم اللغوى لبعض الكلمات ، وكيف أن المفسر لكتاب الله لا بد له من أن يلم بعلم اللغات المقارن ويعرف ما بين أصول الكلمات واشتقاقاتها فى مختلف اللغات - ولا سيما المجموعة السامية من اتفاق أو اختلاف . واستشهد لذلك بلفظتى :

أمى ، وأمانى ، الواردتين فى الآية السكريمة « ومنهم - اليهود - أميون لا يعلمون الكتاب

[١] البقرة ٧٨ .

[٢] الأعراف ١٥٧ .

وهم يعلمون،^(١) ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا خلا بعضهم - ممن يذيعون شيئا مما في كتبهم - إلى بعض قالوا : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ؟ ،^(٢) .

ومما يدل على أن اليهود السائلين كانت لديهم فكرة عن الموضوع ، أنهم هم الذين ذكروا اسم ذى القرنين من الإشارات الواردة في أسفارهم كاسرى ، وكانوا يعرفون أن العرب يجهلون هذه الشخصية إذ لم يقرأوا عنها في كتاب ، ولا يعينهم من أمرها شيء ، فسألهم النبي عليه الصلاة والسلام يعتبر في نظرهم تعجيزاً ، إلا أن يكون حقاً يأتيه وحى من السماء ، فيبين لهم ما طلبوا . ولذلك روى أنهم قالوا لقريش : أسألوا صاحبكم عن ثلاثة أشياء : أصحاب الكهف ، وذى القرنين ، والروح . فإن أجاب عنها جميعاً ، أو سكت عنها جميعاً ، فليس بنبي ، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي ، وكان أن أجاب الوحي عن القصتين وسكت عن الروح ، وهى أيضاً مبهمة في التوراة ، فكان في ذلك لإخام لليهود .

لخص الأستاذ آزاد مذاهب المفسرين في شخصية ذى القرنين ، وحيرتهم في الاهتداء إليه ، فذكر أن الصدر الأول منهم اتجهوا

هناك موضوع هام من بينها قد شغل المفسرين والمؤرخين كثيراً ، ذلك هو شخصية ذى القرنين الواردة في سورة الكهف :

قرأت بحثاً مستفيضاً حول هذا الموضوع في عددى مارس ويونيه سنة ١٩٥٠ من مجلة ثقافة الهند للسيد الأستاذ أبى الكلام آزاد من علماء الهند البارزين وأحد وزراء معارفها .

وقد سار السيد آزاد في بحثه على منهج علمي دقيق ، ووصل إلى نتائج ألفت ضوءاً قوياً على حيرة العلماء في تعرف هذه الشخصية . وخلاصة هذه النتائج أن أوصاف ذى القرنين الواردة في القرآن تتمشى وسيرة الملك (قورش) الفارسي^(١) بعيدة عما عرف من سيرة الإسكندر الأكبر المقدوني ، وهو لذلك يرى أن المقصود بذى القرنين في السؤال والجواب الواردين في الآيات إنما هو : (قورش) وليس (الإسكندر) .

إن المفسرين يجمعون على أن السؤال الذى وجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان بإيعاز من اليهود . وطبيعى أن اليهود لم يسألوا مثل هذا السؤال إلا إذا كان لديهم علم بما وراءه من أخبار آبائهم الأقدمين ، والمعروف أن اليهود يكتمون ما يعرفون من الحق : وإن فريقاً منهم ليسكتمون الحق

(١) البقرة ١٤٦ .

(٢) البقرة ٧٦ .

(١) مؤسس الدولة الفارسية في القرن السادس قبل الميلاد .

المملكتين : ميديا وفارس ، فيملكهما ملك واحد لا تقدر دولة على مواجهته ، أما التيس ذو القرن الواحد فإنه يدل على ملك اليونان .

والذى حدث بعد هذه الرؤيا بفترة من الزمن أن ظهر الملك قورش فوحد ميديا وفارس اللتين مثلتا في الرؤيا بقرنين ، ومثلت شخصية ملكهما بكبش ذى قرنين ، ثم كان زوال أسرة « هنامشى » التى كن منها قورش بهزيمة آخر ملوكها (دارا بوسند) على يد الإسكندر الأكبر الذى مثل في الرؤيا بتيس ذى قرن واحد آيات من الغرب .

وفي سفر يشعيا نبوءة أخرى عن ظهور ملك قوى قد صرح فيها باسم (قورش) الذى يكون عليه فك أسر اليهود ... وفي سفر يرميا إشارة إلى ما حدث لليهود من أسر وإفراج ... وخلاصة هذه الإشارات تدل على أن تصور (قورش) كان قد وجد عند اليهود : فقد مثل في سفر دانيال بكبش ذى قرنين ، وذكر اسمه في نبوءات يشعيا ، وأشار إليه يرميا . ثم جاء في سفر عزرا أن رؤساء اليهود قد عرضوا نبوءات سالفهم على الملك (قورش) عندما ظهر ففرح بها وأصدر أمره بتجديد الهيكل .

ومهما قيل في صحة هذه الأسفار أو التشكيك

في بحثهم عما إذا كان ملكا أو نبيا أو من البشر ، وهل عاصر إبراهيم عليه السلام أو كان بعده ، ثم اتجهت الأذهان بعد ذلك إلى أنه قد يكون من ملوك اليمن قياسا على وجود لقب « ذو » في ملوكهم ... غير أن هذا الاتجاه لم يؤدى إلى نتيجة ، إذ ليس في سيرة أحد من ملوك اليمن ما يشبه أوصاف ذى القرنين كما وردت في القرآن الكريم . ثم خرج من ذلك إلى أن أبحاث المفسرين لم تؤد إلى نتيجة حاسمة لأنها لم تتجه الاتجاه السديد ، ولو أنهم اتجهوا إلى البحث في أسفار اليهود لفازوا بالحقيقة .

ومن ثم فقد ركز الاستاذ بحته أولا على أسفار التوراة ، وأول ما عثر عليه في ذلك رؤيا النبي دانيال ^(١) التى رآها إبان أسر اليهود ببابل بعد أن خرب بختنصر بيت المقدس وطردهم منه . وخلاصة هذه الرؤيا أنه رأى في منامه كبشا قويا له قرنان عاليان ينطح بهما شرقا وغربا ، ثم رأى تيسا أقبل من القرب بقرن واحد بارز بين عينيه ، فاقترب من الكبش فكسر قرنيه وصرعه ، ثم ذكر السفر أن جبريل قد فسر لدانيال رؤياه : بأن الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد

(١) سفر للنبي دانيال .

إليه فقال : « لما تمكنت من مشاهدة آثار إيران العتيقة ، ومن مطالعة مصنفات علماء الآثار فيها ، زال الحجاب ، وظهر كشف أثرى قضى على سائر الشكوك ، فتقرر لدى بلا ريب أن المقصود من « ذى القرنين » ليس إلا قورش نفسه ، فلا حاجة بعد ذلك أن نبحث عن شخص غيره ،

اتجه الباحث بعد ذلك إلى دراسة سيرة (قورش) معتمدا على روايات مؤرخي اليونان لأنها أدق من الروايات الفارسية ، وقد وجد فيها تفصيلات دقيقة لا تتعارض مع أوصافه كما جاءت في القرآن الكريم . وبعد أن عرض ما تقدم من مسألة لقب ذى القرنين وسيرة حياته ، قال : « وبقي الآن أن نرى : هل الحلة التي فصلها له القرآن توافقه أم لا ؟ وسنرى أنها توافقه كل الموافقة » .

ثم أخذ يوازن بين ما جاء في وصف القرآن له من الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعدالة ، والرحمة ، وعدم حرصه على جمع المال وبين ما جاء عن ذلك في سيرته التاريخية فوجده يتماشى معه تماما .

أما عن مهماته الحربية التي ذكرها القرآن فهي ثلاثة :

الأولى : كانت إلى جهة (مغرب الشمس) وطبيعي أن المراد جهة الغرب لا مكان

فيها ، فإن ما ورد فيها يدل على عقيدة اليهود الدينية والقومية في شأن (قورش) .

وقد جاء في رواية للسدى أن اليهود قالوا : إن ذا القرنين ذكر مرة واحدة في التوراة ، وهذا هو الواقع إذ لم يرد بهذا الاسم إلا في سفر دانيال . ولفظ « قرن » مشترك بين العربية والعبرية .

وبناء على كل ما تقدم يكون المقصود في سؤال اليهود عن ذى القرنين هو : قورش لا غير .

اطمأن الباحث إلى هذه النتيجة من مراجعة أسفار اليهود الذين وجه أحفادهم السؤال إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وما زاد في اطمئنانه ذلك الكشف الأثرى الهام الذي عثر عليه علماء الآثار خلال القرن التاسع عشر ألا وهو تمثال حجري يمثل شخص (قورش) أقيم على شاطئ نهر (مرغاب) على بعد خمسين ميلا من مدينة (استخر) عاصمة الفرس القديمة . وهذا التمثال صورة لقورش مطابقة لوصفه في سفر دانيال ويشعيا : على رأسه قرنان أحدهما وراء الآخر كما ذكر دانيال ، وعلى جانبيه جناحان كجناحي العقاب كما ذكر يشعيا ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن تصور « ذى القرنين » كان قد تولد لقورش .

وتأكد بذلك لدى الأستاذ آزاد ما وصل

البلاد الواقعة جنوب المضيق بقورش
ليحميهم ، فبنى سدا منيعا في هذا المضيق منع
تلك الهجمات والغارات ، ولما كان أهل
هذه المناطق ليسوا على شيء من التحضر فقد
وصفهم القرآن بقوله : « لا يكادون يفقهون
قولا » .

وبعد : فهذا ما اتسع له المقال لعرض هذا
الموضوع الجدير بالدراسة ، وقد وجدت
في بحث الأستاذ آزاد عمقا في المادة ، ودقة
في العرض وأرجو أن يكون ما وصل إليه
في بحثه من نتيجة هو الصواب .

وكنت أود أن ينشر ذلك البحث
كاملا على صفحات مجلة الأزهر
الغراء ، ويا حبذا لو يحدث تبادل بين
كبريات المجلات العربية في سائر الأقطار
الإسلامية - لامية ؛ ففي كل منها علماء بمخائون ،
وأعتقد أن في تبادل المقالات التي تدور حول
بحوث علمية دقيقة - خيرا كثيرا ، ونشراً
لمناهج البحث الحديثة .

والله الموفق للصواب ؟

دكتور سعد الدين الجيزاني

الغروب الحقيقي إذ لا يوجد مكان كهذا ،
وقد فسر ذلك في سيرته بحروبه مع الليديين
في آسيا الصغرى ، وانتصاره عليهم ، وعدم
انتقامه من خصومه بعد أن انتصر عليهم ،
وإن من يقف على شاطئ آسيا الصغرى
الغربي وقت الغروب حيث الخلدجان الضيقة
يخيل إليه أن الشمس تغرب في عين حمئة ،
إذ لا يبعد أن يكون هناك كدر من تفتت
صخور الشاطئ يجعل الماء كدرا فيكون
الوصف مطابقا .

والمهمة الثانية كانت إلى (مطلع الشمس)
أى إلى جهة الشرق ، فبعد أن فتح ليديا اتجه
إلى قبائل رحل عند بلخ (بلوخستان) كانت
قد حاولت الغارة على حدود بلاده الشرقية
فأخضعهم ، ولما كانوا قبائل رحلا
لا يسكنون بيوتا فقد وصفهم القرآن بقوله
لم نجعل لهم من دونها - الشمس - سترا ،

والمهمة الثالثة كانت إلى الشمال حيث يوجد
مضيق بين سلاسل جبال القوقاز الممتدة
بين بحر الخزر والبحر الأسود ، وكانت
تغير من هذا المضيق أقوام هج من آسيا
يمشون في الأرض فسادا ، قاستنجد أهل

مَنْ رَعَانِمْ بِنَاءُ الْمَجْمَعِ :

تَكْوِينُ الضَّمِيرِ الدِّينِيِّ عِنْدَ الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ

لِلدَّكْتُورِ عَبْدِ الْعَظِيمِ شَرَفِ الدِّينِ

والضمير الديني عند الفرد والجماعة سلطان قوى وأثر فعال ، بل إن سلطان الضمير أقوى من سلطان القانون ، فالضمير حاضر لا يغيب ، أما القوانين فقد جبلت النفوس على الخروج عليها لأنها مفروضة عليها من سلطة خارجة عنها ، ومن أجل هذا كانت القوانين المتسمة بالإقناع والحجة أكثر تقبلا من المسكفين بها . أما الضمير فهو سلطة ذاتية نابعة من داخل الفرد نفسه تهيمن على شئونه وتشرف على تصرفاته ، وكمن من المجرمين يرتكبون جرائمهم مخالفين القوانين في غفلة العيون والرقباء ، ولو كانت عندهم ضمائر حية لما وقعوا فيما اقترفوه من جرائم ، وما أتوه من موبقات ، فالضمير الديني مع الفرد والجماعة في كل حين ، وكلما نما لدى الفرد والجماعة ازداد سلطانه وقوى أثره ، ومن يقع في جريمة ما في غفلة من غفلات الضمير فإن ضميره الحى قد يستيقظ فيحاسبه حسابا عسيرا ، وإن وخز الضمير أشد إيلاما من وقع السيف ، وهناك حوادث عديدة وقع فيها كثير من الناس تحت وطأة ضمائرهم ،

حقا ، إن تربية الضمير الديني مبدأ أساسى لجماعة تريد أن تحيا حياة مستقرة ، وأن تقدم للإنسانية التى تنتمى إليها من الخدمات الجليلة ما يرقى بشئونها ، وينهض بأبنائها ، فإذا نما الضمير الدينى عند الفرد حاسب نفسه على كل ما يأتى وما يدع من الأقوال والأفعال ، وحكم عقله ودينه فى سلوكه ، فلا يقدم على عمل ما إلا بعد تفكير وروية ، فإن وجد فى هذا العمل خيرا له ولبنى وطنه وللإنسانية التى ينتمى إليها أقدم على هذا العمل وتفانى فيه ، وبذل فى سبيله كل ما يستطيع ، لا يدخر وسعا فى النهوض بما نيظ به من الأعمال . وكذلك إذا نما هذا الضمير الدينى عند الجماعة وجدت جماعة يسود التعاون بين أفرادها على ما هم بسبيله من خدمة الجماعة التى ينتسبون إليها ، وأصبحوا يصدرون جميعا فى سائر تصرفاتهم عن ضمير حى يقظ ، فهم يخشون العواقب ، ويفكرون فى النتائج ويدرسون مشكلاتهم دراسة هادئة واعية ، هدفها تحقيق الخير للجماعة ، والبعد بها عن مواطن الزلل والانحراف .

الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .
وتقوى الله حق تقافته أن يطاع فلا يعصى ،
وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .
وينبغي ألا يتبادر إلى أذهان بعض الناس
أن هذه الآية تسكف الناس مالا يستطيعون ؛
وذلك لأن قوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » .
قد بين المراد من هذه الآية ، ولو كان تقوى
الله حق تقافته أمرا لا يستطيع الناس تحصيله
أو أمرا يشق عليهم مشقة لا تحتمل لما كفهم
الله تقواه حق تقافته ؛ إذ التكليف بما لا
يستطاع عبث ، والله سبحانه منزه عن مثله ،
هذا إلى جانب ما يحدثه هذا اللون من
التكاليف في النفوس من تبرم وعدم
رضوخ الأوامر والنواهي ، بل إن القوانين
الوضعية تعمل جاهدة على أن تتخلص من
هذا الضرب من التكاليف التي رهق الناس ،
ولما أدت بهم إلى العجز عنها والخروج
عليها ، فهل يعقل أن يرد مثل هذا في قانون
وضعه الله الخبير بالنفوس وأدائها وطرق
علاجها ؟ !

وقد دعا القرآن الكريم في غير موضع
إلى تقوى الله :

فتارة يخاطب المؤمنين بهذا لأن مقتضى
الإيمان بالله أن يتقوا ربهم في السر
والعلن واضعا نصب عينيه قوله تعالى :
« ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ،

وأصابهم أزمة نفسية فهبوا بعد ارتكابهم
جرائمهم ، يحاولون التخلص من الحياة
أو الاعتراف بما ارتكبوا من جرائم دون
أن يراهم أحد تخلصا مما اعتراهم من أزمة
نفسية وصراع مستحكم ، وإن تخلصهم من
الحياة ليس علاجاً للبوقف وإنما هو هروب
من مجابهة المشكلة وضعف عن علاج الموقف
وما هذا كله إلا من وحى الضمير حينما
يستيقظ فيستولى على نفس صاحبه ، ويدفعه
دفعا قويا إلى اتخاذ هذا الموقف تخلصا
للإنسان من عذاب دائم وألم مستحكم .

لهذا ندب القرآن الكريم المؤمنين إلى
تقوى الله ، وناداهم بوصف الإيمان ليحملهم
حملا قويا على تنفيذ ما نذبههم إليه من تقوى
الله فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، وذلك
لأن الإيمان بالله إيمانا صادقا من شأنه أن يدعو
المؤمن إلى مراقبة الله والخوف من عقابه ،
فالؤمن الصادق الإيمان يعتقد في قرارة
نفسه أن الله مطلع على كل تصرفاته ، وهذا
الإيمان يستولى على مشاعره ووجدانه ،
ويملك عليه أقطار نفسه فلا يستطيع أن
يتحول عن الحق لحظة من اللحظات ، وقد
أدرك المؤمنون الصادقون هذا المعنى ،
فكانوا منفذين لقول الرسول عليه السلام
لمن سأل : « ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد

وأخرى يذكر المؤمنين بنعمه عليهم وهي لا تعد ولا تحصى كقوله تعالى : « فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعملون . أمدكم بأنعام وبني . وجنات وغيون » (١) .

ففي هذه المواطن كلها تجدد القرآن الكريم يهيب بالمؤمنين أن يتقوا الله ، ويراقبوه في السر والعلن ، وتمشيا مع منهج القرآن الكريم في إحصاء النفوس لتقبل الأوامر واجتناب النواهي تجده يعد نفوس المكلفين لإعداد اقويا لتقبل ما نذبههم إليهم من تقوى الله تمتنا عليهم تارة بنعمة الخلق من العدم وهذه تعد نعمة كبرى بل هي أجل النعم ، ومنذرهم أخرى بيوم القيامة وما فيه من أهوال ؛ وذلك لأن النفس الإنسانية تحتاج إلى الإنذار والتبصير بالعواقب بقدر حاجتها إلى الملاينة والترغيب ، وأحيانا تجدد القرآن الكريم يأمر بالتقوى مع لفت الأنظار إلى ما أنعم الله على الناس من نعم تستدعي الشكر وعرفان الجميل ، والشكر وعرفان الجميل من صفات الإنسانية الكاملة الفاضلة : « أن شكرتم لأزيدنكم ، وأن كفرتم إن عذابى لشديد » . ونظراً لأهمية التقوى في تحديد علاقة المرء بربه ، وعلاقته ببنى جنسه نرى الأنبياء جميعا قد التقوا على هذا المبدأ ، فما من نبي إلا

ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا (٢) ، وأخرى يذكر الناس بنعمته عليهم إذ خلقهم جميعا من نفس واحدة : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » (٣) ، وتارة يذكر الناس بيوم القيامة وأهواله التى تشيب الولدان ، وتذهل الإنسان عن أهله وبغيه « لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه » (٤) ومن هذا قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم . إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » (٥) .

وقوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ؛ إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور » (٦) .

(١) المجادلة : ١ .

(٢) النساء : ٢ .

(٣) عبس : ٣٧ .

(٤) الحج : ١ ، ٢ .

(٥) لقمان : ٣٣ .

(٦) الشعراء : ١٣١ ، ١٣٢ .

وقد صور هذا الحرص قوله تعالى :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ
مَا قَدَّمَتْ لَهَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ » (١) .

فآية تدعو إلى تقوى الله أولاً ، ثم إلى
محاسبة النفس ، ثم تدعو إلى الأمر بتقوى الله
ثانياً ؛ فالله خبير بما يقوم به عباده من أعمال
وهذا كله من شأنه أن يربى في النفوس
المهابة لله ويخلق فيها عنصر المراقبة ومحاسبة
النفس على ما يصدر منها ، وهذا إذا ألفت
النفوس ومرنت عليه صار طبيعة من طبائعها
التي تصدر منها دون تكلف ووجدت فيه
لذة وراحة فأقبلت عليه وازدادت منه .

وقد صرح القرآن الكريم بأن سنة الله
قد جرت على أن يرسل ملائكة إلى من
اصطافهم من عباده لينذروا الناس ، ويبينوا
لهم أن الله واحد يجب الإيمان به وحده ،
كما يجب تقواه ، ولكي يحمل النفوس على
الإيمان به وعلى تقواه حتى تقاته ذكر الناس
بيوم القيامة وما فيه من أهوال ثم آمن عليهم
بنعمه : فهو سبحانه لم يتركهم إلى عقولهم ،
ولما اضطرب أمرهم ، بل أرسل إليهم رسلاً
مبشرين ومنذرين ، وإلى جانب هذا فقد
خلق السموات والأرض بالحق ، وخلق
الإنسان في أحسن تقويم ، وأمهه بأسباب

ودعا قومه إلى تقوى الله ، وفي القرآن الكريم
آيات تؤيد هذا الذي قرأناه :

كقوله تعالى : « وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا
قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
أَفَلَا تَتَّقُونَ » (١) وقرأ معي قول الله تعالى :
« كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ
هُودُ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ .
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ » (٢) .
تجدد إلى أى مدى حرص هود على دعوى
قومه إلى التقوى ، فقد بدأ حديثه معهم
بدعوتهم إلى تقوى الله ، ثم بين لهم أنه رسول
أمين في تبليغ الرسالة ، ثم عاد ثانياً إلى دعوتهم
إلى تقوى الله وطاعة رسوله فيما يبلغهم عن الله
وهو لا يبغي منهم جزاء ، وإنما يبغي
الجزاء من الله .

وعلى هذا الذوق صور القرآن الكريم
موقف صالح من قومه : « كَذَبَتْ ثَمُودُ
الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ .
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا .
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى
رَبِّ الْعَالَمِينَ » (٣) .

فليس عجيباً بعد هذا كله أن نجد القرآن
الكريم يحرص على غرس التقوى في النفوس

(١) الأعراف ٦٥ .

(٢) الشعراء : ١٢٣ - ١٢٧ .

(٣) الشعراء : ١٤١ - ١٤٥ .

(٤) الحشر : ١٨ .

متفانون فيما هم بسبيله من الدعوة إلى الله وإرساء دعائم الدين الجديد وسط بيئة سيطر عليها الشرك واستولات الوثنية على أبنائها منذ زمن بعيد .

حقا لقد كان العبء ثقيلا على المسلمين في كل أدوار حياتهم وبصفة خاصة حينما هاجروا إلى المدينة ، وقد وجد المسلمون أنفسهم مضطرين إلى أن يلتقوا مع المشركين في معارك دامية كان النصر فيها سجالا بين الفريقين ، ولولا أن كل جندي كان يحمل بين جنبيه قلبا يتقى الله ويخشاه لما صبرت الجيوش الإسلامية على حرارة المعارك التي دارت رحاها بينهم وبين أعدائهم ، ولتغير وجه التاريخ . ولكن كيف يتأتى هذا من قوم ضربوا الأمثلة الرفيعة في البذل والتضحية والفداء ، وكان همهم أن تقتصر مبادئهم وتسود أهدافهم وهي مبادئ الحق والعدل والفضيلة وهي المثل العليا التي أرادها رب الناس للناس . وصفوة القول أن الضمير الديني هو القوة الدافعة ، التي تدفع كل إنسان إلى العمل الجاد والتفاني فيه ، وإن حاجة الجندي في المعركة إلى الضمير الديني أشد من حاجته إلى السلاح وكم من جنود باعوا أوطانهم بثمان بخس لقلة ضمايرهم وانعدام روح التضحية والبذل من نفوسهم . والله الموفق ؟

دكتور هبيل العظيم شرف الدين

البقاء في هذه الحياة ، وسخر له مافي السموات وما في الأرض ليعمر الكون ويقتنع الإنسان بما فيه مما خلقه الله له ، أقرأ معي قوله تعالى :
وأتى أمر الله فلا تستعجلوه ، سبحانه وتعالى عما يشركون . ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون . خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دافء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ، (١) .

بما تقدم يظهر لنا السر في عناية القرآن الكريم بالدعوة إلى التقوى ؛ فالتقوى صمام الأمان ، ومن اتقى الله نأى بنفسه عن الدنيا وراقب الله في كل تصرفاته ، وما أحوج الأمم إلى أبناء عاملين ينمو فيهم الشعور بالمسؤولية والخوف من الله ، حتى صار لكل منهم من نفسه على نفسه رقيب ، من أجل هذا عمل القرآن الكريم على تركيز هذا المعنى في نفوس المؤمنين ، ونمى فيهم الشعور بالمهابة والخوف من الله ، وهذا نجح في إعداد أمة مسلبة بأناؤها

حصانات السفراء في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

- ٢ -

وثمة مقصد آخر للدولة الإسلامية سمعت في سبيل تحقيقه إلى توثيق علاقاتها الودية بجيرانها وما تطلبه ذلك من رعاية السفراء وإكبارهم ونعنى به حرص الخلفاء والحكام المسلمين على دعم الجهة الداخلية في النواحي التجارية والثقافية من طريق التبادل الاقتصادي والعلمي مع الدول المجاورة . وحسبنا أن نذكر في هذا الصدد إزدهار الحركة الفكرية في عهد العباسيين في بغداد والأمويين في الأندلس بفضل السفارات الثقافية المتبادلة بينهم وبين البيزنطيين والفرنجة في أوروبا . فلا غرو أن يلقى المبعوثون الأجانب في الديار الإسلامية أكرم معاملة وأن ينزلوا أطيب منزل ولا سيما إذا ذكرنا ما يسفر عن هذا التقدير من حسن استجابة لدى الجانب الآخر فيجد السفراء المسلمون في القسطنطينية حاضرة الأباطرة البيزنطيين وإكس لا شابل عاصمة الفرنجة وغيرهما من العواصم الأجنبية مثل هذه المعاملة الكريمة أينما قاموا أو ارتحلوا

خلعت الدولة الإسلامية على السفراء الأجانب من الحقوق والمزايا ما فاقت به سائر الدول التي انتظمها المجتمع الدولي في ذلك الحين . وكانت تلك المعاملة المثلث انعكاساً لوعيمها السياسي الناضج بما تحققه الدبلوماسية الرشيدة من إقرار حسن الجوار بين الأمم والشعوب وما ينجم عن ذلك من استتباب السلام في العالم وكفالة الأمن والاستقرار للبشر أجمعين . وتلك عليا الغايات التي جاء الإسلام مبشراً بها داعياً إليها حاثاً أبناءه على بلوغها .

ففي ظل السلام الدولي وصفاء العلاقات بين الجماعات الإنسانية يأمن الناس جميعاً على حياتهم وأرزاقهم وحررياتهم فتتاح لهم فسحة من الزمن للتفكير والتأمل في خلق السموات والأرض والنظر في الديانات السماوية فيهدون إلى دين الله الحق ويدخلون فيه أفواجا لا تصرفهم عن ذلك شواغل الصراع بين الأفراد والجماعات في سبيل الاستكثار بالمغانم وتحقيق المصالح الشخصية ولا تصدهم عنه ويلات الحرب والدمار .

مالم تتمكن دار الإسلام من الظهور عليها وعرضت تلك الدول عليها الصلح ، وذلك على أساس احترام ما يقوم بينهما من اتفاقات ومعاهدات وإيقاف الحرب وإقرار التعايش السلمي بين السكتلتين المتنازعتين : دار الإسلام ودار الحرب .

ومن مقتضيات إقامة تلك العلاقات العهدية الأخذ بمبدأ منح السفراء الحقوق والامتيازات التي استقرت عليها التقاليد الدولية .

وهكذا منحت الأحكام الشرعية الإسلامية السفراء على اختلاف أديانهم وأجناسهم حصانة وسلاما كاملين في دار الإسلام . وإذا أمعنا النظر فيما نصت عليه هذه الأحكام في موضوع الحصانات الدبلوماسية وجدناها تساو أحدث مبادئ القانون الدولي المعترف بها في عالم اليوم .

ونلاحظ في هذا المقام أن الفقهاء المسلمين قد أخذوا بأحدث نظرية تستند إليها الحصانات ونعني بها نظرية الوظيفة . فكانت السند القانوني لتحويل السفراء الأجانب هذه الحصانات هو تمكينهم من تأدية مهامهم طوال إقامتهم في ديار المسلمين على أتم وجه وأفضله . ولقد أكد الإمام محمد بن الحسن الشيباني في شرح السرخسي على السير الكبير أهمية منح الحصانة الدبلوماسية للسفير بسبب وظيفته ، كرسل يجب أن يمكن من النهوض بوظيفته على الوجه المطلوب .

وفضلا عن ذلك ، فإن المنافسة السلبية التي كانت تسود العلاقات السياسية بين العالمين المسيحي والإسلامي في الصدر الأول من العصر الوسيط كان من ظواهرها المميزة تسابقهما في إظهار العظمة وأبهة الملك والتمسك بقواعد السلوك الدولي الحميد ومآثر الحضارة ، ومن آيات ذلك حسن استقبال السفراء وإكرام وفادتهم وشملهم بمختلف الامتيازات والعصانات .

ولئن كانت الحوافز السياسية التي ذكرناها قد اقتضت منح السفراء الأجانب في الدولة الإسلامية حقوقا وإعفاءات قاصرة عليهم ، فلا يخفى أن هذا المنح يتفق مع الأحكام الشرعية الإسلامية بل هو منبثق منها ومردود إليها . فالإسلام يأمر بالعرف ويدعو إلى رعاية الذميين وهم أصحاب الديانات السماوية من اليهود والنصارى . وقد قسم الفقهاء المعمورة بحيث تضم ثلاثة أقسام : دار الإسلام وهي البلاد التي تظهر فيها شعائر الإسلام وتسرى أحكامه . ودار الحرب وهي البلاد التي لم يغلب أهلها على الإسلام ولا تسرى فيها أحكامه . ودار الصلح كما أسماها وخصصها الإمام الشافعي رضي الله عنه . ويعني الأخذ بمضمون هذه النظرية الإسلامية العامة جواز قيام علاقات ودية وعهدية مؤقتة بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول ،

الدبلوماسية الإسلامية حتى لقد بسطت حمايتها على خدم السفير وعبيده وهو ما لم تبلغه أشد الدول توسعا في منح الامتيازات ، ولا سيما إذا ذكرنا ما سجله التاريخ من زيادة أعضاء بعض البعثات الدبلوماسية في العصور الإسلامية حتى أربى عددهم أحيانا على المائة تبعا لأهمية السفارة وعلو قدر السفير رئيس البعثة ورئيس دولته .

وكانت رعاية السفراء وحمايتهم تبدأ منذ اللحظة التي يبلغون فيها أرض الإسلام حتى ساعة مغادرتهم لها بعد إنجازه مهمتهم . فكان الخليفة أو السلطان يرسل مندوبيه إلى حدود الدولة الإسلامية ليستقبلوا الممثلين الدبلوماسيين ويسلطهم لهم إلى عاصمته . ويندر أن ترفض الدولة قدوم أحد السفراء ، بل لا يكون ذلك إلى في وقت وجود حالة غير طبيعية كحالة الحرب بين الدولتين .

وقد عنيت الدولة الإسلامية أشد العناية بقواعد استقبال السفراء ومراسم الحفاوة بهم لإجلالاً لشأنهم واحتراماً لصفهم . وكانت هذه المراسم تبدأ باستقبال السفراء في أطراف الدولة ، حيث « ينزلون في مساكن تليق بهم ويمرر عليهم من النفقات والأطعمة ما يرغد به عيشهم . وكذلك يقام لهم بوظيفة المراكب حسبما تدعو الحاجة إليه ... وإن كانت الطرق والمسالك تحتاج إلى خفراء كان أجود أن يسير معهم الخفراء والدلاء ، .

وقد حرصت الدولة الإسلامية على تمتع السفراء بكافة أنواع الحصانات وشتموها جميع أفراد حاشية السفير حتى خدمهم وعبيدهم فبسطت حصانتها عليهم جميعا واعتبرت أية إهانة تلحق بأحدهم إهانة موجهة إلى شخص السفير ، وهذا على خلاف مانص عليه القانون الدبلوماسي الحديث من قصر الحصانات على من تتوافر فيهم صفة التمثيل الدبلوماسي أو بتعبير آخر من يقومون بعمل دبلوماسي ، ذلك أنه لا يجوز التوسع في الامتيازات الدبلوماسية نظرا لأنها استثناء من مبدأ المساواة بين الأشخاص . والممثلون السياسيون هم رؤساء الهيئات الدبلوماسية ومعاونوهم الرسميون من مستشاري السفارة وأماء سرها والمحققين على اختلاف فئاتهم وقد جرى العرف على تسمية هؤلاء الدبلوماسيين بالحاشية الرسمية وتحمي الامتيازات أيضا أسر هؤلاء الدبلوماسيين أي زوجاتهم وأبنائهم القصر الذين يقيمون معهم في دورهم . أما الحاشية غير الرسمية مثل أمين المحفوظات والسكرتية والخدم فلا تمتد إليهم الامتيازات إلا من باب المجاملة ، وتختلف الامتيازات التي تسبغ عليهم باختلاف الدول ويسير أغلبها على سياسة الاتقاص من تلك الامتيازات وعدم التسامح فيها نظرا لتزايد أفراد الحاشية غير الرسمية ولأن الامتيازات تتعلق بالوظيفة لا بالشخص .

وتبين مما تقدم مدى التسامح الذي تنقسم به

حيث يجلسه الحاجب أو أمير المجلس ...
فإن سأله الملك عن شيء من أحوال مرسله
أجاب عنه بما ليس فيه سر ولا كتمان ،
ويترك ما عنده من المشافهة والأسرار إلى
مجلس الخلوة ... ثم يشير إلى حاجبه بانصرافه
إلى دار الضيافة للاستراحة ، وإن كان معه
هدية فليخاطب الحاجب عنه الملك أن الملك
الفلاني قد بعث هدية يلتمس قبولها : فيشير
الملك بحضورها ، وهي محصلة عند أقرب
الآبواب ، فتعرض عليه بما فيها من دواب
وجوارح وثياب ، مع ثبث يتضمن ذلك
إلا الجوارى ، فلا تعرض ، بل يمضى بها
إلى دار الحريم بعد استئذانه مع الخدام ،
والقهرمانة تعرض ذلك ... ، .

فإذا انقض هذا الحفل وأقام السفير
وحاشيته في الديار الإسلامية ظلوا أعيان
على أهلها في رعاية الخليفة رئيس الدولة
فصينت حرمتهم الشخصية وتمتعوا بهذه
الحصانة كاملة غير منقوصة ، شاملة سلامة
الشخص وأمنه وحرية وعدم مصادرة
أمواله .

وقد استثنى السفراء غير المسلمين من
شروط الأمان الذي يمنح لغير المسلمين في أثناء
وجودهم في دار الإسلام ، فلا يشترط لبقاء
السفير مدة سنة واحدة ، بحيث إن زادت
يوماً واحداً اعتبر ذمياً واكتسب جنسية

وعندما يقترب ركب السفير من حاضرة
الدولة الإسلامية ، تعد الاستقبالات الفخمة
وتقام الزينات ويجتمع الناس على جوانب
الطرق التي سيصلها إلى دار الضيافة :
ويترك في دار الضيافة ثلاثة أيام ، ولا يمكن
أحد من الاجتماع به ، ثم يستدعى وقد رتب
دار الملك في ذلك اليوم وتجتمع العساكر
والجند ، ويجلس الملك على سرير الملك
في أحسن أبهة وزى ، وتصطف السليحية
حوله بالسيوف ، ثم يمد السماء وتاكل
الناس أكل خدمة لا أكل نهمة وأركان
الدولة جلوس على قدر مراتبهم ، ويدخل
الرسول والحاجب معه والمهمدارية تتقدمه .
فإذا وصل بحيث يلحجه الملك يخدم (يؤدي
التحية حسب المراسم المتبعة) الرسول ثم
يتقدم إلى وسط الدار ، ثم يتقدم إلى المكان
الذي يليق به لمخاطبة الملك ، فيخدم ويقف
الحجاب والتراجم حوله ، فيبلغ سلام مرسله
ويخدم عنه الخدم اللائقة بهما . فيقابل الملك
تلك التحية بما يليق بها من الجواب بالقيام
والخدمة أو القيام حسب ما يقتضيه حال
المرسل والمرسل إليه . ثم يخرج الكتب
التي معه فيضعها على وجهه وعينه ثم يطرحها
بين يدي الملك ، فإن أراد الملك إكرام
صاحبها فليقم لتناولها ، وليشر بالخدمة عند
فضها وقراءة اسم مرسلها . ثم لا يلبث قليلاً حتى
يشير إليه الملك بالجلوس فيتأخر ويجلس

للسفراء في ظل الدولة الإسلامية ، إجلالا لشأنهم واحتراما لصفتهم وتمكيناً لهم من القيام بأعباء وظيفتهم في سهوله ويسر مهما ارتكبوا من جرم فادح وإثم كبير .

وإلى جانب الحرمة الشخصية والإعفاء من القضاء الجنائي ، أعفت الدولة الإسلامية السفراء من الضرائب التي فرضتها على الوافدين إليها ، والتي كان أهمها العشر والمكوس . وفي هذا يقول أبو يوسف « لا يؤخذ من الرسول الذي بعث به ملك الروم عشر » .

وكانت جميع أمتعة السفراء تعفى من الرسوم الجركية عند قدومهم إلى ديار الإسلام ، وكان يسمح لهم بأن يخرجوا - لدى مغادرتهم لها بعد انقضاء مهمتهم - ما يشاءون من المتاع طالما كان ذلك لا يتعارض مع أمن الدولة ، فلا يؤذن لهم مثلاً بنقل السلاح لاستخدامه في دار الحرب ضد دار الإسلام .

وكان السفراء ، لا سيما سفراء بزنطة ، يتمتعون بحرية القيام بالأعمال التجارية في أثناء ممارستهم شئون الدبلوماسية ، وقد شجعهم على ذلك إعفاؤهم من كافة الضرائب والمكوس وتخويلهم من الأباطرة البيزنطيين الحق في حمل بعض البضائع معهم وبيعها في أسواق البلد الموفدين إليه سداداً لنفقات البعثة من (البقية صفحة ٧٢١)

الدولة الإسلامية ، بحق الإقليم ، كما كان شأن غير السفراء من غير المسلمين .

وقد أكدت النصوص الفقهية الإسلامية الحصانة الدبلوماسية كقول أبي يوسف في كتاب الخراج : « إن الولاة إذا ما لقوا رسولاً يسألونه عن اسمه ، فإن قال أنا رسول الملك بعثني إلى ملك العرب ، وهذا كتابه معي ، وما معي من الدواب والمتاع والرقيق هدية له ، فإنه يصدق ولا سبيل عليه ولا يتعرض له ولا لما معه من المتاع والسلاح والرقيق والمال ، وكذلك لو أن المسلمين أسروا مركباً في البحر وقال نفر من ركبها : نحن رسل بعثنا الملك ، فلا يتعرض لهم ، وبذلك شملت الحصانة الدبلوماسية السفراء الأجانب في سفرهم براً وبحراً .

أما الحصانة في المسائل الجنائية فقد احترمتها أيضاً الدولة الإسلامية ، فيقول جمهور من الفقهاء : بأن الحصانة لا تنتهك حتى ولو ارتكب السفير جريمة زنا أو سرقة أو ما شابههما ، وحين نذكر الحد الذي يقام حسب الشريعة الإسلامية على الزاني والسارق ونقارنه بالعقوبة المقررة لهاتين الجريمةين في القوانين الجنائية الحديثة وهوانها بالقياس إلى العقوبة الإسلامية ، ندرك مدى التسامح في منح الحصانات والامتيازات الدبلوماسية

مؤمّن مجرّد ربيد لتطوّر الفقه الإسلامي :

بين شريعة الوحي وصناعة الفقه

للأستاذ فتح عثمان

في القرآن والسنة أحكام اعتقادية ، وقصص إخبارية ، ووصايا أخلاقية ... وكل هذه تخرج عن نطاق الأحكام الشرعية بمعناها ...

فإذا ما استقرأنا آيات الأحكام وأحاديث الأحكام ، وجدناها تعرض لآلوان متعددة من القواعد :

١ - أخلاقيات العدالة : وهنا توجه النصوص إلى تربية ذوق تشريعي ومزاج فقهي دون تفصيل أو تحديد . وكل شريعة من الشرائع تحصر على هذا الأساس الأصيل من المبادئ العامة للعدالة ، ويتميز الإسلام بآراء أخلاقيات التشريع على أساس من العقيدة الدينية مما يجعلها أعمق جذوراً ، وأوسع نطاقاً ، وأطول أمداً .

ومن هذا الباب قول الله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً » .
« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط

شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » .
٢ - قواعد تشريعية مجملة : فإذا ما انتقلنا إلى دائرة التشريع بمعناه الأخص ، وجدنا بعض الأحكام الشرعية هي تقرير لمبادئ العدالة في مجالات العلاقات الإنسانية بصورة عامة ، وهذه القواعد أقرب إلى تكوين فلسفة تشريعية ، من تقديم أحكام تفصيلية مباشرة .
ومن هذا الباب قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .
وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » .

٣ - أحكام تشريعية تفصيلية : وهنا نجد النصوص الشرعية تواجه حالات جزئية معينة بأحكام مفصلة ، ومن هذا الباب أحكام

أو تشريع حل وحرمة .. إلخ. وهذا تشريع عام إلى يوم القيامة . أما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف الإمامة والرياسة العامة للسليين : كإفناذ الجيوش ، وإفناق الأموال ، وإبرام الصهود ، وتفصيف الولاة والقضاة فليس بفشريع عام ، ولا يفحوز الإقدام عليه إلا بإذن الإمام . وما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف القضاء له هذا الحكم نفسه ، فمن كان له حق على آخر ويفحه وله عليه بينة فليس له أن يأخذ حقه إلا بفحكم الحاكم . ويشير تفديد الوصف الذي ورد به الأثر النبوى خلافا بين الفقهاء بالطبع فى بعض الأحيان . ومن ذلك حديث « من أحيأ أرضاً مئبة فهى له » فإن جمهور الفقهاء يأخذونه كحكم شرعى عام ، بينما يذهب أبو حنيفة إلى صدورده باعتبار الإمامة ورياسة الدولة فقط . وبما كان محل خلاف أيضا حديث الرسول لفند بنت عتبة «خذى لك ولولئك ما يكفئك بالمعروف » وحديث : « من قتل قتيلأ فله سلبه » (١) .

* * *

هذه هى قواعد الشريعة ، بمعناها العلى الصحيح ...

وهذه الأحكام هى التى جاء بها الوحي ، وتلزم لها الطاعة على وجه الدوام .

(١) شذوآ : فقه القرآن والسنة ص ٣٧ - ٤٠ .

الشعائر التى يقصد بها محض التعبد ، وبعض الأحكام فى بعض صور المعاملات .

وأبرز مثل فى القرآن لهذا النوع فى نطاق القانون للمدى (الإثبات) آية التداين « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... » إلخ الآية ، وفى نطاق القانون الجنائى آيات الحدود : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ... » ، « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ... » . وتضم أحاديث الرسول أمثلة شتى لهذا النوع من الأحكام التفصيلية .

غير أن ما ورد فى السنة من أحكام مفصلة للبعاملات يذبهى أن ينظر إليه بتدبر وتعق « وما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم ما سبيله الحاجة البشرية كالطعام ، والنوم ، والمشى ... ومنها ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية كالذى ورد فى الزراعة والطب وهئئة اللباس ... وما سبيله التدبير الإنسانى أخذأ من الظروف الخاصة كطرق الحرب - وكل ما نقل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعا .

« وما كان سبيله التشريع من السنة على أقسام : منها ما صدر على وجه التبليغ بوصف الرسالة كتيان بمجل القرآن أو تفصيص عموم ، أو تفييد مطلق ، أو تقرير عبادة ،

العدالة ، وإما مندرجة في حكم الإباحة الأصلية : « خلق لكم ما في الأرض جميعاً » . « وسخر لكم ما في الأرض جميعاً منه » . ومن هنا كانت « المصلحة المرسله » مصدراً فقهيًا مشرراً ، وقد يقيد المباح من أجل المصلحة . ومن هنا كان المجال فسيحاً أمام « صناعة الفقه » ...

. فقد كان فقهاؤنا يتسكرون أحكاماً تشريعية كثيرة ، إعمالاً للقواعد العامة المجعلة ، وهي وإن كانت توضع وتصاغ بمحيث تتضح مأخذها ومصادرها في نصوص التشريع ، إلا أنها في حقيقتها جهود عقلية إنسانية ، جاءت ثمرة لمزاج فقهي معين صاغته أخلاقيات الشريعة وفلسفتها التشريعية ممثلة في قواعدها الكلية العامة .

. وكان فقهاؤنا يجددون في فهم الأحكام التي وردت بها النصوص ، عن طريق تبين علة الحكم - بعد القطع بثبوت النص ، ودراسة ظروف التطبيق .

ومن هنا ينبغي أن نضع تراثنا من الفقه الإسلامي موضعه الصحيح ، ولا نخطأ فيه بين الوحي المنزل ، والصناعة الفقهية إن قسماً كبيراً مما تحتويه مدونات الفقه الإسلامي ، صناعة عقلية ، وجهد إنساني ... « الفقه الإسلامي هو فقه محض : لا تقل

و « الشريعة » في هذا الضوء : - أخلاقيات للعدالة ليست محل جدل في أي عصر ولا عند أي فكر .

- وقواعد بمجمله هي معين لا ينضب لثروة تشريعية متجددة وهي في إجمالها محل اتفاق . - وتبقى بعد ذلك الأحكام التفصيلية ، وهذه بدورها - فيما تتعلق بالأحكام المستمدة من السنة على الأقل مجال بحث ونظر لتمييز الأحكام - الشرعية العامة ، من الأحكام التي صدرت من الرسول بمحض الاجتهاد العقلي ، وقديماً سأل الصحابي رسول الله حين أصدر أمره كقائد جيش بالنزول في مكان معين : أهو منزل أنزلك الله ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ، فأجابه الرسول : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال الرجل في بساطة وأمانة وحكمة : ليس هذا بمنزل !!

- ومع ذلك فلم هذه الأحكام علتها المقصودة ، وقد قرر فقهاؤنا في أصولهم « الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً » ، ولهم مباحث جليلة في « الاستحسان » بالاعدول عن قياس جلي إلى قياس خفي لشاهد أولى بالاعتبار ، فضلاً عن القاعدة العامة التي تقرر أن الضرورة ، تبيح المحظور .

- وتبقى بعد هذا مجالات واسعة لم ترد فيها أحكام مفصلة ، فهي إما مندرجة تحت القواعد الكلية المجعلة العامة التي تقرر مبادئ

وقد صنعوه فقها صحيحا : الصياغة الفقهية وأساليب التفكير القانوني واضحة فيه وظاهرة فأنت تقرأ مسائل الفقه الإسلامي في كتبه الأولى - ككتب ظاهر الرواية لمحمد ، كما تقرأ مسائل الفقه الروماني في كتب فقهاء الرومان في العصر المدرسي ، ثم تنتقل إلى مرحلة التبويب والتنسيق والتحليل والتركيب في الفقه الإسلامي فتقف على الصياغة الفقهية في أروع مظاهرها في أدق صورها ، ثم يقول هؤلاء الفقهاء الأجلاء في كثير من التواضع إن هذا هو الإجماع أو القياس أو الاستحسان أو الاستصحاب أو ما شئت من المصادر التي ابتدعوها ، وأن الأصل في كل هذا يرجع إلى الكتاب والسنة ، والواقع من الأمر أنهم صنعوا فقها خالصا هو صفحة خالدة في سجل الفقه العالمي ... ، (١) .

والفقيه المشرع الكبير - العميد السهوري - قد أبرز بعباراته السالفة الفسكرة في وضوح وإن لم يشأ أن يعرض لمناقشة نصوص السنة نفسها من الداخل ، وتبين ما هو ملازم على وجه الدوام وما هو غير ذلك ، ومدى الإلزام والدوام في النصوص ذات الأحكام الملزمة على وجه الدوام .

(١) الدكتور السهوري : بحث نشرته الجامعة العربية .

عراقته في ذلك عن عراقة القانون الروماني ... وهو لا يقل عنه في دقة المنطق ، وفي متانة الصياغة ، وفي القابلية للتطور ، وهو مثل صالح لأن يكون قانونا عالميا بل كان بالفعل قانوناً عالميا - يوم امتدت دولة الإسلام من أقاصى البلاد الآسيوية إلى ضفاف المحيط الأطلسي . وكما أنبت القانون الروماني بعد أن أحييت دراسته في العصور الوسطى القوانين اللاتينية والقوانين الجرمانية الحديثة - وهي القوانين التي تعيش أوروبا اليوم في ظلها ، كذلك الفقه الإسلامي إذا أحييت دراسته وانفتح فيه باب الاجتهاد فحين بأن يثبت قانونا حديثا لا يقل في الجدة ومسايرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية ، ويكون هذا القانون مشتقا من الفقه الإسلامي اشتقاق هذه القوانين الحديثة من القانون الروماني العريق ...

« ويقال عادة : إن مصادر الفقه الإسلامي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ... أما للكتاب والسنة فهما المصادر العليا للفقه الإسلامي ، وقد قصدت بالمصادر العليا أن أقول إنها مصادر تنطوي في كثير من الحالات على مبادئ عامة ترسم للفقه اتجاهاته ولكنها ليست هي الفقه ذاته ،

فالفقه الإسلامي هو من عمل الفقهاء صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون المدني

به ، ولا يكون أمامنا يحجبنا عن أصول الشريعة وروحها ، وعن ظروف واقعنا القائمة .

« وقد جرى العرف بين كثير من العلماء في القرون المتأخرة ألا يفرقوا بين أحكام الشريعة الإسلامية في ذاتها وبين ما يصل إليها علماء المسلمين باجتهدهم وفقهم من أحكام والشريعة هي أمر الله إلى الناس ، أما

الأحكام الفقهية فهي أحكام من صنع البشر
وصلوا إليها عن طريق الفقه والاجتهاد ،
وكان من أبرز نتائج هذا الخلط بين أحكام الشريعة وغيرها من الأحكام الفقهية أن نزلت أحكام من نفوس عامة المسلمين منزلة الإجلال وأحاطوها بطابع التقديس دون أن يكون لهم في ذلك أى سند أو دليل ، بل إن المسلمين ظنوا كذلك أن الاجتهاد لا يخرج عما وصل إليه أهل عصر بعينه وما اقتص به أهل العصر من فهم وما جروا عليه من طرق

في التفسير ، (١) ! !

إنه فارق دقيق ... ينبغي اعتباره عند مذاكرة شريعة الوحي وصناعة الفقه ، كأساس لتطوير على رشيد .

فخري عثمان

(١) محمد أسد (ليوبولدفايس) : بحث الدولة

المسلمة .

نحن إذن أمام صناعة فقهية إنسانية كبرى . أمام جهود فقهية وتشريعية وقضائية يجب أن تنسب لأصحابها ... تنسب لمالك ولأبي حنيفة وللشافعي ولأبي حنبل والأوزاعي وللشورى ولليث ولداود ولأبي حزم وغيرهم وغيرهم ولا تنسب لشريعة الإسلام إلا باعتبارها مدرسة كبرى جامعة لها طابعها العام فحسب .

ومن أجل هذا المجهود الإنساني يختلف هؤلاء الأئمة ، واختلف تلاميذ كل إمام فيما بينهم ، واختلفوا مع إمامهم في بعض الأحيان ، وهل تغيب دلالة اختلاف أبي حنيفة مع صاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن ومع زفر ؟؟ .

وعلينا نحن أن نبدأ البناء من الأساس . وأن ننظر إلى التجارب الفكرية السابقة النظرة التاريخية الصحيحة ، فهي سوابق لمجهود أسلافنا الإنساني علينا أن نقبها بلواحق من جهدنا الإنساني ، ولا بأس من أن نفيد من محاولات من سبقونا على سبيل الاستئناس .

علينا أن نبدأ من دراسة الكتاب والسنة ، ومن محاولة تحليل أحكام الكتاب والسنة وفهمها في ضوء واقع عصرنا وثقافته ويكون تراث أسلافنا إلى جوارنا نستعين

علوم نبغ فيها العرب

للدكتور جمال الدين الرمادى

نبغ العرب في الشعر نبوغاً عظيماً ، وأدركوا فيه القدر المثل ، والذروة العليا ، واستطاعوا أن يصلوا إلى المعاني الدقيقة ، والخيالات الرقيقة ، والصور المبتكرة ، والأسلوب العذب الرصين ، والعبارة الشكلية الأنيفة ، كما نبغ العرب في الفصاحة والبلاغة ، وضروب البيان ، وخاضوا في علم التاريخ والجغرافيا ، والسيرة ، ونشروا في ذلك التأليف الكثيرة ، والكتب العديدة ، بيد أن هذه الألوان من المعرفة ، أصبحت معروفة لدى الخاص والعام ، وامتد ذكرها في الآفاق وتغنى بأثرها الركبان .

واسكن هناك علوماً ومعارف شتى أجادها العرب أيما إجادة ، ولكن عنصر الأدب والشعر طغى عليها فطمست إلى حين معالمها حتى يخرج من ينفذ عنها تراب السنين ، ويجلو عنها صدى الدهور ، ويستخرج منها تاريخاً حافلاً ، وماضياً زاهياً ، يتألق سناه ، ويسير الناس على هداه .

ومن ذلك أن العرب ألفوا مراجع في الاقتصاد السياسي مثل كتاب : الجواهر وأصنافها لمحمد بن شاذان الجوهري ، وألفه

في القرن الثالث الهجري للخليفة المعتضد المتوفى عام ٢٧٩ هـ ، وكتاب مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ ، وكتاب الإشارة إلى محاسن التجارة للشيخ أبي الفضل جعفر ابن علي الدمشقي ، وبحث في جيد الأعراض ورديتها ، وغشوش المدلسين ، كما يشمل فصولاً في حقيقة الأموال ، كما يضم وصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم .

وتنبه العرب إلى ارتباط الحاجات بالتجارة وتدرج الحاجات والإنتاج ، وأثر الترف في طرق المعيشة ، وعلاقة الترف بالأمان ، والإنتاج ، ومساوى الترف الأخلاقية ، والحرية الاقتصادية ومجالاتها ، وبينوا أن كثرة الترف تدفع الأسعار إلى الغلاء . فالطلب على مواد الترف طلب غير مرن ويؤدي إلى غلاء الأثمان ، ومن جهة أخرى نرى أن احتياج الدولة إلى فرض مكوس متزايدة تزيد على غلاء الأسعار ، أو يجتهد المنتج أو التاجر في نقل المكوس على عاتق المستهلك .

وتنبه العرب إلى أن المدنية حاجة اقتصادية وحاجة دفاعية ، فهي المسكن الذي يترعرع

ودكا كين الصيادلة على أقرباذين ألفه سابور
ابن سهل المتوفى عام ٢٥٥ هـ حتى ظهر أقرباذين
أمين الدولة ابن التليذ المتوفى عام ٥٦٠ هـ
وذكر الفرنجية أن العرب هم الذين اكتشفوا
حامض النتريك وزيت الساج وحامض
الكبريتيك والبوتاس وروح الشادر ،
ونترات الفضة ، وأكسيد الزئبق .

ونبغ منهم ابن البيطار الذى تبجر
فى دراسة النبات ، وألف كتاب ، المغنى
فى الأدوية المفردة ، ومنه نسخ خطية
فى ليدن والمتحف البريطانى وأكسفورد
وباريس - وكتاب جامع مفردات الأدوية
والأغذية - وطبع فى مصر عام ١٢٩١ هـ
ثم ترجم إلى اللغة الألمانية وكتاب ميزان
الطيب .

ونبغ نبوموس بن شاكر فى العلوم
الهندسية ، وألف ابن الهيثم كتابا فى أوائل
القرن الخامس للهجرة جمع فيه الأصول
الهندسية والعديد من إقليدس وإبلينوس .
ومن أشهر كتب المسلمين فى الجبر كتاب
الجبر والمعادلة ، وعنى العرب بشرحه ،
وتفسيره والتعليق عليه .

واشتهر من علماء الفلك فى الإسلام
أبو معشر البلخى ، وسهل بن بشر ، وحنين
ابن إسحق ، والبيرزى وغيرهم ، ونادى

فيه العيش والذى يتولد فيه التضامن .
الاجتماعى من أجل الحياة .

ولكن الترف والتضامن لا يعتبران الدافع
الوحيد لتأسيس المدن ، بل تدعو إلى ذلك
حاجة الدولة ، فالمدينة نتيجة لمقدمتين أحدهما
اقتصادية وهى الحاجة إلى الدعة ، والأخرى
سياسية وهى الحاجة إلى الدفاع .

تذبه العرب إلى كل هذه الشؤون الاقتصادية ،
وحفلت بها مؤلفاتهم مثل مقدمة ابن
خلدون وصحيح الأعشى فى صناعة الإنشا
للقلقشندى - وإغاثة الأمة بكشف الغمة
للمقرئزى - ونحو ذلك - وكان لهم شأو كبير
فى هذا المضمار الاقتصادى لا يمكن نكرانه
أو نسيانه .

وألف العرب فى السياسة ومنهم أبو زيد
البلخى المؤرخ الجغرافى الذى كتب كتابين
الكبير والصغير - وكتب فى السياسة المدنية
أبو نصر الفارابى الفيلسوف المشهور -
ومن الكتب الهامة فى هذا الباب كتاب
« سياسة الممالك فى تدبير الممالك » لابن أبى
ربيع - وجاء فى مقدمة الكتاب أن مؤلفه
ألفه للبعثم العباسى المتوفى عام ٢٢٧ هـ .

وبرع العرب فى الكيمياء والصيدلة
والطب ، وهم من الأوائل الذين اشتغلوا
فى علم الأدوية وتحضيرها - وظل العرب
فى النهضة العباسية يعتمدون فى المارستان ،

والحدوج لظعائهم ، والرماح والقسي
والسهام لسلحهم وأما أهل الحضر ، فقد
استخدموا الشجر في بناء بيوتهم وإغلاق
أبوابهم وعمل مقاعد لجلوسهم ، وتعرض
العرب لصناعة الخراط وإنشاء المراكب
البحرية ذات الألواح .

وبرع العرب في صناعة الحياة والحياطة
واعتبروا هاتين الصناعتين من ضروريات
ال عمران ، وكذلك نبغ العرب في صناعة
البناء ، وهي أولى صنائع العمران الحضري
وأقدمها ، وقد بدأت باتخاذ البيوت والمنازل
للسكن والمأوى ودفع الحر والبرد ، ثم
تطورت وتعددت وتعقدت على مر الزمان ،
وداخلتها فنون شتى في التجميل والتفسيق
والتنجيد والزخرفة وما إلى ذلك حتى غدا
الفن الإسلامي يهر العين ويخلب الوفاة .

وبرع العرب كذلك في صناعة التوليد ،
واشتهر في هذه الصناعة عدد كبير من السيدات
وتسمى القائمة في ذلك منهن بالقابلة ، واستعير
في اسمها معنى الإعطاء والقبول ، كأن
النفساء تعطيهما الجنين وكأنها تقبله كما كانت
تخفف عن الأمهات آلام الوضع ويعينهن
على الولادة الميسورة .

وكتب العرب في ضرورة تدخل الدولة
في المجال الاقتصادي والتنمية الصناعية
لإنعاش وسائل العيش لأن الدولة شديدة

المسلمون بإبطال علم التنجيم حيث أنه يقوم
على أسس واهية ، ودعائم ضعيفة ومضوا
يقيسون العروض ، ويرصدون الأفلاك ،
ويراقبون السيارات ، ويتبحرون في دراسة
ما كتبه الأوائل والأواخر في علم الفلك .

ومن الطريف أن المسلمين فضلا عن هذه
العلوم والمعارف الآتفة الذكر لم يغفلوا قيمة
التدبير المنزلي وهو عندهم فرع من الحكمة
العملية وتعريفه : معرفة اعتدال الأحوال
المشتركة بين الإنسان وزوجته وأولاده
وخدامه ، وطريق علاج الأمور الخارجة
عن الاعتدال ، ومن السكتب التي تدخل
في هذا النطاق كتاب « الطبخ » لإبراهيم
ابن المهدي ، وغيره لابن ماسويه ، وإبراهيم
ابن العباس الصولي ، وجحظة والرازي
 وغيرهم .

وبرع العرب في الأعمال المهنية والصناعات
الدقيقة ، واهتموا بالتجارة ، واعتبروها
من ضروريات العمران إذ أن الله سبحانه
وتعالى جعل للإنسان في كل مكون من
المكونات منافع تسكمل بها ضروراته
وحاجاته ، وكان فيها الشجر فإن له من المنافع
مالا ينحصر بما هو معروف لكل أحد ،
وقد اعتبروا منافع البدو في الشجر تختلف
عن منافع أهل الحضر ، فأما أهل البدو
فيتخذون منها العمد والأوتاد لحيامهم

أنس بن مالك ، ومن أبرز مؤلفاته كتاب « عجائب المخلوقات ، في الفلك والجغرافيا الطبيعية عند العرب ، ووصف الأرض وما فيها وما عليها ، ورتب كلا من الحيوانات والنباتات على حروف المعجم ، وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد الذي طبع في غوتنجن عام ١٨٥٠م ، وابن بطوطة صاحب الرحلات المشهورة ، وله كتاب « تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ، وقد اهتم المستشرقون اهتماما بالغاً بهذه الرحلات وترجموها إلى اللغات الأجنبية وعلقوا عليها تعليقات كثيرة ، وبدر الدين الزركشي المتوفى عام ٧٩٤هـ وصاحب كتاب « الفرر السوافر » فيما يحتاج إليه المسافر ،

وهكذا كان فضل العرب سابقاً شاملاً ، وكان مجدهم لا يقتصر على الشعر والأدب وتراث أمراء القيس والناطقة والأعشى وغيرهم في العصر الجاهلي أو حسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما في صدر الإسلام أو الأخطل وجريز والفرزدق في العصر الأموي أو بشار والمنتبي وأبي العلاء المعري وأبي تمام في العصر العباسي وابن خفاجة وابن زيدون وابن سهل في الأندلس - بل لم يقتصر مجدهم على ما كتبه الجاحظ أو ابن العميد أو عبد الحميد أو من إليهم من الكتاب العرب أو المستعمرين - إنما تطاول مجدهم

الارتباط بالعمران والحضارة ، والعمران من غير الدولة لا يتصور وفي ذلك يقول ابن خلدون : (إن الصنائع وإجاداتها إنما تطلبها الدولة ، فهي التي تنفق سوقها ، وتوجه الطلبات إليها ، ومالم تطلبه الدولة ، إنما يطلبه غيرها من أهل المصر ، فليس على نسقها لأن الدولة هي السوق الأعظم ، وفيها نفاق كل شيء ، والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فما نفق منها كان أكثر ضرورة) .

كما كتب العرب في التعاون مما يعتبر اليوم مادة جديدة للدراسة في الجامعات واعتبروا أن النوع الإنساني لا يتم وجوده إلا بالتعاون ، وأن المجتمع إذا فقد التعاون تهاوى بنيانه ، وتداعت أركانه ، وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعيش بنفسه فقط ، فهو أحوج ما يكون إلى تسخير جهوده لخدمة الآخرين ليستفيد من تسخير الآخرين جهودهم لخدمته .

وبرع العرب كذلك في كتب المعاملات والإدارة وتنظيم الحكم ويعتبر كتاب فتح القدير لجمال الدين همام وصباح الأعشى للقلقشندي ، وكتاب الأحكام السلطانية للسواردي من أخصب الكتب في هذا الباب

أما الرحلات فظهر فيها مؤلفون ناهون ، مذكر منهم القزويني الذي ظهر في القرن السابع للهجرة ، ويرجع نسبه إلى الإمام

أن يرسخوا أقدامهم - ويرهبوا أعداءهم -
ويمدوا سلطانهم .
ولم يكن الدين حائلا بينهم وبين بلوغ هذه
الغايات النبيلة أو الوصول إلى هذه الأهداف
الكريمة - إنما كان عوناً لهم على العلم وحافزاً
لهم على المعرفة ، فإذا العصى من الأمر يسهل
وإذا القصى من الأمل يقرب - وإذا العسير
من الخطب يهون .

وما أحوجنا اليوم - ونحن ننفذ عن
أبداننا - أثقال الماضي ونحطم قيود التقليد
البغيض - أن نسترجع أجداد آبائنا الأولين
في هذه المعارف والعلوم حتى تكون لنا عبرة
وأسوة حسنة ، وفي ذلك فليقتنافس المتنافسون .

جمال الدين الرماوي

حتى تشمل العلوم البحتة والعلوم التطبيقية
والفنون الجميلة والفنون النافعة ، وتطرق
عليهم إلى المعامل وآنية الاختبار وروائح
الأمحاض والبخار - وضروب الصناعات
الثقيلة التي تمخر البحر أو تدب على الأرض
أو يحارب بها الأعداء .

وكان لهم شرع وقانون يعصمهم من الخطأ ،
ويردعهم عن الخطئ ، ويوضح لهم منازل الحق
وهو الشرع الإسلامي والدين الخفيف ،
والكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .
وقد استطاعوا بفضل تمسكهم بأهداب هذا
الدين العظيم ، وهذا الشرع السوي المستقيم ،

(بقية المنشور على صفحة ٧١١)

والامتيازات ما يماثل نظائرها في أعظم
الدول الحديثة تطورا في هذا المضمار . وفي
ذلك ما ينهض أبلى دليل على سماحة القواعد
الشرعية في الإسلام في معاملة الأجانب ،
ورسوخ قدم السياسة الإسلامية في محيط
العلاقات الدولية ، وعراقها في ميدان الفن
الدبلوماسي ، وصدورها في هذا كله عن
مبادئ العقيدة الخالدة في الدعوة إلى السلام
العالمي ، واحترام العرف والقوانين الدولية
الحميدة وإقرار التعاون والتآخي بين الناس
جميعا . وصدق الله العظيم : « يا أيها الناس
إننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا » . رائد حسن فتح الباب

أرباح التجارة حتى كانت تصدر لإهم أحيانا
تعليمات تحثهم على ذلك . فكانوا - حسب
التقاليد البيزنطية . ينمون العلاقات التجارية
إلى جانب قيامهم بالمهام الدبلوماسية . فعند
تولى امبراطور جديد عرش بيزنطة يوفد
السفراء إلى شتى الدول الأجنبية - وفي مقدمتها
الدولة الإسلامية - لإعلان ذلك ، حاملين في
الوقت ذاته بعض البضائع لبيعها في الأسواق .
من ذلك سفرة الامبراطور ليسابين إلى
بلاط الإخشيد للسماح لسفراء الروم بالتجارة
في القاهرة وقد لقي هذا المطلب موافقة
الإخشيد مصر (سنة ٥٣٢٤ - ٩٣٦ م) .

وهكذا منحت الدولة الإسلامية السفراء
الأجانب في ديارها من أنواع الحصانات

حتى في نظر العلماء الذين لا يؤيدون الأديان الشكلية مثل جيو Guyo مثلاً فقد كتب في كتابه (اللادينية في المستقبل) يقول : (إن نظرية الفلاسفة الحسينيين كان ينتظر سيادتها المطلقة على العقول منذ بضع سنين وقد كان رضا الكثيرين بدون أن يستنتجوا منها سائر نتائجها الضرورية ، أما الآن فقد اتضح أنها واهية) .

أما النظرية السائدة اليوم في البيئات العالمية للدراسات الفلسفية بسبب أنها غير ظنية ويمكن تحقيقها إذا صعد الإنسان ببحثه إلى مناشئ العقائد الإنسانية . وهذا الأمر مهما يكن صعباً ، فإن وراءه رجالا يهتمون به غاية الاهتمام ، وأحسن من تصدى لهذا الموضوع الجليل فأجاد هو الأستاذ ماكس مولر ، الألماني ، فإنه بسط فيه كتاباً جليلاً - أصل الدين وارتقاؤه - أثبت فيه بالنصوص الدينية السنسكريتية ، وهي أبعد الديانات عهداً أو أقدمها تاريخاً ، أن الإنسان أول ما عبد عبد الخالق جل وعلا على صفته غير المحدودة . وأما هذه الأوثان والأصنام فليست إلا بنات الخيال استدعتها محبة الإنسان للبس كل ما يشعر به في نفسه فقال : « إن هذه الآلهة الجسمة ليست إلا تمثيلاً طرأ على الإنسان بعد تلك الفسكرة الطبيعية وبناء على هذا فقد ركع آباؤنا وسجدوا أمام الله الحق حتى قبل أن يجسروا على الإشارة إليه باسم » .

ولكن الروحيين ونريد بهم الذين يعتقدون بأن العالم مركب من عنصرين : أحدهما مادي فإن والآخر روحاني باق ، قد قرروا أن الإنسان اهتدى إلى عالم الروح بمركب فيه منه ولولا ذلك لم يشعر به ولم يهتد إليه ، وقد أظهر الإنسان حتى في أشد أدوار توحشه تعلقه بذلك العالم واعتداده به أكثر مما أظهر من تعلقه بالعالم المادي ، ومن يتأمل فيما فرضه على نفسه من للعبادات الجسدية والتضحيات قربانية والشكائم التي اتخذها لصدميوله طائعا محتاراً يحد أن أثر العالم الروحاني على نفسه كان شديداً إلى حد لا يمكن القول معه بمذهب الحسين . فلو كان الخوف من جوائح الحياة هو الذي اضطرب الإنسان لياجاً إلى عالم ما وراء الطبيعة ، لحقت وطأة الاضطراب عنه كلها ازداد علمه بأسباب تلك الجوائح ، ولكن المشاهد خلاف ذلك ، فقد اشتد تطلع أهل العلم إلى ذلك العالم اشتداداً بزوا به المتوحشين والجهال أضغافاً مضاعفة . ولا يعقل أن مثل الطبيعي العبقري - باسكال - والفيلسوف السياسي جبول سيمون والنقاد الفرنسي الكبير أرنست رينان - وغيرهم يبقون مع أثر وراثي سداه ولحمته الوهم ، ولا يتخلصون منه مع بلوغهم درجة الإمامة في الفلسفة والنظر السليم .

ولا جرم أن نظرية الماديين قد سقطت

إن قول الأستاذ - ما كس مولر - إن الإنسان مفعول على توحيد الله يعد ترديداً لقوله تعالى: « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقوله : إن النوع البشرى كان له دين واحد هو ما ذكرناه آنفاً من التوحيد موافق لما ذكر في القرآن وهو قوله تعالى: « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، الآية » ، ومعناها كان الناس أمة واحدة فاختلغوا فأرسل الله لهم أنبياء ورسل يهدونهم إلى الحق ، وهم ما اختلفوا إلا بسبب ما تسلط عليهم من الأهواء والخيالات والصور الذهنية المختلفة وذلك بدليل قوله تعالى في آية أخرى: « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلغوا ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » ، ومعناه صريح وهو أن الناس كانوا في مبدأ أمرهم على دين الفطرة الحق فاختلغوا بانباع الأهواء والأخذ بالباطيل ولو لا كلمة سبقت بتأخير معاقبتهم إلى يوم القيامة ، لقضى بينهم عاجلاً فيما فيه يختلفون بإهلاك المبطل واستبقاء الحق . فهذا الاستكشاف العلى الذى لم يجد الأستاذ - ما كس مولر - تصديق للقرآن فيما ذكره عن دين الإنسان ولكن حفزه إليه ما ثبت من

ثم جزم هذا المؤلف بأن أصل الأديان كلها واحد ، وما استدعى اختلافها إلا ما أحدثته النزعات الإنسانية والأهواء النفسانية من حب التحديد والتقييد والحصص هذا كلام لم يحاف العقل ولا النقل وهو مصداق لقوله تعالى « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » ، وقوله « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين . ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » .

ولا مرأه أن أول ما كان عليه الإنسان من الدين هو التوحيد الخالص من شوائب الخيالات ، وأنه كان عاماً في جميع النوع البشرى فلما دخلت عليه التلوينات الخيالية تعددت أشكاله ، وتنوعت صورته وذهب كل فريق من الناس بما تأثر به عقله منها فأصبح للناس أديان شتى وابتنى على تكسرها وقوع النزاع بين الجماعات البشرية .

فأطفي السائلة على اليابسة وأهلك مئات الألوف كما حدث في مسينا بإيطاليا سنة ١٩١٠م إذ زلزلت الأرض هناك زلزالاً شديداً فهدم الدور على أهلها وأطفي المياه على المدينة فقتل من أهلها نحو مائتين وخمسين ألفاً وكانت كارثة ارتاع لها الناس جميعاً.

إن العالم اليوم يتطلب الدين الأول للإنسان الموافق للفرزة التي فطر عليها الإنسان خالصة من شوائب الخيالات ، وهذا هو الإسلام بأخص معانيه ، وليس له معنى غيره وإن كان لا بد من الاستشهاد بقول عالم اجتماعي على صحة ما نقول فهذا الأستاذ - هنري بيرنجيه - يقول في المجلد ٢٤ من مجلة المجلات الفرنسية .

إذا كان النقد التاريخي قد هدم كل الأشكال المتحجرة في الأديان ، فإنه لم يستطع أن يعدو على الفرزة الدينية بل شهد باستمرارها وشيوعها في كل دور من أدوار التاريخ ، فكل تلك الآلهة المختلفة والمتعاقبة تشهد على أن الإنسان مفطور على الاعتقاد بالله رغم أنفه ،

إلى أن قال : هذه هي الشرارة السيكولوجية (النفسية) التي استخلصها من رماد العصور الماضية تاريخ المقارنة بين الأديان من المستحيل عليه أن يطفئها ولكنه سيدقها إلى المستقبل ؟

يباس طر

[٨]

مراجعة أقدم المخطوطات والمحفورات البشرية في اللغات الهندية القديمة ، وفي البيئة التي يرجح أن الإنسان الأول سكنها وتكاثر فيها ، وانتشر منها إلى سائر بقاع الأرض .

وزاد الله تعالى هذا الأمر بياناً فصرح بأن الإسلام الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الأول الذي أنزله على نوح ، وهو محدود بأنه أبو البشر الثاني ، فإنه قد ثبت أن جوائح مائية كانت اجتاحت ذرية آدم إلى نوح وكان هدمهم قليلاً على نسبة قرب نوح من آدم .

وقد اشتبه على بعض الناظرين هذا الأمر ، وقالوا : كيف يطفى الماء على اليابسة فيحتاج أمة برمتها ، كأنهم لا يعلمون أن الحوادث الأرضية كثيراً ما أحدثت ما يعرفه من تقبع الأرض الحليقة بعد تدوين التاريخ ، فقد ثار مرة بركان فيزوف سنة ٧٩ بعد الميلاد ففصر مدينة بومبتي برمتها وأباد أهلها جميعاً وهم لاهون (١) ، وكثيراً ما حدث زلزال

(١) بومبتي مدينة من مقاطعة نابولي بإيطاليا كانت مقبرة ملهى الأسرياء الرومانيين وكان يسكنها ثلاثون ألف نسمة فلما ثار بركان فيزوف القريب منها غمرها كلها فجأة بطبقات من الرمال والبخور للسائلة والحجم البركانية ، ثم غي النسيان عليها حتى سنة ١٧٤٨ فعثر فلاح إيطالي على تماثيل على الأرض فأمرت الحكومة بالحفر هناك فأنكشفت لهم المدينة .

مايقال عن الإسلام

تطور الفكر السياسي الإسلامي

للاستاذ عباس محمود العقاد

على نهج الأكثرين من المستشرقين، وطريقتهم الغالبة عليهم أنهم لا يزنون الموضوع الواحد بميزان واحد فيما يتعلق بالإسلام وبالأمم الإسلامية وفيما يتعلق بغير الإسلام وغير المسلمين، فهم ينظرون - أبداً - نظرة جانبية إلى المسائل الإسلامية، ولا يعممون النظر على قاعدة واحدة إلى هذه المسائل وإلى نظائرها في البلاد الأوروبية والأمريكية، وعندهم - دائماً - أن مسائل الإسلام موسومة بالغربة والمخالفة لما عداها من المسائل العالمية، فهم يتطلبون الشذوذ الغريب ابتداء من النظرة الأولى، ولا يحسبون أن التعليل العلوي يتسع لتفسير الإسلاميات وغير الإسلاميات على قاعدة واحدة من قواعد الفهم والتحليل، وقد تسربت طريقتهم هذه في التأليف إلى عقول قرائهم وتلاميذهم من الشرقيين المسلمين وغير المسلمين، فكلهم يبتدئ البحث بالتفرقة بين ما يبحثه من شؤون الإسلام وما يبحثه من أمثالها في التاريخ القديم

كتاب حديث من مطبوعات أواخر سنة ١٩٦٢ طبعته هيئة فان نوستراند Van Nostrand لدراسة العلوم السياسية بمطابعتها في الولايات المتحدة والبلاد الانجليزية، وعنوانه العام (الحكومات والسياسة بالشرق الأوسط في القرن العشرين) وموضوعه البحث في تطور نظام الحكم في البلاد الإسلامية التي يطلق عليها اسم الشرق الأوسط مع بعض التوسع، وأشهرها مصر وتركيا ولبنان وسورية والعراق والجزيرة العربية وإيران، ومؤلفه ه. ب. شراي أستاذ مساعد لتدريس علم التاريخ بجامعة (جورجتاون) ولا نعلم عنه شيئاً غير ما جاء في تعريفه بقلم الناشرين لكتابته، وخلاصته أنه تعلم بالجامعة الأمريكية في بيروت وأتم دراسته بجامعة شيكاغو وتخرج منها سنة ١٩٤٨ ثم نال منها شهادة الدكتوراه في الفلسفة بعد خمس سنوات.

على أن الظاهر من طريقته في الكتابة عن الموضوعات الإسلامية أنه يجرى فيها

بل غير معقول ، وإنما المعقول دون غيره أن توضع القواعد الدينية وتوضع الرخصة فى تعديلها على حسب شروطها ومناسباتها... أما أن يتنزل الدين بنصوص قواعده ونصوص تعديلاتها معا فذلك ما لم يحصل قط فى شرع دينى ولا فى شرع موضوع .

قال المؤلف فى الصفحة الحادية عشرة بعنوان الشريعة : « إذا دققنا فى القول لم نجد فى الإسلام نظرية مستقلة للحكومة ، إذ كل ما يرتبط بالحكومة والدولة يدخل فى نطاق الديانة ، فلا فاصل بين الدينيات والدنيويات ، والمسلم الذى يدين بالله وبرسالة نبيه محمد عضواً من أعضاء الجماعة الإسلامية بحق الانتماء إلى الديانة فقط ، لا بحق القرابة أو اللغة أو العنصر ... ومن الوجهة السياسية تقسم الجماعة الإسلامية ، أو الدولة الإسلامية ، بسمت أربع وهى :

- ١ — أن الله رأسها والقرآن كما تنزل على النبي دستورها الوحيد .
- ٢ — وأن كلمات الله هى الشرع الوحيد وليس للجماعة أن تجرى لها شرعا غيره .
- ٣ — أن وظيفة دستور الحكومة وشكلها وأحكامها أبدية ولا يمكن تغييرها كيفما اختلف الزمان والمكان .
- ٤ — أن الغاية من الحكومة هى إقامة الدين وتنفيذ كلمات الله .

أو التاريخ الحديث من شئون الأمم الشرقية والغربية الأخرى ، وكلهم يخص الإسلام بمنظار (خاص) من أول نظرة ، ولا يحمل ذلك المنظار نفسه حين يتحول بالنظر إلى سواه .

وأظهر ما يظهر ذلك فيما كتبه المؤلف عن تطور الفكر الإسلامى قديما وحديثا إلى أواسط القرن العشرين ، فإنه يجعل الإسلام فى تقديراته مطالبا بأحد أمرين مستحيلين : أحدهما أن ينصر فى عقائده من مبدأ الأمر على أحكام غير دينية تتبع فى نظام الحكومة ، فهو إذن دين وغير دين ، وعقيدة وشئ مخالف للعقيدة ، وذلك أغرب ما يخطر على البال بالنسبة إلى الدين خاصة وبالنسبة إلى كل نظام من أنظمة الشرائع والساتير على التعميم .

والأمر الآخر أن يتنزل الدين الإسلامى بنصوص قواعده مصحوبة بنصوص تعديلاتها وتطبيقاتها التى تغنى المسلمين عن التصرف فيها على حسب المصالح والضرورات ، فيحصل التعديل والتصرف قبل أو ان الحاجة إليه ، ويصح من ثم أن يقول المؤلف ومن على رأيه إن التشريع الحكومى فى الإسلام غير متحجر وغير مخالف للسنن المعهودة فى غيره من التشريعات ..!

ومثل هذا التصرف ، أيضا غير ممكن ،

الموافقة على وقفها أو تعليقها على حسب الطوارئ والضرورات، فهل يكون الدستور الصالح كذلك ولاغرابة فيه، ثم تكون الغرابة كل الغرابة في دستور الإسلام؟.

وبين أيدينا الساعة خبر عن دستور دولة عصرية يصح أن يقال فيه إنه من أخبار آخر ساعة، لأنه مكتوب على رأس سنة ١٩٦٣ في تقويم يسمى بتقويم «إيطاليا»، وهي دولة عرفت الحكم «الثيوقراطي»، أو الديني، وعرفت حكم الملوك والأمراء، وعرفت الحكم الدكتاتوري، وهي تعرف اليوم نظام الحكم الديمقراطي ومن أحزابه حزب يسمى بالحزب المسيحي، وخلاصة نظامها السياسي كما جاء في الصفحة الأولى من التقويم لسنة ١٩٦٣ «أنه قائم على أسس التقدم الاقتصادي والاجتماعي، مع احترام الحرية الديمقراطية واستقرار العملة والمشاركة الكريمة في الدفاع عن العالم الحر وتشجيع الدعوة إلى الوحدة الأوروبية والتعايش السلي بين أمم العالم».

وليس مع هذه المبادئ نص واحد من نصوص الدستور المكتوب أو نصوص قوانين المعاملة والعقوبات، فماذا في هذا التعريف بأسس الحكم في هذه الدولة، أو في الدولة البريطانية، يتعذر نقله إلى التعريف بدستور الإسلام؟.

قال: «ويتضح من هذا أن الشريعة — وهي جملة الأوامر الإلهية — ليست قانونا بالمعنى المفهوم من القانون في العصر الحديث — ولكنها قضايا معصومة تروسم للإسلم أحكام سلوكه في حياته كلها دينيا وسياسيا واجتماعيا وفي الأسرة والبيت».

وليس يعني في هذا المقام أن نناقش تصوير المؤلف لحقيقة الإسلام، ولكننا نقلناه بحرفه لنسأل: وهل للدستور أو للقانون على الأساس الصحيح في كل صورة من صوره قاعدة تخالف هذه القاعدة في جملتها؟.

وهل يصل المؤلف ببخسه يوما إلى دستور «وضعي»، قويم بدأ العمل به في أمته بجميع تفصيلاته وتعديلاته دفعة واحدة؟ وهل في دساتير العالم دستور لم يقيم على قواعد ثابتة لا تتغير مهما تغيرت بعد وضعها نصوص المواد والقوانين المتفرعة عليها؟.

إن أقدم الأمم الديمقراطية عملا بالحكم النيابي هي الأمة البريطانية، ودستورها في أساسه قواعد لا تقبل التغيير وأن تغيرت المواد التي لم تكتب بتفصيلاتها حتى اليوم.

ومن هذه القواعد حرية الفرد، وحرية الاعتقاد، وحرمة المنزل، ومبدأ النيابة وتقرير الضريبة، ومبدأ المسؤولية الوزارية ومبدأ السيادة البرلمانية في وضع القوانين، ومبدأ أسريان القوانين في جميع الأوقات واشتراط

إن هذه الضرورات والشبهات مرجعها كله إلى حق السيادة المطلق ، وهو حق الإمام الراعى وأهل الذكر والرأى المتفق عليه بين جمهرة الرعية .

فهل فى هذا الوصف قيد شعرة من الانحراف عن حقيقة الدستور الإسلامى ؟ وهل هو على هذا الوصف بدعة فى الدساتير التى تصلح للتطبيق ويتنظم عليها أمر الجماعات الإنسانية ؟

إن المستشرقين وتلاميذهم ، وأصح من ذلك أن المستغربين ، وأتباعهم من الشرقيين هم الذين يبتدئون بالاستغراب - أصلا - فى كل بحث من بحوثهم الإسلامية ...

وأن هؤلاء لا يكفون ، أنفسهم أن يبتدئوا بالبحث فى شئون الإسلام ، غير مستغربين ، ولا مفرقين بين نظرة ونظرة وميزان وميزان ، ولكنهم لو تسكفوا ذلك فى كل ما يحشوه لعلوا أن الغرابة هنا حاصلة ولكنها فى طريقهم وفى اتجاه عقولهم أونيأت ضمايرهم وليس فى الإسلام شئ من الغرابة ، إلا ما استغربه المستشرقون وتلاميذهم من الشرقيين !

عباسى محمود العقاد

اتنا لا نغير حرفا من نظام الحكومة الإسلامية إذا قلنا على هذا المنوال :
إن قواعد الحكم كلها منصوص عليها فى آيات القرآن الحكيم .

إن الإمام يتولى الحكم بالبيعة .
إن الإسلام يوجب على المسلمين أن تكون فيهم أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ومنها : أهل الذكر ، الذين يسألون عن أحكام الذكر الحكيم .

إن السيادة التشريعية موزعة بين الإمام وأهل الذكر وإجماع الأمة ، أو ما هو فى حكم الإجماع .

إن أحكام الشريعة الإسلامية تنفذ فى كل زمن وفى كل مكان ، ولا يعلق تنفيذها أو يؤجل إلا وفاقا لسيادة التشريع .
إن الفرد حر مسؤول .

إن مصلحة الأمة أساس فى تطبيق الشريعة وفى وضع الأحكام التى لم تذكر بتفصيلاتها وعوارضها فى آيات الكتاب .

إن المجتمع الإسلامى ينكر احتكار الثروة ويحرم الربح بغير عمل ويقرر من ثروة الأمة كلها حصة العجزة والمحرومين .

إن الحدود الجنائية لا تعطل أبدا إلا لعللة واضحة من علل الضرورات والشبهات .

مَحَبَّةُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

في رحاب النبوة :

يا حبيب الله

لما تارة إبراهيم نجا

نادنى . . إني قريب منك ، يا خير البرية
يا حبيب الله ، يا أجل نفس بشريه
يا أبر الخلق بي ، يا أكرم الناس عليه
نادنى ، فالشوق لم يترك من الصبر بقيه

* * *

أنت في روعي لإشراق ، وفي قلبي محبه
لم يذق ما ذقته فيك من الوجد أحبه
حيما جئت وقلبي كله شوق ورغبه
قلت للغربة ، من أجلك ، ما أحلك غربه !

* * *

منذ أن كنت صغيراً حدثوني عن صفاتك
عن رفيف النور في وجهك ، عن حلو سماتك
عن سنا الرقة في طبعك ، أو في بسماتك
فتعشتك ، حتى غبت في أعماق ذاتك

* * *

ومضى العمر بنا في هذه الدنيا الكبيره
وقرأت السيرة الغراء مرات كثيره
فتجلت قصة تعرض أحداثا مشيره

قصة صاغت من الليل قلوباً مستنيرة

* * *

كم تحملت عذاب الجسم . . آه لعذابك
وتحملت عذاب النفس من أجل صحابك
وتغربت ، وكم قاسيت من ظلم اغترابك
وتساميت ، فما تشكو لغير الله ما بك

* * *

لو طلبت المجد ، وافاك بملك أو إماره
أو طلبت المال ، لباك وأهداك نضاره
أو طلبت الجاه ، جاء الجاه يوليك اقتداره
حسب نور الشمس أن يبعث في الكون شعاره

* * *

عشت لا تطلب إلا أن يرى الليل النهار
فترى إشراقة النور عيون تتوارى
ويفيض النور نبعا صافيا يسقى الحيارى
وربعما يملأ الكون نماء وازدهارا

* * *

أيها العابد في غارك ، في غار حراء
أيها الباحث عن بدرك في ليل الخفاء
هكذا تستنزل الوحي قلوب الأنبياء
هكذا تستقبل الدنيا تباهير الضياء

* * *

أيها الداعي إلى الله ، وفي الكون جهاله
أيها الهادي إلى نبع السنا ركب الضلاله
كم تحملت أذى الشرك ، وقاسيت نضاله
يا رسول الله ، ما أعظم أعباء الرسالة !

* * *

أيها السارى على الصحراء فى ظل السكينه
ورفيق العمر يفديك من الأيدى اللعينه
وعلى البعد قلوب مؤمنات فى المدينه
خرجت بالحب أعيادا وإنشادا وزينه

أيها الواقف فى بدر تصف المسلمينا
ضارعا لله أن يمحى بغى المعتديننا
مشفقا أن يرجع الباطل بعد الحق ديننا
ثم لاح النصر خفاق السنا فى العالمينا

أيها السائر فى الصحراء ، والجند كثير
تبتغى مكة إذ جاءك بالفتح البشير
وحوايلك قلوب تمنى لو تطير
وعلى وجهك إشراق ، وفى قلبك نور

أيها الظافر فى مكة ، والكفار أسرى
وجباه الظلم والطغيان تغزو لك قسرا
والآلئ كم حاولوا قتلك ، لا يلقون عذرا
ثم كان الصفع من قلبك إحسانا وبراً

يا رسول الله ، ما أروع هاتيك الصفات !
ليتنى أدركت أيامك يا خير الهداة
فأنا فى النور من قلبك يمحو ظلماتي
وفديت اللمحة الغراء منه بحياتي

يا حبيب الله ، ما زال الهوى غضا نضيرا

فلسفة البخل

مؤلف: تاز على الجنرى

قد يستطيع الإنسان أن يعلل كثيراً من أخلاق الناس ،
ولكنه يعجز عن تعليل البخل في بعض البخلاء ١١ فمثلاً كيف
تستطيع أن تجد علة للبخل لدى رجل واسع الثراء ، مريض
الجسم ، طاعن في السن ؟ ١١٢ وهو مع ذلك يبخل على نفسه
بالطعام الجيد ، واللباس الحسن ، والمركب الفاره ، بل يبخل
أن يستطب للداء ، ويشترى الدواء ١١ .

بصفات الإنسان أصبحت طباً غير أنى بالبخل على قاصر (١)
هو خلق تاه الأوائل في كش ف متاهاته ، وضل الأواخر
وهو بالله ، والرسول ، وبالقر آن ، والخير ، والفضيلة كافر
وهو للشر وارد ، وعن الخسة — واللؤم ، والنذالة صادر
كيف يرضى بأن يعيش فقيراً ذو غنى يقتنى نفيس الذخائر
كيف يرضى بأن يعيش على الحر مان مثر يقتنى يتيم الجواهر
كيف يرضى بأن يعيش مقلًا من به « البنكنوت » راح يفاخر
كيف يرضى أن يلبس السمل البالي من يستطيع لبس الحباثر (٢)
كيف يشقى في جمعه المال من يو قن يوما حلوله في المقابر
عاش في شقوة ، وفي ضنك عيش وهو أن يسكن الفردائس قادر
كان « نيسان » شهره أبد الدهر — فلم يرض نحسه غير « ناجر » (٣)

* * *

(١) الطب بفتح الطاء : الماهر الحاذق في عمله كالطبيب .

(٢) السمل محرّكة : الخلق .

(٣) نيسان : من شهور الربيع وهو أبريل شهر الورد ، وناجر من شهور الصيف ، وهو رجب أو صفر .

رب مال في كنزهِ يجهد الناس
 بالدنيا يلقي بها د حاتم الجو
 شهد الله : أن فلسفة البخ
 من يكن حل لغزها ، ومما
 قد عذرنا الفقير إن شح لكن
 قتل البخل والبخل ، فهذا
 يالتعس البخل يعبد ربا
 وثن لا يزال يعبد قو
 لوعلى البر أنفقوه لباتوا

س لأعدى أعدائهم هو صائر
 د ، فقيراً ، ويجرز اليسر «مادر»
 ل تفوت النهى ، وتعبي البصائر
 ها ، فإنني في حله جدد حائر
 لم نجد للنغي في البخل عاذر
 زق سوء ، وذاك داء مخامر
 سبي المال ، وهو أجر فاجر
 م طعام الأحلام حمق السرائر
 في وثام ، والعيش أخضر ناضر

على الجنمى

(بقية المنشور على صفحة ٧٣٢)

قلبي المشتاق يسقى غصنه ماء نميرا
 فلما الغصن ، وقد أينع في قلبي زهورا
 يا حبيب الله ، خذ ما شئت زهرا وعبيراً

* * *

سوف أحيا طول أيامي أناجيك بحبي
 وأنا المشتاق لا يهفو إلى غيرك قلبي
 أنت ما أرجوه من دنياى فى بعدى وقربى
 لمن تكرمتم وناديت ، فبالروح ألبى

* * *

نادنى لى قريب منك يا خير البريه
 يا حبيب الله ، يا أجمل نفس بشريه
 يا أبر الخلق بى ، يا أكرم الناس عليه
 نادنى ، فالشوق لم يترك من الصبر بقيه

ابراهيم محمد نجما

الكتب

في العاصفة

ديوان شعري للشاعر كيسانى سند ، ظهر في صيف عام ١٩٦٢
عن مكتبة عالم الكتب بالقاهرة في ٩٠ صفحة .

المعاصر ، وحول رسالة الشعر ووظيفته
في الحياة .

— ٢ —

ونعود إلى الشاعر وديوانه ، نتأمل كل
جانب من جوانبه ، تأمل الدارس الناقد .
تدور فلسفة الشاعر في ديوانه حول
أمور ثلاثة :

الأول : الشعور الكامل بدور الفن في
الحياة ، وأثره في مستقبل البشر ، ورسالته
الحرية الجريئة الصريحة ، العاملة على دعم قيم
الإنسانية ومثالياتها النبيلة .

ويتضح ذلك بجملة في أولى قصائد الديوان
« الطريق الشائك » ، التي يصور فيها كفاح
الشعراء ونضالهم من أجل مستقبل أمهم
والعالم جميعاً ، ويقول فيها :

يا كم عبرنا قنطرة

وأبحرنا أمواجها

رهيبية مزيجـرة

— ١ —

شاعر من أعماق الريف ، نشأ كما ينشأ
أبناءؤه ، يلفهم الفقر والجوع والحرمان
بظلاله ، ولكن قلوبهم الكبيرة تصدح بالحب ،
بالأمل ، بالحياة ، بأغاني النصر ، بابتسامات
الربيع ، بالإنسانية والسلام والأمن .

شاعر صادق الإحساس والتعبير ، عميق
النظرة والتفكير ، دقيق الآراء والتصوير .
مبتعد عن كذب الشعور ، وزيف الأداء ؛
يحب البساطة في كل صورها ، ببساطة البحر
الشعري الذي ينظم قصيدته منه ، وبساطة
الأسلوب الذي يبرز معانيه فيه ، وبساطة
الكلمة التي يختارها لنقل خفي مشاعره ،
ودفين أحاسيسه ، إلى الناس .

وديوان « في العاصفة » القليل الصفحات ،
حرى من النقد بالدراسة والمناقشة ، لأنه
يعطينا مفاهيم كثيرة حول الفن ، والصورة
الشعرية ، وطريقة الأداء عند الشاعر

وكم سعدنا قمة	الإنسانية .. فالحب هو كما يقول الشاعر :-
عالية	مسورة الحب أى منجم
نبحث عن أغنية	فى قلب إنسان ترى
صغيرة ،	عن جوهرة لون الضحا من لونه
وزادنا على الطريق	والعطر بين الزهر
ورق	وهو يدعو الشعراء إلى الحب والغناء
وأمنيات فى الصدور	لكل الناس ، حتى لخصوم الحياة ، يقول
غضة	يخاطب كل شاعر من أصدقائه فى الفن :-
إلى أن يقول :	غن لهم ، إرث لهم
يا إخوة سيقبلون	قلوبهم من حجر
والليالى	واقترح لهم نافذة
ويسلكون دربنا	فى قلبك الخوضر
مواكبا	أخى الحياة غفوة
طريقهم	بالحب ، حب البشر
وأرضهم	ومحرة
فلتذكروا أنا عبرنا	وقصيدة (ذات ليلة) توحى بنزعة حب
ألف ألف	الحير المتأصلة عند الشاعر ، ففيها يقول :
ولم تزل عظامنا	إن فى هذه الليلة ماتت امرأة فقيرة خيرة ،
من حولكم مبعثرة	لم يبال بموتها أحد ..
ومثل ذلك قال الشاعر فى قصيدته «يا شعر»	كانت ككثير فى القرية
وفى قصيدته «الصفصافة» يجعل الشاعر	مصباحا خابى الأضواء
الفن ابنائه ، ويقيم من نفسه حارسا عليه	وماتت فيها كذلك امرأة غنية بخيلة :
يرعاه ويتعهد ، لينمو ويكبر ، ويصبح	عاشت ما عاشت ما وضعت
شيئا كبيرا فى حياة الناس والأصدقاء .	لبنائ فى أى بناء
الثانى : الإيمان بالخير ، وبالحب ،	ما غرست بضع شجيرات
حب الحياة ، وحب البشر ، وحب	للجهد بين الصحراء

نلاحظ أن الشاعر كلما حاول تصوير الأغنياء صورهم بصورة مكبرة مغالى فيها ، ويتضح ذلك في قصيدته : « أغنية لإقطاعي » ، « وإنسان بلا أسطورة ، ولا أحب هذا الغلو الذى ليس له داع فنى أو واقعى ، فالغنى فى ذاته ليس رذيلة وشر ، وإنما الشر فى أن لا يودى الغنى به حقوق مجتمعه عليه .

الثالث : التفاؤل والابتسام للحياة ، والثقة بالفجر ، بالربيع ، بالسعادة ، وأنها لا بد أن تنتصر على الظلام ، والخريف ، والشتاء ، يصور الشاعر فى قصيدته « أمل » ، كيف مر الخريف على حياته ، فتركه شقيا محروما فقيرا ، ثم فجأة طلع الربيع ، ورمى له بشيء ، فإذا الصباح يطل مبسما إليه .

وتبسمت كل الحياة

ة تبسمت فى مقلتيه .
والشاعر لم ينظم قصيدته هذه لهذا الغرض وحده ، وإنما بدأها مخاطبا حبيبته بأن تعود إليه ، لأنه صار يملك كل شيء ، فقد ذهب الخريف وجاء الربيع ، والشاعر لا يقول هنا إنه صار يملك كل شيء ، وإنما يقول « ما زالت أملك كل شيء » ، لشدة تفاؤله بالحياة ، وإيمانه بنفسه ، ولا يعنى كل شيء بما يملك ، ولكنه يعنى كل شيء من أسباب الوصول إلى النجاح فى الحياة .

وفى قصيدته « يارباح الخريف » ، والكلمات الطيبة ، نجد صورا من تفاؤله

وفى هذه القصيدة لا يسلك الشاعر طريقا خطايا يملوا يسلكه غيره من الشعراء ، ولا يدعو فى إضجار إلى الخير دعوة الواعظين والأخلاقيين . ولكنه يكتفى بعرض الصورتين ، صورتى المرأتين ، الخيرة الفقيرة التى لم يدر بموتها أحد : -

رحلت لم يدر بها أحد

من يدرى موت الفقراء
فى الفجر انتظرت يقظتها
كالعادة بعض الأشياء
القطعة وصغار طيور
كانت تأتيا بغذاء
فبكاهما الطير بزقزة
وبكتها القطعة بمواء

وهنا نجد الصورة صادقة متزنة مستمدة من الواقع المثير... أما الصورة الثانية ففيها مغالاة وتضخيم كثير . .

كانت سيدة تخدمها آلاف عبيد وإماء ولا يريد الشاعر العبيد والإماء حقاً ، لأن ذلك كان فى عصر مضى وانقضى منذ زمن بعيد ، وإنما يريد بهم الفلاحين والفلاحات الذين يعملون فى أرضها كالعبيد . . ويستمر الشاعر فى تكبير هذه الصورة : -

إن ضحكك فتحت مقبرة

أو ألفت سلة أقداء
ولماذا هذا التكبير والتجسيم ؟ . . إنما

وابتسامته للحياة ، وكذلك نراه في قصيدته
 الشمس والعاصفة ، التي نظمها من أسطورة
 يابانية وصور فيها الشمس وهي تنطلق من
 إسمارها ، من الغيوم وآثار العواصف
 والأعاصير ، فتملاً الوجود حياة وروحا
 وأملا ...

— ٣ —

ومن ثقة الشاعر بالفن وبالحب ، وتفاؤله
 بالحياة ، نستطيع أن نتعرف إلى قصة حياته ،
 التي صور جوانب منها في بعض قصائده ...
 في قصيدته « الوحدة » يتحدث عن شقائه
 وهزلته وموموه وفقره وآماله الجريحة ،
 ويأسه القاتل ، وعن انتصاره على كل هذه
 الأسباب الموغلة في الهزيمة .

وتتوالى الأحداث على الشاعر ، تموت
 أمه ، فيلتمس الحنان في قلب أبيه ، ولكن
 الوالد سرعان ما يتزوج فتضييق الحياة أمام
 عينيه ، ويفقد عطف الأب حتى أصبح
 لا يجده ، يقول الشاعر من قصيدته « الطير
 الغريب » :

أبي لا يزال ، ولكن طوى
 طوى ظله .. فاحتواني الهجير
 وأمي ماتت .. وكنت أنا
 أعيش بحلم كبير ، كبير
 وقلت : أبي سيكون أبي
 وأمي وظلي ونبي الغزير

ثم يصور كيف قابل وفاة أمه بالحزن ،
 وهو طالب صغير ، عاد من أسبوط فلم يجدها :
 ولما رجعت تلبست أُمى
 وناديت لكنها لم تجب
 لقد جئت من سفرى مجهدا
 وودعت دنياى بين الكتب
 ولما سئمت وبج النداء
 عدوت لأبحث في كل درب
 وأبحث في الغرف الخاويات
 ملاحها ها هنا لم تغب
 ثم يستمر في شعره الحزين إلى أن يقول :
 ولما انقلمت وفتحت عيني
 رأيت الهوم على منكبي
 وأبصرت نفسى كطير غريب
 يخاف من الطير ذى المخلب
 وأعرض عني كل المحبين
 أعرض عني حتى أبى
 والقصيدة دقيقة حية من شعور ، وفيض
 من قلب ذكي ، وفن ثرى .
 وفي قصيدته « جنة الحب » يصور والده
 وحنانه الذي كان له وحده ، ثم كيف تزوج
 وأفرغت زوج الأب في جنة طفله حقدًا ،
 ويصفها بالتنين :
 سنوات مرت كشوان
 وإذا بالجنة مسودة

منه وهو وزن راقص ، ومن الوافر ومجزوء
الكامل ، والسريع . . وفي الديوان قصيدة
واحدة من البسيط ، عنوانها « إلهيا » .

وهذا يدل على عناية الشاعر بموسيقاه ،
وجعل الشعر وسيلة من وسائل الغناء . .
وكثيراً ما يستعمل لفظة غناء ومشتقاتها في
شعره ، وفي الديوان قصيدة عنوانها « هكذا
غنى الفلاح » ، وهى تمثل فرح الفلاح بالإصلاح
الزراعى وبأرضه الصغيرة التى أعطيت له ،
وقصيدة أخرى عنوانها « أغنية عمل » .

الثانى : كثرة الصورة في شعره ، يقول
مثلاً في قصيدته « إفريقية » التى تحدث عن
وثبتها وتحورها :

إفريقية تنهض واقفة

من رد إلى الميت صوابه
وقفت والريح مزججة . .

فازدادت في الريح صلابه
بركان يتدفق ، نار

أمواج تهدر ، صخابه
سيل يتحدر ، أموات

تبعث ، تتحرك غابة
ومثل ذلك كثير في شعره .

الثالث : بعده عن التقرير والخطابية في شعره
ومن ثم نجده يتناول موضوعات قصائده من
طريق غير مباشر . . يريد أن يتحدث إلى
الناس ليحبوا الخير ، فيتحدث إليهم عن

لقتها نار ، تنين
قد أفرغ في الجنة حقه
كالفرخ الأزغب مرتاعاً

في العش وقد أصبح وحده
قد صرت ، فأحساس يتيم

إحساسى بالعربة بعده
وفي قصيدته « ثم افترقنا » يرثى أباه ،

يذكر كيف نسيه بعد وفاة أمه ، ثم كيف
تركه وافترقا ، ثم يقول :

قد مات وأصبح جثماناً

سيوارى بتراب اللحد
فشعرت ببركان الذكري

يتمدد وحشا في قيد
وهذه الموم والاحزان والحياة

المكدودة هى التى صاغت الشاعر ومواهبه وفنه
أدق صياغة ، ودعته إلى أن ينظم كل ما يشعر

به شعوراً صادقا ، وشعراً مؤثراً أخاذاً .

— ٤ —

ولندع حياة الشاعر إلى فنه وشعره ، الذى
يتميز بخصائص عدة :

الأولى : حلاوة موسيقى الشاعر ، وقصائد
الديوان كلها ملتزم فيها الوزن الشعري

والغافية ، وإن تعددت الغافية للقصيدة
الواحدة في كثير من شعره . . والبحور التى

نظم منها الشاعر هى البحور القصار غالباً ، فقد
نظم من الرجز والخفيف والمتدارك الذى أكثر

وفي قصيدته «إنسان بلا أسطورة» يقول
على لسان فتاة تتحدث عن غنى أحبا:
حماقتي ، فأرتنى بحضنه أنقر
وكلمة «حماقتي» هنا جاءت في غير مكانها ،
فهى تتحدث عن حب الغنى لها ولا تتحدث
بلسانه . وإذا قلنا إن الذكر الباطنية قد
قهرت بكلمة الغنى «حماقتي» وهو يكررها
على سبيلها ، فذكرتها على لسانها ، لتصور
ما كان يخاطبها به من كلمات حب ، فإن ذلك
يكون غموضا لا يغفر للشاعر .

ومع ذلك كله فإن بساطة الشاعر في أسلوبه
جعلته سهلا على الأذن ، خفيفا على القلب ،
قريبا من الفهم . . ولا يناقض ذلك رمزية
الشاعر في بعض صوره ، فإن مرد ذلك إلى
المعاني لا إلى الأسلوب .

وبعد فديوان «في العاصفة» نفحة حلوة
فيها صدق وصراحة وقوة طبع وسلامة
ذوق ، وهى تدل على اكتمال الملكة
عند الشاعر ، بما يصاحبها من طاقات
فنية متميزة .

وأحب لشعراء اليوم أن يقرأوا هذا
الديوان ويتفهموا منهج الشاعر فيه ،
ويحكموا عليه أو له ، فقد يكون في ذلك
ما يفيدهم من حيث لا يشعرون .

محمد عبد المنعم خفاجي

امرأتين ماتتا في ليلة واحدة ، ويترك للذهن
عملية الموازنة واستخلاص الحكم وأسبابه .
ويريد أن يقول إن الربيع جاءه بعد أن عاث
في حياته الخريف ، فلا يذكر ذلك مباشرة
بل يقول لحبيته : عودى إلى فقد جاءني
الربيع وذهب الخريف ، وكأن ذلك غير
مقصود من القصيدة . وهكذا .

الرابع : حب الشاعر للتكرار تأكيذاً
للمعانيه ، ومن مثل ذلك قوله :

وتسمع في البعد ضجة عرس كبير كبير
وأى ماتت وكنت أنا أعيش بحلم كبير كبير -
قد مال نحوى هامسا ، ورى بشيء لى ، بشيء -
مازلت أملك كل شيء ، أى شيء ، أى شيء .
ويشير هذا التكرار إلى محاولة الشاعر
إدراك أحماق نفسه وتصوير كل ما في جوانحه
من عواطف ومشاعر وأخيلة ومعان .

الخامس : بساطة الأسلوب والتعبير ،
وإن كانت هذه البساطة قد تقوده إلى العامة
حيناً ، كما في كلمة « المترهنين » وصحتها
« المترهينين » وقد تقوده إلى استعمال كلمات
لم تستعمل كقوله في فتاة صغيرة :

رحمته رفت على موكبى .
وإلى التجوز النحوى حيناً كقوله :
أم الأهل في الأحد لاقوا الحماما .
بضم القاف للوزن ، وكان الواجب فتحها
ولكن لو فتحت لانكسر الشعر .

انبثاء وآراء

جائزة الدولة التقديرية :

لـمؤلفـات الزيات

الفن ، فقد اجتمعت في الدستور المعجز روعة
النظام مع روعة النظم ، وجلال المعنى مع
جمال البيان ...

وأحاسب الفنان المرفف تلتقط احتياجات
مجتمعة في سرعة واستيعاب ، وأجهزته الفنية
تعالجها وتبرزها ألوانا شتى ... وهو في هذا
كله يحقق ذاته كما يخدم مجتمعه في بساطة
ويسر ، ودون تمزيق أو تفتيت .

إننا نحى هذا الرائد السباق ، ونحى آثار
مدرسته على كيانتنا وثقافتنا ... فقد استهل
الطريق الشاق في وقت تتكسر فيه الألسنة
بالرطانة ، وتزيغ فيه القلوب بالإلحاد ،
وتتداعى الأمة بالتميسع والخذلان !

ويحق على المجتمع العربي الذي شب عن
الطوق ، فاضطر الاستعمار إلى الجلاء ، وبرزت
شخصيته القومية والروحية والفكرية — بحق
عليه بحكم شريعته في العدل ومجاياه في الفضل
أن يشد على الأديب الكبير ... الذي ارتاد
الطريق ، في أصالة وشجاعة ، وثبات وإيمان ؟

فتمى عثمانه

يطيب لكاتب هذه السطور أن يحى
صاحب « الرسالة » ، بتقدير الدولة ، بعد أن
انعقد على جبينه تقدير الجماهير طوال السنين .
زادها الله طولا ، وزاد في عمر صاحبها بركة
وفي جهوده توفيقا .

لقد كان الزيات خير رائد لمدرسة تحمل
عنوان « الرسالة » ... فلا يقوى على أعباء
« الرسالة » ، إلا ذوو الجذ وأولو العزم ، ولقد
كان الزيات جادا في تكوينه لنفسه ، جادا
في كفاحه ، جادا في أدبه ، يحترم عقول قرائه ،
ويعحص الفكرة كما يتخير اللفظ والأسلوب .

وصاحب « الرسالة » ، كاتب هادف قبل أن
يشفق المشفقون : هل الفن للفن أو الفن
للحياة ، وهو مؤمن فنان ، يعرف أن الغيرة
والحماس لا يغنيان عن الجمال : جمال الفكرة
وجمال العبارة على حد سواء .

إن تلاميذ مدرسة « القرآن » ، قد عرفوا من
زمن كيف يعبر عن مطالب الحياة بروائع

عبد العلم :

شهدت القاهرة في اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر ، والثامن عشر من شهر رجب حفلها السنوي الكبير في تكريم العلماء والناخبين في مختلف ألوان العلوم والفنون والآداب ، ووقف السيد / الأستاذ أحمد حسن الزيات فألقى أمام السيد / الرئيس جمال عبد الناصر كلمة شكر باسم جميع الفائزين بالجوائز التقديرية والتشجيعية ، وضمنها الإشارة إلى ما اتسم به هذا العهد من نهوض في جميع مرافق الحياة وظهور الشعب بمظهره القيادي الاشتراكي فيه . وكان من أبلغ ما رد به الرئيس على ذلك وعلى تحيات الحاضرين أن أعلن أنه هو الآخر ينال جائزة في كل اجتماع تقدم فيه الجوائز ، هذه الجائزة هي الاطمئنان على مستقبل الجمهورية العربية المتحدة والأمة العربية بصفة عامة . ويرى القراء في غير هذا المكان كلمة الأستاذ أحمد حسن الزيات .

فرعون موسى :

السيد الأستاذ ورئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء السلام عليكم وبعد : فقد جاء في أهرام الجمعة ١٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٢ م في ص ٦ باب حقائق أن فرعون مصر الذي طرد بني

إسرائيل من بلاده لم يعرف وإن كان الاعتقاد السائد أنه رمسيس الثاني . .

ولا خلاف في أن فرعون مصر هو مرنفتاح المشتهر باسم مرنفتاح وهو ابن رمسيس الثاني وخليفته . ويوجد في دار الآثار المصرية لوح كبير من الحجر الأسود عليه قصة خروج بني إسرائيل في عهد مرنفتاح . والذي جعل الأستاذ برستد وهو من أعظم العلماء في تاريخ مصر القديم يتشكك في اسم فرعون موسى أن جثته وجدت ، وقد قال في تاريخه إن وجود جثة مرنفتاح يجعلنا نتشكك في المعلومات التي تقول إنه فرعون موسى لأن فرعون موسى غرق في البحر الأحمر بنص التوراة . . هذا ما قاله برستد . وأقول إن القرآن الكريم نص على إخراج جثة فرعون ليكون آية لمن خلفه . فوجود جثة مرنفتاح تأييد للقرآن الكريم إذا أضيف إليه النص التاريخي الهيروغليفي الذي في دار الآثار أصبح الشك في حقيقة فرعون موسى أمراً لا اعتبار له .

ومما يلاحظ أن جثة هذا الفرعون هي الوحيدة التي انفردت بين جثث الفراعنة المحفوظة في دار الآثار بأنها تكسو بعض أجزائها طبقة من الملح . ومن العجيب أن أحد المؤرخين المعاصرين قال : إن وجود هذه الطبقة الملحية يدل على أن مرنفتاح كان مصاباً بالأملاح التي تسبب بعض الأمراض ومنها

المنحدرة يستغل هذه الطاقة الاستغلال السيئ، فيملأ فراغ المراهق بالأفكار الملوثة ويسكب في غريزته الظالمية ما يزيده للانحراف ظمناً، ويوجه طاقته أسوأ توجيه ونحن - كآباء محافظين، إذا تحدثنا بين أسرتنا - نحرص على أن نترك من الحديث ما لا يصح أن يطرق أسماع أبنائنا وبناتنا، ونلقي على الآباء والأمهات، والمربين والمربيات، تبعة كبرى، في توجيه الجيل الناشئ التوجيه الصحيح، وإحاطته بإطار قوى نفيس من الرعاية، يصون صورته وجوهره من التشويه، والتلوث، والتمزق! فما بالناس نبيح كل حديث، ونذع من شاء يكتب ما شاء لمن يشاء، وينفث في وعى الناشئين والناشئات سموماً من القصة المبتذلة المترجمة!

أليس من واجبنا أن نمنع الفساد والانحلال؟ ومن حق النشء على الدولة أن تحميه، وتقيه الإهمال الأدبي والجسماني والروحي.

إن المداد الذي يسود به الكاتب الكتب والصحف إنما هو دواء شاف، أو سم زعاف، وإن السم الذي يدسه بعض محترفي الأدب فيما يسمى القصص الواقعي هو - كما قلت - أشد السموم خطراً وقتكاً.

وتاجر القصة المنحدرة مثله كمثل بائع

الرومازم - ولست أدري لماذا لم يفتن هذا المؤرخ إلى أن وجود هذه الأملاح نشأ عن أن جثة فرعون التي تشبعت بماء البحر المالح ثم بعد العثور عليها وضع في مواد التحنيط وأهمها النطرون - ومعلوم كيميائياً أن عنصر الصوديوم من مركبات ملح الطعام وهو أيضاً في النطرون - فلما وضعت الجثة المشبعة بماء يملح الطعام في النطرون (وكلاهما قلوئى) - طرد أحدهما الآخر فظهر على الجثة فانفردت بهذه الظاهرة دون باقى جثث الفراعنة .

وهذا شاهد مادي على صدق القرآن الكريم يدحض آراء الذين يتشككون في القرآن الكريم وفي وجود الله سبحانه وتعالى من شيوعيين وملاحدة .

عبد السلام النجار

دونس - بحيرة

المهمومات ممنوعه والقصص الفائرة مباحة :

الحشيش والافيون ممنوعان بحكم القانون، ومنعهما يقلل من ضررهما، ويحد من تفاقم خطرهما، وإذا كان الاتجار بهما أو بأحدهما يؤدي إلى السجن، وتناولهما أو أحدهما يؤدي إليه أيضاً، وكثيراً ما يؤدي إلى الموت؛ فإن القصة المنحدرة قتل معنوي للشباب، وهدم لل مجتمع الذي نعمل لبنائه . والشباب طاقة مستعدة لأي نشاط : صالح، أو غير صالح، وصاحب القصة

وتستسهله ، وتمضى فيه ، ولاسيا إذا وجدت
تفاضيا وتهاونا ، بل تشجيعا ورعاية ،
على عكس البانية التي تتجه دائما نحو الصعود ،
وتجد في الصعود لذة ، وإن كان شاقا ،
والمشقة حلوة من أجل المجد ، وإعلاء البناء .

ومن صميم الواقع قصص : مجنون ليلى ،
وعنتر بن شداد ، وغالد بن الوليد وغيرها
وكم في الواقع من مثل عليا فلم لا يطلقون
كلية الواقع إلا على الانحدار ، وما لم
يدافعون عنه بأنه الشيء الذي لا يمكن
تجاهله ، أو التخلص منه .

إن في الرجال من صنعوا المجد ، وأتوا
من الواقع ما كان أحلاما ، وحققوا من
الآماني ما كان في حكم المحال .

وإن في النساء من بلغن مكانا رفيعا من
التضحية ، والرضا بالحرمان في ظل الحب
النظيف ، بل منهن المحاربات اللاتي شاركن
الأبطال في ميادين القتال .

إن العزم والقوة والإقدام في الرجل
العربي صفات جديرة بأن يكون مادة فنية
للقصة الرفيعة التي نوجه بها إلى المجد وإلى القوة .
وإن الحياء والخفر والصبر والتضحية
صفات متوافرة في المرأة العربية ، توافرا
أكثر مما عندها من الصفات المضادة ، فلماذا
لا نعرض صورا من الواقع في مثله العليا .

حامد بمر

الحلوى المتجول ، الذي لا يحصل على الربح
إلا من أيدي ضحايا أبرياء ، في الحارات
والأزقة ، لا يفتحون عيونهم ليروا الآتربة
والذباب ، عند ما يفتحون أفواههم لالتهام
الحلوى المكشوفة الملوثة .

وتاجر القصة المنحدرة يغافل القانون ،
وهو واثق بأنه لن يعجز عن إثارة قارئه
السطحي ، والانحدار به ، متملقا غريزته
تملقا مكشوبا ، لأنه لا يملك وسيلة يستميله
ويجذبه بها سوى تلك الوسيلة ؛ وغايته أن
يضمف الجنس أن أمام الغريزة الهائجة ، وأن
تهون في تقديرهما كل القيم .

إن الخشيش والأفيون يقتلان البشر ،
ولكن تشديد العقوبة على تناولهما ، والاتجار
بهما يقلل من ضررهما ، ويبقى الناس شرهما ،
وأما السلاح الذي يدمر ويفتك ، ولا يرد
خطره ، لأننا لا نخرمه ، فهو تلك السموم
التي تدخل بيوتنا في قصص وروايات ،
فيقرأها أبنائنا وبناتنا على أنها أدب ، وتدخل
السينما صورا متبرجة عارية ، فيشاهدها أبنائنا
وبناتنا على أنها ترفيه وتسلية ، وهي الوباء الذي
تصعب الوقاية منه ، والذي يسحق قوانا المعنوية
سحقا ، ويهدم كيانتنا من حيث لا ندرى .

وقد يقول المحترف الهابط ، أو من يدافع
عنه : هذا هو الأدب الواقعي ، وأقول
إن الطاقة الهادمة تتجه إلى الانحطاط ،

مع بعض:

إن المراقب لما تفسره صحافتنا خلال السنوات القليلة الماضية يلحظ زيادة مطردة في نشر الأدب الخليع، والأخبار المشيرة للفرار البهيمية. والصور شبه العارية، الجارحة للشعور السليم واللفظة السليمة. ويشترك في هذا صحفنا ومجلاتنا بدون استثناء وإن كان هناك اختلاف في الدرجة فماذا ترى الصحافة من وراء ذلك؟ وماذا يريد الصحفيون بمثل هذه التفاهات التي لا تربي نشأ ولا تصلح جيلاً؟

وفي الواقع إذا نظرنا إلى الصحافة الغربية التي تعتبر بالنسبة لأمثال هؤلاء الصحفيين بمثابة مصدر الإلهام، وجدناها تختلف اختلافاً جوهرياً عن النمط الذي تسير عليه صحافتنا. فإنه مع التسليم بأن هناك صحفاً ومجلات متخصصة في نشر مثل هذا الأدب وأشد منه إلا أن الصحف والمجلات المعتادة لا تتدهور إلى هذا المستوى حتى لا تؤذي بصير القارئ العادي ولا تدفعه من طرف خفي نحو الرزية ومن هذا نستشف أن التليذ قد فاق أستاذة ولكن في الطريق السقيم ذي العواقب الوخيمة. ومن المسلم به أننا لو كنا نتبع أحكام ديننا الحنيف لكنا نرى مثل هذه الأشياء، وما كان هناك حاجة لكتابة هذه السطور. ولكن مثل هذا الأدب الماجن ترفضه كل

نفس إنسانية تبغى رقي الإنسانية والإنسان. ويأباه كل خلق قويم. ولما كنا بصدد مرحلة تكوين نشأ جديد وشباب قوى لكي يحمل أعباء المستقبل فإن مثل هذه الصحافة لا يمكن أن تؤدي إلا إلى هدم ما يبني وإفساد كل ما ينشأ.

محمد سلطان أبو هلي

جامعة هارفارد

«المجلة»، نشرنا هذه الرسالة لأنها تحمل إلينا من بعيد عاطفة قلب مسلم يحرص على مصلحة إخوانه ومواطنيه.

ويعيننا أن الصحافة وقد آلت بالتأميم إلى يد الأمة المؤمنة المتدينة ستتجه الاتجاه الذي يرضى عنه الكاتب وترضى عنه الأمة.

سافر إلى بيروت عبر البحر:

تحت هذا العنوان قرأت كلمة الأستاذ علي برهان خلص منها إلى جواز كلمة «عبر» مضافة إلى شيء آخر كالبحر مثلاً. كما يكتبه كثير من رجال العصر نثرًا وشعرًا. محتجا على صحة هذا الاستعمال بقول الشاعر سواد بن قارب في وصف ناقته:

فشمزت عن ساق الإزار ووسطت

في الذعبل الوجناء عبر السباب، وأقول للأستاذ الفاضل: إن «عبر» هنا ليست مما نحن فيه، وإنما هي وصف

وفضيلته من كتاب المجلة ومن عمدها إحدى كليات الجامعة الأزهرية ، ولهذا لم يكن بد من نشر المقال وإلقاء تبعة كلامه عليه دون غيره . .

ومعنى هذا الكلام كما فهمت شخصياً أن المدنى ينشر مقالاته باعتباره عميداً لسلكية الشريعة فحسب ١١ وذلك خطأ واضح لأن الأستاذ المدنى كاتب إسلامي مرموق تحتمل مقالاته كبريات الصحف العلمية والأدبية قبل أن يلى المادة بأكثر من ثلاثين عاما ؛ ١ ومجلة الأزهر ومن قبلها مجلة الرسالة لم تكن لتجمل من المنصب الرسمي سبيلا للنشر والديوع ، ولا ندرى كيف تورط الأستاذ عبد الرحيم فودة في ذلك ، وهو بمن يعرفون أقدار الناس . إن للأستاذ فودة أن ينقد رأى ، ولكن ليس أن يقول ما ينكره العيان .

(أبو حسام)

التعليق :

ليست مكانة فضيلة الأستاذ المدنى موضع الخلاف فيما كتبت وإنما الخلاف في نسبة المثالية إلى قول الله د وقه المثل الأعلى . .

عبر الرحيم فودة

للناقة ؛ جاء في القاموس وغيره : ناقة عبر أسفار - مثلثة العين - أى قوية تشق ما مرت به ، وكذلك يوصف بها الرجل والجماعة ؛ تقول : رجل عبر أسفار ، ورجال عبر أسفار ، ومعنى البيت : ناقة قوية على شق الصحارى . وأما « عبر » المقصودة فهي بفتح العين وكسرهما - والكسر أفصح - ومعناها شاطئ الوادى وناحيته ، تقول مثلاً عبرت الوادى أو النهر : قطعت من عبره إلى عبره ، يقول المتنبي في مدح سيف الدولة

فأبصرت بدرا لا يرى البدر مثله

وغاطبت بحرا لا يرى العبر عاتمة

أى من عام فيه لا يرى شاطئه ، وإذن يكون معنى قولهم : سافر إلى بيروت عبر البحر ، يساوى قولهم : سافر إلى بيروت شاطئ البحر ، والخطأ فيه بين مالم يحمل على وجهه ولست أرى له وجهها .

على الجندى

المعاقبة :

جاء بالعدد الأخير من مجلة الأزهر تحت هذا العنوان ما يلى :

د يرى القراء في هذا العدد مقالا عن المثالية في نظر الإسلام لفضيلة الأستاذ محمد المدنى ،

باب الفتاوى :

مِنْ أَضَائِرِ الْجَنَّةِ الْفَتَوَى

ابراهيم محمد الأحصيل

بُسر عليه :

السؤال :

بكتابة خطاب يخبرها فيه بطلاقها من والدي؛
فانفصلا على أثر ذلك بضعة شهور . ولكن
عاودهما الحنين واكتشفا أنهما لا يستطيعان
الفراق ؛ فزوجا على الطريقة الأوربية ،
وأنت زوجة أُنَى في ظل هذا الزواج
بطفل ، وانتابت أُنَى بعد ذلك حالة من
تأنيب الضمير ، وصادف أن أدركته بعض
الحسائر في عمله فعزا ذلك إلى غضب الله عليه
لما صدر منه ، ولهذا يريد البعد عنها ولا يدرى
ماذا يفعل ، وشفقة بحاله رأيت الكتابة
إليك والاستفسار .

س - ح بأمریکا

[تاريخ ورود الخطاب ٨ أكتوبر ١٩٤٨]

الجواب

اطلعت اللجنة على كتاب س - ح المرسل
من أمريكا إلى صاحب الفضيلة الأستاذ
الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، والمحول إليها
من فضيلته ونقيده : بأنه قد ذهب بعض
الصحابة وكثير من التابعين إلى أنه لا يقع

أنا مصرية مسلمة أعيش في أمريكا ،
ولا يوجد حولي من يرشدني إلى حل لمشكلة
دينية اعترت والدي ، وألخصها في الآتي :
في سنة ١٩٣١ تزوج أبي من سيدة فرنسية ،
بعد أن أسلمت وكانت مسيحية ، وقد حسن
إسلامها ؛ فأدت الصلوات ، وصامت رمضان ،
ورزقهما الله بابنة عمرها الآن ثمانى سنوات .
وقد حدث بعد هذه المدة أن اختلف والدي
مع زوجته ، خلف يمين طلاق وكرره ثلاث
مرات في وقت واحد . وبعد أن
هدأت ثورته أقسمها أنها لا تجوز له إلا إذا
تزوجت من شخص آخر؛ فرفضت أن تتزوج
من آخر ثم تعود لوالدي ، فتخالطها غلاطة
الأزواج مرة ثانية ، وتناسيا موضوع
الطلاق ، ولكن دهمت والدي الوسوس
من جراء هذا الأمر ؛ فذهب إلى القنصل
المصري وشرح له الموقف ؛ فقام القنصل

وظاهر أنه لم ينشئ طلاقاً جديداً أمام السيد القنصل ، غير الذي وقع أولاً على أنه لو فرض أنه أنشأ طلاقاً آخر أمام السيد القنصل كان له أن يراجعها ؛ لأن له عليها طلاقه ثالثة ، ولا تأثير للخطاب الذي أرسل إليها من القنصلية في شيء من هذه الأحكام .

السؤال

١ — المفارسة جارية بين الناس على ما في مذهب السادة المالكية من جميع الوجوه غير أنه حدث في هذا الزمان شجر الخروج الذي في الغالب ما ينبت من غير قصد، ولا يذكر في عقد المفارسة ، فهل يعطى منه لرب الأرض ما يعطى له من الأشجار التي يطول مكثها في الأرض أم لا ؟ مع أن عقد المفارسة في الزيتون أو النخيل وإذا غرس الخروج فإنما يغرس لوقاية الأرض من الرمل أو الرياح ومكثه في الأرض لا يتجاوز ستة أعوام تقريباً فما حكمه ؟ .

٢ — يحدث أن يموت أبو المرأة فلا تطلب ميراثها حتى إذا ماتت قام بنوها بطلبه فيمنعون منه بحجة أن حيازة ميراث الأم تجاوزت الخمسين سنة فهل يسقط الميراث لمدة الحوز المذكور أم لا ؟ وهل مدة الحوز التي يسقط بها الميراث متفق عليها في المذهب أم لا ؟ .

صالح قجاج صبراته - طرابلس

بهذه الصيغة وإن تكررت في وقت واحد إلا طلاقاً واحدة رجعية ، وقد أفق بهذا بعض مشايخ قرطبة واختاره غير واحد من مشايخ الإسلام كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وقال الشوكاني في نيل الأوطار : إنه الحق ؛ استدلالاً بما ذكره من الأحاديث ، وهذا الرأي يتفق مع حكمة مشروعية تفريق الطلاق ثلاث مرات ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يشرع تفريقه إلا ليتدارك المطلق الأمر بصد الطلاق الأولى أو الثانية ، ويتدبر . فإذا تبين له أن المصلحة في الطلاق سرح الزوجة بإحسان ، وإن تبين له أن الخسار في بقاء الزوجة أمسكها بالرجعة ، وهذه الحكمة لا تتحقق في إيقاع الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد . ولا بتكرره ثلاثاً في مجلس واحد وقد جرى القضاء من قبل سنة ١٩٣٠ على أن الطلاق المقترب بعدد الثلاث يقع واحدة بعد أن كان العمل من قبل على وقوعه ثلاثاً ؛ وبما ذكرنا يتبين أنه لم يقع على والد السائلة إلا طلاقاً واحدة رجعية ، وبما أنه قد اتصل بزوجته قبل أن تنقضي عدتها كما هو الظاهر من السؤال فقد حصلت المراجعة بهذا الاتصال ؛ لأن الرجعة تحصل شرعاً بالقول : كأن يقول الرجل لزوجته : (راجعتك أو رددتك لعصمتي) ، وتحصل أيضاً بالفعل ولو بمقدماته كاللص بشهوة .

الجواب :

نجيب عن الاول بأن شجر الخروع الذى وجد فى الأرض التى وقع العقد على غرس نوع من الشجر فيها (النخل والزيتون) .

هذا الشجر إن كان بالأرض قبل عقد المغارسة فهو لرب الأرض خاصة ، وإن وجد بعد عقد المغارسة فهو مشترك بين رب الأرض والعامل على حسب شرطهما من مناصفة أو مثالثة أو غيرهما ، سواء أنبتته العامل أو نبت بنفسه .

وعن الثانى بأنه إذا كانت العادة جارية بأن المرأة لا تطلب من إخوتها ميراثها من أبيها خوفا منهم أن يقاطعوها أو لا يناصروها إذا وقع الخلاف بينها وبين زوجها كما هو المعروف فى بعض الجهات فسكوتها المدة الطويلة عن المطالبة مع حوز إخوتها لمقدار ميراثها لا يسقط حقها مهما طالت مدة السكوت والحيازة ، ولورثتها من بعد وفاتها أن يطالبوا بهذا الحق .

السؤال :

هل هناك ما يمنع من تفسير القرآن تفسيراً جديداً يشتمل على أحدث العلوم والنظريات ويخلو من الإسرائيليات ... إلخ

محمود رحباني - بيروت

الجواب :

تفسير القرآن الكريم تفسيراً يشتمل على أحدث النظريات والعلوم يؤدي إلى حمل النص القرآنى على ما لم يقصد منه أولاً وبالذات . والقرآن لم تقف نصوصه العلمية العامة عند حد معين ، بل هو لا يتعارض مع الواقع الذى يأتى به العلم ويثبت من نظريات ومعلومات تتفق مع عقيدة الإيمان وأحكام الدين الثابتة ، ويشهد لذلك ما بدا فى المجال العلمى حديثاً من اكتشافات لم تكن قد ظهرت للناس من قبل .

وأما ما نوه عنه السائل من وجود قصص إسرائيلية فى تفسير بعض الآيات ، فذلك صحيح إلى حد ما ، غير أن الوهى العلمى الدينى لم يترك هذا بل قد بينه أتم بيان على يد المحققين من متقدمين ومتأخرين .

السؤال :

تقدم السيد / عبد العزيز البليدى الخطاط بتفتيش قناطر الدلتا بطلب للوزارة أشار فيه إلى أنه قد قرب على الانتهاء من كتابة المصحف بطريقة مبسطة تعطى للقارى نطقاً صحيحاً للكلمة وهى طريقة الإملاء الحديثة ويقترح كتابة المصحف بهذه الطريقة ويلتمس النظر فى الموافقة على تداوله ونشره بهذه الصورة ليستفيد منه الجمهور .

مصاحف عثمان التي كتبت في عهده على حسب ما نزل به جبريل من عند الله وأقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه .

ورسمه كتاب الوحي حين نزوله ، ثم أمر عثمان بتوزيع تلك المصاحف على الأمصار وتحريق ما سواها مما كان مكتوباً عند بعض المسلمين صيانة لوحدة الأمة ومحافظة على سلامتها من التفسك والضعف بسبب الاختلاف في المصاحف .

فإذا نحن الآن أجزنا كتابة المصحف بغير الرسم العثماني فإنما نفتح باب الفتنة ونكون قد ساعدنا أعداء القرآن على النفوذ إلى قداسته يغيرون ويبدلون حسب ما يريدون وفي ظل قواعد الإملاء الحديثة .

هذا — ولسنا مهما بلغت فينا الغيرة على كتاب الله والحرص على تيسيره وحفظه بأكثر في ذلك من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقد أقرأوا مصاحف عثمان ، وأقرأوا عثمان على أمره بتحريق ما عداها من المصاحف تحقيقاً لوعده الله تعالى المؤكد بحفظه في قوله سبحانه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وإن محاولة التغيير فيما أجمع عليه الصحابة تعتبر تشكيكاً فيما أثبتوه من علم وقصد وحيطة في جانب القرآن الكريم ، وذلك أمر خطير يجر علينا وبالاعظيما لانستطيع رده إذ هو ماس بأصل الدين ومصدر التشريع الإسلامي

وقد روى الرجوع إلى الأزهر في ذلك للاختصاص ، فارجو إبداء الرأي .
وكيل وزاوة الأوقاف المساعد

الجواب :

كان القرآن يكتب عقب نزوله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبأملاته على كتاب الوحي ، ثم جمع في المصحف على عهد أبي بكر ثم في المصاحف على عهد عثمان ولم تكتب المصاحف في عهد عثمان لتقرأ برواية واحدة وإنما كتبت لتقرأ بمختلف الروايات المشهورة ، والرسم الذي يتحمل ذلك إنما هو الرسم العثماني في جميعها .

وقد اختص القرآن بكلمات يتلفظ بها لا على نظام كلام الناس ، من ذلك أوائل السور - ألم - كيمص - حم - عسق . الخ . كذلك اختص بكلمات ترسم لا على نظام رسم كلام الناس : من ذلك زيادة الواو في : سأوريكم آياتي - والياء بأييد - والالف في لا أذبحنه - وكتابة الصلوة - والزكاة - والربو - بالواو مع نطقها بالالف ، وكذلك كتابة « والضحي » ، « وسبحي » بالياء مع أن أصلهما الواو كاهلوة والزكاة ، وفتح تاء التائيت في مواضع مع ربطها في أخرى إلى غير ذلك مما هو كثير في القرآن وتكملت ببيانها كتب الرسم الخاصة بالمصحف .

وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على

ولا ينهض مبرراً للتغيير في الحروف بالزيادة أو النقص أو التغيير في الرسم .

فالمسلمون من لدن الصحابة والتابعين إلى اليوم على الإبقاء على هذه الحروف كما وردت جيلاً عن جيل وطبقة عن طبقة على نحو ما قررنا . وخلاصة ما سلف أن الخروج على ما توارثناه في شأن المصحف خروج على ما أجمعت عليه الأمة في أمر كتابها (القرآن الكريم) وهو غير جائز .

السؤال :

- ١ - هل يجوز ذبح الحيوان أو الطير في أى مكان من جسمه متى أدى ذلك إلى سيلان دمه .
 - ٢ - هل يجوز في الذبح استعمال الآلات الحديثة كلما كينات أو غيرها من الوسائل المستعملة في بعض الجهات .
- الدكتور فضل الرحمن
رئيس المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية
بالباكستان

الجواب :

نفيد عن الأول : بأن الذبح الشرعى مكاناً معيناً من الحيوان أو الطير لا يجوز تعديده إلى أى مكان آخر ، وإن سال الدم من ذلك المكان . الآخر وذلك المكان المعين للذبح شرعاً هو الحلق واللبة - الوهدة - وهى ما بين الصدر والعنق ، لإجماع الأمة على ذلك ، ولما روى

الذى هو القرآن وذلك مالا يستسيغه مسلم على الإطلاق .

فالواجب على المسلمين إزاء ذلك أن يحافظوا على المصحف الإمام - مصحف عثمان - فلا يخالقوا رسمه بتغيير شيء من حروفه متابعة للصحابة رضوان الله عليهم في سد باب الفتنة أن تنفك سمومها في صفوف المسلمين بسبب ذلك .

وإن تذر بعض العلماء لدفع الحيرة عن القارىء كأن يهدف إلى محاولة الاستغناء عن الموقف - المعلم - بمجرد القراءة في المصحف .

فالقرآن شأنه خطير لا بد فيه من الموقف - المعلم - ثقة عن ثقة يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - ليتصل السند الذى هو من خصوصيات هذه الأمة وليستطيع القارىء أن يعطى الحروف حقها من الإظهار والإدغام والإخفاء ونحو ذلك من الأحكام المبينة في علم التجويد .

وحيث كان لابد من الموقف سواء أكتب المصحف بخط الإملاء الحديث - على فرض ذلك أم بخط المصحف الإمام ، فالإبقاء على الرسم العثمانى أحرى وأولى أن يتمسك به . وإن تعلق شخص بما حدث في المصحف من نقط وشكل وتعشير وتخمين وغير ذلك فإن هذا ليس تغييراً في رسم المصحف ،

بعشرين درهما ، فأخذ ابن عمر عشر هذا البعير بدرهمين ، فدل على أن ذبح غير المقدور عليه يحصل بعقره في أى مكان في جسمه .

ونفيد عن الثانى - بأنه لا مانع شرعا من استعمال الآلات الحديثة في الذبح من الماكينات وغيرها متى كانت محددة مسيلة للدم كالسكين ونحوه ، ولم يكن إزهاق الروح بها بمنق أو نحوه واستعملها من تحمل ذبيحته من مسلم أو كتابى ؛ لما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم « وما أنهر - أسال - الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر » . فكل يحد أسال الدم من مسكين أو حجير أو خشب أو ليطه - قشرة القصب - داخل في هموم الحديث بل إذا كانت الآلات الحديثة أحد وأسرع في الذبح كانت أولى بالاستعمال لأنه من باب الإحسان والرفق بالحيوان قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتله ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » . وقوله في الحديث ، وذكر اسم الله عليه ، محمول على الندب عند الشافعية وليس شرطا إجماعيا في حل الذبيحة ، بل المراد ألا يذكر اسم غير الله تعالى فإن ذكر عليه غير الله تعالى كان حراما لقوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » .

عن قوله صلى الله عليه وسلم « الذكاة في حلق اللبة » ، وأيضا هو يجمع العروق ، فالذبح فيه أيسر على الحيوان وأسهل في خروج روحه وأكثر خرجا للدم ، فيكون أطيب للحم الحيوان ، وهو الغرض المقصود من الذبح . نعم - غير المقدور على ذبحه في ذلك المكان كبعير ند ، أو حيوان سقط في بئر مثلا فيجوز ذبحه بعقره عقرا مرهقا للروح في أى مكان من جسمه ، بحيث يكون من شأن العقر فيه خروج الدم وزهوق الروح بسبب ذلك العقر وحده ، فلا يكفي العقر في نحو الحافر والذيل والقرن ، ولا من كون رأسه في الماء مثلا بحيث لو ترك لمات وذلك لما روى رافع بن خديج قال : « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فقد - شرد - بعير وكان في القوم خيل يسيرة فطلبوه فأعياهم فأهوى إليه رجل بسهم فبسه الله - قتل - فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فسا غلبكم منها فاصنعوا به هكذا متفق عليه » . ولما جاء أنه حرب - هاج - ثور في بعض دور الأنصار فضربه رجل بالسيف وذكر اسم الله ، فسئل عنه على رضى الله عنه فقال : « ذكاة وحية » - سريعة - وأمرهم بأكله - وجه الدلالة : أنه لم يتحرم مكان الذبح ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة وأنه تردى - سقط - بعير في بئر فذكى من قبل شاكلته - خاصرته - فبيع

بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق

عبد الرقيب فوره

هذا القرآن وذلك الكتاب

لو كان هذا القرآن كلام محمد - عليه السلام -
لكان خليقا بأن يختلف له كل عربي
من كل مذهب ودين ، لأنه كان ولا يزال
الكتاب الذي لا يضاهيه أو يدانيه كتاب
آخر لعالم أو باحث أو مصلح ؛ ولأن العرب
رأوا على هداه لأول مرة طريقهم إلى القوة
والعزة والحضارة ، وصاروا بفضلها في فترة
لا يحسب لها حساب في عمر الأمم أقوى أمة .
وأعز أمة . وأجود أمة . وأسعد أمة .

بل لو كان هذا القرآن كلام محمد لكان خليقا
بأن يختلف له كل إنسان من كل جنس ولون
ودين ، لأنه كان ولا يزال الكتاب الذي
لا يضاهيه أو يدانيه كتاب آخر في توحي
الخير العام للناس جميعا ، وفي إقامة صرح
الاستقرار والسلام على قواعد العدل والإخاء
والتعاون على البر والتقوى . يا أيها الذين
آمَنُوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ،

د ولا يجر منكم شأن قوم على أ دلووا
اعدلوا هو أقرب للتقوى ، ، د لا يهاكم الله
عن الذين لم يقانلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبرؤم وتسخطوا إليهم إن الله
يحب المقسطين ، ، د يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ، ، د لا إكراه في الدين قد تبين
الرشد من الغي ، إلى آخر ما تفيض به آيات
القرآن وعظاته من معان سامية . وعبادى
عالية . لو أخذ الناس بها أنفسهم واسترشدوا
بها في سلوكهم . لكان لهم منها نظام يجمعهم
على السلام والوئام ، والتعاون القام
على الصالح العام .

لو كان هذا القرآن كلام محمد لكان هذا
موضعه وموقعه من نفوس الناس جميعا
فكيف به وهو كلام الله الذي كان ، وما يزال ،
وسيفضل المعجزة الخالدة للناس جميعا ، والذي
حمله ونقله إلى الناس جميعا . كيف به وهو الذي
بقى يتصدى ويتحدى الإنس والجن أن يأورا
بمثله متظاهرين متآزرين د قل لئن اجتمعت

الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لاباتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .
لقد بقي هذا القرآن على ضعف صلة المسلمين
بمعانيه وبموامل القوة فيه محفوظا في الصدور
والسطور . لم ينله تحوير أو تغيير ، وبقيت
لغته هي اللغة التي امتلات بها آذان الغابرين
من آبائنا العرب ، وكتابته هي الكتابة
التي امتلات برسومها أعينهم ، وكان ذلك
تصديقا لأخباره بالغيب في قوله تعالى
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ،
بل كان تطبيقا لتسميته قرآنا وكتابا في قوله
تعالى « إن هذا القرآن يهدي للذي هي أقوم » ،
وقوله « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للبنين » .

يقول المغفور له فضيلة الدكتور محمد
هداية دراز في كتابه النبأ العظيم : وفي تسميته
بهذين الاسمين (قرآن وكتاب) إشارة
إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين .
لا في موضع واحد ، أعنى أنه يجب حفظه
في الصدور والسطور جميعا ، أن تضل إحداهما
فتذكر إحدهما الأخرى ، فلا ثقة لنا بحفظ
حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب
المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التي
وضع عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة
كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد
الصحيح المتواتر ، وهذه العناية المزدوجة

من جريدة الشعب

تنقح

لعله لم يكن يدور بخلد فضيلته رحمه الله
أن القرآن سيسجل على « أسطوانات » ،
« وأشرطة » ، فقد تيسر بذلك سبب ثالث
من أسباب حفظه لإنجاز الوعد الله إذ يقول
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

جبل الله :

قال صلى الله عليه وسلم : « القرآن جبل الله
المتين ، لا تنقض عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة
الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ،
ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم » .
من تفسير الكشاف

كن رجلاً ..

وكن رجلاً كالضرس يرسو مكانه
ليطعن . لا يعنيه حلو ولا مر
ولا توقع أى جنبيك واقع
إذا طبقت يوماً حوادثها النكر
ولكن تلق الدهر غير مفزع
بصدرك ولنحر الخطوب كما تعرفو

الرافعى

من كتاب المساكين

المؤمن القوي :

.. علينا إذا أردنا أن نأخذ مكاننا من جديد
في قيادة الإنسانية أن نعتقد - اعتقاداً حقيقياً
يظهر أثره في كل ما نقول أو نفعل - ما يراه
شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال من أن المسلم
لم يخلق ليندفع مع التيار ، ويساير الركب
البشرى حيث اتجه وسار ، بل خلق ليواجه
العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية
اتجاهه ، ويمثل عليها إرادته ، لأنه صاحب
الرسالة . وصاحب العلم اليقين ، ولأنه المستول

عن العالم وسيره واتجاهه ، فليس مقامه مقام
التقليد والانبات ، إن مقامه مقام الإمامة
والقيادة ، ومقام الإرشاد والتوجيه . ومقام
الأمرو للنهي ، وإذا تنكر له الزمان . وعصاه
المجتمع وانحرف عن الجادة . لم يكن له
أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ويسلم
الدهر ، بل عليه أن يشور عليه وينازله ،
ويظل في صراع معه وعراك ، حتى يقضى الله
في أمره ، إن الخضوع والاستكانة للأحوال
القاسرة والأرضاع القاهرة . والاعتذار
بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام ،
أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب ،
وقدره الذى لا يرد ..

من مقدمة الكتاب

« ماذا خسر العالم باخطاط المسلمين »

لأبي الحسن الندوى

مسلم ..

أسرت قريش مسلماً في غزوة
ففضى بلا وجل إلى السياف
سألوه هل يرضيك أنك سالم
ولك النبي فدى من الإجحاف
فأجاب . كلا : لاسليت من الردى
ويصاب أنف محمد برطاف
محمود غنيم
من مجلة الرسالة

الإدعة

لا يكن أحدكم إمعة : يقول أنا مع الناس .
إن أحسن الناس أحسنهم وإن أساءوا أسأت
ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس
أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا
إساءتهم :

حديث شريف

من كتاب المنتخب

الروح

يقول « بيكون » حين يخرج الإنسان من
الحياة البدائية التي تكون التقاليد فيها
مسيطرة على الحياة ، يجد المرء نفسه يعيش
في عالمين ، ويخضع لولاين ... فهناك العالم
المألوف الذي يعرفه عن طريق حواسه ،
وهناك عالم قريب إلى ذهنه ، ولا يعرفه إلا بعيني
عقله ، وهو - الإنسان - مشدود بين هذين
القطبين للوجود ، وهذا الصراع بينهما هو
الموضوع الخالد لأحاديث البشر .

إن الإنسان لا يستطيع أن يمنح ولاده
كله لأى من العالمين ، والتباين السائد بينهما
هو ما يصنع تماسه ، والتوافق العرضي بينهما
في حياة القديسين وأعمال الأبطال والعباقرة
هو ما يصنع أمجاد الإنسان .

لم يقل « بيكون » ما هي الروح ، ولم
يتحدث - كما يتحدث الفلاسفة - عن طبيعتها
أهى أزلية أبدية أم أبدية لا أزلية ؟ ولكنه
كشف عن جانب « علوى » فى الإنسان
يدعوه إلى التمسى والعلو على حين أن جانباً
آخر فى الإنسان يجره إلى الانحدار والإسفاف

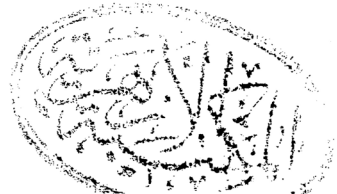
أقول إن الجانب المسمى هو الروح
أو النفس ، وأن الجانب المسف هو الجسد .
لك أن تفهم هذا ، ولكن « بيكون » يكره
أن يكون له موقف مع أشياء لا تقع تحت
الملاحظة والتجربة كالنفس والروح ونحوهما
إنه يحدثك عن شيء تستشعر وجوده فى
كيانك . يحدثك عن شيء حال مقاسم فيك .
ينزع بك إلى مستويات رفيعة من الفضائل
والأخلاق ولكنه مشدود إلى دواعي الجسد
ومطالبه ، ولك أن تفهم من هذا ما نشاء .

عبد الكريم الخطيب

من كتابه قضية الألوهية بين الفلسفة والدين

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر
ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

قرآن كريم



مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المسئول
إدارة اجتماع الأزهر
بالقاهرة

ت ١ ٤٦٤١٤

بَصْدُرُهُ عَنْ شَيْخِنَا الْأَنْزَهَرِيِّ فِي زَوْنِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

يَشْتَرِكُ فِي الصَّحَرِ
عَبَّاسُ مُحَمَّدٍ الْقَعْقَادِ
بَدَلُ الْأَشْتَرَاكِ
٤٠ في الممهورية العربية المتحدة
٥٠ غارح الممهورية
ولمده سنن الطلاب بغير نفيس

الجزء السابع — السنة الرابعة والثلاثون — رمضان سنة ١٣٨٢ هـ - فبراير ١٩٦٣ م

لِسَمَاءِ الْمَرْيَمِ

١٤
٢٤٤٤٦
دوريات



بعض الكلام في شهر الصَّيَّامِ

بمقام : أئمة حسن التَّزَيَّات

بوحداية الله وبنبوة محمد ، ولكنه لا يقيم صلاة ولا يؤتي زكاة ولا يؤدي حجة ، وقد يقيم هذه الأركان الثلاثة كلها أو بعضها رياء وسمعة ، أو اضطراراً وعادة ، ولكنه لا يصوم رمضان إلا إذا أراد مخلصاً أن يحمل صدره بالذكر ، ويظهر نفسه بالعبادة ، ويزود قلبه من مذخور الخير بما يقويه على احتمال الفتن والمحن في دنيا الآمال والآلام بقية العام كله ، وإلا كان له مندوحة عنه بإسرار الإفطار إذا لم يخش الله وخشى الناس .

قال الناس وقلنا في شهر رمضان ما هو أهله ، ولكن القول فيه مهما يكثر يقل في جانب أثره الروحي والنفسي والاجتماعي والقوى ما في ذلك شك . ولو أنك تدبرت أركان الإسلام الخمسة في طبيعتها وشريعتها لتبين لك أن الصوم أشدها اتصالاً بالله وأقواها انفعالاً بالضمير . فإذا كانت الشهادتان إسلاماً لأنهما ذكر ، والصلاة والزكاة والحج إيماناً لأنها تصديق ، فإن الصوم وحده إسلام وإيمان وتقوى ؛ ذلك لأن الرجل قد يشهد

طبعه الكشيف ، وقال إبراهيم بن أدهم :
« ان ينال الرجل درجة الصالحين حتى يفلق
عن نفسه باب الرخاء ويفتح عليها باب الشدة .
وقال يحيى بن معاذ : « الجوع للبريد
رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزاهدين سياسة ،
ولله رفين تكرمة » .

ولكن بعد المتصوفين غالوا في تعذيب
الجسم لتهديب الروح فكان منهم من لا يأكل
في أربعين يوماً إلا أكلة واحدة . وهذا أشبه
بما يفعل اليوم زهاد الهنود ، والإسلام
يسر لا عسر ، والفضيلة هي الطريق الوسط ،
وقد قال الرسول الكريم لرجل أكثر الصيام
والقيام حتى غارت عيناه : « إن هذا الدين
متين فأوغل فيه برفق . إن المنبت لا أرضا
قطع ولا ظهراً أبقى .

على أن هؤلاء القوامين الصوامين قد
انقرضوا فلم يعد يستقبل رمضان منهم أحد .
إنما يستقبله اليوم أقوام بعد عهدهم عن
الإسلام الصحيح فعادوا أشبه بذلك الأعرابي
الذي أسلم في أول الإسلام ثم قدم على ابن
عم له في بعض المدن قبل أن يذوق حلاوة
الإيمان ويستشعر لباس التقوى ويستبطن
حقيقة الدين فأدركه شهر رمضان . فقيل
له يا أبا عمرو لقد أتاك شهر رمضان . فقال
وما شهر رمضان ؟ قالوا الإمساك عن الطعام .
فقال أباليل أم بالنهار ؟ قالوا بالنهار . قال

فالتقوى إذن هي العنصر الجوهرى لعقيدة
الصوم . هي سره ورقيبه وغايته ، وذلك هو
المفهوم من قول الرسول صلوات الله عليه ،
« قال الله كل عمل لابن آدم له إلا الصيام فإنه لي
وأنا أجزي به . وهو المعلوم من قوله تعالى !
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .
والتقوى كلمة تجمع الحدود والقيود التي تضمنها
معنى الصوم . وجماعها مجاهدة النفس وخافة الله ،
وقد اجتمع في قوله تعالى : « وأما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة
هي المأوى » ، ومن مجاهدة النفس فطامها
عن اللذة واللغو ، وكفها عن الأذى واللغو ،
وفي ذلك تقوية للإرادة ؛ لأن الإرادة إنما
تقوى بريضة النفس على الحرمان المؤلم
كما يقوى الجسم بريضة البدن بالجهد العنيف ،
إن مظهر الخوف الخشوع ، وإن مظهر
المجاهدة الجوع ، وإن للجوع أثراً شديداً في تصفية
النفوس وتلطيف الطباع ؛ لأن كدر النفس
يكون في الأكثر من كدر الجسد ، فقد قالوا
إن البطنة تذهب الفطنة ، لذلك اتخذ كثير
من أئمة الدين وأقطاب التصوف الجوع سبيلاً
إلى تهديب النفس وتقوية العقل وإذكاء الروح ،
قال الإمام علي رضي الله عنه يصف العارف بالله :
« قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله
ورق غليظه ، يريد بجليله بدنه الصخيم وبغليظه

تتألق بالنور ، والمنازل تتقلب في الانس ،
والحوانيت ساهرة الليل والبيوت نائمة
النهار ؛ ولكنتك لا تجدد اليوم ما كنت
تجده بالأمس من التقوى التي تعمر القلب
والخشوع الذي يغمر المشاعر .

لا أزال أذكر رمضان القرية وأنا
في الكتاب . كان كل شيء وكل شخص فيما
لرمضان : فالنساء قبل الظهر يخزنن الفطائر
للسحور ، وقبل العصر يطهون الطعام للفظور ،
والرجال ينامون من بعد صلاة الفجر إلى
متوح الضحى ثم يمشون الهوينى بين الحقول
غاشى الأبصار والاصوات لا يزيطنون
ولا يعيطون ولا يسعى أحدهم بالأذى إلى أخيه ،
حتى إذا دنا الأصيل تجمعوا في المساجد
أو على المصاطب يستمعون في سكون إلى
موعظة أو قصة ، فإذا دخلت الشمس
في المظفل فرشوا الحصائر أمام بيوتهم
وجلسوا عليها تحت الجدران وأمامهم
الصواني موقرة بطيبات الرزق يدعون إليها
عابري السبيل وطالبي الصدقة ، ثم لا يلبث
الإخاء المحض والقراصة الواشجة أن يجعلوا
الصواني المتعددة صينية واحدة يصيب منها
من يشاء ما يشاء ، ثم تدور عليهم فناجين
القهوة كل ليلة من بيت ، فإذا فرغوا من
الطعام والشراب فضلوا أن يغسلوا أيديهم

أفيريضون بدلا من هذا الشهر ؟ قالوا لا .
قال وإن لم أصم فعلوا ماذا ؟ قالوا تضرب
وتحبس . فصام يوما ثم لم يستطع ، فتحول
عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمي وقد زرت مصرهم

تهيا أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابي ومزودي

سلام عليكم فامكثوا بسلام
وبادرت أرضا ليس فيها مسيطر

على ولا مناع أكل طعام

نعم يستقبل رمضان اليوم أكثر الناس
بعقلية هذا الأعرابي فيستقبلونه لا باعتباره
ركنا من أركان الدين يقيمه من أقامه ويهدمه
من هدمه ، ولا باعتباره طهورا للنفس
ونورا للقلب وجللاء للشاعر ، إنما يستقبلونه
باعتباره تقليداً من التقاليد الموروثة وعيدا
من الأعياد المقررة يرخون لأنفسهم فيه
الاعتنة فيفتنون في اللذة ويفدقون في اللهو ،
ويقضون الليل على الموائد والنهار على الأسرة .
وبين الإفراط في اللهو والأكل والنوم ،
تضيق حكمة الإسلام من فريضة الصوم .

إن رمضان اليوم أصبح ثلاثين عيداً
للفطر لا ثلاثين يوماً للصوم ، فهو لفظ ضاع
معناه ، واسم فقد مساه ، ورسم كحيل من
رسوم الفاطميين ، تجد فيه المسابح في أيدي
الرجال ، والمصباح في أنامل الأطفال ، والمآذن

وأفواههم بالوضوء في المسجد، ثم يبدأون ليلهم بعد صلاة العشاء والتراويح، ثم ينصرفون إلى استماع القرآن واستقبال الإخوان ومسامرة ساذجة مشتركة تجمع أفتاناً من شهى الحديث . كان في كل بيت قارىء مجود يقرأ القرآن ، وساق نشيط يوزع الحلوى ، ومتكلم لبق يروى أحاديث المدينة وأخبار (الأهرام) وحوادث القرية ، فكان الرجال بلحاهم المرسلة وعمائمهم الضخمة وزعابيطهم الفضفاضة يتنقلون من دار إلى دار ، ويتنقلون على الخشاف بالنقل والأسمار ، وقد طووا أحشاء صدورهم على مؤاخاة بعضهم لبعض في الله فلا تنافس ولا تحاسد . وكلما انقضى نهار من رمضان تغضن سرار من وجوه القوم ، حتى إذا لم يبق إلا رابعه الأخير تمثلوه محتضرا يكابد غصص الموت فندبوه في البيوت والمساجد ، ونعوه على الأسطح والمآذن ، وبكره يوم الجمعة (اليتيمة) أحربكاه . كذلك كان رمضان القرويين في زماننا الأول ، كان وحده هو الباقي لهم من غفلات العيش ولحظات السعادة ، فلما انتقلت إليهم عدوى المادية من مرضى المدينة انطفأت في قلوبهم التقوى ، وفشا في شبابهم الإفطار ، وأوشك رمضان أن يصبح غريباً في القرية كما أصبح غريباً في المدينة ، ولا يدري إلا الله ماذا تدخر مدنية المال ومادية العلم لهذه الروحية التي تتجلى في الصوم ، ول هذه الغيرية التي تتمثل في الصائم ! **أحمد من الزهات**

من كلام الزهاد

قال الحسن البصري : لا تزول قدم ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث : شبابه فيما أبلاه ، وعمره فيما أفناه ، وماله من أين كسبه ، وفيما أنفقه .
وقال أبو حازم : إن عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا ما زوى عنا .
وقال زياد ابن زياد : أنا من أن أمتنع الدماء ، أخوف من أن أمتنع الإجابة .
وقال له عمر بن عبد العزيز : يا زياد ، إنى أخاف الله بما دخلت فيه . قال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف .
وقال مالك بن دينار : لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام .
وقال يونس بن عبيد : لو أمرنا بالجزع لصبرنا .

المادية تنهدم

للاستاذ عباس محمود العقاد

في اعتقاده أن التقدم سيأتي من معالجة التفكير ، وأن مراعاة الذهن على التفكير في مصاعب الحياة هي التي يرتبط بها النماء في حجم الدماغ وفي قدرته على الفهم والإدراك ، ثم في تعوده أن يعمل بداهة واربعاً لا ما يعمل اليوم بعد التنبه والاجتهاد . وقرر هكسلي وموافقوه من العلماء والمفكرين الذين سئلوا عن مصير الإنسان أن هذه الآراء جميعاً أبعد ما تكون عن المادية ، أو عن تلك الفلسفة التي تربط مصير الإنسان بجسده ، وبالمعيشة المادية التي تعيشها الجماعة وتفرضها على عقول أفراده .

فلا عمل للمادية في توجيه مستقبل الإنسان ، وإنما هي الأفكار والعلوم مناط التقدم كله ، ومناط الاتجاه - من ثم - إلى أطوار من الرقي والنماء تعلو على أطواره اليوم

وعقب المفكرون الدينيون على هذه الآراء فوافقها الكثيرون منهم ، ولكنهم قالوا إن نجاة النوع الإنساني مما يهدده غداً

سئل رهط من علماء الغرب عن مصير الإنسان ، فقال العالم المشهور د سير جوليان هكسلي ، ماخوفاً : إن إدوار التطور الكبير قد انتهت بالنسبة إلى النوع الإنساني ، إلا ما يكون منها خاصاً بالدماغ والفكر ، فإن النوع الإنساني لا يزال قابلاً في هذه الوجهة للزيد من التقدم والنماء ، وليس المنظور أن يكون هذا التطور د عضوياً حيوياً ، في بنية الدماغ ، فإن حكم الدماغ من حيث النماء الجسدي كحكم سائر الوظائف الحيوية ... ولكن الأفكار التي تتولد من مباحث العلم والفن على الأجيال المتعاقبة تزيد محصول الإنسان من المعرفة فتزداد قدرته على التفكير الصحيح تبعاً لذلك ، ويحدث التجارب بين العارفين في البيئته الواحدة فيصحح بعضهم تفكير بعض ويأتي من تجمع الأفكار وتصحيحها ما هو منتظر للنوع الإنساني في مجموعه من تطور العقل وصحة التفكير .

والذين خالفوا السير جوليان هكسلي في تطور الدماغ من البنية الجسدية لم يخالفوه

وكل هذه الآراء من أقوال كبار المفكرين إنما تهدم المادية باسم الفكر والمعرفة وتعتمد على الفارق بين جانب الإنسان العقلي وجانبه الجسدى لترجيح القول باعتماده فى تقدمه بعد اليوم على الناحية الفكرية منه ، أو على الناحية التى تأتى من تجمع المعلومات والانتفاع بها فى حياته العلمية .

ولكن الفلسفة المادية - فيما نرى - لن تهدم من ناحية التفكير وحده ، ولا من ناحية الدماغ المفكر دون النظر إلى مادة بدنه ومادة الكائنات الطبيعية من حوله ، بل تهدم الفلسفة المادية لا محالة من كل نظرة واقعية ننظرها إلى حقيقة المادة وحقيقة تركيبها مستقلة عن الفكر ، بل عن الدماغ وهو محمول على المادة من بعض نواحيه .

إن المادة نفسها ليس لها قوام أصيل يقاس بغير مقاييس الفكر المحض ، كما تقاس الفكرة عن الروح وعن عالم التجريد والمجردات .

فقد كان العلماء وغير العلماء يقيسون المادة بالشبر أو بالشعرة وبالقصبة أو القيراط وبالتر أو جزء من ألف من المتر ، وكان هذا كله مما يوصف بالامتداد ويدخل فى العقل الإنسانى بقياس الامتداد فى الفضاء أو الامتداد فى الزمان ولكن هذا الامتداد من ناحيته الزمنية أو المكانية يزول اليوم

لن يكون معلقاً بأفكاره العلمية ولا بمباحثه فى شئون الفلسفة الطبيعية ؛ لأن هذا النوع الإنسانى إنما يأتية خطر الفناء من جانبيين اثنين : أحدهما كوارث الكون الكبرى ولا حيلة له فى دفعها بعلمه وفلسفاته ، والجانب الآخر كارثة الحرب الذرية ، وهى بعض آثار التقدم العلمى ولن يكون خلاص النوع الإنسانى منها على يد العلم المتقدم ؛ لأنه هو مصدر الخطر ووسيلة الكارثة المرهوبة وسلاح الحرب الشعواء التى تودى بحياة هذا النوع أو تبقى ما بقى منه فى حالة كحالات الهمجية الأولى ... وقد سئل اينشتاين مرة : ماذا يكون سلاح الحرب العالمية الرابعة إذا كانت الذرة هى سلاح الثالثة ؟ فقال جاداً غاية الجد وساخراً غاية السخرية : تكون سلاحها الحجارة ! ... يشير بذلك إلى رجعة الإنسان كرة أخرى إلى العصر الذى سبق عصر القوس والسيوف ، فضلاً عن عصر الطيارة والصاروخ .

قال أولئك المفكرون : إن الخطر إذا كان من نفس الإنسان فلا نجاة له بعلم العقل ومخترعات الصناعة ، وإنما تكون نجاته بعلم من عالم الروح تنتفع به الضمائر والعقول .

إنما تكون نجاته بالدين ، وبالإيمان الدينى والعقيدة الإلهية ، ولا نجاة له فى غير هذا الطريق .

ويقال أيضا في الكلام عن تفجر الذرة إن هذه الشرارة تنفدح في جزء من عدة آلاف جزء من الدقيقة ، وإنما تصل بالإشعاع إلى جزء من عدة آلاف جزء من السنتيمتر بسرعة الشعاع .

فكيف يدرك هذا الجزء بحساب الامتداد الزمني أو حساب الامتداد في الفضاء ؟ .

إن دقة واحدة تستنفد الثانية ، ونحن نقسم الثواني إلى ثوالت فلا تتصور كيف تكون الدقة بعد انقسامها إلى ستين ثلاثة فكيف تتصور الجزء من الآلاف الكثيرة بحساب هذا الامتداد .

وماذا بقي من الفارق بين حقيقة المادة وحقيقة الروح ؟ وماذا بقي من الفرق بين نهاية عالم الخفاء ونهاية عالم الشهود على يد التجارب العلمية ولا نقول على يد السبعات الصوفية أو التجليات الروحية ؟ .

على أن هذه الأجزاء المادية التي تحسب بالملايين لا تدرك بالبصر الإنساني حين تتجمع تحت المنظار الكبير ، وإنما تدرك إذا عولجت بالأصباغ الكيميائية ثم ظهرت لونا تلحه العين ولم تظهر بغير هذه الصورة إلا مقصورة مفروضة بعلم الحساب .

وكذلك تدرك الناسلات وتدرج الصبغيات التي سميت بهذا الاسم لأن الصبغة هي الوسيلة

أمام المقاييس التي تقاس بها ذرات المادة وخلايا الحياة في تركيباتها الجسدية ، ويوشك أن يعود العلم بالمقاييس جميعا إلى شيء لا امتداد له كائنقطة الهندسية التي يعرفها الرياضيون بأنها شيء لا طول له ولا عرض ولا عمق ولا اتساع ولا امتداد على الإجمال وإنما مع ذلك أساس جميع الأبعاد .

لقد وصلنا اليوم إلى القياس بوحدة الانجستروم Angstrom وهو قياس واحد على عشرة آلاف من الميكرون Micron . وما الميكرون بالنسبة إلى المقاييس التي تفهم بالامتداد ؟ .

الميكرون هو جزء واحد من ألف ألف جزء من المتر الواحد .

فهناك إذن أشياء يبلغ من دقتها أن تقاس أو تحسب بحساب جزء من عشرة آلاف مليون من أجزاء المتر الواحد ...

فما الفرق في التصور بين هذا الجزء وبين المعاني الذهنية التي تدرك بالتقدير الرياضي أو التقدير الفلسفي المجرد من كل مادة محسوسة ؟ إن هذا الفرق ينتهي بما نسميه بالمادة ، إلى نهاية لا تدرك بغير التقدير والتفكير بل يسهل تقدير الروح والتفكير فيها بمقياس المعاني الذهنية ويظل إدراكنا لوحدة الانجستروم صعبا عسيرا لا اختلاطه اللاحق به من عالم المحسوسات .

فإذا كانت الصبغة تدخل عشرات الملايين من هذه الجزئيات في عالم الحس بالمنظار الكبير ، فأين من عالم الحس تلك الخاصة التي تفرقت في كل جزء من هاتيك الجزئيات التي لا ترى بالصبغة ولا بغير الصبغة ؟

كل ما يلزمنا لإدراك المعاني المجردة يلزمنا هنا لإدراك الناسلة بخاصتها التي كمنت فيها وراء العين ووراء الحدس ووراء الحساب .

وعلى هذه الوتيرة تنتهي المادة على أيدي الماديين في صميم علومهم التي عزلوها قديما عزل الأبد عن عالم المعنى وعالم الروح وعالم الخفاء .

واقصد صح عند الذين استخدموا المادة لشكران كل عالم غير العالم المحسوس ، أن القرن التاسع عشر كان عصر الكفر بما وراء الطبيعة أو بما وراء المادة . وعصر الإيمان بالمادة دون سواها ودون ما وراءها ، واضح من ذلك أن القرن العشرين هو عصر الكفر بالمادة وعصر العودة إلى ما وراءها ، وعلى أساس المقررات المادية يجوز للباحث « الطبيعي » أن يقول : لعل القرن الحادي والعشرين سينفذ بالعقول والضمائر إلى عالم الروح من خلال الذرة على شعاع من نور ؟

عباس محمود العقاد

الوحيدة التي تقرب الملايين منها إلى عالم الإدراك أو عالم المحسوسات .

ولم هنا يمكن أن يقال إن العالم المحسوس يشملها ما دامع الصبغة تظهر منها الملايين أو أضعاف الملايين .

وبصح هذا القول إذا كانت الصبغة تظهر لنا الخصائص التي تحتويها الناسلة الواحدة من جملة هذه الملايين .

والناسلة الواحدة لا تظهر منها خاصة واحدة للصبغة ولا للحساب ؛ لأن هذه الخاصة لا تنتقل دفعة واحدة من الخلية إلى مكانها المقدور في تكوين جسم الإنسان . بل تنتقل ثم تنقسم مرة ثم تنقسم ألوف المرات ، ثم تخرج منها في كل مرة صورة بعد صورة بعد مئات الصور يتولد منها في النهاية كل ما احتوته واشتملت عليه قبل هذه التقسيمات .

فالناسلة التي يتولد منها الجنين وتنفش في النهاية لون العين أو لون الشعر أو لون البشرة لا تنتقل بهذه الخاصة مباشرة أو على صورة واحدة ، ولكنها تخرج منها خاصة بعد خاصة بعد أخرى على الترتيب الذي لا يختلف في حالة من الحالات ، وتمضي الناسلات بنحوها المختلفة في حيزها الصغير فلا يختلط بينها عمل واحدة بعمل الأخرى ولا يتيسر للنظر ولا للصبغة ولا للحساب أن يفصل في لحظة واحدة بين هذه الأحوال .

مناهج الإسلام

للقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

اهتم التشريع الإسلامي بالأسرة على أساس إدراكه العميق للسكانة الاجتماعية التي تحتلها في بناء الأمة .

وإن فكر وعمل على تهذيبها وتعديلها وتخفيف غلوها في كثير من الأحيان .

٣ - وهو كذلك لا ينكر الواقع العملي ، والسنن التي يقوم عليها الاجتماع ، ولا يحاول أن تكون مثاليته صماء جافية لا تحس بما حولها ، ولا تتحرك إلا في الاتجاه الذي اختارته لنفسها ، كما أنه لا يدور كرها في دوامة هذا الواقع ، ولا ينزل مرغما على حكمه وإن جار ، ولكنه يعامله معاملة الراكب الحاذق المرن لفرس جاجة ، إذ يقتعد صوتهما متمكنا منها ثم يمسك بلجامها ، ويوجهها إلى الطريق الذي يبتغيه تاركا لها بعد ذلك مرحها وحيويتها واختيالها الطبيعي دون ما شطط منها ، أو قصور منه .

وهذه المبادئ التي يقوم عليها التشريع الإسلامي عامة ، والتي جاء تشريع الأسرة في نطاقها ترجع إلى ما يأتي :

١ - فهو يعمل على أن يحول بين المشكلة والمجتمع ، ولا يترك في المجتمع ثغرات تدخل عليه منها المشكلات ثم يبدأ بعد ذلك في حلها وعلاجها .

وبذلك يعالج المشكلات في المنبع ، ولا يتركها حتى تصل إلى المصب ، بل يعالجها قبل أن تتخلق لكيلا تتخلق .

٢ - وهو يلتزم مسامرة الفطرة ، فلا يعالج ما يعالجه إلا في ضوء الاعتراف بحقها ، ولا يفكر أبداً في معاندتها ومقاومتها ،

فهو واقفي في مثاليته ، مثالي في واقعيته ، إذا ساغ هذا التعبير .

وهذان المبدآن الأخيران هما اللذان جعللا منه شريعة الوسط ، التي تأتي الإفراط ، وتنزه عن التفريط ، وتمشي في الطريق الذي يوصف بأنه «سواء السبيل» أو «الصراط المستقيم» ، وبذلك استحققت أن تكون هي

منها زوجها ، وبث منهما رجلا كثيرا ونساء .

٢ — والروابط الأسرية ترجع إلى ما يأتي :

(أ) العلاقة بين الزوجين :

* مركز الرجل في الأسرة .

* مركز المرأة في الأسرة .

* حق كل من الزوجين على صاحبه .

(ب) العلاقة بين الأبوين وأولادهما :

* قيمة الأولاد وحقوقهم على الوالدين .

* فضل الوالدين وحقوقهما على أولادهما .

(ج) العلاقة بين ذوى القربى :

* حقوق الأقارب في البر وصلة الرحم .

* أولوية الأقارب في حقوق التضامن

الاجتماعي .

ولنأخذ في تفضيل ما أوجلهنا بقدر ما يتسع

له المقام :

(أ) المفارقة بين الزوجين :

الزواج رابطة مقدسة في نظر الدين :

لا نعلم هقدأ من العقود اهتم به الدين

أكثر من اهتمامه بعقد الزواج :

فنحن نرى القرآن الكريم بلغت الأنظار

إلى أن « الزوجية » آية من آيات الله

الكونية : « سبحانه الذى خلق الأزواج كلها

ما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما

الشريعة الشديدة على الناس أى الحاكمة والفاصلة حين تختلف المناهج ، وتتعدد الشرع .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

على أساس هذه المبادئ العليا ، وضع التشريع الإسلامى مناهجه لتقوية الروابط الأسرية ، وفي ضوئها نبحت إن شاء الله تعالى هذه المناهج ، ونسأله التوفيق .

١ — إن الأسرة - فى أصل اللغة ، كما قال

ابن منظور المصرى فى « لسان العرب » :

هى الدرع الحصينة ، وهو معنى يرمز إلى

إلى القوة ، وكذلك الأسر فى الأصل هو

بمعنى الشد والربط ، وقد سمي الحبل أو القيد

أيضا بالإسار .

ولهذه المعانى التى تدل على القوة والتماسك

والترابط سميت عشيرة الرجل وأقاربه

الأذنون بالأسرة .

والأسرة عمادها الأول هو « الزوجية » ،

وعن الزوجية يتفرع الأولاد ، وينبث فى

المجتمع الرجال والنساء الذين تتكون منهم

الامة ، وهكذا كان أصل النوع الإنسانى :

« خلقكم من نفس واحدة ، وخلق

« ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ويُنزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها . »
« ومن آياته أنكم ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت . »

« ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره . »

كل ذلك يدل على أنه يعتبر الزواج ذا أهمية كبرى ، ودلالة على قدرة الله وحكمته ورحمته ، وشيئية بما للآيات الكونية العظمى من دلالات .

هذا إلى ما يوحى به التعبير بقوله : « من أنفسكم » ، في هذه الآية « وخلق منها زوجها » ، في آية أخرى من ملاحظة التجانس والنوعية في الخلق ، حتى يتحقق لكل من الزوجين الأنس بصاحبه ، والتشابه المفضي إلى السعادة ، ثم ما يوحى به التعبير بقوله « لتسكنوا إليها » ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، من أن الزواج هو أساس الاستقرار والطمأنينة ، التي يجدها المرء في سكنه الذي يأوي إليه ، أو في سكنون نفسه حين يأمن ويهدأ ويشعر بالسعادة ، وهو مبعث المودة التي هي الحب المنبثق عن عاطفة صادقة ثابتة ، والرحمة التي هي انعطاف وميل يؤديان إلى الرفق والإحسان ، كل ذلك جعله الله في الزواج فكان به آية من آيات قدرة الله وحكمته ورحمته ، ولهذا أقسم

لا يعلمون ، ، « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . »

فالآية الأولى تقرر أن الكون كله قائم على سنة الزواج فيما نعلم وفيما لا نعلم ، والآية الثانية تجعل هذا الزواج فيما يختص بالإنسان آية من آيات الله تعالى .

وكون الزواج هو السنة التي يقوم عليها الكون في أنفسنا وفي غيرها مما نعلم ومما لا نعلم يوحى إلينا بخطر شأنه ، وبأن ننظر إليه نظرة جادة ، ونعتبره ركناً أساسياً في الحياة لا غنى عنه ، ولا ينبغي أن نرتكب ما يزلله ، أو أن نستعين بأحد طرفيه ، وهما الذكر والأنثى .

وكونه آية من آيات الله يوحى أيضاً بأن الله يريد أن ندرك ما يرتبط به من المعاني الكونية التي تجعله علامة واضحة على قدرة الله تعالى وحكمته ، وقد ذكرت الآيات الكونية لغتنا للأُنظار إليها في آيات أخرى كثيرة من كتاب الله تعالى :

ففي ذلك قوله عز وجل :

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم . »

« ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله . »

كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم ينظر إلى الزواج، ويلفت أنظار الناس إليه، باعتباره عقداً مقدساً كبير الشأن، وسنة كونية من السنن الدالة على قدرة الله ورحمته وبالحكمة .

فن واجب المسلمين أن يعرفوا له ذلك ، وألا يتخذوا آيات الله في شأنه هزوا ، وألا يقصدوا منه إلا ما يحقق أمر الله ، وقيم حدوده .

وقد شرع الإسلام مناهج لتقوية هذه الرابطة المقدسة وتحقيق ثمراتها على وجه يصلح به المجتمع ، وتسعد به الأسرة ، ولم تكن تشريعاته خاصة بعهد قيام الزوجية ، بل عامة لهذا العهد، ولما قبله ولما بعده، ولم يكن في هذه التشريعات مجافياً للطبيعة ، ولا متناسياً للواقع ، ولكنه كان في نطاق المبادئ التي صدرنا بها هذا البحث ، فكان هو تشريع الرحمة والمصلحة الوسطية والصراط المستقيم . وإلى العدد المقبل ، إن شاء الله تعالى ، لنأخذ في بيان هذه المناهج ، والله المستعان ؟

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

الله تعالى بالذكر والأنوثة ، كما أقسم بالليل والنهار، والشمس والقمر، والفجر والغسق، فقال جل شأنه : « والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، وما خلق الذكر والأنثى » .

والقرآن الكريم يعبر عن رابطة الزوجية بعبارة قريبة من العبارة التي يعبر بها عن عهد الإيمان ، إذ يقول عن رابطة الزوجية « عقدة النكاح ، في مثل قوله تعالى : « إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح » ، « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى

يبلغ الكتاب أجله ، ويقول عن عهد الإيمان « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » .

كما يعبر عن رابطة الزوجية بالميثاق الغليظ فيقول « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، بينما يعبر بهذه العبارة نفسها عن عهد الله الذي أخذه على أنبيائه الكرام ولا سيما الذين أرسلهم إلى الأمم في أشهر مراحل التاريخ البشري ، إذ يقول :

« وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » .

نفاية القرآن

نصرة الحق مكفولة من جانب الله تعالى للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ،

وكذا في قولهم « إن الله هو المسيح بن مريم ،
وقولهم « إن الله ثالث ثلاثة » .

ولئن كان هذا الابتداع متشابهاً بين الالهيين
فكل يسلك مسلكه في لفظه ، وكل يكذب
الآخر فيما هو عليه ، وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء . وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء ، ومع هذا التشابه ، والتنازع
فهم على طرف بعيد من أهل القرآن .

٣ — فإن أمة محمد لم تتجاوز معالم دينها
فيما رسم الله ، وفيما يهضمه العقل الإنساني
الطليق من قيود العصبية . فالله سبحانه إله
واحد ، منزّه عن الولد ، وعن كل شبه يعلق
بقديسيته ، أو يشوب عظمته .

ودين الله لدينا ولدى السابقين علينا بنجوة
من إفاك هؤلاء المؤتفكين .. وعزير والمسيح
بريثان مما نسب إليهما .

والقرآن الكريم يكشف عن أغراض
المبطلين التي يرمون إليها من هذا الابتداع
المعمى في الكفر باقه ، والمعمى كذلك
في احتقارهم لعقليتهم ، وحشوم في الدين
ما تأباه العقلية الإنسانية ، ولا يتفق مع

١ — كانت لليهود محاولات في الضلال ،
ولامعان في ابتداع الأباطيل ، حتى أصبح
اللون الذي يعرفون به أنهم خارجون على
الدين ، ومبدلون لكتاب الله - التوراة -
وقاتلون للأنبياء ، وفاكثون للعهود ،
وساقطو المروءة والغيرة إلخ إلخ .

وفي الحق أن التاريخ يسجل عليهم أكثر
وأكثر مما يدعون لأنفسهم من مآثر في العلم
وعماراة الدنيا ، ففضلهم في الحياة لا يقاس
بما اقترفوا من مآثم في جانب الله ورسوله ،
ولا يذكر أمام ما تدفعهم إليه نزعاتهم من
إفساد ، وما يبذلون من بذور الشقاق أينما كانوا .

وقد تحدث الله عنهم في موضوعنا بأنهم
افتروا على الله ، ونسبوا إليه بنوة العزيز له
« وقالت اليهود عزيز ابن الله » ، وما كان
العزيز إلا واحداً منهم ، تميز عليهم بعلبه ،
ونشاطه في إحياء شريعة موسى بينهم بعد أن
كادت تذهب معالمها قبل عهده بالحياة .

٢ — ويشبه اليهود في ذلك أهل الإنجيل ،
فقد تورطوا جميعاً في قولهم : « إن المسيح
ابن الله » وقالت النصارى : المسيح ابن الله ،

ومناط العجب أنهم يؤفكون : أى ينصرفون عن الحق إلى الباطل ، ويخوضون فيه كثيراً دون أن يجرهم إنكار ، ولادعاء عليهم ، ولا تهديد لهم .

وكشف القرآن عنهم - رابعا - بقوله تعالى « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم » يعنى هذا الانحراف يراد به إطفاء النور الذى يقبلج في دعوة الله إلى الحق - على لسان وسوله محمد صلى الله عليه وسلم - لا لسبب سوى الحق على من أرسل إليهم من غير قومهم ، وبسكتاب بعد كتبهم ، وبشريعة أكمل من شرائعهم في تجديد الحياة الدينية على منهج غير مدخول بتبديل ، وهو خالد خلود الدنيا إلى منتهاها - وذلك كان شأنهم مع الأنبياء من قومهم فليس جديداً منهم بعد .

والله تعالى يزيدهم نكالا ببيان أن هذا الدين نور الله المستمد من عنده ، بعد أن اعتبر تدينهم بما يقولونه مجرد اختلاق من أفواههم ، لا يعدو الكفر الصراح والضلال البعيد ... ويزيدهم نكالا كذلك بأن جهودهم في مقاومته فاشلة ، يؤكد أنه سبحانه سيتم نوره على ما يريد مهما يكن لهم من عناد وكرهية ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

هـ - ونحن نرى تعاقب الأجيال من أهل الكتاب ، ونرى تقدم العقلية بينهم ، ورواج الثقافة فيهم ، ومع هذا كله لا يزالون على

تشريع الله ولو من طريق الشبهة العلية في قليل ولا كثير .

لذا يحاولون رفع بشر من عباد الله إلى مقام الألوهية ، وهم في هذا ينزلون بمقام الألوهية إلى منزلة الإنسانية ، وتعالى الله عن ذلك علواً كثيراً .

٤ - كشف القرآن عن غشوايتهم من وجوه - أولها - قوله سبحانه « ذلك قولهم بأفواههم » يعنى هذا اختلاق تقذف به أفواههم ، وليس مستمداً من كتاب ولا مروياً عن رسول ولا ناجماً عن بحث صحيح . ومع أن هذا معتقدهم فقد اكتفى القرآن باعتباره قولاً من الأفواه إشارة إلى احتقار هذا الاعتقاد وأنه لا يستحق أن يذكر ، أو يشار إليه ، وإنما هو مجرد كلام لا وزن له في ميزان الحق والصواب .

والوجه الثانى قوله تعالى « يضاهون به قول الذين كفروا من قبل » يعنى أن هذا التهريج مسبوق بمثله من أمم كافرة . . فإن كان أهل الكتاب يعلمون عن غيرهم هذا فهم أمثالهم فيما يعاب عليهم من غباوة وجحود . . وإن لم يكونوا عالمين عن سبقتهم ذلك فقد عرفهم القرآن شيئاً لم يعلموه ، وندد عليهم كما ندد على أسلافهم في تلك الضلالة العمياء . والوجه الثالث قوله تعالى « قاتلهم الله أتى

يؤفكون . . » فهذا دعاء باللعنة عليهم ، وعلى من سبقهم إلى الكفر ، وهو دعاء بمزج بالتعجب والإنكار المزرى بقولهم جميعاً .

هذا جرت سنة الله قديماً وسفته لا تتخلف وقد قال تعالى في ذلك « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

٦ - وفي هذه الآية تبرز لنا وللناس بشائر النعم في نصرته الحق وهزيمة الباطل من جديد . فقد بدأنا نقرأ كثيراً مما يكتبه علماء أهل الكتاب منكرين بعقولهم الرشيدة ما يساق لهم من تلقى باسم الدين ، وينكرون ما يفتري به على الله ورسوله ، ويأبون أن يكونوا على عقيدة لا تهضمها العقول إزاء ما يرون في القرآن من نزاهة عن هذا كله . كما رأينا أخيراً ذلك النبأ عن حركة جديدة في روسيا ... نشطت هذه الحركة هناك ضد اللادينية الخيمة على الدولة الشيوعية . فالدولة بسطت أجنحة قوة في نطاق واسع من أرض الله ، وغرما عليها وسلطانها أن يقول قائنها « إننا طفنا بالفناء كله فلم نر الله هناك » ، هذه الدولة بدأت تتلقى مواجهة بالاعتراض على إباحيتها ، وتتلقى الطعنات في لا دينيتها في نفس الوقت الذي تفخر فيه بما وصات إليه من علم يشرق على مشارق الدنيا . ولعل هذا النبأ يقرب إلى أذهان البائسين تحقيق وعد الله ، ووعد الله لا يتخلف مهما طالت الأيام .

هــمـمـ المـطـبـفـ المـكـسـي

عضو جماعة كبار العلماء

ماورثوا من تاليه البشر ، وانقسامهم على بعضهم في شأن الانبياء ، ورمى اللجاج فاشياً من جانبهم ، والخصومة للإسلام شائعة منهم في كل مسلك يسلكونه مع المسلمين .

فهل يفاد من ذلك أن الله ممكن للباطل ، أو أنهم على حق ؛ وأنهم تحكموا في بعض المسلمين لأن الله يقرهم على ما هم فيه ... ؟ إن الإسلام في ذاته حق ، ولا حق غيره ، وإذا كانت الغلبة لأعدائه فلاسباب تتعلق بالناس ، لا بالدين ، وتجاوز المسلمين لمنهج دينهم يكون جريمة منهم ، والله يحجزهم بتسليط العدو عليهم ، ليؤدبهم على فعلاتهم ، دون أن يكون ذلك قادحاً في الدين ، ولعله عقاب يشعر أن دين الله في مقام العزة عنده ، وأنه يثار من خرجوا عن حوزته ، ليعودوا إليه في إخلاص ، وغيره ، وذلك نمط حكيم في معاملة الله للعباد في دنياهم .

وقد مرت بالمسلمين فترات ذهبية كانوا فيها أعز شأناً وأكرم مقاماً ... فلما تريشوا في نشاطهم ، وتعاوضوا عن مراقبتهم لأنفسهم كان من عدل الله أن يمكن الغير منهم .

وأما الدين نفسه فلا يزال مشرقاً ، وسيظل كذلك رغم ما يراد به من سوء ، ولا يمكن للباطل أن يغلبه مهما تضاعفت الحيل ، وكثرت حوله الأباطيل .

والتجارب في الحياة لا تقاس بأجالنا القصيرة ، فقد يكون الزمن طويلاً في حسابنا ولكنه قصير في جانب الحياة الدنيا ... وعلى .

مَنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ ثَوَابٌ مِنْهُ . »

« قُرْآنٌ كَرِيمٌ »

بل يصدق على المعاني النفسية والوجدانية
مَنْ كَانَ يَرَادُ بِهَا ذَلِكَ . كَالْإِيمَانِ وَمَا يَتَّصِلُ
بِهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ ، وَالْخَوْفِ مِنَ الْعِقَابِ
وَالطَّمَعِ فِي الثَّوَابِ وَمِنْ ثَمِّ وَصْفِ اللَّهِ
الْمُتَّقِينَ بِقَوْلِهِ : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ
مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » ، ثُمَّ نَوَّهَ بِهَذِهِ
السَّمَاتِ وَالصَّفَاتِ ، وَأَشَارَ إِلَى الْمُوصُوفِينَ
بِهَا حَيْثُ يَقُولُ « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

وَإِذَا كَانَتْ ثَمَرَةُ الصِّيَامِ التَّقْوَى كَمَا يَقُولُ
سُبْحَانَهُ « لَكُمْ تَقْوَى » وَكَانَتْ ثَمَرَةُ الْقَوَى
الْتِمَاسُ مِنَ الْهُدَى ، وَالْوَصُولُ إِلَى الْفَوْزِ
وَالْفَلَاحِ كَمَا يَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ « أُولَئِكَ عَلَى
هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، فَلَيْسَ
وَرَاءَ هَذَيْنِ شَيْءٌ تَطْمَحُ إِلَيْهِ النَّفْسُ السُّوْيَةُ ،
أَوْ تَتَعَلَّقُ بِهِ غَوَالِي الْأَمَالِ ، وَمَنْ ثَمَّ كَانَتْ
التَّقْوَى خَيْرٌ زَادَ كَمَا يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :
« وَتَزِدُّوا فَإِنْ خَيْرٌ الزَّادُ التَّقْوَى وَاتَّقُوا
يَا أُولَى الْأَلْبَابِ » ، وَكَانَتْ خَيْرُ لِبَاسٍ كَمَا يَفْهَمُ
مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ « وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ » ،

عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدٌ

يَسْتَعْمَلُ « كُتِبَ » بِمَعْنَى حُكْمٍ ، وَقَضَى ،
وَأَوْجِبَ ، فَعَنَى كُتِبَ اللَّهُ الصِّيَامُ
فَرَضَهُ وَأَوْجِبَهُ .

وَالْوَقَايَةُ فَرَطُ الْحِفْظِ وَالصِّيَانَةِ ، وَمِنْهَا
أَخَذَتْ كَلِمَةُ « التَّقْوَى » لَتَدُلَّ عَلَى كُلِّ مَا يَرَادُ
بِهِ اتَّقَاءُ الشَّرِّ أَوْ الْعِقَابِ ، وَابْتِغَاءُ
الْخَيْرِ أَوْ الثَّوَابِ .

الْمَعْنَى :

يَخَاطَبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِمَلَأَتُكَتِهِ وَكُتِبَتْ
وَرَسَلَهُ - وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ - فَيُنَادِيهِمْ بِمَا يَشِيرُ
فِيهِمُ الْإِسْتِعْدَادَ لِقَبُولِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ ، وَالْإِقْبَالَ
عَلَى أَدَاءِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ « يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا » ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَشِيرُ فِيهِمُ الشُّعُورَ
بَأَنَّ إِيْمَانَهُمْ بِهِ ، وَاطْمَئِنَانَهُمْ إِلَى حَكَمَتِهِ
وَرَحْمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ يَدْفَعُهُمْ إِلَى امْتِنَالِ أَوَامِرِهِ
وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَيُنَبِّئُهُمْ - جَلَّ شَأْنُهُ -
بَأَنَّهُ أَرْجَبُ الصِّيَامِ عَلَيْهِمْ كَمَا أَوْجِبَهُ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ فَإِنَّ ثَمَرَةَ الصِّيَامِ التَّقْوَى ، وَعَسَاهُمْ
إِذَا صَامُوا ، وَأَخْلَصُوا صِيَامَهُمْ لِلَّهِ أَنْ يَتَوَخَّوْا
إِرْضَاءَ رَبِّهِمْ . وَيَفْعَلُوا مَا يَقِيهِمْ غَضَبَهُ وَعِقَابَهُ ،
وَمَعْنَى التَّقْوَى يَسَّحُ كُلَّ قَوْلٍ وَكُلَّ فِعْلٍ مَقَى
كَانَ يَرَادُ بِهِ اتَّقَاءُ الشَّرِّ . وَابْتِغَاءُ الْخَيْرِ ،

صَلاحُ المَجتَمعِ بِصَلاحِ أَفِرادِهِ

لِلأَسْتَاذِ عَلِيِّ الْحَسَنِ النَّدَوِيِّ

المعسكر الشيوعي لتقيم القسط والحق ، وكذلك لم يكن المعسكر الشيوعي في وقت من الاوقات لينازح الاحلاف الاوربية في سبيل إقامة العدل لأنه لم يكن حريصا على إقامة الدين والفضيلة ، إنما يصارع ويحارب ليكون هو المعسكر الوحيد في العالم الذي يهيمن على وسائل البشرية ؟ وايحتكر التجارة العالمية ليس لمصلحة البشرية ، بل ليكون الذين يؤمنون بمبادئه وينضمون إليه سعداء على حساب الأمم والشعوب التي يسيطر عليها .

إن مرد هذه المصارعات كلها هو شهوة النفس وعبادتها ما لم تتغير هذه النفسية الشريرة الفاسدة المتعفنة فلا مطمع في صلاح العالم أو سعادته ورفاهه .

المهم أو الأهم أن يتغير الإنسان . إن كل شيء في هذا العالم خاضع للإنسان ، والإنسان خاضع لنفسه وضميره وعقيدته فإذا كانت هذه صالحة كان الإنسان صالحا وإذا صلح الإنسان صلح العالم (ألا أن في الجسد مضغة

إن هذا التنافس الذي تتحدث به الصحف والذي قد يؤدي إلى حروب طاحنة — تستمر سنين طوالا تطحن الأمم — هو تنافس في الأغراض فقط لا تنافس بين الخير والشر ، وإن هذا الصراع القائم بين الأمم الاوربية ليس معناه أن أمة منها تريد أن تسيطر على العالم لتقضي على هذه الأوضاع الفاسدة ولتخدم الإنسانية ، وتنفذ قوانين الله وتحارب الفساد ، وتساوى بين الناس وتقيم القسط والعدل وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة كما قال تعالى : الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، .

إنما هو تنافس على القيادة كل أمة تريد أن تملك الحكم لتنفذ شهواتها . إنما النزاع هو من يكون صاحب الأمر والنهي وتكون له قوة لإرضاء الشهوات وخدمة المصالح الذاتية والحزبية .

أمريكا وحليفاتها مثلا — لم تكن تنازع

إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت
فسد الجسد كله ألا وهى القلب) .

لقد أصبح الناس مؤمنين - بحكم ما يكتب
ويقال من أناس لم يتعمقوا فى العلم - بأن
صلاح العالم هو فى وجود حكومة على أساس
كذا وكذا ، أو فى تولى الرجل الفلانى
أو الحزب الفلانى الحكم وما دروا أن المجتمع
قاسد لفساد الضائر والقلوب ، وما لم تصلح
فلا يؤمل الإصلاح ، هذا قول مجرب خبير
لا قول لإنسان منطو على نفسه ، قول رجل
تهياً له - بحمد الله - من الدراسة العميقة
الشيء الكثير .

قد يدخل الرجل إلى غرفة مظلمة فلا يستطيع
أن يجد طلبه إذا لم يدر الزر الكهربائى ،
ولكن الرجل الخبير بمجرد دخوله الغرفة
يعرف موضع الزر فيديره فيسرى النور
فى التيار ويضىء جذبات الغرفة ويقضى الرجل
حاجته - وهذا هو شأن الأنبياء عليهم السلام
ومن سار على أثرهم - هذا الزر هو الإيمان ،
إذا انفتحت انطلقت منه موجة النور لتضىء
العالم كله .

لأنى أرى بعض الرجال فى البلاد العربية
والإسلامية وغيرها يبدوون كباراً فى العقل
والتفكير والتجربة ، ولكن تفكيرهم قاصر
غير ناضج ، يتكلمون عن المشاكل حديث

وجل لم يتعمق ولم يرسخ ، يتحدثون عن
مشاكل السياسة والاجتماع ، ويعتقدون أنه
إذا جاء الحزب الفلانى ذهبت المشكلة ، فإذا
ما جاء الحزب واجهنا المشكلة نفسها بل ما هو
أكبر منها ، وكثيراً ما نواجه مشاكل جديدة
أخرى ، ثم نجرب حزباً آخر فإذا هو شر
من الأول وصدق الشاعر إذ قال :

ألا إنها الأيام أبناء واحد
وهذى الليالى كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة
خلاف الذى مرت به السنوات

إلى متى تجرى هذه التجارب على الإنسان
المسكين؟ وإلى متى تفحص ونشرح ثم نرجع من
غير طائل؟ ومن الخطأ الاهتمام بالمجموعات
والمؤسسات والهيئات الاجتماعية والحكومات
دون الاهتمام بالأفراد ، مع أن الأفراد هم
أساس المجتمعات والحكومات والأحزاب
والمؤسسات - نقول لهم : أيها السادة دونكم
الأفراد ، فأصلحوهم وهيشوهم لهذا الهيكل
الاجتماعى ، فسيقولون ما لنا والأفراد ، نحن
فى عصر اجتماعى طابعه الاجتماع - فنقول لهم :
آمننا بالاجتماع ولكن الأفراد اجتمعوا على
أساس عقيدة واحدة ، التقوا على غاية واحدة ،
فإذا لم يكن الأفراد أين يكون المجتمع؟ ولكنهم
يقولون إن الأفراد يصلحون بصلاح المجتمع

أليس أكثرهم فاسدين ودون المستوى الواجب فكيف تتحول هذه المصائب المجرمة إلى مجموعة صالحة رفيعة المستوى عالية في الأخلاق؟ العالم كله مع الأسف خاضع لهذا المنطق حتى في المستويات العلمية .

إن مديري البلديات والجامعات والمؤسسات العلمية والحكام لو كانوا في الزمن الأول لما استحقوا أقل من الطرد، بل لكانوا في السجون لقد طفت هذه العقلية على الأفكار حتى أصبح الذي يشير مسألة الأفراد يتهم بالرجعية.

يا أصحاب القلوب المؤمنة أتم المجتمع، على قسبات وجوهكم وضمايركم وعقولكم يرقد المستقبل الزاهر الذي تؤمله، فهبثوا نفوسكم تهيئة روحية خلقية إيمانية ، هذا هو نداء الوقت وواجب الساعة وجهاد اليوم .

لقد وجدت الحديث من العالم الإسلامي حديث كل بلد حالته وزرت فيه لإخواننا وهو حديث كل مجلس حضرته . إن العالم الإسلامي حقيقة قائمة تسعى على قدمها لا ينكر فضله إلا جاهل أو أحمق .

أنا أومن به وشاهدته في الهند وباكستان وتركيا وسوريا ومصر ، وأنتم أيها الإخوان جزء من العالم الإسلامي . إذا كنتم تعتقدون أنه يعيش بغيركم وليس عليكم مسئولية فأتم بخطئون أخشى إنني كثيرا ممن يهتمون

إن مثل هؤلاء الذين يهتمون بالمجموعات دون الأفراد مثل من يجمع أخشابا منخورة متآكلة مخرومة ، يريد أن يصنع منها سفينة تحمل جماعة كبيرة وبضائع هامة ، فإذا قال له رجل صاحب نظر: إن هذه الأخشاب لا تصلح لبناء سفينة تحمل جماعة كبيرة وبضائع هامة ، قال إن هذه الأخشاب لا قيمة لها ، إنما المهم السفينة ، فإذا تكونت السفينة ففقدت الألواح شخصيتها، فلا يهمل إن كانت الأخشاب فاسدة منخورة .

إن الفاسد فاسد ، إذا اجتمع الفاسد مع الفاسد يفتج الصالح ؟

إن اللص لاص ، ولكن إذا اجتمعت اللصوص أصبحت حارسة للدينة ؟؟

هذه هي عقلية أوربا - إن اللصوص لصوص في أفرادهم ولكنهم أماء في مجموعهم ما هذا المنطق ؟

الذئب ذئب ولكن الذئب إذا اجتمعت أصبحت راعية ؟

إن الجرة تحرق البيت ، ولكنها إذا اجتمعت الجرات أصبحت برداً وسلاماً ؟؟

هذا شيء مضحك ولكن أليس هذا هو الأساس الذي يعمل في المدرسة والحكومة والمحكمة ؟

من أين جاءت الحكومة والقضاء والجنود ؟

وهذه القضايا التي لا تستطيعون معالجتها إن
الاشتغال بالغير سهل ، ولكن الاشتغال
بالنفس صعب ، والإنسان يتوخى السهولة ،
ولذلك اندفع العالم الإسلامى كله إلى الاهتمام
بغيره ، هذا تفكير يجب أن يعالج ، فكل
بلد عربى جزء من العالم الإسلامى فيجب على
كل منا أن يهى نفسه ليكون لبنة صالحة للبناء ،
فكن لبنة مجامدة مؤمنة صادقة ، طاهرة
النفس ، واضحة التفكير ، قوية العاطفة ،
فإذا كنا كذلك فصدقونى أننا نستطيع أن
نغير تيار الفساد .

الازمة أزمة رجال «فأين» الرجال ، وإن
كثيرا من الناس يحرصون على الحكومات
ويعتقدون أنها هى المفتاح ولكننا يسير
الحكومة الرجال ، فنهم هؤلاء الرجال وكيف
هم ؟ هذا هو داء العالم الإسلامى فهبثوا نفوسكم
لمعركة المستقبل ، معركة الأخلاق والإخلاص
والتضحية فإذا وجد رجل واحد يستطيع
أن ينسى نفسه ومصلحته ومصلحة أسرته
وأصدقائه وحزبه ويستهدف مصلحة بلده
وأمة لاستطاع أن يحدث انقلابا .

على الحسى الندوى

بكل شيء غير نفوسهم ، وهذا هو الواقع فعلا .
- أنا أفكر فى العالم ولو أننى جزء منه
فلأصلح هذا الجزء . ولكنى أرى كثيرا
من إخوانى لا يفكرون فى نفوسهم ويعتقدون
أن العالم الإسلامى هو كل ما يغير نفوسهم
هلينا أن نصلح نفوسنا وليعتقد كل منا أنه
مستول فإذا أصابحت هذه الأجزاء صالح العالم
الإسلامى . إن مثلنا أيها الإخوان كمثل ملك
أعلن أنه يريد حوضا مملوءا باللبن «الحليب»
وأنه سيدفع الثمن لكل من يجلب الحليب
فقال أحد البنانين فى نفسه . . لو أفرغ
سطلا من ماء فإن هذا الماء لا يؤثر فى
الحليب الكثير ، فأفرغ سطل ماء بدلا من
حليب ، وفكر آخر نفس التفكير ، وهكذا
سرت الفكرة بين الجميع ، وجاء الملك فى
الصباح فوجد حوضا من ماء .

هذه قضيتنا ، إن كل فرد منا يقول إذا فسد
فماذا يضر العالم الإسلامى ؛ وبهذا أصبح
كل العالم الإسلامى فاسدا ، لو فكرتم لرأيتم أن
كل حديثكم عن غيركم .

انصفوا نفوسكم أيها الإخوان ومالككم

من أيام الإسلام الخالدة يوم بدء الدعوة للدكتور سعد الدين الجيزاوي

تخليد ذكرى بعض الأيام أو الشهور أو السنين التي تحدث فيها أمور ذات شأن في تاريخ أمة ما ، أمر محبب إلى النفوس ؛ لأنه يعيد إلى أذهان الناس صوراً عن موقف بطولة مثلاً ، أو ذكرى لحظات رهيبة تقرر فيها مبدأ ترتب عليه تغيير مجرى الحياة العام ، أو انبعث فيها صوت نبيه الغافل ، وأيقظ النائم ، وكان من أصدائه فك أغلال ، وتحرير ، وتقرير مصير . وفي ذلك وأمثاله ما يشهد عزائم الخلف ويرفع من معنوياتهم ، ويدفعهم إلى السير قدماً في معترك الحياة الصاحب . وقد تكون الذكرى مؤلفة فتعيد إلى الأذهان صورة نكبة كانت قد حلت نتيجة لأخطاء بعض السلف ، فيأخذ الخلف منها عبرة ، ويتجنبون مزالق السوء التي لم تورث الخطئين والغافلين إلا اللعنة وسوء الذكرى .

وطبيعي أن العبرة ليست في نفس الفترة التي تتحدد من يوم أو من شهر أو من سنة ، بل هي فيها صاحب تلك الفترة أياً كانت من تخليد ذكرى بعض الأيام أو الشهور أو السنين التي تحدث فيها أمور ذات شأن في تاريخ أمة ما ، أمر محبب إلى النفوس ؛ لأنه يعيد إلى أذهان الناس صوراً عن موقف بطولة مثلاً ، أو ذكرى لحظات رهيبة تقرر فيها مبدأ ترتب عليه تغيير مجرى الحياة العام ، أو انبعث فيها صوت نبيه الغافل ، وأيقظ النائم ، وكان من أصدائه فك أغلال ، وتحرير ، وتقرير مصير . وفي ذلك وأمثاله ما يشهد عزائم الخلف ويرفع من معنوياتهم ، ويدفعهم إلى السير قدماً في معترك الحياة الصاحب . وقد تكون الذكرى مؤلفة فتعيد إلى الأذهان صورة نكبة كانت قد حلت نتيجة لأخطاء بعض السلف ، فيأخذ الخلف منها عبرة ، ويتجنبون مزالق السوء التي لم تورث الخطئين والغافلين إلا اللعنة وسوء الذكرى .

وغير ذلك من أيام أو الشهور أو السنين التي تحدث فيها أمور ذات شأن في تاريخ أمة ما ، أمر محبب إلى النفوس ؛ لأنه يعيد إلى أذهان الناس صوراً عن موقف بطولة مثلاً ، أو ذكرى لحظات رهيبة تقرر فيها مبدأ ترتب عليه تغيير مجرى الحياة العام ، أو انبعث فيها صوت نبيه الغافل ، وأيقظ النائم ، وكان من أصدائه فك أغلال ، وتحرير ، وتقرير مصير . وفي ذلك وأمثاله ما يشهد عزائم الخلف ويرفع من معنوياتهم ، ويدفعهم إلى السير قدماً في معترك الحياة الصاحب . وقد تكون الذكرى مؤلفة فتعيد إلى الأذهان صورة نكبة كانت قد حلت نتيجة لأخطاء بعض السلف ، فيأخذ الخلف منها عبرة ، ويتجنبون مزالق السوء التي لم تورث الخطئين والغافلين إلا اللعنة وسوء الذكرى .

وفي تاريخ قيام الدعوة الإسلامية أيام كثيرة كان لكل منها شأن خطير ، جعلها تخلد بين الأيام ، وتذكر على مر الأيام وكر السنين .

فقد عرف التاريخ الإسلامي يوم الهجرة الذي اختاره عمر بن الخطاب مبدأ للتاريخ الإسلامي ، ولا يخفى ما في تسجيل حادث الهجرة على هذه الصورة الكريمة ، وربطه بتوقيت شؤون الأمة الإسلامية ، ... لا يخفى ما في ذلك من عبر يستلهمها المسلمون كلها هل هلال المحرم من كل عام .

وعرف التاريخ الإسلامي يوم بدر ، إذ كانت غزوة بدر الكبرى في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، وصار المسلمون يذكرون أمجد مواقف البطولة كلها حل السابع عشر من رمضان في كل عام .

كذلك عرف التاريخ الإسلامي يوم فتح

تتفق وجلال تلك المناسبة ، لا على أنها ليلة تفتح فيها طاقة من السماء ، يدعو من يراها بما يشاء ؟ أو أنه من صلى فيها مائة ركعة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ؟

في تاريخ السيرة النبوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بلغ سن الأربعين ، حجب إليه الخلاء ، فكان يذهب إلى غار حراء يقضى فيه الأيام والليالي ذوات العدد ثم ينزع إلى أهله فيتزود ، ثم يعود إلى خلوته وحق جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطى حق بلغ منى الجهد فأرسلنى إلى أن قال : فغطى الثالثة ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بها على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى إلى آخر الحديث .

ولم يرد في كتب السيرة تحديد دقيق لهذا اليوم - الذى كان فيه أول نداء بآيات الكتاب الكريم - بالنسبة لعمر الرسول عليه الصلاة والسلام أو ما يشير إلى حادث آخر يمكن أن يربط به ويحدد على ضوءه .

هكذا في العشرين من رمضان ، وصار المسلمون يذكرون في هذا اليوم من كل عام تحطيم الأصنام وتطهير الكعبة من رجس الوثنية ، ونهاية عهد الشرك ... ثم أجد مواقف التسامح وكرم الأخلاق .

وعرف التاريخ الإسلامى ليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من رجب كل عام ... ثم يوم عرفة في التاسع من ذى الحجة ، ثم أيام العيد الأكبر ومناسك الحج ، والعيد الأصغر وفرحة ختام الصيام ... إلى غير ذلك من الأيام الحبيبة إلى نفوس المسلمين جميعاً ، لأنهم يجدون في تكرارها كل عام سعادة وسروراً .

وهناك يوم من أيام الإسلام الخالدة ، جدير بأن تحرى ، ويحدد ، ويعرف ، وأن يعتقل به ؛ لأنه اليوم الذى بدأ فيه وضع الأساس الأول لهذه الدعوة الكبرى التى كانت رحمة للعالمين ، وفصلت بين عهدين متناقضين : عهد الظلمات وعهد النور .

ذلك هو : الذى بدأ فيه نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يوم حراء ، يوم نادى جبريل عليه السلام محمداً أن : اقرأ .

مق كان هذا اليوم ؟ .

وإذا كان هو المقصود بليلة القدر ، فلماذا لا يكون احتفالنا بذلك الليلة على صورة

وهذه الآية صريحة في أن نزول القرآن كان في يوم من أيام رمضان ، ولكنه لم يحدد وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والقرآن لأربع وعشرين مضين » (١) . وأورد الإمام الزنجشیری في تأويل هذه الآية ثلاثة أقوال : أولها : أن المراد : ابتدئ فيه إنزال القرآن ، وكان ذلك في ليلة القدر .

وثانيها : أن المراد : أنزل جملة إلى سماء الدنيا ، ثم نزل إلى الأرض نجوما .
وثالثها : أن المراد : أنزل في شأنه — أي رمضان — القرآن تعظيما لشهر الصوم وربما كان القول الأخير بعيدا ؛ لأنه يفيد أن نزول القرآن ليس بلام أن يكون في شهر رمضان .

وقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم » (٢) وقد اختلفت الأقوال في هذه الليلة : هل المراد بها ليلة القدر أو نصف شعبان ؟ ولكن أكثر الأقوال على أنها ليلة القدر

ولو تأملنا الفترة التي قضاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه جبريل بأول نداء ، لوجدنا أنها بمثابة الإعداد الروحي لتقوية نفسه ، وتهيئة قلبه لتلقي ذلك النبأ العظيم ؛ لأن أمر الوحي ليس بالأسر اليسير ، ولا سيما في فترة من الزمن كان الناس يتناقلون فيها أخبار الجن ، والرقى والغول ... حتى إنه قال الخديجة : لقد خفت على نفسي . ولقد ظهر أثر هذا الإعداد الروحي في ثبات الرسول الكريم عندما قالت له قریش : « وإن كان هذا الذي يأتيك ريثا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه » .

نعم . لقد ثبت الرسول الكريم ، ولم يتزعزع بمثل هذا القول ، ولا بغيره من مثل : « ساحر كذاب » . و « إن تدعون لإرجل مسحورا » . و « إن هذا إلا سحر يؤثر » . إن هذا إلا قول البشر ، ... بل كان يجيب بأمر ربه في ثبات ويقين : « قل : أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض » .
ولقد تحدث القرآن الكريم عن إنزاله في أكثر من موضع :

قال تعالى « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ... » (١) .

(١) الحديث ١١٣ من السكاكيتاني ، في تخریج أحاديث الكشاف للمسقلاني . وهو مسروى عن أحمد والطبرانی .

(٢) سورة القدر ٣ ، ٤ .

(١) البقرة ١٨٥ .

القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام ،
ويكون المراد بأنزلناه : ابتدأنا في إنزاله ،
وإلى هذا ذهب الشعبي فقال : « المعنى : إنا
ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر » (١) .

وهذا لا يمنع أن يكون المراد نزوله جملة
واحدة إلى سماء الدنيا ثم بدء نزوله على
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فهل من الممكن تحديد رمضان ، الذي
بدأ فيه نزول القرآن بالنسبة للهجرة ؟ .

لقد حدثنا التاريخ أن الرسول عليه
الصلاة والسلام قد هاجر إلى المدينة بعد
أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة . وهو يومئذ
ابن ثلاث وخسين .

فهل يمكن على هذا أن يقال . إن يوم بدء
الوحي كان في السابع والعشرين من شهر
رمضان قبل الهجرة بثلاثة عشر عاماً ؟ .

وإذا أمكن ذلك فهل لنا أن نعيد النظر
في أمر الاحتفال بليلة القدر على أنها ليلة
حرام ؟ ليلة بدء الوحي ؟ .

لقد احتفل القرآن نفسه بهذه الليلة المباركة
ووصفها بما هي جديرة به من تكريم ،
فقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة ؛
إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم » (٢)
وقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر .
وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من

وهو الأصوب لأن هناك سورة كاملة (٣)
بينت أن المراد بالليلة التي نزل فيها القرآن
إنما هي ليلة القدر ، ولكن بقي ضرورة
معرفة أمرين :

مق كانت ليلة القدر ؟ وما المقصود بنزول
القرآن فيها ؟ .

اختلفت أقوال المفسرين في تحديد ليلة
القدر ، ولكنهم يكادون يجمعون على أنها
في شهر رمضان ، وأنها كانت في السابع
والعشرين منه .

وأما المقصود بنزول القرآن في هذه الليلة
فقد ذهب فيه المفسرون إلى قولين :

أولها وهو الأكثر أن المراد أن القرآن
قد أنزل في هذه الليلة جملة واحدة من اللوح
المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم أخذ بعد ذلك
ينزل منجاً على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وقد تم إنزاله جميعاً في ثلاث وعشرين سنة ،
وهذا القول لا يفيد متى بدأ نزول أول آية
أى متى بدأ التنجيم : هل في ليلة القدر عند
ما نزل القرآن إلى السماء الدنيا أو بعدها .

وثاني القولين : أن المراد هو بدء نزول
القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم أى أنها
ليلة النداء الأول من جبريل عليه السلام .
واعتقد أن هذا القول أقرب إلى الواقع ؛
لأن الذي يعنى الناس إنما هو نزول

(١) تفسير السكشاف ص ٢٢٥ ج ٤ .

(٢) سورة الشخان ٣ ، ٤ .

(٣) هي سورة القدر .

ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها
ياذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع
الفجر .

وربما لم يكن الغرض من ذكر د ألف
شهر ، تحديد تلك الفترة من الزمن بل هو
لمجرد التكثير ، وعلى كل حال فإنها أفضل
من د ألف شهر ، إذ لم يقل إنها تساوي
تلك المدة .

ولا شك أن تلك الليلة جديرة بأن تتفوق
في فصلها على زمن طويل ، ولقد ورد أن
النبي ذكر لأصحابه يوما أن رجلا من
بنى إسرائيل قد لبس السلاح في سبيل الله
ألف شهر ، فاستعظم المسلمون ذلك فأنزل الله
« ليلة القدر خير من ألف شهر » وعلى هذا
يكون . فضل هذه الليلة التي بدأ فيها نزول
القرآن الذي يرسم للناس طرق الفلاح -
ويرشدهم إلى سعادة الدارين أكثر من فضل
هذا الجاهد ، وفي هذا ما فيه من توجيه النظر
إلى عظم القرآن الكريم .

ولقد وجدت عند كثير من شعراء عصرنا
الحديث وقفات طيبة عند هذا اليوم الكريم
يوم بدء الوحي أكتفى بذكر بعضها :

ومن ذلك ما جاء في بردة الشاعر
أحمد محفوظ :

أرى إلى جبل في الله يصعد
قال أشم ، منبع الظهر والقمم

يطوى النهار ويطوى الليل مبتها
قربى لبارى هذا الكون والنسم
في هدأة من سكون لا يحاطها
إلا تسابيح قلب طاهر وفم
إلى أن قال :

وضمه ضمها جبريل في مقه
ليودع النفس سرا غير منعدم
ومن ذلك ما جاء في د ملحمة أمير الأنياء ،
للشاعر عامر بحيري (١) فقد أفرد فصلا خاصا
بعنوان : فوق جبل النور ، من ستين بيتا ،
وصف فيها فترة التحنث التي سبقت الوحي ،
وصور فيها تأملات الرسول صلى الله عليه
وسلم ، وتفكره فيما يراه حوله من أمور
لا يرتضيها العقل السليم ، ثم ما كان يحس به
في قرارة نفسه من ضرورة التغيير ، وتحطيم
هذه الأوثان .

وبما جاء في هذا الفصل قوله :
ونام محمد بالغار يوما
قد استوفى مجاهدة وصوما
فشاهد في الكرى حلما رهيبا
فيالك في جميع الدهر حلما

(١) الشاعر عامر بحيري هو الآن رئيس قسم
إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة والإرشاد ،
وللملحمة المشار إليها من مائتين وألف بيت مقسمة
عشرات عقرات وهي في سيرة النبي عليه الصلاة
والسلام .

في حديثه شاعرا قبل أن يكون مؤرخا قال :

سائل حراء ، وروح القدس : هل علما
مصنون سر عن الإدراك منكم ؟

كم جيئة وذهاب شرفت بها
بطحاء مكة في الإصباح والغيم

ووحشة لابن عبد الله بينهما
أشهى من الأنس بالأحباب والحشم

يسامر الوحي فيها قبل مهبطة
ومن يبشر بسمى الخير يتسم

إلى أن قال ، وهو أرواح ما قال شوقي :

ونودي : اقرأ ، تعالى الله قائلها
لم تتصل قبل من قبلت له بفم

هناك أذن للرحمن قائلات
أسماع مكة من قدسية النعم

أرأيت تصويرا أبدع من هذا ؟ ثم استمع
إلى تصويره لقريش عند ما علوا بهذا النبأ

العظيم .
فلا تسئل عن قريش : كيف حيرتها

وكيف نفرتها في السهل والعلم
تساءلوا عن عظيم قد ألم بهم

رى المشايخ والولدان باللم
وفي ظل البردة ، للرحوم الشاعر محمد

عبد المطلب تصوير بديع كذلك لم يتقيد فيه
الشاعر بعبارات كتب السيرة كما فعل طاهر

بجيري . قال :
(البقية على الصفحة التالية)

وأى ملكا يميناه كتاب

تقدم نحسوه ، فدنا وأوما
وقال ، وقد أشار إليه : « اقرأ ،

فلم يظهر لذلك القول فهما
هنالك غطه غطا شديدا

وأرسله ، فكاد عليه يغمى
وقال له ، وقد خلاه : « اقرأ ،

لجأوبه : وهل حصلت علما ؟
فعاد فغطه غطا جديدا

شديدا ، ثم أرسله فهما
وجدد قوله المأثور : « اقرأ ،

تخاف الموت والأمر المعنى
وقال دوما الذى أقرأ ؟ فكانت

سؤالا عنده المقدور تما
هناك تلا عليه الروح فصلا

من القرآن أول ما يسمى
ثم أخذ يصف نشاط الرسول عليه الصلاة

والسلام بعد ذلك ، وما كان من ذهابه إلى
خديجة وقص ما رأى عليها وما دار بينهما

من حوار ، ثم ما تلا ذلك من إعلانه أمر
الدعوة ... وبده النصال إلخ ...

ونلاحظ أن مثل هذا الموضوع يقيد
الشاعر حتى ليكاد يكون مجرد ناظم لأنه مضطر

إلى ذكر الأحداث كما رواها التاريخ ، وهى
مهمة ليست بالسيرة .

واقصد صور المرحوم أحمد شوقي في نهج
البردة يوم بدء الوحي في أربع صورة ، وكان

من علماء الإسلام :

عالم مثالي يترفع

للأستاذ محمد رجب البيومي

سكنوا أجل من للوك جلالة وأعز سلطانا وأختم مظهرنا
من كل بحر و الشريعة زاهر ويريكه الخلق العظيم غضنفرنا
شوق

يعتبر أبو جعفر المنصور المؤسس الأول للدولة العباسية ، وكان من الهبة والحشية بمنزلة توحى الرعب وتبعث الفرع فيمن يخاطبونه ويشاركونه الحكم من أمراء ووزراء وقواد... ولو نظرنا إلى تاريخه نظرة فاحصة لرأيناه - وإن ملك الدنيا ودانت له الرقاب - غير سعيد بأهله وسلطاناه فقد رأى الرجل من الأحداث المتناقضة

المتضاربة منذ صباه النامي ، إلى أن لقي ربه ما أورثه القلق والحيرة واليأس ، فقد كان يظن إبان نشأته الأولى في حكم الأمويين أن ما تعانيه نفسه من فزع ، وما تلقاه عشيرته من مضض سيزول حتما بزوال الدولة الأموية المستبدة ، ولذلك جاهد وجالد ، وانتقل إلى شق الأفاصى النائية ليبشر بيوم جديد تشرق فيه الشمس على العالم الإسلامى ساطعة منيرة

(بقية المنشور على صفحة ٧٨٢)

لما أظلم الورى إن دعوته
وثار نور الهدى يسطو على الغمم
أوفى على قلبه داع أهاب به
من جانب القدس : هذا نورنا قسم
وحوله من قریش كل معتم
في حماة الكفر يهوى خلف معتم
فاستوحشت بينهم نفس له أنست
بوحة البيد ، وارتاحت إلى الوجد
مستأنسا بحلال الله يشهده
في النار بين خشوع البيد والألم

حق تبين أعلام النبوة في
ما قدر رأى ، ثم لم يرتب ، ولم يهم
أوحى إليه كما أوحى إلى رسل
من قبله بالهدى والملة القيم
بالتور ، بالحق بالفرقان أرسله
الله الذى علم الإنسان بالقلم
والله الموفق للصواب ؟

دكتور سعد الدين الجبزاوى

ثم تغيرت الدنيا وتحقق الحلم المشتهى وأصبح خليفة بأسر فيطاع ، فهل هدأت نفسه قليلا من شجنها الثائر ووجدتها المقيم ؛ لأنه لينظر فيجد نفسه مضطرا إلى أن ينقلب على أصدقاء الأمس ممن بنوا مجده ورفعوا أخلاقه فقسيل دماؤهم على شفرات سيوفه وتساقت رقابهم بضربات أنانيته وحذره ١١ .

ثم إنه لا يقتصر في ذلك على أصدقائه وأعوانه ممن لا تربطه بهم أواصر الدم والنسب بل ينتقل إلى أبناء هومته فيتخذهم خصوما أشد خطرا ، وأفرع أثرأ من الأبعاد الغرباء ، ويعمل فيهم جبروته فيقتال الأرواح ويسفك الدماء ١١ وليت شره اقتصر على بني العمومة بل انتقل إلى بني العباس أنفسهم فهو يقصى ولي عهده بتدبير ظالم ، ليمهد السبيل إلى نجسه ، ثم يقتنع أنصاره وخلصاءه فلا يفلت من يده أحد ، ويظن الظنون في ملوإيا وزرائه ونيات قواده فيعصف في الغد بصديق الأمس ، ويحدث من الارتياح والقلق في نفوس حاشيته ما يجعل الوزير المطاع يترقب يومه في حذر وإشفاق ... بل هو يسبر أغوار خلصائه ومعارفه محلا معلا فيجدهم مثله طلاب جاه وتنفوذ ، وعشاق أموال وقصور ، فليس فيهم من يخلص له النصيحة بنفس صادقة وسريرة طاهرة ،

وإنه يرى في وجوههم عيون الثعالب يديرونها ذات الشمال وذات اليمين ، وهو بعد مضطر إلى مصانعتهم والتغاضي عن بعض ما يأتون ليكونوا أعوان شدته ، ونصراء كريمته ١١ ليت شعري أيستقيم له في هذا العباب المضطرب هدوء واثق ، أو اطمئنان مريح . لقد أخذ يستعيد تاريخ حياته ، ويفكر في بعض من يعرفهم من ذوى النفوس الخيرة ليكونوا مستشاريه ونصحاءه فلم يكد يعثر على أحد . ثم لمع في ذهنه فجأة خيال صديقه القديم العالم العابد الزاهد عمرو ابن عبيد ، فرأى فيه مثلا للصراحة المخلصة والنزاهة الخالصة من المآرب والهوى ، والرجولة المترفعة عن الرغبات والميول ، فبعث إليه من يستدعيه مكرما مبجلا ١١ وإنه ليأمل أن يجد بعض الراحة معه حين يجلس لحظات مع نفس ملائكية لا تفكر في غير نوازع الحق والخير والجمال .

لم يكن عمرو بن عبيد بالحامل الذكر أو المجبول القدر فقد كان عالم البصرة ورأس متكلميها وله جدل يفحم الخصم ، ولسان يفلق الصخر ... وإن اختلف أعداؤه معه في آرائه الاعترالية وتسلكه القدرى ورأيه في العدل والامعية فهم متفقون جميعا - إلا من نذر - على طهارة نفسه ونزاهة ضميره ، ومثانة خلقه ١١ وإن أستاذة الحسن البصرى

إليه بعض تلاميذه ذات صباح فقال له :
يا أبا عثمان إني لأرحمك بما يقول الناس فيك
فقال يا ابن أخي ، أسمعني أقول فيهم شيئاً ؟
فقال : لا ، فيأبهم فأرحم ١١

هذا الرد الوجيه البليغ يكفي على قصره
أن يكون مفتاحاً لشخصية قائله ، فإنه
ليكشف لك النقاب عن مشاعره وأحاسيسه
لترى بذاته الداخلية أغفاً رحيباً من التسامح
والعفة والنقاء : وهذا بعض ما جذب
المنصور إليه فبعث يستدعيه ١١

لقد فكر عمرو بن عبيد في دعوة المنصور
إذ بلغته ، وأخذ يسائل نفسه ماذا يروم مني
هذا الرجل وقد اعتزلت قصره وبلده ،
وما فكرت في زيارته منذ ولي أمور الناس
مع أنه كان من أصدقائي الأقربين أيام شبابه
في الحكم الأموي ، فكان ينزل إلى مسكني
فيعرف زوجتي وأولادي وأقربائي ويرى
بنفسه ما آتي وما أذع من الأمور ١١ لقد
مضت السنون الطويلة دون أن أخطر على باله
في مضارعة عظمته المرهوبة وسلطانته العريضة
يعلم الله أني أفر من هؤلاء المتسلطين فرار
الصحيح من الأجرب ، وأعرف أن في التقرب
إليهم مشاركة إيجابية فيما يقترون من المآثم
إن لم يجابهوا بالنصيحة الحاسمة والمعارضة
الصريحة كما أمر الإسلام ثم ماذا أصنع الآن ؟
أرفض الدعوة أم أجبها ؟ .

ليعبر عن شعور عارفيه حين يقول عن
تلميذه التي كلمة يفوح منها عبير المحبة والتقدير
وقد خبره في حلقات الدرس ، واكتشف
سلوكه في معاملة الأنداد والنظران فاندفع
يقول عنه في ثقة وإعجاب :

« عمرو ! وما عمرو ! رجل كأن الملائكة
أدبته ، وكأن الأنبياء ربه ، إن قام بأمر
قعد به وإن قعد لأمر قام به ، وإن أمر بشيء
كان ألزم الناس له ، وإن نهى عن شيء كان
أترك الناس له ، ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن
منه ، ولا باطناً أشبه بظاهر منه . »

هذه التزكية المشرفة من إمام خطير الرأي
والمكانة والثقافة في عصره كالحسن البصري .
لا تكفي لدفع لجاجة بعض خصومه في الرأي
فاندفعوا وراء حقودهم الشخصية إلى مهاجمة
دينه وعتيدته ، وإذا كان الرجل قد ألهمهم
بالحجة والعقل ، ورى تقوهم بالوضع
والافتراء ، وأول ما يعتمدون عليه من
الآيات والأحاديث والنصوص ، فقد
رموا منه بداهية دهياء ، إنه قد رزق من
سلامة القول وفصاحة العبارة ما ملك أزمة
العامة والخاصة ...

فليس لخصومه معه في جميع هذه النواحي
سبيل إلى الجحافة والعناد . وقد غلت الحقود
المريضة ببعضهم فاندفعوا بسبونه سباباً
جارحاً يبرأ منه الخلق الأصيل حتى لقد جاء

أما حاشيته المتملقة فلا بد أن ينالها نصيب من اللوم والتفريط ، فقد كانت عون الباطل على رسالته وما برحت تميل مع السلطان حيث يميل ، لتضمن الجاه الزائف وتختلس في فظاعة الرئاسة ما تصل إليه الأيدي من قصور وضياع وأموال ! وتلك نائفة الأثام في منطق العالم الصابر الزاهد العيوف !!

وحان موعد اللقاء فما أن علم أبو جعفر بوصول عمرو حتى أسرع في استدعائه وتخطى إلى حضرة الخلافة ماثا الوجهاء من الأعيان والقواد والعلماء ممن قعدوا يلتسمسون الإذن وينتظرون على أحر من الجمر أن يشملهم الخليفة برعايته فيسرع في قبول المثول ، وقد علم الخليفة من سيلتي من العلماء المخلصين ؟ فوطن نفسه على الاستكانة والامثال وحسبه أن يسمع صوت الحق الزهيه بريئا من الأغراض والشبهات ، وأدركته حصافته فرأى أن يقتل من حجرة الخلافة ذات الأرائك المذهبة والنمارق المزركشة إلى حجرة متواضعة فشت بالحصير كيلا يعلن الرجل احتجاجه قبل السلام !! وقد هش اللقاء صاحبه وعاققه وقبله ، ثم رفع إليه عينه وهو يقول في انكسار : عظمى يا أبا عثمان !

فنظر عمرو إلى الخليفة نظرة تنطق بجميع ما يضر من سخط وإنكار ثم جللته سكينه

هذا ما تردد في نفس عمرو ! غير أنه لم يلبث أن قطع كل تردد ، وصمم على زيارة أبي جعفر لا ليلاطفه ويخادعه بل ليقول كلمة الحق فيما يأتي من الأشياء وهو بعد كما يعلم المنصور لا يخشى في الله لومة لائم ! بل يقذف بالحق على الضلال ...

فكر أبو عثمان أثناء طريقه فيما سيواجه به أبا جعفر من أشياء ، فهو في ميزانه الزهيه قد حاد عن طريق الخلافة الراشدة فيما قام به من تجبر وإرهاب إذ جعل كل همه أن يثبت قوائمه عرشه فتم ذلك على أشلاء الضحايا ومع رنات الشكالي والنادبات ، ولم يعتبر بما أصاب الدولة الأموية من انهيار حين سلك مسلكها الوبي ، بل لم يعتبر بما حكاه القرآن عن إرم وعاد وفرعون ذى الأوتاد عن طفوا في البلاد ، ولا بد أن يواجه بذلك ليرتدع عن غيه ولم يهجم عمرو بعاقبة . فحسبه أن أوى أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دنياه ، ثم إن الخليفة من ناحية ثانية قد نكث ببيعة ولى العهد وأجبره على التنازل عن حقه لولده المهدى !! وولاية العهد عن طريق الوراثة في منطلق عمرو وفي رأى الإسلام الصحيح مفسدة تضر بالدولة وتقدم الفضل الكسول ليحتل مكان الحازم الإدارى الصبور ! فليواجه أبا جعفر بذلك ليكون على بصيرة بما تحت قدمه من بركان ،

متهكما وقال هذا أخو الشيطان ! ويلك
يا ابن مجالد ! خزنت نصيحتك عن
أمير المؤمنين ثم أردت أن تحول بينه وبين
من يريد نصيحتك ! يا أمير المؤمنين إن هؤلاء
اتخذوك سلبا لشهواتهم ، فأنت كالآخذ
بالقرنين وغيرك يحلب ، فاتق الله ، فإنك
ميت وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث
وحدك ، ولن يغني عنك هؤلاء من ربك
شيئا !!

أخذ الحاضرون من رجال الحاشية بصراحة
أبا عثمان ! وعلوا أن الرجل قد هتك
بصائرهم المدخولة بما قال ، وعقدت ألسنتهم
فقد افغوا يتلاحظون بنظرات ضارعة منكسرة ،
وتطلعوا إلى الخليفة في حذر فسمعوه يقول :
يا أبا عثمان أعني بأصحابك فاستمعين بهم دون
هؤلاء ، فرد الرجل في قوة : أظهر الحق
يتبعك أمه !

يا لها من ساعة حرجة فرج فيها العالم
الناصح عن نفسه بعض ما يعتلج بها من
شجون ! لقد ذكر رأيه صريحا في جبروت
الحاكم وطغيان الحاشية ، وبقى أن يعلن رأيه
في المهدي ولى العهد الجديد ! فنظر بين
الحاضرين إلى شاب مترف عليه دلائل
الإمارة والجاه ، وتوقع باستشفافه الملمم
أن يكون الشاب ولى العهد ، فرفع رأسه
ليسال المنصور من هذا الفتى يا أبا جعفر !

وحديثة جعلت وجهه طاقة من نور واندفع
يقرا بعد البسملة قول الله :

« ألم تركب فصل ربك بعاد . إرم ذات
العماد . التي لم يخلق مثنها في البلاد . وشمود الذين
جاءوا الصخر بالواد . وفرعون ذى الأوتاد .
الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد .
فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك
لبالمرصاد ، ! وكرر الآية الأخيرة في تحد
جري . عنيد ! ففهم أمير المؤمنين ما يعنى
أبو عثمان ، وملدته رعشة مرتجة فتساقطت
من عينيه الدموع !!

فلم ينقطع الرجل عن قوله ، وصاح :
« إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك
منه ببعضها ، واعلم أن هذا الأمر الذى صار
إليك إنما كان فى يد من كان قبلك ثم أفضى
إليك ، وكذلك يخرج منك إلى من هو
بعدك ، وإنى لأحذرك ليلة تتمخض صبيحتها
عن يوم القيامة يا أمير المؤمنين !! »

وكان سليمان بن مجالد كبير حاشية المنصور
يستمع ويرى فاستفظع ما طرأ على الخليفة
من حزن واضطراب وصاح بأبي عثمان رفقا
بأمر المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم ، !
فرفع عمرو رأسه وقال له من أنت ؟ فقال
أبو جعفر : أو لا تعرفه يا أبا عثمان ، قال
لا ، وما أبالى الا أعرفه ! فأجاب المنصور
هذا أخوك سليمان بن مجالد ! فضحك عمرو

خادعة ، أو مشورة وموهومة وكم شاهد في مدى حياته مئات من هؤلاء يتوجهون إليه وبريق الذهب يخطف أبصارهم فايزالون يسألون ويلحفون !! إنه ليكشف دخائل هؤلاء جميعا فيرى نفسه - وهو الخليفة - فريسة يتطلع إليها الصائدون بمبائل مستترة تدب خفية إلى خزائنه ووظائفه فتفوح منها رائحة الأثرة والاستكلاب !! وما يزال صدره يحيش بأمثال هذه المعاني حتى تجبره على التعبير عنها في نغم منظوم فيجد لسانه ينفخ بهذه الشطرات البليغة :

لكم طالب صيد لكم يمثنى رويد
غير عمرو بن عبيد

فأى عالم ذلك الذي رنح أوتار الخليفة حتى دفعه - وهو غير شاعر - إلى مديحه بشطرات من الشعر كانت في حقيقةها متنفسا سريعا لمشاعره المتلاطمة ، ذلكم هو أبو عثمان عمرو بن عبيد !!

فهرج رجب البيومي

المدرس الأول بدارالمعلمات بالفيوم

فرد الخليفة هذا ابني محمد وهو المهدي ، ولي عهد أمير المؤمنين ، فاهتبلها فرصة سانحة وقال : والله لقد سميت اسمي ما استحتمه بعمل ، وألبسته لبوسا ما هو من لبوس الأبرار ، ومهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه !! .

تضايق الخليفة من صراحة الرجل وأراد أن يتخلص من لقائه فسأله في تصنع : هل من حاجة ؟ فقال نعم ، فتعجل أبو جعفر يسأل وما هي ؟ فقال أبو عثمان ألا تبعث إلى حق آتيك ! قال إذن لا نلتقي . قال عن حاجتي سألتني ، ونهض قائما فودعه الخليفة ، ومكث حائرا لا يدرى ما يصنع فكأنه تقيد في مجلسه ثم جعل يفكر في منطق هذا البطل العظيم ، وكيف صدقه أقول حين كذب عليه الناس وتذكر بكل مرارة فاقتته وحرمانه وكيف ضن معهما بكرامته أن يأخذ رهما أو دينارا هما بعض حقه في بيت المال ، وتدافعت في مخيلة الخليفة صور المملوقين والمادحين ممن يلتمسون الكسب الكثير وراء نصيحة

قبل في العلم :

أول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث التحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره .

أرب مقارن : عمورية وواترلو بين أبي تمام و فيكتور هيجو للأستاذ العوضي الوكيل

قصيدتان من أدب الحرب، إحداهما شرقية والأخرى غربية، لشاعرين في الذؤابة من شعراء العربية والفرنسية، هما أبو تمام حبيب ابن أوس الطائي وفيكتور ماري هيجو. أما أبو تمام، فهو حبيب بن أوس الطائي، شامي المولد، انحدر إلى مصر صدياً وفيها تأدب، وحفظ الشعر قصيده ورجزه، وعالج القريض، ثم تحول إلى بغداد واتصل بالبلاط العباسي، زمن المعتصم وغيره، وتوفي سنة ٢٣١ هجرية.

وأما هيجو فهو فيكتور ماري هيجو، ولد سنة ١٨٠٢ ميلادية في مدينة بيزانسون التي تقع إلى الجنوب الشرقي من باريس، وفي طفولته زار مع أبيه عدة بلاد أوروبية. وفي سنة ١٨١٩ قال إحدى الجوائز الأدبية في الشعر من أكاديمية تولوز. وفي سنة ١٨٤٨م انتخب نائباً في الجمعية التأسيسية الفرنسية وأدركته المنية في ٢٣ من مايو سنة ١٨٨٥ م فشيخته فرنسا إلى مقره الأخير تشيخاً وطنياً رائداً.

وقصيدة أبي تمام تكاد تبلغ خمسين بيتاً، وهو يسجل فيها انتصار المعتصم على الروم في موقعة حمورية، مادحاً إياه بالبطولة والشجاعة، وقد استلها بمقدمة ترتبط بقصة، ذلك أن المنجمين كانوا قد حذروا المعتصم فتحها في الأوان الذي عزم فيه على هذا الفتح، وقالوا إنا نجد في كتبنا أنها لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب، ولكن المعتصم لم يسمع قول هؤلاء المنجمين، وسار بجيشه إليها، فأتم الله عليه نعمته، وتمكن من فتحها، والاستهلال يرتبط بتلك القصة، وفي عشرة أبيات من القصيدة البسيط، يبين الشاعر فضل السيف، ويسخر سخريه لازدهار من المنجمين وعلمهم، لامن العلم بعامة، فليس مثل أبي تمام من يجمل فضل العلم، فيضعه في مقام الموازنة مع السيف، ولكنه علم المنجمين، ذلك العلم الذي يستقيه المنجمون من الشهب السبعة، ونزولها في أبراجها بين صفر الأصفار أو رجب، والمنجمون يتحدثون باسم النجوم والأبراج، وهي نفسها غافلة لا تدري ما يدور في أفلاكها وأبراجها. وفي الأبيات الخمسة التالية يذكر الشاعر عظمة الموقعة، وأنها لعظمتها تسمو

عن أن تصفها الخطب أو يصورها
الشعر، وأن الله حقق بها للسلين أمانهم .
وفيا بعد ذلك يصف الشاعر تحصينها
وامتناعها على الفاتحين والغزاة ، ثم انتصار
العرب ، ذلك الانتصار الذي كانت السنون
والأحقاب تدخره للمعتصم ؛ يقول أبو تمام :
وبرزة^(١) الوجه قد أعيت رياضتها
كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب
من عهد أسكندر أو قبل ذلك قد
شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
بكرو ، فافترعتها كف حادثة
ولا ترفت إليها همة النُوبِ
حق إذا مخض الله السنين لها
تخض البخيلة كانت زبدة الحقبِ
ثم يمتحن أبو تمام فيدخل المعركة مع
الداخلين ، ويصف بريشته الواعية ما حل
بالمدينة من الدمار والحرب ، وما خر تحت
أنقاضها من فوارس وأبطال .
كم بين حيطانها من فارس بطل
قاني الذرائب من آني دم سرب
لقد تركت أمير المؤمنين بها
لنار يوماً ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهم الليل وهو ضحى
يشله^(٢) وسطها صبح من الذهب

حق كأن جلايب الدجى رغبت
عن لونها أو كأن الشمس لم تغب
ويلتفت أبو تمام إلى ذلك الدمار والحرب
التفاته غريبة ، فهو منتصر وفي عينيه يلوح
هذا الدمار والحرب جيلاً باهراً ، محبوباً
كأنه ديار الأحبة المعمورة يطوف بها
المحبون في إعجاب :
ما ربع مية معمورا يطيف به
غيلان أبهى ربي من ربها الحرب
ولا الحدود وقد آدمين من خجل
أشهى إلى ناظري من خدما الترب
سماجة^(٣) غنيت منا العيون بها
عن كل حسن بدا أو منظر عجب
وحسن منقلب تبدو عواقبه
جاءت بشاشته عن سوء منقلب
فإذا فرغ الشاعر من تصوير هذا الشعور
الغريب مضى إلى المعتصم ، ليوفيه حقه من
التعجيد والمدح لما ناله من انتصار مؤزر ،
ولا ينسى أن يذكر أن المعتصم نفر إليها
حين نقلوا إليه أن امرأة تستغيث به فيها
وتقول : وامعتصمها ، ويذكر كيف انهزم
أمامه أعظم قادة الأعداء ، ثم يهتف به قائلاً :
خليفة الله جازى الله سعيك عن
جرثومة الدين والإسلام والحسب

(١) قبج .

(٢) يدفعه .

(٣) جيلة .

أعدائه ، ووانجتون ، ذلك القائد العنيد ،
يتراجع قليلا أمام جنود نابليون ويوشك
أن يصبح محصوراً في غابة قريبة .

ويقاق نابليون لأنه لم ير استماتة من أعدائه
في الكفاح كذلك الاستماتة ، ولأن النصر
السريع لم يواته كالعادة ، ولأن الحرب تدور
في حقد وموجدة في جو ملاء تراب المعركة ،
وزمام المعركة في يد المقادير :

أتى المساء ووجه الأفق معتكر
وأوشكت ظلمات الليل تنسدل^(١)

والصراع قسام ثم منقشر
والضرب ذلزل منه السهل والجلل
والنصر أوشك أن يدنو إلى يده
وأن يصح له في حربه الأمل

أدنى عدويه محصور بغابته
قد شد أطنابه من حوله الفشل
يرى بمنظاره ما لا يسر به
ويرقب الجند في الساحات تقتل

دارت رحي الحرب في حقد وموجدة

والأفق بالثير المبثوث مفستل
ويظهر « بلوخر » القائد الحليف لوانجتون
من بعيد ، فيشتد أمل الحليفيين في الانتصار
على خصمهما الكبير ، وتضيق أرض المعركة

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال إلا على جسر من التعب

إن كان بين صروف الدهر من رحم
موصولة أو ذمام غير منقضب

فبين أيامك اللاني نصرت بها
وبين أيام « بدر » أقرب النسب

أما قصيدة فيكتور هيجو ، فإن موضوعها
يدور حول وقعة واترلو الشهيرة التي هزم
فيها نابليون بونابرت أمام الانجليز وحلفائهم ،
وننى بعدها إلى جزيرة سنت هيلانة .

وكان لنابليون حرس امبراطورى يفتخر
به ، ويعتقد أنه لا شيء في الوجود يستطيع
أن يعترض طريقه ، فأراد أنه أن يخفف من
غلواء كبريائه وغروره بحرسه فأراه هذا
الحرس في وقعة واترلو وهو يذوب - كتعبير
هيجو - ذوبان الشمعة قاربها النار . لقد
رأى نابليون بعينه جنده الأقوياء الأشداء
يسقطون في الميدان صرعى فرادى
وجماعات .

وقد استهل هيجو القصيدة ، بوصف
مرارة الصراع بعد أن حل المساء وبعد يوم
طويل من القتال العنيف ، والضرب الذي
ذلزل منه السهل والجبل ، وغبار المعركة
ينتشر في أجوائها ، ونابليون يمسك بمنظار
الميدان ، ويتتبع حركات المعركة بينه وبين

[١] الشعر المنسوب إلى هيجو هنا من ترجمة
صاحب المقال ونظمه .

صفوف من الفولاذ ، لا الجنة ، حطمت
فما بينها إلا طعين بجندل
وذاوبوا كما ذابت لدى النار شمع
وكل أمرى رهن يوم يؤجل

وهيجو في قصيدته ، يقص ، ويسترسل
ولا يقدم للقصيدة بما يجعل أن الحرب كانت
للاتنقام أو للثأر أو شيء من ذلك كما فعل
أبوتام ، ولم يعن هيجو بأن يسبق على
المنتصرين أوصاف الشجاعة والاقتدار
في المعامع ، لأنه مهزوم ولعله أراد أن يبرر
هزيمة ابن جلدته ، بعد أن أوقع به القائدان
المتحالفان الروسي والانجليزى ، ولم يستطع
كذلك أن يرسم لنا - كما فعل رصيفه العربى
ما حل بالمنزعين من التدمير والتحطيم ، بل
لأنه لم يذكر لنا - كما ذكر أبوتام - نتائج
هذه المعركة الهامة ، وكل ما عني به تصوير
دخول الحرس الامبراطورى المعركة ،
وتصوير هلاكه وهزيمته تحت نيران أعدائه .

إن وصف المدينة المقار عليها ، التى
أصابها التدمير والتخريب ، بلسان المنتصر
المزهو باتتصاره ، وبالصورة التى صورها
بها أبوتام هيئات أن نجد له مثيلاً
فى أى أدب من الآداب العالمية ؟

العوضى الموكيل

كالجيم العارية . وتتمزق الأعلام وتختلط
بالأشلاء ، ويخرقارح الطبل على نافخ البوق ،
وأزهى الملابس والقلائس يلمطخه وحل
الأرض بالطين . ويتهاوى الجنود كما يتهاوى
الأوراق ويميلون كما تميل السنابل .

روح القتال تغيرت وجهاتها
والأرض تحسبها جميعاً عاوياً
وكان كل كتيبة طود ، غدا
من هول ما يرى به متداعياً
كم قارع للطبل خر ، ودونه

أزهى القلائس ما غدون زواهيها
مالوا بميل السنبلات نواضجاً

وتجدلوا فرط الجراح دأومياً
والامبراطور العظيم تراه فى
قلق ، وقد أمسى هبوساً عانياً

قطوى صحاف الحرب بين يدي فنى
باطالما نشر الصحاف حوالياً

ولا يجد نابليون مفرأ من أن يدخل
حرسه الخاص المعركة ، ويتقدم الحرس ذو
التاريخ المجيد فى المعارك :

لم فى ديفولى ، ذكره عبقرية
وفى فرد ليباندروى النصر عنهم

ويتحطم الحرس ، ويذوب :

اجتصاد أبي حنيفة وموقفه من الحديث

للأستاذ محمود الشريف

لا أصلح للقضاء . فقال له : كذبت ! فرد أبو حنيفة : قد حكم عليّ أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء ؛ لأنه ينسب إليّ الكذب ، فإن كنت كاذباً فلا أصلح ، وإن صادقاً فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح ، فردوه إلى السجن .

وكما رفض القضاء بين يدي أبي جعفر رفضه بين يدي يزيد بن عمرو بن هند عامل مروان على العراق في دولة بني أمية ، وضربه ابن هبيرة بالسياط ثم خلى سبيله ، وكانت أمه إلى جواره تقول له : يا نعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه . فأجابها يا أمّك لو أردت الدنيا لوصلت إليها ولكنني أردت أن يعلم الله أني صفت العلم ولم أعرض نفسي فيه للهلكة ، وظل في حبسه حتى مات بعيداً عن تحقيق أغراض السلطان الذي قال فيه عندما كان يوصي تلميذه ، أبا يوسف ، : كن من السلطان كما أنت من النار تنفّس بها وتباعد عنها ولا تدن منها فإنك تحترق .

ومن أبرز صفاته : قوة الحجّة وبراعة

مع ظهور الإسلام تقدم الفكر وارتقت الحياة العقلية ونهضت الحضارة الإسلامية ، وبلغت ذروتها في العصر العباسي فأخذت زخرفها وتكاملت ، ونشطت الترجمة ونقل إلى اللغة العربية كثير من ذخائر الفرس واليونان والهند .

وفي هذا العصر ظهرت نهضة أصيلة لم تقم على علوم أجنبية ولم ترتكز على الترجمة ، هي النهضة التشريعية التي انبثقت من فقه أبي حنيفة ونبتت من حلقاته العلمية بمسجد الكوفة . وقد عاش الإمام أبو حنيفة النعمان ابن ثابت قرابة سبعين سنة منذ مولده بالكوفة سنة ٨٠ هـ إلى وفاته ببغداد سنة ١٥٠ هـ . شاهد خلالها أحداث الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد كان متين الخلق قوى الشخصية لا تلين له قناة في الحق ، ورعاً عظيم الخشية لله ، طلب منه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أن يتولى القضاء فرفض ، فعوقب بالضرب والسجن ، ثم دعاه الخليفة مرة ثانية من السجن وعرض عليه ما عرضه أول مرة فقال أبو حنيفة له :

الكوفي، و د ابراهيم النخعي، وقد تتلذذ على يد حماد وقال عنه، كما جاء في الجزء الثالث من تاريخ بغداد (صحبته عشر سنين ثم نازعتني نفسى الطلب للرياسة فأردت أن أعزله وأجلس في حلقة لنفسى، فخرجت يوماً بالعشى وعزى أن أفعل، فلما دخلت المسجد ورأيت لم تطب نفسى أن أعزله فجئت وجلست معه فجاءه في تلك الليلة نعى قريب له قد مات بالبصرة وترك مالا وليس له وارث غيره، فأمرنى أن أجلس مكانه فما هو إلا أن خرج حتى وردت على مسائل لم أسمعهامنه فكنت أجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين ثم قدم فعرضت عليه المسائل وكانت نحواً من ستين مسألة فوافقني في أربعين منها وخالفني في عشرين فأليت على نفسى ألا أفارقه حتى يموت، فلم أفارقه حتى مات) .

ولما مات أستاذه حماد سنة ١١٩ هـ رأى أعجابه وتلاميذه أن خير خليفة يملأ مكانه في الفتيا والدرس والتعليم هو أبو حنيفة فأجابهم إلى ما طلبوه منه . وذاع صيته وارتفع شأنه وصار مجلسه العلى في المسجد مثابة لختلف الطبقات من حكام وأمرأ وقواد . وتتلىذذ عليه أئمة جاءوا من بعده مثل د أبى يوسف، و د زفر بن الهزيل، . وعن حلقة أبى حنيفة يقول الأستاذ عبد الحليم

الاستدلال قالوا عنه لو أراد أن يقيم الدليل على أن هذه السارية (الاسطوانة) ذهب لفعل، وكان مع هذا كله إذا جمع المال تسابقت كفتاه في توزيعه على الفقراء وذوى الحاجة ...

كان تاجراً صناعته الفكر . . ومفكراً اشتغل بالتجارة، بل كان من أكبر تجار الكوفة في عصره، ومن خلال هذه الحرفة تكشففت أخلاقه وتقواه، فلم تلته تجارة ولا يبيع عن ذكر الله، وعرف بالأمانة في تجارته ومعاملاته . . كان لا يبخش ولا يخذع ولا يبيع شيئاً به عيب إلا بعد أن يبين للشترى ذلك العيب . بعث بمناح (بضاعة) إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه في التجارة وأعله أن في ثوب منه عيباً وأمره أن يبينه للشترين فباع حفص المناح ونسى أن يبين العيب واستوفى الثمن كاملاً لهذا الثوب المعيب فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه البحث عن المشتري والكنه لم يهتد إلى المشتري فسأ ذلك أبا حنيفة وانفصل من شريكه وتصدق بثمن الثوب كله حتى لا يدخل في ذمته وماله شيء فيه شبهة .

تطلعت نفسه منذ صغره إلى المعرفة الحققة ورغب في العلم والاستزادة من معينه فاتجه إلى دراسة الفقه الإسلامى واتصل بكثير من أعلام الفقهاء في العراق د كهماد بن سليمان

ف هؤلاء قوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا ،
ومن هذا تتضح لنا الأصول والأسس التي
قام عليها مذهبه وهي : القرآن والسنة وإجماع
الصحابة ثم القياس أى الرأى والاجتهاد فكان
أبو حنيفة يقيس المسألة على أخرى ليردها
إلى أصل من أصول الكتاب أو السنة
أو اتفاق الأئمة ، فيعمل فكره ويحكم عقله .
سئل أبو حنيفة : إذا قلت قولاً وكتاب
الله يخالف قولك ؟ قال : أترك قولى لكتاب
الله . قيل : فإذا كان خبر رسول الله عليه
السلام يخالف قولك ؟ قال : أترك قولى لخبر
رسول الله . قيل : فإذا كان قول الصحابي
يخالف قولك ؟ قال : أترك قولى لقول الصحابي
قيل : فان كان قول التابعى يخالف قولك ؟
قال : إذا كان التابعى رجلاً فأنا رجل ، وكان
يقول : هذا رأى فمن جاءنى بأحسن منه
قبلناه ، ولا غرو فهو رائد من رواد الفكر
الناضج والاجتهاد المستنير أراد أن يأخذ
الدين عن أصوله الصحيحة ويقيم مذهبه على
أحاديث ثابتة صحيحة سليمة فكان يفحص
الأحاديث ولا يعمل بواحد منها إلا إذا ثبت
عنده أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أو عن أصحابه . ومذهبه مملوء بالمسائل
والأحكام التي تعتمد على أحاديث رسول الله
وصحابته فهو لم يترك الأحاديث النبوية كما يشاع
عنه ، إنما اعتمد على ما ثبتت صحتها عنده .

الجندي في كتابه « أبو حنيفة بطل الحرية
والقساح » : لم تكن حلقة أبي حنيفة كسائر
الحلقات ، بل كانت تأتي كل يوم بمجدد يتجلى
فيها طابع التطهر في الجسم وفي العقل معاً ،
فلا يستعملون الماء إذا استعمله سواهم ، ومن
أجل ذلك اتخذ أتباع أبي حنيفة للوضوء
حياضاً ذات صنابير فنسبت هذه الصنابير إليه
« الحنفيات » ، لأن استعمالها للوضوء يمنع استعمال
الماء مرة أخرى والماء المستعمل غير طهور وعند
أبي حنيفة ؛ فالحنفية التي تفتحها صباح مساء
هي الذكرى المتجددة لهذه الحلقة المتأنقة
في طهارتها . وقد أسس النعمان مذهباً فقيهاً
أخذ أحكامه أولاً من كتاب الله ومن
الأحاديث التي صحت عنده من سنة رسول الله
عليه السلام ، ثم من أقوال الصحابة رضوان
الله عليهم فإذا لم يجد في كل ما تقدم حكماً اجتهد
فيه برأيه واستعمل عقله لإيجاد حكم غير
موجود في هذه المصادر التشريعية السالفة
قال ابن عبد البر صاحب كتاب الاتقاء « قال
أبو حنيفة عن أساس مذهبه في استنباط
الأحكام : أخذ بكتاب الله ، فما لم أجد
فبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فما لم
أجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله
عليه وسلم أخذت بقول أصحابه ولا أخرج
عن قولهم إلى قول غيرهم فإذا انتهى الأمر
إلى إبراهيم النخعي أو ابن سيرين أو غيرهم

إن صح هذا التعبير ، وكان يرجع إليها فيما يأخذ ويدع .

ويقول المرحوم أحمد أمين في كتابه « ضحى الإسلام » ، عن مسلك أبي حنيفة في الحديث « كان له مسلك خاص ، وهو القسدد في قبول الحديث والتحرى عنه وعن رجاله حتى يصحح وكان لا يقبل الخبر عنه رسول الله عليه وسلم إلا إذا رواه جماعة عن جماعة ، أو كان خبراً اتفق فقهاء الأمصار على العمل به أوردى واحد من الصحابة الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في جمع منهم فلم يخالفه أحد . »

ويقول الأستاذ عبد الحليم الجندى في كتابه السالف « أما أحاديث الآحاد التي يرويها واحد عن الرسول أو اثنان أو جمع لم يبلغ حد التواتر عن واحد عن الرسول . وما أكثرها . فلا يطمئن إليها أبو حنيفة . »

إذن هي الحرية العقلية التي اعتمد عليها أبو حنيفة فيما اعتمد ، وكانت مبدأ من أهم مبادئه ، أحدثت ثورة فكرية قوية وبعثت حركة عقلية أنتجت في عصر أبي حنيفة كما يقول المرحوم أحمد أمين « رقياً عظيماً واستخرجت أحكاماً ونظريات هي خير نتاج العصور الإسلامية . »

محمود الشريف

مراقب الكتاب بوزارة التعليم العالي

بقول نعيم بن عمرو سمعت أبا حنيفة يقول : « عجباً للناس يقولون إننى أفتى بالرأى وما أفتى إلا بما أشرعن النبي ، وقد ورد ذلك في كتاب المناقب للسكى الجزء الأول . »

وقال يحيى بن آدم ، وكان من كبار فقهاء المحدثين بالعراق ، « زعم بعض الطاعنين أن أبا حنيفة قال بالقياس - الرأى - وترك الحديث وهذا كذب وافتراء عليه ، فإن كتبه وكتب أصحابه بملوءة من المسائل التي تركوا العمل فيها بالقياس وأخذوا بالآثار الواردة فيها ، ثم ذكر يحيى بعد قوله هذا بعض هذه المسائل . »

وكان أبو حنيفة عالماً بالحديث حجة فيه ، يقول أبو يوسف أكبر أصحابه « ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث ومواضع ما فيه من أبي حنيفة وكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني . »

ويقول الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه عن أبي حنيفة « ليس لباحث منصف أن يرمى أبا حنيفة بأنه كان يترك عاماً بعض ما صح عنده من الحديث والآثار ليأخذ بالرأى والقياس ، حاشاء أن يكون فعل شيئاً من ذلك وإلا لما كان مؤمناً حقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء عنه ، بله أن يكون اماماً من أئمة الشريعة الإسلامية الخالدين . غاية ما في الأمر أنه كان بصيراً بالأحاديث والآثار وكان له أصول وقواعد في « فقه الحديث ، »

الآلة والأداة

للأستاذ محمد بخت الأثرى

ثم نزل بها التنزيل، لتكون عمود الدعوة العظمى، ولسان الشريعة والعقيدة والحضارة والفكر، وانساحت مع العظماء الفاتحين العرب في جنبات الأرض شرقا وغربا، وامتدت معهم امتداد المحيط الأدظم لا تدرى شواطئه، فجرت على يفس الصعيد هنا وهناك ماء وظلا وجنى، واستسلت لاسحر بيانها الأثدة، فتناغى بها من ليسوا أهلها واستجابت لكل نداء، وتلونت بكل إناء، وكان لها على كل لسان مذاق.

وبعد أن وسعت كتاب الله لفظا وغاية، آية آية، ووفت بمطالب الإسلام العظمى في الدعوة والتشريع والفتح، جرت مع السياسة والإدارة أشواطا بعيدة واستلهمتها الحضارة والنفس الإنسانية كما استلهمها الدين عقيدة وشريعة ونظاما، فأمدتها بما طمحت إليه من إبانة، وما أدركها في طريقها الطويل فناء، ونهضت بمنطق أرسطو، وعبرت فأحسن التعبير عن فلسفة الإغريق وثقافات الصين والهند وفارس، وانداحت دائرتها للعلوم والفنون والآداب التي عرفتها عصور العرب الذهبية وكانت تروى على ثلاثة عدا، بينها

كل كائن حي، يدخل عالم الحياة طفلا، ثم يتدرج إلى الشباب فالسكهمولة فالشيخوخة التي تسلم إلى الفناء... إلا كائنا واحداً كان استثناء من القاعدة، ذلك هو هذه اللغة العربية.

فإنها دخلت عالم الحياة طفلة كما تدخلها الأحياء كافة. ثم درجت في مراحلها التاريخية حتى اكتملت قوتها، فوفقت لا ترسيم عند شباب دائم لا يشيب، بل يشب شبابا، ويتجدد على هرم الزمن، آخذنا في نموه صعودا على نظام الارتفاع. ذلك بما استمكن في طبيعة تكوينها من القوة التي تعطيها الحياة الدائمة من باطنها الحى وتحفظ عليها شباب السن مع استبقائها متميزة في نفسها.

ولدت هذه اللغة الكريمة العظيمة في زمن قديم لا يعرف أوله، واجتازت مراحل تطورها الطبيعي التاريخي، حتى شارفت الجاهلية الأخيرة مكتملة النضج تنفصده هروفا فترة وقوة وحياة، متميزة باستعلان الشأن واستعلائه بصيرورتها عمود القومية ولسان مفاخرها ومآثرها في الوجود.

جملة ، وزاحت لغة التخاطب في المنازل والأسواق والمجتمعات ، فاحتلت آلاف من مواضعها مكان المواضع العربية في التجارة والصناعة والزراعة ونحوها من شئون الحياة .

وأعان على ذلك شيوع الجهل والامية في الناس ، وخمود جذوة القومية العربية ، وفقدور الحماسة للغة العربية ، بما رزأت به الدول الأعجمية الباغية تلك المجتمعات : من سد منافذ المعرفة بوجوه أجيالها الناشئة ، وتغليب سلطان لغاتها على سلطان اللغة العربية تغليباً حصرها في دائرة ضيقة بين أسوار عالية تحجب عنها الأفق الذي تطمح ببصرها إليه . حتى إذا تنفس فجر هذا العصر ، وبدأت الأمة العربية تنقسم لنسيم الحرية ، وتحاول أن تسترجع الذاهب من سلطانها السياسي والقومي والاجتماعي .. كانت المدنية العصرية قد دخلت الأقطار العربية على حظوظ متفاوتة من القوة والضعف بعلومها وفنونها وصناعاتها ومخترعاتها وضروب أنماطها ورياشها وآبئها وصنوف مطاعمها ومشاربها وطفقت تفرض على اللغة للعربية أسماءها الدخيلة التي تميزها أفواجا لئلا يفوج ، كما تفرض نفسها على الحياة العربية بكل مقوماتها ومفاهيمها ومسمياتها وأعيان آلائها وأدواتها ومختلف مظاهر الحضارة .

كثير مما لا يهتدى إليه أهل التمدن الحديث إلا بعد أن نضج تمدنهم في القرن التاسع عشر الميلادي ، كالسياسة المدنية والشرعية وتديبر المنزل والاقتصاد السياسي والعمران والاجتماع وفنون الحرب وآلاتها ونحو ذلك من مبتكرات العقل التي جالت فيها أقلام القوم وأنت منها بالبدائع والروائع .

وكما عذبت في فم ابن البادية وانسجمت مع نوازعه وأفكاره وطبيعته بداوته ، وأبانت فأجالت الإبابة عن مقاصده ورغباته وأهوائه ... عذبت كذلك في فم الحضري المثقف الذي ربي في أحضان الترف والنعيم ، وأسلبت قيادها لمطالب معيشته ونوازعه النفسية وخطراته الفكرية والشعورية وحاجاته العمرانية والمدنية ، وتلونت بألوان حياته في جده وهزله ، ومدت له في كل شأن من أسبابها ما شاء ، وما خائنته في أرب من آرايه .

حتى إذا انحسر سلطان العرب من منا ومن هنا ، وتراجع التمدن العربي الإسلامي أمام طوفان الغزاة المغول والصليبيين والأسبان - انحسر سلطانها من الشرق والغرب وسال سيل العجمة في الأوطان العربية ، وهدجمت الألفاظ الأعجمية الدخيلة على الألفاظ العربية الأصلية في الدواوين فأبعدتها منها

سيطر الرأى الذى يحقق سلطان اللغة العربية وقدرتها على الاستقلال بنفسها فى التعبير عن الحاجات والأفكار وعن شئون الحياة جليلاً ودقيقاً وعن مطالب العلوم والفنون والصناعات ، مستغنية بثروتها عن الاستعارة من اللغات ، إلا ما تقضى به الضرورة فى بعض الحالات .

على أنه ينبغى أن نذكر فى صراحة تامة أن المدى أمام اللغة العربية فى هذه الأشياء ما يزال بعيداً ، وكلما قرب بعد ، ذلك لأن الحاضرة تزداد فى كل يوم تقدماً وانبساطاً واتساعاً وتعقد بكمية ما يتطور أو يتجدد من شئونها ولاسيما شئون الفنون والصناعات والمخترعات ، وذلك كله ينعكس من علماء اللغة أن بدأوا ويواصلوا الدأب ، وأن يضطعوا دائماً فى غير تلبث ولا ونام بمجموع عفيف مستمر يتكافأ مع حركة الإنتاج المتدفق وحوافزه السريعة لا تستأنى ولا تعرف البطء ، لأن الحياة العصرية مدفوعة بالحركة والسرعة والنشاط الذى لا يفتر . ومن ونى عن الاندفاع معها خلفته وراءه ما فيظل فى الساقية أو وراء الساقية منقطعا .

وأن أول ما يقتضى من علماء اللغة المبادرة إلى التعبير عنه وتسميته تسميات عربية دقيقة هو ما يدور بين الناس من أسباب العيش ووسائله وما يكون اتصاله بحياتهم أقرب

هنا وقمت اللغة العربية أمام حالة جديدة خطيرة من غزو اللغات الأوروبية الحديثة بعد غزو اللغات الشرقية القديمة ، تؤذيها بشر مستطير أثيم واحتلال لغوى أجنبي مقيم ، وقتضها الاستهصام بقواها الطبيعية لدر هذا الغزو وهزيمته .

وبدأت فى غمرة الموقف تتأمل تأمل المستبصر فى العواقب ، ما الذى تصنعه : هل تأذن لهذه الألفاظ الأعجمية الدخيلة أن يسيل سيلها وتفرقها بصيغها وأشكالها ولغائها بل رطاناتها المتعددة عن طواعية واستسلام ؟ أو تقبلها كلها أو بعضها بعد إخضاعها لأصول التعريب ، كما فعلت إبان تاريخها المديد عندما اتصلت بشعوب الأرض اتصال الند بالند أو اتصال الغالب بالمغلوب فأخذت قليلاً أعطت كثيراً ، وما فرطت من مقومات شخصيتها الأصلية شئ ؟ أو تضطلع بما تطلبه الحياة منها من ألفاظ هريسة خالصة تؤدى المعانى الأجنبية بالنقل وبالاشتقاق من صميم مادتها الأصلية ، وهى بها فارهة وغنية أكبر الغنى ؟ وفى هذا نشب الخلاف بين اللغويين وجماعات من الدارسين والباحثين فذهب كل فريق مذهبا ينبع من طبيعة دراسته وتلقيه ووعيه الخاص ، ثم لم يلبث أن خفت حدته وطفق يزول رويداً رويداً كلما تطورت الحياة العقلية والعلمية وازداد الشعور القومى ، حتى

ويلائم بينه وبين الحاضر من غير قسر ولا إغناء فتستعمل الألفاظ العربية التي نسبت في معانيها الأصلية ، وفيما يشبه معانيها الأصلية أو يكون لها بها صلة غير المشابهة .

ولا ريب في أن التوسع في أوضاع اللغة القومية حتى تفرد وتغنى بنفسها أبقى على حياتها وأضمن لدوام شبابها وتجده من السباح للدخيل باقتحامها واحتلال مكانها كما يود الناس ، أن يكون .

إن دواوين اللغة العربية تفيض بأسماء الآلات والأدوات والآلات والرياش والماعون وألفاظ الشؤون العامة التي تشتد حاجة الناس إليها . وقد استخرجت من كنوزها ما استطعت ، وجعلته على طرف اللسان من متناوليه ، ليستعملوه في التعبير عن المعاني الجديدة وفي إطلاقه على المسميات المستحدثة على النحو الذي أشرت إليه وهو سليل مسلوك في اللغة العربية منذ القديم .

والوسيلة الثانية : هي وسيلة الاشتقاق الذي هو في اللغة العربية أشبه بد المولد ، generator في الصناعات الآلية ، ما يفنا بولد لها الطاقة بعد الطاقة ويمدها بالقوة والقدرة على الحركة والعمل ما تحرك فكما أن هذا هو شأن د المولد ، في الصناعات الآلية ، فكذلك الاشتقاق في اللغة العربية يمدها ما امتد بأهلها البقاء على وجه الزمن

من غيره ، وما لا ينفصلون عن تناوله واستعماله لحظة من اللحظات من أجهزة وآلات وأدوات كهربية وبخارية يمارسونها في المصانع أو يرتفقون بها في المنازل والفنادق والمطاعم وهي وما إليها من صنوف الرياش والآلات والماعون من الكثرة والتنوع والتعقيد والشيوع بالمكان الذي لا يوصف ومعظمها يتطلب تسميات عربية فصيحة مأنوسة تسوغها الأذواق .

ولشد ما يستشعر الإنسان الضيق والحرج حين يستعمل هذه الأشياء فيتمذرع عليه الوقوع على أسماء عربية لها ، أو يقع لبعضها على أسماء عامية ، أو معربة ، ومنها ما أصابه أشنع التحريف فأفسد معناه كالذي سمعته ذات يوم من عامل في مصنع يعالج أداة عطبت في سيارة ، فسأله عن اسمها ، فرأته يتردد ، ثم قال بعد لاي بسذاجة العاصي البريء : اسمها — أكرمك الله — د نذل ، وهو لا يعلم أن أصلها الانكليزي Needle معناه الإبرة ، ولم يخطر بباله أن يفكر فيم يقال لهذه الأداة التي تشبه الإبرة د نذل ، بحيث لجأ إلى التأدب مع مخاطبه وإكرامه عن ذكرها له حين اضطر إلى إسماعه إياها استجابة لسؤاله ، ومثل هذا كثير .

والمشكلة القائمة تحل بوسيلتين :
الوسيلة الأولى : هي أن يستجيا القديم ،

فقيدوا مطلقه وحرّموا مباحه وحجروا به واسعا .

أما وقد تجددت حياتنا على نحو يتطلب منا الاستبحار في كل شيء ومن ذلك اللغة ، فلا مناص لنا من أن نعيد النظر في قاعدة (اسم الآلة) هذه ، وأن نبحثها بحثاً جديداً متعمقاً يوضح غموضها ويكشف معالم ميدانها الفسيح وينتهى بها إلى غايتها من الانتفاع بها في توسيع مادة اللغة في جانب من أهم جوانبها بالقياس إلى الحياة الحاضرة .

* * *

بحثت هذه القاعدة في كتب النحو على طريقتين مختلفتين ، سارت بها كل منهما على منهج بحثها في سائر أبواب النحو . أولاهما ما أسميه بالطريقة العربية ؛ لأنها تقوم على الاستقراء اللغوي ومراعاة الاستعمالات العربية الأصلية فتتعمد ولا تتعقد . والآخرى ما أسميه بالطريقة الأعجمية ، لأنها تسير على منهج من التعليل المنطقي قلما تلتفت معه إلى الاستقراء اللغوي ، وتفرض شروطاً تحرم أنواعاً من مباح الاستعمالات العربية ، فتتعمد وتتعقد .

(١) فأما الطريقة العربية ، فقد تناولتها من ناحية أبنية بعض الصيغ الاشتقاقية التي تلحق أروها ميم مكسورة . للتفريق بينها وبين صيغ أسماء المكان والمصدر التي تكون على

ويساعدها على نموها وتطورها دائماً وعلى إسعاف الحياة بما تطلب منها من الفاظ .

وسبيل هذه الوسيلة سبيل لا حب معروف ، قد عبده اللغة العربية بفطرتها المستقيمة ، ونوعت الآلات التي تبلغ براكها غاية البعيدة في سهولة ويسر . - لكنه تخيفه الخائفون وجاروا عليه فضيقوه وألقوا فيه الحسك والشوك ، وقصروا سلوكه على آلة معقدة مغلقة مشقة بالقيود البطيئة الحركة كراحلة صديق الشاعر القاهري الظريف « البهاء زهير » :

تمشى فتحسبها العيو ن على الطريق مشكله
مقدار خطاواتها الطوي لة حين تسرع أنمله
وتخال مدبرة إذا ما أقبلت مستعجله
تهتز وهي مكانها فكانت كما هي زلزله
واعني بهذه الآلة ، قاعدة (اسم الآلة) كما وردت في كتب النحاة المتأخرين ، وما أريد بما أصف من حالها غير الجهد الذي يمكننا من النهوض بأداء الأمانة .

على أن بحث اسم الآلة هذا في جملته وأساس تناوله ، لم يتوسع فيه النحاة من من قداماء ومحدثين ما توسعوا في غيره من مباحث النحو واللغة ؛ لأن الحياة القديمة لم تكن تدعو لبحثه وتلح على تعمقه ، فأوجز الأوائل فيه الكلام إيجازاً شديداً ، ونقله الأواخر عن نهجه في لغة العرب

ومسعط ومدهن ومدق ومكحلة ، فإن هذه الأحرف جاءت عن العرب بضم الميم ، .

وقال ثعلب في « الفصيح » ، وابن السكيت في (إصلاح المنطق) : « كل اسم في أوله ميم زائدة على مفعول ومفعلة ، مما ينقل أو يعمل به ، فهو مكسور الأول ، نحو : مطرقة ومروحة ومرآة ومنزر ومحلب للذي يحلب فيه ويخيط ومقطع ، إلا أحرفا جئن نواذر بالضم في الميم والعين ، وهن : مدهن ومنخل ومسعط ومدق ومكحلة ومنصل وهو السيف ، ذلك هو منحنى الأوائل في المسألة ، وهو يتلخص في أمرين :

(١) أن القصد هو بحث بناء مفعول ومفعلة ، وضبط حركة الميم التي تلحقهما بالكسر لما ينقل أو يعمل به من الأسماء ، والفتح للكان والمصدر ، إذ كانت العوام تلحن في ذلك فتفتح ميم مفعول ومفعلة مما ينقل أو يعمل به ، وإنما هي بالكسر . وليس القصد أن يحصر اشتقاق اسم الآلة بهذه الصيغ الثلاث حسب ، فإن ذلك لا دلالة عليه في هذه النقول .

(٢) عبر سيويه عن الآلة لا بلفظها بل بملاحظها وهو قوله « ما يعالج به » ، وأتى الكسائي بصريح لفظها بمجوعا (الآلات) غير أن مفهومها هذه هو « ما يوضع ويرفع » ، فهل يفيد هذا التعبير ما أفاده تعبير سيويه ، أو هو يفيد معنى (الأداة) كما أفهمها منه ،

مثالها وتفتح ميمها ؛ إذ كانت العرب تفرق بين دلالات الصيغ المتشابهة بالحركات وغيرها ، فتقول مثلا « مقص » ، للشيء الذي يقص به و « مقص » ، للمصدر والموضع الذي يكون فيه القص ، لم يذهب إلى أبعد من ذلك ولا إلى أكثر منه مما يستدعيه البحث التفصيل .

فقال سيويه من أئمة نحاة البصرة الأوائل في (الكتاب) ، وأوجز : « باب ما عالج به : أما المقص فالذي يقص به ، والمقص المكان والمصدر . وكل شيء يعالج به فهو مكسور الأول كانت فيه تاء التانيث أو لم تكن ، وذلك قولك : محلب ومنجل ومكسحه ومسلة والمصني والمخرز والخيط . وقد يجيء على مفعول ، نحو : مقراض ومفتاح ومصباح وقالوا المفتح كما قالوا المخرز . وقالوا المرسجة كما قالوا المكسحة » .

وقال الكسائي من أئمة الكوفيين في (كتاب ما تلحن فيه العوام) : « وما كان من الآلات مما يوضع ويرفع ، مما في أوله ميم ، فأكسر الميم أبدا على مفعول ومفعلة تقول : هذا مشمل ومثقب ومقود ومنجل ومبرد ومقنعة ومصدغة وبجرة ومسرجة ومشربة ومرفقة ومخدة ومخسة ومظلة ، فهذا كله مكسور الأول أبدا ، سوى منخل

ثم جعله جاراً للزخشرى ، وقد يكون غيره سبقه إليه ، عنوان الباب في (المفصل) .
(ب) — وأما الطريقة الأجمية ، فقد تناولت القاعدة على منهج بحثها بالتعليل المنطقي وفرض الشروط التي تحرم المباح من الاستعمالات العربية . ووضعت لها تعاريف على أنحاء تتقارب في أشياء وتتباعد في أخرى .

ولعل لا أبعد عن الصواب إذا زعمت أن الزخشرى هو واضح أساس الطريقة الأجمية لاسم الآلة ، وإن كان تعريفه له يوم لأول وهلة أنه بسبيل من نهج الأوائل . إن لم يكن غيره سبقه إلى ذلك وأنص تعريفه : اسم الآلة ، : هو اسم ما يعالج به الشيء . وينقل ، ويجي . على صيغة مفعول ومفعلة ومفعول ، وشطر التعريف الأول منقول من الطريقة العربية من ثعلب وابن السكيت مع فارق بين الواو في نصه أو في نصهما كما رواه السيوطي . . ولكن شطره الآخر قد عدل به عن طريقة الأوائل في تناول الباب من جهة التفريق بين دلالة حركة ميم مفعول ومفعلة بالكسر والفتح إلى حصر الاشتقاق بهذه الصيغ الثلاث (التي أخذها من سيبويه . ولم ينه كما نبه سيبويه على قلة مفعول فجعلها كلها على مستوى واحد من الشيوخ) دون غيرها من صيغ الآلة الاشتقاقية المتعددة في اللغة

وبين الآلة والأداة فرق لا شبهة فيه سأفصله في موضعه من هذا البحث ، وقول ثعلب وابن السكيت : « مما ينقل أو يعمل به » ، نص على هذا التفريق . فكان ثعلباً وابن السكيت قد استدركا بهذا الملاحظ الجديد على قاعدة سيبويه الساذجة ما نقصها ودللاً به أيضاً على ما قاته من المواءمة بين المعنى العلاجي والتشليل له ، لأن من أمثله « المحلب » ، للذي يحلب فيه ، وهو وعاء يكون فيه الشيء . ولا يعالج به كما يعالج بالمقص مثلاً ، وشتان ما هما ، فذلك أداة وهذا آلة . وهذا الملاحظ هو في الوقت نفسه تصحيح لكلام الكسائي أيضاً .

هذا ، وقد تردد لفظ الآلة في كلام الفراء المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في التفريق أيضاً بين دلالات حركة ميم مفعول ومفعلة بالكسر والفتح ، نقله ابن قتيبة في « أدب الكاتب » السلفية ٤٣٢ ، فقال : « قال الفراء : يقال مرقة ومرقاة ، والفتح أكثر ، وكذلك مسقاء ومسماة بمن جعلهما (آلة تستعمل) كسر ، مثل مغرفة ومقدحة ومصدغة . ومن جعلهما موضعاً للارتقاء والسقي نصب ، عني فتح الميم فيهما .

وذكر لإصطلاح (اسم الآلة) علي بن علي الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ في شرحه كتاب سيبويه مدرجاً بعد قول سيبويه « باب ما طالت به » .

ومفعال ومفعلة بكسر أولها ، والأصل في الآلة مفعال ، والآران منقوصان منه ، كالحلب والمفتاح والمكسحة لما يستعان به في الحلب والمفتاح والمكسح .

وقال صاحب المجمع ٢/٦٨ : « بناء الآلة مطرد على مفعل بكسر الميم وفتح العين ومفعال ومفعلة كذلك ككشف ومجدع ومفتاح ومنقاش ومكسحة والمفعل بضمين ، والمفعل بفتحين ، والفعل بالكسر : يحفظ ولا يقاس عليه ، كمنخل ومسعط ومدفن وآرث آلة تأريث النارأي إضرابها وسراد ما يسرد به أي يخز .

وقال بعض الشراح : « المفعلة لا تنقاس ،

وقال نظام الدين النيسابوري : « وهذه الأوزان ، أي مفعال ومفعل ومفعلة قياسية لامن حيث أنه يجوز أن يشق كل منها من أي فعل اتفق وإن لم يسمع ، بل من حيث أن كلا منها إن كان قد ورد السماع به في فعل معين أمكن أن يطلق هو على ما يمكن أن يستعان به في ذلك الفعل ، كالمفتاح ، فإن كل ما يمكن أن يفتح به البيت يسمى مفتاحاً وإن لم تكن الآلة المعروفة بذلك .

محمد بن أحمد الأثرى

(البقية في العدد القادم)

العربية ، وهذا القيد الذي يحرم ذلك هو من صميم القيود التي فرضتها الطريقة الأجمعية ، ولم يقل به إلا قدمون .

ثم جاء الحافظون فأضافوا إليه قيوداً أخرى ، وصاغوا قاعدتهم صياغات متنوعة وإن عليها الاختلاف والاضطراب ، وهي كثيرة لست بسبيل نقلها إلى هذا المكان وإنما حسبي منها نقل ما يستجمع أصولهم فيها لأدل على فسادها بالقياس إلى الاستعمالات اللغوية عند العرب .

قال صاحب روح الشروح على (المقصود) : « أما اسم الآلة فاسم مشتق من يفعل لما يعالج به الفاعل المفعول ، ولذا لا يبنى لإامن الفعل الثلاثي المتعدي .

وقال الزنجباني صاحب « العزى » : « وأما اسم الآلة ، وهو ما يعالج به الفاعل المفعول لوصول الأثر إليه ، فيجىء على مثال مفعل ومفعلة ومفعال . كحلب ومكسحة ومفتاح .

قال السعد التفتازاني : « وقد علم من تعريف الآلة أنها إنما تكون للأفعال العلاجية ، ولا تكون للأفعال اللازمة ، إذ لا علاج لها .

وقال الشيخ زكريا في (شرح الشافية) : « الآلة للفعل الثلاثي ، وهي اسم لما يستعان به في الفعل المشتقة هي منه ، تجىء على مفعل

الأزهر والتطور

للأستاذ محمود الشرقاوى

خاتمة المقال

أصدرت الوزارة عن مجلسها الإسلامى الأعلى بعض أجزاء من « دوطاً مالك » ، برواية محمد بن الحسن الشيبانى ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب للعزیز للفيروز بادى .

وفى مثل ذلك الوقت قررت كلية الحقوق فى جامعة القاهرة ، بتوصية من المجلس الأهلى لرعاية الفنون والآداب ، أن تطبع كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطى مع حواشيه . وهذه الكتب وأشباهها كان من الخير ، أو من الطيبى ، أن تحقق وتصدر عن الأزهر . وقد أناط قانونه الجديد هذه المهمة به ، ونعتقد أنه سيمكن منها على وجه كاف منتج كريم .

أما المهمة الثانية فى هذه المادة من قانون « تطوير الأزهر » ، التى تليق به حمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب والعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ، فذلك بما يستطيع الأزهر أن يؤديه للعالم والإسلام عن طريق مبعوثيه وعن طريق رسائل تكتب بفهم وإدراك ، مع

« الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ورفق الحضارة وكفالة الأمن والطمانينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة » .

هكذا حدد قانون « تطوير » (١) الأزهر مهمة هذا المعهد العظيم ورسائله ، أو بعض هذه المهمة والرسالة .

أما المهمة الأولى : « حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره » ، فمى عمل طالما تمنى المخلصون للأزهر والإسلام أن يقوم به . وقد رأينا من ذلك فى السنة الماضية بعض نشاط لوزارة الأوقاف ولكنه كان مشوباً بشئ من الخطأ والخطر تحدثنا عنه يومئذ (٢) .

(١) المادة : ٢ من القانون ، الباب الأول فى الأحكام العامة .

(٢) انظر مقالنا : « حوله تقويم الفكر الدينى » مجلة آخر ساعة فى ٤ أكتوبر ١٩٦١ العدد ١٤٠٦ .

يمكن أن يراجعها أمثال هؤلاء الفاقهين البصراء من رجال الأزهر ورجال الثقافة الإسلامية ، ثم يعلقون عليها بما يوضح أو يفسر أو يصحح ويعتمدها الأزهر ترجمة يميزها ويقرها وينشرها في العالم كله لمن يقرءون الانجليزية .

هذا هو جانب الإيجاب في هذه المهمة : لإظهار حقيقة الإسلام وحمل الأمانة فيه ، وهناك ، في هذه المهمة ، جانب سلبي لا يقل أثراً ولا خطراً عن هذا الجانب الإيجابي .

فهناك من الكتب الإسلامية — أو التي تصالح الناس على نسبتها للإسلام — ما هو معارض لجوهر الإسلام مدار له . أو ما هو معسوق لهضة المسلمين مفسد لعقيدتهم . وما دام القانون قد احتفظ للأزهر بحق المراجعة والاعتراض وطلب المصادرة لما يطع وينشر فيجب أن تراجع هذه الكتب على ضوء ما فيها من الضرر والشر والمجافاة لصحيح العقيدة ، لا على ضوء الاعتبارات العامة وشعور الجماهير واعتبار الرعاية للواقع والمألوف المرضي من الناس ، أو من عامة الناس . لأننا لو راعينا هذه الأمور لما تطور الأزهر وما تحررت الآراء الخاطئة في الشريعة وما تغير شيء مما ألفه الناس وارتضوه ودرجوا عليه .

بين يدي وأنا أكتب هذا المقال كتاب من الكتب الإسلامية ، القديمة ذات

العلم الفقه فما يمكن أن ينشر ، ويفيد ، بين سكان إفريقيا لا يمكن أن ينشر بين المثقفين من أهل أوروبا وأمريكا ، وقد يضر نشره بينهم ، بل هو في اعتقادي ، محقق الإضرار . هذا ما أقصده وأنا أذكر : د الفهم والإدراك ، قبل العلم والفقه . فالوضع هنا مما يحتاج إلى ذكاء وفهم ودراسة لعقليات هذه الشعوب وثقافتها ومشاكلها وتاريخها وشؤونها الحاضرة وأوضاع المجتمعات فيها ، يحتاج إلى شيء كثير من ذلك ، وقد يحتاج إلى أقل منه من « العلم والفقه » .

ومن الشؤون التي تحصل بذلك أوثق الاتصال ، ترجمة معاني القرآن ونشرها باللغات الأوروبية . واللغة الانجليزية بخاصة وقد كان لأمر هذه الترجمة ضجيج وعجيج قبل ثلاثين سنة لم يسفر عن شيء . ثم تجدد ذلك قبل سنوات قريبة كان صوت التقليديين فيه أشد هلواً وعتواً من رأى المخسرين الفاقهين المدركين . وأعتقد أن هذا الأمر يمكن أن يحسم بأن يقوم الأزهر المتطور بمراجعة ترجمة شهد المختصون من العلماء للفاقهين وأهل اللغة بصحتها وسلامتها ، مثل ترجمة السيد محمد علي الهندي مثلاً . هذه الترجمة — وقد شهد لها كثير من أهل العلم والدراسة والفهم للقرآن وهم في الوقت نفسه أهل بصر وذوق في اللغة الانجليزية —

وكذلك أجده فيه أن الله تعالى خاطب الشيخ وفوض له أن يفعل ما يريد بالأولياء فيقبل منهم من يشاء ويرد من يشاء . . . ١ . . . والكتاب كله من هذا الطراز . وقد قرأته وقرأه قبلي ، كما قلت قبل قليل ، مئات الألوف من الناس على مدى قرون كثيرة ، وما تزال ألوف وألوف تقروء قبل تطوير الأزهر ومع تطويره وبعد تطويره ما دام لم يتخذ حياله وحيال أمثاله شأنًا حاسمًا يرى دين الله من هذا الذي هو شرك كله وشركه على المسلمين والناس جميعاً

ولا يقولون قائل إن هذا اللون من الثقافة الإسلامية ، قد أدير شأنه وضعف أثره . فهذا الكتاب الذي عرضت طرفاً مما فيه ألب قبل قرون عن شيخ مات في القرن السابع الهجري ، قبل أكثر من ثمانية قرون ، ثم يطبع في عصرنا هذا فيكتب ناشره تحذيراً لكل من تجار على طبعه ، بغير إذن . وما ذلك إلا لما يعلوه ويوقنه من إقبال الناس عليه ورغبتهم فيه ، بل لهفتهم عليه . وبعض المسلمين أو كثير منهم يقرأ ما في هذا الكتاب وأمثاله أو يرويه وبقصه معتقداً أو موقناً أنه يقدم لنفسه بذلك إلى الله عبادة وقربى . بل إنى أجده كتاباً آخر ألفه في عصرنا الحديث هذا عالم ، لا يزال حياً وهو يتحدث في كتابه هذا عن الجن والسحر والتسلط

الذووع والرسوخ ، وأنا أقرأ في هذا الكتاب . كما قرأه مئات الألوف من المسلمين وغيرهم من قبلي ، فأجده يقول - في كرامة شيخ من الشيوخ - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الممراج قد بلغ سدة المنهى ومعه جبريل ، فتخلف هذا عن رسول الله ثم قال : يا محمد لو دنوت أئمة لاحتقرت فأرسل الله روح الشيخ إلى ذلك المقام - الذي توقف عنده ملاك الله جبريل - ووضع الشيخ موضع البراق حتى ركب النبي عليه السلام على رقبته . أى رقبه الشيخ ، وأمسك عنان الشيخ بيده وسار حتى صار قاب قوسين أو أدنى ، وعند ذلك قال النبي عليه السلام للشيخ : يا ولدى وحدقة عني ، قد مضى هذه على رقبتك ، وقدماك على رقاب كل أولياء الله تعالى .

وأجده يقول إنه ، أى الشيخ ، وهو في المهد رضيع ، كان يمنع نفسه عن شئ أمه في رمضان من الفجر إلى الغروب . لأنه صائم وكذلك يقول إن من ذكر اسم الشيخ على غير وضوء فارق رأسه جسده فيموت ! ولكن أهل بغداد طلبوا من الشيخ الشفاعاة والرحمة في ذلك فشفعهم ورفع ذلك عن أهل العناد . وأجده في هذا الكتاب أن هذا الشيخ كان يحى الموتى بإذنه فتوجه إلى القبر وقال قم يا ذنى ، فانشق القبر وقام الميت حياً حنياً ، كما كان في حياته مغنياً .

وسلامة العقل وسلامة الحياة جميعا . ومثل هذه الكتب هو الذى يجب أن يصادر ، لا غيره .

وأعتقد أنى أطلت [١] فى أمر هذه الكتب وصلتها بالأزهر والتطور ، ولكننى أعتقد أيضا أن القارىء يرى معنى خطرهما وضررها وأنها تستحق منى هذا القدر من الإطالة ، ومنه هذا القدر من الصبر .

وهناك لون من الثقافة ليس إسلاميا ولكن ضرورى لرجل الفكر الدينى الذى نرجوه من الأزهر المتطور ، ذلك هو دراسة النهضة الأوربية المعروفة بحركة «الإحياء» وماسبقها من النهضة ، أو الثورات المسيحية . وحركات «الصلق الفكرى» أو الاحتجاج — حركة لوتر وكلفن — وأثر الفكر الإسلامى وحرية للعقيدة الإسلامية فى ذلك . والصراع بين العلم والدين فى العصور الوسطى . هذه وأمثاله ألوان من الثقافة ليست إسلامية ولكن دراستها بفهم واستيعاب وتوسع ، مما يجب أن نجده عند رجل الفكر الدينى ، ولا يكون رجل دين مثقف ، ولا بيئة دينية ذات أثر وخطر إلا إذا درس ودرست تلك بعناية وفهم ، وكانت هذه المشاغل والمشاكل منى

والعزيمة ، وعن الغواصين والترايع والطيارين والقرناء . ويذكر فى ذلك «الأثير» ، والعلم الحديث ، ويذكر ، إلى جانب ذلك ، زواج الجنى وتناسلهم والإصهار بينهم وبين بنى آدم ... ! ويذكر أن عصى موسى تقدمت ، إلى فرعون ، بعد أن صارت حية ، تريد ابتلاعه وفتحت فاهها فكانت سمته ثمانون ذراعا .

فهذه «الثقافة الإسلامية» ما زالت باقية عميقة الجذور ، وما زالت الكتب والمؤلفات فيها توضع وتنفرد يقوم على تأليفها وطبعها «علماء» تخرجوا فى الأزهر وتعلوا فى فرنسا حتى نالوا منها «شهادة» . وعلى الأزهر المتطور أن يجد له سبيلا إلى تربية الإسلام من مثل ذلك وإلى الحيلولة بين هذه «الثقافة» الإسلامية أن تسم عقولهم وتفسد عقيدتهم وتحول بينهم وبين ثقافة العصر وحياة الناس فيه والسبيل إلى ذلك عندى أن يؤلف الأزهر المتطور لجنة من أصحاب الفكر الدينى الفاعلين المستنيرين فتراجع هذه الكتب وأمثاله وما يرسل إليها من الشكاوى فيها ثم تضع قائمة بما ترى ضرره وخطره منها . ويصدر قانون من الدولة بتحريم الطبع لأى كتاب منها بغير إذن هذه اللجنة ، واللجنة لا تأذن .

بذلك تنفادى مصادمة الشعور العام وعدم الإمكان فى مصادرة هذه الكتب ونحول فى المستقبل القريب بينها وبين سلامة العقيدة

[١] انظر أمثلة أخرى لهذا النوع من «الثقافة الإسلامية» فى مقالنا : «الثورة الرابعة ضرورة محنومة» ، مدد جادى الآخرة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر ، نوفمبر ١٩٦١ .

الحدث الهام أو سجله أو اهتم به مع أن الخطر ، أو الأخطار ، التي تواجه الأديان جميعا أخطار مشتركة . وقد وفيما ذلك في بعض كتبنا [١] وفي تلك السنة نفسها نجد السيد ظفر الله خان ، وزير خارجية باكستان السابق ورئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، يفتتح اكنتابا لجمع مبلغ كبير «خمس ملايين دولار» تخصص لبناء «أمم متحدة روحية» في واشنطن تشترك فيها الديانات للست العالمية الكبرى ، التي تعتنقها أكبر مجموعة من البشر . ويستطيع الأزهر ، أو كان يستطيع ، أن يعرف كل شيء عن هذه الجامعة وهذا الحدث الهام وهذا المال الكثير من سفارتنا في أمريكا . وقبل ذلك قدمت إلى بلادنا بعثة أثرية عالمية أقامت في «دير سانت كاترين» بسينا . تفتش عن الوثائق وتنبش على الكتب والمحفوظات وتجمع التاريخ ؛ وفيه قدر كبير من التاريخ الإسلامي والعربي لتراجع وتدرس وتكتب وتؤلف وتنسق ، واشترك معها بعض جامعاتنا المدنية ، وقد راجعت وبجست وصورت ونسخت وأخذت قليلا أو كثيرا من الوثائق والصور .

وقبل هذا وذاك نشرت جريدة انجليزية دينية ، وأذاعت ما نشرته وكالة الأنباء تعبر

هموم فكره وإفكار أهله وثقافة عقله وعقولهم .

ونرجو من «الأزهر المنظور» أن يترك السلبية ويخرج من الانعزالية في الثقافة العامة وشتون الفكر والحياة الروحية التي تضطرب في العالم كله .

وسأضرب لذلك الأمثال من الماضي المفيد منها ونعتبر بها المستقبل . ففي السنة الماضية كان حادث من أهم الأحداث التي يجب أن يهتم بها ويسجلها ريتا بها رجل الفكر الديني المستغنى — من كل دين — وهو اجتماع المؤتمر المسكوني للكنيسة الكاثوليكية في روما . وكان أعظم وأضخم اجتماع من نوعه في تاريخ هذه الكنيسة ، اجتمع له أكثر من ثلاثة آلاف من الرؤساء والبطاركة والأساقفة والكرادلة يمثلون خمسا وثمانين دولة ، وبحث فيه هؤلاء شئوننا بالغة الأهمية في موقف الأديان — وبخاصة المسيحية طبعاً — حيال الخصومات الحادة الشريرة التي تتعرض لها العقيدة في العالم كله من الشيوعية والانحلالية معا ، وما يمكن — أو يجب — أن يتخذه القائلون على العقيدة لحايتها من تلك الغوائل والمخاطر والشرور والخصومات التي تريد أن تجمتها من أصولها وتبيدها وتمحو أثرها من ضمائر الناس وقلوبهم ، وما أعتقد أن الأزهر والفكر الديني في وطننا العربي تابع هذا

[١] الفصل الأخير : «محنة العقيدة» من كتابنا : «تقويم الفكر الديني» .

ونستطيع أن نقول أشياء أخرى في « الأزهر » والتطور ، وما ينتظر منه أو يجب عليه في ذلك ، ولكن الذي نحرص على قوله في الختام هو هذا الكلام الموجز القصير :

إذا استطاع الفكر الديني في « الأزهر » المتطور ، أن يصل الدين بدنيا الناس في العالم المعاصر ، وأن يربط الشريعة بالحياة القائمة ، ولا يضيق صدر أصحابه فيفراطوا ويحمدوا ويحاربوا في غير ميدان أو تكون حربهم للصدق والعدو معا - كما سجل عليهم « قانون التطوير » وتحدث عنهم بذلك الناس من قبل - واستطاع أن يؤمن بأن بعض رسالته هو « تبييض » هذا « الورق الأصفر » وعرضه على الناس عرضا يفهمه الناس ويرضى عنه الناس كما يرضى عنه الحق والعقل ولم يسارع أصحاب هذا الفكر وبهرولوا ويتابعوا متأثرين بالدوافع والعوامل والمؤثرات ، أو ما يظن من ذلك ، فيفقدوا سمتهم وطابعهم ووقارهم وخصائص ثقافتهم وإيمانهم برسالتهم ، إذا استطاع الفكر الديني في « الأزهر » المتطور ، أن يدرك ذلك وأن يقوم عليه في مستقبله القريب ، فقد حق لنا أن نسعد وأن يسعد المسلمون أيضا ، لما ينالهم عند ذلك وينال دينهم وحياتهم من خير كثير .

محمد الشرفاوي

عن رأى الفاتيكانيان ، نشرت ذلك وأذاعت هذه مقالا تدعو فيه العالم المسيحي لأن يتنبه إلى قوة الإسلام ، وأن يفيد من ذلك في حرب خصوم العقيدة الذين يهاجمونها بلا رحمة ، تفهد الشيوعية .

والشيء الجديد في ذلك هو هذا الاعتراف بقوة الإسلام والحرص على التعاون مع رجاله في صد الشيوعية [١] وأي الهيئات تفهد بهذا الحديث سوى الأزهر ، قبل غيره ، وأي هذه الهيئات الإسلامية أجدر بالانتباه والإفادة من الأزهر .

ولست أقصد بإفادة الأزهر واهتمامه بذلك تلك الإفادة العاطفية التي تقوم على إظهار السرور باعتراف العالم المسيحي أو الفاتيكانيان بما في الإسلام من قوة والسعي للتخالف معه ضد قوى الشر ، فالإسلام له هذه القوة وأعظم منها سواء اعترف الغير له بذلك أم لم يعترف ، بل أقصد ذلك الاهتمام القائم على الإدراك والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور والمتابعة للأحداث الهامة التي تجري والحرص على المشاركة فيها والإيجابية حيالها .

* * *

[١] تحدثنا عن ذلك في مقالنا : « تعالوا نجاهد معا » - عدد شهر شعبان ١٣٨١ هـ ، يناير ١٩٦٢ .

الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٤ -

والجزية لغير المسلم تقابل الزكاة للمسلم ، ولذلك لا يصح إطلاقها على الزكاة ، ويفضـب المسلم إذا قيل هما يدفعه لأنه زكاة ؛ وفي عدد ٢٥ يونيه سنة ١٩٢٥ من مجلة « الشورى » كتب أمير البيان المرحوم شكيـب أرسلان مقالا أشار فيه إلى هذه الناحية ، وكان مما قاله قوله : « إن لفظ الجزية كلمة شرعية ، ولها مكان معلوم في الشرع ، فلا تقال لما يأخذه الإمام من المسلمين ، لا ، بل ثقلت على العرب جميعا في صدر الإسلام ، فالذين لم يسكنوا أسلموا منهم مثل نصارى بنى تغلب مثلا عند ما ضربها عليهم سيدنا عمر أجابوا بأنهم لا يؤدون جزية .

قيل : فلما أئذهم بالبطش بهم أو يدفعوها قالوا : لانا تؤديها ، ولكن لا على أنها جزية ، بل على أنها إتاوة . قال : فأجابهم سيدنا عمر رضى الله عنه : هاتوها وسموها ما شئتم .

فأنت ترى أن الجزية ثقيلة اللفظ (يعنى على المسلم) ، وأن استعمالها ألغى من عهد بعيد ، ولا يزال تقرأ في الجرائد المصرية : الجزية الجزية ، للسال الذى كانت مصر تؤديه للدولة العثمانية ، وهو استعمال بغير

ومن الضرائب في الإسلام « الجزية » ، وهى - كما في لسان العرب - ما يؤخذ من أهل الذمة ، وهى عبارة عن المال الذى يعقد الكتاتيب عليه الذمة ، وقد سميت « جزية » لأنها مشتقة من الجزاء ، فهى جزاء من الذى يدفعه إلى الدولة المسلمة في مقابل تحقيقها الأمن له .

ومناسبة تشريعها أن الرسول عليه الصلاة والسلام علم في السنة التاسعة للهجرة أن الروم بقيادة هرقل يريدون مهاجمة المسلمين ، فأمر بالخروج إليهم في غزوة تبوك في شهر رجب ، ثم صالح القوم على الجزية ، وجاء « يوحنا ابن روبة » النصراني صاحب « أيلة » ، وصالح النبي على أن جعل له على كل رجل في أرضه ديناراً في السنة ، فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار (١) .

والجزية ضربية موضوعة على الروس - كما يقول الماوردى (٢) - وهى تؤخذ مع بقاء الكفر ، وتسقط بالدخول في الإسلام ، بخلاف الخراج الذى يؤخذ مع الكفر والإسلام ، لأنه متعلق بالأرض الخراجية .

(١) فتوح البلدان للبلاذرى ، ص ٦٦

(٢) الأحكام السلطانية ، ص ١٣٦ .

عمله ، لأن الخليفة لا يأخذ الجزية من أمته ، وكان الأولى أن يقال : خراج مصر ، أو بالأقل : إتاوة مصر .
والأتراك كانوا يقولون (مصر ويركوسى) أى خراج مصر ، ولفظة : (ويركو) من فعل (ويرمك) أى أعطى ، فكان (الويركو) هو ما يعطى ، وفي اصطلاح الدولة هو المال المقطوع المضروب على الأملاك الصرفة ، وله دوائر تجبیه ، وكانت مصر باعتبار أنها عثمانية تدفع هذا الخراج كما تدفعه سائر البلاد العثمانية ، فما معنى تسميته بالجزية ؟ .
وقد علق شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا على مقال الأمير شكيب فى عدد ١٦ يولييه ١٩٢٥ من «الشورى» فقال : «ولقد كان للشيم العربى مكانه فى صدر الإسلام ، فأبى بعض الذين حقت عليهم الجزية أن يقبلوا التعبير بها ، واختاروا لفظ (الإتاوة) على ما شرحه الأمير شكيب ، بفض الله وجهه وأعلى رأسه» .

والجزية لا تؤخذ من النساء ولا من الصليان ، وإنما تؤخذ من الرجال الأحرار القادرين فقط ؛ ومذهب الإمام الشافعى أنها لا تقبل إلا من أهل الكتاب ، ومن المجوس سواء أكانوا عربا أم عجم ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى : «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» . واستدل أيضا بأن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من المجوس بالبحرين .

(١) الأحكام السلطانية ص ١٢٨ .

والأتراك كانوا يقولون (مصر ويركوسى) أى خراج مصر ، ولفظة : (ويركو) من فعل (ويرمك) أى أعطى ، فكان (الويركو) هو ما يعطى ، وفي اصطلاح الدولة هو المال المقطوع المضروب على الأملاك الصرفة ، وله دوائر تجبیه ، وكانت مصر باعتبار أنها عثمانية تدفع هذا الخراج كما تدفعه سائر البلاد العثمانية ، فما معنى تسميته بالجزية ؟ .

وقد علق شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا على مقال الأمير شكيب فى عدد ١٦ يولييه ١٩٢٥ من «الشورى» فقال : «ولقد كان للشيم العربى مكانه فى صدر الإسلام ، فأبى بعض الذين حقت عليهم الجزية أن يقبلوا التعبير بها ، واختاروا لفظ (الإتاوة) على ما شرحه الأمير شكيب ، بفض الله وجهه وأعلى رأسه» .

والجزية فى مقدارها على ثلاث درجات ، فلبقذارها حد أعلى ، وحد وسط ، وحد أسفل ، تبعا لغيرى المأخوذ منه أو توسط حاله أو فقره ، وهذا يدل على توافر عنصر «الملاءمة» فى الجزية كما شرعها الإسلام . وعلى وجود روح «التيسير» فى أخذها

والجزية فى مقدارها على ثلاث درجات ، فلبقذارها حد أعلى ، وحد وسط ، وحد أسفل ، تبعا لغيرى المأخوذ منه أو توسط حاله أو فقره ، وهذا يدل على توافر عنصر «الملاءمة» فى الجزية كما شرعها الإسلام . وعلى وجود روح «التيسير» فى أخذها

ولقد حدث أن صالح أبو عبيدة بن الجراح بعض مدن الشام على الجزية في مقابل المنعة ، ثم عجز عن منعهم ، فكتب إلى كل وال من خلفه على هذه المدن يأمره بأن يرد على أهلها ما جبي منهم من الجزية والخراج ، وأن يقولوا لهم : « إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجوع ، وأنكم اشتراطتم علينا أن نمنعكم ، وإنا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط ، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم » .

فلما قالوا ذلك لهم ، وردوا عليهم الأموال التي جبوها منهم قالوا : « ردكم الله علينا ونصركم عليهم ، فلو كانوا لم يردوا علينا شيئاً ، وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا شيئاً ^(١) » .

ويصح أن يشارك أهل الذمة في الدفاع عن الدولة ، ولا يكون عليهم في هذه الحالة جزية إذا اتفقوا مع المسلمين على ذلك ، وإذا كانت الجزية في مقابل المنعة فإن المسلمين رضوا في بعض الوقائع أن يعفوا أهل الذمة من الجزية ، حين تعهد إليهم هؤلاء أن ينهضوا معهم بواجب الدفاع ، كما حدث حين غزا حبيب بن مسلمة الفهري أهل (الجرجومة) شمالي سورية فطلبوا الصلح على أن يكونوا

ويرى الإمامان مالك والأوزاعي أن الجزية تؤخذ من كل كافر ، سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيرهم ، وسواء أكان عربياً أم غير عربي ، ويؤيد هذا الرأي أخذ النبي الجزية من مجوس البحرين ، مع أنهم يعبدون النار فهم كفار .

ويشترط في دافع الجزية الذي توافره الأمان شروط هي أن لا يذكر القرآن الكريم بطن أو تحريف ، وأن لا يذكر الرسول بتكذيب أو ازدراء ، وأن لا يذكر دين الإسلام بدم أو قدح ، وأن لا يهتك عرضاً لمسلمة أو يتزوجها ، وأن لا يفتن مسلماً عن دينه ، ولا يتعرض لماله أو دينه ، وأن لا يعين أهل الحرب ^(٢) . وهذه الشروط في مجملها توحى بمعنى الحرص على حماية المجتمع الإسلامي من عوامل الفتنة والاضطراب ، والتذكير لدافع الجزية بحق الدولة عليه ، لأنها ترعاه فيجب ألا يسمى في هدمها أو الفساد فيها .

ومقابل الجزية هو الحفاظ والمنعة ، وكفالة حرية العقيدة والعبادة ، وقد كتب خالد بن الوليد عهداً لصلوبا بن نسطونا وقومه جاء فيه :

«إني عاهدتكم على الجزية والمنعة فإن منعناكم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم ^(٣) » .

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٢) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٦ .

(٣) الخراج لأبي يوسف ، ص ١٣٩ .

ولو امتنع أهل الذمة عن دفع الجزية كان ذلك بمثابة النقص لعهدهم ، وقد ذكر الماوردي أنه : إذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يستبح بذلك قتلهم ، ولا غنم أموالهم ، ولا سبي ذراريهم ، ما لم يقاتلوا ، ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا بأمنهم من أدنى بلاد الشرك ، فإن لم يخرجوا طوعا أخرجوا كرها ، (٣)

وأظن أن ما سبق من حديث عن الجزية يرينا بوضوح مبلغ التيسير الذي وفره الإسلام في تشريعها ، كما يرينا وجه الحكمة في تشريعها ، فهي ليست طغيانا ولا انتهابا ولا استبدادا ، ولكنها ضريبة واجبة تؤخذ من القادرين عليها في مقابل ما تنفقه الدولة من أموال وجهود لحفظ الأمن في الداخل ، واصد العدوان من الخارج

* * *

ومن الضرائب في الإسلام : الخراج ، والخراج في لغة العرب اسم للكراء والغلة ، وهو شرعا جزء يؤخذ عن الأرض كالأجرة أو الكراء ، وإنما يسمى خراجا لأنه يتعلق بخراج الأرض أى غلتها ، وغلة الأرض تسمى خراجا ، ومن المادة جاء قول الله تبارك وتعالى في سورة المؤمنين : : أم تسألهم خراجا فخراج ربك خير ، وهو خير الزاقيين .

[٣] الأحكام السلطانية ، ص ١٣٠ .

أعوانا للسلدين ، وعيونا ومسالخ في جبل الحكم ، فقبل منهم ذلك .

وأيضا حين توجه عبد الرحمن بن ربيعة إلى ناحية (الباب) جهة قزوين عرض عليه حامل الفرس شهر براز الصلح على أن لا يؤدي الجزية قائلا : إني يازاء عدو كلب وأمم مختلفة ويدي مع أيديكم ، وجزيقتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون .

فلما رفع ذلك إلى سراقه بن عمرو الذي كان قائد الجند قبل ، وصار سنة ، وكتب سراقه إلى عمر بن الخطاب بذلك فأجازه وحسنه ، فالجزية إنما كانت إذن بمثابة ضريبة مالية ، للمساهمة في واجب الدفاع ، نظير ضريبة الدم التي كان يدفعها المسلم في حومة القتال للدفاع عن الدولة كلها ، (١)

وتشمل المنعة هنا كفالة حرية العقيدة وحرية العبادة ، وقد روى الطبري مثلا الكتاب الذي كتبه النعمان بن مقرن لأهل فارس بشأن الجزية وقد جاء فيه : : أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم ، ولا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة ، ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم ، على كل حالم في ماله ونفسه ، على قدر طاقتهم ، (٢)

[١] كتاب الخراج في الدولة الإسلامية ، للدكتور الرئيس ، ص ١٥٦ .

[٢] تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ٢٤٥ .

للسلمين ، قصير وقفا لهم ، ويكون الخراج المضروب عليها أجرة (١) .

ويقدر الخراج المضروب على الأرض بما تحتمله ، وقد روى أن عمر بن الخطاب حين وضع الخراج على سواد العراق ضرب في بعض نواحيه على كل جريب - وهو ثلث فدان مصرى تقريبا - قفيزا ودرهما ، والقفيز وزن ثمانية أرطال وثمانه ثلاثة دراهم بوزن المثلقال (٢) .

وينبغي أخذ الخراج دون حيف بمالك ولا إجحاف بزارع ، كما يقول الماوردي ؛ كما يراعى في كل أرض ما تحتمله ، فالأرض التي تروى بلا جهد ليست كالتي تروى بجهد ، والأرض الخصبة القوية ليست كالأرض الضعيفة الرديئة ، وهكذا ، والواجب اعتبار اختلاف الأرضين ، واختلاف الزروع ، واختلاف السقي ، ليعلم قدر ما تحمله الأرض من خراجها ، فيقصد العدل فيها فيما بين أهلها وبين أهل النىء ، من غير زيادة تجحف بأهل الخراج ، ولا نقصان ينزير بأهل النىء ، نظراً للفريقين وجاز أن يكون خراج كل ناحية مخالفاً لخراج غيرها ، ولا يستقصى في وضع الخراج

والمراد بالخرج في الآية الكريمة الأجر أو النفع ، والمراد بالخرج فيها رزق الله في الدنيا ، أو أجر الله في الآخرة ، وهناك من يفرق بين الخرج والخراج بأن الخرج من الرقاب والخراج من الأرض .

وقد ذكر الزنجشري في مادة « خرج » من أساس البلاغة أن الخراج ما يأخذه السلطان وأنه يقال للجزية الخراج ، فيقال : أدى خراج أرضه ، وأدى أهل الذمة خراجهم ومهم (٣) .

وفي « لسان العرب » أن الخرج والخراج واحد ، وهو شيء يخرج القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم .

والأرض في هذا المقام أربعة أنواع ، فأحدها ما أحياء المسلمون فهو أرض عشرية لا يوضع عليها خراج ، لأنها من باب إحياء الموات ؛ وثانيها ما أسلم عليه أصحابه فهم أحق به ، وتصير أرضاً عشرية عند الشافعي ، وقال أبو حنيفة إن الإمام مخير بين أن يجعلها خراجاً أو عشراً ، وثالثها ما ملسكه المسلمون من محاربيهم المشركين بالقوة والقهر ، فيكون غنيمة للسلمين ، ورابعها ما صالح المسلمون عليه غير المسلمين ، وهذه هي أرض الخراج وقد ينزل أصحاب الأرض الخراجية منها

[١] انظر الأحكام السلطانية ص ١٣١ .

[٢] انظر المصدر السابق ، ص ١٣٢ وانظر

الخراج في الدولة الإسلامية ، ص ٢٦٢ - ٢٧٩

ففيه تفصيل وتحليل .

[١] أساس البلاغة ج ١ ص ٢٢٢ .

اجتهاد ، وأن الجزية مقدر ألقها بالشرع ،
وأكثرها مقدر بالاجتهاد ، وأما الخراج
فتقدير أقله وأكثره بالاجتهاد ، وأن الجزية
تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بالإسلام ،
والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام (١) .

* * *

ومن الضرائب في الإسلام « العشور » ،
والعشور هي الرسوم التي تؤخذ على أموال
أهل الحرب وأهل الذمة الذين يعمرون بها
على ديار الإسلام ، وتؤخذ أيضا على عروض
تجارتهم ، وعلى الأموال والتجارة التي تدخل
دار الإسلام أو تخرج منها ، وهي تقابل
اليوم الضرائب الجركية ، وقد جاء في كتاب
الخراج لأبي يوسف عن العشور :

« يؤخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل
الذمة نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر ،
من كل ما مربة على العاشر - وهو المحصل -
وكان للتجارة ، وبلغ قيمة ذلك مائة درهم
فصاعدا ، أخذ منه العشر ، وإن كانت قيمة
ذلك أقل من مائة درهم لم يؤخذ منه شيء ،
وكذلك إذا بلغت القيمة عشرين مثقالا أخذ
منها العشر ، فإن كانت قيمة ذلك أقل لم يؤخذ
منها شيء ، وإن أضاف بعض المرات
إلى بعض وكانت قيمة ذلك ألفا فلا شيء فيه ،
ولا يضاف بعض ذلك إلى بعض .

غاية ما يحتمله ، ولجعل فيه لأرباب الأرض
بقية يجبرون بها النوائب والحوائج .

حكى أن الحجاج كتب إلى عبد الملك
ابن مروان يستأذنه في أخذ الفضل من
أموال السواد ، فتمعه من ذلك ، وكتب إليه :
« لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص
منك على درهمك المتروك ، وأبق لهم لحوما
يعقدون بها شحوما » (١) .

ومن هذا يتضح أن الإسلام حين شرع
الخراج لم يشرعه إرهابا ولا ظلما . وإنما
راعى الطاقة والاحتمال ، ودعا إلى اليسر
والرحمة ، وجعل هذا الخراج في مقابل
التمتع بشعرات الأرض في ظل الأمن العام
الذي تحققه الدولة ، وبفضل ما تهيمه من
وسائل الارتفاق كمد الطرق وشق الأنهار
وتوفير الآلات وغير ذلك من المنافع
والخدمات .

وهناك بين الجزية والخراج وجوه اتفاق
ووجوه افتراق ، فأما وجوه الاتفاق فهي
أن كلا منهما يؤخذ من غير المسلم ، وأنهما
من أموال النقي ويصرفان في أهل النقي ،
وأنهما يجبان بحلول الحول ولا يستحقان
قبل مروره .

وأما وجوه الافتراق فهي أن الجزية
منصوص عليها في القرآن الكريم وأن الخراج

ذلك اليوم من قابل ، . وكان هذا سبباً في إسلام الذئبي .

ويروى أن عمر قال للذئبي : « ليس له عليك في مالك في السنة إلا مرة ، » .

وكذلك كتب خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يقول لواليه : « وإذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجارتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً ، فساقص فبحسب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ، ثم دعها فلا تأخذ منها شيئاً ، واكتب لهم كتاباً بما تأخذ منهم إلى مثلها من الحول ، (١) .

وفيما يتعلق بتكامل القيمة التي يجب فيها العشر وعدم تكاملها نجد أيضاً هذا النص :

« وإن كانت قيمة ذلك أقل من مائتي درهم لم يؤخذ منه شيء ، وإن اختلف عليه بذلك مراراً وكل ذلك لا يساوي مائتي درهم ، ولو أضاف بعض المرات إلى بعض فكانت قيمة ذلك إذا جمع تبلغ ألفاً فلا زكاة فيه أيضاً ، ولا ينبغي أن يضاف بعض المرات إلى بعض ، (٢) .

وقال يحيى بن آدم : « إذا دخل الحربى أرض الإسلام فإنه يؤخذ منه العشر ، فإن رجع بماله قبل الحول لم يؤخذ منه شيء » في الحول بعد المرة الأولى ، وإن أقام بأرض

وإذا مر عليه بمائتي درهم مضروبة ، أو عشرين مثقالاً تبرأ ، أو مائتي درهم تبرأ ، أو عشرين مثقالاً مضروبة أخذ من ذلك ربع العشر من المسلم ، ونصف العشر من الذئبي ، والعشر من الحربى ، ثم لا يؤخذ منها شيء إلى مثل ذلك الوقت من الحول ، وإن مر بها غير مرة ، (١) .

وهناك تفصيل لا بأس به ، وهو أنه إذا كان المال المأخوذ عليه هو نفس المال الذى تكرر مروره فلا يؤخذ عليه شيء ، وإن كان المال قد تغير ولم يتغير المار به يؤخذ عليه . ويقول أبو هيب في كتاب « الأموال ، :

« فأما أهل الحرب فكلهم يقول : إذا انصرف إلى بلاده ثم عاد بماله ذلك أو بمال سواء : أن عليه العشر كلها ، لأنه إذا دخل دار الحرب بطلت عنه أحكام المسلمين ، فإذا عاد إلى دار الإسلام كان مستأنفاً للحكم ، كالذئبي لم يدخلها قط ، لا فرق بينهما ، (٢) .

وهناك أكثر من شاهد على عدم تكرار الضريبة ، فقد حدث أن عاملاً لعمر كرر أخذ الضريبة على فارس من ذئبي ، فشكا الذى إلى عمر فكتب عمر إلى الوالى : « من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً إلى مثل

(١) الحراج لأبي يوسف ، ص ١٣٦ و ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(١) الحراج لأبي يوسف ، ص ١٣٢ و ١٣٣ .

(٢) الأموال ، ص ٥٣٩ .

وأول من وضع العشور في الإسلام هو عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه ، ويقول أبو يوسف في ذلك : « فإن عمر بن الخطاب وضع العشور ، فلا بأس بأخذها إذا لم يتعد فيها على الناس ، ويؤخذ بأكثر مما يجب عليهم » (١) .

وروى أن أهل « منبج » - وكانوا أهل حرب - كتبوا إلى عمر بن الخطاب يقولون « دعنا ندخل أرضك تجارتاً وتعشرنا » فشاور عمر أصحاب النبي في ذلك فأشاروا به ، فكان أول من عسر في الإسلام ، ولقد سأل مالك بن أنس محمد بن شهاب الزهري : لم أخذ عمر العشر من أهل الذمة ؟ فقال : كان يؤخذ منهم في الجاهلية فأقرهم عمر على ذلك . ولكن هذه الرواية غير مسلمة ، والاولى أن نقول مع أبي عبيد بن سلام : « وإنما فعل عمر في العشر ما فعل لما أهلتك من مصالحته إياهم عليه ، ولم يكن شرط عليهم منه شيئاً ، وكذلك دهر أبي بكر ، وإنما فتحت بلاد العجم في زمن عمر ، فلماذا كان الذي كان » (٢) .

ومن السهل علينا أن نلج ما في تشريع العشور من عدالة وحكمة ، فهو أولاً قد نشأ عن المصلحة كما رأينا ، فغير المسلمين هم الذين

الإسلام حولاً فإنه يعرض عليه : إما أن يرجع إلى أرضه ، وإما أن يوضع عليه الجزية على رأسه ويكون ذمياً ، لا يقبل منه إلا ذلك .

ولقد كتب زياد بن حدير إلى عمر في أناس من أهل الحرب يدخلون أرض الإسلام فيقيمون ، فرد عليه عمر يقول : « إن أقاموا ستة أشهر غنمهم العشر ، وإن أقاموا سنة غنمهم نصف العشر » (١) .

ولكن الإمام مالك يشدد القول هنا ، إذ يرى أنه إذا مر الذمي بالمال والتجارة أخذنا منه نصف العشر ، وإن لم يبلغ مائتين ، ويؤخذ منه كلما مر ، وإن مر بماله في السنة مراراً ، وإن ادعى أن عليه ديناً لم يقبل قوله (٢) .

هذا في المال الذي يدخل دار الإسلام أو يخرج منها ، وأما الأموال أو التجارة في الداخل ومن المسلمين فليس عليها شيء ، يقول المواردي :

« وأما أعشار الأموال المتنقلة في دار الإسلام من بلد إلى بلد فحرمه ، لا يبيحها شرع ، ولا يسوغها اجتهاد ، ولا هي من سياسات العدل ، ولا قضايا النصفة » (٣) .

(١) الخراج لابن آدم . ص ١٧٢ .

(٢) الأموال لأبي عبيد ، ص ٥٣٥ .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٩٨ .

(١) الخراج لابن يوسف ، ص ١٣٤ .

(٢) الأموال لابن سلام ، ص ٥٣٥ ، ٥٣٤ .

في الغنيمة منهم الخس ، فأدنى ما يجب في المعدن أن يكون مثل ما ينال من العدو ، ومع هذا أن حكم الزرع يخالف لحكم الذهب والفضة ، لأن الزرع إنما يجب عليه الزكاة مرة واحدة حين يحصد ، ثم لا يكون فيه بعد ذلك شيء وإن مكث عند صاحبه سنين ؛ وإن الذهب والفضة لا زكاة فيهما عند الفائدة حتى يحول عليهما الحول ، فتجب حينئذ فيهما الزكاة ، ثم لا تزال الزكاة جارية عليهما في كل عام ، فأرى حكمهما قد اختلف في الأصل واختلف في الفرع .

وأبين من هذا فيما يختلفان فيه أن الواجب في الزرع من الزكاة العشر أو نصف العشر ، والواجب في الذهب والفضة من الزكاة ربع العشر ، فهذا اختلاف متفاوت شديد^(١) . وهذا الخس يضم إلى المال العام لقضاء مصالح الأمة ؟

أحمد السر باصی

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

عرضوا على المسلمين أن يملأوا بالأموال والتجارة مقابل نصيب يدفعونه ، وهو ثانياً تقتضيه المعاملة بالمثل ، لأن غير المسلمين يأخذون نصيباً من أموال المسلمين إذا دخلوا ديار غير المسلمين ، وهو ثالثاً يجعل العشور في مقابل ما تقوم به الدولة الآخذة من توفير المصالح العامة ، وتمهيد الطرق ، وحفظ الثغور وغير ذلك .

ويمكن أن نعتبر من الضرائب في الإسلام الخس الذي يؤخذ في المعادن المكتشفة ، وفي الركاز وهو المال أو المعدن المدفون قديماً في الأرض وقد قال الحديث : « وفي الركاز الخمس » . ولعل هذا من باب قياسه على الغنيمة ، وبعضهم قاسه على الزرع وقال : فيه الزكاة . ولكن ابن سلام رجح قياسه على الغنيمة قائلاً : « وكذلك هو عندى في النظر : أن يكون بالمغنم أشبه منه الزرع ، لأنه وإن كان يتكلف فيه الإنفاق والتغريب بالنفس فكذلك مجاهدة العدو ، بل الجهاد أشد وأعظم خطراً ، وقد جعل الله

قال الحسن البصري : إن الله جعل الصوم مضماراً لعباده ؛ ليستبقوا إلى طاعته فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخرون غابوا ، ولعمري لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ، ومسيء بإساءته ، عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر .

مع بنى إسرائيل :

الزَّعَّةُ الْعِصْرِيَّةُ وَالصَّيُونِيَّةُ

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ الرَّحِيمِ فَوْدَه

عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين . قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ، فقد ظهر أن الأحد عشر كوكبا هم أخوته ، وأن الشمس والقمر هما أبواه ، وقد كان من أمر هؤلاء مع أخيه ما خافه أبوه وأبوه د إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين ، اقتلوا يوسف وأطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ، ثم ألقوا أخاهم في غيابة الجب وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الدئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ، ثم صار أمرهم إلى ما صار إليه مع يوسف ، فأنكشف لهم أمره ، وألقوا إليه أمرهم وقالوا د نال الله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ، قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا

إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، وكلبة لإسرا معناها عبد أوصفوة ، وإيل معناها الله ، فإسرائيل هو عبد الله أوصفوته ، ولم يذكر يعقوب بهذا الاسم مقطوعا عن الإضافة إلى بنه إلا في آية واحدة من القرآن الكريم هي قوله تعالى : د كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، ، وقد ذكر الله يعقوب مع أبيه إسحق وجده إبراهيم فقال : د واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وإنهم عندنا من المصطفين الأخيار ، ويفهم من ذلك أنه عليه السلام كان ذا قوة وعمل صالح ، وبصيرة نيرة ، وتذكر لما في الدار الآخرة ، وأنه كان من الذين اصطفاهم الله ومن الاطهار الأخيار الذين فازوا برضاه .

أما بنو إسرائيل ، فقد كانوا في مبدأ أمرهم اثني عشر رجلا ، كما يفهم من قول يوسف عليه السلام لأبيه د يا أبت إني رأيت أحد

بقليها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها .
تركهم موسى وذهب لتلق التوراة
فعادوا في غيبته إلى الوثنية . واتخذ
قوم موسى من بعده من حلبيهم عجلا
جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين .
اختار منهم موسى عليه السلام سبعين
رجلاً ليقدموا توبتهم أمام الله . فلما رأوه
مخاطب ربه تمردوا عليه وقالوا يا موسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتهم
الرجفة وقال موسى يدعوا ربه رب لو شئت
أهلكتهم من قبل وإيأى أهلكنا بما فعل
السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء
وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا
وارحنا وأنت خير الغافرين .

رفضوا أن يقبلوا التوراة ولم يذهبوا لها
إلا حين رفع الله الجبل فوقهم حتى صار
دكانه ظلة وظنوا أنه واقع بهم .

أمرهم موسى بأن يدخلوا الأرض المقدسة
فقالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا
لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها
فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون
أنعم الله عليهما ادخلا عليهما الباب فإذا
دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن
كنتم مؤمنين ، قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً
ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا
إنا ههنا قاعدون . قال رب إني لا أملك

فألقوه على وجهه أبى يأت بصيرا وأتوني
بأهلكم أجمعين . فعادوا ورجعوا بأهلهم
أجمعين ، وكان ما كان . ورفع أبويه على
العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا
تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ،
وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء
بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني
وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه
هو العليم الحكيم .

لقد هاجروا إلى مصر مع أبيهم ليعيشوا
في ظل أخيهم بعد أن جعل أميناً على خزائنها
ومسكن الله له في الأرض . يتبوا منها حيث
يشاء ، ثم عملوا من بعده في خدمة الغزاة من
أعداء البلاد التي أكرمتهم وآوتهم .

رحل الغزاة عن أرض مصر ، فبقى هؤلاء
فيها حتى تفاقم شرهم وانكشف أمرهم وظهر
أنهم جواسيس في عهد رمسيس .

أنجاهم الله من آل فرعون ومن الفرق
بقيادة موسى عليه السلام فلم يلبثوا حين
وجدوا قوماً يعكفون على أصنام لهم ، أن
قالوا لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة
قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبرما هم فيه
وباطل ما كانوا يعملون .

أمدهم الله في صحراء سيناء بطعام المرن
- وهو كالصنغ حلو الطعم سهل الهضم -
والسلوى - وهو طائر السمان - فقالوا لموسى
عليه السلام لن نصبر على طعام واحد فادع
لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من

فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين .

كان النبي الذي لجأوا إليه يدعى صمويل والملك الذي عين عليهم يدعى دشاوول أو طالوت . فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه ذو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين .

لم ينتصر جيش طالوت على جيش جالوت كما يذكر المفسرون والتاريخ - فقد روى أن الجيشين اتفهما في عدة معارك فلم يرجع فيها جانب على جانب ، فبرز جالوت يتصدى ويتحدى ونادى طالوت ليخرج إلى مبارزته على أن يكون للقاتل ملكة المقتول ، فتهيب طالوت لقاءه . ولم يجرؤ على مواجهته . ونادى في عسكره من قتل منكم جالوت زوجته ابنتي وجعلته شريكا لي في ملكي . فلم يجرؤ واحد منهم كذلك على لقاء جالوت ثم حدثت المعجزة . فقد ذهب شاب صغير إلى اخوته وهم يحاربون مع طالوت . وسمع بما وقع من جالوت : فتقدم إلى طالوت وطلب منه أن يأذن له بمبارزة هذا الجبار

إلا نفسي وأخى فافرق بينا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين .

آل أمرهم بعد وفاة موسى وهارون إلى قتاه يوشع ابن نون فسار بهم إلى الأرض المقدسة بعد انقضاء المدة التي كتب الله عليهم أن يقضوها تائبين ، ودخل بهم القرية التي أمرهم الله أن يدخلوها ويستغفروه حين يدخلون بابها خاشعين خاضعين ، فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ، وعاقبهم الله بالوباء كما يفهم من قوله « فأنزّلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون » .

اشتبكوا مع جيرانهم الكنعانيين والمديانيين والفلسطينيين والآراميين في نزاع دائم وحروب متصلة فلم يدعهم أولئك وهؤلاء يطمثون في الأرض التي نزلوها واحتلوها ثم دارت عليهم الدائرة في أسدود بالقرب من غزة . وأخذ منهم التابوت ووضع في معبد « داجون » فجمعوا شتات قلوبهم المنهزمة . واستجمعوا شجاعتهم المتوهمة وقالوا « لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله » . قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا . قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا

وقد عظم أمر هذا الملك في عهد سليمان عليه السلام . وكان ذلك استجابة من الله لدعائه إذ قال : « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ، بدليل قول الله بعد ذلك : « فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد ، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » . وبدليل قول الله في موضع آخر : « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور » .

وقد انهار هذا الملك بعد موت سليمان ، وعاد بنو إسرائيل إلى ذل الأسر والقتل ، فعدا عليهم بختنصر وساقهم أسرى إلى بابل ، ثم عادوا إلى فلسطين ليقعوا في قبضة اليونان ثم في قبضة الرومان .

وكان طيبهيا - لو كان الأمر عندهم منطوق حق وطبيعة سليمة - أن يرحبوا بالإسلام ، ويؤمنوا بنبيه عليه السلام ، لأنه جاء مصدقا لما معهم ، ولأنهم كانوا يحدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف

الذي يتحداه ، ولما أذن له وقدم له ما يحتاج إليه من فرس وسلاح ودرع لم يقبل وقال : إن لم ينصرني الله فلن يغني عن هذا السلاح شيئا : ثم أخذ مقلعه وتوجه إلى جالوت ، ولما أبصره جالوت أدخل الله في قلبه الرعب منه . على ما كان يتمتع به من بأس وقوة . فقال له : أتعلمني بالمقلع كما تقايل الكلاب ؟ قال داود نعم : وقذفه بحجر أصاب جبهته ، ثم وثب عليه واقتزع منه السلاح وجزبه رأسه وبذلك كانت الهزيمة وكان ما يحكيه الله بقوله : فهزمهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الملك والحكمة وعليه بما يشاء .

والتأمل في قول الله « وآتاه الله الملك والحكمة وعليه بما يشاء » ، وقوله : « ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبي معه والطير ، وألنا له الحديد ، أن اعمل سابغات وقدر في السرد » . وقوله : « واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ... وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » . التأمل في هذا وغيره يدرك أن هذا الملك الذي أظل بني إسرائيل : كان ملك داود لا ملك بني إسرائيل .

وكان بمعجزات وخوارق سماوية ، لا بجهود العصابات الإسرائيلية .

وكان ثمرة نبوة مؤيدة من السماء ، لا ثمرة لهذه الشجرة التي تعرف باسم بني إسرائيل .

« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، ولا شك أنه كان منهم أئمة كما يفهم من قول الله « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ، ولا شك أن الله أنعم عليهم وآتاهم مالم يؤث أحداً من العالمين ولكنهم لم يقابلوا النعمة بما يذبحون لها من شكر ، بل كان منهم الغدر والكفر كما أشرنا فيما ذكرنا ، ومن ثم كانت عناية القرآن بأمرهم وبأخبارهم ، ليكشف للناس طويامهم وسوء نواياهم حتى يحذروهم فلا يقعون في شباكههم وشراكههم فإنهم كما يقول الله « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ، وكما يقول « كلباً أوقدوا نار الحرب أطفاها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ،

الفرقة العنصرية :

والفرقة العنصرية سمة لازمة لبني إسرائيل ، وقد بقيت طابعهم الغالب على حياتهم حتى بعد أن أصبحوا أجناساً كثيرة كما يذكر الدكتور محمد عوض في كتابه الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، إذ يقول : والذين يزعمون أن اليهود جميعاً من سلالة إسرائيل قلنا يقفون لحظة واحدة لكي يذكروا أنه لو أن هذا الوهم صحيح لكان اليهود في جميع

وبيناهم عن المنسكر ويحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، ويتوعدونهم بأنهم سيحاربونهم مع نبي آخر الزمان الذي أظلمهم أوانه ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » .

وقد حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم كما حاولوا قتل عيسى ، وقتلوا كثيراً من الأنبياء بغير حق وكانوا كما يقول الله لهم « أفسكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

الموضح العامة :

هذه الأحداث والمواقف تعطينا صورة عن بني إسرائيل . وتكشف لنا الملامح العامة لطبيعتهم ومنهج حياتهم ، وسلوكهم ، وهي إلى ذلك تشف عن خبث الطوية ، وسوء النية ، والغدر ، والمكر ، فإذا كان أصلهم إسرائيل . من الأطنهار الأخيار الذين اصطفاهم الله ، فإنهم بالنسبة إليه كما يقول الله « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ، ومن ثم كان خطابه لهم بمجملته « يا بني إسرائيل ، تأنيباً لهم وتثريباً عليهم ولا شك أن منهم الأخيار ولكنهم قليل بالنسبة إلى الأشرار كما يفهم من قوله تعالى

تقوم عليها مدينة القدس وهيكل سليمان - فكان من ذلك . الصهيونية .

والنزعة العنصرية قد تكون فطرية أو ميولا طبيعية ووطنية ، ولكنها إذا انحرفت إلى الشعور بالغرور والكبر وما ينشأ عنه من ظلم وجور كانت مصدر شر وفساد كبير ، وأول مثل لذلك موقف إبليس مع آدم ، فقد أبى أن يسجد له مع الملائكة امتثالا لأمر الله ، ثم كان جوابه حين سأله ربه « ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » ، هو قوله « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » .

ويظهر أن إبليس لم ينجح مع قوم كما نجح مع بني إسرائيل ، ومن ثم جاء الحديث إليهم عقب الحديث عنه وعن موقفه مع آدم ومع ربه في مطلع سورة البقرة ، لأن الحسد طبيعته فيهم كما كان منه ، ولأن الكيد والمكر . والآنانية والنزعة العنصرية - وهى صفات وثمرات شيطانية - ، تبدوا فيهم كما بدت منه . وسنعرض لذلك بتفصيل قليل .

عبد الرحيم فودة

أنحاء العالم متشابهين في السحنة والمنظر والتقاطيع ، لأن قانون الوراثة يقضى حتما بأن الفروع تشبه الأصل وتشابه فيما بينها تشابها شديداً ، ولو نظرنا إلى اليهود في مختلف أقطار العالم اليوم لوجدنا بينهم الشقر ذوى العيون الزرقاء والشعر الأصفر ، ورأينا بينهم السمرة ذوى الشعر المجعد في هضبة الحبشة ، والسود في جنوب الهند ، والصفر المغول في الصين ، ورأينا بينهم الطوال القامة . والفصار ذوى الرءوس الطويلة والعريضة . ويوشك ألا يكون هناك اختلافات بين السلالات البشرية أكبر مما نجد بين الجماعات اليهودية في مختلف القارات وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها من سلالة جنسية واحدة .

ولكن النزعة العنصرية جعلت من شريعة الله آتى جاء بها موسى شريعة يهودية وجعلت من الاجناس المختلفة التى اعتنقت هذه الشريعة جنسا واحداً يهوديا ، وربطت مشاعر اليهود على اختلاف ألوانهم ومواطنهم بصهيون - وهو تل من التلال التى كانت

من أعلام المسلمين في الهند : مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

- ٣ -

وحرجا كثيراً وأنا أحارل اختيار نماذج من هذه المرافعة لأقدمها هنا تحقيقاً لوعدي فكل موضوع فيها بل وكل سطر يعتبر نموذجاً رائعاً يسرني أن تقرأه وتحس ما أحسه من إعجاب وسرور .. وهي تقع في نحو أربع وأربعين صفحة عادية ، فإذا أختار منها وماذا أدمع حتى أرضى بعض رغبي ؟ . وهل أقدم لك المقال المحدد الصفحات من نماذج أنقلها ؟ وماذا يكون لي إذن من مجهود ؟ وكان هذا هو الحرج .. ولكنني واثق على كل حال أنك بعد أن تنتهي من قراءة هذه النماذج ستعيش في جو الإعجاب بها وتنسى أنني شغلتك بنقول نقلتها إليك ، بل إن الشوق سيستبد بك إلى طلب المزيد منها أو الاطلاع عليها كاملة ، وأستطيع أن أقدم لك من الآن وهذا بالاطلاع عليها كاملة في الكتاب الذي سأطبعه قريباً عن المسلمين في الهند في ظل الاستعمار البريطاني وجهودهم في حركة التحرير .. ولقد طالت المقدمة فيها بنا إلى الموضوع .. بدأ مولانا آزاد مرافعته فقال :

وعدت في مقال السابق أن أقدم نماذج من مرافعة مولانا آزاد أمام القضاة الإنجليز الذين يحاكمونه بتهمة إثارة الشعب ضد الحكومة ومقاطعتها ، وكان قد أمضى في المعتقل أربع سنين أيام الحرب الأولى وأفرج عنه في يناير سنة ١٩٢٠ ثم لم يلبث أن اعتقلته الحكومة في ديسمبر سنة ١٩٢١ ووجهت إليه التهمة السابقة وكانت حركة العصيان المدني على أشدها وسيق إلى المحاكمة . وأمام القضاة الإنجليز وقف وألقى أروع مرافعة عرفها التاريخ .. ويشهد الله أنني منذ اطلعت على هذه المرافعة وأنا مأخوذ بقوتها وروعها .. ذلك أنني لم أطلع - فيما اطلعت عليه من أقوال الزعماء المسلمين وغير المسلمين ممن وقفوا موقف مولانا آزاد - لم أطلع على ما يماثلها من قريب أو بعيد ، وقد بلغ من إعجابي بها أنني حرصت على أن أطلع عليها ما استطعت من أصدقائي وأنا أحس ارتياحاً وسروراً لاطلاعهم عليها ومشاركتهم لي في الإعجاب بها .. ومن أجل هذا وجدت صعوبة شديدة

ولما أحضرت فيها ورأيت الحكومة تقدم لإثبات جريمتي ، الخطبتين اللتين ألقيتا في بعض مجامع دكلكتا ، وهما لا يحتويان على جميع الأمور التي ما زلت أكررها في جميع خطبي ورسائلي ومقالاتي التي تعدو الحصر ، والتي إن قدمت لها كانت أنفع لمقصدها ، علمت أنها عاجزة حتى عن تهمة ذلك المستند الذي يعتبر في مثل هذه الأيام كافيا لإنزال العقاب ، مع شدة رغبتها وحرصها على بيجني ، ولذلك غيرت مقصدي وقلت إن العلة التي كانت مافعة من الكلام أصبحت موجبة له ، فأردت أن أثبت بلساني الأمر الذي لم تستطع الحكومة لإثباته مع علمها به ، وشدة رغبتها في إثباته ، وإني أعلم أن قوانين المحاكم لا توجهه علي ، ولا تضطرنني إلى الاعتراف به من تلقاء نفسي ، ولكن قانون الحقيقة فوق هذه القوانين الوضعية ، وهو الذي يسوقني إلى ما سأقوله ، إذ ليس من الحق أن نذر شيئا مستورا لأن الخصم لا يستطيع إثباته .

ويستمر في مرافعته فيقول :

ليس يبدع أن تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جنائية في عهد الاستبداد ، وأن يكون محارب وجوده الباطل جناة وأثمة وأهلا للعقاب الشديد . وما دام الأمر كذلك فإني أعلن على مسمع من الحكومة والمحكمة بأنني

« أيتها القضاة ، إني كنت عازما على ألا أقدم للحكمة بيانا ما لأنها مكان لا رجاء لنا فيه ، ولا طلب منه ، ولا شكوى إليه ، وإنما هي كنصرج الطريق إلى المنزل لا بد من قطعه للسابل ، ولذا نقف فيه وقفة على كره منا ، ولما لدخلنا السجن توا ، ونطوى بعض الصفحات فنجده يقول للحكمة بعد أن سرد تاريخ المحاكمات والذين وقفوا في قفص الاتهام من الأبرار والفجار يقول :

« وإني إذ أتدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف ، وأراني قد شرفت بالوقوف فيه ، ويسبح روعي بحمد الله ويلهج لساني بشكره من غير قصد مني ، وهو وحده يعلم ما أجده من الجذل والابتهاج ، إذ أحسبني في هذا القفص محمودا للبلوك والسلاطين العظام ، فأين لهم في قصورهم المريحة تلك المسرة والراحة التي يرقص لها قلبي في صدرى . وياليت الإنسان الغافل العاكف على هواء يشعر بنفحة منها ، وإني أقول حقا إنه لو أدركها الناس لتمنوا المثل في هذا المكان ، ولنذروا المنذور من أجله .

ولا يترك وقتا يمر بعد هذا الكلام حتى يقدم الدليل عليه ... الدليل الأقوى على إداتته بعد أن غاب عن ذهن الحكومة التي تحاكمه فيقول :

« إني كنت عازما على السكوت في المحكمة ،

أنا قد ارتكبت هذه الجناية ارتكابا واقترعتها
أقرافاً ، وأننى من أولئك الجناة الذين بذروا
هذه الجناية فى قلوب أممهم ، ووقفوا حياتهم
على سقمها وتنميتها وثمرها .

ثم يمحى فى صراحته وجراته المنقطعة
النظير فيقول : -

نعم لى قلت «إن الحكومة الحاضرة ظالمة ،
وإن لم أقل هذا فإذا أقول ياترى ، وأيم الله
لنى لا عجب كيف يطلب منى أن أسمى شيئاً
بغير اسمه ، وأن ادعو الأسود بالابيض ؟
لنى مادمت أعتقد أن هذه الحكومة من أولها
إلى آخرها شر فكيف أدعو لها وأقول
دومى ولا تصلحى ؟ .

وأمام قضائه الانجليز يقف معتدا بدينه
وإيمانه ويلقى عليهم درساً عن نظرية الإسلام
الذى يدين به إلى الاستبداد فيقول : -

لنى مسلم ، ولانى مسلم وجب على أن أندد
بالاستبداد وقبحه ، وأشهر مساويه ، وليعلم
أن الإسلام لا يعترف بالحكومة الشخصية ،
ولنما جاء ليرد إلى النوع الإنسانى حرية
المغصوبة التى كان قد اغتصبها الملوك المستبدون
الذين كانوا يعتقدون أن الحقوق للقوة والتسلط
والقهر والغلبة ، ولكن الإسلام بمجرد ظهوره
أعلن إن الحق ليس فى القوة ولا هو القوة ،
بل الحق هو الحق وأنه ليس لأحد من البشر
أن يستعبد هباد الله ويذلهم ويسخرهم ، وبين

أن الناس كلهم متساوون فى الإنسانية ،
متساوون فى الحقوق . إن الإسلام أعلن حقوق
الإنسان قبل ثورة فرنسا بأحد عشر قرناً
وليس مجرد إعلان بل وضع نظاماً عملياً
لديموقراطية الحق بالغا فى الكمال متناه .

إن الإسلام ينهى المسلمين عن قبول حكومة
إسلامية لم تشكل برأى الأمة وانتخابها ،
فإذا يكون موقفهم - إذن - من هذا الحكم
« البيروقراطى ، الأجنبى ، وهب أن تقوم
الآن فى الهند حكومة إسلامية على نظام شخصى
أو تكون مستبدة فإن الإسلام يوجب على
أن أسميها أيضاً ظالمة وجائرة ، وأسعى
لإسقاطها وإزالتها كما أفعل الآن .

« ولعمري إن مطالبة المسلم بأن يسكت
عن الحق ، ولا يسمى الظلم ظلماً ، مثل مطالبة
بأن يتنازل عن حياته الإسلامية ، فإن كنتم
لاترون لأنفسكم أن تطالبوا أحداً بأن يرتد
عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلماً بأن
يتمنع عن قوله للظلم إن أظلم لأن معنى كلمتا
المطالبتين واحد ، إن التصديق بالحق وإعلانه
عنصر ضرورى للأمة الإسلامية ، فإن فصل
عنها فقد أكبر ما تمتاز به ، ويمضى فى مرافعته
العظيمة من سمو وتقديس للحرية وتضحيات
من المسلمين فى سبيلها فيقول : -

« إن المسلم يتحتم عليه ألا يتمنع فى إعلان
الحق ، ولا يبالى فى أداء فرضه بمصيبة وابتلاء ،

الظالمين بظلمهم ولا يخافون الحاكم ولا نائبه ويتقبلون الموت في سبيل الجهر بكلمة الحق عند هؤلاء السلاطين المسلمين ، وسرد من هذا التاريخ أمثلة رائعة ثم قال : -

فإذا كنا نحن المسلمين نعامل حكومتنا الإسلامية هذه المعاملة حينما تكون ظالمة فإذا يرجوه منا عمال هذه الحكومة الأجنبية ؟ وهل تكون الحكومة الانجليزية الهندية المتسلطة علينا بالقوة أكرم علينا من الحكومات الإسلامية التي تعتبر طاعتها واجبة علينا شرعا ودينا ؟ ، وهل دولة الملك جورج الخامس ونيابة اللورد ريدنج « حاكم الهند ، أعز علينا من خلافة عبد الملك بن مروان ونيابة الحاج بن يوسف الثقفي ؟ ولو غضضنا الطرف عن الفرق الشرعي العظيم بين الحكومة الأجنبية غير الإسلامية ، والحكومة الوطنية غير الإسلامية ، والحكومة الوطنية الإسلامية وأنزلناهما منزلة واحدة ، أفلا نقول في حكومات « جيمس فورد » وريدنج^(١) ما قلناه في حكومات الحاج وخالد القسري من قبل ؟ قد قلنا يومذاك : اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا ، وهذا هو الذي نقوله لكم اليوم ، ولا نزال نقوله حتى يزول الاستبداد أو نزول نحن من الوجود ، ويستمر في جرأة المؤمن الوائق بربه يبين لهم ما كان يجب على المسلمين

بل يصدع به حيثما كان ولولا قى دونه الخمام . وتصير هذه الفريضة أو كد وأوجب عندما يسود الظلم والجور ويمنع الناس من إعلان الحق بالعنف والشدة ، إن التوحيد أساس الإسلام وقطب رحاه وهو يعلم المسلمين أن الخوف والخشوع لا يكونان إلا لله الواحد وأن من يخشى غير الله فهو مشرك به وجاعل غيره أهلا للخوف والطاعة وهذا ما لا يجتمع مع التوحيد أبداً .

« إن الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى التضحية والبسالة والجرأة والاستهانة بالموت في سبيل الحق وقد ابيضت عن الدهر ولم تر مثل هذه الضحايا السكثيرة العظيمة التي قدمتها الأمة الإسلامية في كل دور من من أدوار حياتها في سبيل إعلاء كلمة الحق ، وتراجم علمائها ومشايخها وساداتها تنبئ عن هذه الضحايا .

« ألا فلتعلم الحكومة قانون (١٢٤) من العقوبات الهندية ولا يرد عنه دينه وأداء فريضته ، إذ أكبر عقاب في هذا القانون حبس المرء طول حياته ، والمسلم يرحب به ويتمناه إن كان لا بد منه في سبيل الحق .

ويمضى الرجل العظيم في مرافقته فيرد لهم تاريخ المسلمين الأول في ظل الحرية ، وتاريخهم في ظل الملوك والولاة المستبدين من بني أمية والعباسيين وكيف كان العلماء والعوام يجابهون

الشهادة ، وألا يقول للظالم إنك ظالم لأن قانون ١٣٤ يعاقب عليه ١١ .

« ولست أنكر أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن هذا الانقلاب المخزى وتسلط الأجانب عليهم ؛ لأنهم قد فقدوا خصائص الحياة الإسلامية وكسبوا جميع رذائل العبودية حتى أصبحوا بمحالتهم هذه أكبر قننة للإسلام ... ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية التعاليم الإسلامية البيضاء المصونة بين دفتي الكتاب الحكيم ، والى توجب عليهم أن يحموا أحراراً أو يموتوا كراماً وليس بينهما سبيل .

ثم يلخص موقفه من الحكومة في هذه الكلمات القليلة : « إن اعترافى في هذا الباب جليلة وصريحة وإنى أعتبر الحكومة الحاضرة المستبددة حكومة غير شرعية ، وعندما محضاً في عين الحق والقانون ومئات الملايين من أبناء البلاد .

ثم يصف هذه الحكومة كما يراها الملايين فيقول : « لقد رأوا جراتها في سحق الحق غير قليلة وهمتها في لبس الصدق بالإفك غير ، كيلة ولسانها في تكذيب الحقائق غير حي ولا متلعم ، .

ثم يعبر مرة ثانية وثالثة ورابعة عن رأيه في هذه الحكومة فيقول « يا ليت شعري إن لم أقل لهذه الحكومة ، إنك ظلمة فإما أن تتوب

أن يفعلوه تجاههم ، وكيف أنهم كانوا متساهلين مع أعدائهم فيقول : -

« إن الشريعة الإسلامية رسمت للمسلمين خطتين إذا ظلموا : خطة ضد استبداد الحكومة الإسلامية ، وخطة ضد استبداد الحكومة الأجنبية ، فالأولى تنحصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . أما الثانية فليست إلا السيف والحرب العوان وضرب الرقاب . . . ولقد كان يجب على المسلمين في الهند الآن أن يتخذوا الخطة الثانية فيحاربوا الحكومة الإنكليزية بالسلاح ويتفانونا في جهادهم ، لكنهم آثروا الأولى . . وأهلنوا أنهم يقاطعونها ولا يتعاونون معها ، أى أنهم يعاملونها كما كانوا يعاملون الحكومات الإسلامية الجائرة . . فهلا كان يجب عليها أن تفكر في صنيعتهم وتسامحهم معها ؟ . فسبهم أنهم يعاملونها كمعاملتهم للحكومات الإسلامية .

« ولانى هنا أقول حقاً إنه لا يؤلمنى أبداً أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتى ، وإنها لا تحاكمنى إلا لتزجنى في السجن إذ أن هذا أمر لا بد منه ، وإنما الذى يؤلمنى فيفتت كبدى هو أن أرى الحالة تنقلب انقلاباً تاماً ، فبدلاً من أن ينتظر من المسلم صدق اللهجة والقول الحق يطلب منه السكوت عنه وكتمان

وقال : « إنني أدعو بليغ هؤلاء بدعوة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم لقومه : اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

وبعد ذلك وجه كلامه إلى القاضي فكان أروع من كل ما قال :

وأنت أيها القاضي ماذا عساي أن أقول لك إن أقول لك؟ إن أقول إلا ما قاله المؤمنون قبلي في مثل موقعي هذا « فأقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إن الحكومة ما دامت فاسدة فلا رجاء في صلاح عملها . .

إني أختم مرافعتي بكلمات لفقيه إيطاليا وشهيد الحق « فاردينو بروثو » ، الذي كان ينف مثلي أمام المحاكم فقال « عاقبوني بأكثر ما يمكنكم أن تعاقبوني به » ، أيها القاضي ... لقد طال الحديث وآن أوان الوداع وإن ما يدور بيننا الآن سيسجله التاريخ ويعتبر به المعترفون ... فهل بنا نفرغ من هذا العمل الذي سيكون عبرة وتذكرة للآيتين ، فالمرور ينتظرنا ، والمستقبل يترقب فراغنا ، لنسرع في الحجى إليك ، ولتسرع أنت في القضاء علينا ، وإن هذا العمل لا يطول قليلا حتى يفتح باب محكمة أخرى ، وتلك المحكمة محكمة قانون الله والحق ، الزمان يقضى فيها ويكون قضاء حكما وحكمة نافذا . .

أخي . . ما أروع ما نقلته لك وما أروع ما تركته كذلك وضاق به نطاق المقال (البقية على الصفحة التالية)

أو تزولى . . فإذا أقوله ؟ أفأكذب وأقل لها ، لا بل إنك عادلة فلا تتوبى ولا تزولى ؟ لعمر الله إن هذا لن يكون أبدا ... وهل يستحق الظلم أن يبدل اسمه أو يسمى بغير اسمه لأنه يملك القوة والسجون والمشائق ؟ كلا بل أقول كما قال رائد إيطاليا وبطل حريتها « مازيني » : « قررة عيني في هذه الجناية » .

ويسير البطل المسلم الهندي في طريقه إلى القمة حتى يثبت أقدامه عليها ، ومن قته هذه يقول لقضائه الانجليز : -

« إن كانت محرمات هاتين الخطبتين اللتين أحاكم من أجلهما لا تلائم الحكومة وتراعى أستحق العقاب لأجلهما تحت قانون ١٢٤ فلم لا تعاقبنى على جميع خطبي وهى كلها مثلها بل أشد وطأة على الاستبداد منهما ، بل إنى مضطر هنا إلى التصريح أمامكم بأننى ارتكبت هذه الجناية مرارا يستحيل هدها بل ما عملت في السنتين الماضيتين غير هذه الجناية » وهما السنتان اللتان خرج فيهما من السجن ...

« لقد قلت في هاتين الخطبتين : إن الحرية لا ينبت نبتها ولا تستوى على سوقها إلا إذا سقيت بماء الظلم والقهر . وهما هى ذى الحكومة قد أخذت تسقيها بظلمها وقهرها . . ثم وجه كلامه في آخر مرافعته إلى الشهود والنائب العام من أبناء وطنه ولم يكذبهم ولكنه وبخهم لمساعدتهم للحكومة المستبدة

هَدَى التَّرَّانُ فِي إِصْلَاحِ النَّهْدِ وَالْمُجْتَمَعِ

لِلأَسْتَاذِ مَنْشَاوَى عَيْبُودَ

إذا تطلع القادة الراشدون إلى منهج إصلاحى سديد يقوم الأفراد ويجعل منهم لبنات قوية صالحة في بناء مجد الأمة ويكون مجتمعا مثاليا فاضلا فإن أيسر السبل وأقومها لبلوغ تلك الغاية الكريمة مدارس القرآن الكريم والاستمسك بهديه القيم إذ هو المنهل العذب الذي يروى ظمأ القلوب ، ويوفر لها ما تصبو إليه من حكمة وسداد ، والنور المبين الذي يشرق على العقول فيعصمها من الأفكار الطائشة والمذاهب الهدامة ، ويعمرها

بالهداية والعرفان ، ويدفع أصحابها إلى الصراط المستقيم . والسلوك القويم . ويوجههم إلى الإنصاف بأكمل الحالات وأفضل الخلال وأصاح الأعمال مشجعا لهم على ذلك بما ينتظرهم من أجر وفير وعطاء جزيل : لأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا (١) .

(١) - سورة الإسراء .

(بقية المنشور على ص ٨٣١)

ما أروع ما قاله هذا الزعيم المجاهد المسلم الذي أعاد لنا في العصر الحديث أجداد أمثال له في تاريخنا القديم جهروا بالحق ولم يخشوا إلا الله . . وما أحوجننا وأحوج المسلمين وبخاصة شبابهم - موضع الأمل والرجاء فيهم - أن يقرءوا مثل هذا ويحفظوه ويعوه ويكون لهم غذاء وتعبئة روحية ينطلقون بها في مضمار الحياة يحطمون أغلال الظلم

ويدكون أسوار الاستبداد وينطلقون بأهمهم من حياة الظلام والظلم إلى النور . . إلى الحرية . . إلى الحياة الإنسانية إلى الحياة الإسلامية . . ما أحلاها . وما أسعد الذين يعرفونها ويقدرونها ويعيشونها وفي ظلها أحراراً شرفاء كراماً أعزاء . .

(الحديث موصول)

عبد المنعم النمر

ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت^(١) ، ، وهذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين^(٢) ، ، إلى غير ذلك من الآيات التي تهدي المسترشدين وتزيده تبصرة وذكرى وإيماناً بربه وإنابة إليه وثقة به وتوكلاً عليه .

والقرآن يهدي للتي هي أقوم في العبادات فيأمرك بأدائها خاشعاً لربك . مستحضراً في نفسك أن تعبد كآنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وهل يسمع المؤمن قول العليم الحكيم صاحب القهر والسلطان ، إن الله كان عليكم رقيباً ،^(٣) وقوله ألم يعلم بأن الله يرى ،^(٤) ثم لا يحاول أن يعمر قلبه بجلال الله وعظمته . وخشيته وسطوته ؟

إن هذا الخطاب الإلهي سيأخذ حتماً بمجامع قلبه ويدفعه إلى امتثال أمر ربه . والحرص على مرضاته والتزود من طاعته حتى تكون العبادة خلقاً ومنهاجاً ، والإخلاص في أدائها غاية وأملاً .

هدى القرآن للتي هي أقوم في تنظيم المجتمع وتوثيق الصلة بين أبنائه فأحكم الرابطة بين

وما من شأن من الشؤون يتعلق بالفرد أو المجتمع إلا ويهدي القرآن فيه إلى ما كان أعظم نهجاً وأوفر رشداً ، وأزكى عاقبة ، وأهدى سبيلاً .

ففي العقيدة يهدي للتي هي أقوم بتطهير النفوس من دنس الشرك ، ورجس الوثنية ويخلصها من الخضوع لغير بارئها الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأوجد فأبدع .

وفي الخضوع لله وحده تكريم للإنسان وتقدير لأدميته ، وسمو بإنسانيته ، وتشريف له يجعل لإذعائه محتضراً بمصدر الوجود والإنعام .

ولا يخفى ما لهذه العقيدة الرشيدة من أثر جليل في احتفاظ المؤمن بعزته وكرامته ومراقبته لربه في جميع الأحوال والتصرفات ، ومن راقب ربه فلن تطوف بذهنه خواطر السوء ، ولا تلج إلى قلبه نزعات الشر ، وحرص على التزود من القول السديد والعمل المجيد .

على أن القرآن لم يسكره الناس على هذه العقيدة لإكراها بل هدى في الدعوة إليها أيضاً بالتي هي أقوم فلفت الأنظار إلى ما أودع من الدلائل في الأنفس والآفاق وما تشهد به الفطر الصافية والألباب الواعية وفي أنفسكم أفلا تبصرون^(١) ، ، دأفلا

(١) - سورة النازية .

(٢) - سورة لقمان . (٣) سورة النساء .

(٤) - سورة العلق .

(١) - سورة الذاريات .

المشكلة ينجم عنه خطر داهم وشر مستطير
يحتاج الأمة . ويقضى على بنيناها من القواعد
وحسبك شاهدا على ذلك قوله عليه الصلاة
والسلام (اتقوا الشح فإن الشح أهلك من
كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم
واستحلوا محارمهم) (١) .

ولرعاية المجتمع أيضا شرع القرآن المعاملات
بين الناس تيسيرا لمصالحهم وتحقيقا لرغبتهم
في المعاوضة والمبادلة . وهدى فيها للتي هي
أقوم فوضع لها أسسا قوية تنتج المقصود من
شرعيتها مع المساواة بين الطرفين في صيانة
حق كل منهما وتبادل المودة والثقة بينهما فأمر
بالتعاون والتناصح ونهى عن الغش والخيانة
وحرّم أكل الأموال بالباطل وبالغ في التحذير
من الربا والتخويف من سوء عاقبته . فكشف
عن حقيقته وبين أنه خداع براق يغرّ ظاهره
وهو في الواقع بحجة للخراب والدمار ومحول
هدام يقضى على النظام الاقتصادي ويحبط
الثروة ويجعلها هشيا تذروه الرياح قال تعالى:
« يحقّ الله الربا » (٢) وتوعّد آكليّه بأشدّ
أنواع الويل والشبور حيث جعلهم معرضين
لحرب من الله لا قبل لهم بها ولا طاقة على احتمالها
فقال - جلّت حكمته : « يأبى الذين آمنوا
اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم

الأغنياء والفقراء فأقامها على أساس من العدالة
والتكافل الاجتماعى والرعاية الحازمة فاحترم
ملكىة الغنى لماله لكنه أوجب فيه حقاً للفقير
بنى بحاجاته ويوفّر له الحياة الكريمة قال تعالى :
« والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل
والمحروم » (١) وقد سمي القرآن هذا الواجب
حقاً تكريماً للفقير واحتراماً لشعوره وتوفيراً
لعرزته . وتبيناً له أنه لا يأخذ صدقة أو منحة
ولأنما يتقاضى حقه الذى كان مدخراً له عند
غيره . كما أن فى هذه التسمية أيضاً إعلاناً
للغنى بأن هذا المقدار الذى تعلق به حق الفقير
تلزّم المسارعة إلى إخراجّه . ولا يجوز التسويف
فى أدائه . أو التهاون فى الوفاء به . وبذلك
نعم الجميع بالعيش الرغيد . والحياة الباسمة .
ويقادرون المودة والصفاء . ويصبحون بنعمة
الله إخواناً ينافسون فى العمل الخير المجتمع
وإسعاده .

هذا وقد عنى القرآن الكريم بمشكلة المعوزين
والكادحين عناية فائقة لم تغفّر بثلمها فى
تشريع ما يدلّك على هذا ما تجده ماثلاً فى الكثير
من آياته وسوره من ذكر الفقير والمسكين
وتحريك القلوب للعناية بهما والاهتمام بشأنهما .
ولأنما سارع القرآن إلى علاج هذه المشكلة
لأن علاجها فى الواقع أنجح وسيلة لصيانة
المجتمع وتوفير أمنه وهماؤه - وإغفال تلك

(١) رواه مسلم

(٢) - سورة البقرة .

(١) سورة الماعز .

فقد أرشدت الآية الكريمة إلى فضيلة البر بهم والتزام العدل معهم وختمت ذلك بما يجعل النفوس مسارعة إلى الامتثال وتواقة إلى تحقيق تلك الأهداف الرشيدة حيث جعل العدل مع هذه الطائفة مرجعا للظفر بحجة الله وعظيم مثوبته - وليس أروع من هذا في إشعال جذوة الحماس إلى القيام بالواجبات والإحسان في أدائها وضمنان الحقوق وصيانتها.

والسر في أن الواجب علينا نحو تلك الطائفة ورد التعبير عنه في الآية بعدم النهي هو أنه ربما يطوف بالأذهان أن مخالفة هؤلاء الناس في الدين تحظر البر بهم وتسوغ الاستخفاف بحقوقهم . فجاءت الآية الحكيمة على هذا الأسلوب للرد على ما عساه يحظر بالبال مبدية أسباب الحكم علينا بوجوب البر بهم والعدل معهم .

وما أوسع ما تدل عليه كلمة البر والعدل من صور كريمة ومظاهر رائعة .

يهدى القرآن الأمة الإسلامية إلى الحالة التي هي أقوم في تنظيم علاقتها الدولية بغيرها فيأمرها أن تتحصن بالسلاح والقوة التي تهرب أعداءها وأن تعنى بالمرابطة وحماية الثغور والحدود ومداخل العدو لتعيش الدولة آمنة مطمئنة لا تمتد إليها يد الطامعين ولا تتحرك لها قلوب المستعمرين قال تعالى:

مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله . ورسوله (١) .

هدى القرآن إلى التي هي أقوم في تماسك الأمة وتناصرها وتوحيد كلمتها وإعلاء شأنها وإبقاء هيبتها في نفوس أعدائها وجعلها منيعة الجانب مرهوبة السلطان فدعا إلى الوحدة والوئام وحذر من الفرقة والانقسام فقال عز شأنه : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين (٢) .

ولتوثيق عرى الاتحاد والتآزر بين جميع عناصر الأمة تعرض القرآن لمعاملتنا مع قوم خالفونا في الدين ولكنهم رضوا بالإقامة في ظل الإسلام وحمايته على أن يلتزموا معنا خطة المسالمة فلا يعلنوا علينا حربا ولا يظاهروا عدوا يقاتلنا وتتعاون نحن وهم على جلب الخير ودفع العدوان وأخذ كل فريق منا على صاحبه بذلك عهدا مؤكدا وميثاقا غليظا - والقرآن يهدينا في شأن هؤلاء التي هي أقوم فيقول : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يحزجوك من دياركم أن تبرؤم وتسقطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٣) .

(١) سورة البقرة .

(٢) سورة الأنفال .

(٣) سورة الممتحنة .

هذا عرض القرآن لموضوع الصلح مع قوم
اشتعلت بيننا وبينهم نار الحرب فهذانا في
ذلك لقي هي أقوم أيضا فأرشدنا إلى قبول
عرضهم للصلح مادمنّا قد آنسنا منهم حسن
النية ونبل الغاية وأخذنا الحيلة لسلامة أمن
الدولة قال تعالى « وإن جنحوا للسلم فاجنح
لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » (١) .
وصفوة القول أن هداية القرآن لقي هي
أقوم في إصلاح الفرد والمجتمع ما أكثرها
وما أروعها وما تعرضنا لذكره منها ليس إلا
نماذج يسيرة من هذا البحر الزاخر الذي
لا تنقضي عجائبه ولا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وما أحوجنا ونحن في شهر رمضان الذي
أنزل فيه القرآن - إلى أن نبدا عهدا كريما
بمداينة هذا الذكر الحكيم فنستوحيه في
جميع شئوننا العلاج الناجع . والتوجيه الحازم
ونأخذ أنفسنا بهديه الرشيد . ونقيمها على
صراطه المستقيم لنظفر بتكريم العلي الكبير
حيث قال سبحانه : « والذين يمسكون بالكتاب
وأقاموا الصلاة إنا لانا نضيق أجرا المصلحين » (٢)

مساوى عبود القول

و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (١) .
ولم تحدد الآية الكريمة نوع القوة التي
نعدّها لتفسر في كل زمان بما يرهّب خصوم
الإسلام . والإعداد على هذا النحو هو السبيل
الوحيد لضمان الأمن والسلام والوقاية من
الحروب وويلاتها ولذا يعبرون عنه بالسلم
المسلح ؛ إذ السبب الحقيقي للحرب بين
دولتين إنما هو اختلال ميزان القوة فيهما
وتضاؤل قوة الدولة المعتدى عليها في نظر
الدولة الباغية .

وما أرشدت إليه الآية الحكيمه هو
هدى الله في نشر الأمر بين الناس لا ما تزعمه
تلك الدول العاتية من حماية السلام ، وأقامت
لذلك مجلسا يسمى مجلس الأمن وأحاطته
بسياج براق من الدعاية الزائفة . وما هي
إلا الأساليب الماكرة الخادعة التي تخفي
وراءها روغان الثعالب وغدر الذئاب
واغتيال الأمم المستضعفة والتهام الشعوب
المغلوبة على أمرها .

والإسلام دين السلام حقا ولا يحارب الإمن
وضع العقبات في طريق دعوته وهدد أمنه
وسلامته ونازع سلطانه وسيادته ومن أجل

(١) - سورة الأنفال .

(٢) - سورة الأعراف .

(١) - سورة الأنفال .

الشّوْرة الوَطْنيّة والفِنيّة في شعر أحمد محرم

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

وتحدث عن ظلمهم لشعوبهم فقال :

رأيت ملوك الناس لا ينصفونهم
وخير الملوك المنصف المترفق
يقيمون صرح الظلم في كل أمة
إذا ملكوا والعدل بالملك أخلق (١)
ورأى أنهم يعيشون على حساب الشرف
والضمير فقال :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم
شرفاً ، ويزعّم أنهم شرفاء
لا المجد مجد بمد ما عبث به
أبدي الملوك ، ولا السناء سناء
مالوا عن الشرف الصميم وأحدثوا
ما شأت الأوهام والأهواء
لو جاور الشرف الملوك لأورقت
صم الصخور وضأت للظلماء
وندد بعباس وخيائنه الوطنية لمصر فقال :
ماذا بدا لك فاهزت صفوقنا
أو أصبحت حرب الغزاة سلاماً ؟
أتخون مصر وما تحول نيلها
سماً ، وما انقلب الضياء ظلاماً ؟

- ١ -

من حق الشاعر الكبير الخالد ، أحمد محرم ،
على وطنه ، أن يذكره ، وأن يقدر فيه الشاعر
الثائر ، الذي عاش لأمته ، وضحي من أجل
حريتها وعزتها ومجدها أغلى التضحيات .

من حقه على بلاده - في نهضتها التحررية
العربية الكبرى - أن تحتفي بشعره ، الذي كان
غذاء لثورتها ، وشعلة أضأت لها الطريق إلى
غايتها ، والذي نادى بالثورة وبشر بها قبل
ميلادها بوقت طويل .

- ٢ -

لقد عاش محرم عدواً للسلطنة والحزبية
السياسية ، وللجتل وأذنا به ، وللرجعية
والإقطاع . حارب كل هذه الأركان المتداعية
الواهية ، وحاربه . حتى لفظ أنفاسه ،
ولاقى ربه .

(١) ذم الملوك ، وأزرى بهم ، وندد
بفسادهم ، من مطلع شبابه إلى آخر حياته ..
فقال في تصوير استبدادهم :

بغت الملوك على الشعوب وغرها
من تسوس تجاوز وسماح

(١) ٢ : ٨٦ الديوان.

(ب) وحارب كذلك الحزبية السياسية المستغلة الفاسدة، فقال في جنايتها على الشعب .

شعب بأيدي الجاهلين تقوده

أهواؤهم قود الذليل المضارع (١)

ودعا إلى الانفضاض من حول الزعماء الحزبيين، فقال :

دعوا الزعماء إن لهم لدينا

يدين بغيره الشعب الرشيد

إذا ذكروا الزعامة فهى دعوى

يكيد بها السكناة من يكيد

وكان الشعار الحزبي يدهو إلى تمجيد

الزعماء ، لا إلى البذل والفداء من أجل

استقلال الوطن ، فقال محرم يندد بهذا

الشعار الزائف :

هو الحق الذى نسعى إليه

ولسنا عنه ما عشنا نحيد

إذا لم يحفظ استقلال مصر

فلا سعد يطاع ولا سعيد

(ج) وحارب محرم المحتلين حرباً لاهوادة

فيها ، فقال من قصيدته فى مأساة «دشواي»

يندد بالانجليز وأعوانهم :

بنى القاميز كونوا كيف شئتم

قلن ندع الكسفاح ولن نلينا

خفوا أنصاركم إنا نراهم

لنا ولقومنا الداء الدفيننا

هم الأعداء لسنا من ذويهم

وليسوا فى الشدائد من ذوينا

ذمنا عهدكم فتم نراكم

تشددون الرجال مودعينا ؟

ولقد شدوا الرجال عن مصر مرتين خلال

عام واحد ، ولكن بعد وفاة محرم بإحدى

عشرة سنة .. ويقف الشاعر أمام الانجليز

وجهاً لوجه ، فيقول :

حماة النيل إن النيل عان

يريد للعدل والحكم التزها

أسأتم فى سياستكم إيلينا

وتلك سياسة ما نرضيها (٢)

ويخاطب أنصار المحتلين وأذئابهم ،

وينذرهم ثورة الشعب ، وهو يتنبأ بها من

وراء الغيب فيقول :

يا أيها الناس إن الله يأمركم

ألا تكونوا لاهل الظلم أعوانا

إنى أخاف عليكم حادثاً جللاً

لا تملكون له رداً إذا حانا

ويذكر أذئاب المحتلين بذنبهم وبيلاهم

فيقول :

وأشد أبناء البلاد عداوة

من لا يرى المحتل من أعدائه

هى فى جلالاتها حى أبنائه

ومضاجع الماضين من أبنائه

لا النيل إن رمنا الحياة بجاهل
أنا لها كلا ولا الأهرام
ونادى بمحاربة الجهل وأكثر من تصوير
جنايته على الأمة ، فقال :

الجهل أصبح دامها المودى بها
ومن البليسة أن تموت بدائها
وحارب الرشوة ، وصور أثرها على
الشعب ، فقال يخاطب الموظف :

قتلت برشوة حقاً ضعيفاً
له من إثمها كفن ورمس (١)

ودعا إلى تصنيع بلاده فقال :

أبنوا المصانع شما تبلغون بها
شأوا الآلى رفعوا شم العرافين

أينب القوم آفاق الدنى صعدا
ونحن مرعى الأمانى والأطانين

ودعا إلى حرية الصحافة فقال :

لا تظلموا الأقلام إن سبيلها
هون الضعيف ونصرة المخذول

ونعى على صحافة المحتلين أكاذيبها وافتراءاتها
فقال :

صحف يزل الصدق عن صفحاتها

ويظل جعد القول عنها نابياً (٢)

هـ - وحارب الإقطاع وصور شرهه في

أكل حقوق الشعب المسكين فقال :

يا مدمن الأعمال فى طلب الغنى

لا تظلمن العامل المسكين

(د) وحارب محرم الرجعية فى شتى
صورها ، الرجعية الفكرية التى يقول عنها :

أيعجب قوما من أولى العلم أنهم
يسرون بين الناس فى نوره عميا (١)

والرجعية الاقتصادية والاجتماعية التى شن
عليها حرباً لا هوادة فيها ، فدعا إلى تعليم البنات

فى زمن كانت الدعوة إليه فيه كفراً وإلحاداً :

وجاهل ظن أن العلم منقصة
للبنات ، فانتقص التعليم وانتقدا

مهلاً فرب فتاة أهلكك بلدا
بجهلها ، وعجز أفسدت بلدا (٢)

وحارب الطائفية الدينية فى مصر ، فقال :

أسنى على المتباهضين وقد رأوا
أن الفلاح تودد ووثام

شرعوا العداوة بينهم لم يوصهم
دين المسيح بها ولا الإسلام (٣)

ومن أجل ذلك دعا إلى الإخاء الوطنى فى
كثير من قصائده ، يقول :

الدين لله للعلى وإنما
دين الحياة تودد ووثام

إن كان للواشى المفرق مآرب
فلنا كذلك مآرب ومرام

أنظّل صرعى والشعوب حثيشة
ونعيش فوضى والحياة نظام

(١) ٢ : ٨٠ الديوان .

(٢) ٢ : ١٧٦ المرجع .

(٣) ٢ : ٤٧ المرجع .

(١) ٢ : ١٨٨ الديوان .

(٢) ٣ : ٩٨ المرجع .

أطعمت من دمه الحزائن جمة
ولبثت تطعمه البلاء فنونا
وأندر الإقطاعيين الثورة فقال :
إنى أرى خلال الحوادث موقفا
جللا يقيم قيامة المثرينا
مهلا موالينا أجمع واحد
مالو تفرق جاوز المليون ؟
ونظـل لا نرجو نظاما صالحا
يقضى الحقوق ولا نرى قانونا
وقال فى جنائياتهم على الشعب :
أضروا الشعب واستلبوا قواه
وأفة كل شعب مسترفوه

— ٣ —

ولقد حاربته كل هذه الأركان التى كان يقوم
عليها بناء مصر آنذاك ، حاربته الملكية
البائدة ، والحزبية الفاسدة ، والرجعية الماكرة
والإقطاع المتنمر ، وحاربه المحتلون وأذئابهم
كذلك . . . فعاشر طول حياته فقيرا بائسا
محروما ، حتى يقول فيما يقول :

ظمئت وفى فى الأدب المصنف
وضعت وفى يدي السكيز الثمين
لربى ما عملت وعند قومي
ديونى حين تلتبس الديون
ويصور حتى هذه الأركان المتداعية عليه

فيقول (١) :

سبحان ربى هل هممت بمفطع
أم جئت أسرا فى الزمان عجا
ما كان إلا أن مررت بمنكر
فنهيت عنه وقلت فيه صوبا
إن الغواة إذا هممت بنصحهم
ألفيتهم متذمرين غضابا
ويوبخ زمانه وعصره وقد جهلا مكانه
ومنزله فيقول :

ويله زمانا حملت به الأسى
وشقيت فيه بكل خلق منكسر
ويله زمانا سيعرف موضعى
ويرى مكانى إن حبيت ومظهرى
ولئن هلك لتعلن مكانتى
أهم نشرت لها زمان البحترى
أعليت فى الأمم الخوالى جدها
ورفعت رتبة عصرها فى العصر
قلم من الروح الذكى يمه
ماشام ربك من نطاف الكوثر (١)
وبين بعد مذهبه ودعوته الوطنية عن
مذاهب من حاربوه ودعواتهم فيقول .
دعوني وما أَرْضى لنفسي وجنبوا
هواى هواكم ليس مذهبا معا
لكم شأنكم لاني أرى غير رأيكم
ولن لنفسي دونكم متطلعا

(١) ص ٤٠ عرم شاعر المروبة والإسلام
للأستاذ محمد إبراهيم الجبوشى ١٤٠٠ مشاهير
شعراء العصر .

(١) ٢ : ٧٥ الديوان .

سأسكت حتى ما أردت تحية
وأبعد حتى ما تروا إلى موضعا (١)
وتعرض عليه المناصب والأموال ليسكت
فيقول :

ولست ببائع نفسي وديني
ولو أوتيت ملك المشرقين
سأملأ هذه الغبراء بمجدا
وأترك أهلها صفر اليدين
على التاريخ بعد الموت حتى
وعنه الله يوم الدين ديني (٢)
ويفضل البؤس والحرمان على خيانة
أمنه فيقول :

ما أبالي حين تسمو أمتي
من ترى من بعد هذا أو سما
من أيادي الله أني لم أخن
عهدها الاوفى أريد المغنا
مرحبا بالبؤس من أسبابه
عفة البائس عن أن يأثما
راودتني عصابة عن حقها
وأني العرق الكريم الممتنى (٣)
وحين يرى الأمور في مصر لا تبشر بخير ،
يقول في حسرة دامية (٤) :

(١) ٧٥ : ٢ الديوان .

(٢) ٧٨ : ٢ للرجع .

(٣) ١٥٩ : ٢ المرجع .

(٤) ٨٠ : ٢ الديوان .

أكلف جد الأمر نفسي ولا أرى
سوى أمة خرقاء شيمتها الهزل
أردت لها عز الحياة فأعرضت
تريد حياة ما يفارقها الذل
ولكنه لا يسخط على أمة ، بل يستغفر
لها ولقومه ، فيقول :
أستغفر الله عن قومي وأسأله
حظا لمصر من الخيرات موفورا
وفي استنهاض هم للعاملين من أجل مصر
يقول :

أمن ركب العواصف أو ترقى
إلى السبع الطباق كمن تروى
حياة الحاملين لهم عقاب
فما أقسى العقاب وما أشدا
وتشتد به الحاجة ، وتمضه الحرمان ،
فيقول في ثورة عارمة :

وحدى حملت صروف الدهر فادحة
ما غاتني منكبي فيها ولا عضدى
وحدى بليت بنفس ليس يعجبها
ما يعجب الناس من رأى ومعتقد
ولا يطيب لها إلا الذي كرهوا
من مركب خشن أو مطلب نكد

وحدى شقيت بهذا الشعر أجعله
أحدوثة الدهر أو أنشودة الأبد
أصوغه من شعاع الشمس ليس يحجبه
ستر من الحقد أو سور من الحسد

لنفسى وفأتى إن وفيت بعهدما
وبى لا بها إن خنت حرمتها الغدر
أخاف وأرجو وهى جهد مخافتى
ومرى رجأتى لا خفاء ولا نكر
هى العيش والموت المبعض والغنى
لأبنائها والفقر والأمن والذعر
هى القدر الجارى، هى السخط والرضا
هى الدين والدنيا، هى الناس والدهر
ويفتدى مصر وطنه الحبيب بكل ما تملك
يداه فيقول :

مصر الحياة وحبها الشرف الذى
بطرازه الغالى أدل وأعجب
نفسى وما ملكت يدائى لأمتى
وسراة آباتى وما أنا منجب
أبنى إنك للبلاد وإنها
لك بعد والدك التراث الأطيب
ويهب لأمته حياته فيقول (١) :

وهبت الصبا والشوق والحب والهوى
لمصر وإن لم أقض حق الهوى مصرا
بلاد حبتنى أرضها وسماؤها
حياتى وأجرى نيلها فى فى الدرا
ويؤكد أن مصر فى حياته كل شئ، فيقول:
مصر الرخاء والنعيم والرغد
مصر الرفيق والصديق والولد
مصر النصير والظهير والسند
مصر الهوى، مصر الصبا، مصر الحرم

(١) ٢ : ١٣١ الديوان .

وحدى وفيت بعهدى والوفاء أذى
يجنى على الروح ما يجنى على الجسد
من كان يمشى وراء الموت متشدا
يبغى البقاء فأتى غير متشد
ولا يدرى محرم مكانه ووجوده ، فيقول
فى حيرة :

وجودى لست لى فلن تكون
أمر أنت عن نفسى مصون ؟
وجودى ما عرفتك غير معنى
تغلغل فى الخفاء فما بين
غريق فى الظلام ولا مخلص
ولا حصن يلاذ به أمين
أقيم عليه سور من عباب
تضل على جوانبه السفين
أطل ويضرب التيار وجهى
فأين أنا أحر أم سجين

— ٤ —

لقد عاش محرم لبلاده ، لوطنه ، لشعبه ،
لأمته ، وامتلأ قلبه حباً لمصر الخالدة التى كان سر
حبها همومه والتفكير فى حاضرها سبب أدوائه ،
فقال :

ولست وإن ظلمت أذم مصرا
فصر الهم والداء الدخيل
ويقول فى تصوير حبه لأمته :
فان يسألوا ما حب مصر فإنه
دمى وفؤادى والجوانح والصدر

كثير من شعره ، وأهدى إليه الجزء الأول
من ديوانه ، فقال :

فيانيل أنت المنى والحياة
وأنت الأمير وأنت الأب
وبانيل أنت الصديق الوفي
وأنت الأخ الأصديق الأطيب
وأنت القريض الذي أقتني
فيزهي به الشرق والمغرب
ولقد أحب محرم العمل الوطني الشريف ،
ودعا إليه ، فقال (١) :

أشرع لأمتك الحياة ولا يمكن
لك في حياتك غير ذلك مأرب
ما المرء إلا قومه وبلاده

فانظر إلى أي المواطن تنسب
وكان محرم يغرس الإيمان بالوطن في قلوب
الشعب ، ويقضي على الخرافة القائلة بأن
مناهضة المحتل وأساطيله عبث ، ومن أجل
ذلك كان يؤكد في مواضع كثيرة من شعره
أن الحق قوة ، والنصر له ، وأن الضعيف
الذي يقف الحق بجانبه هو القوى المنتصر
إذا طلب حقه وجاهد دونه ؛ يقول :

الحق أسطول الضعيف وجيشه
إن شن حربا أو أراد مغارا
ويقول :

لا تحسبن الحق صيحة عاجز
الحق عزم صادق وجلاد

ويذكر أن حب بلاده تغلغل في نفسه
وأحماق قلبه ودمه وفؤاده فيقول :

فإن يسألوا : ما حب مصر ؟ فإنه
دمى وفؤادى والجوانح والصدر
تدفق فيها الوحي شعرا وإنما
سقانا بها النيل الذي كله شعر
ويقول يعبر عن ثقته بشعبه :

أقول لمصر مصر الحياة
حياة الغد الدائم المتصل
لقد جد شعبك في شأنه
فما يتوانى وما يتسكل

وفي إيمانه ببلاده ، وحنينه إلى استقلالها ،
يقول (١) :

وما المرء إلا قومه وبلاده
فإن يذهبا يلق الأذى حيث يمتما
وما من فتى تخشى المهانة قومه
فيقطع أن يلقى من الناس مكرما
ولم أركلاوطان أكبر حرمة
وأكرم ميشاقا وأعظم مقعما
من العار أن تشقى بلادى وأسلما
وكلسوت أن يقضى عليها وأنما
أحن إلى استقلالها وإخاله

إذا ما رأينا الصدع أمرا محتما
ومن أجل حبه لمصر ، أحب محرم النيل
شريان حياتها ، ومصدر رخائها ، فذكره في

إلى اللقومية والوحدة العربية ، فقال فيما قال
من شعره :

أمم العروبة جاء يومك فاعمل
وإلى مكانك فانهمى وتقدمى
ضمي للقوى وتجمعي في وحدة
عربية تحمي اللواء وتحتمي
هذا السبيل لكل شعب ماجد
عالي اللواء إلى العروبة ينتمي
أمم العروبة جد جدك فانظمي
من همدك المنشور مالم ينظم
لك أن تسودي تحت رايتك التي
خفقت لها الدنيا فسودي واسلمي
وصور نكبة فلسطين في كثير من قصائده
فقال فيما قال :

في حمى الحق ومن حول الحرم
أمة تؤذى وشعب يهتضم
فرع القدس وضجت مكة
وبكت يثرب من فرط الألم
يا فلسطين اصطلها نكبة
هاجها للقوم عهد مضطرم
ومع هنصره التركي فلقد كان أحمد محرم
عربي الروح والفكر واللسان ، وكانت
العروبة عنده كل شيء ، يتحدث في شعره
عن قضاياها ، ويدافع عن أممها المكافئة
في سبيل حريتها واستقلالها . بل لقد تغلغلت
روح العروبة في كيانه ونفسه تغلغل الدم
في مسارب البدن ، حتى ليقول يرد على الذين

ونادى بالتضحيات الغوالي من أجل
الوطن فقال :

لفضن بمصر إن عدت العوادي
واكنا بأفقسنا نجود
وكم هتف محرم في شعره بالجللاء ، ونادى
به ، ودعا إليه ، وبشر به ، يقول فيما يقول :
هو الجللاء وإن ريعت له فئة
يود ساداتهم لو أنهم خدم
لقد تذبأ محرم في شعره بالثورة ، ثورة
الشعب على الفساد السيامي ، وعلى الاحتلال
والرجمية والإقطاع ، وكأنه كان يرى ويسمع
من خلال الغيب صيحة الحرية تدوى على
لسانه جمال عبد الناصر وصحبه الأبرار ، فقال :
لا بد للشعب مهما لأن جانبه
من وثبة تفزع الأفلاك والشهباء
وقال من قصيدته البعث المؤمل (١) .
وما أنا من روح الإله بأيس
وإن ملأ الهم الجوانح والصدرا
فيارب لا تبعث إلى منيتي
إلى أن أرى البعث المؤمل والنشرا

— ٥ —

هذا هو محرم في ثورته الوطنية العارمة ،
كان أسبق الشعراء إلى الإيمان بالثورة
والدعوة إليها ، والتنبيه بها ، الثورة من أجل
مصر وحدها ، ومن أجل مستقبل شعبها
الحُر الأبي

وكان محرم كذلك من أعظم الشعراء الداعين

عوامل الضعف في أمته وفي الشعر العربي ،
الذي قلده أروع القلائد والآيات .

دعا محرم من مطلع شبابه إلى أن يكون
الشعر تعبيراً جميلاً لطيفاً ، ومعاني أنيقة
شريفة ، فذهب في مقدمة الجزء الأول من
ديوانه الذي ظهر عام ١٩٠٨ إلى أن آلى
الشعر رقة النفس ورسوخ العقل ، وأن من
الضروري له حسن الأسلوب والصياغة
وجودة النظم وجمال التركيب ، إلى تخير
الكلم الرشيق ، وتخييل المعاني الأنيقة ،
ويتحدث عن الشاعر وسماته ، فيقول :

مستبد بحسب الدنيا له
وهو خصم المستبد المحتكم
ينظر النظرة تستقصي المدى
وتريه النور يجري في الظلم
فيلسوف كشف الله له

عن خفايا كل سر مكتتم
فاذا ما أخذته لمحمة
من جلال الفن أغضى واحتشم
هو عبد الفن والناس له
في حمى الفن عبيد وخدم
يسأل الاقوام : ما هنصره ؟

هو من نور وعطر وفنم
هو خلق بارع بما اصطنى
مبدع الكون وخلاق النعم
ولقد غذى أحمد محرم القصيدة العربية

قالوا له : مالك وللعرب ، ولست منهم في شيء
من النسب ؟ (١) :

قالوا : هبلك أتبنى بينهم نسبا
هيات مالك في الأعراب من نسب
فقلت والشعر تمنيني روائعه

لولا الأعراب قد هريت من أدبي
وكما عاش محرم شاعراً ، فقد عاش ثائراً ،
حتى ليتحدث عن عاصفة في ثورتها ، فيقول
فيما يقول من قصيدة رمزية له :

حرمة لم تعرف القيد ، ولا
سمعت بالسجن فيما تسمع
وبنظم قصيدة عنوانها « ثورة القدر » ،
يتحدث فيها عن ثورة إبليس الخاطئة -
وثورة القدر الحق عليه ، فيقول فيما يقول فيها :

ثورة خاطئة لو لم تقم
في ظلال العرش ما ثار القدر

- ٦ -

ولقد كان شعر محرم أكبر مظهر لثورته ،
ولروحه الثائرة الشاعرة ، إذ ثار على الفن
وتقاليده في عصره ، ثار على الاحتذاء
والتقليد ، وعلى بلادة العاطفة والانفعال ،
وعلى ضعف التجربة الشعرية فيه . ثار على
الأساليب الكلاسيكية الميتة ، والقوالب
الشعرية الجافة ، وعلى المعاني الضعيفة
المستخذية ؛ وحارب كل ذلك فيما حارب من

واضحة غالبية على قصيدته . ولعل محرم كان
البذرة لفن إيليا أبي ماضي في القصة الشعرية .
وقد طرح شاعرنا الصناعة اللفظية من
شعره ، وساق فيه بين اللفظ والمعنى ،
بين الأسلوب والفكرة ، بين الطبع وموهبة
الفن القادرة المصورة ، وأيد حركة التجديد
في الشعر ، ودعا إليها ، التجديد الذي يقوم
على استلزام ما في القصيدة الشعرية من عناصر
وأصول ، وينهض بخصائصها الفنية ،
ومحظها من الجلال والمتعة والروعة والتأثير
ولا يقوم على أشلائها ومن أجل هدمها . .
لقد كان أحمد محرم أحد عمد الشعر العربي
الحديث ، وكان هو وشوقي وحافظ ومطران
وشكري مدرسة شعرية متكاملة البناء . وكان
يؤمن بالفن وسلطانه ، وبالشعر وسحره
ومن ثم اتخذ منه لسانا يبين به عن أفكاره
الوطنية والوجدانية والإنسانية النبيلة .
عاش محرم مضطهدا محروما من كل شيء ،
ومات عن ثمانية وستين عاما ، وهو لا يجد
القوت ولا أبسط أسباب الحياة ، معتزا بنفسه
وقنه وكرامته ، وبوطنه وأمه ، أكبر اهتزاز .
مات الشاعر الخالد ، والتأثر الحر ، والوطني
الذي ألهمته بلاده وألهمها أجل الأفكار
والمثل والمبادئ والرسالات ؟

محمد عبد المنعم خفاجي
أستاذ بكلية الدراسات العربية

بالموسيقى الرائعة ، والغنائية الساحرة ،
وبالعاطفة الحارة القوية الصادقة ، وبالتجارب
الشعرية العميقة ؛ وغذاها كذلك بالفكرة
الوطنية النائرة الملهمة ، وبكل المعاني والقيم
الإنسانية الجليلة النبيلة ؛ وغذاها بالطبع
والموهبة ، وبالديباجة المشرقة ، وبالأسلوب
البليغ الرفيع العذب ، الذي هو مزيج من
الكلاسيكية الجديدة ، والرومانسية للصادقة
في التعبير عن حياة الشاعر ونفسه ومختلف
أحاسيس ومشاعره ، وأجاد محرم الحديث
في الطبيعة ، ومن روائعه فيها قصيدته
« الطبيعة وقتاة الريف » ، كما أجاد في الحديث
عن الفلاح ، وعن الحب ، وفي الوطنية
والاجتماع ، وفي الحكمة والتأمل ، وفي
التعبير عن وجدانه ونفسه ، وعن كل جديد
مبتكر اهتدى إليه عقل الإنسان في زمنه .
وكان أعظم جانب من جوانب شعر محرم
هو شعره الديني والإسلامي الذي بلغ
الذروة فيه بالإلياذة الإسلامية التي نظمها
في سيرة الرسول الأعظم وحياته وجهاده
وحرابه وبطولات أصحابه وقضياتهم من
أجل نشر رسالة الإسلام وتبليغها للناس كافة ؛
وفي الحق أن الإلياذة كانت من أعظم الأعمال
الفنية في الشعر العربي الحديث .

ولقد كان محرم كذلك من أسبق الشعراء إلى
مزج الشعر بالقصة ، فظهرت النزعة القصصية

الإسلام ونظرية التطور

للأستاذ المحسني عبد المجيد هاشم

بالعلم الحقيقي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. إنه يجليها بما يجعل العقول البصيرة تخرج لجلالا وإذعانا لدقة العلم وروعة التصوير وهو إن كان ليس بكتاب علمي يتعرض للاستيعاب والتفصيل لكل الجزئيات العلمية فلنا من هديه وقواعده العامة ونهجه ما تميز به بين الطيب والخبيث والجائز وغيره .

والحق أن الكاتب كان موقفا في رده وتحليله وكنت على وفاق معه حتى قرأت السطور التالية وهي قوله : « وإذا كان التطور هو السنة التي تنتظم كافة ما نرى ونحس من الكائنات وتنتقل بها من حال إلى حال : حال حسية أو معنوية عضوية أو وضعية أو روحية فإننا نستطيع أن نرى بعض هذه الحقيقة في مثل قول الله تعالى : « يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ، فكل يوم يمر بل كل لحظة يتجدد فيها للكائنات شأن جديد يصير بها إلى حال جديدة غير التي كانت بالأمس ، وليس ضروريا أن نرى ذلك التفسير والانتقال واضحا بملامحه الجديدة التي تميزه

تناول هذا الموضوع الأستاذ البهي الخولي في مجلة منبر الإسلام عدد شعبان ردا على صفحي في جريدة الأخبار عرض لنظرية التطور وأصل الإنسان والأجناس المعزوة لداروين ، ثم دعا رجال الدين أن يقولوا كتبهم ويوضحوا آراءهم في هذه النظرية. وقال الأستاذ الخولي: إن الكتب السماوية كتب هداية ربانية وإرشاد إلى ما ينير القلوب ، وليست لتقرير النظريات العلمية في مختلف ميادين المعرفة كالفلك والطب والجيولوجيا وعلم الحيوان إلخ فذلك يخرج الأديان عن طبيعتها ويصرفها عن أهدافها - والإشارات العلمية التي بالقرآن لم ترد لتقرير حقيقة علمية ولا يجوز إطلاقا أن نسميها علما بالمعنى المعروف في المصطلحات الحديثة وإنما هي أمثلة جديدة تضاف إلى شواهد صدق القرآن ، .

وأقول حقيقة : إن القرآن كتاب هداية ثم هو إذا تعرض ليجلي نظريات علمية في أي حقل علمي فإنما هو حديث الذي يعلم السر في السموات والأرض ، وهو المنفرد

البشر إلى الإنسان الأول آدم عليه السلام .
فهل يا ترى كان أقل منا تكويناً وحسناً
وبهاء بل علماً ؟ الجواب - لا وإلا لما كان
أهلاً للخلافة في الأرض ولما فاق على الملائكة
في مشهد رباني جليل حتى اعترفوا بخلافته
« وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض
خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال
إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها
ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء
هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم
لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال
يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال
ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض
وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، .

ولوحث نظرية التطور والنشوء والارتقاء
التسكوييني لكان بطبيعة الحال الإنسان الأول
في الوجود هو أقل الناس خلقاً وأقبحهم
منظراً ؛ لأننا نحن نتيجة تحسين وارتقاء
سنين طويلة ضاربة في أعماق الزمن ، فاطرح
هذا الحسن بدرجات هذه النسبة ستحصل إذا
على إنسان هزيل للغاية - وأي تكريم لو صح
ذلك والله يقول للإنسانية جمعاء في كل
الآزمان « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً ، -
إذا صح ما روى في البخاري أن الله خلق

عن ملاحظه السابقة وقد يكون التغيير ظاهراً
وقد يكون باطنياً وقد يتم ببطء شديد فلا
تتضح معالم المباينة إلا بعد أجيال أو بعد
ملايين السنين كما يقول علماء التطور ، .

وهنا لست على وفاق مع الكاتب في هذه
السطور وإني أخافه وأخالف علماء التطور
غير هيب أو عاني بأن أرى بعدم التطور
الفكري . ثقة بما في القرآن من نصوص ترد
كل قائل بنظرية التطور التسكوييني للإنسان
لا في ملايين السنين ولا أكثر من الملايين .
أما تفسير الآية التي ذكرت « يسأله من
في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ،
فأدق تفسير لها ما قاله النبي صلى الله عليه
وسلم وذكره الكاتب في المقال ، ولكنني أقول
لم يذكر النبي التفسير مروية وتمشياً مع أهل
البيئة البدوية وتجنباً للبلبلية الفكرية ، كما قال
الكاتب . والتفسير هو (من شأنه أن يغفر ذنبا
ويفرج كرباً ويرفع من يشاء ويضع من يشاء) .
ونقول لمن أراد أن يعرف حكم نظرية التطور
ونظرة الدين إليها اقرأ معنى قوله تعالى :
« ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، خلق
الإنسان منذ القدم على أحسن صورة وأكمل
هيئة وخلق إنساناً منذ النشأة الأولى له خصائصه
ومميزات الفريدة عن كل جنس آخر .

وعليّنا أن نرجع عبر القرون والآزمان
على ضوء النصوص الدينية الصادقة إلى أبي

وعلى نظام التطور ومقياسه الزمني بالنسبة
للؤمنين بنظرية دارون وشبهها فبعدكم سنة
يتطور القرد والغوريلا وأشباههما إلى نوع
إنساني ، وما مصير النوع الإنساني الحال
حينئذ هل سيحال على الاستيداع أم يصير
نوعاً ملائكياً بمرور الزمن وتقدم السنين ؟
بعد ذلك نقول للسائل لرجال الدين عن
موقفهم من فكرة التطور والارتقاء هذه
الفكرة غير سائغة إطلاقاً عند رجال الدين
والنصوص السارية تأبأها على أى وضع
سواء نظرية داروين أو جان دى لامارك
أو غيرهما أو ما يشبه ذلك ويقاربه بأى
صورة من صور الارتقاء التكويني للإنسان .
ولا يفوتنا أن نبين للسائل : أن الدافع
إلى القول بهذه النظرية واعتناقها إنما هو
الجهل الفاضح بقدره الله الخالق العظيم .
والغرض من الدعوة إليها تشكيك الناس في
عقيدتهم الحققة حتى لا يعبدوا الله الذى خلقهم
ولا يعترفوا بقدرته وفضله وخلقهم لهم فى أحسن
تقويم . وإنما يعززون وجودهم للطبيعة وتطورهم
إلى الزمن وحده ، فهو الكفيل بتحسين
النوع ، وهذه فكرة خبيثة لا يقرها الدين
ويصهرها فتدوب أمام أضوائه القوية وفقنا
الله إلى سواء السبيل ، وهذا الطريق المستقيم .

المحامي عبد المجيد هاشم

المدرس بمعهد الزقازيق الديني

آدم على صورته : فأى جلال وأى بهاء
كانت الصورة الأولى - للإنسان الأول :
إن مراحل التكوين الحقيقى الذى نعرفه
ما أرشدت إليه الآيات فى سهولة ويسر
فى أزمنة متقاربة ملبوسة :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين .
ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة
علقة مخلقة معلقة مضغة فخلقنا المصغرة عظيماً
فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر
فتبارك الله أحسن الخالقين » ، ومراحل حياته
على ظهر الأرض رسمها فى قوله : « والله الذى
خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف
قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة » .

ولو آمنا بنظام التطور وسرنا على حسابه
الزمنى فكم كانت تساوى يا ترى هذه الطفرة
الكبرى فى عرف أصحاب الارتقاء ، وهى التى
ما بين تطور الطين الذى لا حياة فيه إطلاقاً
إلى بشر سوى تقع له الملائكة ساجدين كما
تخبرنا الآية . « إذ قال ربك للملائكة إبنى
خالق بشراً من طين . فإذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين » .

بماذا نفسر على ضوء نظرية التطور
الاختلاف القائم بين الإنسان من الطول
والقصر والألوان ؟ هل وجد النوع الإنسانى
فى البدء على دفعات وبمرور الزمن سيصير
النوع القصير طويلاً عند نضوجه الزمنى أم
أن بدء النوع الإنسانى زمن واحد هو ميلاد
آدم وزوجته على ظهر الأرض ؟ .

الحشو.....!

(حشو اللوزنج - حشو الأكر)

للأستاذ على الجندى

يقول ابن سنان الحفاجى : من وضع
الألفاظ موضعها ألا تقع الكلمة حشواً .
وأصل الحشو : أن تأتي الكلمة مقصوداً
بها لإصلاح الوزن ، أو تناسب القوافي
وحروف الروى فى المنظوم ، وتأليف
الفصول والاسجاع فى المنشور ، من غير معنى
تفيدة أكثر من ذلك .

فالحشو عنده قسبان : قبيح وحسن ،
والحسن يعد من أنماط البلاغة العليا
كما رأيت .

وهذا ابن سنان : أن الحشوينقسم إلى ثلاثة
أقسام ؛ وذلك أن كل كلمة وقعت حشواً ؛
لا تخرج عن أمرين :

إما أن تؤثر فى الكلام تأثيراً محموداً ،
وتفيد فائدة مختارة ، وهذا حشو محمود .

وإما ألا تؤثر شيئاً ، بل يكون دخولها
كخروجها ، فوجودها وعدمها سواء .

وإما أن تؤثر فى الكلام نقصاً ، وفى المعنى
فساداً . .

وهذان القسمان مذمومان ، وثانیهما أحق
بالذم من أولهما .

فالحشو المذموم عند ابن سنان ، بعضه
قبيح ولكنه لا يفسد الكلام ، وبعضه
يتعدى القبح إلى إفساد الكلام .

وأطلق المبرد كلمة الحشو على الاستعانة ،
وهى عنده : أن يدخل فى الكلام ما لا حاجة
بالمستمع إليه ؛ ليصحح به نظماً أو وزناً
إن كان فى شعر ، أو ليتذكر به ما بعده
إن كان فى كلام منشور ؛ كنحو ما تسمعه
فى كثير من كلام العامة ؛ مثل قولهم : ألسنت
تسمع ؟ أفهمت ؟ أين أنت ؟ وما أشبه ذلك .
ويقول عبد القاهر : وأما الحشو ، فإنما
كرهه وذم وأنكر ؛ لأنه خلا من الفائدة ،
ولم يحل منه بعائدة ، ولو أقاد لم يكن حشواً
ولم يدع لغواً ، وقد تراء مع إطلاق هذا
الاسم عليه واقعا من القبول أحسن موقع ،
ومدركا من الرضا أجزل حظ ؛ ذاك لأن
فائدته إيماء على بجيئه ، بجىء ما لا يعول
فى الإفادة عليه ، ولا طائل للسمع لديه ،
فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث

إن نوال المدوح لا يختص بوقت دون وقت ، فلا معنى لتأريخ صلته بالسبت ، بل لعل ذكر اليوم هنا يفيد من طرف خفي : أنها كانت فائدة من المدوح ، لا طبيعة راسخة حتى صح أن ينوه الشاعر بهذا السبت العجيب في تأريخ الجوائز والصلوات !! .

حشو اللوزينج :

والحشو المحمود في عرف البلغاء يسهونه : حشو اللوزينج .

واللوزينج : ضرب من الحلواء الثمينة ، يذكر بإزاء الفالودج أو الفالودق بفتح الفال ، وبينهما منافسة حادة ، وإن شئت فقل : بين آكليهما .

واللوزينج : بإسكان الواو ، وكسر الزاوى ، وفتح النون ، فارسي معرب ، يشبه القطائف ، ويؤدم بدهن اللوز .

وكان حميد أبو الحارث يسميه : قاضى الخلاوة ، وقد وصفه ابن الرومى من قصيدة مشهورة تعد أبداع ما قيل فيه ، منها : مستكشف الحشو ولكنه

أرق جلدأ من نسيم الصبا
من كل بيضاء يود الفقى
أن يجعل الكف لها مركبا
لو أنه صور من خبزه

ثغر ، لكان الواضح الأشنبا
ومن النوادر : أنه قيل لبعضهم : التمر

ومما مثلوا به للحشو القبيح قول أبي تمام في بعض مدوحيه :

جذبت نداء غدوة السبت جذبة

نفر صريعا بين أيدي القصائد
فغدوة السبت حشو لا فائدة بذكره ، ولا يحتاج إليه ، ووجوده في الكلام ألبسه هجنة وغلظا وسخفا ، وبخاصة : أن ذكر الأيام في الشعر مما يذهب بروقه ، ويورثه الثقل والفدامة ، ولعل هذا اليوم اليهودى - وهو السبت - أثقل الأيام جميعا !! .

وقد ذكر الهاء زهير الخنيس ، في بعض قصائده الغزلية ، فلم يأت جاسيا جافيا كسبت أبي تمام ؛ لأن الخنيس كان موعداً مضروبا للقاء من يحب ، فلم تكن مندوحة عن ذكره ، وتذكير من أحب بإخلاف الوعد فيه ، وذلك حيث يقول :

وكنتم وعدتم في الخنيس بزورة

وكم من خميس قد مضى وخميس
وكذلك جاء « السبت » أيضاً في قول بعض العصرين :

السبت عيد لأنى فيه ألقاك

لانحرى العين يوم السبت رؤياك
ولاخفاء في جهامة كلبة « السبت » ، ولكن مما يخفف وقعها ويعتذر به عنها : أنها وقعت هنا موقع « الخنيس » ، في قول الهاء زهير المتقدم ، ولكن ما عذر أبي تمام في ذكر السبت ؟ .

فقد تم الكلام عند قوله : « في جنة الفردوس » .

ثم قال : غير معجل : أى بعد عمر طويل ؛ لأن الجنة لا يتوصل إليها إلا بعد الموت . وقد جاءت للتنبئ قلائد نفيسة من هذا النوع البديع .
فن ذلك قوله :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه

- يا جنتي - لظننت فيه جهنما

فقوله : « يا جنتي ، حشو مستغن عنه ، ولكن وقع موقعه من الحسن والملاحة والطاقة لمطابقته جهنم ؛ فأصبح كأنه لبراعته لا يستغنى عنه ، وصار هو الأصل .
وقوله :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب

يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا

فحاشاك هنا : لفظة دخلت لكمال الوزن ؛ لأنك إذا قلت : - احتقار مجرب يرى كل ما فيها فانيا - كان كلاما صحيحا مستقيما .

ولكنها أفادت مع أصل الوزن ، دعاء حسنا للبدوح في موضعه :
وقوله :

نهب من الأهمار ما لوحيته

لهنئت الدنيا بأنك خالد

فقوله : لهنئت الدنيا بمنزلة الحشو ؛ إذ كان المعنى يتم بدونها ، ولو استوى له أن يقول : نهب من الأعمار ما لم لوحيته لخلدت

يسبح في البطن !! فقال : على هذا التقدير يصلى اللوزينج فيها التراويح !!

وحشو اللوزينج يضرب مثلا للشئ يكون حشوه أجود من قشره وأفضل ، ذلك : أن حشو اللوزينج خير من اللوزينج نفسه ، فيشبه به الحشو في الكلام ؛ لأنه مع إمكان الاستغناء عنه ، يعد أحسن وأجمل من الكلام الذى جاء فيه . وقد عرفه الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل : بأنه اعتراض في الكلام يحسنه عند الأدباء .

وهذا الضرب من البيان الفاخر نادر الوقوع في كلام العرب لنفاسته وجلالة خطره . ومن أشهره قول عوف بن محم الخزاعي من قصيدته المشهورة ، التي يمدح فيها عبدا لله ابن طاهر ، وأولها :

يابن الذى دان له المشرقان

طراً ، وقد دان له المغربان

والبيت المقصود :

إن الثمانين - وبلغتها -

قد أحوجت سيمى إلى ترجمان

بفتح تاء « وبلغتها » ،

فهى جملة دعائية يستغنى عنها في الكلام ، فهى فيه حشو ولكنها أحسن منه ، أو أحسن ما فيه .

ومنه قول البحرى في مدح المتوكل العباسي :

وجزيت أعلى رتبة مأمولة

في جنة الفردوس ، غير معجل

أبي الحسين بن سعد ، فقل له : هل تعرف
ثانياً لقول عوف بن محم الحزاعي ؟ :
لن الثمانين - وبلغتها -
قد أحوجت سمي إلى ترجمان
في كون الحشو خير من المحشو .

فسار إليه وبلغه رسالة ابن العميد فقال :
سألتني عن ذلك محمد بن علي بن الفرات ،
فسألت عنه دأبا همرو ، غلام ثعلب ، فقال :
سألت عنه ثعلب ، فلم يأت بشيء .

ثم بلغني : أن حميد الله بن عبدان سأل عنه
المبرد ، فأفنده قوله عدى بن زيد العبادي
لابنه زيد بن هدي - وهو في حبس النعمان
ابن المنذر النخعي - :
فلو كنت الأسير - ولاتكنه -

إذاً هللت دمعاً ، ما أقول
فقوله : ولا تكنه ، حشو ، ولكنه في
الحسن نظير دبلغتها ، في قول عوف بن محم
الحزاعي .

حشو الأكر .

وإذا كان الحشو الممدوح يسمى دحشو
اللوزينج ، فقد سموا الحشو المذموم : دحشو
الأكر ، وهو ما كان فيه الظرف أقبح من
المظروف ، أو الحشو أقبح من المحشو !!

وفي ذلك يقول الأديب الظريف جحظة
البرمكي : أنشدت أبا الصقر شعراً لي ، فاهتز
له وقال : يا أبا الحسن ، لا تزال تأتينا بالغرر
والدرر . إذا جاءنا غيرك بحشو الأكر !! .

على الجندي

في الدنيا ، لكان المعنى مستقيماً ، لكنه -
لما احتاج إلى ألفاظ يصح بها الوزن -
جاء بقوله : « لهنئت الدنيا » ، فأتى بزيادة
من المدح ، وفضيلة من التقريظ والوصف
لاخفاء بحسن موقعها .

ومن طرائف حشو اللوزينج قول صاحب
ابن هباد :

قل لأبي القاسم لن جئته
هنيت - ما أوليت - هنيته
كل جمال فائق رائق

أنت - برغم البدر - أوتيته
فقوله « برغم البدر » : حشو يتم الكلام
بدونه ، ولكن حسن مجيئه هنا ، ودق
مسلكه ، وظرف وقعه ، لأنه يدل على أنه
فاق البدر جمالا ، فالبدر لذلك حاسد له ،
ومغيظ منه ، وحائق عليه !!

ومنه قول الضحاك بن عقيل :

ولو جاورتنا العام دسراء ، لم نبلى^(١)

- على جدبنا - ألا يصبو ربيع
وقد عقب على ذلك ابن خلكان في وفيات
الأعيان بقوله : « قد دره !! ما أحلى هذه
الحشوة !! » ثم قال : وأهل البيان يسمون
هذا النوع : دحشو اللوزينج .

ويروي الثعالبي : أن أبا الفضل بن العميد
قال لأحمد خاصته من الأدباء : اذهب إلى

(١) لم نبلى : أصله لم نبال . وهذا القول قد يشد من
حكم اللغز في الحزوم فيعامل معاملة للثلاثي الأجوف
في الشعر ؛ فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم
ويسكن ما قبل آخره .

نحو مخرج رئيس لتطوير الفقه الإسلامي :

الفقه صناعة إنسانية متطورة

للأستاذ فتحي عثمان

كان فقهاؤنا يبتكرون أحكاما تشريعية كثيرة ... إعمالا للقواعد العامة المجملة التي وردت في الشريعة .

وهذه الأحكام في حقيقتها جهود عقلية إنسانية ، أثمرها مزاج فقهي معين من أخلاقيات الشريعة وفلسفتها .

ومن الأمثلة الواضحة لذلك حديث الرسول (لا ضرر ولا ضرار) ، فقد كان ينبوعا لأحكام متجددة في رفض صور من المعاملات والتصرفات ، تشوبها شائبة الضرر لأحد الأطراف . وقد وجد فيه الفقه المعاصر أصلا طيبا لحظر (التعسف في استعمال الحق) .

على أن هذا المزاج الفقهي كان يتأثر بواقع المجتمع في ذلك العصر البعيد ، كما كان يتأثر بأخلاقيات الشريعة وفلسفتها .

من ذلك مثلا أن استخراج المعادن من المناجم كان عملا باهظ التكاليف ، ولم تكن الآلات التي تيسر مثل هذا العمل أو تعين عليها قد ظهرت في الوجود ، وكان الإنتاج محدودا والحاجات محدودة ، ومن هنا انعكست

آثار الظروف الاجتماعية والاقتصادية على الأحكام الفقهية ...

نقرأ في أحكام (الركاز) :

(إذا وجد في أرض معدن صلب ، فهو إما أن يوجد في أرض مملوكة أو أرض غير مملوكة) :

ففي الأولى : تكون أربعة أخماس المعدن لصاحب الأرض ، وأما الخمس فيكون لبيت المال .

وإن كانت غير مملوكة : كانت القيمة كلها للواجد ...

ويرى أبو حنيفة : أن الأرض التي ليست عليها وظيفة العشر أو الخراج يكون المعدن فيها كله لمالك الأرض ، ولا شيء لبيت المال أصلا ...

أما إذا كان المعدن سائلا كالنفط والقار وغيرهما من الزيوت المعدنية ، فلا شيء فيه لبيت المال بالاتفاق ، وعللوا هذا بأن المعدن السائل شبيه بالماء !! فكما أنه لا يجب شيء في المال المستخرج من الأرض ، كذلك لا يجب شيء فيما يشبهه في السيولة والميوعة !!

نظرية محكمة في بيان (جوهر القاعدة القانونية) .

لأنه الفقيه الفرنسي فرانسو جيني أستاذ فلسفة القانون الذي نشر في الفترة من سنة ١٩١٤ إلى ١٩٢٤ كتابه في « العلم والصياغة في القانون الخاص » .

ويرى « جيني » ، أن القاعدة القانونية جوهر يقوم على :

معرفة الواقع وحاجاته ومقتضياته من طريق ما تسجله الملاحظة والتجربة .

فرض الواجب في شأن هذا الواقع وفق ما يمليه العقل من مثل عليا وغايات بعيدة .

كما أن القاعدة القانونية شكل : يصنعه رجل القانون بفنه ، ليصنع هذه المواد الأولية التي يتكون منها الجوهر في قالب منضبط صالح للتطبيق العملي .

ويعبر جيني عن المواد الأولية التي يتكون منها جوهر القاعدة القانونية .. بالعلم .

وعن القالب الذي تصاع فيه هذه المادة .. بالصياغة ، أو الصناعة ، أو الفن فلسفستعرض مع « جيني » ، عناصر « العلم » ، في القاعدة القانونية :

نجد أولا الأصول الواقعية أو الطبيعية أو المادية : وتشمل الظروف المادية التي يواجهها الإنسان ، سواء أكانت متصلة بتكوينه العضوي أو نفسيته أو خلقه ،

فهل تتمشى هذه النظرة الفقهية مع نظرة عصرنا إلى البترول ؟؟

وهل تتمشى أحكام المعدن الصلب مع الأورانيوم مثلا ؟؟

وفي شركات (المضاربة) التي يكون فيها رأس المال من شخص والعمل من شخص آخر ، نرى الفقهاء يقررون الأنصبة على أساس التقدير المستمد من بيئتهم .

ومن البديهي أن الفقه لا يقيد كل متعامل أو متعاقد بهذه النسب ، وفقهاؤنا القدامى لم يدخلوا في حساباتهم صورة مجتمعتنا الصناعي المعاصر ، الذي يمتلك فيه صاحب رأس المال الآلات فيشتغل عليها المئات والآلاف من العمال ، وهؤلاء لا يقوم بهم ثلث أو نصف حسب !!

في هذه الشواهد وأمثالها صرور من الصناعة الفقهية ...

صناعة تستهدف مثاليات العدالة الإسلامية ، وقواعد الشريعة المجملة ، لكنها لا تستطيع أن تنفصل عن ظروف المجتمع في ظروفه الزمانية والمكانية !!

* * *

ولكي تدبّن الصناعة الفقهية على حقيقتها لنستوضح معالمها من فقيه غربي أخرج

ليبيان دور كل من هذه العناصر في تكوين نظامه .

فالأصول الواقعية : تكشف عن أن أساس اختلاف الجنس بين الرجل والمرأة .

والأصول التاريخية : تدل على وجوب خضوع الزواج لرقابة سلطة اجتماعية .

والأصول العقلية : تبين أهمية نظام الزواج والمجتمع وبالتالي أهمية ثباته واستقراره .

وأخيرا تأتي الأصول المثالية : لتقتصر الزواج على امرأة واحدة أو تبيح تعدد الزوجات ، ولتجيز الطلاق أو تحرمه .

فإذا اكتمل « العلم » بهذه العناصر ، جاء دور « صياغة » القاعدة القانونية في جانبها المادى أو المعنوى ^(١) ولعل في هذا التحليل الرائع ، كشف عن الأصول «الديناميكية» التى تتداخل وتتفاعل لتكوين «الفقه» بجانب الأصول الثابتة أو الموجهات المثالية !!

* * *

من هنا نستطيع أن ندّبر كيف تفاعلت الأصول الواقعية والتاريخية مع الأصول المثالية في إنتاج الأحكام الفقهية التى نقلها إلينا التراث الإسلامى ...

ونحن نحتاج إلى دراسة تراثنا الفقهى دراسة تاريخية نتعرف فيه على تجارب

[١] كمال عبد العزيز: الوجيز في نظرية القانون -

للتفصيل يراجع : حسن كيرة : أصول القانون .

أو كانت متصلة بالطبيعة نفسها من تربة ومناخ ، أو كانت مجرد ظروف اقتصادية أو خلقية أو دينية أو اجتماعية .

ثم نجد الأصول التاريخية : ويقصد بها التطورات التى مرت بها النظم القانونية المختلفة من واقع تاريخ القانون والعلوم الاجتماعية ، لنصل الحاضر بالماضى ، ونتوقى الطفرة والاجتماع .

وتأتى بعد ذلك الأصول العقلية : وهى ما يستخلصه العقل من الحقائق الواقعية والحقائق التاريخية فيصقلها ويحورها لتتفق مع الغاية من القانون ، فهى لا تتضمن من المبادئ والقواعد إلا ما يبدو للعقل على ضوء الواقع والتاريخ أن طبيعة الأشياء تفرضه فرضا محتوما ، أى المبادئ الضرورية وحدها دون السكالية والمثالية .

وأخيرا تأتي الأصول المثالية : وهى المثل العليا التى يترسمها الإنسان للنهوض بالقانون في مدارج الكمال ، ويستلهمها من العاطفة لا من التفكير وهذه الحقائق المثالية هى التى تعمل على تطوير القانون لو بقيت الحقائق الطبيعية والتاريخية والعقلية دون تغيير .

هذه عناصر « جوهر » القاعدة القانونية . أو عناصر « العلم » ، فى هذه القاعدة ، وفقا لما ارتآه جينى ...

وقد ضرب الفقه الكبير مثلا من « الزواج ،

* دراسة قانونية - مقارنة : للقوانين المتطورة القائمة - غير الإسلامية ، ومدى تفاعلها مع واقع البيئات التي تعيش فيها ، وتطورها لتلبية احتياجاتها ومجاراة نموها .

* إن بعض الأوضاع القانونية اليوم يقوم على أساس وجود أوضاع اقتصادية حديثة لم يكن لها نظير في الماضي الاقتصادي الإسلامي ، وذلك كالشركات القانونية المساهمة

المقفلة اليوم Anonymé وعقود التأمين Assurance وما فيها من أحكام هامة نظمها القوانين ، إلى غير ذلك من الأوضاع الأخرى : وإن المبادئ الحقوقية في الفقه الإسلامي ذات سعة ومرونة وقابلية عجيبة للاستيعاب والتفريع . فالنصوص الأصلية لهذه الأحكام والمبادئ - في القرآن والحديث النبوي - يمكن حصرها في

بضع عشرات من الصفحات ، وقد كانت صالحة وكافية لأن يتفرع عنها ويستمد منها

خلال العصور الإسلامية الأولى فقه عظيم كالبحر المحيط ، ومذاهب حقوقية اجتهادية

ونظريات مهمة فيها ، تكونت منها مكتبة فقهية في الإسلام بلغت آلاف المجلدات ، وكل حكم فيها مقرون بدليله من تلك النصوص بطريق الشمول أو قياس الحوادث الجديدة على الحوادث التي تناولها النص .

فكل الأوضاع الاقتصادية اليوم يمكن

أسلافنا ، وكيف استفادوا من فلسفة الإسلام الأخلاقية والتشريعية في معالجة واقع عصرهم ومشكلات بيئتهم ... فدراسة تراث الفقه الإسلامي لابد أن تكون على أساس من النظر التاريخي ، وينبغي أن تقوم على أساسين :

* دراسة تاريخية ذات شقين متكاملين :

للجتميع الإسلامي وتطوره ، والفقه الإسلامي وتطوره ، مع بيان تبادل التأثير والتأثير بين التطور الاجتماعي والتطور الفقهي .

* دراسة فقهية مقارنة : تدرس المذاهب الفقهية ككل ، ولا تعتمد الأساس المذهبي في الدراسة . فأيا كانت الخلافات الفكرية بين أصول المذاهب الفقهية ، فقد توخت هذه المذاهب لمؤثرات موحدة من واقع البيئة ومن موجبات الإسلام .

ولا بد أن يلحق بهذه الدراسة المقارنة ويتممها دراسة الشرائع المعاصرة للإسلام أو السابقة عليه ، وبخاصة الشريعة اليهودية والقانون الروماني .

هذا هو الأساس المنهجي في دراسة تراثنا . أما بالنسبة لمستقبلنا الفقهي فلا بد من دراسة تقوم على أساسين :

* دراسة واقعية : لمجتمعنا والمجتمعات المعاصرة ، ويعين عليها ما يعرف بعلم الاجتماع القانوني .

وينبثق من الشريعة الإسلامية ، كما انبثقت الشريعة اللاتينية والشرائع الجرمانية من الفقه الروماني . وأحب أن أشير إلى أن القانون الحديث الذي يشتق من الفقه الإسلامي

يجب أن يكون في منطقه وفي صياغته وفي أسلوبه فقها إسلامياً خالصاً ، لا مجرد محاكاة

للقوانين الغربية . فإننا إذا اقتصرنا على اعتبار أن هذه هي الغاية من تطور الفقه الإسلامي ، لا نكون قد صنعنا شيئاً ويكون الأولى لنا أن نفتش مباشرة من القوانين الغربية دون حاجة إلى دراسة الفقه الإسلامي أقول ذلك لأنني لاحظت أن بعض المشغلين

بهذه المسألة يعتمدون على إيراد نصوص

من القوانين العربية ، ثم يحاولون أن يخرجوا هذه النصوص على أحكام الفقه الإسلامي ،

دون أن يراعوا في ذلك أصول الصياغة في هذا

الفقه ، ثم ينتهون من هذا البحث السطحي

إلى أن نصوص القوانين العربية هي الشريعة

الإسلامية ذاتها !! مثل هذا العمل لا يحمل

طابع البحث العلمي الصحيح ، وليس من

ورائه كسب يذكر ، لا للفقه الإسلامي

ولا للقوانين الغربية ، ^(١) إنه عمل شاق ...

ولكنه ضروري . وعلى الله قصد السبيل ؟

فتمنى عثمان

تخريج أحكام جديدة لها على أسس الفقه الإسلامي ونظرياته كما فعل الفقهاء السابقون وتلك الأحكام الجديدة — بعد تخريجها وبناءها على قواعد الفقه الإسلامي — تلحق به وتصبح جزءاً منه ، وتصبح نظرياته مرجعاً للاجتهاد القضائي والتفسير القانوني فيها ، بالطريقة التي تضخم بها الفقه الإسلامي نفسه ،^(٢) والأوضاع الاقتصادية القائمة التي أشار إليها الباحث الفقيه مرتبطة بالتطور الاقتصادي جملة ، وتحوله من اقتصاد ساكن إلى اقتصاد متحرك ، ومن اقتصاد يدور في فلك محدود دورة بطيئة إلى اقتصاد عالمي يدور دورات سريعة متلاحقة متدافعة متداخلة ... ولا بد من دراسة واقع المجتمع وتطوره للاستهداء بعد ذلك بهدى النصوص الإسلامية الموجهة .

(والغاية من دراسة الفقه الإسلامي على هذا النحو أن تنتهي بعد عشرات السنين إلى أن يتجدد شباب هذا الفقه وتدب فيه عوامل التطور ، ويعود فقها صالحا للتطبيق المباشر مسيراً لروح عصره ، وتكون نهضة الفقه الإسلامي هذه شبيهة بنهضة الفقه الروماني في العصور الوسطى . وينبثق الفقه الإسلامي قانوناً مدنياً متطوراً يحاكي المدنية الحديثة

[١] مصطفى الزرقا : بحث في كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة .

[١] السنهوري : بحث بمجلة الجامعة العربية .

مِيقَاتُ الصَّوْمِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ مُحَمَّدٍ صَيَّامٍ

كالسويس والقاهرة وواحة سيوة مثلا بواقع أربع دقائق لكل درجة فالأرض في دورانها حول محورها من الغرب إلى الشرق أمام الشمس تقطع زمنا $= \frac{60 \times 24}{360} = 4$ دقائق لكل درجة وبالعكس ذلك يكون قانون (ب) الآتي :

قانون (ب) يتساوى طول النهار في جميع البلاد التي تقع على خط عرض واحد . كالسويس والقاهرة وواحة سيوة بينما يختلف في البلاد التي تقع على خط طول واحد كدمياط والقاهرة وأسيوط ومن أجل هذا تزيد الساعات (ساعات الصوم) أو تنقص باختلاف البلاد التي تقع في خط طول واحد حسب القانون الآتي :

قانون (ج) مِيقَاتُ الصَّوْمِ ، (يطول النهار صيفا كلما اتجهنا شمالا في النصف الشمالي لخط الاستواء بينما يقصر كلما اتجهنا جنوبا ، وبالعكس من ذلك يقصر النهار شتاء كلما اتجهنا شمالا في النصف الشمالي أيضا بينما

إذا استعان أحد على تحديد الزمان بالساعة وعلى تعيين المكان بالبوصله فإن مِيقَاتُ الصَّوْمِ هذا القانون الجديد يشبه أن يكون أداة يستعان بها في تحديد الزمان والمكان معا لمعرفة مقدار ساعات الصوم لكل يوم في أى مكان ... لقد ألمح الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بقوله (إن الزمان قد استدار) مشيرا إلى ذلك النظام الفلكي البديع فثلا كان رمضان من مدة ١٦ سنة في وسط الصيف وهو ذا موثك أن يكون وسط الشتاء وبعد مدة مساوية سيعود إلى أواسط الصيف بعد كمال الدورة في ٣٢ سنة تقريبا ضروره أن العام القمري يتقدم في كل سنة عشرة أيام عن العام الشمسي .

ومن نتائج هذا النظام الفلكي حصلنا على هذه القوانين ا ، ب ، ج ، (مِيقَاتُ الصَّوْمِ وهو مطلبنا في هذا البحث) .

قانون (ا) يتحدد وقت الظهر (الزوال) في جميع البلاد التي تقع على خط طول واحد كدمياط والقاهرة وأسيوط مثلا بينما يتوالى في البلاد التي تقع على خط عرض واحد

والنهار كما يختلفان بالطول والقصر في الأزمنة فهما يختلفان بالأمكنة فإن عند من يقول الأرض كرة فكل ساعة هيبتها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح وفي موضع آخر ظهر وفي ثالث عصر وفي رابع مغرب وفي خامس عشاء وهلم جرا . هذا إذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الأطوال (أما البلاد المختلفة بالعرض فكل بلد يكون عرضه الشالى أكثر تكون أيامه الصيفية أطول ولياليه أقصر وأيامه الشتوية بالضد من ذلك ، فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي حسب اختلاف أطوال البلدان وهروضها أمر عجيب) ١٠٥ هـ . وكذلك وجدت هذه النظرية في كتاب شرح المواقف للشرىف الجرجانى ص ١٥٠ - ٧ في قسم العناصر قال :

(فالشمس في أى جانب كانت من جانبى الشمال والجنوب كان نهارهم أى نهار الذين في ذلك الجانب الذى فيه الشمس أطول من ليالهم وفي الجانب الآخر يكون الأمر بالعكس فإذا كانت في جانب الشمال كان ليل الجنوبيين أطول وإذا كانت في الجنوب كان ليل الشماليين أطول) . ١٠٥ هـ .

كما وجدت هذا القانون برسائل إخوان الصفا وتذكرة الأنطاكى وابن خلدون قال في مادة جغرافيا ص ٣٢ ثم إن أزمة الليل

يطول كلما اتجهنا جنوبا وبالضد من ذلك يقال في النصف الجنوبى لخط الاستواء .
فمثلا حينما كنا في رمضان بدمياط في وسط الصيف وجدت المغرب يؤذن بالقاهرة في حين بقى على غروب الشمس عندنا حوالى ثمان دقائق ، وبما أن النهار يطول من طرفيه فإن الفجر حينذاك يكون قبل فجر القاهرة أيضاً : وجدت مشكلة حينذاك لم تحسمها جملة الإذاعة (وعلى المقيمين خارج القاهرة أن يراعوا فروق التوقيت) وتأدية لأمانة العلم وحسباً لتلك المشكلة التى ستجدد كلما عاد رمضان إلى وسط الشتاء أو وسط الصيف فكان واجبى أن أبين ذلك القانون وأكشف عن مراجعه فتبعت كتبنا القديمة لتحقيق هذا القانون فوجدت شبيهاً له في تفسير الفخر الرازى لقوله تعالى : د اختلاف الليل والنهار ، ص ٦٤ - ٢ قال : ذكروا للاختلاف تفسيرين أحدهما إفتعال من قولهم خلفه يخلفه إذا ذهب الأول وجاء الثانى فاختلف الليل والنار تعاقبهما في الذهاب والحجى . وبهذا فسر قوله تعالى : د وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه ، ، الثانى أراد اختلافهما في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان :

وعندى فيه وجه ثالث وهو أن الليل

لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر الإقليم الثالث مما يلي الشمال أيضا ينتهيان إلى ١٤ ساعة وفي آخر الرابع إلى ١٤ ونصف ساعة وفي آخر الخامس إلى ١٥ ساعة وفي آخر السادس إلى ١٥ ونصف ساعة وفي آخر السابع إلى ١٦ ساعة وهناك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الأقاليم في الأطول من ليلا ونهارها بنصف ساعة لكل إقليم يتزايد من أوله في ناحية الجنوب إلى آخره في ناحية الشمال موزعة على هذا النحو (١٠ . هـ .

توفيق محمد صبيام

إمام مسجد جمال الدين شبيحه

والنهار تتفاوت في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فيتفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهي طول الليل والنهار في آخر الإقليم الأول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدى لليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد منهما إلى ثلاث عشرة ساعة كذلك في آخر الإقليم الثاني فيما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان وهو منقلبها الصيفي إلى ثلاث عشرة ونصف ساعة ويبقى بالأقصر من الليل والنهار ما تبقى بعد الثلاث عشرة والنصف من جملة أربع وعشرين ، الساعات الزمنية

من صحيفة بشر في تعليم الخطابة

خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك وإجابتها لإياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرها وأشرف حسبا ، وأحسن في الاستماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ شريف ومعنى بديع .

واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالسكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتسكف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا ، وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه .

ولياك والتوعر ، فإن التوعر يسلك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراغ (أراد) معنى كريما فليتمس له لفظا كريما ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف .

حياة الانبياء بعد الموت

للأستاذ عباس طه

عن الانبياء كما أسلفنا ، وإن كان التفاوت بين درجات الحياة بحيث لا يعلمه إلا الله ، وما نحن أولاء نشاهد في هذا العالم من مراتب الحياة المتفاوتة بين أنواع الحيوانات وأصنافها إلى أن تصل إلى أعلاها ما يجعل الأمر في غاية الجلاء والوضوح . وإلى القارئ شطراً من أدلة حياة الانبياء وكلام العلماء في ذلك .

أما الكتاب فقد وردت فيه الآيات المتعددة الدالة على حياة الشهداء ، وقد انعقد الإجماع على أن الانبياء أرفع درجة من الشهداء قال ابن حزم في المحلى بعد ذكره الآيات الواردة في حياة الشهداء مانعه : (ولا خلاف بين المسلمين في أن الانبياء عليهم السلام أرفع قدراً ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامه من كل من دونهم ومن خالف في هذا فليس مسلماً) ١ هـ .

وأما السنة ففيها شيء كثير من الأدلة على حياتهم ، من ذلك حديث (الانبياء أحياء في قبورهم يصلون) رواه أبو يعلى والبيهقي من طرق متعددة من حديث أنس بن مالك ، قال المناوي في شرح الجامع الصغير : (رجاله ثقات صححه البيهقي) ١ هـ . ومثل ذلك للحافظ

الانبياء أحياء في قبورهم بلا مرية ، وهم أولى بذلك من الشهداء الذين ورد فيهم النص القرآن في قوله تعالى : **وَلَا تَحْصِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالَهُمْ** بل أحياء عند ربهم يرزقون . بل الحياة ثابتة لجميع من فارق الدنيا ولو كفاراً ، كما يدل عليه حديث أهل القلب الذي في البخاري ، وجاء في الصحيح أيضاً أن الميت بعد دفنه يسمع قرع نعال المشيعين ، وأن الروح تنادي حامل الجنازة وأنه يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعه لصعق . وقد رأى صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج موسى عليه السلام يصلي في قبره ، كما رآه في السماء السادسة وقد راجعه مراراً في أمر الصلاة ، وقد وضع البيهقي رسالة في حياة الانبياء ، والسيوطي أيضاً رسالة تسمى (أنباء الأذكىاء بحياة الانبياء) . أما قوله تعالى : **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ، فعنناه أن روحك ستفارق بدنك وتدخل في عالم آخر ، فلا تشتغل بتدبير الجسم ، ولا تسرى عليها أحكام هذا العالم ونواميسه ، وإلا فقد ثبتت حياة الأموات كلهم فضلاً

عنا بحيث لا نراهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم (١) .

وقد نقل كلام القرطبي هذا أيضا ، وأقره الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في شرحه لعقيدة أهل السنة ، ونص عبارته : قال أبو عبد الله القرطبي قال شيخنا أحمد بن عمر : إن الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد موتهم ومقتلهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدنيا ، وإذا كان هذا في الشهداء ، كان الأنبياء بذلك أحق وأولى ، مع أنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء خصوصا بموسى عليه وعليهم السلام ، وقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا عنا بحيث لا ندرهم ، وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم (١) .

ويحقق ما ذكره هؤلاء الأئمة من تواتر الأحاديث الدالة على حياة الأنبياء أن حديث

السخاوي في القول البديع ، ثم له طرق أخرى أخرجهما البيهقي في حياة الأنبياء ، وبها يصير من الصحيح المتفق عليه ، ومنها حديث الإسراء ، فقد ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى موسى قائما يصلي في قبره ، وأنه اجتمع بالأنبياء وصلى بهم .

وقد نص كثير من الأئمة والمفاهيم ، كالقرطبي في التذكرة ، وابن القيم في كتاب الروح ، والحافظ السيوطي في غير ما كتاب من كتبه ، على أن أحاديث حياة الأنبياء في قبورهم متواترة ، قال السيوطي في مرقة الصعود : (تواترت بها الأخبار) . وقال في إنباء الأذكىاء بحياة الأنبياء ما نصه : (حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره هو وصائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا ، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك) (١) .

وقال ابن القيم في كتاب الروح نقلا عن أبي عبد الله القرطبي (صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ، خصوصا بموسى ، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد عليه السلام ، إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا

الإسلام زكريا في شرحهما عليه ، والسيوطي في ألفيته وفي شرحه لتقريب النووي .

(إذا تقرر هذا هرف أن المرسل إذا ورد من طريق آخر مرسلأ أو مسندا صحيحاً أو ضعيفاً كما صرحوا به ، كان حجة قطعاً ، بل اشترط جمع من أهل الحديث والأصول كونه ضعيفاً لتقوم الحجة بالجموع (المرسل والمسنند) وإلا كان المسند الصحيح كافياً في الاحتجاج .

وهذا الحديث ورد من طريقين آخرين موصولين ، أحدهما إسناده جيد والآخر ضعيف ، فالأول من حديث عبد الله بن مسعود أخرجه البزار ونص الزرقاني في شرح المواهب اللدنية على أن إسناده جيد ، والشهاب الحفاجي في شرح الشفا على أن إسناده صحيح ، كما جاء في نص ملا علي قاري في شرح الشفا على أن إسناده صحيح .

والطريق الثاني للحديث المذكور عن أنس ابن مالك ، كما عزاه له السخاوى في القول البديع ، والسيوطي في الجامع الصغير ، إلا أنه أورده مختصراً وقال المناوى : إن إسناده ضعيف . فلو لم يرد إلا حديث أنس الضعيف لكان مرسل بكر بن عبد الله المزني حجة على رأى الجميع بانضمام حديث أنس إليه ، فكيف وقد انضم حديث ابن مسعود الصحيح إليهما ؟

عرض الأعمال عليه صلى الله عليه وسلم ، واستغفاره لأمته ، وسلامه على من يسلم عليه ، ورد من عشرين طريقاً ، وحديث الإسراء ورد من طريق خمسة وأربعين صحابياً وقد نص الحاكم والحافظ السيوطي على أن حديث الإسراء متواتر ، قال بعضهم : لا شك أنه يؤخذ من هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم حى على الدوام ، وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم عليه في ليل أو نهار .

أما حديث « حياى خير لكم ، فهو صحيح محتج به في هذا المقام وفي غيره بلا مرية .

وما قاله المحدثون فيه نقول : هذا الحديث رواه ابن سعد في الطبقات من حديث بكر ابن عبد الله المزني مرسلأ بسند صحيح كما نص عليه واحد من الحفاظ ، وقال بعضهم : إنه حسن نظراً لإرساله ، وقد نازع بعضهم في الاحتجاج به من حيث إرساله لامن حيث سنده ، ولكن فاته أن المرسل إذا ورد من طريق آخر مرسلأ أو موصولأ ولو ضعيفاً ، صار حجة عند جميع الطوائف من أهل الأصول والفقه والحديث ، كما نص عليه ابن الصلاح في علوم الحديث ، والنووى في التقريب وفي مقدمة شرح مسلم وغيرهما من كتبه ، وكذا الحفاظ بن حجر في النخبة ، والعراقي في الألفية ، والسخاوى وشيخ

وما رواه عدد جم يجب
إحالة اجتماعهم على الكذب
فتواتر وقوم حددوا
بعشرة وهو لدى أجود
ومشى عليه في كتاب (الفوائد المتكاثرة)
ومختصره (الأزهار المتناثرة) لحكم بتواتر
أحاديث لا تزيد طرقها على العشرة ، وهناك
من يكتفي في التواتر بأقل من ذلك كما هو
مبين بكتب الأصول وغيرها ، وقد ذكرنا
ما يزيد على العشرين وقد حكم جماعة من
الأقدمين بالتواتر في الخمسة والأربعة ،
ومنهم ابن حزم في (المحلى) و (الأحكام) ،
والطحاوي في شرح معاني الآثار ، والقاضي
أبو الطيب الطبري وغيرهم . أما حديثنا
فتواتر على جميع الاصطلاحات ، لوجود
ما يزيد على العشرين في كل طبقة من طبقات
رواته وتواتر هذا الحديث في معناه
لا في لفظه .
ثم يأتي بعد ذلك أنه تقرر في كتب الفقه
والأصول وكتب الكلام أن منكر المتواتر
بعد قيام الحجة عليه كإبقائه باري السموات
ومدبر الكائنات .؟

بل نقول : همدنا في الحديث ما هو أكبر
من ذلك كله ، وهو أن الحديث متواتر
تواترا معنويا لورود معناه من حديث جماعة
من الصحابة يبلغ عددهم حد التواتر ،
وهم عبد الله بن مسعود ، ولحديثه طرق تزيد
على الخمسة ، وأنس بن مالك ، ولحديثه طرق
تزيد على الستة ، وأبو هريرة ولحديثه طرق
تزيد على العشرة ، وعمار بن ياسر ، وأبو أمامة ،
وعلى بن أبي طالب ، وابنه الحسن ،
وابن عباس ، وأبو بكر الصديق ، وأوس
ابن أوس الثقفي ، وأبو الدرداء ، وأبو مسعود
البدرى الأنصاري ، وعمر بن الخطاب ،
وابنه عبد الله بن عمر .

وروى مرسلًا عن جماعة من التابعين
منهم بكر بن عبد الله المزني ، والحسن
البصري ، وخالد بن معدان ، وابن شهاب
الزهري ، ويزيد الرقاشي ، وأيوب السخيتاني ،
وفي الباب غير المذكورين من الصحابة
والتابعين ، وهذا القدر كاف في إثبات
التواتر وخصوصاً على رأي من يثبت بسبعة
أو عشرة ، وهو الذي رجحه الحافظ
السيوطي في ألفيته حيث قال :

عباس ط

من المجاز في القرآن الكريم :

« فن شهد منكم الشهر فليصمه » . والشهر لا يغيب عنه وعليه فالجواز في الآية معناه : فن
كان منكم شاهداً ببلده في الشهر فليصمه . أي فن كان شاهداً في شهر رمضان فليصمه .

مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

الجهاد في الدين الإسلامي

للأستاذ عباس محمود العقاد

الدعوة إلا مدافعين أو دافعين لمن يصدون
الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوى السلطان،
وكذلك كانت وقائعهم مع مشركى الجزيرة
العربية كما كانت وقائعهم مع الفرس
والروم ... وقبل غزو فارس بزمان طويل
كان كسرى يبعث بعوثه فى طلب صاحب
الدعوة الإسلامية حياً أو ميتاً، لأنه خاطبه
داعياً إلى الإسلام.

ولا يمتنع حسن النية فى الكتابة عن الإسلام
بين الغربيين، وبخاصة بين الذين يشرون
منهم على رؤسائهم الدينيين ويجتهدون
فى تصغيرهم إلى جانب غيرهم من أتباع
الديانات الأخرى، فمن هؤلاء من يجتهد
فى تكبير شأن الإسلام كما يجتهد فى تصغير
خصومه، ولكنهم يحتاجون - مع حسن
النية - إلى حسن الفهم والنفاذ إلى حقائق
التاريخ لتصحيح الأقاويل التى شاعت
على السماع عن فريضة الجهاد فى الإسلام،
فإن الذين لم يحسنوا فهم هذه الحقائق

بعد متابعة الكتب التى تؤلف عن الإسلام
فى الغرب خلصت لى وسيلة من وسائل
الاختبار السريع للنية الحسنة والفهم الحسن
عند مؤلفيها، وهى النظرة العاجلة إلى مجمل
آرائهم حول مسألة الجهاد فى الدين الإسلامى،
فإنها هى المسألة التى شاعت على السماع
بين غير المسلمين ففهموا منها أن شريعة
السيف وشريعة الإسلام شىء واحد، وقد
يكون لهم بعض العذر إذا نظرنا إلى أناس
من المسلمين كادوا يحسبون أن انتشار الإسلام
بالسيف حقيقة تاريخية مفروغ منها، وقد
أشرنا فى مقدمة كتابنا عن «عبرية محمد»،
إلى واحد من هؤلاء كان يتحدث عن بطولة
النبي عليه السلام فإذا هو لا يفهم منها إلا أنها
بطولة سيف وقتال، وأن النظرة العابرة
إلى البلاد الإسلامية لتكفى لتقرير وقائع
التاريخ فى هذه المسألة، وخلاصتها: أن أكثر
البلاد عدد مسلمين هى أقل البلاد غزوات
إسلامية، وأن المسلمين لم يجاروا قط فى صدر

محسبون - مخلصين - أن الإسلام يوجب القتال الدائم على المسلم كما يوجب الصلاة والصيام وسائر الشعائر المفروضة ، ويمدّون هذه الفريضة بدعة بين الفرائض الدينية أو بين الفرائض الإنسانية التي قررتها دساتير الأخلاق في أمور العقائد على الإجمال ، وحقيقة الأمر أن الأساس الأخلاقي الذي قامت عليه فريضة الجهاد - فضلاً عن الأساس الديني - يستقيم مع كل أساس سليم لكل اعتقاد قويم .

فإذا تقول شريعة الأخلاق في الواجب على الإنسان نحو وطنه أو نحو عرضه ؟ إن الإسلام لا يقول شيئاً غير الذي يقوله هداة الوطنية والشرف حين ينكرون على المرء أن ينكس عن الجهاد في سبيل وطنه وكرامته وعرضه ، ويعيبون عليه أن سالم من يقاتلونه في سبيل حريته وحرية بلاده وليس بالدين الصالح للإيمان به دين ينزل بحرية الضمير عن مرتبة الحرية في الوطن والمعاش من نوادر المؤلفين الغربيين الذين جمعوا بين حسن النية وحسن الفهم في مسألة الجهاد توماس كارليل الحكيم الإيقوسي الذي يسميه نقاد الغرب بنبي الكتاب ... فهو ينهى بزعم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والغشاة ، ولا يرتضى أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ ، فإنه

أضعف من أن يحسب من الأكاذيب التي تحتاج إلى تصحيح ، وهو أظهر بطلاناً من أن يبطل بالمراجعة والمناقشة ، لأن القائل به سواء ، ومن يقول أن رجلاً واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليعتق فيهم الخوف من سيفه - وحده - ويسوقهم كرها إلى اعتقاد ما ينكرون ، فيعتقدونه ويثبتون عليه ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين ! وأول كتاب حديث قرأنا فيه تفسيراً «سليماً» لأخلاق المسلمين التي يستوحونها من دينهم هو هذا الكتاب الذي اخترناه ليسكون موضوع مقال اليوم عما يقال في الإسلام ، وعنوانه «دولة الباكستان» لمؤلفه (البروفسور شبروك وليامز) صاحب الدراسات الواسعة في شئون الشرق الأوسط وشئون الهند والباكستان ، فقد سبقه كثيرون من كتاب اللغة الانجليزية وكتاب اللغات الأوروبية الأخرى إلى تحليل حركات المسلمين في الهند مع الدولة البريطانية ومع طوائف الوطنيين هناك من غير المسلمين ، فكانت خلاصة تحليلاتهم لتلك الحركات جميعاً أنها وليدة التعصب الديني أو وليدة الروح العدوانية التي انفردوا بها بين أبناء وطنهم ، ولكن مؤلف هذا الكتاب : (Rushbrook Williams) يعلل هذه الحركات للمرة الأولى بين أبناء لغته وعقيدته بأنها

محسبون - مخلصين - أن الإسلام يوجب القتال الدائم على المسلم كما يوجب الصلاة والصيام وسائر الشعائر المفروضة ، ويمدّون هذه الفريضة بدعة بين الفرائض الدينية أو بين الفرائض الإنسانية التي قررتها دساتير الأخلاق في أمور العقائد على الإجمال ، وحقيقة الأمر أن الأساس الأخلاقي الذي قامت عليه فريضة الجهاد - فضلاً عن الأساس الديني - يستقيم مع كل أساس سليم لكل اعتقاد قويم .

فإذا تقول شريعة الأخلاق في الواجب على الإنسان نحو وطنه أو نحو عرضه ؟ إن الإسلام لا يقول شيئاً غير الذي يقوله هداة الوطنية والشرف حين ينكرون على المرء أن ينكس عن الجهاد في سبيل وطنه وكرامته وعرضه ، ويعيبون عليه أن سالم من يقاتلونه في سبيل حريته وحرية بلاده وليس بالدين الصالح للإيمان به دين ينزل بحرية الضمير عن مرتبة الحرية في الوطن والمعاش من نوادر المؤلفين الغربيين الذين جمعوا بين حسن النية وحسن الفهم في مسألة الجهاد توماس كارليل الحكيم الإيقوسي الذي يسميه نقاد الغرب بنبي الكتاب ... فهو ينهى بزعم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والغشاة ، ولا يرتضى أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ ، فإنه

ياقرار قواعد الحكم كما تعين على التقدم الاقتصادي ... وإن يكن من الحق أن شعور الجماهير من هذه الوجهة غلبت عليه للبواغث الدينية من الناحية الاجتماعية أوفر من ناحيتها المذهبية ... » .

وأطال المؤلف الكلام على النظريات السياسية الإسلامية التي تقابل ما يسمى « بالأيديولوجي » ، في اصطلاح المذاهب الاجتماعية أو السياسية فقال ما خواه إن تلك النظريات لا تعارض نظاما من الأنظمة الدستورية في الأمم الديمقراطية على اختلاف هذه الأنظمة في أساليب الإدارة وتوزيع السلطة على طريقة الجمهوريات الرئاسية أو النيابية ، وأن الحاكم لا يملك أن يستأثر بالسلطة على أي وجه من الوجوه مستندا إلى نصوص القرآن .

وقد يعتبر كلام المؤلف عن علاقة الدين بالوطن أبلغ رد على الذين جعلوا الإسلام « مسئولا » ، هن اعتبار المشاركة في العقيدة سببا من أسباب إقامة الدول ، لأنه لم يفس في بحوثه المختلفة أن دعوى إسرائيل لم تقيم على أساس غير أساس المشاركة في العقيدة ، وهي - على هذا - موضع العطف والتأييد ممن يعلنون شريعة الديمقراطية ويحسبون رعاية المسلمين لاهتبارات الدين « تعصبا » ، مقصورا على المسلمين ؟

عباس محمود العقاد

وليدة البحث : « لا عن وطن يستطيع فيه المسلم أن ينطلق من قيود المستغلين وحسب بل هي وليدة السعى إلى إقامه بلا تسود فيها آداب الإسلام ، وتمنع فيها ظلم الأغنياء للفقراء . ويتبع فيها الولاة وصايا العدل الاجتماعي التي يتعلمونها من سماحه الشريعة » .

ويقول عن « تقاليد » الإسلام : « إن هذه التقاليد تشمل مبادئ المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله وتقرر أواصر الأخوة العالمية بين جميع المؤمنين بغير نظر إلى العنصر أو اللون ، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجرون عليه وإغاثة الموعوزين والمحرومين وبذل الحياة نفسها في سبيل الصراط المستقيم ... ومعاملتهم - من ثم - للبلاد الأخرى لا تجعلهم حريصين على الغلو في إثبات وجودهم والتصلب في إملاء تقاليدهم الحرفية أو الوقوف موقف الإحجام والاعتذار » .

ووصف ما يشعر به جمهور المسلمين من أبناء الهند أو يفهمونه بداهة من معنى الدولة فقال أن التفاصيل السياسية لم تشغل أذهانهم : « ولكنهم تطلعوا إلى سياسة تسود فيها آداب العقيدة الإسلامية وتقوم على العدل الاجتماعي والحكم السخ الرقيق وتستجيب لحاجات الشعب وضروراته ، وتحمي الفقير من قسوة المستغلين وتسكفل

مَحْذَرُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

مشاعر إقبال نحو العرب

في وحدتهم ، وحریتهم

المؤستازين : الصاوي على شعوره ، وعبر الباري أنجم

لقد أتاح الستار عن صورة آدم ، وكشف
النقاب عن فطرته الكامنة ، وأنشأ في كيانه
القلب النابض الخفاق . كل معبود ذاتف
تحطم وتواري أمام نور هدهد ، وكل غصن
يابس اكتسب حلا التوار من فيض نداء .
يا لثورة العروبة التي تدفق من حرارتها
جهاد بدر وحنين .

ومن ميدان بطولتها ظهر الصديق ،
والفاروق ، وعلي ، والحسين .

لقد ارتفع تكبير الصلاة والآذان ؛
ليكون تكبيراً يمتد إلى صفوف الميدان .
ووجدت العروبة مفاتيح كنوز الدارين ؛
حين قدمت إلى صلاح الدين سيف الواد ،
وإلى يزيد البسطامي تقوى العباد ، وحين
تبادل القلب والعقل نشوة المني ؛ من كأس
واحدة ؛ كان مزاجها علم الرازي وروحانية
جلال الدين الرومي ...

لأنها مزاياء الشرع المبين ، والعلم الحكيم ،

يا أمة العرب : التي أشرقت على الدنيا
بمحاضرها المنيفة ، وصحرائها الخالدة ؛
من الذين أيقظوا وعي البشرية ؛ بنداء :
لا كسرى ولا قيصر ، وردوا الخليقة إلى
سلطان عالقها الأكبر ، ومن الذين أبلغوا
رسالة القرآن ؛ لأول مرة في قريب المسكونة
وبعيدها . وفي المتقدم من الشعوب
والمختلف منها .

من الذين رفعوا مصباح التوحيد على
مشارف الحياة ؛ ودوت أصواتهم في
الكون بلا إله إلا الله .

يا أمة العرب : ألم تجدد الأجيال غذاء
الحكمة على خوافسكم ؛ ألم تنزل آيات
الوحدة والإخاء في شأنكم ؛ أليست هي
أنسام الحياة الحصبة من نبيكم ؛ قد أنبقت
شقائق العرفان على رمال صحرائكم ، إى والله
لقد ربيت الحرية وليدة في مهد رسالته ،
فما يومها الحاضر إلا ظل من أمسه ، وشعاع
من شمسه .

بسرابه الخادع ! وكيف نسيت أن هقارب
الفتنة مطوية في ثوبه اللامع ! ، إنك ما لم
تزد لإبله عن حوضك ، وشبهه عن أرضك
لن تجهد إلى الخلاص من مكروه سبيلا إن
دهاءه ألقى بالشعوب في طوفان الفتن ، وقسم
وحدة الوطن العربي إلى مائة وطن ! .

إذ كانت قوة الجماعة منبثقة من الدين
فالدين عزم وإخلاص ويقين ، تجاوز أيها
العربي مقام الحاضرة والبادية ، وارتفع
بطموحك إلى العلا ، واعقد مضارب خيامك
في المستوى الجدير بمقامك ، وجهه ناقتك
إلى معركة الفداء بعزيمة أقوى دفعا من رياح
الصحراء ، إن العصر الحاضر من مواليد
أيامك ، وإن نشوته من عصارة أحلامك
كنت فيما مضى شارح أسراره ، ولم يكن غيرك
مخططا لمجاره ، حتى إذا تبناه الغرب ! أسفر
عن وجهه معشوق خليع ، قد عرى من حلية
الكرامة ، وناموس الحياء ، وحين بدا في طلاء
الحسن للناظرين ، كان عري بيذا منحرفا وعلى
غير دين ! .

يارجل الصحراء : قوم المعوج بمالك
من عزم وإقدام ! وإلى هدفك الأسنى وجهه
مسير الأيام وفي هذه المعاني تقول شعرا :

* * *

شعب العروبة والجد المؤئل في

بدو وفي حضر حتى ضحى المحشر !!

ونظام العمران ، وحكمة الدين ! أنشأت
في لفائف الصدور قلوباً تتخطى حدود
الإمكان ؛ ولا تقف في مراحل المجد عند
مكان ! . ولم كان لتوجيهات العروبة وأصدائها
من آثار تطل على الدنيا بمفاتنها ! ، في تاج
محل ، وقصر الحراء ! من أجرى إلى
الاندلس ! .

إنها آثار تعجز عن محوها يد الفناء ،
وتفرض على من يراها ضريبة الشاء ! . في
مظاهرها جلوه السحر للعيون ، وعن إدراك
خفاياها يكبو العارفون ! .

الحمد إلى غير حد . وسلامنا الموصول
إلى النبي الأواب ! الذي حقق معجزة الإيمان
في قبضة من تراب ! . إنه الإيمان الذي
يمنح المؤمن مضاء السيف البتار ، ويخلق
من حدة لإبل الصحراء ، فرسان خيل
الافئدة ! .

واها لهذا الطموح القاهر ! كيف تحطم ،
وواحربا من هذا اليأس كيف تحكم ؟ ! .
تقدمت الشعوب بأعمالها في مراحل الزمن
كيف تناسيت كنوز صحرائكم ، وكنتم أمة
واحدة ، فكيف أصبحتم أمما وشعوبا .
إن كل من تحلل من قيد ذاتيته لم يطلب له
في العيش بقاء ، ومن أسلم زمامه للدخيل
قضى على نفسه بالفناء .

أيها العربي : كيف طواك سحر المستعمر ؟

- من الذى حرر الدنيا لخالقها
وأسمع الخلق لا كسرى ولا قيصر؟
من قبلكم أبلغ الآيات * ناطقة
بوحى من خلق الدنيا وسواها؟
من غيركم رفع المصباح مؤتلقاً
ووحدة الخلق لما وحد الله ؟
لم يطعم الناس إلا من موائدكم
علماً شهيماً وتهذيباً و عرفاناً !!
في شأنكم أنزل الله الكتاب فأصبح
تم بنعمته في الخير لإخواننا !!
من حول البيدر وضاً والحصاد رآ
وأنتب الورد في الصحراء للعرب ؟
استغفر الله ما غير النبي بها
أغنت شمالكه فيها عن السحب !!
فكل رب قديم في الوجود هوى
بعزمه ساجداً لله لكباراً
وكل غصن هشيم من نداء هذا
يحمد الحسن أوراقاً ونواراً
واهاً لها جذبات طالما حفزت
منا الخطأ وأثارت للعلاهما !!
قد أبدلتنا الليالي من بواعثها
باساً مريراً ومن أنوارها ظلاماً !!
كل الشعوب أهدت من مواردها
حصن الرغاء وسارت للنبي قدماً !!
وملء صحرائكم لو تعلمون غنى
وثرورة وكفوز تغدق النعما !!
كيف انقضى حفلكم وانقض سامركم
وكان بالأمس مثل العقد منتظماً ؟
توحدت من قديم الدهر أممكم
ما بالها انقسمت في أرضها أمماً ؟
قد خادعتكم من المستعمرين يد
وسم العقارب في أكامها استترا !!
كم أهدروا من شعوب آدميتها
كم أيقظوا قتنا كم أفسدوا فطراً ؟
توارث العرب الأحرار وحدثهم
مدى عصور وأجيال وأزمان !!
حق إذا جاء الاستعمار قسمها
إلى شعوب وأقسام وأوطان !!
اضرب خيامك في دنيا وجودك لا
تقف بها عند رسم الدار والدمى !!
وادفع بناقتك الميدان أسبق من
ريح الصحارى وأقذ وحدة الوطن !!
يا أيها العربي انظر لعصرك في
دنيا يفوز بها من أحكم النظرا !!
بالعزم . بالعدل . بتبى ما تؤمله
إن شئت للكون تعميراً فكُن عمراً !!
الصاوى على سمومه ، عبد البارى العجم

الكتاب

نقد وتعريف : لمؤلفه محمد عبد الله السمان

١ - عبد الملك بن مروان :

للدكتور ضياء الدين الرئيس

هذا الكتاب هو العدد العاشر من سلسلة
أعلام العرب ، التي تصدرها وزارة الثقافة
والإرشاد القوي ، وتقوم بنشرها مكتبة
مصر بالفعالة ، والمؤلف أستاذ التاريخ
الإسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .
الدكتور الرئيس في أكثر من ثلاثمائة صفحة
ترجم لعبد الملك بن مروان - موحد الدولة
العربية - في عشرة فصول : الخليفة والدولة ،
دولة آل مروان ، عبد الملك وأسرته
مرتين ، ثورة الشيعة بالعراق ، صراع بين
القوي ، نحو توحيد الدولة ، عام الجماعة
وإتمام الوحدة ، فتوحات وإصلاحات ،
ثم شخصية عبد الملك وسياسته وخلفاؤه .

يتحدث الدكتور في الفصل السادس عن
الصراع بين القوي في عهد الخليفة الأموي
عبد الملك بن مروان ، أما هذه القوي ،
فالحرب بين الشام بمثلة في الخلافة ، وبين

الحجاز بمثلة في قوة عبد الله بن الزبير المناهض
لخلافة بني أمية ، والحرب بين الشام أيضاً
وبين العراق بمثلة في الشيعة تارة ، وفي أشيعاء
عبد الله بن الزبير تارة ثانية ، وفي الخوارج
تارة ثالثة .

ويتحدث في الفصل السابع والثامن عن
توحيد الدولة العربية ، وكيف رسم الخليفة
خطة مزدوجة : سياسية وحرية ، حتى
استولى على العراق ثم على الحجاز ، واستطاع
أن يوحد الدولة العربية تحت راية
الإسلام ، وكان عام ٧٤ هـ هو عام الجماعة
وإتمام الوحدة العربية الإسلامية ، أما أهم
العوامل التي ساعدت على انتصار الخليفة ،
فهو شخصيته التي كانت متمعة بالصفات المتميزة
التي تؤهله للزعامة .

ويختتم الدكتور هذه الترجمة الطيبة في الفصل
العاشر بإلقاء أضواء على شخصية الخليفة ،
في إطار تحليل دقيق ، وبعين شخصية الفذة على
دعامتين : قوة الإرادة والشجاعة ، ويضيف
إليها صفة ثالثة هي الحزم ، ويعتبر أن صفة

ابن مروان ، فلم يكن هناك فضل لأحد سوى
الوضع التقليدي في إسناد الخلافة إلى ولي
المهد . ترافقها طلائع الشعراء وأصحاب
الحاجات ، والنفعيون ، وكبار رجال الدولة
الرسميون .

ويذكر الدكتور الرئيس قصة موقعة الحرة
ومؤداها أن بني مروان حين اضطروا إلى
هجرة المدينة — والحرب قائمة بين قوة
عبد الله بن الزبير وقوة الأمويين بالشام
(أخذت عليهم العهود والمواثيق : أن لا
يظاهروا عليهم عدواً ولا يدلوهُ على عورة
وكان أن لقيهم مسلم بن عقبة بجيش أموى
لمهاجمة المدينة ، وذلك بوادي القرى ، فدعا
بعمرو بن عثمان : فقال له خبرني ما وراءك
وأشر على ، فقال : لا أستطيع ! وقد أخذ
علينا اليهود والمواثيق ، أن لا ندل على
عورة ولا نظاهر عدواً) وجاء دور
(عبد الملك) فرسم له خطة الهجوم ، وكان
أن نجح الخطة ويرى الدكتور إن صحت
القصة — أنها تشهد له بما كان يتمتع به من
مواهب الذكاء وسداد الرأي والخبرة حتى
بالحرب ، وهذا المسلك لا يمكن لمؤرخ
دقيق أن يدافع عنه ، فضلاً عن أن يكون
في نظره مثار غر ومظهر تقدير لصاحبه
أما شعر الشعراء بعد ذلك فلا أظن أن له مكاناً
في الدراسات التاريخية إلا من قبيل الحفاظ

القوة بعد ذلك هي الطابع العام لشخصية
عبد الملك بن مروان ...

لا شك أن الدراسة التي قدمها الدكتور
الرئيس في ترجمته لعبد الملك بن مروان ،
دراسة تاريخية متمعة — اعتمد فيها على أقرب
المصادر التاريخية إلى الثقة — وإن كانت هناك
ملاحظات فإنما على تقديره وتنكييفه هو
للأمور والأحداث ، فهو يرى : أن الدولة
الأموية كثيراً ما صورت على غير حقيقتها ،
أو كتب تاريخها على غير ما يرضى الحقيقة
والعدل ، وطالما حمل عليها وأسوي تقدير
رجالها ، وذلك لأنها قامت نتيجة صراع ،
فكان لها منذ نشأتها أعداء كثيرون ، وبقي
العدا لها مستحكما إلى اليوم ، ويكنى أن
يقرر الدكتور أن الدولة الأموية قامت
نتيجة صراع ، وليس على أساس من رضا
المسلمين وإجماعهم ومشورتهم ، ولم يكن
لقيامها مظهر التقدير من جانب الأمة
الإسلامية ، وقد أقامها السيف والمال
والدهاء السياسي ، ثم إن مؤسسها (معاوية)
حين كان أول من ابتدع ولاية العهد
لابن الخليفة من بعده ، كان أيضاً أول من
خرج على إطار الإسلامى ، في إلزام المسلمين
حكماً عصياً قليلاً ، وإلى هذا وذاك يمكن
أن يرد العدا المستحكم لها إلى اليوم ،
أما الخلافة التي أنت متقادة إلى عبد الملك

تناولت الدراسة : صفاته وأخلاقه ومؤلفاته
وقيمه ومبادئه ، وعلمه ومعرفة وفي الفصل
الثالث ، تناولت دعوة وآراءه وموقفه
من الحضارة الأوروبية ، وتحريم المرأة ،
ودوره في التربية النظرية والتربية العملية .

أما الفصل الرابع فقد عرض لثورة
العربية ، ومكانه في مذكرات عرباني ، وكتاب
مسترد بلنت ، . « التاريخ السرى لاحتلال
الإنجليز مصر » .

أعجبني في هذه الدراسة إبرازها لتقييم عظيمة
في شخصية : علي مبارك لاسيما الشجاعة الأدبية
والمادية ، والشجاعة قيمة قد تتوافر في أي
شخص ، ولكن الملابس والظروف قد
تحول دون توافرها ، في كثير من الأحيان
فعل مبارك يسجل في عهدي لإسماعيل وتوفيق
في كتابة « نخبه الفكر » أن السائس الأعظم
لا بد أن يكون طالما شرعيا وكذلك نوابه
وعماله ، وأن بلاد المسلمين بلغت ذروة
بمجدها وغاية سعادتها وعزها عندما كان
السلطين والعلماء كلاهما من أهل المعرفة .
ثم رجعت بلاد المسلمين القهقري عندما تغلب
على الحكم فيها أهل الخشونة والجهل . فوقع
المسلمون تحت تصرف الالهواء وتنازع
الأغراض ، فوقفوا في السير ثم تقهقروا
حق تدهوروا . . .

وعلى مبارك يعين قاضيا ورئيسا لمحكمة

على التراث الشعري ، وليس مسندا صالحا
يعتمد عليه في إبراز قيم الأشخاص الذين دخلوا
التاريخ بحق وبغير حق .

هذه ملاحظات عابرة ، لا تقلل كثيرا من
أهمية الدراسة التي قدمها لنا الدكتور الرئيس
والتي قدم لنا فيها تحليلا للأحداث التاريخية
التي لم تزل موضع نقاش اليوم .

٢ — على مبارك :

للأستاذين : عبد الله المشد ومحمود الشرقاوي
هذا الكتاب الذي نشرته مكتبة الأنجلو
بالقاهرة ، فال جائزة بمجمع اللغة العربية
للدراسات الأدبية ، وقد تناول في دراسته
حياة ودعوة وآثار عالم مصري دخل التاريخ
من أوسع أبوابه ، حق أصبح جزءا من
تاريخنا في فترة من الفترات ، كان الحكم فيها
حكم سلطة وقوة لشعب مسلم مغلوب
على أمره .

والدراسة التاريخية التي قدمها لنا المؤلفان
الجليلان : الأستاذ الشرقاوي سكرتير تحرير
مجلة الأزهر السابق وفضيلة الشيخ المشد مدير
الوعظ العام بالأزهر ، في أربعة فصول
تناولت في الفصل الأول « على مبارك ،
منذ أن ولد في قرية « برمبال » إحدى قرى
محافظة الدقهلية عام ١٨٢٣ إلى أن لقي ربه
عام ١٨٩٣ م ، بعد أن ألفت أضواء سريعة
على نشأته وكفاحه ، وفي الفصل الثاني

حياة : حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها ، منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود ، ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود ، كما يحدد غاية وجوده الإنساني ، ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية التي تنبثق من ذلك التصور الاعتقادي وتستند إليه .

فالاستاذ سيد قطب يبني دراسته على أساس أن كل دين منهج حياة لأن هنالك ارتباطا وثيقا بين طبيعة النظام الاجتماعي وطبيعة التصور الاعتقادي ، بل إن هنالك ما هو أكبر من الارتباط الوثيق ، هنالك الانبثاق الحيوي ، انبثاق النظام الاجتماعي من التصور الاعتقادي ، وعلى أساس أن الفصام النكسد بين الدين والحياة في الغرب عاجلت به المسيحية ، ملابسات سيئة في بدء نشأتها وعند انتصارها السياسي . والاساس الثالث : أن الرجل الأبيض قد انتهى دوره كما يقول الفيلسوف الانجليزي براترند رسل والاساس الرابع : أن الحضارة المادية — حضارة الرجل الأبيض في طريقها إلى النهاية والاساس الخامس والآخر : أن هناك خلاصا له سمات وملاح لا تنطبق إلا على هذا الدين ، وبهذا يكون المستقبل له .

إن المؤلف الفنى على أى تعريف جال بنا جولة متمعة . استطاع من خلالها إقناعنا بأن

مصريين ووطنيين اتهموا بوضع قبلة تحت مجلس الحديوي لإسماعيل في الأوبرا ولكنه لم يذن أحدا لعدم كفاية الأدلة ، وهذه شجاعة كفالة بأن تضع على مبارك فوق القمة .

ولم يعجبني في الدراسة اتجاه المؤلفين إلى الدفاع عن على مبارك — فيما اتهم فيه ، إذ نيل من قدره ، وإن كانا قد عرضنا في كتابهما ماله وما عليه ، ولكن رأيهما كان دائما في جانب على مبارك دلاسيا في موقفه من الثورة العربية ، فأى خذلان لحركة عرابي — مهما كانت أخطاؤها أو أى إسلام لها قد لا يجد مبررا ، وإن أى تعاون مع الاحتلال بعد هزيمة عرابي أو مع يمثل الاحتلال «توفيق» لا يجد من الأعذار ما يمحو وصمة العار عنه . إن هذ الدراسة التاريخية لها تقديرها لدينا ، وحسبها أن عرضت تاريخا أميناً في نقله وعرضه ، واتجاه المؤلفين إلى رأى معين ، لم يחדش قيمة هذه الأمانة .

المستقبل لرمز المربع .

للاستاذ سيد قطب

كتاب جديد نشرته مكتبة وهبة بباعدين ، للأستاذ سيد قطب ، بعد أن صدر له كتابان قريبان من كتابه الجديد هما : خصائص التطور الإسلامى ، وهذا الدين .

يقرر الأستاذ سيد قطب أن الإسلام منهج

لمفهوم الأسرة بمعناها العام (جماعة المسلمين) وبمعناها الخاص (الزوجان والأبناء) ثم أخذ يعرض أبحاثاً مركزة في ترغيب الإسلام في تكوين الأسرة، وأهمية الزواج، والخطبة وعناصرها ومنها المهر ومراسم الزفاف، ثم سياسة المنزل وتربية الأولاد وتعدد الزوجات.

وتحت عنوان (الأسرة الإسلامية في حاضرها) تعرض لعامل انحلال الأسرة في الغرب. وتحدث عن صلة الرحم وفسرها بالإحسان إلى الأقربين والعطف عليهم، وعند حديثه للأسرة العامة - أى الجماعة الإسلامية - تحدث عن العلاقات الواجب إحيائها، ومنها ما هو إيجابي: كالتكافل الإجتماعي المالى، والتضامن الجساعى السياسى، والإيثار والمساواة والعدل والإنصاف والتضحية وإصلاح ذات البين، وصيانة الأعراض والنصيحة ومنها ما هو سلبى: كالحب وتجنب الأذى وإقالة العثرات والعفة عن الظلم..

الحق أن هذه الرسالة بحث إسلامى جدير بالتقدير، ونصوصه سليمه المصدر والرواية والسند، وإن كان هناك ما هو جدير بالملاحظة، فهو الترتيب والتخطيط الداخلى للبحث، حيث لم يعن بهما العناية الوافية، فالقارئ يفترض أن يقرأ عناصر هذه المبادئ

الإسلام وحده حرى بأن يكون مخلصاً لهذا العالم من جبروت المادة وطغيان الانحلال، ورواسب الاستبداد، واستطاع تقديم نماذج من الملابس التى عززت المسيحية عن الحياة ولكنه لم يحددنا عن ملابس عزل الإسلام نفسه اليوم عن الحياة، ولا عن العوامل التى أقامت فاصلاً من فولاذ بين الإسلام وبين طبيعته التى تؤكد أنه منهج متكامل لهذه الحياة، ومن أبرز هذه العوامل، تلك العقليات الراكدة التى أسهمت إسهاماً فعالاً فى إقامة هذا الفاصل.

والحق - مع احترامنا للأستاذ سيد قطب وقلبه وإيمانه - أن العاطفة الدينية قد احتلت فى كتابه الجديد المركز الأول، وإن كانت العاطفة متزجة بغيرة على الإسلام ومقوماته ومكانته اللائقة به، والذى تعاونت شتى الظروف اليوم على أن ترحضه عنه راغماً، فى غفلة من الشعوب المسلمة التى تلهو فى غفلتها، وفى غفلة من العلماء الذين تخلف عنهم شجاعة إخوانهم فى العصور السالفة، والتى لم تكن تخشى إلا الله.. والله وحده.

٤ - مبادئ الإسلام فى تنظيم الأسرة :

للاستاذ أبو الوفا المراغى .

هذا بحث صدر ضمن سلسلة كتب إسلامية التى يصدرها المجلس الإسلامى الأعلى بوزارة الأوقاف، وقد بدأ الأستاذ أبو الوفا المراغى مدير المكتبة الأزهرية هذا البحث بتفسير

عن الزكاة كركن ثالث من الأركان يتحدث ويلقى أضاء على ملاح الاشتراكية في الإسلام فالإسلام بمدلوله الواسع الشامل يشتمل على أجمل صور الاشتراكية ، أما الأساس الذي تقوم عليه اشتراكية الإسلام فهو يختلف اختلافا جذرياً عن الأساس الذي تقوم الاشتراكية عليه في غيره ، فهو في اشتراكية الإسلام تعبير عن شعور كل فرد بحق أخيه عليه ، وهو عبادة مالية لا يكمل إيمان المرء المؤمن بدونها ، ولا يسلم لإسلامه بغيرها .

وقد يرى بعض القراء أن لفظة الدين تشمل الدين في عموميته (الساوى بالطبع) لأن العنوان : الدين عند الله . . . لا يشير إلى غير ذلك ، حيث أن الدين الوضعي لا تربطه بالسماوية رابطة ، وعلى هذا الرأي كان يجب على المؤلف أن يتناول الأديان الكتابية جميعاً ، ولكن يظهر من الدراسة أن المقصود بها أن تكون تطبيقاً لقوله تعالى « إن الدين عند الله الإسلام » .

وأنا أرى أن الدراسة كان ينقصها جانب المقارنة ، وبعض الردود على شبهات أثارها الاستشراق على بعض نواحي الإسلام التي تعرض لها في كتابه الأستاذ فودة .

محمد عبد الله السامه

على سبيل المحصر لتستقر في ذهنه ، كما أن الأستاذ المؤلف الفاضل يشير إلى حكم الإسلام فيمن يعتب بمحكمة الطلاق وتعدد الزوجات وقد ذكر أن كليهما ضرورة يلجأ إليها المضطر ، وكان واسع الأفق فيما تناوله متصلاً بمثل هذه القضايا التي لم تزل المعركة حولها حامية الوطيس .

٥ - المربع عن الله :

لأستاذ عبد الرحيم فودة
هذا البحث صدر أيضاً ضمن سلسلة الكتب الإسلامية التي يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى ، والمؤلف هو وسكرتير تحرير مجلة الأزهر في غنى عن أن نعرف به قراء مجلة الأزهر .

أما البحث على إيجاز ، فقد قدم فيه دراسات طيبة عن الوحي في ضوء العلم وشهادة الواقع ، وعن الطابع الإلهي في القرآن ، وعن أساس الدين وهو العبادة ، وعن مكانه الصلاة والزكاة والصوم والحج من الدين ، وكذلك تناولت الدراسة مفهوم الدين وعموميته وصلته بالحياة ، وموقفه من العلم والمجتمع .

كما تناولت الدراسة علاقة الدين بالحضارة والتطور والنظام والسلام ، وهو في الحديث

انبثاء وآراء

السلام وبيع الفطرة :

ورد للسيد الأمين العام لجمع البحوث الإسلامية من الصومال نبأ أبان عن النهر الذي يحرره الإسلام بالرغم من الدعاية التي يثيرها التعصب التبشيري المستند إلى الحكومات الاستعمارية في إفريقيا والنبأ يقول :

في الوقت الذي تزدهم فيه حملات التبشير مع اختلاف مذاهبها في منطقة شرق أفريقيا نجد شبابا مسيحيا مانغاريا تذوق مشاهره حلاوة الإسلام فيفر من وسط الزحام التبشيري إلى مكتب بعثة الأزهر بالصومال ليشر لمسلمه ، ويؤكد أن الإسلام دين الفطرة ، وقد أعجبه في الإسلام احترامه وإكرامه للإنسان دون تفرقة بلون أو عقيدة . ولهذا فقد قرر عن اختيار أن يكون مسلما يشرف نفسه بهذا الدين السمع الحنيف .

ملاحظة : (قاب قوسين) :

أعذر إلى القراء إذا كان هذا العنوان يجرح أذواقهم ، أو يسيء إلى شعورهم أو يبدو ركيكا قافيا فإنني لم أجسد كلمة أدق من هذه الكلمة في الدلالة على الأسلوب الذي

يستخدمه بعض من يتحدثون إلى الجماهير ، ويتناولون في حديثهم تفسير بعض آيات القرآن الكريم .

استمعت إلى ندوة عقدت في (التليفزيون) بمناسبة الإسراء والمعراج ، وكان أحد المتكلمين فيها الشيخ محمد فتح الله بدران المدرس بكلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية .

وقد عرض في حديثه لتفسير الآيات الأولى من سورة النجم ، وراق له أن يتحدث أحيانا باللغة العامية ، وبما هلق في ذاكرتي من هذا الحديث قوله : أن محمدا مر في رحلته (بمحطات) . محطة بيت المقدس ، ومحطة قاب قوسين ، ومحطة سدره المنتهى ، وأنه قام في المحطة الأولى بعملية (تقشير) وفي المحطة الثانية وهي (محطة قاب قوسين) وقد أعاد الشيخ التعبير - تلقى التعليقات في الصلوات وغيرها . وبعد أن (عمل شغله) ونطقها الشيخ بضم اللام - في (محطة قاب قوسين) تأخر (جبريل) لأنه ليس إلا (تشريفاتي) أراد الله أن (يفسح) نفيه فصعد به إلى محطة سدره المنتهى .

بعض أساتذة الجامعة المصرية على طلابه في تفسير قوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) حيث قال : (ليس محمد إلا ساعى بريد) .

وإني لأجزم أن أى رجل من العامة يستحق أن ينطق بمثل هذه التعبيرات .

على أن الذى نرجوه من الإذاعة ومن غيرها أن ترقى لا أن تهبط بلغة الحديث ، وعبء ذلك يقع على المتحدثين أنفسهم أكثر مما يقع على المشرفين على شئون الإذاعة وليست اللغة العربية لغة جامدة أو ضيقة ، بل هى لغة مرنة واسعة ، يستطيع أى متحدث من هؤلاء الذين يقفون على مثل هذه المنابر أن يصطنعوها وأن يبلغوا ما يريدون من تفهيم المستمعين .

والدليل أمامنا وفي أيدينا ، فبعض المتحدثين لا يستعمل في حديثه كلمة عامية واحدة ، ومع ذلك هم من أحب المتكلمين إلى الجماهير .

هذا ما أرجوه فإذا ركب بعض الأساتيد رأسه ، وأبى إلا أن يتحدث لغة عامية ، فليراع أذواق الناس ، ولا سيما عند ما يتعرض لمقدماتنا الدينية واهل المستعان .

على العماري

هذا قليل من كثير مما سمعته في هذه الندوة ولقد عجبت أشد العجب كما تأملت أشد الألم لهذا الأسلوب الذى يذاع على الناس ، ويمس أكرام ما نعتز به في عقائدنا .

ولست أدري لماذا يلجأ هؤلاء السادة لمثل هذا الأسلوب ، ومن الممكن أن يتحدثوا بأسلوب عربى سهل لا يستعصى فهمه على أحد من أوساط الناس ، واهلنا لا نجعل أن التعليم ، والصحف ، والإذاعة وغيرها قد رفعت من مستوى الجماهير فأصبح أكثر من يستمعون إلى الإذاعة المسموعة أو المنظورة يفهمون ما يقال باللغة العربية السليمة :

ولقد كان من استمع إلى هذا الحديث — معى — وأنكره تلاميذ في المرحلة الإعدادية لم يرقهم أن يقول الشيخ عن جبريل إنه (تشرىفاتى) ولا عن محمد صلى الله عليه وسلم إنه (عمل شغله عند محطة قاب قوسين) ثم ذهب (يتفصح) عند محطة سدره المنتهى .

وقد فهم بعض المستمعين أن (قاب قوسين) اسم موضع في السماء ، لأن الشيخ كرر التعبير دون أن يشير إلى شرحه ، وأنا أعتقد أن الشيخ لم يرغب عنه معنى هذا التعبير ولكن صنيعه يشعر بما فهمه هؤلاء المستمعون .

ولقد ذكرنى هذا الحديث بما أم — لاه

موازنة للمقارنة :

منه أيضا (ما يساق من موازنات في داخل الأدب القومى الواحد ، سواء أكانت هناك صلات تاريخية بين النصوص المقارنة أم لا .^(١) أما الأدب المقارن بالمعنى السابق فثأله أن تقارن « مصرع كليوباترا ، لأحمد شوقي بمن كتبوا في هذا الموضوع من أدباء الغرب مثل « شكسبير » « دريدن » الأنجليزيين و « لا شابل » و « مارموتل » وغيرهما من الفرنسيين .

أو ندرس مثلا أحمد شوقي وتأثره بلافونتين في فن « الحكاية على لسان الحيوان » .

ومن هنا كان وضع المقال تحت العنوان المذكور فيه خلط ، لانعدام الصلة بين « البهترى » و « الفريد دى فينى » من الناحية التاريخية ومن ناحية هدف كل من القصصيتين . وكل ما بينهما من صلة هو التوافق في الاسم وفي الانتهاء بالقضاء على الذئب .

عبد الوارث عيسى

- دار العلوم -

نرحب بهذه الملاحظة ، مع ملاحظة أن الاصطلاح الذى ذكره الكاتب لم يصل إلى الحد الذى يقال فيه « لامشاحة في الاصلاح » وقد أراد الكاتب بالمقارنة الموازنة ؟
د المجلة ،

نشرت مجلة الأزهر في عدد شعبان مقالا للأستاذ العوضى الوكيل يوزان فيه بين قصيدة « البهترى » ، فى الذئب ، وبين قصيدة للشاعر الفرنسى « الفريد دى فينى » فى الذئب أيضا ؛ وقد وضع المقال تحت عنوان « أدب مقارن » ، وكان يفنى أن يكون العنوان هو « موازنة » ، إذا لمقال منها وليس من الأدب المقارن .

لأن للأدب المقارن مفهوما محددًا عند دارسيه - يخالف المفهوم الشائع لكلمة « مقارن » ، أو « مقارنة » - هذا المفهوم هو (البحث فى الصلات التاريخية بين الآداب المختلفة وما لهذه الصلات من تأثير أو تأثير)^(٢) .

وإذن فليس من الأدب المقارن - بهذا المفهوم (ما يعقد من موازنات بين كتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم فى الآخر نوعا من التأثير^(٣) كما فى قصيدتى الذئب فى مقال الأستاذ العوضى ومثلها قصيدتا « البحيرة » للبهترى وللمرتين الفرنسى .

ومن تعريف الأدب المقارن السابق يخرج

[١] الأدب للمقارن . تأليف د . محمد غنيمى

هلال ط ٣ - ٨ .

[٢] المرجع السابق ص ١١ .

[٣] المرجع السابق ص ١٣ .

مجمع اللغة العربية في المغرب

قالت البنية المغربية ما يأتي: يدرس المغرب امكانية تكوين مجمع مغربي للغة العربية ، وتدرس هذا الموضوع لجنة مكونة من ممثل وزارة الدولة للشئون الإسلامية ووزارة التربية الوطنية والمكتب الدائم لمؤتمر التعريب التابع لجامعة الدول العربية .

وتدخل هذه الفكرة في إطار الدعوة التي وجهها مؤتمر التعريب لسائر الدول العربية لتكوين مجامع علمية في كل بلد منها على أن توحد هذه المجامع في مجمع واحد أو تحت اتحاد واحد لتقوم بعمل مشترك لصالح اللغة العربية في كل أقطارها .

والفكرة مهمة جدا وخاصة في بلاد المغرب العربي التي استبدت اللغات الأجنبية فيها بميدان التعبير العلمي والحضاري ، فالمسميات الحديثة علمية وحضارية أغلبها أجنبي ، وما تزال تطنى الأعجمية على المصطلحات بتطور الحضارة والعلم حتى إنه يخشى أن يأتي يوم لا تجد فيه العربية مكانها في عقول المثقفين وأقلامهم . ولكن مجامع اللغة العربية يجب أن تكون علمية أكثر منها نظرية ، وإحياء القديم لا يجب أن يطنى على مسامرة الحديث ، وتجديد اللغة لا يجب أن يخفى وراء صقلها والمحافظة على قديمها .

لهذا نعتقد أن مهمة هذه المجامع يجب

أن تكون مهمة تجديد بتبضع المبتدعات الحضارية والعلمية الجديدة وصياغة مصطلحاتها في الفاظ وتعابير والعمل على إدخالها في كتب الدراسة العلمية واللغوية في جميع المدارس العربية لتتكون الاجيال الحديثة تكويننا عربيا ، ولتستعيد قدرتها على التفكير والتعبير باللغة العربية السليمة .

وإذا كانت هذه مهمة كل مجمع من مجامع البلاد العربية ، فيجب أن تكون مهمة اتحاد المجامع حتى يستطيع هذا الاتحاد أن ينسق بين جهود المجامع وأن يحصل من انتاجها انتاجا لجميع البلاد العربية لا لبلد واحد فقط .

ومن المهام التي يجب أن تضطلع بها المجامع المحلية دراسة اللغة العربية في كل قطر واستخراج المصطلحات والتعابير السليمة التي ينبغي أن تدخل اللغة الفصحى ، ففي كل بلد عربي ترسبت كلمات وتعابير لا توجد في غيره ، وتلك ثروة لغة العربية لا ينبغي أن تضيع .

فسي أن تجد هذه المجامع طريقها إلى النور في أقرب وقت ، فإن الأعباء التي ستقوم بها لا تنتظر .

ذكرى مصطفى صادق الرافعي

اجتمعت اللجنة الدائمة لتخليد ذكرى مصطفى صادق الرافعي بنادي طنطا الرياضي في تمام الساعة السادسة من مساء الأحد الموافق

مكافأة وتقدير الأحياء وتخليد ذكرى الراحلين والاعتراف بفضلهم ومع هذا الاتجاه الكريم للثورة الخالدة تجتمع اليوم اللجنة الدائمة لتخليد ذكرى الراحلين من خلق الثورة وتستضيء بمبادئ السيد الرئيس العظيم في تكريم الخالدين ، ولقد عرضت أيها الأخوة فكرة هذه اللجنة الموقرة على السيد المحافظ فوجدت سيادته متحمسا ومؤيدا لها كما أنه يرجو لنا النجاح والتوفيق والسداد وإنه من حظ هذه المدينة المباركة أن تكون منتدى حياة ومشوى وفاة هذا العلم العظيم والأديب الكبير، وإننى أرجو وأتمنى من كل قلبى أن تحقق هذه اللجنة التى لخصم النخبة السكرية الممتازة من مواطنى طنطا العريضة ما يترقبه منها أدب الراحلين وإنتاجه كما وأنه من حسن الحظ أن يكون من بيننا الأستاذ الكبير محمد عبد الرحمن المدير العام للتربية والتعليم الذى نرجو فى وجوده أن توفق اللجنة فى خطواتها وإننى على أتم استعداد لتنفيذ كل ما تقرره اللجنة من شروط وطلبات .

وطلب المجلس من الأستاذ محمد إبراهيم مصطفى تلاوة المقترحات ، وناقشت اللجنة هذه الاقتراحات واستقر رأى على ما يأتى :
أولا : الموافقة بالإجماع على إطلاق اسم مصطفى صادق الرافعى على شارع البورصة

١٣ شعبان ١٣٨٢ - ١٣ يناير ١٩٦٣ بحضور السادة اللواء سيد مكرم خليل رئيس مجلس مدينة طنطا والأستاذ محمد عبد الرحمن المدير العام لمديرية التربية والتعليم بالغربية والآمنة لإقبال حسن حميدة دار المعلميات وعضو مجلس المحافظة والأستاذ محمد شفيق الملوانى سكرتير عام مجلس المدينة والأستاذ عبد اللطيف الشنوانى المحامى وعضو مجلس المدينة والدكتور محمد الرافعى المدير العام المساعد بالمنطقة الطبية بالغربية والدكتور فوزى عبده حكيم باشى مستشفى الجذام بطنطا وعضو مجلس المدينة والسيدة زينب الرافعى مديرة التأمينات الاجتماعية بالشئون الاجتماعية بالغربية والأستاذ محمود سعيد الإخصائى الاجتماعى ومندوب الثقافة الحرة بطنطا والأستاذ محمد إبراهيم مصطفى رئيس الشئون العامة وممثل الشبان المسلمين بالغربية والأستاذ سيد وهبى ممثل الصحافة بالغربية .

وقد أفتتح السيد اللواء سيد مكرم خليل الجلسة قائلا :

إننا فى عهد الحرية والإنصاف وإن الثورة لم تنصف الأحياء فحسب بل امتدت رعايتها إلى إنصاف العاملين والمخلصين من أبناء الجمهورية ممن صادقهم ظروف صعبة ولم يخلدوا فى العهود البائدة عهود الملكية والأسمالية والطغيان فعمدت الثورة إلى

بطنطا على أن يسمى شارع الرافعي حاليا (الشقي بك سابقا) باسم الفيلسوف الكبير يوسف كرم .
وبين أصدقائه من الشخصيات البارزة أمثال سعد زغلول والأديبة مي وما لدى الأسرة حاليا من مخلفات .

ثانيا : الموافقة بالإجماع على إقامة تمثال نصفي يوضع في مدخل دار كتب المدينة على أن تطرح مسابقة إقامة التمثال على المثاليين بالمواصفات التي تقررها اللجنة الفنية التي سيشكلها مجلس المدينة لهذا الغرض على أن يفضل أبناء الغربية في حالة تماثل الكفاءة .

ثالثا : الموافقة بالإجماع على إقامة مسابقة سنوية تكافأ بها أحسن البحوث في مؤلفات الرافعي على أن تنظمها مديرية التربية والتعليم وتخصص لها من ميزانيتها الحالية الجوائز المناسبة كما تحدد شروطها ومواعيدها .

رابعا : الموافقة على إطلاق اسم مصطفى صادق الرافعي على مدرسة القاصد الثانوية بطنطا .

خامسا : الموافقة بالإجماع على تخصيص ركن بإحدى قاعات دار الكتب بالمدينة تجمع به مخطوطاته والخطابات المتبادلة بينه

حول فهرس العدد

طالما طاعتنا مجلة الأزهر الشريف بمقالات وبحوث قيمة هي خلاصة آراء وأفكار انتفع بها كثير من القراء ، وقد دأبت المجلة على نشر فهرس مع كل عدد ولكن منذ فترة لا أجد بها فهرسا للموضوعات وهو مهم بالنسبة للقارئ . وإذا كانت المجلة مزدحة ففي غلافها ما يكفي لوضع الفهرس كما كان يحصل في الأيام السابقة بالفسبة لهذه المجلة . وأرجو أن تطالعنا في عددها القادم وقد حوت فهرس العدد ولسيادتكم الشكر ؟

محمد عبد الرحمن الكردى

المدرس بالأزهر

(المجهز) اكتفينا بالفهرس السنوى العام لأن فهرس العدد يغنى عنه أن يتصفح القارئ بسرعة ، ولعلنا نوفق فيما بعد إلى إجابة طلب الأستاذ .

باب الفتاوى :

مِنْ ضَائِرِ لَجْنَةِ الْفَتَوَى

ابراهيم محمد الاصيل

بِسْرَفِ عَلَيْهِ :

السؤال :

موعد الصيام وتوحيده

- ١ - بماذا يتحدد بدء موعد صوم رمضان على أهل الفلبين حتى يجب عليهم الصوم ؟
- ٢ - وإذا تحدد بدء موعد صوم رمضان في بلد إسلامي كالجهورية العربية المتحدة فوجب عليهم الصوم . فهل يتحدد بذلك بدء موعد الصوم في جميع البلاد الإسلامية فيجب عليهم ؟ .

السكرتير العام المساعد للجنة العليا للعلاقات
الثقافية الخارجية بوزارة التربية والتعليم .

الجواب :

يتحدد بدء موعد صوم رمضان لأهل الفلبين كغيرهم من البلاد الإسلامية فيجب عليهم الصوم ، بكال شعبان ثلاثين يوما أو برؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان في حق من رآه عند جميع العلماء .

ويتحدد بدء موعد الصوم في حق من لم يره

فيجب عليه الصوم بثبوت رؤية الهلال عند القاضي وحكمه بذلك فيقول ثبت عندى رؤية الهلال أو حكمت بذلك ، وثبتت الرؤية بشهادة عدلين يقول كل منهما عند القاضي : « أشهد أنى رأيت الهلال ، فيحكم القاضي بثبوت الرؤية على ذلك ، كما ثبتت بالاستفاضة عند جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب عادة عند مالك وأبي حنيفة . وبشهادة العدل عند أحمد ، وعند أبي حنيفة إذا كان في السماء حلة من غيم أو ضباب أو غيرهما وعند مالك في حق أهل بلد لا يمتنون بأمر الهلال ، وهو الصحيح من مذهب الشافعية لقوله صلى الله عليه وسلم : (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين يوما) ولما ثبت من أنه صلى الله عليه وسلم قبل شهادة الأعرابي وحده وشهادة ابن عمر وحده فصام وأمر الناس بالصيام للاحتياط في أمر العبادة .

وعن السؤال الثانى : نفيد بأنه إذا ثبت تحديد

بدء موعد الصوم في بلد إسلامي كالجهورية

ثبوت الرؤية عن طريق المذياع

السؤال :

هل يجوز أن نأخذ بخبر رؤية هلال رمضان عن طريق المذياع فيثبت الشهر عندنا في رؤية الهلال في مصر أو في مكة إذا بلغنا الخبر عن طريق المذياع ؟
مبعوثو الفلبين

الجواب :

لكم أن تعتمدوا في ثبوت رؤية الهلال على إخبار المذياع لكم بأن هلال رمضان أو شوال قد ثبت في مصر أو غيرها من البلاد الإسلامية في وقت كذا ويثبت الشهر عندكم بذلك لأن المذياع طريق ما مون الخطأ متى كان صادراً من بلد إسلامي يعتمد على إذاعته .

ثبوت الرؤية نهاراً

السؤال :

إذا وصل خبر ثبوت الرؤية عن طريق المذياع نهاراً فماذا يفعل أهل بلاد الفلبين ؟
مبعوثو الفلبين

الجواب :

يجب عليهم الإمساك بثبوت اليوم الذي عدلوا فيه ولو سبق تناول مفطر حفظاً على حرمة اليوم ثم يطالبون بقضاء ذلك اليوم بعد انتهاء شهر رمضان .

العربية المتحدة فوجب عليهم الصوم ، لزم حكمه جميع البلاد الإسلامية في الأرض جميعها عند مالك وأحمد وأبي حنيفة والشافعي وبعض أصحابه ؛ لأن الحكم منوط بالرؤية وقد ثبتت بشهادة الثقات عند القاضي وحكم بها وبشهود الشهر وقد حصل بذلك ، والكثير من أصحاب الشافعي على أنه إنما يجب على من قرب من بلد الرؤية دون من بعد ويحصل القرب باتحاد المطلاع في الأصح وعلى ذلك بعض أصحاب مالك وأبي حنيفة قياساً على طلوع الفجر وشرق الشمس وغروبها ، ولا شك أن ذلك يختلف باختلاف البلاد وتباعد الأقاليم فليكن الهلال مثله ومن المقرر أنه إذا رؤى في بلد شرقي لزم أن يرى في البلد الغربي ولا يلزم من رؤيته في الغربي أن يرى في الشرقي لتقدم الشروق والغروب في الشرقي عن الغربي .

ونرى ترجيح ما عليه الأئمة مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد من توحيد بدء موعد الصوم في جميع الأقطار والبلاد الإسلامية بثبوتها في إحداها وإن اختلفت مطالعها . فإن المطلاع مهما اختلف فإنما ذلك بساعات لا تبلغ نهار الصوم بخلاف الفجر والشروق والغروب فإن الاختلاف قد يكون بما يستغرق وقت الصلاة فاختلف الحكم .

قضاء رمضان :الجواب :

الحقن التي تؤخذ في العضل أو في الوريد لا تفطر لأنها من منفذ غير منفتح انفتاحاً ظاهراً محسوساً وعن الثاني نفيد بما أفدنا به عن الأول وعليه فالحقن التي تشتمل على دفيتامينات ، إذا أخذتها المرأة الحامل أو غيرها في العضل أو الوريد في نهار رمضان لا تفطر .

السؤال :

شخص فرط في صيام رمضان مدة من السنوات لا يعرف عددها وهو الآن يندم على ما فاتته ويريد قضاء الصيام السابق ولكن كبر السن قد يحول دون قضاء هذا الصوم فإذا يفعل ؟ عمر عبد القادر الأمين

الجواب :

يجب عليه قضاء ما فرط فيه من الصوم ويعمل بما غلب على ظنه من عدد الأشهر التي فرط فيها ، فإذا عجز عن القضاء لكبر سنه أو لمرضه مثلاً كان عليه الفداء عن كل يوم مد من الطعام ، فالشهر الواحد يخرج عنه كيلتين أو ثمنهما .

الحقن وحكمها في رمضان :السؤال :

١ - أرجو بيان الحقن التي تفطر والحقن التي لا تفطر ؟

٢ - توجد حقن تشتمل على دفيتامينات ، تؤخذ في العضل ، فهل مثل هذه الحقن تفطر إذا أخذتها المرأة الحامل أو غيرها في نهار رمضان ؟

الجواب :

الفدية التي دفعت وفعت الموقوع فلا تطالب بالقضاء بعد شفائها وهذا على الراجح من مذهب الشافعية رضي الله عنهم .

هلى تغنى الصدقة في المرض عن قضاء الصيام :السؤال :

١ - سيدة مصابة بمرض السل وطال علاجها مدة ثلاث سنوات وقد أشار الطبيب عليها بالإفطار في شهر رمضان خلال هذه المدة وكانت تتصدق على الفقراء المستحقين ثم شفيت الزوجة وتابعت الصيام بعد شفائها ولكن في قلبها ريب وتوى أن تقضى الثلاثة أشهر المتروكة فهل تقضى المدة المتروكة جميعها في آن واحد أم تكفى بالنفقة التي دفعت في حينها أم تقضى الصيام بصورة تدريجية ؟ صلاح الصوينع (عرعر - المملكة العربية السعودية)

الوحدة فى الأمور الشرعية

السؤال :

فى بلادنا (جمهورية جنوب إفريقيا) مشكلة كبيرة يمر بها المسلمون البالغ عددهم حوالى المائة ألف مسلم وتتلخص هذه المشكلة فى أن مطلع القمر فى بلادنا يختلف من مكان لآخر ويوجد لدينا ما يسمى بالمجلس الشرعى فظراً لعدم وجود حكومة إسلامية فالمسلمون فى بلادنا منقسمون إلى فرقتين : الأولى يؤيد المجلس الشرعى ، والفرقة الأخرى يعارضه فى قراراته . وسبب هذه المعارضة هو عدم وجود السلطة بالنسبة للمجلس إذ أنه ليس منصبا من حاكم إسلامى أو حكومة إسلامية .

١ - فهل لهذا المجلس السلطة الشرعية ؟

٢ - هل لهذا المجلس ولاية على عامة المسلمين فى أرجاء بلادنا ؟

٣ - هل يجب علينا اتباع آراء وقرارات هذا المجلس ؟

قاسم بن الإمام أمين

من مسلمى جنوب إفريقيا

الجواب :

فى تلك البلاد التى ليست فيها حكومة إسلامية يجب على جماعة المسلمين فيها أن يختاروا من أهل العلم فيهم من يتولى تصريف

شئونهم الإسلامية ويقوم بوظيفة الحاكم الشرعى وإذا تم هذا كان على جماعتهم اتباع هذه الهيئة المختارة فيما تقرره مما ليس فيه معصية لله تعالى جمعا للصوف وتوحيدا للسلطة .

وعليه فالذى حصل فى تلك البلاد من تأليف مجلس من جماعة العلماء وقع فى محله وللمجلس الذى كونه سلطة الحاكم الشرعى فيجب اتباعه فيما يراه . مما يحقق مصلحة المسلمين ، ولا تجوز مخالفته منعاً للمنازعات وتفرق الكلمة والله تعالى يقول : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .

الصيام فى بلاد النهار فيها والليل عدة شهور

السؤال :

يعيش بعض الناس فى بلاد النهار فيها عدة شهور وكذلك الليل فكيف يؤدون الصلاة والصيام فى أوقاتها ؟

الحاج على قليج آلب
(رواق الأناك)

الجواب :

هؤلاء يقدر لهم شروق وغروب ومقادير للأوقات بحسب أقرب بلد إليهم فيها شروق وغروب معتادان .

صلاة التراويحالسؤال :

أرجو بيان كيفية صلاة التراويح وكما عددها ؟

أحمد أحمد كبصو

تل رفعت - إعزاز - سورية

الجواب

الثابت أنه صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه رضى الله عنهم ثمان ركعات في جماعة ثم أتمها في البيت عشرين ركعة وكان يسمع له أزيز كأزيز النحل فجمع عمر الناس على عشرين وهذا هو المذكور في كتب الفقه في باب صلاة التراويح .

زكاة الفطرالسؤال :

أرجو بيان نصاب زكاة الفطر ؟

إبراهيم وكال يوسف

الجواب :

نصاب زكاة الفطر على مذهب الإمام مالك رضى الله عنه هو ثمانية أقداح بالكيل المصرى تجزى عن ستة أشخاص وهى من غالب قوت بلد المزكى .

ويخرج الشخص عن نفسه وعن تلزمه نفقته بقراءة أو زوجية أو نسب والأفضل لإخراجها قبل صلاة العيد وبعد صلاة الفجر . وعلى مذهب المالكية أيضا يصح تعجيل الزكاة قبل العيد بيومين ، ويجوز على بعض المذاهب إخراجها من أول شهر رمضان . ويجوز أيضا في بعض المذاهب إخراج قيمتها .

تعليق على

زكاة الزرعالسؤال :

في الفتاوى المنشورة بعدد رجب اختارت لجنة الفتوى في زكاة الزرع رأى أبى حنيفة استنادا على أنه الأرفق بالعباد ، على أن هذا الرفق ذو شقين وفى الغالب يتأتى بمراعاة جانب الفقراء فى هذه المسألة كما شاهدته أنا .

عبد الله الشريف

طالب بكلية الشريعة

الجواب :

ربما كانت الظروف التى صدرت فيها الفتوى تقضى الأخذ برأى أبى حنيفة تيسيراً هل الزارع . فإذا كانت الحال تقضى الرفق بالفقراء فالجنة ترى الأخذ برأى غير أبى حنيفة من إيجاب الزكاة على الزارع متى اجتمعت شروطها .

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوده

الاسم والقومية العربية :

.. وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى رأيين في علاقة الإسلام بالقومية العربية لأستاذين أزهريين : أحدهما الأستاذ عبد الرحيم فوده . وثانيهما الأستاذ محمد الغزالي ، فقد جعل الأول عناصر القومية أو مقوماتها خمسة هي : البيئة . واللغة . والتاريخ . والمصالح المشتركة . والدين ، واعتبر هذا العنصر الأخير مندبجا ومشتبكا في كل العناصر الأربعة المتقدمة . إذ يقول : « إذا كانت البيئة واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة - كما قدمنا - من أهم المقومات التي تقوم عليها كل قومية ، فإن الدين يندمج فيها ، ويمتزج بها ، ويدخل في كل عنصر من عناصرها . ويشترك معها بوشائج وأسباب لا يمكن تجاهلها أو التغافل عنها ، (١) ونحن إذا نظرنا ملياً فيما يهدف إليه لا يخرج قوله عن لزوم الدين وضرورته لحياة المجتمع حياة فاضلة ، وهو لا يمنع تعدد الأديان في المجتمع الواحد

والقومية الواحدة ، فهو يقول في معرض الرد على من لا يريد اعتبار وحدة الدين أساساً للقومية العربية نظراً لوجود عدة ديانات - أخرى غير الإسلام - في الوطن العربي ما يلي : قد يقول د قائل : وكيف تؤثر ديننا على دين في مجتمع يقوم على عدة أديان وتنقسم أهله عدة عقائد . وفي ذلك ما فيه من إغضاب فريق وإرضاء أو مجاملة فريق على حساب فريق ؟ والجواب على ذلك أن الحربة تنسع لعدة عقائد تقوم عليها عدة طوائف ، بحيث تعمل كل منها في ظل عقيدتها الخاصة بها منفردة عن الأخرى .. ثم تلتقي جميع الطوائف لتتضامن وتعاون على تحقيق الهدف المشترك والمصلحة العامة وبذلك نضمن مجموعات قوية في بناء الأمة بهد بعضنا أزر بعض . وقصارى القول أن تعدد الأديان وتعاونها يمكن في الجماعة الواحدة ومعنى ذلك بعبارة صريحة أن الدين الواحد . ليس ركناً من أركان القومية الواحدة ، وكل الذي كان يهدف إليه المؤاف هو تأكيد أهمية الدين وحاجة الجماعة إليه ليقبها من الأعاصير ، ولذلك نراه يقول : « ومن هذا الجانب

(١) انظر ص ٤٧ من كتاب الإسلام والقومية العربية الطبعة الأولى ١٩٦١ .

تظهر الحاجة إلى الدين ، وبظاهر الدين ضرورة لا يحيد عنها رد مختلف الأعاير والتيارات التي تهدد كيافتنا الاجتماعية ، وقد عرفنا الدين الذي يعترف بكل دين سماوي ، وتلاقى فيه فضائل الأديان السماوية ، وتؤمن به الأكثرية العربية . ويتفق الأخذ به مع منطق الديمقراطية (١) .

من كتاب القومية العربية

للأستاذ عبد الرحمن البزار

عميد كلية الحقوق ببغداد سابقاً

التعليق

إن مكانة الأستاذ الفاضل السيد عبد الرحمن البزار بين قومه في العراق وبين كبار الأحرار المجاهدين في سبيل القومية العربية تطل على قلبي وهو يتحرك ليرد عليه ويلفت النظر إلى ما عقب به في كتابه على كلامي من استنتاج خاطيء ، فإن قوله : ومعنى ذلك بعبارة صريحة أن الدين الواحد ليس ركناً من أركان القومية الواحدة ليس هو النتيجة المعقولة لامتزاج الإسلام بكل العناصر التي تتكون منها القومية العربية من لغة وبيئة وتاريخ ومصالح مشتركة ، وليس هو كذلك النتيجة المعقولة لقولي : وقد عرفنا الدين الذي

يعترف بكل دين سماوي وتلاقى فيه فضائل كل الأديان السماوية ، وتؤمن به الأكثرية العربية ويتفق الأخذ به مع منطق الديمقراطية وقد فصلت في كتاب الإسلام والقومية العربية كل ما يتصل بهذه المعاني ، ولم أقصد به مجرد الحديث عن ضرورة الدين ، وإنما قصدت به الرد على فريقين كفت ولازلت أراهما منحرفين فريق الذين يرون في الإسلام ديناً عربياً لا يتجاوز العرب إلى غيرهم ، وفريق الذين يرون تنحية الإسلام عن مفهوم القومية العربية ، فكلاهما منحرف عن الجادة بعيد عن الحق لأن الإسلام من حيث موضوعه وتشريعه عام لكل الخلق والأنام ، وهو من حيث اللغة التي نزل بها القرآن ونطق بها النبي عليه الصلاة والسلام عربي لم تنكسب قومية ما كسبته القومية العربية به ، بل لم يقم للقومية العربية كيان فرض وجود على الوجود إلا على هداه ونوره .

وحسبي وحسب القراء هذا التعليق القصير على كلام رجل يتمتع بكثير من التقدير .

بعض الظن لائم

لقد ظن أهل الغرب أوبعض أهله وبعض ظنون الناس والناس مأثم بأن بقاء المسلمين جميعهم على الجهل أعصاراً من الدين ينجم

(١) انظر ص ٥١ من الكتاب المشار

إليه .

إن أهال أجدادنا في فلسطين وإرثها
وحمايتها هي وصية صريحة لنا بالمحافظة عليها،
وحجة ناطقة علينا، إن نحن قصرنا فيها أو
فرطنا في جنبها، فيا لآثار بنوى حماه الأسلاف
الصالحون، وأضاعه الأخلاف المفرطون.

ما أضع فلسطين إلا العرب، وقد جاءتهم
الأنذر فتأروا بها، ثم حق الأمرهم فارون
فادهشوا، ثم وقعت الواقعة قابلسوا،
وعمد خطباؤهم إلى الخطب ينمقونها.
وشعراؤهم إلى القصائد يزرقونها، وساستهم
إلى الدعاري يلفقونها، وعامتهم إلى الخرافات
يصدقونها بينما عمد ملوكهم إلى الأمداد
يموقونها، وإلى الأهواء ينمقونها، وعمد
خصومهم اليهود إلى الغايات يحققونها، وإلى
التهديد يمزقونها. وقضى الأمر، وأوسخام
سبا وراحوا بالآبل. وبعد أن كنا نقول
نحن أهل فلسطين، أصبحنا نقول ما قالته
الجرمية في مكة.. بلى نحن كنا أهلها.

ولا أدري كيف تنتصر أمة تقطعت بسوء
صنيعها أما، ثم ندات في الذل حتى صارت
تطلب الرحمة من معذبا، وتهطى الدية لغائلها
ثم ارتكست في السقوط حتى أصبح نصف
ملوكها صبيانا، وأكثر أدلائها عميانا

محمد البشير الإبراهيمي

من مجلة الرسالة عام ١٩٦٣

لقد جهلوا الإسلام كل جملة
فأزوه ذما شأن من ليس يفهم
جميل صدق الزهاوي
من كتاب الزهاوي وديوانه المفقود
للاستاذ هلال ناجي،

قاضية

بلغت أيام انحلال الأندلس أنه كان في بلد
فيها يسمى «لوشة» قاض كانت تفتي امرأته
وتشير بالأحكام فينفذها فقال الشاعر الساخر
بلوشة قاض له زوجة
وأحكامها في الوري ماضيه
فياليتها لم يكن قاضيا
وباليتها كانت القاضية
الأستاذ محمد أبو العيون
من مجلة لواء الإسلام

إرث النبوة الخاتمة

إن فلسطين إرث النبوة الخاتمة من النبوات
المنقادمة، نفذ فيه عمر وصية الإسلام،
وحرره أبو عبيدة وأصحابه في الأولين من
رق الرومان ورجس الأوثان، وأدت وقائع
اليرموك وأجنادين شهادتها على استحقاقنا
لهذا الإرث، ثم طهره صلاح الدين وجيشه
في الآخرين من إدراك الصليبيين. وكانت
وقائع حطين وعكا وغيرها تزيك أئمة الشهادة
باستحقاقنا لهذا الإرث واقتدارنا على حمايته.

وفي أنفسكم . . أفلا تبصرون !

ويوجد بالجسم ألف مليون خلية عصبية لكل منها عمل خاص ، ومن الغريب أن هذا العدد يعادل أو يقارب سكان الكرة الأرضية اليوم ، وهذه الخلايا يشرف عليها وينظمها المكتب الرئيسى فى دقة بالغة وفى تنسيق عجيب ، ومن الغريب أن هذه الخلايا لا تتشابه وإنما تختلف حجما وشكلا ومظهرا ، بعضها يشبه العنكبوت وبعضها يشبه الشجرة ، وبعضها عصوى الشكل ، وبعضها مثل كتلة من الأهشاب البحرية ، وبعضها تستطيع العين رؤيته ، وبعضها لا تستطيع أن تميزه وقد تمتد فروع بعضها امتدادا ضئيلا ، وقد تمتد فروع البعض الآخر ابتداء من أعلى المخ إلى نهاية الحبل الشوكى ، وهى مسافة لا تقل عن ثلاثة أقدام ، وهذا يذكرنا بسكان كوكبنا الأرضى فتبارك الله العظيم الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

دواؤك فيك وما تبصر
وداؤك منك وما تشعر
وتحسب أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

المركنور سيد محمد أبو المجد
من محاضرة فى موضوع الملكات
النفسية فى القرآن الكريم

إن أمامنا كتاب الله الكريم ، وهو معجزته الخالدة ، وآيته الكبرى ، فيه ضياء للقلوب وهدى للعقول ، وشفاء للنفوس ، وبشرى للمحسنين ، وفيه إشارات كلية بمجمله آيات الله الكونية . المادية منها والمعنوية ، أما التفصيلات الجزئية فقد أودعها الله فى كتاب الكائنات ، أو كتاب الحياة ، فالقرآن الكريم يرشدنا إلى أن ندرس آيات الله الكونية فى مذكورات السموات : د أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . كما يرشدنا إلى أن نجوس فجاج الأرض باحثين متقبين : د أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . وهو مع هذا وذاك يدعونا إلى أن نتدبر العوالم الخفية فى النفوس البشرية فيقول : د وفى أنفسكم أفلا تبصرون .

وإذا تدبرنا النفس البشرية ، ونفذنا إلى داخلها وأمعنا فى مجاهلها صادفنا الجهاز العصبى ، وهو همزة الوصل بين العوالم المادية والعوامل المعنوية فى آفاق النفس البشرية ، وهو أشبه بجهاز حكومى مركزى تركيزا شديدا فى مكتب رئيس يتصل مباشرة بعدد ضخم من المكاتب الفرعية التى يعمل فى خدمتها ملايين الوطنيين . هؤلاء الموظفون هم الخلايا العصبية التى نسماها (النيورونات) .



يَشْرِكُ فِي الْعِيدِ
عَبَّاسٌ مَجْدُودٌ لِقَادِ
بَدَلِ الْأَشْتَاكِ
٤٠ فِي الْجُمْهُورِ الْعَرَبِيِّ الْمُتَّحِدَةِ
٥٠ غَارِجِ الْمَرْبُورَةِ
وَالْمُدْرَسِينَ وَالطُّلَابَ تَحْفِيفُ عَلَى

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ

مجلة شهرية جامعية

تَبَصُّدٌ عَنْ شَيْخِنَا الْأَنْزَهَرِيِّ لَوْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمْرِي

مَدْرَسَةُ الْجَلَّةِ وَرَبِّهِ الْخَيْرِ
أَحْمَدُ حَسَنُ الزَّيَّاتِ
الْمَنْوَانِ
إِدَارَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ
بِالْقَاهِرَةِ
ت ١ ٤٦٩١٤

الجزء الثامن — السنة الرابعة والثلاثون — شوال سنة ١٣٨٢ هـ — مارس ١٩٦٣ م



١٤
٢٤٤٤٦
دوريات

لِسَاءِ الْمَالِكِ الْمَالِكِ

من ذكريات العيد في القرية

بقلم : أحمد حسن الزيات

سأترك العيد الذي بزغ سنه لليوم في هلال
شوال إلى الناهمين الغارين من براعم الصبا
وأزهار الشباب ، فإن العيد صحة وزينة
وبهجة ومتعة ، والشمس لم يعد لهم من كل
أولئك شيء . لم يعد لهم إلا الذكريات
الحلوة تعاودهم من عيد إلى عيد . وقد
حاودتني في صباح يوم الفطر وأنا أنظر
بعيني السكينة من شرفة البيت إلى زمر
الأطفال يمرحون في أثوابهم الجديدة ،
ويهلون بلعبهم المختلفة ، ذكريان : ذكرى
من ذكريات القلب في الطفولة ، وصورة
من صور العيد في القرية ، لا أزال أجد
أثرهما في النفس حيا على موت الذاكرة ،
جديداً على بلى العمر . فأنا أتخيلهما اليوم
كما أتخيل حقيقة الواقع ، وأتمثلهما الساعة
كما أتمثل حوادث الأمس .
كان ذلك وأنا في العاشرة من عمري ،
أغدو إلى السكتاب في الصباح وأروح منه ، إلى
البيت في المساء ، ومعى في الغدو والروح
رفيق من لداني في السن ومن جيرتي في الحارة ،

البالغ . ومع ذلك كان راضيا مطمئنا لا يمد عينيه إلى متعة ، ولا يحسد غيره على نعمة .

* * *

ذهبت أيام رمضان الغر وإياليه الطهر من تلك السمة ذهاب النسيات الرخية هبت على الدنيا من رياض الجنة فعمطت الأنفاس ولطفت الطباع وقربت ما بين السماء والأرض . وأصبح يوم (الوقفة) فإذا الكهول والشباب من أهل القرية يمتطون حميرهم في نشاط ، ويسلكون طريق السوق في زياط ، ليشترؤا من المنصورة حاجة العيد من لحم و (فطرة) ، وكان أكثر الفطرة التمر والخروب وأقلها البندق وعين الجمل . وكان ضعاف الدين من النشء يسمون يوم (الوقفة) عيد الشباب ، لأنهم كانوا يستبشرون فيه الإفطار ليملاؤا بطونهم بالحنان من أصناف (الفطرة) بحجة انتقاء الأجود منها قبل الشراء . وكان تجار النقل يتساعون في هذا (الاختبار) وإن أسرفوا فيه استالة لهوامم واجتلابا لسواهم . وكان من تخلف في القرية من النساء والأطفال يفتظرون رجوع العير بالأخراج الموقرة على صبر نافذ وشوق شديد . فإذا ما رجعوا نفحوا المتشوقين المتشوفين بقبضات مختلفات من التمر أو الزبيب فيزقزق البنون ويزهرد البنات ويقع البيت كله في زياط شديد ، ولكنهم يتذكرون

لا نكاد نفرق بياض النهار وقليل من سواد الليل ... كان هذا الرفيق هو صديق الأول في المرحلة الأولى من مراحل العمر . وكنت أحبه دون سائر الرفاق لمشابهة بيني وبينه في الخلق والطبع والهيئة ، فضلا عما كان يتميز به من وسامة تلوح على وجهه ، ووداعة تشع من عينه ، ورقة تشيع على فمه ، وطيبة تنبعث من قلبه . كان رقيقا في لعبه فلا يعمد إلى الحشونة ، عفا في حديثه فلا يميل إلى الفحش ، وثرأ لإخوانه فلا يخص نفسه بلعبة أو متعة ، فكركه لكل لاعب وكتابه لكل قارئ . وعونه لكل محتاج ، وكان مقيا للصلاة في أوقاتها الخمسة . فإذا أقبل شهر رمضان تعاقبنا التبليغ وراء سيدنا وهو يصل التراويح إماما في بيت الله ، وتناوبنا تلاوة القرآن معه وهو يحكي رمضان قارئاً في بيت العمدة .

كان أبوه الفلاح النجار من الأجراء (التلمية) في تفتيشه على باشا شريف لا تزيد يوميته على ثلاثة أرباع القرش ، ولا سنويته على فدان من أرض الدائرة يزرعه شعيرا أو ذرة . لذلك كان لا يملك من الثياب إلا جلبابا واحداً يشتريه له أبوه في العيد الصغير فيلبسه على اللحم العام كله . وكان يحرص على صيانة هذا الجلباب أشد الحرص فلا يمزقه باللعب العنيف ، ولا يبليه بالغسل

يكمل بعضها تقص بعض ، فإذا فرغوا من ذلك ناموا بقية الليل على مهددة الأحلام ومناغة المنى ، وتركوا النساء أمام الأفران والكوانين ينضجن الحخب ويطهون اللحم ويصنعن الحلوى حتى الصباح .

* * *

فرغت أنا وصديقي عبد الحافظ النجار من قراءة ما تيسر من كتاب الله على أرواح موتانا ، ورأينا الناس ينصرفون فانصرفنا ولم يبق من شمة فانوسى إلا عقب لا يكاد يبلغ بنا الدار .

وفي أثناء الطريق قال لي رفيقي بصوت خافت ولهجة حزينة : ربما لا أراك غدا ، فكل عام وأنت طيب . فقلت له وأنا أحدهم بنظري في استغراب ودهشة : ولم لا تراني يا عبده ؟ لقد أعددت لك الكرة للنعب والحبل للتأرجح . فقال : لا أحب أن يراني الصبيان وليس على جسدى جديد ، ولا في رجلى حذاء ، ولا في يدي قرش ، ولا في جيبي فطرة ، لم يستطع أبى أن يحقق لي شيئا من ذلك لأنه مرض منذ ستة أشهر فانقطعت أجرته من (وسية) الباشا بانقطاع عمله .

فقلت له وأنا أربت على كتفه : هون عليك يا عبده فإن أكثر الأطفال على مثل هذه الحال ، وما دمنا معا فكل شيء جديد ، وكل يوم عيد . فقال لي بلهجة المزوم الصارم :

أن رمضان الحبيب يلفظ أنفاسه الأخيرة مع الشمس الغاربة فتخشع الأصوات وتنهمل العبرات ويخامر الناس الخوف من انطلاق الشياطين المقيدة فيجلس الصبيان على أبواب الحجرات يكررون البسملة ويضربون حديداً بحديد ، حفظا للبيت من دخول شيطان مريد .

فإذا دوى مدفع الإنطار الأخير من البندر ، ورفعت صواني الطعام من الحارة ، وقضيت صلاة المغرب في المسجد ، خرج أهل القرية جميعا إلى المقبرة ومع كل أسرة فانوس يحمله الرجل ، وسبت من الفطير تحمله المرأة ، حتى إذا بلغوها وضعوا المصابيح على أوجه القبور وجلسوا أمامها يستذكرون ويستمعرون وقد اختلط نذب النساء بتلاوة الفقهاء : أولئك يعددون مناقب الموتى بمرائهن الموقمة ، وهؤلاء يكررون على كل قبر سورة (يس) بتلاوتهم المسرعة . ثم تعود القرية الحية من القرية الميتة ليتجهزوا للعيد بجهازه فيقضون الهزيع الثاني من الليل في طسوت الاستحمام أو في دكان المزين . والاعتساف بالماء الحار لا يعرفه الفلاحون إلا ليلة العيد وليلة العرس ويوم الموت ! ثم يعددون زينتهم فيكثرون العائم ويصبغون الأحذية ، ومن لا يحسن لوث العامة أو لا يملك علبه (الوردنش) ذهب بطربوشه أو حذائه إلى قريبه أو جاره . والقرية كلها أسرة واحدة

تحت الجدار القصير وأخلدت إلى السكون ،
إلا إذا حركتها طبيعة الحياة فيصيح ديك
أو تقوق دجاجة ، فلما قضينا حاجتنا
من متع العيد كلها جلسنا عن جانبي الجدة
الطيبة وألقينا إليها السمع لتساقط فيه الكلم
العذاب من (حدوتة) طويلة مشوقة حتى
بدت في جفينا فترة السكرى فغفونا على
حسرتها إلى أن انطلقت مدافع الغروب
على شاطئ النيل بالمنصورة ، وجلجل صوت
أبي حامر بالأذان على سطح الزاوية .

* * *

كان هذا العيد المحصور بين صحن الدار
وحظيرة البقرة ومجلس الجدة أسعد من عيد
الآخرين الطليق بين ساحة القرية وبحال
الحقول وملاهي البندر لأنه كان عيد قلبين
صغيرين لم ترسب فيهما أكراد الحياة بعد ،
غفلوا من الهم والحقد ، وامتلأ بالرضا
والغبطة ، والأرض على رحبها تختصر أحيانا
في مكان ، والسعادة على تفرقها تجتمع كلها
في وجودك مع إنسان ، والصداقة الطفلية
الأولى عميقة لأنها احتلت القلب على خلو ،
لاصقة لأنها خالطت الشعور عن جاذبية ،
باقية لأن حدثان الدهر تجري عليها وهي
راسخة في القاع .

* * *

ظلت صداقتنا البريئة الحلوة تنمو مع

هبات ! لن أجعل الصبيان يشعرون أنى أصغر
منهم شأنًا وأن أنى أضعف من آبائهم قدرة ،
وسأقضى مع أبي المريض وأمي البائسة
وجدتي العجوز العيد الذي اختاره لنا القدر ،
فقلت له وقد ينست من صرفه عن عزمه :
ليكن ما تريد . وسأعيد معهم ومعك .

وغدوت عليه في داره بعد صلاة العيد وزيارة
المقبرة ووجبة الإفطار ومعنى نصيبي كله من
النقل والكلع . وقضينا يوما من أسعد الأيام :
نلعب بالآلات النجارة ، ونلهو بأوراق اللعب ،
ونستذكر ما حفظنا من السور القصيرة ،
ثم نركض وراء الكرة من الفناء إلى الحظيرة ،
ومن الحظيرة إلى الفناء ، وذهبت فجئت
بجمل المحراث وشدته من طرفه إلى عرق
غليظ في سقف الزريبة وأخذنا تتأرجح ،
وكان كل شيء في الدار مبتهجا بابتهاجنا
مغتبطا لاغتيالنا ، فالأب قد نسي مرضه
وقعد القرفصاء يرامقنا بعين قريرة ونفس
مطمئنة ، والأم قد تركت عملها وجعلت
تبارك مرحنا بالنظر الحنون والقلب
المطوف وتحمداً لله على أن جاء العيد
لابنها في الدار بعد أن رفض أن يذهب إليه
في القرية ، والكلب الأليف كان يقبع
خطواتنا من مكان إلى مكان ، وهو ينبح
كأنه يضحك ، ويبصر كأنه يحامل ،
والدجاجات قد أخلت لنا صحن الدار وجشمت

مشاءنا وهو اطفنا ثلاث سنين طبعنا آثارها في المكتب وفي الملعب وعلى ضفاف بحر شبين، حتى دها مصر وباء الكولرا سنة ١٩٠٢ فصحا أهل القرية ذات صباح فإذا كل غرفة فيها مريض، وإذا كل ساعة فيها جنازة، فهان الموت ورخصت الأموات حتى لا يعاد محتضر ولا يشيع ميت ولا يعزى حى. كان الموت الوحى الذريع يتخطف جبرتي في الحارة واحدا بعد واحد، نخلت الملاعب من الأطفال والمصاطب من الرجال والمكاتب من الصبية، وهجم الوباء الهندى الأصفر على دار عبد الحافظ فاخطف والديه فى أسبوع، وبقيت الجدة على حصيرتها المحشنة تبكى الابن وتندب السكنة وتحنو بأضلاعها المشه على الحفيد، ولكن حنوها الشديد لم يدفع قضاء الله، فأصبح عبد الحافظ يشكو ظمأ لا ينقعه ماء، وقينا لا يمنعه دواء، وإسهالا لا يقطعه شيء، فعلت جدته أنه الموت، فضجت بالصراخ ورنت بالعويل، وسمع الجيران جزعها فشاركوها من بعيد. وكان أبى قد حرم علينا غشيان الدور ومخاطبة الناس، ولكنى تسلفت إلى دار المريض العزيز فوجدته يكابد هول الداء وحده، فلا أبوه يخفف عن كبده

سعار العطش، ولا أمه تسمح عن ثوبه رنجع القىء، فانهلت بواذر دمعى، وأحسست حرقة الحزن فى صدرى، وكان يبتنا يشرب الماء مغلى فلم يصب أحد منا بسوء، فظنفت أن الدواء فى هذا الماء، فحملت منه قلة إليه كما حملت مثله بالأمس إلى (زهرة) بنت الحارة صديقتى وصديقتى. فلما رآها فى يدي افترت شفتاه الذابلتان عن ابتسامة غائمة، فجرعته منها جرعات، ثم جلست بجانبه أبل صداه بالقلقة من لحظة إلى أخرى حتى وقف الماء فى حلقه فلم يستطع أن يسيغه. ثم شخص بصره وحشرج صدره وأخذه فواق ضعيف ثم لفه سكون شامل!

أبدأ أن أنسى هذين اليومين من حياة صديقى الأول: يوم قضيت معه يوم العيد وهو يقاسى هم الوحشة، ويوم قضيت معه يوم الموت وهو يكابد ألم الوحدة!!

واحسرتاه على قريتى الصغيرة! لقد أقبل عليها عيد الفطر من تلك السنة الحزينة، والموت قد ختم على أكثر الدور، وتقل نصف أهلها من الدور إلى القبور!

أحمد حسن الزيات

فن الشعر العربي وحيث في لغات العالم

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذا الرأي ويذهب في قراءته لبعض قصائدها مذهباً يدعو إلى إعادة النظر في مسألة العلاقة بين الأوزان العربية والفارسية ، وإلى مطالعته هذه يشير الباحث الفاضل الدكتور محمد غنيمي هلال ، فيقول في الطبعة الثانية من كتابه عن الأدب المقارن بعد تمهيد عن أثر العرب في آداب الفرس : (إن الأدب الهلوي أو الإيراني القديم راجت فيه نزعة شعبية يقصد بها إلى شرح وجهي نظـر مختلفتين في شكل حوار أو جـدل ... وقد بقي لنا من الأدب الإيراني القديم حوار أدبي عنوانه - الشجرة الأشورية - وهي النخلة. ... موضوعه حوار بين النخلة والتيس أيهما أفضل من الآخر ، وقد وصلت هذه القطعة إلينا مكتوبة على طريقة النثر ، ولكن العالم الفرنسي - بنفست - اكتشف أنها في الأصل ذات وزن وقواف ، وأن النسخ كتبوها في صورة النثر جهلاً منهم بالشعر الإيراني القديم ، وهذا الوزن قريب من المتقارب المشوي المعروف في العربية

من المقرر في تاريخ الأدبين العربي والفارسي أن اللغة العربية انفردت بفرن العروض ، وأن بعض أوزان الشعر في اللغة الفارسية مستعار من أعاريض العرب ، ويغلب أن تكون الاستعارة من قبائل العرب التي اتصل بها أناس من رواد الشعر الموزون بين شعراء الفرس الأقدمين .

وقد كان الجاحظ يقرر هذه الحقيقة على علم بوجوه المقارنة فيها ، وقد ألمعنا إلى قوله في هذه المسألة وعقبنا عليه في أحد الفصول من كتاب اللغة الشاعرة .

والأديب الفارسي (محمد عوفي) يعرض لهذه المسألة كما عرض لها الجاحظ ويرى أن (بهرام جور) كان رائد الشعر الموزون بين شعراء الفرس الأقدمين ، لأنه عاش بين العرب وتأدب بأدابهم ، كما هو مشهور .

ولقد مضى الرأي على هذا الاعتقاد إلى السنوات الأخيرة ، ولكن المستشرق الفرنسي (بنفست) Benveniste يستخلص من مطالعته في اللغة الهلوية القديمة رأياً غير

وقصها الملحنون فصارت (أناشيد) تعزف على الآلات بمصاحبة الأصوات أو بغير مصاحبتهما .

ومن أمثلة هذه الأغانى النثرية أغنية بائعات اليا نصيب في بعض المسرحيات الفكاهية ، ونكتني منها بهذه الكلمات :

(خذلك نمرتين وإن كسبت ابق تعالى فسحنا)
ومثلها أكثر الأغانى في المسرحيات الفكاهية فإنها تتوقف على الموسيقى لتحسب من الكلام المنظوم ، تبعا لنظم الغناء .

أما الشعر الذى يقال عنه إنه موزون في اللغات الأجنبية فليس له فن من الوزن مقدور بغير مقادير التلحين على اختلاف القاعدة في تقسيم ألقائه . فهم تارة يحسبونه بالسطر وتارة بعدد المقاطع وتارات أخرى بعدد النبرات أو هدد مواضع الوقوف ، وحكمه من الناحية الفنية حكم الكلام المنشور الذى لا فرق بين المرسل منه والموزون في اعتماده على الغناء وتطويعه الألقان الموسيقية

وليس بالمتعذر على العارف بفن العروض العربى أن يقطع سطرا من الشعر الانجليزى بمقياس التفاعيل في توزيع الحروف الساكنة والمتحركة ، دون أن يكون لتفاهيل أساس من بنية الكلمة التى تنظم في اللغة العربية على قواعد مطردة للأوزان والحروف التحريك والفسكين .

ثم في الفارسية الحديثة بعد الفتح الإسلامى) .

ونحن لا نحسب - بعد اطلاعنا على خبر هذا الكشف الجديد - أن الحقيقة تتغير في أمر انفراد اللغة العربية بالفن العروضى ؛ لأن المسألة في أساسها ليست بمسألة وجود الوزن الشعرى في آداب اللغات الأخرى ، فإن وجود الوزن في أشعار أمم غير الأمة العربية لم يكن قط موضع خلاف بين مؤرخى الآداب الغربيين أو الشرقيين ، وإنما يدور البحث في هذه المسألة على حقيقة لا شك فيها كذلك : وهى انفراد الشعر العربى بفن عروضى مستقل عن الغناء سواء تغنى به الناظم أو اكتفى بإنشاده بغير تنعيم أو بغير (موسقة) كما يقال في الاصطلاح الحديث . فالأمر المحقق أن هذا الفن العروضى خاص بلغة العرب لا نظير له في لغة أخرى من اللغات على اختلاف أصولها السامية أو الهندية الجرمانية .

أما وزن الشعر وتطويعه للغناء فلا خلاف في عمومه بين كثير من أمم العالم ، ولكن الفرق بين الوزن الذى يتوقف على الغناء والوزن الذى يستقل بنظمه على محوره المختلفة وتفاعيله المتعددة هو أن الشعر والغنى سواء في قابلية (الموسقة) والإيقاع ، وعندنا في اللغة العربية الدارجة أغانى منشورة

باختلاف مقاديرها الموسيقية ، هي والخاصة ،
التي انفرد بها الكلام العربي كله ووجب
أن يكون لها أثرها في استقلال فن الشعر
عن فن الغناء ، ويعمل في تمكين هذا
الاستقلال الفني أن مصاحبة الشعر للغناء
في حداء الإبل كانت تجري على وتيرة واحدة
باختلاف السرعة أو الأناة في حركة البعير ،
ولعل هذه التورية هي أساس التلحين في فن
العروض وفن الغناء معا عند شعراء العرب
الأقدمين ، وبين الإيقاع على وزن مطرد
والإيقاع على وزن قابل للتغير فرق ظاهر
هو الفرق بين حركات سير الإبل وحركات
الرقص عند الأمم الأخرى ؛ فإن الرقص
يجري على نغمات تختلف باختلاف حركاته
ولا يلتزم قاعدة غير القواعد الموسيقية العامة ،
ولهذا سميت التقسيمات التي تقابل التفاعيل
عندنا باسم الأقدام Feet في اللغات الأوروبية
وليس لها ضابط مستقل عن ضوابط الموسيقى .
ونعود إلى الكشف الذي اهتمدى إليه
العالم الفرنسي فنقول : إنه مما ثبتت استعارة
الوزن الفارسي من الأعرابى العربية ولا
ينفيها ؛ لأن وجود بعض الشعر الفارسي
موزونا وبعضه الآخر غير موزون أو غير
مضبوط بالأعرابى على جملة البحور دليل
على وجود أصل للشعر الفارسي مرسل في
الكتابة وفي الإنشاد ، وليس للشعر العربي

ومن أسباب هذا الفارق - فيما نعتقد - أن
الكلمات في اللغات الأجنبية تتألف بلصق
بعض الحروف ببعض على غير وزن مطرد ،
ولكنها في اللغة العربية تألف على قواعد
من أوزان معلومة وقوالب مطردة ، ويمكن
أن تتقابل فيها السواكن والمتحركات بين
التفاعيل وبين الألفاظ على نظام مطرد لا يتغير
وليست المدة الزمنية التي يتلى فيها السطر
أو المقطع أو النبرة هي محور التقسيم والتنظيم
ولكن المحور الذي يدور عليه كل تقسيم وتنظيم
في اللغة العربية هو أوزان الاشتقاق وجريان
الكلمات كلها على أوزان متكررة حتى
في الجوامد أو الأعلام التي تنقل إلى اللغة
العربية ، وتصاغ عند النقل بصيغة تشبه
أوزان المشتقات .

وشبه هذا السبب في هذا الفارق بين أوزان
الشعر عندنا وأوزان الشعر عندهم أن الحركة
مقدورة في كلماتنا على حسب درجاتها من
الامتداد ، فعندنا الحركة التي يمثلها الشكل
بالفتحة أو الكسرة أو الضمة أو السكون ،
وعندنا حركات حروف العلة كالألف والواو
والياء ، وعندنا حركات حروف العلة الممدودة
أو المضاعفة التي تمتد بامتداد حرفين كالألف
الآمال وياء الإيمان والواو بعد الحرف
المهوز في مثل كلمة الموءودة .

فهذه الأوزان التي تلازم جميع المشتقات
والجوامد ، وهذه الحركات التي تختلف

وبما قاله في هذا المبحث الفنى العلمى فى مقام المقارنة بين فنون الشعر أن الشاعر اللاتينى الكبير هوراس كان يفخر بأنه استهوى عرائس الشعر اليونانى إلى زيارة وطنه الرومانى وهو يقصد بذلك محاكاة أوزان الشعر الغنائى فى لغة اليونان . . . قال : ولكن مامن أحد يستطيع أن يفخر باستهواء عروس الشعر العربى إلى زيارة الجزر البريطانية أو يفخر « بنجيزة » تلك العروس العصية ، وكل ما يمكن أن يقال إن الشعر العربى قد يمثل مزيج من بلاغة الشاعر يوب اللفظية ، ومن بلاغة الشاعر شلى العاطفية ومن نزعة الشاعر لورنس الصريحة ، ولكنه وصف لا يغنى عن الحقيقة ولا يصلح بديلا لها لمن لا يعرفها .

قال وإن اللغة العربية لغة نقية صافية على نحو لم يتوافر لغيرها من لغات الحضارة ، وأنها مع ذلك تستطيع أن تؤدى العبارة التوراتية المقدسة كما تستطيع أن تؤدى عبارات الأدب ، واستشهد الكاتب برأى الشاعر المعاصر المشهور « عزرا باوند » الذى يصف الشعر العربى وصفا « اصطلاحيا » بأسلوبه المعروف ، ويمكن أن يقابله باللغة العربية أن هذا الشعر جامع بين القدرة التصويرية والقدرة الموسيقية ، أو أنه يمارق البصر والسمع فى آن .

أصل سابق الأماض من الكلام الموزون بوزن البحور والتفاعيل ، فهو فى مقام الاستعارة أولى بالأصالة والتقدم على الشعر الذى عرف فيه المنظوم وغير المنظوم . وبين أيدينا - ونحن نكتب هذا المقال - عدد شهر يناير من مجلة « الإنكاونتر » Encounter أو المساجلة والمناوشة فى أقرب معنى لها باللغة العربية ، وهى مجلة عالمية تفتش للتخصص بموضوعات الأدب والفن أحدث البحوث فى النقد والتحليل على نمط الدراسات العصرية ، ويغلب على محورها الاستقلال عن المذاهب والنزعات المتضاربة التى يتحيز لها بعض أصحاب الدعوات المتطرفة ، وقد نشرت فى هذا العدد الأخير منها فصل بعنوان « عروس الشعر العصرية » للسقشرق دسموند سقيوارت يعنى بها فن الشعر العربى ويخلص من المقال كله إلى تقرير رأى الغالب على العارفين بهذا الفن من أدباء الغرب : وهو الشهادة له بأنه أدق الفنون وأعصاها على المحاكاة وأحوجها إلى العناية عند النقل والترجمة ؛ لأن مزاياه ليس من قبيل المزايا الشائعة فى آداب الأمم ، وليس له نظير فى اللغات السامية نفسها التى تنسب لها اللغة العربية ... وهو يصف اللغة العبرية « بالبربرية » بالقياس إلى لغة الضاد التى وسعت ثقافة عالم واسع من عوالم الحضارة العالية .

هؤلاء بإهمال أوزانه التي لا يقدر على فهمها ، فإن
يجزهم عن نظمه شاهد على تجردهم من إلهام
المطبوعين الذين يقدر على فهمه بغير تعليم ،
وقد يسكون من القادرين عليه من يجهل كلمة
العروض ولا يدري معنى التفاعيل .

وقد انفردت اللغة العربية بهذا الفن المطروح
لأهلها ، العصى على الغرباء عنه ، فليس من
حقها علينا وليس من حقنا على أنفسنا أن
نفقد مزاياها بأيدينا ، لأنها بلغت تمامها
عندنا ولم تبلغ هذا التمام عند غيرنا .

عباس محمود العقاد

ولم نفهم من قول الكاتب عن عروس
الشعر العربي إنها « أعصى عرائس الشعر » ،
إلا أن مراسها صعب على غير أهلها ، وأن
صعوبته إنما يحسها من يحاوله وهو غير
مطبوع عليه وليست فيه صعوبة على قرائه
ولا على المهووبين من ناظميه والمشفوفين
بمحاسنه ، وهي حقيقة واضحة من سهولة نظم
أوزانه على المطبوعين من شعراء اللهجة العامية
أو الزجالين الأميين والناثحات الأميات .
ولامصلحة للشعر في أن يستقيحه غير المطبوعين
من المتعلمين أو غير المتعلمين إذا اقتحمه

قصور العرب في النقد

للغريب ، كانت أجود . وكلما كانت المعاني
أرسخ في القدم ، وأصل في الابتكار ، كانت
أفضل . ومن ذلك كان أغلب النظر مقصوراً
على الآيات المفردة الشاهدة على صحة الكلمة ،
أو سلامة القاعدة دون نظر إلى علاقتها
بالقصيدة . وكان الرأي مجمعاً على تقديم الشعر
الغريب على المألوف ، وتفضيل الشاعر
القديم على المحدث ، وقد أغرقوا في إظهار
الجاهل على الإسلامي ، من غير ميزة إلا
الأقدمية ، حتى قال أبو عمرو بن العلاء :
« لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ،
ما فضلت عليه أحداً » .

من كتاب (في أصول الأدب) للزيات

من أسباب قصور العرب عن النقد البياني ،
أن أسبق الأدباء إلى النقد هم اللغويون
والنحاة . كانوا هم قضاة الشعر في أواخر
القرن الثالث ، إلهم يحكم الشعراء ، وعندهم
بأخذ الملوك والأمراء ، حتى قال الخليل بن
أحمد : « إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي ،
وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت
قولكم نفقتم وإلا كسدتكم » .

وغرض هؤلاء اللغويين والنحاة من النظر
في الشعر إنما كان جمع الشواهد على غريب
الالفاظ وصحة القواعد ، وتسجيل معاني
الشعر ، ومن ابتكرها ومن سرقها . فكلما
كانت القصيدة أحفل بالشواهد ، وأجمع

مناهج الإسلام

لنقوبة روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

— ٢ —

عرفنا نظرة الإسلام إلى عقد الزوجية ، واعتباره إياه من أهم العقود والمواثيق التي يجب رعايتها ، وألا تتخذ آيات الله في شأنها هزوا . وأن الإسلام من أجل هذا حرص على تشريع كل ما يقوى هذا العقد العظيم ، ويجعله مؤدياً إلى الغايات المقصودة منه .

وتبدو هذه العناية التشريعية فيما يأتي :

المناهج التي شرعها لما قبل العقد .

المناهج التي شرعها لتثبيت الحياة الزوجية .

المناهج التي شرعها لما بعد انقضاء الحياة

الزوجية بالطلاق أو الموت ، وإليك البيان :

أولاً : المناهج التي شرعها لما قبل العقد :

الترغيب في الزواج :

١ — فمن ذلك أنه يرغب في الزواج ،

ويحث عليه القادرين ، أما غير القادرين ؛

فيرشدكم إلى ما ينبغي أن يستعينوا به حتى

يقدرُوا :

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة

فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ،

ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء . »

وأول ما يفهم من هذا الحديث رغبة

المشرع في الإقبال على الزواج ، فهو يدعو

إليه معشر الشباب الذين هم في باكورة العمر ،

والذين هم أقدر بحكم سنهم على التوفية بحقوقه

وبحقوق الفطرة الإنسانية فيه . وقد جرت

العادة بأن الزوجية المبكرة في السن الصالحة

لها ثمر استقراراً بين الزوجين ومحبة ،

وتعين على الاحتفاظ بذكريات من الشباب

تظل على مدى الأيام نسياً معطراً لجو الزوجية

حتى في عهد الكهولة والشيخوخة ، أما الزواج

الدبري الذي لا يتم إلا حين تكون جذوة

الشباب قد خمدت أو كادت ؛ فإنه يكون أشبه

بالصدقة المستحقة ، وقد لا يثمر ثمراته

المرجوة ، وإذا أثمر كانت ثمراته في كثير

من الأحيان أشبه بثمار الصيف على أبواب

الشتاء ؛ أو بثمار الشتاء على أبواب الصيف .

لذلك كان الشباب هو الفرصة المناسبة

للزواج ، وكان من حكمة دين الفطرة أن يلفت

إلى هذه الفرصة داعياً إلى انتهازها .

وأمر آخر في هذا الحديث الشريف : هو

تخصيصه هذه الدعوة إلى الزواج بمن استطاع

الذين فسروا الحديث به فنقول : هل أردتم بهذا أن الصوم له أثر حسي في إضعاف الجسم يترتب عليه إضعاف الرغبة الجنسية ؟ إن كان هذا هو مرادكم فإن به شيئاً من الضعف ، إذ أن الطب والتجربة لا يقران ذلك ، بل الصوم فيه تقوية للجسم ، وتصفية أفضلات المعدة وما يثقل البدن ويعوقه عن أداء وظائفه ، وفيه إراحة للأعضاء وتنشيط لسائر أجهزة الجسم ، وقد ثبت أن الامتلاء والتخمة يضعفان الرغبة الجنسية ، وإن كان المراد ما في الصوم من تهذيب نفسى يجعل المرء متصلاً بربه ، بعيداً عن تلبية نوازح الفطرة من حرام ؛ فذلك معنى مقبول في ذاته ، وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يصف الصوم علاجاً نفسياً لا علاجاً جسياً لمن لم يستطع تكاليف الزواج ، فيقول له : استعن بالصوم فإنه علاج نفسى تهذيبى يجعلك فى حصانة من تلبية دواعى الشهوة ، حين تشعر بأنها تلح عليك . وأنت لا تستطيع أن تؤديها من حلال ، فيمنعك صومك أن تؤديها من حرام ؛ لأن الصيام بما له من قوة تهذيبية يصونك ويحجزك .

نقول : هذا المعنى فى ذاته حسن ، ولكنه تكليف على جانب كبير من الشدة والعسر ، فإننا إذا جئنا إلى الشبان الذين هم فى باكورة العمر ، ونضارة الصبا ، وقلنا لهم : أتم الآن غير مستطيعين لتكاليف الزواج بسبب قلة

«الباءة» ، وقد فسر هذا اللفظ فى اللغة بمعنىين : أحدهما عقد التزويج نفسه ، والآخر الأمر الجنسى الذى يكون بين الرجل والمرأة . ولكن ينبغى أن نسق بعد المعنى الثانى من أول الأمر ، ولا تقبل تفسير الحديث به ، كما فصل بعض الشراح ، لسبب واضح فى الحديث نفسه هو أنه يقول : «ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» . ومن كان غير مستطيع للباءة بالمعنى الثانى ، فليس فى حاجة إلى أن يوصف له الصوم أو غير الصوم ليقمع عنه الشهوة ، فالغرض أنه غير قادر . ويبقى المعنى الأول ، وهو عقد التزويج ، واستطاعته هى القدرة على تكاليف الزواج ونفقاته ، فهو يقول : من كان منكم قادراً على نفقات الزواج وتكاليفه فليتزوج ، فإنه - أى الزواج - أغض للبصر ، أى أشد غضاله ، وأحسن للفرج ، أى أكثر إحساناً . وهذا يدل على أن الأمر الموجه إلى الشباب ليس عاماً ، وإنما هو خاص بمن قدر منهم على تكاليف الزوجية والتزاماتها . والشطر الثانى من الحديث وهو قوله : «ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء» قد فسر بمعنى منقول مشهور ، وهو أن الصوم من شأنه أن يضعف نوازح الشهوة ويقمعها ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يصفه لمن لا يجدون تكاليف الزواج .

ونود أن نقف قليلاً عند هذا المعنى لنناقش

وقال أبو عبيدة : كل بمسك عن طعام ،
أو كلام أو سير ؛ فهو صائم .

وعلى هذا فالمراد بالصوم في هذا الحديث
الصبر والتعفف وربط العزيمة على الانتظار
حتى يسر الله أمر الزواج ، وهذا هو الشأن
في كل ما يرغبه المكلف وتتجه إليه نفسه :
عليه إن أراد شيئاً وعجز عنه ، ولم يستطع
أن يصل إليه من وجه حلال ، أن يصبر
ويكافح نفسه ويصوم عن هذا الشيء . ويمسك
عنه ، ويترث حتى يصل إليه من حله .

وهذا المعنى هو الذى يتفق مع قوله تعالى
في شأن غير القادرين على تكاليف النكاح :
« وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى
يفنهم الله من فضله » . فقوله عليه الصلاة
والسلام : « فمن لم يستطع فعليه بالصوم ،
- أى بالإمساك عن الزواج مع الصبر
ورباطة الجأش - هو في معنى قوله تعالى :
« وليستعفف الذين لا يجدون » .

وهذا يتفق الحديث مع الآية فيما يصفاه
من علاج اجتماعي لمن لم يستطع تكاليف
إنشاء أسرة ، وإقامة بيت ، ويكون هذا
العلاج في تناول المكلفين على اعتبار أن
مطالب الحياة لا يمكن أن تتحقق لكل
إنسان من أول الأمر ، وأن على الإنسان
أن يصبر ويستمسك بإرادته القوية ،
ويصوم عما لا يستطيع ، حتى يجد السبيل
إلى تحقيقه من وجه شريف .

مرتباتكم وعدم كفايتها لإنشاء بيت زوجي ،
فعليكم أن تنتظروا وأن تصوموا في فترة
الانتظار حيناً بعد حين حتى تهذب نفوسكم ،
وتنقمع بهذا التهذيب شهواتكم الفطرية ؛
إذا قلنا لهم ذلك ؛ فلا شك أننا نسكلفهم -
وهم في هذه السن - تكليفا شاقا لا يستطيعونه ،
أو هم على الأقل يتبرمون به ، وقد يضيقون
به ذرعا ، والله تعالى لا يحب أن تؤتى عباداته
على كره وتضرر وامتعاض .

ولذلك لا أستريح أيضا لهذا التفسير .

والرأى عندي - وإن لم أكن رأيته لأحد
من قبل - هو أن المراد بالصوم في هذا
الحديث الصوم اللغوي ، وهو : الإمساك
عن الشيء . أيا كان - قال صاحب التهذيب :
الصوم في اللغة هو الإمساك عن الشيء
والترك له ، وقيل للصائم صائم لإمساكه عن
المطعم والمشرب والمنكح ، وقيل للصائم
صائم لإمساكه عن الكلام - يشير إلى قوله
تعالى : « إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم
اليوم إنسيا » . وقال الخليل : الصوم قيام
بلا عمل - ومنه صامت الشمس عند اتصاف
النهار إذا قامت ولم تبرز مكانها ، وصام
النهار صوما إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ،
قال امرؤ القيس :

فدعها ، وسل الهم عنك بحجرة

ذمول ، إذا صام النهار ، وهجراً

على الزواج، وترغب فيه، ويذنبى أن تحمل على هذا الحديث في أنها مخاطبة للقادرين .
منها ما رواه أنس من أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لا أتزوج ، وقال بعضهم : أصلى ولا أنام ، وقال بعضهم : أصوم ولا أفطر ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني .

وعن سمرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل - رواه قتادة وقرأه - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تتجلى فيها رغبة المشرع في عقد الزواج ، وحث القادرين عليه ، والتي تدل على كراهية العزوبة والتبتل ، ولو أن الناس عملوا بها لما قامت أزمات الزواج ، ولما وجد في المجتمع شبان متعطلون بدون مبرر عن أداء وظيفة الزوجية المقدسة ، ولا شابات تنطوى عليهن البيوت زمانا حتى يصبحن عانسات ، وقد كن أنسات !

مقياس الاختيار للزوجة الصالحة
(٢) ومن ذلك أن الإسلام يرسم للأزواج منهج الاختيار الصحيح للزوجة الصالحة التي من شأن زواجها أن يستقر ويثبت .

* فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وبعد هذا التحليل للحديث يتبين لنا أنه يقرر أمورا من شأنها أن تكون تقوية للرابطة الزوجية عندما يوثق عقدها ، وهذه الأمور هي :

* ترغيب القادر على الزواج في الزواج ، فإنه إذا أقدم عليه القادر كان ذلك أدعى إلى استقرار البيت الزوجي ، وقوة الرابطة بين الزوجين .

* كراهيته لغير القادر ، لأنه سيؤدي إلى تحمل ألوان من الصعاب ، ومعااناة كثير من المشكلات ، التي لا يستطيع معها إقامة حدود الله .

* الاعتماد على قوة الإرادة في المكلف ، وإرشاده إلى أن يصبر على رغبته حتى يهيئ الله له ما به يكون تحقيقها من وجه شريف ، وفي ذلك حث له على أن يصون نفسه ، ويحتفظ بشرفه ، ويظل عفيفا لا تدنسه فاحشة ، ومن استطاع أن يكون كذلك ؛ فإنه حين يتزوج يكون الزوج النظيف الطاهر الثوب الذي لم ينسق وراء دواعي الشهوات المحرمة ، ولم يعرف إلا زوجته ، ولم ينتقل من أحضان امرأة إلى أخرى ، وفي ذلك توطيد أى توطيد لبيت الزوجية ، وتوثيق أى توثيق لروابطها الشريفة .

هذا وهناك أحاديث أخرى كثيرة تحث

تمشيا مع عقلها الباطن الذى لا يقتنع بذلك .
* ولا أن تنشذ ذات الحسب فقط أى التى
ليس لها مع حسنها ونسبها صفات خلقية
وخلقية تجعلك سعيدا بها ، فكم من حسنة
نسبية ، ولكنها صعبة الخلق ، جاحدة ، تتعب
معاشرها ، وتحول حياته إلى جحيم ، فمن
ابتغى فى زوجته الحسب والنسب فقط دون
صفات الزوجية الصالحة ، فقد ابتغى لنفسه
ألوان المتاعب والصعاب فى كثير من
الآحيان .

* ولا أن تنشذ ذات الجمال الرائع التى تعد
تحفة من التحف ، مكتفيا بجمالها ورونقها
دون الصفات الأخرى التى هى ضرورية
فى تحقيق السعادة ، فإن الجمال وحده قد يكون
سببا من أسباب الشقاء ، وما لم يكن إلى
جانبه صفات تصونه وتحفظه فإنه يكون عبئا
على الزوج أكثر منه متاعا له ، وقد يكون
أيضا عبئا على المرأة نفسها ، ومزلة لها ،
إذا يفرىها بالتكبر والتعالى على زوجها
أو يعرضها للكثير من عوامل الفتنة ،
أو يحملها على الإسراف فى التزين والتبرج
تمشيا مع غرورها واقتنائها بجمالها .

* فلم يبق إلا اختيار ذات الدين ، أى ذات
الفضيلة والخلق التى تعرف واجبها فى كل ناحية ،
قتلك هى التى تعد كسبا وظفرا ، ولهذا يقول
الرسول صلوات الله عليه : (فاطفر بذات الدين
ترت يدك) أى اخترها واستمسك بها واطفر

د تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ،
ولجمالها ، ولدينها ، فاطفر بذات الدين تربت
يدك ،

والمراد بذات الدين : ذات الخلق والفضيلة ،
الذين يمثلها الدين ويحققهما ، ومن أول
ذلك أن تعرف حق ربها ، وحق زوجها ،
وحق أولادها وليس المراد من تنكثنى
بالصلاة والصوم فحسب ، مع كونها لا ترعى
ما استرعاه الله عليه ، فالمرأة راعية فى بيت
زوجها ومسئولة عن رعيتهما ،

ويدلنا ذلك على أن الإسلام لا يشير عليك
حين تختار زوجتك :

* أن تنشذ ذات المال ، فإن المال وحده
ليس من شأنه أن يسعد دائما ، ولا سيما
إذا كان مال المرأة ، فإن الرجل الذى يتطلع
إلى مال زوجته يتعب كثيرا تعباً نفسياً ،
ويتعب زوجته ، ولا يمكن أن تكون
السعادة كاملة فى الواقع الذى تهدى إليه
التجارب ، إلا إذا أحس الرجل بأنه هو
المنفق وهو صاحب الخير والإعداق من
ماله الخاص ، وكذلك المرأة إنما يسعدها أن
ترى الرجل كاسباً منفقاً يغمرها بكسبه
ونفقته ، فإذا أحست بأنه يعتمد على مالها
ويطمع فيه عاجت من هذا الإحساس لها
بمضا تنكته أو تبديه ، ويكون وقودا
لكثير من أسباب الشقاق والنزاع وتكدير
صفو الحياة الزوجية أرادت أم لم ترد ،

ومن تزوجها لما لها لم يزد الله إلا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ، ومن تزوجها لم يردبها إلا أن يغض بصره ، ويحصن نفسه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه) .
ويقول صلى الله عليه وسلم :

(تزوجوا الودود الولود) .

والودود : هي التي يكون حبها منبعثا عن إقبال روحي أكثر من أن يكون إقبالا شهويا ، أو عشقا ماديا ، ومن علاماته طهارة النفس من الأنانية في سبيل من توده ، والرغبة في إسداء الإحسان إليه المرة بعد المرة في تحن ولذة .

قال العلماء : وإنما أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اختيار من تحقق فيها هذان الوصفان ؛ لأن مراد الزوجية بتحقيق بهما ، ولا يتحقق بدونهما ، فالودود ترضى نفس الزوج من جهة المتاع النفسى ، والولود تحقق الغرض الأول من سنة الزواج وهو التناسل .
ولذا كانت الزوجية ودودا ولم تكن ولودا لم تتم سعادتها به ، ولا سعادته بها ، وكذلك إذا كانت ولودا ولم تكن ودودا .

ويعرف هذا الوصفان في الأبكار من أقاربهم ، إذ الغالب سريان طباع الأقارب بعضهم إلى بعض .

(والبحث موصول إن شاء الله)

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

بزواجها ، وليس معنى هذا ألا تبتغى الصفات الأخرى في الزوجة ، فلا تنتظر أبدا إلى المال ، ولا إلى الجمال ، ولا إلى الحسب ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يرشدك إلى ألا يكون ماعدا الدين هو المقصود لك فقط ، ويقول لك : إن الناس قد جرت عاداتهم غالبا أن يقصدوا إلى هذه النواحي وحدها ، فثم من يقصد المال ، ومنهم من يقصد الجمال ، ومنهم من يقصد الحسب والنسب ، فإذا رأى ما يقصده متحققا غفل عن الصفات الفاضلة ، ولم يعن بها ، ولم يكلف نفسه العلم بتحقيقها أو عدم تحققها ، غير ملتفت إلى عواقب ذلك وآثاره السيئة في حياته الزوجية المستقبلية ، ولكن الحسيف الواعى هو الذى يجعل مقصوده الأول ، الدين والخلق ، ولا مانع من أن يبتغى مع ذلك ما يرضيه ويسعده ويربح نفسه من الصفات الأخرى .

وهكذا نرى الدين يرشد إلى حسن الاختيار ، ويعطى هذا الدرس النافع في قواعد الاختيار ، على اعتبار أن ذلك هو الأساس الأول في استقامة الحياة الزوجية ، التي هي شركة الحياة .

ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

(لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها ، ولا لمالها فلعل ما لها يطغىها) .

وقوله عليه الصلاة والسلام :

(من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلا ،

أربّ مقارن : بركة وبحيرة بين البحري ولامارتين للأستاذ العضو الوكيل

(ماكون) الفرنسية في الحادي والعشرين من أكتوبر سنة ١٧٩٠ م ، لأب محارب شريف المحند ؛ يتصف بين قومه بالسباحة والمروءة ، وزار إيطاليا وهو في نحو العشرين من عمره ، وطوف بأرجائها ، وقضى في ذلك عاما كاملا ؛ وعمل بالسلك السياسي الفرنسي فاختر إيطاليا أو اختيرت له ومن نتاجه الأدبي « التأملات ، و التأملات الجديدة ، و د موت سقراط ، و د الأغنية الأخيرة لسياحة هارولد ، ثم د الهارمونيات ، وفي سنة ١٨٣٢ وهو في حوالى الأربعين من عمره قام برحلة إلى الشرق ألهمته كثيرا من الأحاسيس والخواطر ؛ ودون عنها مذكرات . وتولى منصب وزير الخارجية الفرنسية وعضوية الحكومة المؤقتة بعد ثورة سنة ١٨٤٨ التي كان لامارتين أحد زعمائها . وفي أثناء توليه الحكم لم ينس الأدب فكتب في النثر « جراتسلا ، و د رافايل ، و د المناجيات .

عاش لامارتين عمرا يكاد يكون في عدد

البركة في الشرق ، والبحيرة في الغرب البركة وصفها شاعر العميرين الخالد ، ونابعة الشام الأكبر ، والبحيرة وصف نفسه عندها وذكرها بما يناسب ، شاعر الفرنسية الفعل ، وقياساتها المترنمة .

الشاعر العربي هو أبو عبادة البحري ، الذى ولد بمنجج (قرأت ميمها بالفتح في بعض المصادر وسمعتها مضمومة من بعض الأدباء السوريين ، من جيران منجج) على مسافة أربعين ميلا تقريبا من حلب ، في سنة ٢٠٤ هـ وهى قرية تشتهر بالمياه الجارية والخضرة الفاتنة ، وهو شاعر من الشعراء الطائيين ، جمعت قبيلته المفاخر في جاهليتها وإسلامها ، والبحري نسبة إلى جده الأعلى بحتري . وتوفى سنة ٢٨٤ هجرية بعد أن عمر ثمانين عاما قضاه في التجوال وانتجاع الخلفاء والأمراء .

والشاعر الفرنسي هو الفونس دى لامارتين ، يطلقون عليه في فرنسا شاعر الطبيعة أحيانا وشاعر الحب والجمال أحيانا . ولد في مدينة

بينها وبين دجلة ، فيجعلها في المقام الأول والبحر في المقام الثاني ، ولكنه لم يبين وجه هذا السبق ، ولا في أية ناحية يكون ؛ لأنه أطلقها قضية واسعة بلا قيد ، ولكنه حين قرنها أو قارنها بدجلة ذكر أن الحسن في كليهما يتنافس ويتفاخر ، فالحسن هو الموضوع الجامع بينهما يقول البحرى :

بحسبها أنها في فضل رتبها
تعد واحدة والبحر ثانيها
ما بال دجلة كالغبرى تنافسها
في الحسن طوراً وأطواراً تباهاها
ثم يعود إلى مياه البركة بالوصف ، ولعله يقصد بذلك إلى بيان ما فضلت به على البحر ، وما جعل دجلة تغار منها ، يقول :

كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى في مجاريها
والبيت التالى لذلك بيت غريب وجميل
معاً ، لأنه يصور وقع نسيم الصبا على مياه البركة ، وهو في هذا البيت يشبه غضون وجه الماء الناشئة عن هبوب ريح الصبا ، بغضون الدروع المصقولة :

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا
مثل الجواش مصقولا حواشيها
ونرى أن البحرى ألقى على البركة - من خياله - بريح الصبا ، فأبدت الحبك وأشبهت الجواش مصقولة الحواشى ، ولكنه ضن

سنيه كعمر البحرى لأنه مات في الثانى من نوفمبر سنة ١٨٦٩ م بعد تسعة وسبعين سنة ودفن في « سان بوان » في غير احتفال ضخم أو حشد كبير لبعض الاعتبارات السياسية أو غيرها .

قصيدة البحرى في مدح المتوكل على الله ، الخليفة العباسى ، ووصف بركته ، تبلغ الأربعين بيتاً (١) منها عشرة أبيات هى المدخل إلى ما أراد من مدح الخليفة ووصف بركته ، وطبيعى أن تكون فى الغزل ، وفى علوة ، حبيته أو فى غيرها ، وإن كان هو قد ذكر ليلى فى مطلع القصيدة ، وهو يختم هذا المقطع الغزلى الجميل بهذه الأبيات الأربعة

الرائقة الشائقة :

لولا سواد هذار ليس يسلىنى
إلى النهى لعدت نفسى عواديها
قد أطرق الغادة البيضاء مقتدراً
على الشباب فتصينى وأصيبها
فى ليلة ما ينال الصبح آخرها
علقت بالراح أسقاها وأسقيها
عاطيتها غضة الأطراف مرهفة

شربت من يدها خمرأ ومن فيها
ثم يدخل دخولا مفاجئاً بلا تمهيد إلى البركة ، فيعقد موازنة بينها وبين البحر ، ثم

(١) مرجعنا ديوان البحرى طبعته مطبعة هندية بالموسكى بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .

أما رأت كالى الإسلام يكلؤها
من أن تعاب ، وبانى الجدد بينها
والبحترى حين يرى شيتا هائلا بالغا
الغاية فى الإبداع والإتقان ينسبه إلى الجن ،
جن ساليان أو غيرهم فهو هنا يقول :
كأن جن ساليان الذين ولوا
إبداعها فأدقوا فى معانيها
وهو فى قصيدة الإيوان يقول :

ليت شعرى أصنع إنس لجن
سكنوه أم صنع جن لإنس
وهو يشير فى الشطر الأول إلى خرابه
حق أصبح مسكنا للجن .

وصورة النجوم حين تبدو فى ماء البركة
منعكسة ، يصورها البحترى فى بساطة
بلا تعقيد ، ووصلها كأنها حديث قروى
يتعجب !

إذا النجوم تراءت فى جوازها
ليلا حسبت سماء ركبت فيها
وقد أعجب أحد النقاد المحدثين بهذا البيت
حتى جعله صورة فذة فى شعر العرب كله ،
قل أن نجد له مثيلا .

وقد وضع المتوكل فى البركة سمكا ، وعلى
حافاتها وضع مقاعد للجلوس ، وبالقرب منها
رسم صورة لدلفين (وهو الدرفيل) وجمع
البحترى صفة السمك ورسم الدلفين فى قوله :

لا يبلغ السمك المحصور غايتها
لبعد ما بين قاصيها ودانها

على البحر وعلى دجلة بمثل هذه الريح ، فلم
يلق عليهما من خياله ريحا ، ولم يلتفت حتى
لما يلقيه الله عليهما من هذه الريح فى بعض
فصول السنة ، أو بعض آناء الليل والنهار ،
وفى البيت الذى يلى هذا محابة واضحة لبركة
المتوكل ، رتها البحترى بترنيمه البارح الفاتن
ليجعل الفضل للبركة بغير منازعة من البحر
أو من دجلة .

فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها
وريق الغيث أحيانا يباكيها
أما الشطر الأول فهو يشير إلى سقوط
ضوء الشمس عليها ، ولعمان مياهها على إثر
ذلك مما يمكن أن يشبه بالضحك ، وأما
الشطر الثانى ففيه دقة ملاحظة عجيبة لشاعرنا
العظيم ، فإن المباكة - بصيغة المشاركة -
تقتضى أن تبكى البركة إذ جادها ريق الغيث ،
فإذا سقط على مائها ارتدت قطرات منها صعدا
إلى أعلى ، فكأنها ترد على بكاء الغيث ببكاء
منها ، وهى ملاحظة عجيبة تدل على دقة الشاعر
وبراعة تصويره .

وفى وسط هذا الجو الشعرى الجميل ، يضع
البحترى بيتا فى مدح المتوكل ، فيخشد
شعورنا به خدشا ، ومالنا ولهذا المديح
فى وسط هذا الجو الجميل من مياه البركة
ودجلة ، ونسيم الصبا وحاجب الشمس
وريق الغيث ؟

يعمن فيها بأوساط مجنحة
كالطير تنقض في جو خوافها
لهن صحن رحيب في أسافلها
إذا انحططن وبهو في أعاليها
صور إلى صورة الدلفين يؤنسها
منه ازواء بعينين يوازيها
ثم لم ينس الشاعر ما حوّلها من الخضرة
والنضرة فقال :

تغنى بساتينها القصوى برؤيتها
عن السحاب منحلا عزاليها

وقد ترجم البحيرة إلى العربية نظماً ونثرًا
كثيرون ، ومنهم الدكتور نقولا فياض
الذى نظمها معربة واستلها بقوله :

أهكذا تنقضى دوماً أمانينا
نطوى الحياة وطيف الموت يطوينا
يستهل لامارتين قصيدته بقوله :

هكذا، دائماً، ندفع إلى شواطئ جديدة (١)
في الليل الأبدى ، حيث لا عودة .
ألا يمكننا في بحر السنين الخضم .
أن نلقى مراسينا ولو يوماً واحداً ١٤ .

* * *

ليه ، أيتها البحيرة ، لقد أتم العام وشيكا
دورته .

وإلى جانب الموجات الجببية التي كان يجب
أن تراها من جديد .

انظري ... إنني جئت وحيدا ... أجلس
على هذه الصخرة حيث رأيتها - أيتها
البحيرة - تجلس ! .

والاستهلال بهذه الصورة يصور عاطفة
منجوعة في نفس الشاعر الذي فارقه حبيبته ،
ونأت عنه ... وآب إلى مكان ملتقاهما
وحيدا يتلس عزاء نفسه فلا يجد إليه سبيلا .
ثم يوجه حديثه إلى البحيرة مذكرا إياها
بأندها وتكسر أمواجها على الشاطئ

وهو معنى غريب وطريف أن تكفي
الرؤية وتغنى البساتين عن طلب الرى ...
محفوفة برياض لا تزال ترى
ريش الطواويس تحكيه ويحكىها
أما قصيدة لامارتين « البحيرة » فهي من
مشهورات الأدب الفرنسي على مدى الزمان ،
ويقول عنها أحد النقاد عند ذكر وفاة
جوليا حبيبة لامارتين :

« وما هو جدير بالذكر في هذا الموضع ،
أن هذه الحادثة الغرامية ، قد أنتجت للأدب
الفرنسي ثماراً شهية ، وزهوراً بهية ، لا يزال
يتيه بها على الآداب الأخرى عجباً وخرأ ،
وذلك مثل قصيدة البحيرة التي بلغت من الشهرة
حداً لم تبلغه إلا بضعة قصائد لالفريد دي
موسيه ، وفيكتور هيجو والسكوت دي ليل .»

(١) الترجمة للسيدة زوج كاتب المقال .

وما سر أمام عينيه من مناظر خلابة في البحيرة
وما حو لها ، قد امتزجا في نفسه فبقيت الذكرى
متمثلة في سكون البحيرة ، وفي عواصفها ،
وفي تلاها الضاحكة وفي شجرات الصنوبر
الداكنة ، وفيما هناك وهنا من صخور رهبة
المنظر تقف على شاطئ البحيرة . يقول :

« لحفظي أيتها الطبيعة الجميلة على
الأقل ذكرها .

لتكن في سكونك ، في عواصفك .
أيتها البحيرة الجميلة ، وفي مناظر تلالك
الضاحكة .

وفي شجرات الصنوبر - هذه - الداكنة ،
وفي هذه الصخور المتوحشة . التي تتعلق
فوق مياهك .

لتكن في النعمة التي ترتعد وتمر .
في ضجة الشيطان .
في ذلك الكوكب ذي الطلعة الفضية تبيض
بها صفحتك .

وبين من ذلك أن لامتري ، قد صرف
همه إلى بث عاطفته المشبوبة ، وإن يكن
قد صور بخطوط بعيدة دقيقة هذه البحيرة
بشطانها وصخورها وأشجارها وكانت مناظره
مزوجة بأحاسيسه وعواطفه بخلاف زميله
العربي الذي انصرف إلى الوصف الحسي ،
مراعي الدقة البالغة فيه ، حتى إنه لم ينس
أن يذكر لنا ملاحظته في عيون الدلفين

ثم بالريح وهي ترمي بزيد الأواج تحت أقدام
الحبيبة .

ثم يجرى حديثه عن الزمن يمر على
السعداء فيتمنون لو طال ، وعلى التمساء
الاشقياء فتكون سعادتهم في مجلته ومروره
مسرعاً .

وفي خلال ذلك يصور الزمن والإنسان
بصورة تبلغ الذروة في جمالها وإبداعها يقول :
لنسرع !
لنستمتع !

إن الإنسان ليس له مرمى ، والزمن
ليس له شاطئ .

هو يجرى ، ونحن نمر .
وإنه ليتشبث بلحظات النشوة والسعادة ،
فيتمنى لو بقيت على الأقل ذكرها بعد أن
تذهب ويقول إن « الزمن الذي أعطاها ،
هو نفسه الزمن الذي عاها ، ولن يعيدها
إلينا أبداً . ويقف برهة ليسائل الأبدية
والعدم ، والافق الغام ، لماذا تبتلع الأيام
وماذا تفعل بها ؟ .

وينصرف من هذا كله إلى توجيه الخطاب
إلى البحيرة ، وإلى صخورها الخرساء ،
ويقول إن الزمن تستطيع كفه أن تمحوها
كما تستطيع أن تبحث فيها الشباب .

على أن ذكرى حبيبته ، وما قضاه معها
عند البحيرة من لحظات السعادة والهناء

المرسوم تجاه البركة من ضيق أو اتساع . الحق أن درة لامارتين فريدة من فرائد الشعر أبداع البحترى في وصفه إبداعاً عظيماً ، إلى نعم ، ولكنه لم يزد على ذكر ما رآته عينه في البركة وما حولها ، ونسى نفسه هناك ، وماذا يجعله على ذكرها ، وليس له عند البركة غرام ضاع أو حب تبدد ، على أن لامرتين رأى البحيرة ورأى نفسه فيها ، أو العكس ، رأى نفسه ورأى البحيرة فيها ، هذا صحيح ، وذلك صحيح ، ألم تلاحظ أنه بعثر ذكريات أيامه ولياليه على سكور البحيرة ، وعواصفها ، ومناظر تلالها ، وقسوة صخورها ، وفي أشجار الصنوبر التي تقف بجوارها .

المرضى الوكيل

المال مال الله والإنسان مستخلف فيه

الإنسان حين يهبه الله شيئاً من ملكه الواسع بطرق التملك الشرعية وقواعد الكسب النظيفة الشريفة ، يصبح خليفة عن ربه في هذا المال ، أو يصبح - بتعبير العصر ، والله المثل الأعلى - وكيلاً عن الله في المال . ومن الأمور المتفق عليها أن الوكيل يجب عليه أن ينفذ أوامر موكله وإلا لم يكن صالحاً للخلافة أو الوكالة ؛ ولذلك يقول القرآن عن المال : « أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، أى المال الذى جعلكم الله مسيطرين عليه بمقتضى استخلافه لكم فيه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المال مال الله وأنا عبده » .

بين الكسائي وسيبويه :

كيف نكتب البحوث الأدبية

للأستاذ محمد رجب البيومي

المرموق ، فأسرعت إلى قراءة المقال قبل
سواء من موضوعات العدد ، فوجدته يدور
حول مناظراته لسيبويه في المسألة الزنبورية
الذائفة لدى كل من درس النحو العربي !!
وقد زاد عجبى وأكاد أقول لم أصدق عيني مرة
ثانية حين وجدت الكاتب المطلع يكتب
اسم (الفراء) العالم النحوى الجليل (الفراء)
هكذا بالعين لا بالفاء ويكرره تسع مرات
كيلا يظن بخبول أنه خطأ مطبعي يتكرر
ويتكرر حتى يصل إلى المرة التاسعة !!

هكذا يا قوم يجهل اسم الفراء لدى أديب
يتحدث عن أعلام النحاة ويوازن بين الأئمة
في مجلة أدبية تقوم على النهوض بالأدب العربى
أما والله لو جهل اسم الفراء تليذ في القسم
الابتدائى بالأزهر يقرأ قطر الندى بالسنة
الثالثة وشذور الذهب بالسنة الرابعة لرهب
في الامتحان !!

فكيف لا يعرفه محققو اليوم عن يتهدون
لتحرير خلاقات النحاة ويحكمون على سيبويه
والكسائي في مجلات الأدب بالقطر الشقيق !
أهذا ارتقاء أم انحدار ؟ ...

ما كنت أظن أن الصحافة الأدبية في أيامنا
هذه ستتحدر بالأدب انحدارا وخيم العاقبة
حتى تلقيت العدد السادس من السنة الخامسة
من مجلة الغربال اللبنانية ، فتصفحت ودرس
موضوعاته على عجل ، فأدهشنى أن أجد عنوانا
كبيرا يحتل رأس صحيفة كاملة بخطه العريض
الممتد ، وكدت أن أكذب عيني ، ولكننى
أحدق ، وأحدق ، فأجد العنوان يقول :
الكسائي وصحة عار في جبين الضاد ، وأنا
رجل أعرف الكسائي وقد قرأت ترجمة
حياته في أكثر من كتاب ودرست آراءه
في العلوم العربية في شتى المراجع العلمية ،
ولا أذكر فيما قرأت أن هذا العالم اللغوى
النحوى القراء أتى من الأفعال ما يجعله عار
العربية بكتبها ورجالها .

هذا إذا جردناه من روايته الأدبية
وقراءته السبعية ونخرى بجاته العلمية وجعلناه
بجرد إنسان يأكل ويشرب وينام ! وقلت
في نفسى لعل الكاتب الأديب قد عثر على
مخطوط نادر لم يعرف عنه أحد شيئا ، فأسرع
إلى إعلان ما اكتشفه من عار هذا العالم

الشدة المسرفة في القسوة ، فكان الكسائي من الرواية والقراءة والنحو يفرض علينا أن نكبره ونعرف فضله . ومهما يجمع الجمعون على أن القول ما قال سيديويه فإنني أحب ألا ننسى أن مذهب سيديويه وأصحابه في النحو كان مذهب قياس وتعليل ، وأن مذهب الكسائي وأصحابه كان مذهب سماع وتقليد للعرب وأن لكل من المذهبين خطره وقيمه . هذا وقد انشاق كاتب المجلة في تأييد حكمه على الكسائي إلى ذكر أقوال تاريخية لأناس ينتقصون الرجل من مثل قول ابن درستويه : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً يقيس عليه حتى أفسد النحو » .

ومن مثل قول الأصمعي : « أخذ الكسائي اللغة عن أعراب من الخطئة ينزلون بقطر بل فلما ناظر سيديويه استشهد بلغتهم عليه » .

ومن مثل قول محمد الزبيدي :

كنا نقيس النحو فيما مضى
على لسان العرب الأول
جسام أقوام يقيسونه
على لنى أشياخ قطر بل
فكلهم يعمل في نقض ما
به يصاب الحق لا يأتلى
إن الكسائي وأصحابه
يرقون في النحو إلى أسفل

وقد ذكر الكاتب الفاضل بين مصادره كتاب الأستاذ كامل كيلاني « صور جديدة من الأدب العربي » وقد رجعت إلى الكتاب فوجدت السيد الأديب قد لحصه تلخيصاً مقتضباً ، ولم يذكر حقيقة واحدة ليست به ، والحق أن الأستاذ الكبير كامل كيلاني رحمه الله قد قسا على الكسائي قسوة عنيفة ولكنها قسوة الدارس الفاحص الذي يعرف مقام صاحبه فهو لم ينحدر إلى مثل هذا العنوان المزعج الذي ارتضاه صاحب المقال ، وشجعه رئيس التحرير فكتبه بالبنط العريض على رأس صحيفة كاملة ، ومع أن الأستاذ كامل كيلاني لم ينحدر انحدار الكاتب - وحاشاه أن يفعل - فقد كانت قسوته على الكسائي موضع مؤاخضة صادقة من تعرضوا لكتابته ولم يفت الدكتور طه حسين أن يشير إليها في المقدمة التي افتتح بها الكتاب حيث يقول ما فسه ص ١٥ :

« وكامل شاب شديد النشاط لا يخلو من حدة وعنف ، فهو إذا اقتنع لم يقتنع بعقله وحده ، وإنما اقتنع بعقله وقلبه وشعوره ، وفيه كرم يتجاوز به الإنصاف إلى الإسراف في الإنصاف ، فهو لا يكتفي بأن ينصف المظلوم بالحكم له ، بل يريد أن يعاقب الظالم بالإلحاح عليه وتشديد العقاب » .

وما أرى أن الكسائي يستحق منه هذه

إن من يتعرض لمثل هذه المناظرة ، لا يكتفى بأن يذكر ما كان ، دون تنقيب عن البواعث والأسباب كما فعل الأديب في مقاله ، فقد كتب ما لا يخرج عن أن الكسائي كان صنيعة اليرامكة وحين علم بقدم سيديويه إلى بغداد ذهب محزوناً إلى يحيى وجعفر البرمكي . فقال : أنا وليكما وصاحبكما ، وهذا الرجل إنما قدم العراق ليذهب محلي . قالوا : فاحمل لنفسك فإننا سنجمع بينكما .

و حين تقابل الرجلان قال الكسائي : يا بصرى كيف تقول : كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي ، أو فإذا هو إياها ، فقال سيديويه : فإذا هو هي . فقال الكسائي : أخطأت ولحنت ، فأسرع يحيى بن خالد بن برمك ليقول : هذا موضع مشكل فمن يحكم بينكما ؟ فقال الكسائي : هؤلاء الأعراب على الباب ، فأذن لهم فدخلوا فقال الكسائي : كيف تقولون : قد كنت أحسب أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا الزنبور إياها ، فقالت طائفة فإذا الزنبور هي . وقالت أخرى فإذا الزنبور إياها بعينها ، فقال للكسائي : هذا خلاف ما تقول يا بصرى !! ، فرد يحيى مخاطب سيديويه : قد تسمع أيها الرجل ! وينسكسر سيديويه ويستكين !! هـ .

ذلك تلخيص ما قال ، وهو به لم يقدم

ونحن نعلم أن مثل هذه الأقوال وحدها لا تخفض عالمه مكاتته ، إذ أن المتذيع المنقب عن تراجم العلماء في الشرق والغرب يجد أمثال هذه الأقوال تلصق بأفذاذ العلماء من خصومهم ونظرائهم !! ولا يخلو عالم ما من طعنات وجهت إليه ودونها خصومه ، حتى إن أبا حنيفة مثلاً على رسوخ قدمه في الفقه ، وقوة عقله في الاستنباط ، واتساع أفقه في الرأي وصدق يقينه في العقيدة قد رى بالمرق والمعصية ، وتجراً بعض خصومه فوضع كتاباً كبيراً في ثلبه يحمل من الأقوال ما يشين !! ولم يضر أبا حنيفة العظيم أن قيل فيه ما قيل ، بل جاء من تلاميذه من دحض الباطل فأزهقه بميزان التحقيق والإنصاف ، فالإكثار من هذه النقول المغرضة لا يفيد شيئاً دون دراسة آراء الرجل ، وتقويم أفكاره ، ورسم اتجاهه ومنحاه !! وهي بعد ليست ذات غناء .

وأنا هنا في هذا المقال لا أبرئ الكسائي من التحامل على سيديويه ، قتلك من الحقائق التي لا يستطيع إنكارها أشد الناس حماسة للكسائي ! ولكني أمتنع أن يكون السبب الجارح طريق البحث العلمي ، وأنكر أن يتعرض كاتب إلى الخط من شأن الثقات من الأئمة بنقول مبتورة ، وحوادث لا تجد حظها من التحليل والتفسير !! .

والنظرة المنصفة ترى في مذهب البصرة إلتقانا وتخريجاً وتقعيداً .

وفي مذهب الكوفة توسعة وجمعاً يوقعان في الفوضى والاضطراب ! ومن هنا كان قول بعض الأعراب : فإذا هو إياها ليس حجة في منطق سيبيويه ؛ لأنه على فرض ثبوته وإخلاص من تسلم به ، شاذ لا يقاس عليه ، وكان الكسائي في تهالكه على هؤلاء الأعراب يسلك مسلك أهل بلده من الكوفيين بمن يتمسكون بكل لفظ يقال ، على أن التواطؤ مع هؤلاء البداة في مسألة سيبيويه بالذات يضعف فيهم ثقة الدارسين من العلماء والرواة !! فهو شاهد جديد على قوة المذهب البصري وسلامة منجاءه .

هذه واحدة : أما الثانية فقد كان على الكاتب أن يذكر أن الدولة العباسية قد احتضنت علماء الكوفة دون علماء البصرة . فجعلتهم أساتذة الدولة الرسميين يترأسون المجالس وقيمون المناظرات ويأخذون النذر والهبات ويعلمون أولياء العهد وأولاد الخلفاء والأمراء ، فزاد نفوذهم وعلت كلمتهم . ولم تنظر الدولة في إعلاء كلمتهم وتفضيل مكانتهم إلى ما حصلوه من الثقافة في العربية بل نظرت إليهم نظرة سياسية فرأتهم يميلون إلى بني العباس وكانوا في مبدأ أمرهم علويين يخلصون لبني هاشم ، فهم أنصار أهل

جديداً يشبع رغبة القارىء أو يسلف تمهيداً يفسر ما اطرد عليه الأمر من تفضيل رجل على رجل دون مزية تعلية ! وكان عليه أن يذكر - أولاً - أن سيبيويه بصرى ، وأن الكسائي كوفي ولقد كانت البصرة سابقة مجلية في خدمة العربية قبل الكوفة ، إذ أن أكثر متقدمي العلماء بصريون درسوا اللغة وجمعوا شواردها وأصلوا قواعدها ، حتى صاروا أساتذة غيرهم ، وقد ذهب الكوفيون إلى علماء البصرة ينهلون من مواردهم ويجلسون منهم بحال التلاميذ من الأساتذة ، وكانت الطبقة الأولى من علماء الكوفة تلاميذ الطبقة الثانية من علماء البصرة والكسائي نفسه قد طلب النحو كبيراً ، وتوجه إلى الخليل البصري يقطف من روضه ويأكل من ثمره ثم قرأ كتاب سيبيويه نفسه فزاد به علماً وإطلاعا ، كل ذلك قد أحل البصرة محل الصدارة من العربية وعلومها وجعلها ترتضى في النحو مذهباً قوياً حين تقعد القواعد على أساس الأعم الأغلب من المرويات ، وتعتبر الشاذ نادراً لا يقاس عليه .

أما علماء الكوفة فلم يكن لديهم ما يؤهلهم إلى القياس النحوي وضوابطه فجعلوا مبدأهم الأول قبول ما ورد عن العرب مما يندرج تحت قاعدة أو لا يندرج ، وزادوا فاعتبروا الشاذ النادر أصلاً ، وجعلوا يقيسون عليه !

واستحقاق 11 فإذا كانت الأخلاق الفاضلة تحرم عليه أن يستعين بوزراء الدولة وصنائعهم من أعراب البادية على قهر الحق وغطط الينبوع فإن حرصه الأكيد على منزلته العالية التي يعرفها له الناس جعله يركب الصعب فيتأمر على وفاد طارىء يحصل معه كفاءته وامتيازته 1.

ونحن لا نحاول أن نبرر مسلكه ، ولكننا نفسره على وجهه الصحيح ونعتبره مع ذلك خطأ تورط فيه تحت تأثير قاهر ، لظروف خاصة يترفع عنها قليل من الناس ، ويخضع لسلطانها كثيرون !! ويخيل إلى أن مبالغات كثيرة قد أحاطت هذه المناظرة ، ومن أهمها ما يقال من أن سيديويه قد مات بعدها بقليل متأثراً بانهزامه ، وهذا ربط للسبب بغير أسبابها ؛ لأن سيديويه لم ينهزم إطلاقاً في معتقد نظرائه من العلماء ، فكلمهم قد اعترف بصوابه وسداده ، وزاد الأخفش فلجأ إلى الكسائي ليوبخه ويناقشه بمشهد من تلاميذه ومريديه وليعلن حق سيديويه وباطل الأعراب من المتحيزين ، ولم يجرؤ عالم في حياة سيديويه أن يقول بغير رأيه في مسألة الزنبور والعقرب غير بضعة أفراد يلتفون حول الكسائي ليستعينوا بجأه ، وهم بينهم وبينه يعرفون بأصالة سيديويه وتوفيقه .

البيت 1 وهم بعد قيام بني العباس حصن دفاعهم الممكنين وصياح قوتهم الناهضة .

أما البصرة فأموية متمسبة 1 لذلك كان الكوفيون من هذه الناحية وحدها أولى بالتصدر والاستعلاء 1 ، وكانت منزلة الكسائي وهو رئيس علماء الكوفة لعهد أرقى المنازل العلمية في بلاط الرشيد فهو مؤدب الأمين ولي عهد الرشيد ، وصاحب سمر الحليفة ورفيق سفره ، فإذا نهض سيديويه ليحتل مكانته بعلمه وذكائه وشبابه فلا بد أن يلتجئ الكسائي إلى من يعتصم به ويحميه ولا بد أن يقف وزراء الدولة من البرامكة منه موقف المؤيد المعين ، ولقد كان سيديويه يظن أن السبق العلمي وحده سيضمن له الفوز في مناظراته فذهب الواقع المؤلم بظنه الخبيث !! .

على أني أقدم ذلك وأبجله ؛ لأقرر أن الكسائي بشر له أطاع الإنسان ورغائبه ، وهو فيما بينه وبين نفسه يستشعر قوة سيديويه وتمكنه ، ويعرف أنه استفاد من كتابه العظيم قبل أن يراه ويتأكد أن هذا الشاب البصري الذي يتفقد حماسة ، ويتأجج قوة وشباباً يستطيع في جولاته الأولى أن يذل شيخوخته ، ويكشف الكوفة عن مكان الصدرة ليحتلها البصريون عن جدارة

اللهم إلا إذا عد بعده عن السيطرة في قصور الخلفاء انهما في مرأى من يجعلون أقدار العلماء وفق المناصب والألقاب ! وهؤلاء ليسوا من ذوى الرأى بحال ...

نستطيع بعد ما تقدم أن نحكم في اطمئنان بأن كاتب الغربال قد تسرع في عنوان مقاله من جهة أولى . كما أغفل البواعث والأسباب من جهة ثانية ، وهو مع ذلك قد غفل عن حقيقة القول الجارحة بما تلتحق عادة بجميع الفضلاء ، وله ولكل كاتب يدعى البحث أن يراجع مناهج تفكيره من جديد ليعلم أن الكسائى لم يكن بزلة واحدة وصمة عار في جبين الضاد وأن الحياد العلمى يلزمنا بالحكم الناقد دون تجريح ، ولو كنا نسلك مسلك هذا المتسرع ، لقنا : إن مقاله عن الكسائى كان وصمة عار في جبين البحوث العلمية . ولكننا لا نستطيع أن نقول ذلك إذ لا يعقل أن تنهى عن خلق ونأتى مثله فنخسر الجولة في الميدان ؟

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

أما بعد وفاة سيويه فقد أنصفه جميع من كتبوا من المناظرة في مدى ألف عام أو تزيد ، ومن أحسن الظن بدخيلة الأعراب لجأ إلى التأويل المتعسف لجاءت توجيهاته بمنأى عن السداد ، ولعل ابن هشام النحوى هو أشهر من تبرع بتجريح رأى هؤلاء إذ تصدى في معنى اللبيب إلى إيجاد أعراب مقتعل يجعل كلمة إياها مقبولة بعض الشيء ، وابن هشام من الرسوخ بحيث يستطيع أن يخطئ الصواب ، ويصوب الخطأ في عصر يعتمد على التأويل البعيد ! وهو أيضا بشهادة ابن خلدون قريح سيويه ونظيره حيث يقول في مقدمته : « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع عن ظهور عالم بمصر يقال إنه أنحى من سيويه وهو ابن هشام ، فإذا ما تصدى لتأويل جملة يظن أن بعض الأعراب قد نطق بها فإنما يتعرض لتعليل شيء شاذ نادر لا تبني عليه قاعدة صحيحة كما يتوهم الكسائيون . وحسب سيويه أن ينصفه العلماء في حياته ويتجمع خلفاؤهم من بعده على تأييده ! فأين الانهزام الشنيع ؟

قال عمر بن عبد الله الاغماتى :

ترجع عنه نفسه داخرة
بل ملكا فيها وفي الآخرة

من يطلب العز بغير التقى
اعرض عن الدنيا تكن سيداً

القهوة حرام...!

قصة لها دلالة

للأستاذ محمود الشرفاوى

الله ، وفعل ذلك زهادة وزيادة قربى ولم يلزم به غيره ولم يجزم بتحريمه ولم يفت به الناس ، فذلك شأنه لنفسه وتزيده عليها . ولكن بعض المفتين - فى الزمن القديم والزمن القريب - والحاضر أيضا - لا يكفيه ذلك .

* * *

نحن وكثير من المتصوفة والعلماء نقول ويقولون عن « القهوة » ، إنها : « خمر الصالحين » ، ولكنها لم تستقر على هذا الوصف ، بل لم يحل شربها ، إلا بعد مقارعة وسيط ضرب بها شاربوها ، ودماء جرت من الذين كانوا يقولون بأنها حلال ويبيحونها لهم .

وهذه القصة ذات الدلالة كتبها مؤرخ عالم من رجال القرن العاشر الهجرى ، هو الشيخ عبد القادر الحنبلى الأنصارى ، وعنه نلخصها فى هذه السطور^(١) . . . اعلم أن القهوة هى الشراب المتخذ من قشر البن ، أو منه مع حبه المجعم ، أى المقلى . . . من قائل بحرمتها

إذا حرم الله على الناس أن يأكلوا أو يشربوا شيئا تحريماً صريحاً قاطعاً ، كما حرم القرآن الميتة والدم والخنزير ، وكما حرم القرآن وحرمت التوراة لحم الخنزير ، فقد قطعت جبهة قول كل خطيب ، كما يقول المثل العربى القديم .

ولكن بعض الناس وبعض المفتين ورجال الفكر الدينى يقدمون على تحريم أشياء تطوعاً منهم واجتهاداً . يفعل هؤلاء ذلك ميلاً منهم إلى التشدد والتزيد والصرامة . وقد يرى بعضهم أن ذلك خير له وأكرم لمنزله وأظهر لحسن سمعته بين الناس ، ويسمع ذاك البعض من الناس ويطيع اعتقاداً منه بأن هذا التشدد وهذه الصرامة والتزام ما لا يلزم ، بتحريمه ، يجعلهم أقرب إلى الله وأدنى إلى مشوبته .

حال هؤلاء وأولئك يذكرنا بما قصه القرآن الكريم عن أولئك الذين ابتدعوا الرهبانية^(٢) « ما كتبناها عليهم » . وإذا حرم الإنسان على نفسه ما لم يحرمه

(١) كتابه : « عمدة الصوفية فى حل القهوة » .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الحديد .

عقد العلماء مجلسا عند هذا الأمير أصدروا فيه حكمهم بتحريم القهوة : « وكتبوا بذلك محضرا أنشأه لهم الشيخ شمس الدين الخطيب وطلبوا من السلطان منع الناس من شربها بعد ثبوت حرمتها : « ولما انصرفوا - أي كبار العلماء - من مجلسهم بعد تحريم القهوة ، أخرج الأمير خاير بك المنادين في الأسواق والطرقات بتحريم شربها ومنع الناس من ذلك وشدد في ذلك حتى أنه عزز جماعة من باعتهما وكبس مواضعهم وأخرج ما وجده فيها من قشر البن وأحرقه وسط المبيع » .

ولم يكن شمس الدين الخطيب وجماعته هؤلاء وحدهم هم الذين أفتوا بتحريم القهوة . بل جاء بعدهم - في سنة ٩٣٩ هـ - الشيخ العلامة واعظ العصر شهاب الدين أحمد السفاطي الذي رفع إليه سؤال هذه صورته :

ما قولكم ، رضي الله عنكم ، في شراب يسمونه القهوة يجتمع عليه الجماعة يشربونه ويزعمون أنه مباح ... فهل ذلك جائز أم حرام ... ؟ ، فأجاب الشيخ العلامة واعظ العصر : « بحرمتها وأنها مسكرة ... » ،

وبعد ذلك بثلاث سنوات تحدث الناس إلى الشيخ مرة أخرى في أمر القهوة في مجلس وعظه : « فأفتى بحرمتها وصمم على ذلك في مجالسه بالجامع الأزهر » .

مفرط في ذمها والتشنيع على شربها . . . وبالغ القائل بحرمتها فادعى أنها من الخمر وقاسها به وسأوى . . . إلى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية إلى الجسدال والفتن وحصول ما أدى إلى منازعات ومحن بمكة والقاهرة والمنع من بيعها وكسر أوانها بل إلى تعزيز باعتهما بالضرب وغيره ، وإلى تأديبهم بضياغ مالههم وإحراق القشرة المتخذة منه في كرات متواترة ، وبالغ الذم لها أن شاربها يحشر يوم القيامة ووجهه أسود من قعور أوانها . . .) .

ثم يقول الشيخ العالم المؤرخ : إن القهوة عرفت بمصر ، أول ما عرفت ، في « حارة الجامع الأزهر » ، وكانت تشرب في نفس الجامع « برواق اليمن » ، كما كانت تشرب بمكة في نفس المسجد الحرام . وبقي الحال على هذا إلى أن ظهر « عالمان » أخوانا كان بمكة ثم خرجا منها إلى القاهرة قالا بتحريمها وتأثم شاربها وتعزيره ، وأيدهما في ذلك عالم آخر كبير من علماء عصره هو : « شمس الدين الخطيب تقيب قاضي القضاة سري الدين ابن الشحنة وأناس آخرون فأغرى شمس الدين الخطيب الأمير خاير بك معمر باش مكة ومحسبها إذ ذاك على إبطائها من الأسواق ومنع الناس من شربها ، وقرر عنده أنها موصوفة بتلك الأوصاف القبيحة ورغبه في ذلك جدا ، ثم

في قصة القهوة هذه نجد الناس قد عرفوا نباتا طيبا بما لم يحرمه الله فشر به ووجدوا منه نشاطا وخفة ومنافع ، فحمدوه وأقبلوا عليه سنين كثيرة ، حتى خرج عليهم شيخان أخوان وعالم كبير أو عالمان حرموا هذا النبات الطيب وأدخلاه في عداد المسكرات وسلطوا على الناس حاكما آثما يضربهم ويسجنهم ويوقع عليهم الشر ويبدد أموالهم ويحرق بضاعتهم ، ويعتدى على كرامتهم ، ويعطل أسباب رزقهم

كل ذلك كان ، باسم الشريعة والدين ، وبقى هذا الشر واقعاً على الناس نصف قرن أو يزيد . ثم بقي منه ظل وأثر يمتد وينحسر أكثر من مائتي سنة .

وكذلك نجد في هصور كثيرة متباعدة ، من قال بتحريم الدخان ، شرباً ومضغاً ، منهم العالم الكبير الشيخ علي الصعيدي الذي قيل في سيرته أنه كان إذا رأى من يشربه : « كسر آلة الشرب ولو كانت في يد أمير الأمراء » (١) .

وقد رأينا في عصرنا هذا من يقول بتحريمه ويقم الحد على شارب ، ومن يقول بتحريم سماع الراديو لأن فيه شيطانا ... !

(١) تفصيل ذلك وترجمة الشيخين الصعيدي والسيواس في كتابنا : « دراسات في تاريخ الجبرتي ، مصر في القرن الثامن عشر » . الجزء الثاني من الطبعة الثانية .

عند ذلك ثارت الفتنة وعلت نارها : « فتعصب جماعة من القوم لما سمعوا منه ذلك ، وخرجوا إلى بيوتها من تلقاء أنفسهم ... وكسروا أوانيها ، وضربوا جماعة ممن كانوا هناك ، فقام بسبب ذلك فتنة » . وبعد أربع سنوات أخرى « بينما جماعة في بيوت القهوة يستعملونها في شهر رمضان بعد العشاء ، وافاهم العسس وأخرجوهم منها بهيئة شنيعة ، بعضهم بالحديد وبعضهم مربوط بالحبال ، فباتوا في منزل السوباشاء « السجن » ، وضرب كل واحد منهم سبع عشرة ضربة » .

وبعد ذلك بخمس سنوات أخرى - ٩٥٠ هـ - ورد إلى مكة مرسوم من السلطان : « بمنع القهوة وإبطالها ، وإلزام باعها بمنع التسبب فيها وإبطال محالها » .

وقد أطلت في هذه القصة التي سجلها الشيخ عبد القادر الأنصاري ليدرك القارئ معنى مقدار هذه « الفتنة » التي أثارها علماء ومفتون بتحريمهم القهوة ، وما أصاب الناس من عنف وشر مدى نصف قرن في مصر والحجاز بسبب هذا التحريم .

بل بقيت من هذه الفتنة آثار وآثام لما بعد ذلك بقرنين ، ففي القرن الثاني عشر في القاهرة ، نجد الشيخ علي السيواس - وكان من كبار علماء عصره - يقول بتحريم القهوة ، وأن صديقاله أهداه « فرق بن » في زواج بخته فألقاه في المرحاض ؛ كأنه خمر نجس .

إلا طلبة « واحدة »^(١) وأن هذه الوثيقة الشرعية ، التي حررت في « المجلس الشرعى » الذى انعقد لتقرير اتهام ابن تيمية ، أرسلت من دمشق إلى الملك الناصر فى القاهرة فأمر بسجن ابن تيمية فسجن ، وبقي فى سجنه هذا حتى مات .

ووقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلبة واحدة ، الذى كان تهمة يؤخذ بها ابن تيمية ويدخل فيها السجن حتى يموت ، هو الذى لا يقول بغيره الآن قاضى شرعى فى مصر ، وكان هذا الحكم هو الذى يجرى به العمل فى عهد النبى عليه السلام وفى عهد خليفته أبى بكر وشطر من عهد عمر ، حتى أمر هذا بوقوعه ثلاث طلقات تصعبا على الناس وعقوبة لم على تسريحهم فى كلفة الطلاق .

وهذا ما كنا نضع المبادئ والتعديلات الجديدة لقانون « الأحوال الشخصية » فى السنوات الثلاثين الماضية ، كان فقهاء ابن تيمية - هذا السجين الشهيد - مرشدا لمشترعيننا إلى مبادئ وآراء تسير حياة المسلمين المعاصرة وتلبى ضرورات حياتهم الحاضرة ، فى وقت كانت فيه أصوات تعلق بأن يترك ما لله الله وما لقيصر لقيصر ، أو أن « يفصل الدين عن الدولة » كما يقول الأوروبيون ، وكانت

(١) ص : ٥٧ من رحلة ابن بطوطة

(الطبعة الثانية) .

وفى تاريخنا المعاصر نجد ثورة عارمة - بلغت حد التفكيك وإهدار الدم - قامت على فتويين شهيرتين^(١) للشيخ محمد عبده أولاهاما تتواء بإباحة الذبائح التى يذبحها غير المسلمين ، ونحن الآن ، بعلم فقهاؤنا ومفتينا وعلماؤنا ومواقفتهم ، نستورد بأموال الدولة كثيراً مما يسد حاجتنا من هذه الذبائح ويأكلها المسلمون غير آثمين ولا متعرجين . لأن أقطاب الشريعة بينهم أقتوهم ، أو أقتوا الدولة بذلك . وثانى الفتويين ما قاله الإمام محمد عبده فى لبس البرنيطة . فقد أباح لبسها فلقى من التهمة والتأنيب مثل ما لقي من فتواه تلك . وانظر الآن للروس الحاضرة والكاسية حتى بين العلماء أنفسهم حيث يلبس بعضهم « القلنسوة » كما يقولون . انظر هذه الروس بعد نصف قرن من فتوى الشيخ عبده لتعرف ما نريد أن نعرف . وتذكر ما نريد أن نقول .

وفى أوائل هذا القرن أفتى بعض العلماء ، بأن تأليف الجمعيات التعاونية حرام ؛ لأنها منظمات شيوعية ... !

وقد شهد ابن بطوطة ، حين زار دمشق ، مجلساً شرعياً أخذت فيه على ابن تيمية - على حد تعبيره هو - : « أمور منكرة » ، منها أن المطلق بالثلاث فى كلفة واحدة لا تلزمه

(١) فتوى الشيخ محمد عبده المشهورة (بالترسفالبة) .

من اعلام المسلمين في الهند : مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

ملخص ما نشر « تربي تربية دينية » وأضاف إليها للثقافة الغربية ،
وكان نضجه مبكراً فبدأ في نهاية العقد الثاني من عمره في إصدار المجلات
الدينية ليوظف المسلمين ويدفعهم إلى تحرير بلادهم فاضطهدته الحكومة
وأغلقت صحفه ثم اعتقلته إبان الحرب الأولى وخرج بعد أربع سنين
ليواصل جهاده ويدفع الهندود إلى مقبلة الانجليز في حركة العصيان فقدمته
الحكومة للمحاكمة وأمام المحكمة ألقى أروع دفاع وأجراه وأعلن
اغتيباطه بالتهمة للوجبة إليه ، وإصراره على المضي فيها وقال للماضي
في ختام مرافقته « فاقض ما أنت قاض » .

هاكم المذنب يعود تائباً إلى « مولانا »

[غاندى]

— ٤ —

الطائفي الممتد ، وزاد الانجليز - بالاعيين
المعروفة - من حدة هذا الخلاف ، فبدأ
مولانا آزاد كفاحه لتهدئة الفتنة الطائفية
المشتعلة ، ولتقريب وجهات النظر بين أعضاء
الحزب المنقسمين ، وانتخب رئيساً لدورة
الحزب المنعقدة في دهل سنة ١٩٢٣ وكان
في الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان انتخابه
مع صغر سنه دليلاً على قوة مركزه وتقدير
الجميع له ، فقد اختير رئيساً بموافقة
الفريقين المختصين ويقول : « وروى أنى
كنت أصغر الرجال الذين انتخبوا لرئاسة
المؤتمر سناً ، واستطاع بحكمته ومكانته في الحزب أن

بعد أن انتهى مولانا آزاد من مرافقته
الخالدة الجريئة أصدرت المحكمة حكمها عليه
بالسجن سنة ، فبقى في السجن حتى أفرج عنه
في يناير سنة ١٩٢٣ ، وخرج من سجنه ليبدأ
الخلاف الطائفي قد استحكمت بين المسلمين
والهندوس ، وتصدعت الوحدة الوثيقة التي
جمعت بينها فترة من الزمن ، لم ولن تشهد الهند
مثيلاً لها في تاريخها ، حتى ليكن لنا أن نسميها
الفترة الذهبية في تاريخ الشعب الهندي .
ولم يقتصر الخلاف على ذلك بل امتد إلى داخل
حزب المؤتمر ، إلى الأعضاء أنفسهم ، وكان
ذلك أمراً طبيعياً في وقت اشتدت فيه المحنة
إلى هذا الحد ، ووقع الشعب فريسة الخلاف

ضد ألمانيا دون الرجوع لرأى أهل البلاد وكان هذا القرار صدمة لحزب المؤتمر، إذ اعتبره قراراً مهيناً للبلاد ومثليها في البرلمان والحكومة، فكان لابد له أن يجتمع ويدرس الموقف، ويتخذ قراراً بشأنه، وترك الكلام هنا لمولانا أزداد حيث يقول في مذكراته :

« وكانت الهند في حالة من الرهبة والترقب وازدادت رئاسة المؤتمر في هذه الظروف المهددة الغامضة أهمية جديدة وكان الأصدقاء قد ألحوا على في العام الماضي أن أتولى رئاسة الحزب، لكنني رفضت لأسباب مختلفة على أني أحسست هذا العام أن الموقف يختلف عن سابقه، ولا يبعد أن أكون مقصراً في تأدية واجبي أن أبيت مرة ثانية، ورأيت من واجبي حيال أزمة الحرب هذه أن انتهر للخدمة كل فرصة تتاح لي وأؤدي واجبي بكل طريق تتفتح أمامي، فلم أتردد في قبول الرئاسة حين أعاد غاندي طلبه مني ذلك، ولم تسكن في انتخابات الرئاسة منافسة ذات بال، وفشل معارضي الوحيد أمام أغلبية ساحقة، ولا شك أن إلحاح غاندي على مولانا أزداد أن يقبل رئاسة الحزب في هذه الظروف العصيبة تم اختياره من الأعضاء وتضمنه في موضع شاذ بالنسبة لقضية البلاد كان على المؤتمر أن يناقش فكرة دخول الهند الحرب. مع أن نائب الملك قد أعلن ذلك فعلا

يحفظه من الانهيار ويحافظ على تماسكه ويسير به في طريق الكفاح من أجل حرية الهند حتى أعلن حزب المؤتمر سنة ١٩٣٠ حركة العصيان المدني الثانية المعروفة بمخرق قوانين الملح، وقابلت الحكومة هذه الحركة بالشدة فأخذت تعتقل زعماء الحزب واحدا بعد الآخر وتزوج بهم في السجون، وكان كل رئيس للحزب يعين من يخلفه، واختير مولانا أزداد رئيساً فاختار من بعده الدكتور « أنصاري، رئيساً إذا ما اعتقل، وسار في طريقه يتحدى الحكومة وألقى خطاباً سياسياً في مدينة «ميرت»، فقبض عليه وظل سجيناً سنة ونصف سنة في سجنها.

وخرج من سجنه ولكنه لم يمكث شهوراً حتى عاد إليه بعد أن رجع غاندي من مؤتمر المائدة المستديرة دون أن تنجح المفاوضات سنة ١٩٣١، وألقت الحكومة القبض عليه وعلى زعماء الحزب وقضى مولانا في سجنه أكثر من سنة.

وفي سنة ١٩٣٥ م خاض حزب المؤتمر الانتخابات وفاز بأغلبية ساحقة وكان مولانا أزداد في مقدمة الفائزين بعضوية البرلمان على مبادئ الحزب، وبدأ حزب المؤتمر يشترك في الوزارات على أساس قانون الحكم الذاتي الذي صدر سنة ١٩٣٥ وعند ما قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ م أعلن نائب الملك في الهند دخول البلاد الحرب

على أساس نظريته في عدم العنف واستبدت به هذه النظرية حتى وقف يعارض دخول الهند الحرب حتى ولو كان استقلال الهند هو الثمن . وقف في الحزب يعارض مولانا آزاد ويخشى أن تستجيب إنجلترا لطلب الحزب فتعلن استقلال الهند فتدخل البلاد الحرب مع إنجلترا !! إلى هذا الحد تسلطت عليه عقيدة عدم العنف حتى أصبح لا يهتم بشيء ولو كان استقلال البلاد مثلما يهتم بها

استقلال البلاد الذي هو غايتها وآمالها والتي ظلت تجاهد وتضحي من أجله السنين الطوال برفض غاندى تحقيقه إذا جاء عن طريق دخول البلاد الحرب واشتراك أبنائها في إراقة الدماء !! ...

بل قد بلغ الأمر بغاندى إلى حد أنه ذهب إلى الحاكم العام في الهند وقال له إن واجب الشعب البريطانى هو التورع عن استخدام السلاح وعليه أن يعتمد على المقاومة بالقوة الروحية ، حتى ذهل الحاكم من هذا الخيال الغاندى وصرف غاندى من مجلسه بطريقة غير معتادة اشتكى منها لمولانا آزاد حين التقى معه بعد المقاتلة . ومع هذا نجد غاندى قد وجه خطابا مفتوحا إلى الشعب البريطانى يتحدث فيه عن طريقة عدم العنف ووجوب اتباعها مع هتلر . .

بهذه الروح الخيالية وقف غاندى في حزب المؤتمر يعارض رأى مولانا آزاد ... وكانت مناقشات المؤتمر كلها نظرية وافتراسية : ماذا

بأغلبية ساحقة دليل أى دليل على مكانة الرجل والثقة في كفايته ومقدرته على تسيير السفينة في هذه العواصف الهوجاء ، ولو كان هناك في أعضاء الحزب من يقوم مقامه لما كرر غاندى طلبه ولما فاز بعد ذلك بالأغلبية الساحقة ... وهل يعنى ذلك إلا أنه الرجل الثانى في الهند بعد غاندى ...

ولقد كان لمولانا آزاد رأى في دخول الهند الحرب أو عدم دخولها يختلف فيه عن غاندى إذ كان رجلا عمليا واقفيا لا يذوب في المثل التى يذوب فيها غاندى حتى تبعده عن الواقع وتضعه في موضع شاذ بالنسبة لقضية البلاد كان على المؤتمر أن يناقش فكرة دخول الهند الحرب مع أن نائب الملك قد أعلن ذلك فعلا من جهة ؛ لكن بقى للشعب مثلا في حزب المؤتمر أن يتخذ رأيا في هذا الموضوع مهما يكن الواقع . لقد كانت الهند تكره النازية الفاشستية وتميل إلى الديمقراطية ، ومع ذلك فإن مولانا آزاد رأى أنه لا يمكن لبلاده أن تحارب في صف الديمقراطية ومن أجل حرية الدول الأخرى - كما يقول الخلفاء في الوقت الذى ترسف فيه في أغلال العبودية فإذا بادرت الحكومة البريطانية وأعلنت استقلال الهند فسيكون من واجب الهنود جميعا أن يضعوا بكل نفس ونفيس في سبيل حرية الشعوب الأخرى ...

أما غاندى فلم ينظر للوضع من هذه الزاوية ... بل نظر إليه من زاويته الخاصة

ثم الثاني .. وهكذا .. ولكن سرعان ما شملت الحركة البلاد . فأخذت الحكومة تعتقل الزعماء وكان في مقدمتهم مولانا آزاد حيث حكم عليه بالسجن سنتين .

وبينما كان هذا يجرى في الهند كانت وطأة الحرب قد اشتدت على الحلفاء حيث هجم الألمان على الاتحاد السوفيتي وقامت اليابان بهجوم على الولايات المتحدة في ميناء اللؤلؤ وحينئذ بدأت انجلترا تفكر في طريقة لتخفيف حدة التوتر في الهند فقررت إرسال بعثة على رأسها سير ستافورد كرييس إلى الهند لمفاوضة زعمائها وأعلنت ذلك في ١١ مارس سنة ١٩٤٢ م ووصلت البعثة إلى الهند لا بد لها أن تخرج الزعماء من السجون لتجرى معهم المفاوضات وفي مقدمتهم مولانا آزاد رئيس الحزب نجرج دون أن يكمل مدة السجن وكان أول لقاء له مع كرييس في ٢٩ مارس سنة ١٩٤٢ . حيث بدأت المفاوضات بينهما لتقرير مصير الهند وعرض مولانا آزاد مقترحات كرييس على اللجنة التنفيذية للبوتمر التي أخذت تدرسها وبدأت وجهات النظر تختلف حولها . يقول مولانا آزاد في مذكراته .

د وخالف غاندى منذ البدء في قبول المقترحات ، وعرفت أن خلافه يرجع إلى نفوره من الحرب أكثر من نفوره من هذه المقترحات فكل مقترح يسوق الهند إلى

نعمل لو عملت بريطانيا كذا . وماذا يكون موقفنا لو لم تفعل ... واختلف المؤتمر ووقف بعضه مع مولانا آزاد ، والآخر مع غاندى ... وأخيرا استطاع مولانا آزاد أن يجمع المؤتمر على قرارين أولهما . تصويب سياسة عدم العنف للحصول على الحرية وثانيهما وقوف الهند في صف الديمقراطية بشرط أن تنال حريتها واستقلالها أولا . وفي أغسطس سنة ١٩٤٠ م دعا الحاكم العام مولانا آزاد لمقابته وإجراء مباحثات معه فرفض مولانا آزاد الدعوة لأنها لم تكن مبنية على أساس احترام رأى الهند بل على الخضوع للأمر الواقع والسير على أساسه .

وفي الوقت الذي كان فيه حزب المؤتمر يمسج بتيارات مختلفة ومناقشات حادة ، قطعت انجلترا حبل الخلاف وأراحت المؤتمر منه حين رفضت إعلان استقلال الهند ... وكان من الغريب حقا أن يفرح غاندى لهذا الرفض ؛ لأن معناه عدم تقرير دخول الهند الحرب وبالتالي عدم المشاركة في سفك الدماء بينما حزن الآخرون ، وبدوا يفكرون ، في الطريق الطويل الشاق الذي يجب أن يسلكوه تجاه الدولة الباغية لاتزاع حرية البلاد منها ... وإن كان موقف الطرفين قد توحد على عدم دخول الحرب وهنا بدأ غاندى يفكر في إعلان حركة العصيان المدني ولكن بالطريقة الفردية ، دون أن يكون لهذا العصيان شكل جماعي فيبدأ واحد .

أما غاندى فكان حسن الظن باليابان ويرى أنها سوف لا تهاجم الهند إذا انسحبت انجلترا منها ... وأخذ في الوقت نفسه يفكر في القيام بحركة لا عنفية مثل حركاته السابقة بقصد إرغام إنجلترا على الخروج من الهند وكان عنوان حركته « ارحلوا عن الهند ، واعتقد أن إنجلترا سوف لا تستطيع مقاومة هذه الحركة في الوقت الذي وصلت فيه اليابان إلى حدود الهند وأنها سترغم على الاستجابة لمطالب البلاد . بينما كان مولانا آزاد يخالف غاندى في حسن ظنه باليابان . ويرى أن إنجلترا ستضرب حركة غاندى بقوة وتعتقل الزعماء . وحينئذ يبقى الشعب بدون قواد في هذا الفترة الحرجة من تاريخه وأن الحركة ستقلب حينئذ إلى حركة عنيفة يخرب الشعب فيها ويهدم ويقتل . . وهذا ما لا يريده غاندى .

وهكذا اختلف مولانا آزاد مع غاندى . . كل منهما له رأيه وحجته . . ولم تكن هذه أول مرة يختلف فيها القطبان الكبيران لكن غاندى لم يتحمل مخالفة مولانا له ، فأسرع وكتب خطاباً له في السابع من يوليو سنة ١٩٤٢ يطلب منه أن يستقبل من رئاسة المؤتمر ما دام مختلفاً معه في الرأي ، كما طلب من جواهر لال نهرو هذا الطلب . وفوجئ به كبار الأعضاء بهذا الطلب وبهتوا ورأوا أنه إذا استقال آزاد ونهرو فستحل بالمؤتمر

المساهمة في الحرب مهما كثر نفعا وربحا للهند لا يستجلب رضا غاندى وموافقته ، وبجانب ذلك لم يرقه الجزء الأخير من العرض البريطاني الذي قال بأن المؤتمر والرابطة الإسلامية ستتاح لهما بعد نهاية الحرب فرصة لتسوية قضية الطائفية ، (١) .

واستمرت المفاوضات أسبوعين متتاليين ، يجتمع مولانا آزاد ممثل الهند مع سير كريس ليلا ويصطحب معه أحياناً جواهر لال نهرو ثم يجتمع باللجنة التنفيذية للمؤتمر نهراً ليعرض عليها ما دار من مفاوضات ، وأخيراً أخفقت المفاوضات .

وفي الوقت الذي غادر فيه كريس الهند كان شبح الهجوم الياباني يزداد اقتراباً منها ، حتى أخذت الحكومة تعد عدتها لاستقبال الهجوم ووضعت خطط الانسحاب من كلكتا وتدمير المنشآت في البلاد التي تنسحب منها على النحو الذي وضعته حينما اعترفت الانسحاب من مصر أمام هجوم « روميل » . وكان رأى مولانا آزاد رئيس المؤتمر أنه لا يمكن أن نستبدل سيداً بسيد ولا بد من المقاومة ؛ ولذا أعد المتطوعين من الشعب وقسم كلكتا إلى مناطق يتولى المتطوعون الدفاع عنها وعرقلة تقدم الجيش الياباني عند ما تنسحب إنجلترا من كلكتا ...

(١) ثقافة الهند أبريل سنة ١٩٦٠ .

لقد أثبتت الحوادث صدق تفكير مولانا آزاد وبعد نظره . . فعند ما وافقت اللجنة على رأى غاندى وأصدر قراره ببدء حركة لا عنفية فى أغسطس ١٩٤٢ لم تقف الحكومة مكتوفة الأيدى كما كان يظن غاندى ويقدر بل بادرت باعتقال الزعماء جميعا وأودعهم سجوننا متفرقة وبقي الشعب بدون قواده يواجه تدبير الانجليز وإرهابهم .

أودع مولانا آزاد سجن مدينة دأحمد نجرن فى ولاية الكجرات مع نهر وثمانية من الأعضاء . . وفى أبريل سنة ١٩٤٣ توفيت زوجته بعد مرض طويل ولم يكن له أولاد يقفون بجانب أهمهم وهى تجود بأنفاسها ، وسرت بين الشعب آخر كلماتها الحزينة وهى تناجى زوجها بعد أن رفضت الحكومة السماح له برؤيتها وهى تودع الحياة ، وشارك الشعب قائده لوعته وحزنه وأحاطه بقلبه وعواطفه وكان موقفا لا يحتمله إلا رجل من طرازه . . وزاده صعوبة أن أخته لحقت بزوجه بعد ثلاثة أشهر دون أن يراها كذلك . .

ثم نقل مولانا إلى سجن آخر فى البنغال شرقى الهند وبقي فيه حتى أفرج عنه مع بقية الزعماء فى ٥ يونيو سنة ١٩٤٥ . عند ما بدأ فى الأفق انتصار الحلفاء ونهاية الحرب واتجهت بريطانيا إلى تصفية قضية الهند. خرج ليتولى المفاوضات مع انجلترا لتقرير مصير الهند ، ذرة التاج البريطانى .

عبد المصطفى

ضربة تهدكيانه وتقوض بنيانه كما أن الشعب سيفقد ثقته فى زعمائه . . . ولذلك نتائجه السيئة على الحركة الشعبية فى مثل هذه الظروف التى تمر البلاد بها . . .

وقد أدرك غاندى خطاه فى اليوم الذى أرسل فيه الخطاب إذ لم يمتنع على إرساله بضع ساعات حتى استدعى مولانا آزاد وأخذ يعتذر له عما حدث وعند اجتماع اللجنة فى نهاية اليوم وقف أمامها غاندى فى شجاعة نفسية تعود عليها واستمل أعذاره بقوله :

« هاكم المذنب يعود تائبا إلى مولانا، ويقدر ما تذل هذه الحادثة على شجاعة غاندى النفسية فإنها تدلنا أيضا على مكان مولانا آزاد من مركز قيادى خطير فى الهند كلها . كان هو الذى يقود الحركة السياسية التحريرية فى الهند مع غاندى ، ويحمل عبثها ويدير دفتها فى أخرج الأوقات التى مرت بها . . كان مولانا آزاد يمثل العقل الواعى المدبر للحركة بينما كان لغاندى روحانيته التى أثمر بها على الشعب فانقاد له ولو بدون تفكير ، وكانت روحانية غاندى تمنح به أحيانا بعيدا عن الصواب والهدف الذى تسعى إليه البلاد ، فيقف له مولانا آزاد ، العقل المدبر الواعى ليصحح اتجاه الحركة إلى الهدف المنشود كما رأينا موقفهما عند ما كان يبحث المؤتمر مسألة دخول الهند الحرب فى أول هذا المقال . .

المدينة الفاضلة

للأستاذ سعيد زايد

والدعائم التي يقيم عليها صرح مدينته لجأ إلى مبدئه الفلسفي في النفس يستفتيه . فرأى أنه قد قسم القوى التي توجد في الإنسان إلى ثلاث: الشهوانية ومركزها البطن وفضيلتها العفة ، والغضبية ومركزها الصدر وفضيلتها الشجاعة والفكرية ومركزها الرأس ، وفضيلتها الحكمة . وما دام في الفرد هذه القوى الثلاث فإن في الدولة أيضا قوى ثلاث ، أو بعبارة أدق يتكون المجتمع من طبقات ثلاث : العمال والصناع والزراع وفضيلتهم الإنتاج ، والجند وفضيلتهم الدفاع ، والفلاسفة وفضيلتهم الحكمة أو التأمل . وإذا كان الفرد لا يصير عاملا محترما إلا إذا تغلبت قوته الفكرية على قوته الآخرين ، وأعنى بهما الشهوانية والغضبية ، فكذلك الدولة لا يستقيم حالها إلا إذا تغلبت الطبقة الثالثة أى طبقة الفلاسفة على الطبقتين الآخرين وآل إليها الحكم . فطبقة الفلاسفة وحدها التي تستطيع أن تحقق العدالة وتنفذ إلى مشكلات الأمور بما وهبها الله من حاسة سادسة فوق الحواس

قال الفلاسفة - من قديم الزمان - بالمدن الفاضلة ، وعاشوا في حلها أزمانا ، وتمنوا لحلمهم الجميل الرائع أن يتحقق في عالم الواقع كي ينعم العالم بالخير ، ويتمتع بالحرية ويمارس المساواة ووضعوا نظاما يحل العدل مكان الجور ، والاستقامة مكان الاعوجاج ، والسعادة مكان الشقاء .

دعا إلى تطبيق هذا النظام فلاسفة اختلفت بيناتهم وعصورهم ، فدعا إليه أفلاطون والفارابي وتوماس مور وكامبانيا وغيرهم ، وطبيعى أن دعواتهم لا تتفق في تفاصيلها أو هيكلها ، ولكنها جميعا تتفق في الغاية ، وهى نشدان السعادة الكاملة لأبناء المدينة .

ويطول بنا المقام إذا حاولنا عرض آراء كل هؤلاء الفلاسفة ومناقشة أفكارهم ، وإنما نود أن تقتصر على الفيلسوف الإسلامى من بينهم وهو الفارابي ، وفى اختصارنا عليه لا بد أن نذكر - كقدمة - ملخصا لرأى أستاذه الروحى أفلاطون .

عندما أراد أفلاطون أن يضع الأسس

صادق لا يكذب ، كبير النفس ، كريم ، عادل ، مبغض للجور والظلم ، قوى العزيمة ، شجاع لا يخاف^(١) . فالمعلم الثاني يصف أميره بكل فضائل الإنسانية ، وكل فضائل الفلسفة فهو أفلاطون في ثوب النبي محمد ،^(٢)

ذلك أن مهمة الرئيس ليست سياسية فحسب ولكنه خلقية أيضا ؛ فن الناحية السياسية هو الرئيس الأعلى لكل المدينة ، ووزراؤه ومساعدوه ليسوا إلا منفذين لأوامره ؛ ومن الناحية الخلقية هو النموذج الذي يقلده المدنيون والمثال الذي يحتذونه ويتسمون خطوات سيره . وماعلى الرئيس إلا أن يحاول ما استطاع أن يصنع جميع الأفراد بطبيعته هو . وهذه الصفات التي يرى المعلم الثاني ضرورتها في رئيس المدينة ، إذا اجتمعت في رجل واحد كان هو ، بالطبع ، رئيس المدينة ؛ أما إذا توزعت على عدة رجال ، كانوا جميعا الرؤساء الأفاضل بشرط أن يكون هؤلاء الرجال متلائمين . أى أن يكون منهم الحكيم ، والعادل ، وصاحب العزيمة . . . وهكذا . أما إن خلوا جميعا من رجل حكيم ، فإن المدينة تبقى بلا ملك ، ويكون رئيسها ليس

الخنس ، وهى القدرة على إدراك الحقائق العامة وعلى تفهم المعقولات الصرفة .

ف رئيس المدينة - عند أفلاطون - يجب أن يكون فيلسوفا وليس في مقعد دور كل إنسان أن يكون كذلك ، فلقد رسم شيخ الأكاديمية منهاجا وفرض مراحل لا بد للبرء من المرور فيها كي يعجم عوده ، فمن تخطاها فهو فيلسوف وحق له أن يكون حاكما للمدينة .

ولقد تأثر الفارابي بما ذكره أفلاطون ، واشترط في رئيس مدينته شروطا تقربه من الأنبياء ، فهو يقول إن الإنسان مدنى بطبعه لا يكتفى بأن يكون عضوا في قبيلة ، بل يود أن يكون عضوا في مدينة أو عضوا في الإنسانية جمعاء ، ذلك أنه يشعر بعاطفة الأخوة نحو جميع أفراد البشر .

وبعد أن يقرر المعلم الثاني ذلك المبدأ ، يتجه نحو رئيس المدينة - الذى هو واضح النوايس والشرائع - فيرى أنه المعلم والمرشد والمُدبر ؛ ذلك لأن الفطر تختلف بين كافة البشر ، فن أوتى فطرة قوية وحصل على السعادة ، يقف موقف المعلم والمرشد لمن لم يعلم السعادة من تلقاء نفسه .

ورئيس المدينة عند الفارابي ، تجتمع فيه جميع الخصال الحميدة ، قوى الشخصية ، تام الأعضاء ، ذكى ، لبق ، قانع فى المأكل والمشرب والنسكاح ، غيرى لا محبا لذاته ،

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٨٦ - ٩٠

(٢) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، لدى بور ، ترجمة

محمد عبد الهادى أبو ريدة ، ط ٣ ، ص ١٧٢ هـ

للقاهرة .

الإنسانى الذى هو مجموعة من الأمم مجتمعا لإنسانيا فاضلا . فالمدينة الفاضلة أشبه بجسم الإنسان يختص كل عضو من أعضائه بعمل معين ، فإذا قام كل عضو بعمله على الوجه الأكمل صار الجسم فى مجموعه صحيحا ، وكذا المدينة الفاضلة وبذا تصبح المدينة سعيدة^(١).

وكا أن القلب هو العضو الرئيسى فى البدن تخدمه جميع الأعضاء ، وكا أن للنفس - عند الفارابى - وحدة ، فكذا المدينة الفاضلة ، فيها مراتب رئاسات تبدأ بالرئيس الأعلى ، وتنتهى إلى مرتبة من الخدمة ليست فيها رئاسة ولادونها مرتبة أخرى^(٢) . وكذلك تصير المدينة الفاضلة فى انسجامها وتسلسل مراتب أفرادها ، شبيهة أيضا بمراتب الموجودات التى تبتدى من الأول وتنتهى إلى المادة الأولى والاسطقسات ، وارتباطها واتلافها شبيها بارتباط الموجودات المختلفة بعضها ببعض واتلافها^(٣) .

هذا هو رئيس المدينة الفاضلة عند الفارابى وهذه هى الناحية السياسية التى تلتصق عند الفيلسوف العربى ، فهو لم يضع شكلا عاما للحكومة توزع فيه الاختصاصات على وظائف مختلفة ، بل ركز جل اهتمامه فى الرأس معتقدا

بملك ، وبذا تتعرض للهلاك . ورئيس المدينة يمزج امتزاجا كليا وجزئيا فى العقل الفعال ويتلقى عنه الرغبات والهداية مباشرة ويتميز له ذلك بالطريق الكسبى الذى يتلخص فى الرياضات والمجاهدات والتأمل والنظر ، أو بالهبة الإلهية .

والمجتمعات عند الفارابى قسبان : مجتمعات كاملة ، ومجتمعات غير كاملة . أما الكاملة فهى ثلاث^(١) : العظمى ، وهى جماعة من أمم كثيرة أى عبارة عن المجتمع الإنسانى بأسره . والوسطى ، وهى عبارة عن أمة واحدة . والصغرى ، وتتكون من أهل مدينة واحدة .

وأما غير الكاملة ، فهى مجرد اجتماعات فى القرى أو فى الطرق أو فى البيوت^(٢) . ومن الطبيعى أن تتخلف الأمم بعضها عن بعض بفعل العوامل الجغرافية والأخلاق والشيم الطبيعية واللغة ، وما إلى ذلك .

والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد هو وسيلة السعادة ، وبه تنال ، وتصير المدينة فاضلة ؛ وبه أيضا تصير الأمة التى هى مجموعة من المدن أمة فاضلة ؛ وبه كذلك يصير المجتمع

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) السياسات المدنية ، ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٤ .

(١) السياسات المدنية ، لفارابى ، ص ٣٩ ،

طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٦ هـ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وعقد لذلك كتاباً قائماً بذاته . وسواء أقصد الفارابي أيضاً إلى النتائج أم لم يقصد فإن قوله بوجوب إعطاء كل شخص العمل الذي يتفق مع طبيعته هو نفس ما يدعو إليه علم النفس الحديث في نظريات التربية التي تقول بوجوب تعهد الطفل وملاحظته في الصغر وتوجيهه إلى الوجهة التي تتفق مع استعداداته ... وإن لتقسيم العمل أيضاً أثره من الناحية الاقتصادية ، فإدام كل شخص سيوجه إلى العمل الذي يتفق مع طبيعته وميوله ، فإنه لا بد أن يعود ذلك بالإنتاج الوافر العقيم على الوطن .

على أننا إذا وضعنا رأى المعلم الثاني في المدينة الفاضلة تحت مجهر علم الاجتماع الصحيح ، نرى أنه لا يسير وفق قوانينه ، ولا يراعى مقدار تحققها عليه . صحيح أن الفارابي قال بتقسيم العمل ، ولكنها كانت لديه فكرة ينقصها الكثير من الصقل والتوسع ، فهي لم تنتج عنده من دراسة قائمة على الملاحظة والتجربة ، لأنه لم يكن يعنيه أن يعرف الميول ولا الرغبات التي تسيطر على العقل الجمعي ، بل كان يعنى عناية كلية بما ينبغي أن يكون ولا شأن له بما هو كائن ، وهو بذلك لم يحاول أن يدرس المجتمع دراسة منظمة ثم يستخلص القوانين التي يسير عليها ويضع إصلاحه وفقاً لمراعيها فيها التدرج الذي يسير بالأشياء سيراً طبيعياً لا يحس فيه

بأنها إذا صلحت ، صلحت بقية أعضاء البدن فاشترط في رئيس مدينته أن يكون كاملاً من جميع الوجوه ، ومادام كذلك فإنه لا بد وأن يبنى الإصلاح ونشر العدالة والمساواة ، وإذا قلده الأفراد وساروا على نهجه فإن الخير لا بد أن يعم المدينة وينتشر في ربوعها لواء الحق والطمأنينة .

على أنه هنا يجب أن نفرق بين المدينة الفاضلة والمجتمع الإنساني عند الفارابي ، فلقد أراد الفارابي أولاً أن يدعو إلى مجتمع إنساني يعم فيه العدل والمساواة والإخاء ، وهو قد أخذ هذه الفكرة من تعاليم الدين الإسلامي لا من أفلاطون ، ولكنه عندما رأى صعوبة تحقيق هذه الفكرة عدل عنها وقصر كلامه على مدينة محدودة ، ففصل فيها القول ودعا إلى التآخي والتآزر ليتكون منها جسم واحد تسرى فيه روح واحدة .

ولقد تكلم الفارابي في كتابه د آراء أهل أهل المدينة الفاضلة ، في فصل القول في الصناعات والسعادات ، عن تقسيم العمل فوزع الأعمال بالنسبة إلى الطبائع ، ودعا إلى إعطاء كل شخص العمل الذي يتفق مع طبيعته لتستقيم الأمور ، وسواء أقصد الفارابي إلى النتائج التي تستخلص من قوله هذا أم لم يقصد فإنه يعد سابقاً لدوركهيم زعيم المدرسة الاجتماعية الفرنسية الذي دعا إلى تقسيم العمل

وإلى ما ينبغي أن يكون بدون أن يضعوا أساسه على ما هو كائن ... ولقد صدق توماس مور حين سمي مدينته باسم المدينة التي لا توجد في أى مكان ، فالمدينة الفاضلة حلم الفلاسفة قديما وحديثا ، وستظل حلما ما تخفف شيئا من غلوائها ، وينظر دعايتها إلى الواقع بعين فاحصة ، وبينوا إصلاحهم بمقدار ما تسمع به ظروف المجتمع ، وبمقدار تقبله للإصلاح المنشود .

سهرير زابير

الفرد أن شيئا غير موافق لطبيعته قد أقحم عليه. وإنما استوحى فلسفته وفلسفة أسانذته وخيل إليه أن أى إصلاح إنمائي بمجرّد رسم طريق بدون مراعاة للطبائع وبدون أن يبني كلامه على الوقائع المحسنة وعلى القوانين التي يسير عليها المجتمع.

وليس الفارابي بدعا في هذا الميدان ، فجميع الفلاسفة الذين قالوا بالمدينة الفاضلة لم يراعوا فيها قوانين المجتمع ولم يحاولوا أن يفهموا عقلية الشعب الذي يعيشون وسطه ، وإنما اتجهوا إلى مبادئهم الفلسفية

(بقية المنشور على صفحة ٩٣٤)

وحماياتها، وكان الغزالي إذ ذلك في الإسكندرية فعلم ، وغص قلبه بما علم .

* * *

الدلالة في قصة القهوة هذه وفي كتاب الإحياء وما بينهما مما فصلناه دلالة بيّنة واضحة قوية ، والعبرة التي يجب أن يعتبرها رجل الفكر الديني منها مثيرة بصيرة منيرة : أن يقتصد في تحريم ما لم يحرمه الله ، وأن يدرك تطور الحياة وسيرها الحتمى كما يحفظ نصوص المكتوب والمسموع ، وأن يضع عينه على مجتمع الناس ومقبل أيامهم كما يضعها على ماضيهم ، وأن يكون أمينا على العقيدة - أمانة الفهم والعقل وسعة الأفق - وأمينا على الحرية أيضا .

محمود السمرقاني

« قصة القهوة » ، هذه وأشباهاها من حججهم في ذلك .

والمسلمون إلى يومنا هذا يصفون الإمام الغزالي بأنه « حجة الإسلام » ، ويضعون كتابه : « إحياء علوم الدين » ، حيث يضعون من الصدارة ، ولكن تاريخه يقول إن كتابه هذا عند ما وصل إلى المغرب ثار عليه وعلى صاحبه بعض « العلاء » ، لا لأن فيه آراء خالفت شيئا مما جاء به القرآن الكريم أو صحيح الأحاديث ، بل لأن فيه آراء خالفت فيها الغزالي بعض مذهب الإمام مالك ، وجمع كتاب « إحياء علوم الدين » من الأسواق ومن عند أصحابه فأحرق في المغرب من بلاد المسلمين ، جمع وأحرقت النيران في مساجد المغرب والاندلس

مع بنى إسرائيل :

الزَّعَّةُ العِصْرِيَّةُ والصَّهْيُونِيَّةُ

لِلأُسْتَاذِ عَبْدِ الرَّحِيمِ فَوْدَه

- ٢ -

مقياس التفاضل بين الناس :

له في التفاضل ، وإنما هو آية من آيات الله الدالة على قدرته وحكمته كما يفهم من قوله سبحانه « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، والناس من جميع الأجناس أخوة يفتنون إلى أصل واحد فينبغي أن يسودهم الشعور بالأخوة وأن يتعارفوا ويتآلفوا كما يقول الله « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، وهم كذلك على اختلافهم شعوبا وقبائل من هذه الأرض التي يقول الله فيها « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » .

من التلود :

ولكن الأحبار من اليهود ما زالوا ببنى إسرائيل وبعامه اليهود يضلونهم ويمدونهم في الغي حتى وقع في أخلادهم أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أبناء الله وأحبائه وقد كانوا كما يقول الله « يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم

تتفاضل الأشياء في تقديرنا وشعورنا على أساس الحاجة إليها . أو المنفعة التي ترجى منها . أو ندرتها بالنسبة إلى غيرها ، أو الخبرة التي بذلك في إخراجها وإنتاجها ، ولكنها لا تتفاضل أمام الله شيء من ذلك ، لأنه الغنى وكل ما سواء محتاج إليه ، ولأنه لا تفارت أمام قدرته في خلقه « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ولا شيء مما يصنعه الإنسان يرقى إلى صنعه جل شأنه كما يقول سبحانه « هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، ومن ثم كان المقياس الذي يتفاضل به الناس عنده هو التقوى كما يفهم من قوله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وكانه المسلمون « خير أمة أخرجت للناس » لأنهم كما يقول الله فيهم « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

فاختلاف الألوان والالاسنة لا مدخل

* إذا ضرب أُمِّي « غير يهودي ، يهوديا فالأُمِّي يستحق الموت .

* الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو مقدار الفرق بين اليهود وباقي الأُمِّيِّين .

* إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين على الديانة اليهودية هي نطفة حصان .

من القرآن :

وقد سجل القرآن الكريم هذه الظاهرة في أكثر من موضع ، وعقب عليها بما يكشف زيفها وفسادها ، بل قرن الحديث إليهم بالحديث عن إبليس مع آدم إشير إلى ما بينهم وبين إبليس من مشابه وصفات مشتركة كالاعزاز بالعنصر ، والحسد والحقد والمكر والكيد فإن هذه الصفات سمات شيطانية خبيثة ، وهي من أبرز صفات بني إسرائيل واليهود بوجه عام .

وحسبنا أن نعرض بإيجاز هذه المزاعم وتعقيب القرآن عليها بأملوبه العف النظيف العالي . .

فهم يزعمون أنهم أولياء لله دون غيرهم من الناس ، والله يعقب على زعمهم بقوله « قل يأها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين .

مما يكسبون ، ومن ذلك الذي كتبوه ونسجوا خيوطه من الأباطيل والأضاليل ما يعرف عند اليهود باسم التلود ، فإنه الكتاب الذي يحتل عندهم المنزلة الثانية بعد التوراة - على ما في التوراة من تحريف وتزييف ، بل إن بعضهم يذهب إلى تفضيله على التوراة كما ذكر ذلك الأستاذ عبد الرحمن عثمان في بحثه القيم عن الصهيونية ، وقد نقله الأستاذ الشيخ محمد الغزالي في كتابه . الاستعمار أحقاد وأطماع ...

إن هذا الكتاب الذي يعتمد عليه اليهود كل الاعتماد ويسترشدون به في تحديد علاقتهم بغيرهم وعلاقة بعضهم ببعض ، قد تم وضعه في ألف عام ، وملأه بكثير من الخرافات والأساطير والأوهام ، وأبرز ظاهرة فيه هو الزعة العنصرية المنعقدة كما نرى في هذه الكلمات التي جاءت فيه .

* إنه لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض ولاحتجبت السماء . وامتنع المطر .

* إن اليهود أبناء الله وأحباؤه ، أما باقي المخلوقات فهي بذور حشرات وسائمة كالأنعام .

* اليهود أحب إلى الله من الملائكة ، وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه . فمن يصفع اليهودي كمن يصفع الله .

الصهيونية وليدة النزعة العنصرية

من هذه المزاغم الآتمة الظالمة التي اوجت بها النزعة العنصرية . نبئت فكرة الصهيونية ، وهي تهدف إلى ربط مشاعر اليهود بصهيون ، وتوجيه نشاطهم السياسى . والادبى والاقتصادى والحربى . إلى إنشاء وطن يهودى . وإقامة دولة فى فلسطين . يكون مركز دائرتها صهيون وهو من التلال التي قامت عليها مدينة القدس حيث كان هيكى سليمان عليه السلام . وقد أشرنا إلى ما كان لسليمان عليه السلام من سلطان على الجن ، إذ كانوا يعملون له ما يشاء امن محارب وتماثيل وجنمان كالجواب وقد ورر راسيات ، وإلى أن ملك سليمان كان عطاء من الله كما يفهم من قوله تعالى بعد الحديث عن ملكه وسلطانه وهذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب .

ولكن الأحلام والأوهام وجدت سبيلها إلى نفوس اليهود ، وظلت تتفاقم وتتعاظم حتى أصبح العالم فريسة لدسائسها ومحنها رفتها فإن سياستها تهدف إلى السيطرة عليه واستغلاله واستغلاله . ليتعم لهم ما يوهموه من السيادة على كل من سواهم ، والمأمل فى قرارات المؤتمر الصهيونى الذى انعقد فى مدينة بال عام ١٨٩٧ يجد هذه الروح سافرة ظاهرة ، ويجسد وراء هذه الروح النزعة العنصرية المخربة المدمرة ، ففسد جا فيها أن

* وهم يزعمون أنهم لن تسهم النار إلا أياما معدودة والله يعقب على زعمهم بقوله : قل أنخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بل من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ،

* وهم من فرط التعصب لعنصرهم وجنسهم يرفضون الإيمان بما أنزل الله على غيرهم كما يفهم من قول الله : وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ، ثم ينفى عنهم الإيمان بما أنزل الله عليهم كما ادعوا فيقول : قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين .

* وهم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فيرد الله عليهم بقوله : قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق .

* وهم يستبيحون أموال غيرهم ويقولون ليس علينا فى الأميين سبيل ، فيصفهم الله بأهم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

* ثم هم يزعمون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا فيرد الله عليهم بقوله : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين .

العزة والمهابة والجبروت . إنه المسيح المنتظر من سبط يهوذا ونسل داود .

الآرية والسامية :

وهذه النزعة العنصرية اليهودية التي أثمرت ثمرها المرير في الاتجاهات الصهيونية كان لها أثر مقابل أو مماثل في التفكير عند الدول الاستعمارية .

فقد زعم اليهود أنهم يمتازون عن غيرهم بمواهب عقلية خاصة ، وقيل إن كثيرا من المخترعات الحديثة يقترن بأسماء علماء من اليهود كأنما صاغ الله أدمغتهم من نور كاشف . وأدمغة غيرهم من ظلام دامس .

وهذه الفكرة التي شاعت وذاعت . نذكرنا بفكرة أخرى شاعت وذاعت في جو البلاد التي نكبت بالاستعمار . فقد قيل كذلك إن العقل الآري يمتاز عن العقل السامي بخصائص العمق في البحث والاستقراء والاستقصاء . والنفوذ إلى ما وراء القشور من اللباب ، وأن العقل السامي - واليهود ساميون كما يزعمون - سطحي البحث ضحل القرار ، يقف عند ظواهر الأشياء ولا يتجاوزها إلى أعماقها ودقائقها وحقائقها .

وهذه النظرية إن صحت تهدم ما يقال عن مواهب اليهود لأنهم ساميون ، وإن صح أن عقيلة اليهود كما قيل ويقال انهدمت النظرية التي تشيد بالعقلية الآرية .

من مصلحة اليهود اشغال الحرب بين الدول حتى يتيسر نقل الحرب إلى الميدان الاقتصادي وبذلك يضطر الغريقات المتحاربين إلى وقوعهما في قبضتنا لتفوقنا في هذا المضمار ، والعمل على خلق الضائقات المالية للحكومات لتنمية روح الكراهية في العمال تجاه الحاكمين ، وبذلك نهيمن على الجهاز الحكومي وخاصة لأن في أيدينا الصحافة وفي قبضتنا البرلمان ، والعمل على رفع ضمايف الأخلاق إلى مناصب الحكم ليستجيبوا في يسر إلى رغباتنا ، وشغل الشعوب في أوقات السلم بالأفكار المتعارضة وبموجات الانحلال ، وبذر بذور الخلافات وتشجيع المحاولات التي تهدف إلى الهدم والتدمير ، وزعزعة الإيمان والعقائد في القلوب حتى لا يبقى على الأرض سوى اليهودية .

ثم ختمت القرارات التي أقتطفنا منها هذا الجانب بهذه العبارة .

بعد كل هذا لن يبقى أمامنا سوى أن نخطو الخطوة الأخيرة نحو عرش صهيون وهو بحاجة إلى العنف . وسيجلس ملكنا المحبوب على هرش سليمان ليحكم العالم وستحف به نخبة من حكام صهيون من نسل داود تعارونه في مهمته الصمدانية . وسيكون حكمهم حازما وعنيفا لحير الإنسانية ، وأما الملك فسيكون مثال

وقوله فيهم ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم .

وقد جرى المفسرون على تأويل العالمين بأهم عالمو زمانهم وهم الوثنيون . وعندى أن ذلك لا يخلو من تكلم وتعسف . وأن الاشتراط بالغة التي نزل بها القرآن يضيء لنا الطريق إلى فهم الآية على سلامتها واستقامتها .

فقد ضيق العرف مفهوم كلمة الفضل حتى صار يفهم منها الخير بدون الشر ، أما مفهومها في اللغة فهو الزيادة أو كما قيل بالنص الفضل ضد النقص .

فإذا وضعنا إلى جانب قوله تعالى في بني إسرائيل ، وأنى فضلتكم على العالمين قوله في المسلمين ، كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وقوله ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ، تعين لدينا ما ينطق به الواقع ويشهد به التاريخ من أن الزيادة التي تميز بها هؤلاء على غيرهم أو على عالمي زمانهم . من كثرة أنبيائهم . وقد قتلهم بغير حق . وكثرة النعم التي أنعم بها الله عليهم وقد قابلوها بالكفر دون الشكر ، تشهد عليهم ، ولا تشهد لهم وتصم تاريخهم بأنهم ليسوا كما يزعمون شعب الله المختار ، بل كما قال هارون لأخيه موسى عليهما السلام ، إن هذا الشعب شرير . فقد ذكرت التوراة ذلك ، ونطق الواقع بذلك ،

والصحيح أن كلتا النظريتين مجرد زعم كاتب . وهم خاطيء ، وأهما مظهران لعنصريتين منحرفتين . عنصرية الدول الاستعمارية ، والعنصرية اليهودية الصهيونية أما التفوق العقلي ففرده إلى الظروف الاجتماعية والمادية ، وأسلوب التوجيه العلمى والتربية والشعور بالحاجة . وما إلى ذلك من العوامل التي تساعد على إيقاظ المواعب ، وتعمل على إخمائها

وقد عاش اليهود آلاف السنين قبل عصر النهضة الأوروبية غارقين في ظلام الجهل والذل دون أن نرى لهم أثرا أو خطرا .

وعاش الأوريون - الآريون وغير الآريين - آلاف السنين ذئابا جائعة تحترف الصيد أو السطو دون أن نرى لهم أثرا أو خطرا .

إنها أوهام عنصرية تعرض في صور الحقائق العملية لتؤدى وظيفتها في خدمة الاستعمار أو الصهيونية .

وهم وسوء فهم :

ومن الوهم وسوء الفهم تفسير قول الله في بني إسرائيل ، وأنى فضلتكم على العالمين ، على معنى أن الله اصطفاهم واجتباهم وجعلهم خير العالمين . فإن ذلك يتناقض مع قول الله في المسلمين ، كنتم خير أمة أخرجت للناس ،

ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليهم بالظالمين قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

فالسبب الذى رفع العرب - وهم الاميون - هو أنهم انتفعوا بالرسول الذى بعثه الله منهم وكان من مظاهر قدرة الله فيه أن يعلمهم - وهو أى مثلهم - الكتاب والحكمة وما يدخل تحت مفهوم الكتاب والحكمة ، وبذلك ارتفعوا إلى القمة التى لم تصل إليها أمة . وصارت إليهم مقادة العالم فى كل شئ . كان يعرفه العالم ، وكان ذلك بفضل الله كما يقول سبحانه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

أما السبب الذى وضع اليهود وجماعاتهم كما يقول الله فيهم د ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، فهو أنهم لم ينتفعوا بالتوراة ولم يعملوا بما فيها فكان مثلهم كمثل الخمار يحمل أسفارا . ثم هم مع ذلك يزعمون أنهم أولياء الله ، وهم كما يقول الله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ، ولذلك طلب إلى النبي أن يتحداهم ويقول لهم د تمنوا الموت إن كنتم صادقين ، فى أنكم أولياء الله من دون الناس . وذكر أنهم لن يتمنوه أبدا بسبب ما قدمت أيديهم وما اقترفوا من ألوان الإجرام والآثام ..

ووصفهم القرآن بأنهم د ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويهطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض .

إن خير الناس هم الذين يحدون فى دينهم فضائل كل دين ، ويفرض عليهم دينهم أن يؤمنوا بالأنبياء والرسول من كل دين ، لهم الذين يقول الله فيهم د وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وهم الذين يقول الله لنبيهم د فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ،

العرب واليهود :

وقد جا . ذكر العرب مع اليهود فى سورة الجمعة ، وذكر السبب الذى رفع العرب ، والسبب الذى وضع اليهود ، وذلك حيث يقول الله : . هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . مثل الذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الخمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين

وعد الآخرة ..

كما ذكر الله . فلم تمتد أيديهم بالقتل والتشريد

والتخريب .

وقد عادت الكرة لبني إسرائيل وكثرت أموالهم وعلموا علوا كبيرا ؛ لأن نفوذ الصهيونية وصل إلى قمة مداه ، وكان من آثاره انشاء إسرائيل في صدر هذه الأمة وامدادها بالأموال والبنين ، وتوجيه الدول الاستعمارية إلى مناصرتها ومظاهرتها حتى صارت وصار بنو إسرائيل أكثر نفيرا .

ولكنهم - وهم كما ذكرنا لا يصلحون لإقامة دولة - ينتظرون المصير الذي يشير إليه قول الله : فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم . وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تقيرا ، .

أما متى يكون ذلك ، فالجواب عنه عند الله . ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا ، وأما السبيل إلى ذلك . فهو ما تشير إليه قول الله بعد ذلك : إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا .

عبد الرحيم فودة

صحيح أن اليهود تمكنوا في ظل الاستعمار وبمجهود الصهيونية أن يتسللوا إلى فلسطين وأن يقيموا فيها دولة إلى حين ، ولكن وعد الآخرة ينتظرهم ، ويضع أمامنا وأمام أهيئهم مصيرهم ، فإن التأمل في قوله تعالى وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لئلا أولى بأس شديد فجازوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تقيرا ، . .

التأمل في ذلك يدرك أن العباد الذين شرفهم الله بالانتساب إليه هم المسلمون الذين يعبدونه لا يشركون به شيئا ، لا الفرس الذين كانوا يعبدون النار والكواكب ، وأنهم من أصحاب محمد وأتباعه بدليل قوله أولى بأس شديد ، فإنهم كما يقول الله : أشداء على الكفار رحماء بينهم ، ، وقد كان من أمرهم في فتح إيلياء أو بيت المقدس أن جاسوا خلال الديار

فتح آية القرآن

الإسلام ينهى عن المتاجرة باسم الدين
للأستاذ عبد اللطيف السبكي

يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان
ليأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون
عن سبيل الله .

ولم يصارحهم بنهى يتعلق بهم ، بل يسوق
إليهم القصص عن كثير من أحبار اليهود ،
ورهبان النصارى : أنهم كانوا يرتكبون
على حساب الدين مآثمين كبيرين .
أحدهما - أنهم يأكلون أموال الناس
بالباطل .

والثاني - أنهم يصدون عن سبيل الله .
ومن خلال هذا القصص اللاذع عن
الأحبار والرهبان نذكر أموراً هامة مقصودة ،
ولكننا نرجى الكلام عليها حتى نبين ماصنع
ويصنع أولئك الأحبار والرهبان .

(١)

١ - كانوا ، ولا زالوا يستغلون ثقة الأتباع
فيهم ، ويتنزهون اطمئنان الأغرار إليهم ،
فيتخذون المظهر الديني وسيلة إلى كسب المال ،
وتصيد المنافع في ظل هذه الثقة المظلومة
ويتحدثون بألسنة الانقياء ، ومنطق الزهاد ،

يريد الإسلام أن تكون الدعوة إليه
خالصة من الشوائب ، بعيدة عن وجوه
الاستغلال ، فإنه دين الله المحصن من كل
زيف ، فمن حقه أن تكون الدعوة إليه
ملائمة له في برامتها بما يداخلها ، أو يبعد بها
عن طهره ونقاوته .

إذ لا يتفق عقلاً أن تكون الدعوة
المدخولة وسيلة إلى التعريف بالحق ، ولا سيلاً
إلى الاقتناع به ، والدخول فيه .

وحينما تكون الدعوة على أصلها المشروع
تكون هي الوسيلة التي شرطها الله على الدعاة
أن يدعوا الله مخلصين له الدين .

وحينما تتوفر للدين هذه الدعوة البريئة
يتضح أن هذا هو الدين الذي يرتضيه الله
في قوله « ألا الله الدين الخالص » .

وحينما ننظر في مقامنا هذا نرى أن
الله يناجي المؤمنين بوصفهم : مؤمنين ،

(ب)

١ - ثم كانوا بجانب أكلهم للبال بالباطل من وجوهه وغير وجوهه يصدون عن سبيل الله ، فعملهم هذا صدود منهم عن دين الله الذى شرعه قديماً وحديثاً وبين فيه الحرام ، وغيره ، وهو - كذلك - صد لغيرهم عن سبيل الهدى بالتضليل ، وبث المعارف المزيفة ، وكف الناس عن الإسلام بالمحاولات المختلفة : تكون من طريق الإغراء بالمال للبحثاج ، وبإنشاء المدارس والمستشفيات التبشيرية .

٢ - وتكون بإرسال البعثات إلى الجهات الهدائية ، والمواطن المغفلة من الرقابة والحادعة لأولئك البسطاء .

٣ - وهكذا مما يقيمون من حفلات : فيها ما فيها من مغريات ولهو وطيب عناق . فالقرآن الكريم يحدثنا عن هذا كله - مما نعرف ، أو لا نعرف - فى أسلوب جميل ... هو قوله تعالى : « لياكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله » . والذى ندرکه من خلال هذا ، وأرجأنا الكلام عليه هو :

١ - إن الله - تعالى - وجه خطابه إلى المؤمنين بوصفهم هذا : لأن فى ذلك تكريماً لهم ، واستنهاضاً لغيرتهم الدينية أن تظن لما يلقى عليها من جانب الله - سبحانه -

ثم يبسطون أيديهم للهدايا ، ويستخدمون الجاه الدينى فى قضاء المنافع ، ويستدرجون الناس بالدعوات من أفواههم المتعبدية - فى زعمهم .

٢ - يغترون بالناس فيجمعون الأموال قريبة منهم إلى القديسين فى الأديرة ، وفى تجديد المقابر ، والتوسع فى المعابد .

٣ - تصديهم لمغفرة الخطايا ، إذ يتقدم المذنب إلى بعض القساوسة ، ويعترف بما لديه من أسرار مآثمه ، ويدفع ما يطلب إليه من مال ، ويأخذ صكاً بمغفرة ذنوبه ، ليتقدم به فى اليوم الآخر فيسكون ناجياً من العذاب فى جهنم .

وإن هذه الخدعة بالذات لسبب فى شيوع الفواحش فى تلك الأوساط ؛ اعتماداً على تناول هذا الصك فيما بعد ، حتى كان من أثر هذا التضليل قيام ثورة المذهب الإصلاحى - البروتستانت - ضد الكاثوليك فى بعض الأوطان المسيحية وقتاً ما .

٤ - أخذ الرشوة من ذوى النفوذ للتبديل والتغيير فى كتبهم على ما يوافق أهواء الحكام وأخذ الربا فى كل وقت - وبخاصة لدى اليهود - الذين نفشت حيلهم فى نظم ربوية لا تكاد تحصر ألوانها : بين بنوك ، ومصانع ومؤسسات ، ومتاجر ، ومعاملات فردية .

هل هذا كله لمجرد الخير وما يلاحقه
لتحريف المسلمين بما بينهم وبين أهل
الكتاب من فروق ؟؟

لا : فهنا هدف مقصود ، سكّت القرآن
عن التصريح به ، لا تسامح فيه ، ولا حباة
للمسلمين ... بل مبالغة في استنهاض
مشاعرهم ، ولفتنا إلى أن الإشارة قد تغنى
عن العبارة ... وإن نوعا من التكريم قد
يحدث ما لا يحدثه السيف في التهذيب
والتقويم .

ذلك الهدف : هو توجيه علماء الإسلام
والقائمين بتبليغ دعوته أن يكونوا أمناء
على دينهم ، وعلى علمهم ، وعلى إرشاد
الناس في دعوتهم ، فلا يكونون كالأخبار ،
والرهبان فيما ارتكبوا من المتاجرة باسم
الدين ، مع الانهماك في الدنيا بأساليب ملوثة
بلون الدين ، واتخاذهم الدين قنطرة إلى
المآرب ، ووسيلة في الزلنى إلى ذوى النفوذ .
ويحذر القرآن أهل العلم في المسلمين أن
يتأولوا في أحكامه متابعة لأهواء الناس ،
واستناداً إلى نفوذ محميمهم من صولة الأقاليم
الناقذة بالحق .

فذلك الانطلاق يكون تبجحا في مجال
الاحتشام ، وهوادة في مواطن التخرج
وإذا ابتلى الإسلام من بعض رجاله بشيء
من الطموح المادى على حساب دينهم ،

٢ — وإن التشنيع بهذا على أحبار اليهود
ورهبان النصارى كتبرئة للمسلمين من مقارنة
هذا كله ، وكشهادة بأن المسلمين أمناء على
دينهم ، فلن يبدلوا في تشريع الله ، ولن
يغيروا في كتابه - القرآن - ولن يستحلوا
ما حرم الله ، ومن فعل هذا منهم فلن يكون
عن تبديل ، ولن يكون استحللا للحرم ،
غير متخرجين كما فعل أولئك المفترون على
ربهم ، وإنما يكون خطأ منهم ، ثم يتوب
الله على من تاب .

٣ — إن إسناد هذا المنكر إلى كثير من
الأخبار والرهبان يعتبر تبرئة للكثيرين
وإنصافا لهم : وهذا هو الواقع الذى قرره
القرآن في غير موارد .

وذلك شأنه معهم في مواطن أخرى ،
فقد وصفهم مرة بأنهم أمناء على المال ،
حتى لو استودعت بعضهم قنطاراً من الذهب
لأداء إليك ، دون مساس به ، وإن كان
بعضهم لا يؤتمن على دينار واحد ...

ووصفهم كذلك بأن منهم أمة قائمة
- مستقيمة - يتلون آيات الله ، ويستجيبون
للحق ... ويأمرون بالمعروف ، وينهون
عن المنكر ... وهؤلاء هم الذين دخلوا ،
ويدخلون في دين الإسلام ، ولا يتعصبون
للتقليد الوراثنى لليهودية أو النصرانية .

ثم لننظر :

ويكون هذا إطفاء لجذوة النشاط العلمي في صدور الشباب من طلاب الثقافة الإسلامية إذ فيه لفتهم عن تلقى الثقافة الإسلامية أو تشجيع لهم على التقليد الخاطئ في التلاعب بأحكام الله، والانطلاق في التحلل منها وراء التأويل، والتأرجح، والهوادة في سبيل المتاجرة بالدين.

وما ينبغي لنا أن نتغاضى عن توجيه الكتاب الكريم فيما يحكيه عن الأخبار والرهبان حفظ الله شريعته، وحفظ علينا ديننا جميعاً ؟

عبد اللطيف السبكى

والسير فيما رسمه الأخبار والرهبان في مسالكهم كان ذلك حجة على الإسلام لدى أعداء الإسلام ولم يكن هناك فارق بين علماء الإسلام وبين أخبار اليهود وrehبان النصارى وقد شنع الله عليهم .

وهذه هى الفتنة البغيضة التى تحاشاها سلف المسلمين فى دعائهم «ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم» .

وهذه فتنة - كذلك - للمسلمين الآخذين عن العلماء فيما يتبعونه من فتاويهم وأعمالهم .

الوحدة العربية

ولكن من الأحلام ما يتوقع وإن كثرت أوطانه فهى موضع لنا الشرق حد والعروبة موقع إذا دميت من كف بغداد إصبع لك ذرا الأهرام هذا التصدع لسالت بوادى النيل للنيل أدمع لبات له أكبادنا تتقطع

[على الجارم]

لقد كان حلما أن نرى الشرق وحدة إذا عدت راياته فهى راية فليس حدود الأرض تفصل بيننا تذوب حشاشات العواصم حسرة ولو صدعت فى سفح لبنان صخرة ولو بردى أنت لخطب مياهه ولو مسّ رضوى عاصف الريح مرة

من معاني القرآن

هذا الواجب وترك أداءه . أو أنكر مكانة هذا البيت فلم يحترمه ويمظمه . فإنه لا يضر بذلك إلا نفسه ، لأن الله غنى عن كل ما سواه ، والمتأمل في هاتين الآيتين يجد أن البيت وضع للناس كما يقول الله . فليس لأحد أن يحتكر القيام عليه ، أو يتجر بما يجي إليه ، أو يحول دون حجة ، وليس لقوم أن يستأثروا بخيره دون غيرهم ، وقد نسب الله إلى نفسه حيث قال : « وهدينا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وسماه البيت العتيق » ، « والمسجد الحرام » ، وجعله كما يقول سبحانه : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » . وكما يقول : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » .

ومعنى هذه العبارات الواضحة الصريحة أن هذا البيت لله ولكل من يؤمن بالله ، وأنه كما قال صلى الله عليه وسلم : « البيت قبله لأهل المسجد ، والمسجد قبله لأهل الحرم ، والحرم قبله لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمي » .

ويكفي هذا القدر . الذي لا يضيق به صدر .

عبد الرحمن قودة

إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين .

بكة . اسم لمكة ، مباركا . كثير الخير ، بينات . واضحات ، مقام إبراهيم . المكان الذي كان يقوم فيه بالعبادة ، آمنا . مطمئنا لا يشعر بخوف .

المعنى

إن أول بيت جعله الله متعبداً للناس هو الذي بمكة وهو الكعبة أو المسجد الحرام ، فليس قبله مسجد أقيم لعبادة الله وحده لا شريك له ، وهو كثير الخير والبركة ، ينتفع به الحجاج والمقيمون حوله ، ويجد الناس في حجة وفي الاتجاه إليه أثناء الصلاة هدى لهم على اختلاف ألوانهم وموطنهم ، فيه علامات واضحات تدل على جلال منزلته ومكاته ، إذ به مكان قيام إبراهيم فيه لبنانه ولعبادة ربه . وفيه الأمن يشعر به داخله فلا يخشى عدوانا عليه أو انتقاما منه ، وقد أوجب الله حجه على من يستطيع حجه من الناس . ويجد السبيل إليه ، ومن أنكر

القرآن ينهكم باليهود

للدكتور سعد الدين الحيزاوي

وتوجيهاته أى اعتراض ، وقد أراد الله تبليغ هذا المعنى من أول الأمر ، في وقت تأسيس العقيدة الإسلامية ... فقد وجهت الآيات أنظار المسلمين ألا يسلكوا ما سلكه اليهود مع موسى عليه السلام بكثرة أسئلتهم ومقترحاتهم ومطالبهم التي عجزوا عن الوفاء بها فاستحقوا غضب الله ولعنته ... فنزل قول الله تعالى : « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ؟ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » (١) . وفيها إرشاد للمسلمين ، وتحذير ... وتهكم مرير باليهود في هذه الإشارة بماضى أسلافهم

ولقد تجرأ اليهود يوماً فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول له - كشرط لدخولهم في الإسلام - : إن كنت نبياً حقاً فاطلب من ربك أن ينزل علينا كتاباً من السماء جملة واحدة كما أتت الألواح إلى موسى : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء » ، ولقد كان هدف السائلين أن يظهر عجز محمد ويسوغوا قولهم بهتاناً

دأب اليهود في دسائسهم ومحاولاتهم تشكيك الناس في رسالة محمد عليه الصلاة والسلام بما كانوا يوحون به من أسئلة عن أمور مجهولة بالنسبة للعرب ، لكنها في التوراة ، ويعرفها اليهود كما يعرفون أبناءهم ، ثم بما كانوا يوعزون به من مطالب هم يعرفون أنها مستحيلة ، مثل أن يكلم الله الناس ، أو أن يحيل جبال مكة ذهباً ... حتى جرى ذلك على ألسنة من يجملون : « وقال الذين لا يعلمون : لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية . !! » ... فأجابت الآية في أسلوب تهكمي بما يعلمه اليهود في كتابهم : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم » (٢) . والإشارة هنا إلى المعاندين لرسولهم من الأمم السابقة وفي مقدمتهم اليهود الذين طلبوا من موسى عليه السلام أن يرثيهم الله جهرة حتى يؤمنوا به .

ولما كانت آيات التشريع تنزل متدرجة ، وقد يحل حكم مكان حكم حسب مقتضيات التطور ... ولما كان القرآن وحياً من عند الله تعالى ، وينبغي ألا يكون على تشريعاته

وما تضمنته التوراة قبل أن يدخلها تحريف :
 « وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » . ثم
 تجيب الآية بأن الذي أنزل التوراة ...
 هو الله تعالى ، وهو الذي أرسل موسى ،
 ثم عيسى ، ثم محمداً ، وغيرهم من الرسل
 الكرام : « قل : الله . ثم ذرهم في خوضهم
 يلعبون (١) » .

وقد أشارت آية أخرى إلى فضل رسالة
 محمد على اليهود في تصحيح معلوماتهم : « إن
 هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر
 الذي هم فيه يختلفون (٢) » .

ورداً على ما كان من اليهود من محاولات
 لبلبلة الأفكار وتشكيك الناس فقد نزلت
 بعض الآيات توجه أسئلة إلى اليهود إمعاناً في
 كشف خباياهم ، وإظهارا لكثير مما يكتُمون
 من الحقائق الثابتة عندهم بصدق رسالة محمد
 عليه الصلاة والسلام .

وطبيعي أن اليهود لم يجيبوا عن الأسئلة
 التي وجهت إليهم ، كما أن السماء لم تحك
 إجابات على أسئلتهم مثل الذي رأيناه في
 الأسئلة التي كانت توجه إلى مشركي العرب (٣)
 للنظر في ملكوت السماوات والأرض ،

(١) سورة الأنعام الآية ٩١ .

(٢) سورة النمل الآية ٢٦ .

(٣) مثل : « ولئن سألتهم ليقولن : الله » .

وزورا أنه ليس بنبي ، ولكن السماء أجابت
 بإشارة لازعة إلى ما كان من أجدادهم الآمين :
 « فقد سألوا - أي أسلافهم - موسى أكبر
 من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم
 الصاعقة بظلمهم ... (١) » .

ولما آلم اليهود وضايقهم ذلك الكشف
 عن كثير مما يكتُمون من أخبارهم ،
 والتبكيك المتوالى في الإشارات إلى ماضي
 أسلافهم الأئيم ... تجرأ أحدهم وقال :
 ما أنزل الله على محمد ، ولا على موسى ،
 ولا على عيسى ، ولا على أحد شيئا ، ولعل
 هذا العائل كان من جهلاء القوم ، أو لعله
 أراد أن يعبر على طريقة « على وعلى أعدائي » ،
 غير أن السماء قد أخفت هذا القائل في
 أسلوب لاذع يلخص موقف بني إسرائيل
 من التوراة : « وما قدروا الله حق قدره
 إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء .
 قل : من أنزل - الكتاب الذي جاء به موسى
 نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس
 تبدونها وتخفون كثيراً ؟ » . وفي هذا
 التفصيل ما يخزي اليهود ، لأنهم يكرهون
 أن يعرف أحد عنهم شيئاً من أمثال ذلك .
 ولكنه الوحى ، ولكنه الحق الذي لا بد
 أن يذاع ثم استمرت الآية تبين لهم أن محمداً
 قد جاءكم بكثير من حقائق دينكم ،

(١) سورة النساء الآية ١٥٣ .

وأنهم قد عرفوا الحق في رسالة محمد، ولكنهم كتموا، وأنكروا ما عرفوا حسدا من عند أنفسهم، والسؤال هنا للتقرير، لأن المسئولين يعلمون المسئول عنه سواء عن معجزات أنبيائهم وموقف أسلافهم منها، أو عن الآيات الواردة في التوراة عن صفات محمد عليه الصلاة والسلام، ويكون السؤال موجها بقصد الإحراج واللوم على كتبان ما يلبون، ويتضمن أيضا تبييها وتوبيخا.

٢ - وقوله تعالى :

« واسألهم عن القرية ^(١) التي كانت حاضرة البحر، إذ يعدون في السبت، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيهم، كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون، ^(٢) ».

أشارت هذه الآية إلى مسألة من مسائلهم السابقة التي لا يعلم خبرها إلا خاصة الخاصة من علمائهم، فإذا ما أخبرهم بها محمد عليه الصلاة والسلام، وهو لم يقرأ كتابهم، كان ذلك دليلا قاطعا على أنها قد جاءت من طريق الوحي وفي مثل هذا الإخبار ما يكفي لأن يقنعهم بصدق محمد، ويجعلهم يتبعونه، أو يكفون عن أذاه، ولكنه الحقد والشر

(١) قبل إنها « آيلة » أو « مدين » أو « طبرية » (تفسير الزمخشري) وسياق الآية يدل على أنها كانت على ساحل البحر .

(٢) الأعراف ١٦٣ .

والاستدلال بما يحويه الكون من نظام بديع على قدرة الله تعالى، إذ لم يكن الغرض حاجة اليهود وجدالهم لأن الرسالة المحمدية لم تكن - في أساسها - موجهة إليهم، وإنما كان الغرض هو القضاء على ما كان اليهود يحاولون إثارته من فتن بسبب - إدعائهم علم الكتاب، ثم الكشف عن فساد ما يدعيه هؤلاء اليهود من أباطيل وإظهارهم على حقيقتهم، « حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، »، و « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء . »

ومن ذلك :

١ - قوله تعالى : « سل بني إسرائيل : كم آتيناهم من آية بينة !! ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب، ^(١) » وتاريخ بني إسرائيل مملوء بما كان لأنبيائهم من معجزات، وفي مقدمتها معجزات موسى عليه السلام، وما رآه قومه من دلائل على قدرة الله تعالى . . . كذلك في كتبهم آيات بينات لا تقبل شك ولا تأويلا، بأن رسولا سيخرج من بين صفوف العرب يتصف بكذا وكذا . . . ولا شك أن اليهود الذين عاصروا رسالة محمد عليه الصلاة والسلام قد كان من بينهم علماء متضلعون في دراسة التوراة

(١) البقرة ٢١٧ .

الاحفاد : د ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
ألا يقولوا على الله إلا الحق؟ ودرسوا ما فيه،^(١)
٣ - وقوله تعالى :

د فإن كنت في شك بما أنزلنا إليك فاسأل
الذين يقرءون الكتاب من قبلك ، لقد
جاءك الحق من ربك ، فلا تكونن
من الممترين،^(٢) .

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
شك بما أنزل إليه ، وليس المراد من هذا
التعبير أن يزيل الرسول الشك بسؤاله اليهود
عما عندهم من علم به ، وإنما هو على طريقة
التعبير في قوله تعالى د قل : إن كان للرحمن
ولد ، فأنا أول العابدين ، . ومحال أن يكون
للرحمن ولد وإذن فمحال أن يعبد غير الله .

وإنما المراد في هذه الآية لإخراج اليهود
باعتراف محمد عليه الصلاة والسلام بالتوراة
التي أنزلت على موسى وهم يعرفون ما فيها
من أصول الديانة ، وصفات الله والبشرى
بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وإذن فإن
ما عندهم من العلم يؤكد صحة نبوة محمد، وأراد
الله بتوجيه هذا السؤال تأكيد علم الأحرار
بالرسوخ في العلم بصحة الرسالة المحمدية
لا وصف الرسول الكريم بالشك .

الذي جبلوا عليه وقصة هذه الآية أن اليهود
كانوا قد نهوا عن الصيد يوم السبت، غير أن
أكثرهم كان لا يلزم حرمة هذا اليوم ، وقد
أراد الله أن يبتليهم فكانت الأسماك تظهر
على سطح الماء لإغراء بصيدها في اليوم الذي
يعتزمون فيه ألا يصطادوا ، فإذا ما عزموا
على الصيد اختفت حسرة للخالفين .

وقد احتال بعضهم على الصيد في اليوم
المحرم بحفر حفرة قريبة من الشاطئ ودون
مستواه ، ومد جدول بينها وبين البحر ، فإذا
ما ظهرت الأسماك دخلت في تلك الحفرة فيقوم
المعتمدون بسد الجداول حتى لا تستطيع
الأسماك العودة إلى البحر ، ثم يأخذونها
في اليوم التالي ، وقد استمر عدوانهم
ومخالفتهم أمر ربهم ولعنوا على لسان نبيهم
داود عليه السلام ، ولم يبالوا بوعظ الواعظين
ولا بما حل بهم من ضيق وعذاب، واستمر
فريق منهم مصرين على عدوانهم حتى حقت
عليهم كلمة الله تعالى فسخطهم قردة خاسئين
د وإذا قالت أمة منهم : لم تعظون قوما الله
مهلكم أو معذبهم عذابا شديدا؟ قالوا معذرة
إلى ربكم ، ولعلهم يتقون، فلما نسوا ما ذكروا
به أنجيئنا الذين ينهون عن سوء ، وأخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون
فلما عثوا عما نهوا عنه قلنا لهم : كونوا قردة
خاسئين ، إلى أن تشير الآيات إلى مخالفات

(١) راجع الآيات ١٦٤ إلى ١٧١ من سورة
الأعراف .

(٢) يونس ٩٤ .

ومرة أخرى توجه الآيات النظر إلى اعتراف الرسالة المحمدية بالرسالات السابقة . وبديهي أن المقصود هنا هم اليهود ؛ لأنهم الموجودون في البيئة التي نزل فيها القرآن من قوم موسى . والمراد : سأل أحبار اليهود ، العالمين بما أنزل على موسى ، هل يجدون في كتابهم إشارا كما بالله تعالى ؟ وإذن فلن نقرأ الرسالة المحمدية بالإشارة بالله . وعلى هذا يكون الأصل العام الذي جاء في رسالة موسى عليه السلام بتوحيد الإله هو نفس الأصل الذي يدعو إليه محمد عليه الصلاة والسلام .

وكان ينبغي إذاً أن يسلم اليهود بصدق دعوة محمد . ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس في حاجة إلى أن يتجه إلى اليهود ليسألهم ، وإنما هو التقرير لأصل الديانات في توحيد الله الذي جاءت به الديانات السماوية جميعاً : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ... » (١) .

دكتور محمد الربيع الجبراري

ثم استطردت الآيات تعرض بمن لم يثبتوا على الإيمان وكذبوا بآيات الله ، ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين . إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حق يروا العذاب الأليم .

وطبيعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل أحداً لأنه فهم المراد من الآية وقد سمعها اليهود وعرفوا المقصود منها فإزدادوا غيظاً وكثافاً .

وقد روى أن ابن عباس قال عند نزول هذه الآية : (لا والله ما شك طرفه عين ولا سأل أحدا منهم) .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا أشك ، ولا أسأل ، بل إنه الحق) .

٤ - وقوله تعالى : « وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا : أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (١) .

(١) الزخرف ٥٤ . واعتقد أن هذه الآية هي للدنية لا الآية ٤٥ كما ورد بالمصاحف وذلك لأن الآية ٥٤ « فاستخف قومه فأطاعوه ، إنهم كانوا قوماً فاسقين » جاءت في سياق الحديث عن فرعون وهي متسقة مع ما قبلها وما بعدها أما الآية ٤٥ فإنها بعد نهاية حديث عن اختيار قريش لاختيار محمد رسولاً . ختم بقوله تعالى « إنه قد كفرناك ولقومك ، ووف تسألون » وبعدها حديث جديد عن موسى عليه السلام « ولما أرسلنا موسى بآياتنا ، والسورة كلها مكية عدا آية واحدة : قبل لإنها ٥٤ وأرجح أنها ٤٥ .

الآلة والأداة

للمستاذ محمد درجته الأثرى

- ٢ -

والأحظ على ذلك أن الأمرين الأول والثاني متقوضان بدلالة الاستقراء اللغوي على خلافه ، وأن الأمر الثالث لم يرجع بحته إلى طبيعة اللغة ، وإنما يرجع إلى التعليل المنطقي الذي هو أساس الطريقة الأعممية في النحو العربي وإلى دعوى كثرة ورود وقلته ، ومن أجل ذلك اختلفوا فيه ولم يتنوا به إلى رأى جميع .

وهذا وذاك لا يصح أساسا لقاعدة ، ولا يصح كذلك أن يسمى ما يبنى على مثله قاعدة ، فإن القواعد إنما تبنى على استقراء الجزئيات ومناحي اللغة في استعمالها وأن تكون إلى هذا جامعة مانعة متفقا عليها كما جرى عليه عرف العلماء . وأين هذا مما كشفته من أمرها ؟

بل إنني لأذهب في ناحية الاستقراء إلى أدنى مراتبه في الباب ، وأريد استقراء أقوال علماء اللغة الأوائل فيه لا الاستقراء اللغوي العام ، فلا أجد أصحاب هذه القاعدة قد مارسوه . فنحن إذا عدنا إلى ما قدمته من أقوال هؤلاء العلماء في الكلام على الطريقة العربية ،

تتلخص هذه النقول ونحوها مما لم أنقله في ثلاثة أمور :

الأمر الأول :

أنها تنحصر اشتقاق اسم الآلة بالفعل ، وبأن يكون معلوما وثلاثيا متعديا ، وتمنعه من اللزوم والمزيد ومن أسماء الأعيان وإن ورد في كلام العرب عشرات بل مئות من الأسماء المشتقة منها

الأمر الثاني :

أنها تفصر الأوزان الاشتقاقية على مفعل ومفعول ومفعلة على اختلاف في أيها هو الأصل .

الأمر الثالث :

أنها اختلفت في قياسيتها ، فقال الأكثرون . يطرد مفعل ومفعول ومفعلة ، وقاس بعضهم على مفعل ومفعول ومنع القياس على مفعلة ، واشترط بعض آخر السماع فيها كلها ومنعوا أن يطبق القياس ويعمل به إلا في المسموع ، فكادوا يبطلون القياس ويسدون بابا في شأن اسم الآلة ...

ولكن هذا العجب يزول حين نرد الأمر إلى طبيعة التقليد الذى يتعبد بكل مألوف عن تعصب ، وتكون منه عند صاحبه عادة التسليم لكل مقروء بحيث لا يخطر فى نفسه أن يفكر فى بحشه ونقده للخلوص إلى الحقيقة التى هى مطلب الإنسان المثقف .

وإذا بلغت بالبحث إلى أثر المسألة فى عصرنا ، فقد لزمى اسقيفاؤه أن أعرض لظاهرة من نقدها عند لغوى مفكر متعمق للغة ومدرك لحاجات العصر ، نقل نتائجها عنده على النحو الذى تهدى إليه إلى مجمع اللغة العربية فى بداية تأسيسه قبل ثمانية وعشرين عاما ، ورعى فى جملة نقده إلى صوغ اسم الآلة من كل فعل ثلاثى أو غيره متعدد أو لازم ومن أسماء الأعيان أيضا ، ولكنه وقف فيه عند ترجيح أقوال اللغويين على أقوال النحاة ولم يتعمقها ولم يرجع إلى أقوال النحاة القدماء وطريقتهم فى بحث اسم الآلة ، ولم يبين أسرار الاشتقاق من هذه الأشياء ودلالات الفروق التى تنشأ من كل نوع منها ، ووقف أيضا عند بحث الصيغ الثلاث مفعلة ومفعل ومفعال ، ولم يتعرض لصيغة أخرى يضيفها إليها . وبحشه هذا على ما ذكرت من نقصه صادف ما يستحقه من عناية ، فنوقش ، وشايه عليه فريق من الأعضاء ، وعارضه آخرون معارضة شديدة . لماذا ؟ لأن أقوال النحاة لا تقبل الراد لكن إذا كانت

وهرضنا القاعدة عليها ، اهتدينا إلى أنهم إنما عرفوا منها قول سيويه وحده فى المعنى العلاجى الذى استنبطوا منه شرط اشتقاق اسم الآلة من الفعل الثلاثى المتعدى دون غيره . وقول سيويه ليس هو وحده فى السبب ، فإن إلى جانبه أقوالا لغيره من علماء اللغة الأثبات الذين قصروا جهدهم كله على الاستقراء وتعمق اللغة ، تصحح قول سيويه كما شرحته آنفا ، فهل عرفوها ثم تخيروا منها كلام سيويه ورجحوه عليها ؟ وإذا كان ذلك ، فهل من حقهم أن يفعلوه ، وأن يرجحوا قولاً على قول ولا يذكروا علة ترجيحهم ؟ أو ليس من حق اللغة وحق أصحابها أن يطالبوا بأداء أمانتها فى صدق وأن يأخذوا بحجز الباحثين أن ينطلقوا مع الأهواء أو يتسكعوا فى الدراسات القاصرة ؟ أو أقول إن القوم لم يعرفوا أقوال هؤلاء العلماء كما يدل عليه ظاهر حالهم ، فيتحقق بذلك رأى فى أنهم لم تكن لهم تجربة حتى فى أدق مراتب الاستقراء تخولم أن يضعوا قواعد اللغة العربية على هذا النحو من التحجير الذى تأباه طبيعة اللغة العربية ولا تفره مناحى استعمالات أصحابها العرب ؟ .

ولست أعجب بعد هذا لشيء عجيب لمثل هذه القاعدة المعوقة أن تسلك سبيلها إلى الأذهان ، ثم تجتاز العصور حتى تبلغ عصرنا وتكون فيه (نافذة المفعول) كما يقال !

للوصول إلى تحرير المسألة ، أمضى بالبحث إلى غايته ، فأقرر أولا : أن أوزان أسماء الآلة والأداة لا تنحصر في ثلاثة كما توهمه قاعدة النحاة ، وإنما هي كثيرة ، ومنها فاعل وقاعلة وفعل وفعل وفميلة وفاعول وفعالة ومفعول ومفعولة ومفعول ومفعول ومفعلة .

واقرر ثانيا أن العرب قد اشتقت عليها كلها من الأفعال المتعدية واللازمة ، ومن الثلاثية وغير الثلاثية ومن المصادر وأسماء الأعيان ، ولهذا سر دقيق سأكتشفه .

وما وسع العرب من التصرف بعقلها في لغتها وتنويع أوزان كلامها واشتقاقه ، ينبغي أن يسعنا أيضا ، فلا يحرم علينا ما أحلوه لأنفسهم . ولا يحجر علينا الواسع مما توسعوا فيه ما لم نرد الخروج على مقاييسهم ، ونحن إلى ذلك في دهرنا أحوج منهم إليه .

والعرب إذ تتوسع في لغتها بالاشتقاق وتنويع صيغته ، إنما تتصرف بحرية تجرى مع غريزتها اللغوية في إقامة دلالات الألفاظ على المعاني ورموزها عن الفروق التي تميز معنى عن معنى ، فاشتق مثلا الاسم من الفعل المتعدى وتريد به المعنى العلاجي الذي يوصل أثر الفعل إلى منفعله ، كلمة ص والمنشأ والمكسحة والسداد والحاملة والساطور والقذافة . واشتق من الفعل اللازم لتدل

أقوال النحاة أنفسهم متعارضة ، بعضها ينقض بعضا ، فكيف لا ترد ؟ وأين تبقى قاعدة الأصوليين في رد القوانين المتعارضين : « إذا تعارضا نساقطا ؟ أفلا ينبغي أن يسقط ما نساقط من نفسه ؟

ولم يذنه مجمع اللغة العربية من مناقشة الموضوع إلى نتيجة حاسمة ، وإنما انتهى إلى قرار بإقرار القاعلة ، ونوه المقرر أو شارح القرار بعظم بركته . وقال بالنص : « إن مجمع اللغة العربية المملوك وجد في الأوزان الثلاثة سدادا من عوز ، ولم يتوسع في صوغ اسم الآلة من أى فعل أو اسم عين ، وإنما راعى جمهرة المسموع ، إلى آخر كلامه .

ولكن من الحق أن نقرر إن مجمع اللغة العربية في الناحية العملية لم يجد يؤيد في هذه الأوزان الثلاثة سدادا من عوز ، فخالفها في أحيان كثيرة إلى أوزان أخرى من نوع فاعلة وفعالة صاغ عليها عشرات من أسماء الآلات والأدوات يتعرفها متبوع دراساته في مجلته ومحاضر جلساته ومجاميع مصطلحاته في غير عناء ، وهو فعل هذا كما فعل كثير من اللباثين والمترجمين فعله من قبل ومن بعد دون أن يتخذ فيها قرارا ، أو يتذكر هذا القرار فيرتد إليه وينزع عن إباحة ذلك .

بعد هذا التفصيل الذي لم يكن بد من تأسيسه

واللغة نظام تابع في مساراته لهذا النظام العام ، تجري بسبيل لا يحدد عنه وليس بمجد في بنا. قواعدها وضوابطها أن تقصر النظرة على كثرة ورود أشي. وقلته دون استكناه هذا السر الذي كشفناه ونعرفه .

أما الأصل الذي جرى عليه البصريون وخالفهم من مقلدة النحاة ، فهو من أفسد الأشياء . أوقعهم في أشياء من التناقض والاضطراب . وانتهى بهم إلى الحكم على معظم أعاظ اللغة العربية بأشذوذ ، وقيد حرية التصرف فيما كانت العرب تتصرف فيه وحرم المباح من الاستعمالات العربية الأصلية أن يقاس عليها . حتى اعتبر المقيس على ما يظنونه قليلا شاذاً أو عامياً ، كما ظن لزيدي مثلاً (المزولة) بالعامية ، مع أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم تجر إلى مفسدة ، وأية مفسدة في المادة - أحراد الاشتقاق على مقاييس كلام العرب في المشتقات دون المرجلات ، كثر ورودها أو قل ؟ ولماذا يكون المقيس على القليل ، على فرصته ، شاذاً أو عامياً ؟ فليس مذهبوا إليه من هذا الأصل العاسد في بناء الضوابط وإنما الأصل هو ما نبينته من سر النظام اللغوي في أصل الطبيعة العربية من حيث مباحيها في الكلام

فهو الذي ينبغي أن تبنى عليه الأحكام ، لتساير الضوابط المستحدثة الهطرة اللغوية ،

على قيام المعنى بنفسه ، وأن مدلوله هو غير مدلول المشتق من الأفعال المتعدية كالعرف والمرجحة والمصباح والسراج والمائلة والدراجة ، ونشتق من الاسم الجامد ونقصده اختصاصه به ، كالخضرة من الخضر لأنه يسند بها ، ولخنة من الخند والمصدغة من الصدغ والموركة من لورك والمرفقة من المرفق لأنها تتخذ لها وتوضع تحتها .

ولا ريب في أن جميع هذه المعاني الاشتقاقية المتنوعة الآخذ والدالات ، قائمة في النفس دائماً ، محتاج إليها في الاستعمالات أبداً ، وإنما يقوى بعضها ويكثر ويضعف بعض آخر ويقل على حسب ما يتوفر له من الدواعي والحاجات . فقد تشتد الحاجة في زمن إلى نوع من الألفاظ يستكثر بالوضع والاشتقاق ، وقد تضعف الحاجة في زمن إلى هذا النوع وتشتد نوع آخر فيضعف لأرل وتضيق دائرته ويموت كثير من ألفاظه ويتسع الثاني وتكثر أفراده وتقوى أسرته ، وقد تشتد الحاجة في زمن آخر إلى هذه الأنواع جميعاً فتستعمل كلها وتستكثر أفراد كل نوع استكثاراً لا يحد .

وهكذا تسير اللغة في ركب الحياة ، وتجرى مع الحاجة صعوداً أو هبوطاً على حسب الأطوار التي تتجدد أو تتقلب عليها الحياة في نظامها العام .

ومنه ابن الأعرابي وثلعب وابن فارس ، وهو أن كل لفظ من المترادفات فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة ؛ لأن كثرة الألفاظ للمعنى الواحد إذا لم تكثر بها صفات هذا المعنى كانت ضربا من العبث الذى تجل عنه هذه اللغة الحكيمة المحكمة . ويتسارق مع هذا المذهب ما قدمت آتفا من قول ثعلب وابن السكيت د ما يعتمل به أو ينقل ، ، الذى استنتجت منه إرادتها التفريق بين الآلة والآداة بدلالة التثيل للقاعدة بأسماء تنوع دلالات ما اشتقت منه عن تعدية ولزوم .

فلا جرم أن بين (الآلة) و (الآداة) فرقا ، لأن الآلة التى يعالج بها ، وتكون واسطة بين الفاعل ومنفعلة فى وصول أثره إليه هى غير الآداة التى يرتفع بها .

وهذا القول بوجود الفرق بينهما إنما يجرى بسبيل من دلالة تنويع العرب الاشتقاق فى هذا الباب من الأفعال المنعدية التى تفيد العلاج تارة ومن اللزوم وغيره تارة لإفادة معنى آخر ، وفائدته عظيمة فى حل المشكله حلا يلائم قطرة اللغة فى إطلاق حرية اشتقاق أسماء الأجهزة وأسماء الآلات وأسماء الأدوات من الأفعال والأسماء التى تلائم معانيها ووظائفها .

وقديما فرق أصحاب العلوم بين الآلة والآداة ، وهو ما نستأنس به فى هذا الشأن ،

ولينتفع بكل مورد من موارد اللغة على وفق النظام الطبيعى الذى خلقت منه وعليه .

وأقرر بعد هذا وذاك أن هذا التقسيم الذى أستحدثه كما يلائم كل الملائمة السر اللغوى الذى أرادته العرب فى تنويع أوزان أسماء الآلة والآداة وتنويع ما تشق منه . كذلك يلائم كل الملائمة طبيعته الحياة للصناعية وحاجاتها فى العصر الحاضر إذ هى تضع أمامنا أجهزة وآلات وأدوات ، يختلف بعضها عن بعض ويفرق أصحاب الصناعات بينها بحسب وظائفها .

وأما (الآلة) و (الآداة) فإن كلام المعجمات والمتداول من كتب اللغة وبعضها ناقل عن بعض ، موجزا إيجازا شديدا لا يخرج عن تفسير الآلة بالآداة والآداة بالآلة ولا يشير إلى فرق ما بينهما إلا قليلا يؤخذ بالاستنتاج ، كقول الزبيدى فى مستدركات التاج د والآلة ما اعتملت به من أداة .

ومؤدى كلام هذه المعجمات أن الآلة والآداة لفظان مترادفان أو قعتهما للعرب على معنى واحد ، كما تقول السيف والعصا ، والأسد والذئب والغضنفر ، والخز والراح والقرقف ، وهو مذهب لبعض علماء اللغة فى المترادفات ، والصحيح ما عليه الأكثرون

مثلهم هذا الإغراق في الإطلاق ، كما لم أحب أن أجد جمود المخالفين من النحاة النازعين إلى مذهب البصريين في التقليد .

والأوزان التي أريد إضافتها وإباحة الاشتقاق عليها ، هي :

١ - فقال : وهذا الوزن هو الوزن الوحيد الذي حظي بعناية النحاة به بعد الأوزان الثلاثة المذكورة ، ولكنهم حكموا بعدم اطراحه بناء على قاعدتهم في الكثرة والقلة ، وإذا كان كل ما عرفوه منها — كما قال بعضهم — سبع كلمات ، إلا بعض القدماء قال بقياسه ، لأن فيه كثرة عرفها وجهلها أولئك ، وهي في الحقيقة أكثر مما جاء من العرب من اسم الآلة على مفعلة ومفعول ومفعال ومن هذا نبتين مالمخ حظ هؤلاء فيما زعموه من استقراء اللغة العربية ومن دعواهم بناء أحكامهم على الكثرة التي يزعمون . وقد استقصى بعض المعاصرين ماورد على هذا الوزن من أسماء الآلة ، فجمع منها كما قال أكثر من اثنين وأربعين كلمة ، وأحصيت ألفا مئين . وقد لاحظت أن العرب قد عاقبت بين فعال ومفعول في كلمات غير قليلة ، مثل : سنان ومسن ، وصراد وصرد (١) .

ولقد ألفيت بجمع اللغة العربية — في

فاستعملوا كلا منهما في معنى خاص ، فأطلقوا (الآلة) على العلوم الآلية ؛ لأنها في عرفهم هي الوسطة بين الفاعل ومنفعله في وصول أثره إليه وقالوا : إن إطلاق الآلة على العلوم الآلية كالنطق مثلا مع أنها من أوصاف النفس ، إطلاق مجازي ، وإلا فالنفس ليست فاعلة للعلوم غير الآلية ، لتكون تلك العلوم واسطة في وصول أثرها إليها وأطلقوا (الأداة) على الحرف المقابل للاسم والفعل وهو ما فعله النحاة والمنطقيون .

وكما أقرر إطلاق قيود الاشتقاق في هذا الباب انسيافا مع أغراض اللغة في تنويع دلالات المشتقات بحسب تنوع ما تشتقه منه من الأفعال وغيرها ، ومع أغراض الصناعات الآلية المختلفة في العصر الحاضر ، وأنا معتقد صحة مذهبي ومعى الحجج التي أطمئن إليها . . أقرر كذلك إضافة أوزان أخرى اشتق عليها العرب من مثل مفعلة ، ومفعول ، ومفعال تنفيسا للغة من كرب التضييق عليها من غير مسوغ ، وفتحنا للسالك الكلامية أمام الناطقين بها ، من غير نظر إلى كثرة أو قلة ، ما دام كلام العرب قد جرى به كما هو مذهب الكوفيين في إجازة القياس حتى على المثال الواحد المسموع وإن لم أحب أن أغرق

(١) السراد والسرود : المحصف وما يفرز به .

فقالوا : نجار ، وخباز ، وسباك ، وأن من أسلوب العرب إسناد الفعل إلى ما يلبس الفاعل ، زمانه ومكانه ، أو آله ، فقالوا : نهر جار ، ويوم صائم ، وليل ساهر ، وعيشة راضية . وعلى ذلك يكون استعمال صيغة فعالة أسماء الآلة استعمالاً عربياً صحيحاً .

وأرى هذا يصح اللجوء إليه إذا صحت دعوى عامة هذا الاستعمال ، وهي ليست بصحيحة ، لأن استعمال وزن فعالة أسماء الآلة استعمال عربى فصيح من قديم استعمالات اللغة كما رويت من أمثله ، وليس بعامى ، وهو يقر لا بتخرجه بالتعليل المنطوق ، بل لأنه نص فى استعماله القديم وزناً من صميم أوزان الآلة فى اللغة العربية وقد استخرجت من هذه الأوزان — بالاستقراء ما استخرجت ، وعرضتها مع أمثلتها فى هذه الدراسة الناقدة على أنظار السادة القراء ، ليروا فيها رأيهم ، فيقرروها أو يرفضوها ، أو يقرروا بعضها ويرفضوا بعضها آخر ، والله الموفق .

محمد بهجة الأثرى

الناحية العملية — قد انساق منذ أول نشأته إلى استعمال بعضها فى مواضعه العلمية والفنية دون أن يلتفت إلى قاعدة النحاة التى أقرها يومئذ كما قدمت . وألميت المحدثين من خاصة وطامة وقد حملتهم مطالب الحياة على استعمال أوزان غير مباحة عند النحاة للسميات الآلية المستحدثة ، قد صاغوا أسماء آلة على وزن د فعالة ، ولم يستفتوا فيها النحوى ، لأنهم وجدوها سائغة فى الذوق ومؤدبة المعانى التى يريدون ، ولأن حاجتهم إليها لا تسمح لهم بالمراجعة والتلبث وانتظار صدور الفتاوى . وكثر ذلك فى استعمالهم وظلنه بعض الأدباء عامياً ، فأحب إدخاله فى زمرة للفصيح ، فافترح على مجمع اللغة العربية إضافة صيغته إلى الصيغ الثلاث المعروفة « للتيسير على الناس وتقريب العامية من الفصحى » . وأقر المجمع الموقر الاقتراح ، ولكن بعد أن خرجه تخريباً منطقياً بأن (صيغة فعال فى العربية من صيغ المبالغة ، وأنها استعملت أيضاً بمعنى النسب أو صاحب الحدث ، وعلى الأخص الحرف ،

مع البلاغيين :

اللفظ والمعنى

للأستاذ على العمّار

قال أحد الباحثين في علم الجمال : « إن المضمون والصورة في الفن لا ينفصلان ، ولا يمكن أن يفكر فيهما على أنهما قابلان للقسمة ؛ لأنه لا يمكن أن يفكر في أنهما هنصران مجتمعان » .

والطريقة الوحيدة للتعبير عن علاقتهما هي أن يقال : إن أحدهما أحد مظهرى الآخر ويشبهون اللفظ والمعنى بشقّى المقرّاض لا يقطع أحدهما بدون صاحبه .

وخلصوا من كل ذلك إلى أن جمال الأدب لا بد فيه من حسن اللفظ وجودة المعنى جميعا ، وظنوا بذلك أنهم قالوا الكلمة الأخيرة وربما نسوا أن القدماء أنفسهم تحدثوا حديثا كهذا ، وأنهم رأوا — بحق — أن الغاية في البلاغة أن يجمع الكلام الحسن من طرفيه اللفظ والمعنى ، وليس يقدر على ذلك إلا امرؤ في طبيعته فضل من احتمال غيرته ، وفي قريحته زيادة من القوة على صناعته ، حتى لا يضع اللفظ الحر النبيل إلا على مثله من المعنى ، ولا اللفظ الشريف الفخم إلا على مثله من المعنى .

هذه قضية كثير حولها الجدل ، وغاض فيها القدامى والمحدثون ، وتناولها النقاد من العرب ، ومن فيهم ، ويبدو أن الكلمة الفاصلة لم تقل بعد ، وإن كان بعض من كتبوا ظنوا أنهم أتوا بالقول الفصل ، ودونوا الحكم الذى ليس إلى الشك فيه سبيل رأو القدماء يطيلون الجسد حول السر في بلاغة الكلام وروعته ، وينقسمون إلى طائفتين كبيرتين : طائفة ترجع ذلك إلى تخير اللفظ ، وشرفه ، وطائفة ترجمه إلى إصابة المعنى ، وجودته ، فظنوا أنهم لو قالوا : إنه لا يوجد لفظ ومعنى مستقلان ، وأنهما ليسا كالماء والقدرح بمعنى أنه يوجد معنى أولا ثم يسكب ، وأن الإنسان حين يتكلم إنما يتكلم معنى ولفظا في وقت واحد ، فليس للمعنى كيان بلا لفظ .

وقالوا : إننا لا نتحدث عن مضمون وصورة على أساس استقلال المضمون عن الصورة ، فى المنشأ والتكوين ، بل على أساس أن الصورة هي ظاهر المضمون ، وأن المضمون هو باطن الصورة .

صدق على ذلك ، وقد قال ابن قتيبة ، في بيت لبيد بن ربيعة :

ما عاتب الحر الكريم كنفه

والمرء يصلحه المجلس الصالح

« هذا ، وإن كان جيد المعنى والسبك

فإنه قليل المساء والروث ، فالبيت وإن كان

يتضمن معنى جيدا ، وقد صيغ صياغة محكمة ،

غير رائع ولا رائق ، هذا حكم ابن قتيبة ،

وأعتقد أنه لا يزال حكما ، وإن بعد العهد

بيننا وبين هذا العالم الجليل ، فأنا ما قرأت

هذا البيت ، أو تأملته إلا حكمت عليه حكم

ابن قتيبة . ولم يكن القول بتفضيل أحد

المتلازمين (اللفظ والمعنى) من رأى

البلاغيين وحدهم بل أثر ذلك عن أصحاب

البيان أنفسهم :

سمع خالد بن صفوان - الخطيب المشهور -

رجلا يتكلم كثيرا فقال : أعلم - رحمك الله -

أن البلاغة ليست بخفة اللسان ، وكثرة

الهديان ، ولكنها بإصابة المعنى ، والقصد

إلى الحجة .

وقال ربيعة الرأي : إني لأسمع الحديث

غفلا فأشغفه ، وأقرطه فيحسن ، وما زدت

فيه شيئا ، ولا خيرت له معنى .

ولا نزال نرى اختلاف الأساليب ،

واستحسان فريق من الناس لأسلوب دون

أسلوب ، ولا يمكن أن يقول عاقل : إن أسلوب

نعم ، وحتى يعطى اللفظ حقه من البيان ،

ويوفر على الحديث قسما من الصواب ، ويحقق

لكلام حظه من المعنى ، ويضع جميعها

مواضعها ، ويصفها بصفاتها ، ويوفر عليها

حقوقها من الإفصاح والإعراب .

وقد أكد الأوائل - أيضا - أنه لا معنى

إلا بلفظ ، ولا لفظ يخلو من معنى ، وأن

الإنسان يرتب المعاني في نفسه ، ثم يحدو

عليها الألفاظ (١) .

ولمّا أفردوا الحديث عن اللفظ ،

والحديث عن المعنى لأن لكل منهما صفات

مستقلة عن صفات الآخر ، قال ابن الأثير ،

« وليس لقائل هنا أن يقول : لا لفظ إلا

بمعنى فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى ؟

فإني لم أفصل بينهما ، وإنما خصصت اللفظ

بصفة هي له ، والمعنى يجرى تبعا فيه ضمنا ،

وتبعا (٢) .

غير أننا لا يمكن أن ندعى أن كل كلام

حسن مقبول قد قرى الحسن من جهته ،

بل الحقيقة أننا وغيرنا نستحسن كلاما لجودة

معناه ، وإن كان لفظه دون الغاية في الفصاحة ،

ونستحسن كلاما آخر لما فيه من لفظ عذب ،

وإن كان معناه عاديا ، والذوق السليم شاهد

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ٣٤٩ .

(٢) للثلث السائر - ١ - ص ٢٧ .

ومحجونهم بأن الأدب فن، ولا بد في الفن من التأني، إلى حجج كثيرة أخرى، وكل ذلك يدور حول أدب اللفظ كما يسميه المجدودون - وأدب المعنى، فن الضروري أن يقول النقد كلمته في هذه القضية كلها جد ما يستدعي الحديث فيها .

على أننا نستطيع أن نتصور فصلا بين اللفظ والمعنى، فن التجارب التي يعانها الشعراء والكتاب أن المعنى قد يترامى لأحدهم، ويقوى إحساسه به حتى ليكاد يلمسه ولكنه لا يهتدي إلى تصويره وربما أسعفته الذاكرة فوجد لفظا يلبسه إياه .

ومعنى هذا - عندي - أن المعنى وإن لم تكن له صورة مستقلة بغير لفظ، قد يكون خيالا في خاطر الشاعر أو الكاتب، وقد يكون بصورة عامة .

كان الشاعر الناشئ يرى صاحبته تسير في شارع من شوارع الإسكندرية فيتعجبها بنظراته (دون أن يجرؤ يوما على الحديث معها، وطال تردده على هذا الشارع ليراها تسير فيه، ثم علم أنها رحلت إلى مدينة أخرى فظل يهبط إلى هذا الشارع كل يوم في الميعاد الذي كان يراها فيه، وهو موقن أنه إن يراها وكان في نفسه حديث لم يفصح عنه بالالفاظ، ولكنه أفصح عنه بتصرفه، فهو مدرك تمام الإدراك لماذا يسير في هذا الشارع،

الملاحظ وابن العميد متاثران، حتى إن الكاتبين من مدرسة واحدة يختلف أسلوبهما كما نراه في أسلوب القاضى الفاضل والعماد الأصفهانى، وقد وصف ابن الأثير أسلوبين من أساليب الشعراء فأبرز الفرق بينهما حيث قال: الالفاظ تجري من السمع بحرى الأشخاص من البصر، فالالفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والالفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص في دماثة ولين أخلاق، ولطافة مزج، ولهذا ترى الالفاظ أبى تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم، واستلثموا سلاحهم، وتأهبوا للطراد، وترى الالفاظ البحتى كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات، وقد تحلین بأصناف الحلی^(١).

ومهما قيل: إن أسلوب الرجل هو الرجل نفسه، فإن هذا الاختلاف في الأساليب بما يؤكد أمر الفصل بين الالفاظ والمعاني .

وقد شهد جيلنا هذا معارك كثيرة تدور حول الجديد والقديم، وتغصب أقوام للجديد وناضلوا دونه، وكان أقوى ضرباتهم موجها إلى الأساليب القوية الرائعة، وهم يعدون هذه الأساليب كما يقول أحدهم - (حلاوة محضنة) ولا يعتدون بشيء إلا المعنى، وكل ما يتطلّبونه من الأسلوب أن يكشف عن هذا المعنى، ويعارضهم المتمسكون بالأسلوب البياني .

ومن عجب أن أكثر هؤلاء الذين يأبون أن يخص كل من اللفظ والمعنى بحديث ، وينقلون عن الغربيين أن المعنى واللفظ ليسا كلماء والإناء ، يفسون بعد قليل أو كثير من صفحات كتبهم هذا الذى آمنوا به ، ويعودون إلى حديث الفصل بينهما ، فهذا الذى قال ما نقلته فى أول هذا المقال ، لم يلبث أن عاد إلى الأمر الطبيعى فذكر تشبيها مؤداه أن اللفظ والمعنى منفصلان ، قال : وقد مرت عصور على الأدب ، العربى كان صورة ظاهرها راق ، وباطنها فراغ ، كحبة الجوز الفارغة .

فحبة الجوز الفارغة هذه لفظ بلا معنى ، وحبة الجوز الأخرى المملوءة لفظ ومعنى ، ولكنهما منفصلان انفصال الماء والإناء . على أن هذا الأدب الذى يشبه حبة الجوز الفارغة كان له أنصار ومحبون والأدب الآخر الذى يقابله ، والذى يشبه لب الجوز بعد أن أزيلت عنه قشرته الجميلة البراقة له - أيضا - أنصار ومحبون .

فلترك الأمور على طبيعتها دون أن نلج عليها بالتدقيق الفلسفى ، ولنتحدث عن اللفظ والمعنى .

وقبل أن نصل إلى رأى المختار فى هذه القضية نعرض لآراء البلاغيين والنقاد

ولا أمل له فى لقاء صاحبه ، ثم نظم هذا الذى طالما جرى فى خاطره فقال :

وأسير فى هذا الطريق وما دعا

داع ، ولكن كنت فيه أراك

فاستراحت نفسه ، وهذا خاطره ، وخيل

إليه أنه قيد شيئا كان يحاول الإفلات منه .

وقد ينظر الأديب إلى معنى فى بيت من

الشعر - مثلاً - ينظمه فى سلك آخر وليس

المعنى الثانى هو بكل حذافيره المعنى الأول ،

وإن كان هو هو فى الجملة ، مثال ذلك ما صنعه

ابن الأثير فى بيت المتنبي :

لا تعذل المشتاق فى أشواقه

حتى يكون حشاك فى أحشائه

فقال :

لا تعذل المحب فيها يهواه

حتى تطوى القلب على ما طواه

حقيقة بين المعنيين اختلاف فى الجزئيات ،

قطب القلب على الهوى ، غير أن يكون القلب

فى القلب ، ولكن هيكل المعنى واحد

فى النصين .

فن الواضح أن ابن الأثير تصور معناه

قبل أن يكسوه ألفاظه ، فلما صاغه أضاف

إليه بعض التفاصيل ، ولا يمكن أن نقول

إنه صار معنى آخر من كل وجه .

والشيخ عبد القاهر فى مثل هذا الموضوع

كلام سنعرض له عند الحديث عن رأى

الشيخ فى اللفظ والمعنى .

ففي هذا دليل لمن عقل أنهم لا يضمنون بحسن العبارة مجرد اللفظ ، ولكن صورة وصفة وخصوصية تحدث في المعنى ، وشيئاً طريق معرفته على الجملة العقل دون السمع .

أما معاصروه فقد أرادوا من العبارة والأسلوب الألفاظ ، ويستبعد أن يكونوا أرادوا بها - كما أراد الأوائل - المعاني ، لأنهم لو أرادوا ذلك لاتبعوا ذلك من قولهم ما ينبغي عن غرضهم وإذ لم يقولوا ذلك ثبت أنهم إنما يريدون من الألفاظ ما يفهم منها في اللغة .

وهذا واضح في كلام بعض البلاغيين المتأخرين عن عبد القاهر ، فقد قال ابن الأثير أن العرب وإن كانت تعتنى بالألفاظ إلا أن المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأشرف قدرأ في نفوسها ، وأول ذلك عنايتها بألفاظها لأنها لما كانت عنوان معانيها ، وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحوها وزينوها ، وبالغوا في تحسينها .

وقد تردد في كلامهم لفظ (النظم) وهو - عند عبد القاهر - ليس شيئاً غير توخي معاني النحو بين الكلم .

يؤخذ من كلامهم أن المعاني أنواع : المعنى الأول ، والمعنى الثاني ، والمعنى الثالث . فالأول هو المعنى الحقيقي للألفاظ ، والثاني

القدائي ، ونمهد لهذه الآراء بتحديداتهم للفظ ، وللمعنى .

اللفظ - عندهم - يطلق على معان :

يراد به الكلمة المفردة ، ويراد به الأسلوب ، والأسلوب - كما عرفه عبد القاهر - الضرب من النظم والطريقة فيه - وإن كان عبد القاهر يرى أن ذلك معنى من المعاني ويحمل عليه كلام الأوائل ، وهو يتحدث عن المقلدين من معاصريه ، أو من الذين عاشوا في زمن قريب من زمنه ، ويخطئهم في أنهم : (حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره وأبوا أن ينظروا في الأوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ مثل قولهم : لفظ متمسكن غير قلق ولا ناب به موضعه إلى سائر ما ذكرناه قبل ، ففعلوا أنهم لم يوجبوا للفظ ما أوجبوه من الفضيلة وهم يضمنون نطق اللسان ، وإجساس الحروف ، ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا اللفظ وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى ، والخاصة التي حدثت فيه ^(١)) .

ويذكر فصلاً للرزباني في الموشح يشيد فيه باقتدار البحترى ، واهتمامه شاعر آخر إلى نقاء العبارة ، وحسن المأخذ ، ثم يقول :

يشرب بكفه ، وهذا ليس ببخيل فيشرب
بكف من بخل ، ثم يقول : وهو معنى لطيف .
وفي قول النابغة للنعمان :

خطاطيف حجن في حبال متينة

تمتد بها أيد إليك نوازح

أراد : أنت في قدرتك على تخطاطيف
عقف ، وأنا كدلو تم بتلك الخطاطيف .
ويذكر ابن قتيبة أنه رأى العلماء يستجيدون
معناه ، ثم يقول : وعلى أنى لست أرى
المعنى حسنا .

وهذا التفسير الأخير للمعنى هو الشائع
في كتاب ابن قتيبة ، وهو مراده حينما يذكر
للشاعر معنى سبق إليك ، وأخذ منه ، فإنه
يجيء بالبيتين أو الآيات تتفق في جملة
المعاني الجزئية .

ومن عجب أن الإمام عبد القاهر يجعل
التشبيه غرضاً ، ويؤول كلام الأوائيل عندما
يقولون معنى العبادة ، والتشبيه كذا ، بأن
المراد بالمعنى هنا هو الغرض ، فيقول في فصل
من دلائل الإعجاز : « لا يكون لإحدى
العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها
في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها . فإن قلت :
فاذا أفادت هذه ما لا تفيد تلك فليستا
عبارتين عن معنى واحد ، بل هما عبارتان
عن معنيين اثنين : قيل لك : إن قولنا
(المعنى) في مثل هذا يراد به الغرض ، والذي

هو لازم المعنى الأول ، وهذان ظاهران
في الجاز والسكنانية ، أما المعنى الثالث ، فهو
لازم اللازم ، ولنضرب مثلاً بقول النبي
صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده » . إذا قلته وأنت تريد إنساناً
بمعينه ، فمعناه الأول هو انحصار الإسلام
فيمن لا يؤذى الناس لا بلسانه ولا يده ،
ومعناه الثاني معنى كثنائي ، وهو نفي الإسلام
عن المؤذى مطلقاً ، ومعناه الثالث معنى
تعريض ، وهو نفي الإسلام عن شخص معين .

وقد يقصدون من المعنى الغرض ، وهكذا
فهم الشيخ عبد القاهر في بعض كلام الأوائيل :
(ولا يغررك قول الناس قد أتى بالمعنى بمعينه
وأخذ معنى فلان فأداه على وجه فإنه تسامح
منهم ، والمراد أنه أدى الغرض) (١) .

وفسر المعنى في موضع آخر بأنه حكمة
أو أدب أو تشبيه غريب ، أو معنى فادر .
وفهم من كلام ابن قتيبة في مقدمة الشعر
والشعراء أن المراد بالمعنى تارة هو المعنى
العام ، فزاه يقول مثلاً : هذا الشعر لم يقل
أحد في الهيبة أحسن منه ، أو لم يقل أحد
في الكبر أحسن منه ، وقد يريد المعنى
الخاص فهو يذكر قول الأعشى :

ياخير من يركب المطى ولا

يشرب كأساً يكف من بخلا

ويشرح الشطر الثاني بقوله : إن كل شارب

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٠٢ .

الإسلام في ذروة انتصاراته

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

منذ نزلت رسالة الله الخالدة على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة الإسلام ، وهي تخوض أعنف المعارك ، وتلاقى أضخم الحصومات ؛ وانتصر الإسلام في جميع معاركه ؛ لأنه دين الحق ، ودين القيمة ، وشريعة الحياة .. انتصر في معاركه مع الوثنية فهدم صروحها ، وخفض عروشها ، وأزال دولتها من الوجود ، وكان بمجد صلوات الله عليه يؤذن بفنائها ، منذ بعث إلى الناس كافة ؛ حتى وهو في أشد المحن والخطوب ، كان يبشر

(بقية المنشور على صفحة ٩٦٥)

أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه نحو أن تقصد تشبيه الرجل بالأسد فتقول : زيد كالأسد . ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول : كأن زيدا الأسد فتفيد تشبيهه أيضا بالأسد إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول وهي أن تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه وأنه لا يروعه شيء بحيث لا يتميز عن الأسد ولا يقصر عنه حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي (١) .

فالذي نعرفه أن الغرض في مثل هذا التركيب هو المدح ، أما وصف الرجل بالشجاعة فإنما هو معنى ، وقد انفقت العبارتان في أدائه ، وإن زاد توكيده في إحداها .

• للحديث بقية •

على العماري

(١) ص ١٩٩ .

اكنتم عن الناس خبرنا . وبلغت رسول الله إلى سراقة قائلا : كيف بك يا سراقة إذا لبست سوارى كسرى وتاجه ومنطقته . . ثم يسكت ، ويسكت سراقة متمجبا مشدوها ؛ سوارا كسرى وتاجه ومنطقته !! يا للعجب . . وتمضى الأيام ، ويتنصر الإسلام على وثنية الفرس ، ويحطم أمباطوريتهم الضخمة في عهد عمر بن الخطاب ، في معارك عظمى ، هزم فيها يزدجرد الثالث وجيشه اللجب ، وأخذت خزائنه لحملت إلى عمر في المدينة ، وفيها تاجه ، وجواهره ؛ ولم يلبث عمر أن دعا سراقة ، فدخل عليه ، فاستدناه منه ، وألبسه سوارى كسرى ومنطقته وتاجه ، وقال له : ارفع يدك ، وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلب السوارين كسرى الذى كان يقول : أنا رب الناس ، وألبسهما سراقة ، رجلا أعرايا من مدلج ، ورفع هم صوته ينادى للناس ، ثم أركب سراقة ، وطيف به في المدينة ، والناس من حوله ، يحتفلون بهزيمة كسرى ، وبصدق محمد رسول الله فيما بشر به وهو في هجرته . . وبذلك زال أكبر معقل للوثنية ، كما انتهى من قبل معقلها في الجزيرة العربية ؛ بفتح مكة . .

ثم انتصر الإسلام في معاركه مع خصومه من أتباع الديانات الأخرى انتصارات مدوية . .

باتقضاء سلطانها ؛ ففي هجرته صلوات الله عليه ، وهو يسير في طريقه إلى المدينة ، وشباب مكة من أتباع الوثنية يعدون خلفه ليردوه إلى مكة ، حتى يظفروا بالجوائز الطائلة التي وعدتهم بها قريش ؛ ولحقه منهم سراقة الكنانى المسكى ، حتى كاد أن يبلغ الرسول ، وحتى لقد سمع قراءته ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، وما هو إلا أن ساخت يدا فرس سراقة في الأرض ، فنزل من فوقها ، وأقامها ، ثم ركبها حتى كاد أن يصل إلى رسول الله ، وهتف قائلا : يا محمد إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، ولأنى خرجت أطلبك ، وأطلب بطلبك المال والمجد ، وكبا به فرسه مرة أخرى . فأقامها ، وضرب القداح يستشير آلهته ، أيستأنف السير ، وأشارت عليه : أن لا ، ولكنه ركب جواده ، وانطلق في أثر محمد وصحبه ، حتى أصبح منه على مد البصر ، فلكز جواده ، ولكنه كبا به كبوة شديدة ، وألقى به بعيدا ، حتى كان سراقة يقول فيما بعد ، وهو يقص قصته : لقد شعرت حينئذ أنه قد قدر أن تفوز قضية محمد ، وهتف سراقة : أنا سراقة ، انظرونى أكلكم ، والله لا أريكم ، ولا يأتكم منى شيء تكروهونه ، والتفت محمد (ص) إليه ، فاقرب منه وقص عليه قصص الناس في مكة وما يريدونه به ، وعرض عليه سراقة الزاد والمتاع ، فلم يأخذ منه شيئا ، وقال له :

الأيض ، وجنوب إيطاليا ، وفي الأندلس ، وفي قارة أفريقية ، وفي البحار الكبرى ، وكذلك حروبه مع التتار ، ثم مع الاستعمار الفرنسى والإنجليزى والأوربى بوجه عام ، كانت ولا تزال مضرب الأمثال فى تاريخ الانتصارات الكبرى .

واليوم ، وبعد أربعة عشر قرناً من الزمان يقف الإسلام فى عصر الذرة ، أمام العلم فى سلطانه وجبروته وقوته ، يقف وقفة الجند والعظمة والجلال ، وقفة الشرف والقوة والاعتزاز ؛ لأنه لا يهزم فى معركته الحاضرة مع العلم ، وإن يهزم أبداً ، لأنه المنتصر العظيم فى انتصاراته .

ولذا كان الإسلام قد احتك برجال العلم القديم ، من أهل المذاهب والآراء والديانات المختلفة والثقافات المتنوعة ، ودل على شموخ ومنعة لا ترام ولا تنال ، وقضى الحق بأن ينتصر على كل أولئك انتصارات كبيرة ، كان مظهرها قوة دعوته وذيوها حيناً بعد حين ، وثبات مبادئه وشرائعه فى مواجهة الحياة والعلم لأنها من القوة والسمو والرفعة بحيث يعشى الأبصار نورها ، ويعجز العقول جبروتها ، ويؤيد العلم فى تطوره أنها الحق الذى لا لبس فيه ، والصدق الذى لا يمتريه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنها فى تجددتها وصلاحياتها لكل زمان ومكان تتمشى مع أحدث المبادئ وأعظم التشريعات .

وانتصر كذلك فى معركة الحياة ذاتها ؛ فأسوأ كثر المبادئ التى تنفوز فى الحرب ، ولكنها تفشل فى السلام ... ، وليس من ذلك الإسلام ، ودعوته الكبرى الخالدة ، فقد انتصر فى معارك العلم والمدنية والحضارة وقضى على الوحشية والهمجية والجهل والاستبداد والطغيان ، وعلى عصور الإقطاع والرق والجاهلية ، ونشر مكان ذلك أسنى المبادئ ، وأنبل الأفكار ، وأمثل الآراء والأخلاق ؛ وجمع أما كثيرة حول كتاب الله الحكيم ، فاتخذته لها إماماً وقائداً ومرشداً ، وحقق وحدة إسلامية بين شعوب تختلف دماً ولغة وأخلاقاً وتقاليد ونظماً ، وحدة هزت المشرق والمغرب ، وكافت حديث النياس فى جميع المجتمعات القديمة ؛ وأثل المسلمون للحضارة الإنسانية مجدداً لا يطوى ، ومفاخر لا تنبذ ولا تزول ، وسبقوا إلى كثير من العلوم والصناعات والنظم ، بما جعل مدنياتهم المادية من الرفعة فى مستوى عقيدتهم الدينية من القوة والمنعة ، وخلفوا وراءهم من الآثار ما لا يزال المؤرخون يكتشفون من غرائب ما يطفرون به معاصريهم .

— ٢ —

وهكذا خرج الإسلام فائزاً منتصراً من جميع ما صادفه من الخصومات فى تاريخه الطويل ؛ ومعاركه مع الصليبيين ، وفى جبال البرانس ، وعند بواتيه ، وفى جزر البحر

والإسلام الذي احتك باليهودية والمسيحية وبالنحل الفارسية والسورانية والسكندانية والإغريقية والفرعونية ، يقف اليوم أمام الفلسفات الأوربية المختلفة ، والنزعات المتباينة المتناقضة ، وقفة فيها إيمان بالنفس وشموخ بالحق ، واعتزاز بالقوة ، وعلى ما بلغه العلم اليوم من خوارق ومعجزات ، فإنه حتى الآن لم ينفق مبدأ من مبادئ الإسلام ، ولا أنكر أصلا من أصوله ، ولا استطاع أن يهدم نظرية من نظراته الشائعة إن العلم في جلال عنفوانه سيكون من أقوى أصدقاء الإسلام وأنصاره ؛ لأن الفلسفات الإسلامية ، والأصول القرآنية ، تتلاقى وأمثالها من التي اهتدى إليها العلم أشرف التقاء ، وليس بينهما موطن نزاع على شيء من الأشياء ، حتى دعاة «المادية الجدلية» الذين يضللون الإنسانية يشعرون في أعماق نفوسهم أنهم ليسوا على شيء ، وأن الإسلام والقرآن حق لا ريب فيه ؛ ودعاة المذهب المادى الذين يقولون بمخلو الوجود من غير المادة وقواها ، لا يستندون على أساس متين من العلم ، ولا على تجربة حسية مرغمة والعلم بعد أن بلغ أوجه قوته ، يأبى أن ينقاد للذين ينعتون بالعدم أو بالوجود ما ليس لهم به علم ثابت ، وهذا هو الأصل الأول للفلسفة الحية ؛ وبما أننا نجعل أصول الكائنات ومصائرهما ، فلا يجوز لنا أن تنكرو وجود شيء سابق عليها

ولذا كان سولون المشرع اليونانى القديم قال كلمة رددتها من بعده الأجيال ، وهى : «أنا لم أشرح لأهمل أننا شريعة كاملة مصدرها الخيال ، وإنما وضعت لهم قوانين توافق حاجاتهم وتلائم استعدادهم ، فإن من حق كل مسلم أن يقول إن شريعته ، كانت أغنى الشرائع ، وأسمىها ، وأقواها على مواجهة الحياة والعلم في كل عصر وجيل .

واليوم يقف الإسلام أمام العلم ، العلم في عصر الذرة ، أمام جبروت العقل الإنسانى الذى وصل إلى الفضاء ، فلا يطأطأ رأسه بل يشعر بالفخر ، أليس الإسلام هو الذى بشر ببلوغ الإنسان الفضاء ، فقال كتابه الحكيم : «فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق ، لتركبن طبقا عن طبق ، وكان من معجزات الإسلام الكبرى الإسراء حيث طيف بالرسول الأعظم في الآفاق والأكوان والسموات السبع ، حتى بلغ سدرة المنتهى وسمع كلام الخالق جل جلاله ، وتلقى وحىه الكريم . .

إن العلم الذى يقولون عنه إنه جبارعات ومارد قوى ، وإنه ما صارل ديننا إلا تغلب عليه - ليقف اليوم مهورا بعظمة الإسلام وجلاله ، وبعظمة القرآن كتابه الحكم ، في كل نواحيه ، في مبادئه ، في دعواته ، في تشريعاته ونظمه ، في جوانبه الإنسانية والروحية والمادية والاجتماعية ، في نظراته الفكرية والسلوكية ، في كل شيء احتوى عليه .

لأنها لم تكن موجودة قبل الكائنات ، ولكن الكائنات هي التي اقتضتها ، ... وإلى أى حد تنحصر هذه النواميس في دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها علم ؟

إن العلم في عصر الذرة يقف متضائلا أمام عظمة الكون ، وجلال الخلق وإبداعه وسمو القوة التي تحكم مصائر ، إنه يقف على عتبة هذا الكون العظيم مذهولا بما يشاهد ، مشدوها بما يرى ، متحيراً في أسرار هذه العظمة الباهرة ، وآثار هذه القوة الخارقة القادرة ، فمن الذي خلق الضحى والليل إذا سجا ، والنهار إذا تجلى ، والقمر في عليائه ، والشمس في رفعتها ، والنجوم في زينتها ؟ من الذي خلق هذه الأجرام العلوية ، الضخمة ورفعتها ؟ وأوجد هذه المجموعات المتوالية من الأكوان العجيبة الغريبة ؟ .

ليس هناك شيء إلا الله ، الذي خلق الحياة وصورها ، وأبدع كل شيء خلقه ، وكل شيء أوجده .

ووجود الله أصل يستدعى الإيمان به ورسالاته ورسله وبالعالم الروحي ، وبالبعث والحساب واليوم الآخر ، وصدق الله العظيم حيث يقول في الكتاب الحكيم : « صغبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » . محمد عبد المنعم صفاء

أو لا حق لها ، كما لا يجوز لنا أن تثبت ذلك وإذا كانت هذه هي أبجديات الفلسفة الحسية فإنه ليس منها في شيء ما يذهب إليه الماديون من حكمهم الجازم بقدم المادة وأبديتها ، وبعدم وجود عالم أرفع من عالمها ... وإذا كانوا ينكرون العالم العلوى بدعوى أنه مما لا تدركه أبصارنا ، فإن في الوجود الذي نعيش فيه ظواهر مادية كشفها العلم وقررها ، ونحن لا نعلم بوجودها ، فهل يتفق مع العقل والعلم أن نذهب إلى وجوب نكرانها ؟ كلا ، إن الإنسانية تعيش وما تزال تعيش في جهالة بحقائق كثيرة من أسرار الحياة ، فلا تزال تجهل سر الحياة ، وأسرار كثير من الأمراض التي تصيب جسم الإنسان ؛ وحواسنا تخدعنا في أشياء كثيرة ، ولا تستطيع أن تكشف لنا كل ما هو موجود ، بل لأنها قد تعطينا أحكاما كاذبة عن الكون المحيط بنا ، ومن الخطأ الكبير أن نقول إن ما نشاهده في هذا الكون هو كل ما فيه ... على أن الكثيرين من أعلام العلم الحديث وسدنته قد أثبتوا عن طريق العلم وجود عالم أعلى من عالم الطبيعة ، فكيف نكذبهم بدعوى تقوم على التوهم المحض الذي تقوم عليه وعلى التحكم الباطل دعوة المادية الجدلية .. وهذا دأمل بوترو ، الفرنسي يؤكده في كتابه « تغلب النواميس الطبيعية » : « أن من الخطأ أن يقال إن النواميس هي التي تدبر الظواهر الطبيعية ،

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد عبد الوشيه

« إنما البيع مثل الربا ، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله : « وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأجره على الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحى الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم . » (١) .

وإذا كان الله سبحانه قال في آية أخرى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ، وانقوا الله لعلكم تفلحون . » (٢) فليس ذلك تجويزا للربا القليل كما يزعم بعض الزاعمين ، وإنما هو تنفير من الربا بذكر أشنع صورة ، وأقبح حالاته ، إذ مثل القيد لا مفهوم له كما قال الأصوليون وليس أدل على هذا من أن آخر آية نزلت في الربا ، بل قيل إنها آخر آية نزلت من القرآن الكريم جاءت مطلقة عن التقييد وهي قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا انقوا واذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم

قيام القسريعات الإسلامية على
الإنسانية والبرامم والعمل :

وإن الباحث ليلس هذا واضحاً في موقف الشريعة الإسلامية من الربا ، فقد حرمته في أى صورة من صوره ، وسواء أكان قليلاً أم كثيراً ؛ لأن إحلال القليل يؤدي إلى الكثير ، ولا يغلق باب هذا الشر المستطير ، القائم على أساس استغلال حاجة المحتاجين ، واضطرار المضطرين ، والشارع الحكيم ينظر إلى المال على أنه له وظيفة إنسانية إجتماعية أولاً ، وإقتصادية ثانياً ولا يفنى أن يعطى الجانب الاقتصادى على الجانب الإنسانى والإجتماعى ، وهو أن يكون لسد حاجات الناس ومنافعهم ، ووسيلة للكسب الحلال وأن لا يكون دولة بين الأغنياء ، فإذا استغل هو على أنه سلعة ، أو اتخذ وسيلة للكسب غير المشروع ، كاتخاذ حاجة الفقراء والمعوزين ، والإثراء على حسابهم واستنزاف دماهم فقد انحراف به عن وظيفته ، وخرج عن الغرض الذى أوجده الله له ، وقديماً قال بعض المنحرفين

(١) البقرة ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) آل عمران ١٣٠ .

حارمهم ، نعم . كم سفكت دماء زكية طاهرة ،
وكم اسحلت حارم للأفراد والجماعات بسبب
الجشع الاقتصادي ، الذي هو الداء الدوى
للمستعمرين !! وما دام النظام الربوى هو
الذى يقوم عليه الاقتصاد فى العالم ، فلا تزال
النفوس بملتة بالفسح ، وما دام التشاح فلا
يزال شبح الحرب المدمرة يراى للعالم فى كل
وقت وصدق الله فى قوله : « فإن لم تفعلوا
فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، !! ولو
استخدم ما تنفقه دول العالم على التسليح المدمر
فى المعونات الاقتصادية التى لا يحدوها إلا الجانب
الإنسانى لعم الرخاء الدنيا ، ولعاش الناس
جميعا إخوة متحابين ، يسودهم التراحم ،
ويرفرف عليهم لواء السلام وإنك لتلس
إنسانية الإسلام أيضا فى تشريعاته المتعلقة
بالحروب والمعاهدات والعلاقات الدولية مع
أن الحروب يغاب عليها روح الانتقام
والتنكيل لا روح الإنسانية والرحمة فقد حرم
الإسلام المثلة فى الحروب وغيرها ، وأوجب
العدل عند الاقتصاص من الأعداد بل بالغ
فى الإنسانية غيب فى العفو قال سبحانه « وإن
عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، وإن صبرتم
لهو خير الصابرين » (١) ذلك أنه لما مثل
المشركون بقتلى المسلمين فى أحد ولا سيما سيد

رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ،
وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسره وأن
تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون (٢) وفى
إنظار المعسر أو التعفف عما عنده بالتنازل
له عليه وهو المراد بالتصدق ما يلقى أضواء
على رعاية الجانب الإنسانى فى التشريعات
الإسلامية .

أما القوانين الوضعية فلم تسم إلى درجة
الإسلام فى تشريعاته فأباحت قليل الربا دون
كثيرة ، وبذلك أبقت للشر أبوابا مفتحة
كثيرة ، ولم تهر الجانب الإنسانى ، والخلق
العناية التى حرص عليها الإسلام فى تشريعاته ،
وليس أدل على إفلاس القوانين الوضعية فى
معالجة المشاكل مما يعانىها العالم اليوم من
مشاكل خلقية وإنسانية واقتصادية ، وإن
جل مشكلاته الاقتصادية ترجع إلى إحلال
الربا وجعله أساسا للاقتصاد ، وما ذلك إلا
لغلبة التشاح والأثرة ، ولوسادت بين الدول
روح البذل والتعاون ، والتراحم والسماحة
لما عاش فى هذا الجو المشحون بالقلق والخوف
والفرع ، ولكن الشح وصدق الرسول الكريم
حيث قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم
القيامة ، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان
قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا

ومسلم في صحيحهما عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان ، ^(١) .

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن بريدة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا أقيمت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال ، فإذا ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم : ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون

الشهداء حمزة وراحم المسلمون على هذه الحالة العارية عن الإنسانية قال المسلمون : لئن أمكننا الله منهم لننككن بهم فأنزل الله هذه الآية فقالوا : بل نصبر ونعفو ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن المثلة ، رواه البخارى ، كما نهى عن التعذيب بالنار ولو كان المعذب مهدر الدم روى البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث ^(١) فقال : إن وجدتم فلانا وفلانا ^(٢) فأحرقوهما بالنار ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردما الخروج : لئن أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ، فإذا وجدتموهما فاقتلوهما . والنبي صلى الله عليه وسلم حينما نهى عن المثلة أراد الإنسان والحيوان على السواء ، وكذلك حينما نهى عن التعذيب بالنار ، أو إجبار أحد على الدخول في الإسلام كما منع الإسلام من قتل النساء والصبيان في الحروب ، روى البخارى

(١) القطعة من الجيش

(٢) كانا زجلين كافرين ، لم يراعيا آداب المروءة العربية ، فاعتمدا على السيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى مهاجرة من مكة إلى المدينة كان أبوها ، ففخضا بعيرها فسقطت من عليه ، وكانت حاملاً فأجهضت ، وقد مرضت بسبب هذا العمل المشين الذى يرم من النذالة مرضاً شديداً .

(١) وقد أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث إذا لم يقانلوا ، فإن قاتلوا فقال الجمهور : يقولون وقال البعض : لا يقتلون .

أنا براكب ، إني حبست خطاي هذه في سبيل
الله ثم قال له : إنك ستجد قوما زعموا أنهم
حبسوا أنفسهم لله فذرهم ما زعموا أنهم حبسوا
أنفسهم له ، وستجد قوما فخصوا عن أو ساط
رؤوسهم من الشعر فاضرب ما فخصوا عنه
بالسيف ^(١) وإني موصيك بعشر : لا تقتلن
إمرأة ، ولا صبيا ، ولا كبيرا هرمًا ، ^(٢)
ولا تقطعين شجرة مشرأ ، ولا تخربن عامرا ،
ولا تعقرن شاة ، ولا بهيرا إلا لما كلة
ولا تحرقن نخلا ولا تفرقنه ، ولا تغل ،
ولا تبجن ، ^(٣) .

وكذلك كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يوصي قواده بهذه الوصايا الذهبية ،
وأن يفوا بالعهود ، وبأمان من يؤمن من
الاعاجم ولو بالإشارة ، حتى ولو لم يقصد
ذلك ، وظنه أمانا ، فقد كتب إلى القائد البطل
سعد بن أبي وقاص يقول : « إني قد ألتقي في
روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتهم ،
فاطرحوا الشك ، وآثروا التقية عليه ، فإن

(١) الأولون هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في
الصوامع . وهؤلاء هم القمامة ومعنى فخصوا : حلفوا
ذلك .

(٢) إلا إذا كان له مشاركة في الحرب بالرأى أو

القيادة فإنه يقتل

(٣) الموطأ - كتاب الجهاد وباب النهي عن قتل
النساء والولدان في الغزو .

لهم في الغنينة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين
فإن هم أبوا ^(١) فسلمهم الجزية ، فإن هم
أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، فإن هم
أبوا - يعني عن الجزية - فاستعن بالله
وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن ،
فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه
فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن
اجعل لهم ذمتك ، وذمة أصحابك ؛ فإنكم
أن تخفروا ذمتكم ، وذمة أصحابكم أهون
من أن تخفروا ذمة الله ، وذمة رسوله ،
وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزل
لهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ،
ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري :
أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ ^(٢) وعلى هذا
الدرب في رعاية الجانب الإنساني في الحروب
في الإسلام سار الخلفاء الراشدون ومن جاء
بعدهم من الخلفاء والأمراء .

روى الإمام مالك في الموطأ عن يحيى
ابن سعيد أن أبا بكر الصديق بعث جيوشاً
إلى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان ،
وكان أمير ربيع من تلك الأرباع فزعموا
أن يزيد قال لأبي بكر : إما أن تركب وإما
أن أنزل ، فقال أبو بكر : ما أنت بنازل ولا

(١) يعني عن الإسلام وهي الخصلة الثانية من الخصال
الثلاث : الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٣٧

الانجليز وغيره من قادتهم يسكنون بالمسلمين وأسرهم شرتشكل من غير أن يراعوا إلاً ولا ذمة ، ولا رحمة ولا إنسانية ، وكم قتلوا من أطفال أبرياء ، ونساء ضعاف ، وشيوخ فائين فائين من هذه التشريعات الإسلامية الرحيمة في الحروب ، القوانين الوضعية في القديم والحديث ؟ نعم لقد بدأت القوانين البشرية في العصر الأخير تنقسم بالإنسانية والرحمة ولكنها لم تعد أن تكون حبرا على ورق ، وليس لها آثار ظاهرة في سلوك واضعيها وتصرفاتهم في الحروب ومالنا نذهب بعيدا ؟ وهذا القرن العشرون قد شهد حربين عالميتين مدرتين أريققت فيهما بحار من الدماء وكم فيها من ملايين الأطفال والسكران ماتوا ، وكم من ملايين النساء انتهكت حرمااتهم وكم فيها من ملايين البشر مثل بهم ، وسل الروس ، وما فعلته بهم جحافل الألمان حينما غزت بلادهم ، بل سل الألمان وما فعلته بهم جيوش الحلفاء لما هزموا ولا يزال بعضهم إلى وقتنا هذا يرسفون في قيود الأسر ، والذل ، والاستعباد .

هذا ولا يزال في إنسانية التشريعات الإسلامية مجال للحديث فإلى مقال آت إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شربة

لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو قرقة - من المقارقة وهي المخالطة - بإشارة أو بلسان ولا يدري الأجمي ما كلمه به ، وكان عندهم أمانا فأجروا له بحري الأمان ، وإياكم والضحك ، والوفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء سلامة ، وإن الخطأ بالغدر هلكة ، وفيها وهنكم وقوة عدوكم ، وذهاب ربحكم ، وإقبال ربحهم واعلموا أني أحذركم أن تكونوا - يعني بعدم الوفاء - شينا على المسلمين وسببا لتوهنتهم ^(١) ،

وكذلك كان سميّه همر بن عبد العزيز رضى الله عنه - روى الإمام مالك في الموطأ أنه بلغه أن همر بن عبد العزيز كتب إلى عامل من عماله أنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث سرية يقول لهم : اغزوا باسم الله في سبيل الله تقاتلون من كفر بالله ، لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمهلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، وقل ذلك لجيوشك وسراياك إن شاء الله والسلام عليك .

ويطول بنا القول لو أننا تقبنا آثار هذه التشريعات الإنسانية الرحيمة في تاريخ المسلمين على قوالى العصور ، ولا يفوتنا أن ننوه بما كان من البطل العربى المسلم صلاح الدين الأيوبي في معاملته الإنسانية الرحيمة للصليبيين وأسرهم على حين كان د قلب الأسد ، ملك

الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٥ -

وينبغي أن نلاحظ الفروق الموجودة بين الزكاة الشرعية والضريبة الوضعية ، فالزكاة ركن ديني وفرض إسلامي . وأما الضريبة فهي إجراء يقوم به ولي الأمر أو الدولة . والزكاة محددة القدر ثابتة القيمة ، والضريبة تختلف تصاعدا وتنازلا ، والزكاة محددة المصارف في آية التوبة ، والضرائب لعموم المصالح ، والزكاة لها صفة الدوام والاستمرار ، والضريبة تنف عند الاستغناء عنها . والزكاة تؤخذ من المسلم فقط ، والضريبة تؤخذ من المسلم وغيره .

وينبغي أن نلاحظ أن الحقوق اللازمة في مال المسلم ، والتي اصطللحنا على تسميتها بالضرائب تمتاز ببطائفة من المميزات . فهي تمتاز بأنها تهدف إلى الصالح العام وتحقيق المصالح الجماعية والاجتماعية ، وإزالة حاجة المحتاج ، وتقوية ما يحتاج إلى تقوية ؛ وليس هناك مصرف شخصي للزكاة ، ويبت مال المسلمين هو يجمع الضرائب ، وهو لجميع الأمة ، وكل عاجز فيها عن عمل أو عن نفقة يتكفل به بيت مال المسلمين .

ومن مميزات هذه الضرائب الحضر على

إستثمار المال ، ويظهر ذلك بوضوح في زكاة رأس المال المدخر الذي يحول عليه الحول . فإن فرض الزكاة فيه يدفع بصاحبه إلى تحريكه لاستثماره وإنمائه ، حتى لا يظل جامدا يتناقص كل عام بما يؤخذ منه للزكاة ، والرسول صلى الله عليه وسلم بلغت إلى هذا المعنى حين يقول : « من ولي يتبأله مال فليتهجر له ، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة ، ويعنى بالصدقة هنا الزكاة .

واقعد تحدث آدم سميث ، وهو من رجال الاقتصاد الأعلام في القرن الثامن عشر ، فقال إن مبادئ الضرائب الأساسية هي : العدالة ، واليقين ، والملاءمة ، والاقتصاد . وهذه المبادئ متحققة في ضرائب الإسلام بصورة واضحة رائعة ، ففيها العدالة ، إذ تؤخذ الضريبة الإسلامية من القادر المالك للنصاب ، وبعدد مضي المدة المقررة ، وعند بعض الفقهاء تسقط الزكاة عن المدين ، ولا يتكرر أخذ الضريبة ، والحديث يقول : « لا ثلثي في الصدقة » ؛ ولا تؤخذ زكاتان في حول واحد .

على شط الفرات ؛ وحذيفة عامله على ماوراء دجلة . فقال عثمان : حملت الأرض أمراً هي له مطيعة ، ولو شئت لأضعفت . وقال حذيفة : وضعت عليها أمراً هي له محتمة ، وما فيها كثير فضل ؛ وقد سر عمر بذلك (١) .

ويقول الإمام أبو يوسف للرشيد في كتاب « الحراج » : « أما العشور فرأيت أن توليها قوماً من أهل الصلاح والدين ، وتأمرهم ألا يتعدوا على الناس فيما يعاملونهم به ، فلا يظلمهم ، ولا يأخذوا منهم أكثر مما يجب عليهم ، وأن يمثلوا ما رسمناه لهم ، ثم تنقذهم بعد أمرهم ، وما يعاملون به من يجرهم ، وهل يجاوزون ما قد أمروا به ؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك عزلت وعاقبت ، وأخذتهم بما يصح عندك عليهم لمظالم أو مأخوذ منه أكثر مما يجب عليه .

وإن كانوا قد انتهوا إلى ما أمروا به ، وتجنبوا ظلم المسلم والمعاهد أثبتهم على ذلك الأمر ، وأحسن إليهم ، فإنك متى أثبت على حسن السيرة والأمانة ، وعاقبت على الظلم والتعدي لما تأمر به في الرعية ، يزيد المحسن في إحسانه ونصحه ، وارتدع الظالم عن معاودة الظلم والتعدي ، (٢) .

ويروى لنا عامر الشعبي أن رجلاً من بني تغلب من نصارى العرب مر على زياد بن جدير الأسدي ومعه فرس ، فأراد زياد نقاضى الضريبة عليها - ضريبة العشور - فقوموا الفرس بعشرين ألفاً ، وقال زياد للرجل : أعطني الفرس وخذ مني تسعة عشر ألفاً . أو أمسك الفرس وأعطني ألفاً . وهذا تخيير يدل على الأمانة والإنصاف والتيسير .

ولما أراد زياد أن يأخذ من هذا الرجل على الفرس ذاتها ضريبة في مرة ثانية مر بها ، اشتكى الرجل إلى عمر - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - فنزع عمر زياداً أن يفعل ، وقال له : « ومن مر عليك فأخذت منه صدقة (المراد هنا ضريبة العشور) فلا تأخذ منه شيئاً إلى مثل ذلك اليوم من قابل ، إلا أن تجد فضلاً ، أي زيادة على ما أخذت عنه ، وكانت هذه الزيادة تستحق الأخذ عليها ، وكان هذا العدل من عمر سبباً في أن يترك الرجل دينه ويدخل في الإسلام (١) .

وما يدل على عدالة الإسلام في ضرائبه أن عمر يقول لحذيفة وعثمان بن حنيف : « لعلكم حملنا الأرض مالا تطيق » . يقول هذا محذراً منه ، وكان عثمان عامله إذ ذاك

(١) للرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٢) للرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(١) الحراج لأبي يوسف ، ص ١٣٦ .

غموض ، والإسلام الخفيف قد حدد المقادير : العشر ، ونصف العشر ، وربيع العشر ، وفي زكاة الماشية حدد المقادير التي تؤخذ فيها الزكاة ، وحدد النصيب الذي يؤخذ في كل مقدار ، وحدد المصارف التي تصرف فيها هذه الأموال ، فتمتق اليقين والوضوح . ويوجد في ضرائب الإسلام عنصر الملائمة ، إذ ربط الإسلام دفع الزكاة بميقات واضح ملائم للدفع . وهذا الميقات إما حولان الحول — أى مضى العام — في النقدين والتجارة ، أو يوم الحصاد كما في زكاة الزرع ، أو نهاية موسم الزرع وعند بيع الغلة كما في الجزية ، أو عند الدخول إلى داخل بلاد الإسلام كما في العشور . . . الخ .

والضريبة الإسلامية — كالزكاة — تؤخذ من وسط المال ، لا من أفضله ولا من أخسه ، والحديث يقول : « لا يباكم وكرائم أموالكم » ، ويقول عن المال المزكى : « إن الله لم يسألكم خيره ، ولم يسألكم شره » .

ويوجد في ضرائب الإسلام عنصر الاقتصاد ، ، إذ نلاحظ فيها عدم الإرهاق لصاحب الأرض في تقدير الخراج كما سبقت فصوص تشير إلى ذلك ، ونلاحظ فيها مراعاة المصلحة العامة وتحقيق الإصلاح الاقتصادي عند تحديد المصارف لهذه الضرائب .

وتتميز الضرائب في الإسلام بالرفق في أخذها ، فزكاة المال تؤخذ بعد ادعائه عاماً ، وزكاة النعم تؤخذ كذلك بعد عام ؛ وزكاة التجارة تؤخذ بعد عام يكون مجالياً كافياً للتجار والأكساب ، وزكاة الزرع تؤخذ عند الحصاد وجمع المحصول ، والقرآن الكريم يقول : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

والجزية تؤخذ عند نهاية الموسم الزراعي ليكون ذلك أيسر على دافعيها ، كما أنها لا تؤخذ إلا من الذكور البالغين الأصحاء القادرين ، يعفى منها النساء والأطفال والشيخوخة والمكفوفون والفقراء والرهبان .

ولقد أوصى على بن أبى طالب أحد عماله فيما يتعلق بأهل الجزية ، والخراج فقال له : وانظر إذا قدمت عليهم ، فلا تبيعن لهم كسوة : شتاء ولا صيفاً ، ولا رزقاً يأكلونه ، ولا دابة يعملون عليها ، ولا تضر بن أحد أ سوطاً واحداً في درهم ، ولا تقمه على رجله في طلب درهم ، ولا تبس لأحد منهم عرضاً من الخراج ، فإنما إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، فإن أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دوني ، وإن بلغتني عنك خلاف ذلك عزلتك ، (١) .

ويوجد مبدأ اليقين ، في ضرائب الإسلام ، واليقين يراد به هنا التحديد بلا

منهم فليكن فقها عالما مشاورا لأهل الرأي عفيفا ، لا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يخاف في الله لومة لائم . ما حفظ من حق وأدى من أمانة احتسب به الجنة ، وما عمل من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت ، تجوز شهادته إن شهد ولا يخاف منه جور إن حكم ، فإنك إنما توليه جباية الأموال ، وأخذها من حلها ، وتجنب ما حرم منها ، يرفع من ذلك ما يشاء ، ويحتج منه ما يشاء ، فإذا لم يكن عدلا ثقة أميناً فلا يؤتمن على الأموال ، (١) .

وتتمتاز ضرائب الإسلام بعنصر الاستقرار ، إذ لها صفة الدوام والثبات ما دام مصدرها قائماً وهو ملك النصاب واعتبار الوقت : حولان الحول ، أو يوم الحصاد .

وهذا الاستقرار لم تعرفه الضرائب في المجتمعات الأخرى إلا منذ عهد قريب ، لأن هذه المجتمعات كانت تفرض الضريبة بمقاييس خارجة عن الدخل والكسب ، مثل عدد الأبواب والنوافذ والخدم ... إلخ . وفرنسا قضت دهرأ طويلا وهي ما زالت تتخبط في تقدير الضرائب بمقاييس مذبذبة ، وانجلترا لم تقر الضريبة بصفة مستقرة إلا في

وتتمتاز هذه الضرائب أيضاً بحسن التطبيق عند جمعها ، والله تعالى يقول عن جامعي الزكاة مثلاً : « والعاملين عليها ، لجعلهم مصرفاً من مصارف الزكاة الشرعية ، فكأنهم يقومون بعمل ديني يستحقون عليه جزءاً من الضريبة الإلهية ، فيجب أن يتقوا الله ويحسنوا في الجمع ، والحديث النبوي يقول : « العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله » .

وقال أبو يوسف لأمير المؤمنين الرشيد : « ومرياً أمير المؤمنين باختيار رجل أمين ثقة عفيف ناصح مأمون عليك وعلى رعيتك ، فوله جميع الصدقات في البلدان ، ومره فليوجه فيها أقواماً يرتضيه ، ويسأل عن مذاهم وطرائقهم وأماناتهم ، يجمعون إليه صدقات البلدان .

وقد بلغنى أن عمال الخراج يبعثون رجلاً من قبلهم في الصدقات فيظلمون ويعتسفون ، ويأتون مالا يحل ولا يصح ، وإنما ينبغي أن يتخير للصدقة أهل العفاف والصلاح ، فإذا وليتها رجلاً ، فليكن ممن تثق بدينه وأمانته ، أجر عليه من الرزق بقدر ما ترى .

وقال أيضاً : « رأيت — أبق الله أمير المؤمنين — أن تتخذ قوماً من أهل الصلاح والدين والأمانة فتوليهم الخراج ، ومن وليت

(١) المرجع السابق ، ص ٨٠ و ١٠٦ .

الفطر مثلاً تؤخذ حبة من غالب قوت البلد ، وقد يصح دفع القيمة ؛ والخراج يؤخذ فيه عن كل دجريب ، أربعة أو خمسة أو ستة أو ثمانية دراهم حسب جودة الأرض ، والجزية في أصلها تؤخذ نقوداً ، ولكن عمر أخذ لإبلا في مقابل الجزية ، يقول ابن سلام : « وكذلك فعل رحمه الله حين كان يأخذ الإبل في الجزية ، ويذكر أيضاً أن عمر أخذ في الجزية ثياباً بدل الدنانير ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « إن على كل حالم ديناراً أو عدله من الثياب » .

وقال عنقرة بن عبد الرحمن الشيباني : « كان على يأخذ الجزية من كل ذى صنع ، من صاحب الإبر إبراً ، ومن صاحب المسان مسان ، ومن صاحب الحبال حبالاً (١) » .

كما يجوز تأخير اقتضاء الجزية حتى يبيع أهلها غلاتهم ، ليمكنوا من دفعها حينئذ ، ولا يرغمهم على البيع إذا لم يريدوا ، ويأخذ من الغلة بقدر الجزية .

وبما يدل على روح التطور في الضريبة الإسلامية أن عمر لم يقسم أرض السواد المفتوحة على الجنود ، بل قال لهم : « قد أشرك

سنة ١٨٧٤م . وأمر بكا فرضت ضريبة الدخل بصفة دائمة مستقرة سنة ١٩١٣م . وبلجيكا لم تترك تقدير الضريبة على أساس المظاهر الخارجية إلا في سنة ١٩١٩م . ولكن الإسلام العظيم شرع ضرائبه منذ وقت مبكر على على أسس سليمة قوية مستقرة ثابتة .

* * *

ولقد أخذ الناس في القرن العشرين يعرفون مبدأ « النوعية » في الضرائب ، والواقع أن الإسلام قد سبق إلى ذلك ، فضرائبه بمعناها العام متنوع ، فهناك ضريبة على الروس من غير المسلمين - وهي الجزية - ولذلك تسمى الجزية ضريبة الروس ؛ وهناك ضريبة روس المسلمين ، وهي زكاة الفطر ، إذ تجب على كل رأس مهما كان صغيراً ، ذكر أكان أو أنثى ، وهناك ضريبة على العقار ، وهي ضريبة الخراج المضروبة على ذات الأرض المفتوحة أو المصالح عليها ، وهناك ضريبة على المحصول ، وهي زكاة الزروع والثمار ، وهناك ضريبة على رأس المال ، وهي زكاة الذهب والفضة والتجارة ، وهناك ضريبة على الحيوان ، وهي زكاة الماشية ... إلخ .

وتتميز ضرائب الإسلام بقابليتها للتطور ومسيرة طبائع الأمور وعدم الجمود ، فزكاة

الأشياء ، وسروا بها في بلاد الإسلام ، فهل تركهم دون أخذ ضرائب منهم ، مع أن غيرهم يؤخذ منهم على طيب المال وحلاله ؟ .
الجواب : لا ، بل نلجأ إلى التقويم ، إذا جاء في كتاب « الحراج » ، لأبي يوسف هذا النص :
« وإذا مر أهل الذمة على العاشر - عامل الضرائب - بخمر أو خنازير قوم ذلك على أهل الذمة ، يقومه أهل الذمة ، ثم يؤخذ منه العشر ، والتقويم هنا ينبغي أن يتم على أيدي أهل الخبرة ، ولذلك روى عن إبراهيم النخعي ما يلى : « إذا مر أهل الذمة بالخمر للتجارة ، أخذ من قيمتها نصف العشر ، لا يقبل قول الذى فى قيمتها ، حتى يؤتى برجلين من أهل الذمة يقومانها عليه ، فيأخذ نصف العشر من الثمن » [١] .

ونلاحظ فى ضرائب الإسلام عنصر المعاملة بالمثل فى الضرائب الجركية ، ، فقد كتب أبو موسى الأشعرى إلى عمر يقول له :
« إن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون دار الحرب (وطن الأعداء) فيأخذون منهم العشر ، . فكتب إليه عمر : « خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين » [٢] . وفى رواية أنه قال لعمر : « إن تجار المسلمين إذا دخلوا دار الحرب أخذوا منهم العشر ، . فرد عليه

الله الذين يأتون من بعدكم فى هذا الفى » ، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شىء . ، ولئن بقيت ليلغن الراعى بصنعاء نصيبه من هذا الفى »
ودمه فى وجهه . ، وأبقى عمر الأرض بدون قسمة ، وأعطاهما لمن يزرعها ويؤدى عنها ضريبة العقار - وهى ضريبة الحراج - وكان من الممكن قسمتها وجعلها أرضاً عشرية كما فى نظام الزكاة .

وقال عبد الله بن عمر : « كان عمر يأخذ من النبط : من الزيت والحنطة نصف العشر ، لسكى يكثر الحل إلى المدينة ، ويأخذ من القطنية العشر ، [١] والقطنية - بكسر القاف - هى الأشياء التى ليست بمواد تموينية أساسية ، مثل الثياب التى ليست بضرورية ونحوها ، فهى إذن أشبه بالكماليات ، ولذلك رفع ضريبها وزاد فيها ، وأما المواد التموينية الأساسية ، فقد خفض عليها الضريبة حتى يشجع جالبها على الإكثار من حملها إلى الناس فتسهل عليهم الحياة .

ولقد كان التشريع الإسلامى بعيد النظر وهو يقعد القواعد فى شأن الضرائب ، ولنضرب مثالا على ذلك ، فالخمر والخنزير وما أشبههما مال غير منقوم وغير محترم فى نظر الإسلام ، ويحرم امتلاكه والاتجار فيه .
ولكن لنفرض أن تجاراً تاجروا فى هذه

(١) الحراج لأبي يوسف ، ص ١٢٣ و ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣٣ .

في الزكاة وهو الشخص الذي يعينه ولي الأمر الممثل للدولة ، كي يقدر المحصول ويحدد قيمة زكاته قبيل حصده ، كما أنه يجوز للدولة المسلمة أن تحارب مانع الزكاة كما فعل أبو بكر مع مانعي الزكاة في حروب الردة المشهورة .

وبما تحسن الإشارة إليه أن الإسلام حرص على تأكيد العنصر الإلهي أو الديني أو الروحي في تشريع الضرائب ، ولذلك نجد القرآن الكريم عند حديثه عن الحقوق اللازمة في المال يذكر بنعمة الله وفضله ومنه بهذا المال على صاحبه ، فهو يقول : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وبما أخرجنا لكم من الأرض » ، ويقول : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، ويقول : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » . ويقول : « وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهة ، كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده » ... إلخ .

وهكذا يؤكد القرآن في نفوس المؤمنين به أن ما يدفعونه من حقوق إنما هو شكران لله على نعمته وفضله .
« والله خير الشاكرين » .

قائلا : « خذ منهم إذا دخلوا إلينا مثل ذلك العشر » [١] .

ومن لطائف النظم الضرائبية الإسلامية أن الإسلام قد سبق إلى نظام إعطاء إيصال لدافع الضريبة يفيد تقاضيا منه ، فقد كتب خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز إلى ذريق ابن حيان الدمشقي - وكان يتولى مكس مصر ، أي الضرائب الجركية فيها - فشرح له نظام ما يأخذ ، ثم قال له عن الأشياء التي تؤخذ عليها الضريبة : « ثم دعها فلا تأخذ منها شيئا ، واكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم إلى مثلها من الحول » [٢] .

ونلاحظ كذلك أن القوانين المعاصرة ترى أن الدولة لها الحق في الاحتفاظ لنفسها بطائفة من السلطات والإجراءات لتقاضى الضريبة ، مثل الغرامة والحجز ، وهناك ما يقابل هذا أو نحره في الشريعة الغراء ، فبعض الفقهاء يرى أخذ شطر من مال الذي يأبى دفع الزكاة ، للحديث الذي يقول : « من أباهما فاني آخذها وشطر ماله » . وبعض الفقهاء يرى استيفاء الزكاة من تركة الميت قبل أي حق آخر من الحقوق المتعلقة بالتركة ، وبعضهم يرى بطلان بيع المحصول الذي لم تؤد زكاته ، وهناك نظام « الخارص » ،

(١) الحراج ليجي بن آدم ، ص ١٧٣ .

(٢) الحراج لابن يوسف ، ص ١٣٧ .

العلم والعمل في الإسلام

للدكتور جمال الدين الرمّادى

نزل الكتاب المبين على النبي الكريم فقال تعالى في القرآن الكريم : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وفى هذا تمجيد للعلم ودعوة إلى طلبه ، وإشادة بأهله وعارفيه ، وغفر لمريديه وطالبيه كما قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . وما الحكمة والموعظة الحسنة إلا العلم الجامع لأموال الدنيا والدين . ومن هنا كانت دعوة الإسلام دعوة العلم - وتحطيم معازل الجهالة العمياء ، والضلالة الظلماء كما كان طلب الاستزادة من العلم منتهى الفخر والمجد ، والشرف والعزة ، فقال عز وجل : « قل رب زدنى علماً » .

فالعلم بحر لا ساحل له ، بحر خضم مسجور وكلما أعمق العالم فى علمه ازداد معرفة بحقائق الأشياء ، ودقائق الأمور ، وأدرك موقعه من الله عز وجل ، فى هذا الملكوت الواسع ، وهذا الملك الفسيح . واستطاع أن يسكن لنفسه وأهله وعشيرته ما يحقق لهم السعادة فى الدنيا والآخرة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضل العلماء : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » . كما قال أيضاً : « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه

العلم والعمل فضيلتان عظيمتان حث عليهما الإسلام ودعا إليهما الرسول ، والصحابة ، والتابعون ، ومن لف لفهم من أهل الراى والنهى ، والحكمة والحجى .

والعلم والعمل شعاران من شعارات الثورة فى العهد الاشتراكى الجديد ، فبالعلم تفتح الأبواب المغلقة ، وتفتح الآفاق المجهولة ، ويسهل العصى من الأمر ، ويدنو القصى من الأمل ، وينمى التخلف والتخاذل ، ويتلاشى التهاك والتكاسل ، وينطلق الدفع الثورى قدما إلى الأمام لا يحول دون الوصول إلى أهدافه حائل ، ولا يعوقه عن بلوغ مراميه طائق ، وبالعلم نبى مجتمعاً جديداً لا أثر فيه للاستغلال أو الاحتكار ، ولا مجال فيه للتطبيقية البغيضة ، أو تحكم رأس المال ، وبالعلم نحطم تلك الأصنام الفكرية والمادية التى ظلت ودحا من الزمان تهيم على أفكار البشر ، وتتحكم فى رقاب الشعب ، وتستنزف دماؤه ، وتستحوذ على خيراته .

والعلم والعمل صورة جميلة تبه العين والقلب والعقل جميعاً ، بيد أنها ينبغى أن توضع فى إطار خلاص من الخلق القويم ، والسلوك الحميد ، والسجيا الفاضلة ، والشيم النبيلة . والعلم والعمل دھوة إسلامية كبرى منذ

المحكيات وشاعت على لسان الرسول الكريم
فثلاث الآفاق ، واعتنقها الناس في مشارق
الأرض ومغاربها ، ووعوا في صدورهم
وبين خفاياهم ذلك الحديث النبوي الشريف
« من طلب الدنيا فعليه بالعلم ، ومن طلب
الآخرة فعليه بالعلم » .

فنحن اليوم عندما ندعو إلى العلم - ويسجل
الميثاق بين سطور هذه الحقيقة الخالدة
فيقول : « فإن العلم للجمتمع يجب أن يكون
شعار الثورة الثقافية في هذه المرحلة ، على أن
بلوغ النضال الوطني لأهدافه سوف يسمح
لنا في مرحلة متقدمة من تطورنا بأن نساهم
إيجابيا مع العالم في العلم للعلم » .

فإنما يحقق بذلك الدعوة الإسلامية الكبرى
التي رن صداها في أنحاء العالم الإسلامي منذ
نحو أربعة عشر قرنا من الزمان .

غير أن العلم لا تزدهر ثمارة ، ولا يحين
قطافه بدون العمل ، فالعمل صنو العلم فلا محل
في الحياة لتواكل أو ضعيف ، ولا مكان في
الجمتمع لمتكاسل أو هزيل .

والله عز وجل دعا إلى العمل بعد أن سخر
الأرض لبني آدم فقال تعالى : « وسخرنا لكم
ما في الأرض جميعا » .

والله جل جلاله وتعالى آلاؤه لم يذل لنا
الأرض فحسب إنما سخر لنا الفلك لتجرى في
البحر بأمره . كما سخر لنا الليل والنهار ، والشمس
والقمر كل يجري لأجل مسمى ، ودعانا بعد

علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في
طلوع شمس ذلك اليوم ، .

وقال في حديث آخر العلماء ورثة الأنبياء ،
أما هلي بن أبي طالب فله في العلم أقوال
كثيرة جرت على كل لسان منها قوله : « ليس
الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير
أن يكثر عليك » .

وسئل ابن شهاب أفضل العلم أم العمل ؟
فقال « العلم لمن جهل . والعمل لمن علم » .

وقال الشافعي رضي الله عنه ، طلب العلم
أفضل من صلاة الغافلة .

أما الشاعر العربي القديم فقال في العلم :
العلم يحوي نفوسا قط ما عرفت

من قبل ما الفرق بين الصدق والمين
للعلم للنفس نور يستدل به

على الحقائق مثل النور للعين
ورغم أن العلم قد قسمه القدماء إلى علوم
معقولة وعلوم منقولة ، كما قسمه بعض آخر
إلى علوم شرعية أو دينية وعلوم دنيوية ،
فإنه كان عند المسلمين عمادا من أعمدة الحياة
وقواما من قوام الدنيا .

حقا تطورت العلوم بحكم الزمن ؛ وحقا
طرا على العلم كل مستحدث طريف وكل مبتكر
غريب ، وحقا أصبح ما كان بالأمس خيالا
ووهما اليوم حقيقة ملبوسة وواقعا محسوسا
يبده أن العلم ظل مع هذا كله ورغم هذا كله
دهوة إسلامية كبرى نزلت مع آيات القرآن

أو مدعاة إلى التخاذل والاسقسلام والنكوص
عن طلب المعالي فقال رضى الله عنه .
« لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول
اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر
ذهباً ولا فضة . »

كما دعا عمر إلى علو الهمة في العمل لأن
صغر الهمة موجب للانحطاط والانحسار
فقال « لا تصغر من همتك فإنني لم أر
أقعد بالرجل من سقوط همته . »

وهكذا كان العمل دعوة إسلامية كبرى
كذلك ، ولن تتحقق الغاية المرجوة من العز
والسؤدد دون أن يتقن كل منا عمله ، ويقبل
عليه بصدره منشرح ونفس راضية مرضية مخلصاً
في أدائه متفانياً في إنجازه واضعاً نصب عينيه
جميل ثوابه وعظيم عقابه وقول الرسول الكريم:
« ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوماً إلا
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . »
والعمل اليوم شعار من شعارات الثورة
في العهد الجديد ، وعندما أعلن السيد الرئيس
نقطة التحول في المجتمع العربي الجديد قال
« دقت ساعة العمل الثوري . »

وهو في دعوته إلى الإسلام ويرجع إلى
جذوره الأولى في الدعوة إلى العمل ونفض
التراخي والكسل .

« وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون ، » **بمجالس الربيع الرمادي**

ذلك إلى العمل والسعي لطلب الرزق دون
ركود أو خمول ، ودون تقصير أو قصور .
فقال تعالى: « فانتشروا في الأرض وابتغوا
من فضل الله . »

كما قال تعالى: « فامشوا في مناكبها وكلوا
من رزقه وإليه النشور . »

وقال الرسول الكريم في الدعوة إلى طلب
الرزق (من طلب الدنيا حلالاً وتمقفاً عن
المسألة وسعيها على عياله ، وتعطفها على جاره ،
أتى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر) .

كما قال أيضاً (إن الله يحب العبد يتخذ المهنة
يستغني بها عن الناس) .

فما أجمل هذه الأقوال الحكيمة ، وما أندر
هذه الدرر الثمينة ، وما أشرف هذه الدعوة
النبيلة إلى العمل ، والإقبال على الصنائع
والحرف ، وامتهان المهن الشريفة التي يصلح
بها حال المجتمع ، وتدفعه إلى الرفع والرفق .
وفي حديث آخر يفصل الرسول هذه
الدعوة فيقول « إن الله يحب المؤمن المحترف ،
ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً
« أجل ما أكل العبد كسب يد الصانع . »

وفي فضل التجارة قال الرسول: « عليكم
بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق . »

أما الفاروق عمر بن الخطاب فكان
كالرسول الكريم يستنكف البطالة والبطالين
ويكره التعطل والمتعطلين ويمقت أن يكون
الدين وسيلة إلى الكسل أو ذريعة إلى الخمول

نموذج رَسْدِ طَوْرِ الفقه الإسلامي :

فلنصنع فقهنا

للأستاذ فتح عثمان

منذ صدر الإسلام ، وأعلام الفقه الإسلامي لا يعيشون في قيود الحروف التي وردت بها النصوص ، وإنما يعيشون مع النصوص في واقع اجتماعي وفكري سليم ، ومن هنا تخلد النصوص ويتجدد الفقه ، وتكون حياة الفكر صورة لحياة المجتمع .

* جاء عمر بن الخطاب ، وفي القرآن آية تتلى تعطى د المؤلفه قلوبهم ، من الزكاة ، لكن عمر نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره ، فقد كانت علة إعطائهم تأليفهم لاتقاء شرهم عند ما كان الإسلام ضعيفا ، فلما قوتت شوكة الإسلام زال الداعي إلى إعطائهم . وقد أبطل عمر عطاء كان قد أنفذه رسول الله

وأبو بكر لعينة بن حصين والأقرع ابن حابس قائلا : د إن رسول الله كان يتألفكم والإسلام يومئذ قليل ، وإن الله قد أغنى الإسلام . اذهبوا فاجهدوا جهديكا ، لا يرضى الله عليكم إن رعيتم ، .

نعم ...

د اذهبوا فاجهدوا جهديكا هذا شعار المجتمع الجديد الآخذ في الظهور ، مجتمع لا يعطى بغير عمل !!

* واجتهد عمر في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين في عام المجاعة المسمى د عام الرمادة ، واكتفائه بتعزيز السارق بدلا من قطع يديه : د وهذا من عمر ليس تعطيل الحد السرقة الشرعي . بل هو اجتهاد حكيم منه في تطبيق شرائط هذه العقوبة ؛ لأن من شرائطها شرعا ألا يكون السارق مضطرا إلى السرقة اضطرارا ، فقد اعتبر عمر في ذلك شبهة عامة في أنهم كانوا يسرقون عن ضرورة

وحدوث النوازل التي تتطلب معرفة حكم الله فيها ...

« ثم إنهم آمنوا بعد ذلك بأن الأحكام التي قد تؤخذ من النصوص أو التي أخذت منها في زمن ما ، قد تتغير على مر الزمن واختلاف البيئة ، وذلك لتغير عللها التي أدت إليها ، أو لأن المقاصد المرادة منها أصبحت لا تتحقق إلا بأحكام أخرى لتغير الظروف والأحوال ... وقد حفظ لنا

التاريخ الصادق الأمين في مجال التشريع أحكاما عديدة توافقت هذه النصوص في روحها ومقاصدها ، وإن خالفت أحيانا ظاهرها أو خصصتها أو قيدتها ... ونرى من المفيد أن نضع بين أيدينا هذا البيان الموجز لما ذكرناه ...

* ذهابهم إلى أحكام لم تكن موجودة من قبل معللين لها بأنها خير ، أو لأنها توافقت العلل التي تؤخذ من النصوص : وذلك كما في حكم ميراث الجد ، وقتل الجماعة بالواحد ، والحكم بالدية بعد عفو أحد أولياء الدم .

* تغييرهم لبعض الأحكام الثابتة من نص القرآن أو السنة ، وذلك لتغير العلل التي كانت أدت إليها أو لزوالها : ومن ذلك إسقاط عمر سهم المؤلفه قلوبهم ، وتقدير الدية نقداً بدل الإبل ، وإجازة التقاط الإبل الضالة.

ماجئة ، وقد قال النبي : ادرموا الحدود بالشبهات ، ، ويروى عن عمر قوله لعبد الرحمن بن حاطب : « أما لولا أني أظنكم تستعملونهم وتجمعونهم ، حتى لو وجدوا ما حرم الله لاكلوه - لقطعنهم ، ولكن واقع إذ تركتهم لأغر منك غرامة توجعك (١) » .

عاش المسلمون إذن - منذ جاء الإسلام وظهر جملة الأول - مع نصوص القرآن والسنة في الحياة ... ولم يعتزلوا بأنفسهم ، أو نصوصهم ، عن الحياة !!

ومن هنا عاشت النصوص معهم ، وأثمرت هذا التراث الضخم الجليل من الفقه :

فقد عرفوا أن الأحكام التشريعية التي جاء بها الكتاب والسنة لم تشرع عبثاً ، بل إنها قد شرعت لعل لا بد من الفحص

عنها ، ومقاصد يقصد إلى تحقيقها ... وقد أدام إلى هذا اليقين ما وجدوه في القرآن نفسه وكذلك في السنة من التصريح أو الإشارة إلى علة الحكم والتشريع ... وكان من النتائج الطبيعية لهذا أن عمل هؤلاء الفقهاء والأعلام على تعرف هذه العلل والمقاصد ، وكان هذا منهم تبعا للنسبات

(١) دكتور يوسف موسى : محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي (فقه الصحابة والتابعين) ، مصطفى الزرقا : المدخل الفقهي العام - الجزء الأول .

ولقد جعل فقهاؤنا من مصادر فقههم :
مصادر ثابتة هي نصوص القرآن والسنة - وإن
كان - فهم النصوص لا يمكن أن يكون ثابتا
نتيجة تحكم عوامل متغيرة في هذا الفهم ، كما
جعلوا من مصادر الفقه الإسلامى مصادر مرنة
قد تدخل عموما تحت اسم « الاجتهاد » .

وهم لم يكتفوا بالبحث عن علة الحكم
الوارد به النص ، وتقرير أن الحكم يدور مع
علته وجوداً وهدماً ، بل فتحوا أبواباً واسعة
للاجتهاد الفقهي ، منها النظر للعرف ، ومنها
تقدير المصلحة ، ومنها الاستحسان .

فإذا ما اعترض سبيل المصلحة المتفقة مع
مقاصد الشريعة نص شرعى مانع : د فهل
يعمل عندئذ بالنص دون المصلحة ،
أو بالمصلحة دون النص ؟

* فإذا كان النص قطعياً في دلالته وثبوته :
لا يتصور أن تعارضه مصلحة تقتضى خلافه
لأن معيار المصلحة هو النظر الشرعى .

* د أما إذا كان النص غير قطعى في دلالته

أو في ثبوته : فالاجتهاد الشافعى لا يقبل
تخصيص النص — ولو كان غير قطعى —
بالمصلحة ، لكن إذا اعترض سبيل تطبيق
النص ضرر عارض فعندئذ تحكم قاعدة :

الضرورات ، واختيار أهون الشرين ، فإن
الضرورات تبيح المحظورات ... مثال ذلك

* ذهابهم إلى النهى عن بعض الأحكام
الأحكام الثابتة بالكتاب أو السنة ، دفما
لما يترتب عليها من مفسد خطيرة بعد أن
تغير الزمن : ونستطيع أن نذكر لهذا من
باب التمثيل رأى عمر في تقسيم الغنائم العقارية
بالعراق ونحوها ، ورأيه في زواج الكتانية .
* استحداثهم أحكاماً زاجرة اقتضاها

الزمن مع ما فيها من ترك ظاهر النص
أو تخصيصه : ومن هذا حكم عمر بإمضاء
الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، وحكمه فيمن
تزوج امرأة لا تزال في هدتها من زوج
سابق ، والحكم بتضمين الصناعات مع أن
أيديهم أيدى أمانة كما هو معروف .

* وأخيراً نرى من كبار التابعين من
يتروكون العمل بالنصوص المطلقة أو العامة
لأنهم رأوا العمل بها يناق المصلحة ، فكان
أن عملوا بما يحقق هذه المصلحة وإن كان في
هذا تقييد للنص أو تخصيصه أو ترك ظاهره :
ومن ذلك إجازة التسمير ، ورد شهادة
القريب لقريبه أو الزوج لزوجته والعكس ،
وعدم قبول عروة بن الزبير توبة من تاب بعد
تلصص منه وقطع الطريق ^(١) .

* * *

(١) دكتور يوسف موسى : محاضرات في تاريخ
الفقه الإسلامى (فقه الصعابة والتأبين) .

لأجل بقاء النظام على أحسن إحكام . ولهذا نرى فقهاء المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة بناها على ما كان في زمنه لعلمهم بأنه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به أخذنا من قواعد مذهبه .

ما معنى هذه الأصول الفكرية والسوابق

التاريخية الكبرى ؟ ؟

معناه أن علينا واجبا ثقيلا ... أن نصنع فقها !

نعم ... نصنع فقها ، كما صنع أسلافنا فقها .

إن القانون علم وصياغة - كما يقول جيني . وأمانا أشواط بعيدة عن العلم ...

* العلم بمبادئ شريعتنا .

* والعلم بواقع مجتمعتنا وعالمنا .

* والعلم بتراث فقها .

* والعلم بما وصلت إليه المعرفة القانونية في عصرنا .

ومن تفاعل هذه الأصول ، تأتي الصياغة التي نستهدى فيها بسوابق الفقه الإسلامي ، كما نستأنس بصياغة غيرنا من فقهاء الشرائع والتقنيات الأخرى .

يقول العميد السنهوري في بحثه المشهور بمجلة القضاء العراقية (العدد الأول من السنة

الثانية - مارس ١٩٣٦ :

ما لو تترس الأعداء المحاربون بجماعة من أسرانا الذين في أيديهم ، وكان يخشى من ترك الأعداء أن يظهروا علينا ، فإنه يجوز بل يجب رميهم بالسلاح ، وإن ترتب عليه قتل من تترسوا لهم من جندنا المعصومة دماؤهم بالنص القرآني القاطع (المستصفي للغزالي) .

ويساير الحنابلة الشافعية في ذلك وإن كانوا يعتبرون المصلحة مصدراً فقها ، على أن المالكية والحنفية يرون : أن المصلحة

تخصص النص عند التعارض ، والتخصيص عند الأصوليين هو قصر النص على بعض ما يشمله لفظه على سبيل التفسير والبيان لمراد الشارع ^(١) .

وقد عاش فقهاؤنا دائماً مع يثائهم وفي عصورهم . ونحن نجد من الفقهاء المتأخرين مثلاً ابن عابدين يقول في (رسالة نشر العرف) :

« إن كثيراً من الأحكام يبينها المجتهد على ما كان في زمانه ، فتختلف باختلاف الزمان : لتغير عرف أهله ، أو لحدوث ضرورة ، أو لفساد أهل الزمان ، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه لزم منه المشقة والضرر بالناس ، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ، ودفع الضرر والفساد ،

(١) الزرقا : المدخل الفقهي العام - الجزء الأول .

يد الصياغة فأحسن صياغتها لصنعت منها نظريات ومبادئ لا تقل في الرقي والشمول وفي مسيرة التطور عن أخطر النظريات الفقهية التي تتلقاها اليوم عن الفقه الغربي الحديث .

« ولاني آتي بأمثلة أربعة :

« يدرك كل مطلع على فقه الغرب أن من أحدث نظرياته في القرن العشرين : نظرية التمسك في استعمال الحق ، ونظرية الظروف الطارئة ، ونظرية تحمل التبعية ، ومسئولية عدم التمييز .

ولسلك نظرية من هذه النظريات الأربع أساس في الشريعة الإسلامية ، لا يحتاج إلا إلى الصياغة والبناء ... » .

فتوى عثمان

(لا أريد الاقتصار على شهادة الفقهاء المنصفين من علماء الغرب : كالفقيه الألماني كوهلر والأستاذ الإيطالي دليفيشيو والعميد الأمريكي ويجمور - وكثيرين غيرهم عن يشهدون بما انطوت عليه الشريعة الإسلامية من مرونة وقابلية للتطور ، ويضعونها إلى جانب القانون الروماني والقانون الانجليزي .

وقد أشار الأستاذ لامبير الفقيه الفرنسي المعروف في المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي انعقد في مدينة لاهاي سنة ١٩٣٢ إلى هذا التقدير الكبير للشريعة الإسلامية الذي بدأ يسود بين فقهاء أوروبا وأمريكا في العصر الحاضر .

« ولكني أرجع للشريعة نفسها لأن ثبت صحة ما أقوله ... »

« ففي هذه الشريعة عناصر لو تولتها

العرب إخوة

العرب أمة واحدة :

هذه حقيقة مؤكدة ، لا تنقصها دعوى مدع في الشرق ولا في الغرب ؛ فالعربي في مصر أخو العربي في نجد ، وفي صنعاء ، وفي بغداد ، وفي دمشق ، وفي بيروت ، وفي الدار البيضاء من أقصى المغرب : أبونا واحد وإن زعم من زعم أننا لآباء ، ووطننا واحد وإن حال الاستعمار بوسائله ، أن يجعله أوطاناً ، وهدفنا في الحياة واحد ، وإن جهل باحث في الشرق أو في الغرب ، وعنى أو تعامى عن الحقيقة الواضحة .

على أن وحدتنا لو لم تكن وحدة جنس ولا وطن ولا هدف لكانت وحدة آلام . فإن أخوة الشعوب بالآلم لتربطنا قلباً إلى قلب من شاطئ الخليج العربي إلى شاطئ الأطلسي فما يكاد عربي يشكو ألماً حتى يتداعى له سائر العرب من قريب ومن بعيد بالسهر والحي . (جمال عبد الناصر)

طبيعة الشعر العربي

للدكتور عبد الله الطيّب

من الوزن والتقفية ، ما كان ليكتفى بهذا التعريف أو يقطع بأنه حد جامع مانع . واهلك قائل فهذا مجرد تحكم من الذوق العربي أن يمد أوزان الخليل وما إليها هي الأوزان ، ثم يضرب عما عدا ذلك ، وهذا التحكم لا ينبغي أن يقيدنا نحن الآن .

والحق أنه ليس يتحكم . ولكنه مذهب وأسلوب تفرد به ذوق العرب ، وقد استوحوه من يبتهم وبجينة لغتهم . ذلك بأنهم كانوا في أول أمرهم قوما بدوا لا يحسنون من الصناعات كبير شيء . وكانت لغتهم هي صناعتهم . فأقبلوا عليها كل الإقبال . وافتنوا في صوغها أشد افتنان . وجعلوا شعرها ذروة تجتمع عندها قابليات ما يستطيعونه من الملكة والإتقان والإبداع .

وقد بنوا شعرهم حين أحكوه على عناصر ربعة من النغم . أولها الموازنة . وثانها السجع . وثالثها التجنيس . ورابعها الوزن المقفى . والعناصر الثلاثة الأوليات قد سبق الحديث عنها . إذ هي مادة ما قبل الشعر ، حين كان شعرا ، ومنها نشأ إيقاع النثر الذي ذكرناه آنفا واستشهدنا به . كما قد حيزت

إن النثر العربي له مذاهب في الإيقاع تشبه أشعار الإفرنج . وزعمنا أن الجاحظ والتوحيدى والصاحب وأضرابهم عمدوا إلى أشكال في الصياغة قريبة من أشكال الشعر الإفرنجي . ونحسب أنهم لو وقعوا في لغة إفرنجية لعدوا بصنيعهم هذا من شعراتها . هل أنا نعلم أنهم لم يوصفوا في اللغة العربية بصنع الشعراء ولو على سبيل المجاز . ولم توصف أساليبهم بأنها من قرى الشعر ولو على سبيل التوسع .

ذلك بأن الذوق العربي لم يكن يرى إيقاع النثر داخلا في حيز الوزن والعروض ، مهما يبلغ من درجات الإتقان والرنين . ولقد نحسر قسبنا على هذا أن الذوق العربي قد لا يرى أن كثيرا من أشعار الإفرنج تدخل في حيز الوزن والعروض على ما يذكره لها نقادها من مصطلحات هذين في تصانيفهم . وآية ذلك أن الذوق العربي قد اكتفى في تعريف الشعر بأن قال : —

« هو الكلام الموزون المقفى ، وعنده هذا التعريف حد جامع مانع ، ولو قد كان يعد شيئا من إيقاع النثر وبجمله ذا مشابه

المعروف . ولقد يهم بعض من يتعرض لدرس الأعارض العربية ، فيحسب أنها مجرد مقاطع طوال وقصار وليس الأمر كذلك . نعم - قد نقول - فمولن مفاعيلن ، مقطع قصير فقطعلمان طويلان ثم مقطع قصير فثلاثة طوال . ولكن مثل هذا القول ليس في حقيقته إلا وصفا تقريبيا يجاء به في معرض التعليم ، من أجل التيسير والتبسيط . وليس المراد به التحليل والاستقصاء .

وقد جريت في كتابي « المرشد » على هذا المذهب لأنني أردت أن أعين أصحاب المللكة ، ممن لم يهشوا إلى درس العروض في متونه المعروفة ، على أن يلبوا بأطرافه في غير ما عنام كبير ، وعلى منهج ربما كان أقرب إلى أذواق أصحاب المللكات . ولقد أخذ على الأستاذ الكبير بلاشير في مقال جيد كتبه في مجلة أرابيكا (١) أني لم أعترف بسابقة بعض المستشرقين من أمثال قابل وهارتمان وجابار حين أقبلت على شرح العروض بطريقة المقاطع القصيرة والطويلة ، وهي طريقتهم ، دون الأسباب والآثار . والحق أني قد اعترفت لهم بهذه السابقة اعترافا محضاً إذ قلت في مستهل تهديدي عن بحث الأوزان (المرشد - ١ - ٧٤) ، ولا أريد أن أعفى القارىء بالحديث عن التفصيلات من حيث

(١) أرابيكا ، ليدن ١٩٥٩ - ص ٢٠٠.

بمذاخيرها إلى صناعة الشعر من بعد فصارت من متهات جرسه ورفينه . وقد فصلنا الحديث عنها بعض التفصيل في الجزء الثاني من كتابنا « المرشد » .

والعنصر الرابع هو الفاصل بين الشعر و « ما قبل الشعر » ، وهو الذي يجعلنا نقول عن الأمثال وعن الخطب وعن نثر الجاحظ وعن جمع البديع وعن زخارف القاضي الفاضل أنهم جميعاً لسن بشعر . وهو الذي يجعلنا ننظر في كل ما انتظمه الوزن الخليل والقافية الخيلية فنقول إنه داخل في مدلول شكل الشعر وإن كان عسى أن يخرج بعضه من هذا المدلول حين يمرض على مقاييس الجودة والتأثير ، كأراجيز الفقه والعلوم مثلاً وكرموز الشاطبية ولامية الأفعال .

وحقيقة هذا العنصر - أي عنصر الوزن المقفى - أنه نسب موسيقية محضة ، تؤلف معاً ، ليسكون منها قالب موسيقى محض . ومن هنا كانت طبيعة إيقاعه تختلف عن طبيعة الإيقاع الذي في سائر أصناف « ما قبل الشعر » والإيقاع في هذه الأصناف يدور على جرس اللفظ ، وألوان المخارج ، وموازونات العبارات ولكن الإيقاع في القالب الموسيقي الذي ينشأ عن الوزن المقفى ، يدور على تناسب ضربات ، لها أبعاد زمانية ، أشبه شيء بالضربات التي تصحب التأليف الموسيقي

ولعلل ، خشية ألا يخفى أمرها عنه
كل الخفاء .

ولقد حرصت في كتابي والمرشد، أن أستدرك
هذا النقص بالجمع بين المذهبين من طريق
المزاوجة بين الأجزاء الثمانية (فعولن -
مفاعيلن - مفاعلاتن - فاعلاتن - متفاعلن -
مستفعلن - فاعلن - مفعولاتن) ورموزها
المقطعية . وقد جربت هذه الطريقة في التعليم
فوجدتها مجدية تقول مثلاً : —

هذا الجزء هو مفاعيلن التي تقع في الطويل
أو مفاعلاتن التي تقع في الوافر حين يدخلها
الزحاف وفي المزج وفي مجزوء الوافر الذي
هو ضرب من المزج حين يدخله الزحاف .
فتمى وجدت هذا الجزء في أول البيت فهو
إما مزج وإما وافر ، إلخ . وتمى وجدته
هكذا (٧ - ٧٧ -) فهو وافر ليس غير .
وأساليب المعلمين بعد ، ثقبان ، وليس هنا
موضع البسط والتفصيل . هذا وهنا أمر
في غاية الأهمية في النظام التحليلي ينبغي التنبيه
عليه ، وهو أنه يبرز جانب الموسيقى المحضة
في أوزان الشعر . وهذا مرادنا من قولنا
إن مذهب المقاطع مقصر عن حقيقة إدراك
النسب الزمانية .

ولقد نبه الأستاذ بلاشير في مقاله القيم
إلى هذا التقصير من طرف خفي ، ودعا

زحافاتهما وعللها . فهذا أمر قد فرغ محدثوهم
وقدماؤهم - من درسه . ومرادى أن أحاول
بقدر المستطاع تبين أنواع الشعر التي تناسب
المجور المختلفة . ولقد فطن الأستاذ بلاشير
إلى مرادى أيما فطنة . فأعجب مع هذا كيف
قامت التي فاته من احتراس . وما أردت إلا
ما قدمت ، فهذا مذا .

وإني ، بعد ، أكرر ما قلته في المرشد ،
من أني أعيب على قدماء العروضيين ما أسرفوا
من المصطلحات ، وما جنحوا إليه من فساد
القسم في بعض الدوائر . وأوثر على مذهبهم
في التعليم ما أخذ به المستشرقون من استعمال
علامات المقاطع القصار والطوال فهي
في جملتها أيسر منالا من حفظ التفصيلات
وأجزائها وأسماء عللها وزحافاتهما . على أني
لا أغفل في هذا الموضوع عن تنبيه القارئ
إلى ما أراه من عجز هذا المذهب عن أحكام
تقطيع الأبيات في العروض . إذ أكثر
جهده منصب على تحليل التفصيلات من حيث
كها المقطعي . والبيت العربي يحتاج المرء
في تقطيعه إلى معرفة موضع الضرب والعروض
ونصف الضرب ونصف العروض وكسورا
من ذلك أيضا . فمن هنا لا يكاد دارس
العروض يستغنى عن الاستعانة بالنظام التحليلي ،
وأن ينظر في كثير من أصناف الزحاف

حيث حلوا الأعاريض حلا مطلقا على طريقة المقاطع اللغوية التي إن صلحت مطلق الصلاحية في توضيح الأوزان الإفرنجية ، فإنها لا تصلح إلا على وجه تفرّبي في توضيح الأوزان العربية . خذ مثلا قول دريد ابن الصمة :-

يا ليتنى فيها جذع
أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمّع
كأنها شاة صدع

طريقة التقطيع الحديثة تترك أن البيت الأول (١) « يا ليتنى فيها جذع » مكون من هذه المقاطع :-

— - ٧ - / - ٧ -

وأن البيت الثاني مكون من هذه المقاطع :-

٧ - ٧ - / - ٧٧ -

وكما ترى فإن « كم » المقاطع في البيتين مختلف ويكون الشاعر على هذا قد تجاوز في تصنيفه . وطريقة التقطيع القديمة كذلك على أن الشاعر زاحف في البيت الثاني زحافا محتملا . وهي في هذا أدق وصفا لحقيقة تصنيفه من الطريقة الأولى . ألا أنها كأنها ترى في ما صنعه نوعا من شذوذ .

والحق أن الشاعر لم يشذ ولم يخطئ في نسبه الزمانية حيث يقال إنه زاحف . وكأنما

(١) شطر سطور الرجل بيت عند المروضين .

في دائرة ، توهم أصلا دائريا ينبع منه ذلك البحر فنسبه إليه وبني أنظمة الزحاف والعلل على ما اقتضاء هذا التوهم .

وأحسب أن الخليل ومن اتبعوه قد أتوا من حيث أنهم كانوا نحاة . وقد جرت الخليل عادة النحو إلى أن يسلك بالعروض مذهبا نحويا . وقد كان رجلا عظيم الذكاء دقيق المداخل إلى العلل في أبواب النحو . ذكر سيويه مثلا أنه كان يمتنع من حذف الأصل من أمثال سفيرجل ، ويرى أن تحقر على سفيرجل لتكون بمنزلة دينير كما ترى مع علمه بأنه ليس سفيرجل في كلام العرب (١) فهذا بعينه هو الاتجاه الذي اتجه في العروض إذ اقتتل أوزانا في ضوء الذوق العربي ، ثم نفي وجودها .

ولقد اضطر الخليل ، في حله للعروض على طريقة النحو ، إلى أن يستكثر من الاصطلاحات التي قدمنا لك ما نراه من عيبها . وإنما اضطره إلى هذه الاصطلاحات ما تعود من اتباع القواعد الشواذ في منهج النحو . والعلل والزحاف كلها تنزل منزلة الشواذ من قواعد البحور المثالية وغير المثالية . ولعمري ما أثرها من شواذ .

وكما أخطأ الخليل حيث حمل العروض على مناهج النحو ، أخطأ أكثر المحدثين

(١) الكتاب ٢/ ١٠٧ .

وصف تقريري وليس بمحد كامل ؛ لأن
« مستعملين » هذه في الإمكان تصورها « متفعلن
أو « مفتعلن » — وذلك بأن يصب الشاعر
مقطعا قصيرا (كما يقول اللغويون) في قالب
الضربة الأولى للتمامة فيصير الوزن هكذا : —

م تف علن
تم تم تم

فيكون الشاعر كأنه استشعر سكتة بعد
« م » هذه من غير محاولة منه لتقصير الضربة .
وننبهك هنا - من قبيل الاستطراد - إلى موضوع
(علن) في بياننا . وهي ما يسميه العروضيون
« وتدا بمجوعا » . وعندى أنهم قد راموا
بذكر الوند المجموع (علن) والمفروق (تفع)
نوعا من البيان النغمي ، ومن هنا أراهم أدق
من الذين اكتفوا بالبيان المقطعي وحده .
إذ (علن) و (تفع) فهما معان نغمية أكثر
من مجرد قولنا (٧ -) أو (٧ -) . وقس
على ذين قولهم « فاصلة كبرى » ، و « فاصلة صغرى » ،
وما أرى القوم إلا قد عجزوا عن الكتابة
الموسيقية فالتسوا الأسماء . للنغم ومع الذي
قدمته من تأثيرهم بنظام النحو .

(البقية في العدد القادم)

دكتور عبد الله الطيب

يؤمن بذلك . ذلك بأن كل عروض إنما هو
شكل موسيقي تام ذو أبعاد زمانية ثابتة النسبة
بعضها إلى بعض ، وليس بمجرد مقاطع طوال
وقصار تدل على كم كلامي . وهذه الأبعاد
الزمانية بمنزلة القوالب من المقاطع اللفظية
طوالها وقصارها . ودريد حين قال : —

يا ليتني فيها جذع
أخب فيها وأضع

إنما أراد وزنا مداره على ثلاثة أبعاد
زمانية متساوية ثالثها مقسوم إلى بعدين
متلاحقين وهو وزن الرجز .
وصورة جزئه الحقيقية هكذا : —

تم تم تم تم

الرفتان الأولى والثانية لكل واحدة منهما
حين زمني منفرد . والثالثة والرابعة في حين
زمني واحد معا مساو لكل واحد من الحيزين
قبله . وقصارى الشاعر في محاكاة هذه الأبعاد
ومحاولة إبرازها إلى الأذن الموسيقية أن يجعل
لكل واحد من البعدين الأولين مقطعا
منفردا ، وما أخرى أن يكون طويلا . وللبعد
الثالث مقطعين معا ، وما أخرى أن يكون
أولها قصيرا ليكون أدل على التلاحق .

وقد حاكى الخليل هذا الوجه المحتمل
في طريقة الشعراء فمثل لجزء الرجز بقوله :
« مستعملين » ، ولكن هذا التمثيل كما نرى

النسخ في تقدير علماء الأصول

للاستاذ عباس طه

قسمين ؛ نسخ الكتاب ، ونسخ السنة ،
والأول وهو نسخ الكتاب أى نسخ آية
من القرآن ينقسم إلى نسخ حكم ونسخ تلاوة ،
ولنما صدق التعريف على القسمين أى نسخ
الحكم ونسخ التلاوة ؛ لأن كلا منهما فيه نسخ
الحكم ، وذلك أن معنى نسخ التلاوة نسخ
حكم التلاوة ، أى أن هذه الآية كانت لتلاوتها
أحكام تلاوة القرآن ككونها بثاب على
تلاوتها ، ويصح الصلاة بها ، ولا يجوز
للجنب أن يتلوها ولا للمحدث أن يمسه
وهي مكتوبة ، فنسخت هذه الأحكام .

وأما نسخ الحكم المدلول لها كترخيص المتوفى
عنها حولا ، وكالوصية للوالدين والأقربين
وأمثال ذلك ، فالنسخ هو للأحكام على كل
حال ، ولنما سمي أحدهما نسخ حكم والآخر
نسخ تلاوة للتفرقة بين القسمين .

ثم النسخ جائز عقلا وثابت شرعاً ،
أما جوازه عقلا فلأن الله تعالى هو الأمر
الناهي باختياره ، وليس في العقل ما يمنع
من أن يأمر بشيء في وقت وينهى عنه
في وقت ، سواء أ قلنا إنه يفعل باختياره
بدون تقييد بحكمة أو علة ، أو قلنا لا يصدر
عنه فعل إلا لحكمة وقائدة ، فعلى الأول

النسخ هو رفع استمرار حكم شرعى بخطاب
شرعى متراخى ، أو هو الخطاب الشرعى الدال
على رفع استمرار حكم شرعى سابق . والغرض
من قولنا بخطاب شرعى الاحتراز عن قطع
استمرار الحكم الشرعى بالموت ، أو الجنون
أو نحوهما . وكلية متراخ للاحتراز عن رفع
الحكم بغاية متصلة بالخطاب المثبت له . نحو
قوله تعالى : « ثم أتموا الصيام إلى الليل » .
فإن كلفة إلى الليل غاية وليست نسخاً لاتصالها
بالخطاب المثبت للحكم الذى انتهى بالغاية .

وقولنا (بخطاب شرعى) فى التعريف
الأول ، أو (الخطاب الشرعى) فى التعريف
الثانى : المراد منه الوحي الإلهى الذى يوحى به
الله إلى نبيه عليه السلام فيبلغه النبي إلى قومه
بأى وجه من وجوه الإبلاغ ، سواء أكان
قولاً أو فعلاً أم تقريراً ، وسواء أكان
القول مسوقاً للإيجاز مع بيان الحكم أم لم يكن
كذلك ، وذلك لأن جميع ما يصدر عن
الرسول فى مقام التشريع إنما هو عن الوحي
الإلهى ، لا فرق فى ذلك بين التشريع الابتدائى
والتشريع النسخ لحكم سابق .

ومن هذا يعلم أن النسخ جميعه موجه
للأحكام ، ومع ذلك فإن النسخ ينقسم إلى

قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ، نسخت بالآية السابقة عليها في التلاوة وهي متأخرة عنها في النزول ، وهي قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يترصدن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ، وذلك أن ترتيب التلاوة غير ترتيب النزول ، وليس المقام الآن في بيان ذلك ، بل هو معروف شائع وتلخيص حكمته في فن التفسير ، كقوله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، الآية ، تدل على وجوب ثبات الواحد للعشرة ، نسخت بقوله تعالى بعدها : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، الآية ، فإنها تدل على وجوب صبر الواحد للاثنتين دون ما زاد عليهما . ومن النسخ نسخ التوجه لبيت المقدس في الصلاة بالتوجه للكعبة ، ونسخ وجوب صوم عاشوراء بوجوب صوم رمضان ، ونسخ حكم الوصية للوالدين والأقربين بآية المواريث ، أو بقوله صلى الله عليه وسلم : (لا وصية لوارث) على الخلاف بين الفقهاء في ذلك .

ومن هنا يجيء سؤال هل ينسخ كل من الحديث والآية بالحديث أو بالآية ؟ أى هل ينسخ الحديث بالحديث والآية ، وتنسخ الآية والآية بالحديث ؟ أما لنسخ الحديث بالحديث والآية بالآية فلم يخالف فيه

الأمر ظاهر ، فإنه متى كان اختياره كافياً في الفعل أو في الخطاب ، فيجوز أن تتعلق إرادته بالأمر بالشئ في وقت والنهي عنه في وقت آخر ولو لم يكن لذلك سبب ، كما مره بالصوم في اليوم الأخير من رمضان ونهيه عنه في اليوم الأول من شوال ، وعلى الثاني وهو أنه لا يصدر فعل أو تكليف إلا للحكمة وثمرة ، لا مانع أن يكون في الفعل مصلحة في وقت ومفسدة في وقت آخر فيؤمر به في الوقت الأول وينهى عنه في الثاني ، ومثل ذلك المريض يكون تناول الدواء مفيداً له حين مرضه فيأمره الطبيب بتناوله ، ويكون مضراً له بعد سلامته فينهاه الطبيب عنه حينئذ ، أو كالغذاء الجيد لا تتحمله المعدة المريض الضعيف فينهى عنه ، فإذا شفى من مرضه وسلبت معدته واحتاج إلى ما يعيد قوته حتم عليه الطبيب تناول ما كان يمنعه منه . واعتبر ذلك في تربية الطفل يعطى من الغذاء الخفيف ما يناسبه حتى إذا شب زيد له من متين الغذاء بمقدار ، ومنع من رضاع أمه ، إذا كان ذلك لا يناسبه بعد كبره . ولا شك أن الأم عرضة لأدواء شتى في التربية فيصح أن يناسبها في وقت ما لا يناسبها في وقت آخر . وفي القرآن الكريم ما يدل على جوازده وهو قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » . وأما ثبوته شرعاً فلا دلة كثيرة - منها

إما بالتبليغ على ما هو رأى بعضهم في معنى التبيين، وإما بتخصيص العام وتقييد المطلق وبيان الجمل وما أشبه ذلك، وعلى كل حال لم يقل أحد بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحجى. بوحى لأحكام غير ما ورد في القرآن. وأما نسخ الآية بالحديث ففهم من جوزه ومنهم من منعه، والمجوزون أكثرهم على أنه لم يقع وإن جاز عقلا، لأن كلا من الناسخ والمنسوخ من عند الله على ما سبق، ويقولون فيما توهم فيه أن فيه نسخ الآية بالحديث: إن الناسخ آية لا حديث. فن ذلك آية الوصية للوالدين والأقربين كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين، : توهم فيها أنها نسخت بحديث لا وصية لوارث، فيقولون: إن الناسخ في الحقيقة آية الموارث، فقد بينت لكل ذى حق حقه، فلم يرجع أمر التقسيم والإعطاء إلى الوصى كما دلت عليه آية الوصية المنسوخة، ويكون حديث لا وصية لوارث، لبيان نسخ آية الوصية بها، ولذلك وصى أنه عليه الصلاة والسلام قاله بعد نزول آية الموارث.

ومن ذلك آية الجلد : الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، : توهم فيها إنما نسخت بالسنة، وهو فعله صلى الله عليه وسلم، وأمره برجم ما عز إذ ثبت عليه الزنى وهو محصن، فيقولون

أحد من مثبتي النسخ، ما لم يؤد إلى نسخ حديث متواتر بحديث آحاد، فإن الناسخ لا يكون أقل قوة من المنسوخ، وأما نسخ الحديث بالآية أو الآية بالحديث فقد اختلف فيه، فالمجوزون يقولون: كل من عند الله، وهو الحاكم والمكلف، والنبي مبلغ، سواء بقول من نظمه هو أو بالنظم القرآنى الكريم، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. فكل من الحديث والآية معناه موحى به من الله، والفرق إنما هو في اللفظ المؤدى به، فإذا كان اللفظ المؤدى به من قبل النبي صلى الله عليه وسلم فهو الحديث وإذا كان نظمه ولفظه بما أوحى به مع مراعاة الإعجاز فهو القرآن، ويكون متعبداً بتلاوته حينئذ. والنسخ على كل حال لحكم من الأحكام، سواء أكان الحكم المدلول عليه بالنص السابق، أم كان الحكم المتعلق بلفظه على ما سبق في التقسيم.

والماتعون لنسخ الحديث بالآية استندوا إلى قوله تعالى : وأنزنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم، فظنوا أن السنة البيان فحسب، وليس لهم فيه حجة، فقد أجمع المسلمون على أن من الأحكام ما ثبت أصله بالسنة، فليست السنة قاصرة على البيان وليس في الآية دليل على انحصار أعماله صلى الله عليه وسلم في البيان، وغاية ما تدل عليه أنه يكون منه بيان ما نزل إليهم،

بالقرآن ثم نسخ الناسخ ، وغاية الأمر أن النسخ في الأول نسخ الحكم المدلول للآية مع بقاء تلاوتها ، والثاني نسخ الحكم مع بقاء التلاوة ، ونسخ التلاوة مع بقاء الحكم .

وملخص هذا الرأي أن نسخ الآية بالحديث جائز عقلاً ، ولكن لم يثبت قطعاً ، ولو ثبت ما لازم منه محال ، بشرط أن يكون بالحديث متواتراً . والقائلون بوقوعه يستدلون بهذا الذي ذكرناه .

أما المانعون الذين يقولون بعدم جواز نسخ الآية بالحديث ، فإنهم يستدلون بقوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلاً » ، فإنها تدل على أن الذي ينسخ الآية آية مثلاً أو خير منها .

ويقول الأولون : لا دلالة فيه على أن المأني به هو الناسخ ، بل كل ما يدل عليه هو أنه إذا حصل نسخ لحكم آية أو تلاوتها أتى الله بآية أو حكم مثلاً أو خير منها في الثواب الأخرى أو في نفع العباد وتربيتهم ، ولا يلزم أن يكون المأني به هو الناسخ ، بل يوتي بحكم أو بآية عند النسخ . والفرق بين المعنيين واضح . وسنشرح الخيرية عند بيان حكمة نسخ التلاوة أو الحكم ، وإنما ننبه هنا على أن مرجع الخيرية ثواب العبد أو نفعه ، لا أن إحدى الآيتين خير من الأخرى في ذلك ؟ (وللبحث بقية إن شاء الله) ؟

عباس طه

في دفعه : إن هذا تخصيص للعام لا نسخ ، إذ نسخ هو رفع الحكم كلية ، والتخصيص لإبقائه مع قصره على بعض أفرادها ، فهو من البيان المدلول عليه في قوله تعالى : « لتبين للناس ما نزل إليهم » ، ومن الفقهاء من يقول : إن التخصيص نسخ ، فإنه رفع الحكم عما كان يقناوله قبل التخصيص ، وهؤلاء يقولون إن النسخ هنا بآية نزلت ثم نسخت تلاوتها وبقي حكمها ، وهي (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله) ، فقد روى عن عمر رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال : خشيت أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عز وجل ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحسن ، ، وروى أبو داود عنه أنه رضي الله عنه خطب وقال : « إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه كتاباً فكان فيما أنزل عليه آية الرجم - وهي الآية السابقة - فقرأناها وعينناها ، ، ثم قال : (لولا أن يقال إن عمر زاد في الكتاب لكتبها على حاشية المصحف) ، ومعنى ذلك أنها بعد نسخ تلاوتها لم تعد من الكتاب الكريم ، وقد سمع الحاضرون للخطبة ولم ينكر عليه أحد ، فاعتبر إجماعاً سكوتياً ، وهو كاف في صحة روايتها وأنها كانت قرآناً ونسخت ، فيكون ذلك من نسخ القرآن

مَائِقَةُ الْعَزَلِ وَالْإِسْلَامِ

بُطُولَةُ صَلَاحِ الدِّينِ

لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسٍ مُحَمَّدٍ وَالْعَقَّادِ

في القرون الماضية ولا سيما القرن الثامن عشر وما يليه ، فأُنعم بها على الشعراء والمؤرخين والممثلين والمصورين من جميع الطبقات ، ولكن نسبة الإنعام عليهم تزداد في السنوات الأخيرة ، وبخاصة في السنوات التي أعقبت ظهور حزب العمال ، وكان منهم ثلاثة من حملة الأقلام المعروفين في الشرق هم : توينبي المؤرخ ، وسميرت موام القصاص ، وجب المستشرق ، وكلهم من طبقة غير الطبقة التي تسمى عندهم طبقة الأعيان ، أو النبلاء .

ولا محل للمقارنة بين موام وجب في الموضوعات التي يكتبان فيها ؛ لأن موضوع أحدهما القصة وموضوع الآخر الاستشراق ، ولكن المقارنة بين توينبي وجب بما يستدعيه النظر في كتابة كل منهما عن التاريخ الشرقي والإسلامي على الخصوص فإن توينبي يحسن عرض الحوادث ويقصر غاية التقصير في فهم الشخصيات ، ولا سيما شخصيات البطولة والعظمة ، ومن قصوره عن ذلك أنه ظن أن أباسفيان وقومه بنو أمية غلبوا النبي عليه

الاستاذ هاملتون جيب ، مستشرق معروف في البلاد العربية ، يكتب في الأدب والتاريخ وفي الشؤون الاجتماعية المتصلة بهما ويقسم بين زملائه المستشرقين بسمة الاتزان وتقدير التبعة ، واجتناب المساس بالشعور فيما يبحثه من المسائل التي تختلف فيها الآراء وتمتزج بالعقائد الدينية ، وقد عرف في بلاده وفي البلاد العربية باسمه الثاني أو لقبه المشهور « جب » قبل الإنعام عليه برتبة الفروسية أو الرتبة التي تؤهل صاحبها للقب من ألقاب النبلاء ، وهو لقب السيد أو « السير » باللغة الانجليزية . فأصبح يذكر - بعد القب - باسمه الأول مع اسم أبيه على حسب التقاليد المرعية عندهم في تسمية أصحاب الرتب والألقاب ، فهو يذكر الآن باسم هاملتون جيب ، ويكاد الذين يقرءون هذا الاسم في الشرق أن يشكل عليهم الأمر في حسبه كاتباً آخر غير الكاتب المعروف بينهم منذ سنين . وقد كان الإنعام بالألقاب على الأدباء والفنانين معهوداً في البلاد الانجليزية

والأبطال ، ولكنه يجعل هذا الإعجاب حكما بأسباب ولا يتركه حكما غيبيا ، بغير أسباب وبغير مبالاة بإحضار « البطل » في مقام الوزن والتقدير ، أو مقام التمييز بين بطل وبطل وبين نوع من العظمة وسائر أنواعها التي ينسب إليها العظماء ، على اختلاف الميادين والأعمال . بل ينبغي للتاريخ أن يقسم البطولة إلى أنواع وأقذار ، فليس كل بطل مخلوقا على مثال أقرانه من الأبطال ، وليس كل بطل قرنا لسلك عظيم موصوف بصفات البطولة ... بل ليس كل عظيم معدودا من الأبطال ؛ لأن العظمة قد تعوزها خاصة البطولة في الصميم ؛ وهي خاصة الإيمان بالمثل الأعلى والفداء ومغالبة النفس في هوى من أهوائها الغلبة المطاعة ، وأعمالها وأشيعها هوى الشهوات والذات وهوى « الأنانية » في حدودها المحصورة التي لا تتعدى صاحبها في مطالبه وأمانيه . وبما أعيد نشره للأستاذ هاملتون جب بعد الإنعام عليه كلام له عن البطل الإسلامي الكبير صلاح الدين الأيوبي بطل الحروب الصليبية الذي كثرت المقارنة بينه وبين أبطال هذه الحروب من قادة الأمم الغربية .

فلا شك عند المستشرق الحكيم في بطولة صلاح الدين ولا في عظمة هذه البطولة ، ولا في استحقاقه للشهرة التي ذاعت عنه وحوله بين أبناء الغرب والشرق على السواء ، ولكنها بطولة تقوم على تمحيص الأعمال والغايات

السلام في ميدان السياسة واستخلصوا الملك من بيت بني هاشم ومن آل النبي أجمعين ... ولم يفهم الموقف برمته منذ قام بالأمر الخليفان الصديق والفاروق ، ومنذ نهى النبي عليه السلام عن العصبية وعن وراثة الأنبياء ، ولا يستطيع أحد يفهم طبائع العظمة أن يضع محمداً عليه السلام في ميزان المقدرة العقلية والنفسية ويضع أمامه أيا سفيان أو أبناء ثم يحكم لهؤلاء بالرجحان في طبيعة من هذه الطبائع على أى اعتبار ، ولكن تقدير « الشخصيات » ، والحوادث معا يستوفى حقه في كتابة « جب » ، فلا يغفل عن الفوارق بين دلائل العظمة والبطولة في قادة التاريخ الإسلامي ولا يفوته أن يرجع بهذه الفوارق إلى أسبابها « الواقعية » ، التي تحتوي أحيانا طرقا من الأسباب « النفسانية » كما كشفت عنها دراسات علم النفس الحديث . والبطولة - كما لا يخفى - تهول عقول الناس فيجمعونها كلها في نوع واحد من الإعجاب والتعظيم ، ومقتضى الإعجاب والتعظيم عند أكثر الناس أن يكون البطل في الذروة من كل خلق لإنساني معظم محبوب ، فهو مثل في الشجاعة ومثل في الكرم ومثل في الدهاء ومثل في البلاغة ومثل في كل ما يمتاز به النخبة الممتازون ... أما الناقد التاريخي فينبغي أن يكون له ميزان أصح وأعدل من هذا الميزان ، فلا يلغى التاريخ إعجابنا بالبطولة

وتختلف أوقاتهم التي يستعدون فيها للشاركة في كل ميدان وكل هجمة أو مدافعة تأتي على استعداد أو على حين غرة - كل أولئك فن من فنون التعبئة العسكرية لا يقدر عليه كل قائد ولا يقدم عليه كل فارس ، ولو كان أعلم بالفروسية من صلاح الدين .

وقد جاء في ابن الأثير أن ضابطاً من الموصل رأى صلاح الدين وهو يمان على ركوب فرسه فقال ما معناه : انظر إلى العواقب يا من يعينه على ركوب فرسه أمير من آل سلجوق ومن سلاله الأتابك زنكي ١١ .

ولكن هذا الفارس الذي كان بين قواده من هو أخبر منه بفنون الفروسية لم يكن في زمانه كله من هو أقدر منه على جمع القوى وتأليف الشباب واختيار الزمن والموقع الذي يصلح للهجوم أو يصلح للدفاع .

ولقد كان صلاح الدين حصيفاً ذكياً عليماً بطبائع الناس ، ولكنه لا يوصف بالمسكر والدهاء ولا يحسب من دهاة الساسة المعدودين في تاريخ الإسلام ، وكان وفاؤه بالوعد مضرب المثل في معسكر الفرنجة ومعسكر الإسلام ، ولكنه لو لم يكن حسن الظن بالناس لما تورط في بعض وعوده التي اضطره الوفاء إلى المحافظة عليها ؛ لأنه كان يأبى الغدر وينتظر من غيره مثل هذا الإباء ، فيصدق ظنه في حين وتحجب ظنونه في أحيان ، ولكنه كان يملك القدرة على تدارك الخطأ

ولا تقوم على الشهرة العامة والصفات المجملية ، أو هي بطولة من نوع مقدور بأسبابه حتى بين البطولات العسكرية التي هي وحدها مجال منسج لأنواع من البطولات المختلفة ، كبطولة القيادة وبطولة التعبئة وبطولة الحركة السريعة وبطولة الهجوم أو بطولة الدفاع .

وصلاح الدين كان بطلاً منتصراً في أكثر مواقعهم وميادينه ، ولكن بطولته في القدرة على التعبئة أكبر وأبرز من بطولته في فن القيادة وتوجيه الجيوش في إبان المعركة ، فإنه في هذا المجال لم يكن مستجعماً لثقة العسكريين المحترفين من حوله ، ولم تكن مخالفتهم إياه بالامر السادر في بعض الظروف المحرجة وإن تبين فيما بعد أنهم مخطئون وأنه كان على ضواب .

والتعبئة الروحية كانت في مقدمة فنون التعبئة التي أقتنها بطل الحروب الصليبية ، فإن هذه التعبئة الروحية كانت ألزم له من سائر فنون التعبئة العسكرية في جمع القوى وابتعاث الغيرة وكبح عوامل الاثرة بين أتباعه ومنافسيه ، ولكن التعبئة العسكرية لم تكن في بابها أمراً يسيراً يستطيعه كل من تصدى له من المجاهدين الغيورين ، لأن تسيير جيش من أمم الشرق الأوسط بين العرب والاكراذ والترك والراعايا الموالين للعباسيين ومواطنيهم الموالين للفاطميين ، وتكوين هذا الجيش من أجناد تختلف بواعثهم إلى الاشتراك في الحرب الصليبية

بقوته العسكرية وثروته المالية وعلاقاته بأرباب القوة والثراء في الولايات الأخرى .
وآية البطولة في صلاح الدين أنه غلب نفسه كثيراً كما غلب أعداءه من الفرنجة والمسلمين ،
وأنه حكم نفسه كثيراً قبل أن يحكم رعاياه من المطيعين له أو المتمردين عليه .

وقد كانت هذه النظرة الواقعية إلى كنه العظمة التي اتصف بها هذا البطل العظيم وليدة الاطلاع الواسع على مصادر أعماله ومصادر تاريخ عصره ومصادر الأقوال التي نسبت إلى المتصلين به ممن عاملوه في ميادين سياسته وحروبه ، ومن بين هؤلاء من يخالفونه في الدين ومن هم على دينه وعلى مذهبه السني ولكنهم يتعصبون لأمراء الموصل المخنفين عليه ، أو على مذهب الشيعة ولكنهم يحضونه الشاء لأن غيرتهم الإسلامية غلبت على كراهيتهم للرجل الذي قضى على دولة الفاطميين .

ونرى من مراجعة الطرائق التاريخية التي يقبها المستشرقون أن طريقة دجيب ، في تمييز أنواع البطولة ، بين من كتب عنهم من قادة المسلمين هي المثل المختار لمن ينصف البطولة حيث كانت ويبني لإنصافه على الأسباب والأعمال ، وعلى وجوه التمييز بين دواعي الإعجاب والتعظيم ، ويعينه على ذلك اطلاع واسع وقدرة على العلم بما يأخذ به وما يدعه عما يطلع عليه ؟

عباس محمود العقاد

بعد وقوعه ، لفرط إيمانه بحقه وحق القضية التي تصدى لها ووقف جهوده عليها .
ومن عادة الناس أن ينظروا إلى أكبر أعمال البطل وأولها على القدرة والكفاية فيحسبوا أنها هي المقصد الذي تحموا من جميع أعماله وهي الغاية الأولى والأخيرة من جميع جهوده وتدابيراته . ولا خلاف على أن العمل الأكبر الذي تصدى له صلاح الدين وأفلح في إنجازه هو صد الجيوش الصليبية والتغلب على أمراء الصليبيين وقادتهم في ميادين الحرب والسياسة ، ولكنه من الخطأ أن يقال إنه هو العمل الذي توخاه وانصرف إليه بتدبيره وسعيه من بداءة حياته ، فإنما كان شاغله الأكبر قبل كل شاغل عناء أن يدعم الدولة الإسلامية المتصدعة ويطمع جذور الفساد والشقاق من دواوينها ومعاهد إدارتها ، وقد كان صلاح الدين (الإداري) المدبر هو صلاح الدين الحق في رأى نفسه ورأى المتعقبين لمساعدته ودواعي أعماله ، ويزداد حقه في الإكبار والإعجاب كلما لوحظ من مساعدته المتتابعة أن أغراض الطموح ومطامع النفس لم تسيطر عليه ولم تصرفه عن غايته الشاملة من تدعيم الدولة العباسية وتغليب أسباب الألفة بين أجزائها على أسباب التفرقة والانقسام ، وهو على علو همته واعتداده بكفائته لم يطمع في كل ما كان يستطيعه من السلطان ولا في كل ما كان ميسوراً له

الكتاب

نقد وتعريف بقلم : الأستاذ محمد عبد الله السمره

١ - ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين :

في الكتب تؤيد سمعة صدر علماء السلف ونفورهم من التعصب للرأى .
القضية التي تناولها فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى تعتبر من الخطورة بمكان ، فهي تمس كيان الفقه الإسلامى فى اتجاهاته ، ومكانة الفقهاء المقلدين وضيق الأفق من المجتهدين فقد بلغت فوضى الخلاف فى المسائل الفقهية وفى كتب المتأخرين بوجه خاص حدا لا يطاق ويكفى مثالا لهذا ، اختلاف العلماء فى صيغ ما لا يحتمل الخلاف ، فصيغة الأذان أو الإقامة مما تكرر ألوف المرات فى عصر النبوة والخلفاء الراشدين ، وأمام جماهير المسلمين ، ويرى فضيلة المؤلف أن مثل هذا يمثل خطرا على سلامة نقل التشريع عن الرسول - صلوات الله عليه .

إن الخلاف فى المسائل الفرعية أمر لا هيب فيه ، إذا كانت وجهات النظر غير متناقضة وإذا تجرد الخلاف نفسه عن رزايا التعصب والهوى ، وما دام الخلاف نفسه يستجلى مرونة التشريع وسماحته ، أما إذا أدى

للأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى
نشرت هذا الكتاب الجديد دار القلم بالقاهرة لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى شيخ كليتى أصول الدين واللغة العربية بالأزهر الشريف سابقا .

الكتاب يقع فى حوالى مائة وستين صفحة من القطع المتوسط ، تناول فضيلة المؤلف فيه الخلاف بين المعقول وغير المعقول ، وما يسوغ فيه الخلاف بشرط عدم التعصب وما لا يسوغ فيه الخلاف ، وأخطر أنواع الخلاف ، وبعض الخلافات التى تستلقت النظر ثم بيان بعض أسباب هذه الخلافات وآثارها السيئة مشيرا إلى كلام الإمام محمد عبده فى المنار ، والإمام الغزالى فى الإحياء والحافظ بن حجر فى شرحه للأحاديث ، وشيخ الإسلام بن تيمية فى مجموعة رسائله وفتاويه ثم عرض فضيلته نبذا جاءت متفرقة

وتقويم الخلق والتربية الدينية وعزة النفس ،
والارتقاء الروحي ، ثم قوة العلم وتعرض
الدعوة إلى العلم ووسائله وشتى ألوانه الدينية ،
ثم قوة الاقتصاد ، وتناقش قيمة المال والملكية
كوظيفة اجتماعية وعلاقة المالك بالمال ،
والاهتمام بالطبقات الفقيرة ، ثم قوة التماسك
الاجتماعي ، وتناقش الحرية بأنواعها ، والعدالة
والعمل والروابط الأدبية والحكم ، والفصل
الآخر قوة الجهاد ، ويناقش قضية السلام ،
والعهود والمواثيق والقتال .

هذه دراسة مستفيضة على جانب من الأهمية ،
استعرض فيها فضيلة المؤلف العناصر التي
تألف منها القوة الحقيقية التي تصل بالامة
إلى غاياتها ، وهي عناصر تناولت الحياة
جميعا ، وهي - كما يرى - ليست مثل القوة
التي اصطالح الناس عليها ، فهي قوة في العقيدة ،
وقوة في الخلق ، وقوة في العلم ، وقوة في المال
وقوة في التماسك الاجتماعي ، وقوة في التنظيم
السلي وقوة في الاستعداد الحربي ، وقد كانت
هذه القوى العامل الأساسي في نجاح الامة
الإسلامية في أول أدوار حياتها التاريخية
وما زالت كذلك حتى غيرت ما بنفسها ،
وأخلفت ما عاهدت الله عليه فغير الله ما بها ،
وكان العامل في هذا التغيير - في نظر المصلحين
هو التنازع على الحكم والسلطان ، والتعصب
للجنس والنسب ، والاختلاف في أصول الدين

الخلاف إلى تناقض الآراء . فأصبح بعضها
يحمل ما يحرمه البعض الآخر ، فهنا يتمثل
الخطر الأكبر .

وفضيلة المؤلف في هذه الدراسة المركزة
يصور أسباب الخلاف وآثاره التي أوهنت
روابط الامة الإسلامية ظاهرا وباطنا ، وأبرز
أن الفقه الإسلامي لإزاء هذه الفوضى يمر
بمحنة وأية محنة هذه المحنة التي صاغها الجود
والتمت وضيق الأفق ، وقد استطاع أن
يشخص الداء وله من الأسانيد ما يؤيده
ولكننا كنا ننتظر أن يعنى فضيلته بإيجاد
حل سريع وعلاج حاسم لهذه المشكلة ،
وأن يضع الخطط التي تنقذ سمعة الفقه
الإسلامي من المهازل التي تسربت إليه عن
طريق المتأخرين من الفقهاء .

* * *

٢ - عناصر القوة في الإسلام :

للأستاذ الشيخ سيد سابق

هذا الكتاب نشرته مكتبة وهبة بعابدين
للأستاذ الشيخ سيد سابق مدير الثقافة بوزارة
الأوقاف ، ويقع في حوالى مائتين وأربعين
صفحة من القطع الكبير .

أما الفصول التي تناولها الكتاب فهي قوة
العقيدة وتعتمد على الإيمان بالله والحق ،
ثم قوة الخلق وتناقش الضعف الإنساني

٣ - مع الضمير الإنساني :

للأستاذ خالد محمد خالد

« مع الضمير الإنساني في مسيره ومصيره ،
كتاب جديد للأستاذ الأديب خالد محمد خالد ،
قامت بنشره مكتبة الإنجلو بعماد الدين بالقاهرة .
يذكر المؤلف في مقدمة كتابه : أن كتابه
يمثل رؤية تاريخية لموكب الضمير الإنساني
في رحلته الجلييلة منذ بدأ مسيره حتى يومنا
هذا ، رؤية تسمى إلى استجلاء الخصائص
التي يقود الضمير بها قافلة الإنسان صوب
كالمها المقدور ، كما تحاول استشراف
المستقبل الواعد لبني الإنسان من خلال
التجربة الحية للضمير .

وهو يعني هنا بالضمير الإنساني ، تلك
البصيرة التي أفادها الله على الجنس البشري
في مجموع أفرادهِ وعقوباتهِ ورؤاه ، يعني
إرادة التفوق التي تقود بالحاحاتها النبيلة
وحدها القويم جميع العائلة البشرية لتعانق
مصير الخير العظيم .

إن هذه الدراسة تعتمد على أربعة أسس :
الضمير في عصر الرؤيا حيث نراه يستشرَف
في حذق كل رحم مكمونة بين البشرية
والكون والعالم ، وفي عصر النبوة حيث
نرى الضمير في صحبة الأنبياء يزكي الكثير
من رؤاه السالفة ، ويمنحه من نورا لله
ما يشد رشده ويثبت خطاه ، وفي عصر

وفرعه وإرجاف المرجفين ودسائس
المستعمرين ، والابتعاد عن روح الإسلام
والتعلق بالشكل دون الجوهر .

إن فضيلة الشيخ سيد سابق قدم دراسة طيبة
في كتابه ، ولكن من حق القارىء أن يتساءل :
لم أراد فضيلته دراسة عن القوة التي لم يتعارف
الناس عليها ، وهي القوة التي تتمثل فيها
مشكلة اليوم ، فالقوة الروحية والأخلاقية
من شأنها أن توجه القوة المادية ، والإسلام
حقى بالقوتين معا ، وتولى تنظيمهما .

وفضيلة المؤلف - في قوة العلم - لم يعن
إلا بالعلوم الدينية وحدها : من تشريع
وتوحيد وتفسير وحديث وفقه وسيرة
وتصوف ، بينما الإسلام يعتز بالعلوم الدينية
والدنيوية على السواء ، وعلماء السلف من
المسلمين قدموا للانسانية من المعارف ما زالت
تعتز به في ميادين الفلك والطب والهندسة
 والرياضة ، وما إلى ذلك مما حمل أوربا على
الاعتراف بفضلهم .

كنت أود بعد ذلك أن تكون الأحاديث
النبوية التي ساقها فضيلة الشيخ سيد سابق
مخرجة ، وإن كان لم يورد إلا الصحيح . حتى
تكون لهذه الدراسة القيمة التقدير الجدير
بها لدى المهتمين الإسلاميين .

٤ - العقيدة وخطر الانحراف :

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
ظهر هذا البحث في العدد الأخير من سلسلة
الثقافة الإسلامية بالقاهرة ، وهو بحث على
جانب من التركيز مع خطورة الموضوع ،
تناول الدكتور فيه أولاً : العقيدة وأثرها
في بناء الأمم ، ويعنى بالعقيدة المعتقد النفسى
الذى تطمئن إليه النفس ، ويمتلئ به القلب ،
سواء كان عقيدة دينية مصدرها الوحي ،
أم عقيدة سياسية أو اجتماعية ، وإذا كانت
المعتقدات التى تهيم على النفوس ضروبا متعددة ،
فإن أعلاها - بلا ريب - العقيدة الدينية
في الله الواحد الأحد .

يرى الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ
للشريعة بكلية حقوق القاهرة أن للانحراف
عن العقيدة درجات أدناها أن يعتمد المؤمن
على حوله وقوته في بعض ما يريد القيام به
من أمر متناسيا أنه ليس شيئا بدون حول
الله وقوته ، وأما أعلا درجات الانحراف
عن العقيدة فهو أن يسوء ظن المؤمن بالله ،
ومن ثم يصل به الحال إلى النفاق .

وبعد أن عرض سيادة الدكتور العقيدة
الصحيحة ومقاييسها ، والجانب الخطير
في الانحراف عنها : الإيجاف منه والسلبي ،
عرض لمظاهر هذا الانحراف عن الإسلام
وعقائده ، في بعض التشريعات والقوانين

العقل حيث نجد العلم بكل قوانينه ،
والإنسانيات بكل جيشانها وبهاثها ، يحملان
المشعل ليقيا به كلمة الضمير ، ثم في عصر
غاندى والذرة - وهو يرمز إلى عصرنا
الحاضر - حيث يتمثل فيه نهاية مسير الضمير
وبداية مصيره ، فيستقيبان للبشرية طريقها
الأروحد ، ويستكمل وحدته ورشده .

للقارىء أن يسأل : ماذا يقصد الأستاذ
خالد ، أريد أن يجعل الضمير الإنسانى يمر
بمراحل أربع ، وأن عصر النبوة هو المرحلة
الثانية ، التى تلاها مرحلتان في عصر العقل
وعصر الذرة ، وبلغ رشده - فقط - في
العصر الأخير ؟

لإذن فعصر النبوة الذى انتهى بمحمد لم يبلغ
فيه الضمير الإنسانى نهاية نموه ، وبذلك لم
تلب النبوات حاجة البشرية كاملة ، أرجو
ألا يكون هدف هذا البحث كذلك ،
فإن الضمير الإنسانى استكمل نموه برسالة
الإسلام خاتمة الرسالات ، ثم عاد أدراجه إلى
الانحطاط بعد ذلك ، وفي عصرنا الحاضر -
عصر غاندى والذرة ، استوى الضمير
الإنسانى اليوم على الحضيض ، وما الشقاء
الذى تعانيه الإنسانية والبشرية فى عالمنا من
جرائم الحروب المدمرة إلا دليلا على أن الضمير
الإنسانى فى معزل عن الحياة بشقى جوانبها .

ليتنفرع إلى ما لاصلة له بالموضوع أحيانا ويخرج به الإسهاب أحيانا أخرى إلى قليل من التكرار، ومع ذلك فهو عالم جليل جرىء لم يقصر به عليه عن الدخول في معارك حامية الوطيس مع الزنادقة من الفلاسفة والمخترفين من الصوفية .

٦ - مياة رسول الله :

للأستاذ محمود شلبي

أصدرت هذا الكتاب مكتبة القاهرة بالأزهر في أكثر من مائتين وتسعين صفحة من القطع الكبير، والمؤلف يذكر في مقدمة كتابه هذا أنه يعتمد اعتمادا كلياً على سيرة ابن هشام، ويجعلها مرجعه الأول، متعمداً المحافظة على ألفاظها وإيرادها بنصها، لأن بلاغتها منقطعة النظير، أما مجهود المؤلف فإنه سيحضر في حذف الإشعار من سيرة ابن هشام، وإبعاد ما لا جدوى منه، وما يختلف فيه، وما لا يتفق مع روح العصر . إن الأستاذ محمود شلبي يستعرض أولاً فترة ما قبل البعثة، ثم فترة البعثة، ثم الهجرة، ثم فترة ما بعد الهجرة وهي ممثلة في غزوات الرسول، ثم فتح مكة وحجة الوداع، ثم خاتمة حياة الرسول حيث لحق بالرفيق لأعلى . وللكتاب ميزة من الجور أن ننكرها، فقد قدم لنا حياة رسول الله في كتاب موجز سهل القراءة والاستيعاب معا .

محمد عبد الله السامه

التي يحكم بها المسلمون اليوم، فالإسلام كل لا يتجزأ، ونظام متكامل، فلا يصح أن يؤمن المسلمون ببعض ويكفرون ببعض .

٥ - الامتناع بالفرد :

لشيخ الإسلام ابن تيمية

الناشر مكتبة أنصار السنة المحمدية بعابدين، وابن تيمية في بحثه هذا، يعرض ويناقش الحديث الذي في الصحيحين عن أبي هريرة : احتج آدم وموسى فقال موسى : يا آدم أنت أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأبجد لك ملائكته، فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي كلمك الله تسليماً، وكتب لك التوراة، فبكم تجد فيها مكتوباً وعصى آدم ربه فغوى، قبل أن أخلق ؟ قال : بأربعين سنة، قال : فحج آدم موسى .

ويعرض ابن تيمية الآراء المختلفة تجاه الحديث، ومنها ما أنكره، ومنها ما أوله تأويلاً فاسداً ومنها ما جعله حمدة في سقوط الملام عن المخالفين لأوامر الله ورسوله .

ويجول ابن تيمية جولة واسعة مع القدرية والمرجئة والمعتزلة بشتى فرقها، ويناقش حقيقة المحبة والفناء في الله، ويصب جام غضبه - كعادته - على الفلاسفة والصوفية ..

إن الملاحظ على شيخ الإسلام ابن تيمية الإسهاب في الموضوع الذي يناقشه، حتى

أَنْبَاءٌ وَأَرْاءٌ

على مبارك لم يكن خائفاً :

يقول الأستاذ محمد عبد الله السمان في مقدمته كتابنا « على مبارك ، حياته ودعوته وآثاره » الذي نشر في العدد الماضي من « مجلة الأزهر » - رمضان - يقول الأستاذ السمان إن دفاعنا عن على مبارك وموقفه من الثورة العراقية « لم يعجبه ، ... ولا أريد أن أناقش هذا القياس الذاتي في النقد : مقياس الإعجاب الذاتي والرضى أو عدم الرضى في تقييم العمل الأدبي والتاريخي . بل أريد أن أعود لتبرئة عظيم من أكبر عظماء وطننا العربي في القرن التاسع عشر من تهمة الخيانة والتشكر لوطنه . فلم يكن على مبارك ضالعا مع « الثورة » العراقية منذ مقدماتها الأولى الأولى حتى يقال إنه خانها ، بل كان نصيراً ومؤازراً وأميناً لها عند ما كانت « حركة » . فلما بدأت تأخذ طريق العنف والثورة ظل على ولائه « لمبادئها » في الإصلاح ، مع نصحه لها ؛ لأنه كان يعرف قدرتها ويعرف أوضاع العالم يوم ذاك ويزن هذه وتلك بميزان العقل لا بميزان العاطفة . كان هذا رأيه ، ورأى الشيخ محمد عبده أيضاً ، وبقى

على ولائه لهذا الرأي لم يتحول عنه قبل الثورة ولا بعدها ولا في أثنائها وكان في بعض هذه المواقف أكثر شجاعة من بعض الذين اشتركوا في « ثورتها » ، وكان في كل المواقف يكسب ثقة عراقي والعراقيين حتى إنهم اختاروه سفيراً لهم عند توفيق لإبان استحكام الألفة بينه وبينهم وسافر فعلاً مندوباً عنهم حيث اجتمع بتوفيق في الإسكندرية ، كما دعوه لمؤتمرهم المشهور في وزارة الداخلية بالقاهرة .

ولا أريد أن أعود لما فصلناه في كتابنا : « على مبارك والثورة العراقية » . فقد بينا فيه - محايدين منصفين - موقفه منها وشهادة المعاصرين له ، ومنهم عراقي - ونفضنا غباراً ثقيلاً مظلماً أحاط به عبد الله النديم - لأسباب أعتقد أنها نفسية عاطفية - بل أريد أن أسجل هنا شهادة لم نستطع تسجيلها في الكتاب ؛ لأننا لم نكن وصلنا إليها ، وهي شهادة من عدو لمصر ورجالها ، شهادة انجليزى استعماري ليس مطلوباً منه ، مثلنا ، أن يدافع عن رجالنا ويظهر شرفهم ويعلمن براءتهم من تهمة الخيانة الوطنية . بل

أو الاتهام الذى ألقاه الأستاذ السان اليوم على مبارك وهو يناقش كتابنا وألقاه من قبل أستاذ فى جامعة الاسكندرية على الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وغيرهما ، لا أريد أن أقول إن هذا الاتهام بالخيانة والزيف الوطنى ونحوها مما يلقى على عظام تاريخنا تزييدا واعتقادا من قائلها بأن فى ذلك مسaire وإرضاء ؛ لأنى أعتقد أنه من الأمور الواضحة أن الثورة الواقعة من نفسها المؤمنة بفسوخ القيم الوطنية لدى شعبها ، هذه الثورة لا يرضيها ولا يعجبها ، ولا يسرها إلقاء تهمة الزيف الوطنى والخيانة على من يستطيع المؤرخ المنصف أن يبرئهم منها بحقائق ثابتة مقنعة ، ذلك خير لضميرنا العلمى وكرامة رجالنا وطهارة تاريخنا من إتهام الأبرياء أو إلقاء التهم معلقة على رؤوسهم ونحن نستطيع أن نبرئهم منها بالحق ، بل ذلك ليس خيرا لنا فقط ، بل هو واجبنا .

وهذه النقطة بالذات أثارها من كتابنا من قبل قارى من جامعة القاهرة فى جريدة الاخبار وناقشه فيها الأستاذ الكبير عباس العقاد ، فكان مما قاله فيها ما يلى :

أما موقف على مبارك من الثورة العربية فخلاصة القول فيه أن الرجل كان ثائرا يدعو إلى الإصلاح وتنظيم الحكم النيابى ولكنه لم يكن دعائيا ، فى خطته وفى طريقة تنفيذه

لعل هو أن يجعلهم على عكس ذلك . هذه الشهادة كتبها د سير ولیم ولكوكس ، المهندس الكبير الذى تحدث عن على مبارك فى كتابه : « أربعون سنة فى خدمة مصر » فقال إن هذا المصرى العظيم كان ، لمقته الاحتلال ولفته ، يمنع تلقيب المهندسين الانجليز ، والسير ولكوكس واحد منهم ، باللقب العسكرى الانجليزى الذى كان يطلق عليهم ، ولم يعترض عليه مسئول مصرى غير على مبارك ، وزير الأشغال يومئذ ، كما أنه ، كما ذكر السير ولكوكس ، كان يحد من سلطة المهندسين الانجليز ويعترض على المسالية ولا يجيزها إلا إذا كانت بأمر منه . وليس هذا وذاك بالأمر اليسير والاحتلال البريطانى يوم ذاك فى سطوته وهنفوانه ، وليست هذه صفة الخائن المتواطئ المشكوك فى ولائه لوطنه .

وشهادة أخرى هى شهادة الواقع الذى لا ينكر ولا تجد دلالته : فقد أغضب على مبارك الحديويين ، أكثر من مرة ، وبقى متعطلا عن العمل سنوات طويلة بسبب ذلك ، وتولى لكفايته وإخلاصه ، أعظم الأعمال وأم الوزارات فى مصر ثم مات فقيرا .

لا أريد أن أقول إن مثل هذا الكلام

هذا الخبر: هو إن مؤتمر ديوان الكنائس في أنحاء أندونيسيا المنعقد في مدينه سورابايا بهماوة الشرقية اتخذ قرارا في جلسته السرية في حين برنامج هشرة سنوات المكون من هشرة فصول أهمها جعل جزيرة جاوة بأكلها نصرانية في مدة ٢٠ عاما ، وتحويل كل أنحاء أندونيسيا إلى نصرانية في بحر ٥٠ عاما على أن يكون هناك وزير ديني خاص للنصارى .

هذا القرار السرى الفاضح يدل دلالة صريحة على أن النصرانية رغم الخلاف التاريخي الناشب بين البروتستانت والكاثوليك قد اتحدت وتكتلت لمناهضة الإسلام في عقر داره ، ونوت تحطيم القوى الإسلامية متأكدة من أن الحكومة القائمة لن تعارض أية فكرة دينية معادية طالما الجمهورية الأندونيسية تحمى نشاط التبشير وتعطى المساعدات الكفيلة بانتعاش حركة التنصير كما أنها تيسر دخول الأجانب من دعاة النصرانية دون قيد ولا شرط متمشية في ذلك مع مبادئ بانجا-ميلا التي أهم مبدأ فيها الإيمان بالله أى الإيمان بوجود إله حى ، يدخل في ذلك الهندوكية الموجودة حالياً في جزيرة بالي .

إذا لجأنا إلى واقع الأمر نجد أن المسلمين لم يجدوا هوناً إلا من وزارة الشؤون الدينية لمدارسهم المتعددة المنازع بينا النصارى

لرأيه . وقد فصل من وظيفته وحق به الغضب غير مرة لا تتقاده نظام الحكم الحديوى في كتبه وفي أحاديثه ... ولم يكن على مبارك ، على التحقيق من أتباع القصر المحايين لسياسته ولا من أتباع عرابى المنقادين له في جميع خططه ، ولكنه - على ما يظهر - لم يكن مؤيداً لمسلك عرابى في المرحلة الأخيرة بعد حوادث الإسكندرية (١) .

محمود الشرقاوى

التبشير في أندونيسيا

صيحة مسلم فيبور

إن حياة الإسلام في أندونيسيا تحتاج إلى حماية ، وهناك خبر هام يهم المسلمين في أنحاء المعمورة قاطبة لأنه خبر يقرر مصير الإسلام في تلك البلاد الإسلامية التي كانت في مقدمة الاقطار الإسلامية تعصبا للإسلام وكانت الحركة الاستقلالية قائمة على أكتاف العلماء ورجال الدين وأبناء الإسلام ، ولم يكن المسلمون موالين للاستعمار ولكن الأسف يملأ قلوبنا حينما نجد أنفسنا في أيام الاستقلال أقل شأنا ، وأضعف حالا عن ذي قبل ، قد شئت شملنا السياسة النفعية ، والأغراض الشخصية ، والاختلافات المذهبية ، وتنازع البقاء في تقرير العز لمن يتولى أزمة الأمور ومناصب الحكم .

(١) يوميات الأستاذ العقاد - جريدة

الأخبار في ٨ أغسطس ١٩٦٢ .

ولا ريب أنها تمتشى قدما بمساعدات الدول الخارجية بالمال والرجال .

والزائر لاندونيسيا يرى أن الكنائس قد انتشرت أكثر مما كانت في أيام الاستعمار وقد أنشئت الكنائس في المناطق التي كانت محرمة ولا سيما في المناطق التي كان فيها سلاطين مسلمون ، هؤلاء الذين كانوا يحمون الإسلام بقواهم الفكرية والمادية وبسلطتهم القانونية والتنفيذية .

والأسف الشديد نجد المدارس النصرانية عامرة بآبناء الإسلام والاعتقاد السائد أن تلك المدارس أكثر اهتماما بالتربية وبالنظافة والنظام .

هذه الأمور نجدها الآن في أندونيسيا الإسلامية وقد لعبت النصرانية فيها دورا هاما وأخذت طريقها في النمو المطرد بما نخاف أن تتحقق معه الأمنية التي تسعى النصرانية إلى تحقيقها بكل ما لديها من قوة .

هذا وأرجو منكم نشر مضمون هذه الكلمة دون ذكر كاتبها ولكم مني مزيد الشكر .
د مسلم أندونيسي ،

استولوا على جميع مخلفات الاستعمار من مدارس نصرانية استعمارية ومن كنائس استعمارية ومن ملاجيء وغيرها وهي أحسن الأمكنة وأجملها ثم يأخذون مساعدات من وزارة الشؤون الدينية تتساوى في مبلغها مع ما يتقاضاه المسلمون رغم كثرة عددهم بجانب ما يأخذون من مساعدات خارجية من دول أجنبية .

والجدير بالذكر أن النصارى يوحّدون صفوفهم في تنمية الفكر وفي تقوية الناحية المادية حتى جمعوا أموالا واشتروا أراضى واسعة في مناطق عدة لإعدادها في بناء مدارس وكنائس وملاجيء ومؤسسات وقد استطاعوا جمع أموال طائلة بطرق لولبية عدة مثل طبع كتب صحية واجتماعية داخلها التبشير ثم يبيعها في البيوت والمدارس وغيرها دون أن يشعر المرء بدعاية نصرانية فيثأثر بها الأبناء الصغار .

والمدارس النصرانية أكثر المدارس إمكانية من ناحية العلم والمادة ، ومن ناحية الاستعداد الروحي والمادى ومن ناحية الجمال والمال ومن ناحية التفكير والتدبير ،

تصويب في هذا العدد

في صفحة ٩٧١ العمود الثاني السطر ٢٠ جاءت الآية الكريمة محرّفة وصحّتها : « فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » إلخ الآية الكريمة .

مِنْ ضَائِرِ الْجَنَازِ الْفَتَوَى

ابراهيم محمد الاصحيل

بشرف عليه :

عليه أداؤهما ودام ذلك أكثر من خمس صلوات سقطت عنه الصلاة لعجزه ، ولو كان عقله سليما على ظاهر الرواية وعلى الفتوى . ولذا لا يلزمه الإيصاء بالفدية لسقوط الصلاة عنه والله أحق بقبول العذر منه .

وأما إذا كان قادرا على الصلاة ولو بالإيماء ، ولكنه لم يفعل حتى مات فإنه يجب عليه الإيصاء بالفدية ، فيخرج عنه وليه وهو من له ولاية التصرف في ماله بورائة أو وصاية ، من ثلث تركته عن كل صلاة حتى الوتر نصف صاع من بر أو دقيق ، أو صاعا من شعير أو تمر أو قينة ذلك . وهي أنفع وأفضل (والصابغ قدحان وثلث بالكيل المصرى) فإن لم يوص جاز أن يتبرع عنه وليه بها .

وإذا صلى عنه لا يسقط الفرض ؛ لأن الصلاة عبادة بدنية محضة لا تقبل النيابة . نعم يجوز أن يصل ويجعل ثواب صلاته لليت فيريد في حسنات الميت ، ولكن ذلك شيء آخر غير سقوط الفريضة عن الميت .

الأذانه قبل دخول الوقت :

السؤال :

هل يصح الأذان قبل دخول وقت الصلاة بخمس دقائق ؟

مرسى محمد على

الجواب :

الأذان قبل دخول وقت الصلاة لا يصح طال الزمن أم قصر ؛ لأن الأذان شرع للإعلام بدخول الوقت الشرعى فلا يكون قبله .

سقوط الصورة :

السؤال :

ما هو إسقاط الصلاة المعروف وهل هو شرعى أم لا ؟ ومتى يجب وكيفيته ؟

الدكتور أحمد أحمد موسى

الجواب :

يجب على المسلم أن يؤدي الصلاة ولو من قعود إذا كان مريضا أو بالإيماء برأسه ، ولا يجوز له إخراج الفدية عن صلاته وهو حي فإن تعذر

هل يترك الصلاة كسلا :

السؤال :

رجل تارك للصلاة كسلا وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤدى الزكاة وسبق له الحج ويتصدق كثيرا فما حكم هذه الأعمال ؟
عبد العظيم إبراهيم محمد

الجواب :

ترك الصلاة كسلا مع الإيمان بفرضيتها يستوجب عقاب تارك الصلاة . وما يفعل بعد ذلك من أنواع الطاعات الأخرى مثل الحج وأداء الزكاة والتصدق في سبيل الله كل هذا يثاب عليه .

هل يصلى المرأة ولو غصبت أمه ؟

السؤال :

شاب في السابعة عشر من عمره نشأ بين أب مسلم وأم مسيحية يعترف بالإسلام ويؤدى فرائضه ما عدا الصلاة لأن أمه تنفض وتقول له : إنك مسيحي تبعاً لى ويريد أن يعرف حكم الإسلام في الجهر بالصلاة لو غصبت أمه ؟

على عبد الملك

الجواب :

هذا الشاب مسلم تبعاً لأبيه المسلم ولا يضره إن كانت أمه مسيحية فإن الولد يتبع خير

الأبوين دينا ، وعليه أن يتمسك بدينه ويؤدى جميع فرائضه ويتبعه عن جميع ما نهى الله عنه ، وعليه أن يؤدى الصلاة لأنها عماد الدين وإذا أمكن أن يؤديها بعيداً عن أمه في مسجد أو غيره حتى لا تشور ولا تقاذى كان ذلك أولى ، حرصاً على حسن صحبتها المأمور بها في قوله تعالى : « وصاحبهما في الدنيا معروفاً » وإذا لم يمكنه أداء الصلاة إلا حيث تراه أو تعلم به فعليه أداء الصلاة ولو تأذت بذلك عملاً بقوله تعالى : « وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما » ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، ولا يضره دعاؤها عليه « وما دعا الكافرين إلا في ضلال » ، أما اللجنة تحت أقدام الأمهات ، فلك فيما يرضى الله تعالى دون ما يفضبه ويخالف أوامره .

زكاة المال الذي دفع كمبرونه :

السؤال :

اتفقت مع جماعة أن أشتري منهم أرضاً بمبلغ ٥٥٠ جنيه ودفعت عربوناً من القيمة قدره ٣٠٠ جنيه في سنة ١٩٥٦ ومنذ ذلك التاريخ لم يفصل في دعوى كانت على الأرض المذكورة بين الشركاء مما حال دون تسليمها إلى وقبض باقي الثمن حتى أول سنة ١٩٦٢ حيث استعدوا التسليمها إلى وقبض باقي الثمن

ما يبلغ نصاباً ومضى عليه الحول بعد قبضه ،
وكذا إذا قبض دون النصاب وكان عنده ما يكمل
النصاب ومضى عليه الحول .

زكاة أدوات الإنتاج :

السؤال :

أمتلك مصنع نسيج أرضه ومبانيه
وماكيناته الموجودة به كما أمتلك محلاً تجارياً
فما هي الزكاة المفروضة على كل نوع من هذه
الأنواع ، وهل الديون التي على هذه الأشياء
تدخل في قيمة رأس المال أو تقدر الزكاة
بعد استبعاد قيمة الديون من رأس المال ؟
محمد حافظ بشير

الجواب :

المصنع أرضه ومبانيه وماكينات النسيج
الموجودة به لا تدخل في تقويم عروض
التجارة لأنها معدة للفتنة لا للتبادل بالبيع
والشراء ، وعلى ذلك فلا زكاة فيها ، وإنما الذي
يقوم هو العروض بالمحل التجاري وكذا
الغزل الذي ينسج فإن بلغ بمجموع ذلك نصاباً
وجبت فيه الزكاة بمقدار ربع العشر من القيمة
وأما الديون المشغولة بها ذمتك فالحال منها
في تمام الزكاة لا يدخل في قيمة العروض
بل تقدر القيمة وتستبعد منها هذه الديون
فإن بقي بعد ذلك نصاب وجبت فيه الزكاة
بمقدار ربع عشر الجميع كما تقدم .

إلا أن ظروفى لم تسمح لى بدفع هذا الباقي
وطلبت منهم فسخ البيع قوافتوا ولاكنهم
لم يعيدوا إلى العربون .

فهل المبالغ الذى دفعته عربونا وهو الـ ٣٠٠
جنيه تجب عليه الزكاة منذ تاريخ دفعه ،
أم من تاريخ عدولى عن استلام الأرض ؟
أم أنه لا زكاة عليه أصلاً ؟

رشدى جميل

الجواب :

العربون الذى دفع لشراء قطعة الأرض
ثم عدل عن الشراء بالإقالة من هذا البيع
لا زكاة فيه عليك عن المدة التى سبقت الإقالة ،
لأنه لم يمكن مملوكاً لك حينئذ . أما عن المدة
التي بعد الإقالة يعتبر ديناً في ذمة البائعين ،
وعليه فتجب زكاته إذا قبض ومضى عليه الحول
بعد القبض .

زكاة الميراث :

السؤال :

أنفقت مبلغاً من المال في تعمير الوقف
على سبيل القرض لجهة الوقف فهل تجب فيه
الزكاة ومتى تجب ؟

رشدى جميل

الجواب :

دين القرض يجب زكاته إذا قبض منه

سنوات ماضية وهى قيمة الفرق بين مربوط
الدرجتين فهل تلزمى الزكاة على هذا المبلغ ؟
محمود ابراهيم حسين

الجواب :

لا تجب الزكاة فى هذا المبلغ المحكوم به
للسائل أخذاً بمذهب الإمام محمد بن الحسن
من أصحاب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنهما ،
وهو مذهب لبعض الأئمة الفقهاء .

ضمانه التلىء المتلف خطأ :

السؤال :

أمتلك جاموسة تساوى من التلىء ١٠٠ جنيه
وبيناهاى تحتاز الطريق العام - وهو متسع
بمقدار ٣٠ مترا ومرصوف - صدمتها سيارة
تسببت فى ذبحها لأنها كسرت وأصبحت غير
صالحة ويبيع لها بمبلغ ٢٢ جنيها وبمحكم الناس
والعرف بيننا حضر صاحب السيارة بنفسه
ودفع لى مبلغ ٥٠ جنيها لشراء غيرها بدلها .
فهل مبلغ الخمسون جنيها المدفوعة منه حلال
أم حرام ؟

محمد أحمد مجلان

الجواب :

القاعدة الشرعية أن من أ تلف شيئا يمتلكه
غيره فعليه ضمانه والمبالغ الذى دفعه المتسبب لك
لا يخرج عن كونه ضمنا لما أ تلفه تم صلحا
بينكما فيحل لك شرعا أخذه .

نقل الزكاة :

السؤال :

هل يصح للمزكى أن ينقل الزكاة أو أكثرها
من محل إقامته إلى بلد بعيد له فيه أقارب .
عبد الباسط ابراهيم السيد

الجواب :

نقل الزكاة أو أكثرها إلى أقارب المزكى
فى بلد بعيد عن موضع الزكاة جائز شرعا
إذا لم تكن حاجة فقراء بلد الزكاة أشد من حاجة
من يراد النقل إليهم .

زكاة ريع الممتلك هل تقضى عنها العوائد ؟

السؤال :

هل المبالغ المدفوعة للحكومة بصفة عوائد
أعلاك تجزى عن زكاة ريع الأعلاك ؟
عبد الرحمن المصطفى عبد الرحمن
كسلا - السودان

الجواب :

عوائد العقارات السكنية لا بغنى دفعها
عن زكاة الناتج من ريعها بل يزكى إذا بلغ
النصاب وحال عليه الحول وتوافرت فيه
شرايط وجوب الزكاة .

هل تلزم الزكاة عن فروق متجمدة :

السؤال :

تسلت مبلغا خاصا بفروق متجمدة عن

بَيْنَ الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوده

إيه الله معنا :

هذه هي الكلمة التي ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم في أذن صديقه أبي بكر رضي الله عنه ليضئ بها قلبه ، ويبدد بها الهواجس التي هجمت عليه ، وهو يرى الخطر يحدق بهما ، ويكاد يطبق عليهما ، فقال : يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا تحت قدميه . لقد كانا في الغار ، وكان حول الغار - وفيما وراء الغار - قوى الكفر المتألب المتحزب ، تسمى للفتك بهما ، والقضاء عليهما ، وهما أعزلان لا يملكان غير الإيمان ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم مظاهر الحزن تغشى وجه أبي بكر ، وسمعه يبدي بلسانه ما كان يشعر به في قرارة وجدانه ، فقال ما يحكيه القرآن عنه ، « لا تحزن إن الله معنا » .

وبهذه الكلمة المؤمنة المطمئنة - صور صلى الله عليه وسلم قلبه الكبير أدق تصوير ، وصبر عما كان يشعر به من فاقة وإيمان أعظم تعبير ، وكان ذلك هو التفسير لقول الله بعد ذلك ، « فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

لم تكن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

من مكة إلى المدينة استجابة لشعور بضعف أو خوف ، فقد رأى الدنيا كلها تتحداه . وتتألب عليه ، حتى أوشك همه أن يتخلى عنه ورأى - عليه السلام - في كلامه إليه ما كان يشعر به من قلق وأرق وإشفاق عليه وعلى أهله ، فقال له قوله المشهورة : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

ولم تكن هجرته عليه السلام ضيقا بأرض تحمل فيها من ألوان البلاء والعناء ما تنوء بحمله الجبال ، فقد وقف قبل أن يغادرها يمد بصره إلى الكعبة ، ويودع مكة بهذه الكلمات الطيبات ، « والله إنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت » ، بل إنه صلى الله عليه وسلم لم يكده يمضي في المدينة عاما وبعض عام حتى شعر بالحنين يشده إليها ، وبنوازع الشوق وحب الحق تثير تطلعه إلى وحى يرضى شعوره ، ويريج ضميره ، ويوجهه إلى « أول بيت وضع للناس » فكان إذا فرغ من الصلاة ، رفع بصره إلى السماء ، وقلبه في جوانبها ، وتشتوف إلى وحى يرضيه ويهديه ، حتى نزل قوله تعالى :

« وإنما كانت الحكمة كبرى تفسرها كل الأحداث التي وقعت بعدها ، فكل ما أحرزه الإسلام من قوة وازدهار وانتشار بعد الهجرة هو التفسير الكبير للحكمة وللعبارة التي تستفاد من الهجرة ، وكل ما يقال من الأسباب المعقولة لا يخرج عن معنى قول الله : « وإذا يحكمركم بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

فقد كان الكافرون يمحرون به وبالدين الذي بعث به ، فأفسد الله عليهم مكرهم ، وغلب تقديره تقديرهم ، فلم يصلوا إلى رسوله بشر ، ولم يطفثوا نوره ، وقد أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، بل كانوا كما يقول الله فيهم : « يريدون أن يطفثوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

لقد كان الله معه ، وكان يشعر بأن الله معه ، فألقى الله سكينته عليه ، وكتب له ولدينه أن يظفر ويظهر ، وإذا كان ذلك شأنه سبحانه مع الرسل قبله كما يفهم من قوله : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ، فكيف لا يكون ذلك شأنه معه . وهو خاتم أنبيائه ورسله ، بل هو منهم كما يقول الشاعر :

كيف ترقى رقيق الانبياء

يا سماء ما طاولتها سماء

« قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبيلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » .

ولم تكن هجرته صلى الله عليه وسلم — التماسا لراحة يجد فيها برد الراحة ، فقد كان يعرف إنه إذا ترك المشركين في مكة فسواجهم مع اليهود والمنافقين والكافرين في المدينة ، وفيما حول المدينة ، ثم في كل مكان تشتعل فيه الحرب بين الكفر والإيمان ، وقد لمح بذلك أحد الذين بايعوه في العقبة ، وصرح له عن ذلك بقوله : يا رسول الله . إن بيننا وبين قوم جبالا ونحن قاطعوها ، فهل عسيت إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم - صلى الله عليه وسلم - وقال : أتممت مني وأنا منكم ، أسلم من سالمتم وأحارب من حاربتم .

وكان هؤلاء القوم الذين أشار إليهم هذا القائل هم اليهود ، وكانت الجبال التي تشد أهل المدينة بهم هي اليهود ، ولا شك أن اليهود أشد الناس عداوة للؤمنين كما يقول الله فيهم : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

لم تكن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم لشئ من الشعور بالخوف أو الضعف . أو الضيق بمكة والأمل في الراحة والنعيم بالمدينة ،

وكما يقول الله : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

صلى الله عليه وسلم ، ووقفنا إلى الصلاة عليه والانتفاع بهديه ، والاعتداء به في الصبر والتقوى والإحسان ، فإنه كما يقول سبحانه « إن الله مع الصابرين ، وكما يقول جل شأنه « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . « ح ف » .

من مجلة نور الإسلام

الشجاع عند الخطر :

إن الشجاع إذا فاجأه الخوف لا تفتر همته ولا تنزعزع عزيمته ، بل يترتب ليوازن بين قوته وقوة خصمه ، ويعالج الأمر لعله يجد مجالا للفوز ، وإلا التمس طريق الفرار صونا لحياته ، ولا عار عليه .

وينشط الجسم حينئذ نشاطا قلما يخطر له ببال ، فقد حدث أحد السامعين أنه رأى رجلا قارا من أسد يحاول افتراسه ، وفي أثناء فراره تسلق جدارا عاليا ، ولما زال الخطر عاد هذا الرجل إلى تسلق الجدار فشق عليه . وربما لا يحصل الحرب . وإنما يقوم مقامه الاضطراب إذا اشتدت وطأة الخوف كالذهول الذي يحسه المستيقظ وقد شبت النار بمنزله ، وربما برق له شعاع من نور عقله يشير فيه النشاط إلى إخماد النار أو الفرار طلبا للمساعدة .

الأستاذ محمد حسنين الغمراوي

من كتاب الغرائز

بين عمرو بن الخطاب وعمرو بن معد يكرب

قيل إن عمرو بن الخطاب رضى الله عنه سأل عمرو بن معد يكرب فقال له : ما تقول في الحرب ؟ قال : مرة المذاق إذا كشفت عن ساق ، فمن صبر عرف ، ومن ضعف تلف ، قال : فما تقول في الرمح ؟ قال : خليلك وربما خانك ، قال : فالتبيل ؟ قال : منايا تخطيء وتصيب ، قال : فالترس ؟ قال : عليه تدور الدوائر ، قال : فالسيف ؟ قال : عبدك . ثم سكتك أمك ، قال عمر : بل أمك . فقال : الخي صرعتني ، فاغظ له عمر في القول فقال :

أتوعدني كأنك ذو رهين

بأنعم عيشه أو ذنواس

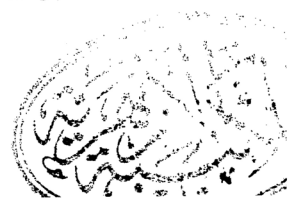
فلا تفخر بملكك كل ملك

يصير لذة بعد الشماس

فقال عمر : صدقت . فاقص من ، قال : بل أهفويا أمير المؤمنين ، لولا آية سمعتها منك لجللتك بالسيف . أخذ منك أم ترك ، قال : وما هي ؟ قال سمعتك تقرأ « إنه من يأتي ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا » ، والله لو علمت أني إذا دخلتها مت لفعلت .

الأستاذ محمود مصطفى ،

من كتاب هيئة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام



مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المصنوع
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٤١٤

يَشْرِكُ فِي التَّحْرِيرِ
عَبَّاسُ مُحَمَّدٍ الْقَعْقَارُ
بَدَلُ الْأَجْنَتَاك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلاب بتفويض خاص

بَصْدُ عَنْ شَيْخَتْنَا الْأَنْزَهَرِيَّةِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَمْرِي

الجزء التاسع والعاشر — السنة الرابعة والثلاثون — ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٨٢ هـ — أبريل ومايو ١٩٦٣ م



١٤
٢٤٤٤٦
دوريات

لِسَمَاءِ الْهَامِ

أحمد لطفي السيد

بقلم : أحمد حسن الزيات

١٨٧٢ — ١٩٦٣

بين السحر والفجر من يوم الثلاثاء الخامس من شهر مارس لسنة ١٩٦٣ حين ينسلخ النهار من الليل ، وينبثق النور من الظلام ، تخلصت روح لطيفة من قيدها المادى الغليظ وصعدت إلى مصدرها الأول ومرجعها الأخير : تلك هى روح الأستاذ الفيلسوف أحمد لطفي السيد ، لفظها في غير قلق ولا ألم كما ينسم الطفل النائم الهادى ، وموت الشيخوخة المطمئنة نقلة روحية سعيدة من فناء منقطع إلى بقاء متصل ، فهو موت وحياة في وقت معا . كالشخص تغيب عن قوم فتكون غروبا في المغرب ، وتطلع في الوقت نفسه على آخرين فتكون شروقا في المشرق .

وشيخوخة لطفي السيد كانت ككهولته وشيبيته سلاما وطمأنينة لم يكدر صفوها حقد على أحد ولا طمع في شيء ، فكانت حياته الوداعة النافمة أشبه بحياة الجدول السلسل الرقراق تفيض على جوانبه الزرى والحصب من غير هدير ولا طغيان ولا كدر .

كان في كل أعماله العلية والإدارية والسياسية يستار سيرة العلماء ويستن سنة الفلاسفة ، لا يقول قولولا ولا يعمل عملا

في خلال حديثه السكينة الفرنسية أو الهجة (الشرقاوية) فتكسبه ظرفا ورقة .

وكان مجلسه أشبه بمجلس صديقه أرسطو زعيم المشائين في مماشييه المظلمة ، أو شيخه الأفغانى إمام المصلحين في قهوته المفضلة ، يتوخى فيه الفائدة واللذة ؛ فسامعه لا ينفك ، راضى العقل ريان العاطفة . وكان بارعا في سلسلة الحديث سريعا إلى اقتناص المناسبة ، فلا تخشى على الحديث في مجلسه أن يبوخ ، ولا على الصموت في حضرته أن يخرج .

وكان أسبق معاصريه إلى التجديد فلم تعرف قبله في الشرق كلمات الحرية والديمقراطية والاستقلالية بمعناها المطلق . وأجلى مظهر لهذا التجديد كان في نزعة السياسية وطريقته الكتابية ؛ ففي صحيفة (الجريدة) التي كانت لسانا لحزب الأمة وكان هو رئيس تحريرها نهج للناس سياسة مصرية خالصة لا تتصل بالدعوة العثمانية ولا بالجامعة الإسلامية .

وفي هذه الجريدة ابتكر أسلوبا للكتاب لفظه قدر لمصناه ، ووصفه طبق لموصوفه ، وسبيله قصد لغايته ، فكان مذهبا جديدا جرى عليه الكتاب والصحفيون إلى اليوم ، وكان من سبقه إلى التجديد أن دعا إلى إصلاح الخط العربى وإنشاء الجمع اللغوى وتعليم الفتاة المصرية .

إلا في حدود المنطق والخلق والقانون ، وكان لعبقريته وبلاغته يرسل القول فيكون مثلا أو حكمة ، ويفعل الفعل فيكون مثالا وقدوة .

وكان في رزانة الحكيم ووقار الحليم يتحدث أو يناقش فلا يستغزه نزق جاهل ، ولا يستخفه غضب مكابر . فإذا اشتد الجدل في حضرته بين اثنين في مسألة فصلا الصوت واحتد اللسان قال لهما : علام الخصومة والخلاف ؟ في المسألة رأيان ، فأحكما من رأى والآخر من رأى .

وكان على شفوف بدنه باهر الجلالة ظاهر الآبهة ، لا يقبل اللغو في مجلسه ، ولا يبالغ في التعبير عن شعوره . فإذا ضحك لا يضحك بملء فيه ، وإذا عبس لا يعبس بكل وجهه ، وإنما هى الإقساماة الحلوة في كل ما يجب أو يكره .

وكان أظهر مزايا لطفى السيد حديثه ؛ فقد كان آخر طبقة شهبوا براءة الحديث من أمثال محمد عبده وسعد زغلول وإبراهيم الهلباوى ، فانت في حضرتهم لا تشهى الكلام لأن لذتك في أن تسمع ، ولا تثير الجدال لأن همك في أن تستفيد ، وطفى السيد كان محدثا نقي الصوت حلو النغمة متشد الأداء واضح الجرس فكاهة اللسان متخير اللفظ ، فلو ذهبته تكتب ما يقول لكان قريب الشبه بما تكتب ، وكان ينثر

والعامية بقبول ما وضع الصناع والزراع
والتجار وغيرهم من كل ذى حرفة .

كان تفكيره الحر وتجديده الواعي أصيلين
في فطرته ظهر أثرهما على رأيه وهو في رونق
شبابه . حدثني رحمه الله عن سبب اتصاله بالإمام
محمد عبده قال : كان الشيخ ينتدب في كل عام
لامتحان طلاب الحقوق في السفة النهائية ،
وكانوا قد اقترحوا علينا في امتحان الإنشاء
أن نكتب في هذا الموضوع : (كيف كان
الحكومة حق عقاب المجرم ؟) . وجعلوا
زمن الإجابة عن هذا السؤال أربع ساعات
على ما أذكر ، فكتبت المذاهب الأربعة
التي قررها العلماء في هذه المسألة ثم عفت
عليها ففندتها جميعا ونفيت أن يكون للحكومة
(حق) عقاب المجرم لأنها قائمة على القوة
لا على الحق . وأسرفت في التدليل على ذلك
حتى ملأت الكراسة . ثم خرجت فذكرت
لرفاق ما كتبت فاكتأبوا وقرروا جميعا أني
لا أحالة راسب ، واشتد من جانهم اللوم
والتقريع حتى ذهب من نفسي كل أمل
في النجاح . فلما كان يوم الامتحان الشفوي
وقف الشيخ فقرظ موضوعي وكان قد وضع له
الدرجة العليا ، ولكنه نصح لي أن أقتصد
الآن في هذه الآراء إشفاقا علي . ومنذ
ذلك اليوم لزمته .

قالوا فيه : إنه أستاذ الجليل ، وكان الأصدق
الآحق أن يقولوا : إنه أستاذ أجيال ثلاثة ،
فمنذ أن صدرت (الجريدة) في عام ١٩٠٨ كان
فيها وفي ندوتها مصدر توجيه ومشعل هداية .
كان يندو إلى مجلسه صفوة الشباب والطلاب فيفتح
قلوبهم للآراء الجديدة ، ويهيئ نفوسهم للقيادة
الرشيده ، ويجنهم من اتق التطرف الجامح
والتصرف المرتجل : وقرأ لهم منطق أرسطو
وسياسته فتخرج عليه طائفة من
الكتاب والمحامين تزعموا الإصلاح وقادوا
النهضة . وظلت أستاذه متصلة الأثر من يوم
أن خرجت الجريدة إلى الناس إلى يوم أن
دخل هو في جوار الله .

كان في السنين الثماني عشرة الأخيرة من حياته
الطويلة الخصة رئيسا لجمع اللغة العربية فكان
لهذه الأستاذية من قوة الشخصية وحضور الذهن
وصدق التوجيه وسعة الاطلاع واستقامة المنطق
وحدة النشاط الأثر البالغ في اضطلاع الجمع
بعب. رسالته . كان من أهم الأعضاء لطبيعة
اللغة ووظيفة الجمع وحقيقة التطور ، يرى
كما نرى أن اللغة ملك للتسكلمين بها
لا للراضعين لها ، فهم أحرى أن يتصرفوا
فيها تصرف الوارث فيما ورث ، يعدل ويكمل
وفقا لحالته وطبقا لحاجته . ففي هذه
ود الجمع الاعتبار إلى المولد وقبل السماع
من المولدين ، وقرب المسافة بين الفصحي

وأفلاطون ، وركنها الأدبي على كتاب الله
وشعر العرب ، كان يحمل القرآن على ظهر
قلبه وطرف لسانه ، يؤديه آية آية كأنما
يتلو في مصحف مذكور . وكان كثير المحفوظ
من الشعر يستمده من أوعية شتى ويرويه
عن أعصر مختلفة ، فكنا في مجلس الجمع
كلما ندعن ذاكراتنا شاهد من القرآن أو الشعر
أسعفنا به .

وليس معنى ذلك أنه وقف في فلسفته عند
اليونان وفي أدبه عند العرب ، وإنما كان
يسير الفلسفة في كل مذهب ، ويتابع المعرفة
في كل وجه .

ولطفي السيد بعد أولئك كله كان
حليما رحيمًا يرتاح للخير ويدل عليه ،
ويمنح للسلام ويدعو إليه . وكان أفنائه
السرية وبيئته القسوية يسمت سميت
الارستقراطيين في الهندام والمظهر ، ويقصد
قصد الديمقراطيين في المعاملة والسلوك .
وهو الوحيد في علماء العصر الذي طال أجله
وحسن عمله ، وجمع بين نقافة النصف الأخير
من القرن التاسع عشر والنصف الأول من
القرن العشرين .

رحمه الله رحمة واسعة وهو ضنا من عليه
وفضله خير العوض .

أحمد حسن الزيات

كان أول يوم اتصلت فيه أسباني بالفقيد
العظيم يوم زرتة في مكتبته بالجريدة أنا
وصديقاي طه حسين ومحمود الزناتي نشكو
إليه فصلنا من الأزهر ونحن في السنة النهائية
من الدراسة فيه لخلاف ثار بين الطلاب في درس
أستاذنا المرموني حول فقرة من خطبة للحجاج
رواها المبرد في الكامل ، وكان الخطيب الجريء
قد أساء الأدب في حديثه عن طواف بقبر
الرسول فكفروه لذلك . وكنا نرى أن سوء
التعبير يوجب التعذير ولا يوجب التكفير .
فلما دخلنا عليه هش بنا وبش لنا وسمع منا
وسمعنا منه ، ثم قال بلهجته الرزينة إن الأمر
أيسر من ذلك . ورفع سماعة التليفون وقال
للشيخ حسونة النواوي وكان شيخ الأزهر
يومئذ : إن عندي ثلاثة من طلاب الأزهر
فصلتهم لرأى رأوه . ولعل من الخير
ألا تقتلوا في الشباب حرية الرأي ما دامت
لا تخالف أصلا من أصول العقيدة ولا نصا
من نصوص الأحكام . وسأه أن يلغى قرار
الفصل ففعل ، وانصرفنا من عنده وليس
أحد من رجال الفكر وأصحاب البيان أحب
إلينا منه .

* * *

كانت ثقافة لطفي السيد راسخة الأصل متينة
الفرايد ، أقام ركنها العقلي على فلسفة أرسطو

الضرائب لا تجزى عن الزكاة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد شلوت

الفروى بين الضرائب والزكاة

وأمرته حكم الشرع فى هذه السألة يجب أن نعرف (أولا) الأساس الذى بنيت عليه فرضية الزكاة فى الإسلام ، والإسلام الذى أبيع به للحاكم المسلم أن يضع (ضرائب) على المالكن ، فالزكاة أحد الفروض الدينية والأركان الخمسة التى بنى عليها الإسلام فهى فى وضع الصلاة والصوم وشهادة التوحيد ، مدد يغذى الإيمان ويطهر النفوس ، ويؤديه المسلم بمقتضى إيمانه وتدينه .

أما الضرائب ، فوضعها وضع آخر غير هذا الوضع ، وهو أن الأمة المثلة فى الحاكم أو الحاكم امثل للأمة إذا لم يجد ما لا يحقق به المصالح العامة للجماعة كإنشاء دور العلم ، والاستشفاء وتعبيد الطارق وحفر الترع ، والمصانع ، وإعداد العدة للدفاع عن البلاد ، ورأى مع هذا أن أغنياء الأمة القادرين على المساعدة فى إقامة هذه المصانع قد قبضوا أيديهم ولم يمدوها بالبذل والمعونة جازله - وقد يجب - أن يضع عليهم من الضرائب ما يحقق به تلك المصالح ، دون إرهاب أو إعنات .

وهذا فرق آخر بين الضرائب والزكاة وهو أن مقادير الزكاة محددة معينة بنص الشارع

حرك القرآن الكريم عواطف الأغنياء بكل الطرق ، وأرهف وجدانهم ، واستدر عطفهم على الفقراء والساكنين لإصلاحا لهم وللجموعة ... تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب ، وبعد أن استتب الأمر للجماعة المسلمين ، وتهايات النفوس للقوانين والنظم ، وضع للفقراء حقوقا كمورد دائم ... وضعه فى الكفارات والأجزية على الأخطاء التى يرتكبها الإنسان فى حياته الشخصية وعباداته. وضعه فى الزكاة فرضا من الفروض الدينية ينفذه بالقوة ، ويقايل من امتنع عن أدائه ، وضعه فى الذهب والفضة وفى البضائع التجارية وفى الأشياء وفى الزرع بنسب لا ترهق الغنى وتسعف السكين والفقير ، وتصلح شأنه بنسب يفوق مجموعها مجموع ما يصرفه بعض الأغنياء فى ترفهم وبذخهم ... من غير فائدة تعود عليهم وعلى أمتهم .

وقد كان للزكاة فى صدر الإسلام نظام خاص ، وكن للحكام بها عناية خاصة فى جمعها وصرفها ، كانوا بها يجهزون الجيوش ، ويدفعون المغارم ويؤلفون قلوب الضعفاء ، ويعينون المحتاجين ويقومون بالمصالح .

ولإذا كان الاتجاه في الضرائب والخراج هو ما ذكرنا ، من أنهما ليسا مبذولين بحكم الدين ، وقضاء واجب النفس في التطهير من خلق الشح ، ولا بقضاء واجب الأخوة الدينية التي أراد الله أن يستكمل بها الإنسانية المؤمن ، فلا ينبغي التفكير في محاولة اعتبارهما قائمين مقام الزكاة ، فالزكاة فرض ديني كالصلاة والصوم يجب على الإنسان محاسبة نفسه عليه متى ملك المصاب فارغا - كما يقول الفقهاء - عن حاجته الأصلية .

نمراد إلى الأغنياء :

فهل لأغنيائنا أن يخرجوا هذه الزكاة الواجبة عليهم وأن يضعوا أيديهم في أيدي العاملين ويتضامنوا معهم على إخراج نظام خاص للزكاة والصدقات ، به ينقشون البلاد من خطر الفقر والمأطل ، فتطمئن الجماعة على حياتها وتنفع بأموالها وبنينا .

هذه هي مكانة الزكاة والصدقات من الشؤون الاجتماعية ، وهي مكانة القطب من الرحي ، وهذا هو موقف الإسلام من الزكاة والصدقات وهو موقف يخفف من وطأة الأغنياء على الفقراء ، ويبعث في الفقراء روحا طيبة للأغنياء ويهيئ للجماعة بأن تنتفع بهؤلاء وهؤلاء ، وهو طريق الخير والإصلاح .

وإن المال الذي يخرج به الأغنياء إلى الفقراء هو في واقع من الأغنياء إلى الأغنياء باعتبار فائده ، وما يمد به من خير وصلاح وأمن واطمئنان ؟

جمهور سلمات

لا تزيد ولا تنقص عما حدده الشرع (٢٥٥) في المائه) بالنسبة للنقد (والعشر أو نصفه) بالنسبة للزروع والثمار ، أما الضرائب فقد ترتفع وقد تنخفض بل قد تلغى أصلا .

الضرائب ونحوها مع الزكاة

وإذا كانت الزكاة من وضع الله وكانت فرضاً إيمانياً يجب إخراجها وجدت حاج إليها أم لم توجد ، وتكون في تلك الحالة بمثابة مورد دائم للفقراء والمساكين الذين لا تخلو منهم أمة أو شعب ، وكانت الضرائب من وضع الحاكم عند الحاجة - كان من بين أن إحداها لا تغنى عن الأخرى ، فهما حقان مختلفان في مصدر التشريع وفي الغاية ، وفي المقدار وفي الاستقرار والدوام .

وعليه فيجب إخراج الضرائب وتكون بمثابة دين شغل به المال ، فإن بلغ الباقي نصاب الزكاة وتحقق فيه شرطها وهو الفراغ من الحاجات الأصلية ومر عليه الحول وجب دينيا إخراج زكاته .

أما الخراج الذي تأخذه الحكومة على الأراضي الزراعية ، فيرى جمهور أئمة المسلمين أنه حق مغاير لحق الزكاة في دليله ، وسببه ، ومصرفه ، وحكمته ، فلا يمنع أحدهما الآخر وبالمقارنة بين أدلة هؤلاء ، وأدلة مخالفينهم يتبين جليار رجحان مذهب الجمهور ، مع ملاحظة أن مخالفينهم لا يرون تأثير الخراج على كل أنواع الزكاة ، وإنما يرون تأثيره خاصا بزكاة الزروع .

المصدر في اللغات

للأستاذ عباس محمود العقاد

نعتبر اللغة العربية في طليعة اللغات التي ثبت لها الارتقاء بهذه الخاصة النادرة التي لا نظير لها فيما نعلم من لغات الحضارة .

ولنقارن بينها وبين اللغة الانجليزية وهي أشهر اللغات وأشيعها في العصر الحاضر ، وعصولها من الكتابات العلمية والفنية لا يزيد عليه محصول لغة أخرى تعاصرها وتصارعها في ارتقاء أبنائها .

فالصفة المصدرية التي توجد في تكوين اللغة لا وجود لها في اللغة الانجليزية ، وإنما توجد في بعض كلماتها صيغ مشتركة بين الصفة والاسم ، ولا تطرد فيها الدلالة على المعنى المجرد سيما أو قياسا للتعبير عن المعاني المصدرية باختلافها واختلاف درجاتها من التجريد .

وفي هذه اللغة صيغة تقابل صيغة اسم الفاعل تؤخذ من الفعل المضارع ، وصيغة أخرى تقابل اسم المفعول تؤخذ من الفعل الماضي ، وصيغة تأتي بإلحاق مقطع صغير بآخر الكلمة يفيد معنى المصدرية حيناً ومعنى الوصفية حيناً آخر ، كقولهم Greatness بمعنى العظمة من Great بمعنى

من أشهر العلامات التي يستدل بها على ارتقاء اللغة أن تكون وافية بوسائل التعبير عن المعاني المجردة ؛ لأن تجريد المعاني من المحسوسات حمل من أعمال التفكير يتقدم إليه الإنسان مع تقدمه في الحضارة ، واستمراره زمناً طويلاً على تعود البحث ، واستخلاص الحقائق المعنوية من حقائق الحس والعيان .

ولا يستدل بكثرة المفردات وحدها على وفاء اللغة بوسيلة التجريد ؛ لأن الكثرة على غير قاعدة متأصلة في تكوين اللغة عرض طارئ ، وزيادة في الكم والمقدار ، قد تتوافر لكل قوم يكثرون عدد الكلمات ، ومنها أسماء المجردات كيفما انفقت بغير تمييز بين لغة ولغة في تكوينها الاصيل .

وإنما تعرف قدرة اللغة على أداء المعنى المجرد ، بدليل واحد لا مرأى فيه ، وهو أصالة هذه الوسيلة في قواعدهما التي تجري مجرى القياس والسماع المطرد في كل مادة من موادها وكل فعل من أفعالها ... ومن هنا كانت صيغة المصدر موضع المقارنة الصحيحة بين اللغات في هذا الباب ، وكان من الحق أن

من حيث الدلالة المجردة فهو كالمصدر الذي تتخذه في اللغة العربية وصفا ونقطة من التجريد إلى العيان. فإذا قلنا: «الشاهد العدل»، أو «الكلام الحق»، أو «الرجل الضرب»، فقد جمعنا للبدر كل ما يجمعونه لمصادرهم التي لم توجد لها صيغة خاصة بالتجريد، ولكننا حين نقل الكلمة من المصدرية إلى الوصفية نكسبها شروط الوصف من قبول الجمع والتثنية أو قبول التذكير والتأنيث، فنقول الشاهد العدل، والشاهدان العدلان، والشهود العدلون. أو نقول الكلام الحق، والكلمة الحق، والمقوق الإنسانية. وليس في لغتهم وسيلة للفرقة بين المصدرية والوصفية في مثل هذا التعبير.

* * *

وجملة القول في هذا الباب أن أدوات المصدرية عندهم هي بعينها أدوات الاسمية، أي أدوات استخراج الاسم من الفعل والصفة، إما بتقديم حرف الجر «إلى»، To على الفعل وتضمينه معنى «أن»، المصدرية عندنا، وإما بتذيل الفعل والصفة بمقطع صغير كقطع «شن»، Tion أو مقطع «نيس»، neess وقد تقدمت الإشارة إليه، وهو خاص بالصفات.

* * *

أما في اللغة العربية فالمعنى المصدرى المجرد

عظيم، أو قولهم Wisdom بمعنى العقل من Wise بمعنى عاقل، أو قولهم Justice بمعنى العدل من Just بمعنى عادل. وقد يتخذون للدلالة على المعنى المصدرى كلمة ليس لها فعل أصيل وإنما يأتي الفعل من تصريفها الصناعي كقولهم Beuty بمعنى الجمال أو معنى الجميل وأخذهم الفعل منه بإضافة بعض الحروف إلى آخره، فيقولون Beutify بمعنى جمال و Beutifing بمعنى التجميل.

وإذا عبروا عن المعاني المجردة كان هذا التعبير معنى عارضا غير مطرد في جميع الكلمات، كأنه إضافة طارئة على اللغة لم يكن لها أساس في تركيب كل مادة من موادها ولا في اشتقاق كل فعل من أفعالها، وربما غلبت دلالة الوصفية الحسية على دلالة المصدرية المجردة في معظم هذه الكلمات.

فعنى الخلق عندهم موجود Creation ولكنه يدل كذلك على جملة الكائنات المخلوقة.

ومعنى الحياة عندهم موجود كذلك Life ولكنه قد يكون أقرب إلى معنى المفعول المطلق عندنا من معنى المصدر، فلا فرق بينه وبين قولنا عاش عيشا أو حي حياة، وليست المصدرية فيه تجريدا خالصا محسوبا له حسابه إلى جانب حساب الفعل المحسوس. وعلى أحسن ما يكون هذا المصدر عندهم

القياسي أو المصدر المتواتر على السماع ، ولهذا حسب بعض النحاة أن المصدر هو الأصل في تركيب الكلمات ، وهو قول يختلف فيه ولكن لا خلاف في أصالة المصادر مع الأفعال وسائر المشتقات .

ثم يأتي المصدر المسمى مطرداً من الأفعال الثلاثية وما فوقها بأوزانه المعروفة ، وتأتي المصادر الصناعية من كل اسم على وجه التقريب ، كالإنسانية والحيوانية والنباتية والسبعية والعلية والحجية والواقعية ، وكل ما يراد به معنى الحالة التي تجردت من الحس ودخلت في عداد المفهومات الذهنية .

وهذه المصادر الصناعية هي غاية ما بلغتة اللغات الأجنبية من تحقيق معنى المصدر المجرد في بعض الكلمات ، ولكنها لا تطرد في جميع الكلمات ولا تزال ملتبسة بالوصفية أو بالدلالة التي يشترك فيها الإدراك العقلي وإدراك العيان .

وليس أدل على دقة اللغة من تعديد صيغ المصادر فيها للتمييز بين المعاني الخفية التي تتفق في التجريد ولكنها تختلف في حالاته أو موضوعاته اختلافا لا تؤديه صيغة واحدة ، ولا بد فيه من التنويع على نسق معلوم .

فالمنظر معنى مجرد .

والمنظر معنى آخر مجرد .

مفروض في كل فعل من أفعالها إلى جانب المعنى المحسوس ، واستقلاله بالتجريد ملحوظ عند المقابلة بينه وبين صيغ المصادر الكثيرة كلها طرأت لهذه الصيغ حالة الوصفية أو العدد أو الكيفية أو الحرفة العامة التي هي حدث ولكنها في حالة التكرار معنى خارجي لا يقترن بالحدث في وقت محدود .

فالعربي يقول زرع زرعاً وزرع زراعة وزرع زرعة بفتح الزاي ، أو بكسرهما ، على حسب المعنى المقصود .

وكلها مصادر مجردة على اختلاف في درجات التجريد حسب الملابسة العارضة بينها وبين المحسوسات .

فالزراع عمل لا يقبل الجمع والتثنية في معناه الخالص للصدرية ، ولكنه يطلق على النبت المزروع فيجرى عليه في هذا المعنى حكم المحسوسات ، فيقال الزرعان والزروع .

والزراعة صناعة مجردة أو معنى من المعاني الذهنية لا يرى بالعين ، خلافاً لمعناه إذا أطلق على كيفية العمل التي تختلف باختلاف الزارعين والمزروعات .

والزرعة بالفتح مصدر للبر ، والزرعة بالكسر مصدر للبيئة ، وكلتاها تفيدان في التجريد معنى غير معناه في الوصفية أو الاسمية على الإطلاق .

وكل فعل على الإطلاق يأتي منه المصدر

المجردة التي لم ترتبط بهيئة مشهودة أو بعدد محدود ، فإذا جاوزت هذا المعنى بطل عملها في الإعراب وأصبحت في حكم الاسم الذي يدل على ذات أو على شيء محسوس .

فالمصدر يعمل في الإعراب عمل فعله المتعدى أو اللازم ، فإذا صغر لم يعمل لأن التصغير ينقله من التمجيد إلى صورة خاصة مشهودة أو موصوفة بوصف مقصور عليها .

فيقال مثلاً : قولك الحق واجب ، ولكن لا يقال هذا في دقوبل ، لأن تصغيره قيده بقوله معهود ولم يعممه لمطلق القول .

ويقال إن إتيان المرء عمله واجب ولا يقال إن إتيانته عمله واجبة للرة الواحدة ؛ لأنها خرجت من الإطلاق المجرد إلى التقييد المحدود ولا يكون له معنى المصدر إلا إذا أمكن أن ينوب عنه الفعل مسبوقاً بأن المصدرية ، ولا فرق بين قول القائل : أن يتقن وبين قوله : الإتيان ، لأنهما حالتان مطلقتان على السواء .

ويجب على الباحث في المقارنة بين اللغات أن يلتفت إلى الفارق بين وجود المصدرية بهذا التفصيل في أساس تكوين اللغة وبين وجود عدد من المفردات المتفرقة اعتباراً في لغة من اللغات بغير وحدة بينها في الصيغة وبغير تفرقة بينها في العمل ولا في الدلالة ،

فإن الفارق ظاهر بين ورود المعاني المصدرية في عدد من الكلمات المتفرقة وبين ورودها (البقية على صفحة ١٠٣١)

والنظارة معنى غيرهما مجرد كذلك .

والنظرية ومثلها التطبيقية معنيان مجردان ، وإن لاح أن التطبيقية عمل يدوي محسوس ، ولكن العمل ، شيء لا يحس بالعيان ، وإنما يحس العامل والمعمول .

وموضع الدقة بين هذه المصادر أن النظر عم من المنظر ؛ لأن المنظر محدود بكيفية الناظر في نظره وكيفية المنظور كما يكون عند النظر إليه .

وإن النظارة حالة تحيط بعدة منظورات وتوحى معنى التكرار كما يوحى معنى كل صناعة يباشرها من يكثُر العمل فيها .

وإن النظرية ناحية من نواحي التفسير تقابل الناحية العملية فيه ولا يلزم من كل نظر أن يكون نظرية متبعة في عدة أحوال .

ولم ترد هذه الفروق فرضاً معتسفاً من فروض النحاة للتعليل والتأليف بعد جمع اللغة والموازنة بين رواياتها وأسانيدها ، ولكنها تأصلت في العقول كما تأصلت على الألسنة بالأوزان القياسية أو الأوزان السماعية التي تكررت وتشابهت وتقابلت فيها الدلالات على النحو الذي يفسره النحاة ولا يقبل تفسيراً سواه .

ومن الدلائل على أصالة المعاني العقلية في وضع المصادر أنها تعمل عملها في الإعراب مادامت على احتفاظها بالصورة الذهنية

مناهج الإسلام

للقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

- ٣ -

رؤية الخطوبة وهرم حواضر الحياة بها : منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل ، .
٣ - ثم نراه يرشد إلى رؤية الخطوبة . « إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه
فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة
« إذا خطب أحدكم المرأة فقد رآه » وإن كانت لا تعلم ، .

(بقية المنشور على صفحة ١٠٣٠)

أو مزاج العمل والواقع ، وقد يكون المزاج
الحسي في أمة العرب ملحوظا غالبا على غيره
من الامزجة إذا كان الغرض منه أن معيشة
العربي في الصحراء تشحن فيه حس البصر
والسمع والشم على الخصوص لا تنقاء الخطر
وصدق التفرس في السعى إلى معاشه والرحلة
بين حواضره وبواديه ، ولكن هذه القدرة
الحسية ، قد تزيد من قدرته على التجريد ،
ولا تنقص منها ، لأنها تذهب به إلى تمييز
أقوى الحس وغاية الشهادة والعيان ، وليس
أقدر على تمييز الاضداد عن يمين بالخصلة
من الحصول غاية مداها ، فإنما تمييز الأشياء
بعندها كما قيل ؟

عباس محمود العقاد

في كل مادة من مواد الكلام على ارتباط
بأوزانها وارتباط بين تلك الأوزان ومعانيها
المقصودة ، وارتباط بعد ذلك بين الصيغ
ودرجات التجريد .

وهذا الفارق الواضح هو الفارق بين
استعداد اللغة العربية لغرض المعاني المجردة
في كل حالة من حالاتها واستعداد غيرها
من اللغات لتلقيق هذه المعاني حيثما اتفق على
حسب الظروف .

وما يجب كذلك على المقارنين بين
اللغات أن يحسنوا فهم العلاقة بين مزاج
الامة ومزاج اللغة التي تنشأ فيها .

فقد أجمع الباحثون في طبائع الشعوب
على وصف العرب بالمزاج الحسي تمييزا له
من المزاج النظري أو الخيالي أو الباطني ،

أو المهذبة لا تكون كذلك ، فلمؤلا أقول :
إن الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية
ولو لبست قفازا من الحرير ، والرسول صلى الله
عليه وسلم أخبر بالنفوس والأهواء ، وأكثر
فهما للدواء الذي يحسم الداء .

وبذلك يتبين أن الإسلام جمع بين إعطاء
الفرصة للخطيب لكي يعرف من ستكون
شريكة حياته ، واحتاط في الوقت نفسه
لمصلحة الفتاة لكيلا تكون متعة سهلة للفتى
في فترة معينة قد يتركها بعدها ولا يتم زواجها .
ونحن نشاهد أن كثير من المآسي يقع بسبب
عدم مراعاة هذا الأدب الإسلامي المحفوظ .

وهذا التشريع في الحقيقة تشريع وقائي ،
وإن كان هناك فتيات كثيرات واعيات
قويات الإرادة ، لا يمكن أن يصيبهن سوء ،
كما أن هناك كثيراً من الفتيان فيهم من
الشرف والاستقامة ما يحصنهم عن ابتغاء
السوء ، ولكن الأمر ليس أمر شك
أو ارتياب دائماً ، وإنما هو قبل كل شيء أمراً
احتياط على السمعة ، واجتناب لقالة السوء .
والخطية التي يتركها خطيبها بعد أن يعلم
الناس أنه كان يتفرد بها ، ويخرج معها دون
محرم ، لا تكون موضع إقبال غيره من
الفتيان ، ولكن إذا علم أنها لم تكن كذلك
كان الناس في اطمئنان إليها .

هي المرأة في قبول الزواج أو رفضه :
ثم نراه يجعل للمرأة حقاً في الموافقة على

وعن المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انظر إليها
فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » .

وخطب رجل امرأة ، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم « انظر إليها فإن في أعين
الأنصار شيئاً » .

والحكمة في إباحة النظر إلى المخطوبة
ظاهرة ؛ لأن المرء يتقن شريكه حياته فمن
حقه أن يراها ليعرف أتوافقه أم لا ، وقوله
صلى الله عليه وسلم « ذلك أحرى أن يؤدم
بينكما ، معناه : أن تحصل الموافقة والملازمة .
هذا وأكثر العلماء على أن الذي يجوز
للخاطب رؤيته من المخطوبة هو لوجه
والكفان فقط .

وانفقوا على أنه لا تجوز الخلوة بها
دون محرم .

ومن ثم لا يجوز أن يخرج معها منفردين
للتنزه أو نحوه كما جرت عادة بعض الناس .

وفي مثل ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :
« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ،
فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ،
فإن ثالثهما الشيطان » .

ولعل المراد من الشيطان في هذا الحديث
وما يمثله هو تلك الخواطر التي تجري
الطبيعة البشرية بأن تخطر للناس في مثل هذه
المواقف ، ولأنى لأعلم أن بعض الناس ربما
اشتاؤا من تصوير اجتماع الرجل والمرأة
بهذه الصورة زعماء منهم أن المجتمعات الراقية

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :
« إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته - وفي رواية : من ترضون خقه - فزوجوه .
إلا تفعلوه تسكن فتنة في الأرض وفساد كبير » .
أعظم المنافع بركة أيسره مؤمنون .

ثم نراه يرشد إلى تيسير المهر ، حتى يسهل الزواج . ولا يحمل الزوج بسببه ما لا يطيق فيبدأ حياته الزوجية على وجه من أوجه الارتباك الاقتصادي

ومن هدى النبوة في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

- ١ - أعظم النكاح بركة أيسره مثونة
- ٢ - أخف النساء صداقا أعظمهن بركة .
- ٣ - خير الصداق أيسره .
- ٤ - وعن أبي سلة قال : سألت عائشة كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية وكثفا - قالت : أتدري ما النش ؟ قلت : لا ، قالت فصف أوقية ، فقلت خمسمائة درهم ،

(وذلك ما يبارى بالعملة المصرية نحو ثلاثة عشر جنيها ورربع الجنيه) ١٣٢٥ قرشا .
٥ - وقال عمر بن الخطاب : لا تغفلوا صدق النساء ، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا ، أو تقوى في الآخرة ، كان أولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم . ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نساؤه ، ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية .

زواجها أو رفض هذا الزواج ، سواء أكانت بكراً أم ثيباً

وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا تزوج الائم الثيب حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن » .

وأنت خذساء بذت خدام - وكانت ثيباً - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت له أن أباه زوجها من رجل تكرهه ولا تميل إليه ، فرد الرسول زواجها .

وجاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خيسسته ، فخيرها الرسول بين أن تخرج هذا الزواج أو تبطله . فقالت : قد أجزت ما صنع أبي وإنما أردت أن يعلم النساء أن ليس للآباء من أمرهن شيء - أي إذا أبين .

ومعرب البحث عن مائة لحاظ :
ثم نراه يرشد الآباء إلى البحث عن خلق الخاطب قبل إجابته ، لينظروا هل يصلح لها ، وما غايته من هذه الخطبة .

وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :
« النكاح رق ، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته » .
ويقول الإمام الثوري :
« إذا أراد الرجل الزواج وقال : أي شيء للمرأة ، فاعلموا أنه لص » .

ومعرب قبول الخاطب الكف :
كما نراه يرشد إلى وجوب تلبية الخاطب وقبوله إذا كان كفئاً صالحاً .

شأنها أن تكفل الاستقرار الزوجي ، وأن تدرك عن البيت أم البنات والمفاجآت السيئة والمقلقة .

قوام الرجل على المرأة :

فالرجل هو القوام على المرأة .

وفي ذلك يقول الله عز وجل : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

وهذا توجيه إلهي يجب على الرجال والنساء جميعاً أن يدركوا سره ، ليؤمنوا به على بصيرة . إن الأسرة مجتمع صغير يتألف منه ومن أمثاله المجتمع الكبير ، ولا بد لكل مجتمع من رياسة وسلطة يرجع إليها ، ويحسم بها ، وإلا تعرض المجتمع للفوضى وتصادم الآراء والرغبات ، فالأسرة بحاجة إلى أن تسند هذه السلطة إلى أحد أعضائها ، والرجل أولى الزوجين بأن يهده إليه بذلك .

أولاً : لأن هذا هو حكم الطبيعة ، إذ هو الأقوى على تحمل الأعباء ، وتقبل التبعات ، والأقوى على شيء هو الأجدر بالتقديم له .
ثانياً : لأنه هو المكلف بالإتفاق ، وبإذل أنال من حقه أن يكون صاحب القول الفصل فيه ، وفي كل ما يستند إليه .

وهذه الآية الكريمة تعبر بقوله : « بما فضل الله بعضهم على بعض » ، وهناك آية أخرى تقول : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » .

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على رغبة المشرع في تيسير المهر حرصاً على تشجيع الزواج ، وعدم ارتطام الزوجين في ديون أو التزامات نتيجة للدخالة في المهر والمطالب .

والزوج الذي يبدأ حياته مع زوجته مديناً بسبب الدخالة في مهرها ومطالب زواجها ، يظل ينظر إلى زوجته كمصدر من مصادر ضيقه وعسره ، وخير لها وله أن يستقبلا الحياة الزوجية بدون ضيق وعسر .

ولذلك فمن العوامل التي تروج الزواج والزوجة وتسعدها في حياتهما يسر المهر ، وتكاليف العرس .

ولو أن ذلك فشا في المجتمع ، لحلت أزمة الزواج إلى حد كبير ، فإن كثيراً من الشبان يبدون حياتهم الوظيفية أو نحوها بدخل محدود لا يسمح لهم بادخار مبلغ كبير منه يقدمونه مهراً ، وشبكة ، ونفقات خطبة ، فيجسمون عن الزواج وقد يستمر ذلك بهم سنوات حتى تضيق زهرة شبابهم ، وربما انزلقوا إلى مسالك سيئة النتائج ، ولا تفضي بهم وبمجتمعهم إلا إلى أشد الضرر الصحي والأخلاقي ، ويقابل ذلك في جانب الفتاة تعطل عن الزواج ، فإنه بمقدار ما يحجم الفتيان عن الزواج ، يكثُر بوار الفتيات ، وفي ذلك أكبر الخطر على المجتمعات ، حيث يكثُر الانحراف والانحلال .

(ب) وفي أثناء الزوجية :

نرى الإسلام يسن تشريعات وآداباً من

وفهم من هاتين الآيتين :

١ - أن الله تعالى يريد لفت أنظار الرجال والنساء إلى طبيعة كل منهما وما فضل به بعضهم على بعض : فالرجال مخلوقون لغرض ، ولهم وظيفتهم الطبيعية في الحياة ، وقد همشوا على وضع جسمي ونفسي يلائمهما ويساعد على أدائها ، والنساء كذلك : خلقن على وضع جسمي ونفسي يلائم ما قصد منهن وكل في ناحيته مفضل بمزايا اكتسبها بحكم الطبيعة ، أى بحكم السنن الإلهية العادلة الحكيمة ، فلا ينبغي أن يتطلب الرجال ما هو من خصائص النساء وما فضلن به وميزن ، ولا ينبغي أن يتطلب النساء ما هو من خصائص الرجال وما فضلوا به وميزوا فان ذلك تمن ، والتنى هو طلب مالا يكون وهو خروج على الطبيعة ، ومحاولة للخلط في نتائج لا تبررها المقدمات الواقعية .

فإذا ساد هذا الوهي في المجتمع ، كان له إيهام في كثير من جوانبه وكان جديراً بأن يجعل كثيراً من المشكلات المعقدة ، وأن يصلح كثيراً من الأوضاع الفاسدة ، وأن يحفظ على المجتمع طبيعته وفطرته .

٢ - أن الزوج والزوجة يكونان شيئاً واحداً هو كل : الزوج بعضه ، والزوجة بعضه وتفضيل بعض أجزاء الجسم الواحد على بعض ليس معناه الأفضلية بمعنى أنه أحر وأعلى ، ولكن معناه فضل الاختصاص بشئ ، فحسب الإنسان مثلاً كل له أجزاء

العين جزء ، واليد جزء ، والأنف جزء ، والأذن جزء . وهكذا ، ولكل جزء مرتبة في وظيفته الخاصة التي لا يغنى عنه فيها جزء آخر ، فالفضل هنا بمعنى المزية فيما له خلق هذا الجزء ، والتفضيل بمعنى التمييز والتخصيص فالأنف من حيث وظيفته ومرتبة له قيمته وفضله وحاجة الإنسان إليه ، والعين من حيث وظيفتها ومرتبتها لها مثل ذلك ، وفضل هذا لا يعارض فضل ذاك ولكن إذا أراد الإنسان أن ينظر فانه لا يوجه أنفه للنظر ، وإنما يوجه عينه وإذا أراد أن يشم ، فانه لا يوجه إلى الشم أذنه ولكن يوجه أنفه ، وإذا أراد أن يسمى سمي برجليه ، لا بيديه ، وهكذا . فإذا عرف الرجل والمرأة ذلك استراح الرجال من النساء ، واستراح النساء من الرجال على سنة الإذعان لتوزيع الاختصاص . وما أحسن ما روى عن المغيرة بن شعبه إذ يقول :

النساء أربع ، والرجال أربعة ؛

رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها : ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهي قوامه عليه .

ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوعلين ينتطحان .

ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتیان بخير ولا يفلحان .

(البحث موصول إن شاء الله)

محمد محمد المهدي

نَفَاحَةُ الْقُرْآنِ

التَّارِخُ الصَّحِيحُ مِنْ مَقُومَاتِ الْحَيَاةِ

لِلْأَمِيرِ عَبْدِ الْلطِيفِ السَّكَنِ

« إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض : منها أربعة حرم ، . »

الزمن في مجرى الأمور ينعد التاريخ، ويكون مرآة لكل جماعة، ترى في صفاتها ما قدمت من إنتاج، وتميز بما لها من إيجابية في الحياة أو تبصر من خلالها ما تركت من فجوات خالية من آثار حيوية، وتحس بما فاتها من نشاط، وبما بخلت به من جهود في التعمير. ولعلمها حينئذ تنفض إلى تدارك رسالتها في جوانب دنياها التي استخلفنا الله فيها لنعمل ونجدد، ونسير إلى الأمام .

ومن ذلك يقال : إن التاريخ معلم أمين . وإن يكن التاريخ مرآة يتمثل فيه ماضينا، ويشع نور هديه في مستقبلنا ، فهو تقويم أدبي لشخصية الجماعة، تتمدح به، وتستأس بذكرياته في مساجلة الأجداد من الشعوب، وتفاخر به المتخلفين عن ركب الحياة، وتزود من توجهاته، وإيمانه ما يجدد قوتها، ويشير عزيماتها، فتظل وثابة وفي صعود .

من هذه الآية ندرك في سهولة - أولاً - أن الله - تعالى - تعلقت حكمته أن يجعل للناس توقيتاً زمنياً ؛ قدره سبحانه - باثني عشر شهراً ، أثبتها في كتابه الممكنون الذي اعتبره سبيلاً أزلياً لما يجري في ملكوته - وهو اللوح المحفوظ .

وندرك - ثانياً - وفي وضوح : أن الله جعل من تلك الشهور أربعة حرماً ، ذات اختصاص في جانب التشريع .

والمقام بحاجة إلى تعرف ما هنا في غير إطالة :
١ - لا شك أن تحديد الشهور باثني عشر يعتبر تنظيماً للزمن ، يضبطه في حدود معينة ، ليسهل علينا التوقيت به ، ولنعرف لأمرنا مبدأً ، ونهاية ، ونقيس أعمالنا بأزمانها : طولاً ، وقصراً ، فيكون اتجاهنا في شئون الحياة على بصيرة ولا نخبط فيها خبط عشواء . ومن هذا التوقيت للأحداث ، واحتساب

الزمنى مناط العبادة ، وتخصيص الحج بأشهر معلومات؟؟.

وانظر : تجد رعاية التقويم أبلغ ما يكون في اعتبار الحج ذاميات مكانى بجانب الميقات الزمنى ، وفي اعتبار مناسك الحج مقيدة كلها بالمواقيت .

حتى يصل الأمر إلى اعتبار عرفة ميقاتا مكانيا محدودا لصائر الحجيج في يوم معين من الزمن كل عام .

ثم انظر : تجد التوقيت الزمنى شرطا مأخوذا به في فروض أخرى .

فالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، مقيدة كلها بموعدها الزمنى .

وتسليف العبي بأحكام الدين .

وعدة النساء بعد خلوهن من الزوجية ، والوصاية على اليتامى ، وتوثيق الديون بين الناس ، والمعاهدات فى الحروب : كل هذا منوط بزمناه انقدر له فى تشريع الله - سبحانه - أو حسبما يتفق الناس فى توقيفاتهم المتعارفة بينهم ...

وهذه التقديرات الزمنية تعتبر تواريخ جزئية فى تقويم الشئون الفردية ، كما يعتبر التاريخ العام وشيجة اجتماعية فى تقويم الحياة الشعوبية .

وحيث تبين لنا من هذا أن شرعة التاريخ من جانب الله منذ خلق السموات

وإن شعبا لا يمتى بتاريخه ، لاشبه بإنسان ضال عن نفسه ، ومجهول النسب فى بيئته ، فلا حظ له من كرامة النسب ، ولا وزن له بين الأماجد ، وحياته خلو من بهجة الحياة . وإنا لندرك بفطرتنا ما للتاريخ من وحى شخصى ، تتأثر به فى المحيط العائلى .

فلأصول الكريمة ، وللورثة العريقة البريئة من الشوائب سلطان قوى فى توجيه الأفراد ، ولها بهاء يزدان به أراء فى قومه ، ويجمع حوله القلوب ، ويسكبه التجلة ، والثناء : مادام يعيش فى إطار النسب المحيد ، بعيدا عما يحرفه فى مساطط الدهماء من الناس .

هذه مرأى التاريخ القى من أجلها بين الله عدة الأشهر . واعتبارها موافقت للناس وما نحن بحاجة إلى التوسع فى الاستنتاج ، وقد أغنانا القرآن عن تكلف الاجتهاد فى هذا بقوله تعالى : « ويسألونك عن الأهلة - عن الأشهر وتعددتها - قل هى موافقت للناس ، والحج » . فالتوقيت أمر هام ، وهو تشريع من جانب الله ، وضرورة حيوية للناس تقتضيها الفطرة فى نظام الدنيا .

ويزيدنا بيانا لهذا أن الله سبحانه ذكر صراحة أن الأشهر ميقات لعبادة الحج .

والحج ركن فى الإسلام ، فسنة الله جارية على ربط هذه العبادة بزمناها المعين .

وأى بيان أقوى من ذلك فى اعتبار التقويم

فإذا حاربوا - مثلاً - في رجب سموه شعبان ، ونقلوا إلى شعبان اسم رجب .
فكانهم بهذا لم يحاربوا في الشهر الحرام ، بل في حلال ، وكأنهم بهذا على تقليدهم لشرعية لمهم .
وهذا التأجيل ، أو التضيء تلاعب في أمور مقدسة ، فيكون كفراً صراحاً فوق كفرهم الأصيل .

وخطر هذا ليس قاصراً على مجرد التغيير في أسماء الأشهر ... بل لأنهم نقلوا حكماً شرعياً من موعده وتاريخه المخصص له إلى زمن آخر ... وهو وقف الحرب ، وعدم وقفها .

ومن وراء ذلك أيضاً ما يطرأ على مناسك الحج ، إذا غيروا في شهر من أشهره ، وزحزحوا أعمالها إلى أشهر غيرها .

وربما شاع ذلك التغيير للأشهر فيحسبه أناس آخرون أنه هو التاريخ الموروث الصحيح ، ويسيروا عليه ... وهذه فتنة للناس في دينهم ، والفتنة في الدين أشد جرماً عند الله من القتل ، إذ القتل يكون لنفس واحدة ، أو لافراد ، وقد يكون له سبب يبرره ، ومع بلوغ الشر مداه فهو محصور نوعاً .

ولكن فتنة الدين قعم الكثيرين ، وتدفع بالناس إلى الكفر ، وليس بعد الكفر ذنب .

والأرض ، فأهملها ، أو العبث بها يكون إخلالاً بمنهج الحياة المنشودة ، وإفساداً في النظام العام .

والله تعالى لا يحب الفساد ، ولا يأذن به في قليل ، ولا كثير ؛ لأنه يكون جرأة على الله ، وشذوذاً عن رسالة الإنسان - فيما عهد الله إليه من إصلاح ، وتعمير في دنياه - إلى متابعة الشيطان في جانب الإفساد .

٢ - كانت قریش في حياة جهلاء ، ومع هذا كانوا يأخذون ببعض التكاليد الدينية ، التي توارثت إليهم من شرعية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام - فاحترامهم للكعبة ، ومثابرتهم على الحج ، وتعظيمهم لشهر رمضان أمور يعتقدون بها ، تقليداً سائراً في غضون أزمانهم الأولى .

و ن من تشريع الله أن جعل في العام أربعة أشهر ذات اختصاص : رجب ... ذا القعدة ... ذا الحجة ... المحرم .

فهذه أشهر حرم ، لا يرفع فيها سلاح ، ولا يثار فيها حرب ، وهي للعمرة في رجب كما تعودوها . والحج في الثلاثة الباقية .

وتعطيل الحرب يأمن الناس على أنفسهم ، فيتفرغون للناسك في اطمئنان .

ولكن طغيان قریش كان يدفعهم إلى إنارة الحرب ولو في الأشهر الحرم .

وجهاً لهم زينت لهم أن يغيروا اسم الشهر باسم غيره .

أما ما قبل خلق السموات والأرض فمن الغيب ، البعيد عنا ، والذي تفرد سبحانه بعلمه ، ولم يهب لنا أن نستخدم العلم فيه . بل ، ولا وجهة للعلم إلى محارلة الوصول إلى ذلك - فيما نعهده ؛ لأن العلم الباحث في الكونيات إنما يبحث في عالم الوجود لا في عالم الغيب .

أعني يبحث فيما بعد خلق السموات والأرض ، وما يذنها .. إن تهيأ له أن يبحث في الوجودات العلوية كأجرام السموات ، والنجوم ، والبروج ، والكواكب والرياح ، والأمطار .

وكذا في الوجودات الأرضية : من جبال وزروع ، وبحار ، ومعادن إلخ .

أما ما يكون من قبيل الغيب قبل الخلق لهذا الكون فلا نعلم منه إلا ما يعلنه الله من طريق الدين .

وكذلك ما يكون ضاربا في أعماق التاريخ القديم فيعرف منه شيء كثير من القصص الديني الصحيح الذي لم يداخله عبث عابث . ويعرف شيء منه من طريق العلم الباحث بالاستقراء ونظرا لأن القصص الديني مصدر على لنا كانت الكتب السماوية : وبخاصة التوراة ، والقرآن حافلة بالكثير من أنباء الغيب في الماضي السحيق عن البشرية في كثير من عصورها ، وتطورها ، وأحداثها .

لذلك أنكر الله على قريش هذا النسيء إنكارا شديدا ، بقوله - تعالى :

« إنما النسيء زيادة في الكفر ، يضلل به الذين كفروا ، يحلون به عاما ، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين » .

فانظر إلى جسامته الخطر ، والتصرف الخاطيء في تشريع الله بالهوى ، والافتراء على الله تهارنا ، أو غرورا بالرأي أو التماسا للشهرة ، وتظاهرا بين الناس بقرة الذم ، ورجاحة العقل ، أو ما هو مثل هذا ؟ .

إن التهاافت على التجديد في تشريع الله مزلة مردية في الهلاك .

ومن خصائص أهل العلم الأمانة أن يحتاطوا لأنفسهم ، ويقلدوا السلف والأئمة فلا يتكلموا إلا عن بينة ، وإيمان ، واطمئنان .

ولأن يكون المفق متحرجا ، ومتهما بقلة عليه ، أو ضيق ذهنه ، خير له وأحب إلى الله من أن يكون فرحا بسمعة زائفة على حساب الدين .

ثم نستطرد قليلا في هذا المقام ، فنقول : إن الله حدد الأشهر باثني عشر شهرا ، وجعل ذلك التحديد منذ خلق السموات والأرض أي منذ صار لهذا الكون وجود شاخص ،

إلى جانب الدين سواء فكلاهما - الدين والعلم -
فيض من جانب الله ، والله حق ، وما خلق
السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ،
ولن يتعارض الحق مع نفسه .

فإذا ما وصل العلم بعد بحوثه الناضجة
المعقولة إلى مخالفة الظاهر من نصوص الدين
فلا بأس من تأويل النصوص بصرفها عن
الظاهر إلى وجهها الحق الملائم لروح التشريع
والمتفق مع توجيهات النصوص البينة الأخرى .

والقرآن نفسه يشير إلى التأويل في المتشابه
- مثلاً - ويشير إلى دراية الراشدين في فقه
الدين .

فلنترك العلم في سبيله وراء الحقائق ولنأخذ
عنه ما يقرره في تناجحه ، وسنرى العلم حتماً
في خدمة الدين كما صاف .

وهذا هو العلم يقرب نظره في آفاق الدنيا
ويحاول أن يثبت تاريخاً للأرض ، ولل البشرية
منذ سكنتها . ويحاول ، ويحاول ... فلا
نضيق به ذرعاً ، ولا نسيء به الظن ، ولنا
من ورائه خير كثير ، والأمر كله من قبل
ومن بعد .

عبد المطلب السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

وكانت حافلة كذلك بأنباء الغيب في عالم
الآخرة .

وكان القصص عن الغيب فيما مضى ، وفيما
يتعلق بالآخرة من قبيل المعجزات للأنبياء -
إلا ما بدلته بنو إسرائيل في التوراة من
حذف أو زيادة .

« تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ،
ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ،
« نحن نقص عليك أحسن القصص بما
أوحينا إليك ، « لقد كان في قصصهم عبرة
لأولي الأبصار . » وكذلك كان الوحي إلى
سابق الأنبياء بكثير من شئون الغيب :
دينيا ، ودنيويا ، وأخرويا .

ونظراً - ثانياً - لأن العلم الباحث
في الكونيات ، وفي العقلية سبيل إلى ثقافتنا
أو للتخلي عن الجهالة كان موضع اهتمام الدين
أو جديراً بامتداحه ، والحث عليه ، والثناء
على أهله .

ولأخرج على الدين من إطلاق العلم في سبيله
ما دام لا يتعدى نطاقه الإنساني ولا يتناول
في غوره على ما قرره الدين .

وحينما يتعثر العلم ، أو يتعارض مع الدين
فسبيل التوفيق بينهما أن يترى العلم في تحقيقه
حق يهتدى إلى الحق ، وحينئذ يحدد نفسه

الإسلام والمدنية الحديثة

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

١ - إن الشرق الآن - في جميع أرجائه - سائر نحو التقدم المادى والتطور الصناعى ، بخطى واسعة .

وهو على وجه العموم ، يتخذ المدينة الغربية مثلاً يحتذى ، ويعتبر الحضارة الراهنة فى أوربا وفى أمريكا نتاجاً بديعاً للعبقريّة والنضوج

ومما لا شك فيه : أن كل محب للشرق ومخلص له ، يحبذ هذا الاتجاه فى جانبه المادى - جانب المعامل والمصانع - ويبحث عليه ، ويدعو إليه ، ويأمل أن يصبح الشرق - عما قريب - مساهماً فى تطور هذا الجانب ، وتقديمه ، فلا يقتصر دوره على مجرد التقليد .

وموقف الدين من هذا التقدم المادى ، حينما يكون وسيلة الانتفاع الإنسانى ، وطريقاً لنفع البشرية ، إنما هو موقف المبارك المشجع .

وإن الدين الذى يذكر كتابه المقدس : أن الله سخر للإنسانية ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ، لا يتأتى أن يقف من هذا التسخير الذى يقوم به الإنسان الآن موقف المعارض .

والروح الإسلامية الصحيحة ، تشجع العلم وتجل العلماء ، والآثار فى ذلك - قرآنية كانت

أو عن الرسول ، صلوات الله عليه ، أو عن أئمة المسلمين - لا تحصى - يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات ، .

« قل هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون ، .
ولأنه لمن المعروف ، أن أول كلمة نزلت من القرآن ، إنما هى « اقرأ » ويقول صلوات الله عليه « العلماء ورثة الأنبياء » .
ويعقب الإمام الغزالى ، على هذا الحديث الشريف فيقول : (ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة) .

ويقول صلوات الله عليه « العالم أمين الله سبحانه فى الأرض » .

وفضل رسول الإسلام ، العالم على العابد فى أحاديث كثيرة .

٢ - هذه الروح ، أنتجت ثمرتها اللازمة لها : أعنى الحضارة الإسلامية ، وقد كان الإسلام مدنية ، وكانت له حضارة ، أنتجت عباقرة أفذاذا : كجابر بن حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الطبيعة ، وأبى بكر الرازى فى الطب ، وغيرهم كثير . وكانوا يحيون حياة كريمة ، وكانت يبتهم

واقدا بدأ علماء الغرب الآن يميلون نحو الإنصاف ، فيتحدثون عن المكتشفات العلمية في الطبيعة ، وفي الكيمياء ، وفي الطب وفي غير ذلك من العلوم التي كان للعرب فضل السبق في اكتشافها ، ويتواضع الغربيون الآن نوعا ما فيما يتعلق بالمنهج التجريبي ، فيصرح بعضهم - كما فعل الأستاذ بريفولت - بأن أسسه وأصوله وضعها العرب .

يتحدث بعض علماء الغرب المنصفين عن المكتشفات العلمية في الحضارة العربية وعن اختراع العرب للمنهج التجريبي وعن أثر ذلك كله في الحضارة الغربية الحديثة فيما يتعلق بنشأتها بل وفيما يتعلق بوجودها .

ومن أجل مظاهر الإنصاف في ذلك عند علماء الغرب الذين يتحدثوا عن هذا الموضوع كلمة الأستاذ بريفولت ، التي تعبر عن حقيقة هي لا شك واضحة كل الوضوح لمن درسوا تاريخ الحضارة العربية . وتاريخ الحضارة الغربية - يقول الأستاذ بريفولت - : « إن ما يدين به علمنا ، لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة ، لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا ؛ إنه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعلم القديم كما رأينا ، لم يكن للعلم فيه وجود ، وعلم النجوم عند اليونان ورياضاتهم كانت علومها أجنبية ، استجلبوها من خارج بلادهم ، وأخذوها عن سواهم ولم تتأقلم في يوم من

الإسلامية محمد لم جهدهم ، وتقدر لهم نبوغهم . وهؤلاء الأئمة الأفذاذ ، هم الذين وضعوا أصول العلم التجريبي ، وبنوا أبحاثهم على الملاحظة والتجربة وقد كان منهجهم وعلمهم يدرس في أوروبا ، فأخذت أوروبا منهجهم العلمي وعزته انتمسها وأقامت عليه حضارتها الراهنة .

والمنهج العلمي للحضارة الحديثة إذا ، إنما هو منهج الحضارة الإسلامية يقول الأستاذ بريفولت : « إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربي ، والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس ، وليس لروجر بيكون ، ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه لغة العربية وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

والمنافشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي ، هي طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوروبية ، وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون ، قد انتشر انتشارا واسعا ، وانكسب الناس في لطف ، على تحصيله في ربيع أوروبا (١) .

(١) من كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام ١٤٩ .

هذا الانتاج وتسيطر على استعماله ، يحتاج إلى شيء من التفصيل :

ذلك أن استعماله يمكن أن يتجه إلى الخير وإلى الرفاهية والسعادة وإذن فإن الإرادة الإنسانية ، التي تتجه به هذا الاتجاه ، لا تجد من الدين ، إلا العون والمساعدة والاعتباط . ويمكن أن يستخدم النتاج المادى فى الشر والإيذاء ، والسلطان والغلبة ، وإذن فإن الإرادة الإنسانية التى أضرت بالإنسانية لا تجد من الدين إلا اللعنة والمقت ...

وإذا كان الدين يقف موقف المعارض من الاستعمال الضار للختراعات فليس معنى ذلك ، أنه يقف موقف المعارض من الختراعات نفسها ، ويجب أن يكون هذا واضحا فى جميع الأذهان حتى لا يأتى قوم لا يميزون بين موقف الدين من الاختراعات ، وموقفه من استعمالها الضار فيصفون الدين بالجود مع أنه بموقفه هذا ، وبتفرقة تلك ، يبلغ الذروة فى هداية الإنسانية والعمل على إسعادها ... وعلى ذلك ، فإنه يمكن اشبيته فى الشرق أن تظمن إلى موقف الدين من الحضارة المادية وأن تعتبره موقف الوحيد ، الذى يجب على كل مفكر ، أن يتخذه مثلاً أعلى ، يعمل على سيادته لخير الإنسانية ...

أما موقف الدين من الثقافة الغربية ، فذلك موضوع آخر يحتاج إلى مقال آخر ...

المركتور ديمر الحليم محمود

رئيس قسم الفلسفة واتوحيد بجامعة الأزهر

الأيام فتمتزج امتزاجا كلياً بالثقافة اليونانية وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث فى دأب وأناة ، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة والبحث التجريبي ، كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليوناني ، ولم يقارب البحث العلمى نشأته فى العالم القديم إلا فى الإسكندرية فى عهدها الهليني . أما ما ندعوه العلم ، فقد ظهر فى أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة والملاحظة والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ، أدخلها العرب إلى العالم الأوروبى (١) .

وإذا تساؤلنا الآن عن موقف الدين الإسلامى من المنهج التجريبي ، ومن العلم المادى ، فإننا نجزم غير مترددين بأن موقف الدين الإسلامى من ذلك ، موقف الداعى المشجع المستحث الأمر ، طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ، دكناً عاماً أو متعلماً ، ولا تسكن الثالثة قهلاً .

٣ - وإذا كان الدين يقف من العلم المادى ، ومن التقدم المادى ، موقف المشجع ، فإن موقفه من النيات والإرادات الإنسانية التى تتحكم فى استخدام

(١) من كتاب التفكير الدينى فى الإسلام ص ١٠٠ .

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

- ١ -

١ - المجتمع :

بل يسع العالم الإنساني بما يشتمل عليه .
ويقتضى إليه من شتى الأمم والأجناس ، فإن
الإنسان حيث كان ، ومهما يختلف به الزمان
والمكان هو هو كما برأه الله حيوان ناطق ،
والناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم
ينتمون إلى أصل واحد ، فهم أسرة كبرى
تتكون من أسر صغيرة تسمى الفصيلة أو
القبيلة أو العشيرة ، وأسر كبيرة تسمى كل
أسرة منها الشعب أو الأمة ، وقد تقاربت
المسافات بما وصل إليه الإنسان من وسائل
المواصلات ، وتقاربت الثقافات بما اخترع
من أجهزة الإذاعة و « التلفزيون » ، وأدوات
الطباعة والذئبر ، حتى صار الواحد هنا يسمع
ما يقال في أقصى الأرض ، وهو جالس إلى
جوار المذياع . ويرى في درر « الحيلة » ،
وعلى شاشة « التلفزيون » ، ما يقع أو يدور
في جوانب الدنيا من أحداث . وقصص .
ومشاهد ، ويقرأ في الصحف والكتب
ما يكتب في مختلف أنحاء هذه المعمورة وقد
كان ذلك خليقاً بأن يوجه الناس جميعاً إلى
التعارف والتعاون على البر والخير لو أن هذه

حيثما يكن اجتماع . ومكان جامع . وروابط
جامعة . تطلق كلمة المجتمع ، فهي تطلق وتصدق
على الأسرة لأنها تتكون من أفراد تجمعهم
روابط النسب . والقرابة . والمكان
والمصلحة المشتركة ، وتطلق على الزرية لأنها
تتكون من عدة أسر تجمعها علاقات المجاورة
والمصاهرة . والمصالح المشتركة . أو المرافق
العامة ، وتطلق على « المركز » ، لأنه يتكون
من عدة قرى متجاورة تخضع لإدارة موحدة
ويلتقى أبنائها في المدارس والمعاهد والمساجد
الكبرى ، والأندية ودور القضاء ، وما يقال
في « المراكز » ، يقال في المحافظات التي تتكون
من عدة « مراكز » ، ويقال في الدولة أو الجمهورية
التي تتكون من عدة محافظات وأقاليم يحكمها
جميعاً قانون واحد ، وتشرف عليها حكومة
واحدة ، ويجتمع أبنائها على عادات وتقاليد
ومصالح مشتركة ، بل إن معنى كلمة « مجتمع » ،
يلتصق حتى يسع الأمة التي تتكون من عدة
شعوب تجمعها وحدة الدين واللغة والجنس

والاذواق ، والواهب والاخلاق ، كما أنهم مختلفون في السمات والملامح ، وقد قيل في تفسير قوله تعالى : « وقد خلقكم أطوارا » إن معناه خلقكم ضروباً وأحوالاً مختلفة أو خلقاً مختلفة كل واحد منكم على حدة وقيل كذلك : إن معناه مختلفين في المناظر والاخلاق ، وقال الفراء : إن معناه : نظفة ثم علقه . ثم مضى . ثم عظما ، . والآية تقسع لكل هذه المعاني وتسع غيرها بما يكشف عنه البحث والتأمل .

ولا شك أن المجتمعات الإنسانية مع اشتراكها في الروابط والصالح والمعاني العامة يختلف بعضها عن بعض في السمات والملامح ويتميز بعضها عن بعض بخصائص وأشكال مختلفة ، كما يتميز الأفراد في الأسرة الواحدة بمواهب وملامح وأشكال مختلفة بل كما تتميز الأوراق والأغصان في الشجرة الواحدة بأحجام وأشكال مختلفة فقد شاعت حكمة الله أن يكون الاختلاف في العناصر أساس خالق هذا الوجود ، وأن يكون ذلك الاختلاف قانوناً مضطرباً في تكوين كل موجود

كما تقع عليه العين أو يقع تحت الحواس ، حتى الكلمة التي يقال أو تكتب لتعبر عن ذات أو معنى تتكون من حروف مختلفة والكلام الذي يقال أو يكتب ليعبر عن شعور أو تفكير يتكون من كلمات مختلفة والدواء

الأجهزة استخدمت في وجوه البر والخير ، ووجهت إلى ما يجب أن تتجه إليه بما يدل عليه قوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » فإن ذلك هو المنطق الطبيعي للمعاني الإنسانية في الإنسان وهو إلى ذلك نداء الله الذي خلقهم ووزقهم وأمرهم أن يستجيبوا له لإذاعهم لما يحجبهم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » ، « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء » ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً .

ولكن هذه الأجهزة لم تستخدم - كما يجب - في الأغراض السلبية ، وإشاعة الأمن والإيناس بين الناس ، وإنما انحرفت بها الأطماع والشهوات إلى خدمة الشيطان ، فأصبحت تستخدم في الحرب الباردة والساخنة وتعمل على إثارة القلاقل والبلابل وإغراء العداوة والبغضاء . وكثيراً ما تستخدم في تخدير الضمير العالمي ، وتضليل الرأي العام .

٢ - لغة الحروف :

والواقع الذي لا سبيل إلى تجاهله أو التغافل عنه ، أن الناس بفطرتهم مختلفون في الميول

والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور .

٣ — المنة مرف :

وإذا كانت العناصر المختلفة لا تؤدي وظائفها إلا بائتلافها مع غيرها . كان الائتلاف ضرورة لا يحيد عنها في إقامة المجتمع الصالح السعيد ، ومن ثم كان من أجل ما من الله به على أبناء هذه الأمة حين شرح صدورهم للإسلام أن ألف بين قلوبهم ، وقال لنبئهم عليه السلام : « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ، وقال يذكركم بهذه النعمة : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منا » . وقد كان العرب قبل الإسلام كما قال جعفر ابن أبي طالب لنجاشي الحبشة : (كنا قوما أهل جاهلية . نعبد الأصنام . ونأكل الميتة ونأني الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار . وبأكل القوى منها الضعيف . فسكننا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة . وصلة الرحم ، وحسن الجوار .

الذى يستخدم في علاج أى داء يتكون من عناصر مختلفة .

فالاختلاف حقيقة طبيعية لا سبيل إلى إنكارها ، وائتلاف العناصر المختلفة لتؤدي مع ائتلافها وظيفة خاصة أو عامة أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، فإن ذلك ما نظامه في كتاب الله المرئى : وهو هذا الوجود بما فيه ومن فيه ، وفي كتابه المقروء وهو هذا القرآن الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، لأنه كما يقول الله : « تنزيل من حكم حميد » ، ومن ذلك قوله تعالى « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون . سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون » . وقوله تعالى : « ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ، وقوله سبحانه : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين » . وقوله جل شأنه : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب

والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا . وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصداقنا وآمانا به .

ثم كانوا بعد الإسلام كما يقول الله : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » ، وكما يقول : « ذكرر على أخرج شطاء فأزروه فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » ، وكما يقول : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

٤ - الاشتراكية :

ولا شك أن النتيجة الطبيعية للألفة التي تجمع بين العناصر المختلفة هي الاشتراكية بمعناها العف الذي ينبع من الضمير ويوصى به الدين ويتحقق به العدل والفضل ، بل إن الاشتراكية العادلة الفاضلة هي النتيجة الطبيعية للواقع المحس الذي يعيش فيه الناس ؛ لأن الإنسان منذ كان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا يستطيع أن يعيش منعزلا عن غيره . منفصلا عن مجتمعه ، فهو في حاجة دائمة لازمة إلى الزارع والصانع والحامد والحاكم ، وكل عامل في المجتمع يؤدي له خدمة مباشرة أو غير مباشرة . وقد عبر الشاعر القديم عن هذه الحقيقة حين قال .

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم
ولنضرب لذلك أبسط مثل وهو الرغيف الذي يأكله ، فإن الإنسان يتناوله بعد هذه أعمال لا يستطيع بمفرده أن يؤديها ، لأن هذه الأعمال يشترك فيها الزارع والطاحن والعاجن والحائك ، والبائع ، وما يقال في الرغيف يقال في غيره من كل ما يحتاج إليه في المسكن والملبس والمأكل وما إلى ذلك من الضروريات ، وكذلك شأنه في كل ما يتمتع به من الكماليات ، بل إنه - دون غيره من بقية أنواع الحيوانات - يشعر دائما بمحاجات متزايدة لاسيما إلى إشباعها وإفئادها ، وهذه الحاجات - على تجددتها وتزايدها -

تطلب التوزيع والتنويع في العمل وتحريك كل القوى والمواهب للإسهام في الإنتاج ورفع مستوى الدخل العام ، فليس من العدل ولا من المصلحة أن يستأثر كل إنسان بخيره ، فيقتنع به دون غيره وليس من الخير أن يحرم المجتمع من مواهب وقوى يعطلها الحرمان . أو يشلها الظلم عن المشاركة في العمل وزيادة الرخاء والثراء ...

ومن ثم كانت الاشتراكية في الإسلام هي ما يفهم من قول الله : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

وسنعرض لها في شيء من التفصيل ؟
(يتبع)

عبد الرحمن فودة

العلماء سُفراء وفادة^(١)

للأستاذ محمود الشرقاوى

كانت للعلماء ، فى جميع عصور الإسلام ، الريادة والقيادة : يرودون الحياة أمام الناس ويقدمون لهم ثمرة هذه الريادة من العلم والتجربة والثقافة والفضائل والتقوى . ويقودونهم - أفراداً وجماعات - إلى طريق الخير والفلاح . وفى بعض عصور التاريخ نجد لهؤلاء العلماء ريادة أخرى وقيادة للسياسة والثورة فى سبيل رفع الظلم ورد العدوان . كان ذلك أوضح ما يكون الوضوح فى مصر فى القرن الثامن عشر ، حين أخفى الظالمون فى ظلمهم واعتدى المعتدون على وطنهم . فى هذا القرن كانت تقوم ثورات شعبية كثيرة يهب فيها أهل مصر لرد عدوان الظالمين - وعقابهم أيضاً - وكان العلماء يشاركون الشعب إحساسه وثورته ، بل كثيراً ما كانوا يقودونه فى ثورته ، ويحرضونه .

الشيخ الدردير بقود ثورة

وللشيخ أحمد الدردير ، وكان مفتياً للبالكية ومن أكبر علماء عصره ، فى ذلك مواقف كريمة نذكر بعضها منها :

فى يوم من أيام ربيع الأول من سنة ١٢٠٠ هـ (يناير ١٧٨٦ م) قام حسين بك شفت (١) أحد كبار المماليك ، ومعه طائفة من جنوده قاصداً منطقة الحسينية واقتحم دار رجل اسمه أحمد سالم الجزار ، كان رئيساً على دراويش الشيخ البيوى ، ونهب الأمير حسين دار هذا الشيخ . وفى صباح اليوم التالى ثار جماعة من الحسينية ، وخرجوا إلى الأزهر ، وشكوا أمرهم إلى الشيخ أحمد الدردير ، فشجعهم فى ثورتهم ، وغضب لهم وقال لهم أنا معكم . فقام الغاضبون إلى أبواب الأزهر فغلقوها ، وصعدت طائفة منهم على المآذن يصيحون ، ويدقون الطبول ، وانتشر الناس فى الأسواق وقد ظهر عليهم الغضب والتحفز ، وأقفل التجار متاجرهم . فلما رأى الشيخ الدردير ثورتهم هذه قال لهم : موعدنا غداً لنجمع الناس من أطراف المدينة ، وبولاق ومصر القديمة ، وأسير معكم إلى بيوت هؤلاء الأمراء نهبها كما ينهبون بيوتنا . وسينصرنا الله عليهم ، أو نموت شهداء . وبعد ساعات

(١) يقول الجبرتى إن « شفت » معناها الله دى والأرجح أنها محرفة من كلمة « جفت » التركية . بهذا المعنى .

* فصل من الطبعة الثالثة لكتابتنا : « دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مصر فى القرن الثامن عشر » .

الشيخ عباس ووقف المغاربة :

وقبل ذلك بعشر سنوات آلت بعض الأوقاف المحبوسة على طلبة العلم إلى طلبة المغاربة ، ولكن واضح اليد سجّد هذه الأيلولة وأبى أن يسلم الحق لأصحابه ، ولجأ في ذلك إلى الأمير يوسف بك أمير الحج فنصره هذا على باطله ، وأقام المغاربة دهوراً أمام القاضي فأثبت لهم حقهم ، ولكن الأمر كبر على يوسف بك ، وأبى أن يمتثل لحكم القضاء ، بل أمر بالشيخ عباس - زعيم المطالبين بوقف المغاربة - أن يساق إلى السجن . فلما ذهب رسل الأمير يوسف بك إلى الأزهر لآخذ الشيخ عباس طردهم الأزهريون وسبوه ولم يمكنهم منه ، ثم قصدوا إلى الشيخ أحمد الدردير فأخبروه الخبر ، فكتب الشيخ إلى يوسف بك ألا يتعرض لأهل العلم ، وألا يعاند في حكم أصدره القاضي ، وأرسل الشيخ كتابه هذا إلى يوسف بك مع شيخين أخاها لئلا يظن ذلك . فلما وصل الشيخان برسالة الدردير أمر يوسف بك بالقبض عليهما وزجرهما جزاً شديداً ثم سجنهما . ووصل خبر ذلك إلى الشيخ الدردير ، وأهل الأزهر ، فاجتمعوا عند الصباح وأبطلوا دروس العلم ، والأذان ، والصلاة . وأقفلو أبواب الجامع . وجلس العلماء عند القبلة القديمة . وكان الأزهر يموج بالناس ، فصعد الصغار منهم إلى المنارات والمآذن يكثر من الدعاء على الأمراء . وشارك

من النهار أرسل إبراهيم بك : شيخ البلد وكبير الممالك ، نائبه ، وأميراً آخر إلى الشيخ الدردير يرجوه أن يرسل إليه قائمة بجميع ما نهب من بيت الشيخ الجزار حتى يرده إليه .

وفي شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها كان مولد السيد البدوي ، في طنطا ، وكان الشيخ الدردير في المولد ، وجاء كاشف^(١) الغربية ، من قبل إبراهيم بك ، ففرض على الناس مغارم ثقيلة ، وأخذ لإبلا لبعض الأعراب كانوا يبيعونها في المولد ، فشكوا أمرهم إلى الشيخ ، فأمر بعض أتباعه أن يذهبوا إلى الكاشف ، فخشوا بطشه ولم يذهبوا ، فركب الشيخ بنفسه ومعه بعض أتباعه ، وكثير من العامة . فلما أقبل على خيمة الكاشف ناداه فخر إليه . وكله الشيخ ، وهو على ظهر بغلته ، وقال له : إنكم لاتخافون الله ، واشتد عليه بالزجر والتأنيب . فلما رأى الناس ذلك خرجوا عن طورهم ، وضربوا نائب الكاشف ، وقامت فتنة بينهم وبين الجند ضرب فيها وأسر واحد من أتباع الشيخ ، وذهب كاشف المنوفية وكاشف الغربية بعد ذلك يعتذران إلى الشيخ ، ولما عاد إلى القاهرة قدم إبراهيم بك بنفسه إلى منزله معتذراً ومعه كبار الممالك .

(١) كاشف : حاكم .

فيه إسماعيل بك بأن يجيب رغائبهم ويقبل جميع ما يطلبون ، وقال إن ضيقه في ذلك الشيخ السادات ، وظل إسماعيل بك يرسل المتترسين داخل الأزهر يوما كاملا حتى استجابوا ، وفتحوا أبواب الأزهر ، وكان مما شرطوه على إسماعيل بك ألا يمر الأغا ، ولا الوالى ، ولا المحاسب قريبا من الأزهر .

الشيخ السادات يفرود الثورة :

كان الشيخ السادات ، من أكبر الشيوخ مقاما ، وأعظمهم شأنا ، وأوسعهم جاها وثروة ، وأعزهم منزلة لدى الناس ، ولدى الأمراء على السواء . ولكنه ، مع اختيار نابليون له عضواً في الديوان ، وزيارته له في بيته ، كان من أكبر خصوم الفرنسيين ، والمحرضين على الثورة عليهم .

فعندما قامت ثورة القاهرة الأولى تبين أن زعيمها الأول هو الشيخ السادات . ونبت لديهم ذلك حتى أمر الجنرال كليبر بإعدامه ، ولكن نابليون رده عن ذلك ، مع يقينه من زعامته للثورة ، وقال : إن قتل شيخ في مكانة السادات يضر أبلغ الضرر بمركز الفرنسيين ، ويزيد في حقد المصريين وكراهتهم له .

ثم قامت ثورة القاهرة الثانية على الجنرال كليبر . وكان السادات من المحرضين عليها . فجاءت فرصة كليبر لشفاء ما في نفسه

الشعب أهل الأزهر شعورهم بالسخط واحتجاجهم على الظلم ، فغزت الحوانيت والمتاجر ، وعرف الأمراء ما جرى فأرسلوا إلى يوسف بك ليطلق سراح الشيخين ، فأطلقهما ، وأرسل شيخ البلد إبراهيم بك ، كبيراً من رجاله إلى العلماء ، فلم يستطع لإرضاءهم ، وجاء كبير آخر يطلب إلى الناس أن يفتحوا متاجرهم ، وينصرفوا لشأنهم .

فذهب إليه طلبة الأزهر ، وجموع من الشعب بأيديهم العصي والمسارق ، وضربوا أتباع هذا الكبير ورجعهم بالحجارة . فأطلق عليهم هو ورجاله الرصاص . وقتل ثلاثة من الطلبة ، وجرح بعض أفراد الشعب وخشى الأمراء بعد ذلك أن يتفاقم الخطب ، وتزيد ثورة الشعب والعلماء اشتعالا ، فأرسلوا في اليوم التالى كبيراً منهم ، مع الشيخ السادات ، وآخرين من الأمراء . ورأوا من الحكمة ألا يذهبوا إلى الأزهر ، في وسط هذه الفتنة جلسوا في مسجد الأشرف ، وأرسلوا إلى أهل الأزهر ومن معهم من الثائرين ، أن طلباتهم أجيبت ، فلم يقنعهم ذلك ، ولم يتركوا أما كنهم . فلم ير إسماعيل بك ، كبير الأمراء ، بدا من أن يذهب بنفسه لإيهم ، فنزل مع الشيخ السادات ، ولم يستطع أن يواجه الثائرين داخل الأزهر ، فجلس مع السادات في مسجد المؤيد ، وأرسلوا إليهم كتابا تعهد

التي كانت محبوسة على زوجة أجداده .
وشرطوا عليه الا يجتمع بالناس ، وألا يخرج
إلا بإذنهم ، وأن يقتصد في نفقاته ، وينقص
عدد أتباعه وخدمه .

ومخاف منه الـ'راك' أيضا :

وعندما قدمت الحملة التركية الانجليزية
لحرب الفرنسيين وإخراجهم من مصر ،
سنة ١٨٠١ ، وعلم الجنرال منو ، نائب
نابليون وقائد الجيوش الفرنسية ، أنها نزلت
أبـ'قير في الإسكندرية ، أمر ، للمرة الرابعة ،
بالقبض على الشيخ السادات حتى لا يثير
المصريين عليهم . وسجن في القلعة ، وبقي فيها
سجينا حتى بارح الفرنسيون مصر

وقد مات ابن الشيخ السادات وهو في السجن
فلم يسمحوا له بالخروج يراه ، بل أذنوا له
بالسير في جنازته تحت الحراسة ، ثم أعادوه
إلى السجن .

ومن مواقف الشيخ السادات الوطنية
الكريمة ، أنه عندما أضرت الحرب والحصار
بالثـ'مرين في القاهرة ، التزم بالإنفاق
على المحاربين والمجاهدين في المنطقة التي كان
يقيم فيها ، عند قناطر السباع .

ومات الشيخ السادات بعد ذلك في مارس
سنة ١٨١٣ في عهد محمد علي بعد أن عرف
له الناس وبجل التاريخ هذه الشجاعة
وهذا البذل .

محمد الشرفاوى

من السادات . وكان يذكر نصيحة نابليون
فلم يقتله . ولكنه أوقع به من العذاب والمهانة
شيئاً كثيراً . حيث فرض عليه ضريبة فادحة ،
قدرها مائة وخمسون ألف فرنك . فلما رفض
أن يدفعها أمر بسجنه في القلعة . وكان ينام
على التراب ، ويمشون به على قدميه في شوارع
القاهرة ، ويضرب في صباح كل يوم خمس عشرة
عصا ، ومثلها في كل مساء . وحبسوا أتباعه
وخدمه . وطلبوا زوجه وابنه فلم يجدوها .
فعذبوا خادما له عذابا شديداً حتى دل
على مكانهما ، فسجنوهما . ووضعوا معه
زوجته في سجن واحد ، فكانوا يضربونه
أمامها ، وهي تبكي . وهاجوا داره ، ففقدوها
ونهبوا ما كان فيها من مال ومتاع وحفروا
أرضها للبحث عما فيها من سلاح ومال .
وجعلوا على يده عشرين حارسا . وعندما
أعادوا تشكيل «الديوان» (١) أخرجه م . م .

وبعد أن أنزلوه من القلعة عادوا فسجنوه
فيها مرة أخرى خمسين يوما ، ثم أخرجه
بعد أن أتم دفع ما فرضوا عليه ، ولكنهم
عادوا فصادروا جميع ممتلكاته وإقطاعياته
- وكانت شيئاً كثيراً - وحبسوا مرتبته
وأوقافه وأوقاف زوجاته ، وبيع الأوقاف

(١) عندما دلى نابليون القاهرة ألب «الديوان»
من طبقتين « المعوى » و « الحصوى » وكان
الأخير يتألف من كبار العلماء والتجار وأهل الرأي
والمثلة من المصريين . وكان رئيسه الشيخ عبد الله
الشرفاوى ومن أبرز أعضائه الشيخ السادات .

من معاني القرآن

« إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم . »

ويصدون : يمنعون ويصرفون الناس .
سبيل الله : طريقه الذي شرعه وصرأطه المستقيم ، ومعناه واسع جامع يتناول كل بر وخير .
والمسجد الحرام هو الذي أوجب الله تعظيمه واحترامه ، ونهى عن انتهاك حرمة ، وهو المسجد الذي تقوم فيه الكعبة ، وتسمى مكة البلد الحرام كذلك ، لأن الله كرّمها بوجود البيت فيها .

ويصدون : يمنعون ويصرفون الناس .
سبيل الله : طريقه الذي شرعه وصرأطه المستقيم ، ومعناه واسع جامع يتناول كل بر وخير .
والمسجد الحرام هو الذي أوجب الله تعظيمه واحترامه ، ونهى عن انتهاك حرمة ، وهو المسجد الذي تقوم فيه الكعبة ، وتسمى مكة البلد الحرام كذلك ، لأن الله كرّمها بوجود البيت فيها .
العاكف : المقيم الملازم للإقامة ، والباد : الطارىء عليه من البادية أو من الخارج .

والمستقيم ، ومعناه واسع جامع يتناول كل بر وخير .
والمسجد الحرام هو الذي أوجب الله تعظيمه واحترامه ، ونهى عن انتهاك حرمة ، وهو المسجد الذي تقوم فيه الكعبة ، وتسمى مكة البلد الحرام كذلك ، لأن الله كرّمها بوجود البيت فيها .
العاكف : المقيم الملازم للإقامة ، والباد : الطارىء عليه من البادية أو من الخارج .
إلحاد : ميل عن القصد وعدول عن الحق ، يقال ألحد السهم عن الهدف عدل عنه .
وألحد فلان عن الحق عدل وأدخل فيه ما ليس منه ، وألحد في الحرم استحل حرمة .

إلحاد : ميل عن القصد وعدول عن الحق ، يقال ألحد السهم عن الهدف عدل عنه .
وألحد فلان عن الحق عدل وأدخل فيه ما ليس منه ، وألحد في الحرم استحل حرمة .

المعنى :

إن الذين كفروا بالله ورسله . وهم مع كفرهم يمنعون غيرهم عن الإيمان ، ويصرفونهم عن الطريق الذي شرعه الله . . والدين الذي ارتضاه ، والمسجد الذي عظمه وحرّمه .

عبد الرحيم فردوس

أحمد أمين

للأستاذ عبد المعطي المسيري

متواضعة يقول فيها « إنه كان يقرأ ، وبلخص ما قرأ وما هو يطبع ما لخص » .

يقول هذا وهو يؤدب الفلسفة لينتفع بها الأدباء فيلسفوا الأدب ...

ونقرأ فيض « خاطره » ، أو « حياته » ، فتظن أن الرجل قد وقف حياته على الأدب الحاضر ، ففي الكتاب الأول يتناول مختلف فنون الأدب ، فيكتب الدراسات الفنية ، والنقدية ، ويصور الحياة في شق مظاهرها ومشاهدها ... وفي الكتاب الثاني يكتب ترجمة ذاتية لحياته ، فيسجل ما ألح عليه ، وما اضطرب فيه ، فإذا بالكتاب صورة كاملة الملاح ، واحة الأجزاء ، لجيله وبيئته وجمتمع ، ويسد بذلك فراغا تشكومنه المكتبة العربية لفقرها من كتب الترجمات .

ويغوص في أحماق الأدب الشعبي فيضع قاموس اللغة والتقاليد والتعابير ، ذلك القاموس الذي كنا في أشد الحاجة إليه ، والذي كان يحتاج لإعداده ووضعته إلى عدة رجال . فهو لم يدع شاردة ولا واردة مما يضطرب على ألسنة الشعب في السوق والبيت والحارة ، إلا وضمنه الكتاب ، هذا بالإضافة إلى اهتمامه بالأمثال والأساطير والصور المتنوعة لحياة الشعب ...

أثرى أحمد أمين المكتبة العربية بما قدمه من إنتاج قيم ، يضيف إلى معلومات قارئه معارف ومفاهيم جديدة في مختلف العلوم والآداب . وأرخ بأسلوبه الرائع عهداً مجيداً للعلماء وكيف تحظى بمحورهم بحظ الأدباء ، فأنت تقرأ الكتاب الذي يعالج فيه كتابة التاريخ فتراه من ناحية الأسلوب كأنه نموذج للأدب الرفيع ، ومن ثم جمعت آثاره بين عمق العالم وشاعرية الفنان .

تقرأ الكتاب فلا تود أن تتركه حتى تفرغ منه . . ولا تدعه إلا لتبدأ في الرجوع إليه ، ومع هذا فأنت تقرأ العلم ! تقرأ الفلسفة ، أو التاريخ ، وقد تعودت أن تقرأهما بأسلوب العلماء !!

تقرأ قصة الفلسفة اليونانية ، قصة الرجل الأول الذي ينظر في الكون سائراً : ما هذا ؟ ولم هذا ؟ وكيف هذا ؟ ويرتقي ذلك الإنسان ويقطع المراحل ، وتتعاقب الأجيال ، وتتصل الحلقات حتى تصل إلى العصر الذي نعيش فيه مسجلة لمختلف الفلسفات ونموها وتطورها ، وذلك في عرض فني ليس بعده غاية لفنان ، ومع هذا المزج بين العلم والأدب ، وما يتطلبه ذلك من شمول وتمحيص العالم ، وانفعال وتوثب الأديب يقدمه صاحبه بمقدمة

الكبير السن ، الكثير المسؤوليات أن يتعلم الانجليزية وذلك على أثر حديث لصديق عن كتاب للمستشرق الأمريكي ماكدونالد تناول فيه نظام الحكم وتاريخ الفقه ، والمذاهب والعقائد في الإسلام ، فيقسم أن يقرأ هذا الكتاب في لفته !! .

ويوفقه الله فيرب يقسمه ... يذهب إلى مدرسة « برليتز » ، ويبدل المجهود الشاق فيقرأ في البيت ، ويحفظ في الطريق ، ويذاكر وهو يراقب الامتحانات ، ويراجع وهو يشرف على حصص الدروس ولم يكن في فصل يتعاون فيه مع الطلبة ولا في بيئة تعودت سماع لغة أجنبية ولذلك يقول له الشيخ الحضرى : « قد جرب هذه التجربة مئات من طلبة دار العلوم فساروا خطوات ثم وقفوا ، فيرد عليه بقوله : « سأجرب كما جربوا ، ولكن سأنجح إذا فشلوا » .

وبجهد نفسه فيعكف على كتاب الإسلام للسيد « أمير علي » ، يحاول أن يقرأه في الانجليزية وكان يجلس في الصفحة الواحدة ثلاث ساعات ، يكشف في المعجم عن كل كلمة وهو جاد صابر ...

ويوفقه الله إلى انجليزية تدعى « مس « بور » ، وهي مثقفة تنشر المقالات في جريدة التايمز - فتحدث المعجزة ويلم تمام الإلمام باللغة الانجليزية وأدبها ...

يتحدث عن ذلك فيقول : « ماذا كنت

كان على تواضعه الشديد يعرف لنفسه قدرها . . سأله مرة أحد الصحفيين عن أثر تعيينه عميداً لكلية الآداب فكان جوابه : « لأننى أصغر من أستاذ ، وأكفى أكبر من عميد !! » .

ويطيب له أن يكشف عن حياته فيقول : « كنت في بدء حياتى العلمية كثير الفراغ ، أصرفه في القراءة والكتابة ، فألفت لجزر الإسلام وضحا . . ثم قل فراغى لاشتغالى بكثرة المجالس واللجان ، فأنا عضو في المجمع اللغوى ، وفي مجلس دار الكتب ، ومجلس كلية الآداب ، ودار العلوم ، ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر . والجامعة الشعبية ، ومذيع في الراديو ... وكل هذه أكلت من وقتي ، وبعمرت زمنى ، ووزعت جهدى مع قلة فائدتها فيما أعتقد ولو استقبلت من أمرى ما استبرت لرفضت كل هذه الأمور ، ولفرغت لتمام سلسلة جزر الإسلام وضحا ، وظهره ، وعصره ، فقد كان ذلك أجدى وأنفع وأخلد ، ولكن للظروف أحكام ...

ويتحدث عما يروقه في الأدب فيقول : « أكثر ما يعجبني في الأدب ما غزر معناه ، ودق مرماه ، ولذلك لا يهتز قلبي لأكثر شعر الطبيعة في الأدب العربى لبغائه على الاستعارة والتشبيه ، لا على حرارة العاطفة .

* * *

ويخطر له وهو الفقيه القاضى الشرعى

من النقاد والمستشرقين بالثناء والتقدير ...
يقول الدكتور طه حسين : « ولست
أخفى أنى لم أكن أعرف حدا لهذا الدهش
الذى كنت أجده حين أرى أحمد أمين
يتصرف فى المسائل الأدبية والفلسفية واللغوية
بقدم ثابتة ، ويد صناع ، وعقل يعرف
كيف يفكر ، وكيف يفكر من قضية إلى قضية ،
ومن مقدمة إلى نتيجة ، وكيف يضع الأشياء
بعد ذلك كله فى نصابها معتدلا أحسن اعتدال ،
لا يعرف التقصير ولا يعرف الإسراف ...
والحق أن الدكتور طه حسين لم يجاوز
الحق فى هذا الحكم ، فؤرخ الحياة الإسلامية
قد بعثها فى صورة واضحة بأسلوب بين المنهج ،
سهل المخرج ، لها من جلال العالم الحظ
الأوفر ، ومن رقة الشاعر النصيب الأكبر ،
هذا فوق تفردا بطابع العصر الحديث .
فقد أرخ المرحوم أحمد أمين بفجر الإسلام
وضحا صفحة مجيدة للتاريخ فى الأدب العربى
لم يسبقه إليها مؤرخو العربية إذ كان ينقصهم
فوق التحرر من لفهم وعاداتهم وحزبيتهم
الإحاطة بالمناهج العلمية الحديثة التى تجعل
نصيب الاستقراء والاستنباط والتحليل
فوق نصيب الالفاظ والتراكيب ، فثلا
مسألة كنضال الفرق الإسلامية كيف كان
يتم تكوين فكرة سليمة من درس الكتب
القديمة التى تزخر بمختلف الآراء ، وتعدد
الروايات ، وبخاصة أن كتابها كانوا كثيرا

لوم أجتر هذه المرحلة ؟ لقد كنت ذا عين
واحدة ، فأصبحت ذا عينين ، وكنت أعيش
فى الماضى ، فصرت أعيش فى الماضى والحاضر ،
وكنت أكل صنفا واحدا من مائدة واحدة ،
فصرت أكل من أصناف متعددة على موائد
مختلفة ... لولم أجتر هذه المرحلة ثم كنت
أديا ، لكنت أديبا رجعيا يعنى بزويق اللفظ
لا جودة المعنى ، ولو كنت مؤلفا لكنت
جماعا أجمع مفترقا ، أو أفرق مجتمعا من غير
تمحيص ولا نقد ... فأنا مدين فى إنتاجى
الضعيف فى الترجمة والتأليف والكتابة إلى
هذه المرحلة من المراحل الأولى ...

وكان مضرب الأمثال فى الدأب والجد
والصبر ... يتفق مع زميله عبد الحميد
العبادى وطه حسين على تأريخ الحياة
الإسلامية ... على أن يكتب العبادى التاريخ
ويكتب طه حسين الحياة الأدبية ، ويتناول
هو الحياة العقلية ، ثم ينصرف كل إلى شأنه
وتلح المشاغل على الاثنين — العبادى
وطه ... فلا يصنعان شيئا ، فأما هو فينجز
ما التزم به وينشر فجر الإسلام ... ثم يقدر
أن صاحبيه قد انصرفا عما اتفقوا عليه
فيعكف على الموضوع فينجز ما كان سيضطلع
به الجميع ... وتظفر المكتبة العربية بذلك
المرجع العظيم للحياة الإسلامية ... ويتتابع
حدود أجزاء فجر الإسلام وضحا فتعظى

في شيء ، ولعل نقطة الضعف فيهم أنهم أفرطوا في قياس الغائب على الشاهد ، أعني في قياس الله على الإنسان ، وإخضاع الله تعالى لقوانين هذا العالم فقد ألزموا الله تعالى مثلاً بالعدل كما يتصوره الإنسان وكما هو نظام دنيوى ، وفاتهم أن معنى العدل - حق في الدنيا معنى نسبي يتغير تصوره بتغير الزمان ، وأن ما كان عدلاً في القرون الوسطى يعد ظلماً الآن ، فكيف إذا انتقلنا من عالم الدنيا إلى عالم الله وكذلك الشأن في قولهم في الحسن والقبح ، والصالح والأصلح ، إنا نرى أن الإنسان إذا ضاقت نظره حكم على الأشياء حكماً ، فإذا اتسع نظره تغير حكمه ... فمن نظر فقط إلى أسرته كانت بعض أحكامه خطأ بالنسبة لمن اتسعت نظرته إلى أمة أو إلى الإنسان عامة ، ونحن في أعمالنا ننظر إلى عالمنا ، والله تعالى رب العالمين قد ينظر في أعماله إلى جميع العوالم ما نعلم منها ، وما لا نعلم ، فكيف نخضع الله لتصور العدل الذى تتصوره نحن في عالمنا هذا - كذلك قولهم في أن صفات الله هي عين الله أو غير الله ... كل براهينهم مبنية على قياس الغائب على الشاهد ولكن الشبه بمعدوم ، وقد فرضوا أن العينية والغيرية والزمانية والمكانية لازمة لكل موجود ، وهذا في نظرى خطأ محض فهى قوانين إنسانية ، وإن

ما يعمدون إلى إرضاء فريق يدينون برأيه دون مراعاة للحق والتاريخ .

إنهم كانوا واحداً من اثنين ، فريق يشرح وجهة النظر لكل فرقة ويقف ههنا هذا الحد وفريق آخر يعرض لكل رأى ويبدى حجته ولكنه يعمد إلى نقض حجج الرأى المخالف لها بأسلوب يسفه فيه هذا الرأى ، وهكذا ظل تاريخ تلك الفرق ينقصه من يشرح وجهة النظر ويحللها ... ينقصه القاضى العادل الذى يحكم بعد إمعان النظر - من غير حرج ولا تسفيه ، إلى أن أتبع له أحمد أمين الذى يقول : « إن من طلب العلم ودعا إليه علم أن العنف يدعو صاحبه إلى العنف والإصرار عليه » ادع إلى سبيل ربك بالحسنة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . وعلى سبيل المثال نعرض لمناقشة أصل من أصول المعتزلة ، ولعله أهمها وهو العدل يقول : لقد وقفوا - المعتزلة - أمام مشكلة المثوبة والعقوبة فأروا أن ذلك لا يكون له معنى إلا بتقرير حرية الإرادة في الإنسان ، وأنه يخلق أعمال نفسه ، وأن في إمكانه أن يفعل الشيء ولا يفعل ، فإذا فعل بإرادته وترك بإرادته كانت مثوبته أو عقوبته معقولة عادلة ، أما إذا كان الله يخلق الإنسان ويضطره إلى العمل على نحو خاص ، فيضطر المطيع إلى الطاعة ، والعاصى إلى العصيان ثم يعاقب هذا ويثيب ذاك فليس من العدالة

وهذا النظر الشيوعي إلى الإمام يلقى على تاريخ الفاطميين وعلى الدولة الشيعية ضوءاً قوياً مفسراً لسر تقديس الناس لهم حتى يبلغ الأمر أن يقول شاعرهم :

ما شئت لا ما شئت الأقدار

فاحكم فأنت الواحد القهار

ثم ينتقل إلى أثر الفرق في الأدب فيشير إلى الممثلة الذين أغنوه من حيث المعاني وقوة العقل، وسعة الدهن، وتوليد الأفكار العقلية ونظرهم إلى الكون وإلى الطبيعة وإلى إجراء التجارب عليها ودلائلها على خالقها، وغوصهم على المعاني غوصاً وتقلهم الأدب من لفظ رشيق، إلى معنى عميق ...

ثم يتحدث عن الشيعة وكيف أثروا على الأدب من الناحية السياسية والعاطفية فقد أكثروا من القول في الحق وطلبه، والإرث وغصبه، ثم يبيكون على حق ضائع ودم أريق وحرمان انتهكت، ويموت دمرت، وجشت صلبت وذريت ...

وهكذا كان للناس من الأديين جميعاً فكر وعاطفة، وعقل وقلب ... وكلاهما لا بد منه ولا غناء عنه للأدب ...

وبعد فهل تراني قلت شيئاً عن الكريم الفقيد ؟

رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما أسدى للعربية - أمة ولغة - من خير وفضل ؟

عبد المعطي المسيري

تساعنا قليلاً قلنا : إنها قوانين عالمنا هذا ، ولسنا نستطيع القول بأنها تنطبق على غير عالمنا أو لا تنطبق فأصدار حكمننا على الله اعتقاد أنها قوانين شاملة للإنسان جرأة لا يرتضيها العقل الذي يعرف قدره ، ولا يعدو طوره .

من خلال هذه السطور نقدر المنهج الذي سلكه أحمد أمين في التاريخ ، ومن خلالها أيضاً نقدر كيف اتحد عمق العالم ، ويراغ الشاعر محققاً بذلك أملاً كنا نهتف به وتمناه .

وفي مناقشته لقول الإمام على في « المتعة » ما يلقى الضوء على نظريته للإصلاح الاجتماعي فبعد أن صور شناعة ذلك الأمر وتسهيله للإباحة وما تجره من فساد واستهتار يقول : « وإذا كان المثل الأعلى للأسرة زوجاً واحداً وزوجة واحدة ، وعروة وثقى باقية أبداً في سعادة ينشأ في أحضانها الأبناء والبنات ، فما بعد فكاح المتعة عن المثل » .

ثم يعرض إلى رأى الشيعة في الإمام وكيف أنها لا تتفق مع الإيمان الصحيح ، ولا تستقيم مع النظر المستند إلى الطبيعة ، فهم يرون أن الإمام معصوم ، وأنه مشرح ومنفذ ، ولا يسأل عما يفعل والخير والشر يقاس به فما عمله فهو خير ، وما نهى عنه فهو شر ! ليس في ذلك إفتاء للعقل ، وتسليماً مطلقاً لتصرفات لا يقرها الشرع ولا العقل ولا الطبيعة ؟ !

نظريّة الإلحاح بين المستشرقين والمسلمين للدكتور صلاح الدين عبد الوهاب

الاستشراق :

في السيطرة على قلب البلاد الإسلامية ومشرق الدعوة إلى هذا الدين الحنيف ، وهو الشرق الأوسط ، وهدم كل آثار هذا الدين ونزع تعاليمه من قلوب من يدينون به ، والحد من تقدمه وانتشاره عن طريق استعباد بلاده وأبنائه قبل أن يهدد انتشاره الكنيسة ، ويعمل على تقويض أركانها .

ولم يتم للغربيين ما أرادوه . وفكصوا على أعقابهم مدحورين بعد أن دارت رص الحرب زهاء قرن من الزمان على فترات متفاوتة .

واسكن هذا الروح لم تخمد في نفوس رجال الكنيسة خاصة والغربيين عامة بل منهم حملوا للإسلام والمسلمين هذا الشعور الهدام الذي ظهر واضحا جليا في الاستعمار الحديث منذ القرن الثامن عشر .

وكان هدف هذا الاستعمار الغربي دائما هو :
(١) إضعاف القيم الإسلامية ومحاولة تشكيك المسلمين في دينهم .

(٢) تمجيد القيم المسيحية ومحاولة العمل على نشرها .

كانت أول مقدمات الاستشراق في التاريخ هي الحروب الصليبية في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين ، إذ وجهت الكنيسة في أوروبا الدعوى في جميع الدول الأوروبية إلى المساعدة في تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين ، وصورت لهم المغارة التي ولد فيها السيد المسيح ، والبحيرة الرائقة التي سار عليها ، والهيكل الذي خطب فيه ، والأعشى الذي جعله مبصرا ، والمرأة التي حبس نزيها ، فالجند محيطين به والطريق مخضبا بدمائه ، ثم أعمدة خشبية يجرها من ورائه وقد جعلت لكي يصلب عليها ، وقد تم صلبه ومات ليخلص البشر من خطاياهم (هكذا يعتقدون) . أفيدع المسيحيون كل ذلك لمحمد وجماعته ؟

ونشبت الحروب الصليبية وهي لم تكن في حقيقتها وفي الباعث عليها حبا في تخليص بيت المقدس ولا رغبة في استرداد قبر المسيح وهيكله ، بقدر ما كانت خوفا متأججا في نفوسهم من الإسلام والمسلمين ، ورغبة

حياتهم وجهودهم العلية على هذا العمل، ومن هؤلاء الأساتذة المعاصرين جيب Gib وفون جروتوم ودانيسل وروزثال وكاتسن وأندرسن وسوتيان وآريرى والفريد جيوم Gillaum وميليو Milliet الفرنسى ولامانس ووات Watt وغيرهم .

فعلى أن نهم كثيرا بهذا التيار المعادى وأن تتبع خطوات الإمام الشيخ محمد عبده في رد هذا الهجوم بكل ما في الوسع من جهد .

وكان جل ما اعتمد عليه المستشرقون في رسالتهم الهدامة هو نفي أن الإسلام دين موحى به من عند الله . أما طريقهم إلى هذا الهدف فهو التشكيك في رسالة محمد بإثبات بشرية القرآن ، وأنه كان يتصنع الوحي ، أو أن ما كان يبدو عليه حين الوحي إنما هي أعراض مرضى عصبي ، ثم أخيرا إلقاء الريب في قلوب المسلمين عن طريق مناقشة موضوع انعدام المعجزات الحسية على يد النبي صلى الله عليه وسلم .

أولا : إثبات بشرية القرآن :

ويقدم دليلهم المدعى على نظريتين :

النظرية الأولى : القرآن فيض من خاطر محمد أو انطباع لإلهامه :

ومن القائلين بهذه النظرية المستشرق المجري اليهودى جولدتسيهر إذ يقول إن محمدا تأثر « بالمناصر الأجنبية » ، التي كانت تسود

وكان أول حدث علمي في تاريخ الاستشراق هو مكتب الترجمة الذى أمر « ريموند » أسقف طليطلة بإنشائه عام ١١٣٠ ميلادية ، فترجم أعمال ابن رشد وابن سينا والفارابى والكندى . ثم قام هذا المكتب بعمل أول ترجمة عرفت في التاريخ للقرآن وعرض الأسقف كنيث kennett هذه الترجمة عام ١١٤٣ م على دكلىنى لدراستها والرد عليها . فكان هذا هو أول ما عرف عن الاستشراق الغربى .

والاستشراق اليوم علم قائم بذاته . ففي كل الجامعات الأجنبية الكبرى ، في إنجلترا (كبريدج وأكسفورد ولندن وأدنبرة) وفي فرنسا (باريس) وهولندا (ليدن وأمستردام) وألمانيا (هيدلبرج وميونخ وهامبورج) وإيطاليا (روما) وأمريكا الشمالية (هارفارد وكولمبيا ونيويورك وكورنل وكاليفورنيا وشيكاغو وبييل وفرنستون) وفي كندا (ماك جيل Mcl Gill ومونتريال وتورتو) - في كل هذه الجامعات وغير هادراسات شرقية منظمة تدار على نطاق واسع . لا يقصد منها دراسة موضوعية للإسلام والعلوم الإسلامية بقدر ما يقصد بها تصوير انقاط ضعف وهمة في الإسلام والعلوم الإسلامية .

والكتب التى تألف اليوم في هذا النطاق تخرج بالعشرات من أساتذة متخصصين وقفوا

يسكن في قصة زيد بن حارثة وزوجته بنت جحش التي تزوجها محمد (عليه الصلاة والسلام) بعد طلاقها من زيد بناء على أمر من الله عز وجل .

فإن النقطة التي دار حولها الجدل هي أن النبي (عليه الصلاة والسلام) يبرر رغباته الشخصية بوحى إلهي ، ويدعى أن عائشة رضي الله عنها قالت لمحمد عليه الصلاة والسلام : « أرى أن الله يسرع لتحقيق رغبتك » .

ويختتم دانييل كل ذلك بقوله : إن الغربيين لا يمكنهم التسليم بصحة الوحي المؤقت الذي ينزل لإجابة هلى مشكلات سياسية واجتماعية متجددة .

النظرية الثانية : القرآن تسطير للتعالم التي تلقاها محمد من الأحبار اليهود والقساوسة المسيحيين .

يقول بهذه النظرية مستشرقون كثيرون تذكر منهم ما يلي :

المستشرق جولدتسيمر وهو يقول : إن تبشير محمد ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً ، والتي رآها جذيرة بأثر توظف عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه .

يقول الأستاذ جون نوس Gohn Noss

منطقة مسكة في وقته . وقد بلغ هذا التأثير مبلغه فأدرك بقوة إيمانه الأصول التي تستند إليها تلك الأفكار حتى أصبحت عقيدة انطوى عليها قلبه . وصار من كثرة إيمانه بها يعتقد أنها وحى إلهي وأنه أداه لهذا الوحي . (كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٥) ويتمثل جولدتسيمر في هذا الشأن بعبارة قالها هارناك ، عن الأمراض التي تصيب الرجال الذين يرتفعون فوق مستوى البشر ، والذين يستمدون منها حياة جديدة كانت تعتبر مجهولة من الناس قبل ذلك ، كما يتخذون منها قوة تدم كل ما يصادفهم من عقبات . (المرجع السابق ص ٦) .

ويستطرد جولدتسيمر في نظريته فيقول « لقد كانت السور الأولى في النزول على الشكل الذي تعود السكمان القدماء وضع نبوءاتهم فيه ، ولو جاء في شكل آخر لما رضى أى عربى أن يرى فيه قرآناً موحى به من الله . وما أعظم الفرق بين مجمع السور المسكية ومجمع السور المدنية .

بينما نرى محمداً يسود في الأولى رؤاه الكشفية الإلهامية visions فقرات مسجوعة متقطعة وفق صوت ضربات قلبه المحموم ، نرى الوحي في الثانية يتخذ لنفسه الشكل السجعي لكنه مجرد من اندفاعه وقوته ، حتى في الحالات التي أعاد فيها النبي طرق الموضوعات التي تناولها في السور المسكية .

ويقول دانييل مواف كتاب الإسلام والعرب : إن دليل الوحي النفسى

أولاً بشرية القرآن غير المستترفين :
ونجمل أدلة المستشرقين في إثبات تخلف
الإيحاء الإلهي عن القرآن فيما يلي :

١ - يعول المستشرقون فقط على الجزء
القصصى فى القرآن ويصفونه بأنه ترديد لما
جاء بالعهد القديم والعهد الجديد . وهذا
دليل النقل فى نظرهم .

٢ - يوجهون النقد إلى أسلوب القرآن ١١
فينسبون إليه التكرار والحشو والتخيل
ويقول فى ذلك الأستاذ فون جرونيم
الأستاذ بجامعة كاليفورنيا بأن محمداً
فى القرآن لم يصل إلى مرتبة أفلاطون لأنه
فى كثير من المراجع انحدر أسلوبه إلى مجرد
فقرات غير متصلة خالية من الترابط المنطقى (١)

٣ - إن القرآن لا يقف عند حد
التعارض فى كثير من الأصول العقائدية مع
الكتب السماوية السابقة ، بل يتعدى ذلك
إلى التصادم بينه وبين الفلسفة وما يقتضيه
العقل الطبيعى . وهو فى كثير من المواضع
غريب يصدم فى غرابته القارى الغربى الذى
ألف الكتابات المنطقية .

٤ - إن القرآن يتضمن سوراً باسم النحل
والعنكبوت والدخان وهى أسماء لا تصلح -
فى نظرهم - لأن تكون موضوعاً لوحى إلهى (٢)

٥ - إن طريقة تجميع آياته تدل بذاتها

أستاذ الفلسفة بكلية فرانكلين ومارشال
الأمريكية فى مؤلفه « أديان الإسلام » :

إن الإسلام يزعم ويفاخر بأن القرآن
يكمل أنصاف الحقائق التى أنت بها الأديان
السابقة ، مع أن كل من له دراية بالأديان
العالمية يدرك لأول وهلة عند قراءة القرآن
أن محمداً نقل كثيراً من تعاليم الأديان
الأخرى . ومع أنه اعتمد كثيراً على التقاليد
الموسوية والمسيحية فى تصوير العلاقة بين
الإنسان وربه فى التاريخ ، وكذلك نقل
عن السابائيين والزوروسثانيين ، إلا أنه
أسبغ على الله - ربه - ثوباً من الخلق العربى
والشخصية العربية .

ويرى هذا رأى أيضاً الأستاذ إبراهيم
كانش أستاذ الحضارة والثقافة العبرية بجامعة
نيويورك فيضع مؤلفاً كاملاً لموضوع
المصادر اليهودية للقرآن أسماء « اليهودية
فى الإسلام » ، إذ يقول فى مقدمته :

إن محمداً لم يكن يقصد فى أول الأمر
الدعوة إلى الإسلام كدين جديد ، إذ اعتبر
نفسه الأمين الشرعى على الكتاب المنزل
من عند الله Scripture لتأكيد الكتب
السماوية القديمة ، ولهذا السبب لم يجد فى أول
الأمر فارقاً بين اليهودية والمسيحية واعتقد
أن اليهود والمسيحيين سيرحبون به حتى إذا
ما تحقق له أنهم لن يعضدوه ولن يساندوه
تقدم بالإسلام كدين جديد .

(١) فون جرونيم - اسلام المصور الوسطى
ص ٨٠ طبعة ثانية

(٢) دانييل المرجع السابق ص ٥٨ - ٦١

الإنجيل وهو لاحق للتوراة بحوالى ألفى سنة؟ ولا يمكن لمحمد أن يكون قد تلقى هذه التعاليم عن اليهود والنصارى كما يزعمون وقد ورد في القرآن ما نصه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » مع أن هذا النبي لم يكن وليد حقد عليهم ولا تنافس معهم إذ جاء في القرآن الحكيم : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

٢ — أما تنافر أسلوب القرآن وتبويب آياته مع المنطق فهو مردود بأن القرآن لم ينزل دفعة واحدة بل جاء منجما على ثلاثة وعشرين عاما حفلت بالحوادث التي كان نزوله مرتبطا بتطورها ومنها المتشابهة ومنها المتجدد ، لذلك كان لا بد عند تقدير هذا العمل الإلهي من أن يعتبر سبب نزول كل آية واحتمالها التاريخ المفصل لكل حادثة وبغير ذلك لا يمكن أن يفهم معناه على وجه سليم وأن تقدر قيمته ، ولا شك أن عظمة القرآن ومنطقه يبرز في ذلك لأن السكينة المناسبة عند الحاجة إليها كالماء لا تعادله كنوز الأرض عند الظمأ .

على اصطناعه ، وتبويبه غير منطقي يصعب معه تبين كيفية ترتيب آياته أصلا .
مناقشة هذه الأدلة :

١ — افترض المستشرقون أن النبي (عليه الصلاة والسلام) اتصل بأحبار اليهود والقساوسة المسيحيين وأخذ عنهم القصص التي وردت بالقرآن بدليل ورودها متشابهة مع القصص التي وردت بالتوراة والإنجيل ، ويقول إنه لم يبق دليل على هذا الاتصال المزعوم ، فضلا عن أن حقائق التاريخ تكذبه فضلا عن أنهم يتخذون من هذا الاتصال المزعوم مقدمة لدعواهم ليرتبوا عليها النتائج التي يريدون أن يخلصوا إليها . وفي هذا مصادرة على المطلوب ، فالثابت أن اليهود كانوا متركزين في يثرب وفي خيبر وفي اليمن ومنذ أن هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة بدأوا في مناصبته العداء وهو نابذ أحبارهم^(١) أما المسيحية فكيف تكون أصلا للقرآن وقد جاء القرآن حربا على أصولها وأهمها لفظة التثليث وصلب المسيح السلام « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

وفضلا عن ذلك فلماذا يوجه المستشرقون هذا النقد إلى القرآن لجرد تشابهه مع التوراة والإنجيل في جزئه القصصى ولا يوجهونه إلى

(١) السيد أمير على في مولفه بالانجليزية « روح الإسلام » طبعة ١٩٦١ ص ٦٦ وما بعدها .

وكفى تدليلاً على تنزيل القرآن من عند الله ما جاء في سورة آل عمران :

« هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، » .

إن غرابة أسلوب القرآن وتميزه عن الأسلوب البشري هو بذاته دليل على أنه تنزيل من عند الله وأنه أوحى به إلى محمد عليه السلام ، وتظهر هذه الغرابة من مقارنة القرآن بالحديث . ففي تنوعهما وعظم الفارق بينهما دليل على دحض مفتريات المستشرقين ببشريته ؛ لأن الشخص لا يستطيع أن ينوع كتاباته كيفما شاء فللكتابة خصائص ولوازم كالخط .

ثم إن الغربي مهما تعلم اللغة العربية وآدابها لا يستطيع أن يصل إلى مرتبة بلاغية تمكنه من الحكم على أسلوب القرآن ، لأنه يظل دائماً أسير التفكير بلغته الأصلية التي بها نطق أول ما تعلم النطق ، وبكلماتها انتقلت إليه

مدلولات المحسوسات وتعريفات المسميات .

٣ — إن الطابع الإلهي في القرآن جلي ظاهر فطريقته في مزج العقائد والمواعظ والحكم وأحكام المعاملات والآداب بعضها ببعض في الآيات المتفرقة في السور لم يسبق لها مثيل في كلام العرب .

وفضلاً عن كل ذلك فإن خلود هذا الكتاب مع جدته دليل على ألوهيته . إنك في كل مرة تقرأ فيها آية من آياته أو سورة من سورته تجدده كما هو جديداً على السمع تفتح لك فيه معان جديدة لم تكتشفها من قبل ويزداد فهمك إياه فتزدقه وتؤمن به . ولا شك أن هذه الخصائص لا تصدق على كلام البشر ولو كان كلام محمد عليه الصلاة والسلام .

٤ — لو كان القرآن من صنع بشر لما تضمن تلك الآيات التي تبلغ من السمو ما لا يمكن لعقل بشري بلوغه لأنه اختراق للحجب واستشفاف لأسرارها العليا ومن ذلك قوله تعالى :

« يا معشر الجن والإنس ، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ، » .

أيها : القومي المرمي لبس المرصاه صيما
عرض دانييل في مؤلفه (الإسلام والغرب)
آراء المستشرقين الرهبان في الإيحاء إلى محمد
برسالة الإسلام فقال :

في كثير من الأحيان إلى غار حراء ليتأمل ويفكر . وكذلك لم يشترك محمد مع قريش في ندواتهم الأدبية التي كان الدخول إليها متوقفاً على بلوغ الرجل سن الأربعين ؛ لأن من عادات العرب أن صغارهم لا يجالسون كبارهم وأن الشاب صغير السن لا يسمح له بمناقشة الكبار ولا بالجلوس معهم في مجلس واحد .

ولم يؤثر عن محمد أنه قال أو فعل ما من شأنه أن يدل على حب الرياسة والشهرة أو البحث في شئون السياسة ، بل لقد كان ليطمه ونشأته بعيداً عن الدين يحنوا عليه أثر بعيد في عزوفه وعزلته وسموه عن أترابه . كذلك فإن الثابت أن محمداً كان سليم البنية خالياً من الأمراض العضوية والعصبية ، إذ قبضه الله إلى جواره وهو في منتصف العقد السابع من عمره رغم ثلاثين عاماً أمضاها في جهاد وكفاح وحرب وأسفار مرهقة وتفكير مضن مما لا يمكن أن تتحمله بنية رجل مريض بجسمه أو بعقله .

وما أن بلغ الأربعين من عمره وكان محمد خالياً إلى نفسه بالغار متحنثاً في إحدى الليالي حتى تمثّل له جبريل وناداه : باسمه ثم قال له : اقرأ فقال ما أنا بقارىء ، ثلاث مرات ، وكان الملك بعد كل جواب يضمه إلى صدره ، ويعتصره حتى يبلغ الجهد من محمد مبلغه ،

« ينكر هؤلاء أمثال ريكولد ومارك التوليدى نزول أى وحى على محمد ويذهبون إلى أنها مجرد نوبات صرع epileptic كانت تتابعه من حين إلى حين . ويقول سان بدرو إن حديث عائشة عن تصيب العرق من النبي وإصابته برعشة عندما كان يزوره الوحي يثبت صحة ما كان يهتم به أبناء قريش من أنه كان منجماً أو عرافاً . ثم يعرض دانييل لما يقوله روجر بيكون من أنه في جميع الأديان حتى الوثنية منها ، يؤمن الناس بأن الله قد أوحى بهذا الدين . وعلى هذا يعتقد المسلمون بأن محمداً قد أوحى إليه من عند الله ؛ لأن هذا هو ما قاله لمحمد . ويصل الحد بهذا المستشرق إلى القول بأن ما كان من نبوة محمد ليس وحياً وإنما كان امتلاكاً شيطانياً

الرد على هذه المزاعم :

الأمر المسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يظهر بمظهر عقلى أو علمى يدل على مستقبله ولم تكن لديه مواهب أدبية ظاهرة حتى بلغ سن الأربعين . أما قبل ذلك فلم يكن إلا رجلاً صادقاً أميناً يشتغل برعى الغنم والتجارة .

ولا شك في أن الثابت أن محمداً لم يشترك مع قومه في عبادة الأوثان بالكعبة بل كان يفضل الخلود إلى الوحدة ، فيذهب

ثم انقطع نزول الملك عليه مدة ، قو
أثناءها محمد واستعد للتلقي واشتد إليه شوقه
وحينه . ثم بعد ذلك وبينما كان يسير سمع
صوتا من السماء فرفع بصره فإذا الملك الذي
جاء بالغار ، فرجع إلى أهله وتوكل وتدثر
فزلت عليه الآية :

« يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر .
وثيابك فطهر . والرجز فاهجر ، ثم تتابع
الوحي فكان تبليغ رسالة السماء . (١)

ولم يكن خوف محمد واضطرابه من الوحي
واشتداد رعبه حتى يتصبب عرقه ويرتعش
جسده ، لم يكن كل ذلك نتيجة مرض عصبي
ولمما هي حال الرجل الذي يفاجأ برؤيا
شيء لم يحسب له حسابا ولم ير مثله من قبل
ولو كان يعلم أن هذا الملك سيظهر له ،
أو أن الوحي سينزل عليه لو طرد نفسه على
عدم الخوف ، ولما ذهب إلى أهله خائفا
يلتمس الغطاء والدثار ويخشى على نفسه
الهلاك وهو الذي دأب على التحنث
في الغار من قبل وحيداً لا أنيس له
في النهار ولا مسكن لوحشته بالليل ،
فلو كان محمد كاهنا أو عرافا لما انزعج قلبه

وكانه بهذا العمل يوصل إليه قوة روحانية
ضخمة سيحتاج محمد إليها عندما يتلقى الرسالة
الإلهية ، فلما ضمه في المرة الثالثة وأرسله
قال له :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق
الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ،
الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ، (١)
رجع محمد إلى بيته بهذه الآيات وفؤاده
يرتجف ، وقال لزوجته خديجة : زملوني
زملوني ، فلفته خديجة بثيابها وصبرت حتى
ذلت رعدته ، واطمأن خاطره وقال محمد
لخديجة : لقد خشيت على نفسي من الهلاك
والضرر فرددت عليه قائلة : كلا والله ما يخزيك
الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل
وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين
على نوائب الحق ، .

(١) كان أول اتصال لمحمد بالوحي عن طريق
الرؤيا الصادقة التي تتحقق كأنهلاج الصبح أي أن
ما كان يراه بظلامه يتم على حقيقته في اللحظة . ومثل
هذه الرؤيا رآها يوسف عليه السلام وحكاها لوالده
فنهأ عن روايتها لإخوته :
« إذ قال يوسف لآبيه يا أبت إنى رأيت أحدهم
كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال
يا بني لا نقصص رؤياك على إخوتك فيكبدوا
لك كيدا . . . »

(١) تعبيراً عن شدة الوحي وعدم طاقة محمد إياه
في أول الأمر قال تعالى « إنا سنلقي عليك
قولا ثقيلا » .

وقصة يوسف موجودة في التوراة ويسلم بها
اليهود والمسلمون وبذلك يؤمن هؤلاء بالرؤى كما
يؤمن بها العلم الحديث .

من الذين إذا رأيتهم افتخرت أن تكون واحدا من أشياعهم؟

هل عهد أحد في تاريخ الإنسانية أن المرضى المتهوسين يصلحون لقيادة أنفسهم فضلا عن التصدي لقيادة الأمم وإيصالها إلى أوج لم تقصإ إليه أمة قبلها ولا بعدها؟

التفرقة بين الوحي والوحيات:

والآن ننتقل إلى نقطة هامة في هذا الموضوع وهي البحث فيما إذا كان الوحي إلهاماً يفيض من نفس الرسول الموحى إليه أم أن الوحي شىء جاء من عالم الغيب؟

مق كنا قد أقنأ الدليل العقلى على أن محمدا لم يبتدع القرآن وإنما هو كلام الله لفظاً ومعنى ، كان لنا أن نستند إلى آيات القرآن لتدعيم نزول الوحي :

قال الله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء لأنه على حكيم » .

وقد قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد بعد تعريف الوحي لغة :

« وقد عرفوه شرعاً بأنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعى ونحوه ، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والأول بصوت يتمثل

ولما اوتعد خوفاً من هذا الملك الذى تحدث معه ، ولكنها التجربة الجديدة التى لم تخطر له على بال هى التى أحدثت ظاهرة الخوف هذه ، ومن ناحية أخرى فإن الرجل الذى خلق دولة الإسلام من العدم ، لا يمكن أن يكون مصاباً بمرض عصى ؛ لأنه إن كان مصاباً بهذا المرض وجب أن يكون هدفاً لجميع أعراضه من شذوذ الأخلاق والحساسية المتطرفة والخفقان والذهيان ، ولم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان مصاباً بشىء من هذه الأعراض .

وقد كتب المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى رداً على مفتريات المستشرقين من أن محمداً كان يتصنع الوحي ما تنقله هنا :

إذا كان محمد وهو هستيرى مريض فى رأيهم يوفق إلى مثل هذه الأمور الجسام ، حتى يغير سطح المعمورة من حال إلى حال ، بما لم تأت بمثله أقبال الفاتحين ولا كبار الملوك والسلاطين ، بل ولا أولو العزم من المرسلين فماذا كان صانعا لو كان رسولا حقاً يرى الملك ويسمع منه الوحي ؟

ولو كان هذا حال رجل خيالى مريض شاذ الأخلاق ، وعرضة لجميع الأمراض التى ذكرناها ، أى من الصنف الذى إذا رأيت رحمة واستعذت بالله من حاله ، فماذا بقى للصادقين الكاملين وللأصحاح العالمين ،

ويقول سبحانه :

« ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » .

« قل نزل روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للسليين » (سورة النحل) .

ومن المفيد هنا أن نذكر أن بعض علماء الاستشراق قد اعترفوا بالوحي لمحمد . ومن هؤلاء إدوارد موتيه الذي قال في مقدمة ترجمته للقرآن :

(كان محمد نبيا صادقا كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم ، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنين من أولئك الأنبياء أسلافة ، فتحدث فيه كما كانت تحدث فيهم ذلك الإلهام النفسى وهذا التضاعف فى الشخصية اللذين يحدثان فى العقل البشرى المراتى والتجليات والوحى والأحوال الروحية التى من بابها) .

أما اتهام المستشرقين للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه كان يسخر لإلهامه الداخلى لتحقيق أغراضه التى تنبؤ عن الطريق السوى ، فظاهر الفساد ؛ لأن الحادثة التى يحتاجون بها وهى زواج النبي من زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد بن حارثة إنما كانت لغرض التشريع

السمعه أو بغير صوت ، ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام : وجدان تستيقنه النفس وتفساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور ، فالوحي revelation غير الإلهام inspiration إذ يتميز عنه بأن دليله خارجى عن النفس الموحى إليها ، فهو الكلام الذى يلقى فى قلب الرسول سواء من خلف الحجاب كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة ، أو بواسطة ملك مرسل من عند الله فيراه الرسول متمثلا فى صورة بشرية أو غير متمثل ويسمعه منه أو يعيه بقلبه (١) .

وإذا شهدنا القرآن وجدنا من آياته الكثير الذى هو دليل نزول الوحي على محمد ، فيقول الله تعالى :

« قل من كان عدوا لجبريل ، فإنه نزله على قلبك بإذن الله ، مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » (سورة البقرة آية ٩٧) .

ويقول أيضا عز وجل :

« وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين » . (سورة الشعراء آية ١٩١ وما بعدها) .

(١) الإلهام أو الوحي النفسى هو الإلهام الفاضل من النفس العالية وهو ما حاول بعض المستشرقين إثباته للنبي محمد عليه الصلاة والسلام نفيا للوحي .

يؤكد إلغاء الشريعة المسيحية (العهد الجديد)
بمعجزات أخرى يأتي بها محمد لو أراد نسخ
هذه الشريعة بالقرآن .

ومن الغريب أن الأستاذ سويتمان لم يورد
ما قاله الخليفة المهدي ردا على البطريك
في ذلك .

والمسلمون يردون على هذه الحججة بقولهم:
لأنه رغم إتيان النبي محمد عليه الصلاة والسلام
ببعض المعجزات الحسية كسألة نبع الماء من
بين أصابعه ، وتسبيح الحجر في كفه وانشقاق
القمر ، وسجود الجبل بين يديه ، إلا أنها لم يقصد
منها أن تكون دليلا على رسالته بل كانت
معجزته كتابا وبياناً .

والسبب في اختلاف معجزة النبي محمد عن
معجزات من سبقه من الرسل ، أن المعجزات
تختلف تبعا لاختلاف نوع الرسالة . فإذا
كانت الرسالة محلية ، يقصدها إقناع قوم معينين من
الناس ، كانت أدلة الرسالة حسية مقصودا منها هداية
هؤلاء القوم خاصة ، ففي وقت بعثة موسى عليه
السلام كان السحر هو مقياس العظمة والجبروت
وهو الذي يبعث النفوس على التصديق بمكانة
الشخص . فكانت معجزة موسى هي السحر
بأوسع معانيه من انقلاب العصاة إلى حية
ابتلعت حبال السحرة الآخرين ، إلى انشقاق
البحر ليقسع لعبور قومه هربا من فرعون .
في ذلك قال الله تعالى « ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا إلى فرعون وملئه ، .

إذ كان زيد هو ابن النبي بالتبني وكان العرب
يحرمون امرأة الدهي ك امرأة الابن الحقيقي
فأراد الله أن يقضى على هذه العادة فمضى
بزواج زينب من النبي صلى الله عليه وسلم
إذ قال عز وجل : « فلما قضى زيد منها وطرا
زوجنا كها لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا
وكان أمر الله مفعولا ، .

ثالثا : تختلف المعجزات الحسية كدليل لنفي
الإيهام :

يعرض الأستاذ سويتمان Sweetman
في كتابه (الإسلام واللاهوت المسيحي) (١)
لمناقشة دارت بين الخليفة المهدي والبطريك
تيموثي Timothy حول مذهب التثليث
في المسيحية وغير ذلك من الموضوعات
الاعتقادية الهامة كصفات الله وموت المسيح
عليه السلام والكتب المنزل وغير ذلك .
ويقول : إن الخليفة المهدي سأل البطريك
بقوله : (هل تصدق بأن القرآن كتاب منزل
من عند الله على محمد ؟ ، فيجيبه تيموثي بأنه
لا يستطيع الإجابة عن هذا السؤال مباشرة
وكانه يستطيع أن يؤكد أن الكتب السماوية
(الرسالات) أكدتها خوارق ومعجزات .
فلما أراد الله أن ينسخ الشريعة الموسوية أكد
ذلك بمعجزات عيسى ، وكان يجب لذلك أن
(١) القسم الأول من المجلد الأول طبعة ١٩٤٥ ص ٨٠ .

احترام العقل في الإسلام هو كاية من
السكريات : د هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون .

والقرآن يقدم نفسه بنفسه في تحد ظاهر ،
فيقول سبحانه وتعالى :

« قل لأن اجتمعت الإنس والجن على
أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . ولقد صرفنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل ، فأبى
أكثر الناس إلا كفوراً . »

وكان الله على علم بتكذيب الناس للقرآن
فقال سبحانه :

« أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات ، وادهوا من استطعتم من
دون الله إن كنتم صادقين . »

هذه هي نظرية الإيحاء ألقمتها إليكم موجزة
ومنها ترون مدى ما يصل إليه المستشرقون
من إسفاف في هجومهم على هذا الدين
الحنيف الذي لم يتلق بعد من أبنائه إنصافاً
بالدفاع عنه أمام هذه المفتريات ، ولكنه
لا يزال وسيظل أبداً شاخ البنيان يحفظه الله
عز وجل إلى يوم الدين ، يوم يقوم الناس
لرب العالمين .

دكتور محمد البرج عبد الوهاب

وفي زمن المسيح عليه السلام كان سبيله إلى
محاربة الوثنية الطاغية آيات حسية أخرى
كشفاء الأعشى والابصر والأكمه وإحياء
الموتى إلى غير ذلك من آيات عيسى .

أما إن كانت الرسالة قد قصد منها إلى أن
تكون عامة للخلق جميعاً كالإسلام وأن يختم
الله بها رسالات الرسل ، فإنه يجب ألا تكون
خارقة حسية تظهر في عهد الرسول المبلغ لهذه
الرسالة ثم تنقضي وتصبح في خبر ماض بعد
وفاته ، بل اقتضت حكمة الله عز وجل أن
تكون معجزة خاتم الرسل باقية الأثر لا تزول
بوفاته بل تبقى خالدة أبد الدهر ناطقة
بالإعجاز ، معلنة التحدى على المنكرين ما بقي
أثر لوجود الإنسانى .

يقول الله تعالى في عموم الرسالة الإسلامية :
« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً
ونذيراً . »

« فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيداً . يومئذ يود
الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى
بهم الأرض ولا يكتُمون الله حديثاً . »

فالقرآن لم يأت إلا بعد أن اكتمل النمو
العقلى في البشرية وأصبح الإنسان قادراً على
تفهم إعجاز اللفظ ، فكانت معجزة باقية
تخاطب الأجيال جميعاً ، والأمم جميعاً لأن

طبيعة الشعر العربي

للدكتور عبد الله الطيّب

- ٢ -

معنى الزحاف

هذا وقد يحى الشاعر في جزء الرجز بمقطع قصير في مكان الضربة الثانية هكذا : -

مس ت علن
تم تم تم

وقد يجمع بين الذريع هكذا : -

م ت علن
تم تم تم

وفي كل ذلك تجده يقدر في نفسه سكنات بعد المقاطع . أو لجوت زمانية تحل المقاطع في جوفها من غير إخلال بالتناسب . وهذا التقدير للسكنات والفجوات من جانب الشاعر هو الذي سماه الخليل وأصحابه بالزحاف . وعندى أن هذه حقيقة معناه . فأمل مثلا الأبيات السابقة من رجز دريد . فإنك تجده قال في الشطر الثاني :

أخب فيها وأضع

وضربات هذا من حيث نسبها الزمنية هكذا :

أخب بني ما وأضع

تم تم تم تم تم تم تم

والآلف والواو كما ترى حولها لجوات زمانية ، أو بعدها سكنات ، أى التعبيرين ساغ لك فذاك . وليس بعد أى اختلال في حقيقة الوزن . وليس ثم اختلاف بين أصول نسب الزمانية في هذا الشطر وبينها في الشطرين : -

يا ليتى فيها جذع

أفود وطفاء الزمع

ولا ريب أن التقطيع العروضى بالمقاطع أو بالأجزاء الخليلية يظهر شيئا كآه خلل وليس به .

وفي اصطلاح العروضيين لفظ زحاف ما يشعر بأنهم رأوه من قرى الخلل . إذ أصل الزحاف من زحف البعير إذ أعيا لجرفسه . فكأن الشاعر عندهم أصابه إعيا لجرفسن كلامه جرا ليكمل التفعيلة (١) . وأحسب

(١) على أن هذا الوصف نفسه لا يخلو من إدراك عميق لحقيقة الزحاف للموسيقية من جانبهم إذ كأنهم فطنوا إلى أن النغمة في ذات نفسها تامة وأن تلك للمقاطع زاحفة .

فراومه ، وبقي قليلون من أهل الذوق الأصيل يطلبون السر السكين في موسيقا التفاعيل ، كطلبهم السكال الإيقاع المنظم . من هؤلاء أبو تمام وأبو عبادة البحرى على حذر منهم وبقية إزاء الذوق الذى كان يعاصره وقد كان أبو تمام أعمد إلى أن يزاحف فيما يحس به . إلا أن البحرى كان أخبر بحيث يذبح أن يقع ، وقد كان المتنبى يعرض عن ظاهر الزحاف إلا الحرم ، وعسى أن يكون من أسباب ذلك أنه كان رجلاً عارياً تلمس في أشعاره السقطات ، فكان لا يألوا تجويداً على أنى أرجح : أنه كان أصيل طبعه إلى الاندفاع والإقدام فهذا ما كان يحول بينه وبين السكتات الطوال ، وعسى أن يكون مذهبه في الحرم من دلائل إقدامه واندفاعه كقوله :

لا يحزن الله الأمير فإنى

سأخذ من حالته بنصيب

ويبدو لي أيضاً أنه قد استبدل ما يكون من سكتات الأوائل باختلاس وهذا قد كان يقع في أشعارهم كالذى رواه سيوبه من قولهم ^(١) :

له رجل كأنه صوت حاد

إذا طلب الموسيقى أوزمير

ومن قولهم :

وأيقن أن الخيل إن تلمس به

يكن لمسيل النخل بعده أبر

(١) لاكتتاب بولاق ، ١٠ / ١١ .

أنهم أرادوا هذا الاصطلاح أول الأمر لأمثال قول الأختل :-

مفترش كافتراش الليث كذلكه

لوقعه كائن فيها له جزر
وقول امرئ القيس :-

ألا رب يوم لك منهن صالح

ولا سيما يوم بدارة جلجل
ثم اضطروا إلى إطلاقه على غيره مما يشبه من مخامة المقاطع للتفعيلات . الذى لا يظهر أمره لإذن العروض كالذى يقع من الإختار فى الكامل ، وشاهد العروضيين كما نعلم :-

وإذا سكرت فإنى مستملك

مالى وعرضى وافر لم يكلم
وعندى أن نحو (مفترش) و (الأرب يوم لك منهن) ليساً بأبعد من صحة النسبة الزمنية من (أحب فيها وأضح) كل ما هناك أن السكتة بعد الناء من « مفترش » أدخل فى حاق السكتة الموسيقية وأقعد فى ذلك من أن يلوكلها إخراج الكلام .

وقد كان القدماء من الشعراء يعرفون هذا ويدركون صحته ولذم حلاوته ؛ إذ التعبير الموسيقى قد كان من ضمن تعبيرهم للشعرى . أما المحذرون فقد بعدوا شيئاً من الفطرة العربية ؛ إذ صار أمر الصناعة التى يدركها الحس اللامس والناظر أصرح إلى إعجابهم ، وكان الإحكام بملء كل لجة فى التفاعيل ، مما يجرى مجرى الصناعة المراتية الملموسة

معنى الاختلاس :

والاختلاس كالزحاف سواء بسواء .

وأعجب للعروضيين ؛ إذ لم يذكروه في باب الوزن ولعلمهم اكتفوا بذكر التحويين له في باب إشباع الضائر كاللدى مر بك من استشهاد سيويه ، ولا ريب أن الاختلاس مذهب موسيقى صادق التعبير عن نفس المتنبي الساخن الجارف - وإقدامه عليه - وكان معاصروه أشدله عيبا منها لكثير من أصناف الزحاف - مما يدل على أصالة الرجل في موسيقا الشعر العربي وصدق فطرته وفنه . تأمل مثلاً قوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر
فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
تعثرت به الأفواه السنها

والبرد في الطرق والأقلام في الكتب
وقد جمع في قوله (تعثرت به) زحافاً خفياً مع الاختلاس كما ترى ، وهذا في قصيدة عما احتفل له وهو ناضج يعرف كيف يقول ، فلا يسبقن إليك أنه قد زل^(١) وقد روى أنه

(١) قد يكون الاختلاس أحياناً من الزلل وضمت الملائكة بلا ريب كاللدى يقع كثيراً في شعر الشريف محمود قباد والتونسي كقوله (ديوانه ، طبع تونس ، رقم ٤ / ٣١ بمكتبة المطارين بتونس ص ١٧ س ٥) :

وامتز من أهرام مصر قواعد
وابتز من ديوان كسرى بناء
والاختلاس في ألف كسرى ، وكقوله (ص ١٧ س ١٥) :

يفنيه خوفه أن تزل - يوفه
لكنتها أغصانها الأحشاء

وقوله : - (ص ١٨) :

كان ربما أنشد ، تعثرت بك ،^(١) فأحسبه إن فعل ذلك إنما كان يلتبس ، ألا يخرج بالسؤال من بعض من قد بنفس عليه وهذا من باب التقية اللازمة أحياناً ، وبين قوله (تعثرت به) و (تعثرت بك) بون بعيد ، ومكان الجودة من الأولى لا يخفى .

هذا ونأمل اختلاسه في قوله :

ولا إلا بأن يصغى وأحكى

فليت لا يقيمه هواك

هذه هي الرواية الجيدة المشهورة ، وروى « فليتك » وهي منهافة ، وهذه القصيدة آخر ما نظمه المتنبي وهي من عيون شعره

وحقيقة الاختلاس هي تحويل الضربة التامة إلى نذنين متلاحقتين ومن هنا كان كأنه عكس للزحاف ، إذ هذا يعوض إيقاع المقطع بالسكوت ، وأقول (كأنه) لأن هذا مجرد تقريب وتمثيل ، ولزيادة الإيضاح

== ويكاد رأيه أن يبارى رؤية

فتلوح بل وجودها الأشياء

وقوله : (ص ٢٠)

قد كان في حلم الأمير وصفه

ودع يظنه مثلكم إغراء

ورفع الهمة هنا مقبل إلا أن يكون اتباعاً على الحكاية في ردع وهو بعيد . وقل أن يؤتى قباد من جهة النحو . فيرجع إلى ديوانه ، فعسى أن يكون هذا البيت من هزمية منصوبة إذ عسى أن تكون مقيدة ، والله أعلم .

(١) ديوان المتنبي تحقيق الدكتور عبد الوهاب

هزام ، مصر ، ١٩٤٤ ص ٤٢٣ - هامش ٤ .

لمن طلل أبصرته فشجاني
كخط زبور في عسيب يمانى
لقد جئت فيها بأشياء ينكرها السمع
كقولك :

فان أمس مكروبا فيارب غارة
شهدت على أقب رخوا اللبان
وكذلك قولك في الكلمة الصادية :

على تفنق هيق له ولعروسه
بمنعرج الوعساء بين رصيص
وقولك :

فأسقى به أختى إذ نأت
وإذ بعد المزدار غير القريض
في أشباه لذلك ، هل كانت غرائزكم لا تخص
بهذه الزيادة ؟ أم كنتم مطبوهين على إتيان
مغامض الكلام وأنتم عالمون بما يقع فيه ؟
كما أنه لا ريب أن زهيراً كان يعرف مكان
الزحاف في قوله :

يطلب شأواً من أرى قدما حسنا
نالا الملوك وبذا هذه السواق
فان الغرائز تخص بهذه المواضع فتبارك الله
أحسن الخالقين .

فيقول امرؤ القيس : أدركنا الأولين من
العرب لا يحفلون بمجىء ذلك ولا أدري
ما شجن عنه . فأما أنا وطبقتي فكنا نمر في
البيت حتى نأتى إلى آخره . فإذا فنى أو قارب
تبين أمره للسامع .

أضرب لك مثلاً ما روي من قول المتنبي
(فليتك لا) وهذا جار على ترك الاختلاس
وعلى جزء الوافر (مفاعلتن) وما هو مشهور
من قوله (فليتة لا) وهو جار على الاختلاس
وجار أيضاً على جزء الوافر (مفاعلتن) ،
فالأول بيانه عندنا شيء من هذا القبيل :

مفاعلتن

فليتك لا

تمتمتمتم

والثاني هكذا :

مفاعلتن

فليتك لا

تمتمتمتم

وهذا البيان تقريب وواضح منه ما نرى
إليه ، إذ قد راث الشاعر في ضرباته الأوليات
وجعل الأخيرة ثنتين متلاحقتين أو كالثنتين
المتلاحقتين .

رأى المعمرى :

هذا الذى ذكرناه من أمر الزحاف
والاختلاس من أنهما من عنصر الموسيقى
الشعرية نفسه وليسوا بعيب يحسن تجنبه كما
رأى أكثر المحذنين وقد تذهب أبو العلاء المعمرى
إلى جانب كبير منه في وقفته مع امرؤ القيس
في رسالة الغفران إذ قال :

« فيقول ، لا برج منطقياً بالحكم فأخبرني
عن كلمتك الصادية والصادية والنونية التي أولها :

وجلى من هذه المقالة أن المعرى كان يرى
نحوها من هذا الذى نقول به من أن أوزان
الشعر إنما هى نسب زمنية وضربات موسيقية
فنى وقع عند الشاعر أنها استقامت له ،
فلا بأس عليه أن يختلس المقطع أو يريث به
فى داخل ما اختاره من قوالب الوزن والآيات
التي ذكرها المعرى من شعر امرئ القيس
مما يوضح هذا أبجل توضيح ... خذ مثلاً
قوله : —

شهدت على أقب رخو اللبان
فهنسا فى أجزائه الثلاثة الأول ألوان
من الزحف والخطف . إذ بعد (شهدت)
سكنة يسيرة فى الهمزة من (أقب) سكنة
تكاد تختفى فى المد والتسهيل . وفى اللام
السكنة من د أقب إلخ ، اختلاصة راقصة ،
سبها لتمام الجزء الثالث لتماماً مقطعيًا ،
والذى يجرى عليه الشعراء مزاحفته بالقبض
هكذا (رخو لبان) . ولا بد ههنا من التنبيه
على أن قلقلة (اللام) مما يفسد سياق الموسيقى
فى هذا البيت ، وكثيراً ما يقلقها المعاصرون ،
وهى حرف هين لين ، والقلقلة تحدث فيه
سكنة يزيد بها حجم النغم .

هذا وقول المعرى فى آخر حديثه : —
« فيقول امرؤ القيس أما فما قلت إلا بزحاف ،
هو النص الذى أردنا إليه من سياق الحديث

فيقول ثبت الله تعالى الإحسان عليه .
أخبرنى عن قولك :

ألا رب يوم لك منهن صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل
أتفنده (لك منهن صالح) فتزاحف الكف ؟
أم تنشده على الرواية الأخرى ؟ فأما يوم
فيجوز فيه النصب والخفض والرفع . فأما
النصب فعلى ما يجب للدفعول من الظروف
والفاعل فى الطرف ههنا فعل مضمر . وأما
الرفع فعلى أن تجعل (ما) كانه ، وما الكافة
عند بعض البصريين نكرة ، وإذا كان الأمر
كذلك (فهو) بعدها مضمر ، وإذا خفض
يوم فما من الزيادات ويشددسى ويخفف .
فأما التشديد فهو اللغة العالية وبعض الناس
يخفف ويقال إن الفرزدق مر وهو سكران
على كلاب بجمعة فسلم عليها فلما لم يسمع
الجواب أنشأ يقول :

فما رد السلام شيوخ قوم
مررت بهم على سلكك البريد
ولا سيما الذى كانت عليه
قطيفة أرجوان فى القمود
فيقول امرؤ القيس : أما أنا فما قلت
إلا بزحاف : (لك منهن صالح) وأما المعلنون
فى الإسلام فغيروه على حسب ما يريدون
ولا بأس بالوجه الذى اختاروه اه (١) .

(١) رسالة النفران للمعرى تحقيق بنت اللطيفة
دار المعارف مصر - ١٩٥٠ - ٣٠٧ - ٣١٠ .

وفي خزانة الأدب رأى عسى صاحبه أن يكون
فظر فيه إلى مقالة المعرى هذه (١) .

ضربات الوزن

أمله الآن قد وضع مرادنا من القول بأن
الوزن يدور على نسب وضربات لا على مجرد
تفعيلات مقطعية ، وما ذكرناه بمعرض
التبيين عن ألوان الزحاف الظاهر ، والتي
حسبها المحدثون خللا وليست به ، مما يساعد
على إبراز هذا المعنى

والآن فلفت القارىء إلى ألوان الزحاف
الحفى والعلل مما تقبله المحدثون ولم يعيروه
بأنه تدبو عنه الآذان كالذى تمثلنا به من قول
دريد : —

أخب فيها وأضع

وكالذى فى بيت عنقرة : —

وإذا سكرت فإننى مستهلك

مالى وعرضى وافر لم يكلم

قالذى نراه أن هذه الزحافات الخفية

فى (مستهلك إلخ) وفى (أخب) لم تنشأ
من عجز الشاعرين أن يوردا المقاطع التى تطابق
ضربات ما أخذوا فيه من وزن اعتمادا على خفاء
هذا المعجز عن أذن السامع . كلا ولكننا
نرى أن طبيعة الصياغة الشعرية عندهما هى التى
اقتضت أن يفعلوا ما فعلوا . وكذلك يفعل
كل شاعر . إذ لا تجد شاعرا يجرى ضربات
وزنه مطابقة كل المطابقة لضربات التفعيلات
النموزجية ، وإنما يغير وينوع . فيطيل حيناً
ويقصر حيناً . والعروضى قد يعتذر له
من ذلك بأنه غير ناب عن الأذن وإن يك
زحافاً . والعروضى يخطئ فى هذا الاعتذار ،
إذ قد غاب عنه أن الشاعر إنما أراد ليسر
الأذن لا مجرد ألا يذو وزنه عنها . لا بل
إنما أراد أن يستغل مادة الوزن النغمية
فى البحر الذى هو بصده أتم استغلال
ويستخرج خبوء أسرارها ليعبر به عن جانب
هام من معانيه ؛ ذلك بأن معانى الشاعر لا تعتمل
كلها فى نفسه ليكون تعبيرها من طريق اللفظ
المبين ، ولكن جانباً كبيراً منها يروم أن يكون
تعبيره من طريق النغم والرنين . والزحاف
من أكبر ما يستعين به الشاعر فى هذا الباب .

(١) أحسبه لى أوائل الجزء الأول وقد منى

الحركات والسكنات والحروف :

على أن سكنات الزحاف وخلجات الاختلاس وضربات الوزن ، كل ذلك لا يتضح انضاحا موسيقيا حقا إلا مع الحركات والسكنات وضروب اللين والإشباع والمد والشد والإمالة والإشمام والمخرج التي تخرج بها الحروف . ولا يسبقن إلى وهمك أن تربط هذا بكلمات الشاعر من حيث هي أدوات للبيان المحض ، ونعني بالبيان المحض مدلول نقول الظاهر فإن لهذه جميعها قوة تعبير لغمية ، أدخل في حاق الوزن منها في الصياغة البيانية مع أن الكلمات نفسها أدخل في حاق الصياغة البيانية منها في الوزن . ولأمر ما اختلفت رنات الشعراء في البحر الواحد اختلافا جسيما . هذا الفرزدق مثلا ، شاعر فحل مبين ، قدير على ضبط الوزن وتنويع زحافه . ولكنه مع ذلك دون صاحبه جرير في قوة الرنين وإيحائيه . وكذلك تجد إذا وازنت ابن الرومي بالبحتري والشريف الرضي بأبي الطيب المتنبي .

وإذا تأملنا قول جرير مثلا :-

دعوتك واليامة دون أهلى
ولولا البعد أسمعتك المنادى
على علياء ترفع نار خير
وتقدسح بالورى من الزناد
إذا ما خفت رد إلى نفسى
وصار إلى مساكنه فؤادى

لم نجد زادا في التنويع الزحافى على (مفاعيلن) في أول العروض أو الضرب .

ومع ذلك نحس في أبياته هذه طربا شديدا ورنيئا عظيما ومع هذا الرنين إيحاء وجدانيا يصل إلى سويداء القلب ولا ريب أن هذا منشؤه من الصياغة الموسيقية التي ألزمها الشاعر ، حيث أعطى كل ضربة من ضربات تفعيلاته ألوانا تناسب معاني نفسه من الحركة والسكون واللين والمد والإشباع وأصوات الحروف . وإنما تجيء أصوات الحروف بعد ما قدمناه ، ومتى صار الشاعر إليها فقد دنا من الكلمات والبيان اللفظي المحض .

ولا أكاد أرتاب أن الشاعر ربما جاش المعنى في نفسه بشيء من هذا القرى أول الأمر :-

تم ت ت ت ت
تا تننا ت ت
ت تو تو ت ت
تم ت ت ت ت
دهوتك تا دعوتك

تا
ولولا ذاك قد علم المنادى
دعوتك والفراشة فوق عيني
دعوتك والتمائم فوق عيني
دعوتك والمفاوز بين قومي
دعوتك والمفاوز دون أهلى
دهوتك واليامة دون أهلى

تم تم تم لا سمك المنادى
ولولا البعد أسمك المنادى
وهذا مجرد تمثيل كما ترى .

والحديث عن الحركات والألبن والإشباع
يؤدى بنا إلى الحديث عن القافية لا محالة .
ذلك بأن الحركات تنزل من ضربات الوزن
منزلة الحدة والارتفاع والانخفاض في الضربة
الموسيقية، والمخرج ينزل منزل الصوت الذى
تؤدى به الضربة . والقافية فى الوزن العربى
إن هى إلا رمز جامع بين حمل الحركة وعمل
المخرج وضربة الوزن .

القافية :

الذى عندى ، أن الشاعر العربى إنما عمد
إلى القافية فقرنها بالوزن ليضفى عليه صبغا
نغميا متى اصطبغ الوزن به صار أكثر
تحيوا لاداء ما يتخلج فى صدره من معان .
وإن جاز لنا أن نشبه أبعاد الوزن ونسبه
الزمانية برنات متناسبة ، فإن موقع القافية
من هذه الرنات شبيه بموقع الكشافة من رنات
الموسيقا ، مثلا الشدة التى تشد عليها أوتار
العود فى قطعة ما ، وللزيادة فى توضيح هذا
المعنى نضرب لك أمثالا أخرى ، خذ دقات
الطبل ودقات القدم على الأرض ، والنقر
على النحاس ، والنقر على قرع مكفأ على وجه
الماء . والصفير المتلاحق على هيئة دقات ،
كل أولئك لمن طبائع صوتية متباينة ،

أو قل لمن كثافات صوتية متباينة . وإذا
فرضنا التشبه الزمنى الكامل فى جميع هذه
الدقات فإن الوزن المجرد المبني عليه للتناسب
الزمنى فهن جميعا واحد ، وليس فيه أدنى
تفاوت . وهذا التناسب الزمنى المجرد أشبه
شىء بأطربض الشعر المكمنة وراء أرزام
الشاهر .

والطبائع الصوتية المختلفة الناشئة من دق
القدم ، ودق الطبل ، ونقر النحاس ونقر
القرع وهلم جرا ، أشبه شىء بالطبائع النغمية
التي تضيفها القوافى على الأوزان . ولقد
ألمعنا إلى شىء من هذا المعنى فى مقدمة المرشد
الأول إذ تحدثنا عن ألوان القوافى وضربنا
لها أمثالا من ألوان الشعر (١) . وقد أخطأ
قدامة حيث زعم أن القافية شىء زائد
على الوزن لأنها كما قال كلبه تزداد عند مقطع
البيت ليست لها ذات قائمة بنفسها . وقد بينا
هذا من خطئه فى الجزء الثانى من المرشد
فليرجع إليه (٢) .

طورت التوزيع :

ولا أكاد أشك أن الشاعر العربى كان أول
أمره بنوع القوافى . ولعل هذا أن يستفاد
من مقال ابن سلام إن أوائل العرب كانت

(١) راجع للمرشد ١ - ص ٤٠ - ٧٣ .

(٢) المرشد ٢ ٤٣ - ٤٣ .

الشعبي . وابن هشام يعلق على أكثرها بقوله
وهذا يجمع لا شعر . وربما روى ما يستقيم
به وزنها من بعد .

هذا وكثير مما بلغنا من الأراجيز التي كان
يقناشدها الأبطال عند المناجزة (أو ينسب
إليهم إنشادها في معرض القصص) مما يجوز
به الاستشهاد ههنا إذ منهجها يقوى هذا الذي
نذهب إليه من أن القوم كانوا ينوعون
قوافيمهم قبل أن يصلوا إلى توحيدها . خذ
مثلا قول ابنة عتبة يوم أحد : —

وبها بنى عبد الدار وبها حماة الأدبار
هربا بكل تمار

نحن بنات طارق إن قبلوا نعاقق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق
(وقد سبق منا الاستشهاد بهذه الأبيات
في المرشد (١) وما يجرى مجراها ما كانت
تنسب به الفتيات في ملاعبهن تلقى إحداهن
روياً تمدح به أباها وتسب أبا قريبتها ،
وتجيمها الأخرى بنحو من ذلك . من ذلك ما
رواه صاحب الحماسة من قول إحدى
الجواري (٢) : —

سبي أبي ، سبك لن يضيره
إن معسى قوافيا كثيرة
ينفخ منها المسك والذرية

تصنع البيت والأبيات فيما يعن لها
من حوادث (١) . وأحسب أنها أن الشاعر
القديم ربما كان ينشد بيتاً أو بيتين من روى
واحد . ثم يسكت ويلشد آخرين من روى
آخر . .

ولعل للشعراء أول اهتمامهم للوزن قد
كانوا ينوعونه أو يخلطون أصنافاً منه . ثم
استقام لهم طريق العروض من بعد ،
وأحسب نحو قول القائل : —

الشيخ شيخ تكلان
والورد ورد عجلان
أنى إليك مرة بن سفيان

ربما صح أن يستشهد به في هذا الموضع
لاختلاف أعاريضه ، وإن يك كله من بحر
الرجز (٢) وقد عثرت على أبيات أخرى
تشبه هذه تدعى الآن موضعها ولعلها في
سيرة ابن هشام . وما يجرى هذا المجرى من
أراجيز السيرة ما رواه ابن إسحق من ارتجاز
نساء هوازن بعد حنين (٣) : —

قد غلبت خيل الله خيل اللات

وخيله أحق بالثبات

وفي السيرة بعض أشعار كثيرة مضطربة
الأوزان مما أرى أنها كانت من قبيل الغناء

(١) طبقات خول الشعراء ص ٢٣ دار المعارف
تحقيق العلامة محمود محمد شاكر .

(٢) المرشد ١ - ٩٦ .

(٣) السيرة ٤ - ٧٩ .

(١) المرشد ١ - ١٠ .

(٢) الحماسة ، مصر ١٣٣٥ هـ - ٢٠ - ٣٧٧ .

وقد روى المعري في رسالة الغفران بيتين
من قصير المتقارب ، مما كانت تتغنى به
الجرارى فى الأعراس ، لا يكاد يشك الناقد
أنهما بقية من أسماك تشبههما ، وهما :-

وأهدى لنا أكبشا
تبجح فى المربد
وزوجك فى النادى

وبعلم ما فى غدد
ولا يخفى أن نحو هذا إنما كان يراد به محض
الترنم ، لتباعد أطراف معانيه ، وأحسب
أن هذين البيتين خلاصا إلينا لارتباطهما ببعض
ما جاء فى الحديث ، إذ هما مذكوران فى حديث
الربيع بنت معوذ بن عفراء ، وفيه أن
الجوارى أنشدن : وفينا نبى يعلم ما فى غد ،
فتهاهن صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يعلم الغيب
إلا الله . على أنه صلى الله عليه وسلم لم ينهن
عن الغناء نفسه . والله تعالى أعلم . وحديث
الربيع مما رواه البخارى رضى الله عنه .

هذا وشواهد الإيطاء والإقواء وتقارب
المخارج نحو : -

بنى أن البرشء هين

المناطق اللين والطعيم

كلها بما يقوى حجتنا فى أن أمر القوافى لم
يبدأ محكما . ولعل أكثر الأنماط الشعبية لم
تسكن تلزم الإحكام أو تمهد إليه . وفى
فواصل القرآن ما يثبتنا أن تشابه الوزن
(البقية على صفحة ١٠٧٩)

والذريعة طيب يعمل من الصندل المدقوق
وهى معروفة عندنا فى السودان ، وقول
الأخرى : -

يارب من هادى أبى فصاده
وارم بسممين على فؤاده
واجعل حمام نفسه فى زاده

وأذكر على سبيل الاستطراد أن هذا اللون
من تساب القتيات معروف عندنا فى قرى
السودان منه مثلا قول إحداهن : -

أبوى أنا
الراكب الحرا
المحجلة
وأبوك أنت
الراكب الكديس
يمشى وينيص

والكديس هو القط فى عاميتنا
هذا ولا يبعد أن كانت العرب تذهب
بأناشيد الأعراس إلى شئ من التنويع
والتسميط ، بدليل اعتمادها الأوزان القصار
كالذى يروى عن الجرادتين : -

أقفر من أهله مصيف

فبطن مكة فالعريف
هل تبلى ديار قومي

مهرية سيرها دفيف
يا أم نعمان نوليننا

قد ينفع للنائل الطفيف

مع البلاغيات :

اللفظ والمعنى

للأستاذ على العمّار

- ٢ -

لم تدون هذه المسألة علياً قبل القرن الثالث ، ويغلب على الظن أن الجاحظ أول من دونها ، ولكن النقاد منذ العصر الجاهلي كانوا يتجهون في تقديم الشعر أو للنثر إلى الألفاظ أو إلى المعاني ، وهما بابان واسمان يدخل تحتها أنواع توجه إليها كلها النقد ، وقد عدد عبد العزيز بن علي الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه بعض هذه الأنواع . فقال وهو يتحدث عن أغاليط الشعر ودونك هذه الدواوين في الجاهلية والإسلام هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح إما في لفظه ونظمه ، أو ترتيبه ، أو تقسيمه أو معناه ، أو إعرابه . ثم ذكر في موضع آخر بعض المأخذ التي لاحظها النقاد على الشعراء مثل الإحالة وفساد المعنى ، ومثل اللحن والغلط . ونسوق - هنا - أمثلة لمأخذ النقاد على الشعراء فيما يتعلق بالألفاظ :

من ذلك ما حدث للناطقة الذبياني ، فقد كان يقوى في شعره ، فدخل المدينة وأهل الحجاز يعجبون به ويقدمونه ، فلم يجرؤوا لهيبته في نفوسهم أن يبدوه ، ويبينوا له موضع العيب في شعره فدسوا له قينة تغنيه بشعره في المتجرده ، وفيه الإقواء - وهو اختلاف حركة الروى - فلما بلغت قوله :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الأسود
أطالت مدة الدال ، والقوافي كلها مكسورة ، وكانت حين أنشدت أحد الأبيات السابقة لهذا مدت الدال مخفوضة ، وامتد بها الصوت منخفضاً فتبين له عيب شعره فكان يقول :

د وردت يثرب وفي شعرى بعض العهدة
فصدرت وأنا أشعر العرب ،
وفي رواية أنهم قالوا له قد أقويت ، وأفهموه فلم يفهم ، فجاءوه بمغنية تغنيه (من آل مية) وتبين له الياء في القوافي المكسورة والضمة في القوافي المضمومة .

ومعنى هذا أن أهل يثرب في ذلك التاريخ كانوا يعرفون بعض المصطلحات العروضية التي دونها الخليل بن أحمد فيما بعد ، ولا غرابة في ذلك ولا بعد .

ولما سمع عبد الملك بن مروان - وكان

ومن أمثلة ذلك ما وقع من نقد في شعر
للأعشى والنابغة فقد تناظر ربى ومضى
فقال المضرى للربى : شاعركم - يريد الأعشى -
أخنت الناس حين يقول :

قالت هريرة لما جئت زائرها
ويلى عليك ويلى منك يا رجل
فقال الربى : أفلى صاحبكم - يريد النابغة -
تعول حيث يقول :

سقط النصف ولم ترد إسقاطه
فتناولته وانقمتنا باليد
لا ، واه ، ما أحسن هذه الإشارة
إلا تخنت .

(وعندنا أن بيت النابغة ألطف في هذا
المعنى ، فإنه تناول إشارة وحركة يصحها
في الغالب كلام من كلام النساء في مثل هذه
الأحوال ، أما الأعشى فذكر دويلا ، وكلاما
تفعله مواجن النساء ، وقد لا يتصل بهذا
النوع المحبوب في المرأة من الحياء والخفر ،
ولا يزال دل الفعل ، وحركات الجوارح
أعشق للتغزلين من خنت الكلام (١) .

وربما حق لنا أن نقول إن النابغة لم يزد
على أن وصف مشهدا رآه ، وهذه حركات
كثيرا ما تقع من النساء المحجبات حين يسقط
عنهن الحار وهن مرغبات ، فكان من دقة
الوصف أن يذكر النابغة هذا المشهد ،

ناقدا ذواقة للشعر - قصيدة عبدة الله بن قيس
الرقيات التي يقول فيها :

إن الحوادث بالمدينة قد
أوجعني وقرعن مروتيه
وجبني جب السنام ولم
يترك ريشا في مقاديه

قال : أحسنت لولا أنك خنت في قوافيك ،
فعبد الملك لم تعجبه هذه القوافي الممعة
في الليونة وكان يفضل عليها قوافي متأسكة ،
ولا يشفع له ما ذكره من أنه ما عدا كتاب
الله ما أغنى عنى ماله . هلك عنى سلطانيه ،
ذلك أن (الفرق جسيم بين أواخر هذه
القوافي في النغم والروح ، وبين قوافي
ابن الرقيات ، وهو وإن أراد أن يحتذى
القرآن إلا أنه لم يكن موقفا في ذلك
الاحتذاء) (١) .

ولا شك أن نقد عبد الملك هذا يتصل
بالألفاظ لا بالمعاني فلو أن الشاعر قال :
(وقرعن مروتى) و (فى مناكبى) لم يتوجه
النقد إلى هذه القوافي ، فاللين إنما جاءها
من الإضافة إلى ضمير الغائب ، وهو شيء
يحسه الذوق .

وهذا التخنت في الألفاظ غير التخنت في المعاني
التي تدل عليها بعض الألفاظ ، فقد يكون
اللفظ في نفسه قويا ولكن دورانه في مجالات
خاصة يضفى عليه لونا من الظلال يجعله خنثا .

(١) الأدب العربى وتاريخه ص ٢٣١ لأ - تاذنا
المرحوم محمد هاشم عطية .

(١) تاريخ اللغة الأدبية عند العرب ص ٣٦
المرحوم طه ابراهيم .

ولكن انفقوا على أن ذا الرمة كان يجيد القشبة حتى قال بعضهم إنه لا يحسن غير التشبيه فهل أراد جرير أن تشبهات ذى الرمة تبدو رائعة ، فإذا فقص عما وراهما لم يكن شيء فالتقد حينئذ يتصل بالمعاني .

كما أن ذا الرمة كان يكثر من الغريب في شعره فيبدو عند إنشاده أول مرة صامقا رائعا فإذا تأمله السامع لم يجد وراءه كبير معنى ، وهو نقد كذلك يتصل بالمعاني .

ويبدو أن ذا الرمة ، كان صاحب طريقة جديدة في وصف الصحراء والكائنات التي فيها سواء كانت كائنات ناطقة أم كائنات صامتة فلم يرق هذا النحو من القول لشعراء عصره ولا لرواته ، ولذلك نجدهم لا يعدونه في الفحول ، وحين يسأل ذو الرمة الفرزدق عن ذلك يجيبه بأن الذى منعه أن يعد في الفحول صفة الصحارى وأبعاد الإبل ، ومرة أخرى يجيبه حين يسأله : مالى لا ألحق بكم معاشر الفحول ؟ فيقول الفرزدق : لتجافيك عن المدح والهجاء واقتصارك على الرسوم والديار . ومن هنا - فيما أعتقد - جاء حكم الأصمعي بأن شعر ذى الرمة لا يشبه شعر العرب ، وقد ظنوا - واه - الرجل !

ومن تقدم للمعاني ما ورد في حكومة (أم جندب) بين امرئ القيس وعلقمة الفحل ، وذلك إن امرأ القيس لما نزل في طي " تزوج امرأة منهم يقال لها (أم جندب) وكان

وليس من الحتم أن يكون وقع من امرأة ماجنة ، وإذا صح أن القصيدة التي منها هذا البيت قيلت حقاً في وصف امرأة النعمان وهي متجردة كما أراده النعمان على ذلك كان للناطقة عذره في تسجيل هذا المشهد ، أما الأعشى فكان في حل من ترك هذه الألفاظ التي يتاجن بها النساء .

ومن تقدم للفظ وصف أبي عمرو بن العلاء شعر لبيد بأنه (رحي بزر) يريد أنه خشن لا يستحليه السمع .

وربما كان منه قول جرير بن الخطابي في شعر ذى الرمة : (نقط عروس ، وأبعاد ظباء) وقد فسر ذلك الأصمعي فقال : شعر ذى الرمة حلو أول ما تسمعه فإذا كثرت إنشاده ضعف ولم يكن له حسن لأن أبعاد الظباء أول ما تشم يوجد لها رائحة ما أكلت من الشيع والقيصوم والنبث الطيب الريح فإذا أدمن شمه ذهب تلك الرائحة ونقط العروس إذا غسلتها ذهب ، أو كما قال المبرد : إنما تبقى أول يوم ثم تذهب .

وعلى كثرة ما دارت هذه الكلمة على ألسنة الرواة لم يبينوا لنا هل هذه الصفة في شعر ذى الرمة راجعة إلى الألفاظ التي تخدع بريقها أول ما تلس الأذن ثم تذهب روحها إذا أعيد إنشادها ، أو إلى المعاني التي تبدو لأول وهلة رائعة فإذا تأملها المتلقي لم يجد لها من الروعة ما وجد لأول مرة .

ومن ذلك ما قاله الرشيد للفضل الضبي :
هل تعرف بيتا أوله أكرم بن صبيح في
أصالة الرأي ، ونبل العظة ، وآخره بقراط
لمعرفته بالداء والدواء . فقال المفضل : قد
هولت على فليت شعري بأى مهر تفترع
عروس هذا الخدر ؟ قال : بإنصائك
وإنصاتك ، وهو بيت الحسن بن هاني :

دع عنك لوى فإن اللوم لإغراء
وداؤنى بالتي كانت هى الداء
وربما جمع التقدير اللفظ والمعنى ، ومن
ذلك وصف الأصمعي لشعر ليبد بن ربيعة
بقوله . كأنه طيلسان طبرى . يعنى أنه جيد
الصنعة ، وليست له حلاوة .

ووصف محمد بن سلام الجمعي للبيد بقوله :
كان عذب المنطق ، رقيق حواشى الكلام ،
وكان مسلما رجل صدق .

ومن أشهر العبارات فى ذلك كلمة سيدنا
عمر رضى الله عنه ، فقد كان عمر يقدم زهير
ابن أبى سلمى ، ويقول فى تحليل ذلك : إنه
كان لا يعاظم فى المنطق ، ولا يقتبع الغريب
الحوشى ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولم يمدح
أحدًا إلا بما فيه .

فبعض هذا النقد يرجع إلى اللفظ وهو
ترك الحوشى أى الغريب الذى يقل دورانه على
الأسنة ، وبعضه يرجع إلى المعنى وهو البعد
عن المبالغة فى الأوصاف وإثارة الصدق فى المدح .
أما المعاظة فقد اختلف العلماء فى تفسيرها

مفركا نبغضه النساء فكرهته زوجه هذه ،
ثم أتاه علقمة الشاعر فتذاكرا الشعر عندهما
فقال كل منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ،
فقال علقمة ، قل شعراً وأنا أنت الصيد ،
وهذه الحكم بينى وبينك يعنى أم جندب
فقال امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها :

خليلى مرا بنى على أم جندب
لنقضى حاجات الفؤاد المعذب
وقال علقمة قصيدته التى مطلعها :

ذهبت من الهجران فى غير مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب
فقال لامرئ القيس : هو أشعر منك ،
رأيتك ضربت فرسك بسوطك ، وحركته
بساقك ، وزجرته بصوتك تشير إلى قوله :

فللزجر الأهوب ، وللحاق درة
والسوط منه وقع أهوج منعب (١)
ورأيت أدرك الصيد ثانيا من عنان فرسه
تشير إلى قول علقمة :

فأدركهن ثانياً من عنانه
يمر كمر الراح المتحلب
فأم جندب إنما تقدمت المعانى ، فامتدحت
معنى علقمة ، وهجنت معنى زوجها
امرئ القيس .

(١) الأهوب - بضم الهزة - شدة جرى الفرس
الدرة - بكسر الدال - جرى فى الهاء - الأهوج :
الأحق المنعب - بكسر الليم وفتح الهم - الذى
يستعين بصوته .

والمعاظلة - عنده - أن يداخل الشاعر لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها وإن أخل المعنى ببعض الاختلال، وذلك كقول أبي تمام:

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا
هنة فلم يتخون جسمه الكمد

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت وهي سبع كلمات آخرها قوله (عنه) ما أشد تشبث بعضها ببعض، وما أقبح ما اعتمده من إدخال ألفاظ في البيت من أجل ما يشبهها وهو (خان) و (خان) و (يتخون) وقوله (أخ) و (أخا) فإذا تأملت المعنى - مع ما أفسده من اللفظ - لم تجد له حلاوة ولا فيه كبير فائدة لأنه يريد: خان الصفاء أخ خان الزمان أخا من أجله إذ لم يتخون جسمه الكمد (١).

ونحو قوله:

يوم أفاض جوى أغاض تعزيا

خاض الهوى بحرى حجاج المزبد
فجعل اليوم (أفاض جوى) والجوى
(أغاض تعزيا) والتعزى موصولا به
(خاض الهوى) إلى آخر البيت، وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه مع أن (أفاض) و (أغاض) و (خاض) ألفاظ أوقعها في غير موضعها، وأفعال غير لائقة بفاعليها، وإن كانت مستعارة لأن المستعمل

وهي في الأصل مداخلة الشيء في الشيء يقال تعاضلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما الأخرى، وفسرهما قدامة بن جعفر بمداخلة بعض الكلام فيما يشبهه من وجه أو فيما كان من جنسه، وهذا ليس بمنكر، وإنما النكير عنده فهو في أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه، وما هو غير لائق به، قال: وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة مثل قول أوس:

وذات هدم عار نواشرها

تصمت بالماء تولبا جدعا
فسمى الصبي تولبا، وهو ولد الخمار، فإن ما جرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح لا عذر فيه، وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدن أشياء من الاستعارة ليس فيها شناعة كهذه، وفيها لهم معاذير إذا كان يخرجها مخرج التشبيه (١).

ويفهم من عبارات قدامة أن من المعاظلة الحسن والقبيح، ومرجع ذلك إلى إصابة الشبه المقبول في الاستعارة، وقد جعلها قدامة من عيوب اللفظ، ولكن عيب التشبيه من عيوب المعاني.

وفسر غير قدامة المعاظلة بتفسير آخر، وعابوا على قدامة تفسيره هذا، ومن هؤلاء الآمدي والعسكري، وابن سنان، وابن الأثير، وهي على تفسيراتهم من عيوب اللفظ، وأول من نبه على غلط قدامة الآمدي،

(١) يتخون يقتبس، والعبارات من الموازنة ص ٢٣٦ ط السادة.

(١) نقد الشعر ص ١٧٤، ١٧٥ الطبعة الأولى.

ولا المعنى المعقد ، وإنما هي المدخلة التي ينشأ عنها مثل هذين .

أما العسكري في الصناعتين فكانت شواهد من النوع الذي يسميه علماء البلاغة المتأخرون بالتمعقيد اللفظي .

ثم نستورد إلى التنبيه على ما وقع فيه بعض المحدثين من أخطاء ، قال صاحب كتاب (قدامة بن جعفر) بعد أن ذكر آراء علماء اعترضوا على قدامة : «والذي نستطيع أن نستخلصه من كلامهم أن (المعاطلة) هي كل ما يؤدي إلى التعميد سواء أكان تعقيداً لفظياً منشؤه تنافر الحروف في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة ، أم كان تعقيداً معنوياً منشؤه ما في الكلام من تقديم وتأخير عن المواضع الأصلية للكلام» (١) .

وفي هذه العبارات القصيرة أغلاط .

فالشواهد التي ساقها الآمدي والعسكري ليس فيها تنافر في الحروف ولا في الكلمات والتعميد اللفظي ليس منشؤه التنافر وإنما التنافر قسم له . والتعميد المعنوي ليس منشؤه التقديم والتأخير .

والذي نعرفه في مقدمة كتب البلاغة أن التمعقيد اللفظي سببه التقديم والتأخير وما أشبهما ، أما التعميد المعنوي فمنه الاستعارة البعيدة على حد ما ذكره قدامة . وكل ذلك معروف مشهور في كتب البلاغة .

في هذا أن يقال : قد علم ما بفلان من جوى ، وظهر ما يكتمه من هوى ، وبأن عنه العزاء ، وذهب عنه العزاء والتعزى . فأما أن يقال : فاض الجوى أو أفيض أو غاض أو أغيض فإنه - وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة - قبيح جداً . وكذلك خوض الهوى بحر التعزى معنى في غاية البعد والهجانة ، ثم اضطر إلى أن قال (بحرى حياء المزبد) فوحد المزبد وخفضه وكان وجهه أن يقول (المزبدين) صفة للبحرين ، فجعله صفة للحجى ، ويقال إنه أراد ببحرى حياء المزبد قلبه ودماغه لأنهما موطن العقل ، وذلك محتمل إلا إنه جعل المزبد وصفا للحجى ، ولا يوصف العقل بالإزباد ، وإنما يوصف به البحر ، وهذا وإن كان يتجاوز في مثله فإنه إلى الوجه الأردأ عدل به ، وجنب الطريق عن الوجه الأوضح (١) .

وإنما أطلت بذكر كلام الآمدي لآنبه على أخطاء وقع فيها بعض الباحثين المحدثين وواضح أن الآمدي يريد أن المعاطلة قد ينشأ عنها إخلال بالمعاني ، فالمعاطلة عنده هي ذكر لفظة مراعاة للفظة أخرى وهذا أحدهما ، وهي عيب لأنها قد تؤدي إلى استعارة غير محمودة أو إلى تعقيد في المعنى أو استكرام في الألفاظ ، فهي ليست الاستعارة القبيحة ،

(١) قدامة بن جعفر ص ٢١٤ للدكتور بدوي طبانة .

(١) المصدر السابق ص ٢٣٧ .

من علماء البيان - وأعتقد أن ما ذهبوا إليه الحق - يرون أنه (لا) . فالاستعارة هي استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة فنحن ننقل كلمة من معناها الأول إلى معنى ثان إذا كان بين المعنيين مشابهة فنحنى . باستعارة مقبولة فإذا لم تكن هناك صلة بين المعنيين أو كانت الصلة بعيدة ، والتداخل غير واضح في هذا النقل ، إن لم نقل إنه غير متحقق بالمرّة .

وأشد غرابة من هذا قول المؤلف : والتنافر كلمة اصطلاحية استخدمها الجاحظ ثم جرى استعمالها على السنة البلاغيين والنقاد ، فما العيب في أن يحاول قدامة أن يحدد معنى كلمة المعاظة ، ويجعل لها مدلولاً اصطلاحياً تمتاز به من كلمة التنافر التي وضحت دلالتها وتبين معناها ؟

ولو راجع المؤلف هذه العبارات لعجب من تدوينه لها ، فليس أبعد من هذا الكلام عن التحقيق العلى .

فالجاحظ لم يقل إن التنافر هو التعقيد ، ولا هو سبب من أسبابه ، وليس من هم المؤلف المتأخر أن يخالف من تقدمه ، وإذا كان واضح معنى التنافر واستقر فهل يلزم أن يلتصق مؤلف للمعاظة معنى اصطلاحياً آخر ، ولو لم تظهر المناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى ؟

وقد ذكر المؤلف أن الآيات التي تمثل بها الآمدى فيها ضرب من تنافر الحروف في الكلمات مجتمعة لأنها تكررت متجاورة ، وهو كلام غير مقبول ، فإن أحداً لم يقل إن في هذا الكلام تنافر في الحروف ، ولم يشر الآمدى إلى هذا .

والمؤلف يدافع عن رأى قدامة على الرغم من أنه يذكر أن رأى العلماء بعد قدامة يكاد يعتقد على رفض ما ذهب إليه .

وحجة صاحب قدامة في الدفاع عن رأيه غريبة فهو يقول : إن المعنى اللغوى للمعاظة وهو التراكب أو الذنوب أو التداخل لا يتنافى مع مذهب قدامة لأن التداخل المعيب يؤدي إلى التعقيد ، وليس شيء يظهر فيه التعقيد مثل الذى يبدو فيما مثل به قدامة .

فما هو التداخل المعيب ؟ وما مثاله ؟ هل هو الذى ذهب إليه الآمدى ومن تبعه ؟ وإذا لم يحقق المؤلف هذا التداخل المعيب بصورة معينة من صور الكلام ، وجعله لفظاً بلاحقيقة ، لينطبق هذا اللفظ أخيراً على الاستعارة المردودة فهل كل عيب يؤدي إلى التعقيد يصح لنا أن نسميه معاظة ؟ والجواب : لا . فهذه اصطلاحات قصد بها التحديد ، ولا مانع أن تؤدي أنواع مختلفة إلى نتيجة واحدة .

والقضية : هل في الاستعارة تراكب وتداخل ؟ المؤلف يرى أنه (نعم) وغيره

بما ذكره مؤلف قدامة ، فقد قال : لا نرى في شعر زهير شيئاً من هذا الجنس ، ويوجد في أكثر شعر الفحول نحو ما نفاه عنه عمر رضي الله عنه .

وأيا ما كان فذكر المعاطلة في قول سيدنا عمر يشير في رأى أكثر النقاد والبلاغيين إلى عيب لفظي نجما منه شعر زهير .

على العماري

والعجب عندي كل العجب كيف ذهبت كل هذه الأغلاط عن أعضاء اللجنة التي ناقشت هذا الكتاب ومنحت مؤلفه الدكتوراه ١٩ إن الكتاب - في جملة جيد ، ولكن كان ينبغي أن تنبه اللجنة لمثل هذه الأخطاء وبذلك يسلم الكتاب ويصفو .
ثم إن أبا هلال العسكري استدلل على غلط قدامة بدليل هو أقرب إلى القواعد العلية

(بقية المنشور على صفحة ١٠٧٩)

د ألقيا في جهنم كل كفار عنيد . مناع للغير معتد مريب . الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد ، وفي سورة الإنسان تجمد فواصل من أمثال دكان مزاجها سلسبيلا ، دكان مزاجها كافورا ، دقواربرا ، قواربرا ، دجزاء ولا شكورا ، دذلاله قطوفها تذليلا ، .

ثم إن الشعراء أحكمت القوافي كما أحكمت الوزن بعد طول تدرج ، والتمست وحدة الروي فيما تحتفل له من كلام ، وهذا مدلول قول ابن سلام الذي ذكرناه آنفاً حيث قال : إن القصيد إنما قصد على عهد هاشم وعبد المطلب ابن هاشم .

الدكتور هبة الله الطيب

(للبحث بقية)

والجرس وتقارب المخرج ربما نزل منزلة الروي كالذي في سورة الطور مثلاً : — دالطور وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع ، وكالذي في سورة ق : — وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد . قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد . يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد . وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أرباب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد . وكما أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا نجحوا في البلاد هل من محيص ، وقبل هذا —

الإسلام في تنجانيقا

للأستاذ عطية صقر

في العالم في إنتاجه . وطاحتها مدينة دار السلام التي تقع على ساحل المحيط ويتكون سكانها من ٦٦ ٪ من الإفريقيين و ٢٩ ٪ من الآسيويين من العرب والهند وبالكستان ، و ٥ ٪ من الأوربيين ، وطابع المدينة ألماني في المباني والشوارع والمظهر العام . يبلغ سكان تنجانيقا نحو ثمانية ملايين حسب إحصاء سنة ١٩٥٠ ، ويقدره بعضهم الآن بعشرة ملايين نسمة ، وهؤلاء السكان خليط من أجناس مختلفة وقبائل متعددة ، فالإفريقيون ويبلغ عددهم أكثر من ثمانية ملايين يتكونون من ١٢٧ قبيلة أهمها السوكوما والنياكيوزا والماساي والواشاجا والباهايا ، ويذكر الرحالة والباحثون أن قبائل الماساي تعيش على الفطرة ، وهي شديدة البأس في القتال ، غذاؤها اللبن بمزج بالدم الذي يسحب من عروق البقر بثقبها ثم تضميدها بالبن .

كانت البلاد جزءاً من السلطنة العربية العمانية ، ثم استولت عليها ألمانيا سنة ١٨٨٥ م ثم وضعت تحت الانتداب البريطاني عقب الحرب العالمية الأولى بمقتضى معاهدة فرساي ، واستمرت تحت وصايتها حتى استقلت منذ عام ثم أعلنت جمهورية في ديسمبر الماضي .

في التاسع من شهر ديسمبر سنة ١٩٦٢ ، وعلى قمة جبل كيليمانجارو Kilimanjaro الذي يرتفع عن سطح البحر ١٩٣٤٠ قدماً ، والذي قال عنه جون جنتر : إنه هو الذي يقطف السحب البنفسجية من الرياح الموسمية الهائمة ، ويمصرها مطراً فيصنع بها الحياة ، يصنع الأنهار والحدائق ، وتحول الأنهار إلى بحيرات ، ويبقى هو شاخاً يحمل الغابات على ظهره . في هذا اليوم وفوق قمة هذا الجبل - الذي يقدره الأهليون ويصلون له إذا تأخر المطر ، ويعتقد بعضهم أنه عرش الإله - يرتفع علم مكون من اللون الأخضر والذهبي والأسود ليذنانا بمولد جمهورية تنجانيقا Tanganyika ، التي نالت الاستقلال في مثل هذا التاريخ من العام الماضي ، بعد ثلاثة وأربعين عاماً كانت فيها مشدودة إلى عجلة التاج البريطاني .

تقع هذه الجمهورية في شرق إفريقيا ، وتحدها شمالاً كينيا ، وجنوباً موزمبيق ، وشرقاً المحيط الهندي وزنجبار ، وغرباً الكونغو . وتبلغ مساحتها ٣٦٢٠٧٦١ ميلاً مربعاً ، وأهم حاصلاتها الكتان والسيسال الذي تصنع منه أجود الحبال ، والذهب والماس الذي تعتبر تنجانيقا ثالث دولة

حيث كانت لهم بها علاقات تجارية قام بدور كبير فيها عرب الجنوب المشهورين بنشاطهم البحري في المحيط الهندي . وقد زارها المسعودي المؤرخ والرحالة الشهير في بداية القرن العاشر الميلادي مع البحارة العانيين ، ووصفها في كتابه مروج الذهب الذي أتم كتابته سنة ١٩٤٧م ، وقال إن أهلها ماهرون في صناعة المعادن وصيد الفيلة ، ويجعلون للحديد قيمة أكبر من الذهب ، وأن فيهم خطباء ممتازين ، ولهم عقائدهم الدينية الخاصة . وزار ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الميلادي مدينة كلوا Kilwa على الساحل ، وقال إنها واحدة من أجمل المدن وأحسنها بناء ، وذكر أن مذهبهم شافعي ، وأن سلطانهم يسمى أبا المظفر حسن .

دخل الإسلام تنجانيقا بشكل واضح في بداية القرن العاشر الميلادي على أيدي التجار العرب ، وكان أول من هاجر إليها من المسلمين - كما يقول أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» - جماعة من العرب نفوا لأنهم اتبعوا تعاليم خارجة على الدين كان يقول بها شخص يدعى زيدا من سلالة النبي ... ولا يبعد أن يكون زيد هذا هو زيد ابن علي حفيد الحسين ، وقد ادعى في عهد الخليفة هشام أنه المهدي ولكنه قتل سنة ١٢٢هـ (٧٤٠م) . وجاء عرب آخرون أسسوا مدنا على الساحل الإفريقي منها مقديشو

وكانت قبل سنة ١٩٢٥ يدير شئونها حكام مسلمون من قبل سلطان زنجبار ، من أصل عربي وسواحيلي ، غير أن حكومة الانتداب أصبحت تتعامل فيها بعد مع رؤساء القبائل ، وتعطى بعضهم شيئاً من السلطة في إدارة الشئون الخاصة بالقبيلة ، واجتهدت في إقصاء المسلمين عن المناصب الرئيسية ، متذرة - كما هي عادت في سياستها الاستعمارية - بأنهم يهتمون بنشر الإسلام ويهملون شئون الرعية . وللبلاد مجلس وزراء وبرلمان كان عدد أعضائه في أغسطس سنة ١٩٦١ يبلغ ٨٢ عضواً منهم اثنان من العرب ، ١٥ من الهنود ، ١٦ انجليزيا . ورئيس الجمهورية هو بوليوس فايريري Julius Nyerere ونائب الرئيس هو رشيدى كواوا وكان قبل ذلك رئيساً للوزراء وهو رئيس اتحاد نقابات العمال التابعة لحزب تانوا اتحاد تنجانيقا الإفريقي الوطني ، وهو أكبر حزب سياسى تكون سنة ١٩٢٩ باسم الجمعية الإفريقية لتنجانيقا ، ألفها جماعة من الموظفين الانجليز لإلقاء المحاضرات الثقافية ثم تطورت بعد الحرب العالمية الثانية ، ولما عين نيريري رئيساً لها سنة ١٩٥٣ حولها سنة ١٩٥٤ إلى حزب سياسى . لم يعرف الغربيون تنجانيقا إلا في مطلع القرن السادس عشر حين اجتاحتها دالميدا D'almeida البرتغالى سنة ١٥٠٥ م . ومن الثابت أن العرب عرفوها من زمن قديم

السواحيل العاى الذى يقول : « إذا تشاجر فيلان فالحشائش دائماً هى التى تدوسها الأقدام، والفيلان هما ألمانيا وانجلترا، والحشائش هى شعب تنجانيقا .

المدارس الموجودة منها حكومية وطائفية، ومدارس الإفريقيين بدائية فى نظامها وعلومها ويدرس فى بعضها القرآن والكتابة بالكيسواحيلية . ومدارس الطوائف منظمة والدين يدرس فيها اللغة العربية مع الانجليزية، وهناك ميل لتعليم البنات بين المسلمين، غير أنهم طلبوا من الحكومة ألا تكون المدارس تحت سيطرة المسيحيات، والمسلمون لا يقبلون على دخول مدارس المبشرين، ويفضلون الجهل على التعلم فيها .

وفى المناطق التى يكثر فيها المسلمون توجد كتائب كثيرة، فى منطقة تابورا Tabora وبخاصة مركز يوجيجى Ujiji الواقع على شاطئ بحيرة تنجانيقا يوجد ٣٣ مكتبا، والآباء يحبون أن يعلموا أولادهم القرآن، ويدفع الولد للعلم ٦٠ شلما عند نهاية الدراسة، وإذا حفظ ٣٠ صورة التحق بمدرسة عليا يديرها أحد المشايخ، ويوجد من هذا النوع ست مدارس تدرس فيها علوم التوحيد والشريعة إلى جانب العلوم المدنية .

واللغة السائدة هى الكيسواحيلية Ki Swahili وكى معناها لغة، وسواحيلى

فى منتصف القرن العاشر، ومن هذه المدن تسرب الإسلام إلى الأهالى ونفذ إلى داخل القارة . وفى أوائل القرن الحادى عشر جاء إليها مهاجرون من الخليج الفارسى بزعامه رجل يسمى عليا، وهو أحد أبناء سلطان شيراز السبعة، وأسس مدينة كولا الحدى مدن تنجانيقا .

والدين الغالب فى هذه البلاد هو الوثنية الإفريقية والآسيوية، وفيها نحو مليون كاثوليكى، أما المسلمون فقد اختلفت الإحصاءات فى تقدير عددهم، وأقربها ما ذكره أطلس التاريخ الإسلامى الذى نشرته جامعة برنستون الأمريكية فى طبعة ١٩٥٤م حيث يقدمون بنحو ١٤٦٠٠٠٠ . وتقول نشرة

فيدس التبشيرية الصادرة فى ١٣/٤/١٩٥٧ إن عددهم ١٨٣٤٠٠٠ من مجموع ٨٥٦٠٠٠٠ فنسبة المسلمين على أقصى تقدير لا تصل إلى ربع المجموع العام للسكان . وقد نشر على لسان أحد الزعماء أن نسبتهم ٧٠٪ ولكن ذلك مراعى فيه مجموع سكان شرق إفريقيا بدوله المتعددة التى تكثر نسبة المسلمين فى بعضها .

والحالة العلمية فى البلاد متخلفة بشكل عام . وكان للاستعمار أثر كبير فى ذلك، وفى سنة ١٩١١م كان فيها ١٠٠٠ مدرسة بها ٦٦ ألف تلميذ، وليس فيها الآن هذا العدد، وكان المفروض أن يزيد طبقا لسنة التدرج الطبيعى، ولكن صدق فى تنجانيقا المثل

يسمى عبيدي وهو أول عمدة مسلم لها . ورئيس المجلس التشريعي سنة ١٩٦٢ هو عبد الكريم كريمجي من أصل باكستاني واسع الثراء ، ويمتلك مبنى الجمعية التشريعية ويمول حزب « تانو » . والسلطان عبد الله فونديكيرا وزير في الحكومة وعضو الحزب المذكور وزار القاهرة سنة ١٩٦٢ .

والمسلم هناك يحرص على لبس « السكازو » وهو قباء خاص من القطن الأبيض وطاقيّة بيضاء تسمى « الكيبانديكو » ، ويتكلم الكيسواحييلية باعتزاز وإن كان يتكلفها . وللتقاضى في تنجانيقا أمام المحاكم التي تقضى بالقانون الانجليزي وبعض التقاليد الخاصة بالبيئة ، والأحوال الشخصية يرجع فيها للوالى وهو يحيلها إلى محكمة زنجبار الشرعية والنساء غير المسلمات سافرات ومثابن المسلمات الإسماعيليات ، أما غيرهن ففى ستر كامل .

وفي البلاد مناطق يكثر فيها النشاط الإسلامى من أهمها « تابورا » التي يقول عنها الدكتور شيل في مجلة العالم الإسلامى التي تصدرها الجمعية الألمانية للثقافة الإسلامية برلين : إنها حصن الإسلام المنيع في إفريقيا الشرقية بها هي وضواحيها ثلاثون مسجداً وكتاباً ، وأربع مساجد كبيرة لصلاة الجمعة ، أحدها للعرب والثاني للهنود والباقيان الوطنيين . وأغاب المؤذنين والمدرسين في هذه المساجد من سكان الساحل الشرقى وهم يتقنون كتابة

نسبة إلى الساحل ، وهذه هي لغة التخاطب وهي مزيج من لغة السكان الأصليين والوافدين عليها يقول عنها باصيل دافيدسون إن أسسها وعناصرها تتصل اتصالاً وثيقاً بلغات قبائل الباتو الإفريقية ، وإن كان قد لحقها تأثير عربى كبير في قرون طويلة . وبعض العرب يتكلم العربية في نطاق ضيق والغالبية يفاخرون بعروبيتهم مع جهلهم باللغة ، والهنود يتكلمون الجوجارتية والأوردية ويعتزن بهما ، وبالرغم من أن لغة الخدم والمرييات هي الكيسواحييلية فإنها لم تستطع أن تغزو هاتين اللغتين كما غزت اللغة العربية . والعربية لا تدرس في المدارس الحكومية واللغة الانجليزية هي اللغة الرسمية . وفي تنجانيقا صحف تصدر بلغات عدة ، أشهرها « تنجانيقا ستاندارد » وتصدر بالانجليزية . وتصدر صحيفة « أو انجازا » بالسواحيلية ، وليست هناك صحافة إسلامية تذكر ...

والمسلمون منتشرون في أنحاء تنجانيقا ، ويشاركون في الحياة العامة للدولة جنباً إلى جنب مع سائر المواطنين ، ولبعضهم مراكز هامة في الحكومة كانت ذات أثر كبير قبل أن تعمل بريطانيا على إبعادهم من المناصب الحساسة ، لتفصح المجال للبشرى لى يصنعوا رجالاً على أعينهم يخدمون أغراض الاستعمار . ونائب رئيس الجمهورية الآن مسلم هو رشيدى كواوا . وعمدة دار السلام

الشيخ أحمد صالح البوسعيدى والى دار السلام والجمعية الإسلامية برئاسة السلطان عبدالله فونديكيرا ، ولها مجالس إقليمية فى طنجة برئاسة عبدالله كريمجى ، وفى دار السلام برئاسة أخيه ، وفى غيرها من البلاد . وقد أنشأت هذه الجمعية ٧٠ مدرسة ، ٥٣ مسجداً فى تنجانيقا .

وأشهر المساجد فى دار السلام المسجد الجامع ومسجد الكلاله ، والمذهب الفقهى السائد عند أهل السنة هو الشافعى وهناك بعض الأحناف . وذلك إلى جانب مذاهب الشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية ، والمذهب الألباضى .

ومن الشخصيات الإسلامية المعروفة غير من ذكرنا : الشيخ حسن عمير عالم أهل السنة بدار السلام ، والشيخ حسين جمعة وهو زعيم إفريقيا ومدير مدرسة الحسين ، وتبوا رئيس الجمعية الإسلامية فى تنجانيقا وزنجبار ، والسلطان سعيد فونديكيرا والسلطان عبدالله وكان له جهده فى نشر الإسلام فى منطقة تابورا هذا والمبشرون قلقون جداً من نشاط المسلمين فى نشر الدعوة ، ويقررون أن كل مسلم صغيراً كان أو كبيراً يعد نفسه داعية للإسلام وكبار الزعماء لهم نفوذهم فى هذا المجال ، ويساعد على انتشار الإسلام زواج المسلمين من غير المسلمات الوافدات من « يروندا » وغيرها طلباً للعيش فى ظل هذه المناطق

الحروف العربية وقرأتها وإن كان الكثيرون لا يجيدون فهمها ولا يستعملونها إلا فى الأغراض الدينية .

وفى هذه المنطقة يوجد مركز « يوجيجى » وهو ذو أهمية بالغة ، يقع عند نهاية الخط الحديدى الذى يصل دار السلام بالبحيرة ، وقد أنشأه التجار العرب ليكون محطة للقوافل ، وذلك منذ مائة عام تقريباً . ويقدر عدد المسلمين به بنحو ٣٥ ألفاً . والمبشرون فى منطقة كيجوما Kigoma يبدون تخوفاً كبيراً منه . والمسلمون يعتنقون بنظافة مساجدهم ويحافظون على إحياء الشعائر فى رمضان ، ويمدون الموائد إلى ساعة متأخرة من الليل يتردد عليها كثير من غير المسلمين فيعشقون الإسلام إعجاباً بنظامه التكافلى العظيم . وفى يوجيجى جمعيات لمحاربة البدع كما يوجد نشاط كبير للطرق الصوفية ، فإن إحداها تقيم كل يوم سبت حلقات للذكر على الأنغام والأناشيد .

ومن أهم المراكز الإسلامية أيضاً باجامويو Bagamoyo وطنجة Tanga حيث توجد بها جمعيات كثيرة يفد إليها الراغبون فى المعرفة من أقاصى البلاد ، كما يقوم كبار رجالها برحلات تعليمية فى أنحاء الجمهورية .

ومن الجمعيات الدينية البارزة : جمعية نشر الثقافة الإسلامية تأسست سنة ١٩٥٣ برئاسة

الغربية من إفريقيا الشرقية ، وفشروا الدعوة بين الوطنيين ، كما استطاعوا وضع البلاد تحت نفوذهم الاقتصادي والتجاري ، ولو أنه لا تزال هناك نواح لم يتمكن فيها الإسلام من ترسيخ قدمه ، رغمًا من وجود ما يدل على تطور فكري نحو الأفكار الإسلامية بين قبائل الوطنيين من حين لآخر .

والواجب على المسلمين في جميع الأقطار أن يقدروا مثل هذا الكلام وأن يفتشوا فرصة تطلع الناس هناك إلى الإسلام وما يحاول المبشرون أن يصنعوه في هذا المجال ، وإذا كان في الأزهر الآن طالبان من تنجانيقا وإذا كان قد أرسل سنة ١٩٤٦، ١٩٥٣ بعض علمائه لاستطلاع الأحوال هناك ، فإن هذا غير كاف فيما يجب على الجمهورية العربية بالذات أن تفعله لإزاء هذه الجمهورية الفتية ، التي لها وضعها الخاص بالنسبة إلى كثير من الدول المجاورة ، والمقبلة على عهد جديد من الحرية والوحدة والإحساس العميق بالقومية الإفريقية العامة ، والتبرم بسياسة الغرب القائمة على الاستغلال والتفرقة العنصرية التي عانت منها إفريقيا زمنا طويلا وإنا لمعتظرون ؟

عطية صفر

مفتش الوعظ بالأزهر

الخيرة ، وهذه فرصة لإسلامهم وإسلام من يتصل بهم من الأقارب وغيرهم . والمبشرون يوجهون أكبر اهتمامهم لمقاومة الإسلام في يوجيجي ، ولكي تأخذ صورة أوضح على هذا أذكر لك ما جاء على لسانهم في نشرة فيدس الصادرة في ١١/٦/١٩٥٥ وهذا نصه :

لا شك أن دين محمد عاتق رهيب للرسالة الكاثوليكية ، وليس الخوف من سرعة انتشاره ، بل لأنه يحيل أتباعه إلى متعصبين ضد المسيحية ، إن ليمان المسلم مع بساطته يشع رغبته الدينية ، فهو يسمح له بحرية واسعة في سلوكه ... إن الإسلام يفوق المسيحية في سرعة انتشاره ، فإن التجار وبخاصة الهنود والباكستانيون دعاة بارزون متحمسون حيث يقيمون متاجرهم في الأماكن المزدحمة بالسكان ، بل يقيمون كثيراً منها وسط الأديان ، وهي دائماً مراكز لنشر الإسلام ، والأهالي يودون التخلص من عار الوثنية والجاهلية بهذا الدين الذي لا يكلفهم كثيراً ... هل سيصير الإسلام دين الأغلبية ؟ نحن نأمل ألا يكون ذلك وإن كانت إمكاناتنا للعمل محدودة جداً .

وبعد ، فإن الدكتور شيدل قال في مجلة العالم الإسلامي : « إن المسلمين الغرباء تمكنوا في سنة ١٩١١/١٩١٢ من التغلغل إلى المناطق

الدين وعلاقته بالأدب

عند : ت. س. البوت
للأستاذ رشاد محمد خليل

قضية المعادل الموضوعي ، المهم أن إلبوت باعتراف الجميع أكبر الشعراء الانجليز المعاصرين ، ومن أكبر نقاد الأدب في العالم ، فهو غير منهم على الأقل في مقدورته الفنية ، أو تذوقه ، وحين يتكلم عن العلاقة بين الدين والأدب لا يمكن أن يتم بأنه يصدر في كلامه عن جهل بالاعتبارات الفنية ، أو يستجيب للوثة من لوثات الهوس الديني ، وإذا كان نقادنا تحت تأثير تيار النقد المادي المعاصر قد أهملوا رأي إلبوت في العلاقة بين الدين والأدب ؛ فإنني أعتقد أن الأمانة تقتضينا أن نكون من الشجاعة بالدرجة التي تمكننا من أن نقدم الرجل من جميع جوانبه لقراء العربية ، ولا نكتفي بنظريته في المعادل الموضوعي ، وذلك نظراً إلى تأثير إلبوت العميق في الأدب العالمي وفي أدبنا العربي المعاصر على السواء ، ثم إن اتجاه النقد العالمي إلى فصل الدين عن الأدب لا يستلزم منا الخضوع الأعمى ، وإن وقوف إلبوت في وجه هذا التيار ليقول رأيه بشجاعة ليؤكد أن سيطرة الاتجاه المادي على الواقع المعاصر ليست خاتمة المطاف ، كما يؤكد أن هذه الحيرة التي تجتاح عالم اليوم أخذت بالفعل تتلصص

يكاد الإجماع في أوساطنا الأدبية ينعقد على ضرورة الفصل بين الدين والأدب ؛ لأنهم يعتبرون الدين حجراً على حرية الأدب وإبداعه ، مع أن هذا الفصل غير ممكن في واقع النفس الإنسانية ؛ لأن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ ؛ والدين والأدب كلاهما يصدران عن هذه النفس ، ويتجهان نحو هدف واحد هو تنظيف الوجدان الإنساني ، وبناء الضمير على أساس سليم ، وهم يحتجون لهذا الفصل بتاريخ الأدب الغربي وأحكام نقاده ، ويعتبرون كل من يربط الدين بالأدب ملحداً في حق التقدم الإنساني . ونحن نقدم هنا علماً من أعلام الأدب الغربي المعاصر ، دارت حوله في صحافتنا الأدبية معارك حامية ، وانقسم النقاد حول (معادله الموضوعي)^(١) بعضهم ينادى به ، والبعض الآخر يتهجم عليه ، وإن كانوا جميعاً قد سكتوا عن رأيه في صلة الدين بالأدب ، مع أن هذه الصلة في رأي إلبوت وتفكيره أخطر من

(١) المعادل الموضوعي نظرية اشتهر بها إلبوت وهي تذهب إلى أن العمل الأدبي ليست مهمته نقل الواقع أو نقل إحساس صاحبه ، وإنما مهمته خلق حالة نفسية عند القارئ تعادل العمل الأدبي نفسه .

الروائيون جميعا ما عدا جيمس جويس
المسيحية مجرد ترهات) .

ثم يسخر من الذين يريدون تجزئة العقل
الإنسانى إلى جزء متدين وآخر غير متدين
بقوله : (هل من الممكن أن يؤمن الناس
بفكرة محدودة دينية كانت أو غير دينية بجزء
من عقولهم ثم يقرءون الرواية أو الشعر بجزء
آخر ؟ ^(١) بل إن إليوت ليذهب إلى أبعد
من ذلك فيجزم باستحالة اتخاذ موقف حيادى
إزاء العمل الأدبى (إنى أعتقد أن الموقف
الحايد إزاء الأدب لا يجدى ، حتى ولو كان
الكتاب الذين يحاولون فرض وجهات نظرم
في الحياة علينا أصحاب أصالة ذاتية في الحقيقة ،
أو حتى لو كنا نحن أفرادا أصحاب أصالة
ذاتية في الحقيقة ، فإذا ستكون النتيجة ؟
إن الذى سيكون بالتأكيد هو أن كل قارئ
سوف يتأثر في قراءته بما كان مستعدا لأن
يتأثر به من قبل فقط ، إنه سوف يسير
في الركب ومن هنا لن يكون هناك أى ضمان
لكى يصبح رجلا أفضل ^(٢)) وإذن فالشخصية
الإنسانية تتلقى الأدب ككل وتتأثر به ككل
ومهما يحاول الإنسان أن يفصل بين تذوقه
الأدبى واعتقاده فلن يتيسر له ذلك (فالحقيقة
أن ما نقرأه لا يتعلق فقط بما نسميه الذوق
الأدبى ولكنه يؤثر مباشرة في تكويننا

طريقها إلى راحة عميقة لن يكون لها مصدر
في غير الدين .

وإليوت يعتبر ربط الأدب بالدين مسئولية
النقد الأدبى فيقول : (إن النقد الأدبى يجب
أن يكمل بوجهات نظر أخلاقية وعقائدية
معينة ، وفي كل عصر من العصور الماضية
وجد اتفاق عام على مسائل أخلاقية وعقائدية
قام في ظلها النقد الأدبى ، ولكن في عصر
كمصرنا حيث لا يوجد مثل هذا الاتفاق العام
نجد من الضروري بالنسبة للقراء المسيحيين
أن يقوموا قراءتهم خصوصا ما كان منها
خاصا بالأعمال التخيلية بموازين أخلاقية
وعقائدية واضحة دقيقة ، فالأدب في معظمه
لا يمكن أن يقوم بالموازين الأدبية البحتة
هذا إذا افترضنا أصلا إمكان وجود أدب
يقوم بالموازين الأدبية البحتة وحدها ^(٣) .

ثم يستمر إليوت في نظريته الجزئية فيعتبر
تطور الأدب الغربى تطورا منحرفا عن
قاعدة الاعتقاد الغربى وهو المسيحية ، ويرى
أن هذا الانحراف مر بثلاث مراحل . المرحلة
الأولى اعتبرت الرواية المسيحية قضية مسلما
بها في اعتقاد العصر فابتعدت عن تصويرها
للحياة ، وفي المرحلة الثانية وقفت الرواية
من الاعتقاد المسيحي موقف المعارضة وفي
المرحلة الثالثة وهو العصر الحديث اعتبر

(1) Religion and Literature :
Selected prose : I.S. Eliot

من الأدب أدب خاص بالعالم المسيحي وآخر خاص بالعالم الملحد^(١)) ويدعو المسيحيين إلى تقويم الأدب تقويماً مسيحياً (إني أعتقد أنه يقع على عاتق جميع المسيحيين واجب إقامة موازين ومقاييس نقدية معينة لكل ما يزودنا به العالم من أدب، وهذه المقاييس والموازين يجب أن تقوم جميع ما نقرؤه، إن من واجبنا أن نتذكر أن معظم قراءاتنا الحالية قد كتب بواسطة أناس ليس لهم أي اعتقاد في نظام سام، وإن كان بعضه قد كتب بواسطة أناس لهم آراء خاصة في نظام سام غير نظامنا. إن معظم قراءاتنا الهامة قد كتب بواسطة أناس ليسوا فقط مجردين من هذا الاعتقاد، ولكنهم أيضاً يجهلون حتى حقيقة وجود أناس في هذا العالم، هم من التخلف للدرجة التي تجعلهم مازالوا مستمرين في الإيمان بعالم من هذا القبيل... إننا بقدر ما نكون واعين بالحواس التي تفصلنا عن الجانب الأكبر من الأدب المعاصر بقدر ما نكون في موقف أقل أو أكثر أمناً من أذاه...).

ذلك هو موقف ت. س. إليوت الأديب الناقد الفيلسوف من صلة الدين بالأدب باعتباره مسيحياً، فما هو موقف أدبائنا وقادنا من هذه الصلة باعتبارهم مسلمين؟

رشاد محمد خليل

وإن كان ذلك يحدث وسط مؤثرات أخرى إن جملة نكوينا - على ما أعتقد - عبارة عن أحسن ما ننتخب عن طريق الامتحان الواعي خلال دراستنا الأدبية. صحيح أن من الممكن أن نقرأ الأدب للتسلية فقط أو الاستمتاع الجمالي إلا أن هذه القراءة لا يمكن أن تؤثر في جزء مستقل من تفكيرنا فقط، وإنما تؤثر فينا ككل، كوجودات بشرية، لأنها تؤثر في وجودنا الأخلاقي والديني^(٢)).

ويرى إليوت أن الأدب والدين كلاهما مكمل للآخر فيقول: (لكي تتمكن من إصدار أحكام أدبية سليمة يجب علينا أن نعرف شيئين أولاً: ماذا نكون فعلاً؟ وثانياً، ماذا يجب أن نكون؟... لأنه ليس كافياً أن نفهم ماذا ينبغي أن نكون مالم نعلم من نكون ونحن لا نعرف من نكون مالم نعرف ماذا ينبغي أن نكون، إن الوعي الذاتي بماذا نكون وما ينبغي أن نكون يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب... إن واجبنا كقراء للأدب أن نعلم ماذا نكون وإن واجبنا كسيحيين كما هو واجبنا كقراء للأدب أن نعلم ماذا يجب أن نكون، إن واجبنا كرجال أمناء ألا نسلم بأن ما نكوونه هو ما ينبغي أن نكوونه^(٣)). بل إن إليوت يدعو بحرارة إلى قيام أدب مسيحي (إن أمنتني الآن هي أن يوجد نوعان

(١) المصدر نفسه.

(٢) و ٢ المصدر نفسه.

من أعلام الساميين في الهند : مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

— ٥ —

صلة بالسابق « نبض على مولانا آزاد في أوائل الحرب العالمية الثانية وظل بالمعتقل حتى أخرج عنه ليتولى للمفاوضات مع « كريبي » ممثل بريطانيا سنة ١٩٤٢ ولما أخفقت المفاوضات ، وبدأت الأمور تتأزم اعتقلته الحكومة الإنجليزية مع الزعماء الهنود الآخرين في السنة نفسها وظل في المعتقل حتى أفرج عنه في يونيو سنة ١٩٤٥ لاتباعه بريطانيا إلى المفاوضات لحل مسألة الهند

هنا وهناك وكلما مر الوقت اشتدت الفتن وكثرت الأذاج بين المسلمين والهندوس ... مما جعل المتفاوضين يوافقون على قرار التقسيم ، الذي وافق عليه المؤتمر رغمًا عنه ، والرابطة تساهلت من ناحيتها فيما يتصل ببعض الولايات مثل تقسيم بنغال وبنجاب ، وانتهى الأمر أخيرًا إلى إعلان الحكومة البريطانية قرارها بتسليم السلطة نهائيًا إلى الدولتين الوليدتين في أغسطس سنة ١٩٤٧ .

وكان مولانا آزاد يؤمن إيمانًا تامًا بالوحدة فوقف ضد فكرة التقسيم من أولها لم يتخرج عنها إلا مضطرا برغم ما كان يصيبه أحيانا من إيذاء المنتمين للرابطة ...

وهكذا ظل مولانا آزاد يجاهد ويقود المجاهدين ، ويوجه دقة السياسة في حزب المؤتمر ، ويتولى المفاوضات باسمه حتى ظفرت

لقد اتجهت بريطانيا إلى حسم مشكلة الهند بعد أن انهزمت ألمانيا في ربيع سنة ١٩٤٥ وأفاق الحلفاء من كابوس ثقيل ، ولذلك وجه اللورد ويفل نائب الملك في الهند دعوة إلى مثلي حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية للاجتماع به في يوليو سنة ١٩٤٥ بمدينة « سمل » في شمال الهند وكانت الحكومة تتخذها مصيفا لها ، فكان مولانا آزاد - باعتباره رئيسا لحزب المؤتمر - وغاندي هما اللذان يمثلان الحزب في هذه المفاوضات ، وكانت المشكلة الحقيقية أمام المتفاوضين هي التقسيم أو عدم التقسيم . كانت الرابطة تصر على التقسيم ، وحزب المؤتمر يصر على الوحدة ، وانجلترا تكاد تخفض يدها من الهند وتسلبها لأهلها ... ومن وراء المتفاوضين كانت الهند كلها تموج بالخلافات والفتن الطائفية والأذاج

فيها ... وتفتحت له أنهر جديدة من الثقافة والمعرفة لم يكن يعرفها من قبل ، وساعدته هذه الثقافة ، على حسن إدراكه لثقافته الدينية ، وحسن توجيهها ، فكان صاحب الشفاقتين الشرقية والغربية ، وصاحب الإمامتين : الإمامة في الدين ، والإمامة في السياسة ، وكانت إمامته في الدين تسبق إمامته في السياسة ، حتى ليقول الأستاذ همامون كبير عنه : « كنت أظن أن مولانا أَرَادَ عالم من كبار علماء الدين - كما ظن كثيرون غيري - ، ولا يعرف من السياسة وحل المشاكل على النهج الحديث إلا قليلا ، ولكنني دهشت حينما علمت أن معالجته لكثير من القضايا السياسية ، كانت معالجته علمية دقيقة ، وأحسن من معالجة كثيرين من الساسة الهنود الذين تلقوا علوما حديثة .

ويصفه المهاتما غاندى فيقول : « إنه لا يبارى في العلوم الإسلامية كما كان متبحراً في اللغة العربية ، ووطنيته متينة صادقة كإيمانه بالإسلام .

كان قد تلقى العلوم الدينية ونبع فيها في مستقبل شبابه ، وتقبلها كأمثاله ممن يتخرجون في المدارس الدينية ، ولكنه لم يلبث بعد أن اطلع على الثقافة الغربية واتسمت مداركه أن اضطرب بين الثقافة القديمة والحديثة ، وخرج من هذه المرحلة بعد أن اتخذ له

البلاد باستقلالها ، وظل بعد ذلك رئيساً للحزب حتى سنة ١٩٥٠ ، حيث اختير رئيساً للبرلمان ثم وزيراً للمعارف في وزارة الهند المركزية وظل يشغل هذا المركز حتى توفي . وكان وضعه باعتباره من الأقلية لا يسمح له بتولى رئاسة الجمهورية رغم أن الأنظار كانت تتجه إليه أكثر من غيره . ولكنه مع بقاءه وزيراً للمعارف كان يعتبر الرجوع الأول في توجيه دفة السياسة الداخلية والخارجية للهند ، لا يقطع فيها برأى دون أخذ رأيه والاستئثار بتوجيهاته ... حتى ليقول نهرو في كلمته التي ألقاها : «

إلى من أذهب الآن للتشاور إذا عنت لي مشكلة سياسية ؟ لقد ترك وراءه فراغه عظيماً يتسع كلما تقدم الزمن حتى لا نجد على مروره من يسد مده .

وإذا كان مولانا أَرَادَ قد بلغ القمة في جهاده السياسى فإنه أيضا يقتعد القمة في جهاده الدينى بل إنه من طريق جهاده الدينى . طريق إيمانه بدينه الذى يأبى الهوان والذل والاستعباد بدأ كفاحه من أجل تحرير بلاده ... وخطا خطواته إلى القمة ...

لقد تنقف في بصفوة الثقافة الدينية المعتادة في بلاده - كما عرفنا من قبل - وبعد أن انتهى من دراسته الدينية بدأ يشرب الثقافة الغربية ، ويتعلم اللغات الأجنبية ، حتى أصبح ضليعا

وحينما كنت ظمآن لم يكن ظمئى كغيرى
كان مشربى غير المنهل العام الذى يشرب
منه الناس .

دخل مولانا آزاد ميدان السياسة من
طريق الدعوة إلى الدين الصحيح الذى لا يقبل
الاستعباد ويأبى على أتباعه الرضوخ لذلك
والهوان مثله فى ذلك مثل السيد جمال الدين
الأفغانى والشيخ محمد عبده ، ولم يكن غريبا
بعد هذا أن نجد صرخاته فى المسلمين تقشابه
فى أسلوبها ومعانيها مع صرخاتها فقد كانوا
جميعا ينهلون من منبع واحد .. ويهدفون إلى
هدف واحد منبعم الإسلام وتعاليمه وحيويته
وعزته وكرامته وهدفهم إيقاظ المسلمين ،
وبعضهم من جديد ليعيشوا كراما أعزاء كما
جعلهم الله ... خير أمة أخرجت للناس .

اقرأ معى صرخة من صرخاته للسليين
ولاحظ وجه الشبه بينه وبين الأفغانى يقول :
« إن العقل موهبة من الله وهبها لنا
لنستخدمها فى الإصلاح ، لا لنضيعها فى الغفلة ،
فما بالنا لا نميز بين اليقظة والنوم ، وبين
الموت والحياة ؟ ولا تفكر فيما سيقوله
عنا التاريخ إذا لم نهض ؟ وكيف لا تفجع
أكبادنا ، وتلهب أرواحنا ، وتلتاع قلوبنا ؟
وما يمنعنا أن نغنى بمرحنا الدامية ،
اتى نكاد نقضى على القوة الروحية ؟ ،
ما يمنعنا أن نرى ما يجب على العيون أن

منهج الحرية فى البحث أساسا لمعلوماته حتى
سمى نفسه فى هذه الفترة « آزاد » بمعنى حر .
وبدأ يدرس ويؤمن من جديد فازداد إيمانه
وقوى يقينه واشتدت حماسه لما يؤمن به
حتى نجاهه يقول :

« إن أئمن الكنوز التى قد بها الدين
الحنيف للعالم هى رسالة الديمقراطية
والتساوى بين البشر ، أنا مسلم وأعتز
بإسلامى . وبأن تقاليد الإسلام تراثى ،
وتعاليم الإسلام وتاريخه وفنونه وآدابه
وحضارته هى غنائى وثروتى وواجبى أن
أحتفظ بهذا التراث وبهذه الثروة . »

ويقول مبينا خطته فى البحث : —
لا أستطيع أن أومن بأمر راقبله قبل أن
أغربه بغربال عقلى وأعرضه على محك فكرى
ويقول : « إن كل ما وهبت لى أسرقى ويبتقى
وأسلت إلى من أوضاع المجتمع وتقاليد
أبى أن أقتنع به منذ أول يوم ، فإحالت
درفى قيود التقليد وعوائده فى أية ناحية
قصدها ، ولم تزل عاطفة الفحص والتنقيب
منى ظامئة أينما حللت ، فلى فى داخل
فؤادى اليوم يقين ، شاكته الظنون
بأصنافها وألوانها ، ولى فى أعماق روحى
عقيدة ، ابتليت بكل بلاء العصيان ، وعذاب
الشك ، ولقد شربت السم من كل كأس ،
واختبرت دواءه المضاد من كل مستشفى ،

شيخنا محنكا ، خبر الأيام وخبرته ، فدعاه أعضاء مجلس «جمعية حماية الإسلام» في «لاهور» إلى إلقاء محاضرة ، عن «الأساس العقلي للدين» ، وهو لم يبلغ العشرين من عمره . وكم كانت دهشة الحاضرين في الاجتماع ، حين زاوا أمامهم شابا صغيراً ، جاء من بعيد ، ليلقي عليهم محاضرة في هذا الموضوع الديني الجديد ، واتجهت أذهانهم إلى أن يكون نائباً عن «أزاد» في قرارة محاضراته ، ولكنهم حين عرفوا أن «أزاد» الذي سمعوا عنه وقرءوا له ، وأعجبوا به ، هو هذا الشاب الصغير الذي يلقي عليهم محاضراته ، ازدادت دهشتهم ولم كبارهم له ...

وحين أصدر سنة ١٩١٢ مجلة «الهلل» في ثوب لم تألفه المجلات الدينية من قبل ، كان قد ثبت أقدامه على الطريق ، فبدأ يتخذ منها منارا قويا للإشعاع ، لبث آرائه ونشرها لإيقاظ الهمم الخاملة ، وهدى النفوس الحائرة بأسلوبه الشيق الجديد ، وصدر العدد الأول الأول بكلمة قال فيها :

«رب أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً» وبعد : فقد حلت بعين اليقظة النابهة سنة ١٩٠٦ ، ومكثت سنين متتالية ، أبحث عن التعبير العملي لهذه الرؤيا ، وكنت في غاية الاشتياق ، لتحقيق هذه البغية ، وما زالت

تراه ، وأن نفقه ما على القلوب أن تفقهه ، ونسمع ما على الآذان أن تسمعه ؟ ألسنا من أتباع الدين القويم وحاملين أمانة الله ، وخلفاءه في الأرض ، فإبائنا نخاف ونتخاذل ، ولا نجاهد ؛ لكي نصبح أحرارا ذوي سيادة ، نتمتع بالكرامة ، ونخطو خطوات واسعة في سبيل تخليص الأمم المستعبدة من ربة العبودية ؟ .

«وإذا أعرضنا ولم نستغل مواهبنا ، فسيطوى التاريخ ما خص لنا من باب حافل بالجد والشرف ، ويفتح لنا بابا آخر يسجل فيه أمام الأجيال : أن الهند سعت إلى الحرية ، وجاهدت في نيل الاستقلال ، ونادت أبناءها لحمل لواء الجهاد ، فلبى قوم نداءها ، واحتجب آخرون ، ولجئوا إلى مغارات الذلة . . وواحسرتا حين يقول : إن هؤلاء كانوا أمة مسلمة تزعم أنها قائدة الأمم ، وزعيمة الأقاليم» .

كان نضجه مبكرا على غير العادة . . وإن كان على سنة الموهوبين النادرين ، فاندفع بنضجه وموهبته ، إلى خدمة دينه وأمته في وقت مبكر ، فكان يكتب في المجلات ، ثم أنشأ له مجلة سماها «الصدق» ، قبل الهلال والبلاغ وأخذ يكتب فيها مقالاته الدينية على أسلوب عقلي جديد عرف به ، حتى ظنه القراء الذين لم يروه ،

معه ، وتنفض عنها غبار الخوف والجهن ،
وتقتحم الحياة وصعابها دون تردد .. ويذكرهم
بأبجادهم ، وأسلافهم ، ليعيدوا سيرتهم ،
ويكونوا خير خلف لهم ، وينذرهم عاقبة
القمود والجحود ، وترك الميدان لغيرهم
يسبقهم ، بينما يسجل التاريخ لهم صفحة
خزى وعار .

فيقول مفتتحا كلمته بآيات قاصلة من
القرآن الكريم .

« يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير
أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه
إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله
بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ... الآية ، .
ثم يقول : « يا قوم اعلوا وأدركوا ، أنه
ما قدر له أن يكون سيكون ، وما من أحد
يحول دون حدوثه ، وسيأتي يوم تكون
الهند فيه قد اجتازت آخر مراحل التطور
السياسي ، ويسجل التاريخ تقدم البلاد
وخطواتها في سبيل النهضة ، أفلا فكرتم فيما
سيسجله التاريخ عنكم .. إلخ » .

وفي الوقت الذي يهز فيه النفوس بهذه
الكلمات يتجه إلى العلماء الذين يقودون العامة
ويفذونهم بالمعلومات الدينية فيكتب لهم في
صدر مجلته مقالا باللغة العربية أحيانا وهو
يجيدها ، وهم يرفونها كذلك ليزحزحهم
عما اعتادوه من تقليد ، ويدفعهم

بين الآمال والعزائم ، ولطالما هاجنى القنوط
مهاجمة عنيفة ، للتغلب على عزائمي ، والنيل
من إرادتي ، لكنني تشبثت بعزيمتي المستحكمة
معتمدا على عون الله وثقا بتأييده ، إلى
أن حان يوم أقول فيه : « هذا تأويل رؤيائي
من قبل قد جعلها ربي حقا ، ولا يخفى على
عالم السرائر ، وعارف الخفايا ما يحيط بي
من المشاكل المضنية ، وما يهددني من الآلام
والأحزان ، بما يكاد يذهب معه وعيي ،
ويجرمني طمأنينة البال ، بيد أننا لا نجد
معبرا لترك حياتنا تسير معطلة ، وتضيع
سدى .

ومالنا نشغل - كمادتنا - بالحديث عن الفشل
والخيبة ، وشكوى الدهر !! ليت شعري ..
ماذا دعا الناس إلى الإيمان بأن الحياة لا بد
أن تكون مقرونة بالطمأنينة والهدوء ،
وما يمنعنا أن نقوم في وجه النوائب والآلام
ألا ترون أن الغواصين يسبحون البحر إلى
شاطئ السلام ، بينما يرتعد الخائفون وجللا
وهم راكبون في السفن ، إلا أن الحياة مقرونة
بالشدائد لا فسكك لها قبل الموت ، فهلا
روض الشاكون الناحبون نفوسهم ، لاحتمال
المشاق ، ومكابدة الشدائد ، فعبروا الأبحر
دون خوف أو خشية ١٩ .

وهكذا بدأ يخاطب العقل بجانب العاطفة
ويغوص إلى أحماق النفوس ، فيزها لتسير

تدرّج القرآن في تشريعات التحريم

للدكتور سعد الدين الحميزاوي

القلوب ، وتنهت العقول إلى ما كانت فيه من غفلة ، أصبحت النفوس مستعدة لقبول مبادئ الإصلاح ، واقتلاع ما كان متأصلا من سيئ العادات ، وقبيح الأفعال ، أسوة بما اقتلع من جذور الوثنية والإشراك . ومن ثم فقد تداركت رحمة الله العباد بما جاءتهم به آيات الكتاب الكريم من تشريعات صالحة ، ومبادئ سليمة ، اطمانت إليها

جاء الإسلام ليبنى مجتمعا سليما ، متكامل الجوانب على أسس صالحة لكل زمان ومكان ، مكان مجتمع كانت تسوده الفوضى ، وتنتشر فيه عادات ألغها الناس دون نظر إلى ما فيها من صلاح أو فساد ، ولم يكن ذلك عجيبا من قوم ألغوا عبادة الأوثان لا لمنافع رأوها فيها ، بل لأنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون . وبعد أن اخترقت دعوة التوحيد شغاف

(بقية المنشور على صفحة ١١٠١)

لأول من مجلته د البلاغ ، التي أصدرها بعد ما عطلت السلطات البريطانية مجلة الهلال ، وكان هذا العدد بتاريخ الجمعة (٤) من المحرم سنة ١٣٣٤ هـ ١٢ نوفمبر ١٩١٥ م) فكانت افتتاحية هذا العدد باللغة العربية فقرحت بها أيما فرح ، وأقبلت على قراءتها بشغف ، فلست فيها روح جمال الدين الأفغاني ، وأحسست فيها أسلوبا مثل أسلوبه ، وقدرة فائقة ، وتوفيقا بالغاً في الاستشهاد بالقرآن والسنة ، كانت الافتتاحية طويلة وعنوانها « الاجتهاد والتقليد ، حرصت على نقلها كما هي كماثر من آثار مولانا آزاد باللغة العربية أحفظ به حتى تنجح الفرصة لدراسة شاملة عن مولانا آزاد ... وإلى العدد القادم

إن شاء الله ؟
عبد المنعم النمر

للقضاء على الخرافات والبدع ، التي اندست على الإسلام ، وتسربت لأذهان العامة ، فاعتبروها خطأ — من الدين ، وليست من الدين في شيء ، كان يدعو العلماء للتحرر العقلي ، وتناول القضايا الدينية ، بروح العالم المفكر الفاهم لأهداف الدين وروحه ، الذي لا تهمة القشور ، ولا يثير خلافات عليها ، يفرق بها ، كلبه المسلمين . ويزيد من ضعفهم وكان يهدف من هذا كله إلى فهم روح الدين ، الذي لا يرضى بالذل والاستعباد ، ولا بالتأخر والجمود والضعف ، حتى إذا فهم العلماء هذا استغلوا نفوذهم وسط عامة الشعب المسلم فبعثوا فيه الهمم النائمة ، ودفعوه إلى الركب المتحرك العامل .

وحينما كنت بالهند وقع في يدي العدد

الجمتمع السليم الذي يتفق مع قوم قد عرفوا ربهم ، وآمنوا به وبرسوله ، ورسخ في نفوسهم أن هناك يوما آخر يقوم فيه الناس لرب العالمين فيحاسبون على كل كبيرة وصغيرة : الخير خير والشر شر ، حساباً عادلاً ولقد كان من العادات الشائعة في الجاهلية عادة شرب الخمر ولعب الميسر . فأما الخمر فقد كانت لها مجالس يعشاها الفتيان والشيوخ وفي كثير منها النساء والفتيات ، ولم يكن هناك تخرج أو تأثم في تناولها ، اللهم إلا قبيل ظهور الإسلام حين كانت هناك إرهابات عامة تؤمن بضرورة عهد جديد تتغير فيه عامة الأوضاع فقد أخذ بعض عقلاء القوم يتخرجون بعض الشيء عن مجالسها وتناولها .

ونظراً لأن شرب الخمر كان من الأمور المسيطرة على النفوس ، فقد تدرج التشريع الإسلامي في تحريمها ، وكان هذا التدرج على مراحل أربعة : المرحلة الأولى كانت في آية النحل . « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسناً » (١) ، وفي تفسير هذه الآية عدة أوجه .

منها أن المراد بالسكر : « الخمر » . وأن ذلك قبل التحريم ، ثم نسخت الآية بآية المائدة : « يأيا الذين آمنوا إنما الخمر والميسر

نفوسهم ، وأقبلت عليها قلوبهم ، فراخوا يتقلفونها بصددور رحبة ، ويتفهمونها ، ويستزيدون في تفهمها ، ويستفسرون عما يخفى على فهمهم منها ، وكانت الآيات تجميعهم عما يسألون في رفق وتدرج ووضوح ، فكانت أحكام تأتي بعد أحكام : تنسخها ، على قول من يعتبرون النسخ من علماء التفسير أو تقييد إطلاقها ... حتى كملت هذه المبادئ السامية في تشريعات الإسلام يوم ، نزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (المائدة ٣) . ونعرض في كتابنا هذه صورة من أسئلة المؤمنين ، وإجابات السماء عليها تبين كيف كان التدرج في التشريع :

قال تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل : فيهما إثم كبير ، ومنافع للناس . وإثمهما أكبر من نفعهما » .

« ويسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل العفو . كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . في الدنيا والآخرة .

« ويسألونك عن اليتامى . قل : إصلاح لهم خير . وإن تخالطوهم فإخوانكم . والله يعلم المفسد من المصلح . ولو شاء الله لآعنتكم إن الله عزيز حكيم » (البقرة ٢١٩ - ٢٢٠) . وكانت هذه الأسئلة وأمثالها صادرة عن يقين ، رغبة في الاطمئنان إلى إرساء قواعد

وكانت المرحلة الثالثة عند ما خاط بعض الصحابة آيات من القرآن الكريم عند ما كان يوم بعض إخوانه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فغتم كثيرا وانتظار حكم السماء وسرعان ما نزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (١) وهنا ترك أكثر الصحابة شربها ، ولما هذه المرحلة لم يكن هناك تحريم بات ، وإنما كانت الآيات تحذيرا وتنبيها على ما في الخمر من أضرار .

أما المرحلة الأخيرة فقد كانت عندما تلاهى جماعه من المسلمين بالمدينة المنورة وتضاربوا وثار بينهم فتنة أشبه بما كان يجرى فى الجاهلية من التهاجر والتهاجى بعد أن لعبت الخمر برءوسهم ما لعبت « وغضب الرسول لما حدث ، وغضب كبار الصحابة ، واتجه هم إلى الله يسأله أن يبين لهم فى الخمر بيانا شافيا ، واستجاب الله فأنزل على رسوله هذا البيان الشافى « يا أيها الذين آمنوا : إنما الخمر ، والميسر ، والأنصاب ، والأزلام ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (٢) وهنا قال عمر : قد انتمينا يا رب .

والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

ومنها أن المراد بالسكر : الخمر أيضا ولكن مقابل الرزق الحسن أى أنكم تتخذون مما هو حلال مباح : نوعين : أحدهما الخمر وهو خبيث ، والآخر ما تأكلونه طيباً من هذه الثمرات وتربحونه من مكاسب .

ومنها أن المراد بالسكر : « المميد » الذى لا يعتبر خمر فى بعض أقوال الحنفية ، وهو ما طبخ من عصير التمر والزبيب والعنب حتى ذهب ثلثاه ، وعلى هذا لم يكن هناك نسخ « والأقوال الثلاثة مقبولة ، وأولها هو المناسب لتدرج التشريع » (١) .

والمرحلة الثانية فى تحريم الخمر كانت الآية التى صدرنا بها هذا المقال ، فعند ما رأى كبار الصحابة أمثال عمر بن الخطاب ، ومعاذ ابن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشرب الخمر أبدا أدركوا أن وراء هذا الامتناع سرا وراحوا يسألون الرسول الكريم عن حكم الله فى شربها فنزلت الآية الكريمة مناسبة للظرف الذى وجه فيه السؤال من فترة التشريع وعندئذ أخذ كثير من الصحابة يمتنعون عن شربها .

(١) وقد عرفوا الخمر بأنه ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وكذلك تقيع الم أو الزبيب الذى لم يطبخ وذبح ثلثاه فعلاء الحنفية على خلاف فى إباحته ، والفائدة العامة فى تحريم الخمر أن : « كل ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

(١) النساء ٤٣ .

(٢) للسائدة ٩٠ - ٩١ .

ووزع قيمته على الفقراء ومن خرج له أحد السهام الثلاثة الأخيرة ألزم بدفع ثمن البعير كله ، وقد كان هذا العمل من مفاخر الجاهلية إلى أن تنوسى هذا الأصل وصاروا يتخذون السهام للربح دون نظر إلى معونة الفقراء ، واستمروا بذلك بطول الزمن ثم بالغوا فيه حتى إن الرجل كان يقامر بكل ما يملك ويصبح معدما بعد يسار .

ولما كان الإسلام ينشد المجتمع الصالح فقد وجه أنظار المسلمين عند ما سألوا عن حكم هذا العمل بأن ما فيه من مضار أكثر مما فيه من منافع ، ثم نهى عنه كلية هند ما قرنه بالانصاب ، وخاطب المسلمين بفعل الأمر : فاجتنبوه .

ولم يكن تحريم الخمر والميسر عبثا بل كان لحماية الأبدان والأموال ، وتفصيل ذلك يحتاج إلى صفحات وصفحات ، فبارك الله الذي شرع لعباده كل ما فيه خيرهم وصالحهم .

ماذا ينفقون ؟

« ويسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل : العفو ، (١) .

ولما كان إنفاق المال من الأمور التي تشق على أكثر النفوس البشرية فقد وجه القرآن أنظار المسلمين في آيات كثيرة مبينا لهم فضل الإنفاق مرغبا إليهم في البذل في مثل قوله

(١) البقرة ٢١٩ .

وهل بعد هذا البيان من دليل على تحريم الخمر ؟ لأنها قرنت في الآية بالانصاب فهي تعدل في جرمها عبادة الأوثان ، وفعل الأمر « فاجتنبوه » صريح في النهي عن شربها .

هذا هو الحديث عن « الخمر » الذي كان جزءا من السؤال ، أما الجزء الآخر وهو « الميسر » الذي صار عاملا في هدم الأسر وخراب البيوت وخلق طائفة من المتعطلين الواهمين في كسب غير ثابت ولا مشروع ، فإن فكرته الأولى كانت أشبه شيء بالاكتماب لمساعدة الفقراء والمعوزين ، إذا كان العرب بادئ ذي عند ما يشتد القحط يأتون ببعير يذبحونه ويجزئونه ثمانية وعشرين جزءا ، وكانت لهم عشرة أقداح - أسهم - يوزعون على سبعة منها أجزاء البعير وهي « الفذ » وله سهم واحد ، والتوأم وله سهمان ، وللقريب ثلاثة ، وللحليس أربعة ، وللنافس خمسة وللسبل ستة ، وللبعل سبعة (وهذا هو مورد المثل المشهور عندما نقول : لفلان القدح المعلق) .

أما السهام الثلاثة الباقية (المنج السفيح والوغد) فليس لها أنصباة وكانوا يضعون هذه السهام العشرة في جراب ثم يجيلونها ويطلبون من أحدهم إدخال يده في الجراب وإخراج سهم على اسم فلان من المستهين وهكذا ، فن خرج له سهم ذو نصيب أخذه

أنهم أسرة واحدة . وقد نهى الإسلام عن التكشف ودعا إلى العمل ورسم إلى ذلك أمثل الطرق .

رعاية اليتامى والفساد

ومن حرص التعاليم الإسلامية على سلامة المجتمع وإقامة عدالة اجتماعية شاملة كانت عناية تلك التعاليم بشأن الأيتام الذين لا يملكون من أمر التصرف في أموالهم شيئاً . فقد كانت الولاية على أموال الأيتام إلى بعض أقربائهم ولما كانت هذه الأموال مظنة الطمع فيها ولا سيما إذا كان الولي ضعيف النفس غير أمين فقد توالى الآيات في النصح للأيتام والحرص على ما فيه مصالحهم حتى يشبوا ويكبروا ومن ذلك قول الله تعالى « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن » (١) وقوله « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » (٢) وقوله: « وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ، إنه كان حوباً كبيراً » (٣) ولقد تخرج كثير من المسلمين بسبب ما في هذه الآيات من تحذير ، وعزلوا أموال

تعالى « وأنفقوا في سبيل الله » (٤) و« وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » (٥) ، منذ الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة (٦) إلى غير ذلك . وحرصاً من المسلمين الأولين على أن يقع إنفاقهم موقعا يرضى الله ورسوله فإنهم راحوا يسألون الرسول تارة عن نوع المال الذي ينفقون - وتارة عن مقداره - وثالثة عن الجهة التي ينفقون فيها .. فكانت الآيات تجيبهم لإجابات تناسب مقام السؤال ففي الآية التي نحن بصدد بيان بأن الإنفاق إنما يكون من القدر الزائد على حاجات المرء الأصلية دون إرهاب وفي موضع آخر كانت الإجابة عن بعض مصارف النفقة الواجبة للوالدين والأقربين ولغيرهم من اليتامى والمساكين ... « قل ما أنفقتم من خير فلولوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل » (٧) .

وليس في دعوة الإسلام إلى الصدقة أو في فرض الزكاة على الأغنياء لمستحقيها ليس في ذلك شيء يدعو إلى البطالة أو خلق طبقة تتكفف الناس وإنما هو نوع من التعاون الاشتراكي يعود فيه ذو اليسار بفضله على المعسر حتى تصلح حاله ويشعر أهل المجتمع

(١) البقرة ١٩٥ .

(٢) ١ - سبأ ٣٩ .

(٣) البقرة ٢٤ .

(٤) البقرة ٢١٥ .

(١) الإسراء ٣٤ .

(٢) النساء ١٠ .

(٣) النساء ، والحوب ، الذنب والإم .

فقد عقب بعد الإجابة على أسئلة المؤمنين عن الخمر والميسر والإنفاق واليتامى بتوجيه النظر إلى أمر هام في بناء الأسرة وهو أن يكون ركنها : الرجل والمرأة مؤمنين ، لأنه إذا كان أحد الطرفين مشركا تسبب عن ذلك فساد الذرية . وقد راعى القرآن هنا حالة نفسية أصيلة في نفوس البشر ، هي الإعجاب والميل الجنسي ، فنهى عن اختيار أحد الطرفين ولو كان قد أعجب الطرف الآخر ما دام مشركا فقال تعالى : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمن ، ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ، وبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ، ٢٢١ البقرة) . والمقصود هنا : المشركون والمشركات الذين لا كتاب لهم . أما عن أهل الكتاب فقد نزلت آيات أخرى تبيح زواج المسلم من الكتابية دون العكس : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم . والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » . (١)

دكتور سعد الدين الجبزاوي

اليتامى التي كانت لهم عليها ولاية عن أموالهم ، وأصبحوا يرون في التعامل معهم مظنة للجور وقد كان في هذا العزل خسارة على الأيتام ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتجه إلى الله يسأله البيان ، فنزل قوله تعالى : « قل : إصلاح لهم خير . وإن تخالطوهم فإخوانكم ، والله يعلم المفسد من المصلح » . (١) وقد تضمنت هذه الإجابات أمورا أهمها : أن المحافظة من حيث هي لا ضرر فيها ما دامت النيات في إصلاح شأن اليتيم خالصة ، بل ينبغي أن تكون هذه المخالطة لازمة على أن تراعى مصالح اليتيم كما تراعى مصالح الوصى نفسه ، واعتبرت الآية أن اليتيم أخ للوصى . وقد لجأت الآية إلى مخاطبة الذات العليا من الإنسان وهو الضمير : « والله يعلم المفسد من المصلح ، أى أن المظاهر لا وزن لها لأن الله تعالى يعلم السرائر . وفي الترغيب في هذه المخالطة رعاية من الله بشأن الأيتام .

وهكذا نرى كيف كانت إجابة السماء على أسئلة السائلين فيها تعليم وإرشاد ، وكانت متمشية مع ظروف السائلين ومدى حاجتهم إلى المعرفة حينها ، صالحة لكل زمان ، متدرجة مع تطور فترة التشريع .

وتمشيا مع سياسة القرآن في التعقيب بدرس مفيد عقب إجابة السائلين وحرصا على البيان والتفصيل في أدق الأمور التي تتصل بالأسرة

شكيب أرسلان الناقد

آراؤه في الشعر

للاستاذ أحمد الشرباصي

حقيقة الشعر :

في سنة ١٩١٢ نشر مصطفى لطفي المنفلوطي كتابه (مختارات المنفلوطي) وفيه مقال عنوانه (حقيقة الشعر) لأمير البيان الأمير شكيب أرسلان^(١) ، وفي هذا المقال تصوير لرأى شكيب في حقيقة الشعر ومكانته ، ولذلك يستحق التلخيص والتعليق .

يمبر شكيب عن الشعر بأنه قول ثقيل وعبء عقلي باهظ ، لا يحسنه إلا أصحاب (السليقة الفائقة ، والطبيعة الصافية التي لا تتاح إلا للأحاد ، ولا يؤتاها إلا الأفراد ، يكاد قائله يتجرد من عالم المادة بقوة نفسه ، وشفوف حسه ، ويلحق بالمثل النوراني في مضاء عزمه ، وورى زنده ، وسرعة فكره ، ولو كانت الكهربية شخماً لكانت هي الشاعر) ثم يذكر شكيب أن القدامى كانوا يحسبون الشعر (قوة من وراء الطبيعة ، وربما جعلوا له شياطين ، وكان الشعر في الجاهلية دولة وملكا) . وذكر أنهم كانوا يحملون النايخ

من الشعراء إجلالهم للأمراء والرؤساء ، وإذا جاءهم رسولهم بكلام معجز أحواله على الشعر ، كأن الشعر هو (الدرجة الثانية التي يمكن أن تنزل عنها الآيات من عتبة الوحي) . ويرى أن الشعر هبة من الله ، وقوة روحية يفيضها هلى من يشاء من عباده ، فتحلق به في سموات الخيال ، فيرى الطبيعة في أجمل صورها ، ثم يصور مشاهدتها بلغة شبيهة بموضوعها ، فإذا (فكر سام ، ومقام شريف ، وما أردت من معنى بكر ، ولفظ لخل ، لذلك قيل : إن الشعر هو لغة تامة) . ويشير شكيب إلى أهمية الانفعال في الشعر واستعداد فيوضه من منابع النفس والقلب ، فيقول : (وإذا تغلغل الشاعر في أنحاء النفس وأحشاء القلب ، وهام في أودية الانفعال ، وأخذ يؤدي من هناك ما يلقيه إليه مضاعفاً هوى ملح ، وشوق هاف ، وحب شاغف وتمن واصب ، وتوسل هالغ ، ورغبة ورهبة وإيمان كإيمان العجائز ، ثم آب من أودية إحساساته وأعطاف فراساته بذلك إلى سامعيه أشجى وأصبى ، وأرقص وأبكى ، وأحرق

(١) مختارات المنفلوطي ، ص ٨٣ - ٨٦ .

تقلا الفراغ الواقع بين المدرك والمدرك ،
حتى لا يصل إلى الذهن إلا كاملا بكل قوته ،
ولا يحل في العقل إلا بجميع حاشيته ، .
ويرى شكيب أن الشاعر أن يفن في

الأساليب بحسب اختلاف المطالب ، ويتعرض
لموسيقى الألفاظ والعبارات الشعرية . فيقول :
« وللشعر سعة المذهب ، والتفنن في شعوب
القول بحسب ما تقتضيه المطالب ، فهو ملك
الكلام ، يتصرف فيه كيف يشاء ، فيه تجسيم
المجرد ، وتجرید المجسم ، وتشبيه المجردات
بالمحسوسات ، وتلطيف المحسوسات إلى درجة
المجردات ، فتارة يجسم المجرد حتى يكاد يحس
ويعمس ، وتقع عليه الأيدي ، وتنعكس
أشعة نوره على العين ، وتهتز دقائقه فتهتز
طبلة الأذن ، وطورا يفهمف (١) به الملبوس ،
ويهلل حتى يشف شفوف البلور ، ويسطع
من ورائه النور ، .

ويرى شكيب أن الكلام لا يحيط بكل
الانفعالات مهما كان الإنسان ذلق المنطق
قوى الأداء مبين اللسان ؛ لأن الألفاظ
تتأصر عن الإحاطة بجميع المعاني : « وأنا
للشاعر أن يتغنى لسانه بكل ما يتغنى به جنانه ؟
وأي الثريا من يد المتناول ؟ فإن اللغة رموز
محدودة وإشارات مخصوصة ، وهي نظم
أن تعبر عما في النفس البشرية ، والنفس البشرية
عالم بنفسه ، .

(١) يفهمف : يرفق .

وأروى ، ونضر وأذوى ، وأياس وأرجى
وأفقر وأغنى ، وأسعد وأشقى ، وبلغ من كل
مقام الغاية القصوى ، وجذب بأفنان سدره
المنتهى) .

* * *

ثم يذكر شكيب عدة تعريفات وجيزة
للشعر ، هي هذه التعاريف :

١ - الشعر مظهر المرء في أسمى خواطر
فكره ، وأسمى عواطف لبه ، وأبعد مرامى
إدراكه .

٢ - الشعر هو رؤية الإنسان الطبيعية
بمرآة طبعه .

٣ - الشعر شعور عام ، وحس مستغرق
يأخذ المرء بكليته ، ويتناول به جميع خصائصه ،
حتى يروح نشوان خمرته ، أسهر رايته ويريه
الأشياء أضعافا مضاعفة ، ويصورها بألوان
ساطعة وحل مؤثرة تفوق الحقائق .

٤ - الشعر كلام يلقى بلسان الإحساس ،
ولفظ ينزل عن وحى الخييلة ، وأوصاف
يقضى بها الشوق .

ويلتفت شكيب لفئة شاعرية ، إذ يعلل
للبلغة في الشعر فيقول : « وإنما كانت
المبالغة زيادة على الحقيقة لتمكين السامع من
الوصول إلى مقدار الحق ، والحرص على
ألا ينقطع منه قسم على طريق الإلقاء وفي
أثناء الانتقال ، فكأن هذه الزيادة جعلت

الانفعال في الشعر ، واستمداده من القلب والنفوس ، وليت شكيب طبق هذا المبدأ على نفسه في شعره . إذن لصار لشعره شأن آخر ، فقد كان في شعره يجيد الصنعة أكثر من استجابته للانفعال .

٤ - نلاحظ أن تعاريفه للشعر فيها اختصار وتعميم وإيهام ، وقد وقع في هذه التعاريف تكرار لبعض المعاني ، ولعل أقرب هذه التعريفات إلى حقيقة الشعر هو التعريف الأخير : (الشعر كلام يلقي بلسان الإحساس ، وناطق ينزل عن وحى الخيلة ، وأوصاف يقضى بها للشوق) لأنه جمع الأصول اللازمة للشعر وهي : الإحساس ، والتخيل ، والوجدان .

٥ - ومن النبضات الحية في المقال تحليله المبالة في الشعر ؛ لأن الشعر وصف لإحساس ولو عانى السامع ما عاناه القائل من إحساس ، لذلك كإدراكه ، وتأثر بالشئ المحس كإدراك الشاعر الذي يتحدث عنه ، ولكن الشاعر أحس ولمس ، والسامع سمع فحسب ، وشتان بين الرؤيا والسمع ، فالإحساس أقوى من الإدراك ، والملاحظة أقوى من الحكاية ، والصورة أوضح من الكلمة . فلكي يعوض الشاعر الفرق بين معاناة التجربة والاستماع إلى حديثها ، يعتمد إلى لون من المبالة فيعرض الشئ في شعره مضاعفا ، ويصوره بألوان ساطعة ، ويحليه بحلية تزيد عن الحقيقة .

ثم يعود ليتحدث عن مكانة الشعراء وأنهم أسراء الكلام ، ولهم حق التصرف باللغات ، ويتحدث عن خلود الشعر والعناية برأية منذ القدم ، وأن ذكرى الملوك تذهب وتبقى ذكرى الشعراء ، وأن الشعر يحفظ اللغة ويسجل التاريخ ، ويزيل عن القلوب صدا الكروب ، وأن أبقى الآثار الأدبية هو القول ، وأبقى القول هو الشعر ، إذ يثائر النثر قنائر الشر ، وأما الشعر فيرسخ رسوخ النقش على الحجر ، وقد تزول النقوش ولا يمحي الشعر من رءوس البشر !

هذه خلاصة وافية لمقال (حقيقة الشعر) ، ونلاحظ عليه عدة ملاحظات :

١ - أتى شكيب في صدر المقال بمفردات غريبة لا حاجة لها ، وكأنه أراد أن يتفاح بها ، فذكر هذه الألفاظ : (الحناذيد القرع - المغاوير السبق - الناحعون المكمل - المنة الوثيقة) .

وكان يستطيع أن يقول مكانها : (المجيدون المبرزون - الأبطال السابقون - الخبراء الكاملون - القوة المحركة) .

٢ - أجاد التعاليل حينما ذكر أن الجاهليين حينما جاءهم كلام الله ولم يخضعوا له قالوا عنه إنه شعر ، كأن الشعر في اعتقادهم هو ما يلي الوحي .

٣ - كان موفقا عند ما تحدث عن أهمية

الاشياء الخارجية أو الداخلية من نفس إلى نفس (١) .

٨ - أكثر شكيب في مقاله من المترادفات والألفاظ الخطابية مع تكرار المعاني ، مع أن الموضوع يحتاج إلى دقة وضبط ؛ لأنه يتحدث عن حقيقة الشعر .

شروط الشعرية :

والشعرية في رأى شكيب شروط ذكرها حينما حكم د اشرفى ، بأنه استوفى جميع شروط الشعرية . وهى (النسج الرقيق المتين ، والأسلوب الرشيق الرصين ، واللغة العربية الفصحى التى لا تؤتى من جهة ، والمعنى المنتهى فى الدقة ، اللابس من اللفظ أجل حلة ، والانسجام المطرد من الأول إلى الآخر فى سكب واحد وسبك متوارد) .

ونلاحظ أن فى الشروط تكراراً ، فما الداعى إلى قوله (اللابس من اللفظ أجل حلة) بعد أن ذكر قبله قوله : (والأسلوب الرشيق الرصين) ؟ . وماذا يريد بالانسجام المطرد من الأول إلى الآخر ؟ أريد أن يكون لكل كلمة مع صاحبها مقام ، أم يريد وحدة الموضوع وتسلسل الفكرة ؟ .

ولم يكتف شكيب بالحديث عن شروط الشعرية فى نثره ، بل تحدث عنها فى شعره فقال :

(١) محاضرات فى الأدب ومذاهبه ، ص ٧٧ .

٦ - كان شكيب موقفاً حين تحدث عن لزوم تصرف الشاعر فى القول بحسب ما تقتضيه المطالب ، بحيث يحسم المجرد إذا أراد تقريبه وتمثيله ، ويجرد المجسم إذا أراد له الدقة والعمق المؤديين إلى إثارة التأمل والبحث .

٧ - وكان موقفاً حين ذكر أن الألفاظ مهما كثرت تنقاصر عن الإحاطة بجميع المعاني ، ولذلك قال السكيتيون إن اللغة عبارة عن رموز وإشارات ، وليست رسماً كاملاً ولا نقلاً تاماً ، ود أخذ الأدباء والشعراء ينسكرون على اللغة قدرتها على أن تنقل إلينا حقائق الأشياء ، وقالوا إنها لا تعدو أن تكون رموزاً تثير الصور الذهنية التى تلقيناها من الخارج ، أو كونها من الجمع بين أشنات من الصور التى تلقيناها من ذلك الخارج ، وعلى هذا الأساس لا تصبح اللغة وسيلة لنقل المعانى المحددة أو الصور المرسومة الأبعاد ، وإنما تصبح وسيلة الإيهام .

ولما كانت وظيفة الأدب الأولى هى توليد المشاركة الوجدانية بين الكاتب والقارئ أو المشاهد ، فقد قالوا بأن الأدب لا يسمى إلى نقل المعانى وللصور المحددة ، وإنما يسعى إلى نشر العدوى ونقل حالات نفسية من الكاتب إلى القارئ . أو على الأصح الإيهام بها ، وبالتالى يسعى الأدب أو الشعر الرمزي إلى أن ينتقل وقع

ومن يدري ، لعل هذا هو السر في أن
شكيب حذف هذا البيت من القصيدة حين
أوردها في كتابه عن شوقي (١) .

وإذا كان شكيب في مقال (حقيقة الشعر)
قد وصف الشعراء بأنهم يكادون يلحقون
بالملك النوراني ، وأنهم كالأمراء والرؤساء
في مكاتمتهم وجلالة قدرهم ، وأنهم ملوك
الكلام ، وأن شعرهم أبقي الآثار ، فلا غرابة
إذا رأيناه يوصي الشاعر بأن يجعل الشعر
فوق كل شيء ، وفوق كل منحنى من مناحي
الحياة ، مادام يريد أن يكون شاعراً علماً ؛
فيقول شكيب :

« ولا يجوز للشاعر أن يجعل السياسة
أو الاقتصاد أو الصناعة أو الفقه أو شيئاً
آخر من مناحي الحياة فوق الشعر ، بل ينبغي
أن يكون الشعر هو غرضه الأول ، وأن
تدور حياته من حوله ، لجميع المشاغل
تكون له فضلة . ويكون الشعر هو العمدة .

ولهذا قال خليل مطران : (إن شوقي كان
يفكر في الشعر قاعداً وقائماً ، وحاضراً
وبادياً ، وسائراً وسارياً ، وفي المركبة
وماشياً ، إلى غير ذلك ... فقد قام نحو الشعر
بالواجب الذي لم أقم به أنا ولا غيري من جعل
الشعر فضلة عمله ، ولم يقله إلا عند
الضرورة .

... ..

والشعر أن تجدد النفوس رضاهما
والشعر ما رسم الضيائر فأثلا
منها الكنائس ، نالجاً أحناءها
والشعر ما ترك المعاني مُشلا
فتكاد تلس بالأكف هباًها
والشعر حيث يقال : من ذا قالها

والشعر حيث يقال : من ذا قامها (١)
وهذه الأبيات تذكرنا بمقاله (حقيقة
الشعر) فهناك تحدث عن الطبيعة الصافية ،
والقوة الروحية ، والتغلغل في أنحاء النفس ،
وأحناء القلب ، والهيام في أودية الانفعال ؛
وعن مضاعفة الشيء ، وتجسيم المجرد ، والتفنن
في القول ؛ وهنا يتحدث عن رغبات النفوس ،
ونجوى الضيائر ، واستبطان ما في أعماقها
لنشر ما في أحنائها ، وتمثيل المعنويات حتى
تصير كالحساسات ، وحتى تكاد صغائرهما
تلس بالأكف ، فيعجب الناس بمن يحقق
هذا ، ويهتفون باسمه . فبين المقامين
تشابه وتقارب .

ولكننا نلاحظ أن البيت الأخير من
الأبيات السابقة لا يعطى شرطاً محدداً ،
ولعل شكيب اندفع إليه بهوى المقابلة بين
كبتى (قالها) و (قامها) ، مع ما نحسه
من بعد الكلمة الأخيرة عن لغة الشعر .

واكتفوا بالأماني ، وإنما هي بضائع
النزوكي .

* * *

واقده يريد شكيب أن يبدى رأيا في بعض
الشعر ، أو يحدث أن يطلب إليه طالب أن
يبدى هذا الرأي ، فيأتي حديثه غير محدد ،
فيه التعميم والتوسع ، والتعبير بالألفاظ
العبارة والعبارة الطنانة ، دون أن تستبين
بها معالم واضحة ، ويمكن أن نسوق على ذلك
أكثر من شاهد :

يقرأ الأمير في سنة ١٩٣٠ قصيدة الشاعر
محمد حسن النجدي في مدح الملك عبد العزيز
ابن سعود ، فيقول عنها :

(قرأت شعراً يعتقه الطبع ، ويشربه
الخطاطر ، ويعرف القاري أعجازه من
صدوره ، وتمثل قافيته من أول كلمة من
بينه ، يدل على ملكة غير معتادة ، وطبع
متناه في الصفاء ، ومكانة في اللغة رفيعة ،
وتصرف في القول سلس للقياد ، ويجول به
صاحبه كما أراد ، فقلت : والله إنه لعبقري
من يفري هذا الفري ، ثم يلحق شكيب
هذا الشاعر بأبي تمام (١) .

وكان من الممكن لشكيب - وهو أمير
البيان ، والمالك لنواصي القول بأكثر من
هذان ، والجوال بقلعه في أكثر من ميدان -

قد أعطى شوقي نفسه للشعر ، فأعطاه
الشعر مالم يعط غيره في هذا العصر (١) .

وهو يتحدث هنا عن الشاعر الذي يريد
أن يأتي أولا ، وإلا فهناك شعراء جمعوا
بين الشعر وغيره من الأعمال ، وكان شعرهم
جيداً ، وإن لم يتصدروا الطليعة بين الشعراء .

* * *

ويقول شكيب : (ومن المعلوم أن
صاحب الصنعة إنما يتقدم فيها إذا كان راغبا
لا متكلما ، ومغرم لا متبرما ، وكان
يجتهد أن يبدع فيها لأجل الإبداع . ولأجل
سبق غيره من الصناعات (٢)) .

ونلاحظ هنا أنه لم يذكر (الهبة) أو
(الطبع في الشعر) مع أنه قال في مقالة (حقيقة
الشعر) إن الشعر لا يحسنه إلا أصحاب الطبيعة
الصافية ، وقال فيها أيضا إن (الشعر
هبة من الله) .

ولو اقتصرنا على الرغبة والمحبة وحدهما -
دون الموهبة والاستعداد والمهانة والتمرس
والافتداء والتجربة - لما كفت الرغبة والمحبة
وحدهما لتفريج شاعر ، فما أكثر الذين
يرغبون ويحبون أن يكونوا شعراء ، ثم
لا يكونوا ، لأنهم حرموا الطبع الشعري ،

(١) للمرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) للمرجع السابق ، ص ٢١ .

بغير الحث على حفظه ، فإنه لا يبلغ الواصف منه مـمـشار ما يبلغ هو من نفسه ، فهو الشعر الذى يصح أن يقال فيه : عينه فراره ، وسره اسـدظـماره ، وقـمـريـفه تبليـفه ، وتحـليـته تسوبـفه ، وروايته رواؤه ، ونفته جلاؤه ، والإشادة به نفس إنشاده ، والقرنم به مجرد إبراده ، فـهـما نـهـت على محاسنه كان تـذـيـبه على نفسه أبلغ وأسرع ، ومهما أقت عليه من البراهين كان برهانه فى ذاته أظهر وأسطع .

إنه لعمري هذا السهل الممتنع ، الدانى المرتفع ، القريب البعيد ، المعتمتع بقن الامتناع وهو أقرب من جبل الوريد ، وإنه هو النوع المرقص المطرب العرب عما فى نفسك بأحسن ما تريد أن تعرب ، لا تكلف ولا تعسف ، ولا تصنع ولا تزيد ولا تعمل ، بل الجمال الذى لا يحتاج إلى تجمل .

وهى الألفاظ على أقدار المعانى ، لا تزيد ولا تنقص ، والأثواب على نسبة القدود فلا تطول ولا تقصر ، وهى القوافى لا تجد منها قافية إلا معرفة قبل الوصول إليها ، وتروى البيت كله منصبا عليها ، مصدقا ما خلفها وما بين يديها .

وأما دخول الأذان بلا استئذان فإن هذا فى هذا العصر شعر أقيت فى وجهه حجابة السامع ، وتناولته حتى أفهام البليداء تناول

أن يمد سبب الحديث على هذا النمط من الأحكام العامة والآراء المهمة ، كأن يزيد مثلا هذه العبارات : د وقرأت شعرا يطعم منه العقل ، وتكتحل به العين ، ويحيط القارى بمناهيـه من مباديـه ، ويلج قاصيه حين يسمع دانيه . . . إلخ . . وإذا كان شكيب لم يمد سبب الحديث هنا على هذه الصورة فقد مده ومده فى موطن آخر .

فقد كتب شكيب بتاريخ ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٨ مقدمة لديوان الشاعر شبلى ملاط . فماذا فعل ؟ . إنه لم يحلل الديوان ولم يفصل القول عنه ، ولم يذكر ما له وما عليه ، ولم يبين طريقة الشاعر فى شعره ، ولا خصائص هذا الشعر وميزاته ، بل انطلق بثبت أنه صاحب قلم قدير طيب لا يامله ، يستطيع أن يحركه فيرسم لوحات من التعبيرات ، وصوراً من البيان ، ومعارض من النثر الفنى .

ولنصبر على مطالعة المقدمة كاملة ، فليست بذات طول ، والوقوف عليها مهم لنرى كيف تسبح الحقائق مغمورة بطوفان هذه الصيغ الرشيقة الجذابة التى تكثر فيها المفردات وتكرر المعانى .

يقول شكيب رحمه الله :

د شعر الاخ الأستاذ شبلى بك ملاط لا يمكن رصفه بأحسن من عرضه ، ولا نفعه

هذا النوع الذى يشرب منه الإنسان ولا يروى
وكأنما قارنه يأكل فى نومه كما يقال .
تممد أهله أن يأتوا بما لم يأت به الأوائل ،
ففاتهم الأوائل والأواخر معا ، وحاولوا
أن يبدعوا ويغربوا فما قدروا على شيء سوى
الإتيان بالأعجم الذى لا يفهم ولا يفهم ،
وما قاربوا الإحسان إلا عندما استولت عليهم
السايفة الأصلية ، ونزع لهم للعرق العربى
الصحيح ، فرجعوا إلى ما نشئوا ، فهم بين أمرين :
إما أن يقولوا ما يفهمه الناس ، وتسيغه
أذواقهم ، وحينئذ فهو الشعر العربى المطبوع
على غرار الشعر الجاهلى أو المخضرم أو المولد ،
وليس شيء من هذا بجديد .

ولما أن يقولوا ما يخالف أسلوب هؤلاء
ليقولوا بدعا ويحدثوا غير معهود ، لحينئذ
هو الشعر الذى لا يعرف له قبيل من دبير ،
ولا شرق من غرب ، وأنا فى شك هل يفهمه
أنفس قائله ؟ وإن تظاهروا بفهمه !

إن الفصيح لا يتعلق بقديم وجديد . وإنما
هو ما يوافق الذوق البشرى ، ولازم الطبع
الإنسانى ، وخاض فى السمع بلا تفكير ،
وامتزج بالطبع بلا طبع ، وإن هذا مركز
فى فطرة الإنسان منذ وجد الإنسان .

فإن كان للشعر العربى الملائم لذوق هذه
اللغة مرآة صافية نقية ، فيكون فى شعر الأخ
الملاط الذى ينادى القارىء كل عبارة منه :

الابصار الجادة للبروق اللوامع ، فيكون
شعر الأخ الملاط فى وضوحه ونصوعه ،
وبروزه وسطوعه ، وتعلق خواتمه بهواديه ،
وارتباط أواخره بمباديه ، وبأنه لا يحير
قارئا ولا ساهما ، ولا يتعب لها ذهنا ، ولا
يسومهما بقدر الهبابة كذا ولا جهدا ،
وإن كان يسومهما العلاء فهو علا . دون
تصعيد جامد ، ولا كد ناصب ، وإنما بطير
بك فى آفاق المعالى وأنت على مهاد ونير .
ومركب كريش النعام موطأ بالحريز ، وأنت
راكب جناح الأثير . لا تسمع للملاط بيتا
إلا هتفت له : مرحى ، وتظن أنك تسمع
بيتا فإذا بك تسمع آية : يا هامان ابن لى
صرحا .

ولا ينحصر نبوغ الملاط فى المقاصد العالية
والمراتب النائية ، والمنازع التى تجدها طار
شعره محققا دائما ، وإن كان فى هذا الموطن
لا يشق له غبار ، ولا يدرك له مطار ، وإنما
هو مستول على الأمد فى أكثر المواضع .
وإن كان قد ملك ناحية الجزل فما فاته
الرفيق . وإن جال فى مأسد السباع فطالما جال
فى مراتع الآرام ، لا يروى حتى يصيد ،
ولا يجول حتى يصول ، ولا يصول إلا
صولة الفحول .

ولعله فاته من مزايا الشعر تقليد ما يقال له
الشعر الجديد ، وخير له أن لا يحسن

في المقامات تلاوة وحفظا ، وإما أن شكيب أراد أن يبرهن للناس أنه - وإن قارب السبعين ، وكتب مترسلا في الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع ما كتب بلا تحسين ولا تزيين - قادر على أن يصوغ ذلك النثر الغنى المقتضى ثروة لغوية ، وذاكرة قوية . وقدرة على تصريف القول لتسلم له هذه الصنعة اللغوية الدالة على البراعة والإتقان .

ومهما يكن من أمر فإنك تستطيع أن تسمى هذه المقامة الشكيبية السابقة بما شئت من أسماء ، إلا أن تسميها مقدمة في تحليل ديوان !

أحمر الشراصي

أن تحتك معنى سريا ، وأن هذا الشعر مذ كان كان عبقريا ، (١)

الحمد لله ، لقد انتهت المقدمة ، بل انتهت تلك الجمل المسجوعة المصنوعة ، المشققة المنمقة ، التي نستطيع أن نجري القلم عليها فنحذف نصفها ونبقى النصف الآخر ، ومع ذلك لا يضيع من المعنى الذي احتواه شيء !

إما أن تكون المجاملة هي التي دفعت شكيب إلى أن يزخرف بتقديم الديوان بهذه الألوان من البديع وما إليه . وإما أن شكيب حن إلى المقامات ، التي كان يحفظها ، فأراد أن يضع مقامة على طرازها ، استرواحا لذكرى ذلك الماضي الأدبي العزيز الذي كان يدمن فيه النظر

(١) مجلة الكتاب ، عدد يونية ١٩٥٠ .

قال أبو فراس الحمداني :

عند الجفاء وقلة الإنصاف
ولو أنه عارى المناكب حافى
وإذا قنعت فكل شيء كافى
ومروءتى وقناعتى وعفافى
شرفا ولا عدد السوام الضافى
بيت الكرام ومنزل الأضياف
حق كأن صروفه أحلافى

لا أرتضى ودا إذا هو لم يدم
إن الغنى هو الغنى بنفسه
ما كل ما فوق البسيطة كافيا
ويعاف لى طبع الحريص أبوتى
ما كثرة الخيل الجياد بزائدى
ومكارى عدد النجوم ومنزلى
لا أقتنى لصروف دهرى عدة

البابية أو البهائية

لأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

نمريه :

الإسلام دين الله الخالد وشريعته الباقية :
« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه
وهو في الآخرة من الخاسرين » . أنزله الله
على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم
تشريعاً كاملاً خالداً يصلح عليه أمر الدنيا
والآخرة ، وبني بحاجات البشرية في أعصارها
المتطاولة وأوطانها المختلفة : « اليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الإسلام ديناً » . وفي ذلك إيدان من الله
سبحانه لرسوله بإتمام النعمة وإكمال الدين .
ودعوته صلوات الله وسلامه عليه عامة إلى
الناس كافة في جميع أقطارهم وأعصارهم :
« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ،
وذلك إيدان من الله سبحانه وتعالى بأن
الإنسانية قد بلغت رشدتها ، وأن بين أيديها
من موارد النبوة ، ومبادئ الرسل ما يضيء
أمامها الطريق ، ويفتح لها آفاق الخير والمحبة
والمساواة ، ما دامت متمسكة بهذا الهدى ،
مسترشدة بهداه ، وقد تكفل الله بحفظه ورعايته
وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنالنا لحافظون » .
ومن هنا تميزت هذه الرسالة بالكمال
والوضوح والشمول ، والقدرة على تقديم

الحل لكل مشكل يعرض ، أو حادث يحد ،
وكان من طبيعة الرسالة التي حوت هذه
المميزات أن تكون خاتمة الرسالات ، وأن
يكون صاحبها صلوات الله وسلامه عليه خاتم
الأنبياء والرسل ، حتى لا تقع الإنسانية نهياً
لاوهام المتنبيين ، وخيالات المشعوذين ، ولهذا
اقتضت حكمة الله سبحانه أن يذكر ذلك صراحة
في القرآن الكريم ، ليقطع الطريق على ذوي
الانحراف العقلي والشطحات الذهنية ، أو على
الأقل ليضع للإنسانية مبدأ تلجأ إليه كلها سؤل
لتحبول شيطانها ، ووسوس له أنه يوحى إليه .
وهذا التوجيه من الله سبحانه هو ما يصرح
به قوله : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وقد أكد
النبي هذا المعنى ، في قوله صلوات الله وسلامه
عليه : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن
تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وصنّي » . وقوله
في حديث آخر : « علماء امتي كأَنْبياء
بنى إسرائيل ، فإذا كانت الأمم السابقة
في حاجة إلى أنبياء يتعهدونهم بين الحين والحين
حتى تأتي الرسالة التالية ، فإن الرسالة الخاتمة
قد زودت الإنسانية بزاد روحى خالد نافع
يقوم عليه علماء يحفظونه ويعونونه ،

والدروز يطلقونها على الوزير الروحاني الأول الذي يشمل العقل السلكي . .
وقد ولد محمد علي في شيراز أول المحرم سنة ١٢٣٦ هـ ٢٦ مارس سنة ١٨٢١ م وكان أبوه تاجراً ، فتوفى وهو صغير ، فقام خاله بكفالاته ، وأخذ يشتغل بعد ذلك بتجارة أبيه ، ثم ظهر اهتمامه بالأمور الدينية ، وجنح إلى الزهد والتشف والاشتغال بالتصوف إلى حد الهوس ، حتى لقد كان يصعد إلى سطح المنزل ويظل في الشمس ساعات طويلة وقد انتهت به هذه الحال إلى أن بدأ عاياه خلل في تفكيره واضطراب في قواه العقلية .

فبعث به خاله إلى النجف وكر بلاه ، للاستشفاء بزيارة قبري الإمام علي والحسين رضي الله عنهما ، ولكنه طاب له المقام هناك ، فأقام في كربلاء وأخذ يعاود ما كان عليه ، وأكثر من التلاوة والتجهد مما لفت إليه بعض تلاميذ الرشتي فأخذه إلى مجلس شيخه وكان الرشتي شيخ طائفة الشيعية بعد الأحسائي وكان كلاهما يكثر من الحديث عن الموعود والمهدي والقائم الذي أوشك زمانه ويحث أتباعه على البحث الجاد عنه فوجد الشيرازي في كلام الشيخ الرشتي ما يهدد أحلامه ، ويفتح أمامه باب الأمل فيما هجست به وسأوسه ، فأخذ يكتب ويقلد الرشتي فيما يكتب ، واعتكف مدة

ويكشفون للبشر ما فيه من مزايا وقدرة على مواجهة الأحداث بالحلول الملائمة لها ، وحماية البشر من نزوات الزيغ وموجات الإلحاد . ولكن على الرغم من كل ذلك ، فإن تاريخ الإسلام شهد كثيراً من المتنبيين الأدعياء ذوي النيات السيئة من قرامطة وإسماعيلية وباطنية وما إلى هؤلاء المنحرفين وكان أكثر ما أصاب العالم الإسلامي في ذلك إنما جاء من وراء العقيدة القائلة بمجيء المهدي ورجعة الإمام وخاصة عند طوائف الشيعة ، فإن هذه العقيدة مازالت تعمل عملها في صفوف المسلمين حتى يومنا هذا وما البائية والبهائية والقديانية إلا ثمرة مرة لهذا الغرس الغريب على الإسلام وتعاليمه ومبادئه الواضحة النقية .

البائية والبهائية :

هذا تمهيد لا بد منه أن يريد أن يتحدث عن البائية ، فما البائية ؟ وما مقصدها وإلى أي شيء تدعو ؟ ، وما موقفها من الإسلام ؟ .

لكي نعرف البائية لا بد أن نعرف أولاً البائية التي انبثقت عنها البائية وورثت دعوتها ، وقامت على أنقاضها ، أو صارت امتداداً لها ، فالبائية نسبة إلى الباب وهو محمد علي الشيرازي الذي أعلن أنه باب العلم بالحقيقة الإلهية وسمى نفسه الباب .

وكلمة الباب معروفة عند طوائف الشيعة والصوفية ، فالإسماعيلية يطلقون كلمة الباب على الشيخ أو الأساس الذي يعلم الناس أمور الدين .

وقامت في البلاد فتن واضطرابات ، ثم انضم إلى أتباعه يحيى نوري الذي لقب فيما بعد بصيح أزل وأخوه حسين على الذي لقب بالجهاء وصار زعيم البهائية ، وكذلك امرأة تسمى قرة العين .

وحين بدا للحكومة الإيرانية الخطر الذي يتهدد أمن البلاد من دعوة الباب وأتباعه اعتقلته وحاكمته أمام جمع من العلماء حتى أقر بكفره وتاب أمامهم ، ولكن أتباعه أنكروا ذلك ولم يكفوا عن عبثهم وبث الرعب والقلق في نفوس الناس وتهديد من يعترض طريقهم حتى قاموا بأكثر من ثورة في أماكن متعددة ، فلم تجدد الحكومة بدا من اعتقاله وإيداعه السجن حتى تهدأ الفتنة التي نشأت بسببه .

وحتى هذه الفترة لم يتأ كد من دعوة الباب أنه خارج على ما جاء به الإسلام ، ولكنه في فترة سجنه عقد أصحابه مؤتمرا في صحراء بدشت : يتلقون فيه البشائر التي وردت من الإمام المنتظر ، وعلى الرغم من انعقاد المؤتمر فإن أعضائه لم يكن لديهم رأى موحد عن موقف دعوتهم من الإسلام ، فكان بعضهم يرى أن دعوتهم تابعة لما جاء به الإسلام ، وكان بالمؤتمر فريق آخر يرى أن البابية أمر جديد ودعوة مستقلة ، وكان يترجم هذا الاتجاه قرة العين واستطاعت أن توجه المؤتمر حتى أعلنت

في المسجد ، ثم أخذ يهمس لمن حوله بأنه باب المهدي ، فاجتر كثير من الناس بمظهره وأقبلوا عليه يسمعون منه وهاجمه آخرون . ويزعم أتباعه أنه حج وكتب في طريقه عدة رسائل ادعى أنها وحى إلهي ، وأهلن بعد أن عاد إلى فارس ، أنه مرآة يظهر فيها نفس الله .

وكان أمره قد اشتهر وأخذ يهاجم رجال الدين ويتهمهم ، ووجد من يسمع له ، ولا عجب في مجتمع مثل هذا أن ينصت إليه ، وهو يؤمن بغيبة الإمام وهودته ، وبمجيء المهدي ، فقد سهل ذلك على الباب أن يجد من يتعلق به ، وقامت المعركة بينه وبين رجال الدين في الوقت الذي انضم له بعض الأنصار والتفوا حوله بعد أن تسامع الناس بأمره وأصبحت قنته على كل لسان ، فأفضى لأصحابه بدعوته الجديدة ، وزاد الأمر فسادا بينه وبين العلماء فرفعوا أمره إلى الحكومة لتمنعه عن نشر مذهبه الباطل وعقيدته المنحرفة الضالة ، وكان قد أعلن أنه « النقطة ، أي منشئ الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله وذلك بعد أن تنازل عن لقب الباب لبعض أصحابه .

« وكثر أتباع الباب ، وأخذوا يجوبون البلاد ، يدهون الناس إلى اتباعه ، ويعلمون رؤيتهم له وتلقيهم بركاته ، فهاجت الحواطر

نور يسير ، فبناء على ذلك أقول لكم - وقولي هو الحق - لا أمر اليوم ولا تسكليف ، ولا نهى ، ولا تعنيف ، وإنا نحن الآن في زمن الفترة ، فخرجوا من الوحدة إلى الكثرة ، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم ، وبين نساءكم بأن تشاركوهن بالأعمال ، وتقاسموهن بالأفعال. واصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلو إلى الجلو ، فها هن إلا زهرة الحياة الدنيا ، وإن الزهرة لا بد من قطفها وشمها ، لأنها خلقت للضم وللشم ، ولا ينبغي أن يعد ولا يحدشاموها ، بالسكيف والسك ، فالزهرة تجف وتقطف ، والأحباب تهدي وتتحف ، وأما ادخار المال عند أحدكم ، وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال فهو أصل كل زور ، وأساس كل وبال ، ساووا فقيركم بغنيكم ، ولا تحجبوا حلائلكم عن أحبائكم ، إذ لا ردع الآن ، ولا حد ، ولا منع ، ولا تسكليف ولا صد ، غذوا حظكم من هذه الحياة ، فلا شيء بعد الممات .

وكان هذا الخروج الفاجر والإلحاد السافر والحقد الأسود على الإسلام وتعاليمه وشرائعه وعبادته والتسكذيب بيوم البعث والدعوة إلى الإباحية والانطلاق .

كان هذا الفسق المحموم الذي جرى على لسان هذه المرأة التي استعبدتها الشهوة الطاغية والنهم المحموم كان ذلك كله صدمة لكثير من ظنوا أن هذه الدعوة تحقيق لنجى المهدي

أن البابية ناسخة للشرعة الإسلامية ، وأنه يجب إنقاذ الباب بالقوة ، ووقفت تخطب فيهم معلنة أمورا خطيرة تدعو فيها إلى هدم الدين وتقويض دعائم الشرعة والتحلل من قيود الحلق والدعوة إلى الإباحية في المال والنساء ، وذلك مادعا إليه القرامطة من قبل وكان حسين على المقلب فيما بعد بالبهاء من رؤساء هذا المؤتمر ، ومن الخير أن نعرض على القراء نص خطبة قره العين حتى يقفوا بأنفسهم على مدى ما تحمله هذه الدعوة من كفر صراح ، ومن اجتراء على قواعد الأخلاق والسلوك ومن إهدار لقيم الإنسانية الفاضلة ومن عجيب أن تبجر بهذه الدعوة امرأة يأخذ البابيون قولها على أنه دين يتبع وشرعة تقام قالت : « اهلوا أن أحكام الشرعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب .

وأن أحكام الشرعة الجديدة البابية لم تصل إلينا ، وأن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو ، وفعل باطل ، ولا يعمل بها بعد الآن ! لا كل غافل وجاهل ، إن مولانا الباب سيفتح البلاد ، ويسخر العباد وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة ، حتى لا يبقى إلا دين واحد ، وذلك الدين الحق هو دينه الجديد ، وشرعه الحديث الذي لم يصل إلينا إلى الآن منه إلا

الباب مبشرا « بهاء الله ، وسلفا له وهم أكثر أتباعا من الازلية .

قوله الباب :

قام الباب بتلقيق عدة من التعاليم جمعها من الديانات المختلفة وأطلق عليها دينه الجديد ودعا إليها أتباعه ومريديه ونجمها فيما يأتي :

١ — ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والجماعة إلا في الجنازة .

٢ — جعل القبلة هي البيت الذي ولد فيه بشيراز ، أو مكان سجنه ، أو البيوت التي عاش فيها هو وأتباعه وفرض على أتباعه الحج إليها .

٣ — أنكر وجوب الطهر من الجنابة .

٤ — جعل للعدد ١٩ - عند البابية تقديراً خاصاً ، ولذا فهم يقدسونه جداً .

فالسنة عندهم تسعة عشر شهراً ، والشهر تسعة عشر يوماً ، ويدير شئون جماعتهم مجلس يتألف من تسعة عشر عضواً .

والصوم عندهم تسعة عشر يوماً من شروق الشمس إلى غروبها وهو يقع في أول الربيع في شهر بابه .

وقد أباح الباب لأتباعه خمسة أيام قبل الصوم يقضونها في لهو ومجون وإقبال منهموم على الشهوات والنزوات بلا قيد ولا حد .

ولا بد من قراءة تسع عشرة فقرة من كتاب البيان في كل يوم ، ويجب أن يدعو

الذي سيحيي الشريعة وينشر العدل فإذا بهم يفاجئون بهذا الإلحاد ينساب تنه وتنطلق عقاربه ، فتعقبوا هؤلاء المارقين وطاردوهم واختفت المرأة مع أحد دعاة الباب وكان يلقب بالقدوس ، وقد أورد الأستاذ عبد الرحمن الوكيل كثيراً من أخبار هذه المرأة في كتابه (البهائية) .

وانتهى هذا الصراع بقتل الباب رأس هذه الفتنة ومحركها ، وتعرض أتباعه للاضطهاد والمطاردة وهتتوا في كثير من البلدان .

وعلى أثر قتل الباب أعلن يحيى نوري الملقب بصبح أزل أنه خليفة الباب وتوجه إلى بغداد ففتحه الحكومة التركية إلى قبرص ، أما أخوه ميرزا حسين على الذي لقب فيما بعد « بهاء الله » فقبض عليه ثم أفرج عنه ورحل إلى كربلاء . ورحل بعضهم إلى روسيا ، وأقاموا لهم مسجداً هناك وكانت هذه الدعوة تجحد عطفاً من الروس لأنها تمهد السبيل لأطاعتهم في إيران ولم يفرج عن ميرزا حسين على إلا بشفاعة قنصل روسيا وشهادته ببراءته ، وتنازع صبح أزل وأخوه بهاء الله على خلافة الباب ، وادعى كل منهم أنه المقصود بقوله « من يظهره الله » وهذا دليل آخر على كذبهم وباطلهم ، وقد أدى خلافهم إلى انقسام البابية إلى الازلية والبهائية ، والازلية هم المتمسكون بتعاليم الباب المحافظون عليها وهم أقلية ، أما البهائية فتعتبر

وهن الجنة لأنها الفرح الروحى الذى يشعر به المؤمن بالمظهر الإلهى .

وعن النار لأنها الحرمان من معرفة الله فى تجلياته فى مظاهره البشرية .

والباب هو البرزخ المذكور فى القرآن لأنه بين موسى وعيسى .

وقد صرح الباب فى رسالة بعث بها إلى الألوسى صاحب التفسير المشهور بأن دينه ناسخ الإسلام فقال : كل من كان على شريعة القرآن كان ناجياً إلى ليلة القيامة ويعنى بها الليلة التى أعلن فيها أنه القائم أو المظهر الإلهى الجديد ، ولهذا حرم على أتباعه قراءة القرآن حتى أحرق الباييون المصاحف وزعم أنه أفضل من محمد وأن كتابه أفضل من القرآن ، وأن محمداً بمقام الألف وهو بمقام النقطة .

هذا الكفر الصراح نادى به البابية وورثته البهائية وزادت عليه ألواناً أخرى أكثر ضلالاً وكفراً ، وإن كان الباب قد زعم أن الله قد أنزل عليه كتاباً سماه البيان فإن البهلاء قد زعم أيضاً أن الله قد أنزل عليه كتاباً أيضاً سماه الأقدس .

وستتناول فى كلمة أخرى البهلاء ومذهبه ومدى ما أضافه من ضلال فوق الضلال الذى ورثه عن الباب ؟

محمد إبراهيم الجيوشى

كل واحد تسعة عشرة شخصاً مرة فى كل تسعة عشر يوماً ولو لشرب الماء .

٥ - الزكاة خمس العقار تؤخذ فى آخر العام من رأس المال وتعطى المجلس المؤلف من التسعة عشر عضواً .

٦ - الزواج إجبارى بعد سن الحادية عشر ، ويكفى فيه رضا الطرفين ويجوز إيقاع الطلاق تسع عشرة مرة ، وعدة المطلقة تسعة عشر يوماً ، ولا يجوز الزواج بأرملة إلا بعد دفع دية ، وإلا بعد انقضاء عدتها ومدتها خمسة وتسعون يوماً .

٧ - الميراث سبعة أنواع - الولد ، الزوج ، الزوجة ، الأب ، الأم ، الأخ ، والأخت ، وأكبر الأنصبة للولد .

٨ - العيد عيد النيروز ومدته تسعة عشر يوماً . وفى صباح كل جمعة يجب استقبال الشمس بالسلام .

والبابية يكفرون بأمور الآخرة كما وصفها القرآن ويفسرونها تفسيراً آخر كما فسرها الباطنية من قبلهم .

فهم يقولون عن القيامة إنها قيام الروح الإلهى فى مظهر بشرى جديد .

وعن البحث إنه الإيمان بالوهمية هذا المظهر الجديد .

وعن لقاء الله يوم القيامة إنه لقاء الباب لأنه هو الله .

محمود الغزنوى البطل الذى ضم للإسلام أمة للأستاذ محمد رجب البيومى

ولكن خلفاء بنى العباس جميعا من لدن السفاح إلى المستعصم لا يضمنون فى سلسلتهم الممتدة بطلا من طراز محمود ! أما أن لنا بعد فى تأليفنا الحاشدة أن نوجه اهتمامنا إلى القمم الرواسخ دون أن نعلم إلى الترديد والتكرار ! أم أننا نلتصم بأسر السبل فى التأليف ! لقد كان الزمن الذى تألق فى سمائه كوكب محمود الغزنوى لا يسمح بظهور مثله بحال فليست هناك خلافة راشدة تفسح ميدان البطولة المخلصة لامثال خالد وسعد وعمر وأبي عبيدة والمثنى وإبراهيم هناك خليفة أموى راسخ السلطان مرهوب الكلمة ، واسع الملك تحتشد حوله الكهماء المتنازعة من أمثال قتبية بن مسلم ومحمد بن القاسم وموسى بن نصير ! أما الدولة العباسية لعهد محمود فقد تساقطت جنباتها ، وفداعت أسسها ،

كلما قرأت تاريخ البطل الفد محمود الغزنوى عجبت كيف لا يجرى اسمه على كل لسان يدين بالإسلام ، وكيف لا تفرد الكتب الخاصة بتحليل خوارقه وتفسير نوادره ! بل كيف تمضى كتب المطالعة المتنوعة فى المدارس والمعاهد دون أن يفرد له باب فى كل كتاب فيعلم الناشئة فى شتى بلاد الخليفة من هو ذلك البطل المعجز الذى أهتدى إلى الإسلام مائة مليون نسمة لا يزال أحفادهم اليوم يمثلون الباكستان وكشمير وبعض المدن فى الهندستان ! إن ملكا عظيما كهارون الرشيد يجرى ذكره على كل لسان لا يمكن أن يوازي شيئا إذا قيس بمحمود ! صحيح أن الرشيد خليفة وأن محمود سلطان يستمد شرعيته من القادر بالله أحد الخلفاء من نسل هارون ! !

ففي كل مملكة أمير يحكم أو خليفة يناوئ ،
أو وال يدل ويقيه ، حتى بغداد نفسها تقع
فريسة لكل طامع من الوزراء الأباغديي .
أتباعه ويحشد جنوده ثم يصل إلى مقر
الخلافة ليكون أمير المؤمنين لعبة في يده
إذ يصدر عن أمره ١ ويسير في تياره فإذا
تمكن خصومه من طرده ، وتملكوا الأمر
من بعده كان أمير المؤمنين رهن مشيئتهم كما
يبتغون ١ هذه الحال المؤسفة من نفسك
الخلافة الإسلامية وقيام الدولات المستقلة في
العواصم المختلفة وتشاحن المفرضين على
الرياسة والسلطان ١ أقول هذه الحال المؤسفة
لم تحل دون ظهور رجل فذ كحمود الغزنوي ،
يجمع الكلمة ، ويحشد الجند ثم يغزو بأتباعه
وقيادته بلاد الوثنية ليعلو الأذان الإسلامي
في ربوع متناثرة تقدر الأصنام ، وتعبد
التماثيل من دون الله ١

والغريب أن هذا البطل الفذ كان بغيضا
إلى بعض شعراء عصره فارسيين وعربا ، فلم
يرزق شاعراً ملهما يسجل بطولاته في ملاحم
رائعة كما رزق سيف الدولة أبا الطيب مثلاً .
هل بعد ما بين البطلين من فروق ، بل صدم
بشاعرين كبيرين أخذوا يفتنانه ويائسان
العناكب الواهية لتجنبي عليه ، وهما
أبو العلاء المعري العربي ، وأبو القاسم

الفردوس الفارسي ١ ١ وأبو العلاء يسير مع
طبعه الناقم الساخط حين يهاجم بطلا تنساقط
نحت ضربات سيفه أشلاء الضحايا من
المتصارعين في كل مكان . إذ أن الشاعر الذي
يرحم الحيوان الضعيف إذ يستفزع ذبحه
وراقة دمه ، لا بد يرتاع لما يسمع عن
معارك دامية تفور بالدم ، وتطفح بالهجوم
والرقاب ١ هذا إلى أنه ملك ، وللولك في
منطق أبي العلاء غطرسة واستعلاء لا يرضيان
إحساسه الرهيف وهم في أكثر أحوالهم ظلة
جائرون فلا بد أن يهاجم الشاعر الفيلسوف ،
ولا بد أن ينال شيئاً من هجومه أعظم ملك
رن اسمه في عصره رنين الرعد في كل أفق ،
مهما كان بطلا فذا ذا مثل وأهداف ،
ولا فحل كان يستحق محمود الغزنوي أن يقول
فيه الحكميم الفيلسوف :

أمر إن كنت محموداً على خلق

ولا أمر بأني الملك محمود

ما يصنع الرأس بالتيجان بمقدما

وإنما هو بعد الموت جلود

و يقول :

محمودنا الله والمسعود خائفة

فعد عن ذكر محمود ومسعود

ملكنا لو أنني خيرت ملكهما

وعود صلب أشار العقل بالعود

لا يرضى منزعه الديني ، وبخاصة إذا كان الملك
سنيا شديد الغيرة على مقدسات أهل السنة
وقدشن حروباً طاحنة على القرامطة والملاحدة
وعقد الأواصر المخلصة بالخلافة العباسية حتى
منحه القادر بالله لقب يمين الدولة ، وزاد
الملك في وجهته فاضطهد المعتزلة والرافضة !
فإذا جاء إليه شاعر شعوبي يتحدث عن رستم
وسهراب والضحاك وذى القرنين وأساطير
الجبال والبحار ، فلن يجده منه انشراحاً لما
فعل !! على أنه قد بذل له المعقول من المال
كيلا يضيع جهده هباءً والفردوس لا يقنع
بإدوان الإغراق والامتلاء ، فأنصرف عنه
هاجياً ثالياً ، والمسألة مسألة مبدأ قبل أن
تكون مظنة بخل وإمساك !!

أذكر أن إيران قد احتفلت منذ أعوام
بمرور ألف عام على وفاة الفردوس ، وبعثت
الممالك المختلفة من يمثلها في مهرجان الشاعر
الكبير بطهران !! وقد تورط بعض الحفباء
في نقد السلطان محمود الغزنوي إذ منح الشاعر
ما يظنه بعض حقه ! حتى جاء دور الشاعر
البناني الأستاذ بهاره الخوري فهجا محمود
الغزنوي هجاء مقذفاً حين قال :

يا للعقوق أي بني مجد أمته

ويجعل الدهر مولى من موالها

أئن وقت أمة يوماً لشاعرها

رماه سافهاً عن قوس واشيها

وأبو العلاء وإن كان يفضل عود الحديد
على ملك محمود الغزنوي فهو لم يفحش في
حديثه عنه ولن يستطيع ، أما الذي أخش
وبالغ في الإخاش حقاً فهو أبو القاسم
الفردوس إذ أنه قضى أكثر حياته ينظم
تاريخ الفرس في الشاهنامه ويعمل نفسه أن
الملك الغزنوي سيفرقه بالذهب طوقاًنا يرجع
إليه ما نفذ من ثروته الموروثة وضياعه
البائدة ، ولكن منحة محمود لم تقنع شاعر
الفرس المعتز ، ففر من بلاطه مرسلًا قوارعه
اللاذعة في هجاء البطل الكبير ! ونحن حين
نحقق أمر الفردوس في أفق أوسع من
رغباته الشخصية ، نرى أن محموداً مصيباً فيما
فعل ، لأن الفردوس قد استجاب إلى نغمة
الأمير نوح بن منصور الساماني حين اندفع
يبحث عن أساطير فارس المجوسية ليجعل
منها تاريخاً يلهمهم تاريخ العرب والمسلمين ،
فأخذ يبحث ما في خزائن الموابذة والدهاقين
من الصحف القديمة لتغدو آية فخار يني
عن المجد الغارب ، وحين تم ذلك جعل منه
الفروس مادة حديثه فقضى ثلاثاً وعشرين سنة
ينظم الأساطير والخوارق ، ولكن الدولة
السامانية كانت قد لفظت أنفاسها في هذا
المدى المتطاوّل وجاءت الدولة الغزنوية ،
وملكها محمود لا يشجع هذه النعرات
المصبية ، بل يرى في صنيع الفروس هراء

واستأنف القتال ، ونحن نسجل هذه الحادثة السريعة لنرد بها على من تابعوا ابن الأثير حين ذكر أن السلطان محموداً قد ولى وجهه شطر الهند ليكفر عن حربه المسلمين ! إذ أن فتح الهند كان في دمه منذ طفولته وقبل أن تنشب الحرب بينه وبين أمراء الدول الصغيرة لعهد ١١ وقد كانت هذه الحرب حتماً مقدوراً لا محيد عنه ؛ لأن محموداً قد نظر لأول عهده بالسلطان فرأى الصغار من الأمراء يتصارعون في غير طائل ، وقد تحرش به الأمير الساماني في خراسان وهم بثبنته ، فكان لابد من نزاله ليأمن جانبه القريب ! كما أن آل بويه بالرى ومن شاكلهم من السلاجقة لا يرحبون بقيام ملك إسلامي كبير ، وسيكونون يتآمرهم المتواصل سداً في طريقه فرأى لبعده نظره أن يضم ممالكهم إلى سلطانه ليجد من الوحدة الشاملة ما يساعده على تحقيق مشروعه الخاطير في نشر الإسلام ! ولو لم يأمن جانب جيرانه من المتربصين بعد أن قضى عليهم بعزيمته الواثبة ما استطاع أن يترك بلاده إلى أماكن نازحة تدعوه إلى أن يغمر ظلامها الحالك بنور الهداية والإسلام ! على أن شعوره الديني قد دفعه إلى مهادة الخليفة العباسي ، وحوز قبوله وإعجابه ، فكان ذلك مدعاة اطمئنان نفسي كبير أمدته برصيد ضخم من الثبات ١١ .

والاستاذ بشارة يجهل محمود الغزنوي دون نزاع ! فليس الملك من السفالة في قليل أو كثير ؟ كما أنه يجهل ملابسات الشاهنامة وتقلبات الزمن بمبدئها ومنتهائها ولو علم ما تجنى فأفدع ١١ .

وبعد ؛ فكيف سطر هذا الملك العظيم تاريخ بطولته الخفيل ؟ لقد تفتحت عينه في الوجود فرأى أباه الأمير سبكتكين ذا قدر وبطش ، فهو قائد فارسي محنك ، واثقه الظروف فحكم غزنة من قبل السامانيين حكماً قوياً عادلاً ثم طمحت به همته إلى الهند فغزا شمالها الغربي مرتين متواليتين ! وانتصر انتصاراً مؤزراً شهده ابنه محمود إذ كان يصحب أباه في غزاته دون أن يتعدى الرابعة عشرة من السنوات ، والمدمش الرائع أنه في عمره الناشئ قد أظهر فروسية وحكمة بل وقف من والده موقف المعارض في أمر هام ١١

فقد عرض الأمير جييال راجا لاهو جزية ليفوز بصلح يحقق الدماء ، ومال الأدب إلى القبول مكسفياً بما أحرزه من نجاح ، ولكن محمود الصغير يتف في وجهه رافضاً أن تكون الجزية غاية القتال وقال لو والده في إصرار : إننا نبحث عن مثوبة الجهاد في سبيل الله ! لا عن الفضة والنضار ١١ فنزل أبوه على رأيه

في عديم الهائل قوة متساندة تقذف أمامه موقف المدافع الصبور !! فقد اصطدم في غزاته الأولى (بجييال) صاحب لاهور هدر أبيه ، وكان يغط في نومه ظاناً أن وفاة سبكتكين ستمنع تدفق المسلمين من جديد فأيقظه محمود على رأس عشرة آلاف مقاتل فحشد جنوده على عجل واستعان بمجاوريه حتى اكتمل له أكثر من اثنين وأربعين ألفاً من المحاربين ، ودارت المعركة رهيبه حامية فأبادت الهنادكة إبادة مخزية ولم يبق إلا الأمير الهندوكي على احتجاب كرائته فعرض نفسه على النار تكفيرا عن خذلانه كما تقتضى بذلك تقاليد الهند ! .

واصل القائد البطل زحفه ، فأحدث الرعب المزلزل في كياف الراحات من الحاكين ، وتجمع أمراء أوجين وكواليار وكلنجر وقنوج ودهلي وأجير ليقفوا بجيولهم وأفيالهم وجنودهم حشداً كثيفاً أمام الغازي القاهر . وزحفت جيوش الهند مجتمعة لتلقى المسلمين في إقليم البنجاب ! وكان القتال هائلاً خيفاً ! فقد قتل المسلمون من أبطالهم عدداً يبيكى عليه . لأن جيش محمود لم يتجاوز ستة آلاف مقاتل ! ولكنه بمحض إيمانه وقوة عزيمته قد ثبت بالبقية من رجاله أمام جيوش لم

ومع ما عرف عن والده سبكتكين من الإعجاب بمحمود والمباهاة ببطولته فقد شاء أن يجعل الأمر من بعده لولده الصغير إسماعيل وهو إنسان ضعيف متردد لا تصل به همته إلى شئ من آمال أخيه الأكبر ، ولم أرفيا قرأت تعليلاً لذلك ، ولكنى أعتقد أن الأب قد رأى طموح محمود واتساع آماله يخاف أن يقذف بجيشه إلى الهند في حاسة وانقاد دون أن يسلك مسلك الحيطه في الصبر والانتاد ! وآثر أن يرجع بالملك لإسماعيل ليأمن بهدوئه عثار التوثب والانطلاق ، ولم يكن محمود بالشاب القافع المستكين ، فسرعان ما انتزع الملك من أخيه !! وبدأ فوحده المملكة الإسلامية في فارس ، ليقفز بعدها إلى الهند في عزيمة وإصرار ...

كانت الهند ترزح تحت حكم الإقطاع ! فكل مدينة تخضع لراجا مثاله يشجع رغبته الخاصة بطغيانه فإذا أنس من نفسه بعض القوة انجح إلى من يجاوره فسطا عليه ، وضم إمارته إلى إمارته ثم لا يلبث أن يجد أميراً أقوى منه يستعد لئزاله فتدور الحرب بين الطامعين وطغيانها العامة من الراحين المسيرين عن يضطرون إلى الولاء خيفة من الإرهاب الأحمر ، والطغيان المنجبر !! .

فحين صمم محمود على محاربة هؤلاء لم يجد

أفغانستان على سهل الهندستان في جنوده
الأتراك الأشداء ، بخيولهم الفارعة ،
وأسلحتهم الموفرة ، ونظامهم الحربي
البديع انصباب السيل الدافع . فيمهر الأنهار
الصعاب ، ويسكر لأصنام الهندية لا يبالي
تعبا ولا نصاب ، ثم يكر راجعا إلى غزنة
يمتلئ اليدين من السبي الرائع والغنائم الهائلة
بما حوته معابد الهند من كنوز الذهب
والفضة ، وفنائس الأطلاق وقد انجلى هذا
الغزو المتتابع عن امتلاك السلطان محمود
لإقليم البنجاب وكشمير ، وسيطرته على
مملكة كجرات الواقعة على المحيط الهندي ،
فدخل الهنود في دين الله أفواجا . وترك لهم
السلطان الفاتح من يعلمهم أصول الدين
الإسلامي ، وبلغتهم مبادئه فرسخ الإسلام
من ذلك الوقت في بلاد الهند ، وأصبح ديانة
قومية ثابتة الدعائم قوية الأساس .

كانت همة البطل أبعد من أن تحد ، فلم
يكن يجلس ما بينه وبين نفسه ليفكر في
العواقب ويفترض الأوهام ، ولكنه كان إذا
هم ألقى بين عينيه عزمه ، وإذا كنا ندهش
لعزيمة خالد بن الوليد حين اخترق الصحراء
يوم البرموك بجنوده ليبلغ أعداءه من حيث
لا يتوقعون فقد قام السلطان بمثل ما قام به
سلفه الخالد حين اخترق صحراء (الثار) وهي
مفازة جرداء تعد أكبر صحراوات الهند ،

يستطاع التاريخ عدما على الوجه الدقيق إلى
الآن ، حتى أحرز الانتصار الساحق ، ووجد
في معابد الهنادكة من الغنائم الذهبية ما أربى
عن الوصف إلى حد أن جنوده قد تركوا
صحاف الفضة اكتفاء بما عثروا عليه من
الذهب ! فليس لديهم من الدراب ما يكفي
لحمل هذه الكنوز ! وكان النصر في معركة
البنجاب سلاحا حدين إذ أثار انشودة في
بلاد الإسلام فأقبل المتطوعون ينسلون من
كل حذب إلى جيوش محمود . على حين أحدث
الملح والرعب في أفراد الشعب الهندوسي
وقادته فباتوا يترصدون يومهم القريب .

كانت السنوات تمر دون أن يخلو عام واحد
من موقعة هائلة لمحمود الغزنوي يدمرها
أعداءه المحتشدين ففتح الملتان وكواكير
وما زال ينتقل على شاطئ (هند مند) حتى
استولى على بهيم نقر وناردين وبلغ كشمير
فغنم بها خمسة أصنام من الذهب الخالص
مرصعة بأغلى الجواهر ، وحمل من السبي
والسلاح ما أمد كفاحه بقوة جديدة واصل
بها النجاح !

قال الأستاذ عبد الحميد العبادي في كتابه
(صور وبحوث من التاريخ الإسلامي)
ص ٨٠ : « وقد غزا السلطان ما لا يقل عن
سبع عشرة غزوة ، فكان ينصب من جبال

لا تداخل في حساب عاد أو تباغظ من متوهم
 بما قدفته مئات السنين في جوفه من النفور
 والقرايين ، وكان الهنادكة يعتقدون أن
 تناسخ الأرواح في الأبدان يتم حول الصنم
 في معبده ، وأن هدير البحر المنبسط من
 حوله صلاة يقوم بها الماء عبادة وطاعة ،
 أما الخدم من السدنة فيتجاوزون الألفين من
 البراهمة ، ومعهم خمسمائة من الرافصات
 المنشدات يرتلن حوله التسابيح ! وقد اجتمع
 جميع الأمراء الراجيوئين بكل ما يملكون
 من عتاد ورجال وخيول وأفيال زياداً من
 إلههم العظيم ، ورأوا في الاستشهاد بساحته
 منتهى الأمل في الحياة ، فدارت معركة
 رهيبة بين جيوش الإسلام ، وجحافل الوثنية
 ثبتت فيها القلة الزاحفة ثباتاً من الخوارق
 إذ كان محمود يقيم رجاله فرقا فرقا ، ويجعلهم
 يتناوبون الأماكن المختلفة كل يوم ، فأوقع
 في نفوس أعدائه أنه يصحب معه عدداً
 أكثر من عددهم المتراعى ، إذ يرون
 كل يوم من المسلمين جديداً لم يقعوا
 عليه من قبل ، وكانت مذبحه خطيرة سقط بها
 خمسون ألفاً من الهنادكة وعبر المسلمون على
 أشلائهم المتزاحمة طريقتهم إلى الصنم بالمعبد ،
 توجه السلطان إليه بنفسه فتهالك عليه بالحديد
 حتى انفجر جوفه عن ثروات كانت تسيل في

وكان الوثنيون يظنونها حصناً طبيعياً
 لا يستسلم لعدو فاتح ! فهم يمتصمون بها
 آمنين ! ولكن العزيمة الحديدية تدفع محموداً
 إلى قيادة جنده ضارباً المثل بنفسه ، حين
 يتقدم الكشائب الغازية في فلاة مترامية
 يشتعل بها القيقظ ، وتتفجر مراميها القاحلة
 عن مهالك ذات أهوال ، فلا ماء يروى
 ولا شجر يظل ، ولا ثمر يشبع ! ! ولكن
 الأمل في نصرة الإسلام قد أمدّه بالماء والثر
 والشجر ، فهانت لديه الصعاب ، واستعذب
 الآلام حتى بلغ مبتغاه ففاجأ الأعداء .

وقد كان معبد الهنادكة في سومنات معقد
 لإيمانهم وقبلة أنظارهم ، فهم يلتمسون من
 صنمه النماض في عيونهم مثقلاً بأوقار
 الذهب واللؤلؤ والماس مقدرة على الجهاد ،
 ومعمونة على الزاحفين ، وقد أذاعوا فيما
 بينهم أن غضب إلههم الأصم في معبد
 سومنات على أتباعه المعاصين هو الذي أمد
 السلطان الغزنوي بالنصر انتقاماً لحقه وثأراً
 من مروق أتباعه ، وما ظنك بمعبد مقدس
 ينهض على ست وخمسين سارية ترصع بصقايخ
 الذهب وقلائد الجوهر ، وتمتلئ ساحاته
 وأركانها بمئات من التماثيل المصنوعة من
 الفضة الخالصة والذهب الحر ، أما الصنم
 الأقدس فتقدم أمثلاً جوفه بثروة ضخمة

المؤلمات ، وهو بذلك قد سبق نظام الملك السلجوقي في إنشاء المدارس ، بما يبطل دعوى ريادته الأولى في هذا المضمار ، وقد كان من بين من يعمروا ساحاته من أبطال الفكر البيروني العالم الشهير والهمداني والعتيق والبستي والثعالبي من أدباء اللغة العربية والعنصرى والعسجدى والأسدي من أدباء اللسان الفارسي ! وقد استدعى ابن سينا على شوق فلم يجب بدعوته لصلات قديمة كانت بينه وبين السامانيين ! رأى أن يني لها فلا يتصل بمن قرص سلطانهم في الحياة !

وكان عدله المنصف بين أفراد رعيته سديا وطيدا في تعلق المسلمين به ، ومن خوارقه النادرة في إحقاق الحق أن بعض الناس شكوا إليه ابن أخيه إذ ارتكب جريمة قتل ظلما مدلا بمكانته من عمه ، لحق محمود الأمر بنفسه ، واستمع إلى الشهود في غيظ وغضب فلما تيقن الأمر ، دعا ابن أخيه ، وقاده إلى أحد غرف القصر ، ثم أطفأ المصباح وذبحه وطلب جرعة ماء ، ويقول الباحثون في تعليل ذلك أنه كان يحب ابن أخيه حبا جما ، وقد أطفأ المصباح حتى لا يرى وجهه فتأخذه به شفقة تشل يده عند القصاص ! ! وهذه الحادثة وحدها تجسد لك جمال العدل في أصدق معانيه ! وهي تغني عن مئات الصفحات في تدوين شمائل هذا المنحرف المؤمن الحريص !

كل اتجاه مسيل المساء ، ثم حمله الملك الظافر ليضمعه بين أحجار عتبات مسجده الفخم بفزنة . فكان كل مهمل يطؤه بقدمه خمس مرات ! ! ولعل الذين يتهمون السلطان بحب المال يعرفون أن الهنادكة قد عرضوا عليه قبل معركة سومنات أن يفتدوا الصنم بما يريد من مال مهما جل ، ولكنه صمم على الحرب لأن الهدف من الفتح الظافر هو تحطيم الصنم لا جمع الأموال . وقد صدقت فراسة محمود إذ أن الهنادكة المخدوعين في الهمم الذميمة قد غارهم الشك في ألوهيته حين رأوه يتساقط منفجرا ثم يجر على الأرض في امتنان ، فراهم معتقدتهم الواهم ، وأقبلوا على الإسلام بدرسون مبادئه حتى اعتنقوه من بصر و يقين ! !

لقد انتهت غزوات البطل بالنصر ، وإذا كان قد رزق الخطوة السعيدة في جهاده المؤمن ، فقد كانت أعماله الحربية لا تقف حائلا دون إصلاحاته الداخلية إذ أن بلاده تمتعت بكثير من مناحي التعمير والازدهار والرخاء ! وأصبح بلاطه مقصد العلماء والأدباء والشعراء وقد أسس في غزنة جامعة كبيرة حشد لها الاسانذة المختارين من شتى البقاع ، وأجرى على طلابها الرواتب والجرایات وزينها بخزانة ثمينة تجمع أنفاس الكتب ، وأغزر

الطراز الأول ، اتصف بالعدالة ورعاية
الفنون والعلوم فهو جدير أن يعد من أعظم
الملوك طرا .

كما نقل الدكتور أحمد محمود الساداتى فى
حاشيته ص ٩٨ رأى المؤرخ الأوروبى
لين بول فى محمود إذ يقول : « إن ذلك
السلطان الذى أقام تلك المنشآت الضخمة بغزنة
وأقام دور العلم ودعا العلماء حتى كان محمود
علمهم بما لا يقل عما يعادل ما تقي ألف
من الجنهات كل عام ، فضلا عما كان يجرى
على طلبه العلم من الأرزاق لا يمكن أن يسلك
فى ذمرة البرابرة الطغاة ١١ » .

هذا هو محمود الغزنوى وهذا بعض أبايده
على الدين والأدب والعلم أفلا يصح بعد ذلك
أن نفرد له عشرات الكتب وأن نمنحه بعض
ما تمنح نابليون والإسكندر وهاننيال ١١

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بدار المعلمات

لقد هجم بعض الكتّاب من الهنداكة على
السلطان فى تاريخ غزوانه ، وذلك طبعى
لدى من يتعصبون لاقومية ، ولكن العادلين
من هؤلاء لو أنصفوا البطل لذكروا ماله
وماعليه ، ومن بينهم المؤرخ الهندى «براساد»
إذ يقول نقلا عن ترجمة الدكتور أحمد
الساداتى بكتاب تاريخ المسلمين فى شبه القارة
الهندية ص ٩٧ :

« إن محموداً ليمد فى نظر المسلمين غازيا
ومجاهداً كبيراً أخذ على نفسه القضاء على
الشرك فى مهاد الوثنية ، وهو فى نفس الوقت
عند الهنداكة طاغية مخرب ، حطم مقدساتهم ،
ودمر معابدهم وآذى شعورهم الدينى فى
كثير ، ولكن المؤرخ المنصف حين
لا يسقط من حسابه تقاليد العصر الذى كان
يمش فيه واعتباراته ، لا يسهه إلا أن يقرر
أن محموداً كان زعيماً بارزاً من خيرة القادة
والزعماء ، وحاكما حازما وجنديا عبقرىا من

دستور عمر لنفسه

قبل أن يضع عمر ، الخليفة الثالث دستورا للولاة وضع دستورا لنفسه : قوامه أن الحكم
محنة للحكوميين ، وأنه لا يصلح إلا بشدة لا جبرية فيها ، ولين لا وهن فيه ، وأن الخليفة
مستول عن ولاه ، واحدا واحدا ، فى كل كبيرة وصغيرة ، ولا ينفيه من اللوم أنه
أحسن الاختيار .

من معالم الطريق للأستاذ فتحي عثمان

« أنه سئل الفقيه نجم الدين : أتفتي بهذا أيضا ؟ قال : نعم . كما أفتى به أيضا الخانوق ومفتي الروم أبو السعود ، والشيخ حامد الحمادي في فتاواه الحامدية . »

« وقد نقل صاحب (الدر المختار) آخر (فصل القرض) أنه ورد الأمر السلطاني وقتوى شيخ الإسلام بأن لا تزيد المنفعة من خمسة في المائة من مبلغ القرض ، فإذا زادت يعاقب الشخص لمخالفة الأمر السلطاني . »

« ونقل ابن عابدين أيضا في حاشيته هنا عن كبار رجال المذهب كالحصاف ومحمد بن سلمة جوازه ، وعن بعضهم كراهته . ثم نقل عن السانحاني : (أنه صدر أمر سلطاني مبني على فتوى أخرى برفع نسبة المنفعة إلى خمس عشرة في المائة وعليها العمل) ؛ لأن الأمر بها متأخر عن الأول فكان معدلا له . وعال ابن عابدين عقوبة من يخالف ويأخذ زيادة عن الحد المحدد في الأمر السلطاني بأن طاعة أمر السلطان بمباح واجبة . »

« وقد بحث ابن عابدين في أن مجرد مخالفة الأمر السلطاني في عقد لا توجب فساد العقد . »

« ذكر حاصل (الدر المختار) في آخر باب (القرض) من كتاب (البيوع) : أن شراء الشيء الرخيص بالثمن الغالي في مقابل الاستقراض من البائع جائز للحاجة ، وقد سموه (بيع المعاملة) - وهي طريقة للقرض بمنفعة . »

« وذكرها أيضا صاحب (الدر المختار) نفسه قبل ذلك آخر باب (المراجعة في البيع) قبيل فصل القرض باسم (المراجعة) : وهي أن يبيع الدائن للمدين شيئا بأعلى من قيمته بحيث يحصل للبائع ربح يعادل الزيادة التي يريد لها لقاء تأجيل الدين إلى المدة التي يطلبها المدين . »

« وقد صرح في هذا المكان من الدر وحاشيته نقلا عن فقهاء المذهب أنه : لو قضى المدين الدين قبل حلول أجله الذي عقدت من أجله المراجعة ، أو إذا توفي المدين بعد المراجعة قبل نهاية الأجل فاستوفى الدائن دينه من تركه المدين لحلول الدين المؤجل بسبب وفاته فإن الدائن لا يستحق من المراجعة إلا بنسبة ما مضى من الأجل ، وإذا كان قد قبض الربح وجب عليه رد حصة ما بقي من الأجل . »

« ونقل ابن عابدين هنا عن صاحب الفقيه »

تصبح هذه الأمنية حقيقة واقعة ، ينبغي أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن ، ونرجو أن يكون من وراء جمل الفقه الإسلامى مصدرا من المصادر الرسمية للقانون الجديد ما يعين على هذه النهضة .

ومن أول مجالات هذه النهضة العلمية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن جامعة الأزهر ، وكلية الشريعة منها بوجه خاص .

هذه الكلية تستطيع أن تهى المناخ الصالح الذى يتحقق في ظل التفاعل الفكرى بين تراثنا الفقهى وبين الدراسات القانونية المعاصرة . ونستطيع أن نسبغ على طريق هذا التكوين الفقهى المؤمل المعالم التالية :

بالنسبة لدراسة الفقه الإسلامى :

ينبغي أن تكون الدراسة الفقهية العالمية فى مستوى الكليات دراسة مقارنة ، ولا تكون مقصورة على مذهب معين ، ويمكن الرجوع إلى أمهات كتب الفقه التى اعتمدت على القرآن والسنة بصفة أساسية دون أن تلزم التقيد بمذهب معين مثل كتب ابن حزم (المحلى) مثلاً وابن رشد (بداية المجتهد) مثلاً وابن القيم (زاد المعاد وإعلام الموقين) مثلاً والشوكانى (نيل الأوطار) والصنعانى (سبل السلام) وهكذا ...

ولكن هذا يدل على أن الأمر السلطانى إذا تضمن النص على بطلان العقد المخالف فإنه يكون باطلا حتماً (الدر المختار ، ورد المختار) .

وقد ذكر ابن عابدين أيضاً فى (رد المختار) آخر الباب الأول من (كتاب القضاء) أن صاحب (البحر) ابن نجيم قد نقل عن أئمة المذهب : أن طاعة الإمام فى غير معصية هى واجبة

هذا أصل جليل ...

نخرج منه بصورة تاريخية فقهية رائعة لتطور الزمان ، وبروز صور من المعاملات نتيجة لضغط الظروف الاقتصادية ، ومرونة الفقه الإسلامى فى مواجهة الأحداث المتجددة . ونخرج منه بأصل تشريعى جليل يعطى اجتهاد سلطاتنا التشريعية مكانته وأهميته فى بناء تشريعاتنا المعاصرة .

وكل هذا ، يلقى علينا عبئاً أثقل من المسئولية . المسئولية لبنى فقهنا المعاصر ، وتشريعاتنا المعاصر ، على ضوء الدراسة الجادة الوعى ، والتفاعل الخلاق مع واقعنا الاجتماعى والفكرى ... يقول العميد السخورى فى مقدمته الرائعة لكتابه (الوسيط فى شرح القانون المدنى الجديد) :

« جعل الشريعة الإسلامية هى الأساس الأول الذى يبنى عليه تشريعنا ، لا يزال أمنية من أهم الأمنيات التى تحتلج بها الصدور وتنطوى عليها الجوانح ، ولكن قبل أن

بصفة خاصة من كتب الحراج ، ومنها ما ألفه أبو يوسف ويحيى بن آدم ابن قرشي ، فضلا عما أوردته كتب التاريخ من تدوين الديوان وجمع الزكاة والحراج وتوزيع العطاء والأرزاق إلى غير ذلك من الموارد والمصارف المالية ، وفي مقدمتها كتب تاريخ الطبري والبلاذري وابن عساكر وابن خلدون ... إلخ ، كذلك كتب السير ، التي تتناول قصة الغنيمة النوى . ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة الحراج للدكتور ضياء الدين الرئيس ، والحراج للدكتور بدوي عبد اللطيف عوض .

٣ - القانون الدولي العام والخاص :

لشريعة الإسلامية أحكامها في السلم والحرب والعهد والعلاقات الدولية ، وفي أحكام الذميين والمعاهدين والحريين والمستأمنين ... إلخ .

وقد وردت مباحث ضافية عن ذلك في كتب الفقه وخاصة الموسوعات : مثل المبسوط للسرخسي ومدونة سحنون ، فضلا عن كتب السير الأرزاعي وأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني . ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة كتاب الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادي بالانجليزية : سير الدولة الإسلامية ، ...

٤ - القانون الجنائي :

يجب الاهتمام بدراسة القسم العام من

وقد سبق أن كتبت في الفكر الإسلامي والتطور ، أفرح أن يكون التخصص في الفقه موضوعيا لا مذهبيا : فيكرن التخصص في الفقه الجنائي أو المدني وفي الفقه الدستوري أو الدولي ، لا في مذهب بمينه ...

وقد تقدمت بمذكرة مسببة للجهات المختصة أثناء قيام لجان تطوير الأزهر بعملها تعرضت فيها لفروع الدراسات القانونية المعاصرة ، وإمكان دراسة الفقه الإسلامي على هدى منهجها في التصنيف والتقسيم ... وأنا أنقل هنا ما سبق أن ذكرته في المذكرة المشار إليها :
(١) - القانون العام :

١ - القانون الدستوري والقانون الإداري : يمكن دراسة نظام الحكم في الإسلام ، وقد أدخلت هذه الدراسة في دبلوم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ويمكن الاستفادة مما كتبه المتكلمون والفقهاء عن الإمامة ومن كتب مثل السياسة الشرعية لابن تيمية ، والطرق الحكمية لابن القيم ، والأحكام السلطانية للباوردي ، ومشها لأبي يعلى ، ومقدمة ابن خلدون ، وكتب الحسبة ... إلخ .

ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة الخلافة للسنهوري بالفرنسية والنظريات للسياسة الإسلامية للدكتور ضياء الدين الرئيس ، ...

٢ - التشريع المالي : ويمكن الاستفادة

(أ) الفلسفة القانونية والاقتصادية :

من المرجو أن تفرد دراسة الفلسفة الحقوقية أو فلسفة الفكر القانوني تجمع فيها آراء الأصوليين ، والمتكلمين والفلاسفة والفقهاء في فلسفة التشريع الإسلامي ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة : كتاب فلسفة التشريع الإسلامي لصبحي محصاني ، وبعض كتابات السنهوري .

كذلك من الممكن إلقاء أضواء على الفلسفة الاقتصادية الإسلامية .

على أنه من الأفضل أن تدج الدراسات الإسلامية في بعض الفروع مع الدراسات

القانونية في دراسة موحدة مقارنة ، فهذا أعون على التفاعل المنشود ، وعلى تكوين العقلية القانونية والادق الفقهية ، وبخاصة في فروع القانون التي يمكن أن تنسجم فيها المادة الفقهية الإسلامية مع المادة الفقهية المعاصرة مثل الأحكام المدنية باستثناء الأحوال الشخصية والقانون الدولي ، وكذلك فروع القانون التي لا تشغل الكتابات الإسلامية فيها حيزاً مذكوراً مثل قواعد المرافعات والإجراءات الجنائية والأحكام التجارية والفلسفة الاقتصادية .

* ونكون هناك دراسة نصية في أمهات كتب المذاهب ليألف الطلاب البحث الجاد

القانون الجنائي ، ويشمل أحكام الشريعة الإسلامية في الجريمة والجرم والعقوبة ، ومبحث المسؤولية الجنائية ، ولا تكون الدراسة مقصورة على الأحكام الجزئية في القصاص والحدود والتعازير ، كما يلزم أن نكون هناك دراسة موضوعية تاريخية لفقه الإجراءات الجنائية في الإسلام ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة : التشريع الجنائي الإسلامي - لعودة ، التعذيب للدكتور عبدالعزيز عامر ، الجريمة والعقوبة والمسؤولية الجنائية لأحمد فتحي بهنسي ... إلخ

(ب) القانون الخاص :

الحاجة ماسة لبذل محاولات لتأصيل نظرية الالتزام في الفقه الإسلامي ، مع الاستئناس بالدراسات المعاصرة ومن أهمها : السنهوري مصادر الحق في الفقه الإسلامي . الزرقا : المدخل الفقهي العام . شفيق شحاته : نظرية الالتزام في الشريعة الإسلامية . صبحي محصاني : نظرية الموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية .

ويحسن إبراز وإفراد بعض مباحث البيوع والشركات والرهن والكفالة لمحاولة تبين ملامح الفقه الإسلامي في الأحكام التجارية . كما يحسن إبراز وإفراد الدراسات المبعثرة عن القضاء والشهادة والدعوى والإقرار لمحاولة تبين ملامح فقهه الإسلامي في أحكام المرافعات .

أن تدرس كذلك في كلية الشريعة مع الاستثناس بالتوجهات الإسلامية العامة ، مثل : علم الاجتماع القانوني ، علم الإجرام أو علم العقاب ، مبادئ الطب الشرعي ، وذلك فضلا عن دراسة تشريعات العمل والتعاون والإدارة المحلية من التشريعات القائمة .

* * *

ينبغي أن يسود الدراسة في كلية الشريعة أساسا اتجاه عام يتمثل في التجميع والتركيب والتأصيل ، وتقديم النظريات العامة بقدر الإمكان بدلا من دراسة المسائل الفقهية اشتاتا وتفاريق ، فهذا وحده هو الذي يخلق لدى الطالب ذوقا قانونيا ، بدلا من إلتخام الذاكرة بالمعلومات الجزئية التي لا يمكن أن يتسع للإحاطة بها منهج ولا وقت ...

على أنه لا بد من تعويد الطلاب على البحث واستخدام المراجع وبخاصة المطولات والامهات ، وتكوين المزاج العلمي الذي درب على معالجة النصوص وتفهم اللغة الفقهية أسلوبا ومنهجيا

وستستفيع الدراسة الفقهية على هذا النحو من الدراسات القانونية المعاصرة ثم يأتي الوقت الذي تقتفع فيه المعرفة القانونية العالمية من جديد بثوار الفقه الإسلامي العصري المتطور ... ولكل أجل كتاب .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ؟

فهمي عثمان

المتعمق في المراجع الأصلية ، ومن ذلك : كتب الإمام الشافعي والخراج لأبي يوسف والسير الكبير لمحمد بن الحسن والمبسوط للسرخي ومدونة سحنون ... إلخ ...

* وينبغي أن توجه عناية خاصة لدراسة تاريخ الفقه الإسلامي دراسة حية تقوم على أساس متابعة تطور المجتمع الإسلامي والفكر الإسلامي ، ورصد الآثار المتبادلة بين الفقه والحياة في تاريخ المسلمين .

وبالنسبة للدراسات القانونية المعاصرة :
* يرجى الاهتمام بصفة خاصة بدراسة المدخل للعلوم القانونية ، ويجب ألا تقل محاضراته عن ست محاضرات أسبوعيا ، ليتعرف الطالب على الأسلوب العلمي المعاصر في الدراسات القانونية ، ويتفهم روحها وفلسفتها .

* كما يرجى الاهتمام بدراسة تاريخ القانون مع العناية بصفة خاصة بتجديد منزلة الشريعة الإسلامية في البناء القانوني العالمي . والتاريخ نور كشاف ، على ضوءة تتحدد الأصول والمعالم في إطار تركيبي يعين على الفهم الصحيح للعلم على هدى السنن الاجتماعية الإنسانية ، خاصة بالنسبة للعلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخ منها .

وهناك دراسات قانونية حديثة شرعت كليات الحقوق بجامعةاتنا في دراستها ، وتنبغي

النسخ في تقدير علماء الأصول

للأستاذ عباس طه

(معناه - جوازه ووقوعه - أنسامه - حكمته)

- ٢ -

وكذلك يستدل المانعون بقوله تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ، وذلك أنها تدل على أن الذي يأتي مكان آية آية لا حديث ، وقوله : « قل نزله روح القدس ، يدل على أنه منزل من عند الله ، وذلك هو القرآن . ويدفع المجربون هذين الدليلين بأن قوله : « وإذا بدلنا آية مكان آية ، لا ينفي أنه قد ينسخ حكم آية بحديث ، فإن عبارة (إذا صنعت كذا) لا تدل على أنه لا يصنع إلا ما ذكرت ، وقوله تعالى : « قل نزله روح القدس ، يتناول ما نزل قرآنا وما نزل سنة ، فإنه لا ينطق عن الهوى .

هذا طرف من أدلة المانعين والمجيزين ، فكتفي به في المجلة علما بأن استقصاء مثل هذا مما يكل أذهان جمهور القراء ، وإنما نلم من مثلها بما تتداوله مدارك الأوساط ، ومن شاء الاستقصاء فليبحث المقتصد ، ولكن

لا تتسع صفحات المجلة لبغيته بل محل ذلك كتب الأصول .

وعن منع نسخ الآية بالحديث الشافعي وأحمد ، وعن أجازه بشرط التواتر مالك وأصحاب أبي حنيفة وابن شريح وكثير من المشككين أشاعرة ومعتزلة ، على خلاف في الوقوع كما ذكرنا آنفا .

أما حكمة النسخ فالسلام فيها في موضعين : (الأول) حكمة النسخ على العموم ، (والثاني) حكمة نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ، أو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .

فالمقام الأول يكفي فيه ما سبقته الإشارة إليه من أن الدين نزل تدريجيا لتربية قوم تأصلت فيهم طادات ومألوفات ، حتى اعتقدوا فيها أنها المكارم ووسائل المجد ، ومرجع الفخار ودمقياس عزة النفس ، وقد اختار الله تعالى وجلت حكمته أن يبعث رسوله من هذا الشعب الذي بلغ الغاية العظمى في تقديس أسباب المجد والمفاخر والمآثر ، وغلبت على نفسه وجهة الفخار

نبيهم لينأملوا آثامها ومضارها ، ثم اقرأ قوله سبحانه : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، فزاد تنبيههم إلى أنها لا تناسب هذا المنام العظيم ، مقام وقوف العبد بين يدي ربه يناجيه بكلامه بكل خضوع ، ويستنزل رحمته بكل جهد ، فينبغي أن يكون حاضر كل للعقل ، حتى إذا تفتنوا إلى منافاتها لأعظم مقام تصل إليه نفوسهم ، وجرت حوادث زادت تنبيههم إلى ما فيها من ضرر ، تشوفوا من أنفسهم لتحريمها بتأجاف قوله تعالى : يا أيها آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون . . أفلا ترى كيف كانت الحكمة البالغة في تربية شعب اصطفاه الله من بين الشعوب باختيار رسول منه ، لما أودع فيه من صفات النبيل والمجد ، فيبقيها له بعد أن ينقيها عما علق بها من الأدرا ن ؟ وكذلك آيتا التبرص حولاً والتبرص أربعة أشهر وعشراً : كان الأول علاجاً لمادة تأصلت في نفوس أشرفهم ، واعتبرت وفاة من الزوجة لزوجها المتوفى عنها ، وهي أنها تحرم على نفسها الرجال من بعده ، فكان في هذا وفاة حقاً ، وليكنه

والتحدث بالحمد والفرار من المذام بدرجة ما عرفت في شعب غيره ، وبسكنى في ذلك تتبع ما كان يثرر بينهم من الحروب الطاحنة إلى درجة التغافى بين المتطاحنين ويبقى ذلك سنوات عديدة فما كانت أسباب ذلك لترجع إلى التزاحم على مال أو متاع أو اقتناء ثروة أو غيرها مما هو هدف الحروب في زمننا هذا ، بل بين المنتحضرين كافة في كل وقت ، وإنما كان مرجع حروبهم في الكثير الغالب هو الحية في الشرف والنعرة في التفakhir والاعتداد بالفضيلة والتبريز في المجد والنبيل ، فشعب هذا شأنه وقد اختاره الله تعالى للقيام بنصرة نبيه ونشر دينه ليس من الحكمة أن يساس قصرأ ، وأن تنزع منه مألوفاته قهراً ، بل الحكمة كل الحكمة أن أن ينقل تدريجياً من حالة إلى حالة تليها حتى إذا ركن للثانية انتقل إلى درجة تليها ولم جراً .

ينجل هذا في تحريم الخمر التي كان يتغنى بها شعراؤهم ، وبتباهيها فتيانهم ويتحدث بها شجعانهم ، يرونها أماراة الرجولة وعنوان الشهامة ورمزة الفتوة ، لحامت الأحكام والآيات تستلها من نفوسهم رويدأ رويدأ ، حتى استقر أمرها على المنع البات وقرأ إن شئت قوله تعالى : د يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ، فقد

الذى أعدنا له جل شأنه بتغيير الحكم الذى كان يناسب علة متأصلة فى الأمة إلى حكم مناسب للدوام والاستقرار فنزداد شكراً ويقوى امثالنا للحكم واقنعنا بالرحمة المودعة فيه ، فقد يكون انتقالنا إلى أخف فنشكر نعمة للتخفيف ، وقد يكون انتقالنا إلى حكم أشد من الأول فنشكر نعمة التهذيب لنفوسنا ، والتعريض للزيادة فى مشوبتنا ، ونتبع الأحكام التى ورد عليها النسخ نقراً للعجب العجيب .

وأما القسم الثانى : وهو نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فيظهر فى كل آية بما يناسبها ، وإذا كان السؤال فى آية الرجم فلنخصها بالذكر ، ولنبد فيها ما يظهر لنا مما نفصح له الصدور .

لقد وردت الآية فى عقوبة هذه الفعلية للفاحشة جدد الفحش فى نفسها ، التى تزداد خشاً إذا وقعت ممن لم يكن ليظن به أن يتردى فى هاويتها ، ويتلوث برجسها ، ويفتضح بشناعتها ، وهى مع كونها إجراماً خبيثاً فيها معنى الفحش والعار والقيح حتى قبح تكرار سيرتها ، فهى مما يستحى من تكراره ، وهى من الشناعة بحيث ينبغى أن تسلك فى مسلك ما يستحيل ولا يكاد يقع ، وبما ينبغى أن تذهه الاسماع عن تكرار سماعه والالسنه عن تكرار التلفظ به .

زاد حتى خرج عن اعتباره فضيلة ، فالظلم لا يدوم وإن دام دمر ، ولكن العدل إن دام عمر ، فلم يكن من الحكمة أن تقطع صفة الوفاء الأبدى المندسة فى نظرهم إلى الحكم الذى أراد جل شأنه أن يستقر الأمر عليه ، وهو تربص أربعة أشهر وعشراً طفرة واحدة ، بل الحكمة كل الحكمة أن تكون لفظة على درجتين : (الأولى) إلى حالة كان يراها بعضهم والعقول تسيء بها بعد الأولى بسهولة ، وهى تربص الحول - ومن يبك حولا كاملاً فقد اعتذر . (والثانية) بعد هذه وهى ما استقر عليه الحكم ، وهو كاف للوفاء عند الإنصاف .

وهكذا إذا تتبعنا الأحكام التى نسخت وأحسننا التأمل ، فإنك ظافر بحكمة تزيدك إيماناً وشكراً وينطق لسانك بقوله جل شأنه : والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

الموضع الثانى : حكمة بقاء التلاوة مع نسخ الحكم . أو نسخ التلاوة مع بقاء الحكم . وقد ذكرنا فيما سبق أن معنى نسخ التلاوة هو نسخ حكمها ، أى لم تبق الآية صفة القرآنية - من التعبد بتلاوتها ، وصحة الصلاة بها ، ونحو ذلك . فأما القسم الأول وهو بقاء التلاوة مع نسخ الحكم ، فتتجل لنا حكمته البالغة فى تربيتنا ، وتشهد التدرج فى السكال

أنك تستبيح لنفسك التحدث إلى بنيك
وبنائك بأخبار سرقات أو قتل أو نهب ،
وتتجاشى أن يصل إلى سمعهم أو سمعهم
أخبار منك الأعراض أو تعرض الرجال
للنساء وتعرض النساء للرجال وعلى ذلك
يكون أصل الفريضة لخطرها تثبت بقرآن
يتلى ، كما أشار إليه عمر رضى الله عنه في
خطبته السابقة ، وتزيه الأسماع والألسنة
عن تكرار ذكره ، وإدراجه في سلك
مالا يكاد يحصل حتى يتعرض له — مدعاة
لنسخ آيته ، وبذلك تتجلى الحكمة البالغة
في التشريع بآية قرآنية ثم نسخها مع بقاء حكمها .
وأما حكمة نسخ التلاوة والحكم جميعا فإنها
تعلم بالقياس إلى ما ذكرناه وبالله التوفيق ؟

عباس طه

هذا كله في فرض أن يقع عن ذاق هذا
الامر وعرف قيمته ، وأما أصل وقوعه
من لم يعرفه ولا سبق له غشيانه في حلال ،
فهو مما لا يكاد يقتلع كلية من الناس ، فالزنى
إذا فرض لحقه ألا يفرض إلا من فتيان
لم يتخلصوا من جمالة الشباب ، ولم يتزوجوا
طعم الزوج ، فقد يعذرون فيه فلا يستحقون
ذلك الإعدام المزمى ، وهو القتل كما تقتل
الحشرات الخبيثة ، ولكن يؤدبون ، فليكن
تأديبهم أمرا مائلا أمامهم تتلى عليهم آيته
كل حين ، أما من بلغ درجة الكمال فلا يسع
العقل أن يصدر منه هذا حتى يتعرض لحكمه ،
فمن الحكمة بعد أن علم أمره أن نفسه
تلاوته ويبقى حكمه معلوما في الشرع ودل
على البقاء ضمنه صلى الله عليه وسلم مرارا
وصنع صحابته من بعده .

وبما يشرح الفرق بين الإجماع والفحش

ملاحظة

اقرأ في باب أنباء وآراء تعليقا على خطأ وقع
في مقال الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب .

مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

أَقْوَالٌ وَأَقَاوِيلٌ.....

للأستاذ عباس محمود العقاد

موضوع الإسلام عن موضوع التاريخ
الإنساني ، ولا سيما التاريخ المتصل بتطور
العقائد والنظم الاجتماعية .

وبين يدي الآن خمسة كتب وصلت في بريد
واحد ، أربعة منها تتناول الكلام على
الإسلام والمسلمين في بعض النواحي العامة
أو الشخصية ، والخامس منها قد خلا من
الكلام عن الأديان عامة ، فلا ذكر فيه
للإسلام ، ولا للسيحية ، ولا لليهودية ،
أو البوذية ؛ لأنه بحث مقصور على العلاقة
بين الكيمياء والحياة الحيوانية .

• • •

وأقرب هذه الكتب إلى موضوعات
الدين كتاب ألفه الأستاذ ف . ك . هابولد
Happold عن المذاهب الباطنية ، أو المذاهب
التي نطلق عليها اسم الصوفية ، لما في التصوف
أحيانا من أسرار روحية يعلمها بعض أهلها
ويشيع بين طلابها ومريديها أنها تخفى على
غير الواصلين .

لعالم البشر في البلاد الأوربية عادات متفق
عليها ، تكرر في كل فترة من فترات الثقافة
العامة على نمط يناسبها .

ولاحدى هذه العادات التي لاحظناها غير
مرة في هذا الباب أن مواسمهم ، الطباعية ،
لا تمر في سنة من السنين دون أن تظهر
في الموسم بعد الموسم منها كتب عدة عن
الإسلام والبلاد الإسلامية .

وقد تلحق بهذه العادة عادة أخرى تلاحظ
في الكتب التي لم يخصصها المؤلفون
بالموضوعات الإسلامية ولم يقصروها عليها ،
فقد يصدر الكتاب عن موضوع من موضوعات
العقائد العامة ، أو موضوع من موضوعات
التواريخ والرحلات ، أو موضوع شائع
يتعلق بالحياة البشرية في أدوارها المختلفة ،
فلا ينسى مؤلفه أن يتناول شيئا من الدراسات
الإسلامية من جانبها الفكري أو جانبها
التاريخي أو جانبها السياسي ، أو جوانب
الأخلاق والمصالح الاجتماعية ، فلا ينفصل

الحق في الذات الإلهية ، فليس هناك وحدة أو حلول أو امتزاج بين ذات الخالق وذات المخلوق ، وإنما هناك الحب الذي يبطل « الأنانية » ، كما تبطل الأثرة في نفس العاشق حبا للعشوق ، ولكن مع الفارق الشاسع بين العشق الإلهي وبين عشق الإنسان للإنسان .

والكتاب الثاني عن الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق بقلم الأستاذ تيموثي وير Ware الذي تخصص للبحث في تاريخ الأديرة والرهبنات الشرقية مع تاريخ الشعائر والنحل التي يدين بها الرهبان المنتمون إليها ، وقد أشار في عرض الكلام على تاريخ بينظية إلى أحوال الكنائس والقساسة رسائر أتباعها وأتباعهم في ظل السلاطين العثمانيين ، فشهد للدولة الإسلامية بالساحة في معاملة الرعايا المسيحيين وقال إن السلاطين لم يقصروا عن براطرة الروم في رعاية البطارقة الكبار ورؤساء الدين على العموم ... إلا أنه عاد فقال إن السلطان كان ينظر إلى رعاياه من المسيحيين كأهم طبقة ثانية بعد الطبقة الأولى من رعيته المسلمين ، وقد يكون الخطأ في كلام المؤلف هذا راجعا إلى إهمال المقارنة بين السلاطين والبراطرة في معاملة المذاهب المختلفة ، وإلى نسيان المقارنة بين الأجناس في واجب الإخلاص للدولة التي يتبعونها .

تكلم هابولد عن كل طريق من طرق الصوفية المشهورة في عقائد الهنود والفرس والمسيحيين الأقدمين والمحدثين والإسرائيليين في نشأتهم بفلسطين على الخصوص ، وأفرد للصوفية الإسلامية فصلا كبيرا معززا بالشواهد من الشعر والنثر في كتب الأنطاب البارزين من شيوخ الطرق بين الشعوب الإسلامية ، فذكر جلال الدين الرومي والجامي وابن الفارض والطار والحلاج والبسطامي وغيرهم ممن لم يشتهروا في الشرق والغرب مثل شهرتهم ، وذكر حجة الإسلام الغزالي ليسند إليه ميزان الاعتدال بين المذاهب الصوفية التي يرضاها أهل السنة وبين المذاهب التي جاوزت حد الاعتدال وبلغت من الشطط في القول بالحلول ووحدة الوجود حدا لا يرضاه الجلة من أئمة الإسلام .

وأ نصف المؤلف إذ قال : إن الإسلام أشد الديانات الكبرى حرصا على تنزيه الذات الإلهية من عوارض البشرية والتجسيم ، سواء ظهرت في القول بامتزاج الإنسان بالإله ، أو امتزاج الإله بالإنسان ، أو ظهرت فيما يسمونه بالتجلى ويعنون به رؤية الحق ، في صورة إنسان أو مخلوق من المخلوقات .

وقسطاس الاعتدال كما شرحه الإمام الغزالي في مشكاة الأنوار ، أن العابد يفنى في حب الله وينسى أنه قار لأنه ينسى ذاته ولا يذكر وجوده الباطل إلى جانب الوجود السرمدي

وفي الكتاب بيان مفصل لكثير من الحوادث والمشاهد ، وكثير من القضايا الاجتماعية والأزمات السياسية والعسكرية ، ولكن عناية المؤلف بنظرة نابليون إلى هذه الأمور وخطته في تدبيرها وتصريفها مع دولته ومع المصريين والعثمانيين كانت أهم وأعظم من عنايته ببيان الحوادث لذاتها أو بيان آثارها وت نتائجها ، وربما كانت عنايته بموقف نابليون من علماء الدين وموقف علماء الدين من البعثة العلمية التي أحضرها معه للدرس والاستطلاع هي الفصل الذي يقال عنه إنه بيت القصيد بين سائر الفصول ، وأنه أجمع الفصول لأسباب التعريف بعقوبة نابليون الذي يحسبه بعض المؤرخين بين عظماء القادة العسكريين وتظهره موافقه من قادة المجتمع المصري الروحيين في مظهره الغالب عليه : وهو مظهر الزعيم الاجتماعي المحنك والفائد السياسي ، أو الدبلوماسي في أكثر الأحيان .

وكان نابليون يرى بعد اختباره لكبار علماء الأزهر أنهم أهل للتوقير والاحترام بحق العلم والمعرفة وحق الورع والتقوى وحق الخلق الكريم والحكمة الراجحة ، وليس بالقليل منهم من كان أهلاً للتوقير والاحترام بحق الثراء وحق النسب العريق ، وكان في مسلكه نحوهم وتودده إليهم يؤمن

ولو أنه قارن بين السلطان والامبراطور - أي سلطان وأي امبراطور - لعلم يقينا أن الامبراطور كان يأبى على المسيحي الذي يخالف مذهبه أن يعيش في ظله آمناً على حياته مساوياً لأخيه المسيحي في حقوقه وحرية اعتقاده ، ولم تكن عنده طبقة أولى وطبقة ثانية من رعاياه ، وإنما كانت الرعية طبقة واحدة يحق لها الوجود وطبقات أخرى لا توجد في ظله إلا على خوف وحذر وحرمان من حرية العبادة بغير مصادرة واضطهاد .

وقد يعلم المؤلف من مقارناته لأسباب التفرقة بين رعايا السلطان أنهم يفترون اضطراباً بحكم الفوارق الجنسية والعنصرية ، وأنهم يعاملون بحسب إخلاصهم للدولة التي تعاملم ، تفرقة في درجات الولاء لا تفرقة في الحرية الدينية التي تكفلها الدولة لأهل الذمة من رعاياها

* * *

والكتاب الثالث عن بوناپرت في مصر للكاتب الإنجليزي كرشيفور هيرولد الذي يكتب عن التاريخ الفرنسي والشخصيات التاريخية بأسلوب التبليغات الصحفية ، ويجيد الوصف في هذا الأسلوب غير مستخف بأمانة التحري التي يغفل عنها كثير من طلاب التويل والاستثارة بين المؤرخين الصحفيين أو الروائيين المؤرخين .

وهو يعتقد أن الجامع الأزهر أثر من آثار صلاح الدين ويأخذ الزهو بهذه العلاقات الأزهرية التي جمعت بينه وبين البطل الإسلامي الكبير في مقام واحد .

• • •

وختم ما نقله من الكتب الأربعة فصل عن الساعات الأخيرة في حياة الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله ، وهو فصل من فصول الكتاب الذي ألفته السيدة ماري رولات بنت السير رولات محافظ البنك الأهلي على عهد الاحتلال ، وقد اختارت لكتابها اسم بناء مصر الحديثة وقصدت بهم بناء النهضة منذ عصر الثورة العربية ، وأولم في تقديرها الأستاذ الإمام رائد الدعوة الثقافية - الروحية - قبل الجيل المعاصر .

ومعظم معلوماتها عن نشأة الأستاذ الإمام مستمدة من تراجمه العربية ولكنها اعتمدت على مصادرها فيما روت عن أخباره الأخيرة وكتبت ما أوردته منها بأسلوب ينم على التعظيم والإكبار .

قالت : « لأنه كان بحسب آلام المرض قبيل وفاته ولكنه كان لا يزال مشبع النفس بكثير من مشروعات الإصلاح ونيات السعي والعمل : صحيفة كبرى ، وجامعة جديدة ، وسياحة إلى فارس والهند وروسيا لتفقد أحوال المسلمين فيها وتدعوه ضرورة الصحة

لأنهم دون غيرهم مناط القدوة الاجتماعية ومرجع الطاعة والاعتبار للهيئة الحاكمة ، وقد حاول أن يستخلص منهم الفتوى الدينية بوجوب طاعته ولكنه قنع منهم آخر الأمر بالمعاونة على المشورة واجتنب ما يدعو إلى الثورة والتمرد من جانب المصريين .

ويقول مؤلف الكتاب إن علماء الأزهر قد احتفظوا بوقارهم ورسالتهم العقلية أمام عجائب العلم الحديث التي خيل إلى علماء البعثة أنها تقع عندهم موقع السحر من أبناء الشعوب البدائية ، ولكنهم قد نظروا إليها - فعلا - نظرتهم إلى حيل السحرة وأصحاب الشعوذات وإن كانوا قد فهموا أنها تستند إلى علم جدير بالتحقيق من قبيل ما عرفوه أو سمعوا به من حكمة الأولين .

قال المؤلف إنه لم تمض حقبة قصيرة على عهد نابليون حتى كان الإفريقيون والآسيويون قد علوا ما وراء تلك الحيل من أسرار الكهرباء والكيمياء ، وتبين أن السذاجة كانت من نصيب علماء الحملة لأنهم قدروا الدهشة في غير موقعها من عقول أولئك الحكماء .

ومما يؤخذ من طرائف هذا الكتاب مأخذ التأمل والاعتبار أن نابليون على رغبته في العلم بأحوال مصر وأحوال الجامع الأزهر على الخصوص ، قضى أيامه بمصر

واجتنبت مظاهر التقليد في الصلاة عليه وفاء للراحل الذي قضى حياته في كفاح التقاليد والعزوف عن باطل الشناء ، ولكن المشيعين له من المسلمين وغير المسلمين كانت تغمرهم غاشية الحزن العميق ، وشوهد بين الجمع رجل يغلبه النحيب فأقبل عليه صديق يعزيه ويشاطره المصاب ، ففطر إليه وهو يقول : إنه لا يبكي شجوه وحده ولكنه يبكي لأولئك المحرومين الذين كان من عمله أن يطوف عليهم بالصدقات في كل شهر من مرتب الشيخ ... وقد كان عظيماً فقيراً في الحياة وقضى نحبه وهو فقير عظيم .

ولم يسلم كتاب السيدة رولات من الأخطاء والسهوات ، ولكنها أخطاء وسهوات كأمثالها بما ورد في كتب هذه المجموعة ، قد تحمل على نقص العلم بالواقع أو اختلاف النظر إليه ، قبل أن تحمل على سوء النية ؟

عباس محمود العقاد

أولاً - أن يبدأ بالسفر إلى أوربة للعلاج وإن لم يشعر يومئذ بمبلغها من الخطر ... وقد كان يزور صديقه له برمل الإسكندرية لقضاء أسبوع عنده قبل الإبحار إلى أوربة ولكنه لم يلبث أن شعر باشتداد وطأة المرض وتبريح الألم والاضطراب ، وأقعده الوهن عن الحركة ثم تعذر عليه النطق فلم يسمع منه غير ذكر اسم الله يستمد منه العزم والعزاء وطفق يردد في صوت يشبه الهمس الخافت : الله أكبر .. الله أكبر .. وأدركته زوجته بما وسعها من العطف والرعاية وهي تصنئ إليه فلا تستبين ما يقول إلا أن تفهم من حركة الشفتين أنه يوالى التسليم بكلمتي التكبير ، الله أكبر .. الله أكبر .. ولم يكذب يستطيع قبل أن تفيض روحه إلى بارئها غير التكبير والابقسام وهو ينظر إليها ... وقد وقف القطار الذي يحمل جثمانه من الإسكندرية إلى القاهرة في غير مواضع الوقوف قضاء لواجب الحزن والتشييع ممن كانوا ينتظرونه في الطريق ...

استدراك

أشرنا في العدد السابق إلى تحريف في الآية الكريمة الواردة في صفحة ٩٧١ العمود الثاني ونعيد نشر الآية الكريمة السابقة لها لسهو فيها لم نشر إليه وهي : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وزروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين » .

خطأ الأحمدية في تفسير قوله تعالى "وخاتم النبيين"

يرسله الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، آخر الرسل المبلغين عن الله ، فكل دعوى من هذا القبيل باطلة ، وهذا أمر مسلم به ، يمثل جانباً مهماً من الإيمان برسالة الإسلام ، من ينحرف عنه فهو خارج على الدين ولو أصر على التثبيت بلقب مسلم ، أو رفع عاليات شعارات الإسلام . ويبدو أن بعض الممتنعين للإسلام بالاسم لا يؤمنون في قرارة أنفسهم بهذا ، ويودون ببالغ الجهد لو تحول المسلمون كلهم فشاركوهم في اعتقادهم الفاسد .

وهم من أجل هذا لا يهتمهم في سبيل خدمة أغراضهم المنحرفة أن يهدم الإسلام من أساسه . ولقد قام عضو في إحدى الجماعات المنحرفة (الأحمدية) في سبتمبر الماضي بنشر المقال التالي :

أرسل إلينا الدكتور تمام حسان المستشار الثقافي للجمهورية العربية المتحدة بنيجيريا بمقال كتبه بالانجليزية رداعلى بعض الأحمدية في تفسير قوله تعالى وما كان محمد أباً أحد من رجالكم^(١) ، وتعميماً للنفع رأينا ترجمته وقد أورد سيادته نص مقال الأحمدى ، ثم عقب عليه مفسداً ما حواه من أخطاء وصدر الموضوع بهذه الكلمة كقدمة له :

آخر في الإسلام :

العقيدة الإسلامية تهم كل فرد مسلم ، ومن أقوى الدعامات التي تقوم عليها هذه العقيدة : أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وأنه بلغ الرسالة تامة من غير نقصان . فالإسلام إذاً دين كامل يشهد بذلك القرآن الكريم ، وليس هناك حاجة إلى نبي آخر

قول الأحمدية في "خاتم النبيين"

النبيين في الآية ، ولكن الدراسة الدقيقة للسياق المفهوم منها ، يزيل ما اعترى الأفهام من غموض هو نتيجة لأخطاء سائدة .

ففي مكة حيث مات أولاد النبي الذكور كلهم في طفولتهم ، هيره أعدوه بأنه أوتر (والأوتر الذي لا يعقب ابناً ذكراً) ومقصدهم

د ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً^(٢) .

لقد ساد الاضطراب في فهم الوضع الحقيقي والمعنوي للنبي الكريم على ضوء وصمه بخاتم

(١) نقرأنا الأصل الانجليزى بأحر هذا العدد من المجلة

(٢) الأحزاب الآية ٤٠ .

أولها : أن النبي الكريم كان خاتم النبيين بمعنى أنه لا نبي بعده ولا قبله بالمعنى السليم إلا إذا كانت نبوته تحمل خاتم النبي : بمعنى أن كل نبي سابق يجب أن يزيه الرسـول ويشهد له - كما لا يمكن لإنسان أن يبلغ مرتبة النبوة بعده إلا إذا كان من أتباعه . فالنبوات المدعاة لا تتأكد إلا إذا كانت متفقة مع الوحي - المبالغ عن الله بواسطة النبي - ومطابقة لتعاليمه .

ثانيها : أن النبي أفضل وأشرف وأكمل الأنبياء ومصدر الحلية والسكال لهم جميعاً .
ثالثها : أن النبي الكريم آخر الأنبياء المرسلين بشرائع .

والتفسير الأخير قبله كثير من العلماء الأجلاء كابن عربي ، وشاه ولي الله ، والإمام ملا علي قاري ، والمجدد الفازاني وغيرهم . وطبقا لما فهمه هؤلاء الأئمة المحققون : يستحيل أن يأتي نبي بعد محمد بشريعة تفسخ شريعته إلا أن يكون الآتي من أمته .

والسيدة عائشة ذات الدراية والموهبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أزال الغموض الذي اكتنف المراد من قوله تعالى : «خاتم النبيين» حين قالت : (قولوا خاتم النبيين ، ولا تقولوا لا نبي بعده) .

فالمفهوم من هذا أن التعبيرين عند السيدة

من ذلك أن الدعوة سوف يقضى عليها إذا عدم النبي وريثا ذكرا يخلفه عليها . فجاءت سورة الكوثر لترد على هؤلاء وتنفي مثلبيتهم عن النبي وتلصقها بهم .

وكان من الطبيعي بعد نزول سورة الكوثر أن تهدأ نفوس المسلمين ، ويطمئنوا إلى أن الله سيبارك ذرية نبيهم الذكور ، فيعيشون إلى أن يشبوا عن الطوق ويسيروا رجالا .

فلأجل أن تنفي الآية التي نحن بصدددها هذا الفهم أكدت أن النبي لم يكن ولن يكون أباً لرجل ما . وتتعارض هذه الآية في الظاهر مع ما قررته سورة الكوثر : من أن أعداءه هم البتر وليس هو - وللتوفيق الحق بين الآية والسورة يقول : إن رسول الله أب روحى للأمة الإسلامية ، ووصفه بخاتم النبيين يشير إلى أنه أب روحى أيضا للأنبياء جميعهم ، سابقهم ولأحقيهم - فإذا ثبت أنه أب روحى للمؤمنين وللأنبياء فكيف يقال عنه : إنه أتر ؟

وعلى العكس من ذلك إذا قلنا : إن خاتم النبيين تعنى أنه آخرهم بمعنى أنه لا نبي بعده فالآية حينئذ تبدو وكأنها نشوز لا تساقق بينها وبين السورة ، وحينئذ لا تدحض افتراء المعاندين بل تدعم اتهامهم وتقويه .

وتمشيا مع معنى خاتم النبيين نستطيع أن نفرض أربعة معان ترد على الفهم :

عائشة مختلفا المعنى ، والدلالة والتناقض بينهما قائم .

تفسير هذا القول :

هذه هي المقالة التي تعسف كاتبها وركب الصعب ليشوه بها الحقائق ويؤيد قصده الباطل بتفسيره للآية تفسيراً ملتويا يتصادم مع الشواهد التاريخية ، إذ ليس هناك ارتباط ما بين الآية التي صدر بها المقال وبين سورة الكوثر .

فتاريخ التشريع الإسلامي يقرر أنه عند ما عدد القرآن الكريم المحرمات من ذوات القرابة في سورة النساء آية : حرمت عليكم أمهاتكم ... الخ ،

كان بين المحرمات زوجة الابن - ومع وضوح المراد من الابن في الآية وهو الصلي ، إلا أن بعض المسلمين تخرجوا من الزواج بزوجة الأبناء بالتبني بعدهم - وكان زيد بن ثابت دعيا للرسول وكان في الأصل رقيقا وسماء الرسول بعد ضمه إليه زيد ابن محمد - وزيد هذا كان متزوجا بزوجة قرشية تدعى زينب بنت جحش وكانت قد تولى عليه لشرفها وسابق عبوديته ؛ حتى نفر منها وأعلن للنبي مراراً رغبته في طلاقها ، فكان النبي ينصحه بإمسакها ، فاختار الله زينب هذه لتكون مثلاً فارقاً بين الابن الصلي والدهي - وأمر نبيه بأن يتخذ زينب زوجة له بعد طلاقها من زيد . وشغل

رابعها : أن النبي الكريم آخر الأنبياء بمعنى أن صفاته وسجاياه كاملة ، وفي الدرود من العلو .

وخاتم النبيين مقصود به هذا المعنى إذ عبر عن نهاية الكمال بما لا يقوم به لفظ سواء . وفضلاً عن هذا فقد جاء في القرآن ما يؤيد بوضوح ظهور أنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ويبين هذا من الآيتين الآيتين بما يبدد الغموض ، ولا يدع مجالاً للشك :

« ومن يطع الله والرسول فأرسلناك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (١) .

« يا بني آدم إني أنا نبيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) .

والنبي الكريم كان واضحا لديه تتابع النبيين من بعده فقد روى أنه قال : (لو عاش إبراهيم ولده ، لكان نبيا) . رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز .

وروى عنه قوله : (أبو بكر خير الرجال ما لم يظهر نبي) كثر العمال (٣) .

(١) الآية ٦٩ - النساء .

(٢) الآية ٣٥ - الأعراف .

(٣) تعليق على القرآن المجيد ج ٢ من المجلد الثاني

وهذه الآيات منسجمة مع القصة السابقة وواضح أنه لا ارتباط بينها وبين سورة الكوثر اللهم إلا في أن كلا منها من القرآن الكريم وإن كانت كل منهما تشير إلى حادثة معينة في حياة محمد صلى الله عليه وسلم .

والجمع عليه أن القرآن الكريم يميل في أسلوبه للجواز والإيجاز .

وإذا تدبرنا معاني الآيات السابقة تحقق لنا حبك نسجها إذ الناقد البصير لا يلبس خللاً أو تقط ضعف في سلاسة أسلوبها القرآني .

والقرآن حقاً معجزة بلاغية نزلت على أفصح جيل من أجيال العرب ، الذين أوتوا الفصاحة والبلاغة دون سائر الأمم .

والآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة الأحزاب تتحدثان عن سنة الله في الذين خلوا من قبل ، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ... ويؤخذ من هذا أمران :

الأول : أن ليس هناك حرج على النبي .
والآخر : أنه سنة الله في الأنبياء من قبل .
ومن هنا يتبين سوء الاستدلال وخبط الاستشهاد بالآية لتدعيم القضية المغتررة ، كما يتبين بجلاء أن الآية تتفق تمام الاتساق مع ما قبلها ، ومن الممكن توضيح ما تعنيه في ضوء ما يلي :

١ - مضت سنة الله في أنبيائه الذين خلوا أنه لا حرج في تنفيذ أحكام الله .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الوقت برد الفعل الذي سينتاب عقول الناس نتيجة لرواجه من زينب فأبطأ في التنفيذ فأنزل الله عليه الآيات التي منها الآية التي فسرها الأحمدية .

والآيات المتصلة بهذه الحادثة تتابع نزولها على النحو الآتي :

د وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضلّ ضلالاً مبيناً . وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكم لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، وكان أمر الله مفعولاً . ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، وكفى بالله حسيباً . ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وغاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً^(١) .

(١) الآيات ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ من سورة الأحزاب .

يعترفون بصحته ولكنهم يزيفون المراد باستنتاجات مخترعة .

وبدلاً من اعتمادهم على هذا الحديث الصحيح وسيرهم على مقتضاه نجهدهم يختلفون حديثاً وينسبونه للسيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويأتون بهذا الحديث المخلوق هكذا ، « قولوا حقاً إنه خاتم النبيين ، ولكن لا تقولوا إلا نبي بعده » .

وليس من رأى أن أبطل هذا الحديث ابتداءً ولكنني أطالب من ساقه بذكر سنده ورواته من رجال الحديث والمصدر الذي أخذوه عنه ، وأسمح لنفسى أن أثير النقطة الآتية

١ - من الشائع في أسلوب القرآن الكريم استعمال تعبير مكان آخر ما دام كل منهما يؤدي المعنى المراد . ويلاحظ هذا بكثرة في القرآن الكريم كقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم » . (١)

فاختيار أحد المترادفين كان لمراعاة المشابهة بين الآخر وبين لفظ مثله في اللغة العبرية يعنى الهزء والسخرية .

وفي اللغة العربية كلتا الكلمتين تؤدي معنى اتجه إلينا . وعلى هذا النمط يمكن القول بأن السيدة عائشة اختارت أسلوب

(١) الآية ٤ : ١ سورة البقرة .

٢ - لا حرج مطلقاً في قضية زواج محمد صلى الله عليه وسلم من زينب .

٣ - محمد ليس أباً لزيد بن ثابت ولا لآلئ رجل ما ، بل هو رسول الله وخاتم النبيين الذين سبقوه .

ولا جدال في المعنى الحرفي لكلمة « خاتم » ولا يمكن تفسير الخاتم بمعناه المعروف لأن محمداً إنسان والقرآن الكريم في أسلوبه - كما سبق بيانه - يميل إلى المجاز وإذا كان السياق ينفي عن وجود مجاز في الآية فلنبحث هذا المجاز : كلمة « خاتم » تعنى آخر شيء يلزم وضعه على الوثيقة ، ولا يسمح بإضافة شيء بعده ، هذا هو المعنى - ولا يمكن فهم غيره من الآية . وأي تفسير آخر يعتبر فرضاً لرأى بشرى على أمر سماوى .

وهذا المعنى - أى أن محمداً آخر الأنبياء تؤيده الشواهد الآتية :

١ - أنه يقسق تماماً مع آية « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » . فالدين الكامل لا يحتاج لنبي آخر .

٢ - المروى أن النبي عليه الصلاة والسلام نفي مجيء أى نبي بعده بقوله : (لا نبي بعدى) وليس هناك - من يشك في صحة هذا الحديث حتى الذين يقولون بنبي آخر ، فهم

الموهود الذى سيؤدى دور المسيح ، وآخر
عن المهدي المنتظر .

وأخيراً ينبغي أن نتذكر أن الآية المستشهد
بها في انقالة من سورة الأحزاب - ومن
العجيب أن من استدلوا بها على معتقدم
الباطل غفلوا عن آيتين في نفس السورة هما :
« إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ^(١) » ،
« يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله
وجيهاً ^(٢) » .

ترجمة : ابراهيم محمد الاصميلي

(١) الآية ٥٧ - سورة الأحزاب

(٢) الآية ٦٩ - سورة الأحزاب

القرآن في التعبير فقالت : خاتم النبيين مخاطبة
من لا دراية له بالقرآن وأسلوبه وشاءت
الإيضاح له فقالت : أى أنه لا نبي بعدى .

٢ - ولبعض المتطرفين من الفرق
الإسلامية عادة هدام -ة وهى تأييد وجهة
نظرم باختلاق محض للأحاديث - والشواهد
على هذا كثيرة ذكرها علماء التاريخ الإسلامى
وأقرب مثل على هذا ما ذكر من أن الفرع
السفياني من البيت الأموى عندما غلبه الفرع
المرواني على الخلافة ووجد الفرع الأول أنه

قد أصبح مجرداً من القوة المادية التى تمكنه
من استرجاع السلطة المفقودة ، بحث عن
القوة الدينية بوضع حديث يتنبأ بالسفياني

تذنيبه . . . !

في مقال الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب « نظرية الإيحاء » بين المستشرقين والمسلمين ،
ورد ما يفهم منه أن معجزة موسى سحر ، وفرق كبير واضح بين المعجزة والسحر فالأخير
الآتى به مذبذب بقول الله تعالى : « ولا يفلح الساحر حيث أتى » ، ولا يتفق هذا مع مقام
الرسالة ، فوجب التنبيه خشية اللبس ، ونزجى الشكر للسيد الدكتور على ما بذله فى بحثه
القيم من جهود صادقة .

المجلة

مَحْنَا فَرْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

طَاقَةُ مِنْ شَعْرِ الْأَسْرَةِ

لِلأَسْتَاذِ الْعَوْضِيِّ الْوَكِيلِ

١ - وَلَدِي

ما لعينيك ترنوا - إذا أذ -
 ما لعينيك تبعثان بقاي -
 ما لعينيك ، يا بني ، وخديب -
 كلما شمتك اطمأن بي العيد -
 هات كفيك يا بني بكفي -
 كنت لي يا بني بالأمس حلماً -
 كنت من قبل يا بني أغنى *
 وأحي أطيافه ومراثي *
 وأغنى به ، وأهفو إليه *
 ثم أقبلت يا بني وفي عية *
 نفحتني بألف ألف ربيع *
 قتغنيت يا بني بعينيه *
 شدت شعرا ، أو إن سمعت غناء -
 خطرات بعيدة ، وضياء -
 لك أضاءات أمامي الظللاء -
 ش ، وغادرت شقوني أشلاء -
 رقتا كالنسيم طاف مساء -
 ثم أصبحت منية تترأى -
 بالربيع الجميل إن هو جاء *
 وأغدو بسحره شداء *
 وأراه لي في الحياة عزاء *
 يك كون من الجمال أفاء *
 عدد لا أحده إحصاء *
 لك ، وآليت ، لا تركت الغناء !

٢ - عَلَى الشَّاطِئِ

أبني ما نسف المصيف تلذه -
 تمشى على رمل الخليج فتزدهى -
 واند تظل على الرمال مشيداً -
 تلهو وقلبي في يمينك خافق -
 ولقد أراك على فمالك دائماً -
 بألذ من أنفاسك العطرات -
 رملاته من هذه الخطوات -
 منها صروحا شيوخ الشرفات -
 يشدو هواك بهذه الخفقات -
 تبنى وتهدم ناقد العزمات -

ترنو إلى البحر الوسيم تخاله
ولقد يقوم الموج حولك ثائراً
وأنا وأملك نحتويك بنظرة
واقداً أشاركك الغداة ملاعباً
أبني قنـدم ما بنيت فأثـنوه
وغداً ستبني لي شواخـ ذكـرة
تبني لقومك في العلاء آمالهم
نو إليك مققه الموجات
يرغى وإنك عنه في غفلات
ملأى بمشوب من الخطرات
فيطيب صبحي كله وغداتي
فرحاً بفعلك في جموع لداتي
تحلو لشدائني أو لرواة
وتظل تقدمهم إلى الغمرات

٣ - أنموذج حياة

دلقت إلى الكهولة غير وان
وقلبي لا يزال فقي طروباً
تدله بالثالث والمثاني
ولي بيت كآيات المعاني
تعاطيني الوفاء به حسان
أغني في خمائله هزراً
أغنيه وحولي من بنيته
« دسوقي » به يصغي ويشدو
نعيش كأننا في بيت شعر
نعيش كأننا في غير كون
نعيش كأننا في غير دنيا
لسان بالثناء عليك رطب
وأقوال مدبجة الحواشي
وجوه في لقائك ضاحكات
فلا يغروك من راض رضاه
بني لكم على الأيام مجدى
لئن لم أبـن من حجر بناء
وحسبي أني أحيـا حياتي
وفي حين لا يرجى وفاء
وشابت لمتى قبل الأوان
وإن يك همه غير الغوان
وبالنسرين أو بالأقحوان
ومعنى لا يشبه بالمعاني
فأرجع بالوفاء إلى الحصان
أهاب بشدوه طيب المكان
عصافير تزقزق للأغاني
« ومدوح » يساجلي اثني
رفيق الصوغ ، علوى المعاني
ملىء بالثفاق وبالدهان
تعج بكل ذى حقد جبان
فهل تدري بما تحت اللسان
لها سم كسم الأفعوان
وأضلاع على السوى حوان
فإن رضاه رهن بالزمان
ومجد الشعر مجد غير فان
فإني للقصائد خير بان
طهور القلب واليد واللسان
وصول للخليل ، وإن جفاني

الكتاب

دراسة في كتاب : الزهاوى وديوانه المفقود (١) . . . !

الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

أمثال : الزهاوى الشاعر لأدم ، وحقيقة الزهاوى للعبيدى ، ومحاضرات عن الزهاوى للحافى ، والزهاوى شاعر الحرية لأنور الجندى ؛ وما كتب عنه من فصول كثيرة نشرت فى العديد من المؤلفات ، ومن مقالات ظهرت فى مختلف الصحف والمجلات فى العالم العربى ؛ وجدنا أن هلال ناجى قد استوعب هذه الدراسات ، وجمع ما تفرق منها ؛ وأبدى رأيه فى الكثير منها ، وفى مختلف الآراء عن الزهاوى وشاعريته . .

٢ — يشتمل هذا الكتاب على مقدمة وسبعة فصول :

تناول المؤلف فى المقدمة الإشارة إلى ما كان بينه وبين الزهاوى من صلات روحية ، كانت الحافز له على دراسته فى هذا الكتاب ؛ وإلى منهجه فيه ، وإلى ديوانه « النزغات » الذى نشره لأول مرة فى هذا السفر القيم ، وإلى أشياء أخرى تدور حول ذلك .

١ — الزهاوى (١٨٦٣ — ١٩٣٦ م) شاعر من كبار شعراء العربية فى العصر الحديث ؛ وقد ترك شعره دويماً فى كل مكان ، فى حياته وبعدها . . ولا يزال موضع الدراسة والبحث حتى اليوم .

وإذا كان ما صدر عنه من دراسات وبحوث يعد قليلاً نادراً بالنسبة لمسكاته ومنزله فى الشعر الحديث . . فإن دراسة ضخمة جادة ، قد كتبها الأديب العراقى الأستاذ هلال ناجى ، ونشرتها له دارالعروبة بالقاهرة ، تعد أوفى ما ظهر من دراسات حتى اليوم عن الزهاوى وشعره ؛ وقد جمعت كل ما تفرق من دراسات وبحوث ومقالات عنه وعن فلسفته وشاعريته ؛ وإذا وازنا بينها وبين ما ألف عن الشاعر من كتب ، من

(١) دراسة كبيرة تقع فى ٣٨٦ صفحة من القطع الكبير للأديب العراقى الأستاذ هلال ناجى ، نشرها دار العرب بالقاهرة عام ١٩٦٣ .

أما الفصل السابع فقد اشتمل على تحقيق لديوان الزهاوى « النزغات » ونسبته إليه ، وعلى متن الديوان ...

وبلى ذلك عدة ملاحق ، منها مقالة للزهاوى نشرت في المؤيد عام ١٩١٠ في الدفوع عن المرأة ، ومقالة له نشرت في السياسة الأسبوعية في ٣ سبتمبر عام ١٩٢٧ حول النثر والشعر ، ودراسة نشرت عن الزهاوى في كتاب « الشعر والشعراء في العراق » بقلم أحمد أبو سعد الذي طبعته دار المعارف ببلبنان عام ١٩٥٩ ، وأخرى للدكتور داود سلوم في كتابه « تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي » المنشور في مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥٩ .. وبلى ذلك ذكر مصادر الكتاب وفهرست الموضوعات .

٣ — ولا شك أن هذه الدراسة ذات خطر كبير في باب الدراسات الأدبية عامة ، فإن مؤلفها جمع فيها ما عثر عليه من آثار الشاعر وآرائه وما كتب عنه والعديد من الآراء في الأدب والنقد ، وفي باب الدراسات المتخصصة في شعر الزهاوى وشاعريته ، لما حوته من ترجمة دقيقة له ، ومن عرض لآثار شعره وشاعريته ، ومن توفيق في نشر ديوان كامل من دواوين الزهاوى لم ينشر من قبل ، وهو « النزغات » . ولهذا الديوان قصة طريفة أشار إليها المؤلف أثناء حديثه عنه ، وكنت أنا

وفي الفصل الأول يتحدث عن حياة الزهاوى .

وفي الثاني يذكر آثاره العلمية والشعرية وبعض مقالاته .

وفي الثالث يتحدث عن شعر الزهاوى ، ويطيل في الكلام على شعره الفلسفي ، ويوازن بينه في هذا الجانب وبين المعري موازنة طويلة . ولقد اقتصر في الحديث عن شعره على هذه الناحية وحدها من نواحي شاعريته وشعره ، مشيراً في أثناء ذلك إلى تأثره بالرصافي ، وآثار التجديد والتقليد في شعره .

وفي الفصل الرابع يتحدث عن آراء الزهاوى في الشعر والشعراء .

وفي الخامس يعرض لآراء المستشرقين في الزهاوى ، ومن بينهم : كامبفمار ، ودلافيدا ، وكراتشكوفسكي ، وويدمر .

وفي السادس يعرض لما كتب عن الزهاوى من كتب وبحوث وما نشر عنه من مقالات . وإن كان قد يفوته بعض ذلك من فصول كتبت عن الزهاوى في مثل : كتاب مذاهب الأدب ، وقصة الأدب المعاصر ، ومن رواد الأدب المعاصر ؛ ومن آراء أخرى قيمة عن الشاعر في كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للناقد مصطفى السحرقي ؛ ومن بحوث منشورة عنه في بعض المجلات الأدبية كجلة « أبولو » ، وغيرها .

ونشرها لأول مرة في هذا الكتاب الضخم الذي أتحف به قراء العربية وأدبها .

٤ - وهذه الدارسة القيمة سوف تنير - ولا شك - السبيل لكل من يريد الكتابة عن الزهاوى وشاعريته وفلسفته ، وهي - وإن سارت على منهج فيه الكثير من الشمول والتحليل - ذات طابع متميز ، وتنطق بما بذل المؤلف فيها من جهد ، وما وفق إليه فيها من نتائج .

ولم لال ناجي التهنئة حقاً على هذا الجهد الرائع الذي خدم به الزهاوى والدراسات الأدبية المتصلة به وبالأدب العراقي المعاصر .

وفي الحق إن الفترة التي أقامها هلال ناجي في القاهرة ، والتي امتدت من خريف عام ١٩٥٩ حتى عودته إلى وطنه العراق في الخامس عشر من فبراير عام ١٩٦٣ ، كانت فترة خصبة في حياة هذا الأديب المتوثب إذ أخرج فيها ديوانه « لفجر آت يا عراق » ، وكثيراً من كتبه ، ومن بينها : كتابه عن الزهاوى ، وكتاب « صفحات من حياة الرصافي وأدبه » .

ومن القاهرة نبعت إليه في بغداد كل تحية وتهنئة وإكبار ؟

محمد هببر المنعم ففامي

وأديبين معروفين هما مصطفى السحرقي ووديع فلسطين نعلم أنه في حيازة الأدبية العربية الآنسة صفية أبي شادي التي تقيم حالياً في واشنطن وقد فسر الأديب حلم متري سر ذلك لي بأن الزهاوى أودع الديوان لدى سلامه موسى لنشره ، وبعد حين أعطاه سلامه موسى للدكتور أحمد زكي أبو شادي لنشره ، ومضت الأيام وهاجر أبو شادي إلى نيويورك في عام ١٩٤٦ ثم توفي في واشنطن في ١٢ أبريل عام ١٩٥٥ وبيعت مكتبته الحافلة هناك بثمن زهيد واحتفظت ابنة الشاعر من بينها بكتبه المطبوعة والمخطوطة ، وبآثار أدبية قليلة من بينها ديوان الزهاوى المخطوط « النزغات » . وعن طريق نشرت أخبار أدبية في مختلف الصحف والمجلات في العراق عن الديوان .

وسعى وديع فلسطين والسحرقي لدى صفية أبي شادي لإرسال الديوان إلى القاهرة للاطلاع عليه فأحضرتة معها في زيارتها لوطنها مصر في صيف عام ١٩٦١ ، وأودعته لدى وديع فلسطين للاطلاع عليه لا لنشره الذي احتفظت به الأديبة حقاً لنفسها للمكيتها للمخطوطة ، واستعار الأديب العراقي الكبير هلال ناجي المخطوطة

انباء وآراء

دفاع عن الامام الواسع :

اطلعت على ما حرره وحققه الاستاذ محمود الشريف في (مجلة الازهر - رمضان سنة ١٣٨٢) عن أخذ الإمام أبي حنيفة بالحديث إلى حد أن الحديث الضعيف أولى عنده من الرأي ، فذكرني ذلك بفرية مكشوفة ذكرها القاضي ابن خلكان ، ونقلها عنه الاستاذ المخلص الدكتور الحوفي في كتابه الممتع (الطبري ١٨٢) وهي :

أن أبا يوسف كان يحفظ المغازي وأيام العرب وأنه مضى ليستمع لابن اسحاق أو غيره ، وتخلف عن مجلس أبي حنيفة ، فلما أتاه قال له يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت ؟ فقال أبو يوسف : إناك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رءوس الملأ : أيها كان أولا وقعة بدر أم وقعة أحد ، فإنك لا تدري أيهما كانت قبل الأخرى ، فأمسك عنه أبو حنيفة .

وهذا اختلاق تكذبه شواهد الواقع ، لأن أبا حنيفة هو الذي يحدث أصحابه في مسانيدهم عن تفضيل سيدنا عمر أصحاب بدر فيما فرض لهم في الديوان على باقي أصحاب الغزوات المتأخرة وسو الذي يتلو في ختماته

ليلا ونهارا (ولقد نصركم الله ببدر وأتم أذلة المعروف نزولها في أحد ، وهو الذي أُملي على أصحابه (كتاب السير الصغير) ولا يعقل أن يجهل الإمام تاريخ الغزوة التي فيها تجلت قوة جيش الإسلام في أول معركة يخوضها . وابن خلكان نقل ذلك من (الجلس الصالح للعباف الجري) مع إغفال السند ، ولو ذكره لرأى القارى فيه كذبا مشهورا وهو محمد بن الحسن بن زياد النقاش الكذاب المنكر الحديث - على ما في تاريخ بغداد للخطيب وميزان الاعتدال ولسان الميزان .

والعباف الجري ليس من رجال التحري في النقل ، وكتابه هذا يجمع بين الجد والهزل ومن دلائل ذلك ما يحكيه عن المسامون من أنه حمل الإمام الشافعي على شرب عشرين رطلا من النبيذ ، ففعل ولم يتغير عقله ، كما في لسان الميزان ، مع أنه لم يلقه في عهد خلافة البتة ، وهذا كذب بحت .

وابن خلكان يلذ له تسجيل ما يحيط من الإمام النعمان من كل مصدر تالف ، ولا يميزه قلبه عن تدوين أسطورة الأباريق الرصاص عن حماد بن محمد المكشوف الحال ، وصلاة القفال التي لا يشك في اختلاقها .

من القادرين اعتماداً على قدرتهم المالية، وبهذا يضيع ركن هام جداً من أركان الإسلام ، فإنني أرجو أن تبين لجنة الفتوى النص^(١) الشرعى الذى اعتمدت عليه من الكتاب والسنة ولا أحب - مقدماً - أن يكون الاعتماد على قول فقيه مجردا عن الدليل ؛ لأن هذه الأمور الهامة لا يجوز الاعتماد فيها على مجرد قول فقيه من الفقهاء ؛ إذ أن العبادات يجب أن تنقذ في شأنها عند ما ورد سواء أكان خاصاً بأدائها أم بقضائها لا يجوز فيها قياس ، فهل عند لجنة الفتوى نص اعتمدت عليه في فتواها ؟

عبد المنعم النمر

وحولت المجلة هذا الخطاب إلى لجنة الفتوى فردت عليه بالخطاب التالى :

السيد الأستاذ رئيس تحرير مجلة الأزهر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد ورد إلى لجنة الفتوى خطاب من الأستاذ عبد المنعم النمر وهو يحول إلينا من إدارة المجلة ، وفي هذا الخطاب يعترض الأستاذ على فتوى صدرت من اللجنة (سنة ١٩٥٨) ونشرت بالعدد الأخير من المجلة ، وموضوع الاعتراض فتوى تتعلق بإسقاط الصلاة وحكم الفدية فيها .

واللجنة تفيد الأستاذ أن الفتوى صحيحة

(١) طالع رداً مفصلاً من لجنة الفتوى في هذا الموضوع في باب الفتاوى من هذا العدد

نقلت هذا التحقيق من كتاب (حسن التقاضى للعلامة الكوثرى) بتصرف وزيادة . وقد روى الموفق المكي بسند صحيح ما وقع لأبي يوسف مع النعمان في هذا الشأن وليس فيه جرح ولا غيظ بالإمام أبي حنيفة .

مسامح الدين الورائى

إسقاط الصلوة عند المعوز :

السيد الأستاذ الكبير رئيس تحرير مجلة الأزهر السلام عليكم ورحمة الله ورد في د باب الفتاوى ، عدد شوال من مجلة الأزهر فتوى عن إسقاط الصلاة وهل هو شرعى أو لا ... إلخ ، وجواب لجنة الفتوى عليه .

ولقد لفت نظرى أن لجنة الفتوى أقرت إسقاط الصلاة بالفدية كما يفعل العوام حيث جاء في فتواها : د وأما إذا كان قادراً على الصلاة ولو بالإيماء ولكنه لم يفعل حتى مات فإنه يجب عليه الإيضاء بالفدية ، إلخ ما جاء بالفتوى ... ولما كان هذا أمراً يصادم روح التشريع ، لأن الصلاة تطهير للنفس وقد مات تارك الصلاة فلا مجال لتطهير نفسه وتزكية خلقه ، والصلاة عبادة بدنية لم أطلع على نص يبيح النياحة فيها ولا يبيح الفدية التى قالت اللجنة الموقرة إن تارك الصلاة يجب عليه الإيضاء بها ، ولما كان هذا يفتح الباب واسعاً لإهمال الصلاة ولا سيما

الفارغة من عصاة مجرمة اختارت أن يكون إقليم الناظور من شمال المغرب مركزاً لنشر مذهبها الذي لا يتلاءم مع طبيعة الشعب المغربي المتشبث بأذيال دينه الخفيف ، وقد أثارت محاكمة البهائيين في الأيام الأخيرة الماضية ضجة عالمية ، تناولتها عدة صحف داخلية وخارجية بالتعليق نتيجة للحكم العادل الذي أصدرته محكمة الناظور على تلك الشلة المارقة من الشباب الذين سوات لهم أنفسهم أن يهاجموا الإسلام في معقله الحصين .

ولكن الشيء المؤكدهو أن الشعب المغربي بل معظم الطبقة المثقفة منه لا يعرفون لا قليلاً ولا كثيراً عن النحلة البهائية رغم أن مسألة البهائية استطاعت أن تغزو البيوت وأن تتردد على الألسن ، لذلك ألتبس من سيادتكم أن تخصصوا دراسة مستفيضة عن هذا المذهب الدخيل في الإسلام بمجلتكم الموقرة تنويراً للفكر وتعميماً للفائدة ، وسأكون مديناً بالجميل لسيادتكم إذا ما ليتم طبع هذا ، ودمتم للعلم مناراً ، وللإسلام نخاراً والسلام .

إدريس الطاهري الحسني

الرباط - المغرب الأقصى

إجابة لطلب السيد الكاتب نشرنا بحثنا عن ذلك المذهب في هذا العدد

المجلة

وهي تقليد للمذهب الحنفية ، وفي المذهب أدلته التي اعتمد عليها من القرآن والسنة وتستحسن اللجنة للأستاذ وهو عالم أزهري أن يراجع كتب المذهب ليقنع .

وليس من منهج اللجنة أن تهجر المذاهب اعتماداً وتقصد مباشرة إلى الاستدلال بالقرآن والسنة فإن ذلك تشكيك في المذاهب الصحيحة ولجوء إلى الاجتهاد من جديد وفيه تضيق في الإقناع .

وليس من عمل اللجنة أن تعيد البحث في كل أمر لا يعجب القارئ وبخاصة من يستطيع البحث بنفسه فضلاً عما في ذلك من النزوع إلى رغبات شخصية لا تقف عند حد . ومن الخير أن يكون مثل هذا الاعتراض في صيغة الاستفهام لا في صيغة الإنكار قبل التثبت من الحق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

البرهانية

اطلعت في عدد من مجلة الأزهر الغراء (رجب سنة ١٣٨٢) في باب معرض الكتب على مقال تعريفني لكتاب البهائية من تأليف الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، وكما كان بودي لو كان المقال المذكور دراسة وافية تعرف بهذا المذهب الدخيل على الإسلام . ذلك أن البهائية قد تسربت إلى بلادنا ، واستطاعت أن تعشش في بعض العقول

فِنْ ضَائِرِ الْجَنَّةِ الْفَتَوَى

أبراهيم محمد الأصيل

سُرف عليه

رأى الدين في الاستمارة :

السؤال :

أبلغتنا وزارة الخارجية عن مشروع إقامة مسجد في مدينة أمستردام هولندا - ولإمكان بحث الموضوع من جانب الوزارة نرجو التفضل بالإفادة عما يأتي :

١ - رأى الأزهر في الطائفة الاحمدية ومدى تماثلها مع تعاليم الإسلام الصحيحة .

٢ - الرأى بالنسبة لصلاحية مساجد بعض الطوائف المتشكك في مذهبها مثل طائفة الاحمدية الباكستانية لأداء الصلاة لجميع فئات المسلمين .

٣ - هل يرى الأزهر أن تأييد الطائفة الاحمدية في إقامة مسجد لها في أمستردام أمر جدير بالرعاية ؟

وكيل وزارة الاوقاف المساعد

لشئون التخطيط والدعوة

الجواب :

اطلعت اللجنة على نصوص من مذهب

الاحمدية في بحث كتبه فضيلة الأستاذ الشيخ الحضر حسين ، ونشرته مجلة نور الإسلام في هدهما الصادر في رجب سنة ١٢٥١ هـ ، من ذلك : ما زعمه غلام أحمد في خطبته الإلهامية أنه نبي مرسل ، إذ جاء فيها : « رأيتم إن كنت من عند الله ثم كذبتوني فما بالكم أيها المكذبون » . وقال : « لأنكم ترون كيف تنصر الناس وارتدوا عن دين الله ثم تقولون ما جاء مرسل من عند الله ما لكم كيف تحكمون » . وقال : « فأكرم الله على هذه - يعني أمة الإسلام - بإرسال مثل عيسى وهل ينكر بعده إلا العمون » . وقال : « وكان عيسى عليا لبني إسرائيل وأنا علم لكم أيها المفرطون » . ومنه ما جاء في منشور وضعه أحد رؤسائهم وعربه السيد / عبد المجيد كامل وطبع في مصر : « إن طريق الوحي لا يمكن أن يسد في وجوه الناس » . وفي هذا المنشور : « إن المهدي والمسيح قد ظهرا في الهند بمحل يقان له (قاديان) وأنه يوجد الآن آلاف من

حواريه يستمعون الوحى الإلهى ، . وما زعمه
أيضا غلام أحمد من أنه أوحى إليه : . ولما
جاءك للناس إماما ينصرك رجال نوحى
لهم ، . إلى غير ذلك مما هو كفر صراح
وخروج عن دين الله بين وغواية لا لبس
فيها ولا خفاء .

وعلى ذلك تفيد اللجنة : بأن مذاهب الطائفة
الأحمدية المنفرعة من مذهب غلام أحمد
وطائفته القاديانية مذاهب باطلة منافية
بعقائدها وعباداتها لعقائد وعبادات المسلمين
الصحيحة : ففى تقوم على أن دعائها يوحى
لهم وأنهم أو أن منهم أنبياء ومرسلين
يكلمهم الله بما ينطقون به مخالف للقرآن
الكريم والسنة النبوية ، فهم بهذا يكذبون
قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وقوله
صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح البخارى عن
أبي هريرة : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم
الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي
بعدى » . وقوله كما فى صحيح البخارى عن
أبي هريرة أيضا : « إن مثلى ومثل الأنبياء
قبل كئىل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله
إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس
يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا
وضعت هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين » . وفى
رواية مسلم عن جابر : « فأما موضع اللبنة ،

وجئت نختتم الأنبياء ، . إلى غير ذلك من
الأحاديث المتواتر معناها المفيدة انتهاء
النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .
وعلى هذا انعقد إجماع الأمة وصار معلوما
من الدين بالضرورة فيكفر جاحده .
وإن طائفة هذا شأنها وشأن أتباعها
لا يجوز بحال أن تساعدوا بأى وجه من
وجوه المساعدة لا فى مسجد ولا فى غيره ،
فإن مساجدهم ، ليست إلا للتضليل والإغواء
وشقا تنصب ليصطادوا بها الشباب الغض
من أبناء المسلمين يغرون بهم ويوقعونهم
فى شبا كههم ينفثون فى روعهم من سمومهم
ما يضلون به عن الصراط المستقيم صراط الله
العزیز الخيد بل إن واجبا على جميع المسلمين
فى جميع بقاع الأرض أن يضيقوا الخناق
على أمثال هذه الطائفة الضالة المضلة حتى
تقرض كما انقرض من قبلهم الحارث بن سعيد
الذى ظهر أيام عبد الملك بن مروان واغتربه
خاق حتى وقع فى يد عبد الملك فقتله ولم
يبق له فى الأرض أثر ، وكما انقرض إسحاق
الأخرس الذى ظهر فى أول حكم العباسيين
واتبعه طوائف وقتل فانقطعت قنتته .

ومساجد هؤلاء مع مساجد المسلمين
كمسجد الضرار الذى أقيم فى عهد النبي صلى
الله عليه وسلم بقصد الضرار وتفرقة جماعة
المسلمين ، وتجميع طوائف المنافقين فيه .

الجواب :

الأفضل تقديم الحج على الزواج إذا كان قادراً على الزاد والراحلة فاضلاً عن المسكن وما لا بد منه وعن نفقة من يجب عليه نفقته إلى حين عودته وكان الطريق آمناً ؛ لأنه حينئذ يكون فريضة محكمة ، وهو أحد أركان الإسلام بإجماع العلماء من غير تكثير ما لم يخش على نفسه الوقوع في المعصية بتأخير الزواج وإلا قدم الزواج على الحج .

حج المرأة مع غير محرم :

السؤال :

تريد الزوجة أن تؤدي فريضة الحج وقد حج زوجها قبلها فهل لها أن تذهب بمفردها أو مع جار لها ؟ .

الجواب :

لا يجوز شرعاً أن تسافر الزوجة بمفردها ولا مع جار لها ، وإنما تسافر مع محرم لها كابن أو أخ أو خال أو مع رفقة مأمونة من النساء فقط أو النساء والرجال .

من التوكيل في النطاق والزواج على شرط والاتجار في ملابس السيدات وآلات الترفيه

السؤال :

١ - يريد توكيل والده في عقد نكاح ابنته

وقد نهى الله النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة فيه وكشف له أمره ونوايا أهله من إقامته ، وقوله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضرراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقيم فيه أبداً المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » . وإن الصلاة - وإن كانت تصح في أى بقعة من الأرض متى كانت طاهرة صالحة لأداء الصلاة فيها الحديث « جعلت لي الأرض مسجداً وترتّبها - أى ترابها - طهوراً ، لا يحل أداؤها في مساجد هذه الطائفة وأمثالها لما يلزم عليه من أخذهم هذا أداة للدعاية يروجون بها لمذاهبهم ومعتقداتهم الباطلة ، ولما في ذلك من تعريض شبابنا والعامة من المسلمين لتلقى سمومهم والتذهب بمذاهبهم وفي ذلك مفسدة أى مفسدة ، وإن القاعدة الشرعية : أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

الحج والزواج :

السؤال :

شاب أهب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً ، ويريد أداء فريضة الحج فهل الأفضل أن يقدم الحج على الزواج أو يؤخر الحج إلى أن يتزوج ؟

على أحمد عمر

النساء لا شيء فيه شرعا ؛ لأنها تستعمل فيما هو مباح شرعا كأن تترين بها لزوجها مثلا أثناء خلوتها ، وما يعترضا من حرمة فهو أمر ناشئ من إساءة استعمالها كأن ترتديها أمام أجنبي عنها ، وكذلك حكم الراديو وغیره إذ هي صالحة لأن تستعمل في المباح ولا تبعه على من يتجر فيها إذا ما أساء استعمالها وإنما التبعة على من يسيء استعمالها .

حول إسقاط العصمة عند العجز :

اطلعت اللجنة على كتاب باب الفتاوى بخصوص فتوى صدرت سنة ١٩٥٨ في موضوع إسقاط الصلاة وهل هو شرعى أولا ، ومتى يجب وما كفيته ونشرت في مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٣٨٢ هـ (مارس ١٩٦٣ م) ، وفي الكتاب يطالب الباب بإلقاء مزيد من الضوء على هذه الفتوى بناء على مكاتبات وردت إليه .

ورأينا أن الخلاف ليس وليد اليوم فإنه من قديم وقد بينه صاحب جمع الجوامع فقال : وهو أى القياس حجة في الأمور الدنيوية قال الإمام اتفاقا وأما غيرها كالشرعية فمنع قوم عقلا وابن حزم شرعا ودارد غير الجلي وأبو حنيفة في الحدود والكفارات والرخص والتقديرات وابن عبدان ما لم يضطر إليه ، وقوم في الأسباب

فمن له حق التوكيل ، الوالد أم الفتاة ؟ وإذا كان لوالد الفتاة أن يوكل والده فهل لا بد في هذه الحالة من أن يستمد هذا الحق من ابنته بطريق التوكيل ؟

٢ - يريد أن يشترط لابنته على زوجها أن يكون لها الحق في فسخ الزواج بدون توقف على موافقة الزوج في حالة ما إذا أراد أن يحملها على أن تسلك طريقا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية ؟

٣ - ما حكم الاتجار في ملابس السيدات مع ما فيها من تصميمات مخالفة لأحكام الدين وكذلك حكم الاتجار في آلات الراديو والتلفزيون وخلافها مع أنه يساء استعمالها ؟ محمود محمد عطية - أمريكا

الجواب :

الأب ولي طبيعي على أولاده فله بهذه الصفة أن يباشر عقد الزواج لبنته ، وأن يوكل غيره في ذلك ، ومع ذلك يستأذن ابنته البكر إذا كانت بالغة رشيدة ، فإن كانت ثيبا وجب استئذانها .

وعن الثاني نفيد بأنه يجوز شرعا للزوجة أو لوليها أن يشترط على زوجها مثل هذه الشروط وأن تجعل العصمة بيديها بمعنى أن يكون لها أن تطلق نفسها من زوجها إذا ما خالف الشروط المتفق عليها .

ونفيد عن الثالث بأن الاتجار في ملابس

عنه مكان كل صلاة مد وقد أفق بذلك علماء
الحنفية وقال به المحققون من الشافعية ويصلي
عنه وتسقط بذلك الصلاة عنه كما قال به علماء
الشافعية ، وقالوا هو من عمل الشخص لنفسه
ولا يفق به ، وقد صلى السبكي عن قريب له
مات ، وأما الحنفية قالوا يصل ثواب الصلاة
إليه ولا تسقط عنه وذكر المحب الطبري
أنه يصل إلى الميت ثواب كل عبادة تفعل
عنه واجبة كانت أو مندوبة ، على أن المسألة
لم تعد التخفيف عن الميت والكل متفق على
أن لائم التأخير لم يسقط بهذا إنما أمره
فيه إلى الله .

أما الحنابلة فلم يقل أحد أنه يصام أو يصلي
عنه فإن ذمته عامرة ويحتمل أن يقدر فيؤدى
كما لم يقل أحد أنه يفدى عن صلاته وإن
قالوا يفدى عن صيامه الآية ، وعلى الذين
يطبقونه فدية ، أى لا يطبقونه كما هو أظهر
القولين للشافعية والثاني أن الآية منسوخة
بآية « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، وعليه
فالعاجز لهرم أو مرض لا يرجى برؤه لا صوم
عليه ولا فدية (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)
وهو قول في مذهب مالك رضى الله تعالى عنه .
والفتوى كما نشرت في المجلة المذكورة
في كتب الحنفية وهو بعد هذا واضحة ليس
فيها إغراء لقادر بأن يترك الصلاة ابتكالا على
الفدية فإن طريق الفدية لم يسلم من المخاطر .

والشروط والموانع ، وقوم في أصول
العبادات وقوم الحنابلة إذا لم يرد نص على
وقفه كضمان الدرك وآخرون في العقليات
وآخرون في النص الأصلي وتقدم قياس اللغة ،
والصحيح حجة إلا في العادية والحنفية
وإلا في كل الأحكام وإلا القياس على منسوخ
خلافا للمعنيين . راجع شرح الجلال المحلى
وما كتب عليه من حواش وتقريرات إن
شئت وليس المقام مقام بسط واستيفاء .

من هذا يقين أن القياس حجة فيما نحن
فيه حيث فهم المعنى الذى نيط به الحكم
في الأصل الذى ورد به النص وكان موجودا
في الفرع بلا مانع ، وذلك أنه ورد في الخبر :
« من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه » ،
مات كل يوم مسكينا ، وورد « من مات
وعليه صيام فليصم عنه » ، من الوكيل
وهو القرب فالمراد به كل قريب للميت وإن
لم يكن ولى مال ولا عاصبا ولا وارثا وقد
قيل بكل . والحديث في الصحيحين عن عائشة
وابن عباس ولا يقدر فيه عملهما على خلافه
فإن الحجة فيما روي لا فيما عمل . والمعنى
في ذلك ما في المحل من العجز التام فإن الميت
قد خربت ذمته وانقطعت عنه أسباب الحياة
فلم يعد هناك احتمال أن يقدر فيؤدى مع
الحاجة إلى ذلك لنفع المؤدى والمؤدى عنه
وهذا المعنى موجود بتمامه في الصلاة فيفدى

بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوره

السلام ... هذه حقيقة ينطق بها التاريخ .
ويشهد بها الواقع ، ولا نعلم أحداً تطاول
إلى إنكارها . أو حاول إثارة الشك فيها
وهذا الحجر على مكانته الأثرية وقيمته
الدينية لم يسمع عن العرب في الجاهلية أنهم
عبدوه فيما عبدوا من الأوجار ، وإنما
كان بلونه الأسود العلامة المميزة التي يبدأ
منها الطواف حول البيت ، وكان تقبيله لهذا
المعنى ولما يرمز إليه من معان أخرى كبرى
لا تشوبها شائبة وثنية ، كما يفهم من كلام
هرم رضى الله عنه حين خاطبه بقوله :
أما والله إنى أعلم أنك حجر لا تضر
ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك .

أما لماذا قبله رسول الله ، ولماذا تقبله
اقتداء به مما سكنت عنه عمر رضى الله عنه
حرصاً على سلامة العقيدة في نفوس المسلمين ،
فلأن تقبيله استجابة طبيعية للإحساس بجلال
هذا الأثر الحبيب ، وليس جلالة لذاته ، فإنه
كما يفهم من قول هرم رضى الله عنه حجر
لا يضر ولا ينفع ، وإنما جلالة لجلال
الذكرى التي يحملها ، والمعاني التي يمثلها .
فقد يتمثل للنظر إليه معنى ما يرمز إليه

بيت الله

... والعرب كانت تهج من ثمانية عشر
قرناً إلى الكعبة المكرمة ؛ لأنهم كانوا
يعتقدون أنها بيت الله على ما كانوا عليه من
اختلاف الآلهة وتعدد الديانات وتغاير
المذاهب ، وكانوا يقصدونها سنوياً للطواف
بها من غير أن يدعيها لنفسه فريق منهم دون
الآخرين ، لأنها كانت عندهم بيتاً لله الذى هو
إله العالمين ، ورغمما من شيوع عبادة الأوثان
في سواد قبائل العرب ، فإنه لم يرد عنهم أنهم
عبدوا هيكل الكعبة أو الحجر الأسود مع
احترامهم لها ذلك الاحترام الذى لا يمكن
تصوره ، وكانوا يعتقدون أن هذا الحجر
نزل من السماء ، وبه أخذ بعض الفقهاء ،
ونحن لا ندري إن كان وصل إليهم من طريق
النيازك أو من طريق آخر .

محمد دليب البتانوفى : من كتاب الرحلة الحجازية

هذا الحجر . . .

إن هذا الحجر الأسود ليس من آثار
الجاهلية والوثنية كما زعم المتحاملون على
الإسلام ، وإنما هو أثر من آثار
أبى الأنبياء ومحط الأصنام . إبراهيم عليه

مولد الكعبة

وعن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج
على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه :

أحمل أمي وهي الحلالة
ترضعني الدرة والعلالة
ولا يجازي والد فعاله

الزخشرى - من تفسير الكشاف

إلى الله قبلك

يروى أن أعرابيا وقف على باب علي بن أبي
طالب رضى الله عنه فقال : إن لى عندك
حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك
فإن أنت قضها حمدت الله وشكرتك ،
وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك ،
فقال له على : خط حاجتك في الأرض ، فإني
أرى الضر عليك ، فكتب الأعرابي على
الأرض : إني فقير : فقال على : يا قنبر
د خادم ، ادفع إليه حتى الفلانية . فلما
أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
لأن الشاء ليحيى ذكره حبه
كالغيث يحيى نداه السهل والجبل
لأزهد الدهر في عرف بدأت به

فكل عبد سيجزى بالذى فعلا
فقال على : يا قنبر ، أعطه خمسين دينار ،
أما الحلة فليسلألك ، وأما الدنانير فلأدبك
من كتاب معراج البيان للأستاذ علام سلامة

من امتثال إبراهيم لأمر ربه حين كان يرفع
مع ابنه إسماعيل قواعد البيت ويقولان :
« ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » ،
وقد يرى فيه ما يرى الناس في العلم الوطنى
من معاني الشرف والجلال وهو لا يعدوا
أن يكون قطعة من قماش على قطعة من
خشب ، فـد تنازع العرب من قریش على
شرف رفعه ووضعه في مكانه حين أعادوا
بناء الكعبة بعد أن هدمها السيل ، وتداعوا
للقتال ، ثم احتكموا إلى النبي صلى الله عليه
وسلم ، فوضعه في ردائه . وأمر كل قبيلة أن
تمسك بطرف منه ، ثم رفعوه جميعاً حتى
وصل إلى مكانه من البناء ، فأخذ النبي
صلى الله عليه وسلم ووضعه فيه بيديه
الشريفتين .

ح . ف - من مجلة نور الإسلام

بارب الجميع

لك الدين يارب الجميع جمعهم
لبيت طهور الساج والعرصات
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة
إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الانساب فيها تفاوت
لديك ولا الأقدار مختلفات
شوقى - من ديوان الشوقيات

their claim off, they would adduce a saying they attribute to Ayisha, the wife of our prophet. This saying they quote as follows : "Say that certainly He is the Seal of the Prophets, and do not say there is no prophet after Him". I cannot off hand disqualify this saying, but I can ask those responsible for the quotation to shed some light on the chain of its traditionalists, and to state the source from which this saying was taken. Meanwhile, let me agitate the following points of speculation :

1) It is quite the vogue in Arabic stylistics to choose an expression to another while both give the same meaning. The Holy Quran itself is no exception in relation to observing this vogue e.g. "O ye who believe : Say not 'ra'hina but say 'unthurna' and hearken; for unto misbelievers shall be grievous woe." (2:104). The choice between these two synonymes was due to the resemblance between the first and a Hebrew word meaning mischievous. In Arabic both words mean "observe us". In the same manner Ayisha might have chosen a Quranic expression, namely "Seal of the Prophets to a non-Quranic one, i.e. "There is no prophet after me".

2) It has been a mischievous habit of some extremists among

Muslims to seek support for their views by sheer fabrication of Hadeaths. This is widely reported by Muslim historians. To give an example of this one should remember that when the Sufiani branch of the Umayyad Dynasty was overtaken by the Marwani branch, the Sufianis, having lost material strength for regaining their supremacy, sought a religious support in fabricating a Hadeath which proficied a promised Sufiani who would play the same role given to the promised Messiah and later to the promised Mahdi.

To conclude, it should be remembered that the verse quoted by the article is taken from Sourat ul Ahzab; one wonders why those who adduced that verse overlooked some two other verses to be found in the same Soura?. These are the two verses :

"Verily, those who annoy God and His Apostle, God will curse them in this world and the next, and prepare for them shameful woe" (33:57).

"O ye who believe ! be not like those who annoyed Moses ; but God cleared him of what they said, and he was regarded in the sight of God." (33 - 69).

other nations, are considered most eloquent.

The verses (38—39) speak of the course of God with those who passed away before . . . Those who preach God's message and fear Him etc. This means that the context is dealing with two points :

1) There is no hindrance to the prophet, and

2) This was the same with past prophets.

At this juncture comes the verse misquoted and misrepresented by the article in question. This verse appears quite in tone with the above illustration, and could be represented in the following light :

1) It has been the course of God with past prophets that there would be no hindrance in relation to God's decrees.

2) There should, in the question of Zainab, be no hindrance to Muhammad.

3) Because Muhammad is not a father of Zaid or any other man of you; he is the Messenger of God and the Seal of the prophets mentioned under No. 1 above.

There is no argument as to the literal meaning of the word "Seal", but the word is not to be given its

literal meaning here, for it is clear that Muhammad was human, and not metallic. And as has been given above, the Quran is fond of using metaphores. Therefore, the context calls for a metaphorical consideration. Let us think of this metaphore. A seal is the last thing to be placed on a document; no other thing is to come after. This is the meaning, the only meaning, one can understand out of the verse. Any other interpretation would be reading a selfish purpose in a devine revelation. This meaning, namely Muhammad is the last of the prophets, is supported by the following evidence :

1) It is completely harmoneous with the verse : "This day have I perfected your religion for you and have completed *my favour on you* and have chosen for you Islam as religion". Because a complete and perfect religion is not in need of another prophet.

2) It is related that the prophet (peace be upon him) excluded all possibilities of a future prophet by saying : "there is no prophet after me". Nobody, even those who perpetuate a belief in another prophet, can doubt the authenticity of this saying; they recognise it well, but they dodge its implications.

Instead of relying on this authentic Hadeeth and therefore calling

Prophet advised him to retain her. Now God has chosen this Zainab to be the example of a legal precedent showing the difference in status between the wife of a real son and that of an adopted one. Muhammad *was ordered to take* Zainab in marriage after her divorce was completed.

But Muhammad (peace be upon him) who thought of what the wrong implication would be in people's mind, was reluctant over the issue. Therefore God revealed to Him the verses ending with that quoted verse at the beginning of the article alluded to above. The verses relative this incident (33:36 - 40) run as follows :

"It is not for a believing man or for a believing woman when God and His Apostle have decided an affair, to have the choice in that affair; and who rebels against God and His Apostle has erred with an obvious error (36)

And when thou didst say to him God had shown favour to and thou hadst shown favour to, "Keep thy wife to thyself and fear God" ; and thou didst conceal in thy soul what God was about to display ; and didst fear men, though God is more deserving that thou shouldst fear Him ; and when Zaid had fulfilled his desire of her, we did wed thee to her that there should be no hindrance to the believers in the matter of the wives of their adopted sons when they

have fulfilled their desire of them : and so God's bidding to be done. (37).

There is no hindrance to the Prophet about what God has ordained for him; — (such was) the course of God with those who have passed away before, — and God's bidding is a decreed decree! Those who preach God's messages and fear Him and fear not any one except God,— but God is good enough at reckoning up. (38—39).

Muhammad is not *the father of any of your men*, but the Apostle of God, and the Seal of the Prophet's ; for God all things doth know!" (40).

These were verses relevant to the Story of Zainab; it is quite clear that no connection could be established between these verses and Sourat ul Kawthar except that both quotations belong to the Holy Quran, and relate two different incidents of Muhammad's life.

From a stylistic point of view, the Holy Quran is fond of metaphors and conciseness; this is universally acknowledged. Words as well as meanings of adjacent verses are so wonderfully interwoven that a critical reader can find no loopholes or weak points in Quranic style. In fact Quran is a linguistic miracle revealed in the midst of the most eloquent generation of the Arabs, who, among

it quite clear that the expression of the seal of the prophets, and there will be no prophet after him, were considered by her to be contradictory to each other in meaning and significance.

4) That the Holy Prophet was the last of the prophets, but only in this sense that all the qualities and attributes of prophethood found their most perfect and complete consummation and expression in him; "seal" in the sense of being the last word in excellence and perfection is of common use.

Moreover, the Quran clearly speaks of the advent of prophets after the Holy Prophet. The following two verses leave no ambiguity on this point :

" And who obeys Allah and this Messenger of His shall be among those on whom Allah has bestowed His blessings, namely, the Prophets, the Truthful, the Martyrs and the Righteous. And excellent companions are these." (4 : 69)

" O children of Adam : if messengers come to you from among yourselves, rehearsing My Signs unto you, then who shall fear God and do good deeds, on them shall come no fear nor shall they grieve." (7 : 35)

The Holy Prophet himself was clear in his mind as to the continuity of prophethood after him. He is reported to have said : " If Abraham

(his son) had lived long, he would have been a prophe " (Maja, kitab al Janai'z), and, " Abu Bakar is the best of men after me, except that a prophet should appear " Kanzal-'Ummal).*

THIS was the article which has taken much pains to distort the actual meaning of the Holy Quran, a meaning that is supported by historical evidence. There is no connection between the verse quoted at the beginning of this article and Sourat ul Kauthar, and there should no such mistake if there would be no deliberate design.

The history of Islamic Sharia states that when the Holy Quran specified the women of relation who are prohibited in marriage to a Muslem (4 : 23), a son's wife was among these. Despite the clear qualification of the son being a blood-son, some of the Muslims refrained from marrying the ex-wives of their adopted sons. The Prophet himself had an adopted son who was an ex-slave. The original name of this son was Zaid Ibn Thabit, but after adoption he came to be known as Zaid Ibn Muhemmad. Zaid had a Quraishi wife named Zainab bent Jahsh who was too proud for her ex-slave husband, and he repeatedly confessed to the Prophet that he wanted to divorce her ; the

* Commentary of the Holy Quran Part II, V. II.

Holy Prophet would be blessed with sons who would live to an adult age. The verse under comment removed that misconception inasmuch as it declared that the Prophet is not, never was, nor will ever be the father of any grown-up young men. The verse under comment while appearing to be in conflict with Sura Kausar in which not the Holy Prophet but his enemies have been threatened with being issueless, in reality seeks to set at rest doubts and misgiving to which this seeming contradiction gives rise. It says that the Holy Prophet is *the spiritual father of a whole Ummat and he is also the seal of the prophets, signifying that he is the spiritual father of all the past and future prophets*. So when he is the spiritual father of all the believers and all prophets how can he said to be amputated i.e. issueless. But if the expression the seal of the prophets be taken to mean that the Holy Prophet is the last of the prophets and that no prophets will come after him, then the verse appears to be out of tune with the context and instead of refuting the objection of disbelievers that the Holy Prophet was issueless, supports and reinforces it.

Briefly, according to the meaning of the seal of the prophets, the expression can have four possible meanings :

1) That the Holy Prophet was the Seal of the prophets, i.e., no

prophet, past or future, can be regarded as true unless his prophethood bears the seal of the Holy Prophet. The Prophethood of every past prophet must *be confirmed and testified by the Holy Prophet* and nobody can attain to prophethood after him except by being of his followes. All claims to prophethood must be judged and tested by reference to the revelation received by the Holy Prophet and to his teachings.

2) That the Holy Prophet was the best, the noblest and the most perfect of all the prophets and that he was also a source of embellishment for them.

3) That the Holy Prophet was the last of the Law-bear-Prophecs. This interpretation has been accepted by many eminent Muslim theologians, saints and savants such as Ibn Arabi, Shah Wali-Allah, Imam Ali Qari, Mujaddid Alf Thani, etc. According to these great scholars and saints no prophet can come after the Holy Prophet who should abrogate his Millat or should not be in his Ummat.

A'isha the talented spouse of the Holy Prophet, has removed all ambiguity about the meaning of the expression, the seal of the prophets.

She is reported to have said :

Say that he (the Holy Prophet) is, the seal of the prophets, but do not say that there will be no prophet after him. This saying of A'isha makes

WRONG INTERPRETATION OF AHMADIYYA ABOUT THE SEAL OF THE PROPHETS

Dear Brother-in-Islam,

The faith of Islam is the concern of every individual Muslim. One very important article of this faith is that our Prophet Muhammad (peace be upon him) is the Messenger of God, and that he taught the complete and perfect Religion of Islam. And because Islam is the perfect Religion, as the Holy Quarn testifies, *there was no need for another prophet, to be sent by God*, therefore. Muhammad was the last of the God-sent Prophets; any prophet who claims such title after Muhammad could only be self-styled. All this is an integral part of the faith of Islam; and whoever deviates from such belief is a renegade, even if he insisted on claiming the epithet "Muslim", or if he louded Islam in his slogans.

It seems however that some of those who insist on using the above epithet do not see eye to eye with this article of faith, and try to make all Muslims believe in their deviation, thus aiming for som reason or another to explode Islam from within to serve their own ends. An organ of this deviationary Movement has, last

September, published the following article :

"SEAL OF THE PROPHETS"

"Muhammed is not the father of any of your men, but he is the Messenger of Allah, an a . . the Prophets; And Allah has full knowledge of all things." (33 : 41).

Much confusion and misunderstanding seems to prevail as to what is the real spiritual status and position of the Holy Prophet as indicated by the expression : the Seal of the Prophets. A careful study of the context, however, removes the prevalent misconception. At Mecca when all the Holy Prophet's male children died in their childhood, his enemies taunted him with being amputated (one who has no male issue), meaning thereby that in the absence of male heirs to succeed him his Movement would sooner or later come to an end. In answer to this taunt of disbelievers it was emphatically declared in Sura Kausar that not the Holy Prophet but his enemies would remain issueless. After the revelation of Sura Kausar the idea naturally found favour with the early Muslims that the

فهرس أبجدي عام لموضوعات المجلد الرابع والثلاثين

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
			(١)
الإرشاد والتطور (كتاب) ... ٥٥٣		٩٥٣-٧٩٧ ... الآلة والأداة ...	
٤٤٠-٤٢٠ } الأزهري والتطور ...		٩٥٣ ... الأبجدية العربية أكل الأبجديات ...	
٨٠٥-٦١٩ }		٢٣٨ ... ابن نيمية (كتاب) ...	
٤٣١ ... أسباب الفصاحة العربية ...		١٦١ ... ابن خلكان المؤرخ ...	
استخراج القياس الأصولي من القرآن ١٤٦		١٧٧ ... ابن السكيت ...	
الاستعاذة حين يتلى القرآن من أواسطه ٢٤٧		٨٢٦-٦٧٨-٤٦٨ } أبو الكلام أزداد	
استعمال دواء ينيل آلام الوضع (فتوى) ١٢٢		١٠٩٧-٩٢٥ }	
الاستقلال في التشريع ... ١٧٢		٣٢٨ ... أبو هلال العسكري ...	
الأسرة في الإسلام (كتاب) ... ٢٣٩		٥٢٨-٣٣٧ ... أبو بكر الخوارزمي ...	
الإسلام : دوره في القارة الإفريقية ٣٤٥		٧٩٣ ... اجتماع أبو حنيفة وموقفه من الحديث ...	
الإسلام دين الحجة والبرهان ... ٣٨٩		٢٩٨ ... أحاديث علوم الدين للغزالي ...	
الإسلام دين التوحيد ... ٧٢٢		١٠٠٩ ... الاحتجاج بالقدر (كتاب) ...	
الإسلام دين الفطرة ... ٨٧٨		٢٥١ ... أحكام عامة في الهبة والوصية (فتوى) ...	
الإسلام في بورما ... ١٢٧		١٠٥٣ ... أحمد أمين ...	
الإسلام في ذروة انتصاراته ... ٩٦٦		١٠٢١ ... أحمد لطفي السيد ...	
الإسلام في تشاد ... ٦٥		٣٩٦ ... الإخاء منشود والفرقة بغضنة ...	
الإسلام في تنجانيقا ... ١٠٨٨		٢٥٧ ... أدبنا بين الواقعية والكلبية ...	
الإسلام في زنجبار ... ٤٧٢		٨٥٠ ... الأدب العربي المعقول ...	
الإسلام في الملايا ... ٥٠٥		١٢٩ ... الأدب رسالة يوجه ولا يوجه ...	
الإسلام والمدينة الحديثة ... ١٠٤١		١٠١٤ ... الأذان قبل دخول الوقت (فتوى) ...	
الإسلام وتوازن المجتمع (كتاب) ٢٤١		١١٦٣ ... إسقاط الصلاة عند العجز (فتوى) ...	
الإسلام ونظرية التطور ... ٨٤٧			

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩٣ - ٧٨ ...	البيان العربي ...	٥٩٣ ...	الإسلام والعالم ...
٢٥١ ...	البهجة وشرها (فتوى) ...	٩٤٣ ...	الإسلام ينهى عن المتاجرة باسم الدين
٤٠١ - ٣١٤ } ...	بين الشريعة الإسلامية ...	٥٥٤ ...	أشياء غير ممنوعة من الصرف ...
٦٧٣ - ٤٩٩ } ...	والقوانين الوضعية ...	٥٣٩ ...	إعانة الشتاء (قصيدة) ...
٩٧١		٥٦٢ ...	الاقراض من البنك بفائدة (فتوى) ...
٢٢٦ ...	بين الشريعة والفلسفة ...	٥٢٧ ...	أقراص منع الحمل لمن؟ (رأى) ...
٧١٢ ...	بين شريعة الوحي وصناعة الفقه ...	٢٠٦ ...	الإفطاح الثقافي ...
٤٦٠ ...	بين العلم والعمل ...	١٢٣ ...	إقلال راحة الجار بالزار (فتوى) ...
	(ت)	١١٤١ ...	أقوال وأقوال ...
٥٣٣-٥٠٠	تأثير الإسلام في العبادة اليهودية ...	٣٦٨ ...	الماني بكاء عن الإسلام ...
١٠٣٦	التاريخ الصحيح من مقومات الحياة ...		الإمام الأعظم أبو حنيفة دراسات
١٠١٢ ...	العبودية في أندونيسيا (نبأ) ...	٩٥ ...	واقية في مذهبه ...
٣٧٣ ...	القننى وحكمه (فتوى) ...	٢٥٠ ...	انتفاع المرتين بالرهن (فتوى) ...
٢١١ - ٧١ } ...	التجارة في القرآن ...	٤٢٩ ...	إلى العالم الإسلامى شعوبه وزعمائه
٣٢١		٣٤٩ ...	إلى التى شرب عقلمها الشراب (قصيدة) ...
	التجارة في الرقيق هل هو حرام بنص	٣٦٣ ...	أيام من عمرى (كقاب) ...
٢٤٩ ...	شرعى (فتوى) ...		الإيمان والاستقامة طريق الأمن
١١٠٢	تدرج القرآن في تشريعات التحريم ...	٢٦٠ ...	والسلام ...
	التربية الأساسية في الخطب المنسوبة		(ب)
١١٠ ...	(كتاب) ...	١١١٧ ...	البابية أو البهائية ...
١٠١٥ ...	ترك الصلاة كسلا (فتوى) ...		البهائية (رأى) ...
٥٥٥ ...	تشدد في اللغة لا موجب له ...	٩٠٩ ...	بركة وبحيرة ...
٥٢٣ (فتوى)	تشریح الأجسام في رأى لدين ...	٧٥٧ ...	بعض الكلام في شهر الصيام ...
٤٥٥	التضمين أو نيابة حرف مكان آخر ...	٤٧٢ ...	بلال بن رباح ...
٧٢٦	تطوير الفكر السياسى الإسلامى ...	٥٤٧ ...	البهائية (كتاب) ...
٣٧٠ ...	تعقيب على نقد ...	٥٦٦ ...	البوطة وشرها (فتوى) ...

الصفحة	للوضوع	الصفحة	للوضوع
٥٥٨	حق التوكيل في الزواج والاتجار في أدوات	٥٥٨	تعقيب واقتراح
١١٦٢	الترفيه (فتوى)	٦٨٣	التفاوض والتشاور
٥٦٤	الحلف بالنبي (فتوى)	...	تكوين الضمير الديني عند الفرد
٨٨٦	الحقن وحكمها في رمضان (فتوى)	٧٠٢	والجماعة
١١٩	حكم تمثيل الشخصيات الإسلامية (فتوى)	١١٥١	تنبيهه ، بين المعجزة والسحر ،
٢٤٣	حكم التوسل بالأنبياء وما يصحبه (بريد)	١٢٣	التوسل بالأولياء وما يصحبه (فتوى)
١٢١	حكم زواج مختلfi الأديان (فتوى)	(ث)	
١٢٢	حكم عدة القرآن في شهر المحرم (فتوى)	٣٨٧	الثورة الوطنية والفنية في شعر أحمد محرم
...	حكم النفقة من زكاة الأموال على جهات	٤٣٩	ثورة التوحيد الفلسفي على التعدد الوثني
١٢١	النفع العام (فتوى)	٣٧٩	الثقافة في حياتنا الفكرية
٨٦٢	حياة الأنبياء بعد الموت	(ج)	
١٠٠٩	حياة رسول الله (كتاب)	٧٤١	جائزة الدولة التقديرية للأستاذ الزيات
(خ)		٣٨٦	الجزيرة تنتفض مرة أخرى
...	خطأ الأحمدية في تفسير قوله تعالى ، وخاتم	٣٧٤	الجمع بين المرأة وخاتها في النكاح (فتوى)
١١٤٦	النبيين ،	٢٤٥	جمع بحث على أبحاث
...	خطأ الأحمدية في تفسير قوله تعالى	٨٦٦	الجهاد في الدين الإسلامي
١١٦٧	، وخاتم النبيين ، - مقال بالانجليزية	(ح)	
٣٨١	خطبة مجهولة للسيدة عائشة في أبيها	١١٦٢	حج المرأة من غير محرم (فتوى)
٣٥١	خواطر عائس (قصيدة)	١١٦٢	الحج والزواج (فتوى)
٢٨٢	خيانة اليهود من صفات الكافرين	٣٤١	الحسبة في الإسلام (كتاب)
(د)		٢٣٣	الحسن العاري (قصيدة)
٥٦٢	الدخان وهل فيه زكاة؟ (فتوى)	٥٦٧	الحشيش شربه وأكله (فتوى)
٢٢٢	دراسات في دلم المعنى السيمانتيك ٨٧-٢٢٢	٨٥٠	الحشو . حشو اللوزينج ، حشو الأكر
١١٥٤	دفاع عن الإمام الأعظم (رأى)	٤٨٥	الحصانات الدبلوماسية في الإسلام
١١٥	دم الكباش دواء الكلب	٧٠٧	حصانات السفراء في الإسلام
١٠٩	دموع الأمير (كتاب)		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
زكاة ربيع الأموال لن تغنى عنها	٢٠٥	دور العقيدة في شخصية الفرد والأمة	٥٥١
العوائد ... (فتوى) ١٠١٧	٥٠٤	دور الكلمة في اللغة (كتاب)	٨٧٧
زكاة الزرع ... (فتوى) ٨٨٨	٥٤٩	الديباج الحسرواني (قصيدة)	١٠٩٤
زكاة الزرع وهل تجب على المؤجر	...	الدين عند الله (كتاب)	...
أو المستأجر ... (فتوى) ٥٦٤	...	الدين في موقف الدفاع (كتاب)	...
زكاة الفطر ... (فتوى) ٨٨٨	...	الدين وعلاقته بالأدب	...
زكاة المال الذي دفع كعربون (فتوى) ١٠١٥	...		
الزكاة وهل تلزم عن فروق متأخرة	...		

(ذ)

ذئب عربي وذئب فرنسي ... ٦٩٢	ذئب عربي وذئب فرنسي ... ٦٩٢
الذبايح في النحر الواجب (فتوى) ١٢٢	الذبايح في النحر الواجب (فتوى) ١٢٢
ذبح الحيوان بالماكينات ونحوها (فتوى) ٧٥١	ذبح الحيوان بالماكينات ونحوها (فتوى) ٧٥١
ذكرى مصطفى صادق الرافعي ... ٨٨١	ذكرى مصطفى صادق الرافعي ... ٨٨١
ذم الهوى (كتاب) ... ٢٣٦	ذم الهوى (كتاب) ... ٢٣٦

(ر)

السبعة الأحرف التي أنزل عليها القرآن ... ٥٠	رأى الشريعة الإسلامية في احتمالات
سلطان الأمة منوط باستقامتها	ملسكات الجمال والمصايف واليا نصيب
ودوام النعمة رهين بصيانتها ... ١٧	(فتوى) ٥٢٢
السمات الفنية في شعر محرم ... ٥١٢	رأى الدين في الأحادية (فتوى) ١١٦٠
سن الزواج شرعا وقضاء (فتوى) ٥٢٠	الرؤية عن طريق المذبايح (فتوى) ٨٨٥
سوريا وسورية ... ٣٨٠	الرؤية وثبوتها نهائياً (فتوى) ٨٨٥
	الرصافة وضبطها ... ٥٥٤
	الرضاع المحرم ... (فتوى) ٢٥١

(ش)

شحنة المشاعر الإنسانية ... ٢٧	زكاة أدوات الإنتاج (فتوى) ١٠١٧
الشخصية السبوية للأمة ... ٥٧٦	زكاة الدين ... (فتوى) ١٠١٦
شخصية ذو القرنين بين قورش والإسكندر المقدوني ... ٦٩٥	

(ز)

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	(ط)		
٤٨٤	طاقة جديدة في مجالات العمل الإسلام		شراء الحب قبل أن يحصد بأقل
١١٥٢	طاقة من شعر الأصرة « قصيدة »	٢٤٩	من ثمنه وقت الحصاد (فتوى)
٤٧٨	طاروس بن كيسان		شركة من يجد المال مع من يجيد
١٠٧٠ - ٩٩١	طبيعة الشعر العربي	٢٤٩	العمل (فتوى)
٢٤١	الطريق إلى اتحاد إسلامي (كتاب)	١١٠٨	شكيب أرسلان الناقد
٢٧٤	الطلاق بلفظ الثلاث ... (فتوى)		(ص)
٧٤٧	الطلاق وتكريره ثلاث مرات (فتوى)		الصدقة وهل تغني في المرض هن
	(ع)		قضاء الصوم (فتوى) ٨٨٦
١	عام جديد على أزهري جديد		صفحات من تاريخ المرأة في
١٠٣	عابد الشمس (قصيدة)		الإسلام ٢٧٧
٧٨٢	عبد الملك بن مروان ... (كتاب)		صلاة التراويح فتوى ٨٨٨
١٨٤ - ٢١	العز بن عبد السلام		صلاة الجماعة وتمدها في مسجد
٥٥٢	العز بن عبد السلام ... (كتاب)		واحد (فتوى) ٣٧٢
١٦٨	عرب : تحدرها وتطورها		صلاة الظهر بعد الجمعة على مذهب
٥٧٤	عصرنا الذهبي الرابع		الشافعي (فتوى) ٣٧٢
	عصمة المرأة بيدما وهي حكمها فيها		صلاح الدين بطولته ١٠٠١
٥٢١	حكم الرجل (فتوى)		صلاح المجتمع بصلاح أفراده ... ٧٧٣
٢٥١	العقد العرفي (فتوى)		الصلاة (سقوطها) ١٠١٤
٥٨٩	العقيدة أولا ثم العمل		صياغة مشروع لجامعة إسلامية ... ٢٧٠
١٠٠٨	العقيدة وأثر الانحراف (كتاب)		الصيام في بلاد المار والليل فيها عدة
٩٨٣	العلم والعمل في الإسلام		شهور (فتوى) ٨٨٧
١٠٤٨	العلماء سفراء وقادة		(ض)
٧١٧	علوم نبخ فيها العرب		الضرائب في الإسلام { ٦٦٨ - ٤٧٧ - ٧٦٤
٨٧٤	على مبارك (كتاب)		٩٧٦ - ٨١١
١٠١٠	على مبارك لم يكن خائنا (رأى)		الضرائب لا تجزى عن الزكاة ... ١٠٢٥
			ضمان المال المتلف خطأ (فتوى) ١٠١٧

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٢٤	القرآن وكتابه بالحروف اللاتينية (فتوى)	٧٨٣	عمرو بن عبید
٩٤٨	القرآن يتسكع باليهود	٧٨٩	عمورية وواترلو
٨٨٦	قضاء رمضان (فتوى)	١٠٠٦	عناصر القوة في الإسلام
٩٢١	القاهرة حرام قصة لها دلالة	٨	عوامل الإعراب في اللغة
٥٥٦	قولهم أحسن من ذی قبل	١١٢	عودة إلى البسملة في بدء القراءة
٥٥٤	قولهم سافر إلى بيروت عرض البحر	٧٤٢	عيد العلم
٧٤٥	قولهم سافر إلى بيروت عبر البحر		(غ)
٢٤٥	قولهم لم يكن يعرف		غلة الأرض إذا لم تسكف هل فيها زكاة
	القوانين التي وضعها الإسلام ضمناً	٥٦٢	(فتوى)
١٢	وتنفيذها		(ف)
٣٧٤	قانون الوصية (فتوى)	٧٤٢	فرعون موسى
	(ك)	٨٥٤	الفقه صناعة إنسانية متطورة
١١٤	كاد أن	٩٨٦	فقهنا وهل نصنعه
٣٠٨	كتابة التاريخ المعاصر	١٤٢	فكرة وتطبيق
	الكتاب العربي المخطوط وملاحظات	٥١٢	المكر العربي ومكانه في التاريخ (كتاب)
١١٦	عليه	٧٣٣	فلسفة البخل (قصيدة)
	كرامة العقل وقداية الحرية من رسالة	٣٥٣	فلسفة تاريخ محمد (كتاب)
٢٤٠	الإسلام	٨٩٨	فن الشعر العربي وحيد في لغات العالم
	كتابة القرآن بطريقة الإملاء الحديثة	٤٤٥	فن الصورة في أدب المازني
٧٤٩	(فتوى)	٥٠٦	في بلادى الجميلة (كتاب)
٥٦٥	الكلاب وتربيتها لحراسة الدار (فتوى)	٧٣٧	في العاصفة (ديوان شعر)
٦١٠	الكنندي فيلسوف العرب	٢٣٤	في ظلال الإسلام كل الرجاء (قصيدة)
٩١٥	كيف نكتب البحوث الأدبية	٥٥٧	في محيط النحر
	(ل)		(ق)
٩٦٠	اللفظ والمعنى	١٣٧	قدم السكتابة العربية
٣٦١	لنحت نظر (تعليق)		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٧٥	المرأة والثورى فى الإسلام	(م)	
٢٤٨	المركز الثقافى الإسلامى بواشنطن	٧٦١	الحادية تهدم
١٠٤	منبدا من النور (قصيدة)	٤٣٥ / ٢٠٠	المازنى شاعرا
٦٠١	المساهمة الإسلامية فى الطب	١٠٢٧	المصدر فى اللغات
	المسؤولية الفردية والمسؤولية الجماعية		ما لا يجوز الخلاف فيه عند المسلمين
٤١٦	فى نظر الإسلام	١٠٠٥	(كتاب)
٢٨٧	مسلك الإسلام إلى الفارة الإفريقية	٣٧٨	مؤلف قصة الحضارة فى أيامه الأخيرة
٨٧٥	المستقبل لهذا الدين (كتاب)	٥٣٧	المؤمن الحر فى نظر إقبال (قصيدة)
٢٢٩ - ٩٩	المسلمون السود فى أمريكا	٨٧٦	مبادئ الإسلام فى تنظيم الأسرة (كتاب)
٥١١	المسلمون فى الهند (كتاب)	٧٤٦	المثالية
٨٦٩	مشاعر إقبال نحو العرب (قصيدة)	٥٦١ / ٤٣٥	المثالية فى نظر الإسلام
١٠٨٠	مع البلاغين : اللفظ والمعنى	٢٥٠	مجاهلة أهل الذمة ومداهها (فتوى)
١٠٠٧	مع الضمير الإنسانى ... كتاب		المجتمع الإسلامى يحتفى بالقوة ليهيش
٣٠٥	مع القرآن فى الآفاق	١٥٢	فى ظل السلام من أعدائه
٤٩٤	معترك المذاهب الفلسفية	١٠٤٤	المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام
٥	معنى الهجرة ودواعيها	١٨٨	بجمع الطبقة الواحدة فى الإسلام
٣٧٧	المكتبات العامة ورسالتها فى المجتمع	٨٨١	بجمع اللغة العربية فى المغرب (نبأ)
٤٨٧	الملكية فى الإسلام	٨٧٨	محطة قاب قوسين (تعليق)
٥١٥	من الأستاذ الدكتور البهى (بريد)	٤٢٤	محمد حفظ الرحمن
	مناهج الإسلام لتقوية روابط	١٠٦	محمد رسول الحرية (كتاب)
١٠٣١ / ٩٠٣ / ٧٦٥	الأسرة	١١٢٣	محمود الغزنوى
٧٧٧	من أيام الإسلام الخالدة يوم بدء الدعوة	٤٩٤	محيى الدين النووى
٧٤٥	من بعيد		المخدرات بمنوعة والقصاص الداعرة مباحة
	من تاريخ الأدب الحديث	٧٤٣	المدينة الفاضلة
٤٤٦	بكرية عبد الحليم المصرى	٩٣١	المدينة المنورة فى التاريخ (كتاب)
٦١٣	من ثمار الإيمان	١١١	



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٤٩-٩٩٧	النسخ في تقدير علماء الأصول	٨٩٣ ...	من ذكريات العيد في القرية
٧٦٩	نصرة الحق مكفولة من جانب الله تعالى	١١٣٢ ...	من معالم الطريق
٥٨٤/٤٥٤ ...	انظرات في فقه عمر	٣٢	
١٠٥٨	نظرية الإيهام بين المستشرقين والمسلمين	١٨٣	
٤٦٣/٦٦٧/١٢٨	نظرية النصف في إسماعيل الحق	٤٠٠	
٥٢١ ...	النقد الأدبي من خلال تجاربي	٤٣٩	من معاني القرآن ...
	نقل الدم وهل يبطل الزواج	٦٧٧	
٥٢١ ...	والمصاهرة (فتوى)	٩٤٧	
٥٢٣	نقل أعضاء جسم ميت إلى حي (فتوى)	١٠٥٧	
١٠١٧	نقل الزكاة ... (فتوى)	٤٥٣	منهج القرآن في تربية الفرد
١١٥	النسكته ومعناها حقيقة وبجازاً	٥٢٠	المهر والشبكة قبل العقد ... (فتوى)
(هـ)		٥٨	الموازنة في التاريخ الإسلامي
٨٣٢	هدى القرآن في إصلاح الفرد والمجتمع	٨٨٠	موازنة لا مقارنة ... (تعليق)
	هل كلمة سيدنا في شهادة أن محمداً	١١١	الموجز في التربة الإسلامية (كتاب)
٥٦٨ ...	رسول الله وأردة (فتوى)	٤٥٧	الموسوعات والمعاجم اللغوية
١٠١٥	هل يصلي المرء ولو غصبت أمه (فتوى)	٣٣	الموضوع في الأدب العربي
(و)		٨٨٤	موعد الصيام وتوحيده ... (فتوى)
٥١٤ ...	وجاء أبو بكر (كتاب)	١٣٢	الميثاق الوطني في رأي الأزهر
٨٨٧	الوحدة في الأمور الشرعية (فتوى)		ميراث ابن أخ شقيق مع أخوين
١١٣	وضع الزهور على القبور (فتوى)	٢٥٢	شقيقين ... (فتوى)
٢٤٤ ...	والعاديات ضحبا	٨٥٩	مبقات الصوم
(ي)		(ن)	
٧٣٠ ...	يا حبيب الرحمن (قصيدة)		فهو منهج جديد في تطوير الفقه
٤١١ ...	يحيى بن يعمر العدواني	٥١٦ ...	الإسلامي
		١٥٨ ...	فداء القرآن
		٩٣٧-٨٢٠	الزعة العنصرية والصهيونية

